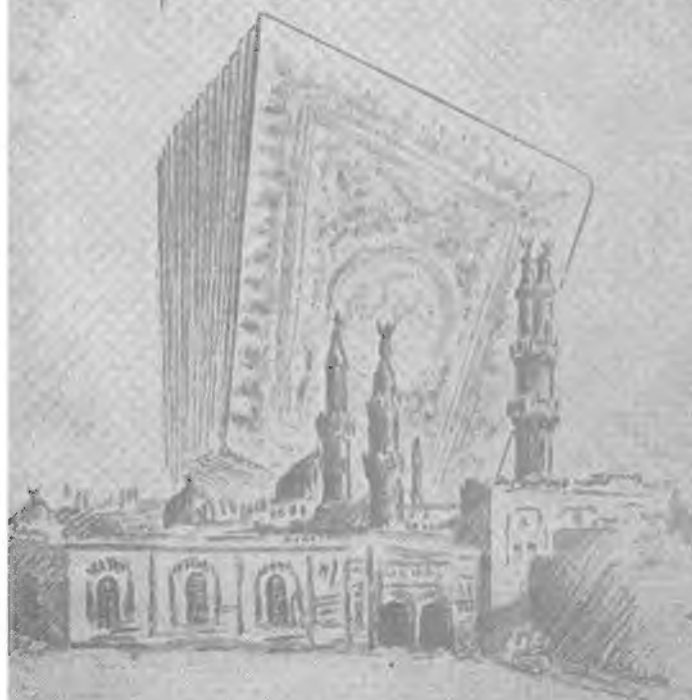


سنة ١٣٧٣



این هذا القرآن یحیی للقیام اقوم



مجله

الاشتراك السنوي

٥٠ في مصر ولبنان
٣٠ للطلبة في مصر ولبنان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
نحو الجزء ٥

مَجَلَّةُ الْأَنْهَرِ

مَجَلَّةُ شَهْرَتَيْنِ مَعْنِيَةٍ

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
عبد الله بن عبد الحليم

العنوان
إدارة إجماع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الأول

غرة المحرم ١٣٧٣ - ١٠ سبتمبر ١٩٥٣

المجلد الخامس والعشرين

فاتحة السنة الخامسة والعشرين
لمَجَلَّةِ الْأَنْهَرِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواصل الحمد بالنعمة ، والنعمة بالشكر . اللهم إنا نعوذ بك أن نفتن عن دينك ،
أو نتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك .

وبعد فقد دار ملكوت الله الأعظم دورة أخرى ، فالتقينا - على رأس السنة الخامسة
والعشرين من حياة هذه المجلة - بمن جمعنا الله بهم من كتابها وقراءتها ، لتعاون إن شاء الله
على ما يسد خطانا نحو الغاية التي بعث الله بها رسوله برسالاته ليوجهوا الإنسانية إليها ، وعلى
ما يصلح خططنا في تنظيم حياتنا وإسعادها ، والإفادة من ثروتنا في العلم والحكمة والأخلاق ،
التي ادخرها لنا العلماء البررة من سلفنا الكادحين الناصحين الصالحين .

نحن في زمن كثير فيه القائلون ، وما أكثر من يحسن القول ويحجّده ، ولكن قل منا
من يعمل بما يقول ، ومن يخطر بباله وهو يقول أن الذي يقوله يراه منه العمل به .
وحبذا الكاتب المقل الذي يؤمن بما يكتبه ، ويعمل بما هو مؤمن به ، ويدعو قراءه إلى
مثل هذا الإيمان والعمل به ، فهو الذي يخاطب القلوب بالغة القلوب ، وقديماً قالوا : من
القلب إلى القلب سبيل . ونحن في زمن كثير فيه القارئون ، وكثيرون منهم يواصلون

القراءة بشغف ونهم ، وقد لا يفوتهم شيء مما يهمهم الاطلاع عليه . غير أنهم يقرأون - في الغالب - للتسلية والمتعة ، وليقولوا أحسن فلان وزل فلان ، وقل منهم من يرتفع إلى مستوى العاملين على تمحيص الحقائق والتعاون مع أهلها والدعوة إلى تعميم العمل بها . وحبذا القارئ الذي يتحرى الحق والخير فيما يقرأ ، والذي وهبه الله حاسة الشعور بإيمان من يكتب عن إيمان ، فيعمل من ناحيته على تحقيق النافع من دعوة الحق ، إلى أن يكون للحق أولياء يهاجرون إليه حيثما يكون ، وللخير أنصار يؤيدونه في كل الظروف .

إن مثل المبادئ والسنن في تاريخ الإنسانية كمثل النقود التي يتعامل الناس بها في الأسواق . ونحن المسلمين أغنى أم الأرض في موارث الإنسانية من مبادئ الحق وسنن الفضائل والخير . ولكن مرت علينا بضع مئات من السنين جعلنا فيها قدر هذه الموارث فأهملنا التعامل بها ، ثم طغى علينا الاستعمار الاجنبي فروج فينا عملة أخرى من مبادئه وسننه ، صنعها لنا ولنفسه من نحاس وصفر ، وطلاها بطلاء لامع براق ، فبقيت موارثنا الذهبية والفضية مهمة في جملة مهملاتنا التي لا تلتفت بها ، ويسطو عليها المستشرقون - وهم هيون الغرب في الشرق - فيستخلصون منها ما يروقههم ، ويملأونه في نظريات لهم يفتخون بها ، وبحوث يفخرون بها ويقهون على الناس . ثم يعرضون علينا سائر تراثنا ناظرين إليه بعين السخط ، فيتطفل أبنائنا على قنات موائدهم ، ناقلين إلينا غذاءنا من فضلاتهم . وهذا هو العلم اليوم عند مؤلفينا وكتابنا وعلماؤنا : ثقافة اجنبية محضة أحلناها محل ثقافتنا ، وارفضيناها عملة لأسواقنا بدلا من عملتنا المهمة . وعلم من تراثنا لا نأخذه مباشرة عن أصوله بأاليب قومية وروح إسلامية ، بل نأخذه عن طريق الآخرين ناظرين إليه بأعينهم ، حاكين عليه بأهوائهم ، عارضين له بأذواقهم وأغراضهم

بين أبدى أبناء هذا الجيل - من مشرقين وغربيين ، مسلمين وغير مسلمين - تركه جهاد وجهود لسلفنا من المسلمين والعرب مهروا على تكوينها أربعة عشر قرناً في الإسلام وقرونا مثل ذلك قبله . وهذه التركية فيها لغة العرب ، وهي أدق لغات البشر وأوسعها وأجلها . وفيها شريعة الإسلام ، وهي أعظم الشرائع على الإطلاق وأغناها وأبعدها عن أهواء النفوس البشرية في تحرى العدل وتوقيع أحكامه على ما يحدث للناس من أفضية . وفيها جهاد نبيل لبعث الاخلاق الفطرية ، وتكوين الكيان الإنساني السعيد الذي لم تنجح فيه

أمة ولا دعوة كما نجحت فيه أمتنا وقامت عليه دعوتنا . وقد شمرت طوائف كثيرة عن سواعدها لجرد هذه التركة الإسلامية العربية والإفادة منها وعرض محتوياتها بعزائم ضعيفة وأخرى قوية ، وبعيون الرضا وعيون السخط .

ومن هذه الطوائف المستشرقون على اختلاف أجناسهم ولغاتهم من نحو مائتي سنة وأكثر ، وأخيراً الجامعة العبرية القائمة على جبل الزيتون في بيت المقدس ، وفي شهرنا هذا انعقد المؤتمر الدولي للثقافة الإسلامية في برنستون من ولاية نيوجرسي بأمريكا . كل هذه الطوائف والعناصر أباحت لنفسها أن تضع أيديها على تركتنا التي هي أئمن تركات البشر ، ونحن وحدنا الواقفون موقف المتفرج عليهم ، وفيما من الأغرار من لا يريد أن يتعرف على تركة سلفه إلا عن طريق هؤلاء الأغيار فيجلب الحشف من ثمرها إلى أسواق حجر ، بكل ما فيه من عجر وحجر ، حتى أضحكوا علينا أشياءهم من المستشرقين أنفسهم .

أما هذه المجلة فتدعو إلى أخذ النافع من العلم حيثما كان ، ومن أي مصدر صدر ، بشرط أن يكون حقاً ونافعاً . وتلفت أنظار المخلصين من شباب الجيل إلى أن تراثنا العلي والثقافي أئمن تراث ورثه خلف عن سلف ، غير أنه أصبح باهمالنا له كالعملة التي بطل التعامل بها وبذلك صرنا مفلسين . فعلينا أن نعود إلى تراثنا فتتعاون على بعثه بأيدينا ، ناظرين إليه بعيون إسلامية ، حريصين عليه حرص المالك على ما يملك . وبذلك نرد على عملتنا قيمتها ، فيرد الله على هذه الأمة المفلسة اعتبارها ، وتقرباً مكاتها بين الأمم .

لقد أصيب كتابنا ومؤلفونا - من أعقاب الحرب العالمية الأولى - بمرض أجنبي حملهم على أن ينظروا إلى ماضيهم ، وإلى تاريخهم ، وإلى علومهم ، بعيون الأجانب . وصاروا يحكمون على أسلافهم بقسوة الأغيار على غيرهم . ونحن ندعو في هذه المجلة إلى بعث تراثنا ، وإلى التعامل بمبادئه وسننه ، وإلى الاعتزاز به كما يعتز خير الخلف بخير السلف . ونرحب بكل تعاون على ذلك . من كتاب هذه المجلة وقرائنها ، وزجو الله لهذه الدعوة المخلصة حسن الاستجابة .

المؤلف

إيمان...

من الشائع على ألسنة الجماهير في الكيان الإسلامى أن ، النظافة من الإيمان ، ...
فأى إيمان هذا الذى يعدُّ النظافة من عناصره ؟

وعما يلج به كل مسلم في كل مكان أن ، الحياء من الإيمان ، ، ولكن ماهى الرابطة
بين الحياء وبين الإيمان ؟

الحياء زينة الأخلاق ، وهو ماء الحيوية الذى يترقق في سبيل الفضائل . كما أن النظافة
مقياس من مقاييس الحضارة والعمران ، وهى - بعدُ - في طليعة وسائل الصحة وأسباب
الوقاية من الأوبئة والأمراض ، وتكاد تكون نصف الجمال .

هذه حقائق يعرفها ويعترف بها جميع الناس في كل الأمم . غير أن موضع العجب في
هاتين الكلمتين الشائعتين على ألسنة المسلمين أن تكون النظافة وأن يكون الحياء من الإيمان ،
فأى شرع هذا الذى تقل النظافة والحياء من جو الدنيا ونطاقها ، وأقحمهما في جو الدين
وصميم إيمانه ؟ !

إن الإيمان الذى عرفته الأمم في أكثر الديانات يتناول الغيبات والخوارق ، ويتجاوز
الطبيعة إلى ما وراءها . والإسلام قد أقر من ذلك ما هو حق ، وجاء مصداقاً لما صح من
رسالات الله السابغة ، غير أنه افترق عن غيره بإتساع أفقه لكل ما تتوقف عليه سعادة
المجتمع الإنسانى ، لجمل ذلك من عناصر إيمانه ، حتى لقد قال حامل آخر رسالات الله
وأكملها صلوات الله وسلامه عليه :

« الإيمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن
الطريق . والحياء شعبة من الإيمان ، .

وهذه البضع والسبعون من شعب الإيمان الإسلامى هى التى بينها الله ورسوله فيما ورد
من أوامر القرآن ونواهيه ، وفيما صرح من الأوامر والنواهي في السنة المحمدية . فكل أمر

إيمان

أو نهى في دين الإسلام فإن المسلم مكلف بأن يؤمن ، أنه حق ، وعليه أن يعمل ، به ، وأن يظهر أثر إيمانه به في جوارحه وتصرفاته . وهذا هو معنى قول السلف : الإيمان تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . ومن حكمة التعبير النبوى عن شعب الإيمان بأن أعلاما ، لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، وأن الحياة من الإيمان ، هو أن هذه الدرجات الثلاث التى ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً لسائر درجات الإيمان وشعبه قد حوت الإقرار باللسان في كلمة : لا إله إلا الله ، والعمل بالجوارح في إماطة الأذى عن الطريق ، كما حوت التمثيل بالحياة لأثر الإيمان في جوارح المؤمن ، لما لا يخفى من ظهور أثر الحياة في ملاحح صاحبه وعلى وجهه وأوضاعه .

لقد تدرجت - منذ سنين طويلة - شعب الإيمان الإسلامى كما وردت في أوامر هذا الدين ونواحيه ، فرائتها كلها - بلا استثناء - تنفرع من دوحتين عظيمتين لا تنخرج شعبة من شعب الإيمان الإسلامى عن إحداهما :

الدوحة الأولى : هى : دوحة الحق ، ومعظم أوامر الإسلام التى نحن مكلفون بالإيمان بها متفرعة عنها .

والدوحة الأخرى : هى : دوحة الخير ، وكل ما زاد عن فروع الدوحة الأولى من شعب الإيمان الإسلامى داخل في شعب الدوحة الثانية ومتفرع عنها ومكمل لها .

وتعال معى الآن نلقى نظرة على : دوحة الحق ، في الإيمان الإسلامى لرى نماذج ولو قايمة من العناصر التى يتألف منها هذا القسم من إيمان المسلمين كما بعث الله به آخر رسل الله بأكمل رسالات الله :

من ذلك عنصر : الصدق ، وقد أمر الله به في سورة التوبة (١١٩) فقال : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . وفي سورة الأحزاب (٧ - ٨) : وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم ، وأعد للكافرين عذاباً أليماً . وفي السورة نفسها (٢٣ - ٢٤) : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفورا رحيما . وفي سورة الزمر (٣) : إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ،

وفي آل عمران (٦١) : « تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

ومن دوحة الحق عنصر « العدل » الذي عليه تقوم الأمم ونحيا الجماعات ، وفيه يقول الله عز وجل في سورة النحل (٩٠) : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » . وفي سورة النساء (٥٨) : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

ومن تلك الدوحة في الإيمان الإسلامى « الشهادة بالحق » ، وقد ورد من ذلك في سورة البقرة (٢٨٣) : « ولا تكتموا الشهادة » ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم . وفي السورة نفسها (١٤٠) : « ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون » . وفي سورة الطلاق (٢) : « وأشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله » ، ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . بل المسلم مأمور بأن يقف في مجلس الحكم فيشهد بالحق ولو على أقاربه ، بل على أبيه وأمه ، بل يشهد على نفسه ولا يبالى بكل ما يكون لشهادته من نتائج ، وذلك قول الله عز وجل في سورة النساء (١٣٥) : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين . إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » ، وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً . وهذه المرتبة في التزام الحق والإيمان به والعمل بمقتضاه لا نعرف فوقها مرتبة ، وأى مرتبة فوق أن يتقدم الإنسان إلى المحكمة بدافع من إيمانه الدينى فيشهد على نفسه ، أو على أبيه وأمه ، فضلاً عن سائر ذوى القربى ؟ ... وإن خالف الحق في ذلك كان مخلاً بشعبة عظيمة من شعب الإيمان في الدين الذى هو أحد المؤمنين به !

ومن دوحة الحق في الإيمان الإسلامى حفظ « الأمانات » ، وحسن أدائها . وقد ورد من ذلك قول الله عز وجل في سورة البقرة (٢٨٣) : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى ائتمن أمانته ، وليتق الله » . وفي سورة النساء (٥٨) : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » . ومدح الله المؤمنين برعايتهم للأمانات في سورة المؤمنين (٨) بقوله سبحانه : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . ونهاهم عن ضد ذلك في سورة الأنفال (٢٧-٢٨)

فقال : يا أيها الذين آمنوا لا تخفوا الله ورسوله وتخفوا أماناتكم وأنتم تعلمون . واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم .

ولو ذهبت أستعرض ما في كتاب الله - فضلا عما في سنة أكل رسل الله - من الأوامر والنواهي المفروض فيها على المسلمين أن يؤمنوا بالحق - بجميع معانيه ومظاهره ومذاهبه - وأن ينصروه ، وأن يربوا عقولهم ونفوسهم وقلوبهم ، وبفهم وذوهم وشعوبهم ، على حجة ومقت أعدائه ومقاومتهم في جميع المواقف ، لطال بي المقام . لأن شعب الحق التي وجه الإسلام عنايته إليها تعد بالعشرات ، بل هي الشطر الأعظم من الشعب البضع والسبعين التي أشار إليها رسول الله ﷺ في حديث شعب الإيمان ، والمسلم مأثور من دينه بأن يؤمن بكل شعبة منها ، وأن يبذل جهده لتحقيقها بالعمل ، في كل الظروف ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

والتعاون ، على جميع الأعمال المباحة - من تجارية وصناعية وزراعية واجتماعية وعسكرية وإنسانية - متى تينت فائدتها للأفراد أو الجماعات أو الأمة ، فإن ذلك محدود من صميم الإيمان الإسلامي ، لأنه من البر ، وقد أمرنا الله في سورة المائدة (٢) فقال : ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . بل لو مست الضرورة في يوم من الأيام إلى أن تكون دول المسلمين كلها ، دولة تعاون ، وشعوب المسلمين كلها ، أمة تعاون ، لكان المسلمون عاملين في ذلك بشعبة من شعب إيمانهم ، ولكان ذلك من تمام إسلامهم .

ومن عجائب التربية الإسلامية الأولى على العمل بالإيمان الإسلامي أنهم كانوا يعتبرون المال ، الذي تحت يد أحدهم من كسبه وفي حيازته أنه ، أمانة لله ، عنده ، فلا يتصرف منه في حوائجه وحوائج من يعولهم إلا بالمعروف وعلى قدر الضرورة . ثم يرون أن ما زاد على ذلك فهو لله عديم فلا يتصرفون فيه إلا بما يرضى الله ، ويؤيد الحق ، وينمي مرافق المسلمين ، ويقبل عثرات الاختيار ، ويوسع دائرة الخير . وقد فهموا ذلك من قول الله عز وجل في سورة الحديد (٧) : آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جملكُم (مستخلفين) فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير . وبذلك تعودوا لذة الزهد في الكماليات التي يسهل الاستغناء عنها ، وترفعوا عن سفاسف الأمور فلم يضيعوا فيها شيئا من أموالهم

وأوقاتهم وجهودهم ، وحرروا نفوسهم من أن تكون مستعبدة للمتبع الزائلة وفضول الشهوة ، فسعدت بذلك أمتهم ، وقويت ، واستفحل ملكها ، وبلغت أوج الذروة وقمة السيادة .

أما دوحه الخير ، في الإيمان الاسلامي فإنها لا تقل عظمة وحيوية وازدهاراً عن أختها دوحه الحق ، بل إن نفس المؤمن في ظل هذه الدوحه أرضى وأسعد ، لأنها تقوم بالفكر الواصل عن الحق ، وتقوم به محتارة ، فهي تجد اللذة عنده مضاعفة . ولو شاء امرؤ أن يؤلف في تفاصيل هاتين الدوحتين كتاباً يبدأ بمحصر عبودية الإنسانية وطاعتها في الله وحده ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ثم يستعرض شعب الإيمان الاسلامي شعبة بعد شعبة ودرجة فدرجة حتى يبلغ شعبة الرفق بالحيوان وأنها من عناصر إيمان المسلمين ، ثم ينزل منها إلى الشعبة التي تجعل من تكاليف المسلم أن يبيت الأذى عن الطريق لمنع ذلك الأذى عن من يعرف ومن لا يعرف ، بل عن أعدائه الذين يسلكون ذلك الطريق فضلاً عن يودهم ويريد الخير لهم ، إن من يؤلف في شعب الإيمان الاسلامي فيستعرضها كلها ، سيجد نفسه أمام دين لا شك أنه دين الحق ، وشريعة لا ريب أنها شريعة الخير : بفهمها الإنساني منذ وجدت الإنسانية في هذه الأرض إلى أن تقوم الساعة . وإن كتاباً كهذا لا يستطيع المؤلف الحكيم المنصف إلا أن يخرج في مجلدات حافلة بالمثل العليا الإنسانية العليا . وما هذه المثل العليا للإنسانية العليا إلا : الاسلام ، نفسه في ريعان حيويته وروعة فطرته ، مجرداً من أناييات البشر وإسفافهم وحشالة نفوسهم منذ انقطع عنها هذا الغذاء الشهي والمورد العذب الهني . ويوم دخل المسلمون الأولون مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا وسائر البلاد التي حلوا إليها الرسالة المحمدية ، تقدموا إلى أهلها بهذا الإيمان معروضا على الانظار يراهم العمل به والتعامل بقواعده وسنته ، فبادرت الأمم في الحال إلى اقتباسه وتفضيله على كل ما كانت عليه من قبل .

أيها الطالب الأزهرى ، وأيها الشباب المسلم حيثما كنت ، إن إسلامك إذا عرفته من يتابعه فهو سبب سعادتك ، وسعادة وطنك وأمتك بك . آمن به ولا تخف ، ومن شرط إيمانك به أن تعمل به ، وإذا عملت به أنت وأبناء جيلك فأنا الضامن لكم بأن تؤمن به هذه الأمم الحائرة التي تنشد أهداف رسالة الإسلام وهي لا تعلم أنها موجودة في الاسلام لأنها تريد أن ترى بعيونها ، لا أن تسمع بأذانها . . .

محج الدين الخطيب

مسجد المدينة

[للمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه]

- ٧ -

بدأ لي أن أستقبل مجلة الأزهر في عددها الأول لعامنا الهجري الجديد [١٣٧٣] بالحديث عن مسجد مدينة الرسول - كرمها الله ، وأخفى على ساكنها من صلواته وتسليمه صوباً مديداً ، وبارك جيرة الرسول في جيرانهم ومنحهم رزقاً مزيداً .

وبالكلام على مسجد المدينة أكون وصلت الحديث بما نشرته لي مجلة الأزهر - مشكورة - عن البيت العتيق ، لا حجب الله عنا إشراقه ، ولا أطال علينا فراقه ، وأكون كذلك أَرْضِيت نفساً تنوق إلى الهدى وإن لم تكن مهيبة ، وآنتها بذكريات عن روضة الرسول أعز عليها من الأمل في لقاء الأحبة ، وهدأت بين الضلوع نوازع يثيرها ركب الحجيج كلما نهض إلى بيت الله محرم ، أو عاد إلى الديار غانماً .

وذو الفوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقى العاشقين

والمساجد المذكورة في القرآن ثلاثة ، ثم رابع :

المسجد الحرام - وقد تناول القرآن هراجه أو ضمنا في أكثر من خمسين آية على ما حدثناك من قبل .

والمسجد الأقصى - بيت المقدس - وهو أحدث من الأول ، وكان القبلة المشروعة قبل الكعبة .

ثم مسجد المدينة - الذي توجه إلى الحديث عنه الآن .

تلك المساجد الثلاثة التي أقيمت على الحق ، والتي يورك فيها بذكر الله وعبادته منذ نشأتها ، ثم المسجد الرابع : مسجد الضرار ... قبح الله أهله كما شؤم سيرته .

وكان مسجد المدينة حرياً بتخليد ذكراه في الكتاب العزيز ، مقرونة بأكرم صفه له ، وأطيب ثناء على أهله .

ذلك أن دعوة التوحيد حينها هتف بها النبي ﷺ وصحبه في وطنهم ، وبين أهلهم نشأت غريبة عليهم ، بغيضة إليهم ، وما زالت بهم في رفق وتؤدة ، وما زالوا بها في مقاومة وعنف ، حتى لقيت منهم أنكى ما يلقي الدعاة إلى الخير من شرار الناس وأعداءهم للخير . وإذا كان الأمر في أوله يستغرب مما يؤلف ، فإن دعوة محمد ﷺ لم تظهر من أهله غير قليل منهم - إلا عنتا في الخصومة ، وشططا في النكال .

وكيف تحسب أنت قوما يطاردون إنسانا دعاهم إلى الهدى ، وأخلص لهم في النصيح ، وما كلفهم على ذلك قليلا من حطام ، ولا رغب إليهم في نصيب من سلطان . وهم مع ذلك يعرفون عن طهارة نشأته ، وعن مجد قبيلته ، وأصالة الشرف في بيته ما يكفي لأن يطعنوا إليه ، ويستجيروا له ويلتفوا حوله ، ويسيروا في معيته لينهض بهم إلى مجد خير من مجدهم ، ويكسبهم شرفا جديدا ، وذكر أبقى على التاريخ من ذكرهم ، ولكنهم كانوا عليه ، ولم يكونوا له . ثم لم يطيقوه داعيا بينهم وإن وجه دعوته إلى غيرهم ، بل لم يطيقوه حيا فيهم وإن كان مسلما لهم ، فذهبت حلوقهم بدعوته أقسى ما تكون الفضة ، وتعمشوا إلى دمه ليرووا منه ظمأهم وإن يكن من فلذات أكبادهم .

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند ومن وراء هذه القنامة في مكة يهيه الله للدينة أن تحتضن هذه الدعوة المرفوضة ، وتزوى العمة المطرودة ، وتنفش الراية المطوية ، وتنصر الحق المبيض .

ويهيه الله للدينة أن يقام فيها مسجد يذكر فيه اسم الله ، ويكون موئلا للقادمين من حملة الرسالة ، بعد أن حيل بينهم وبين مسجد أصيل لذلك من فجر التاريخ .

ويكون ملتقى لهم بحمة الدعوة الذين تلففوها من عدائها ، الراغبين عنها جهلا بقدرها . فإذا كان مسجد المدينة أصبح رمزاً لنجاح الدعوة الإسلامية ، وموقلا لجندما الأوفياء ، وندوة حافلة بالمصلين الذاكرين ، وبالسائلين في العلم وبالمجيبين ، لجدير به أن يوصف في كتاب الله : بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم . . وكفى بذكره في القرآن إشادة ومجادة ، وكفى به للمسلمين نفعا وإفادة .

ولكن في المدينة مسجدين : أحدهما كان الركيزة الأولى للدعوة فيها منذ وصل ركب النبي ﷺ وصاحبه ، واستقبلهما المدنيون في قباء : على بعد مرحلة من يثرب ، ولا يزال

مرعباً حتى اليوم ، والثاني مسجد المدينة نفسها ، وكانت نشأته بعد ذلك ، وهو المسجد الاوحد فيها ، وما ينبغي أن يقام فيها سواء ، فإن الكواكب لا تنفى ، بل هي لا تبدو بجانب الشمس الضاحية . .

فأى المسجدين يراد في الآية ؟ كلاهما أسس على التقوى من أول يوم ، وفي كليهما رجال أظهروا برة بدينهم وبفهم . . غير أن مسجد قباء أسبق ، وأن الثاني أعظم وأنفع . قال ذوو رأى صائب من المفسرين أن كليهما مراد ، وذكر المسجد ووصفه بصيغ المفرد لا يأبى التعميم إذا كان الوصف شاملاً ، وقاعدة التفسير : الاعتماد على عموم اللفظ ، ولا عبء بخصوص السبب ، ومع الارتياح إلى هذا : فإن المفسرين المولدين بالتحري يأخذون بالفرائض ، ولكل وجهة .

فريق يقول : إنه مسجد قباء ، والوجه عندهم أنه لما أقيم ذلك المسجد ، وظهرت به الحياة الروحية ، شق على المنافقين أن يدعوهم من غير مناوأة ، فأشار عليهم أبو عامر - وهو من غلاة المنافقين - أن يقيموا بجانبه مسجداً آخر ، ريثما يذهب هو ليأتهم بمدد من الروم يقاوم به المسلمين ، ثم ذهب هو ، وبنوا المسجد ، وطلبوا إلى النبي ﷺ أن يصلى فيه ليباركه ، وليكون مقصوداً للناس من بعد ، كما يقصدون مسجد قباء - ذلك زعمهم .

وإذ كان النبي ﷺ على أهبة السفر إلى غزوة تبوك ، وعدم الانتقال إلى مسجدهم للصلاة فيه بعد رجوعه من الغزوة ، ولكنه لم يكذبهم من غزونه حتى أوحى الله إليه بآيات تكشف له عن قصد البائين لهذا المسجد ، وتفضح نفاقهم ، وتجعله في حل من وعده إياهم : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ، وكفراً ، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون » . فهذه أغراض أربعة ، ليس فيها واحد يمت إلى المسجدية بسبب : (ضراراً) أى رغبة في إلحاق الضرر بالمسلمين ، كأن يستدرجهم إلى مسجدهم ليقضوا على المسجد الاول بإيماله ، أو يختلطوا بهم دائماً في غير تمييز فيستطيعوا الكيد للمسلمين دون تعرف عليهم (وكفراً) ورغبته في ترويع كفرهم باسم الإسلام ، وهم لا يجرؤون على التظاهر به كما هو معنى النفاق (وتفريقاً بين المؤمنين) في مساجد متعددة ليست إليها حاجة ، وفي ذلك توهين للرابطة ، وتمزيق للأخوة التي يساعد عليها اجتماعهم في مسجد واحد ، ومن أجل ذلك جرى العمل

على الاكتفاء بالمساجد متى كانت تسع أهل محلها على ما هو مبين في بابها من الفقه .
 (وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) أى ترصداً وانتظاراً لمن غاب عنهم في استدعاء
 المدد من الروم ، وانتظاراً لحشد من يجتمع إليهم من منافق آخر يشعين الفرص معهم ..
 وكان من فرط نفاقهم أن يحلفوا للنبي على أنهم لا يقصدون من بناء مسجدهم إلا المقاصد
 الطيبة ، والعاقبة الحسنى ، وقد شهد الله عليهم بالكذب في أسلوب أكيد ، وكفى بالله شهيداً .
 بين الله أغراضهم ، ونهى رسولهم عن الصلاة في مسجدهم أبداً ، فكان النهى عن
 الصلاة فيه إيذاناً بهدمه ، وبحوآفارة حتى لا يفتن به من لا يعي . لذلك بادر النبي ﷺ
 بإرسال نفر من صحبه فأحرقوه ، وكتبوا أمل المنافقين ، وكان النهى عن الصلاة مشفوعاً
 بالتوجيه إلى المسجد الاول - مسجد قباء - الموصوف بأنه أسس على التقوى من أول يوم ،
 وبأن فيه رجالاً يحبون أن يتطهروا من الآخيات الحسية بالماء الطهور ، ومن الأوزار
 والشبهات بالعبادة الخاصة لله .

وإن مسجداً يكون زكياً عند الله ، ويكون أهله أطهاراً بشهادة الله لأحق بصلاة النبي
 ﷺ فيه من مسجد دون ذلك ، بل بعيد كل البعد عن ذلك .. ذلك توجيه القائلين بأنه
 مسجد قباء .. وآخرون يتقبلون التناء على هذا المسجد ، ولكنهم يمنحون في توجيه الآية إلى
 مسجد المدينة ، لأن النبي ﷺ سئل عن المسجد الموصوف فقال (هو مسجدى هذا ،
 وفى ذلك خير) .. ولأنه لما نهى عن الصلاة أبداً في مسجد المنافقين ترجع أن المسجد
 المقصود هو ما ثبتت له الأبدية ، وهو مسجد المدينة .. ونحن نفهم أنها توجيهات للرأى ،
 واجتهاد غير ملزم ، وأقربها إلى الحق شمول المسجدين فكلاهما على ما وصفت الآية .

ثم تظل الآيات في تحقير النفاق وأهله ، وتزييف أعمالهم فيقول تعالى : أفمن أسس
 بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ، فاهار به
 في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين ، .

أى : هل الفاعل لفعل يباعث من التقوى ، والرضا في رضوان الله يكون أشرف قصداً
 وأجدى نفعا ، أو من يفعل فعلاً زائفاً خبيث الغاية كمن يقيم بناءه على حافة بئر متصدع على
 وشك الانهيار حتماً ، وإذا انهار ذلك العمل كما هو متوقع له ، فسيخر بصاحبه في جهنم ؟ هل
 يستوى ذلك وهذا ؟ ؟ الجواب عقلاً وطبعاً وشرعاً . لا — لا يستوى الحديث والطيب ،
 وكذلك شأن النفاق والإيمان . ومن عجب أن القرآن يردد علينا حديث النفاق والمنافقين ،
 ويؤكد في وقائعه وأمثاله أن النفاق مضيعة للأعمال ، ومهلكة للعاملين ، ولكننا لا نتبصر

في الآيات ، ولا تجدنا الزواجر ، بل فسمع ولا نرى ، وقرأ ولا نطق ، وثىء من الثقل يهدينا إلى سنة الله في تكوينه لهذا الكون ، فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وجعل الحياة المجيدة لما يقسم بسعة الحق ، وكل شيء يثبات بلوثة الباطل لا يحمل في إهابه نصيبه من الحياة التي تكفل نفعه ، أو تورثه خطا من الخلود لأنه على غير سنة من الله في تكوينه لكونه هذا . ومن هنا يتضح قوله سبحانه « إن الباطل كان زهوقا » ، ذلك قصص نستمد من الحديث عن مسجد المدينة . وإن يكن مسجد قباء فيما تناوله الآيات فالمساجد في القرآن أربعة مشكورة : لا ثلاثة . . ثم خامس مرذول بغيض .

أما مسجد الرسول ﷺ — وقد احتوى الجثمان الزكي الأطهر ، واحتوى معه صاحبه وهما من أكرم الكرام على الله بعد رسله — فإنه ليعد بحق طهوراً لقاصديه من المآثم ، فإن فيه مبعوث الهداية ، وداعى الإيمان ، والناصح الأمين . . والقرب من مثواه الكريم في هذا المسجد يفتح القلوب الغفل ، ويدفع العظة إلى النفس ، ويوقظ الإحساس سرياً إلى التماس المغفرة من الله في هذه الروحة المأهولة بأحب الناس إلى الله : بمحمد خاتم رسله ، وأفضل أنبيائه ، وبصاحبيه المقدمين على سواهما من الشهداء عند ربهم .

أليس يؤيد ذلك أن الله جعل الصلاة في هذا المسجد بألف صلاة في غير المسجد الحرام ؟؟ فإذا كان ثواب الصلاة يبلغ هذه الأضعااف أعلا تكون الدعوات هناك . والصدقات وعامة الحسنات كذلك ؟ إن الأما كن تفاوتنا في القدر كـتفاوت الأشخاص . . كان مسجده هذا أول مدرسة ترعرعت فيها العقيلة الإسلامية ، وأول مجلس تشريعي أحكم فيه نظام القضاء ، ودبر فيه أمر المسلمين في سياستهم وفي حروبهم ، وأول ندوة روحية صدر عنها التوجيه الصالح لخير الأمة الناشئة ، وانبثق منها العلم والتاريخ والأدب الرفيع .

واليقين في الله لهذا المسجد — وقد اختاره لذلك كله — أن يظل مشعولاً بالرعاية ، وأن يثبت بين معالم الدنيا طوال حياتها ، وأن يجعل منه الإشعاع الذي لا يخبو ، ونسيم الحياة الروحية التي لا تختر ، وأن يربط بين قلوبنا وبين ساكنه برباط قوى من الإيمان الصادق ، حتى تلتقي الدنيا في نهايتها بالآخرة في بدايتها ، فننتقل بنور هدايته في دنيا إلى ظل شفاعته العظمى في آخرها . . وما ذلك على الله بعزيز ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

السياسة

بدل من الهجرة

مناهج الحنيفية السمعة - رب مقيم خير من
مهاجر - حقوق النعم - صنائع المعروف - بدل
الهجرة في الامم الإسلامية - زكاة العلم والمعرفة .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الْهَجْرَةِ ،
فَقَالَ : وَيَحْكُ أَلَا إِنَّ الْهَجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ ، فَهَلْ لَكَ مِنْ لَيْلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتُعْطَى
صَدَقَتُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَحْلُبُهَا يَوْمَ وَرْدِهَا ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَعْمَلُ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْرِكَ مِنْ حِمْلِكَ شَيْئًا .
رواه الشيخان ، وَالْفُظُ لِلْبَخَارِيِّ .

قد يبدو جديداً في هذا العهد الجديد ، أن نقتل من أحاديث الهجرة وشئوننا ،
وحكمها وأحكامها ، وما يتصل بها من روائع أخبارها وأسرارها ، وبدائع إثارها
وآثارها - إلى ما يعادها من صالح الأعمال ، وحيد الخصال ؛ فقد أسهمت هذه المجلة
في مجلداتها الأربعة والعشرين ، بنصيب غير قليل من تلك الشئون ، ومنها ما كتبناه مستنولاً
العامين : الخامس عشر والتاسع عشر في حديثي الصحيحين : « لا هجرة بعد الفتح ولكن
جهاد ونية ... » ، « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ... »
ويسير على من تأمل في سياسة الحنيفية السمعة ، أن يلبس في مناجها الحكيم القيم ،

من كل عسر يسرا ، ومن كل ضيق فرجا ، ومن كل شاق بدلا ؛ وحسبنا حديث ذلك الأعرابي شاهداً إلى أن بين الله ببسط الشواهد في أحاديث أخرى .

ظن هذا الأعرابي أن الهجرة إلى المدينة ومصاحبة النبي ﷺ فيها ، أمر محتوم على كل مسلم ، وعزب عنه أنها متعذرة على مثله أو متعسرة ، أو أنها إنما تجب على القادر عليها مخافة الفتنة في دينه ، فأما من كان مثله فلا بأس بأن يقيم مكانه ويعبد ربه ؛ فلما سأل الرسول ﷺ أن يياومه على الهجرة رق له صلوات الله وسلامه عليه ورحمه ، وهو بالمؤمنين رموف رحيم ، وأخبره أن الهجرة شيء عظيم ، لا يقدر عليه إلا من يوطن نفسه على الصبر والجلد وبذل النفس والنفيس في سبيل الله . ورب قارئ في وطنه يعمل ويتصدق خير من مهاجر ، ورب مهاجر ليس له من هجرته إلا نصب الجسم وشقاء النفس !

ثم عرفه صلوات الله عليه أن للهجرة بدلا يقوم مقامها في عظيم الأجر والثوبة ، لمن أصلح نيته وأحسن عمله ؛ بدلا يخلف باختلاف كل وما خلق له .

والأعراب أهل المسال الراعي : الإبل ، والبقر ، والشاة ؛ والأولى أكرم أموالهم ولا سيما الحمر ؛ فبدل هجرتهم أن يؤدوا حقوقها كاملة غير منقوصة ، من صدقاتها الواجبة ، ونوافلها المستحبة ، وليعملوا بعد ذلك أينما كانوا ، ولو من وراء البحار (١) فإن الله تعالى أن ينقص أجر عامل مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً .

بين النبي ﷺ في حديثه هذا أهم حقوق النعم : أن تؤدى زكاتها ؛ وأن يمنح منها ؛ وأن تحلب على الماء يوم وردها . ومن حقها كما بين ﷺ في أحاديث أخرى ، إعارة دلوها ، وإعارة غلها ، وحمل عليها في سبيل الله .

فأما زكاتها وزكاة سائر الأموال فهي فريضة محتومة لا ريب فيها ، بل هي تلك أركان

(١) الفراع على أن البحر هنا : القرية أو البلد ومنه ، وكتب لهم يحرم ، ولكننا نختار أن يكون على حقيقته وأن العبارة جارية مجرى المثل للأمكنة التي تحول بينها البحار شقة وهذا . وأكبر ملنا أنه صلى الله عليه وسلم صاحب هذا الابتكار البديع .

الإسلام الخس . وكفى مانع الزكاة إثمًا وخزيًا أن الله يعذبه بماله في الدنيا والآخرة ، فهو في دنياه حارس مبين ذليل خائف ، وفي أخراه أشد مهانة وذلا ، يوم يحصى على المذهب والفضة في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره . وتجيء الإبل أو البقر أو الغنم أعظم ما تكون وأسمه تلوذ بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما جازت أخراها ردت عليه أولاهها ، حتى يقضى بين الناس .

وأما المنحة والمنيحة فهي العطية ، وتقع على وجهين : عطية الرقة بمنافعها من الحيوان والنعم والذهب والورق والأثاث وما إلى ذلك ، وهذه هي الهبة ؛ وعطية الرقة للمنافع زمانا من اللبن والشعر والصوف والوبر والشار ونحوها على أن ترد الرقة إلى صاحبها وهذه الثانية هي المراجعة هنا .

والمناخ من الصنائع الجليلة الشأن ، العظيمة الخطر ، التي لا يلفاها إلا ذو حظ عظيم ومما جاء في فضلها والحث عليها ما رواه الأئمة : أحمد والترمذي وابن حبان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من منح منيحة لبن أو ورق ، أو هدى زقاقا كان له مثل عتق رقبة ^(١) وإنما كان له هذا الأجر لأنه أحيا نفساً ، أو نفس كرباً ، والجزاء من جنس العمل ؛ وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ألا رجل يمنح أهمل بيت ناقة تغدر بحس وتروح بحس ، إن أجرها لعظيم ، والعس : الإناء الضخم .

وقد كانت معيشة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أول ما قدموا المدينة ، تعتمد على هذه المناخ ، أراد الانصار أن يقاسمهم أموالهم وديارهم ، حتى عرض بعضهم أن ينزل عن إحدى زوجتيه فيطلقها ليتزوجها أخوه المهاجرى عقب عدتها . . فأبوا إلا منيحة المنفعة . . وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لابن أختها هروة : إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، فيقول : يا خالة : ما كان يعيشكم ؟ فتقول : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار كانت لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيننا .

[١] شرح هذا الحديث في المجلد الثاني من هذه المجلة ص ١٠٤-١١٣ .

وبروى الترمذى وأبو داود عن أنس رضى الله عنه قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا يا رسول الله ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل ، من قوم نزلنا بين أظهرهم ، لقد كفونا المتونة ، وأشركونا في المنأ ، حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، ما دعوتهم الله لهم وأنيتهم عليهم . وحسب الأنصار بدلا من الهجرة هذه الصنائع التي كتبها الله لهم وأثنى بها عليهم : ثم بشرهم نبيه صلوات الله عليه وسلامه بأنه لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، وأن من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله ، ثم إعلانه بأنه لولا الهجرة لكان امرأ من الأنصار ... أى بدل هذا ١٤ وأى فضل هذا ١٤ تالله لولا أن النصره تابعة للهجرة ، لقلنا إن الأولى خير من الآخرة .

وأما تخصيص حلها بيوم وردما فللرفق بالماشية واليسير عليها ، ولتسكين المساكين والمحاويج من لبنها وانتفاعهم به ، ولتعميم البر وإشاعة الخير وبث التعاون جهرة في أشد المواطن حاجة إليه ، فكم من فقير محتاج منقطع لا يسأل الناس إلحافا ، يموت جوعا ولا يرزأ أحدا شيئا ١ فإذا أوى إلى ورد الماشية تظن له أصحابها فنوا عليه بما من الله عليهم من فضله .

وإذا كانت صدقة السر أفضل من صدقة الجهر ، لأنها أقرب إلى إخلاص المعطى والستر على المعطى — فإن صدقة الجهر أفضل ، لأنها أدعى إلى الاقتداء وأعون على إذاعة البر والتقوى . وما أصاب موضعه مع صدق الية فهو خير وأبقى ، ولكل امرئ ما نوى .

ذلك ، وللعلماء بحث هنا فيما عدا الزكاة من هذه الصنائع وأمثالها : هل هي حقوق مفروضة فرض الزكاة ، أو هي من مكارم الأخلاق ونوافل البر ؟ والذي نختاره أنها من المكارم المستحبة ، ما لم تدع إليها ضرورة واجبة ، فنكون حينئذ حقا محتوما على المصلين « الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم . للسانل والمحروم . »

وإذا كان هذا هو بدل الهجرة من أعزاني واحد في إبله ، فكيف يكون البدل من

الأم الإسلامية ، منفردة ومجتمعة ، وفي كل منها من العلماء والأغنياء والساسة والقادة والكتاب والخطباء والشعراء ، من لو أدوا ما افترض عليهم من هذا البدل ، لما طمع فيهم من كان بالأمس في كنفهم وتحت رعايتهم ١٩

الحق أن بدل الهجرة ليس جديداً ، فلقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا البدل حقاً محتوماً واضحاً لا لبس فيه يوم قال في كلمته الجامعة الساطعة : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » ولقد حذر الله الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ١١

فهل آن لامة محمد صلى الله عليه وسلم — وقد جربوا عاقبة خلافه مراراً — أن يستجيبوا له مرة ، فيجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، ويؤدوا زكاة ما أنعم الله عليهم من علم ومعرفة ، ليعودوا كما كانوا سادة الدنيا وملوك الآخرة ؟ ألا قد بلغت . . اللهم فاشهد ؟

طه محمد الساكنت

هلال المحرم

وَجَلَّتْ مِطَالُهُ تَفَاوُلَ آلِهِ	ضَمِنَتْ مَخَايِلَهُ بِشِيرِ هِلَالِهِ
وَبَيَاضُ غُرَّتِهَا صِلَاحُ شِمَالِهِ	الْهَجْرَةُ السَّكْبَرْنَ سَمَاحَ يَمِينِهِ
مِنْ يَمَنِ طَلَعَتْهُ وَطَهَرَ خِصَالَهُ	أَضْفَى عَلَيْهِ هَدْيَ الرَّسُولِ سَوَابِغاً
تَرَكَتْ عِيَّ الشَّرْكَ رَهْنَ عِقَالِهِ	وَأَمْسَنَ بِالتَّوْحِيدِ أَقْوَمَ سَنَةٍ
نَشَرَ الرِّجَاءَ الْخَضْضَ فِي إِقْبَالِهِ	لَمَّا أَخُوهُ طَوَى الْأَسَى إِدْبَارَهُ
مُتَرَفِّقاً وَالْيَمْرُ فِي اسْتِكْبَالِهِ	يَا مَرْحَباً بِالْبَشَرِ فِي اسْتِهْلَالِهِ
فِي وَجْهِهِ ، وَتَبَيَّنُوا بِهِ لَالَهُ	حَيَوْا وَلِيدَكُمْ الْجَدِيدَ وَكَبَّرُوا
الْهَيَاوَى	

(*) في ظلال القرآن

القرآن كتاب الإسلام ودعامته وأساسه الوحيد ، وقد أنزله الله هدى للمتقين ونوراً أخرج به العالم من الظلمات إلى النور . وهو المصدر الأول لشرعية الإسلام ونظمه الرشيدة الحكيمة في السياسة والحكم والإدارة ، هذه النظم التي بها صلاح المسلمين والعالم كله في الحاضر والمستقبل من الزمان .

وهذا الكتاب الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزيل العليم الحكيم ، هو الذي يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، على مارواه سيدنا على رضي الله عنه إذ يحدث أنه سمع الرسول يقول : « ستكون نون كقطع الليل المظلم » ، قلت يا رسول الله ؛ وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله تعالى ؛ فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ... من حكم به عدل ومن عمل به أجر ، ومن دعا ليه هدى إلى صراط مستقيم » .

وقد عنى المسلمون أشد عناية بهذا الكتاب منذ فجر الإسلام ، فتناولوه بالدرس والبحث والتنقيب من كل نواحيه . فمنهم من عنى ببيان ناصحته ومنسوخه ، ومن عنى يبحث أسباب النزول لكثير من آياته ، ومن عنى ببيان وجوه إعجازه ، ومن اهتم يبحث ما فيه من ألوان الفصاحة والبلاغة وصور البيان المعجز ، ومن كان وكده يبحث ما فيه من النحو والإعراب واللغة ، وهكذا إلى سائر النواحي التي تناولها دارسو هذا الكتاب العظيم .

ثم كان من هؤلاء وأولئك من أخذوا في شرحه وتفسيره ، وكانوا في ذلك طوائف من حيث المنازع والوجهات التي قادتهم في التفسير ، فمنهم من وقف في تفسيره عند المأثور عن الرسول وصحابه الأكرمين ، ومن خلط بين التفسير بالمأثور وبين التفسير بالرأى ، ومن جعل همه بيان ما في القرآن من عقائد علم الكلام على مذهب أهل السنة أو المعتزلة ، ومن حاول أن يؤيده مذهباً في الفلسفة أو التصوف ، ومن حاول أخيراً أن يجعل منه كتاباً جامعاً لكل ما عرفت الحضارة الإنسانية من معارف وعلوم .

(*) للاستاذ سيد قطب ، وتقوم على نشره دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، وظهر منه حتى الآن ستة أجزاء .

ثم كان من قدر الله وسوء صنيع المسلمين ، أن فقد المسلمون مقام الصدارة في العالم ومنزلة الإمامة والتوجيه ، فركدت الهمم ووقفت العقول ، واعتقدنا أن الاول لم يترك للأخر شيئاً ! فوقفت حركه التأليف ، وأقبلنا على دراسة ما كتب الاوائل لا نزيد عليها شيئاً .

ولكن الزمن يسير ، والفلك يدور ، والعالم يتغير ، وشباب الإسلام اليوم لا يقنع بما كتب الاولون ، ولا يجد في ذلك طلبته . ثم زاد هذا الإحساس بظهور « الإخوان المسلمين » الذين خلقوا جيلاً جديداً ، وأحدثوا في ناشئة اليوم وعياً إسلامياً قوياً ، وأقبلت هذه الناشئة على دراسة كتاب الله وسنة رسوله المصطفى ، وتلتبس في هذا السبيل عون القادرين الأكفيا من علماء المسلمين . هؤلاء الأكفيا الذين تذوقوا القرآن وتعمقه ، ورأوا فيه ما يستحق البحث والتجلية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية ، حتى يكون من الممكن والميسور أن ينادى — بحق — بحكم الله وشريعة القرآن التي لا يصالح العالم إلا بها .

وكان من هؤلاء العلماء الأكفيا ، الذين أخذوا في مد شباب الإسلام بما في طوقهم من عون في سبيل فهم القرآن وتعمقه والإفادة منه صديقنا الأستاذ الفاضل سيد قطب الداعية الإسلامي والباحث المعروف في مصر والعالم الإسلامي والعربي عامة ، والذي يستعدنا أن نتحدث اليوم إلى قراء مجلة الازهر عن كتابه : « ظلال القرآن » .

وقد يرى فريق من قراء هذه الظلال كما يقول الأستاذ في مقدمة الجزء الاول منها — « أنها لون من تفسير القرآن ، وقد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادئ العامة للإسلام كما جاء بها القرآن ، وقد يرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهي في الحياة والمجتمع ، وبيان الحكمة في ذلك الدستور ... أما أنا فلم أتعهد شيئاً من هذا كله ، وما تجاوزت أن أبجل خواطري وأنا أحييا في تلك الظلال .

« كل ما حاولته ألا أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية ، تحجب القرآن عن روحي وتحجب روحي عن القرآن . وما استطردت إلى غير ما يوحيه النص القرآني ذاته من خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية ، وما أحفل القرآن بهذه الإيهامات ! كذلك حاولت أن أعبر عما خالج نفسي من إحساس بالجمال الفني العجيب في هذا الكتاب المعجز ، ومن شعور بالناسق في التعبير والتصوير » .

هكذا، يحدد الأستاذ المؤلف منهجه في التفسير وخطته في التأليف، وحسناً فعل .
فقد كفانا - بل زاد عن الحاجة - ما ذخرت به كتب التفسير المعروفة من الإغراق
في البحوث اللغوية والفقهية والكلامية والفلسفية وما إلى ذلك كله بسيل، مع التفريط
في بيان ما اشتمل عليه هذا الكتاب المعجز من نظم اقتصادية واجتماعية وسياسية لا نكاد
نجد في تلك المؤلفات - على قيمتها وجلالها - محاولة لبيانها مع شدة الحاجة لها .

نحن إذن أمام كتاب في تفسير القرآن على غير النحو الذي ألفناه، ومع كاتب له هدفه الواضح
ومنهجه السليم في كتابته، ولا يرى أن القرآن كتاب في علم من العلوم مهما كان خطر هذا العلم .
إن القرآن (كما يقول ج ٢ : ٤١ - ٤٢) : كتاب كامل في موضوعه وفي مهمته، وإنها
لمهمة أضخم من مهمة العلم أنظري المجرد أو العمل التطبيقي . إن العلم والبحث فيه خاصية
من خواص العقل في الإنسان، والقرآن إنما يحاول بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته
وضميره ووجوده، كما يحاول بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان أن يستخدم
طاقاته . وبعد أن يوجد الإنسان ويوجد المجتمع الذي يسمح له بالنشاط، يترك لعقله
أن يجرب ويحاول ويخطئ ويصيب في مجال العلم والبحث والتجديد .

وبعد هذا الإجمال، لا بد لنا من شيء من التفصيل . وهذا يكون بأن نسير قليلاً مع الأستاذ
المؤلف في الأجزاء الستة التي ظهرت من كتابه القيم . على أن الخير كل الخير أن يأخذ القارئ نفسه
بالسير مع الأستاذ طول الشوط، وإنه سيجد من الفائدة والمتعة ما يدفعه إلى ذلك دفعا .
بدأ الأستاذ بتفسير سورة الفاتحة ذات الآيات السبع فقط، ومع هذا فقد حوت كليات
المقيدة الإسلامية : الإقرار بربوبية الله المطلقة للعالمين، وأن العلاقة بين « الرب » وعبيده
هي الرحمة الثابتة المتجددة، وأنه مالك الأمر كله يوم الدين وما قبله، وأنه نتيجة لذلك كله
لا ينبغي لأحد أن يعبد غيره أو يستعين بسواه (١ - ٩ : ١١) .

وفي الحديث عن الآيات الأولى من سورة البقرة، نرى الأستاذ يرسم بقله البارع
(١ - ١٤ وما بعدها) ثلاث صور لثلاثة أنماط من النفوس تشمل البشرية كلها في كل
عصورها : وهي نفوس المتقين، ونفوس الكافرين، ونفوس المنافقين . وهذا كله استمداد
من عدد قليل من الكلمات والأسطر المحدودات في أول السورة الكريمة الجامعة .

وبعد هذا، يعرض لقصة خلق آدم ومزاجها، ويحرص على بيان أنه لا تكرار
في القصص القرآني، لأنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد كررت في صورة واحدة من

ناحية القدر وطريقة الأداء (٢٨ : ١) . كما أنه يحرص في كل ما ظهر من الكتاب ، على بيان المناسبات بين كل مجموعة من الآيات يربط بينها سبب خاص ، وبين المجموعة التي تليها ، هذه المجموعات التي قد جعل من كل منها درساً قرآنياً كما يذكر في المقدمة .

ونذكر من باب التمثيل لهذه الدروس التي قام عليها الكتاب ، ما كان خاصاً ببنى إسرائيل وكفرهم بنعمة الله عليهم ، وتقضيمهم لليهودهم ، وكفرهم بمحمد ﷺ مع أنهم يعرفونه بصفته عندهم في التوراة ، ثم الدرس الأخير من الجزء الأول ، وهو خاص بالحديث عن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، والحديث عن البيت الحرام وبنائه وعمارته وشعائره . . لتقدير الحقائق الخاصة في دعاوى اليهود والنصارى والمشركين حول هذا القسب وهذه الصلات . كذلك نجى المناسبة لتقرير وحدة الدين الإلهي ، وإطراده على أبدي رسله جميعاً ، ونفى الاحتكار عنه في أبدي أمة أو جنس ... الخ ص ٧٩ وما بعدها .

وهكذا ، نجد الدروس تتوالى في الأجزاء الأخرى ، وكل منها متماسك متجانس بما ينظم من آيات يربط بينها سبب خاص ويظلمها ظل خاص . وهنا ، نلاحظ مع صديقنا الأستاذ المؤلم أن جميع الدروس التي تنتظمها سورة البقرة ، من أول الجزء الثاني إلى آخر السورة الكريمة ، تدور حول الشئون الخاصة بالامة المسلمة دون الامم الأخرى ، فالخطاب والبيان يتجهان لها وحدها .

وفي هذا يقول الأستاذ حرفياً (ج ٢ : ٧) : « ومنذ هذه النقطة ، سنرى أن السياق في السورة يسير في بيان تبعات هذه الامة ، وإعدادها نفسياً ، وتنظيمها عملياً ، وبيان الكثير من تكاليفها في العبارات والمعاملات . فمن حديث عن الصبر على المكاره ، إلى تعليم شعائر الحج ، إلى بيان بعض الحرام والحلال في الطعام ، إلى تجلية معنى البر وحقوق الله في المال ، إلى القصص وآثاره في حياة الجماعة ، إلى الوصية عند الموت ، إلى فريضة الصيام ، إلى أحكام القتال ، إلى حكم الخمر والميسر ، إلى شريعة النكاح وروابط الأسرة ، إلى آداب النفقة والصدقة ، إلى تحريم الربا ، إلى شروط الدين .

تحمل هذه الأحكام تلك التوجيهات القرآنية إلى الله ، وإلى آيات الله . . على طريقة القرآن الفريدة في مخاطبة القلب كلما خاطب العقل ، وإلى توجيه الضمير كلما بالتشريع . ومنذ هذه النقطة ، نحن مع الامة المسلمة وحدها ، وقد خلاص السياق كله لها ، الامة التي رباها القرآن يهدي القرآن . .

هذا ، وليس من الميسور لنا أن نسير مع الأستاذ إلى نهاية الشوط ، فالنطاق المخصص

لهذه الكلمة محدود ، فلندع ذلك للقارىء الذى سيجد ، بلا ريب ، فيما كتب المؤلف رضى لقلبه وممتعة لنفسه ورياً لمعاطفته وإحساناته الفنية .

على أنه مهما اضطرونا للإيجاز ، وغنينا بالإشارة ، فلا بد لنا من وقفات قصيرة عند بعض ما وفق إليه أخونا الفاضل من اللفظات البارة الأصلية ، وهنا أيضاً نكتفى بالإشارة إلى القليل من هذه اللفظات .

ففي قوله تعالى في سورة البقرة : « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون » ، لم يقل مع كثير من المفسرين بأن الظن هنا معناه اليقين ويحل محله أحياناً في التعبير . إنه يرى أن هذا التعبير يلفت النظر ، ويقول (ج ١ : ٣٨) : « أحسب أنه يراد أن يقال إن أدنى العلم بلقاء الله كفيل بأن يترك في النفس آثاره ، كفيل بأن يهب الروح قوة وطمأنينة ، كفيل بأن تخشع له القلوب وتلين له النفوس » .

وفي قوله تعالى في السورة نفسها : « ومن قطوع خيراً فإن الله شاکر عليم » ، يذكر (ج ٢ : ١٩) أن المعنى المقصود هو أن الله يرضى عن ذلك الخير ويثيب عليه . « ولكن كلمة « شاکر » ، تلقى ظلالاً ندية وزاه ذلك المعنى المجرد ، تلقى ظلال الرضى الكامل حتى كأنه الشكر من الله للعبد ، وتوحى بالأدب الواجب في حق الإحسان ... »

وفي قوله جل ذكره في سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، نرى الأستاذ يقول (ج ٤ : ١٤) : « إنه تعبير يلفت النظر ، لفظ أخرج وبنائه للمجهول . وهو يكاد يشى باليد الحفية المدبرة ، تخرج هذه الأمة لإخراجها وتدفعها إلى الظهور دفعاً من ظلمات الغيب ... إنها لفظة تصور حركة خفية المسرى لطيفة الديب ، حركة تخرج على مسرح الوجود أمة أفيالها من يد قادرة مدبرة ، تشى بها لفظة مصورة معبرة » !

هذه اللفظات ، وما أكثرها في الكتاب ، هي إحدى خصائص هذا العمل الجليل الذى يجب أن نحتفل بإصداره ، والذى ندعو الله أن يهب صاحبه العون والتوفيق لإتمامه . ولا عجب ! فهو عمل يصدر عن رجل يمتاز بدينه ، وقلب مؤمن حق الإيمان بسمو الإسلام وشريعته ، وعقل أسمى لملاح . وهو مع هذا كله ، عمل يمتاز بالبيان الرائع المشرق ، والأسلوب السهل الممتنع .

الدكتور محمد يوسف موسى

الأستاذ بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

نشأة المعاجم اللغوية وطورها

كانت أهم المصادر التي اعتمد عليها القدماء في جميع اللغة العربية هي :

١ — القرآن الكريم

ب — الحديث النبوي

ج — كلام العرب الفصحاء

ووجه الاعتماد على هذه المصادر الثلاثة هو ما فصله علماء أصول الفقه في موضوع :
الطريق إلى معرفة اللغة :

فن العلماء من رأى أن الطريق إلى ذلك هو النقل المحض ^(١) .

ومنهم من رأى أنه إما النقل المحض كأكثر اللغة ، وإما استنباط العقل من النقل
كمعرفة أن صيغ الجمع تفيد العموم ، بالاستدلال العقلي على ذلك عن طريق الاستثناء من الجمع
المعروف ^(٢) . وعلى كلا القولين فالأساس الأصلي في معرفة اللغة هو النقل ولا مجال في ذلك
لمحض العقل .

والنقل إما تواتر وإما آحاد ، فالتواتر ما بلغ عدد ناقله حدا لا يجوز على مثلهم الاتفاق
على الكذب ؛ وهذا القسم قطعي يفيد العلم . والآحاد ما انفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد
فيه شرط التواتر ، وهو دليل مأخوذه . وذهب الأكثرون إلى أنه يفيد الظن ، وزعم
بعضهم أنه يفيد العلم ^(٣) .

وإذا فلا مناص من تخيير مصادر النقل على أساس يكسبها صفة التواتر المؤدى إلى العلم
القطعي حسب الامكان ؛ والأخذ بنقل الآحاد الموثوق بهم فيما عدا ذلك .

وأمثلة المتواتر لغة القرآن ، وما تواتر من السنة ومن كلام العرب .

(١) انظر كتاب الاحكام في أصول الاحكام لأبي الحسن الأندلسي ج ١ ص ١٠٤ فـ١ بعدها (مطبوعة
المنار ١٩١٤ والمزهر المصنوع ج ١ ص ٢٩ فـ١ بعدها [بولاق]

(٢) المزهر في الموضع السابق

(٣) المزهر في الموضع السابق وفي النوع الثالث معرفة التواتر والآحاد

ومن أمثلة المتواتر من كلام العرب ما تواتر على ألسنة الناس من زمن العرب إلى اليوم وليس في القرآن، ولا نحو من حوله شبهة الدخيل؛ من ذلك أسماء الشهور والأيام والفصول، وأجناس الحيوان والنبات، والحلى واللباس والأدوية والأمراض وغير ذلك.

وقد عرفتنا على فهم السر في اتباع هذا النظام مراجعة النظر في الأصل الداعي إلى جمع لغة العرب، وهو القرآن الكريم.

ذلك أن جمع اللغة وإن صار فيما بعد مقصداً مطلوباً لذاته، ودراسة اتجه إليها التفرغ والاختصاص، ونشأت فيها المدارس والمذاهب، فإنه لم يكن في بادئ الأمر إلا وسيلة وسياً لفهم مدارك القرآن الكريم، واستيضاح أسراره؛ كما هو الشأن في نشأة جميع العلوم الإسلامية على وجه العموم. فسما كان القرآن مصدر الدراسات الفقهية والكلامية، وما ينتمي إليها بأدنى سبب، كذلك كان مصدر الدراسات اللغوية والأدبية وما يتعلق منها بقراءة أو نسب.

القرآن إذاً هو المصدر اللغوي الأصلي الذي صدرت عنه الدراسات اللغوية كافة، وفن مفردات اللغة على وجه الخصوص. وهو مصدر مزدوج من هذه الوجهة أيضاً :

فهو من جانب منبع لذاته من أهم منابع اللغة بل أهمها على الإطلاق، لبلوغه مبلغاً خاصاً من التواتر لا يدانيه فيه غيره، كما أن لغته تبلغ في نظر العرب الأصلاء أسمى درجات الخلوص والفصاحية.

وهو من جانب آخر مصدر باعث إلى التوسع والتبحر في اللغة، توفرت بسببه الدواعي إلى تمتيتها، والإحاطة بها. فشكل كلمة منه، وكل جملة في تركيبه، حفزت الهمم إلى ملاحظة نفاذها في الاستعمال العربي العام، والبحث عن أصولها وفروعها، ووجوه اشتقاقها وتصريفها؛ وكل ما يتصل بشجرتها من ألفاظ وعبارات.

ومن هنا كان المصدر الأساسي في حقيقة الأمر هو القرآن الكريم، وكل ما عداه تبع له وفرع عليه.

في جميع اللغة ، ووسائل معرفتها ؛ حتى كانوا أشد حرصا على حرفيتها من الحديث والسنة ، لأن اللغة كانت عندهم أعلى مقاما ، وأقدس قداسة من الحديث والسنة ، بل لأن اللغة كانت مقصودة لذاتها ، مطلوبة لحرفيتها . بخلاف الحديث الذي يجوز جمهور العلماء روايته بالمعنى ، الذي هو مناط التعبد لا اللفظ ، بشرط أن يكون الراوى عالما بمدلولات الالفاظ واختلاف مواقعها^(١) .

وعن هذا نشأ الاختلاف في جواز الاحتجاج بالحديث على اللغة ؛ على حين لا يختلف العلماء في جواز الاحتجاج بما ثبت من كلام العرب^(٢) .

وفي سبيل التأكيد من هذه الحرفية اللغوية ، بدأ العلماء في جمع اللغة جارين على سنة أهل الحديث : من تخيير الرواية ، والرحلة إلى من يؤخذ عنهم بعد التصفية والتنخل ، والاستيثاق من الأسانيد ، والسبر بمعايير النقد الدقيقة ، ووسائل الجرح والتعديل ، الخ .

ونمت هذه الطريقة في اللغة كما نمت في الحديث ، حتى نشأ من ذلك فن متكامل للرواية اللغوية^(٣) ، على نمط فن رواية الحديث ، الذي عرف فيما بعد بـ علم مصطلح الحديث .

ولا شك أن من دواعي ازدهار ذلك الفن في القديم انتشار الامية بين العرب ، وحادثة عهدهم بالكتابة ، كما هو الشأن في أصل ازدهار الحديث .

وربما كان الفارق بين اللغة والحديث في أصل طبيعتهما ؛ أن الدواعي كانت متوفرة على

(١) انظر : كتاب الاحكام للآمدي ج ٢ ، ص ١٤٦ فما بعدها .

(٢) انظر تفصيل الكلام على الاحتجاج بالحديث وكلام العرب في : خزنة الادب للبغدادي ، ج ١ ص ٣ فما بعدها .

(٣) في السبوطي كتابه : الزمهر في علوم اللغة ، على هذه الطريقة ، وانظر قوله في المقدمة : « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترت تنويحه وتبويبه ، وذلك في علوم اللغة وأنواعها ، وشرط أدائها وسماعها ، حاكت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع » ، الخ . ثم انظر في ختام هذه المقدمة نقله قول أحمد بن فارس في أول كتاب فقه اللغة حيث جاء في آخره : « والذي جمناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف كتب العلماء للتقدمين ، وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر ، أو شرح مشكل أو جمع متفرق » ، ثم تمهيد السبوطي على ذلك بقوله : « وبمثل قوله أقول في هذا الكتاب » .

الكذب في الحديث لأسبابه المعروفة الحاملة للواضمين على الوضع . وأما اللغة فالدواعي إلى الكذب عليها في غاية الضعف ، ^(١) .

لهذا ما كادت الكتابة تشيع وتفشو في العالم الإسلامي حتى أقبل العلماء على تدوين اللغة ووضع المؤلفات الكثيرة فيها ، وتقييد شواردها ، وجمع شواهد ما ، مع قلة العناية — بعد ذلك — بنقد الأسانيد ، وتجريح الرجال وتعديهم ، كما استمر ذلك في فن رواية الحديث من قبل ومن بعد ^(٢) . بل جمع من اللغة ما صح وغيره ، فلم يلتزم المؤلفون الصحيح ، وإن نبهوا غالبا على ما لم يثبت ^(٣) .

ومع هذا فقد بلغ التزم والدقة اللغوية عند بعض اللغويين فيما بعد أيضا مبلغا شديدا بما عرف في السنة ، حتى بدأ بال التزام الصحيح من اللغة في تأليفه مقتصرًا عليه ، مثل الإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، صاحب كتاب الصحاح ، الذي ألفه بعد تحصيله للغة بالعراق رواية ، وإتقانه لها دراية ، ومشافهته بها للعرب العاربة [أي الأصلية العروبة] في ديارهم بالبادية ، ^(٤) .

ومثل أحمد بن فارس ، الماصر للجوهري ، والذي ألف كتابه المجمل ، فالتزم فيه الصحيح ، وذكر ما صح من ذلك سماعا ، أو من كتاب لا يشك في صحة نسبه ، ^(٥) . واستمر بعد ذلك جمع اللغة وتدوينها سائرا على هذا المنوال من التحري والتزم ، أو على الأقل محدودا بقيود العربية الفصحى ، فكثرت المؤلفات في هذا النطاق ، على تطور معلوم في الترتيب والتبويب .

— ٣ —

قد نستطيع أن نفهم ، على ضوء ما تقدم ، أن جامعي اللغة العربية رأوا أنفسهم منذ البدء محدودى الحرية ، مقيدون بإنجاء خاص في مزاوله نشاطهم إلى الجمع .

(١) من كلام الامام القزالي في شرح المصنوع ، كما نقله للسيوطي في المزهري ج ١ ص ٦٠ .

(٢) أنظر تفصيل الكلام على ذلك في المزهري ج ١ ص ٥٦ فما بعدها .

(٣) أنظر حيازة لغيره أبادي صاحب القاموس المحيط ، كتبها على ظهر نسخة من الباب ، كما

تناها السيوطي في المزهري ج ١ ص ٤٨ .

(٤) بصرف قليل من خطبة كتاب المعصاح .

(٥) من أول كتاب المجمل .

فلم تحظ اللهجات الشعبية ، ولا غير الفصحى من العربية ، إلا بأقل من القليل من مثل تلك العناية بل لا نكاد نجد لها ذكرا إلا عرضا ، أو بمناسبة التمييز بين الفصح والافصح ، أو في غير ذلك من الكتب التي وضعت لخدمة العربية الفصحى ، فعزيت بتنقيتها من ظواهر اللحن والخطأ ، التي لم تقوكل المحاولات على منع تسربها من اللهجات الشعبية والدارجة .

ولم يبدأ الاتجاه إلى الشعور بالحاجة لجمع اللهجات الشعبية ، وضرورة هذا الجمع في تغذية الثقافات اللغوية ، والتاريخية ، والاجتماعية ، والعلمية العامة ، إلا في مفتتح النهضة العلمية الحديثة .

وقد كانت لما سلمه اللغويون القدماء في جمع اللغة آثار هامة لا تزال ظواهرها بارزة إلى اليوم :

١ — سهل ذلك عليهم من ناحية عمل الحصر والاستقصاء الذي يهدفون إليه ، لأنهم وضعوا نصب أعينهم أولا أن يحصروا لغة القرآن والسنة ، التي ترجع في الكثیر الغالب إلى لهجة قریش ، وإن اشتملت على ظواهر مختلفة من بقية اللهجات العربية .

ومن هنا كان هم أولئك العلماء أن يرتادوا في جمع اللغة مناطق العربية البعيدة عن التأثر بالدخيل . كما حدد ذلك بتفصيل أبو نصر الفارابي في كتابه المسمى بـ «الفاظ والحروف»^(١) .

٢ — بيد أن ذلك - من ناحية أخرى - حد من سعة الأفق العلمي اللغوي ، والنظر إلى العربية لذاتها ، على أنها أصل أو فصيلة لغوية عامة ذات فروع وأقان مختلفة المظاهر والنمو وترتب على ذلك تقييد حركة البحث العلمي ، وحجزه عن الاستعانة بوسائل كانت تلقى كثيرا من الضوء على أصول اللغة وتطورها ، لو توفرت العناية بها في ذلك الوقت المناسب .

٣ — كان ذلك الاتجاه أشبه بوسيلة من الوسائل الصناعية ، أبعد ما تكون عن الصراع حول تنازع البقاء ، للعمل على سيادة لهجة من لهجات اللغة الواحدة ، وصيغها بصيغة الاعتماد الرسمي ، الذي يفرض نفسه فرضا ، ولا يستمد حياته وقوته من النمو الطبيعي ، والشعور العام .

٤ — أخضع الأدب والتأج العقل لقيود حدث من حريته وانطلاقه ، لحرم ذلك الأدب من إراز صورته الشعبية الحقيقية ، والظهور في صيغة القومية الأصلية ، التي لم تخضع

(١) أنظر الزهر لسيوطي ج ١ ص ١٠٤ .

للقبوض النحوية الجامدة ، المفروضة فرضاً ؛ بل ظلت منطلقة على طبيعتها دون أن تقال الاحترام والتسجيل .

٥ — بعدت الهوة بين اللهجات العربية الحديثة وأصولها القديمة إلى حد يخشى بسببه من تباعد الشعوب العربية وتجاورها اللغوي ، دون أن يجد الباحثون بين أيديهم عوناً تاريخياً وافياً يكشف لهم عن مر ذلك التطور وأسبابه الحقيقية ، من جراء الاكتفاء في جمع اللغة بالعربية الفصحى .

٦ — ترتب على بعد الشقة بين اللهجات الحديثة وأصولها القديمة خصوصية الثقافة العربية ، واقتصارها على وسط المتعلمين ، وحرمان عامة الشعوب العربية من نتائج الحضارة والمعرفة ، وترقية مستوى تفكيرهم ، وأحاسيسهم ووجداناتهم ، عن طريق ذلك . وهكذا تصير الثقافة عند من قبيل الترف العقلي الذي لا يقدر عليه إلا المحظوظون ، بدلاً من أن تكون في متناول الجميع كالغذاء والماء والهواء .

٧ — صار كل طامح للتزود من العلم والمعرفة ملزماً باصطناع لغتين : لغته الشعبية الدارجة ولغة العلم والأدب .

إلى غير ذلك من الآثار اللغوية والعلمية والاجتماعية ، ولا سيما هذه الأخيرة ، إذا لاحظنا أن اختلاف الثقافة اللغوية بين أبناء الشعب الواحد كثيراً ما يؤدي إلى تنمية الفروق الاجتماعية بين الطبقات . • يتبع •

دكتور عبد الحليم النجار

الثافية في الشعر الاوربي

أخذ الاسبانيون الثافية في صناعة الشعر عن شعراء العرب ، ثم وصلت هذه الصناعة إلى مرسيليا وطولون بواسطة التجار الاسبانيين . وذاعت الثافية بعد ذلك في الشعر الفرنسي وشعر الأمم الاوربية الأخرى .



شفاء الغليل من مسالك الغليل (للغزالي)

للغزالي مكانته العلمية ، ليس بين علماء المسلمين لحسب ولكن بين العلماء في سائر الأقطار ، ولقوة حجته وشدة عارضته وقدرته على الكشف عن محاسن الإسلام ومدافعة أعدائه ودرءه الشبهات عنه لقب بحجة الإسلام . وللغزالي أسلوبه الخاص في عرض قواعد العلوم وبسط قضاياها فهو لا يقنع بسرد المعلومات جافة جامدة ، بل يلتزم في أكثر الأحيان أن يتبع القواعد بالأمثلة ليستأنس المتعلم ويثبط في تحصيل العلوم ، وقد نهج هذا المنهج في أكثر ما صنف من كتب في مختلف الفنون . نهج ذلك في الأخلاق والتصوف والفقه والأصول ، وبهذا عده علماء الغرب في الترية وعلم النفس من أئمة المتقدمين من علماء الإسلام في هذه الفنون ، وجعلوا من آرائه فيها نظريات تدارسوها في جامعاتهم بروح الإعجاب ، وأدلوها محلها من العناية والتقدير ، وعن هذه العقلية التربوية صدرت مؤلفات الغزالي . فيها المختصر ومنها المطول ، ومنها السهل الذي يلائم مستوى الناشئين ومنها العميق العميق الذي يناسب عقليات العلماء الذين ربحوا في العلوم أقدامهم واستمكنت في دراستها ملكاتهم . ومن أسماء كتبه : إجماع العوام من علم الكلام ، و : المضنون به على غير أهله ، . وللغزالي مؤلفات كثيرة في فنون مختلفة أكثرها في علوم الكلام والتصوف والأصول . ومن مصنفاته في الأصول كتابنا هذا الذي نعرف به وهو : شفاء الغليل ، في بيان الشبه والطرد والخيل . ومسالك التعليل ، ويختصر عنوانه أحيانا فيقال : شفاء الغليل في مسالك التعليل ، وموضوع الكتاب : القياس الأصولي بأركانه المعروفة لعلماء الأصول .

والقياس أحد الأدلة التي تستمد منها الأحكام الشرعية . وقد كان القياس من بين أدلة الأحكام مجال جدال بين متقدمي علماء الإسلام في اعتباره دليلا من أدلة الأحكام وغصت كتب الأصول بالحديث عنه ، وقد أورثنا السلام عنه ثروة فكرية رائعة تدل على استنارة أذهان أسلافنا من علماء الأصول واستحضار ملكاتهم في علومهم وتحققهم بها . وللقياس مناح دقيقة ، ومباحث عويصة من أدقها أعمقها ومسالكها ، وقد خصها الغزالي في كتابه

هذا بالحظ الأوفر من هنيئه ، وفصل القول فيها تفصيلا لم يعمد في كتب الأصول . وإن عنوان كتابه ليدل على هذه العناية بل إنه يفيد عقد الكتاب عليها ، فعنوان الكتاب « شفاء الغليل في مسالك التعليل » ، وإن كان الواقع أن الكتاب في القياس بسائر أركانه فقد قال قدمت لك مقدمة في صدر الكتاب على نهاية الإيجاز في بيان معاني القياس والملة والدلالة ثم قسمت مقصود كتاب القياس إلى خمسة أركان ؛ الركن الأول في إثبات طرق علة الأصل ، الركن الثاني في العلة ، الركن الثالث في الحكم ، الركن الرابع في الأصل الذي يقاس عليه ، الركن الخامس في الفرع الملحق بالأصل .

والكتاب في نظرها من أدق كتب الأصول وأعظمها ، وهو مثال رائع في قوة الحجاج واستحضار الشواهد والأمثلة ، ودليل قاطع على ذهنية الغزالي الخصبة في علم الأصول . ولعلنا لا نعدر الواقع إذا قلنا : إنه من أجل كتب الغزالي في هذا الفن ، وهو فقه الأصول ولبابه وخلاصته في بابيه ومنهجه فيه منهجه في أكثر مصنفاته من حيث الاعتماد على الأمثلة في توضيح القواعد وبسطها مع اختلاف في الأسلوب وبعض المصطلحات عما ألعناه في كتب الأصول

ويمتاز هذا الكتاب بأللوب أدبي قوى لم يعمد في كتب هذا الفن ، وقد أودعه الغزالي دقائق كتاب القياس ولباب أبحاثه فيه ، ونبه في مقدمته على مكان الكتاب من علم الأصول وأنه لا يتيسر لكل دارس أن يقتحم لحجه ، ويستخرج دره ، بل يشترط أن يكون دارسه على قسط خاص من الثقافة وذات قلبه ذهني قوى . فيقول في خطبة الكتاب بعد الديباجة : أما بعد فإن إلحاحك أيها المسترشد في افتراحك ، ولجأك في إظهار احتياجك إلى شفاء الغليل في بيان مسالك التعليل من المناسب والمؤثر والشبه والطرده والخيل . هزم لجأجى في التسويف والتساهل ، وحل عقدة عزمي في المبالغة والتكاسل فأنجزت إلى تحقيق أربك ، واستخرت الله تعالى في إسعافك بمطلبك ، وأتيت فيه بالعجب العجيب ولباب الالباب ، وكشفت عن مغمضاته غواشي الارتباب ، وأنا أنبهك أيها المسترشد على شاكلة الصواب ، قبل أن أخوض بك في غمرة الكتاب ، وأقدم إليك نصيحة مشوبة بخشونة ولا يزوينك عنها مرارة مذاقها وخشونة ملمسها - فنصيحة في تخنن خبير من خديعة في لين - وهي أن هذا الكتاب لن يسمح بمضمون أسرارده على مطالع ، ولن يجود بمخزون أغواره على مراجع إلا بعد استجماع أربع شرائط . الشريطة الأولى : كمال آلة الدرك من وفور العقل وصفاء الذهن الشريطة الثانية : استكداد الفهم والافتراح عن القريجة واستثمار العقل

بتحديق بصيرته إلى صوب الغوامض الشريطة الثالثة : الانفكاك عن داعية العناد وضراوة الاعتياد الشريطة الرابعة : أن يكون التعرّيج في مطالعة هذا الكتاب مسبقاً بالارتياض بمجاري كلام الفقهاء في مناظرتهم ومراقى نظرم في مباحثهم عيطة بمجليات كلام الأصوليين محتوية على أطراف هذا العلم خبيراً بمنهاج الحجاج ولم يستوف الغزالي في كتابه هذا الكلام في القياس بل قصره على الدقيق من مباحثه والغويص من مسائله ، فقد قال : « وما أخلك من كتاب القياس مما لم أتعرض له فهو منقسم إلى ما رأيته جلياً يستغنى بكتاب المتخول عنه - (المتخول) للغزالي - وإلى ما لا تنس الحاجة إليه في المناظرة إلا نادراً ، فنصرت همتي على الأغصان ثم اجتازت بالأمم .

والكتاب نسخة فريدة في المكتبة الأزهرية ليس لها نظير في مصر فيما نعلم ولها نظير في الهند . وبأول نسختها وقف للشيخ أحد الدمنهورى على طلبة العلم بدون تاريخ على أن يكون مقرها بمقصورة الأزهر ، وتقع في ١٨٠ ورقة من القطع المتوسط وعدد سطورها ما بين ٢١ و ٢٣ للصفحة الواحدة وليس عليها ما يدل على تاريخ كتابتها إلا أننا نرجح من طريق رسم خطها ونوع ورقها أنها كتبت في القرن السادس ، وخطها هو الخط المعتاد لذلك العصر الذى ينقصه كثير من النقط فتعسر قراءته حتى على من مارس موضوع الفن ، وهى لناسخين ، وقواعدهما في رسم الكلمات على غير ما نعرفه الآن من كلمات كثيرة .

ولا تستطيع النسخة الأزهرية مهما بولغ في تصحيحها أن تعطينا صورة صحيحة للكتاب كما ألفه الغزالي ، لرداءة الخط وحالة النسخة ، فقد عبثت الأرضة ببعض كلماتها وزهبت بعضها ذهاباً كاملاً في الكرامة الأولى ، وقد يمكن معرفتها بمقارنتها بالنسخة الهندية . وقد استحضرت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية صورة مصغرة « فيلم » منها وهى تقع في ١٧٩ ورقة وكتبت سنة ٥٥٥ هـ أى بعد وفاة المؤلف بنصف قرن وقد قابلناها في بعض صفحاتها بالنسخة الأزهرية فرأيناها مختلفة في بعض الكلمات . وفى رأينا أن النسخة الأزهرية أدق في عبارتها .

وقد حرصت المكتبة الأزهرية على الاحتفاظ بهذا الكتاب فاستنسخت لحسابها نسخة من نسختها على قدر الطاقة ، وراجعتها على الأصل ، ورغم التروى والتدقيق في المراجعة فقد فأتنا معرفة كثير من الكلمات واعتمدنا في تعرف بعضها على سياق الكلام ومعناه وأثبتناه على الهامش مع استبقاء الأصل بالصلب ونهنا على ذلك .

والكتاب في نظرنا جليل القدر في علم الأصول وفي باب القياس بوجه خاص، وهو جدير بالنشر والطبع لأنه نهج غير مألوف في كتبه . والكتب القديمة غير المقررة في المعاهد لا تفرى دور النشر التجارية بالنشر مهما كانت قيمتها العلمية ، لذلك نرى أن تعمل المشيخة على نشره بمطبعة الأزهر بعد أن يقوم على تحقيقه وتصحيحه عالمان من علماء الأصول بالكليات ، وإن صدور هذا الكتاب وأمثاله عن مشيخة الأزهر محققاً بمحصاً جزء من رسالتها .

هذا وإن أنجز هذه الفرصة فأهيب بالنيورين على العلوم الإسلامية من سائر الأقطار وبخاصة مشيخة الأزهر فأنبههم من منبر المسلمين العام وهو مجلة الأزهر على الخطر الذي يهدد هذه العلوم بركود حركة الطباعة فيها ، وبخاصة المراجع المطولة منها ، فقد انصرفت أكثر دور الطباعة التجارية عن طبع هذه الكتب انصرافاً تاماً بطبع الكتب الصغيرة الحديثة في التاريخ والأدب وما إليهما فارتفعت أثمان الكتب الإسلامية القديمة ارتفاعاً مرهقاً للراغبين فيها ، وأخذت تختفي من الأسواق شيئاً فشيئاً ، وإن ذلك الخطر لا يقتصر على مصر وحدها ولكنه سيم الأقطار الإسلامية ومن واجبا أن تتضافر لدفعه والسبل إلى ذلك في نظرنا أن تتألف لإحياء الكتب الدينية والعربية جمعية من بعض علماء جميع الدول الإسلامية على أن يكون لهذه الجمعية رأس مال تسهم فيه كل دولة بقدر طاقتها وتقوم بنشر مطولات كتب اللغة والحديث والفقه بما تحمل دور الطباعة نشره ، ثم تباع هذه الكتب للجماعات والأفراد بجزء من تكاليفها وتحمل الجمعية الباقي من التكاليف .

وإن في بعض الأمم جمعيات تقوم بمثل هذه الرسالة في نوع خاص من الكتب ولها فروع في القاهرة .

قد يقال : إن بالجامعة العربية إدارة لمثل هذا العمل وأنا جد علم بهذه الإدارة وعلى صلة قوية بها وأقدر جهوداتها العلمية ، إلا أن هذه الإدارة لا يمكن أن تنهض بالعمل الذي أدرع إليه ونشاطها في نواح أخرى لا يفتينا عن القيام بهذا العمل دفعا للخطر من ثقافتنا الإسلامية العربية .

وعسى أن يكون لدعوتنا صدق واقع يتولانا بالسداد والرشاد .

أبو الوفا المرافعي
مدير للكتبة الأزهرية

الحج المبرور

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

أذيع من دار الإذاعة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ورد في صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : إيمان بالله وبرسوله . قال السائل : ثم ماذا ؟ قال : ثم الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور .

وقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم وأكثر كتب السنة المعتمدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

والحج المبرور : هو الذى وفيت أحكامه ، ولم يخالفه شيء من الإثم ، والذى يستعرض أعمال الحج وأحكامه يمجدها ترجع إلى عناصر يكمل كل منها الآخر ، ومدارها على أن يمجده المسلم حياته بالحج : فيقطع صلته بكل ما كان يعلق بها من شوائب الإثم ، أو الانحراف عن طريق الله ووسائل مرضاته ، ويبدأ حياته جديدة نقية ، بنفس راضية نقية ، بعد توبة نصوح يشهد الله عليها فى أطهر بقاع الأرض ، مخاطباً ربه عز وجل قائلاً : « لبيك اللهم لبيك » ، وملزماً أن لا يعمل من ذلك الحين إلا ما يرضى الله من عمل ، وأن لا يقول إلا ما يقربه إلى ربه من خير وحق ، وأن لا يعود إلى أهله ووطنه إلا وهو إنسان آخر يؤثر مرضاة الله فى كل ما يصدر عنه ، ويكون فى جانب الحق فى كل ما يصطدم فيه الحق والباطل ، ويحرص على أن يكون من أهل الخير كلما دعت الظروف وسنحت له الفرص لعمل الخير .

كما أن المدرسة مصنع يدخله غير العارفين ثم يخرجون منه علماء عارفين ، كذلك الحج

فرصة من فرص الحياة يتعرض لها المسلمون بما ارتكبوا في حياتهم من هفوات ، وما وقع منهم مما لا يرضى الله عنه فيجددوا توبتهم العظمى في البلد الحرام والشهر الحرام ، ويستقون من أعماق قلوبهم معاهدين ربهم على التزام أوامره واجتناب نواهيه قائلين : « لبيك اللهم لييك » ، فلا يفنون من مناسكهم إلا وهم على عهد مع الله عز وجل بأن يكونوا من أهل الاستقامة في حياة جديدة قامت مناسك الحج حائلا بينها وبين شوائب الماضي ، فيعفو الله عما سلف على قدر نعم صاحبه عما فرط منه ، وعلى قدر ثباته على عهده مع الله بأن يكون من أهل السلامة والاستقامة والتقوى .

إن عشرات الألوف من المسلمين يقفون بين يدي الله عز وجل في عرفة ، في البقعة المباركة التي وقف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاة خلق الله من أصحابه الأكرمين والتابعين لهم بإحسان .

وهذه الألوف التي لا تحصى ترفع أصواتها بالدعاء إلى الله الرحمن الرحيم معلنة أنها أجابت دعونه ، وأنها تعاهده عز وجل على أن تتوخى رضاه في أقوالها وأفعالها . ولن تكتفى هذه الجموع العظمى بهذا العهد العظيم مع الله ، بل إنها بعد الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة تدفع من مزدلفة إلى منى قبل أن تطلع الشمس ، وفي منى تعلن مقاطعتها للشيطان ، وترمز لهذه المقاطعة برميها عند الجمرة الكبرى ثم عند الجمرة الوسطى وجمرة العقبة في أيام التشريق . وهي الأيام الثلاثة التي بعد يوم النحر .

هذه المقاطعة الرمزية للشيطان في كل ما ينظر أن يسول به للسلم في حياته من شر أو إثم ، يقوم بها الحجاج جميعاً بعد ذلك العهد الذي قطعوه لربهم كلما هتفوا له : لبيك اللهم لييك ، فتخرج نفوسهم فقيسة طاهرة مثيبة إلى الله ، مستريحة من أوزار الماضي ، ومستقبلية حياة جديدة صالحة ، وأياما سعيدة هنيئة .

هذا هو الحج المبرور لأنه يرجع بالمسلم إلى الله ، ويرجع المسلم إلى سعادته التي كلفها له الإسلام ، ودله على طريقها ، وضمن له الجنة إذا التزم هذا الطريق فلم يخرج عنه .

يا حجاج بيت الله الحرام ، أن الله عز وجل قد هيا لكم الفرصة الثمينة لتجددوا أنفسكم وترجعوا إلى ربكم . وتكونوا من خيرة أبناء بلادكم وأمتكم ، فتسعدوا في الدنيا ، وتكونوا من أهل الجنة في الآخرة . وسيل ذلك أن تكونوا من أهل الحج المبرور ، ولا يكون حجكم مبرورا إلا بالنوبة الصادقة ، ومقاطعة الشيطان إلى الأبد وفي كل شيء . فسأل الله عز وجل أن يتم عليكم هذه النعمة ، وأن يجعلكم من عباده الصالحين . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

جددوا أنفسكم في هذا العيد

كما جددتم ثيابكم

كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر
ألقاها الشيخ عبد الحليم بسيوني مدير مكتبه من محطة الإذاعة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها المسلمون :

في مثل هذا اليوم المبارك من حجة الوداع . خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسلمين الأولين ، وكانوا بشهادة الله لهم خير أمة أخرجت للناس ، فأعلن فيهم بدء حياة
جديدة ، يتناسون فيها ما كان بينهم من إحس وشحناء ، وترات وبغضاء ، وتعامل بما لا يرضى الله
واختلاف بالباطل على الأموال ، وتعامل بالربا ، وخروج عن سنن الإسلام إلى سنن
الجاهلية ، وبذلك جدد فيهم الأخوة والمحبة والتعاون على الخير ، والتعامل بشرع الله
وأخلاق الإسلام . وجعل ذلك نظاما عاما لأمته جميعا ، من حضر منهم تلك الخطبة النبوية
العظيمة ومن غاب عنها . وقد فعل ذلك بأمر من الله ، ولذلك أشهد الله على ما فعل ، وأمر
الذين شهدوا خطبته وسمعوا مقالته أن يبلغ الشاهد الغائب . وإذا كنا نحن أيها المسلمون
من غاب عن تلك الأوامر والإرشادات المحمدية ، فقد أبلغنا ذلك الرواة النفاة العدول .

أيها المسلمون :

إن أمل نبيكم فيكم لعظيم ، وإنكم أمة مباركة ، أولها خير وآخرها ، ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم في خطبته التي خطبها في حجة الوداع : « رب مبلغ أوعى من سامع » . وها أتم
هؤلاء من بلغت دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى أن تجددوا أنفسكم في هذا العيد المبارك
كما جددتم ثيابكم ، فاجعلوا نفوسكم وقلوبكم نقية طاهرة ، كما جعلتم ثيابكم وبيوتكم طاهرة

تقية ، كونوا من أمة نبيكم المباركة لتكونوا من أهل الخير كما كان سلفكم الأول من أهل الخير ، وكونوا من أهل الوصي لهذا الإرشاد العظيم لتسعدوا به ، ولتكونوا بمن قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه ، رب مبلغ أوعى من سامع .

أيها المسلمون :

إن هذا العيد يفرح فيه المسلمون بما كتب الله لإخوانهم حجاج بيت الله الحرام من تجديد في حياتهم بما خلعوا عنهم من سيئات الماضي وآثامه ، وبما عاهدوا الله عليه عند ما هتفوا له : إياك اللهم لييك . بأن يكونوا من أهل مرضاته . فهذا العيد هو عيد التفرح بأن هذا الجمع الأعظم من المسلمين الذين حبوا بيت الله الحرام قد طهروا نفوسهم وقلوبهم من درن الآثام ، وصاروا من صالحى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإذا كان هذا مما يفرحنا ونعید لأجله ، فلماذا لا نشاركهم في هذا العيد الذى نعقده مع الله عز وجل بأن نكون نحن أيضا من أهل الخير ، وأن نتعامل فيما بيننا بما يرضيه ، وأن نتعاون على البر والتقوى .

أيها المسلمون :

عاهدوا ربكم على ذلك ، وجددوا حياتكم لتلقوا الله وأنتم من أهل السعادة ، وإذا عاد إليكم حجاج بيت الله فراقبهم وصاحبهم ، وكلما هفا أحد منهم هفوة تخالف ما عاهد الله عليه عند ما نادى ربه قائلا : إياك اللهم لييك ، فذكروه بعهد مع الله ، وتعاونوا معه على ما يرضى الله ، لتكونوا بعد اليوم أمة سالمة سعيدة ، تعيش بالحق وللعق وبما يرضى الحق جلّت عظمته وعز سلطانه .

أيها الأغنياء من المسلمين :

إن نبيكم ﷺ كان يضحى في هذا العيد المبارك بكبشين ميمين عظيمين ، فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبجه ثم يقول : اللهم إن هذا عن أمتي جميعاً بمن عهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ ، ثم يؤتى بالكبش الآخر فيذبجه ويقول : هذا عن محمد وآل محمد . فيطعمهما جميعاً المساكين ويأكل هو وأهله منهما .

فأنتي ﷺ كان يعيش لأمنه ، ويحمل عن أمته .

السيد أبو أيوب الأنصاري

من ذا الذي يذكر الهجرة ، ولا يذكر المضيف الأول ، والرجل الذي نال من الشرف الرفيع ما لم ينله أحد من أهل المدينة أوسها وخزرجها ، وهو السيد الجليل ، أبو أيوب الأنصاري ، فقد أتى الله ورسوله إلا أن يكرم بنو النجار أخوال جد رسول الله ، وكان تكرمهم في شخص الرجل الكريم أبي أيوب رضي الله عنه .

ولو أن فضل أبي أيوب تمثل في إضافته لرسول الله الكني ، فما بالك وقد تمثل في شخصيته شيت من المفاخر والفضائل ، فهو - فضلا عن كرمه - مرهف الحس والشعور ، ذو أدب عال ، شجاع أبي مجاهد من الطراز الأول ، يرى أن نفسه ونفيسه شيء هين في سبيل نصر دين الله وإعزازه . وقد كانت وفاته بحوار أسوار القسطنطينية شهادة حق على مبلغ حبه لله وإعزاز دينه ، وأمانة صدق على ما ينبغي أن يكون عليه المجاهد في سبيل الله . وإن في التحدث عن الرجل الذي صدق الله فيما عاهد عليه لوفاء يبهض الذكرى لرجل الوفاء .

فيا من أغنام الله : اشكروا نعمة الله عليكم ، بأن تعيشوا أيضاً لأممكم ، وتحملوا عن أممكم ، وإن الزمان قد استدار ، وإن أممكم قد عزمت بحول الله وحسن توفيقه على أن تبدأ حياة جديدة يدعمها كل فرد منا بما يستطيعه من الناحية التي هو فيها ، وبالموهبة التي وهبها الله له من مال أو علم أو صناعة ، أو غير ذلك من نعم الله عليه .

فكل فرد من أفراد الأمة مدعو إلى بذل ما يستطيعه وما يتيسر له من تضحية لينتمتع هو الآخر من مجموع تضحيات .

وعيد الأضي رمز إسلامي قديم لمعنى التضحية ، ولما يجب على المسلم من بذل في دائرة مقدوره ، وبمجموع ذلك يكون التعاون ، وإن الحياة بهذا التعاون وهذه المحبة تكون جميلة وسعيدة ، وفي أيدينا أن نكون من أهل السعادة إن شاء الله ، وهذا العيد المبارك يذكرنا بهذا كله ، أعاده الله عليكم بالهناء والسعادة وتحقيق الأمان .

نسبه :

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد هوف بن غنم بن مالك بن النجار ، واسم النجار نيم الله بن ثعلبة بن عمرو ابن الخزرج الأكبر ، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي ، معروف باسمه وكنيته . وأمه السيدة هند بنت سعيد بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

فإلى الخزرج ينتهي نسبه من جهة أبيه وأمه . وبنو الخزرج إحدى القبيلتين المشهورتين اللتين يتكون منهما عرب المدينة . وبنو النجار في الذؤابة من أهل المدينة نسباً وفضلاً ، وإلى هذا يشير الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة وفي كل دور الأنصار خير » ، ولم يكن هذا من رسول الله ﷺ عن جمالة أو محابة ، فرسول الله لا يقول إلا الحق ولا ينطق إلا بالصدق ، وليس للمحابة إلى نفسه سبيل .

ولعل من الأسباب التي حملت هاشم بن عبد مناف سيد قريش على أن يصاهر بني النجار ما لهم من فضل ومنزلة بين قومهم . وقد تزوج هاشم سلى بفت عمرو التجارية وهي والدته عبد المطلب جد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفي بيوت بني النجار تربى عبد المطلب فلما كبر وترعرع عاد إلى موطن آبائه ، وإليه انتهت الرياسة في قريش .

إسلامه :

كان أبو أيوب رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام من الأنصار . فبعد بيعة العقبة الأولى أرسل رسول الله مصعب بن عمير مع من أسلموا ، وقد كان له أثر حميد في إسلام كثير من أشراف المدينة وساداتها ، فانتشر الإسلام في المدينة حتى لم يبق بيت من بيوت المدينة إلا وقد استضاء بنور الإسلام .

وكان أبو أيوب ممن شهد بيعة العقبة الثانية من مسلمي المدينة ، وأخذ عليهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه العهد على أن يتمتعوا بما يتمتعون منه أنفسهم ونسأهم وأبنائهم ، وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر . وقد وفي أبو أيوب بما عاهد عليه ، فكان مثالا عالياً للجهاد والكفاح على كل حال .

روايته الحديث عن رسول الله :

روى أبو أيوب الحديث عن النبي ﷺ وعن أبي بن كعب ، وروى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر والبراء بن عازب وأبو أمامة وزيد بن خالد الجهني والمقداد بن معد يكرب وأنس بن مالك وجابر بن سمرة وغيرهم من الصحابة . ومن التابعين سعيد بن المسيب وهروة بن الزبير وسالم بن عبد الله وعطاء بن يسار وغيرهم وقد خرج له أصحاب الصحاح والسنة والمسائيد ، وله في صحيح البخاري سبعة أحاديث .

المآثر الخالدة :

لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق إلى المدينة نزلا أول ما قدما بقباء ، وأقام رسول الله في بني عمرو بن عوف حتى بنى مسجد قباء ، وهو المسجد الذي أسس على التقوى .

وبعد أن أقام رسول الله في بني عمرو بن عوف بضعة أيام أو يزيد خرج يوم الجمعة متوجها إلى المدينة فأناه رجال من بني سالم بن عوف فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . وتعلقوا بزمام الناقة ، فقال لهم الرسول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، وسار رسول الله والانصار يحفون به متقلدى السيوف ، وكان كلما مر بدار من دور الانصار تعلق أهلها بزمام الناقة وتضرعوا إليه أن ينزل عندهم في العدد والعدة والمنعة ، فيقول لهم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، وما زالت الناقة تسير حتى بركت في موضع مسجد رسول الله أمام دار أبي أيوب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب : أنا يا رسول الله ، هذه دارى وهذا بابى . قال : فانطلقى ، فهى لنا مقبلا . فاحتمل أبو أيوب - وهو قرير العين - رحل رسول الله إلى بيته . ثم جاء رجل إلى رسول الله فقال : أين تحمل ؟ فقال له : المرء مع رحله حيث كان ، فكانت مكرمة لأبي أيوب خالدة على وجه الدهر .

وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ، وبقي رسول رسول الله في بيت أبي أيوب مكرماً معزواً مدة سبعة أشهر ، حتى بنى المسجد وبيوت نسائه فانتقل إليها ، وفتح أبو أيوب باباً على مصراعيه لاستقبال زوار رسول الله على الرحب والسعة ، وتسايق الانصار رضوان الله عليهم في إكرام رسول الله وصحبه ،

وما من ليلة إلا وعلى باب أبي أيوب الثلاثة والأربعة يتناربون القصاص ، وكان أبو أيوب يرسل بقصصته ولا يتناول العشاء حتى يتناوله رسول الله ، ويتحرى هو وأم أيوب موضع أصابع النبي يلتصقان بذلك البركة ، وفي ليلة من الليالي بعث رسول الله بعشائه وفيه بصل أو ثوم ، فردده رسول الله وليس يده فيه أثر . قال أبو أيوب لجنته فزعا فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك . فقال أنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، وأما أتم فسلوه . قال أبو أيوب : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

ومن أدب أبي أيوب الرفيع أنه تخرج أن يكون رسول الله في سفلى البيت وهو في العلو لجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إني أكره وأحظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فظهر أنت فكن في العلو ، ونزل نحن فنسكن في السفلى . فاعتذر له رسول الله مبيناً الحكمة في اختيار السفلى قائلاً : يا أبا أيوب بأن أرفق بنا وبين بعثانا أن أكون في سفلى البيت . لكن أبا أيوب لم يطب نفساً بأن يعلو رسول الله فتحنى هو وأهله فباتوا في جانب غير مسامت لرسول الله ، ولم يزل أبو أيوب يرجو رسول الله أن يكون في العلو حتى قبل رجاءه وحقق له رغبته .

وكان أبو أيوب شديد الحرص على راحة رسول الله ﷺ وزواره ، فقد انكسر حب لم فيه ماء في الغرفة ، قال أبو أيوب ، فقممت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء نخوفاً أن يقطر على رسول الله منه شيء فيؤذيه . ومن فضائل أبي أيوب التي تدل على العفة في القول ورجاحة العقل أن السيدة زوجه لما قالت له : أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ فقال لها : أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ فقالت : لا والله . فقال : والله لمي خير منك . فأنزل الله سبحانه نصديقاً لمقائله ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا أفك مبين . كما يروى أن أبا أيوب هو الذي أرضى سهلاً وسهلاً صاحب المريد الذي بنى موضعه المسجد النبوي عن ثمنه من حر ماله (١) .

وهكذا نجد أبا أيوب قد سجل لنفسه مآثر خالدة في سجل الخالدين فرضى الله عنه وأرضاه .

عرفان الجليل لصاحبه :

وتدور الأيام دررتها ، ويقدم أبو أيوب البصرة ، وكان واليا يومئذ عبد الله بن عباس نائبا عن علي كرم الله وجهه ، فالتقاه بالبشر والترحاب ويقول له : يا أبا أيوب إنني أريد أن أخرج لك عن مسكني ، كما خرجت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنك . وأمر أهله فخرجوا وملكه كل شيء أغلق عليه بابه . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس رضى الله عنهما عشرين ألفا وأربعين عبدا ، وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاة أفلح ، فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وأصلح ما وهى من بساتينها ووعها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة ^(١) ولا يزال موضع دار أبي أيوب في المدينة معروفا إلى يومنا على قيد خطوات من المسجد النبوى .

بلاؤه في الجهاد :

كانت حياة أبي أيوب سلسلة متصلة من الكفاح والجهاد والبطولة ، وقد شهد بدرا والمشاهد كلها في عهد رسول الله ، ولزم الجهاد بعده ، ولم يتخلف عن غزاة إلا وهو في أخرى . ولما حدثت الفتنة بين السيدين على ومعاوية انحاز إلى جانب على وشهد معه قتال الخوارج ، ولما أرسل معاوية ابنه يزيد على رأس جيش لغزو القسطنطينية تخرج في أول الأمر أن يخرج في جيش تحت إمرة يزيد ولكن نفسه التواقة للجهاد نازعت إليه وقال : ما ضرني من استعمل على ، فلقى بالجيش وأبلى بلاء حسنا . ثم مرض فعاده يزيد فقال له ما حاجتك ؟ قال : حاجتي إذا ماتت فأركبني ما وجدت مساعدا في أرض العدو ، فإذا لم تجد فادفنني ثم ارجع ^(٢) . ثم قال : سأحدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لولا حالى هذا ما حدثتكموه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة » ؛ فلما توفي صلى الله عليه يزيد ودفن بجوار أسوار القسطنطينية ، وكانت وفاته في سنة اثنتين وخمسين ، وهي السنة التي وقعت فيها هذه الغزاة ، وقبل سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، والا كثرون على الأول ، ولا يزال موضع قبره معروفا إلى اليوم .

(١) البداية والنهاية جزء ٣ ص ٢٠٢ .

(٢) الإصابة ص ٤٠٥ جزء أول .

بعض آرائه :

وقد كان أبو أيوب في ملازمته للجهاد وحرصه عليه يصدر عن علم بكتاب الله ومعرفة بالآيات التي وردت في التحريض على الجهاد . وقد حفظت لنا كتب التفسير والحديث بعض هذه الآراء ، فقد كان يستدل على لزوم الجهاد على كل حال في المنشط والمكروه والعسر واليسر والشباب والشيخوخة بقوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » ، وقد ذكر ابن جرير في تفسيره أن أبا أيوب شهد بدرًا مع رسول الله ثم لم يتخلف عن غزاة المسلمين إلا عاهًا واحدًا ، قال : وكان أبو أيوب يقول : قال الله تعالى « انفروا خفافا وثقالا » فلا أجدني إلا خفيفًا أو ثقیلاً ؛ وكان يرى - وحسب ما رأى - أن في الرغبة عن الجهاد والاشتغال بالاهل والمال إلقاء باليد إلى التهلكة .

روى أصحاب السنن والحاكم في مستدرکه عن يزيد بن حبيب عن أسلم أبي عمران قال : حل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقة معناه أبو أيوب الأنصاري ، فقال ناس : التي بيده إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب : نحن أعلم بهذه الآية ، إنما نزلت فينا ، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر ، اجتمعنا معشر الأنصار نجيباً قلنا : قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ حتى فشا الإسلام وكثر أهله ، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها ، فترجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيها . فنزل فينا ، وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، فكانت التهلكة في الأهل والمال وترك الجهاد . وصدق السيد أبو أيوب فما أتى المسلمون وغلبوا على أمرهم إلا يوم أن تخلوا عن الجهاد ، واشتغلوا بالأموال والأولاد ، ورضوا بالراحة ، وأخلدوا إلى الضعف والاستكانة .

و بعد ، فهذه سيرة يتمثل فيها الطهر والعفاف وكرم النفس وبجاجة الطبع وأصالة الرأي وأدب الضيافة العالي وحب الجهاد والاستشهاد ، ولعل فيها نبزاً للذين ينفشون مكارم الأخلاق ومحاسن الفعال : ووازعاً للذين يجاهدون في سبيل الله ويطلبون الشهادة في سبيل الحق وعز الأوطان ، وعزاء للذين يفقدون الاحبة ولذات الاكباد وهم يتأى عنهم في ساحات الكرامة والخلود .

محمد محمد أبو شربة

الاستاذ بكلية أصول الدين

بيان الى الشعوب الاسلامية

عن أحداث مراکش

منه جماعة كبار العلماء في الأزهر

في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الأحد ٢٠ من ذى الحجة سنة ١٣٧٢ (٣٠ من أغسطس سنة ١٩٥٣) عقدت جماعة كبار العلماء جلستها الأولى بعد عطلة عيد الأضحى برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، واستعرضت الأحداث الجسام التي وقعت أخيراً في المغرب الأقصى، وقررت إذاعة البيان التالي على المسلمين جميعاً وعلى الشرقيين من كل الأجناس، وعلى أنصار الإنسانية في كل مكان — إرشاداً إلى حكم الله في العدوان الذي وقع من فرنسا على إخواننا في المغرب الأقصى، وفيمن مد إليهم يد المعونة والتأييد في هذا الاعتداء من أبناء تلك البلاد: إن دولة المغرب الأقصى (مراكش) من أعرق الدول الإسلامية المستقلة منذ عصور طويلة، ولها في تاريخ الإنسانية وخدمة الإسلام مجد مؤثر لا يزال يحفظه التاريخ إلى اليوم، ولا يزال الحريصون على دينهم ووطنيتهم يتوارثونه جيلاً بعد جيل، ويضجون في سبيل الاحتفاظ به كل مرتخص وغال.

وقد ضرب الظلم الغاشم على تلك البلاد الإسلامية حمايته قبيل الحرب العالمية الأولى. ومع أنها حماية ظالمة يأبأها الإسلام؛ ويأبى على أهله أن يقبلوها ويخضعوا لسلطانها، فإن لها بمقتضى وثيقتها الرسمية قيوداً لم يبرح رجال الاستعمار الفرنسي يعملون على تخطيها ومخالفتها، ويعتدون بذلك على كل ما يمس حقوق الوطن المغربي الدينية والاجتماعية والسياسية.

وإن أشد نكبة أصيبت بها البلاد الإسلامية عامة وبلاد المغرب الأقصى خاصة، هي تلك النكبة التي وقعت في هذه الأيام.

تعمد فرنسا بطغيانها المستمر وجبروتها الغاشم، فتخلع سلطان البلاد الشرعي، وتلقي به وبأبنائه في المنى، وتشدد الحصار عليه فقلبه حتى حرته الشخصية، ثم لا يدرى إلا الله

حاقبة ما تريد من وراء ذلك . وهي في الوقت نفسه تعمل على شق وحدة المسلمين في البلاد ، وتفريق كلمتهم ، حتى أصبح أبناء البلد الواحد والدين الواحد يضرب بعضهم رقاب بعض . إن جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف وعلى رأسهم حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ليرون :

أولاً — أن موالاته أرباب المافع الشخصية من أبناء تلك البلاد لدولة الاستعمار ومعارنتهم إياها في تحقيق أهدافها الماسة بكرامة الإسلام والمسلمين ، هي من موالاته الأعداء التي جعلها القرآن في صريح آياته عنواناً على النفاق والخيانة لله وللرسول ، وعلى الانضمام إلى هؤلاء المعتدين وصيروتهم منهم ، ومن يتولم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ، لا نجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

ويرون ثانياً — أن واجب المسلمين في كافة بقاع الأرض أن يكافحوا هذا الظلم الواقع على إخوانهم في بلاد المغرب بكل ما يملكون من وسائل الكفاح ، وأن يعاونوا أولئك الحوثة الذين عاونوا الأعداء وولم أنهم ليسوا منهم ، وأن الدين يرى من صنيعهم ما داموا مقيمين على تلك الموالات الآثمة ، وأن أقل مراتب الكفاح للمعتدين وأعوانهم أن يقاطعوهم مقاطعة تامة في جميع شئونهم الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى المؤمنين من أبناء مراكز أن يصارحوا أولئك المنافقين الذين عرفوهم بموالاته الأعداء والانضمام إليهم بالسخط عليهم وتحقير خطتهم والتضييق عليهم ومقاطعتهم حتى في السلام والحديث كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تأديب المتخلفين عن القيام بواجبهم الديني والوطني .

ألا وأن جماعة كبار العلماء ليضمنون في خاتمة هذا البيان أمام أعين المسلمين قوله تعالى : الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون هتدم العزة فإن العزة لله جميعاً ، وقوله تعالى : قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم العاصقين ، والسلام على من اتبع الهدى .

ذِكْرُ الْإِسْلَامِ

مِنْ بَدَائِعِ شَاعِرِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حُرِّمَ حَرَامُهُ

بِعَلِّيقِ الْأَسْتَاذِ الْبَاهِيَةِ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

ذكري غزوة بدر المباركة

وكيف تمضي إلى غاياتها المهم
عن كل ذي أدب بالصدق يتسم
كن إذا قال لم يكذب له قلم ؟
تقضى الحقوق ، وترعى عنده الذمم
وجددوا ما عا من رسمها القدم
فا لكم مقتنى منها ومقتنم ؟
وغالم من ظنون السوء ما وضعوا
أكل ما عندكم أن تحشد الكلم ؟
من باذخ المجد يسمى وهو منهمدم
والحزن أيسر ما يلقاه والالام
فلا يد نشطت منكم ولا قدم
وقائد ماله سيف ولا علم

تعلوا كيف نفي مجدما الأمم
تعلوا ، وخذوا الانباء صادقة
أمن يقول ، فإ ينفك يكذبكم
لكم على الدهر منى شاعر ثقة
تعلوا يا بني الإسلام سيرته
الله أكبر ، هل هانت ذعائره
بل أنتم القوم ، طاح المرجفون بهم
ماذا تريدون من ذكري أوائلكم
لسنا بأبنائهم إن كان ما دفعوا
إن تذكروا يوم بدر ، فهو يذكركم
سن السيل لكم مجداً ومأثرة
غاز يصول بجند من وسائسه

وفودهم حولكم يا قوم نزدحم
في كل ناحية للحرب يضطرم
(جبريل) في غمرات الهول يقتحم
غيظ يظل على الكفار يستخدم

حيوا (الغزاة) قياماً وانظروا تجدوا
ثم انظروا نارة أخرى تروا لها
حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم
الأرض ترجف رعباً ، والسماء بها

هم حاربوا الله ، لا يخشون قتمته في موطن تتلاقى عنده النعم
من جانب الحق ، أردته حمايته واحزم الناس من بالحق يعتصم

• • •

الدين دين الهدى تبدو شرائعه أيضاً نكشف عن أنورها الظلم
ما فيه عند ذى الالباب منقصة ولا به من مجايا السوء ما يصم
يحيى النفوس إذا ماتت ، ويرفعها إذا تردت بها الأخلاق والقيم
لا شيء أعظم خيراً أو أشد أذى من أن يطاع الهوى ، أو يعبد الصنم
دين قسان حقوق العالمين به ويستوى عنده السادات والخدم
ضل الالى تركوا دستورهم سفهاً فلا الهساير أغنهم ولا النظم

• • •

دعا (النبي) فلبى من قواضيه يرض مطامعها المأثورة الخدم
حرى الوقائع ، هرئى لا كفاه بها إن جد ملتهب ، أو شد ملتهم
تجرى المنايا دراكا في مسابها كما جرى السيل في تياره العرم
قواضب الله مانامت مضاربها عن الجهاد ، ولا أزرى بها سأم
يرى بها كل جبار ، ويقصمه إن ظن من سفه أن ليس ينقصم

• • •

الجيش منطلق الفارات مستبق والبأس عتدم ، والأمر ملثم
الله ألف بين المؤمنين فهم في الحرب والسلام صف ليس ينقسم
كروا سراعا ، فلأعمار مصطرع تحت العجاج ، وللأقدار مصطدم
من كل أغلب يمضى الخنف معتزما إذا مضى في سبيل الله يعتزم
سحران ، يحسب إذ يرى بمهجته نشوان يزداد شكراً أو به لم
للحق نشوته في نفس شارب وليس يشربه إلا امرؤ فهم

وأظلم الناس من ظن الظنون به ما كل ذى نشوة في الناس منكم

طال القتال ، فإل للقوم إذ دلفوا
وقام بالسيف دون الليث (صاحبه)
ماذا يظن (أبو بكر) بصاحبه ؟
أمن النفوس ، إذا احتاجت غارفا
هل يعظم الخطب ، يرميه امرؤ درب
راع الكتائب ، واستولت مهابته
دعا فاجت سماء الله ، وانطلقت
لام غوثك ، إن الحق مطلبنا
تلك العصاة ، ما لله إن ملكك

جاء الغياث ، فدين الله متصر
جنى على (زعماء السوء) ما اجتروا
ما الجاهلية إلا نكبة جلال
هذى مصارعها تجرى الدماء بها
هذا (أبو الحكم) انحابت حمايته
ماذا لقيت (أبا جهل) وكيف ترى
هذا (القلب) لكم في جوفه عبر
ذوقوا العذاب أليما في مضاجعكم
لا تمزعوا واسمعوا ماذا يقال لكم
الشرك يعول ، والإسلام مبتم
يا قومنا إن في التاريخ موعظة
لنا من الدم يجرى في صحائفه

على اللوا ، ودين الشرك منهزم
وحاق بالمعشر الباطين ما اجتموا
تردى النفوس ، وخطب هائل عمم
وتشتكى الهون ، في أرجائها الرمم
لما قضى السيف ، وهو الحكم والحكم
آيات ربك في القوم الذين عمو ؟
لا اللوم ينفعكم فيها ولا الندم
ما في المضاجع إلا النار والحلم
فما بكم تحت أطباق الثرى صمم
سبحان ربى له الآلاء والنعيم
وإنه للسان صادق وفم
شيخ يحدثنا أن الحياة دم

الأزهر ومعارك التحرير الأولى

في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) افتتح رجال الأزهر أولى حركات التحرير في تاريخنا القومي ، فاشترك كبار العلماء في إعداد الثورات ورسم خطط المقاومة الشعبية مضحين في سبيل الدفاع عن الوطن بأموالهم وأنفسهم . فمنهم من صودرت أملاكه ، ومنهم من عذب ، ومنهم من استشهد ، وقد كان لهذه التضحيات أكبر أثر في بعث روح المقاومة في الشعب الذي نهض ليواجه قوات الاحتلال في شجاعة نادرة المثال .

إعلان الجهاد :

اضطرب المماليك حين وصلهم نبأ احتلال نابليون للإسكندرية في صفر ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) ، وعقدوا اجتماعاً للتشاور في الأمر ودعوا العلماء لحضوره . وكانوا قادة الرأي العام إذ ذاك - فحضر منهم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف ، والشيخ السادات ، والشيخ الشرفاوى ، والشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ الصاوى ، والشيخ المهدي ، والشيخ العربي ، والشيخ محمد الجوهري . وجرت أثناء الاجتماع مناقشة حادة بين العلماء والأمراء حتى قام الشيخ السادات ووجه الكلام إلى الأمراء قائلاً : « إن كل هذا من سوء مقالكم وظلمكم . وآخر أمرنا معكم أنكم ملستمونا للأفرنج ، ثم نظر إلى مراد بك قائلاً له : « وخصوصاً بأفعالك وتعديك أنت وأمرؤك على متاجرهم وأخذ بضائعهم ، . وأخيراً اتفق المجتمعون على إخطار الدولة العثمانية بالأمر وتجهيز العساكر للحرب .

من هذا الاجتماع نستطيع أن ندرك لأول وهلة موقف الأزهر بالنسبة للفرنسيين ، فهو موقف المقاومة المسلحة ؛ كما أن العلماء بصفتهم وكلاء عن الشعب وضعوا قاعدة دستورية هامة ، وهي محاسبة الحكام على تفريطهم في حقوق الشعب .

ولما وصل نابليون إلى إمبابة أعلن السيد عمر مكرم والعلماء الجهاد واستنفروا الشعب ودعوا إلى التطوع العام ، وسار السيد عمر مكرم في مقدمة المتطوعين للقتال ، وقام بمرض شعبي في شوارع القاهرة استجاب له جميع الأهالي ، ولكن إذا كان العلماء قد نجحوا في تعبئة الشعب إلا أن تحاذل المماليك أسرع بالبلاد نحو الحاتمة المنتظرة .

بين الأزهر ونابليون :

استفز الفرنسيون المصريين بفرض الضرائب الثقيلة والقتل ومصادرة الأملاك والاعتداءات المتوالية ، مما جعل بقيام ثورة القاهرة الأولى في (جمادى الأولى سنة ١٢١٣ أكتوبر سنة ١٧٩٨) . فقام العلماء وعلى رأسهم الشيخ السادات يدعون إلى الجهاد ضد الفرنسيين ، وانتخبوا مجلساً للثورة كي ينظم حركات المقاومة ويمونها بالأسلحة والذخائر ، وفي ذلك يقول نابليون في مذكراته : « إن الشعب قد انتخب ديواناً للثورة ، ونظم المتطوعين للقتال ، واستخرج الأسلحة المخبوءة . وأن الشيخ السادات انتخب رئيساً لهذا الديوان . » وذكر في تقريره إلى حكومة الدركتوار أن لجنة الثورة كانت تعقد في الأزهر .

انتشر رجال الأزهر في القاهرة يثيرون الثورة في النفوس ويدعون الشعب إلى الجهاد ويماهدونه على المقاومة ، بينما كان مجلس الثورة يوزع الأسلحة على إحياء العاصمة ، حتى اقترب الوعد فعمد المجلس اجتماعاً ليلة الاحد (١٠ جمادى الأولى ١٢١٣ - ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨) لرسم خطة العمل في صبيحة ذلك اليوم .

يقول الكولونيل ديتروا في يومياته وصفاً للثورة كما شهدتها : في الساعة السادسة صباحاً من يوم ٢١ أكتوبر احتشدت الجموع في كثير من أحياء القاهرة وكان المؤذنون يدعون إلى الجهاد على المسأذن ، وكان المعسكر العام للتأثرين الجامع الكبير المسمى بالأزهر ذلك المسجد الجميل الذي طارت شهرته في أنحاء المشرق وقد قام الثوار بإقامة المتاريس في الطرق والأزقة المفضية إليه حتى أصبح من المستحيل أن تفتحهم المدفعية أو الجنود المشاة .

وفي الساعة العاشرة صباحاً اصطدم الثوار بكتيبة من الفرسان يقودها الجنرال دييوى قومندان القاهرة وتغلب الأهالي على الكتيبة وقتل الجنرال دييوى أثناء المعركة . وامتدت الثورة حتى اشتبكت الجماهير بدوريات الجنود في كل مكان .

كان نابليون في ذلك الوقت يطوف بسرعة ليتفقد الاستحكامات العسكرية في مصر القديمة والرحضة ولما عاد إلى بولاق بلغه مصرع الجنرال دييوى فأصدر أمراً بتعيين الجنرال بون خلفاً له وكلفه بإجراء اللازم لإعادة النظام إلى المدينة .

هال الجنرال بون تفاقم الحالة في العاصمة فمكتب إلى نابليون في الساعة العاشرة مساءً من يوم الثورة يطلب اتخاذ إجراءات في غاية العسدية والصرامة مع حى العرب حيث يوجد الجامع الأكبر (الأزهر) .

وفي صباح يوم ١١ جمادى الأولى ١٢١٣ (٢٢ أكتوبر ١٧٩٨ م) بلغت حماسة الثوار مبلغاً عظيماً حتى حاولوا ضرب الاستحكامات الفرنسية في القلعة من مسجد السلطان حسن ، كما تمكنوا من قتل الكولونيل سلكوسكى في معركة عند باب النصر .

وفي هذا اليوم أرسل نابليون الجنرال (برتنيه) رئيس أركان حربيه في الساعة الثانية بعد الظهر ومعه أمر بضرب الأزهر بالمدافع سلمه للجنرال بون وقد أوصى نابليون بوضع المدافع في أصلح المواقع ليكون تدميرها شديداً . كما أصدر أمراً إلى الجنرال (دومارتان) بالاستيلاء على جميع المناقذ للمفضية إلى الأزهر وبما جاء في هذا الأمر (وعليكم أن تقتحموه بجندكم تحت حماية المدافع وأن تقتلوا كل من تلقونه في المسجد وأن تضعوا فيه حرساً قويا من الجنود) .

وابتدأ الضرب من بعد الظهر حتى الساعة الثامنة مساء ، وأخذت رسائل الوحشية المنقعة بالمدينة تهال في صورة آلاف من القنابل على الأزهر حتى قال ريبو أوشك الجامع أن يتداعى من شدة الضرب فيدفن تحت أقاضه الجماهير الحاشدة فيه وأصبح الحى المجاور للأزهر صورة من الخراب والتدمير . ولما وجد العلماء أن الاستمرار في المقاومة سيفضى إلى كارثة محققة ، شرعوا في مفاوضة نابليون لإيقاف الضرب .

محاكمة العلماء الثائرين :

في ١٢ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ (٢٣ أكتوبر ١٧٩٨ م) أصدر الجنرال (برتنيه) أمراً باسم نابليون إلى الجنرال (بون) قومندان القاهرة بهدم الأزهر ليلاً إذا أمكن ، ومن هذا نرى أن نابليون أراد أن يقضى على المقاومة الشعبية بهدم مركزها ، ثم عدل عن هذه الفكرة خوفاً من إثارة الحساس الدينى .

وفي ٢٤ أكتوبر توجه وفد من العلماء إلى نابليون يسأله العفو عن الأهلالي ليسكن روعهم ، فطالبهم نابليون بإرشاده عن تسبب في الثورة من العلماء ، فلم يرشدوه إلى أحد فقال لهم : « نحن نعرفهم واحداً واحداً » .

قبض نابليون على ثمانين من أعضاء لجنة الثورة أعدموا سراً وألقيت جثثهم في النيل أما الذين حوكموا رسمياً من المقبوض عليهم باعتبارهم زعماء الثورة فهم الشيخ إسماعيل البراوى والشيخ يوسف المصلى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ سليمان الجوسقى

شيخ طائفة المكفوفين والشيخ أحمد الشرقاوى وكلهم من العلماء وقد حكم عليهم بالإعدام ونفذ الحكم في الساعة الثامنة صباحاً من ٢٣ جمادى الأولى ١٢٩٣ هـ (٤ نوفمبر ١٩٧٨ م).
وفي كتاب تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى أن الفرنسيين قتلوا في هذه الثورة ثلاثة عشر عالماً.

بين الأزهر والجنرال كليبر :

لم تكن تدوى مدافع معركة عين شمس في ٢٣ شوال ١٢٩٤ هـ (٢٠ مارس ١٨٠٠ م) حتى دوى في القاهرة نداء الحرية فلبت العاصمة النداء مستمدة قوتها من إيمان أهلها وحاسنها من وطنيتهم واستبسالها من تضحياتهم وهب السيد عمر مكرم والسيد أحمد المحروقي والشيخ السادات والشيخ الجوهري وغيرهم من زعماء الثورة يحرضون الناس على القتال . ولما رجع كليبر بعد انتصاره على الجيش العثماني في معركة عين شمس وجد العاصمة أشبه ببركان ثائر لا يبدأ فاشتبك مع الثوار في معارك طاحنة دامت أكثر من ثلاثين يوماً دمرت خلالها بولاق تدميراً تاماً . وللرة الثانية ثمرع العلماء في مفاوضة الفرنسيين على أساس العفو عن جميع سكان القاهرة فوافق كليبر على هذا الشرط ولكنه سرعان ما نقضه وفرض على الأهالي غرامة فادحة قدرها (إثنا عشر مليوناً من الفرنكات) وألزم الأهالي بقسليمه عشرين ألف بندقية وعشرة آلاف سيف . وكانت أشد الغرامات المفروضة غرامة الشيخ السادات وقدرها ثمانمائة ألف فرنك هذا فضلاً عما تعرض له من التعذيب والإهانة لإذ كان يجلد صباحاً ومساءً في معتقله ، وكانت غرامة الشيخ الصاوي (٢٦٠٠٠٠٠ من الفرنكات) والشيخ محمد الجوهري وأخيه فتوح الجوهري مثل ذلك .

مصرع الجنرال كليبر :

كان لإسراف كليبر في الانتقام وإهانته للعترة النبوية ممثلة في شخص الشيخ محمد السادات من أهم الأسباب التي أدت إلى مصرعه في ٢٠ المحرم ١٢٩٥ هـ (١٤ يونية ١٨٠٠ م) بيد سليمان الحلبي ، وسرعان ما اتجهت أنظار الفرنسيين نحو الأزهر فقاموا بتفريشه وتفتيش أروقته وقبضوا على من ذكرهم سليمان الحلبي في التحقيق كما قبضوا على العلماء المعروفين بقيادة الثورات الوطنية . ورأى كبار العلماء أن الفرنسيين سيخذلون من تفتيش الأزهر بين حين وآخر ذريعة للإيقاع بهم فتوجه الشيخ الشرقاوى والشيخ الصاوي والشيخ المهدي

إلى الجزائر مينو واستأذنه في إغلاق الأزهر فأغلق في ٢٧ المحرم ١٢١٥ هـ (٢١ يولية ١٨٠٠ م) . وكان هذا ما يريده الفرنسيون وقد استمر الأزهر مغلقاً حتى تم جلاء الفرنسيين عن مصر .

يقول تيير : « لو بقي كبير حياً لاستمرت مصر خاضعة للحكم الفرنسي حتى انهيار نابليون على الاقل ، فقد ضاع أكبر قائد وأكفأ من يؤسس الاستعمار الفرنسي في الشرق » .

وهنا لا بد من أن نقول كلمة عن المنشورات التي كان يصدرها الفرنسيون على لسان أعضاء الديوان من العلماء ؛ إذ كان الغرض من هذه المنشورات تضليل الشعب وبث التفرقة بينه وبين زعمائه ، وأكبر دليل على براءة من اشترك من العلماء في الديوان أنهم كانوا من المعروفين لدى الفرنسيين بقيادة الثورات والتحريض عليها .

الازهر يمرض على قتال الحملة الإنجليزية الاولى :

في المحرم ١٢٢٢ هـ (مارس ١٨٠٧ م) نزل الإنجليز الاسكندرية بقيادة الجنرال فريزر وما كادت تصل أنبؤهم إلى العاصمة حتى قام السيد عمر مكرم والشيخ الشرفاوى والشيخ الامير يدعون الناس إلى الدفاع عن الوطن ، وحث الخطباء في المساجد الناس على القتال ؛ فأقبل هؤلاء يتطوعون في حماس نادر المثال وانضم إليهم جميع طلبة الأزهر والعلماء وكان المتطوعون يذهبون يومياً لضرب الاستحكامات خارج القاهرة تحت إشراف السيد عمر مكرم وكبار الشيوخ ، كما تطوع البعض الآخر للسفر ليشارك في فك حصار الإنجليز لرشيد .

وأمام هذا التضامن الشعبي الرائع وجد الإنجليز أنفسهم عاجزين عن متابعة احتلال البلاد فقرروا الجلاء عن القطر المصري في ١٠ رجب سنة ١٢٢٢ هـ (١٤ سبتمبر ١٨٠٧ م) .

هذا هو الدور الذي قام به الأزهر في معارك التحرير الاولى ؛ وقد كان لهذه المعارك أكبر أثر في تكوين الوعي القومي الذي بدأ منذ ذلك الوقت يوجه تاريخنا الحديث ؟

أحمد عز الدين خلف الله

المدرس بمعهد دسوق

منهج البغدادي في عزارة الأدب

أوضح ما تنسم به مؤلفات العصر الحديث هو النزعة العلمية في التأليف . وهي نزعة واعية تقوم على أساس قوى من طبائع الأشياء حين تجعل البحث في كل علم وفن منهجياً خاصاً يتحراه المؤلف ، وليس الأمر قاصراً على هذا المنهج الخاص وإنما هناك منهج فكري عام يخضع له كل الباحثين في كل العلوم والفنون ، وفي هذا المنهج العام تتضح القواعد الأساسية التي تشترط في بحث ينزع منزعا علمياً .

والمقصود بالمنهج الخاص هو النظام الذي تفرضه طبيعة المادة المدروسة على الدارس ؛ فنحن حين ندرس الأدب يلزمنا أسلوب غير ذلك الذي يلزمنا حين ندرس الفلسفة ؛ ومنهج دراسة الفلسفة يختلف عن منهج دراسة الكيمياء ، وهكذا . فطبيعة الموضوع - كما قلنا - هي التي تفرض الأسلوب أو المنهج ؛ فأحياناً يستخدم الباحث أسلوباً تاريخياً - عندما يكون بسبيل الترجمة لشخصية أدبية مثلاً - وأحياناً يستخدم أسلوباً تحليلياً - عندما يعنى بدراسة نص من النصوص - وفي حالات أخرى يستخدم أسلوباً وصفيًا أو تقريرياً أو تركيبياً أو تجريبياً ، بحسب الموضوعات المختلفة التي يدرسها .

أما المنهج العام فهو تلك الشروط التي تكفل لنا تحقق أمرين في كل عمل علمي وهما : دقة البحث ، بكل ما تنطوي عليه كلمة دقة من معنى ، ثم أصالة المادة وصدقها .

ولست في مجال الإفاضة هنا في هذا الذي تنطوي عليه الكلمتان ، وحسبي هنا أن أشير إلى مثالين . الأول ، ويختص بدقة البحث . فن القواعد الجوهرية الخاصة بدقة البحث ، وهي من القواعد العامة ، تلك القاعدة التي نقول :

« يجب ألا نستخلص نتيجة من نتيجة أخرى إلا بمنتهى الحذر » وكذلك تلك القاعدة :

« يجب أن تصل مباشرة بالنص المدروس ذاته ، فلا نحل قط نصاً آخر محله » ،

فبقول مثلاً : « (أ) كتب (ب) ، ولكن (ب) هو نفس (أ) » . وإذا كان

(أ) قد ألف (ب) ، إذن ... ، ثم نفسى (ب) ونأخذ في بحث (ب) وهو النص المزيف

الذي كونه أو تناولناه بثقة مسرفة .

ثم نشير بمثال أيضاً إلى أصالة المادة ، فهناك قاعدة تقول : ، لا تنقل عن محدث ما نقله عن قديم ، ، و لا تقتبس من محدث رأياً سبقه إليه قديم ، ، و لا تناقش محدثاً في رأى ما لم تقرأ كتابه من الجريدة إلى الجريدة ، ، وهكذا .

ونسلك الآن إلى كتاب « خزانة الادب » للبغدادى ، لنبيين - على ضوء ما أسلفنا - مدى مساهمته للنهج العلمى الخاص والعام . وقد يكون من سبيل التصسف أن تتطلب في كتاب قديم أسلوباً في البحث لم يعرفه إلا المحدثون والمؤلفات العلمية الحديثة ، ولكتنا نجد أنفسنا في كثير من الأحيان في غير ما خرج من تقرير تلك الصفة العلمية في كثير من المؤلفات العربية القديمة ، فلا حرج عليك في أن تتكلم عن مناهج المفسرين ، ولا عليك في أن تبحث مناهج المحدثين ، ولك أن تتكلم عن غير هذه وذلك من مناهج البحث والتفكير الإسلامى . ذلك أن نحرى الدقة واستقصاء الخبر والتقيد بالالتزامات القاسية لم تعد كما هددت في رواية الحديث مثلاً . وكل ما كان يتكبد العلماء من مشقات الرحلة والطلب لم يكن في حقيقة أمره إلا صورة مبالغاً فيها لخلاصة أهداف النزعة العلمية المحدثه كما بينها .

« خزانة الادب » من المؤلفات المتأخرة نوعاً ما . ومعروف أنه في هدفه الاصيل هو شرح شواهد شرح الرضى الاسترأباذى على الكافية في النحو لابن الحاجب . وقد اجتمع فيه ، ما تفرق في مئات الكتب من طرف النوادر العلمية والاخبار التاريخية ، تتخلله تحقيقات في العربية لا يجدها القارىء في غيره .

ويستطرد صاحبه إلى فنون من النقد الادبى لو أفردت لكانت بنفسها من خير ما كتبه الكاتبون . زد على ذلك ما فيه من تراجم الرجال وفرائد الامثال ، وفردته بنقل النصوص الجلية من كتب لم تجتمع في زمانه عند أحد غيره . . إلى غير ذلك من الفنون التى جعلت هذا الكتاب دائرة معارف أدبية وتاريخية لا يستغنى عنها مشغول بالادب العربى . .^(١)

ويعيننا هنا تشبيهه بدائرة المعارف ، لأنه في الواقع لم يقف عند مجرد هدفه الاول وهو شرح شواهد شرح الكافية - كما ذكرنا - ولكنه جمع صنوفاً شتى من المعرفة والثقافة العربية الاصلية . والكتب التى لها هذه الصفة في المكتبة العربية القديمة كثيرة ، ويكفى أن تذكر الامهات الاربع : الكامل للبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأمالى القالى ،

(١) مقدمه الأستاذ محب الدين الخطيب ناشر الخزانة - ط الثانية .

والمقد العريد لابن عبد ربه ؛ فهذه كل موسوعات للثقافة العربية الأصيلة أكثر منها كتباً تبحث موضوعات خاصة .

ولكن كتابنا خزائنه الأدب ، قد حدد موضوعه منذ اللحظة الأولى ، وكل ما ورد به من ثقافة تاريخية أو أدبية أو تراجم للأعلام لم تكن إلا جزءاً ضرورياً لتصوير المادة التي يعرضها الكتاب تصويراً دقيقاً ، ولكي نضع أيدينا على مصادر هذه المادة كيما نستوثق من أصالتها وصحتها . والكتاب بهذه المثابة متكامل المادة فيه بحيث لا يمكن الاستغناء عن جزء منها (كالترجمة أو الخبر أو الرواية . . الخ) والمشكلة الوحيدة التي تعترض الباحث في الكتاب بصورته الأولى هي صعوبة الإفادة من هذه المادة الغزيرة لإفادة مستقلة . فأنت تستطيع أن تفيد من الخزانة مادة طيبة في ترجمة أبي الاسود الدؤلي مثلاً ، ولكن كيف كنت تهتدي إليها لولا هذه الفهارس القيّمة التي أصبحت في الواقع جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه في الكتاب . ولا شك أن عمل الفهارس عمل على ناهض في العصر الحديث ^(١) وإذا كانت تلك الموسوعات القديمة ينقصها هذا العمل العلمي الذي يبرز قيمتها ويجعلها في متناول يد الباحث فإن ألزم ما يلزم الآن هو إضافة هذا الجزء الحلي إلى تلك الموسوعات . فإذا كان في الخزانة — بصورتها الأولى — هذا النقص فإنه نقص عام لم تدع إليه الحاجة في العصور الماضية . أما الآن فأنت تستطيع أن تهتدي إلى كل جزئية من جزئيات هذه المادة الغزيرة .

ولنعد الآن إلى صلب الكتاب .

ماذا صنع البغدادى في سبيل الحصول على مادة يمكن الوثوق بها ؟ إذا أردنا أن نجيب في كلمة قلنا : الامتحان .

ومن أين استمد البغدادى هذه المادة ؟ الجواب : من المصادر الأصيلة .

أما مشكلة الامتحان فيطول شرحها . ولعلنا نصادف هذه اللفظة في ميدان آخر من

[١] مجلة الأزهر - لقد عني العلامة المحقق أحمد تيمور رحمه الله بهذه الناحية فوضع لخزانة الأدب فهارس عظيمة ورد وضمها في مقدمة النشر لهذه الطبعة من الكتاب .

ميادين البحث وأغنى به ميدان الرواية بخاصة رواية الحديث . ووسائل هذا الامتحان يمكن الوقوف عليها — فيما يختص برواية الحديث — في كتب فن مصطلح الحديث . أما فيما يختص بمشكلة الحزاية فقد أخذ البغدادي بمبدأ أنه لا يصح الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله ، « وعلّة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً أو مولداً أو لمن لا يوثق بكلامه ، ولهذا — كما يقول البغدادي — اجتهدنا في تخريج آيات الشرح وفحصنا عن قائلها حتى عزونا كل بيت إلى قائله — إن أمكننا ذلك ، ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، وميزنا الإسلامى عن الجاهلى ، والصحابى عن التابعى وهلم جرا ، وضممنا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ، وإن كان من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة أو ردناها كاملة وشرحنا غريبها ومشكلها ، وأوردنا سببها ومذنباً لها ؛ كل ذلك بالضبط والتقييد ، ليعم النفع ويؤمن التحريف والتصحيف وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ، وبدفع احتمال ضعفه » . هذا ما يصنعه البغدادي لتقديم مادة موثوق بها . وهكذا نرى أن ما يتطرق إلى ذكره من رواية تاريخية أو ترجمة أو نص من النصوص ليس في الواقع إلا زيادة في توثيق هذه المادة . وهذا يحمده من الناحية العلمية . وتبقى مشكلة عامة هي مدى الثقة بمن يستشهد بكلامهم في اللغة وهي مشكلة كان لابد للبغدادي من مواجهتها . وهنا نجده يمرض لنا آراء العلماء السابقين فيها .

وهؤلاء السابقون قسمان : قسم يعتمد على الشعر ويستشهد به وقسم يعتمد على غير الشعر . والفريق الأول تواجهه مشكلة طبقات الشعراء : فزاهم يسمون الشعراء طبقات بحسب الثقة التي يمكن أن تمنح لكل . فطبقة الجاهليين وطبقة المخضرمين يستشهد بشعرهما إجماعاً . وتأتي الطبقة الثالثة وهي طبقة المتقدمين الذين عاشوا في صدر الإسلام ، والصحيح صحة الاستشهاد بشعرهما رغم اللحن الذي وقف عليه بعض العلماء في شعر كثير من شعرائها . أما طبقة المولدين أو المحدثين فلا يستشهد بكلامها مطلقاً ، وإن كان الزمخشري في كشفه قد سن قاعدة جديدة فيما يختص بشعراء هذه الطبقة ، وهي استشهادهم بشعر لأنبيائهم ، وقوله : « أجمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » ، وكانت حماسة أبي تمام من أوثق مصادر علماء اللغة . ولعل توثيق شعر أبي تمام يرجع إلى تقسيم آخر لطبقات الشعراء يتفق مع التقسيم الأول في أمر الطبقات الثلاث الأولى ولكنه يحمل المولدين طبقة ، وتليها طبقة المحدثين ،

كأبى تمام والبحرئى ، ثم طبقة المتأخرين كأبى الطيب المنفى . ولكن هذا رأى يرجحه سابقه .

أما غير الشعر فهو القرآن والحديث ، والقرآن حجة فى متواتره وشاذه . أما الاستدلال بالحديث فقد اختلف العلماء حول الاستشهاد به نظراً لإمكان الرواية بالمعنى . ولكننا إذا ذكرنا التشديد فى الضبط والتحرى فى نقل الأحاديث عند الثقة والمحدثين جاز الاستشهاد بما يغلب على الظن صحته منه . وحتى ما يمكن أن يكون قد روى بالمعنى فتد روى فى زمن كانت اللغة فيه ما تزال فى مهدما نقية صحيحة (١) .

هذه هى المقهورات التى قطالعنا فى الخزانة حول توثيق المادة .

أما فيما يختص بالمصادر فقد ذكر البغدادى أجناس الكتب التى أفاد منها فى علم النحو وفى تفسير آيات المعانى المشكلة وفى الدواوين والمجاميع الشعرية حتى طبقة المولدين والمحدثين ، كما أفاد من كتب الأدب ، وكتب طبقات الشعراء ، وكتب فقه اللغة وكتب الامثال ، وكتب الأماكن والطبقات . وبمنظرة فاحصة لهذه المصادر تدبّر أنها هى المصادر الأولى والأساسية التى أمدت الخزانة بمادة غاية فى القيمة .

وهكذا نجد ما سميناه بالمنهج العام يتمثل فى نفس البغدادى بصورة أو بأخرى قبل أن يقدم على تأليف كتابه الضخم . وما تبقى من عناصر هذا المنهج ليس بشئ بجانب الثقة فى المادة والمصدر ، وهما متوافران - كما رأينا - بصورة كافية فى هذا الكتاب .

عز الدين اسماعيل

مدرس بكلية الآداب - بجامعة إبراهيم

[١] المجلة - لفصيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر تحقيق فى ذلك تضمنته مقدمته التى كتبها الكتاب [للنقى عن الحفظ والكتاب] ط . للسقفة .



الأردن في أيام الحروب الصليبية

في أيام الحملات الصليبية اتخذ الصليبيون في منطقة البلقاء والأردن إمارة لهم في الكرك وما حولها جعلوها قاعدة حربية يهاجمون منها البلاد الإسلامية والعربية في الحجاز ومصر وأنحاء سوريا حتى قضى عليهم صلاح الدين قضاء مبرما بعد انتصاره على الصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣ هجرية .

ذكر وزير صلاح الدين الأيوبي القاضي بهاء الدين بن شداد في كتابه ، سيرة صلاح الدين ، ص ٤٩ : أن السلطان صلاح الدين سار من دمشق على رأس جيشه ، في يوم ٢٧ من ربيع الآخر سنة ٥٧٩ هجرية حتى أتى بيسان فوجد أهلها قد رحلوا عنها وتركوا ما كان من ثقل الأقدسة والغلال والامتنعة ففتحها عسكر المسلمين وحرقوا ما لم يمكن أخذه ، وسار السلطان وجيشه حتى أتى (عين جالوت) وهي قرية عامرة وعندها عين ماء عظيم بها ، وكان قد قدم عز الدين جرديك وجماعة من المالك النورية وجاوولى مملوك أسد الدين حتى يكشفوا خبر الإفرنج (الصليبيين) فانفق لهم أنهم صادفوا عسكر الكرك والشوبك سائرين بجدة للإفرنج فوقع أصحابنا عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا زهاء مائة نفر وعادوا ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد ، فاستبشر المسلمون بالنصر والظفر .

ثم إن صلاح الدين علم أن الإفرنج اجتمعوا في صفورية والقلعة ، فتبعهم بالجيش ونازلهم ونال منهم بالقتل والأسر ، وخرب قلعة عفريل وقلعة بيسان وزرهين وهي من حصونهم ، ثم عاد منصوراً مظفراً مسروراً حتى نزل الغور ، ثم عاد إلى دمشق في يوم ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٥٧٩ وأقام بها إلى ثالث رجب سنة ٥٧٩ وخرج مراراً نحو الكرك وأرسل إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر أن يتقدم إليه بالاجتماع على الكرك ، فخرج العادل من مصر ومعه عدد كبير وذلك في رابع شعبان سنة ٥٧٩ . ١ ملخصاً .

ثم ذكر ابن شداد في ص ٥٣ أن صلاح الدين خرج من دمشق في شهر ربيع الآخرة سنة ٥٨٠ قاصداً مهاجمة الكرك وتتابع وصول الجيوش الإسلامية إليه من كل حذب وصوب وتتابعت العساكر بالوصول إلى الكرك حتى أحرقوها بها وذلك في رابع جمادى

الأولى سنة ٥٨٠هـ وركب آلات المنجنيق على المكان وقد التفت العساكر المصرية والشامية والجزرية، ولما بلغ الإفرنج ذلك خرجوا براجلهم وفارسهم للدفاع عن الكرك وكان على المسلمين ضرر عظيم من وجود الصليبيين في الكرك وما حوله لقطعهم الطريق عن قصد مصر بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج إلا مع العساكر الجمة الغفيرة، فاهتم السلطان صلاح الدين بهذا الأمر ليكون الطريق سابلة إلى مصر.

ولما بلغ السلطان صلاح الدين خروج الإفرنج تبعاً للقائه، وأمر العساكر بالخروج إلى ظاهر الكرك، وكان الفرنج قد نزلوا في موضع يقال له الواله وسار حتى نزل على قرية حسان قبالة الفرنج ورحل منها إلى ماعين والإفرنج مقيمون بالواله ثم رحلوا قاصدين الكرك فسار بعض العساكر وراءهم فقاتلهم إلى آخر النهار، ولما رأى السلطان تصميم الإفرنج على الكرك أمر العساكر أن يدخلوا الساحل لخلوه من عسكر الصليبيين فهاجروا فابلس وغنموا ما فيها ولم يبق فيها إلا حصنها وأخذوا جنين والتحقوا بالسلطان في رأس المساء ومعهم الأسرى من العدو ثم عاد صلاح الدين إلى دمشق وأعطى العساكر دستوراً وإجازة.

وقد انتهت مهاجمات صلاح الدين للكرك وما حولها بعد هدنة بينه وبين البرنس أرناط الذي لم يلتزم بشروطه بل نقضها واعتدى أثناء الهدنة على قافلة عظيمة للمسلمين غدرًا - كعادة الفرنجة في كل زمان وإلى هذا الزمان، فهم لا يوفون بمعاودة ولا يلتزمون بهدنة، وإنما يخضعون ويذأطئون رموسهم للقوة القاهرة التي يرغبون على الإذعان. وهذا ما يجب أن يفهمه جيداً قادة المسلمين والعرب وأولياء أمورهم حتى يسهل عليهم حل مشاكلهم مع الدول الغربية حلاً عملياً.

قال صاحب حماة تاج الدين شادانشاه بن أيوب في ص ٢٨٨ من منتخبات تاريخه في حوادث سنة ٥٨٢ هـ ما نصه : « في هذه السنة غدر البرنس صاحب الكرك وأخذ قافلة عظيمة من المسلمين وأسرم، فأرسل السلطان (صلاح الدين) يطلب منه إطلاقهم بحكم الهدنة التي كانت بينهم على ذلك فلم يفعل، فنذر السلطان أنه إن أظفره قه به قتله بيده. » وقد حقق الله نذر السلطان صلاح الدين حين هزم الصليبيين في معركة حطين.

الصليبيون يهاجمون مدينة النى ﷺ :

قال « تاج الدين بن شادانشاه بن أيوب في تاريخه الذي نشرت منتخبات منه بذيل سيرة

صلاح الدين لابن شداد ص ٢٧٨ مانصه : « ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمس مائة ٥٧٧ هـ وفيها عزم البرنس « أرناط » صاحب الكرك على السير إلى مدينة الرسول ﷺ للاستيلاء على تلك النواحي الشرقية ، وسمع عز الدين فرخشاه نائب عمه السلطان بدمشق ، لجمع جموعاً وقصد بلاد الكرك وأغار عليها وأقام في مقابلة البرنس ، ففرق البرنس جموعه وانقطع عزمه عن الحركة . »

ثم قال تاج الدين في صفحة ٢٧٩ « ثم دخلت سنة ٥٧٨ هـ وفي خامس المحرم منها سار صلاح الدين من مصر إلى الشام واجتمعت الإفرنج قريب الكرك ليكونوا على طريقه . »

أسطول صليبي يهاجم الحجاز وسواحل البحر الأحمر :

قال تاج الدين شامشاه ص ٢٨١ و ٢٨٢ « في هذه السنة ، (٥٧٨) عمل البرنس صاحب الكرك أسطولا في بحر أيلة « العقبة » وسير ، في البحر فرقتين فرقة أقامت على حصن أيلة « العقبة » يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب ، « شواطئ مصر » يفسدون في السواحل ، وبقوا المسلمين في تلك النواحي فإنهم « أي المسلمين » لم يهدوا بهذا البحر . « البحر الأحمر » إفرنجاً فقط بل كانت بحراً إسلامياً « صرفاً » ، وكان بمصر الملك العادل أبو بكر نائباً عن أخيه السلطان « صلاح الدين » فعمر أسطولا في بحر عيذاب « بمصر » وأرسله مع الأمير حسام الدين لؤلؤ وهو متولى الأسطول بديار مصر وكان مظفراً شجاعاً ، فسار لؤلؤ مجدداً في طلب الإفرنج وأوقع بالذين كانوا يحاصرون أيلة فقتلهم وأمرهم ثم سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول إلى الحجاز ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى فسار لؤلؤ يقفوا أثرهم فبلغ (رافع) فأدركهم بساحل الخوار وقاتلوا أشد قتال فظفروا الله تعالى بهم وقتل لؤلؤ أكثرهم وأخذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم إلى (منى) لينحروا بها وعاد بالباقيين إلى مصر وقتلوا عن آخرهم . »

ثم ذكر تاج الدين في ص ٢٨٩ خبر معركة حطين ، وحطين قرية بالقرب من طبرية : وخلاصة ذلك أنه في سنة ٥٨٣ هـ جمع صلاح الدين المساكير وسار بفرقة منها وضائق الكرك خوفاً على الحجاج من صاحب الكرك ، وأرسل فرقة أخرى مع ولده الملك الأفضل فأغار على بلاد عكا وتلك الناحية وغنموا شيئاً كثيراً ثم سار السلطان إلى طبرية وحصر مدينتها وقتلها عنوة بالسيف ، ولما أخذ السلطان طبرية اجتمعت الإفرنج وملوكهم بفارسهم

وراجلهم وساروا إلى السلطان والتقى الجمعان في يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ وإن جيوش المسلمين أحرقوا بالإفرنج من كل ناحية وأبادوهم قتلاً وأسراً وكان من جملة من أسر ملك الإفرنج الكبير والبرنس أرناط صاحب السكرك وصاحب جيبيل وابن الهنفرى ومقدم الداوية وجماعة الاسيتاوية .

ثم قال تاج الدين في ص ٢٩٠ وما أصيب الإفرنج منذ خرجوا إلى الشام في سنة ٥٩١ هـ إلى الآن بمصيبة مثل هذه الواقعة ، ولما انقضى المصاف جلس السلطان ، صلاح الدين ، في خيمته وأحضر ملك الأفرنج وأجلسه إلى جانبه وكان الحر والعطش به شديداً فسقاه السلطان ماء منلوجا ، فسقى ملك الأفرنج منه البرنس أرناط صاحب السكرك ، فقال له السلطان : « هذا الملعون لم يشرب الماء يأذى فيكون أماناً له » ، ثم كلم السلطان البرنس ووبخه وقرعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين ، مكة والمدينة ، ثم قام السلطان بنفسه فضرب عنقه ، فارتعدت فرائص ملك الأفرنج ، فسكن جأشه . ثم عاد السلطان إلى طبرية وفتح قلعتها بالأمان . ثم كان فتح القدس واستخلاصها من الصليبيين بعد جهاد دام نحو مائة عام حتى كان النصر المبين في يوم ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ وأعيدت القدس ومسجدها الأقصى وما حوله من ديار مباركة إلى حوزة المسلمين .

ويجب أن يعلم كل مسلم وكل عربي في أنحاء هذا العالم أن العناية التي تفصدها الدول الكبرى إنجلترا وأمريكا وفرنسا وسواها من الدول الاستعمارية والجماعات المعادية للإسلام من صهيونية وتبشيرية وغيرها التي ساعدت على إقامة دويلة إسرائيل في فلسطين على أطلال مدن المسلمين والعرب وقراهم وديارهم وتمكينها اليهود من فصل آسيا الإسلامية عن أفريقيا ومنع الاتصال بين بلاد العرب إنما تريد بذلك مقاومة الإسلام والمسلمين وتحقيق الغاية الرهيبة التي عجزت الحملات الصليبية خلال مائتي عام عن تحقيقها .

والواجب الديني والواجب الشرف والكرامة يحتم على المسلمين والعرب كافة أن يوحّدوا صفوفهم ويشحذوا عزائمهم ويعملوا يداً واحدة متعاونين على إنقاذ فلسطين وإعادتها إلى الحضيرة الإسلامية والعربية كما عمل آباؤهم وجدودهم المجاهدون ، وأن يعدّوا ما استطاعوا في قوة لهذه الغاية الشريفة ليفسّلوا هذا العار اليهودي الجاثم في أظھر بقعة في وطنهم وديارهم التي جمّلت تربتها بدماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من المجاهدين في مختلف العصور . والمرجو من الله تعالى أن يجعل ذلك اليوم قريباً ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

محمد صبري هاجر

من علماء الأزهر الشريف

نظرات في الشريعة الإسلامية

بين التقدير العيني والتقدير النقدي

إذا استعرضنا طريقة المعاملات في العصور البدائية نجد أنها كانت تقوم على أساس المبادأة . فكان الفرد يقوم بشراء ما يلزمه بواسطة ما يقدمه إلى الآخر من مواد . فالمزارع إذا أراد شراء شيء ما ، لجأ إلى كنية من حاصلاته ليشتري بها ما هو في حاجة إليه . وكان العامل إذا أراد شراء طعام أو قوت لأولاده يعرض نفسه على الراغبين في استئجاره في مقابل إعطائه ما هو في حاجة إليه .

وهذه الطريقة البدائية المحضة وإن بدا فيها من المتاعب ، والحد من الحرية في التبادل ، حيث تجعل الإعطاء محصوراً بين طائفة معينة ، من الذين توقرت لديهم هذه الطلبات ، إلا أنها كانت تسدى للحياة العامة خدمة جليلة تأتي بطريق غير مقصود . فقد كان من أثر ذلك أن منعت تضخم الأموال حيث امتنع وجود النقد . فكان كل شخص يقصر همه على إنتاج مقدار ما يستطيع أن يستهلكه في قضاء رغائبه . وسد حاجاته . فلم يكن هناك تضخم في الإنتاج ولم يكن — تبعاً لذلك — تضخم في الكنز أو في الادخار .

وهذه الطريقة ظلت رداً من الزمن ، إلى أن اخترع النقد ، وأصبح هو الوسيط بين المتعاقدين ، وصار هو مصدر التقييم والتممين . وأصبحت السلع تأخذ حظها من التقدير بمقدار ما يبذل فيها من نقد تبعاً لقدرة الراغبين .

وطريقة التبادل وإن كانت قد انكشفت باختراع النقود ، إلا أن ذيولها ما تزال تطل علينا في بعض الأحيان وفي بعض الأماكن . فلا تزال منها صور في بعض المعاملات الصغيرة بالقرية حيث يلجأ الريفيون إلى شراء سلهم ببعض الثلات الزراعية ، وإلى شراء الخضراوات بقليل من الحبوب أو بما يعطيه الدجاج من بيض . بل ما يزال « التشغيل » في مقابل إعطاء منتجات معينة موجوداً أيضاً ؛ فما يزال الحلاق والنجار وقارئ القرآن وغيرهم يعملون طول العام في مقابل مقدار من الحبوب يعطى لهم في موسم الحصاد .

ولا تقف الطريقة التبادلية العينية عند هذا الحد ، بل إن الدول في معظم الأحيان تلجأ إليها ، وخاصة في الأيام الأخيرة بعد أن قتل المستعمرون في سل السيوف في وجوه

الدول المنتجة ، فلجأوا إلى إعلان الحرب الاقتصادية عليها بفرض حصار تبادلي يقوم على التشكيك في جدارة هذه الدول على الوفاء ، كي يهرب العملاء منها . وذلك مثل ما لجأت إليه إنجلترا من فرض هذا التشكيك على الاقتصاد المصري كي لا يجد مصر مشترياً لقطعاها . ! وكان من نتيجة ذلك أن انخفض سعره ، وانخفض سعر الجنيه المصري في الاسواق الدولية .

ولا رسالة لمصر من الفكك عن هذا الحصار إلا بالعودة إلى النظام البدائي ، فتقوم بمبادلة منتجاتها بأخرى من الدول الراغبة فيها حسب اتفاق حر يعقد بين الطرفين . وفي هذا ما فيه من الحد من الحرية بعدم فسخ المجال للدشترين المنافسين . ولكنه على كل حال ضمان لها من الكساد والبنوار .

وبعد هذه اللوحة العارضة عن التبادل العيني والتبادل النقدي ، نرى أن كل نوع منهما لم يرق على فلسفة أصيلة ، بل على منفعة مربية . ولهذا نراه تارة يكون خيراً وتارة يكون شراً . وتقوم التجارة الدولية على اهتبال الفرص الداعية للاستفادة من هذا الاختلاط العجيب ، فن أدار المعجلة بحكمة وفي حنق كان نصيبه الغنم والكسب . . ولقد انضم إلى هذه العوامل المؤثرة في المعاملة عامل آخر هو وجود الأوراق المالية . فقد لجأت الدول إلى تغطية عجزها النقدي عن القيام بمسئولياتها إلى إصدار سندات مالية على خزائنها . وهذه السندات - تبعاً لظروف دولية - كثيراً ما تماقت وتقل قيمتها فيصبح من العسير أن تنهض بالعبء الملقى على عاتقها . وكان من نتيجة هذا الاضطراب كله أن تقاسم : ما هي الوسيلة التقديرية في الشريعة الإسلامية ؟

وسنجد الشريعة الإسلامية - وكأن الله تعالى قد ألهم نبيه هذا الاختلاط العجيب - تتخذ التقويم العيني فيما تقرر من مقدرات تقوم في سبيل الصالح العام كما في الزكاة أو في الديات أو في الكفارات . وربطت التقدير على هذا الأساس حتى في حالة الفقر والعدم يكون العدول إلى غيره باعتبار ما يساويه التقدير العيني ، كما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة من العدول في زكاة الفطر من الحبوب إلى النقد على أساس قيمة الحبوب .

وعلى رغم ما يبدو في التقدير العيني من متاعب ، ومن حد للحرية إلا أنه إذا قورن بالتقدير النقدي للقيمة العينية أصبح المستوى الاقتصادي ثابتاً . ولكي يبدو الأمر جلياً أضرب لك مثالا : فرض الله على المسلمين زكاة الفطر ، وقد قدرت بواسطة التقدير العيني

بمقدار صاع أو أقل - حسب الآراء - فلنفترض أن الشرع بدل أن يقدرها بصاع راعي ثمنها وقت التشريع ، أو لم يراع الثمن وقد ابتدأ مقداراً معيناً من الدراهم أو الدينار . فإذا يحدث ؟

يحدث أن الأسعار تتفاوت فترفع تارة وتنخفض أخرى . فإذا ارتفعت الأسعار ثم أعطى الفقير هذا المقدار الثابت من الذهب أو الفضة كان فيه غبن عليه ، لأنه لا يستطيع أن يشتري به شيئاً ذا أهمية يكفيه ، ولو انخفضت الأسعار وقد قدر على المعطى هذا المقدار عينه لغبن ، لأنه يستغنى في الحصول على هذا المقدار المعين من النقد كمية كبيرة من إنتاجه نظراً لانخفاض الأسعار ، فيكون في هذا غبن عليه .

أما في حالة التقدير العيني فلا يخضع لمزاجات الأسعار المتأرجحة المضطربة . ثم عالجته الشريعة الإسلامية الحد من هذا التبادل العيني بأن أباح بعض الفقهاء تقويم العين بالنقد ثم استبدالها بالنقد . وهو منتظم في سبط العدالة التي من أجلها شرع التقدير العيني ١ .

وإذا عرف أن الزكاة ما هي إلا نسبة من الإنتاج تستهلك على العاطلين عن هذا الإنتاج من الضعفاء والمرضى والمساكين ، تبين أن النسبة بهذا التقدير العيني ثم العدول عنه إلى التقدير النقدي - في بعض الحالات - لا يجعل هذه النسبة تتغير بحال من الأحوال .

ولندع هذا المثال لنرى وجهاً آخر ، وهو ما جرت عليه الشريعة عند التقدير في الديات وفي الجروح وفي غيرها من الأرض ، نجد أنها لجأت إلى التقدير العيني الذي ينتهي بالتقدير النقدي عند أبي حنيفة — وكنا ونحن في مدرجات السكينة وما زلنا قليلي الخبرة بأسرار هذه الشريعة تتساءل : ما حكمة هذا التقدير بالإبل في بلاد تعدم فيها الإبل أو تقل كصر مثلاً ؟ ولماذا لا تكون الدية مقداراً معيناً ثابتاً من النقد يصدر به القاضي حكمه من غير ما تقويم أو تعديل ١٩

والجواب عن هذا التساؤل أننا لو نظرنا إلى ما ذكرته في المثال السابق لوجدنا الحكمة هنا أيضاً بادية ظاهرة . فلو قدوت دية الرجل بجزء معين من النقد ، لسكانت هذه الدية عرضة للتفاوت العجيب نظراً لتفاوت أسعار الذهب والورق بين حين وحين ، ولكثرته أو قلته في أيدي الناس في كثير من الأحيان . وفي جزيرة العرب نفهم حيث أصبح

الزيت مورداً ضخماً للتغود يظهر الفارق الشاسع بين حكمة التقدير العيني والتقدير النقدي فلو جعلت الدية مقداراً ثابتاً من الذهب لكان على سائق السيارة الذي يتقاضى مبلغاً كبيراً من النقد دفعها ، ولأصبحت الأرواح رخيصة هينة . ولكنك لا تجد هذا الهوان إذا رجعت إلى التقدير بالابل . . فإن السلع يطرد ارتفاع ثمنها اطراداً مناسباً مع وجود النقد . فكلما كثر النقد ارتفعت الأثمان . ولهذا أصبح ثمن الجمل في الجزيرة العربية الآن أضعاف أضعاف ما كان عليه من قبل . فإذا رجع في الديات إلى التقدير العيني كانت النسبة محفوظة وثابتة .

وعند التدقيق والبحث نرى أن أسعار الأشياء قد يعرض لها من الأسباب ما يجعلها تتأثر هبوطاً أو صعوداً ، كما في حالة نشوء وباء عام في الحيوانات مثلاً ، أو إصابة الأرض بندرة المطر . وقد لاحظ كثير من الفقهاء هذه الظروف الاستثنائية ، واعتبرها حالات عارضة لا تصح أن تكون الحكم الفاصل ، بل رأى العود إلى الوسط في كل شيء ، من الزمان والمكان ، حتى تتلافى هذه الظروف الطارئة .

ولعل في تحديد الشرع الدية تحديداً واضحاً ، لم يترك فيه للقاضي حرية التصرف تقديرية كبيرة لحُرمة النفس البشرية ، وامتداداً للدساواة المطلقة التي جسمها الإسلام ، وجعلها القانون العام بين الناس جميعاً . فلم يفرق بين دية الرجل العظيم أو دية الرجل البسيط كما نشاهد في الشرائع الوضعية التي قد تمنح تعويضاً لقتيل محترم عدة آلاف من الجنيهات ، بينما تعض على قتيل من الطبقة الدنيا بمئة مائة . ومن الطريف أيضاً أن تشير إلى احترام الإسلام لقيمة النفس البشرية فلم يترك الدم يذهب هدرًا كما نشاهد أحياناً في مجتمعاتنا الحاضر ، بل لا بد للدم من ثمن . فهو في حالة العمد القصاص إلا أن يعفو فالدية . وفي حالة الخطأ الدية على العاقلة (الإخوة ثم بنى الإخوة ثم العمومة ثم بنى العمومة) فإن لم يقدرُوا على الوفاء انتقل إلى بيت المال . بل بالغ الإسلام في مقابلة الدم بالجزاء حتى في حالة جرم القاتل وعدم معرفته ، حيث شرع القسامة فأوجب بها على أهل كل محلة وجد بها قتيل أن يتحملوا دية احتراماً للنفس البشرية أن تذهب مع الريح بلا ثمن أو جزاء (١)

[١] بتفصيل وشروط مذكورة في كتب الفقه .

ويعنى الشرع على سننه في جميع التشريعات التي يلاحظ فيها حاجة الفقراء فنراه يستعمل التقدير العيني في الكفارات المختلفة . فيبدأ في مراتبها بتق الرقة ، ثم بإطعام عدد معين من الفقراء أو كسوتهم ، ثم بالصيام . وذلك تبعاً لنوع الكفارة وتفاوتها بين الشدة والرخيف ، ولكنها على كل حال لا تخرج عن أن يكون التقدير العيني هو محورها ومركزها .

ولا ينتقل الشرع الحكيم من التقدير العيني إلى التقدير النقدي إلا في الجزية حيث إنها لا تنهض على أساس أنها نسبة معينة من المال ، بل على أساس أنه التزام محدد يقوم على عقد محترم ، فلماذا كان التقدير بالنقد هو مداره حتى لا يتعرض للاضطراب والخلاف . وكما لوحظ في الجزية ذلك لوحظ أيضاً في الخراج - عند بعض الفقهاء - لجعل التقدير فيها أيضاً بالنقد للمعنى السابق عنه .

وإذا كان الفارح قد لاحظ التقديرين عند ما ندعو الحاجة إلى استخدام أحدهما ، واستعماله دون الآخر ، فإننا نراه قد ألغى التقدير في الأشياء التي تتعرض للأخذ والعطاء والجذب والإرخاء ، وتعرض للتفاوت في الأحوال والأزمان ، بل ترك تقديره إما للحكم عند القضاء ، أو للتراضى عند الاتفاق . فنراه ترك أمور النفقة والمهور وأجر الحضنة وغيرها من الأمور إما إلى حكم القضاء الذي يقدر الظروف والملايسات ، وإما إلى التراضى والاتفاق .

ولعلنا بذلك قد وفقت إلى تجلية سر من أسرار الشريعة الإسلامية ، ذلك الكنز الزاخر بكل رائع وعجيب حينما استعملت التقدير العيني ، مما كان مريض تسأول من بعض الواهمين .

المعيد الشرعيني الشرباصي

مدرس بالمعهد الديني بالكويت

موقف الاسلام

من حوادث مراكش ومعاهدة ليبيا

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

قال مندوب الاحرام :

أديت فريضة المغرب أمس مع فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر .

وعقب الصلاة اتجه إلى الله رافعاً يديه نحو السماء ، داعياً أن ينصرقه الإسلام ، ويحرر بلاد العرب من الاستعمار والمستعمرين ، ويخلصها من الأذئاب الموالين للأعداء .

أذئاب الاستعمار شر خلق الله :

ثم التفت فضيلته إلى ، وقال : إن شر ما نصاب به الأمم المستعمرة أن يحدد أعداء البلاد من بينها أتباعاً وأشياء وأذئاباً يخونون دينهم ووطنهم ، ويفقدون كرامتهم وإنسانيتهم فيعملون في خدمة أولئك الأعداء على حساب البلاد التي تبتوا فوق أرضها واستظلوا بسماها وشربوا ماءها ، وهؤلاء هم شر خلق الله ، وأبعدهم من رحمة ورضاء ، لأنهم منافقون : يقابلون مواطنهم بوجه وطني ، ويقابلون أعداء البلاد بوجه استعماري ، لا يثقون في أنفسهم ولا يؤمنون بوطنهم ، ويدعون إلى الهزيمة والخيانة : في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم .

حوادث مراکش :

فسأله عن رأى الإسلام فى الأحداث الجارية فى مراکش وما تمنضت عنه من خلع سلطانها الشرعى .

فقال فضيلته : إن مراکش وبلاد المغرب الأقصى تعد من أعرق الدول الإسلامية فى التاريخ ، ولقد أخذت طريقها إلى مجدها ونهضتها من قديم ، حتى ضرب عليها الاستعمار الفرنسى حمايته قبيل الحرب العالمية الأولى وكاد لأهلها شراً ... وأبى الوطنيون المسلمون أن يخضعوا لهذه الحماية التى يأبأها الإسلام وترفضها كرامة العروبة ... فسقط فى ميدان الجهاد كثيرون من أبنائها ، وشرذ المجاهدون وبجوا . وبجّل الاستعمار وثيقة حمايته للبلاد قسراً ، وفرض عليها قيوداً . وما من يوم مر بتاريخ هذه البلاد إلا يبجل فيه الاستعمار خزياً جديداً ، واعتداء سافراً على حقوق الوطن والوطنيين فى تونس ومراكش . ولما أعينهم الحيل لجأوا إلى أحدث أساليب الاستعمار فزقوا وحدة أبنائهم المسلمين ، وخلفوا منهم شيعا يضرب بعضهم رقاب بعض لصالح الاستعمار نفسه .

ووجد الخونة الذين يبيعون بلادهم بأبخس الأثمان للمحتلين ويعينونه على خلع السلطان الشرعى للبلاد ... ولا شك أن الإسلام يأبى الخضوع للمستعمرين ويطالب بتقليم أظافر المعتدين .

المعاهدة البريطانية فى ليبيا :

وسألت شيخ الأزهر عن رأيه فى المعاهدة الإنجليزية التى عقدتها ليبيا أخيراً . فقال فضيلته : إن الاستعمار ملة واحدة .. والذى يقرأ نصوص المعاهدة الليبية يدرك تماماً أهداف المستعمرين من تثبيت قدم الاحتلال فى هذه المنطقة العربية ... ولقد صدر بيان هيئة كبار العلماء وحده المسئولة الإسلامية بشأن هذه المعاهدة والأحداث الجارية فى مراکش .

الدول تتحرف كالأفراد :

ثم أضاف فضيلته قائلاً : إن الدول تتحرف أحياناً كما ينحرف الأفراد ، وتعاقب على خيانة

العهد وموالاته الأعداء .. ومن نكده الدنيا وفساد الطبائع أن يحدد أعداء الإسلام من أرباب المنافع الشخصية في البلاد قوما يودونهم ويوالونهم ويعملون لدعم قواعد احتلالهم لأوطانهم ، وتحقيق أهدافهم الاستعمارية ، ومعاونتهم في القضاء على الدين والدولة والأوطان ، إما جرياً وراء نفع مادي ، وإما خشية سوء العواقب . وذلك على الحالين مرض في القلب ، وخيانة لله والرسول ، ونفاق يأباه الشرع وتمقته المروءة ويرفضه القرآن الذي قال عنهم : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » .

لا مودة لأعداء الله والوطن :

واستطرد فضيلته فقال : لقد حرم الإسلام مودة أعداء الله ورسوله بالغة ما بلغت صلتهم بالإنسان ، حتى لو كانوا آباء أو أبناء أو أملاً أو عشيرة ، فإياك بأعداء لا تربطنا بهم إلا أسوأ صلة هي صلة الاستعمار والاضطهاد . والله سبحانه وتعالى يأمرنا بالاستعداد دائماً لمحاربتهم ومقاومة قوتهم بالقوة فيقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ويجرد أنصارهم من الإيمان فيقول تعالى في قرآنه العظيم : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

وجوب التكتل لمواجهة الاستعمار :

وقد أمر الله المسلمين في جميع بقاع الأرض بأن يتكتلوا وأن يواجهوا أعداءهم صفاً واحداً وأن يقللوا أظافر الخونة الذين يوالون أعداء الدين والوطن ، وأن لا يضعفوا أمام أية عاطفة في سبيل جهادهم فقال تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

الإسلام ومعامدة الأعداء :

وقلت لفضيلة الشيخ الأكبر إني أطلب رأياً في هذه المعاهدات التي تعقد بين هذه الدول الفادرة والبلاد العربية المنكوبة ، وهل هي نوع من ولاية الكافر على المؤمن ؟ وما هو رأى الإسلام فيمن يتولى عقدها مع هؤلاء الأعداء خشية بطشهم أو قصد الحصول على أمراهم ، في سبيل بيع حرية البلاد ويفضلهم على بنى جنسه وعروبه ١١٩

فقال فضيلته : لقد أجاب القرآن الكريم إجابة حاسمة عن كل هذا في آية صريحة واضحة لا شبهة فيها ولا التباس فنال تعالى : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنّفون عذمة العزة فإن العزة لله جميعاً » .

قصيدة للاستاذ الأكبر :

وختم الاستاذ الأكبر حديثه بأن أنشد قصيدته الجديدة التي صاغها لمناسبة الأحداث الجارية في مراکش وليبيا وتونس ، وقد جاء فيها :

لا تسمى كلما خضت غماراً	وإذا رضت جواداً لا يجارى
مات من عزمك ما ترقى به	أمة هيضت جناها وقفاراً
إن يصح العزم من قوم فلا	يلتقى شأنهم إلا تباراً
ولقاء الموت في ذودك عن	ساحة يكسب ذكراك نهاراً
فاسأل المغرب كيف امتلكوا	بعد الاستعمار زرعاً وعقاراً
أبرموا العهد ولم يوفوا على	أنهم لا قوا كراماً وخياراً
ورعينا منهم الجار ولو	أنصفونا حمدوا منا الجوارا
لا رعى الله عهداً قد كوت	بلطى الضيم صفراً وكباراً

وختم الاستاذ الأكبر حديثه قائلاً : « لئن أنتمى على الله أن أعيش حتى أشهد مصرع الاستعمار في كل البلاد الإسلامية والعربية » .

فقلت لفضيلته : حياك الله . وأحياك حتى تبلغ منك ، فهى منى جميع العرب والمسلمين .

نظرات في كتاب الأصول ونظرة العقدة في الفقه الإسلامي

تأليف الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

نشر دار الكتب الحديثة ١٤ شارع إبراهيم باشا بمبايدين . يقع في ٥٢٤ صفحة

— ٢ —

قدمت في جزء شوال ١٣٧٢ من مجلة الأزهر الفراء الجزء الأول من نظراتي في هذا الكتاب الجليل الذي يستحق كل ثناء ، والذي هو نمط جديد في دراسة الفقه الإسلامي ينبغي أن يحتذى ويمثل ، وإن من الخير أن يقبل عليه طلاب الشريعة فيفيدوا منه معارف تبصرهم بالفقه على أحسن وجه ، بجانب الدراسة للفروع والتفاحش في أدلتها .

واليوم أقدم الجزء الثاني . ومن قعر النظر أن يظن ظان أنها تغض من الكتاب أو تنال منه . وإنما هي أمور يختلف فيها النظر والباحثون ، ولذوات الفضل والفوق ، وله الذكر الحسن الجليل ، والكتاب آية في حسن التأليف ودقة النظر وسداد الأفكار .

٦ — يعرض المؤلف لعمل الصحابة الفقهاء في عدة مواطن ، ويبدو في كلامه ما يستوجب النظر .

(١) ففي ص ٤٨ يذكر أن كبار الصحابة كانوا لا يفتنون في أحكامهم إلا بما يرجع للقرآن والسنة ، وأنهم يجنحون إلى الرأي والقياس إن لم يجدوا إلى غير هذا سبيلا . وفي ص ٤٤ يقول : « وهكذا نرى الاختلاف في عهد الصحابة يرجع إلى هذه الأسباب وأمثالها . ولا يكون إلا حيث لا يجدون نصاً محكما في القرآن أو سنة لا ريب فيها عند الرسول . وفي هذه الحالة يكون الاجتهاد بالرأي والقياس كما يكون الأخذ بالمصالح المرسلة ،

وانظر بعد هذا ما يقوله في ص ١٣٣ في الحديث عن المصالح المرسلة : « ومن ينظر في تشريعات الصحابة والتابعين ومن إليهم من الفقهاء المجتهدين يعرف يقيناً أن هذا الأصل قد روعي في كثير من تلك التشريعات . بل إن من هؤلاء من عمل على تأويل بعض النصوص

أو إهمال القياس رعاية لهذه المصالح المرسلة وتحقيقها ، قصداً إلى المصلحة العامة فيما سئوا من تشريعات .

وقبل هذا في نفس الصفحة يذكر أن من شرط المصالح المرسلة ألا تعارض دليلاً من أدلة الشريعة .

وهنا يحس القارئ بعض الحيرة في الأخذ بالمصالح المرسلة . فهي لا يعمل بها إلا عند فقد الدليل ، وهذا في بعض المواطن من الكتاب . وفي بعض المواطن يؤول النص لأجلها ويهمل القياس . وعادة تأويل النص عبارة مخفية ، قد تشمل إهمال النص ؛ فقد مثل المؤلف في هذا المقام بعمل عمر في الطلاق الثلاث وهو إهمال للدليل لتأويل له ، وبمنحه المؤلفة قلوبهم من الزكاة مع الأمر بذلك في القرآن . وانظر في ذلك ص ١٢٤ .

ويجد القارئ بعض الحيرة أيضاً في حديثه عن قسمة سواد العراق ففي ص ٣٨ يذكر أن عمر امتنع من القسمة استناداً إلى آية الحشر . وفي ص ٨٦ يذكر أنه لم يجد له في ذلك سنداً إلا المصالح المرسلة . ويقرر هذا أيضاً في ص ١٣٤ .

(ب) والذي يجب الأخذ به البتة وعدم الحيدودة عنه تقديم الكتاب والسنة على ما عداهما من القياس والمصالح المرسلة ، ويؤكد هذا يكون لإجماع المسلمين ، وهذا ما قرره المؤلف في أكثر من موطن ، والمهم النزاهة في تطبيق ما يؤثر عن الصحابة وتفسير أعمالهم على هذا الأصل .

وسأخذ في ذكر بعض الفروع التي عرض لها المؤلف وفتاوى الصحابة فيها :

فمسألة قسمة سواد العراق ينبغي أن يحجب عمر فيه النظر إلى المصالح المرسلة ، مع وجود النص ، وللملأه في ذلك أوجه وأنظار ، فهم من حمل ذلك على استطابة عمر أنفس الغانمين فنزلوا عنها باختيارهم ، وبعضهم يرى أن نص الغنيمة محمول على ما إذا أراد الإمام ذلك فإن رأى أن يقسم بطريق القوم كان له ذلك . وقد بسط الكلام في ذلك أبو عبيد في الاموال . وقد حل العلماء على هذا تنزيه عمر أن يقع في مخالفة النص ، وقد كان وقافاً عند كتاب الله وسنة رسوله . ووصيته لأبي موسى معروفة وفيها تقديم الكتاب والسنة على الرأي ، أفكان يوصي غيره بأمر وبخالفه إلى سواء !

ومسألة الطلاق الثلاث إذا وقع بلفظ واحد أوردتها المؤلف في ص ٤٠ وذكر فيها حديث ابن عباس أن الثلاث كانت تعتبر واحدة في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وأبي بكر وصدر عهد عمر . وأن عمر لم يرقه ذلك فأَمْضاه ثلاثاً عقوبة للناس إذا كثروا من الطلاق وتتابعوا فيه .

والفقيه في مثل هذا عليه وزن الأخبار والتدبر فيها ؛ وإلا اختلط عليه الأمر وتداخت الأصول فلا يدري بأياها يأخذ ، ويعيا بالحكم وتفسد عليه السبل . وكذلك مؤرخ الفقه عليه أن ينظر إلى اعتبارات كثيرة ؛ وإلا زل في حكمه وركب من الشطط .

إننا إذا أخذنا بظاهر هذا الأثر كان لذلك من الآثار ما لا ينادى وليده . سنة صريحة جرى عليها العمل في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر وسنتين أو ثلاثاً من عهد عمر ، ويعمد عمر إلى هذه السنة فينقضها ، ويشرح للناس ما لم يأذن به الله ولم يأت به الرسول عليه الصلاة والسلام لمصلحة رأها عمر . وثلاثة الأثاني أن يوافق الصحابة ولا ينكروا عليه هذه المخالفة وهذا المدوان .

إن هذه المسألة أثارها ابن تيمية وابن القيم ولجسا فيها ، وركبا في ذلك ما كان خيراً لهما أن يجنباه . إن الفقيه عليه أن يتروى كثيراً ويقيس الأمور ويرجح عند تعدد الأدلة ، وفي الأصول باب التبادل وال ترجيح ومن المقرر ألا يترك المقطوع به للظنون . ومن المقطوع به ألا يخالف عمر سنة صريحة ، وإذا أخذنا بظاهر حديث ابن عباس كانت مخالفة عمر أي مخالفة . وإذا فلا بد من تأويل الخبر والظن فيه ، وهذا ما فعله العلماء من قبل وعدلوا عن الأخذ به .

إن ابن القيم وابن تيمية غلبت عليهما فكرة في هذا المقام فحشدا لها ما استطاعا من بيان وحجاج ، وأخرجتهما اللجاجة عن الهدوء وعن سنن البحث العلمي .

ففي هذا الموطن من إعلام الموقعين يذكر ابن القيم في رواية حماد بن زيد أن ابن عباس أفنى بوقوع الثلاث واحدة ، وأفنى بوقوع الثلاث . وهو يسوى بين الفتويين عن ابن عباس

وليست سواء . فرواية حماد بن زيد عن سنن أبي داود ^(١) ، وقد زيف أبو داود هذه الرواية وأثبت أن هذا قول عكرمة مولى ابن عباس لا قول ابن عباس ، وأن قول ابن عباس هو وقوع الثلاث .

ويذكر ابن القيم أن وقوع الثلاث واحدة لإجماع قديم فيما ادعاه بعض أهل العلم - لهله شيخه - ولم تجتمع الأمة - وفقه الحمد - على خلافه . ويقول بعد ذلك : « وعلم الصحابة رضي الله عنهم حسن سياسة عمر وتأديبه لرعيته في ذلك فوافقوه على ما ألزم به وصرحوا لمن استغنام بذلك . » ألا تشبه هذه الموافقة الإجماع على خلاف الرأي السائد قبل عمر في زعم ابن القيم .

وتدفع الرغبة والتعصب للرأي ابن تيمية أن ينحل مذهب أحمد هذا القول ، وأحمد ينكره بملء فيه ولا يأخذ به في حين أنه روى خبر ابن عباس في مسنده . ويسأل عن ذلك فيذكر أن ابن عباس كان يفتي بخلافه . ويحنج ابن تيمية أن من أصول مذهبه الأخذ بما يرويه الراوى وإن حمل بخلافه . وعلى ذلك ففتضى هذا الأصم أن يكون مضمون حديث ابن عباس قولاً في مذهب أحمد . وهذا أخذ طريف واحتيال فانظنوا أن أحمد إذا كان هذا من أصل مذهبه أن يكون ذا كراً له ، وأنه اطلع على علة في الحديث توجب طرحه .

ويذكر في هذا المقام حديث ركانة ، ففي بعض الروايات أنه طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فأمره الرسول عليه الصلاة والسلام بمراجعتها . وفي بعض الروايات أنه طلق امرأته مرة واحدة بلفظ (البتة) . والرواية الأولى تشهد لابن تيمية وابن القيم ، والرواية الثانية لا تؤيدهما . ويؤيد أبو داود الخبر الثاني ويرجحه لأنه مروى عن سلسلة من أهل ركانة ، وهم به أعلم ، وفي السلسلة الشافعى رضى الله عنه ، وهو من أهل بيت ركانة ، فأما الخبر الأول فقد رواه ابن جريج ويقول أبو داود عن الخبر الثاني : « وهذا أصح من حديث ابن جريج أن ركانة طلق امرأته ثلاثاً ؛ لأنهم أهل بيته وهم أعلم به » ، وحديث ابن جريج رواه عن بعض بنى أبي رافع عن عكرمة عن ابن عباس ، . وقد روى الخبر الثاني الذى فيه (البتة) الشافعى في الأم ٦/٩٩ ، وبعد هذا يقول ابن تيمية عن الخبر الثاني : إنه رواه قوم مجهولون وضعفه فلان وفلان .

وقد كنت لا أحب أن أطيل الحديث في هذا الموضوع الذي أثير في عهد مضي لولا أن المؤلف عرض له وأورده في معرض يقنع القارىء أن ماجرى عليه المسلمون في دهرهم الطويل من وقوع الثلاث كان مخالفاً للسنة ، وأن عمر ومن لف لفه من جمهور المسلمين اتبعوا المصلحة العامة من تلقاء أنفسهم ، وبذوا ما تعارفه المسلمون من قبل .

(ج) وأورد المؤلف ص ٤٣ مسألة النقاط ضوال الإبل . وحصلها أن النبي ﷺ نهى عن التقاطها حتى إذا جاء عثمان أمر بتعريفها بعد التقاطها وكان عمر يجعلها مؤلفة فتنازع لا يمكنها أحداً في الموطأ ، وحمل النهى عن الالتقاط على الالتقاط للتملك كما حمله بعض الفقهاء . وليس في هذا أخذ بالمصالح المرسلة . بل هو فهم النص وتأول له . وفي الموطأ أن ثابت بن الضحاك التقط بعيراً في زمن عمر فأمره بتعريفه ولم ينكر عليه الالتقاط . وللفقهاء بحث في الحديث . وأنظر الزرقاني على الموطأ ٣ / ٢٢٤ وما بعدها .

(د) وأورد في ص ٤٧ مسألة المسروق إذا بيع . فقد كتب معاوية إلى بعض عماله أن من سرق منه متاع فهو أحق بحيث وجده ، وقد عارض هذا أسيد بن حضير وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغير ذلك ، فأصر معاوية على رأيه . وهذا الخبر رواه المؤلف عن المسائي (ج ٢ / ٢٣٩ طبع الهند) ، وروى المسائي في هذا المقام حديثاً عن حمزة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الرجل أحق بعين ماله إذا وجده ، ويتبع البائع من ياعه . والظن بمعاوية رضى الله عنه أن يكون قد باع هذا الخبر فأخذ به ولم يبلغه خبر أسيد . وكان من الخير ألا يقدم المؤلف لهذا بما يشعر القارىء بالقدح في معاوية وأنه خرج عن سنن السلف الصالح ، وقد كان من جملة الصحابة وكتاب الوحي ، وله اليد في توسيع الفتوح في الإسلام .

(هـ) وأورد في ص ١٣٤ مسألة حرمان عمر المؤلف قلوبهم نصيبهم من الزكاة ، وأنه خالف بذلك القرآن ، وعمر تأول آية الصدقات على معنى أن يكون الصرف في الأصناف الثمانية ولا يجب استيعابهم . وهذا أخذ ببعض الفقهاء .

٧ — في ص ٣٨ في الكلام على امتناع عمر من قسمة السواد ذكر أن عمر استند إلى آية النىء في الحشر ، وذكر المؤلف في الحاشية أن المراد بالنىء هنا الغنيمة . وهذا يعكس

القضية ؛ فإن المعارضين للقسمة كانوا يحتجون بآية الانفال في الغنائم وفيها التقسيم ، وعمر
سرف السواد عن الغنينة إلى النية الذي لا يعطى أربعة أخماسه المغانلة كما يكون الأمر
في الغنينة . والنية ما حصل عليه المسلمون من الخير من غير إيجاف خيل ولا ركاب ،
والغنينة بخلاف ذلك . وفي أموال أبي عبيد ٦٠ في الحديث عن سفيان بن سعيد أنه كان
يقول : « الخيار في أرض العنوة إلى الإمام : إن شاء جعلها غنينة ، وخمس وقسم . وإن شاء
جعلها فينا عاماً للمسلمين ولم يخمس ولم يقسم » .

٨ — ورد في ص ٤١ تفسير القرء وأن ابن مسعود يفسره بالطهر وزيد بن ثابت
بالحيض . والأمر بالعكس .

٩ — في ص ٧٢ يذكر من كتب أبي يوسف اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليل ،
وهذا الكتاب نشر مع الأم للشافعي على أنه من كتب الشافعي ، وفيه تعقيب الشافعي على
آراء الفقهاء ، ويعتمد الشافعي على أبي يوسف في نقل آرائهما . والمفهوم أن الشافعي نقل
ذلك من كتاب اختلاف الأمصار لأبي يوسف الذي ذكره صاحب الفهرست في كتب
أبي يوسف . وقد تبع المؤلف في هذا الشيخ الحضري رحمه الله .

١٠ — في ص ١١٣ يذكر عن ابن حزم أن الزوج المعسر يجب نفقته على زوجته
الغنية ، وأن هذا لا يخالف روح الشريعة . وكيف هذا مع قوله تعالى : « الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

١١ — في ص ٩٩ يذكر عن الشيعة أنهم يرون أن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً
للقادر عليه ؛ كما أنهم يراضون القياس ما دام عتدم أئمتهم الذين لديهم علم الأحكام الشرعية
بطريق الوصية . وكيف يكون الاجتهاد دون قياس ١٩ وفي الحضري ٢٧٦ أن الأحكام
عند الإمامية لا تال بالاجتهاد والرأى ، وإنما تال من قبل الإمام المعصوم .

١٢ — في ص ٧٥ في نسب الإمام الشافعي يذكر عبد المطالب ، وإنما هو المطالب ،
فالشافعي مطالي لا هاشمي .

والكتاب بعد هذا يستحق كل إجلال وعناية ، ويستحق المازف كل حمد وثناء ؟

محمد علي النجار

الرَّاحِلُ عَنْ بَنَاتِهِ

(١) اتجهت فلسفة يكون Bacon بالتفكير الانجليزي نحو الوقائع المحسة ، فتيمة هوبز Hobbes بمذهبه المادى ولوك Locke بنظريته الإحساسية وهيوم بشكه وبنقام بنفهيته ، فكانت كلها جوانب من فلسفة وضعت لتحص الحياة العملية .

ويعد بنقام الممثل الأول لمذهب اللذة في المصور الحديثة ، فهو بالرغم من أنه يعد المؤسس لمذهب المنفعة إلا أنه لم يضع كلمة Utilitarianism بل تكلم عن Universalistic Hedonism أى مذهب اللذة العامة . قال جون ستيوات ميل في رسالته (مذهب المنفعة) إن جميع القائلين بمذهب المنفعة من أبيقور إلى بنقام لم يردوا بالمنفعة شيئاً يخالف اللذة بل أرادوا اللذة نفسها والخلو من الألم ، ولم يقولوا ، إن الشيء النافع يضاد اللذيذاً ما هو من قبيل الحلية والزينة بل قالوا إنه يشملهما ويشمل غيرهما ، ثم تطرق إلى تعريف مذهب المنفعة فقال ، إنه المذهب الذى يتخذ أساس الأخلاق المنفعة أو السعادة الكبرى فهو مذهب يرى أن الاحمال خير بقدر ما تجلب سعادة أكبر وشر بقدر ما تجلب العكس . والمراد بالسعادة هو اللذة والبعد عن الألم .

نستنتج من هذا أن النظرية القائلة ، بأن الاعمال ليست لها قيمة ذاتية ، وإنما قيمتها بقدر ما تحصل من السعادة ، تسمى نظرية المنفعة ، فغيرية الفعل وشريته إنما تكون على أساس قربها من المنفعة أو بعده عنها . فالعلامة بنقام يرى أن الانانية هى مبدأ يصدر منه الإنسان عن أفعاله ، وهو بهذا يقترب من هوبز . ولكن هل يظل الفرد أنانياً بمبدأ عن المجتمع ولا يرى إلا صالحه الشخصى دون صالح الجميع ؟ يلخص بنقام رأيه في ذلك قائلاً إن المقصود هو ، أكبر سعادة لا كبر عدد ، وهكذا أصبحت أخلاق الانانية أخلاقاً سامية على يديه .

وضع بنقام نظريته هذه ثم حاول أن يقربها من المجال العملى فأحصى الخيرات والشرور حتى معتمداً بذلك على قاعدة أسمائها ، الحساب الأخلاقى ، وهى قاعدة يناش كل فرد على أساسها أفعاله ، فبأخذ بالاصالح منها ويترك الفاسد . فقبل أن يبدأ الفرد فى عمل ما يجب أن يسأل

نفسه عن نتائج هذا العمل ، فإذا كانت النتيجة تحقق منفعة فهي حسنة والعكس صحيح ولما كان العمل لا يمد حسناً من كل الوجوه ولا يمد شيئاً من كل الوجوه أيضاً ، فإن من المحتم أن يجمع الفرد النتائج الحسنة والنتائج السيئة ، ثم يطرح السكيتين بعضهما من بعض وينظر في باقي الطرح فإذا كان حسناً كانت نتائج العمل حسنة ، وبذلك يقبل على هذا العمل بلا تردد ، أما إن كانت النتائج سيئة فيجب عليه أن يبتعد عن هذا العمل . ثم إن هناك شرطاً هاماً في تلك العملية هي أن تراعى مصلحة المجموع ، أي الاسترشاد بمبدأ المنفعة والسير على هدها فمن يفعل ذلك يصل حتماً إلى تحقيق منفعته الشخصية ومنفعة عائلته ومنفعة وطنه بل منفعة الإنسانية جمعاء .

فالسؤال الذي يجب أن يوضع دائماً أمام الضمير هو : هل هذا العمل يحقق خيراً أو شراً للعائلة ؟ وإذا كان كذلك فما هو الذي يحققه للوطن ثم للإنسانية ؟ وهذا الحساب الذي يضعه الفرد نصب عينيه ويسير على مقتضاه عندما يشرع في عمل من الأعمال أعطى لنظرية بنتام أهمية كبرى من الناحيتين القانونية والتشريعية ، فالفانون يمجّد العمل الصالح ويعاقب على ما يضر المجتمع . ويخيل إلينا أنه توصل إلى فكرة المنفعة في الأخلاق عندما اكتشف أن المنفعة العامة هي الموضوع الحقيقي الهام لكل تشريع قانوني ، ويقول في ذلك : إن فكرة مبدأ المنفعة هي تيسير الوصول إلى السعادة عن طريق العقل والقانون .

ويضع بنتام أصلاً من أصول التشريع وهو العمل على إدخال الفضيلة ضمن فعل الضمير بدلاً من فرضها بالقوة ، ووجوب أن يكون النهي والعتاب على الشيء الذي يضر بمصلحة المجموع لا على الشيء الضار في ذاته .

ويرى بنتام أن الفعل السيئ يجب أن يحكم عليه بأحكام مختلفة بالنسبة إلى من ارتكبه . فيجب مراعاة ما إذا كان مرتكب الفعل مالكا لكل قواه العقلية ، شاعرا بكل ما حوله أم لا ؟ وما إذا كانت عنده نية لإصرار على ارتكاب هذا الفعل أم أن ارتكابه كان من قبيل الصدفة ؟ وإذا كانت النية متوفرة فما هو مبلغ قوتها ؟ لا بد من مراعاة هذه الاعتبارات ووضعها في الحساب ، فلا يصح أن يعاقب رجلان أحدهما قوى العقل والآخر مجنون ، حين ارتكابهما للذنب واحد ، بعقاب واحد .

وهذه النظرية صحيحة من الوجهة العملية وإن لم ترتكز على أساس فلسفي متين من

الوجهة الاخلاقية ، وترجع صحتها - عملياً - إلى الأساس الذي يتخذه كل فرد في سلوكه ويسير على مقتضاه وهو : أعظم قسط من السعادة لا أكبر عدد يمكن من الناس ، ، فإن من يتخذ هذا الشعار الجليل أسلوباً له في الحياة ، لا يمكن إلا أن يكون خيراً ، إذ هو سيتحرى الدقة في بحثه واستقصائه عن آثار الفسل الذي سيفعله ، فإن أخطأ في التقدير فإن ذلك سيكون من باب الخطأ غير المقصود الذي لا يعاقب عليه .

٢ - ولا شك في عظمة مبدأ بئنام : أكبر قسط في من السعادة لا أكبر عدد يمكن من الناس ، ولكن هل أى أساس يعتمد هذا المبدأ حتى يكون شعاراً للأخلاق ؟ يعتمد على الواجب أم يعتمد على الانانية ؟ .

بالغ بعض المفكرين حين قالوا إن مذهب بئنام يتضمن - من ناحية التطبيق - أن كل فرد يفعل واجبه بحيث لا يتعارض مع الآخرين ، وحين رأوا أن هذا المذهب ينتهى بالتوافق مع مذهب الواجب .

فذهب بئنام يعتمد على الانانية ، إلا أنه حور نظرية المنفعة الشخصية وجعلها تنتهى بنظرية المدفعة العامة ، مع انتفاء العلاقة المنطقية بين القول بمبدأ السلوك وفن المنفعة أى : املك واعمل لمنفعتك ، وبين قول : اعمل وفق الواجب لمنفعة الجميع ، . وكل ما هناك هو تلاعب لفظي ، فنحن لانعرف كيف ولماذا نبدأ بالمنفعة الشخصية وتنتهى بالمنفعة العامة . ألا نستطيع القول - تبعاً لهذا - أن بئنام قد غير طريقه بلا شعور ، وأن من أخلص لمذهب هوبز واستقى منه أساس مذهب يكون متناقضاً مع نفسه حين يهتم بالمنفعة العامة ، فهذا لا تتفق والانانية ، زد على ذلك أنها أقل وضوحاً من المنفعة الخاصة .

ومن الطريف أن نذكر قد سبسر لهذه النظرية ، هذا النقد الذي وضعه في حوار صغير بين بئنامي وأخلاق وهو :

الأخلاق : أنتقد أن مبدأكم : أعظم قسط من السعادة لا أكبر عدد من الناس ، مبدأ حسن ؟ البئنامي : نعم .

الأخلاق : إذا رأى تسعة وتسعون شخصاً خيراً في عمل معين ، ورأى مائة شخص شراً في ذلك العمل . ألا يكون هذا العمل شراً حسب مذهبكم ؟

البئنامي : يقينا .

الأخلاق : وسبب هذا هو زيادة شخص في المجموعة الثانية عنه في الأولى .

البئثامى : قطعاً :

الأخلاق : أنتم إذن تفرضون المساواة بين الأشخاص بدليل ترجيحكم الكفة الثانية ؟

البئثامى : نعم .

الأخلاق : وكيف عرفتم ذلك والناس مختلفون أشد الاختلاف في ثرواتهم وقواهم

وذكائهم وشجاعتهم ... الخ .

البئثامى : ولكنى متأكد من تلك المساواة وأشعر بها .

الأخلاق : إنى لا أطلب زيادة عن ذلك . إنكم قررتم كبداً مساواة قيم الأشخاص وأنتم

بذلك تلاميذ مخلصون لكانت Kant ، وتدهشنى رقة تعاليمكم وسموها في حين

أنكم فيما تعتقدونه نافماً مخلصون لهوبز ، فكفوا إذن عن هذا الضلال .

سعيد زايير

ولاية الاسلام معلون

خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في موسم الحج فقال :

« إنى واقع ما أبعث إليكم عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى

أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم ، وستة نبيكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إل ، فوالذى نفسى

بيده لأقصنه منه . »

أحمد بن حنبل

١٦٤ - ٢٤١

نشأه - صفاته - منزله

لقد كتب كثير من الكتّاب في هذا الإمام العظيم فأكثرُوا ، وجدير بمثل هذا الإمام أن يكثر الكتّابون فيه ، وأن يكتبوا بإسهاب . وجدير بمثله أن يقرأ القارئون عنه ، وأن يقرأوا باستيعاب . لكثرة نواحيه الطيبة وما خلف من ذكريات خصبة . وأساساً حسنة كريمة .

وأما أنا فلا أعد وسبيل عند الكتابة عن هؤلاء الأعلام من لمس مواضع العبرة استثير بها ما في نفوس كريمة من اعتبار وعظة ، وفي ذلك العون على الخير والرشاد المنشود على أن ثم مناسبة خاصة تحسن لها الكتابة عن هذا الإمام العظيم فقد كتبت بالعدد قبل هذا من مجلة الأزهر الفراء في إمام مثله يشبهه في عظيم القدر ، كان من الربانيين في العلم ، الموصوفين بالحفظ ، المذكورين بالزهد ، وكان الناس يحبونه ويحفظون به . ويقدمونه على الملوك كما قلت عنه .

وهذه الصفات في الإمام أحمد بصورة أقوى وأظهر . على أن ما منحه الله ابن المبارك من سخاء فياض شكر الله على نعمة الثراء ، عوض الله عنه هذا الفقير الزاهد صبراً على الشدة والآواء . في ساعة يفجر فيها التقى ، ويضل فيها المؤمن القوى . وقد أيد قتيبة هذا الشبه القوى بين الإمامين في قوله خير زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب يريد الإمام أحمد . ذلك ابن حنبل عاصر ابن المبارك في بعض الزمن فابن المبارك عباسي ولد سنة ١١٨ وتوفي سنة ١٨١ هـ وأحمد عباسي ولد سنة ١٦٤ وتوفي سنة ٢٤١ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل من سلالة عربية ، والده محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ينتهي إلى بني مازن بن ذهل بن شيان ، ومن الناس من يقول شيان بن ذهل وهو خلاف لا يعني كثيراً وإنما يعني أنه عربي نزارى .

وقد قدمت به أمة بغداد وهي حامل به فولدته سنة ١٦٤ . ونشأ ببغداد يقياً فقد فارقه والده طفلاً . ولكن عيناه رعته وتولته . فصار يطلب العلم ، والحديث من شيوخ بغداد . ويترحل بين الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة فيكتب عن علماء ذلك العصر . وأهل القارىء الكريم يعلم ما كان من إقبال على العلم في عهد أحمد التي تبتدىء في طلب العلم من عهد الرشيد وتنتهى بعصر المتوكل .

نشأ أحمد يطلب العلم في ذلك العهد الذهبي للعلوم الإسلامية وهو حافظ ذكي ومهذب موفور . وقد أثر بجهده ووكده دراسة السنة النبوية فسمع من أعلامها أمثال حماد بن خالد الحياط ^(١) ومنصور بن سلمة الخزازي ^(٢) والمظفر بن مدرك الخراساني ^(٣) وعثمان بن عمر ابن فارس ^(٤) وهاشم الكنتاني ^(٥) ومحمد بن إدريس الشافعي الإمام المعروف وغيرهم من أئمة الحديث والفقهاء ذكر مهم البغدادى ثلاثة وثلاثين شيخاً ثم قال وخلق سوى هؤلاء يطول ذكرهم ويشق إحصاؤهم . ثم ذكر من حدث عن أحمد فذكر جماعة منهم بعض شيوخ الإمام ومنهم غيرهم كالبخارى ومسلم وأبي داود . والبخارى . وقد بلغ الإمام من منازل الرضا في نفوس الناس على اختلاف صنوفهم وفرقهم ونحلها (هذا المعتزلة منذ عهد المسامون) منزلة ليس فوقها إلا منزلة الأنبياء حتى زعم بعضهم أنه كان لا يمد من البشر وإنما يمد من الملائكة .

وشهد أهل العلم من المنافقين أنفسهم للإمام وأخذ عنه بعض شيوخه كما ذكرت لك . فحذا أثر من شهادة الرجال له ما نقله البغدادى والذهبي وغيرهم وإليك طرفاً من ذلك .

(١) من تلاميذ الإمام مالك . كان محدثاً جليلاً وإماماً في السنة .

(٢) من تلاميذ مالك أيضاً كان من أئمة الناس بالإمام وبالرجال سنة ٢٠٩ .

(٣) من أئمة الحديث للزائفة بخراسان سنة ٢٠٧ .

(٤) من محدثي البصرة قدم ببغداد فحدث بها عن مالك أيضاً . وكان أحداً أحدثه يقول رجل صالح ثقة .

(٥) من أئمة الحديث ببغداد . كان أحمد يعجب به وأهل بغداد أو يغفرون بطله ودينه سنة ٢٠٧ .

قال إبراهيم الحربي (١) سعيد بن المسيب في زمانه وسفيان الثوري في زمانه وأحمد ابن حنبل في زمانه . ونقلت عن قتيبة أقوال كثيرة في الإمام . قوله لولا الثوري لمات الورع ولولا ابن حنبل لأحدثوا في الدين . وقوله : إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة . وقوله خير زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب . وقوله أحمد ابن حنبل إمام الدنيا ولو أنه أدرك عصر الثوري والأوزاعي ومالك والليث لكان هو المقدم . وقال الطرخا باني : أحمد بن حنبل عنة يعرف به المسلم من الزنديق . وأنشد فيه ابن عيين :

أضحي ابن حنبل عنة مأوته ويحب أحمد يعرف المتنك
وإذا رأيت لأحمد متقصاً فاعلم بأن ستوره ستهك

وكان الهيثم بن جميل يقول : إن عاش هذا الفتي سيكون حجة على أهل زمانه . وقالوا لئله حرز من صلى على جنازته فكانوا ثمانمائة ألف من الرجال وستين ألف امرأة .

وزعموا أنه أسلم يوم موته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى وأن هذه الأصناف شاركت المسلمين في التوح عليه وهذا شيء قد لا يخلو من المبالغة ولكنه يلقى ضوءاً على هذا الإمام وما كان له من كثرة المريدين والاتباع . وأن العقيدة فيه باقت مبلغاً عظيماً . وقد عرف في التاريخ ما كان للحنابلة بعد ذلك من خطر وقوة وكثرة أتباع في بغداد بما يؤيد منزلة الإمام في ذاتها . وبدل على طهر سيرته وقديسية عياله ومماته . وحسبك من رجل لم يتزوج إلا بعد الأربعين لإنقطاعاً للعلم وإقبالاً على العبادة . وحسبك ما أشهر من شهادة الإمام الشافعي له . وأخذ عنه في كتاب الأم ما يذكره بقوله (أخبرنا الثقة) . وأنه قال خرجت من بغداد فسا خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أتق من أحمد . وأنه (الشافعي) قال : رأيت ببغداد شاباً إذا قال حدثنا قال الناس كلهم صدق .

فلعل في أمثال هذه الشهادات الثابتة عن الإمام وغيره ما يلقى ضوءاً على منزلة أحمد وما أمده الله سبحانه به من توفيق ونجح . على أن للذهبي نقولاً أخرى قد ينظر إليها بعض الناظرين بمنظار من التحفظ لولا أنه إمام عظيم موثق ولولا أن سيرة الإمام العامة تصدق

(١) كان إماماً في العلم ورأساً في الزهد عارفاً بالفتنة والأحكام اتفق على الحبيب أموالاً طائلة وكان يقال لم يخرج من بغداد مثله سنة ١٨٥ .

جملة هذه الاخبار . فهو ينقل أن الإمام كان مورداً عذبا للناس على اختلافهم ينتجعون ساحته للدعاء والتبرك ، استوى في ذلك المسلم والمسيحي .

وأنه كان — مع هذا كله — يؤثر العزلة عن الناس جميعاً ويبالغ في إخفاء نفسه ولا سيما عن الحكام والملوك ، ويؤثر عنه في ذلك كتابه إلى بعض العلماء :

« أما بعد فإن الدنيا داء . والسلطان داء . والعالم طيب . فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره والسلام عليك . »

وأنه كان يقول : لو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر . أريد أن أكون في بعض الشعاب في مكة حتى لا أعرف قد بليت بالشهرة حتى أني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً ، ويظهر أنه ترك الحديث في آخر حياته ليقاوم الشهرة ، وليدفع ببض هذه المنزلة . كما يدل على ذلك ما نقل عنه : ما جاني الفرج إلا منذ حلفت أني لا أحدث ولتينا نترك .

وبعد فيظهر من كل ذلك ومن سائر أخبار هذا الإمام العظيم إن الله سبحانه كتب له من التوفيق والسعادة برضا الله والناس حظاً قل أن يتفق لأحد سواه . ذلك أنه كان خيراً محضاً ونصحاً لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم وزهداً وإعراضاً عن الدنيا وما فيها من مال وجاه وسمعة . وحسبك أنه اتخذ الرسول إمامه في كل شيء وأنه أخذ نفسه أن يعمل بكل حديث عرفه : حتى كان يقوم الليل دهره ويصل بالليل كذا وكذا ركعة . وتأتبه الأموال من كل جانب فلا يقبل منها شيئاً . ويؤثر على ذلك أن ينسج التسكك ويبيعها .

وبلغ من مبايعته للبي ﷺ أنه قال : مر بي أن رسول الله ﷺ احتجم وأعطى أباطية ديناراً فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت . ثم إنه بمن في آخر حياته محنة زادت منزلته قبولاً ورضاً عند الله وعند الناس ، حتى كانت الآلاف المؤلفة تحف به في سجنه بما أخاف منه الظلمة أن يحدثوا به ما أحدثوا بغيره من قتل : وحديث المحنة طريل نفرد له مقالا آخر مع بيان طريق الإمام ومسلكه في أصول الدين وفروعه إن شاء الله وبالله التوفيق .

تاريخ الكتابة

افتتح في مصر بالهيدروغليفية وينتهي إليها بالعربية ١١

لقد تقدم العالم في الحقبة التي نحن فيها تقدماً عظيماً ، حتى أننا لنقول ، لو أن أجدادنا بعثوا وشاهدوا ما نحن فيه اليوم ، من هذه الأمور الميسرة لنا لدهشوا ، فنحن اليوم ، نستطيع أن نسمع المتكلم في أى بقعة من بقاع الأرض ، مهما بعدت عنا ، وفي نفس اللحظة التي يتكلم فيها ، ونستطيع أن نشاهد المتكلم أو الخطيب ، ولكن على أبعاد محددة ، وسوف لا يمضى وقت طويل ، حتى يتيسر لكل منزل ، وضع آلة ، يستطيع صاحبه إذا حركها ، أن يرى الذى يقرع بابه بإشعاع خاص ، وأن ترى ربة المنزل مطبخها وطفلها ، وهى جالسة مع زوارها في غرفة الاستقبال . وأما التنقلات السريعة فحسبنا أننا صرنا نسبق الصوت ١١

هذه خطوات بل ونبات مدهشة ، في تقدم العلوم والفنون ، ومع ذلك فأنتى أرى أن أجدادنا بدورهم قد خدموا الإنسانية والعلم ، خدمات تشكر لكم ، بل إن خدماتهم تلك ، هى التي كانت من أسباب تقدم العالم وحفظ تراثه . وأردنا ، أن أذكر خدمة من تلك الخدمات ، ولتكن الكتابة ، فإن الكتابة التي جعلتني أستطيع أن أحاطبك بها أيها القارىء الكريم ، وأستطيع أن أتابع بقراءتها تاريخ العالم وحوادثه ومعرفة ما يستجد فيه كل يوم ، بل كل ساعة ووقت ، وليست هذه الخدمة بالشيء اليسير ، بل إننا نعتبرها من أعظم المائن التي تيسر لأجدادنا تقديمها إلينا .

ويكاد يجمع المؤرخون للعلوم والفنون ، على أن أول من كتب أو وضع حروف الكتابة ، هم المصريون ، ولكن كتابتهم كانت تصويرية ، وكانت أدواتها وحروفها من الكثرة بحيث يتعذر على الإنسان حصرها واستخدامها ، وهذا ما جعل الفيينيين يبرزون إلى الميدان بحروفهم الصوتية التي حصرها في ٢٢ صوتاً ورسموها مثلها من الحروف .

قال الأستاذ نوفل بن نعمة الله نوفل الطرابلسي في كتابه « زبدة الصحائف في سياحة
الماورف ، المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٩ في الصحيفتين ٣٩ و ٤٠ : —

« وزاد مجد الفينيقيين أيضاً ، باختراع حروف الهجاء ، عند ما كان المصريون يصورون
صورة الاشياء ، أرى صناعتهن لها علامات ، فاستنبطوا الطريق الأسهل الدارجة ،
وجعلوا علامة لكل صوت أصل ، تسمى حروفاً . وحروفهم هذه صارت منشأ للحروف
الأجنبية فإن اليونانيين أخذوا حروفهم منها ، ومن حروف اليونانيين استخرج اللاتينيون
حروفهم التي هي حروف أهل أوروبا الآن . ولأنه ليوجد خلاف كلي بين المؤلفين على ذلك
فبعضهم ينسبه إلى ممنون المصري سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، وفي تاريخ الصين ، أن فوهي
مؤسس ملكيتهم سنة ٢٦٥٠ قبل الميلاد ، علم الأهل الكتابة . ولعل تلك الكتابة ، هي
الهيرغليفية عند المصريين ، وما مائلها عند الصينيين ، غير أن المعلم الحق نيتون قال
إن الكتابة الأبجدية ، هي من اختراع الآدوميين ، وأكد غيره بأنها من اختراع الفينيقيين ،
وقال بعض المؤرخين إن قدموس السوري ، الذي بنى مدينة طيوس في بلاد اليونان سنة
١٥٥٠ ق . م ، هو الذي علمهم الكتابة بهذه الحروف ، وقال آخرون إن دخول الكتابة
إلى بلاد اليونان كان في ٧٥٤ ق . م ، وأما استعمالها في مصر فقد كان في سنة ٢٦٠ ق . م .
وقال الأستاذ أحمد مجيب مفتش وأمين عموم الآثار المصرية ، في كتابه « الآثار الجليل ،
لقدماء وادى النيل ، المطبوع في المطبعة الأميرية سنة ١٣١١ هـ .

« وقد اتفق متأخرو الإفرنج ، على أن المصريين ، هم أول من خط بالقلم ، حيث كانت
جميع الأمم غارقة في بحر الجهالة ، هائمة في أودية الخشونة ، ولم يكن لسوريا ولا لغيرها
من البلاد إمام يذكر ، ولا خبر يؤثر ، وبقي القلم محصوراً في مصر ، مستعملاً بين الكهنة ،
إلى آخر العائلة الرابعة عشرة ، أي إلى زمن إبراهيم عليه السلام ، وقد قالت الكهنة إنهم
تعلموه من هرمس ، أي إدريس عليه السلام ، وهو مطابق للحديث الشريف (الذي نقله
حضرتة عن كتاب العقد الفريد ، وهو أن إدريس أول من خط بالقلم بعد آدم) . وبق
المصريون منفردين بمعرفة مدة ألف وثمانمائة سنة ، أعني إلى مدة إغارة الرعاة عليها ، وكانوا
أخلاقاً من هجم الناس ، فتعلموا الكتابة ، واختارت طائفة منهم الأحرف الأبجدية ،

فأخذوها من القلم الدارج المصرى ، وتركوا جميع صور المقاطع الصوتية لصعوبتها فى الرسم ولما أجلام المصريون عن بلادهم ، سكنوا بلاد فينيقيا فعملوها لمن كان فيها قبلهم ، بعد ما فقهوها على حسب ما تقتضيه لغتهم .

والدليل على ذلك ، شدة المشابهة بين القلم الدارج المصرى ، والقلم الفينيقي أو السورى القديم . واشتق منها الخط التدمرى ثم العبرى ، ولما كان السوريون أو الصياديون أصحاب تجارة واسعة ، احتاجوا لاستخدام عمال من كل جنس ، فعملوها لهمهم ، ونشروها فى جميع الآفاق ، ونقحتها كل أمة حسب ما تتطلبه لغتها ، فانتشرت فى بلاد الهند والمغول وفرنسا وأسبانيا . وهذا هو المعتمد ، لعدم وجود خط قديم فى غير مصر قبل دخول العمالة إليها .

وعما لا شك فيه ، أن الأستاذ أحمد نجيب ، يشكر على اعتداده بمصر وأثرها ، وفضل كتابتها على العالم كله ، ولكن المجمع عليه هو أن الفينيقين ، هم الذين تعلموا من مصر ، ونقلوا عنهم إلى أطراف العالم ، ولقد نفعتهم تلك الكتابة فى تجارتهم الواسعة ، ونقلاتهم العظيمة ، حتى لقد قال عنهم السنيور جويدي ، أول أستاذ للجامعة المصرية عند ما كانت شعبية فى (أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب) قال عنهم : —

« ولما منعهم الجبال من توسيع مملكتهم فى البر ، ركبوا البحر ، وقطعوا التجارة ، وانتشروا فى الجزائر والبلاد القريبة والبعيدة ، وكاوا فى القديم ، مثل الانجليز فى أيامنا هذه ، وكانت لغتهم تشبه لغة اليهود والعرب » . إلى أن قال : « ومن هذه الأحرف الفينيقية القديمة ، اشتقت أحرف اليونان والرومان وسائر أمم أوروبا . فأصل الحروف كلها من الأحرف الفينيقية . واتخذ من هذه الأحرف العبرانيون المأخرون ، وألفوا منها القلم المستعمل إلى الآن فى كتب اليهود ، ومنه كذلك قلم النبط وقلم العرب القديم » .

وأما الكتابة العربية ، فقد قال الإمام طائسكبرى فى بيان أول اللغات ، وبيان أول من وضع الخط العربى ، قال السهيل فى التعريف والأعلام ، والأوضح ما رويناه من طريق أبى عمرو بن عبد البر ، يرفعه إلى النبى ﷺ قال : « أول من كتب بالعربية إسماعيل عليه السلام » . وقيل لابن عباس أين تعلمت الهجاء والكتاب والشكل ؟ قال علناه حرب بن أمية وكان قد تعلم من أهل الحيرة ونقله إلى قومه .

وأرل من كتب بالعربية البتانيون قوم هود عليه السلام ، وكان خطهم يسمى الخط المسند . وكانوا يكتبون حروفهم منفصلة ، وكانوا يضمنون على الناس بتعليمهم ذلك الخط الحميري ، حتى إذا ما تعلمه ثلاثة من قبيلة طيمه وغيروا فيه ثم علموه لأهل الأنبار وسمى ذلك الخط بالجزم . عند ذلك انتشر الخط الجزم بأن أخذه عنهم أهل الحيرة . وأخذ حرب بن أمية خطهم لما زار الحيرة ونقله إلى الحجاز فعلمه لأهلها كما ذكره ابن عباس فيما تقدم . وقال المؤرخون ، إن أهل الحجاز أخذوا الكتابة من الحيرة وأخذها أهل الحيرة من التباينة والحميرين . وأكد ذلك فيلسوف التاريخ العربي ابن خلدون حيث قال .

« وكان الخط العربي بالفا مباهة من الاتفاق والإحكام والجودة في دولة التباينة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر فسباه التباينة والمجددين لملك العرب بأرض العراق » .

ومعلوم أن النبي ﷺ استخدم كتابا لكتابة القرآن ، لما كان ينزل عليه الوحي ، ولكتابة رسائله إلى أمراء النواحي الذين دعاهم إلى الإسلام ، وحفظت بعض صور كتابات كتابه حتى اليوم والحمد لله .

واقده جعل صلى الله عليه وسلم من جملة فداء الأسرى ، بعد غزوة بدر تعليم أطفال المسلمين الكتابة ، فكل أسير يعلم عشرة أطفال الكتابة يكون ذلك فداء له من أسره .

وبعد ذلك أنشأ سيدنا عمر بن الخطاب ديوان الخراج والحيش في العراق والشام ، ولكن كتابه كانوا يكتبون بالفارسية إلى زمن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد عند ما كثر كتاب العربية وحسابهم ، وأول من نقل ديوان العراق إلى العربية هو صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج بن يوسف وكان بارعا بالعربية والفارسية .

ونقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية سليمان بن سعد والي الأردن ، ووقف عليه كاتب عبد الملك ، ونقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ هـ وعند ذلك صارت دواوين المسلمين كلها تكتب بالعربية .

وأول كتاب كتب بالعربية هو المصحف الشريف أو المصحف العثماني أو المصحف الإمام ، وهو الذي كتب بإيعاز من الإمام عثمان وأرسل إلى عواصم الإسلام كلها توحيداً للقراءة والرواية ، وكانت كتابته بالخط الجزم وقد سمي ذلك الخط بعد ذلك بالخط الكوفي بعد ما فتحت الكوفة . واستعمل ذلك الخط في عهد بني أمية ولكنه رقى بقدر ما وسعته حضارة بني أمية .

ومعلوم أن المصحف العثماني كتب من غير لفظ ولا شكل ، حتى إذا ما جاء أبو الأسود الدؤلي في عهد معاوية وضع للمصحف علامات الإعراب ورقها وجعل لها لوما غير لون الكتابة ، ثم تابعت المحسنات الكتانية على اللغة العربية على أيدي الخليل بن أحمد .

وفي عهد السباسيين ظهرت محسنات الخط وظهر خط الثلث والثخين والنصف ، وفي عهد ابن مقله ظهر الخط النسخ الذي تستعمله الكتب والمصحف حتى اليوم . ولقد توفي ابن مقله سنة ٣٢٨ وقال بعضهم إنه لم يخرج خط النسخ وإنما جوده رحمة الله .

وجاء بعد ابن مقله أبو الحسن علي بن دلال الكاتب المشهور فزاد الخط تحسيناً وتجويداً وقد توفي سنة ٤٢٣ هـ .

ثم جاء بعد ابن دلال ، عهد الترك ، حيث قبضوا على زمام الخلافة الإسلامية ، وكان لهم فضل تجويد الخط وطبع المصاحف المتقنة ، وهي لا تزال تتعاقب بفضلهم حتى اليوم ، ولكن مصر ، تولت بعد زوال خلافة آل عثمان ، زمام الزعامة العربية والإسلامية ، وتولت طبع المصاحف المتقنة فصارت هي موضع الثقة في العالم الإسلامي والعربي ، حتى أن الحجاز لما طبعت مصحفها في سنة ١٣٦٩ هـ وسمته ، مصحف مكة المكرمة ، لم تشأ أن تخرجه ، إلا بعد أن ختمته بقولها : إن الشيخ علي محمد الضياع شيخ القراء والمقاريء أشرف على تصحيحه وختمه بختمه .

وفي مصر اليوم من الخطاطين من يشار إليهم بالبيان أمثال الاساتذة حسني وسيد إبراهيم . وهواويني . وعلى ذلك تكون الكتابة بدأت بمصر في العصور الخوالي وختمت بمصر في عصرنا هذا ، وهو فضل من الله على كتابته ؟

محيي الدين رضا

تأويل الخوارق في القرآن

أذاعت محطة الإذاعة المصرية حديثاً دينياً لأحد أصحاب الفضيلة العلماء في الكلام على قول الله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال الله لهم موتوا ثم أحيام) الآية . ذهب فيه صاحب الحديث إلى أن موتهم وحياتهم مجازي يراد بهما الذل والحرية ، أو الاستعباد والاستقلال أو نحو هذا .

والذين قرأوا القرآن من حين نزوله إلى الآن يهتمون الفصة على الحقيقة وهي الأصل وعلى من يعدل عنها إلى المجاز أن يأتي بالقرينة الصارقة عن الحقيقة إلى المجاز . فإذا كان مع الأستاذ المحدث قرينة غير الاستبعاد المتسرب عن مادية الغرب القائلة بأن العالم آلة ميكانيكية تسير بسنن طبيعية لا يمكن تخلفها ولا دخل لإرادة فاعل مختار فيها وصرح فيلسوفهم غروستاف لوبون في كتابه (المعتقدات) بقوله : أننا لو آمننا بالخوارق والمعجزات لرجعنا إلى زمن الخرافات ، وإن تسلسل الأسباب والمسببات ينتج نفي فاعل مختار خلق العالم ، إلى آخر هذا الهذيان . وغفل عما لا يخلو منه العالم من الخوارق ، والذين استحيوا من مكابرة إنكارها سموها شواذ الطبيعة ، والمؤمنون برب العالم زادتهم إيماناً بإرادته واختياره وحكمته .

ولست في مقام البيان عن بهت المادية وإدحاضها فقد تولى ذلك أكابر عقلاء هذا القرن مثل جنر الاسكيزي في كتابه (الكون القامض) . وإنما الذي يعنينا وأدعوا الله مخلصاً أن ينقذ تفكيرنا ويطهره من أوساخ الفلسفة المادية وفضلات الافكار الدهرية ومخلفات القرن التاسع عشر في محادة الدين والأفنياء ومعجزاتهم وما جاءت به كتب السماء وانفقت عليها الأديان السماوية .

لعل المحدث الفاضل عند ما يقرأ سورة البقرة التي تحدثت عن قصة من قصصها يرى فيها عدة قصص تشير إلى إحياء الله تعالى للوحي ردأ على المستعبدین لذلك :

(١) من ذلك قصة البقرة التي أمر بنو إسرائيل بذبحها وضرب قتلهم يبعثها ليحييا فأحياء الله تعالى وسميت السورة سورة البقرة .

(٢) قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه الخ .

(٣) ومنها طلب الخليل من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى فأمره الله بأخذ أربعة من الطير وأن يقطعن ويحمل على كل جبل فمنهن جزءاً ثم يدعوهم ، ففعل فأتيته سمياً وحلم أن الله عزيز حكيم .

وقصة إحياء عيسى بن مريم للموتى يؤمن بها المؤمنون كما ذكر القرآن عنه ، بله عصا موسى التي تنحول من حين إلى آخر حية تسمى إلى غير ذلك مما جاءت به كتب الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم .

وأخيراً فإما إيمان بالله ورسوله وكتبه وما جاء فيها من خوارق ومعجزات ، وذلك هو الكفر بمبادئ القرن التاسع عشر ودهريته وإلحاده وزندقته وسخافاته .

ولما تقليد أعمى لتلك المادية المظلمة الظالمة الفاجرة ، وذلك هو الخروج على دين الله وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، فليس لك العاقل أى التجدد شاء ، والسلام على من أتبع الهدى وصدق المرسلين .

محمد عبد الرزاق صحره

من كلمات الصديق خليفة رسول الله

- العجز عن درك الإدراك إدراك .
- انظر ما تقول ، ومتى تقول .
- إن عليك من الله عيوناً تراك .
- أهدم الكفر بعضه ببعض .

مكتبات الاستطلاع في سرية عبد الله بن جحش

تحدثت عن محمد رسول الله ﷺ قائد جيش الإسلام ، وسأتناول أول تجربة لهذا القائد العظيم في مقدمات الحرب وسرى أنه اجتازها على خير ما ينتظر من القائد العبقري . كانت هذه التجربة في سرية عبد الله بن جحش في السنة الثانية للهجرة ، ولم تكن هذه التجربة إلا عملاً من أعمال الاستطلاع كما يسميه العسكريون ، وهو يهدف إلى جمع كافة المعلومات عن العدو قبل قتاله ، فإن العدو المجهول كالمدو المستتر بأسوار الحصون ، في حى من الجهل به قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية في الوقت الضروري ، ويحول من ثم دون الانتصار عليه .

واند حدثنا التاريخ عن قادة فشلوا لأنهم أهملوا الاستطلاع ، أو لم يعنوا به ، وترقت على ذلك خسائر فادحة في الأرواح ، وخير دروس التاريخ الى يحدثنا بها في هذا الباب درس واحد وقع فيه قائدان عظيمان هما نابليون وهتلر ، فكلهما هجم بجيوشه على روسيا ثم أخفق . أخفق نابليون لأنه لم يستطلع أحوال روسيا جيداً فكان يعتقد أن القيصر سيطلب الصلح بعد أسابيع من هجومه عليه ، فأودى به الواقع إلى هزيمة منكرة ، وكذلك لأنه لم يعن باستطلاع حالة روسيا الجوية قبل الهجوم عليها ، فكان الشتاء القارس من أهم عوامل هزيمته . . كذلك أخفق هتلر ، لأنه أخطأ في استطلاع أخبار روسيا السياسية ، إذ كان يظن أن الشعب الروسي يتحفز للثورة ، ويترقب الإغارة عليه ليتخلص من حكمه .

ومحمد عليه الصلاة والسلام لم يتعلم من علوم الحرب وأنظمة الجيوش ما تعلمه نابليون وهتلر ، ولكنه لم يقع فيما وقعاه ، فكان علياً بزمياً الاستطلاع معنياً به غاية العناية ، فقد رأى أنه لا بد مقاتل قريشاً في يوم قريب ، وأراد أن يستطلع أحوالهم قبل أن يلتقي بهم في أولى معارك الإسلام وهي غزوة بدر ، ولقد كانت أخبار التجارة والمال أهم ما يستطلع في ذلك الحين ، فقد كان المال — وما زال — عماد القوة في كل شيء ، وقد عرفه قادة الحروب الحديثة بأنه عصب الحرب ، إيماناً منهم بالدور الكبير الذي يقوم به في بناء القوة العسكرية .

ولقد فطن الرسول ﷺ إلى ما فطن له العسكريون بعده بثلاثة عشر قرناً .

والاستطلاع كما ذكرنا محله قبل المعركة ، وقد قام به قائد جيش الإسلام على خير ما يكون الاستطلاع ، وطبقاً لأحدث النظم الحربية التي يدرسها العسكريون في العالم أجمع .

ففي شهر رجب من السنة الثمانية للهجرة ، وقبل غزوة بدر بشهرين ، بعث الرسول عبد الله بن جحش ومعه جماعة من المهاجرين لاستطلاع أخبار قافلة قريش ، ودفع إليه كتاباً أمره ألا ينظر فيه إلا بعد أن يسير يومين ، وكان مضمونه : « سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركته ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامض فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها غير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » .

ومعنى هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر قائده أن يأخذ هذه الرسالة ، وألا يفتحها إلا بعد أن يسير يومين ، ويأمره ألا يكره أحداً على الخروج معه ، وأن يصطحب من يرغب في ذلك ، حتى إذا بلغ بطن نخلة وقف يترصد قافلة قريش ليجمع المعلومات عنها من حيث عدد رجالها وجمالها وصولتها .

وإذا نحن عرضنا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم على مسرح البحث والتحليل ، لاحظنا أنه عليه الصلاة والسلام قد وضع عدة مبادئ هامة لا يزال يعمل بها في الحرب الحديثة . وهذه المبادئ هي : —

أولاً : كتمان الخبر . والمحافظة على سرية :

وقد اتفق الرسول لذلك وسيلة بارعة ، وهي أمره لعبد الله بن جحش ألا يفض الرسالة ويظهر فيها إلا بعد أن يسير يومين ، أي حين يكون قد بعد عن المدينة وعن أهلها ، ليضمن ألا يتسرب النبأ . وأمثلة ذلك في التاريخ البعيد والقريب كثيرة ، فإن كثيراً من قواد الجيوش والحملات المرسلة للغزو ، كانوا يخفون أسرار حملتهم عن جميع مرؤوسهم ، إلا عن هيتهم الخاصة القليلة العدد ، وهي هيئة أركان الحرب التي تقتضى ضرورة وضع الخطط وترتيب العمليات أن يكونوا على علم بها . وقد تصدر إلى قواد الجيوش أو الأساطيل أوامر محتومة ، ليفتحوها في مكان معين بعيد عن القاعدة ، سواء على الأرض أو في عرض البحر ، ويتم في أمثال هذه البحوث أن يكون القائد وحده مطلعاً على السر بينما يجهل جميع

رجاله ، حتى إذا بقي على الحركة المقصودة ساعات معدودات تصدر الأوامر صريحة تحمل المفاجأة وتدعو للأسراع في العمل الواقع .

ومن أمثلة ذلك ما حدث في الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ من أن الحملة الحربية التي أرسلت بحراً من الهند لغزو العراق لم يعرف رجالها وجهتهم إلا في عرض البحر وكان ذلك بقصد إخفاء نوايا هذه الحملة عن الأعداء .

وقد حدث مثل هذا في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، وتعددت أمثله وكانت في الغالب في عمليات الغزو البحري .

ورسولنا الكريم حكمة في كتمان خبر تلك السرية عن محيطون به ، فليس يبعد أن يكون منهم جاسوس من قبل قريش ، ولا أن يكون منهم من ييوس بالخبر في سذاجة ، لا يريد به السوء ، أو لا يدرك ما في البوح به من الخطر المحذور ، ولا يبعد أن يكون فهم ضعيف النفس ، يفتش السر بنأثير مال أو ضنط ، وفي هذا تحقيق كامل لقوله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » ..

وهكذا يقرر الرسول أن استطلاع أحوال العدو يجب أن يحاط بالسرية التامة ، وهذا حق إذ أن العدو إذا أحيط علماً بذلك فسوف يستعد استعداداً تاماً لحرمان هؤلاء الذين سوف يقومون بالاستطلاع من الحصول على ما يريدون من معلومات عنه ، وبذلك لا يتحقق الغرض من الاستطلاع ، فضلاً عن ما ينتظر حدوثه من خسائر مؤكدة في أرواح هؤلاء الرجال ، أو من وقوعهم في الأسر . وهذا هو المعمول به في الحرب الحديثة ، فإن دوريات الاستطلاع تقوم بعملها في الغالب ليلاً تحت ستار الظلام ، وأى عمل من أعمال الاستطلاع يتم نهائياً يجب أن يحاط بالكتمان الشديد والحذر المتتام .

ثانياً : أن يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه :

فقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم قائده عبد الله ألا يكره أحداً من المسلمين على المسير معه ، قصد يخرج الرجل مكرهاً على القتال فيقاتل لآله مهدد بالموت المؤكد ، سواء في القتال أو إذا سأل الفرار ، ولكنه إذا خرج للاستطلاع مكرهاً فلا يمكن أن يستفيد من استطلاعهم . من أرسله ، بل ربما يحرف الأخبار عمداً أو يتلقاها بغير عناية أو يطلع الأعداء على أسرار أصحابه وهم عنه غافلون .

وهذا الشرط ، أن يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه ، معمول به في الحرب الحديثة ، فإنه إذا تطلب الأمر إرسال دأورية لاستطلاع أمر ما ترك لقائدها الحرية في اختيار مرافقيه ، ومن المؤكد أنه سيختار من يرغب في الخروج معه ، ومن يثق بهم وكذلك الحال في أي عمل يحتاج إلى جرأة وإقدام وغيره ، مثل أعمال الفدائيين الذين يكلفون بمهمة شاقة خطيرة تتعرض فيها حياتهم لموت أكيد وهلاك محقق ، فإذا كان هؤلاء يخرجون لمهمتهم مرغمين أمكننا أن نحكم على مبلغ الفائدة التي تعود على من بعثهم ، وإن الفائدة تنوقف على العقيدة القوية وحسن النية ، فهي تستلزم أن يكون الرجل فدائياً غيوراً متحمساً رقيباً على نفسه ، فليس أيسر له إذا هو وجد نفسه منفرداً بعيداً عن الرقباء ، ولم تكن في العمل رغبة أن يسلم نفسه لأعدائه ليعيش مرثاساً في الأسر إلى نهاية الحرب ، ثم إذا وجد من يحاسبه اعتذر بما شاء من العلل . وبذلك تتجلى حكمة النبي ﷺ في قوله : « ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك » . . .

ولقد شاء الله أن تحدث في هذه السرية أمور لم تكن في الحسبان ، أضافت إلى موضعنا دروساً جديدة تنصل به ، فإن عبد الله بن جحش مضى بمن معه لاداء مهمته ، غير أن بهراً لسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ضل ، فذهبا يطلبانه فأسرتهما قريش ، فلما وصل الركب إلى نخلة ، مرت بهم قافلة قريش تحمل تجارة ، وكان ذلك في آخر شهر رجب ، فتشاوروا في قتال أهل القافلة لأن قريشا كانت حجرت أموال بعض المسلمين ، منهم بعض من في السرية ، ولكنهم ساروا فيما يصنعون : إن القتال محرم في الأشهر الحرم التي لم يبق عليها إلا هذه الليلة ، وهم يريدون ألا تفوتهم هذه الفرصة دون أن يستعيدوا ما أخذت قريش من أموالهم . . . وغلبت عليهم الرغبة في ذلك فاندفعوا للقتال الذي انتهى بقتل عمرو ابن الحضرمي شيخ قبيلة قريش ، وأسر المسلمون رجلين هما عثمان بن المغيرة والحكم ابن كيسان .

وعاد عبد الله بن جحش ومن معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد حجوزوا له الخمس من غنيمتهم ، فأباه عليه السلام وقال لهم : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » . وغايتهم زملاؤهم لهذه المخالفة ، وساءت لقيام بين أهل المدينة ، واتخذ أعداء الإسلام هذا الحادث وسيلة لدعائهم ، وتنادت قريش أن محمداً وأصحابه قد استعملوا القتال في الأشهر المحرمة ، وأخذوا الأموال وأسروا الرجال . . . وضاقت الأمور على عبد الله وأصحابه فأُنزل الله الآية التي أراححت القلوب : - (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد

عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) يعني إن كنتم قتلتهم في الشهر الحرام ، فقد فعلوا ما هو أشنع : صدروا عن سبيل الله وكفروا به وبالمسجد الحرام وأخرجوكم منه وأنتم أهله وفتنوا الناس في دينهم والفتنة أكبر من القتل ، ثم هم يقيمون على أشد من ذلك وأعظم غير تائبين ولا هائبين . وفي هذا قطع لاعتراضاتهم لأن المنليس بكثير من الشرور ليس له أن يكثر الكلام في زلة قد ارتكب هو أشنع منها .

ولما نزل القرآن بهذا الأمر ، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف ، قبض الرسول العير والأسيرين ، فطلبت قريش فداءهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : - لا نفديكما حتى يقدم صاحبنا ، فإننا نخشاكم طلبهما ، فإن تقتلوهما قتل صاحبكم . .

ثالثاً : الاستطلاع دون قتال :

وأول ما يطالعنا بما حدث هو إنكار القتال على عبد الله بن جحش ورفاقه ، فإن أمر النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته له كان واضحاً وهو : فاعلموا من أخبارهم ، ولا يفهم من هذا أنه يأمره بقتالهم ثم أنه أرسله في شهر حرام والقتال محرم فيه ، فلما علم الرسول أنه قاتل القافلة قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . .

وفي الحرب الحديثة تخرج دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات وتعود دون قتال إلا دفاعاً عن النفس . وهذا مبدأ آخر يمكن أن يضاف إلى ما سبق من مبادئ في (أولاً) و (ثانياً) وهو أن يتم الاستطلاع دون قتال . والسبب في ذلك أن المكلفين بالاستطلاع قليلو العدد في الغالب ، فلا يقدرّون على القتال لأنهم جزء صغير بعيد عن القوة الأساسية ، وعليهم أن يؤديوا مهمتهم في صمت ثم يعودون ، دون تورط في قتال . على أنه في بعض الأحيان لا يتم الحصول مع المعلومات إلا بالقوة ، وهنا تكون القوة مجهزة تماماً من قبل على هذا الأساس .

والرسول الكريم لم يأمر عبد الله بالقتال ، والدليل على ذلك أنه أرسله في شهر حرام القتال محرم فيه ، وكذلك قوله عليه السلام عندما علم بأنه قاتل القافلة : -

ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، فإذا كان عبداً قد قاتل فقد كان في هذا مخالفاً
لأوامر النبي ﷺ .

رابعاً : تبادل الأسرى :

وأما مسألة قبض العير والأسيرين حتى يقدم الأسيران المسلمان ، فمسألة يرضى بها
القانون الدولي المعمول به في عصرنا الحاضر : أسيران بأسيرين ، وقد شاهدنا كثيراً من
عمليات تبادل الأسرى في الحرب الأخيرة بين الدول المتحاربة على أيدي المحايدين .
ولقد كانت مشكلة تبادل الأسرى هي العقبة العظمى في سبيل نجاح مفاوضات الهدنة
بين الشيوعيين ورجال هيئة الأمم المتحدة في الحرب الكورية ، لأنهم كانوا لا يريدون
التسليم بهذا المبدأ الواضح بلا قيد أو شرط .

محمد جمال الدين محفوظ

بوزبائى أركان حرب

السياسة

- أرادوا مرة امتحان السياسيين في بلاغة السياسة ، فطرحوا عليهم هذا الموضوع :
سرفت حقوق أمة ضعيفة ، فاكتب كيف تشكرها على هديتها .
- قالوا نظم الصقر قصيدة من الغزل في عصفور جميل مصبغ الريش فكان مطلعها :
« ما ألد ، ريشك أيها العصفور »
- لو سئل السياسي العظيم : أى شيء هو أفضل عليك ؟ لقال : إنسانيتي ؟

الرافعى

أصل البهائية وحقيقتها

قرأت في (الاهرام) كلمة بعنوان : الذكرى المئوية لمؤسس البهائية ، ظاهرها إدعاء ذبوع البهائية في شيكاغو وباطنها الدعاية لهذه الفرقة وتضليل القراء عن حقيقتها ؛ فرأيت من الخير أن أبين لإخواني المسلمين أصل البهائية وكيف وجدت وما هي حقيقتها ، ليكونوا منها ومن دعائها على بينة .

كان من رزايا القرن الثالث عشر الهجرى ظهور رجلين في الأوساط الشيعية بإيران والعراق ، يدعى أحدهما أحمد الاحسائي (١١٥٧ - ١٢٤٢) والآخر كاظم الرشتي (١٢٠٩ - ١٢٥٩) .

وظاهر من اسم الأول أنه منسوب إلى الأحساء من سواحل الخليج الفارسي ، والآخر إلى مدينة رشت من أعمال جيلان في إيران على مقربة من سواحل بحر الخزر . ومن علماء الشيعة من يشك في نسبة هذين الرجلين إلى هذين البلدين ويقول : إن أصلهما قيسان أعدهما الاستعمار لمهمة من مقاصده وخططه البعيدة ، حتى لقد قيل إن التقارير والأوراق السرية التي أذاعتها روسيا عقب سقوط القيصريّة سنة ١٩١٧ تؤيد ذلك . ونحن لا يهمننا إن صح هذا أو كان وهما ، فالنتيجة واحدة وهي أن الاحسائي والرشتي رتعا ولعبا في البيئات الإيرانية ، وتوسلا بما في تلك البيئات من مبادئ وعقائد وعواطف على طريقة الغلو التي لهم فيها سلف كثيرون هناك . ومن ذلك — على سبيل التمثيل — قولها للناس :

كما أن العناصر أربعة وهي التراب والماء والنار والهواء ، فكذلك العقائد أربعة ، وهي الله والنبي والأئمة الاثنا عشر والركن الرابع ، وهو أحمد الاحسائي . ثم ما لبث أحمد الاحسائي أن ملك سنة ١٢٤٢ وزعموا أنه دفن في البقيع بالمدينة ، فقام بدعوته كاظم الرشتي وبث دعائه في إيران ، ومنهم على محمد الشيرازي (١٢٣٥ - ١٢٦٦) ، وكریم خان الكرماني ، ومحمد شفيع . وكان أكثرهم نشاطا على محمد الشيرازي الذي نشر الدعاة من

تلاميذه ومنهم ميرزا محمد علي المازندراني الملقب بالقُدوس وكانت إقامته في مشهد ، ومنهم ملا علي البسطامي الذي أرسله سنة ١٢٦٠ إلى الكوفة والنجف وكربلاء وكان والي بغداد يومئذ نجيب باشا قبض عليه وحبسه بعد أن صار له في العراق أتباع منهم الشيخ بشير النجفي والشيخ سلطان الكربلائي ومحمد شبل الكاظمي وغيرهم . وفي سنة ١٢٦٣ جاءت من إيران إلى العراق داعيتهم التي تسمى (قرة العين) فأقامت في بغداد بمنزل محمد شبل الكاظمي ، وزعمت لزوارها أنه « قد نزل الرب الودود ، وظهر الموعد » ، فأمرتها حكومة بغداد بأن تقيم في منزل الشهاب الألوسي صاحب التفسير المشهور ، وكانت خيثة جدا وبارعة في التقية ، حتى أن السيد الألوسي في مناقضاته معها لم يستطع أن يكشف من عقائدها إلا أنها شيعية فقط . وكان يتردد عليها من تلاميذ ملا علي البسطامي دعاة متعددون دخلوا في البابية ، منهم إبراهيم المحلاني وصالح الكريمي وأحمد اليزدي ومحمد البايكاني وسلطان الكربلائي .

وهكذا استفحل أمر علي محمد الشيرازي بواسطة دعائه الكثيرون في إيران والعراق ، وقد استفحل عقيدة من عقائد الشيعة عن وجود (واسطة) بين الإمام الثاني عشر المهدي الذي ينتظرونه وبين شيعته وقد اصطالحوا قديما على تسمية هذا الواسطة (الباب) فانتحل علي محمد الشيرازي لقب (الباب) ، وكان ظهور نشاطه في زمن الشاه ناصر الدين وتسبب عن نشاطه سفك دماء وفتن كثيرة إلى أن هلك سنة ١٢٦٦ . فظهرت بعده مطامع تلميذه وأحد دعائه المسمى حسين علي المازندراني الذي سمي نفسه (بهاء الله) وإليه تنسب البهائية ، وهو معبودهم الديني ، وهو الذي يعنونه في فوائح كتبهم وأعمالهم حيث يقولون « بسم ربنا البهي الأبهى » كما كانوا يؤلهون سلفه علي محمد الشيرازي الملقب بالباب ويقولون عنه « بسم ربنا العلي الأعلى » . فالبهائية قائمة على تأليه البهاء حسين علي المازندراني ، كما كانت البابية قائمة على تأليه شيخه الباب علي محمد الشيرازي ، أو على تعبيرهم « ظهور الله في الباب » ، و « ظهور الله في البهاء » .

وجاء بعد البهاء حسين علي المازندراني ابنه عباس ، فانتقل إلى فلسطين وأقام في (عكا) المجاورة لثغر (حيفا) وسمى نفسه « عبد البهاء عباس أفندي » ، وتقل جيفة الباب من إيران ودفنها في عكا . وكان عبد البهاء ذكيا واسع الاطلاع ولا سيما في المعاني والموضوعات التي

تقوم حول ضلالتهم فيكلم في ذلك زواره بفصاحة وأساليب وعبارات خلافة واتخذ لنفسه في شكله وهيئته مظهراً خداعاً زاده أتباعه بما أحاطوه به من وسائل النهويل والتضليل .

إن العقيدة التي يذشرها البهائيون قائمة على التظاهر لليهود والنصارى والمسلمين باحترام (عناوين) الديانات السابقة ، لكنهم يزعمون أنها نسخت بديانتهم . ولذلك نرى البهائي إذا مات له صديق من اليهود يمشی في جنازته إلى الكنيس وبصلى في الكنيس كما يصلى اليهود وكذلك يفعل في كنائس الطوائف المسيحية على اختلافها ، وفي مساجد المسلمين . وهو كذاب في ذلك كله ، يخادع الجميع بأنه معهم ، وبذلك استمال البهائيون في شيكاغو وأمثالها من استمالوه .

حدثني رئيس تحرير هذه المجلة الأستاذ محب الدين الخطيب أنه في سنة ١٣٢٧ (١٩٠٩) زار مع شيخه الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله المكان الذي كان يجتمع فيه داعية البهائية في مصر أبو الفضل الجرفادقاني ، وكان ذلك في ربيع بخان الخليل ، فوجد عنده رجلاً كان يعرف أنه أرمني يسمى دكركور أفندي ، وقد عرفه في المدرسة الإعدادية العثمانية بدمشق وكان كركور في السنة النهائية من القسم الثانوي والأستاذ الخطيب في السنة الأولى من القسم الابتدائي ، فقال له الأستاذ الخطيب : أنت كركور أفندي الذي كنت في دمشق ؟ فامتعض لونه وقال له : أما الآن بهائي ، واسمى دفاق . وقد تبين فيما بعد أن الذين ينضمون إلى البهائية إما أن يكونوا من أصل غير إسلامي وانضموا إليها كيدا للإسلام ، أو أنهم إرانيون ممن لهم نزعة مجوسية . والبهائيون الذين احتفلوا في شيكاغو بالذكرى المئوية لمؤسس البهائية لا يخرجون عن أحد هذين الفريقين .

إن حقيقة الدعوة البهائية قائمة على أساسين هما : —

١ — أن الله بعد ظهوره في الأئمة الاثني عشر ظهر في شخص الركن الرابع أحد الإحسانيين ثم في شخص الباب محمد علي الشيرازي الذي يسمونه (حظرت أعلى) ، ثم في شخص حسين علي المازندراني الذي سمي نفسه (بهاء الله) ، ولابنه عباس نصيب من الحلول الشيطاني ودعوى المظهرية . ويزعمون أن كل واحد من هؤلاء هو المظهر الإلهي الذي يتجلى على خلقه ليوحى إليهم الحقائق التي توصلهم إلى حظيرته القدسية .

٢ - إطلاق العنان لتأويل الكتب المقدسة بما يوافق أهواءهم ، فإذا قرأوا ما ورد في الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام : ، إلى ذاهب إلى أبي وأبيكم ليبحث إليكم الفارقليط الذى ينبشكم بالتأويل ، قالوا : إن المراد بالفارقليط هو بهاء الله .

ويؤلون الكلمات القرآنية مثل : يوم الحسرة ، ويوم التلاق ، ويوم القيامة ، والساعة يوم نزول روح القدس وقيام مظهر أمر الله وهو البهاء فى زعمهم .

وتدعى البهائية أنها جاءت بأصول جديدة كاتحاد الأديان ، وترك التعصب ، واتحاد الجنس ، ومساواة المرأة بالرجل ، والسلام العام . ونظنهم اقتنعوا بإفلاس دعواهم فى اتحاد الأديان ، لأن أهل الأديان كلها علوا بأن البهائية فاسدة العقيدة بالله واليوم الآخر ، ولذلك لم يقبل عليها إلا خثالة الناس بمن فى قلبهم إحنة للإسلام ورغبة فى إفساده ، وهم أعوان المستعمرين وجواسيسهم فى العالم الإسلامى ، فظلوا إلى الآن أقلية تافهة فى وسطه الأقلية التى انفصلوا عنها فى البداية .

ولا ريب أن الدعوة إلى دين الله الحق ، وعدم التفريق بين رسل الله جميعا هى دعوة الإسلام التى استجابت لها الأمم وانضوت إليها الممالك والاقطار فى عشرات السنين الأولى لظهورها حتى زاد أتباعها الآن على خمسمائة مليون ، وإذا أحسن المسلمون عرضها والعمل بها كانت هى شريعة الإنسانية كلها ، لأنها أصح الديانات عقيدة بالله وتوحيداً له وتزبيها عن سخافات الحلول والاتحاد .

فالإسلام هو الذى كرم رسل الله ، ودعا إلى العمل برسالات الله ، وهو الذى أقام وحدة الدين والجنس بالفعل ، ودعوته هى دين المستقبل .

أما سخافة البهائية فقد زادت الضلالات ضلالة جديدة ووقفت عند ذلك فسكانت من مظاهر التفريق لا من مظاهر الاتحاد .

ودعوى ترك التعصب أكذب من دهوى اتحاد الدين والجنس ، فدينهم قام على الإحنة والكيد للإسلام ، ولا يزالون الآن كما كانوا أيام الشاه ناصر الدين دعاة فتنة وفساد .

والدعوة الصادقة إلى ترك التعصب تتلألا كالشمس في قول الله عز وجل : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، ومع ذلك فكل حق في الدنيا إذا لم يؤيده أنصاره بالتي هي أحسن كان ذلك ذماً لهم وليس من الفضائل . و فرق كبير بين تأييد الحق كما هي الحال في الإسلام وبين التعصب القديم كما هي عليه دعوة البهائية منذ قامت لأول مرة باسم البائية .

ودعواهم التسوية بين الرجل والمرأة ، فإن الإسلام هو الذي سوى بينهما في كل ما لا يصطدم مع اختلاف تكوينهما وتوزيع العمل الإنساني بينهما ، وتفاصيل ذلك معروفة وقد ألفت فيها الكتب ، وبين وجه الحق فيها حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في بياناته المتعددة . أما معارضة الطبيعة في تسوية ما اختلف فيه الجنس في تكوينهما ومزاجيهما ونوع اختصاصهما ، فذلك من السفاهات التي تؤدي إلى فساد المجتمع .

واسخط من دعوى تسويتهم المرأة بالرجل دعوتهم إلى السلام العام ، والجانب الإنساني الموافق للحق والمصلحة في هذه الدعوة قد سبق الإسلام إليه ، بل الإسلام بنفسه دين السلام ولكن طغيان البشر الذي لا يزال متأصلاً في طبائع أهل المطامع منهم هو الذي عالجهم الإسلام بقول الله عز وجل : ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض .

وأخيراً يحرم البهائيون على إخفاء تعاليم ديانهم وجعلها سرية فيما بين الخثالة الضئيلة من أتباعها ، وقد بما قيل :

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

ومن مظاهر تسرهم فيما يشرونه على الناس استعمالهم الألفاظ والتعبيرات الخلابة القابلة للتأويل ، وبها يحاولون أن يتصيدوا أهل الغفلة والعوام ، ومع ذلك فشلوا في جميع محاولاتهم ، والله لا يهدي كيد الخائنين ؟

السيد كمال السورى

مأمور الشهر العقارى

نظام المجتمع في الاسلام

١ — أسس النظام الاجتماعي في الإسلام:

قامت الدعوة الإسلامية تهدف إلى تأليف القلوب وتوحيد الاهداف وجمع الناس على عبادة الله وحده ، فاتحدت بها الغاية واجتمع بها الناس على هدف لا يختلفون عليه ولا يجادلون فيه ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات ، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم .

وسبيل الدعوة إلى ذلك حجة واضحة وقول حسن وأدب جميل ، أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ذلك بأن طبيعة الدين لا تتفق وروح القهر والإرهاب ، إذ يخاطب أول ما يخاطب القلب ويخاطب أول ما يخاطب العقل ، ولم تكن القوة والإرهاب يوماً من الأيام سبيلاً إلى إقناع أو إيمان ، وهكذا وضعت الدعوة منهجاً في الحياة يكفل للإنسان حرية النظر والرأي والفكر والاعتقاد ، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وإلى جانب الغاية الواحدة التي وحدت بين الناس وجعلتهم إخوة متحابين ، والوسيلة المهيبة التي جعلتهم يحكون العقل وينأون عن اللجاج ، جاءت الدعوة الإسلامية تقرر الإخاء والمساواة بين الناس ، الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، بأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وإذا يسوى ذلك النظام الإسلامي بين الناس ليقم مجتمعاً متأسكاً متحداً لا يعترف بسيادة جماعة على جماعة ولا باستغلال طبقة لطبقة ، بل يستوى فيه السادة كآبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة ، والمستضعفين كعمار وبلال وصهيب ؛ وأكثر من هذا يرفع الإسلام المستضعفين بالعمل حتى يفرقوا السادة ، وقد كان العمل من قبل يضع العاملين فأصبح في النظام الجديد أساس

الفضل والتقدم إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، ولدوام هذه الوحدة الإنسانية وإقرار النظام الاجتماعي يدعو الدين إلى التعاون الإنساني العام على البر والخير والتقوى ، وينهى عن التعاون الخاص بين الطبقات المتنازعة في الأقطار المختلفة التعاون الخاص على الإثم والعدوان الذي يهدف إلى إرهاب الطبقات الخائفة بالاستغلال والتسخير ، وينهى عن التعاون الخاص بين السلالة الواحدة على الإثم والعدوان الذي يثير العصبية القبلية والعصبية القومية التي تستهدف الفتن والحروب والاستعمار ، بل إن التعاون على الإثم والعدوان يحرمه الإسلام حتى لو اجتمعت الإنسانية كلها متعاونة في القسوة على الحيوان ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلبه ، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

ولكن كيف يتحقق التعاون في المجتمع الإنساني والحسد يملأ قلوب الجائعين والجشع يسلب على نوازع السادة المترفين ؟

إن النظام الاجتماعي في الإسلام لا يدع الفقير للجوع يصفيه ، ولا يدع الغنى للترف يتنخمه ، بل يأخذ من هذا حقا لذلك لا منا ولا تصدقا ولكن حقا يفرغه ، وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله ، والله لا يؤمن من بات شعبان وجاره جائع ، ولكن هل يقتصر خير الجماعة المسلمة على نفسها فتؤلف عصبية مدمية لا نظاما اجتماعيا يقوم على الدعوة للخير والسلام ؟

وفي قصة اليهودي الذي فرض له عمر من بيت مال المسلمين ما يقيم حياته ويكفيه مشقة العمل وهو شيخ كبير ، وفي قصة الصبي القبطي الذي سبق ابن عمرو حين سابقه في مصر فضربه وهو يقول : أتسبقني وأنا ابن الأكرمين ؟ وقد شكى القبطي حاكم مصر العام إلى أمير المؤمنين عمر ، فاستقدم الوالي على مصر وأنصف الغلام منه . في هذه القصص ، وأسماها لا يحصى ما يقطع بأن الخير والبر والمعروف والعدل كان عاما في الإسلام ، فتألف به نظام اجتماعي يهدف إلى الصالح العام بلا تفریق .

ومع أن الدين لا يمنع الفرد أن يملك ما يشاء ، إذ الحرية أساسه الأول الذي قام يدعو إليه ، فإن القاعدة الثابتة في نهجه أنه يحرم ما أضر بالصالح العام ، ففي سبيل تناسق النظام

الاجتماعى وبقاء وحدته يحرم ما أصله الحل ، ويمنع ما أصله الإباحة فيمنع التملك إن أدى إلى الاحتكار ، ويمنع من التملك ما يضر بنظام المجتمع ، المحتكر ملعون والجالب مرزوق ، ومن كلام عمر : من احتكر على الناس أرزاقهم ضربه الله بالجزام ، والاقطاع لون من الاحتكار تقصر فيه منافع الأرض على القلة من المجتمع ، وتستغل فيه جهود الكثرة لصالح القلة من الاقطاعيين .

ولئن كانت أسباب الفتن والاحقاد والحروب فيما مضى لإقطاعا ففى اليوم احتكار فى (الخامات) والإنتاج ، والأساس فى بناء المجتمع الإسلامى ، لا ضرر ولا ضرار .

ومع أن الدين لا يتعرض للطبقات التى تقسم على أسس من المال أو الجاه فإنه يمنع ذوى المال من الاحتكار فى الاقتصاد ، ويمنع ذوى الجاه من الاحتكار فى السياسة ، وفى الوقت نفسه لا يجعل لهذا أو ذاك حقا زائدا أو فضلا خاصا ، بل يفرض للمال والجاه واجبات زائدة يتحقق بها التقارب والتعاون بين الطبقات ، ولا امر لا ينهى . أحل الله البيع وحرم الربا .

٢ — أثر هذه الأسس فى إقبال الناس على الإسلام وإقرار التضامن بين المسلمين :

ولقد أسرع هذه الأسس الاجتماعية بالناس نحو الدين الجديد فأقبل عليه المستضعفون يجدون فيه النظام الذى يحفظ لهم حقوق الإنسان قيؤمنهم من خوف ويرفعهم من ضعة ويخلصهم من جهل ويطهرهم من مرض ويستخلصهم فى الأرض . وعده الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون فى شيئا .

وكما أسرع المستضعفون فقد أسرع النساء إلى ذلك الدين تجدد فيه النظام الذى يمنع عنها العدوان فيحرم وأد البنات ، وتجدد فيه النظام الذى يجعل لها حقوقا فى التصرف والمالك ورأيا فى الزواج والحياة ، وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، ، الثيب تستأمر والبكر تستأذن .

وكما وجد المستضعفون والنساء فى الإسلام نظاما يسوى بين الناس ويقر العدل والإنصاف والخير فقد وجد فيه السادة منهاجا يوافق العقل ويقوم على الحجة والبرهان ، فأسدوا له إلا من أعرض تكبرا وعنادا .

ولئن ساعدت هذه الأسس الدينية على إقرار الإسلام ديناً في الأرض وأسرت بالناس إليه فقد حققت مع ذلك وحدة المجتمع وانسجامه ، وأبعدت عنه شبح التنافر والاحتقاد ، فوحدة الغاية وأدب الدعوة وتحرير الفكر والمساواة بين الناس والتفاضل بالعمل والتعاون على الخير والتقارب الطبقي وإينار الصالح العام ، كل هذه المبادئ أفضت إلى مجتمع متلائم متضامن متكافئ لا يعتريه تفكك أو انحلال ، المسلمون تسكافاً دماؤهم ويسى بذمتهم أداناهم وهم يد على من سواهم ، مثل المسلمين في توادم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له جميع الأعضاء بالسهر والحمى .

وفي سبيل حماية هذا النظام من التفرق والانحلال يوجب الدين الإسراع بالإصلاح بين الناس فيقرر أن الصلح خير ، وأن السعى بالنيمة شر ، و أن الفتنة أشد من القتل ، وأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وفي سبيل حفظ هذه الوحدة أيضاً يوجب الإسلام على المسلمين أن يقفوا موقفاً إيجابياً من طوائف المسلمين التي يؤدي الخلاف بينها إلى القتال ، وذلك بدعوة الطائفتين أو الطوائف إلى الصلح ، فإن رفضه الصلح إحدى الطائفتين أو الطوائف أو أخلت به فبغت ، فعلى المسلمين جميعاً أن يقاوموا الطائفة الباغية حتى تقي إلى السلم وإلى أمر الله . وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تقي إلى أمر الله ، وهكذا يستقر بهذه المبادئ الحب والتضامن والصفاء والوحدة في مجتمع المسلمين .

٣ - إقرار السلم وحماية النظام الاجتماعي من العدوان :

وقد انشرفت بالإسلام صدور واطمأنت إليه قلوب ، فأرهب ذلك للمشركين في مكة أولاً فأسرفوا في الكيد والعدوان على الرسول وعلى المسلمين ، ومع ذلك ظل أسلوب الدعوة قائماً على دفع اللجاج بالحجة ومقابلة السيئة بالحسنة ، فأغرى ذلك الرفق السفهاء والمشركين بالدعوة والدعاة حتى بلغ بهم الأمر أن اتهموا بالرسول ليقتلوه ، فانتقل إلى قوم غير القوم عليه يجد عندهم آذاناً تصغي وقلوباً تسمى . ومع أنه تركهم في مكة وترك لهم مكة فلم يتركوه ينجو بنفسه وبدعوته ، بل أسرفوا في طلبه ، فلما أعيام إدراكه وقد بلغ المدينة تحزبوا مع القبائل وعقدوا الأحلاف ينفون بها حصر الدعوة في المدينة لا تخرج منها حتى لا تصل إلى الناس .

لقد كان الأمر مع الرسول أنه يريد أن يبلغ رسالته إلى الناس برفق في الجدل وبحسن في القول ، ويهدي إلى الحق لا يكره الناس على الإيمان ، لا إكراه في الدين ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .

وكان الأمر مع المشركين أنهم يعرضون عن الإسلام تكبرا وجهلا ويصدون عنه الناس رهبة وخوفاً ويمنعون الرسول عن دعوته حقداً وعناداً ، وفي سبيل ذلك أسرفوا في السكيد وشرعوا الحراب وسلوا السيوف ، يمنعون الداعي عن دعوته يردون الدعوة عن الناس ويردون الناس عن الدعوة .

عند ذلك أذن الله جماعة المسلمين أن ترد عدواً ما يقع وتدفع ظلماً ينزل ، أذن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وفي هذه الآية ، وهي أول ما نزل في القتال ، ما يقطع بأن الإسلام يبنى السلم غاية ، ويستهدف السلم منهجاً في الدعوة لا يخرج عنه إلا أن تقتضي بذلك ضرورة قاهرة ، يشير إلى ذلك ما تعبر به الآية الكريمة من الإذن الذي يقتضي الإباحة من منع ، والحل من حرمة ، ومع ذلك لا يعدو الأمر قتال من يقاتل دفعاً لعدوانه ، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ، فإن وضع المقاتلون السلاح فلا إسراف في القتل ولا عدوان ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله .

بهذا يمنع الدين العدوان ويشجع القتال والحرب رعاية للسلم ، بل إنه ينفذ الحرب ويحذر من العدوان ويأمر بالسلم حتى لو طلب السلم من أعدوه ، وفي سبيل رعاية عهد السلم يدعو الإسلام إلى إعداد القوة التي ترهب من يميل إلى العدوان فلا يجنح إليه ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، رهبة ترد الظلم وتمنع عدوان المعتدين ، وحين يتصل الأمر بالفتنة التي تهدد الجماعة في وحدتها والعالم في سلمه ، فإن الإسلام يوجب القتال الذي يقتضي على منابع الفتنة ليعيد الوفاق إلى الجماعة وليحفظ السلم بين الناس ، وقاتلوم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

وهكذا يشرع الإسلام القتال ليضع به حداً للعدوان وإثارة الحروب ، وليقر به في المجتمع الإنساني العدل والخير والسلام .

عبد الطيف عبد النبي خليف
المدرس بمعهد طنطا الديني

الكتب

شرح منازل السائرین - للفركاوی

بتحقيق الاب س دى لوجييه دى بوركى الدومنى - ١٥٣ ص من ٤٤ ص مقدمتان وفهارس

رسالة (منازل السائرین إلى رب العالمین) لشيخ الإسلام أبی إسماعیل عبد الله ابن محمد الأنصارى الهروى الخبلى (٤٠١ - ٤٨١) من أنفس ما كتبه المسلمون فى تربية النفس الإسلامية وسلوكها إلى منازل العبودية لله والاستعانة به وحده (أياك نعبد وإياك نستعين) . وقد رتب فيها أحوال السلوك بثلاث رتب : أخذ المريد فى السير ، ودخوله فى الغربة ، وحصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد .

وقد عرف المسلمون قدر هذه الرسالة ورفعوها إلى المكان اللائق بها ولا سيما عندما شرحها الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية بكتابه الجليل (مدارج السالكين) فى ثلاثة مجلدات كبيرة ، ولعله يصح أن يتخذ مرآة للتصوف الإسلامى الذى لانشوبه نزعات أجنبية : لا برهمية ، ولا من حماة الحلول ، أو إنكار وجود الواجب بدعوى وحدة الوجود .

وبين أيدينا الآن شرح آخر لرسالة شيخ الإسلام الهروى ألفه محمود بن حسن بن محمد الفركاوى القادري فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، وكانت توجد منه مخطوطة فذة فى خزانة كتب لاله لى (رقم ١٤٧٧) بالقسطنطينية تاريخها شهر صفر سنة ١٠٢٩ .

ومما يدل على غنى سلف المسلمين بالرجال أن مؤلف هذا الشرح (محمود بن حسن الفركاوى) لا تعرف له ترجمة فى الكتب المتداولة فى الأيدى الآن ، مع بلاغته وفضله ونجوده لصناعة التأليف كما يدل عليه هذا الشرح . غير أن الناشر الأب دى لوجييه استنتج من قول المؤلف إنه كان موجوداً فى سوق العبي بدمشق لما احترق سوق القطنين والدقاقين أن ذلك كان سنة ٧٥٦ لأن الحافظ ابن كثير ذكر هذا الحريق فى البداية والنهاية (١٤ : ٢٥٣) . وللفركاوى غير شرحه على منازل السائرین كتاب آخر اسمه (النور الأسنى فى شرح معنى

(الاسماء الحسنی) توجد منه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ٣٩ أصوف) كتب في آخرها : « وكان الفراغ في رياضة الخيس ٢٨ جمادى الاولى سنة ٧٩٥ بتعليق مؤلفه ، وقد يكون هذا التاريخ للأصل المنقول عنه مخطوط دار الكتب الظاهرية . ويستنتج الناشر من قرائن متعددة أن الفركاوى ولد في العراق غالباً حوالي سنة ٧٢٥ وكان يقرئ الايتام بدمشق بعد سنة ٧٥٠ بقليل ، وكانت وفاته بعد تأليف (النور الاسنى) أى بعد سنة ٧٩٥ .

وشرحه على منازل السائرین وصفه هو بقوله : « وهذا الشرح قد جمعنا فيه بين التشرع والتحقيق ، ولم أطل خيفة الملل ، وقال أيضاً : « هذا الشرح ما استضاء عليه بكتب ، وإنما كان فتوحاً : نصف كل مقام ، ونحل كل رمزه ، ونكشف حقيقته . ولم أورد الحكايات والاختبار فيه خيفة الملل والتطويل . . وقال : « نارة شرح متابعاً للدرجات ونارة بالعكس ، وذلك بحسب طاقتنا في الوقت . . وأكثر ما يهتم به في الشرح ثلاث مقامات : الاستقامة ، والصبر ، والصدق ، وهذه الثلاثة روح الاخلاق الإسلامية ، ومن دعائم أركان الإيمان الإسلامى .

والفركاوى يصف نفسه بأنه مريد عبد القادر الكيلانى (٤٧٠ - ٥٦١) وبينهما نحو ثلاثة قرون فلعلة يريد أنه اقتبس عنه من علم الشيخ عبد القادر ، وهو لا يريد علم الفقه فالشيخ عبد القادر حنبلى والفركاوى شافعى ، ولكنه أراد العلم الذى نجمده في شرحه لمنازل السائرین . ونسبة هذا الشرح إلى مدارج السالكين كنسبة ما بين علم الفركاوى وعلم الإمام ابن القيم وهو فرق بعيد جداً .

وقد عني الآب دى لوجيه بإخراج هذه الطبعة وتحقيقها عناية عظيمة يشكر عليها . وبما نلفت إليه أنظار مقلدى الغريبين - وأكثر حملة الأفلام عندنا مقلدون حتى في الشكليات للغريبين - أن الآب دى لوجيه يضع الخطوط على سطور المتن من فوقها كما هي عادة المسلمين والعرب في كتبهم في جميع العصور . فنحن كما نكتب من اليمن إلى الشمال بعكس الغريبين ، نضع الخطوط على السطور من فوقها بعكس الغريبين أيضاً . والآب دى لوجيه والسواد الأعظم من المستشرقين إذا نشروا كتب العرب والمسلمين يتبعون سنن العرب والمسلمين وذلك هو اللاتق بهم . أما مقلدة الإفرنج من كتابنا وعلماؤنا فلا يعرفون سنن العرب والمسلمين في كثير من الأمور .

وشرح منازل السائرين ، مطبوع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة . ووعد الناشر بمواصلة نشر مؤلفات شيخ الإسلام الهروي وما يتصل بها من شروح وأبحاث .

خولة الشعراء للاصمعي

بتحقيق الأستاذين محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ، ٩٨ ص جابر
كتاب (خولة الشعراء) لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي (١٢٢-٢١٦) أحد
شيوخ الأدب والنقد في القرن الثاني للهجرة يروي عنه الإمام أبو حاتم السجستاني (المتوفى
سنة ٢٥٥) وكان أبو حاتم يسأل الاصمعي عن كل فقرة من موضوع الكتاب فيجيبه
الاصمعي عليها ويسجلها أبو حاتم . عثر الأستاذان الفاضلان الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي
والشيخ طه محمد الزيني على مخطوطة منه قديمة في دار الكتب الأزهرية (بالمجموعة
رقم ١١٨١ مجاميع أباطة - ٧٣٢٣) فعارضوها بمخطوطة حديثة في الخزانة التيمومية منقولة
عن الأصل الذي في مكتبة الأزهر ، واستفادا من معارضه هذه الرسالة بالهروي عن الاصمعي
في كتاب (الموشح) للبرزباني . وهذه الرسالة فوق أنها من أقدم المؤلفات في تراث الأدب
العربي فإن صدورها عن الاصمعي ورواية أبي حاتم السجستاني لمسائلها عن هذا الشيخ القديم
من شيوخ الأدب يزيدان في أهميتها . وهي تبدأ من الصفحة ١٢ وتنتهي في ص ٤٠ وقبلها
كلية الناشرين عن الرسالة ومؤلفها وراويها . ولما كان (الموشح) للبرزباني حافلا بالنقول
عن الاصمعي في نقد الشعراء والتحدث عنهم وعن شعرهم ، وفيه أكثر مما في هذه الرسالة ،
فقد ذيلها الناشران بهذه الزيادات عن الموشح وبما عثرأ عليه في بعض الكتب الأخرى .
والحقا بذلك مجلسا من مجالس الاصمعي الأدبية بين يدي الرشيد نقلاه عن العقد الفريد ،
كما نقلا عن أمالي المرتضى وزهر الآداب شاهدين من روايات الاصمعي ، وقطعا من ترجمة
الاصمعي عن القاضي ابن خلكان في الوفيات والسيوطي في البقية والشريشي في شرح المقامات
فتمكرا للناشرين الفاضلين على هذه الطرفة الأدبية .

دائرة المعارف الإسلامية

من العدد ٧ إلى ١٢ من المجلد التاسع - نشر لجنة ترجمة الدائرة
أهديت إلينا هذه الأعداد السنة (٧-١٢) من المجلد التاسع لدائرة المعارف الإسلامية
مترجمة بأفلام الأستاذة أحمد الشنتاوى ، وإبراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس .

وقد راجعها من قبل وزارة المعارف الدكتور محمد مهدي علام . وتبدأ هذه الأجزاء الجديدة من مادة (دعان) وتنتهي بمادة (الراى) . وقد حفلت بالكلام على الاعلام التاريخية والجغرافية التى لها فى نظر مؤلفى الدائرة أهمية ملحوظة فى تاريخ المسلمين مما يبتدىء بحرف الدال بعد كلمة دعان وجميع حرف الدال ثم حرف الراء إلى كلمة الراى . ولا شك أن مؤلفى الدائرة من مستشرقين ومن استعانوا بهم من شرفيين وفوا هذه المواد حقها من البحث والتحقيق من وجهة نظرهم وبحسب اقتناعهم ، فكانت لذلك مما لا يستغنى عنه ولا مسلم عن الاطلاع عليه . وإن كانوا كثرأ ما لا تتفق أنظارهم واقتناعهم مع أنظار المسلمين واقتناعهم . والحضرة الدكتور محمد مهدي علام تعليقات قيمة فى هذه المواطن ، وكانوا فيما مضى يمهدون إلى طائفة من العلماء باستيفاء هذه الملاحظات ، ومواد الدائرة جذيرة بذلك وبأكثر منه .

السودان من ١٨٤١ إلى ١٩٥٣

أصدرته رئاسة مجلس الوزراء ، فى ٤٥٥ صفحة كبيرة ، المطبعة الاميرية بالقاهرة

أهدت إلينا رئاسة مجلس الوزراء هذه المجموعة العظيمة من الوثائق الرسمية من وهو تاريخ السودان من ٢١ ذى القعدة ١٢٥٦ (١٣ فبراير سنة ١٨٤١) الفرمان السلطانى من الدولة العثمانية لمحمد على عن مقاطعات نوبيا ودارفور وكوردوفان وسنار إلى الوفاق المعلوم سنة ١٨٩٩ ، ومنه إلى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ثم وثائق السودان بعد تلك المعاهدة ، والسودان أمام مجلس الأمن ، والسودان بعد مجلس الأمن ، وأخيرا السودان فى العهد الجديد من المذكرة المصرية فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ إلى اتفاق الاحزاب السودانية فى ١٠ يناير سنة ١٩٥٣ ، فيابحاث الرئيس محمد نجيب واستيفسون من ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ إلى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ . فهو كتاب جمع كل ما تحت يد مصر من وثائق رسمية عن السودان فى جميع هذه العهود ووضعها بين يدى أمة النيل لتكون على علم بها ومحيطة بكل ما طرأ على السودان من أحوار . وختم الكتاب بضم اتفاق الحكومتين المصرية والبريطانية فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ بشأن الحكم الذاتى وتقرير مصير السودان والخطابات المتبادلة بين الحكومتين ونظام الحكم الذاتى الصادر فى ٢١ مارس سنة ١٩٥٣ فشكراً للحكومة المصرية على هذا العمل الجليل الذى فيه خدمة للعلم والوطن .

القاديانية

للاستاذ أبي الحسن على الندوى - طبع الهند

الأستاذ أبو الحسن الندوى معروف لقراء العربية ، بمؤلفاته الكثيرة المنتشرة ، والعنوان الكامل لهذه الرسالة (القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام) وهذا المعنى مستعار من مقال للشاعر الأعظم محمد إقبال ، وهو يوافق ما أعلنه مؤسس القاديانية غلام أحمد ونشرته جريدتهم الرسمية (الفضل) بتاريخ ٣٠ يولية ١٩٣١ وهو قول غلام أحمد القاديانى ، « إنا مخالف للمسلمين فى كل شئ : فى الله ، فى الرسول ، فى القرآن ، فى الصلاة ، فى الصوم ، فى الحج ، فى الزكاة ، وبيننا وبينهم خلاف جوهري فى كل ذلك » . ويقول مؤسس القاديانية فى صفحته ١٠ من الطبعة السادسة من ملحق كتابه (شهادة القرآن) :

« لقد ظلمت منذ حدائقى وقد ناهزت الآن الستين أجاهد بلسانى وقلبى لا صرف قلوب المسلمين إلى الاخلاص للحكومة الانجليزية والنصح لها والمطف عليها ، وأنى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهالم التى تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة . »
هذه الحقائق يجدها القارىء المسلم بنصوصها وتعيين مراجعها فى هذه الرسالة الوجيزة
للاستاذ أبي الحسن الندوى . جزاء الله عن الإسلام خيراً .

أدب الأخوة

للاستاذ السعيد الشربيني الشرباصى - ١١٧ ص - مطبعة دار الكتاب العربى

هو كتيب لطيف مملوء بالقول والمختارات وحسن التوجيه عن أدب الأخوة فى الإسلام بدأه بفصل عن المودة والقربى ، ثم عقد فصولا لاختيار الإخوان ، وحقوقهم فى المال والمعاونة بالنفس واللسان وتناسى الحقوق ، والإخلاص والوفاء ، وترك التكلف وعدم التكليف . وختمه بخطاب عنوانه « يا أخى » ناجى فيه كل مسلم أن يعرف موضعه فى البشرية فينزل المغرور من علياء سمائه الوهمية إلى دنيا الأخوة وميدان سعادتها ، ويرتفع المستعبد من حضيض العبودية إلى دنيا الأخوة وميدان سعادتها ، فإن لكلمة « أخى » عذوبة فى الآذان ووقفا فى الجنان ، بما تولده من ثقة بين المتخاطبين والمتعاونين فتجعل الكبير لا يحس بأنه فوق والصغير لا يشعر بأنه تحت .

فكتيب « أدب الأخوة » كتاب أدب وأخلاق وحسن توجيه ، فنلفت أنظار

الشبان إليه .

نظام الحكم في الاسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون ، ٩٦ ص ، مكتبة وهبة بالقاهرة

هو بحث متعمق لفضيلة الأستاذ الشيخ صادق إبراهيم عرجون شيخ معهد أسيوط الديني ألقاه على أسانذة ذلك المعهد وطلبت وعلى أهل الفضل والمصانة في عاصمة الصعيد ، وبناء على بيان أن ما نحن فيه الآن من تقصير عن الأخذ بنظام الحكم في الإسلام إنما هو نتيجة خطة رسمها الاستعمار لنا في غفلة المسلمين عنه ، وقد بدأ الاستعمار رسم خطته هذه بعد وقوف غلادستون رئيس الوزارة الإنجليزية في مجلس العموم وإعلانه أنه ما دام القرآن قائماً بين المسلمين فلن يتم للغرب عمل بينهم . قال فضيلة الأستاذ المحاضر : وهو لا يعنى طبعاً بقيام القرآن بين المسلمين هذا اللون التعبدى بتلاوة القرآن ، ولكنه يعنى قيامه بينهم قياماً عملياً بمجمله دستورهم الذى يوجه سياستهم ويصرف شئونهم العملية في الاجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم .

ثم تناول قضية فصل الدين عن السياسة وبين أن ذلك ينطبق على غير الإسلام ، وأن من خير الإنسانية أن تستنير في سياستها بهدى الإسلام ، وأن في ذلك علاج الأمم كلها من أوصابها التى تن من الآن أنيناً ، ولو عرفت كيف تستنير بالإسلام في سياستها وأنظمة حكمها لوجدت في ذلك سعادتها كاملة .

والمحاضرة التى استغرقت ٩٩ صفحة مليئة بأنصح البراهين على صحة هذه الحقيقة ، لو شئنا أن نقبس منها كل ما فيها من حق لكان حتماً علينا أن نتقنها كلها . فعلى كل أزهري وعلى كل أخ مسلم أن يقرأ رسالة (نظام الحكم في الإسلام) لفضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون ثم يعيد قراءتها أكثر من مرة ، لا ليتمتع بيلاغها وما فيها من حقائق وحسب ، بل ليؤمن بما فيها من تلك الحقائق وليعرف طريق الهدى الذى شرعه الإسلام للجمع بين الإسلام والإنسان .

التقرير السنوى

عن أعمال قسم الانكستوما والبلهارسيا

أهدى إلينا قسم الإنكستوما والبلهارسيا تقاريره السنوية عن أعماله الإنسانية المذكورة من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٩ وفيه إحصائيات دقيقة عن الأعمال التى قام بها هذا القسم

في كل عام ، في أقسامه الخارجية وأقسامه الداخلية ، والوحدات الجديدة التي لا يزال ينشئها تباعاً ، والتحسينات في أنظمة العمل . ولما كانت الانكسار والبلهاري من أخطر الأمراض التي تفكك بالعدد الأكبر من جمهور الشعب المصري ، فإن العمل لمقارنتها من أعظم ما تقوم به وزارة الصحة العمومية في مصر .

خواطر في الأدب

ودراسة نصوصه وتقديدها

للأستاذ أحمد مظهر العظيمة ، ٧٤ ص قالين ، مطبعة الترقى بدمشق

الأستاذ أحمد مظهر العظيمة رئيس تحرير وصيفتنا مجلة (التمدن الاسلامي) بدمشق ، وعضو لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف السورية ، وقد سبق لنا التنويه بكتاباه (مذاعات في الاسلام) في جزء رمضان من العام الماضي . وبين أيدينا الآن هذا الكتاب (خواطر في الأدب) من مؤلفاته . وهو ينطوي على فصول : الأدب وإصلاح المجتمع ، ملاحظات على أدبنا الحديث ، جمال الأسلوب ، دراسة النصوص الأدبية ، البحرى يصف الإيوان ، ابن الرومي يرثي البصرة ، موازنة بين نكبة البصرة ونكبة دمشق ، النقد الأدبي ، الذوق والنقد الأدبي . فنلفت إليه الأنظار .

البيامة

صحيفة أدبية نفيسة صدرت من الرياض عاصمة نجد ، وهي الصحيفة الأولى في تاريخ هذا القطر العربي الصميم ، لمديرها ورئيس تحريرها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر أعلم من نعرفهم اليوم بأنساب العرب وجغرافية البلاد العربية ولا سيما الشمالية منها . وقد اطلعنا على الجزء الأول ، منها لشهر ذي الحجة المنصرم فرأيناه حافلاً بالفصول الممتعة والتحقيقات القيمة بما يعز مثله في الاقطار العربية العريقة في الصحافة . ولذا استمرت هذه المجلة في طريقها كما يريده لها منشئها الفاضل ، فانا نرجو أن تكون إن شاء الله من مفاخر الثقافة في جزيرة العرب .

الادب والعلم في شهر

المؤتمر العلمي العربي

انعقد في أواخر شهر ذي الحجة المنصرم المؤتمر العلمي العربي الأول في الاسكندرية وعرضت عليه بحوث علمية بلغت نيفاً وستين بحثاً قال عنها الدكتور مصطفى نظيف رئيس المؤتمر إن فيها ابتكاراً وفيها إضافات جديدة للعلم لا يقل مستواها عما ينشر في المجلات العلمية الغربية . وقد أثبتت شعبة البحوث المبكرة أن في الأمم العربية بداية حركة علمية صحيحة تبشر بمستقبل زاهر . وسوف تنشر في مجل أعمال المؤتمر باللغة العربية .

وأقيمت فيه من المحاضرات خمس في تاريخ العلم عند العرب ، ووردت ست محاضرات أخرى لم يقس الوقت لإلقائها .

وعالج المؤتمر هذه المشكلات الأربع :

المصطلحات العلمية .

التأليف والترجمة والنشر .

إعداد مدرسى العلوم .

العلم والاقتصاد القوى .

وكل مشكلة من هذه المشكلات لا تزال محتاجة إلى أن تنهأ الفرصة الكافية لدراستها دراسة كاملة .

وقد اتفق الرأي في اجتماع الرؤساء والوفود ومقرري اللجان والأمن العام المساعد للجامعة العربية ومدير الإدارة الثقافية على أن يتقدموا إلى المؤتمر باقتراح إنشاء (اتحاد على عربي) يكون هو الجهاز العمل الذي يتحقق بواسطته التعاون العمل بين أبناء العروبة ، تتولى تأسيسه هيئة تؤلف تحت إشراف الإدارة الثقافية للجامعة العربية . وستبذل الجهود الممكنة لإنشاء هذا الاتحاد على أسس وطيدة ، ويسمى لدى مؤتمر وزراء المعارف العرب الذي سيعقد في الأسبوع الثاني من المحرم للحصول على المساعدات الادبية والمادية لمشروع الاتحاد العلمي العربي أصل النيل :

كان المعتبر أن أصل النيل من بحيرة كبرى فوق الهضبة الاستوائية أطلق الإنجليز عليها اسم (فكتوريا نيانزا) . وقد تبين بعد ذلك أن في تنغانيقا نهرين يطلق الوطنيون عليهما اسمي (زوفوفو) و (كاجيرا) يلتقيان في غابة كثيفة بالقرب من (رواندا) ويؤلفان الأصل الأول للنيل عند انصباهما في بحيرة فكتوريا نيانزا ويكون منهما حيثئذ شلالات رائعة قلما يوجد نظير لها في بقاع أخرى .

الخوف منه الجامع على الجامعة

في إحدى الصحف اليومية ركن يزعم أنه يريد الاتجاه « نحو النور » ، ولكنه يريد من غير نور الله ، ولذلك يخطئ القصد كثيراً ويتمشئ الناس بما فيه من ظلمة . وقد أحس هذا الركن في تلك الجريدة بأن جامعة القاهرة تنوى أن تفتش مسجداً ، لأن المصلين كثروا جدا بين طلبتها وصار المسجد حاجة من حاجاتهم ، فانبعث من ذلك الركن في تلك الجريدة صوت يقول « لسا نحب أن يختلط الأمر علينا فيصبح حرم العلم المحرر من كل قيد للبحث والرأى ، المطلق من ارتباطه بدين من الأديان أو معتقد من المعتقدات ، وكأنه مخصص لدين معين أو معتقد معين » .

وقد سمعنا طلبة من جامعة القاهرة يقولون عندما وقع نظرم على هذا الكلام : إن الجامعة اليوم زاخرة بطلبة يرون حاجتهم إلى المسجد لا تفل عن حاجتهم إلى قاعة الدراسة ، بل حاجتهم إلى المسجد أعظم . وكاتب « نحو النور » عندما يرسل مثل هذه النصائح يرسلها من ركن مظلم ، ولو أنه خطاخطوات أخرى نحو النور لعلم أن الجامعة اليوم غير الجامعة التي كان يعرفها لما كان طالبا

عميد كلية الحقوق

يتكلم عن نظام الإسلام

سأل مندوب إحدى المجلات الأسبوعية الدكتور عثمان خليل عثمان عميد كلية الحقوق

وقد وصل أخيرا العالم الجغرافي مستر لوملى إلى هذه الشلالات ولمح في جذع شجرة نواجه هذا المكان تجويفا وضعت فيه جرة من زجاج ذات غطاء لولبي ، فلما فتحها وجد فيها ورقة موقعا عليها في أوقات مختلفة بخمسة أسماء لرحالين من الألمان تاريخ أقدم توقيع منها سنة ١٨٩٠ ويقول صاحبه إنه أول رجل وصل إلى منبع النيل . وقد أضاف لوملى توقيع في هذه الورقة وأبقاها في مكانها .

مكتبات المدارس المصرية

شكا كاتب في الأهرام (٩ ذى الحجة) من أن الاعتراف بالمكتبات في المدارس المصرية لا يعدو أن يكون رمزا ، والغالبية العظمى منها عبارة عن مخازن للكتب يسوء الباحث فيها ما بها من إهمال وسوء نظام ، وليس لها دستور غير «لائحة المخازن» التي لا تطلب من أمين المكتبة إلا سلامة «العهد» أما إدراك الأغراض التي تنشأ من أجلها المكتبات ، وتيسير تدريب التلاميذ على استعمال الكتب والإفادة منها ، وتوفير المادة التي تثير رغبات التلاميذ وتشبع ميولهم خارج نطاق المنهج الدراسي ، وإعداد الأطفال لفهم نظم المكتبات العامة ، وغرس الميل إلى القراءة في نفوس التلاميذ ، فهذه أمور لاحظ لها من العناية والاهتمام في مكتبات المدارس المصرية .

تنظيم الأزهر

تألفت لجنة عليا برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لإعادة تنظيم الأزهر وتنقيح مناهجه، وتكوين الطالب الأزهرى تكويناً يعمده للاضطلاع برسالة الإسلام في خلقه وتوجيهه الإسلامى وتجهيزه بالعلم النافع الذى يمينه على مهمته السامية بعد إتمام دراسته .

وقد اختار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر لعضوية هذه اللجنة العليا أربعة من أعضاء جماعة كبار العلماء وهم أصحاب الفضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج ، والدكتور الشيخ محمد عبد الله دواز ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ عبد اللطيف محمد السبكى ، وصاحب الفضيلة الشيخ محمد البسيونى زغلول شيخ معهد دسوق ، والشيخ طه محمد الساكت المفتش بالأزهر ، وحضرة الأستاذ محمد أحمد الغمراوى أستاذ الكيمياء فى كلية الطب بجامعة القاهرة سابقاً ، والأستاذ عبد الدين الخطيب رئيس تحرير هذه المجلة الذى تولى سكرتارية اللجنة العليا .

وقد افتتح عمل اللجنة بتلاوة تقرير مطول كتبه رئيس تحرير هذه المجلة عن مواطن الضعف فى المناهج الحاضرة وضرورة إعادة النظر فيها لتتنمى مع حاجة العالم الإسلامى الحاضرة ولتكون أكثر استجابة

عن رأيه فى فصل الدين عن الدولة فى المصر الحديث ، فأجاب : أنا شخصياً لم أشعر فى يوم - وأنا بصدد التفكير فى مواد الدستور - أنى أفكر فى الأمر كسلم ، إلا فى لحظات محدودة حدثت فيها بعض الأشخاص عن هذا الموضوع . واعتقادتى الشخصى أن النص على أن دين الدولة هو الإسلام لا ينفع مسلماً ولا يضر غيره . وأمل أن يبحث هذا الموضوع من ناحية مصرية فقط ، ثم قال : إن الإسلام لم يفرض على الناس نظاماً معيناً للحكم ، وإنما فرض أساسين هما الشورى والعدل . فكل نظام يتفق مع الزمن ومقتضياته يعتبر صحيحاً من الناحية الإسلامية ما دام يحقق الأساسين السابقين أما ما يخالف الشرائع أو ما قد يبدو أنه يخالفها من أحكام تفصيلية فهذا مرده إلى القوانين العادية لا إلى الدستور .

وقد توخينا نقل هذه الجمل من كلام حميد لكلية حقوق مصرية لتسجل ناحية من نواحي التفكير عند ذوى المكانة العلمية فى الفقه والتشريع من أبنائنا . وليفكر العلماء بالتشريع الإسلامى فى مبلغ انطباق هذا الكلام على دين الامة المصرية . ثم أليس من مهمات الدستور فى أمة مسلمة أن ينص على وجوب تحرر وجهة الإسلام فى الشورى والعدل ، وعلى اشتراط مبادئ ثلاث من دين الامة عند سن قوانينها .

الإنجليزية. فعاد مدير الزراعة السعودي وقال إنه لا يسعه إلا أن يطلب العودة إلى مناقشة هذه المسألة بمناسبة حضوره أول جلسة لل مؤتمر عقب وصوله من بلاده ، وأضاف قائلاً : إن وجود سبع دول عربية في المؤتمر كان خليقاً أن يجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية لمداوالات المؤتمر ومناقشاته ، وإن عدم الأخذ بذلك واختيار لغة أجنبية كاللغة الإنجليزية لتكون وسيلة التفاهم بين الاعضاء في مدارلاتهم أمر يتناقى مع المنطق والواجب والكرامة ، وعلى أثر ذلك ، اتخذ المؤتمر قراراً بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في المناقشات .

مدينة جامعية بدمشق

صدر مرسوم تشريعي بإنشاء مدينة جامعية في دمشق تضم أبنية لإيواء الطلبة ، وأندية ، وملاعب ، ومطاعم وقد أبيع للدول العربية ولهيئات أن تلتحق في هذه المدينة أجنحة للطلبة بموافقة وزير المعارف السورية .

مدرسة عربية في القرمسى :

تبرع سمو الامير سعود ولي عهد المملكة السعودية بمائة ألف جنيه لإنشاء مدرسة ابتدائية في القدس تسع لخمسةائة تلميذ يتلقون تعليمهم الابتدائي مجاناً ويقدم لهم الطعام والواجبات المدرسية ، وقد تبرع بمائة ألف جنيه أخرى لنفقات المدرسة .

لمقاصد الإسلام ونحرياً لأهداف رسالته . وقد أخذت اللجنة العليا في دراسة هذه الأمور من أسسها ، وستمضى فيها بعزيمة وحكمة بقدر ما ييسر الله لها من أسباب النجاح والتوفيق .

العربية بابتك الوهلي

أصدر الاستاذ أمين فكرى محافظ البنك الاهلى قراراً بمد عيد الاضحى بأن تكون العربية اللغة الرسمية للبنك وفروعه وتوكيلاته في أنحاء الجمهورية المصرية فتكتب بها دقائره ومراسلاته وتكون بها معاملاته وأعماله .

العربية

في مؤتمر هيئة الأغذية والزراعة

في مسهل الجلسة الخامسة للمؤتمر الإقليمي الثالث لهيئة الأغذية والزراعة وقف رئيس وفد المملكة العربية السعودية السيد أحمد عبيد مدير الزراعة وقال إنه يلاحظ - مع الأسف والدمعة - أن اللغة السائدة في مدارلات المؤتمر هي اللغة الإنجليزية ، رغم وجود سبع دول عربية ممثلة في المؤتمر . فقال رئيس المؤتمر : هذه المسألة كانت محل بحث في جلسة سابقة ، أى قبل حضور السيد أحمد عبيد وتولية رئاسة الوفد السعودي ، ورأى أن تكون هناك لغة موحدة يفهمها جميع أعضاء المؤتمر ، ولهذا وقع الاختيار على اللغة

إنشاء المجلس الإسلامي

العامة في كل من مراکش وتونس والأحداث الخطيرة التي تسود أرجاء هذين القطرين الشقيقين .

وقد أحيط المجلس علماً بما أقدمت عليه السلطة الفرنسية من خلع سلطان مراکش سيدي محمد بن يوسف وفيه وأسره إلى جزيرة كورسيكا .

وإن جامعة الدول العربية - التي تعتبر القضية المراكشية قضية عربية تهدف إلى الحرية والاستقلال - تستنكر أشد الاستنكار هذا العدوان على السيادة المراكشية ، ويرى مجلس الجامعة أن هذا التدبير الجائر يتجافى مع ميثاق الأمم المتحدة ، فضلاً عما فيه من انتهاك صريح للمعاهدات الدولية الخاصة بمراكش .

وأن دول الجامعة العربية التي تحرص على رعاية الاماني الوطنية للشعب المراكشي الشقيق ، تعلن أنها لا تعترف بأى حال من الاحوال بالاورضاع غير الشرعية التي فرضتها السلطات الفرنسية في مراکش . وقد كانت دول الجامعة العربية تأمل أن تحترم فرنسا القرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة بشأن

ميثاق الضمان الجماعي العربي

من الميزات العسكرية لميثاق الضمان الجماعي العربي أنه جعل من الجيوش العربية جيشاً واحداً . وسيجعل كل جيش عربي منفرداً في نوع خاص من الاسلحة يتمشى وطبيعة جنوده وإن اللجنة العسكرية ترافق التطورات الخاصة بذلك بوسيلة عملية عندما تجرى الجيوش العربية مآوراتها المشتركة .

وقد رسم الميثاق الطرق أمام الدول العربية في تحالفها مع الغرب بأن لا تسلك أية دولة في علاقاتها الدولية مع الدول الاخرى مسلكاً يتنافى مع أغراضه .

أما ميزات الميثاق من الوجهة الاقتصادية فأهمها أنه جعل من الدول العربية (وحدة اقتصادية) يكمل بعضها البعض الآخر . وسيترتب على ذلك أن تمنع الدول العربية كل تدخل أجنبي في اقتصادياتها الكثيرة المنوعة ، وتقيم سدأ في وجه الغرب الذي كثيراً ما عبث باقتصاديات الشرق .

المغرب وجامعة الدول العربية

استعرض مجلس جامعة الدول العربية الحالة

شيئا ، ولذلك يجب ألا نخشى شيئا .
وتساءل : ماذا يخسر الشعب المصرى لو
قرر مقاطعة فرنسا اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا
وأجاب : انه لن يخسر شيئا ، إلا بعض مظاهر
المتعة والترف - إذا صح أن يعتبر هذا
خسرا - وهو مع ذلك يستطيع أن يستبدل
بها متعا أخرى يستوردها أو يسعى إليها
في غير فرنسا .

ثم قال : وما ينطبق على مصر حكومة وشعبا
ينطبق كذلك على العراق والمملكة السعودية
والمملكة الأردنية واليمن المتوكلية ، بل على
سوريا ولبنان اللتين تخلصنا بحمد الله من نير
فرنسا ، ومن الخير أن يكون خلاصهما منه
شاملا كاملا لا تشوبه أية شائبة من أى سبيل .
الحق أننا نستطيع أن نرد على اللطائف المؤلة
التي يوجهها الاستعمار الفرنسى إلينا بطرائق
مؤلة مثلها دون أن نخشى شيئا . بل أنا أعتقد
مخلصا أن مقاطعة فرنسا رسميا وشعبيا ،
سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ، هو
أحسن السياسات لخير القضايا العربية كلها .

ورؤية كشمير

الاستاذ الاكبر يدعو إلى استفتاء أهلها
أذاع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ
الاكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالي
يوم ٧ ذى الحجة ١٣٧٢ (١٧ / ٨ / ٥٢) :

تونس ومراكش . وتسلك سبيل المفارضة
السياسية للوصول إلى حل سلى عادل يقوم
على أساس ميثاق الأمم المتحدة ، ولكن
فرنسا قد تجاهلت مشيئة الأسرة الدولية .

من أجل هذا رأى مجلس الجامعة ، تكملة
أولى ، أن تواصل الوفود العربية وإلى جانبها
بقية وفود المجموعة الآسيوية الأفريقية لدى
الأمم المتحدة الجهود السياسية لبسط ظلامه
هذين القطرين الشقيقين أمام الجمعية العامة
في دورتها الحاضرة ، وتعبئة جميع الجهود
الدولية في أروقة الأمم المتحدة لتحقيق
الحرية والسيادة لهذين القطرين الشقيقين .

ومجلس الجامعة إذ يرقب الحالة في مراكش
وتونس بالمزيد من الاهتمام والعناية يواصل
تأييده لمراكش وتونس في كفاحهما الباسل
لنيل الحرية والسيادة والاستقلال .

وبأمل مجلس الجامعة أن تستطيع الجمعية
العامة في دورتها الحاضرة حمل فرنسا على
تلبية الأمانى المشروعة في مراكش وتونس
تجنباً لاتخاذ (نداءير معينة) يلجع الرأى العام
العربى في اتخاذها .

رد اللطمة لفرنسا

تساءل الدكتور محمد صلاح الدين في مقال
كتبه لإحدى الصحف الآ-بوعية في القاهرة
ماذا تفقد مصر لو قررت قطع العلاقات
السياسية بفرنسا : وأجاب : انها لا تفقد

الإيراني بين أنصار مصدق ومعارضيه إلى المهاترة والضرب وما لا يستطاع وصفه . فأجرى مصدق استفتاء عاما لحل هذا المشكل كانت نتيجة خذلان أنصار الشاه وانتصار مصدق بتأييد حزب تودة انتصاراً جارفاً . وقيل إن مؤامرة دبّرت لإحداث انقلاب عسكري لاصلاحه الشاه . ولكن سرعان ما أحبطها مصدق يوم ٦ ذى الحجة (١٩ أغسطس) وقبض على زمام الموقف وفر شاه إيران إلى العراق ومنها إلى أوروبا . وما لبث أنصار الشاه أن استأنفوا نشاطهم وقاموا بمظاهرات خلقت بها الفصائل العسكرية التي استطاع الجنرال زاهدي قمعها بسرعة ، فأخذ مصدق على غرة ، وسقطت حكومته ، وقبض عليه ، وعاد شاه إيران إلى بلاده . ومن ثم ارتفعت أسهم الشركة البريطانية للبترول الإيراني ، واستقبح الأمريكيون خيمراً ، ولا يزال مصدق معتقلاً تحت يد حكومة الجنرال زاهدي . وقد أعلن الشاه أن خيانة الدولة الإيرانية خافية ، وأنه يرحب بالعون من أية دولة لإنقاذ البلاد .

إبراهيم ودولة إسرائيل :

كانت دولة إيران قد اعترفت في سنة ١٩٤٨ بدولة إسرائيل ، ثم سحب الدكتور محمد مصدق هذا الاعتراف في عهد حكومته الأولى .

« اطلعنا على الأنباء الواردة عن الحالة في ولاية كشمير .

« ولما كان هذا القطر إحدى الولايات التي كان يرأسها الأمراء ، وترك لها - عند تقسيم الهند إلى هندستان وباكستان - حق تقرير مصيرها ، ثم أيد مجلس الأمن هذا المبدأ وقرروا سلطة اللجنة المعنية بدراسة هذه المشكلة تسويتها عن طريق استفتاء حر نزيه ، والشعب الكشميري نفسه يرى لنفسه حق تقرير المصير .

« لذلك نسدى خالص النصيح لكل من لهم علاقة بهذا الأمر بأن يبادروا حالاً إلى حل هذه المشكلة بإجراء استفتاء حر نزيه في جميع أنحاء ولاية كشمير عن رأيها وإرادتها في تقرير مصيرها ، إبقاء على المودة والتعاون في القارة الهندية والشرق الناهض ، ولإعادة الطمأنينة والاستقرار في هذه البقعة العزيزة على الجميع ، وعملاً بالحق الذي أعطى لهذه الولاية عند تقسيم الهند إلى هندستان وباكستان ، ولا يمكن التحلل منه إلا بتحقيقه في الحال ، ونعتقد أن في ذلك مصلحة الجميع ، وبذلك يتفرغ الشرق إلى واجباته نحو نهضته التي نرجو من الله لهم فيها كل توفيق ونجاح ،

إبراهيم

طال أمد التنافس على الاستئثار بالحكم في إيران بين الشاه ورئيس وزارته الدكتور مصدق ، حتى وصلت الحال في البرلمان

في (مؤتمر رؤساء جيوش العرب) المنعقد في القاهرة في منتصف ذي الحجة (٢٦ أغسطس) فقال :

« لقد انتهى وقت العمل الفردي ، ولم يعد جهد الدولة بمفردها — مهما عظم — مجدياً . فلا بد من التكتل والتكاتف . ولقد اجتمعنا اليوم لوضع أسس ذلك . لقد رسم لنا (ميثاق الضمان الجماعي الدول العربية) خططه وأسااليه ، وحدد لنا وللمثلينا أعضاء (اللجنة العسكرية الدائمة) واجبات و«دوداً» . فعلينا نحن العسكريين أن ندرس هذه الواجبات والاختصاصات دراسة وافية ، لإصدار التوصيات ، ولتوجيه اللجنة العسكرية الدائمة ثم دراسة مقترحاتها ، لتقدم بها إلى (مجلس الدفاع المشترك) . ورائدنا في ذلك أن تقدم إلى هذا المجلس الموقر بما يزيد جامعة الدول العربية قوة ويرفع من شأنها ويؤكد كلفتها . وإلى أقدر بعد نظر واضعي المعاهدة ، فلم يقصروا على المواضيع العسكرية ، بل أضافوا إليها مسائل (التعاون الاقتصادي) ، وكلنا يعلم أهمية الاقتصاد والحرب الاقتصادية في الحروب المصرية ، وكلنا يقدر ما للعلاقة بين السياسيين والعسكريين من أهمية . والواقع أن كسب الحرب يتطلب تكاتف السياسي والاقتصادي والعسكري ، فالأول يفكر ، والثاني يهيئ ويعبد ، والثالث يدعم ويؤيد .

ولما سلمت حكومة مصدق الآن توقعات الأمة العراقية المجاورة لإيران أن تعود لإيران للاعتراف بدولة اليهود ، فأرسل علماء العراق برقية مستعجلة إلى الحكومة الإيرانية يحذرونها من الوقوع في هذه الزلة ، ثم تألف وفد من كبار رجال الدين وبعض الشخصيات العراقية لزيارة طهران ومقابلة الشاه والجنرال زاهدی رئيس الوزراء والمداولة معهما في هذا الأمر الذي لا يليق بحكومة تنسب إلى الإسلام والظاهر أن حكومة العراق أيضاً كتبت إلى حكومة إيران تلفت نظرها إلى هذا الأمر وتحذرها منه . فأجاب الجنرال زاهدی على ذلك بأن هذه المسألة لم تكن موضوع بحث ، ووعد بأن لا تعترف إيران بإسرائيل .

نقدم مصر العسكري

قال رئيس الجمهورية المصرية لمراسل وكالة اسوشيتد پرس لمناسبة مرور عام على توليه رئاسة الوزارة : لم يزد الجيش المصري وحداته المقاتلة بإضافة جديد إليها كجنود المظلات لحسب ، ولكنه توسع أيضاً في التدريب الفني وقطع شوطاً بعيداً في إنشاء المصانع العسكرية التي ستزود الجيش عما قريب بما هو في حاجة إليه من أسلحة وعتاد .

تكتل العرب العسكري

خطب رئيس أركان حرب الجيش المصري

٧٥٪ من الأرباح والشركة الباقى إلى أن تستوفى أموالها التى أنفقتها . ومدة الاتفاقية ٩٠ عاما . وتركنا الباب مفتوحا بشأن إنشاء معمل تكرير إلى أن نحصر الأماكن التى يوجد فيها البترول وكيته . والاتفاق حدد الأماكن التى سيدور التنقيب فيها ، وللحكومة اليمنية مطلق الحرية فى الاستعانة بشركات أخرى للتنقيب فى مناطق أخرى .

ولقد اتفقتا مع شركة كروب لاستغلال الفحم والحديد ، وستبدأ الشركة عملها بعد شهر واحد .

واستعانت اليمن ببعض الضباط الأتراك والعراقيين لتدريب الجيش اليمنى .

واستعنا بالخبراء الايطاليين فى تشييد مصنع للأسمنت ، وستألف شركة مساهمة من الايطاليين واليمنيين لإنشاء المصنع المذكور . واستعنا كذلك ببعض الايطاليين للتنقيب عن الفحم فى بعض المناطق التى لم تعط للخبراء الألمان ، فإذا ثبت وجود الفحم أمكن حينئذ الاتفاق مع الشركة الايطالية .

إحياء الصحراء الغربية :

يقوم عدد من ضباط الجيش المصرى والخبراء فى المدة الأخيرة بإحياء ستة آلاف فدان من الصحراء فى منطقة (فوكه) بمعاونة

فعلينا أن نتحقق من أن تكون دراستنا مبنية على الفهم الصحيح للأوضاع السياسية والاقتصادية حتى تعرف الدول العربية تشييداً قوياً تسير على خطاه القوات النظامية وشباب العروبة أجمعين بخطا قوية فى طريق النصر والقوة .

فروى الرماية بالمدارس

صدر قرار وزارى من وزارة المعارف المصرية بإنشاء فرقة للرماية بكل مدرسة ثانوية وما فى مستواها والمعاهد العالية . ويبدأ تنفيذ هذا المشروع من أول العام الدراسى القادم .

الجمعة يستمعون بالغرب :

قال الأمير سيف الاسلام الحسن رئيس وزراء اليمن لندوب الأهرام : أجرينا منذ سنتين اتفاقاً مع إحدى شركات الزيت الألمانية لاستغلال البترول الموجود فى أراضينا ، ثم توقفت الأبحاث بسبب التعويضات الألمانية لإسرائيل . وبعد أن اتضح موقف الدول العربية من ألمانيا بصورة الأخيرة أتممنا ما بدأنا البحث فيه ، فأكلنا الاتفاق الخاص باستغلال البترول ، وستحمل الحكومة اليمنية نفقات التنقيب ، على أن تتولى الشركة - من بعد - جميع الأعمال الخاصة باستخراجه ، بشرط أن تمال الحكومة اليمنية

الأموال المتجمعة من الصندوق في أوجها الشرعية .

افطرس نظام الاستعمار :

أعلن مسيو بيرمنديس لخرانس (أحد السادسة الذين كانوا مرشحين لرئاسة الوزارة الفرنسية) في بيان نشرته صحف باريس الحقائق الآتية :

« ان نظم القرن التاسع عشر الاستعمارية قد عني عليها الزمن . ومحباتنا ومستعمراتنا القديمة في حاجة إلى تغيير . وكلما كانت حكوماتنا تحاول تعديل سياستنا في هذه المناطق - ولو تعديلا يتسم بالجن - كانت تقف في وجهها معارضة قوية لم يمكن التغلب عليها حتى الآن » .

وبعد أن ذكر فشل فرنسا في الهند الصينية قال : « إن لنا أن نتساءل : هل أفدنا من هذا الدرس ؟ وما ان أخطأنا في شمال أفريقيا تجل عن عواقب أوحش » .

سما بريطانيا !

منحت حكومة الاستعمار البريطاني في كينيا خمسة وعشرين جنيا لجندى وطى من جنود البوليس مكافأة له على قتله شقيقه من رجال جماعة ماو ماو !

« النقطة الرابعة » ، وقد أخذت الجرار والمهراسات والمحاريث الميكانيكية والآلات الزراعية الحديثة تشق الأرض هناك وتبث فيها البذور والمياه لزراعة أنواع معينة من النباتات التي تصلح للراعى . وقد كانت هذه الجهات أرضا زراعية في زمن الرومان ، وكانت فيه أمراء الجبوب التي تغذى أوروبا . ولما أهملت زراعتها في أواخر الدولة

الرومانية جرفت السيول الطبقات الخصبة من التربة إلى البحر فتحولت هذه الأرض إلى صحراء معطلة . ولقيام هذا المشروع الإحيائي الآن استمين بواطة النقطة الرابعة ببعض الخبراء الأمريكيين الذين مارسوا مثل هذا العمل في صحراء أريزونا الأمريكية والآلات الصالحة لهذا العمل . وتدل التجارب على أن هذا المشروع سيكلل بالنجاح ، وستربى في هذه المنطقة أنواع جديدة من الأبقار المسكسية المهجنة لتوفير كمية كبيرة من اللحوم الجيدة .

صندوق للزكاة :

قام قسم التشريع بمجلس الدولة بصياغة مشروع قانون يقضى بإنشاء صندوق للزكاة بوزارة الشؤون الاجتماعية يتلقى أموال الزكاة على أن تتول لجنة عليا الإشراف على صرف

بنزول ساهل الخليج العربي

بدأ استنباط البترول من طبقات الأرض السعودية قبل الحرب العالمية الثانية بسنة ، ولم يكن غزيراً وواسع النطاق ، فلم يصل إلى مليون طن متري إلا في سنة ١٩٤٤ . ثم ارتفع فجأة إلى ١٢ مليون طن في سنة ١٩٤٧ وبلغ ٢٩ مليوناً سنة ١٩٥٠ وقفز إلى ٣٧ مليوناً سنة ١٩٥١ وإلى ٤٣ مليوناً في يونيو سنة ١٩٥٢ .

وفي سنة ١٩٤٦ بدأ إنتاج البترول في الكويت حتى إذا حلت سنة ١٩٥١ بلغ فيها ٢٨ مليون طن وفي سنة ١٩٥٢ بلغ ٣٧ مليوناً وهو في ازدياد .

وفي مقاطعة قطر قدر إنتاج البترول بنحو ٣ ملايين طن وربع ولوحظ أن الآبار تنسج لأربعة ملايين ونصف مليون . ويستخرجون البترول في قطر من آبار في اليابسة وفي البحر .

أما في جزر البحرين فلا يزيد إنتاج البترول منذ بضع سنين على مليون ونصف مليون طن .

ويقدر عدد العمال الذين يعيشون من صناعة البترول في المملكة السعودية والكويت وقطر والبحرين بنحو خمسين ألف عامل .

الانجليز والفرنسيون في ليبيا

في حكومة ليبيا ٢٧٤ موظفاً انجليزياً يتقاضون مرتبات سنوية قدرها ٢٣٢ ألف جنيه و ٢٧٣ منها في حين أن الإعانة البريطانية لليبيا لم تكن تزيد على مليون و ٢٠٠ ألف جنيه .

ولفرنسا في منطقة فزان ٢٥ موظفاً تبلغ مرتباتهم ١٦٧٦٥ ألف جنيه في حين أن الإعانة الفرنسية لا تزيد على ٦٢ ألف جنيه ، وتريد فرنسا أن تفرض بقاء قواتها في فزان لقاء هذه الإعانة التي يصرف جزء كبير منها للموظفين الفرنسيين .

الأمريكيون في البعثات الإسلامية

أعلن السناتور دوجلاس في مجلس الشيوخ الأمريكي أنه يرى أن يفعل سفراء أمريكا في البلاد الإسلامية ما يفعله المسلمون ، أي أن يتمتعوا عن شرب الخمر . وسيطلب خفض الاعتمادات المخصصة للحفلات الدبلوماسية بمقدار مائة ألف دولار ، على أن لا يصرف شيء من هذه الاعتمادات في شراء مشروبات كحولية للسفارات والمفوضيات الأمريكية في الدول الإسلامية .

وحذا المجاملة في حقوق المواطن كالمجاملة في آداب المجتمع .

مؤتمر إسلامي في نيروبي

٧ - إنشاء بيت لإيواء المهتدين إلى الإسلام.

٨ - إنشاء بيت لكفالة الأيتام ورعاية الموزين.

٩ - إنشاء مستوصف لمعالجة الفقراء

١٠ - شكر الملك عبد العزيز آل سعود على ما بذلته حكومته من التسهيلات لدفن الداعية الإسلامية السيد عبد الله شاه في جنة البقيع.

١١ - شكر سلطان زنجبار لإنشائه (المعهد الإسلامي) ورجاء العناية بتوسيعه وزيادة المدرسين والطلاب.

١٢ - شكر مشيخة الأزهر الشريف لإرسالها البعوث إلى إريتريا ومقدشو مما كان له أطيّب النتائج في نشر النفاة الإسلامية.

١٣ - اقتراح إنشاء معاهد دينية في أوغندة وتنغانيقا ونيروبي على غرار المعاهد الأزهرية.

١٤ - رجاء حكومة كينيا العدول عن ذبح المواشي بضررها على جبهتها وتحذير المسلمين من تناول لحوم هذه الذبائح اتقاء للشبهة.

١٥ - شكر الجلالة الإسلامية على جهودها والأمانة بما أن تزيد عدد رحلاتها إلى القرى والأرياف لخدمة المواطنين وتحبيب الإسلام إليهم.

دعت جماعة حماية الإسلام في نيروبي علماء المسلمين وزعماءهم في أفريقية الشرقية إلى مؤتمر يتداولون فيه الرأي للوصول إلى أحسن الوسائل لنشر الثقافة الإسلامية في تلك المنطقة فالتعد المؤتمر في أيام ٢٠ و ٢١ و ٢٢ من شهر ذي القعدة برئاسة الشيخ عبد العليم الصديقي وقرر:

١ - تأسيس مركز للدعوة الإسلامية تذكارا للعلامة السيد عبد الله شاه رحمه الله وتقديراً لجهوده الموقفة لخدمة الإسلام في تلك الجهات.

٢ - إنشاء مدرسة تسمى (دار العلوم الإسلامية) لتخرج الدعاة للإسلام في أفريقية الشرقية.

٣ - إنشاء مكتبة عليية إسلامية.

٤ - نشر معاني القرآن الكريم وأحكامه وآدابه باللغة السواحلية.

٥ - تأسيس مكتب للتأليف والطبع والنشر بمختلف اللغات.

٦ - وضع رسالة تبين الأخطاء والفسائس في ترجمة القرآن باللغة السواحلية التي وضعتها جماعة الغلام القادياني وتحذير المسلمين منها.

فهرس

الجزء الأول — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
١	فاتحة السنة الخامسة والعشرين	قلم التحرير
٤	إيمان	الأستاذ عبد الدين الخطيب رئيس التحرير
٩	نفحات القرآن : مسجد المدينة	عبد الطيف السبي عضو جماعة كبار العلماء
١٤	السنة : بدل من الهجرة	طه محمد الساكت
١٨	هلال الحرم	المهيساوى
١٩	في ظلال القرآن	الدكتور محمد يوسف موسى
٢٤	نشأة المعاجم الثغوية وأطوارها	عبد الحليم النجار
٣٠	شفاء النبل في مسالك التليل للقرآلى	الأستاذ أبو الوفا المراهى
٣٤	الحج المبرور (حديث من دار الاذاعة)	لفضية الاسفاذ الأكبر
٣٦	جددوا أنفسكم كما جددتم ثيابكم	» » »
٣٨	السيد أبو أيوب الانصارى	الأستاذ محمد محمد ابو شبيهة
٤٤	بيان الى الشعوب الاسلامية عن أحداث مراكش	من جماعة كبار العلماء
٤٦	ديوان مجد الاسلام	الشاعر الكبير أحمد محرم رحمه الله
٤٩	الأزهر ومطارك التحرير الأولى	الأستاذ أحمد عز الدين خلف الله
٥٤	منهج البغدادي في خزانة الأدب	» عز الدين اسماعيل
٥٩	الأردن في أيام الحروب الصليبية	» محمد صبرى طابدين
٦٣	بين التقدير المبنى والتقدير النقدي	» السعيد الشرباصى
٦٨	موقف الاسلام من حوادث مراكش ومعاودة ليبيا	حديث لفضية الأستاذ الأكبر
٧٢	نظرات في كتاب الاموال ونظرية العقد في الاسلام	الأستاذ محمد طي النجار
٧٨	الأخلاق عند بلناتام	» سعيد زايد
٨٢	أحمد بن حنبل	» محمود النواوى
٨٦	تاريخ السكفابة	» محي الدين رضا
٩١	تأويل الخوارق في القرءان	» محمد عبد الرازق حمزة
٩٣	تكتيكات الاستطلاع في سرية عبدالله بن جعش	البوزابى أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
٩٩	أصل البهاية وحيثتها	الأستاذ السيد كمال الدين الشورى
١٠٤	نظام المجتمع في الاسلام	» عبد الطيف عبد النى خليف
١٠٩	الكتب	قلم التحرير
١١٦	الأدب والعلوم في شهر	»
١٢٠	أنباء العالم الاسلامى	»

الاشتراك السنوي

٥٠ في مصر ودولها
٣٠ للطلبة في مصر والشون
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
ثمان الجزء ٥

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ تَجَامَعَةُ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير

عبد المنعم الخطيب

العنوان

ادارة الجامع الأزهر بالقاهرة

تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثاني - القاهرة في غرة صفر سنة ١٣٧٣ - ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُوَّةٌ صَائِغَةٌ

أولها هذا (النيل) الأعظم ، هبة الله الكبرى لهذا الوادى . وإن شكر الله عليها لا يتم إلا بمعرفة قدرها ، والعتن بها . وحسن استعمالها . ولو أن كل حكومة تولت مصر - من عشرة آلاف سنة إلى الآن - تشقت من شاطئ النيل الشرقى أو الغربى ترعة واحدة في كل خمسين سنة أو مائة سنة ، لكان شاطئ مصر على البحر الأحمر ، وما بينه وبين النيل ، أعظم عمراناً من سويسرا وبلجيكا ، ولكان لمصر من حدودها الغربية إلى حدود ليبيا وطن آخر مخضر الربوع ، زاخر بأهراء الجبوب ، معتدل الجو بالنخيل والاعتاب ، وبالفواكه أزواجاً وأنواعاً . مانح بأمة عظيمة عزيزة تعيش من الأمن والفساط والرخاء بما يتبع لها أن تكون به أمة مثالية سعيدة .

ولو أن حكومة التحرير لم يصدر عنها - في الخمسة عشر شهراً التى تولت بها أمر مصر - إلا تخطيط مديرية التحرير فى الصحراء الغربية ، ومشروعات السدود ، والإصلاح الزراعى ، ونشاط التشجير ، لكان هذا من شكر الله عز وجل على ما وهب مصر من نعم أضعافها المرفون ، وغفل عنها المبذرون ، ونام عنها من لا يستحقها من أهل الجشع والهبو والبطالة الذين يمدشون لعاجلهم ، وليس فى تفكيرهم نصيب لآجلهم .

إن هذه اللجج الضخمة من ماء النيل لتتدفق في الماء المسالخ جزافاً وبلا حساب ، آناه الليل وأطراف النهار ، مسجلة علينا من آيات التقصير والتفريط والإهمال ما كان ينبغي أن نكتبه لنا ملائكة الرحمة حسناً لو أننا شكرنا الله عز وجل على نعمة النيل بإجراء كل قطرة منه في تربة متعطشة إليه لتنبث به الغذاء والرزق لامة أعظم بعظمته ، وتوسع بسعته ، أو تضمحل بتضييعه ، وتضعف بذهابه سدى - فيما وراء الأرض المصرية شمالاً - كأنه لم يخلق لتحميا به التربة فزدهر به الحياة والحضارة والقوة والسعادة والممران .

وإن هذا النيل ، لو كان جارياً تحت أنظار غيرنا من عشرة آلاف سنة حتى الآن ، لغامت على شطآنه مصانع لكل ما تحتاج الامة إليه ، ولما يفيض عن حاجتها ، فتصدده إلى أقاصى الأرض ، مستفيدة من قوة الماء في مجاريها ومنحدراتها . ولكن الذين كانوا يضيعون الماء نفسه في البحر المسالخ ، بل يضيعون الامة نفسها في مباحج اللهو أو غمور الفاقة ، هل كان يفتظر منهم أن يفكروا في قوة الماء وما يمكن أن نفيه منها في صناعاتنا وعمراننا ؟

ومن القوى الضائعة (الوقت) تهاون على تبديده جماهير الناس من أعلاها إلى أدناها ، وأخبت ما يبدد فيه الوقت عندنا هذه المقاهى العامرة بمختلف الطبقات : تركوا أزواجهم وبنينهم وذويهم في البيوت ، أو في خارج البيوت ، وأووا إلى هذه المقاهى يتلففون فيها إشاعات السوء وأساليب المكر والختل ، ويفسدون الهواء بين جدرانها بدخان السجائر ، أو يبددون - مع أوقاتهم - ما كسبوه من خزينة الدولة أو مال الامة . وقد نشرت الصحف عند كتابة هذه السطور أن رجال مكتب الآداب بالاسكندرية ضبطوا طائفة من الكبراء بينهم وزير سابق وهم يقامرون خلسة بمئات الجنيهات في أحد مقاهى محطة الرمل . والذي يحدث في مقاهى محطة الرمل بالاسكندرية يحدث مثله في مقاهى ميدان الأوبرا وشارع فؤاد بالقاهرة ؛ فكلها عامرة بمن يبددون الوقت والعمر والمال على موائدها ، بل إن أحط المقاهى في أفقر قرى الريف تبذل من وقت المزارعين والعمال الزراعيين وصحبتهم وقروشهم ما يذهب بقدر لا يستهان به من ثروة الوطن وأقوات أهله وأوقاتهم وعافيتهم . ولو أن الدولة توكلت على الله - في ساعة - باركة من ساعات التحرير والإصلاح - فقررت تحرير الوطن المصرى من هذه البؤر التى استعبدهت وابتزت وقت الناس ونفدته من أعلى الطبقات إلى أدناها لكانت في عملها هذا من المحسنين المصلحين .

ومن (الوقت) الذى يضيع على الوطن - وتضيع بضياعه ثروة طائلة وخير عظيم - ما دلت عليه الدراسات الدقيقة من أن فى عمالنا من يستطيع أن ينتج خمسين فى المائة إلى مائة فى المائة زيادة على ما ينتجه فى المئتين الآن . وإذا أضيف إلى ذلك ما يستطيعه من تجويد العمل والعناية بانفاقه لآمكن تقدير قيمة ذلك بخمسين أخرى فى المائة إلى مائة فى المائة . وهذه الزيادة المستطاعة فى (كمية) الانتاج وفى (كفاءته) لو شاء كل عامل أن يحققها لاستحق عليها من زيادة الأجر ما يناسب ذلك ويكافئه . فهو فى إحسانه وحسن استماله للوقت يحسن إلى نفسه وأسرته أولاً ، وإلى مصنعه وصناعته ثانياً ، وإلى وطنه ودولته أخيراً . وقد شاهدنا هذا المرض - مرض تضييع العامل لوقته - فى مختلف طبقات العمال : من يؤدون فريضة الصلاة والصيام منهم ، ومن ابتلوا بالمكيفات وما إليها . وإن فیهن يؤدون الصلاة منهم من يظن - خطأ - أنه قد عمر بالصلاة ما بينه وبين الله ، وسيغفر الله له ما وراء ذلك ، فلا يبذل جهده فى حسن استمال وقته إلا ما دامت عليه قائماً . إن هذه القوة الضائعة من قوى الوطن فى حاجة إلى دراسة طويلة ، ومعالجة سريعة : لخير العمال ومن يعولونهم من جهة ، ولخير الأمة فى نهضتها الاقتصادية من جهة أخرى . وما لوحظ فى طبقة العمال لوحظ مثله فى طبقة الموظفين . وما لا ريب فيه أن فى العمال والموظفين من يراقبون الله فى عملهم كما يراقبونه فى عبادتهم ، وحديثنا ليس فى هؤلاء . فانهم وبالأسف قلة ، بل حديثنا فى مرض لا شك أنه موجود ، ومن الخير مبادرته بالعلاج ، وهو من حق أبنائنا العمال علينا وعلى الوطن .

ومن القوى الضائعة كذلك ، هذه الأموال الطائلة التى رصدتها الأمة على (التعليم) ، وهو ما برح - منذ نصف قرن وأكثر - يجافى (التربية) فلا يعترف منها إلا بتأهية (التربية البدنية) . ولو أن لكل من التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، مهيمنين ومراقبين ومفتشين وخططاء وأهاليب ومسابقات ومنشطات فى مدارسنا كما للتربية البدنية ، لما وقع كثير من الأمور التى أنشئت لها محاكم النذر ومحاكم الثروة ، ولما كانت مصر على غير ما نرى . ومن أجل هذه التأهية الضعيفة فى مدارسنا صار بعض رجال المعارف أنفسهم يختارون لأبنائهم مدارس أخرى أجنبية عنهم بجنسياتهم ولغاتهم ومذاهبها الدينية . وإنما يجبها إليهم أن فيها ما لا نعتى نحن به من التربية العملية والتهديب الدينى والخلق إلى جانب التعليم ، وإن كانت التربية العملية عتدم على أساليبهم القومية ، وتهديبهم الدينى والخلق

مستمدأ من مذاهبهم ومشاربهم . وما دنا نشعر بهذا الضعف الجوهري فلماذا لا نحرص في مدارسنا على إيجاد هذه الغضالة المفقودة من الجميع ؟ وما الذى يمنعنا من ذلك ؟ ولماذا لا يكون الغرض الأول من المدرسة تربية الخوف من الله في نفوس الأطفال بعناية ومراقبة واهتمام كما يراقب الطبيب مريضه بميزان الحرارة وميزان ضغط الدم وبكل ما لديه من الوسائل ؟

ولماذا لا نرسم الخطط الدقيقة في ذلك لجميع أبناء الوطن الذين تتلقاهم المدرسة وهم في السادسة من أعمارهم ، ثم حين ينتقلون إلى الثانوى وهم في سن المراهقة ، وعندما يصيرون جامعيين في الكليات ؟ لماذا لا نجيب اليهم مدارسهم رسائل الله ، ونجعلهم يطمثون اليها بقلوبهم وعقولهم ، ويؤمنون في طفولتهم وشبابهم بأنهم سيلقون الله حقا ، ليجزيهم بإحسانهم وفضائلهم ما يكافئ ذلك من نديم ورضا ، ويعاقبهم على سيئاتهم وأنانياتهم والنوائهم على الحق والفضيلة بما تستحقه هذه المساوىء من عقوبة ونقمة ؟

إن هذا الوطن شعر اليوم - بجميع حواسه - أنه أصبح في حاجة إلى الأخلاق ، والنظام الجديد القائم إن يعيش في ظله بعد اليوم خاصة ولا عامة إلا بالدين والأخلاق ، ومن أين للواطن أن يكون صاحب أخلاق إن لم تكن هي الغرض الأول من المدرسة ؟ وإذا لم تكن نهاية المدرسة بها عملية وبالدرجة الأولى قبل عنايتها بالتعليم يكن التعليم (قوة ضائعة) ، ويك المآل الذى ينفق عليها (مالا ضائعا) ، والوقت الذى يقضيه الطالب فيها (وقتاً ضائعاً) . وفي يدنا أن نتفادى ذلك كله إذا شئنا ، وبتفاديه نتفادى هذه الحوادث المآكرة التى ملأت أعمدة الصحف ، وصارت شغل المحاكم الشاغل . وقد تكون مسئولية هذا الالمبار - من الجانب الإيجابى - على دور الخيالة ، وما توحىه إلى النشر الساذج من عوامل الإجرام ، ودور الخيالة نستحق من الوطن إعادة النظر في أمرها ، والتفكير العميق في تغيير جميع اتجاهاتها ، ذلك ما لا نذكره ولا نكابر فيه ، إلا أن المدرسة أيضاً تتوجه إليها المسئولية - من الجانب السلبى - لأنها حتى فيما زادت من مواد الدين وحصص القرآن الكريم لا تزال مصرة على أنها معاهد تعليم لا معاهد تربية ، والدم بلازمية سلاح في أيدي غير أهله ، وهذا ما نفكوه ويشكوه الوطن من عهد بعيد . إن المدرسة المصرية يجب أن يكون من أول رسائلها بث الخوف من الله في قلوب أبناء الجيل ، لأن مصر متديئة ، وأبنائها إن لم يربوا عمليا على الدين والخوف من الله والإيمان برسالاته ، فإن مدرستهم لا تكون حينئذ مصرية ولا تمثل هذه الأمة .

وقد يكون من الشجاعة الأدبية الاعتراف هنا بأن الأزهر نفسه يشاطر في حل مسؤولية الأخلاق في البلد ، ولكن الوضع الذي قام الأزهر على أساسه - بتلقيه طلابه وهم في السادسة عشرة من أعمارهم إن لم تقل في السابعة عشرة - قد جعل مهمة الأزهر شاقة ، وجعله في حالة لا يتمكن فيها من تكوين طلبته كما تمكن وزارة المعارف من تكوين طلبتها . فالأزهر يتلقى أبنائه بعد أن احتضنهم غيره من السادسة إلى السادسة عشرة ، فيأثرونه غير مستكملين كثيراً مما يطلبه من الملتحقين به ، ولو مكنته ظروفه من أن يحك جلده بظفره ، ويقوم هو بأعداد أبنائه من سن السادسة فيريهم من نعومة أظفارهم على الأخلاق الإسلامية ويتولى بنفسه تحفيظهم كتاب الله كما يشترطه القانون فيمن يلتحق بالأزهر ، لاستطاع الأزهر أن يقدم للأمة والوطن دعاة الفضائل والأخلاق والنهضة والإصلاح العاملين بعلمهم الذين يقودون الأمة إلى أهدافها الصالحة ، ويكونون قدوة لها في كل ما يدعونها إليه ، والأزهر إذا استطاع أن يستكمل هذا الجانب الضعيف فيه بمباشرته تكوين أبنائه من سن السادسة لن يكلف الوطن درهما واحداً ، فأبناء السادسة من المصريين جميعاً ملزمون بحكم القانون أن يلتحقوا بمدارس الدولة . ومن هؤلاء جميع الذين سيطرقون بعد ست سنوات أبواب الأزهر ليلتحقوا به ، والدولة تتولى تعليمهم من سن السادسة على كل حال ، ولكن وضع الأمور في مواضعها ورددها إلى طرقتها الحكيمة هو في أن تيسر الدولة إعداد العدد الكافي من الذين سيلتحقون بالأزهر بما يلائم طريقة العلم الذي سيختارونه في حياتهم بأن يتولى الأزهر إعدادهم ، ويكون هو المسئول عنهم وعن حسن توجيههم من ناحية التربية والأخلاق ، ومن ناحية استيفائهم ما يشترطه القانون من حفظ كتاب الله ، والأزهر يكون بذلك قد ساهم في مكافحة الأمية بهذا الشرط التابع له من أبناء الأمة ، وسيعلمهم كل ما تعلمه لهم وزارة المعارف في مدارسها ، مضافاً إليه حفظ القرآن كاملاً ، والعناية بالقرية التي لا بد منها لمن سيقود الأمة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وصراط الله المستقيم .

مصر مسألة ، ومن نظام الإسلام الاعتدال والاقتصاد وتجنب السرف والتبذير في كل ما ينتفع به . وما علمه الإسلام للمسلمين أن المتوضوء إذا كان يتوضأ من الثيل الأعظم ينبغي له أن لا يسرف في الماء ، لا خوفاً على ماء الثيل أن ينقص ، بل خوفاً على المسلم أن يتعود

السرف وأن يكون بالتبذير من إخوان الشياطين . ومن العجيب أن يكون هذا تعليم الإسلام هم نكون جميعا مسرفين على أنفسنا في كل شيء ، ونضيق ما لو حفظناه وأحسننا القيام عليه لكننا من أقوى الأمم ، بل أقوى الأمم .

وأخيراً ، انبرى لهذا البلد من يدعوه إلى « تحديد النسل » بدعوى أن نسبة المواليد إلى عدد السكان وصلت إلى ٤٠ في الألف ، فانحطت بما لذلك مستوى دخل الفرد من ١١ جنياً ٢٤٠ ملياً إلى ٨ جنيناً ٥٠ ملياً ، وقال أحدهم مخاطباً النساء : إن الحمل والوضع يشوه جمالكن ، والزنجيات في مجاهل إفريقيا يخفن على جمالهن من الحمل والوضع ، فتعلن من زميلانك المتوحشات كيف تحافظن على جمالكن .

وبحدثنا الدكتور محمد عوض محمد في أحد مؤامراته عن الشرق والغرب أنه لقي في أوروبا آنسة مثقفة إبتهجت بلغاته لما علمت أنه مصري مسلم فقالت له : إننا إذا أردنا أن نصف الدين المسيحي بلفظ موجز نقول عنه إنه دين المحبة ، وإذا أردنا أن نصف البوذية أو البرهمية نقول إنها دين كذا ، فهل تتكرم فتصف لي رسالة الإسلام بلفظ موجز أعرف منه ما هي رسالته إلى الإنسانية ؟ وقد اعترف مدير جامعة الإسكندرية بأنه لم يحرج جواباً ، ولم يجد عنده ما يصف لها به الإسلام . ولو أنه قال لها : الإسلام دين الحق والخير ، لما استطاع جميع علماء الدنيا إذا تفرغوا لدراسة الإسلام أن يجدوا في رسالته ما يخرج عن مدلول الحق أو مدلول الخير . ومع ذلك فقد بلغت بنا فوضى البحث العلمي وقيادة المجتمع المصري إلى حد أن مدير جامعة الإسكندرية الذي لم يستطع أن يعرف ما هي رسالة الإسلام صار يريد أن يصحح لمفتى الديار المصرية معارفه عن الإسلام ، ويعلمه ما هو الحكم الشرعي في « تحديد النسل » ، وهل حكمه فيه الإباحة أو الوجوب كما يزعم مدير جامعة الإسكندرية ، أم المنع بتاتا إلا للمرد ، في حالات « الضرورة » كما يقول المفتي .

إن مدير جامعة الإسكندرية لم يجعله مصر مديراً لهذه الجامعة إلا وله جانب من العلم يؤهله لذلك . ولكن لما يدخل في باب (القوى الضائعة) أن ينصرف مدير جامعة الإسكندرية عن ناحية القوة في مؤهلاته ، وينبرى لمفتى الديار المصرية في مناقشته عن حكم الإسلام في مسألة من المسائل من وجهتها الشرعية . وإن مفتى الديار المصرية ، وكل عالم شرعي ، يربأ بنفسه أن يناقش طبيياً في موضوع طبي ، أو مهندساً في موضوع هندسي ، وهذا معيار صحيح لمعرفة قدر العلم ، وإعطاء كل ذي حق حقه .

وما دنا في موضوع (القوى الضائعة) فن الواجب أن نعلن أن الدعوة إلى « تحديد النيل » في مصر على الخصوص تمتد في طليعة الدعوة إلى تعطيل القوى وتضييقها ، لأن زيادة النيل عندما ميدانها الريف والأيدى العاملة في الزراعة ، وإن زيادة الأيدى العاملة في الزراعة - من نساء ورجال - هي ثروة مصر الأولى بيد (الأرض) و (النيل) .

يقول الدكتور عبد الجليل العمري وزير المالية في بياناته عن المشروع المصري لبناء السد العالي على النيل : « إنه يمكن إتمامه والحصول على الفائدة الكاملة منه في خمس سنوات أو ست . وبعد ذلك تزيد رقعة الأراضي الزراعية بمقدار الربع ، ويزيد المحصول الزراعي بمقدار الثلث » .

ولو استجابات مصر لدعوة تحديد النيل ، ثم جاء الدكتور عبد الجليل العمري بعد ست سنين أو عشر سنين يطلب الأيدى العاملة لاستنباط الرزق والخير من رقعة الأرض الجديدة التي تبلغ في سعتها ربع الأراضي المزروعة الآن في مصر ، فانه سيجد الدكتور محمد عوض محمد قد سبقه إلى توجيه مصر نحو قطع الذرية احتفاظاً بجمال المصريات على غرار ما سبقه إليه متوحشات بجاهل إفريقية .

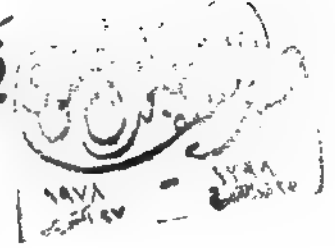
بل إن مصر التي ترمق جيشها بعين الإجلال والإكبار ، وتراقب نموه وازدياده بفارغ الصبر مقتبلة بذلك مسرورة ، وتحاول إيصاله إلى المقام اللائق به بأكثر مما يساعدها على ذلك قانون القرعة العسكرية الحالي ، فأوجدت قسم القوى المرباطة ، وفتحت باب التطوع للفدائيين ، إنما بعد هذا كله ستجد نفسها - إذا نجح مدير جامعة الاسكندرية في قطع الحرت والنيل - أمام جيش أقل مما كان ، لأن هؤلاء العلماء الأجلاء أصحاب دعوة « تحديد النيل » يكونون حينئذ قد وصلوا إلى نتائج دعوتهم من الهبوط بمصر إلى تعداد أقل ، وجيش أضعف ، وسيتعطل المشروع المصري لبناء السد العالي على النيل ، وستبور مساحات كبيرة من الأرض الزراعية بقدر ما ينقص من الأيدى العاملة فيها . ولا شك أنه ستقر بذلك دين إسرائيل ، إذ يكون قد جاءها ما تشتهي من حيث لا تحسب .

ويا له من عمل صالح يرفعه الله أسفل

عبد الرحيم الخطيب

نَفَحاتُ الْفِرَاقِ

- ٨ -



بقرة بني إسرائيل

(١) [يا بني إسرائيل : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم]

سيظل التاريخ راوية العجب من شأن بني إسرائيل : فهم أبناء يعقوب . . . وأحفاد إسحاق . . . وأسباط إبراهيم . . . والثلاثة هؤلاء مطلع الهداية من برجها الشاخ . . . ونبع العلم فياضاً من مواهب الله . . . وهم أرومة المجد في أعراقها الأصيلة : حرسها العناية ، وكنتها الرعاية ، فانبثقت منها فروع النبوة ، وكانت دوحة ناضرة في وهج الدنيا : وشجرة مثمرة في جذب الحياة .

أسبغ الله على بني إسرائيل ما لم يسبق إليه الأولون ، ولم يلحق به الآخرون ، ومكن لهم من فرعون وجنوده ، وأظلمهم بالغمام من لفح الهاجرة ، ولجر لهم بين الاحجار عيوننا لتروى في اليباب ظلمهم ، وبرأهم مبوأ صدق . . . وفضلهم على العالمين .

وكان بني إسرائيل زعموها نعمة غير مكفولة فاتخذوها متاعاً في إسراف ، أو حسبوها عهداً غير مسئولة فنكثوها في بلادة واستخفاف .

أو كانوا ظنوا ربهم أباً لهم وهم أبناءه وأحباؤه . فهم في مرح الطفولة ودلال البتوة وليس لهم سوى الرغبات والأمانى : فإن تخلف عنهم مطلب غضبوا وقالوا : يد الله مقولة .

وفي سلبهم هذه ظلوا أبعد الناس عن الهدى ، وأعصام لها أسرار . . . وأكفرهم للنعماء ، وأغدرهم بالأنبياء .

وكانت بأيديهم التوراة : أول الكتب الخالدة ، جاءتهم بمل الدين ، وخير الدنيا ، فما رعوها حق رعايتها ، بل بدل الذين ظلوا منهم قولاً غير الذي قيل لهم ، فكانوا قردة غاشمين .

فيا ترى !! لم كانوا من فضل الله في سعة . ثم لم كانت هداية الله فيهم ضائعة ؟ سبحانه وتعالى حكمتك ... ولعلك يا مولاي !! شئت أن تضرب فيهم المثل الحق هل أن أسباغ النعمة ليس أمانة الرضا فإن الدنيا لك ، ترزق منها البر والفاجر ، أو شئت أن توقظ فينا الوعي إلى أن العبد منا لا يكرم عندك بحسبه ولو كان من النبوة بنفسه : ما لم يرك نفسه بأحب الاعمال إليك ، قالهم لا تبطرننا بنعمتك ، وعب لنا من نورك نوراً لا تنزل معه . وأنتم علينا إيماناً لا تزبغ بعده .

(ب) [إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... فذبحوها وما كادوا يفعلون]

جاء القرآن حافلاً بالحديث عن بني إسرائيل ، ولينها كانت أحداثه الرضا ، أو قبسا من ذكريات طيبات . وهذه سورة البقرة وفي سياقها عنهم أحداث جسيمة . كما فيها أحكام تشريعية خطيرة ، ففيها تحويل القبلة إلى الكعبة ، وفيها تحريم الخمر ، وتشريع القصاص وتنظيمه ، وفيها أحكام الطلاق وسواها .

فلم اختير من بين هذا كله أمر يخص بني إسرائيل لتسمي به السورة ؟ ثم لم كان هذا الأمر حادث البقرة خاصة ؟

نعم : فيها أطراف من القصص ، وجمهرة من الأحكام .. ولكن ما فيها عن بني إسرائيل أوفر كثرة من غيره .. فأنت ترى ما بين الآية الأربعين إلى الخامسة بعد المائة - أعني خمسا وستين آية - نسفاً واحداً عن بني إسرائيل ، فضلاً عما تراه منشوراً في السورة من آيات أخرى . ثم إنك واجد حادث البقرة بين الأحداث الإسرائيلية أوضح تمثيلاً لما عليه تلك الأمة من رخاوة . مع ما في الحادث والحديث عنه من طرافة صادقة .. فلذلك ولهذا صرح أن تسمى السورة بشي . يخص بني إسرائيل ، وأن يكون ذلك الشيء لفظ البقرة ، واللفظ كغفل بإثارة العجب ، وإن كان في كل حديث عنهم شيء من العجب .

استفزهم الجشع واستجلتهم المطامع ، خفف بعضهم إلى قتل سرى من ذوي قرباه ، ثم أخفوا أمره ، وزاموا بالهمة ، وتنادوا بالأرقتيلهم ، فكانت فتنة الاتهام الباطل مشوبة إلى جانب الجريمة البغيضة ، وحدث الفلق في البيئة ، وحسبوا ألا تكون فتنة ، وظنوا ألا معقب لما صنعوا ، ولكن الله يكشف عن الحبيء توطيداً لسنته في خلقه ألا يحيق المكر

الحي. إلا بأمله [وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها ، والله يخرج ما كنتم تكتمون] فكيف تم إخراج الله لما كنتموا ٤٤ .

طلع عليهم موسى بما أوحى إليه [إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة] وليس مأذونا في تعريفهم بسبب الذبح ، وإنما عليه البلاغ لحسب . وكان عليهم أن يستجيبوا مطعنين إلى حكمة الله فيما أمر ، وبنفذوا وراغبين في الإنجاز ، فن كمال الإيمان أن يكون العبد جندياً لله يطيع ولا يترتب ، وإن كانت غريبة حب الاستطلاع تقف به موقف التساؤل والتعرف ، فليكن التنفيذ أولاً عن طوعية .

ولكن بنى إسرائيل لم يكونوا في هواة المؤمن السلس ، ولا في طوعية النامض بالامر شيئاً يتعرف ، بل تريتوا تريت المتخاذل ، يسترون إحجامهم بالتجاهل ، ويستوضحون ما لم يكن بحاجة إلى استيضاح ، بل استقبلوا الامر بالإنكار ، وزعموا موسى هازلاً معهم ، أو هازناً بهم [قلوا أنتخذنا هزوا ٤٤] وكان موسى من عامة الناس يبلغ من سنه أن يقول على الله ما لم يأمر به ، ولكنه ينهمرهم في قرة ، ويذكرهم بأن من كان مثله من مقام النبوة الرفيعة فهو بعيد عما هوت إليه أفكارهم [قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين] وقد بدا لهم أن المارق جد ، والامر قاطع ، فأخذوا يتعللون بالاسئلة . . فهم يطلبون تحديد ما بلغت البقرة المطلوبة من العمر ، ويقولون [ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟] وأنت ترى في السؤال نفثة من اللوم المطبوع ، إذ يقولون : ادع لنا ربك ، وكأنه ربه وحده ، وليس رباً لهم ولكل شيء . . ومسايرة لحكمة الله في إلهامهم أجابهم موسى بوحى الله [إنها بقرة : لا فارض ولا بكر - لا كبيرة ولا صغيرة - عوان بين ذلك] - وسط بين الطرفين - ثم يكفهم عن إطالة الجدل بقوله [فافعلوا ما تؤمرون] ولكن ببلادة الطبع تجر بنى إسرائيل إلى معارضة السؤال فيقولون [ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها] فيجيبهم ثانياً [إنه يقول : إنها بقرة صفراء ، فاقع لونها ، أسر الناظرين] فليس يكفي لونها الأصفر ، بل لابد من فقاة اللون وشدة ، وليس يكفي هذا وذاك ، بل لابد أن تبلغ من شدة الصفراء أن أسر الناظرين ، وبذلك دخلوا في قيود كانت محولة ، وتعرضوا لاسر كان ميسورا ، ومع هذا خاصوا في الجدل ثالثاً وألوا جديداً : لا عن سنه ، ولا عن لونها ، بل عن صفتها التي تؤهلها للعمل [قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ إن البقر تشابه علينا ، وإنا إن شاء الله لمهتدون] وتعليقهم على المشيئة في هذه المرة ليس تعليق المتوكل حقاً ،

فقد كان موضع ذلك من قبل ، وإنما هي تقوى مصطنعة ، وطاعة مستنقطة ، لذلك لم يترفق الله بهم ، بل أضاف قيوداً أخرى مجازاة لما يبدون من حرص زائف [قال : إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ، ولا تسقى الحرث] - ليست سلسة القياد تطيع في حرث ولا في سقى - [سلسة لاشية فيها] - لا نقص فيها ، ولا معابة تشينها أو تخدش جمالها .. فإذا اجتمع فيها من العمر أوسطه ، ومن اللون أبهجه ، ومن الجمال أكمله ، فهيها أن يتباح ذلك : [إلا أن تكون بقرة علفت بها حكمة الله سبحانه .

وإذ أحسوا بأن الاستطراد في السؤال لم يمد له منفذ فظاهروا بالرضا ، كن يحس بوقع الأمر على نفسه فيبتسم له وهو مغلوب مكبوت .

وكانت الحكمة أن بقرة بهذا الوصف كله وعلى وجه التمام تحت يد إنسان منهم كان باراً بأهله ، فظهر من رعاية الله له أن يجعل بقرته منشودة لبني إسرائيل ، فطلبوها وما ظفروا بها إلا بعد ثمن أثرى به صاحبها [فذبجوها وما كادوا يفملون] .

ثم ماذا ؟؟ [فقلنا اضربوه ببعضها . كذلك يحيي الله الموتى] .

(ج) أن لحكمة الله في الذبح أن تتجلى ، وأن لدم القتيل أن يعاق بالقاتل . أمرهم الله أن يأخذوا جزءاً من البقرة ، ويضربوا به جسم القتيل ، ولم يعد الأمر بحاجة إلى المراوغة فقد دفع الثمن ، وذبحت البقرة . فضربوه ، فإذا به ينهض ليقول على مشهد وسمع من القوم : قتلى فلان . وبهذا استقر الأمر على ما قدر الله ، وبأن لبني إسرائيل ما حسبوه يخفى ، وحرم القاتل من ميراث متولاه ، وكانت سواة من سواتهم ، وأقد كان القتل سابقاً منهم على التكليف بذبح البقرة وعلى ضرب المقتول ببعضها ، ولكن بدأت الآية بقصة الذبح وما اشتملت عليه من محاولات ، لأن هذا هو الجانب الذي تستمد منه العبرة ، ويعرف من ناحيته عن بني إسرائيل ما أرداهم في المهالك من مراوغات ، وتخلف ، ومراعاة لانتهاز العبر من الفصص ذكر أمر الذبح سابقاً على سببه وهو القتل ، والترتيب في الذكر على نمط الترتيب التاريخي ليس غاية من غايات القرآن .. ومع ما في هذه الفصصة من لعنت لبني إسرائيل فقد مرت بهم كما مر بهم سواها ، وما أفادوا منها بعض ما فيها ، بل دأبوا على طاعتهم وما أغتتهم آية ، ولا زجرتهم النذر ، حتى يشهد الله عليهم بأن قلوبهم بعد ذلك تمجرت أكثر من الحجارة ، فن الحجارة ما يتشقق فيخرج منه الماء ، ومنها ما يهبط ساقطاً من خشية الله كما اندك الجبل على مشهد من موسى ومن معه ، ولكن قلوب بني إسرائيل

ليست كذلك ، ولهم من الأحداث ما حفلت به السير ، وشهدت عليه الآيات : فالأمل في هدايتهم ، وثوبهم إلى ربهم ، وتوثيق صلهم بالشرائع التي سبق إليها أنبيأؤهم : كل ذلك مطمع في غير رجاء .

ولو أن نفوس القوم على أهبة من صلاح لكان في حياة القليل مزدجر لهم ، وفتح لقلوبهم . ولكن لا تقضى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون .

ورب سائل : — ما ميزة البقر على غيره في الاختيار لإحياء القليل ؟؟

ونحن لا نحسب أن البقر تميزاً ، وإنما هي وسيلة عرف مثلها عندهم ، فقد كانوا من قبل حين الاتهام والتكاذب يجتمع وجوه القوم من أقرب المواضع إلى مكان القتل ، ثم يتقدمون إلى بقرة مذبوحه ويفعلون أيديهم ويضطونها على جسمها ويقسمون على التبريء مما يرمي إليهم ، فمن امتنع عن هذا الصنيع كان في اعتبارهم مستولاً . . وهذه أساليب بدائية توارثوها عليها ، ثم بقيت فيهم ، وتكليفهم في هذه القصة بالذبح والضرب قريب من وسيلتهم تلك . . فضلاً عما في الضرب والإحياء من دليل مادي يزيدهم إيماناً بالبعث والحساب كما أخبرهم الله ، ولم يفتهموا . . ونحن نذكر أن البقر أثير عند بني إسرائيل منذ عبدوا العجل الذي اتخذته لهم السامري في غيبة موسى عنهم يوماً من أيام المناجاة لله في الطور .

بل هو أثير عندهم من قبل أن يجتاز موسى بهم البحر ، وذلك ، منذ كانوا في مصر ، وكان المصريون على قديم عهدهم يعبدون عجل أبيس ، قتشيع اليهود بحج العجل ، وظل داه فيهم (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) .

ولا يزال جنوحهم للبقر بادياً حتى اليوم ، ولعل في الأمر رأياً لغرينا في تحليل هذا الجنوح إلى البقر ، وإن كان الكثير من تقاليد الإسرائيليين غير معقول المادى .

وقد يقال : تكريمهم للبقر يقتضى ألا يطلب إليهم ذبح البقرة ؟؟ ولم لا تكون حكمة هذا التكليف مطوية على امتحان البقر بذبحه بعد تقدسه ، وتعليمهم أنهم يعبدون حيواناً ما كولا لهم ، فكيف يكون لإلهم ؟؟

وقصارى الحديث : أن لنا في هذا التبا حفا من العظة ، ونصيبا من العلم وعلينا أن نقتن لما جرت به إسرائيل على نفسها ، فنحذر إسرائيلها ، وتتحاشى سيلها ، ونستوعب في آيات الكتاب أحداثها ، ونأخذ لأنفسنا من قصصهم ما لم يأخذوا لأنفسهم ، والسعيد

من وعظ بغيره .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

السُّنَّةُ

شُعَبُ الْإِيمَانِ

المهاج النبوى فى التربية - من عجائب التربية النبوية - مراتب الإيمان
وشعبه - أعلامها وأدناها - مكان الحياة منها - الحياة من الحياة .

• • •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان بضعٌ وسبعون - أو بضعٌ وستون شعبةً ، فأفضاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق ؛ والحياةُ شعبةٌ من الإيمان . رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

• • •

راحنى فى الكتابة على هذا الحديث رئيس تحرير هذه المجلة فى جزئها السابق ؛ فبينا أنا ماض فى إعداد العدد لشرحه ، ووقف النظر والفكر والجهد له - طلعت علينا المجلة بمقالته المؤمنة الصادقة الحثيرة . فإنا أن قرأناها حتى أزمعت الكتابة فى حديث غيره ... بيد أنه - وقد عنت عليه فى هذه المزاخرة - أقنعت بالمضى فى تبيان هذا الحديث الجامع . الذى يعد بحق أساساً للدين كله : فرائضه وشرائعه ، وحدوده وسفنه ؛ وينبوعاً قوياً فياضاً لبيان رسول الله ﷺ وهديه (١) :

أرسل الله إلى نبيه الذكر ليبين للناس ما نزل إليهم ، وقد فعل ؛ فبين لهم ، وعلمهم كل ما يحتاجون إليه مما فيه سعادتهم ومجدهم وارتفاع درجاتهم فى الدنيا والآخرة ، لم يدع شأننا من شئون العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والأبر والتقى ، فى الحل والترحال ،

(١) ولجلالة شأن هذا الحديث صنف العلماء فى شرحه وتعيين شعبه كتباً كثيرة ، منها كتاب شعب الإيمان للحافظ الفقيه أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ ألفه فى ست مجلدات ؛ ثم اختصره أبو جعفر عمر القزويني المتوفى سنة ٦٩٩ : وطبع المختصر مرتين بالمطبعة المنيرية .

والمطعم والمشرب والملبس والمنكح ، والنوم واليقظة ، والاجتماع والانفراد ، حتى دخول
الحلاء والخروج منه - إلا بيته بيانا شافياً ... فكان من بيانه وهدية هذا المنهج المنير ،
وتلك التربية القوية المثلى ، الصالحة لكل زمان ومكان ، ولكل جيل وقبيل ، تلك التي
لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمنزلها ، لا يأتون بمنزلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

* * *

وكانت طريقته عليه السلام في هذا المنهج أمثل طرائق التعليم والتربية ، مما يدع المعلمين
والمرربين مشدوهين متسائلين حيارى : أنى لهذا الأسمى تلك الطريقة العجيبة في التكوين والتربية ؟

نعم ، إنه لم ينتلق علماً من بشر ، ولم يجلس - حياته - بين يدي مرب ولا معلم ، ولكن
علمه العليم الخبير الذي وسع كل شيء علماً ؛ وجلس بين يدي الروح الأمين ، بأمر رب
العالمين ، حتى أتم هذا المنهج الذي أعجز الأولين والآخرين أن يأتوا بمنزله ، أو أن يجدوا
سعادتهم - حتى الدنيوية منها - في غيره 11

* * *

ومن مناهج هذه الطريقة المثلى أن يحدث أصحابه بمنزل هذا الحديث الجامع ، ثم يفصله
بعض التفصيل بمنزل حديث جبريل في سؤاله عن الإسلام . والإيمان ، والإحسان ، ثم عن
الساعة .. فيجيبه صلوات الله وسلامه عليه بأهميات هذه الشعب البضع والسبعين ثم يقول
لهم : هذا جبريل عليه السلام أنا كم يعلمكم دينكم .

وحديث جبريل من الشهرة بالمسكان الذي لا يحمله أدنى قراء هذه المجلة ، وقد جمع
وظائف العبادات الظاهرة والباطنة : من عقود الإيمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص
السرائر ، والتحفظ في الأعمال ، حتى سعى - بحق - أم السنة ، كما سميت الفاتحة بأمر الكتاب .
ثم يفصل حديث جبريل ويبسطه ، في هديه وتعليمه وإرشاده ، وشرحه لهذه الشعب
في مختلف المقامات والمناسبات .

وقد جد كثير من العلماء وتكلفوا حصر هذه الشعب وتحديداتها ... ولخصها صاحب
الفتح في تسع وستين خصلة طباقاً لإحدى روايتي الحديث ، ثم قال : ويمكن عدما تسعا
وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض . يريد بهذا مطابقة الحاصل للرواية
الثانية . وكلتا الروايتين واردة في الصحيح .

ولا تخرج هذه الشعب - كما قال صاحب الفتح - عن أعمال القلب ، وأعمال اللسان ، وأعمال البدن :

فأعمال القلب المعتقدات والنيات ، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة ، أعلاها إيمان بالله وتوحيده وتزيهه وأنه ليس كمثل شيء . . . وعن التوحيد يصدر كل خير ،

وأعمال اللسان سبع ، منها الدعاء والذكر والاستغفار واجتناب اللغو ،

وأعمال البدن ثمان وثلاثون ، منها التطهير حسا وحكما ، ومنها إطعام الطعام وإكرام الضيف ، ومنها تربية الأولاد وصلة الرحم ، ومنها رد السلام وقشيمت العاطس وكف الأذى عن الناس ، واجتناب اللهو ، وإمالة الأذى عن الطريق .



وأيما ما كان الأمر فقد اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بذكر أفضلها وأعلاها ، وأيسرها وأدناها ، ثم بذكر شعبة من أهماتها تيسر عليها وتيسر الطريق لها . وهذا الإجمال من عجائب التربية النبوية ، فإنه صلوات الله وسلامه عليه لو فصل الشعب وعددها ، وهو قادر على عددها ، لشق على أمته ، ولسد عليهم طريق الاجتهاد فيها ، ولوقفوا عند الذي عدده وفصله ، مع أن كثيرا منها يراد منه نوعه ومثيله ، لا عينه وذاته ، ويتجلى ذلك في نوافل الخير وأعمال البر وهي كثيرة لا تحصى ، كما يتبين في آفات من الشر لم تكن معروفة في عهده صلى الله عليه وسلم ، فتفصيل هذه الشعب - فضلا عما فيه من الإضجار والإملال - يوقع في حيرة لا فكك منها ثم في اختلاف لا رحمة فيه ، ولا ثمرة منه !



بدأ **عليه السلام** بمفتاح هذه الشعب الذي لا يقبل شيء منها إلا به ، وهو كلمة التوحيد : وليس المراد مجرد النطق بها ، وإلا كان المنافقون وكثير من الكافرين من أهل الإيمان . . . إنما المراد النطق المتيقن من الإيمان بالله وربوبيته ، والطمأنينة التي لا تشوبها شائبة رية في وحدانيته ، الإيمان الذي خالعات بشاشته الهلوب ، وملاآت حلاوته النفوس ، فطربت الألسنة بالشهادة الخالصة ، وتحركت الجوارح بالأعمال الصالحة .

ونظير هذا ، قوله صلى الله عليه وسلم لسفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه حينما

قال له : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك ، قال : « قل : آمنت بالله ثم استقم » .

لم يقل له : آمن بالله ، لأن الإيمان بالله - وإن كان أساسه التصديق الذي لا شك فيه - يتفاوت بحسب مراتب اليقين والطمأنينة ، ومحال أن تكون مرتبة عوام المؤمنين ، كمرتبة النبيين والصدّيقين ، ولا شك أن النبي ﷺ يريد هنا الإيمان الكامل ، الذي يفيض على اللسان فينطق بكلماته صادقا موقنا ، ثم يفيض على الجوارح فتعمل الصالحات راضية مطمئنة ، وهذا شأن المؤمن الصادق ، الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .



وفي صلوات الله وسلامه عليه بذكر إمالة الأذى عن الطريق ؛ ليبين أن إزالة الضرر عن المارة كبيراً كان أو صغيراً ، ولو غصن شوك ، من شعب الإيمان التي لا ينبغي الاستهانة بها فقد يكون فيها رضا الله عز وجل ؛ وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : بيننا رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه ، فشكر الله له فغفر له ؛ ثم ليبين أن هذه الشعب على مراتب مختلفة ، ودرجات متفاوتة ، لكن الذي يقدرها ويحصي ثوابها هو الله عز وجل .



وختم الحديث صلوات الله عليه بشجرة من أهبات الشعب وأجلها ، وهي الحياة . وإنما اختاره ﷺ ختاماً ، لأنه يحضر على الشعب جميعها . ويتجه بصاحبه وجهة الخير والاستقامة ، ثم هو حلية الأخلاق وزينتها ، وماء الحياة الذي يترقق فيها ^(١) بل هو خلق هذه الحنيفة السمحة ، كما روى مالك عن زيد بن طلحة بن رُكّانة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل دين خلقاً ، وخلق الإسلام الحياة » ، فكانه ﷺ يشير بهذا الختام العجيب إلى أن الحياة مهيمن على هذه الشعب ومسيطر عليها ، فلن يقبل منها ، أولن يكون واقعا موقع السكّال والرضا إلا ما أتم بسيا الحياة ، فمن هنا يخرج المنافقون والمرأون والكذّابون الذين يتظاهرون بعمل الصالحات وهم عنها مبعدون ؛ ومن

(١) تديج واقتباس من المقالة التي أشرنا إليها أولاً .

هنا يستبين لمن تأمل ، أن المراد الحياء الشرعى المحمود الذى يبعث على اجتناب القبيح
ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ، وأما الحياء الذى يحمل صاحبه على الإخلال بالحقوق
والتقصير فى الواجبات ، فليس حياء فى حقيقة الأمر ، وإنما هو عجز ومهانة وخور ، وإن
سمى بالحياء مجازاً لمشايمته له ؛ وليس هذا مراداً فى الحديث البتة ، كما أنه ليس المراد الحياء
الغسرى وإنما المراد الحياء المكنسب الذى يستعمله صاحبه على قانون الشرع ، لا يتخاف منه .

قال العلماء : والحياء مشتق من الحياة ، فهو من قوة الحس ولطفه ، وعلى حسب حياة
القلب ولطف الحس يكون الحياء قوة وضعفاً .

وذكر الماوردى فى « أدب الدنيا والدين » أن الحياء فى الإنسان قد يكون على ثلاثة
أوجه : حياؤه من الله تعالى ؛ وحياؤه من الناس ؛ وحياؤه من نفسه . . . وبينها كلها ثم قال :
فتى كل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة - فقد كملت فيه أسباب الخير ، وانتفت عنه
أسباب الشر ، وصار بالفضل مشهوراً ، وبالجميل مذكوراً .

وأما ابن القيم فى « مدارج السالكين » فقد ذهب - وقه دره - إلى أن الحياء عشرة أوجه ،
ثم فصلها تفصيلاً . . . وقد نعرض لها كلها أو بعضها لمناسبة « الحياء النبوى » الذى نرجو أن
يكون موضوع حديثنا فى الجزء الآتى بمشيئة الله تعالى ومعوته وتوفيقه ؟

ط محمد الساكت

ماء الوجه

قال صالح بن عبد القدوس :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير فى وجهه إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك ، فإنما يدل على فعل الكريم حياؤه

إشاعات السوء

وموقف الاستاذ منها

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

نشرت جريدة (الاهرام) في صباح الاثنين ١٢ المحرم (٢١ - سبتمبر) ما يلي :
... ثلاث إشاعات تعاقبت على أسماعنا ونحن في الصلاة ، بين يدي الله ، تؤدى فريضة المغرب ، أمس ، قالت واحدة منها ما لا يدخل - ولا يمكن أن يدخل - نطاق التصور ، وجاءت الثانية فكادت تخرجنا - لولا أنارة من الإيمان الصحيح - عن نطاق العقل . ثم جاءت الثالثة فكانت ضغنا على إبالة وكما تقول أمثال العرب ، وأشهد أن الإناء قد فاض بهذه الإشاعة ولم يعد في قوس الصبر منزع ، فتوجهت إلى فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر ، وكنا ناتم به في الصلاة وقلت لفضيلته : ألا ترون فضيلتكم أر إشاعات السوء في هذه المرحلة التاريخية من حياتنا قد تلاحقت وتتابعت وأخذت تنآزر وتساند حتى خيف على دعوة الحق ، فما هو حكم الشريعة السمحة في هذا البلاء الوافد ، وفي هذه الفتنة المشتعلة الى تريد أن تقضى على الحرت والفلس ؟

والحق أن الأستاذ الاكبر قد بدا عليه الالم المرير ، والحزن الموجه الممض ، فاعتدل في جلسته وتحدث إلينا في إنطلاق ، ووضوح ، وأبان عن كثير من الاحكام الخافية علينا ، في موقف الفتنة من دعاة الحق والسلام :

إشاعات السوء عن شئون الامة وسير أعمالها ، وأهداف إصلاحاتها . ومقاصد رجالها لا تقل ضررا في كيان الامة وسلامة الوطن عن التجسس للعدو على دغانها ، ومواطن قوتها وضعفها . فكل ذلك خدمة للعدو ، ومولاة له . وقد خاطب الله المسلمين بقوله « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » .

بل إن مولاة العدو - في حال عدوانه - وترويج ما ينفعه في مضرة الإسلام وأهله تخرج الموالين له عن تبعيتهم لآلهم وتلحقهم بأمة عدوهم . وفي ذلك يقول الله عز وجل « ومن يتولم منهم فإله منهم » .

ترويج إشاعات السوء :

« ومن أشد ما يوالى به المنافقون من يكيد للامة من أعدائها ترويج إشاعات السوء والاصغاء إليها ، وقد ورد في ذلك قول الله عز وجل : « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم

مرض والمرجفون في المدينة لنفرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . .

« وكان بما كانوا يرجفون به ما ذكره الله عنهم في قوله عز وجل : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا » .

« ولما ولّاه المنافقين خلفاء في كل عصر من عصور الاسلام وفي كل وطن من أوطانه ، يخذلون الناس عن أئمتهم وولاء أمرهم ، ويشيعون السوء عن برامجهم وخططهم ، وهذا مرض في القلوب كما وصفه الله عز وجل ، وعلى من يصاب بهذا المرض أن يعالج نفسه قبل أن يعالج بأحكام الله . وفي هؤلاء أيضا ورد قول الله سبحانه : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا » ، أى أفشوه حيث لا يكون من المصلحة العامة إذاعته وإفشائه . وقد يكون ما يذيعونه كذبا ومضرا بالمصلحة ، فيكون ذلك من الإثم المزدوج الذي طهر الله قلوب المؤمنين منه . « واللاتق بالمسلمين إذا سمعوا قالة السوء أن يكونوا كما أراد الله للمسلمين في قوله عز وجل : « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا : هذا إفك مبين » . إلى أن قال سبحانه : « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » . ولولا إذ سمعتموه قلتم : ما يكون لنا أن تتكلم بهذا ، سبحانه هذا بهتان عظيم .

ولما عاد المسلمون من غزوة أحد كان فيهم من اختلفوا في الحكم على المنافقين والمرجفين فقال فريق للنبي ﷺ « اقتلهم » ، وقال فريق « لا تقتلهم » ، فزل في ذلك قول الله عز وجل : « فإلهم في المنافقين فتنين والله أركسهم بما كسبوا » ، وفي ذلك ورد الحديث النبوي : « أما طيبة (أى المدينة) تنفى خبيثا كما تنفى النار خبث الحديد » ، وفي رواية « خبث الفضة » .

« وأول فتنة في الإسلام ، وهى الجرأة على خليفة رسول الله وصهره سيدنا عثمان ، كان منشؤها إشاعات السوء الكاذبة ، وتضليل البسطاء وضعاف الأحلام ، فجر ذلك على الأمة من الضرر ما لم تتوصل إلى مثله الدول المعادية بما لديها من جحافل وقوات حربية .

وفي الليلة الأخيرة قبل نشوب حرب الجمل توصل أصحاب رسول الله ﷺ من الفريقين إلى التفاهم على ما يرضى الله عز وجل من إقامة الحدود الشرعية على من يثبت عليه أنه لهدا في مصرع أمير المؤمنين عثمان ، وبات أبناء كل فريق في معسكر الفريق الآخر بأنهم ليلة وأسعدهما وأرضاها لله ، فما كان من قتلة عثمان ومن يتبعهم من قبائلهم إلا أن أنشبوا القتال في الصباح الباكر ، وأشاعوا في معسكر من المعسكرين بأن المعسكر الثانى هو المهاجم له على خلاف ما اتفقوا عليه بالأمس ، وبذلك كانت الإشاعات بين الطرفين أفكك بهما وأضر على الإسلام من أسلحة البغاة الفاتكة .

أيها المسلمون :

إن إشاعات السوء سلاح العدو ، والذي يصغى إليها يمكن العدو من الفتك بالامة والوطن ، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، فاعملوا في ذلك بهداية الله عز وجل وإرشاده حين يقول : « ولولا إذ سمعتموه قلتم : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، وعلى ولاية الامر أن يتصرفوا فيمن يثبت عليهم ذلك وفقاً لحكم الله تعالى حين يقول لنبيه ، لأن لم يفته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ، لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . »

إن الامة تجتاز اليوم مرحلة من أدق مراحلها في تاريخ نضالها العنيف ، هي مرحلة تقرير المصير . وهذه المرحلة - بما لها من الخطر والأثر في مستقبل الامة وحاضرها - تقتضي منا أن نلتفت لسل ما يراد بنا ، سواء من العدو الغاصب أو من أعوانه . وأن نحذر دعاة الفتنة والذين يحملون على إشاعتها بين طبقات الامة . ولنعلم أن هؤلاء وأولئك يستهدفون غرضاً واحداً . ويعملون لغاية واحدة ، هي تمزيق الشمل وتشتيت الجمع ، وتفريق الكلمة ، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم ، وإلءاء العدواة بين المؤمنين والمؤمنين . وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها . فإذا ما تحققت غايتهم ، فإن الفتنة لا تصيهم وحدهم ، ولا تصيب طائفة دون أخرى ، وإنما هي تصيب الامة بأسرها . وقد حذرنا الله تعالى منهم ومن فتنهم ، فقال جل شأنه « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واتقاء الفتنة يكون بدفعها وإدخالها ، وإنزال العقوبة الرادعة على كل من يثبت عليه أنه كان سبياً فيها ، أو في عنصر من عناصرها . ويرى علماء الشافعية أن تكون العقوبة هي (الإعدام) لكل من يثبت عليه أنه أحدث بين المسلمين فتنة . وأما علماء المالكية فإنهم يتركون الحد على هذه الجريمة لاجتهاد الإمام ، أي الحاكم ، ومن هنا نرى أنه لا سبيل إلى المهادنة أو المهادنة في إقامة الحد على هذه الجريمة السكراء ، جريمة إحداث الفتنة بين الصفوف مناصرة لعدو البلاد الأكبر ، وهو المستعمر الغاصب .

فلتق الله في أمتنا ووطننا ، وتقوى الله تدفع كل شيء ، وتحول دون أى مكروه ، والله يوفقنا ويسدد خطانا إلى ما فيه النجى والرشاد .

وإلى هنا كان الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية ، وأصاب المحز . فاماط اللثام عن حكم الله في مثل هذه الطامة الكبرى ، فشكرت لفضيلته ، واستأذنت في نشره ، فنفضل وأذن .

ذِكْرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ ، مُحَمَّدٌ وَآلِهِ
بَعْلِيُّ الْأَسْتَاذِ بَرَاهِيْمَ عَبْدَ الْلطِيفِ نَعِيمَ

د في ذكرى غزوة بدر ،

على ذكرهما ، فليعرف الحق جاهله
هي الغزوة الكبرى ، هوى الشرك إذ رمت
وأصبح دين الله قد قام ركنه
بنته سيف الله بالدم إنه
تكل قوى الجبار مما تقيمه
أهاب (رسول الله) بالجند : أقدموا
أما تتظرون الأرض كيف أظاما
خذره يباس لا تطيش سهامه
علينا الهدى ، إما بآيات ربنا
إذا أنكر القوم البراهين أخضعت
مضى البأس (بدرى المشاهد) ترمي
وضج (رسول الله) يدعو إلهه
تنزل يزجي النصر ، تنساب من عل
أ (حيزوم) أقدم ، إنه الجدل يرى
هو الله يحى دينه ويعزه

ويؤمن بأن البغي شتى غرائله
جحافلها العظمى وولت جحافلها
فأنصر من أعدائه من يطاوله
لأصلب من صم الجلاميد سائله
عليه يد الباني ، وتلبو معاوله
ولا ترهبوا الطاغوت ، فاقه خاذله
من الشرك دين أهلك الناس باطله ؟
فأنتم مناباه ، وهذى مقاتله
ولما بحد السيف ، لا غاب حائله
براهينه أعناقهم ودلائله
أعاصيره ناراً ، وتغلى مراجله
فيالك من جند طوى الجور جافله
شآئيبه نورا ، وينهل وابله
سواء هدو كاذب البأس هازله
فن ذا يناوبه ، ومن ذا يصارله ؟

• • •

تمزق جيش الكفر وانحل عقده
وما برسول الله إذ ناله الأذى
نخابت أمانيه ، وأعبت ومائله
سوى ما ارتضت أخلاقه وشماله

(فبي) يحب الله حب مجاهد
يعظمه في نفسه ، ويطيقه
كذلك كان المسلمون الآلى مضوا
صدفنا عن التلى فأصبح أمرنا
يجالد من يبغي الحياة عدوه
بنا من عوادي الدهر كل مسلط
قضينا المدى ، ماتستقيم أمورنا
عجبت لقوى عطل الدين بينهم
يجونه حب الذى ضل رأيه
صلاة وصوم يركض الشر فيهما
وكيف يقوم الدين ما بين أمة
سلام علينا يوم يصدق بأسنا
ويوم تكون الأرض تحت لواءنا
أنشى بطاء ، والخطوب توبنا
الاهمة (بدرية) تكشف الأذى
ألا أمة تهى النفوس عن الهدى
ألا دولة للحق تسلك نهجه
إذا نحن لم نرشد ولم نتبع الهدى

يرى دمه من حقه ، فهو بأذله
وما يقض من أمر له فهو قابله
فيالك عصرا يبعث الحزن زائله
الى غيرنا ، نهذى به ، وهو شاغله
فيا لعدو لم يجد من يجادله
مكايده مبثوثة وجبائله
وهل يستقيم الأمر عاليه سافله ؟
وجنوا به ، والجهل شقى منازله
فقاطعه منهم سواء وواصله
حيثا تمز المشرقين صوامله
إذا عطلت آدابه وفضائله ؟
فيعضى بنا فى كل أمر نحاوله
فليس عليها من لواء يماثله
سراعا ، وعادى الشر ينقض عاجله ؟
وتشقى من الهم الذى امتاج داخله ؟
وتقصى إلى القول الذى أما قائله ؟
وتنشى على آثاره ما تزايله ؟
فلا تمكروا يا قوم ما الله فاعله

غزوة بنى قينقاع

كان خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى هذه الغزوة فى منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود ، فأظهروا البغى والحسد بعد وقعة بدر :

ردوا (بنى قينقاع) الأمر إذ نزلا
نقضتم العهد معقوداً على دخل
ما زال شيطانكم بالغيظ يفسده
هيهات هيهات ، أهدى خطبكم جللا
لما قصد ما نوى غشاً ولا دخلا
بين الجوانح حتى شب واشتعللا

(هاجت (وقائع بدر) من حفيظتكم
 أتذكرون على الاسلام بهجته
 (دين الهدى) يا (بنى التوراة) يشعه
 لا تدءوا أنفسكم منها بمنعهم
 جاء (البيين) بالفرقات وارثهم
 رأى النفوس بلا هاد ، فأرسله
 هلا سألتم أحاكم حين يعيشها
 إن أتى راعيا في عزها سفها
 لا يبلغ المرض منها حين تمنه
 وقد يكون لها من ربهها رصد
 ما زال بالدم حتى ظل ساحفه
 ما غركم بقضاء الله يرسله
 لقد دعاكم إلى الحسنى فقال بكم
 قلتم : رويد فأما لا يصاب لنا
 لسنا كقومك إذ يلقون مهلكهم
 يا ويلكم حين ترنج الحصون بكم

ونبت منكم الداء الذى عضلا)
 والله أطلعه من نوره مثلا ؟
 للناس من شرع الآديان والملا
 واق ، ولا قطعوا أن تركوا هملا
 سبحان من نزل الميراث فانتقلا
 يهدى الشعوب ، ويشقى مهم الملا
 هوجاء بمصف فيها الشر : ما فلا ؟
 لؤثر الموت مما سامها بدلا (١)
 من خيفة العار حتى تبلغ الأجلا
 إذا رماه بعين غاضب جفلا
 يجرى على دمه مسترسلا نجلا
 على يدي بطل ، أعظم به بطلا
 من طائف الجهل داع يورث الخبلا
 كفء إذا ما اتقى الجماع فانتلا
 على يدك ، وإذا يمطونك النفلا (٢)
 ترجو الأمان ، وتبدي الخوف والوجلا

(١) قدمت امرأة من العرب يجلب لها لييمه بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ منهم ، فجعل جماعة من سفهائهم يرادونها عن كشف وجهها وهي تأبى ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فمقده إلى ظهرها ، وقيل خله بشوكة وهي لا تترحم فلما قامت انكشفت سوانها ، فضحكوا منها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشد اليهود على المسلم فقتلوه .

جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وقال لهم : يا معشر يهود ، احسدوا من الله مثل ما أنزل بقريش من النعمة (يريد وقعة بدر) وأسلموا ، فانكم قد هزقتهم أى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وهمد الله تعالى إليكم . قالوا يا محمد أنرانا مثل قومك ؟ لا يقرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، إنا والله لو حاربناك لتعلن أننا نحن الناس .

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا ، وأشدهم بغيًا فلما قالوا ذلك أنزل الله : « قل الذين كفروا ستعذبون — الآية » وقوله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فأنذر إليهم — الآية » (٢) النفل : الغنيمة .

كم موئل شاخ العربين يعجبكم
أدسى (عبادة^(١)) منكم نافضاً يده
نعم (الحليف) غدرتم ، فانطوى حنقا
ما كانت (كابن أبي) في جماله
مضى على الحلف برعى معشراً غدرأ
لا تذكروا الدم ، إن السيف منصلت^(٢)
وجانبوا الحرب ، إن الله خاذلكم
مشى (الرسول) وجند الله يتبعه
يهفو إلى الموت مشتاقا ، ويطلبه
لو غيبته المواضى في سرائرها
يخال في غمرات الروح من مرح
أهاب (حزة) بالابطال فانطلقوا
عجبت للكرم ، طاروا عن مواقفهم
مضوا سراعاً إلى الآكام^(٣) واجفة

يود يومئذ لو أنه والّا^(٤)
فانبت من عهده ما كان متصلاً
يرجو الإله ، ويأبى الزيف والزلا
إذ راح شيطانه يرخى له الطولا^(٥)
أهوت بكم معشراً لو أنه عقلاً
في كف أبيض^(٦) يدمى البيض والأسلا^(٧)
ولن تروا ماصراً يرحى لمن خذلاً
من كل مقدمة يغشى ألغى جندلاً
بين الخيسين ، لا نكسا ولا وكلاً^(٨)
ألقي بهمجه برتاد مدخلا
لولا الرجيق المصنى^(٩) شاربا ثملاً
وانساب منطلقاً يهديهم السبلا^(١٠)
ما ذاق هاربهم سيفاً ولا رجلاً
يخال أنعموا من ضمه طلاً

(١) طلب النجاة أو اتخذ له موئلاً .

(٢) كانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول ، فعدا عبادة منهم وقال : يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ، وبني عبد الله بن أبي على حلفه لهم . وفيه زلت : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض — إلى قوله تعالى — قال حزب الله هم الغالبون .

(٣) الطول : الجبل الطويل .

(٤) المنصلت من السيوف : الصنبل الماضي .

(٥) الرسول الكريم .

(٦) البيض والأسل : السيوف والرماح .

(٧) الخيس الجيش يؤلف من خمس فرق المقدمة والقلب ، والمينة ، والميرة ، والسافة .
والذي كس من لا خير فيه من الرجال ، والوكل الماكر بكل أمره إلى غيره .

(٨) القرآن الكريم .

(٩) لجأوا إلى حصونهم فسار إليهم النبي وكان لواؤه بيد عمه حزة بن عبد المطلب .

(١٠) الحصون .

حران يشجيه ألا ينقع الغلا
واحتال أشياخهم فاستنفدوا الحيا
كُلّنى ليعلم ما فى نفسه أكلا
إلا العذاب ، وإلا الظن والأملا
فى مجهل يتردى فيه من جملا
وهال كل غوى الرأى ما حملا
يجود بالعفو إن ذو قدرة بخلا
فكان أكرم من أعطى ومن بذلا^(١)
من بعد مهلكهم قولا ولا حملا
من الآناة وفضل الحلم ما سالا^(٢)
حمامه لم يجد من دونه حولا^(٣)
عن السلاح ، وراحوا خضعا ذلا
ساموا مقاما ، وساموا بعد مرتحلا
نسكدا مشائيم ، لا طابت لهم نولا
سوء العذاب ، ومكرهه الأذى نهلا^(٤)
بعضاً ، فن يقترب يسمع لهم جدلا
بمضى ، لا معقلا نقي ولا جبلا
لا يأخذ الناس حتى ينفذوا الرسلا
فافتتح بها الأرض ، أو فامسح بها الدولا

طال الحصار ، وظل الخنف يرقهم
أفئوا من الزاد والمساون^(١) ما ادخروا
من كل ذى سغب ، لو قال واحده
لا يكون لأهلهم وأنفسهم
ظلت وسارهم حيرى تجول بهم
حتى إذا بلغ المكروه غايته
تضرعوا يسألون العفو مقتدرا
أعطى النفوس حياة من سماحته
لو شاء طاح بهم قتلا ، فمالكوا
ما الظن (بابن أبى) حين يسأله
إما رآه جريماً لو يصادفه
زالوا عن الدور والأموال ، وانكشفوا
هو الجلاء لقوم لا حلوم لهم
ساروا إلى أذرع^(٢) ينزلون بها
بادوا بها ، وتساقوا فى مصارعهم
يلوم بعض على ما كان من سفه
أهل المعاقرة هدمتهم مدمرة
رى بها من رسول الله منذ
هل دولة الحق إلا قوة غليت ؟

(١) المساون . كل ما يستعان به من منافع البيت .

(٢) سألوا النبي صلى الله عليه وسلم — بعد أن طال الحصار خمس عشرة ليلة ولم يبق لديهم ما يأكلون — أن يحلّ سيدهم على أن يجعلوا بنائهم وذريتهم وأن يكون له المال والسلاح .

(٣) قيل إن النبي أمر بقتلهم بعد خروجهم من الحصون ، فكلّنه عبد الله بن أبى قيس ، وألح عليه ، وإنه أدخل يده فى جيب دوحه الشريفة يسأله أن يعفو عنهم ، وأنه قال لعبد الله : خذهم لا بارك الله لك فيهم ، وأمر بأجلانهم ، فتولى عبادة بن الصامت الأمر .

(٤) قيل إنه جاء إلى منزل الرسول الكريم قبل خروجهم من الحصون يسأله فى إفرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدق بعض الصحابة قسدهم وجهه الحائط فتشبهه فأنصرف منضياً ، والحول اسم من التحول والانتقال . (٥) أذرعات بعد الشام . (٦) لم يحل الحول حتى مالكوا بدعوة الصادق الأئمة (خدمهم لا بارك الله لك فيهم)

مُهَمَّةُ الْفَقِيهِ

١ — تفضل أخى وصديق العلامة الاستاذ الشيخ محمد على التجار بنقد كتابي :
 «الأموال ونظرية العقد في الفقه الإسلامى» ، فى الجزئين الماضيين من هذه المجلة . وهو نقد
 يدل على ما عرف به السيد الاستاذ من قراءة واعية عميقة ، وعلم أصيل ، وخلق كريم ،
 وثبت ودراية بما يقول . كما يدل كذلك ، على نزعة المحافظة ، هذه النزعة التى قد تذهب
 أحياناً إلى تقدس كل ما أثر عن الماضين ، والذراية والتمسب على من يوصفون بالمجددين .
 وقد تناول كثيراً من المسائل التى حفل بها الكتاب ، وأبدى فيها رأيه الذى يختلف
 عن بعض ما ذهب إليه ، وأثنى على ما رآه خليفاً بالتقدير . وإنى لأشكر له خالص الشكر
 ما خصنى به من ثناء لا أرانى أهلاً له كله ، كما أشكر له أيضاً ما رآه من تقود أراد بها بيان
 الحق فيما يختلف فيه . إلا أنه وهو بصدد نقده لبعض ما ذهب إليه من آراء ، حمل حملة فيها
 شيء من العنف على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ، وهى حملة تعتبر
 صدى لمصيته ضد أمثالهم من مجددى الفقه الإسلامى .

٢ — ولست أحب أن أشغل المجلة وقراءها بالجدل حول المسائل التى أثارها فضيلته ،
 وكفانى أنى سأفيد بلا ريب بما فى نقوده من حق وحواب . كما لا أحب أن أجعل من
 نفسى مدافعاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته فى الفقه ، بل ولا أرى لذلك داعية ما ؛
 فإن العالم الإسلامى قد حكم لمؤسس هذه المدرسة وتلميذه ابن القيم بالاجتهاد وتجديد الفقه
 الإسلامى (*) ، وعرف لهما ما قدما لهذا الفقه من تراث قيم مشكور (١) .

إن الذى أريد الحديث عنه فى هذه الكلمة القصيرة ، هو بيان مهمة الفقيه فى هذا
 الزمن وفى كل زمن ، والتعريف برسالاته فى كل عصر ، ومتى عرفنا ذلك كان من اليسير أن
 نعرف مكانة ابن تيمية وغيره من جلة الفقهاء .

٣ — الفقه ، كما نعرف جميعاً ، هو العلم بالاحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكملين

(*) المجلة - وكان تجديدهم وجوعاً إلى منه الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين ، وإحياء لطريقتهم
 بقدر ما يستطيعه العالم الأوفى غير المصوم .

(١) الكلام هنا عن مذهب ابن تيمية فى الفقه .

خاصة ؛ كالوجوب والحظر والإباحة والدب والكرامة ، وكون العقد من العقود صحيحا أو فاسدا أو باطلا . . إلى آخره (١) .

ومن المعلوم أن هذه الأفعال تكاد لا تنأى ، وهى مختلفة من عصر إلى آخر ؛ فإن لكل زمن أحداثه ومشاكله التى تتطلب من الفقهاء بيان حكم الله فيها ، وليس من الممكن أن نجد فى تراث الفقهاء الماضيين — رضوان الله عليهم — حولا لكل ما يجد فى هذا الزمن الذى نعيش فيه ، والمثل لذلك جد كثيرة لا تحتاج إلى بيان .

ومن الحق أن لدينا كتاب الله وسنة رسوله ، وأن فىهما الأصول الكلية لما لم يجرى مفصلا من الأحكام الشرعية الفقهية . ولكن ، من الحق أيضاً أن استخلاص هذه الأحكام من نصوص الكتاب المحكم والسنة الصادقة ليس يسيرا فى كل زمن ، إن لم نقل بأنه قد يكون عسيرا كل العسر فى حالات كثيرة يخطئها الحصر ، وذلك لأن النصوص لا تقي دائما بأحكام كل ما يجد من الحوادث والنوازل طوال هذه الحياة .

٤ — وهنا نعرف الفقيه الحق من الدارس للفقه ، كما تظهر مهمة الفقيه ورسالته فى هذه الحياة . هذه المهمة أو الرسالة التى تقتضيه فهما عميقا لهذين المصدرين الجليلين المقدسين ، وإحاطة بأدلة الأحكام الشرعية كما قررها علماء أصول الفقه ، ومعرفة بهامى هذه الأحكام ومسالكها ، وقدرته على الموازنة والترجيح عند تعارض الأدلة ، ووقوفه على الأعراف فى البلاد الإسلامية المختلفة ، إلى غير ذلك كله مما يجب أن يتوفر فى الفقيه الذى يستأهل هذا الوصف الجليل .

ومتى تم له هذا جميعا ، عليه أن يعيش فى زمنه ، وأن يتعرف المشاكل الفقهية التى لا بد لها من حلول تحقق بها المصلحة ولا تتعارض مع القرآن وسنة الرسول ، ثم يجيل فى ذلك عقله ويعمل فيها رأيه ويجهد لبيان حكم الله فى مشاكل ونوازل زمنه .

٥ — ولو أن للإسلام فقهاء من هذا الطراز ، فقهاء مجتهدين يصيرون ويخطثون ، لرأينا حكم الشريعة الإسلامية فى كل من مشاكل هذا العصر ، هذه المشاكل التى نراها فى جميع ميادين الحياة : فى المعاملات التى جدت فى سوق العقود ، فى المصارف المالية وضروب التجارة المحلية والدولية ، فى السياسة والحكم وأصوله ، فى الاقتصاد وسياسة المال ، فى علاقات الدولة بغيرها من الدول الأخرى ، وفى غير هذا وذاك كله من شؤون هذه الحياة المتجددة دائما .

ولكن الذى نراه ونحسه آسفين عزونين ، هو الجلود الذى أصاب الفقه والفقهاء منذ مئات ومئات من السنين ؛ فلا عمل إلا إلا المكشوف على تراث الماضى المتأخر وتعلمه وتعليمه ، دون أن نعى بتنميته وتطويره حتى يحقق مصلحة المسلمين فى هذا العصر ، مكتفين بالمداواة فى كل مناسبة بضرورة أن نحكم بشريعة القرآن الصالحة لكل زمان ومكان .

٦ — إن هذه الشريعة السماوية صالحة حقاً لكل زمان ومكان ، ولكنها بحاجة إلى فقهاء يفهمونها ويتعمقونها ثم يعرضونها للعالم كله صالحة للتطبيق فى هذا العصر . أما أن نظل على التقليد ، والتقليد فقط ، ثم نرمى كل من يحاول التجديد فى الفقه بالزيف والإلحاد ، فذلك من شأن الذين لا يصلحون للحياة الى لا تعرف الجلود والوقوف .

وقد كان من أثر هذا الجلود الذى وقف العقول عن العمل ، ومن هذا التقليد الذى ران على القلوب وثقل على الصدور ، أن وجدنا من شباب اليوم من يحاولون الطفرة بالدعوة إلى طرح الماضى ووجوب الاجتهاد بلا قيد ولا شرط ، إذ ضاقوا ذرعاً بجمود كثير من شيوخهم وكبار أساتذتهم ، وفى هذا وذاك كل الخطر ^(١) .

٧ — وبعد هذا ، لست بحاجة الآن إلى الإشارة بمكانة شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذه الناحية ، ويكفى أن نقرر بأنه كان من الفقهاء الذين تميزوا بفقه الكتاب والسنة ، واجتهدوا وصار لهم مذاهب تستقى من هذين المصدرين المقدسين ، تتجاوزين فى هذا السبيل مرتبة التقليد للفقه السابقين . وإنى لأعتقد ، بحق ، أن ظهور ابن تيمية الفقيه وتلميذه ابن القيم كان من رحمة الله بالناس ، ويكفى لإزالة الظن فيما تركا من تراث فقهى جليل لنعرف أى خير قدماء المسلمين فى الشريعة الإسلامية .

كما أننا بحاجة إلى بيان أن ما ترجوه من التجديد فى الفقه ، على مثال ما كان من ابن تيمية وابن القيم وأمثالهما من الفقهاء المجتهدين المجددين ، لا يعنى أننا نريد أن نخالف حكماً ثابتاً بنص الكتاب والسنة . إن الذى أعنيه هو ضرورة معرفة علل الأحكام الشرعية ، وأن نوقن ، علماً وعملاً ، بأن الحكم يجب أن يدور مع علته وجوداً وعدماً ، وأن بعض الأحكام كانت لعل استوجبتها ، فإذا زالت هذه العلل وجب أن تتغير هذه الأحكام بتغير عللها ، وذلك يكون دائماً فى حدود الكتاب والسنة وفى سبيل تحقيق المصالح للمسلمين .

الدكتور محمد يوسف موسى

[١] راجع فى هذا وما يتصل به مقالنا : « كفاية تقليد فى الفقه » ، فى هذه المجلة عدد رمضان وعدد شوال

السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

كما ينبغي أن نعلمها في معالمنا

رفع رئيس تحرير هذه المجلة تقريراً إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكرم شيخ الجامع الأزهر عن مناهج الدراسة الأزهرية، وما يلاحظ عليها مما توحى به حاجة المسلمين وبؤدى به الأزهر رساله نحو الإسلام وتراثه الثقافي، ونحو أهله في نهضتهم الاجتماعية والخلقية والدينية ليتبوا أو مكانهم اللائق بهم في طليعة الأمم المعاصرة لنا. وما جاء في هذا التقرير عن تدريس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ما يأتي:

السيرة النبوية :

ان دروس السيرة النبوية مخصص لها ساعتان في الاسبوع لكل من السنتين الأولى والثانية من القسم الابتدائي، ثم تقطع الصلة بينها وبين الأزهر في كل مرحلته وهي تدرس بطريقة جافة على أنها وقائع وأحداث، لا على أنها إعداد إلهي لامة كريمة يطلب منها أن تقوم بأعظم انقلاب إسماني في تاريخ البشر، فاستجابت لهذه الدعوة بنفوس عالية وأحلام راجحة وأخلاق ممتازة، حتى صار لخاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم أكرم الأصحاب وأصدق الأعوان على هذا الحق والخير في ثلاث وعشرين سنة، ولم ينتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كانت هذه الامة كلها في حجة الوداع من أهل الإجابة لهذه الرسالة العظمى، ولم يشذ عن ذلك من قبل إلا نفر قليل ممن يؤثرون العزة بالإثم فكان عدد من هلك على الباطل من معارضي الحق عدداً نزرأ جداً، وكان عدد من نال الشهادة في سبيل الحق بمنزل هذه القلة أو أقل، وهو ما لم يقع مثله في رسالة نبي من الأنبياء، وما لم يكن ليقع مثله لو أن الإسلام ظهر في أمة أخرى. والذين وقع منهم معارضة الإسلام في هذه البيئة من أمثال عمر بن الخطاب وعالم بن الوليد وعمر بن العاص وعكرمة بن أبي جهل لم يلبثوا أن تابوا إلى الحق بدافع من إنصافهم ورجاحة عقولهم واستنارة بصائرهم، فكانوا هم دعاة الإسلام والمجاهدين في سبيله والهاملين لأعبائه. إن قریشاً وسائر العرب استجابوا لدعوة الإسلام بأسرع مما كانت تستجيب له أمة أخرى. والذين يكتبون السيرة النبوية يهولون في معارضة قریش للإسلام وهم متأرون بدعايات

طوائف مفرقة ذات نزعات خاصة نحو الصحابة جميعاً ، لأن قريشاً والعرب هم الصحابة الذين اعتدوا بالتدرج ، فمنهم السابقون ومنهم اللاحقون وكلا وعد الله الحسنى . والحقيقة الكبرى في السيرة النبوية أن الإسلام هو رسالة الله الكاملة إلى الإنسانية كلها ، وكما اختار الله لهذه الرسالة أكل رسله اختار كذلك لهذا الرسول الكريم أكل الاعوان في أنضج شعوب الأرض أحلاماً وأسلمها فطرة وأسرعها إنصافاً وأصدقها في نصرة الحق بعد الاستجابة له . وقد دخلت في الإسلام بعدم أمم كثيرة ، فلم يرف التاريخ أمة أصح منهم فهماً للإسلام ، ولا أصدق منهم نصرة له ، ولا أوفى منهم له في عزته وفي حفظ أماناته وفي التضحية له بكل ما يملكون . وقد قاموا بنشر دعوة الإسلام وقام بذلك غيرهم بعدهم ، فكان ما عملوه هم مدمجة أخرى للإسلام لم تضارعهم في كمالها وجمالها أية أمة أخرى من الأمم الإسلامية التي تولت القيادة والتوجيه . وهذه الحقيقة هي مصداق ما ورد في حديث عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب قريشاً ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارني من بنى هاشم ، فأنا خيار إلى خيار .

إن السيرة النبوية ينبغي أن تدرس من هذه الوجهة ، لتبين حكمة الله في إعداد جزيرة العرب لتحمل - تحت راية خاتم المرسلين وفي ظل هدايته - آخر رسالات الله وأكملها لتنتشرها في الأرض . وقد أدت البيئة التي ظهر منها خاتم المرسلين هذه المهمة الدلّية نحو رسالته على أكمل الوجوه ، وبما لا ينتظر من البشر خير منه . والتهويل في كتابة السيرة بمعارضة قريش والعرب للدعوة الإسلامية مدسوس قديماً من طوائف لها آراء خاصة في الصحابة . والنبي ﷺ لم يفارق الدنيا إلا بعد أن كان أهل بيته دعاة لهذه الدعوة وجنوداً ، وهي بيئة كريمة تستحق من المؤرخين لها أن يذكروها بكل خير ، وأن ييسروا لخلفائهم من صفوة أبناء الجيل سبيل القدوة بها والاحترام لها والمحبة لرجالها تصديقاً لقول الله عز وجل مخاطباً أهلها : كنتم خير أمة أخرجت للناس .

التاريخ :

والتاريخ لا يدرس في السنة الأولى الابتدائية . وأول ما يستقبل الطالب الأزهرى

منه في سنته الثانية تاريخ مصر القديم ، أى تاريخ الأسر ، الفرعونية . ومعرفة تاريخ مصر القديم لا بد منها ، ولكن كان ينبغي أن تكون في غير هذه المرحلة ، خصوصاً للطالب الأزهرى الذى يحتاج فيها إلى ما يلمس منه الأسوة والقوة لينتفع عليه من بداية أمره . ثم إن تاريخ مصر القديم كان يلم إلى الآن بعقلية الحكم الفردى وساطان القصور المطلق ونظام الطبقات ، والاتجاه الآن حتى في وزارة المعارف إلى إصلاح تعليم هذا القسم من التاريخ بما يلائم مستوا المسكرى ، ثم إنه في الأزهر على الخصوص ينبغي أن ينظر إليه نظرة تلائم رسالة الأزهر ، وإن كانت حقائق الوقائع لا تنبئ منها اختلفت الانظار إليها كما هو مقرر في هذا العلم .

هذا فيما يتعلق بمنهج التاريخ في السنة الثانية الابتدائية ، وفي السنة الثالثة يبدأ الطالب الأزهرى بالتعرف إلى تاريخ الإسلام . ومهما أخطأت المعاهد الأخرى في عرض تاريخ الإسلام - ولا سيما في عصره الذهبى وهو زمن الخلفاء الراشدين - فقد كان ينبغي للأزهر أن يصحح الأخطاء المتعمدة في التاريخ الإسلامى من المصادر الإسلامية الوثيقة التى يعتبر رجال الأزهر أقدر الناس على تقييمها وتمحيصها وحسن عرضها ، لأن عصر الخلفاء الراشدين وكل ماوقع فيه من تعاون أو سوء تفاهم قد حققه أعلام السنة وزيقوا مادس فيه ادفرون لنشويه هذا العصر وتسويه سمعة الصحابة وإيهام أهم في مستوى أوضع من مستواهم الرفيع الذى رفهم الله إليه .

ومما يؤسف له أن الكتاب المقرر تدريسه للسنة الثالثة الابتدائية انزلق في هذه الهوة وإن تلافى في بيانه عنها ، لجاء في آخر صفحة ٤٩ من جزئه الثالث أن اثنين من العشرة المبشرين بالجنة وأم المؤمنين عائشة اتهموا علياً (رضى الله عنهم أجمعين) بالهوادة في مقتل عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، مع أن الذى حققه أئمة الدين وأعلام المسلمين أنهم جاءوا إلى العراق لينقاهموا ويتعاونوا مع أخيهام وزميل هدايتهم وجهادهم للتوصل إلى إقامة الحد الشرعى في مقتل أمير المؤمنين عثمان (وتحقيق ذلك في فتح البارى للحافظ ابن حجر ج ١٣ ص ٤٩ - ٤٢ وعشرات كثيرة من أمهات الكتب المعتبرة) . وجاء في ص ٤٢ من هذا الكتاب المقرر أن سيدنا علياً حارب إخوته الذين مع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وإن تحقيق أعلام السنة وقدماء المؤرخين المحققين أن الجيشين باءا في أنم ليلة وأسعدها ، وأبناء كل فريق في معسكر الفريق الآخر ، وكانا على أهبة إقرار الاتفاق النهاى في أمر قتلة عثمان

في صباح تلك الليلة ، لكن قتلة عثمان شعروا بذلك وأيقنوا أن الصلح والوفاق سيكون على رقابهم ودمائهم فأنشأوا القتال في الصباح الباكر على حين لجأة من الفريقين وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، ولم يكن على كرم الله وجهه يريد قبل تلك الساعة المشومة إلا العافية والسلامة ولم يكن إخوانه الآخرون يريدون إلا مثل ذلك ، فانزلاق الكتاب المقرر تدريسه لطلبة الأزهر في ترويج هذا الخطأ المدسوس على تاريخ الإسلام وادعاء أن سيدنا علياً حارب إخوانه ، مخالف لواقع الأمر ، وفيه افتئات على أكرم خلق الله بعد رسول الله ، ومن أسوأ ما تسمى به أمة إلى نفسها تلتين هذا الخطأ لأطفال المسلمين الذين سيتولون قيادة الأمة ويقولون بأمانتها وتوجيهها وإرشادها .

وفي عرض الكتاب المقرر لواقعة صفين والتحكيم مضى في تقرير الخرافة المشهورة التي يزعمون فيها أن أبا موسى الأشعري كان أبله وأن عمرا كان صاحب حيلة ، وأشهد أن المؤلف تلمظ بالإشارة إلى هذه الخرافة المكذوبة ولم يتوسع في بيانها ، لكنه أشار في هامش الكتاب على المدرس أن يتولى هو التوسع في بيان ذلك . وهذه الاكذوبة من اختراع من لا يخاف الله من كذبة المؤرخين ، والصواب فيها ما رواه الحافظ الدارقطني بسنده إلى حضين بن المنذر من رجال على كرم الله وجهه أن عمرا وأبا موسى اتفقا على ترك الأمر إلى الموجودين على قيد الحياة من رجال الصحابة كعبد الله بن عمر وطبقته ، ولم يقع قط ما نسب إلى أبي موسى من بلاهة وإلى عمرو من خدعة . وكان كلاهما أعلى منزلة وأتقى لله وأبصر بدينهما من أن يكونا كما صورهما أعداء الصحابة بأقلام مؤرخين كانوا لأزمانهم كبعض الصحفيين اليوم في تليس الحق بالباطل بحسب الأهواء وللقاضى أبي بكر بن العربي في كتاب العواصم من القواصم وشيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة وأمثالهما من أعلام المسلمين تحقيقات جليلة في هذا الباب ، بل إن الإمام خليفة بن خياط أحد شيوخ البخارى هو أيضا من رواة الرواية الصحيحة في التحكيم كالتي رواها الدارقطني عن حضين بن المنذر . إن الأزهر أولى المعاهد الإسلامية بتصحيح هذه الأخطاء ، بل إن مصر أولى أقطار الأرض بإزالة السوء المفترى على الرجل الذى كان سبب إسلامها ، وله مثل ثواب كل مسلم أظلك سماء مصر من نحو أربعة عشر قرناً إلى أن تقوم الساعة .

وأهم ما كان ينبغي تليمه لطلبة الأزهر من تاريخ مصر والإسلام تاريخ المعجزة الاجتماعية التي تمت في مصر على يد عمرو بن العاص وإخوانه الصحابة بتحويل هذا الوطن

إلى دين الإسلام ودخوله في أسرة العروبة واختياره للسانها وبيانها حتى صارت لها الإمامة في ذلك كما هو الواقع الآن ، وهو حادث لا تعرف مصر في تاريخها أعظم ولا أعجب منه في ألوف السنين . وقد عجز الاستعمار الغربي رغم جميع وسائله الحديثة عن أن يحدث مثل هذه الممجة في الجزائر أو غيرها ، فتعليم طلبة الأزهر كيف صارت مصر عربية إسلامية من أم ما كان ينبغي تعليمه لهم من حوادث التاريخ . وقد ذكر الكتاب المقرر في الأزهر بعض إصلاحات عمرو بن العاص كإنشائه الفسطاط ، وغير عمرو وقد ينشئ أعظم من الفسطاط ، وذكر له من إصلاحاته الاهتمام بالرى وإصلاح المقياس وإنشاء القناطر والجسور وأمثال ذلك ، وإن أسوأ فاتح قد يفعل أكثر من ذلك ، أما انقلاب مصر الاجتماعي الذي قام به عمرو وصحبه ، ولا تعرف مصر مثيلاً له في تاريخها ، فإن طلبة الأزهر لا يعرفون عنه شيئاً ، ومن أولى من طلبة الأزهر بمعرفة ذلك ؟

وفيا يتعلمه طلبة الأزهر . ن تاريخ الإسلام أخطاء كثيرة قد لا تستحق الذكر ، إنما الذي يستحق الذكر وجوب العدول عن اعتبار التاريخ الإسلامي تاريخ حروب وفتن وأحداث وأشخاص ، وأن ينظر إليه على أنه تاريخ الدعوة الإسلامية وكيفية انتشارها وأسباب نجاحها ، ومن الذي أعان على ذلك وكان له أثر فيه بأخلاقه وتضحيته وصفاء بصيرته ، ومن الذي أساء إلى هذه الدعوة وسار في غير طريقها وأفسد على الأمة دينها ودنياها ، وكيف طرأ على المجتمع الإسلامي الانحطاط وظهرت فيه النزعات المذهبية والشعرية .

إن التاريخ الإسلامي في مناهج تدريسه ، يجب أن يطهر من الدسائس المكذوبة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتماداً على تحقيقات أعلام المسلمين وأئمتهم ، وينبغي أن يرسم منهاجه على أساس أنه تاريخ الإسلام وتطور العمل بالمبادئ التي جاء بها ، ومن هم الذين بذلوا من ذات أنفسهم حتى نشروا دعوة الإسلام وعرفوا الأمم بها ، ومن هم الذين تشكروا لها حتى وجهوا المسلمين التوجيه الذي انصرفوا به عن طريقه .

دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ

بين الدين والسياسة

فى غضون معالجة السيد رفيق العظم للتاريخ الإسلامى فى كتابه : أشهر مشاهير الإسلام
صاق المؤلف الجليل بأنباء الفتن والخلافات ، وما تبعها من انقسام للفرق فقال :

« والمجيب فى أولئك الفرق أن يتنازع أشخاص من الصعابة على رئاسة دينوية - بل
ولو دينية أيضا - يرى كل شخص منهم أنه الأخرى بها والأليق القيام بأعبائها فيجملون
ذلك التنازع تنازعا دينيا ، كأنه تنازع على أن الله واحد أو أكثر ، ينجو من آمن
بوحدة الله وبهلك من قال بتمدده ، فبرسخ فى أذهانهم تكفير نصف المسلمين يومئذ ، مع
أن فى الحديث : « من قال لاخيه يا كافر فقد باء بالكفر » (١) .

ثم قال فى موضع آخر من الكتاب نفسه :

« وليس أضل عقولا من بعض الفرق الإسلامية التى حصرت النظر من أخبار الفتنة
وأشخاصها فى الوجهة الدينية ، فقال : هذا استحل وهذا حرم ، وهذا يماقب وهذا يثاب ،
وقاتها أن ما تعلق بحقوق الله فله ، وأما ما تعلق بالمسلمين فلمسلمين ، وليس لهم أن يحكوا
على شخص يقول ربى الله إلا بالخطأ إذا أخطأ وبالصواب إذا أصاب .

نعم . إن لمثل هذه الأحكام والمباحث اتصالا بالأمور السياسية والأعمال الدنيوية ،
فلا تخلو من فائدة وسند لمن يريد الحكم على الأشخاص بأعمالهم السياسية والاجتماعية ، ومن
منهم المؤاخذ ومن منهم غير المؤاخذ . ولكن أين من مؤرخينا من نظر إلى تاريخ النظم
من هذه الوجهة ، بعد أن حال بينهم وبينهم الدين ، فتقيدوا بإيراد الأخبار كما أخذوها ،
وتجنبوا الخوض فيها والحكم بشئ . من عندهم عليها - اللهم إلا التزير اليسير من المؤرخين -
مع أن للصعابة والرواة من الثابتين ومن أتى به دمهم لم يضمنوا بشئ . من مخبرات التاريخ
وأخبار الرجال .

ومع هذا فقد تظلم مؤرخونا على علانها وزعموا أن من الأدب ألا يتكلم أحد من الناس فيها ، حاشا فريق المحدثين الذين عنوا بالبحث فيها وفرقوا بين الكاذب والصادق منها ونوهوا بلزوم تمحيصها والتدقيق فيها « (١) . وهو يقول أيضا :
« وإنما صيغ السلف لهذه الفتنة بصيغة دفيقة هو القدي بجمل الباحث بين إقدام وإحجام مع أنها فتنة سياسية تابعة لجرى السنن الطيمية في الدول » (٢) .

* * *

وأحب أولاً أن يطمئن القارئ على فهم صاحب هذه الأقوال للدين ، فهو يعرف أن الدين يشمل أمور الدنيا والآخرة ، فهو يقول : « وإن الإسلام جاء بقسمي السياسة والدين ولم يقتصر على أصول التوحيد والعبادات ، لهذا كان وافياً بحاجات الدين والدنيا ، » (٣) .

والمؤلف يفهم كذلك أن الخلاف - في حدوده المشروعة - أمر لا بد منه في كل مجتمع فهو يقول : « ... إلا أنهم اختلفوا فيمن يولونه هذا الأمر اختلافاً ليس فيه ما ينافي المصلحة الإسلامية ، بل غاية تمحيص الفكر ومحض النصيحة فيمن تجمع على تأييده كلة الجمهور الأعظم من المسلمين ليكون أثبت قدماً في الخلافة وأشد حجة على المخالفين ، » (٤) .

وما دام الدين الإسلامي وافياً بحاجات الدين والدنيا ، فقد كنت أحب من المؤلف أن تكون عبارته عن علاقة أحداث التاريخ بالدين أدق وأضبط ، فيعلن عدم رضاه عن الذين يتخذون التكفير والتائيم محوراً لكل كتاباتهم في التاريخ ، ويستنكر لإفحام الحكم على عقائد الرجال بنير دليل في ثنايا سرد الأعمال ، أما صيغ التاريخ بصيغة الدين عموماً - والدين يتسع للعقائد والأخلاق والأعمال جميعاً - فهذا أمر لا خطر فيه ، ولا مهرب منه ، لانتنا أمام مجتمع يدين بالإسلام ، ويتحاجم إليه في كل الأمور . وهذا الإسلام يرسم شعب الإيمان في كل مناحي الحياة .

ثم إن المؤلف يقول إن الدين قد حال بيننا وبين الصحابة الأفاضل ، فقيدنا في إيراد الأخبار كما نأخذها . وأيس في هذا خطر ولا خطر ، ما دما نرجع الأخبار إلى سندها ،

(١) المصدر نفسه ص ٨١٦ - ٨١٧ (٢) ص ٥٦٧ .

(٣) ص ١٨ . (٤) ص ١٨ .

ونعرف صحيحها من سقيمها . وهذه هي طريقة المحدثين الذين استثمروا المؤلف من بين من انتقد . أما تجاوز النقل الثابت إلى إيراد المثالب أو اختلاق الأخبار فهذا من فضل الدين أن حيزها عنه ، ولم يفعل هذا مؤرخ فاضل ، ولم يقل أحد أن حسن الأدب هو السكوت عن الأكاذيب ، وإنما حسن الأدب هو ردها وتنقية سيرة الصدر الأول منها ، ومن حسن الأدب كذلك السكوت عن الظنون ، والكف عن اقتفاء ما لا علم لنا به وكثيراً ما تلح على المرء في هذا شهوة الاستنتاج ودعوى التحليل ، ولقد أمرنا بأن تكون شهادتنا يقينية لا استنتاجية فيما نشهد من حاضرنا ، ففي الحديث : « إذا رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فده ، فكيف نشهد بالظن والهوى فيما أدير من ماضينا ؟

أما أن المجتمع الإسلامي يسير على السنن الطبيعية لكل المجتمعات فهذا حق ، ونحن لا ندمم فرداً أو مجتمعاً من أن تسرى عليه هذه السنن إلا أن يكون نبياً أو رسولا ، ولكن ليس معنى مسايرة المجتمع الإسلامي للسنن الطبيعية ، ومسايرة الفرد لكل التوازع البشرية أن نستبيح القول بغير علم ، أو بغير مدخول لم نحصه ، ولا سيما في دراسة ما كان عليه خير مجتمع إنساني عرفه التاريخ .

والإسلام له مهبه في الحكم على الرجال والأعمال ، فهو يأمر بالشهادة بالقسط ، وعدم مسايرة الهوى في شأن أو في حجة ، وهو يأمر باتباع العلم لا الظن ، ونمحيص الخبر وتبينه أن يصاب قوم بجمالة ، وهذا في حق كل الناس ، فكيف بخير القرون وما يليها ؟

وحق في الأخطاء ... فإن الإسلام يحملها لنا تبصرة وعبرة ، لنستفيد من تجارب الزمن ، ولنحمد الله على العاقبة ، ولنتجنب تكرار هذه الأخطاء أو السماح لأسبابها ومقدماتها بالاستقرار في مجتمعاتنا ، أما من سبقونا بإحسان فردهم إلى ربهم — أخطأوا أم أصابوا — لأن الحكم الصادق يقتضى معرفة الثبة حتى نعرف أم أجورون هم ، أم غير ذلك ، والأعمال بالنيات والنيات لا يعملها إلا رب السرائر . وكل ما علينا في حياتنا الدنيا أن نتجنب ما نحسبه خطأ ، ولا نسب صاحب الخطأ لأنه بشر أولا ، ولأنه قد تشهد له دلائل وفصائل أخرى ثانيا ، ولأننا لا نعرف الظروف والأوضاع التي كان فيها الخطأ وهل تبرر ذلك أو لا تبرره ثالثاً ، ولأن الأصل أن يحمل حال المؤمن على أحسن الأحوال رابعاً ، خصوصاً إذا كان هذا المؤمن أحد الذين قامت على أكتافهم دعائم الكيان الإسلامي .

فنحن نقف موقفاً وسطاً حيال كلمات السيد رفيق العظم ، فلا نجيز جر كل أمور الرجال إلى العقيدة - لا الدين - لنحكم على الناس أحكاماً ليس في أيدينا مستنداتها ، ولسنا نحن جهة الفصل فيها - إلا في المخالفة الصريحة ، وفي إنكار المعلوم بالضرورة . كما أننا لا نجيز النظر إلى سيرة السلف من ناحية دينية محضة ، لمجرد أن مجتمعهم شأنه شأن أى مجتمع في السير على وفاق السنن الطبيعية . لأننا إن فعلنا نكون قد تجردنا عن فضائل ديننا وعدالة أمتنا ، وليس أخش من التدين بمعنى نصب ميزان القيامة في الدنيا بأيدي البشر ، إلا التدين بمعنى عدم مراقبة اليوم الآخر الذى ينصب فيه هذا الميزان لإجراء حساب الله ، واستباحة ثمر الأحكام يميناً وشمالاً بغير هدى من الله ... ونحن نحسب أن الدين لا شأن له هنا !

إن الدين بمعنى عقيدة القلب التى يحاسب عليها الرب في الآخرة هو الباب الذى لا نفتحه على أحد بغير سلطان من صاحبه ... أما الدين بمعنى المنهاج الشامل لسلوك ما في الحياة ، ومنه طريقة الحكم على الناس ، والنظر إلى المجتمعات وتقدير الجيل الذى أدرك نور النبوة ومن بعده ، إن الدين بهذا المعنى يتدخل في التاريخ وغير التاريخ .

ونستطيع أن نرجع ما أشار إليه السيد رفيق العظم ، وحرص البعض على إصدار أحكام العقيدة على الرجال ، إلى ارتباط هؤلاء الرجال بروايات في الحديث ومسائل في الفقه ، فالباحثون حسنو النية يريدون أن يثبتوا من يأخذون عنهم دينهم ، وهل ما اجتروا من أعمال يؤثر في عدالته .

جاء في (المقالة الوضعية في النصيحة والوصية) لشيخ الإسلام شاه ولي الله الدهلوى المتوفى سنة ١١٧٦ هـ (١) :

« إعتقد قلبك وضميرك على الإخلاص والإحسان والاعتقاد الصحيح الطيب في حق أصحاب النبي ﷺ ، ولا تطلق لسانك فيهم إلا بمنافهم وقضائهم . وأخطأ في هذه المسألة فتان ، قوم يزعمون أن الصحابة رضی الله عنهم كانوا طاهرين ومنزهين عن أدناس غل في صدورهم ، وغش في مطويات قلوبهم ؛ وهذا وهم صرف ، لأن الثقل المستفيض منهم شاهد

(١) راجع ترجمته في رسالة الاستاذ السيد مسعود الندوى « نظرة إجمالية في تاريخ الدهلوى »

على مشاجراتهم فيما بينهم ، وإنكار هذا النقل المستفيض من الاستحالة بمكان ؛ وقوم لما رأوا تلك الأمور مفسوبة إليهم أطلقوا السنتهم ، وأخرجوا من أفواههم كلمة تسلكم الصحابة بالظن عليهم والقدح فيهم وعابوهم ، فتورطوا في وحل الهلكة ، القاضية عليهم ، وورطة الضلالة التي تعسر النجاة لهم منها .

ولقد أوحى إلى هذا الفقير أن أصحاب النبي ﷺ — وإن لم يكونوا معصومين ، وليس بعيداً أن يصدر عن بعضهم أمور وبعض الهنات التي إن وقعت من الآخرين واستحدثت — لا يصحوا موارد ظن وجرح . فنحن مأمورون بكف اللسان عن مساوهم ومحظورون عن سبهم والظن فيهم ، نعيذاً والمصلحة . والمصلحة أنا لو فتحنا باب الجرح والنقص والتنديد بمثالبهم لانقطعت سلسلة الرواية عن النبي ﷺ ، وفي انقطاع الرواية زهوق روح الأمة ، ولما أن الرواية تؤخذ من كل صحابي ، فأكثر الأحاديث تصير مستفيضة وتقوم الحجة على تكليف الأمة ولا يضر جرح البعض في ذلك النقل فلا يقع خلل (١) .

وليس معنى ذلك أن هذه الحماية الشرعية التي أقيمت حول الصحابة قد أطلقت لنحى كل من صاحب بأوسع مدلولات الصحبة ، فالفقهاء قد حددوا الصحبة المقصودة تمام التحديد . قال الإمام ابن حزم : « وليس كل من أدرك النبي ﷺ ورآه صحابياً ، ولو كان ذلك لكان أبو جهل من الصحابة لأنه قد رأى النبي ﷺ وحادثه وجالسه وسمع منه . وليس كل من أدركه عليه السلام ولم يلقه ثم ألم بعد موته عليه السلام ، أو في حياته إلا إنه لم يره ، معدوداً في الصحابة ، ولو كان ذلك لكان كل من كان في عصره عليه السلام صحابياً ، ولا خلاف بين أحد في أن علقمة والأسود ليسا صحابين وهما من الفضل والعلم والعز بحيث هما ، وقد كانا عالين جليلين أيام عمر ، وأسما في أيام النبي ﷺ » (٢) وقال أيضاً في الحديث المرسل : « وقد كذب على النبي ﷺ وهو حي ، وقد كان في عصر الصحابة منافقون ومرتدون ، فلا يقبل حديث قال رواه فيه : عن رجل من الصحابة ، أو حدثني من صحب رسول الله ﷺ إلا حتى يسميه ، ويكون معلوماً بالصحبة الفاضلة بمن شهد الله تعالى لهم بالفضل والحسنى » (٣) .

[١] مجلة الضياء الهندية - عدد شبان سنة ١٣٥٢ .

[٢] الأحكام في أصول - ج ٢ ص ٨٣ .

[٣] للمصدر السابقة ص ٣ .

ولا يفهم أحد أن هذه الحماية الشرعية لتبرئة نفوس زكاهما الله ، تقام لتبرئة عقول لم يعصمها الله ، من أن يجرى عليها ما يجرى على الناس من النسيان ونقص العلم لذلك لا يكتفى في نقل الحديث بالعدالة وحدها ، يقول الإمام ابن حزم : « وينفرد نفلة الأخبار — عن النبي صلى الله عليه وسلم — دون الشهود في الأحكام ، في وجه رابع وهو ألا يكون المحدث إلا فقيها فيما روى أى حافظا ، لأن النص الوارد في قبول نذارة النافر للتفقه إنما هو بشرط أن يتفقه في العلم ، ومن لم يحفظ ما روى فلم يتفقه ، وإذا لم يتفقه فليس بمن أمرنا بقبول نذارته ، وليس ذلك في الشهادة لأن الشرط في الشهادة إنما هي العدالة فقط بنص القرآن » (١).

أما الأوجه الثلاثة المشتركة بين راوى الحديث والشاهد فهي التي تختص بالعدالة مطلقا وهي البراءة من الإقدام على كبيرة ، قد صح عند المسلم بالنص الثابت أنه كبيرة ، ومن الإقدام على ما يعتقد المرء حراما ، وإن كان غلطاً فيه ، قبل أن تقوم الحججة عليه بأنه مخطئ ، ثم من المجاهرة بالصغائر إلى صح عند المجاهر بها بالنص أنها حرام » (٢) .

فالحماية الشرعية للصحابة المرضيين لا تنصب لكل واحد ، ولا تنصب في كل حالة ، وقد كانت تجرح هذه الحماية أحيانا في حق من لفهم ثوب الفتنة حتى يعرف ، أيؤخذ عنهم أم لا ؟ وفي هذا أورد الإمام ابن حزم في أصوله عن الصحابة العدول : « وكذلك - أى من العدول - كل من قاتل عليا رضوان الله عليه يوم صفين ، وأما أهل الجبل فما قصدوا قط قتال علي رضوان الله عليه ولا قصد علي رضوان الله عليه قتالهم . وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر في قتلة عثمان ، رضوان الله عليه ، وإقامة حق الله تعالى فيهم . فتسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حد الله تعالى منهم - وكانوا أعدادا عظيمة يقربون من الألوف - فأثاروا القتال خفية حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم إذ رأوا السيف قد خالطهم - وقد جاء ذلك نصاً مرويا .

وإن العجب لي أكثر من يبيح لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأوزاعي والليث وسفيان وأحمد وداود ، رحمهم الله ، أن يجتهدوا في الدماء وفي الفروج وفي العبادات ، فيسفك هذا دماً يحله باجتهاده ، ويحرمه سائر من ذكرنا ، ويحل أحدهم فرجا ويحرمه الآخر ، ويحل

[١] الأحكام - ١ ص ١٤٨ .

[٢] المصدر ص ١٤٧ .

أحدم مالا ويحرمه الآخر ، ويوجب أحدم حداً ويسقطه الآخر ، ويوجب أحدم فرضاً وينقضه الآخر ، ويحرم أحدم عملاً ويحله الآخر ، ولم يختلفوا قط إلا فيما ذكرنا ، فيجيز هؤلاء الحكم فيما ذكروا ، ويمنهم في استباحة الدماء فادونها ، وليس عندنا من أمرهم إلا أنهم فيما بدا لنا مسلمون فاضلون يلزمنا توقيهم والاستغفار لهم ، إلا أننا لا نقطع لهم بالجنة ولا بنفي عقودهم ولا برضى الله عز وجل عنهم ، لكن نرجو لهم ذلك ونخاف عليهم كسائر أفاضل المسلمين ولا فرق ، ثم لا نجيز ذلك لعل وأم المؤمنين وطلحة والزبير وعمار وحشام بن حكيم ومعاوية وعمرو والنعمان وسمرة وأبي العادية وغيرهم ، وهم أئمة الإسلام حقاً والمقطوع على فضلهم وعلى أكثرهم بأهم في الجنة ، وهذا لا يخيل إلا على مخذول وكل من ذكرنا من مصيب أو مغلبي فأجور على اجتهاده إما أجرين وإما أجراً ، وكل ذلك غير مسقط عدالتهم ، (١) .

وبهذا قطع الإمام الجليل القول في تأنيم هؤلاء : وما يحرمه التأنيم من التجريح . وجعل المجرح لهم هو المجرح فيما يرويه إذ يقول : « ومن سب أحد الصحابة ، رضى الله عنهم ، فإن ذلك عصبية ، والعصبية فسق . وصدق أبو يوسف القاضى إذ سئل عن شهادة من يسب السلف الصالح ، فقال : لو ثبت عندى على رجل أنه يسب جيرانه ما قبلت شهادته ، فكيف من يسب أفاضل الأمة ، إلا أن يكون من الجهل بحيث لم تقم عليه حجة النص بفضلهم والنهي عن سبهم ، فهذا لا يقدح سبهم في دينه أصلاً ولا ما هو أعظم من سبهم . لكن حكمه أن يعلم ويعرف . فإن تمادى فهو فاسق ، وإن عاند في ذلك الله تعالى أو رسوله ﷺ فهو كافر ومشرك ، (٢) .

(البحث بقية)

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

[١] الأحكام ج ٢ ص ٨٥ - ٨٦ .

[٢] الأحكام ج ١ ص ١٤٩ .

لغويات

المعاجم

المعجم : اسم لكتاب تكون عناوين البحث فيه ومواده مرتبة على الحروف الهجائية . ويأتى هذا الضرب من التصنيف فى فروع المعرفة . فهناك المعاجم اللغوية ، ومعاجم الرجال الذين رويوا الحديث ، ومعاجم البلدان ، ومعاجم الأدباء ، ومعاجم الصوفية ، وغير ذلك . وقد كان المؤلف لهذا النوع يقول أولاً : ألفت الكتاب على حروف المعجم ، ثم صار المعجم بعد يطلق على الكتاب نفسه ، فقليل : معجم ما استمعتم ، وهو لأبى عبيد البكرى ، فى الإبانة عن الأمكنة والمواطن ، وقيل معجم البلدان . وهو لياقوت .

ويمتدنى فى هذا المبحث جمع المعجم فقد طاب لبعض الباحثين أن ينكر جمعه على المعاجم كما هو المعروف فى جمعه ، وأوجب أن يجمع على المعجمات .

جاء فى أمرام أول سبتمبر ١٩٥٣ ما بلى : . يقول بهض الكتاب : لا أجد فيما بين يدى من المعاجم كذا : وهذا خطأ . والصواب : معجمات : لأن المفعول - بضم الميم - لا يجمع على معاغل . والمعجم بضم الميم ، من أعجمت الحرف أى أزلت عجمته بما يميزه على غيره . لجمعه على معاجم خطأ لا وجه له . وجمعه معجمات : كبهم ومبهمات . .

وينبغى للحكم فى هذا الأمر أن أتبه على أن علماء اللغة يفرقون فى الجمع بين الاسم والصفة . وقد يميزون صفة العاقل بجمع لا يكون لصفة غير العاقل .

وفى ضوء هذا ينبغى البحث فى المعجم ، من أى نوع هو ؟

ولقد أسلفت أن أصل هذا الإطلاق هو حروف المعجم ، . وأنه كان يقال : ألف هذا الكتاب على حروف المعجم ، ثم أطلق المعجم على الكتاب . وعلى ذلك فسيجرى البحث فى المعجم فى أصله هذا : حروف المعجم . .

وعند أكثر الباحثين أن « المعجم » مصدر ميمي بمعنى الإعجام . وإعجام الحرف - كما ذكر الكاتب - إزالة عجمته بما يميزه على غيره . ومعنى حروف المعجم الحروف التي يدخلها الإعجام وإزالة اللبس بينها ، بالنقط فيما ينقط ، أو التمرية عن النقط لما لا ينقط ، أو الحروف التي من شأنها أن تعجم ؛ كما يقال : مطية ركوب أي من شأنها أن تركب ، وسهم فضال أي من شأنه أن يناضل به . واستعمال المفعول في معنى الإفعال واقع كثير . فقد قرئ قوله تعالى : « ومن بين الله فساله من مكرم » ^(١) بفتح الراء أي إكرام . وقوله تعالى : « رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق » ^(٢) ، فالأظهر فيه أن المدخل والمخرج بمعنى الإدخال والإخراج ؛ وقد قال القرطبي في تفسيره (٣١٢/١٠) : « والمدخل والمخرج - بضم الميم - بمعنى الإدخال والإخراج ؛ كقوله : « أنزلني منزلا مباركا » ^(٣) ، أي أنزلا لا أرى فيه ما أكره » ؛ على أنه يجوز في الآيات السابقة حل المفعول على المسكان . والأمر في ورود مفعول للمصدر لا يحتاج إلى الإكثار والبيان ؛ إذ كان من القياس والاطراد بحيث لا ينكر ولا يدخله الارتياب .

وإذا قلنا في « المعجم » هذا الرأي - وهو أنه في معنى الإعجام - كان اسما ولم يكن وصفا وحيثئذ فالوجه في جمعه هو المعاجم وقياسه في هذا الوجه على اللبهم ليجمع على المعجمات غير صحيح ؛ فإن المبهم وصف من أبهم ، يقال : أمر مبهم ، وأمور مبهمات . وما عهدنا المعجم وصفا ؛ فإي قال : كتاب معجم ، وما يلتبس الإعجام بالوصف بحال .

وهناك رأى غير ما سلف في تفسير « حروف المعجم » . فقد قيل المراد : حروف الخط المعجم . فالمعجم على هذا وصف كاللهم . ويأتى ما رآه الكاتب من جمعه على المعجمات لا المعاجم . على أن « المعجم » قد خلع عن الوصفية والتحق بالجوامد ، وصار اسما لضرب من المصنفات وآية ذلك أنه لا يجري على موصوف . فإذا قلت قرأت معجما تاريخياً فإنك لا تقدّر موصوفا لمعجم فتتوى : كتابا معجما مثلا . وإذا صح في المعجم - على هذا الوجه - أنه التحق بالاسماء كان الوجه في جمعه المعاجم ، ولم يكن قياسه في الجمع قياس « مبهم » .

وفي اللغة طائفة من الكلمات على وزن مفعول . كانت في الأصل أوصافا ثم التحقت بالاسماء لجمعت على المفاعل .

[١] آية ١٨ سورة الحج [٢] آية ٨٠ سورة الاسراء [٣] آية ٢٩ سورة المؤمنون .

من ذلك المصحف والمخدع والمطرف والمجسد .

فالمصحف : الجامع للمصحف المكتوبة بين الدفتين . قال الأزهري : وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصح أي جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين . والمطرف : رداء من خزّ مربع في طرفيه علان . وهو - في الأصل - وصف من أطراف الشيء : جعل في طرفه شيئاً . والمخدع : البيت الصغير يكون داخل البيت الكبير . وهو - في الأصل - وصف من أخدع . وقد ورد في هذه الكلمات الكسر ، والأصل فيها الضم : كما يقول الفراء (راجع اللسان في مواد هذه الكلمات) . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجسد ، وهو الزعفران .

وأعود لمجموع هذه الكلمات .

فالمصحف جمعه المصاحف ، ولا يرف جمعها على المصحفات ، ولا يستساغ ذلك . والمطرف جمعه المطارف . وفي اللسان : المطرف والمطرف واحد المطارف . والمخدع واحد المخدع ؛

وقال الشاعر :

جعل المخداع للخداع يمدّها مما تطفئ بياحه الطلاب

والمجسد واحد المجاسد : وفي حديث أبي ذرٍّ أن امرأته ليس عليها أثر المجاسد .

والقاريّ بعد هذا يخرج بأن الوجه في جمع المعجم هو المعاجم .

وفي خطبة تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني : فإن ذلك بالمعاجم والمشيخات أشبه منه بموضوع الكتاب . . وقد سقت هذا النص ليتبين القاريّ أن جمع المعجم على المعاجم جار على الألسنة من غير تفكير منذ دهر غبر من الزمان .

أكرم العلماء ، وخاصة العاملين منهم ، وبخاصة العاملين منهم

ترد ، خاصة ، في الاستعمال لإفادة تخصيص بعض المتحدث عنهم بحكم ، وتمييزه . ومثلها في ذلك وخصوصاً ، . تقول : هذا لك خاصة . وفي الأموال لأبي عبيدة ص : فقال : هذه لرسول الله خاصة قرى عربية : فدك وكذا وكذا . . وفي أخبار أبي وجزة في الأغاني : « كان أبو وجزة منقطعاً إلى آل الزبير . وكان عبد الله بن عروة بن الزبير خاصة يفضل عليه ويقوم بأمره . . وفي الكتاب العزيز : « واقفوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة . .

والظاهر أن . خاصة ، في هذه الاستعمالات مصدر جاء على فاعلة ، كالعافية والفاتحة والباقية في ألفاظ آخر . هذا أصلها ، وقد يراد بها الوصف ، ومن ثم تبقى على حالها ، فيقال هذا لكم خاصة ، و (خاصة) هنا حال من ضمير الجمع ، ولم يغير لما ذكرت لك ، وكأنك قلت في هذا المثال : هذا لكم مخصوصين بذلك . وهذا دليل على مصدريتها . وقال في التاج : ويقال : الخصوصية والخصية والخاصة أسماء مصادر .

وإذا قلت : أكرم العلماء ، وخاصة العاملين منهم خاصة مفعول مطلق لعمل محذوف ، والعاملين مفعول به لذلك الفعل ، أى خص العاملين خاصة ، وإن لم يرد هذا الأسلوب .

وتقول : أكرم العلماء وبخاصة العاملون فترفع . العاملون . . وذلك أن ، بخاصة ، خبر مقدم ، و . العاملون ، مبتدأ مؤخر ، أى العاملون متلبسون بالخصوص أو الخاص . وترى أن المخصوص يرتفع في هذه الحالة أى إذا دخل حرف الجر على . خاصة . . وجاء في اللسان (خصص) : . وسمع ثعلب يقول : إذا ذكر الصالحون بخاصة أبو بكر ، وإذا ذكر الأشراف بخاصة على . .

هذا الشيء ليس في مكنتي

لا يرى الناظر في اللسان والقاموس . المكنته ، كما يستعملها الناس بضم الميم وسكون الكاف ، وفي اللسان أن المكنته - بفتح الميم وكسر الكاف - اسم من التمكن ، كالنبعة من التنبع ، والطلبية من التطلب . وتقول العرب : إن فلانا لذو مكنته عند السلطان أى تمكن . وجاء في الحديث أقرؤوا الطير على مكنتها أى على تمكنها واستقرارها .

وعلى هذا فالصواب أن يقال : ليس هذا الشيء في مكنتي .

على أنه جاء في المقامة السابعة من مقامات الحريري : . فلما استجلس وكنتي وأحضرتة بحالة مكنتي ، والظاهر أنه بضم الميم وسكون الكاف كما ينطق الناس . وجاء في مستدرک التاج لمادة مكن : . المكنته - بالضم - القدرة والاستطاعة ، وهذا يصحح النطق الجارى بين الناس . وقال الأمير تميم بن المعز الفاطمي :

لك عندى فقر عيناً من المسك سنة ما لا تحصيه منى القوافي
والظاهر أن يقرأ . المكنته ، بضم الميم ، وإن كان يصح قراءته . المكنته ، بفتح الميم وأصله المكنته بالضم فسكن الميم تخفيفاً ؛ كما يقال في كتف : كتف ، وفي نفذ : نفذ ،

محمد علي النجار

كولد صهر الشيخ طاهر الجزائري

كتب الأستاذ محمد أمين حسونة مقالا بعنوان (المستشرقون المصريون) في مجلة مجرية استقى ما فيها من معلومات عن مصادر أوربية . وما جاء فيها عن أجناس كولد صهر ما يأتى :
درس في مدارس اللغات الشرقية في برلين وليفريك وفيينا ، ورحل إلى سوريا عام ١٨٧٣ وتلذذ للعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، ثم نزع إلى مصر حيث تفضل في العربية على شيوخ الأزهر ، وقد شهد له علماء جامعات الغرب بطول الباع وبعد النظر ،
ثم ذكر مؤلفاته وأعماله العلمية ، ومنها أنه « ترجم إلى الألمانية كتاب (توجيه النظر إلى علم الآثار) لأستاذه طاهر الجزائري » .

وقد رأينا لهذه المناسبة أن نقف من خط أجناس كولد صهر نص كتاب كان بعث به من بواشيت بتاريخ خامس ذى الحجة سنة ١٣١٧ إلى الشيخ طاهر الجزائري بدمشق .
وأصل هذا الكتاب من المحفوظات الخاصة لدى رئيس تحرير هذه المجلة الذى تلذذ للشيخ طاهر الجزائري مدة ربع قرن كانت هى ذروة النضوج فى حياة هذا الأستاذ العظيم الذى كان كولد صهر تلذذ له فى شبابه . وهذا نص الكتاب :

سلام إلى صاحب الشرف الباذخ ، والفضل الشايع ، من هو المرجع للأمانى والأفاضل ،
الحاوى لأقصى معارج الفضائل والفواضل ، العالم العلامة الشيخ طاهر بن صالح المغربى
الجزائرى أدام الله تعالى فضله وزاد بقاءه آمين .

فه در عصابت نادمتهم يوما بخلق فى الزمان الاول

أما بعد فإن الإنسان مشتق من النسيان ، وبدوران الزمان عفا فى قلبه أثر الإخوان .
والأحياء والأخلاء يفرقهم للموت . ومع ذلك أرجو أنه ما انمى من قلبكم خيال صاحبكم
المجرب الذى كان يستجير بشايعكم فى سنة ١٢٩٠ مقتبساً من أوار علمائنا ، وكثيراً ما تداول
بين فضلائنا وأدبائنا . وصاحبكم يوماً فيوماً مستأنساً بمجاورتكم ومذاكرتكم ، وكنا
إذ ذاك - أنتم وعبدكم الكاتب - فى عنفوان شبابنا ، متبحرين فى العلوم الشريفة . مستغرقين
فى بحور الآداب الظرفية . والآن هبات بعد مر سبعة وعشرين من الأحوال ، وهن عظمى

واشتمل رأسى شيئا . أما والله تعالى ما اندرس ذكر الصالحين المنيرين من نفسى وفؤادى مع أنى

لقد عيل صبرى بعدكم وتكاثرتم هموى ولكن المحب صبور
ومعتمداً على دوام ما جبل الله تعالى في قلوبنا من المحبة والمودة أنجسر يا أيها الشيخ
العلامة أن أستفهمكم عن مسألة دمشق لا أجد حلها في الكتب التى تحت تصرفى مع شدة
اشتياقى لإزالة شبهة في تلك المادة . فذلك أنى قرأت في خلاصة المحب وسلك الدرر للبرادى
لا غيرهما من الكتب التاريخية وطبقات علماء الإسلام أن الشيخ عبد القادر بن محمد ابن
سوار المتوفى سنة ١٠١٤ بعد رجوعه من مصر إلى دمشق كان أول من أنشأ سنة ٩٤٠
بدعة حسنة نقلها من مصر وهى إقامة الجماعات الذكورية المختصة للصلوات على النبي ﷺ
وعرفوا هذه الجماعات باسم الحيا النبوى لإحيائهم ليلالى الاثنين والجمعات بتلك الأوراد
والأذكار . واستمر منصب شيخ الحيا ومقدم الجماعات المحبوبة في نسله السوارية إذا مات
منهم أحد خلفه ابنه في هذه الوظيفة الشريفة .

وكان المحل المخصوص لأداء الحيا الموصوف مشهد في شرق الجامع الاموى (لقبوه
مشهد الحيا) ، وجامع التيروزى بجوار قبر عائكة رضى الله عنها خارج دمشق ، وبعد ذلك
فانى أشتاق كثيراً أن تفضلونى بإخبارى عن المسائل الآتية أولاً فأولاً :

- ١ — هل تستمر الجماعات المذكورة في الشام ونواحيها إلى يومنا هذا .
- ٢ — ما اسمها في اصطلاح الناس ، أبقى عليها اسم الحيا أم بدلوها باسم غير هذا .
- ٣ — أين محل إقامة الجماعات المحبوبة في دمشق هل تستمر في المشاهد المذكورة فوقة
إلى الآن ، أم نقلت إلى غيرها من المشاهد .
- ٤ — هل توارث وظيفة شيخ الحيا في العائلة السوارية كما كان في القرن الحادى
والثانى عشر ، أم اتسعت على غيرها من البيوت الفاضلة الشامية .

تفضل على يا أيها الشيخ بإفادة جواب شافى مثاباً جميل الثواب من الله الكريم الوهاب .
وتخبرونى أيضاً عن أحوالكم كلياتها وجزئياتها .

وأما عبدكم فيتشكر الله تعالى على ما أنعم عليه من خيره ، صابراً على البلايا ، إن الله
مع الصابرين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبه العبد الحقير الفقير

تحريراً فى بودابشت

أجناس كولد صهر المجرى

٥ ذى الحجة من شهر سنة ١٣١٧

أقسام الواجب

بعد أن بينا حقيقة (الواجب) لغة وشرعا ، ووضحنا الترادف بين الفرض والواجب عند الشافعية والاختلاف بينهما عند الحنفية ، وتبعنا لبحث الواجب في تنوعه يلزمنا بيان التقاسيم التي ذكرها الأصوليون ، المتزمين ببيان الحقائق وتميزها دون التعرض للجدل والنقاش والاعتراضات والرد عليها إلا بما تيسر الحاجة الشديدة إليه .

فالواجب ينقسم أولا إلى مطلق ومؤقت . فالمطلق ما لم يفقده الشارع بوقت محدد من العمر مثل الكفارات ، والمؤقت ما جعل الشارع له زمنا محددا يفعل فيه مثل الصلاة وصوم رمضان .

والوقت المعين لفعل الواجب ثلاثة أنواع : موسع ، ومضيق ، وذو شقين . فالموسع ويسميه الحنفية ظرفا هو ما يزيد عن مقدار الواجب ووسع على المكلف أن يأتي بالواجب في أى ساعة شاء منه كأوقات الصلوات الخمس . وهذا الوقت سبب لوجوب الواجب وأمانة عليه ، فلا يجب قبل دخوله ، وشرط لصحته فلا يصح التجيل به . ويجوز فعل الواجب في أى ساعة شاء المكلف من الوقت ، وهذه الحقائق موضع اتفاق بين جميع الأصوليين . واختلفوا في جزء الوقت الذي جعل سببا لتوجه الخطاب من الشارع . فقيل : أن أول أجزاء الوقت هو علامة توجه الخطاب ، فتي ابتداء الوقت صار المكلف مطالبا بالفعل بخيرا في جميع أجزاء الوقت متى كان متأهلا للتكليف أول الوقت ، فإن لم تكن عنده الأهلية انتقل السبب إلى الجزء الذي يزول فيه المانع من الوقت .

وقال قوم : إن السبب هو الجزء الذي يتصل به الأداء من الوقت ، فإن لم يؤد تعين الجزء الأخير الذي يسع أداء الفرض للشيء ، وبعد خروج الوقت تضاف السببية إلى جملة والمضيق من الوقت ما لا يسع شيئا آخر من جنس الواجب كشهر رمضان ، ويسمى ميارا والوقت ذو الشقين هو وقت الحج . فله شبه بالمضيق من جهة أن العام لا يسع إلا حجاً واحداً ، وشبه بالموسع من جهة أن أشهر الحج لا تستغرقها أعماله .

ويوصف الواجب بالأداء إن فعل في وقته المحدود له ، وبالإعادة إن فعل ثانياً في الوقت بعد فعله أولاً لعدم كمال الأول . ويوصف بكونه قضاء إن قام به المكلف بعد الوقت . وقد اختلفوا في أن القضاء بالأمر الأول أو بأمر جديد ، كما اختلفوا في وصف العقل بكونه أداء هل يكفي مجرد الشروع فيه في الوقت كما في الصلاة ، أو لابد أن يأتي بركعة منها على الأقل في الوقت . ولا يرى حاجة إلى الدخول في هذا النقاش لعدم مساس الحاجة إليه .

وينقسم الواجب ثانياً إلى واجب معين على كل فرض عن تتوفر فيهم أهلية الوجوب ، وإلى غير معين على كل فرض بل قصد الشارع حصوله من بعض المكلفين غير ناظر إلى فاعله . فالأول كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، وتوصف هذه الواجبات بالعينية لأنها لزمّت كل واحد من الأفراد بعينه ، والثاني كالقيام بوظيفة القضاء والإفناء . وبه السلام ورده والصلاة على الموتي والقيام بعلاج المرضى وسد حاجة المعوزين ، وتوصف هذه الواجبات بكونها واجبات كفاية للزوم أداؤها من بعض المكلفين وسقوط طلبها إذا أتى بها فرد من أفراد المخاطبين . فأداء الفرد يسقط الإثم عن جميعهم . وإذا أهمل القيام بهذا الواجب أثم جميع المخاطبين ، فجميع واجبات الكفاية إذا قام بها البعض سقط الطلب عن الجميع ، وإذا لم يأت بها أحد أثم جميع المكلفين ، وأثم الجميع بالترك يقتضى توجيه الطلب إلى الجميع لأنه لا معنى للتأنيث العام مع توجيه الطلب إلى البعض ، وسقوط الإثم بفعل البعض يقتضى توجيه الطلب إلى البعض ، وعند النظر في خطابات الشارع بطلب فروض الكفاية نجد القرآن الكريم يوجه الخطاب أحياناً إلى جميع الأمة بأن يكون بعض أفرادها مطلوباً منه تحصيل الفرض . وهذا البعض هو الذى وجدت عنده الأهلية والقدرة والاستعداد لفعل هذا الفرض قال تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، وأحياناً يطلب الفعل من طائفة مهمة قال تعالى : فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة .

ولفروض الكفايات والقيام بها شأن عظيم في تنظيم مرافق الدولة وإصلاح شئونها وإزالة المنكرات فيها . ونشأ عن هذه القاعدة وظيفة المحتسبين في الدولة الذين وطنوا أنفسهم على إزالة كل فساد خلق أو اجتماعي ، فإذا ما قويت هذه الروح في الأمة استطاعت أن تتضمن

وتكافل على استتباب الأمن وإزالة الموبقات والقيام بمرافق الدولة من القضاء على الفقر والمرض والجمل .

وينقسم الواجب ثلثاً إلى واجب محدد وهو ما عين له الشارع مقدراً كالصلوات المفروضة والزكوات . وغير محدد وهو ما لم يعين له الشارع مقدراً كالإفاق في سبيل الله وإطعام الجائدين وكسوة العارين وإقراض الغرق وإغاثة الملهوفين ، وهذه مطلوبة من المكلف غير أنها لا ترتب في ذمته لأنها لو ترتبت لكانت محددة معلومة إذ المجهول لا يترتب في الذمّة .

والترسيم الرابع للواجب يحىء في تعيينه بأن يطلبه الشارع عينا فيلزم ذلك المعين ولا يقوم غيره مقامه ، ونحوه وهو ما يطلبه الشارع على سبيل الإيهام ضمن أمور معينة كأحد خصال الكفارة ، قال تعالى في كفارة اليمين : فكفارتها إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فيتعلق التكليف في الواجب المنجز بواحد منهم كما في كفارة اليمين . فقد تعلق الطلب فيها بواحد من الأمور الثلاثة وهي الإطعام أو الكسوة أو التحرير .

فالواحد المجهول قدر مشترك بين الحصول كلها لصدقه على كل واحد منها . ولا نرى الحاجة ماسة إلى بيان أن الواجب هو الجميع ويسقط بفعل البعض ولو أدى المكلف الجميع يستحق ثواب واجبات . والواجب معين عند الله تعالى ، وهو ما يقوم المكلف بفعله فيختلف أداء هذا الواجب تبعاً لاختلاف ما يقوم به كل مكلف . والواجب معين عند الله تعالى بلا اختلاف ، فإن فعله المكلف سقط الواجب . وإن فعل غير المميز عند الله تعالى سقط به الواجب أيضاً .

فالراجع عند الأصوليين جواز التكليف بأمر واحد من أمور معينة كما في خصال الكفارة ، فالتكليف يتعلق بواحد منهم يسقط الواجب بفعل أى واحد من الحصول الثلاثة في الكفارة . والنتيجة أن الجهة العملية متفق عليها ، وهي أن المكلف مطالب بإحدى هذه الحصول . فإن فعلها فقد أدى الواجب ، وإن ترك الكل أثم . والخلاف بعد ذلك في شيء لا يترتب عليه عمل (أنظر صفحة ١٧٩ جزء أول موافقات) .

عبد الله المرافي
مدير المساجد

الديموقراطية في الإسلام

اتجه الأستاذ العقاد في السنوات الأخيرة نحو الدراسات الإسلامية ، فأخرج لنا سلسلة العبقريات وغيرها من كتب قيعة أساسها تحليل شخصيات أو موضوعات إسلامية . وكتاب « الديمقراطية في الإسلام » حلقة جديدة في هذا الباب ، ويرى إلى إثبات أن الإسلام هو الذى أنشأ فكرة الديمقراطية لأول مرة في تاريخ العالم ، وقد حرص الكاتب الكبير على أن يبين أن مقومات الديمقراطية وسماتها الرئيسية من أصول إسلامية ، وعقد لذلك تسعة عشر فصلاً عدا المقدمة والخاتمة .

ما هى الديمقراطية التى عرفت عند اليونان والرومان ؟ قد لا يكون من اليسير تعريفها بصفة إيجابية ، وإنما يلجأ إلى السلب عادة ، فنقول مثلاً إنها « غير حكم الفرد المطلق ، وغير حكم الأشراف ، وغير حكم الكهان ، وغير حكم القادة العسكريين ، وما عدا ذلك من ضروب الحكم التى ليس للشعب فيها نصيب » ، لأننا إن قلنا إنها حكم الشعب لى يتسق ذلك تماماً مع تعريفها ، فقد ارتضت الشعوب أحياناً أحكام المستبدين .

والنظام الديموقراطى بدأ فى إسبرطة ، ولم يبدأ فى أثينا موطن الفلاسفة ، فقد كان نظاماً عملياً لا فكرياً ، فالديموقراطية إذن « لم تكن مذهباً قائماً على الحقوق الإنسانية أو منظوراً فيه إلى حالة غير حالة الحكومة الوطنية » ، وعلى ذلك تقرر الدساتير الرومانية مساواة جميع الطبقات فى حقوق الانتخاب وحقوق الحكم لحاجة الدولة - بعد تنوع طوائفها إلى العامة . وهذا فى الواقع السبب الرئيسى فى الحقوق الديموقراطية التى قال بها الإنجليز فى القرن الخامس عشر ، فلم يخول عمال المدن حق الانتخاب إلا بعد أن أصبحوا قوة لازمة للدولة فى المصانع ، ثم تبعهم عمال الريف ، وكذلك المرأة بعد الحرب العالمية الأولى وصلت إلى هذا الحق لاستغلالها بأعمال المصالح أثناء غياب الجندى فى مناطق القتال .

والآن ما هى مقومات الديمقراطية العربية قبل مجئ الإسلام ؟ تصور بعض المستشرقين حياة العرب قبل الإسلام كلها حرية فى جميع التصرفات . ولكنها لم تخرج عن كونها حرية واقعية لم يقصد إليها ولم تقم على مبادئ توضح حق الإنسان فى الحياة الكريمة ، وإنما كانت

لأن الناس لم يتنازعوا عليها مثل الطير في السماء . زيادة على ذلك أن الحرية بالمعنى الذى صورها به بعض المستشرقين لم تكن متحققة دوماً وفي كل مكان ، فقد عرفت بعض القبائل حكم الطغيان والاستبداد وخضع له أفرادها . وقيام بعض الثورات كان لانتزاع السلطان لا لتحقيق الحرية المسلوبة والدفاع عن الكرامة البشرية ، ناهيك بما كانت عليه الفوارق الاجتماعية من اتساع ، فن غنى فاحش إلى فقر مدقع .

والدول غير الإسلامية التى كانت في عهد الدولة المحمدية لم تحكم منها دولة ديمقراطية أو تؤمن بمبادئ ديمقراطية ، : فن فواصل شاسعة بين طبقات الدولة الواحدة ووظائف محفوظة لذوى الانساب بدون تأدية عمل في بلاد الفرس ، إلى حكم مطلق في بلاد الروم ، إلى عشائر يحكمها أمراء في بلاد الحبشة .

لم تظهر الديمقراطية إذن بمعناها الصحيح في أى من الدول السابق ذكرها ، ولم تنقر بمعناها الإنسانى ، إلا على يدى شريعة الإسلام ، فالمسئولية الفردية ، والمساواة بين الناس في الحقوق ، ووجوب الشورى ، والتضامن الاجتماعى ، كل هذا من عمل الإسلام وحده ولم يسبقه فيه سابق . ولقد قررها كتاب الله في آيات عدة ، وأظهرتها سنة الرسول قولاً وعملاً . ومن ناحية أخرى فإن المؤمن الحق يستحى أن يدين مخلوق مثله أو يخضع لمخلوق مثله بأكثر من الإذانة والخضوع لله ، فإنه يراعى في جميع تصرفاته حكومة الكون وما لها من قوة وبأس . ولقد وردت كلمة (الحكم) ومشتقاتها في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم لتوحى إلى الضمير أن وراء كل تصرف حكماً ، وأن وراء كل حكم دينوى حكم الله الذى هو أحكم الحاكمين .

ومن الممكن أن نفسر (السيادة) في الاسلام بأنها عقد بين الله والمخلوق من جهة ، وعقد بين الراعى والرعية من جهة ، والاول أهم من الثانى ، وهو قائم على الحد كما شرعه الله في كتابه وكما ورد في حديث رسوله . أما الثانى فإنه يميل أحياناً مع الهوى ، فيأمر الإمام بالمعصية ، ويخالف الشريعة ، فلا تجب طاعته في هذا الامر ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، .

ومصدر السيادة هي الأمة ، ولكن هذا لا ينبغي على أنها قد تتحول عن دينها في احتمال قريب أو بعيد ، إذ التحول عن الدين جريمة كبرى في جميع الاديان ، ، ولا يوجد تعارض بين القول بأن الأمة هي مصدر السيادة ، وبين القول بأن القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر التشريع ، فالأمة هي التى تفهم الكتاب والسنة وتعمل بهما .

وقد يعن لمعترض أن يناقش الوسيلة الى كان يتم بها اختيار الحكام في الإسلام ، وأنها لم تكن كما يجرى الآن في الأمم الديمقراطية . والرد على ذلك أن الحكم الديمقراطي حقائق وأشكال أو جوهر وعرض ، فالجوهر هو حرية المحكومين في اختيار حكومتهم ، والعرض هو الوسيلة التي تؤدي إلى ذلك ، ولم يرد ما يفهم منه عدم حرية المسلمين الثامة في اختيار إمامهم . فإن الرسول نفسه لم يلزم أمته بأحد الخلفاء فلم يعلن الاختيار ، ولم يزد فيه على الإشارة^(١) ، ولم تكن مبايعة أبي بكر لعمر ملزمة فلم تخرج عن كونها ترشيحاً أقره الناس وراضين^(٢) .

وإذا نحن انتقلنا من أسس الديمقراطية إلى بعض تفريعاتها ، وجدنا في الميدان الاقتصادي أساساً لا يستطيعون فهم الديمقراطية في ذاتها إلا بمحو الفوارق الاقتصادية . ولكن أليست هناك فوارق طبيعية خلقت فينا ؟ وإذا أمكننا تحقيق الديمقراطية مع وجود هذه الفوارق أفلا يمكننا تطبيقها مع وجود تلك ؟ والديمقراطية بعد هي أن يتساوى الناس في عدل القانون ، وألا تكون الفوارق بينهم سبباً لاستغلال الأقوياء عمل الضعفاء ، أو لاغتصاب المالكين حق المحرومين . ولقد قامت (ديمقراطية الإسلام الاقتصادية) على هذا المبدأ القويم ، وعلى تقديس العمل ، وهذا أعظم ما يطمح إليه مجتمع ديمقراطي .

ومن ناحية أخرى قام الإسلام على السباحة . وسيرة الرسول في مجالسه ومعاملته للناس كانت المثال الأعلى للديمقراطية وكذلك أبو بكر ، وعمر .

ولقد كان التشريع عاماً في مصدره ، عاماً في تطبيقه . فالكتاب والسنة والإجماع وحكم الإمام ومن يستعين بهم من نوى الرأي والمعرفة كل هذا دال على عموم مصدره ، وتطبيقه على الرسول الكريم وعلى الخلفاء أنفسهم أكبر دليل على عموم تطبيقه . وكذلك القضاء تحققت فيه صفة العمومية فسوى بين الناس ، وتولاه من اجتمعت له شروطه أو أكثرها

(١) المجلة - ومن ذلك تقديم أبي بكر للإمامة في الصلاة .

(٢) المجلة - وقد أقره راضون لأنه ترشيح صادر عن ولوه جميع أمورهم ، وبايوه على الطاعة فيها جيباً غير متبذ إلا بقيد واحد وهو « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، وعهد إلى عمر بالخلافة بعده مثل جميع تصرفاته المشروعة ، وكان أميناً فاضلاً فيما اختاره لهم .

وهي العقل ، والعلم ، والحرية ، وحسن السمعة ، والبصر ، والطق . ويستحب أن يكون (مجتهداً) ولا يتمتع أن يكون مقلداً .

ولقد عامل الإسلام الأجانب معاملة حسنة لا تكون مغالين إذا قلنا إنها لا تفرق عن معاملته لأبنائه ولم يكن عليه إذا هو نظر إليهم نظرة الجذر والريبة مخافة نقضهم للعهد في دولة حديثة ، ولكنها الساحة . ولقد كانت العلاقة التي أقرها الإسلام بين دولته والدول الأخرى سلمية في جوهرها ، فقد قسم الإسلام الدول الأخرى بالنسبة له أقساماً ثلاثة : قسم المسلمين ، وقسم المعاهدين ، وقسم الأعداء . والحرب مع الأولين حرام ، ومع الأوسطين - إن قبلوا عهد الامة - فاعلمهم أن لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، ومع الآخرين فلا حرج إلا إذا وقفوا بالقوة في سبيل الدعوة .

هذه هي أهم مبادئ الديمقراطية في الإسلام ، قد تبدو مثالية يزد الحاق بها في الحياة العملية ، خاصة في زمن كاد الفساد فيه أن يصبح من المبادئ المقررة . ولكنها طبقت عملياً ويعرف ذلك كل من قرأ عن الإسلام .

وبعد ، فهذه هي العناصر الرئيسية في كتاب الأستاذ العقاد ، لعل أكون قد وفقت في إبرازها ، ولعل أكون قد أفلحت في إعطاء القارئ ، فكرة عنه ، وهي بعد لا تغني عن قراءته .

سعيد زهير

الرجال

قال الحسن البصري : الرجال ثلاثة : رجل كالغذاء لا يستغنى عنه . ورجل كالدرء لا يحتاج إليه إلا حيناً بعد حين . ورجل كالداء لا يحتاج إليه أبداً .

غزوة بدر الكبرى

ميدان الاستراتيجية ، والتكتيك ، والفن الحربي

- ١ -

هذه أولى معارك الإسلام ، وهي التجربة العملية الأولى لقائد جيش الإسلام محمد رسول الله . ولم يكن من المسير على أن انتهى من دراستها على ضوء الفن الحربي الحديث إلى أنها كانت ميدانا تجلت فيه الاستراتيجية الحربية والتكتيك الحربي بأجلى صورهما .

أسباب الغزوة :

اعتاد أبرسفيان زعيم قريش أن يرسل قافلة تجارية إلى الشام وتعود إلى الجزيرة بالمال والتجارة ، وتعلق قريش على هذه القافلة الآمال لأهميتها القصوى لحياتها الاقتصادية . وافتد أدرك محمد القائد أن محاربة قريش في تجارتها تقضى عليها ، تفرج إلى (المشيرة) لمقابلة القافلة في رحلتها إلى الشام ، ولكنه لم يدركها ، فاضرم أن ينتظرها في عودتها صيفا ، فلما اقرب الموعد بعث اثنين من رجاله ينتظرانها ويبحثان له بأخبارها ، وكانت هذه القافلة عظيمة الأهمية حتى بلغ قيمة ما فيها ٥٠٠٠٠ دينار و ١٠٠٠٠ بعير ، يقوم بحراستها مع أبي سفيان حوالي الثلاثين رجلا .

وهكذا ترى أن محمدا ﷺ كان يعلم ويدرك أن القضاء على قوة عدوه الاقتصادية لا يقل خطراً وشأناً عن القضاء على قوته العسكرية . وهذا المبدأ الذي نادى به محمد ﷺ في صحراء الحجاز منذ ثلاثة عشر قرناً يعد من أول ما يعنى به قواد الحروب الحديثة ، فهم يبحثون عن جميع عوامل بناء القوة العسكرية عند عدرهم لهدمها قبل التقاء القوات المحاربة في ميادين القتال ، وتلجى على هذا الاعتبار خططهم الاستراتيجية ، ولذلك فهم يحاولون تدمير المصانع الحربية والمخازن والموانئ والمنشآت ومحطات السكة الحديدية وشبكات المواصلات وغيرها بقصد شل الجهاز الحربي لأعدائهم ، ووسيلتهم لذلك الغارات

الجوية المتوالية (وتسمى الطائرات التي تقوم بها بقاذفات القنابل الاستراتيجية) واستخدام الجواسيس والطاير الخامس والفدائيين وغير ذلك من الوسائل .

بدء الغزوة :

لما علم النبي ﷺ باقتراب القافلة أمر رجاله بالاستعداد للقتال ، وكان أبو سفيان — وهو قائد على رأس القافلة — قد علم عندما اقترب من أرض الحجاز نيات المسلمين ، فذعر ، وأرسل رجلا إلى مكة وأمره أن يجمع أنف بعيره وأن يقطع أذنيه وأن يغير وضع السرج وأن يشق قميصه من الامام والخلف ليثير منظره نفوس قريش فلما وصل إلى مكة صاح في قريش يستغفرون ويحفرهم إلى إتقاذ قافلتهم التي فيها أموالهم وحياتهم قائلا : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة (أى المال والتجارة) ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها . الفوث الفوث ! . فهبت قريش للنجدة حتى لم يبق بمكة قادر على القتال .

خرج النبي ﷺ بقوته من المدينة المنورة في يوم ٧ رمضان من السنة الهجرية ، وسار أربعين ميلا حتى وصل (الروحاء) وهو مكان به بئر ، وكان قد أرسل رجلين يتجسسان أخبار قافلة أبي سفيان . فلما وصلا إلى (بدر) وأخذا يستقيان من ماء البئر سمعا جارية تطالب صاحبها بدين عليها فأجابتها الأخرى : عندما تأتى العير (أى القافلة) غداً أو بعد غد سأقوم بخدمتها ثم أفضيك الذي لك . فكان هذا دليلا على أن القافلة سوف تأتى غداً ، فأسرع الرجلان فأخبرا النبي ﷺ بما سمعا .

تقدير الموقف :

تقدير الموقف هو عملية فكرية يقوم بها كل قائد يريد أن يدخل المعركة مع عدوه معتمداً على أساس من التفكير السليم وبعد النظر وتقدير عواقب الأمور وإعداد العدة لكل أمر وقد اتفق المفكرون العسكريون حديثنا على أن خير طرق تقدير الموقف طريقة تشمل المراحل الآتية : —

١ — تحديد الغرض الذى يصبو القائد إلى تحقيقه ، وهذا التحديد هو أم الأمور .

٢ — استعراض العوامل التى لها تأثير على تحقيق هذا الغرض ، وهذه العوامل تختلف تبعاً لطبيعة الممارك المختلفة ، وهى متعددة نذكر منها أهمها وهى مقارنة بين القوتين المتضادتين ، وبفيد القائد من هذه المقارنة التى تبين له قدر قوته بالنسبة لقوة عدوه ، وتعرفه بما يمتاز به عدوه عليه من ناحية العدد والعدة وغير ذلك من عناصر القوة . بأن يبحث فى علاج نقط الضعف فى قوته .

٣ — بحث طرق الحل المفتوحة أمام كل من القائدين المتقاتلين ، فإذا كنت مثلاً سأقوم بالهجوم على عدوى فإنى أقول : إن أمامى حلين ، إما أن أهاجم بالواجهة مثلاً ، وإما أن أقوم بعملية تطويق من الجنب ، مع تحليل مزايا كل حل وعيوبه . ثم أقول بالنسبة للعدو : لديه حلان مثلاً ، فهو إما أن يصمد للملاقاة إلى النهاية ، وإما يسرع بالانسحاب بمجرد تلقيه الصدمة الأولى ، مع تحليل مزايا كل حل وعيوبه . وهكذا لا يستغنى القائد بالتفكير من وجهة نظره فقط ، بل يجب أن يضع موضع الاعتبار وجهة نظر عدوه . وهذا منتهى الحكمة .

٤ — تقرير الخطة التى تتبع ، ذلك على ضوء ما ظهر فى هذا التفكير المنطقي المتسلسل وطبيعى أن هذه الخطة ترمى فى النهاية إلى تحقيق الغرض الذى تم تحديده بادية الأمر .

وإنه لطيب لى ، وعما يسر الفراء ، أن أبين أن قائد جيش المسلمين ﷺ قد قام منذ ثلاثة عشر قرناً بتقدير الموقف قبل معركة بدر ، متمشياً مع أحدث ما وصل إليه تفكير العسكريين فى هذا الأمر .

فلقد قدر المسلمون الموقف قبل معركة بدر فحددوا الغرض وهو : القضاء على قافلة قريش ، ثم بحثوا العوامل التى تؤثر على تحقيق هذا الغرض وكان أهمها المقارنة بين القوتين التى تبين منها أن قوة قريش التى خفت لنجدة القافلة بلغت ٩٥٠ رجلاً من المشاة لابسى الدروع يضاف إليهم ١٠٠ من الفرسان المدربين بينما كانت قوة المسلمين ٣١٤ رجلاً فقط ومعهم ٧٠ رجلاً وبعض الخيل ، ثم انتقل المسلمون إلى بحث ما أمامهم من حلول فكانوا بين أمرين : إما قتال قريش . وإما الانسحاب . ولقد وجدوا أنهم إذا قاتلوا القافلة وهى

أقل منهم قوة فسوف يتغلبون عليها بسهولة ، ولكنهم لن ينجوا من قريش التي خرجت للدفاع عن مالها وحياتها ، وقريش تمتاز بعدد كبير وسلاح كثير .

ولإذا هم تركوا القافلة وانسحبوا فسوف يتفادون قتال قريش ، ولكن غرضهم الأساسي الذي حددوه في تقدير الموقف من البداية لن يتحقق وهو القضاء على القافلة ، وسوف تعيرهم قريش بالتخاذل والضعف ، ويطمع فيهم يهود المدينة ، أضف إلى هذا ما لهذا الانسحاب من أثر سيء على الدعوة الإسلامية ، فلا تكون لها بعد ذلك مكانتها المنشودة .

لم يشأ محمد ﷺ أن يبت في الأمر حتى يستشير أصحابه في هذا الموقف الخطير ، وهنا تتجلى أسمى مظاهر الروح المعنوية العالية عند رجال جيش المسلمين ، فلنسمع قول المقداد ابن عمرو : « يا رسول الله ، إمض لما أمرك الله ، فنحن معك . والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

وقال سعد بن معاذ ، يا رسول الله ، إمض لما أردت ، فنحن معك . فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر نخضته لخصناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد .

وهذا مثل رائع على صدق العزيمة وثبات العقيدة ، وثمرة رائعة من ثمار غرس النبي القائد الأعلى .

وهكذا انتهى المسلمون من تقدير الموقف إلى تقرير ضرورة القتال .

أما أبو سفيان فقد سبق القافلة للاستطلاع ومعرفة نيات جيش المسلمين ، فلما وصل بدرا علم أن المسلمين يتربصون لقائته ، فعاد إلى القافلة وقرر في الحال أن يغير طريق سير القافلة المعتاد وهو المحاذي لساحل البحر الأحمر ، ونحول إلى طريق آخر غير مطروق ، وكان في سيره هذا شديد السرعة شديد الخذر ، وبذلك نجح من محمد ﷺ وأصحابه . ولما أحس بأنه قد أفلح في الإفلات أرسل إلى قريش يأمرهم بالرجوع إلى ديارهم حيث إن الغرض الذي خرجوا من أجله — وهو نجدة القافلة — قد أصبح غير ذي موضوع ، فقد أفلتت من أيدي المسلمين هذه الحيلة . ولكن قريشا وعلى رأسها أبو جهل امتعوا وأصرروا

على قتال المسلمين في بدر ، فتقدموا حتى وصلوا إلى تل من الرمل بالقرب من بدر فزلوا هناك يحتمون به ويستعدون للقتال .

أما المسلمون فبعد أن اتفق رأيهم على قتال قريش محافظة على هبة الإسلام ، فقد تقدموا وعلى رأسهم النبي الكريم حتى وصلوا بالقرب من بدر ، فبعث النبي ﷺ ثلاثة من رجاله للحصول على معلومات عن مدى تقدم قريش واستعدادها . فلما وصلوا إلى بئر بدر وجدوا غلامين من أنباغ قريش يستقيان من البئر فأخذهما إلى النبي ، فأخذ في استجوابهما ، وسألها عن عدد قريش الذين جاءوا للقتال فقالا : لا ندرى . فسألها كم تنحرون من الجزر (الجبال) كل يوم : فقلنا يوما تسعا ويوما عشرا . فقال النبي ﷺ : القوم ما بين تسعمائة والألف . وهكذا استطاع النبي أن يستجيب قوة المشركين العديدة من عدد ما ينحرون من الإبل لأنه قدر أن البعير الواحد يطعم منه حوالى المائة ، وقد استمد هذه المعلومات من هذين الغلامين اللذين كانا يخدمان قريش .

استقر رأى المسلمين على أن يتخذوا موقعهم بجوار ماء بدر ، ولكن الحباب بن المنذر لم يستحسن هذا الموقع وكان يعلم الموقع جيدا ، فقال للنبي ﷺ هل هذا المكان أمرك الله به لا تتقدمه ولا تأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فأشار حباب على النبي بأن ينتقل من هذا الموقع إلى موقع آخر يتحكم تماما في مياه البئر بحيث يقطع الماء — وهو حياة رجال البادية — عن قريش في الوقت الذى ينعم فيه المسلمون بالماء الغزير . فقال النبي ﷺ له : أنشئت بالرأى وأمر المسلمين بالانتقال إلى حيث أشار الحباب ، وبني المسلمون حوضا على البئر .

وهكذا ضرب لنا الرسول مثلا عظيما للقائد الناجح ، فإن الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة ، تفتقر بآية الابتكار والانشاء ، لأن القيادة الحسنة هى القيادة التى تستفيد من خبرة الحبير ، كما تستفيد من شجاعة الشجاع . وهى التى تجتهد كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام .

ولقد كان انتقال المسلمين إلى موقعهم الجديد الذى أشار به الحباب ضربة محكمة أصابت قريشا ، فقد أصبح المسلمون يشربون وهم لا يشربون ، فاندفع من قريش الاسود المخزومى

- وكان شرساً سيئ الخلق - اندفع نحو البئر وهو يقول : أعاهد الله لأثربن من حوضهم ، أو لأهد منه ، أو لأموتن دونه .

فلما أقبل على الحوض لهدمه لحقه حمزة رضى الله عنه بضربة سيف قطعت عليه . وهكذا بدأت المعركة .

ولعل من المناسب أن أتحدث قليلاً عن طرق القتال في هذه الأزمان ، ولو أنه كان من العسير على أن أجد لهذا مرجعاً خاصاً ، فالأمر لا يعدو استنتاجاً وتصوراً .

يتخذ كل جانب من الجانبين المقاتلين معسكراً له على مقربة من معسكر الآخر .

والأسلحة التي كانت تستخدم في هذا الوقت هي القسي والسهام وتسمى بالنبل وهي تعتبر الأسلحة البعيدة المدى ، والحرية والرماح وهي في الغالب سلاح الفرسان ، ثم السيوف والخنجر وما أشبه . للقتال يدأ بيد .

وكانت هناك دروع تلبس على الصدر ، وأقنعة تلبس على الرأس أحياناً ، وترس يمسك في اليد للوقاية من الطعنات .

أما الطعام والشراب فلم يكن مشكلة ، فقد كانوا يخرجون للقتال ومعهم كفايتهم من الطعام الذي كان أغلبه جافاً . ومن الأطعمة المشهورة : السويق ، وهو يشبه الفريك المجفف يحمل الرجل كمية منه في مخلاة يملقها في رقبتة ، فإذا جاع ازدرد بهضاً منه وشرب ماء أو لبناً . وكان لديهم التمر متوفراً ، وهو معروف باحتوائه على عناصر مغذية كثيرة . هذا علاوة على لحوم الذبائح كالإبل والغنم والماعز التي كانوا يصطحبونها في تحركاتهم يشربون لبنها ويذبحون منها .

وكانوا يحفظون الماء في قرب يصنعونها من جلود الماعز ، ومنها أيضاً كانوا يصنعون الزمام للسياه ، وكانت وسيلة الانتقال لديهم الحيوانات كالإبل والحيل إن توفرت وإلا فالسير على الأقدام هو الأغلب ، ولم على هذا مقدرة فائقة . أما وسيلة الاتصال فكانت الصوت والرسول أو الساعي الذي يكون راجلاً أو راكباً تبعاً للسهولة والسرعة المطلوبة .

وفي أغاب الأحيان تبدأ المعارك بمبارزة بين بعض المبارزين المهرة الذين ينتخبهم كل فريق، ويقف الفريقان موقف المنفرج المتحفر، وتستمر المبارزة حتى تسيل الدماء وتظهر غلبة فريق على فريق فيثير المنظر شعور الناس، وتثور حمية من هزم مبارزوه، فيصيحون داعين للزال، وهكذا يلتمح الفريقان الفارس مع الفارس والمشاة مع المشاة.

ولا تستمر الممارك طويلا، وهي تجري نهاراً بالطبع، وسرعان ما ترجع كفة أحد الفريقين، ويتوقف هذا على القوة العددية والمعنوية وغير ذلك من الظروف. وبذلك تنتهي المعركة وقد خرج منها فريق غالبا وفريق مغلوبا.

وإن ما حدث في غزوة بدر لشبيه إلى حد كبير بما أوردت من وصف، فإنه بعد أن قتل حمزة الأسود المخزومي على الخوض اندفع من صفوف قريش ثلاثة يدعون إلى المبارزة، فأمر النبي ﷺ علياً بطل المبارزة كرم الله وجهه واثنين من المسلمين بملاقاتهم، فبارزوه وقتلوه جميعا، وجرح أحد المسلمين الثلاثة. وبعد ذلك التقى الجيشان، وكان ذلك في ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة (١٣ مارس سنة ٦٢٤ م)

ويحذر بي أن أروى حادثة لها مغزاها حدثت في هذه الغزوة، فقد قام النبي ﷺ إلى المسلمين يعدل صفوفهم، فوجد رجلا اسمه سواد خارجا عن الصف فطعته بعصا خشبية كانت في يده وقال: استر يا سواد. فقال الرجل: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالعدل والحق فأفدني (أي مكنتني من القصاص من نفسك) فكشف النبي عن بطنه وقال (استقد) أي خذ القصاص، فتأثر الرجل وعاقب النبي وقبل بطنه الشريف.

هذه حادثة عارضة استوقفتني برهة، لأنها تقف دليلا ناصعا مضيئا على قوة الحق وفضيلة الاعتراف به من القائد - فقد قبل محمد رسول الله وقائد جيش المسلمين على نفسه أن يقتص منه جندي في جيشه لأن الحق معه، وهو الذي بعثه الله بالحق. ولقد حلا لي أن أتصور حالة هذا الرجل المعنوية وحالة باقي الجيش بعد أن لمس هذه الواقعة في أخلاق قائده، وكان من السهل على أن أدرك كيف أن ثلاثمائة غلبوا ألفا من أعدائهم.

محمد جمال الدين محفوظ

البحث بقية.

بوزباشي أركان حرب



إِعْدَادُ الْقُوَّةِ وَخِذَ الْأَهْبَةَ لِلْإِعْدَاءِ

قال الله سبحانه وتعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، (١) » .

لقد أرسل الله سبحانه رسله مبشرين ومنذرين وهادين إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وتسود بينهم الرحمة والألفة والإخاء . والشرائع لا بد لها من قوة تؤيدها وتشد أزرها ، وإلا كان الحق بين الناس مضيقا ، والظلم بينهم فاشيا ، ولامر ما عقب الله ذكر إنزال الكتب السماوية مع الرسل بذكر إنزال الحديد الذي هو رمز القوة والبأس ، فقال عز من قائل : « لقد أرسلنا رسلك بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ، (٢) » .

ولاجل أن الحق لا بد له من قوة تنصره وتزيل العقبات التي تعترض طريقه وتكفل له الانتشار والغلبة شرع الله الجهاد في سبيل العقائد الصحيحة والمبادئ الفاضلة والحصول على الحقوق المقتضية ، وجعله من أفضل القربات إلى الله ، وجعل الاستشهاد في سبيل الحق والحقوق وسيلة لحياة أبدية خالدة والقلب في العيم المقيم في جنات عرضها السموات والأرض أعدت للتقين ، وصدق الله : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما أنعم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، (٣) » .

(١) سورة الانفال الآية ٦٠

(٢) سورة الحديد الآية ٢٥

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩ ، ١٧٠

ولا عجب - والحال كما سمعت - أن أمر الله عباده المسلمين أن يعدوا للكفار المفسدين في الأرض - يطرهم الحق وغمطهم الناس حقوقهم - كل ما يهيء للمسلمين العزة والغلبة عليهم ، ويجعل شريعتهم هي السائدة على وجه الأرض . فقال سبحانه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » . فعلى المسلمين أن يذللوا غاية الوسع في تحصيل أسباب القوة ووسائل العزة والمنعة ، من الانتظام في سلك الجندية ، وتعلم الفنون الحربية ، وإنشاء المصانع التي تنتج شتى الأسلحة ، والتدريب على استعمالها ، وبناء المساح ، والمرابطة في الثغور ، وبذلك أمان حقوق المسلمين ويهاب سلطانهم في الأرض . ومن أمرار إعجاز الآية الكريمة أن يأتي - لموها على هذا الوضع من التعبير باللفظ المرن الصالح لكل زمان ومكان ، فلكل جيل وعصر أن يفسر القوة بما هو أفضل وأولى وأنفع لإظهار شوكة المسلمين ومنعتهم . وقد روى الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما عن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ألا أن القوة الرمي (ثلاثا) . ومن العجيب أن يأتي التفسير النبوي كالآي القرآني مرانة وملاحية لأن تفسره الأجيال المتلاحقة بما يحقق الغرض وينفي بالحاجة ، فإن فهمت منه الرمي بالسهام والنبال والحراب كما كان في العصر الأول فأنت صادق ، وإن فهمت منه الرمي بالرصاص والمدافع والقنابل وكل ما استحدث من أنواع الدمار والهلاك فلا تعدو الحقيقة . ومثل هذه الأسرار في التعبير لن تجدوها إلا في كلام ربك عالم الغيب والشهادة ، وكلام نبيه الذي لا ينطق عن الهوى . ومعنى رباط الخيل إعدادها وإقامتها للجهاد في سبيل الله ، وفي معنى الخيل إعداد كل ما يستجد من سيارات مصفحة ودبابات وجارات وطائرات ونحو ذلك مما تتطلبه الحروب الحديثة وفي الحديث الذي رواه البخاري : « من احتبس فرسا في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » ، وفي الصحيح أيضاً : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم » ، وعلى تقدم الحروب ومعداتها لا يزال للخيال مكانها في الحروب ، ولا سيما في الجهات الوعرة والجبلية والدروب الدقيقة .

والإسلام لا يقصد بأخذ الأمية والاستعداد بتحصيل أسباب القوة لإرهاب الآمنين المسلمين وإزهاق أرواحهم وانتهاك أعراضهم وسلب حرياتهم وغصب أموالهم كما تفعل دول الاستعمار الفاشية اليوم ، وإنما يقصد لإرهاب أعداء الله وأعداء الإنسانية الذين

لا يقيمون للمعاني الفاضلة وزناً ولا يرهبون إلا السيف والمدفع ، ولو خلوا وشأنهم للأروا الأرض جوراً وفساداً . فاعداد العدة إنما هو بمثابة الزجر والتخويف وكبت دوافع الشر في نفوس أعداء الله وأعداء السلام والأمان ، فإذا ما استهانوا بالفضائل والحقوق ، وسولت لهم نفوسهم التمردى ، وجدوا القوة لهم بالمرصاد فترد كيدهم في نحورهم ونوقفهم دون الحصول على شهواتهم . وهذا هو المراد بقوله تعالى « ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وصدق الله ، فكم من دولة تسرت بستار الصداقة للمسلمين ثم أظهرت الحوادث والأيام سوء نيتها وخبث طويتها ، وكم من قوم يظهرن المسالمة حتى إذا ما واتتهم الفرصة ووجدوا من أنفسهم قوة كانوا حرباً على الإسلام والمسلمين .

ولما كان إعداد العدة والتسلح يقتضى أموالاً طائلة قد لا يبق بها بيت المال : « الخزاة العامة ، ناشد الله المسلمين البذل والمطاء ، ووعدهم الثواب في الدنيا ويوم الجزاء ، فقال : « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، . ومن قصر في هذا الواجب ، فقد عرض نفسه وأمته للهلاك وصدق الله : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، (١) .

لقد حارب رسول الله - وهو المؤيد بالوحي والمعجزات - واستر بالجن ولبس المغفر والبيض ، وكان إذا حى الوطيس واحمرت الخندق لم يكن أحد أقرب إلى الأعداء منه . وفي غزوة أحد لما جاء أبي بن خلف يقول : أين محمد ، لا نجوت إن نجما ، أخذ رسول الله الحربة عن كان بجواره ، ثم أحكم تصويبها نحوه ، فالت منه مقتلاً . وأخذ هو وأصحابه في أسباب العزة والقوة وكثيراً ما استمع إلى مشورة من يشير عليه بالصواب في فنون القتال ، فقبل مشورة الحباب بن المنذر في بدر ، وفي غزوة الخندق أشار عليه سلمان بجحر الخندق فاستصوب الفكرة وسام في الحفر ، واستعمل الصحابة المتجنيق والدبابات في لقاء الأعداء ولم يدعوا وسيلة للقوة والغلبة إلا فعلوها ، وكثيراً ما كانوا يتدربون على فنون الحرب والقتال ، وكان رسول الله يشهد ذلك ويقوى فيهم هذه النزعة السريفة ، بل ويشاركهم أحياناً ، فما بالنا وهذا هو هدى كتابنا وستة نبينا قد قهنا عن أخذ العدة والاهبة حتى

تختلفنا عن ركب الأمم القوية ، وأصبحنا لا يقام لنا وزن في السياسة الدولية ، وطمع فينا من لا يكاد يدافع عن نفسه .

نعم إن للدولة المستعمرة لبلادنا المغتصبة لحقوقنا ضلعاً كبيراً في هذا التخلط في مضمار القوة ، ولكننا لا نخلى من كانوا يتولون مقاليد الحكم والأمور من التبعات الجسام ، فقد كانوا لعباً في يد المستعمر يحركهم كيف يشاء ، وكان بريق الأصفر الرنان ومراب الحكم الخادع يفسد الذمم والضمائر ، ويقضى على كل حركة للإصلاح .

والآن وقد أزال الله الغمة - والله الحد والمنة - وأصبحت مقاليد الحكم بأيدي قوية مؤمنة بالله وبحقوق الوطن ، لا يغريهم المال ولا الحكم ، فلنتدارك ما فات فإننا في عصر لا يرهب فيه إلا الأقوياء ، والقوة لا تدفع إلا بالقوة ، ولا يفصل الحديد إلا الحديد . وإذا اجتمع إلى الإيمان الذي يعمر القلوب القوة ، هانت كل الصعاب ، ولا يحول دون ما نريد حائل مهما كانت قوته ، فلنتدبر مع الأحذ في أسباب القوة بالإيمان القوى والتقوى العامة الشاملة .

وإن مما يذكر فيشكر أن يضرب علماء الأزهر - كلياته ومعاهده - مثلاً عالياً فيما ينبغي أن يكون عليه المسلم ، فتقدموا - يحدوهم الإخلاص ، وأن تقندى بهم الأمة - إلى معسكر التدريب بالجامعة الأزهرية ، وتدريبوا على شتى الفنون والأسلحة ، ولم يمتنعهم ما عرف عنهم من الجلال والوقار من سبق في هذا المضمار ، وهم في ذلك إنما يصدر عن دين وخلق كريم ، وإحياء لسيرة الصحابة والسلف الصالح من الأمة الإسلامية . وكانت ثمرة هذا العمل الجليل أن تكونت منهم كتبية تسمت باسم سيف الله المسلول « خالد بن الوليد » رضي الله عنه ، وإلهامها لبا كورة ستبعتها ثمار شبيهة إن شاء الله .

ألا رعى الله قادة الأمة وورثة الأنبياء ، ورعى رجال جيشنا البواسل ، كفاه ما قدموا للأمة من خير ؟

محمد محمد أبو شربة
الاستاذ بكلية أصول الدين

نشأة كتب الأمال في خصائصها

أمالى القالى

القالى هو إسماعيل بن القاسم بن عبدون أبو على القالى . ولد بمنازجرد من ديار بكر ، ورحل إلى بغداد فى طلب العلم سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وكتب بها الحديث ، ثم خرج من بغداد قاصداً الاندلس .

يقول ياقوت فى « معجم الادباء » :

لما تأدب القالى ببغداد ورأى أنه لا حظ له بالعراق قصد بلاد الاندلس فأكرمه صاحبها وأفضل عليه إفضالاً عمه ، وانقطع هناك بقية عمره .

وصل إلى الاندلس فى أيام عبد الرحمن الناصر الذى أراد بقرطبة أن تظهر على بغداد ، فأدخل فى الاندلس ما كان عند العباسيين من علوم وفنون .

وقد وكل أمر تعليم ابنه الحكم المستنصر إلى أبى على القالى فنشأ وهو من أشهر أنصار العلم ، واشتدت رغبته فى اقتناء الكتب ، وكان الحكم ثقة عالماً بالآخبار والأنساب ، محباً للقراءة ، حتى قالوا إنه قلباً يوجد كتاب فى مكتبته إلا كان له نظر فيه وتعليق عليه . وكان يجمع فى داره الخذاق فى صناعة النسخ والضبط والإجادة فى التجليد ويحود عليهم بالمال ، فكانت داره أشبه بجمع على . وكان يبعث فى الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار ويعطيهم الأموال لشراؤها حتى جلب منها إلى الاندلس ما لم يكن لهم به عهد مما كان يضاهى ما جمعه ملوك بنى العباس فى الأزمان الطويلة .

قال المقرئ فى نفح الطيب : « بعث الحكم فى كتاب الاغانى إلى مصنفه أبى الفرج الاصفهاني - وكان نسبه فى بنى أمية - وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب ، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجها إلى العراق ، ، لذلك تلقى الحكم أباً على القالى بالجليل ، وحظى عنده وقرب منه وبالغ فى إكرامه .

فاستوطن القالى قرطبة ونشر عليه بها حتى توفى سنة ست وخسين وثلاثمائة ، ومولده سنة ثمان وثمانين ومائتين .

كان القالى إماماً فى علوم العربية متقدماً فيها متقناً لها . أدرك المشايخ ببغداد كابن الأنبارى وابن درستويه وابن دريد ومن فى عصرهم ، وأكثر الرواية عن مشايخ الوقت . قال القفطى فى كتابه « إنباء الرواة على أنباء النحاة » .

« قرأ القالى على ابن درستويه كتاب سيويه أجمع واستفسره بجمعه وناظره فيه ودقق النظر ، وكتب عنه تفسيره وعلل العلة وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين ، ونهر مذهبهم على من خالفه من البصريين أيضاً » وقال ياقوت فى معجمه :

« فاستفاد الناس منه وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما قلوه ، وكانت كتبه على غاية التقيد والضبط والإتقان . وقد ألف فى علمه الذى اختص به تأليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته . وحدث عنه جماعة منهم أبو محمد عبد الله بن الربيع بن عبد الله النيمى وأبو بكر محمد بن الحسين الزبيدى النحوى صاحب « مختصر العين » ، وأخبار النحويين ، ، وكان حينئذ إماماً فى الأدب ، ولكن عرف فضل أبى حلى قال إليه واختص به واستفاد منه وأقر له » .

وللقالى تصانيف كثيرة أملاها عن ظهر قلب منها :

١ — كتابه فى الاختبار والحكايات المعروف « بالنوادر والامالى ، وهذا سنفرده له حديثاً خاصاً به .

٢ — ومنها كتابه فى « المقصور والممدود » بناء على التجميل ومخارج الحروف من الحلق لم يوضع له نظير .

٣ — وكتاب فى الإبل وتناجها وما تصرف معها .

٤ — وكتاب فى حلى الإنسان والحبل وشياتها .

٥ — ومنها كتابه « فعلت وأفعلت » ، وكتاب فى « مقاتل الفرسان » ، و « كتابه فى تفسير القصائد والمطالقات وتفسير إعرابها ومعانيها إلى كتب كثيرة » . واثبت جميعها وأملاها عن ظهر قلب كما يقول القفطى وياقوت .

وألف كتاب « البارع » فى اللغة فبناه على حروف المعجم وجمع فيه كتب اللغة وعزا كل كلمة من الغريب إلى ناقلها من العلماء ، واختصر الإسناد عنهم وتوفى قبل أن ينقعه ، فاستخرج بعده من الصكوك والرقاع .

والظن بالقالى فى تأليف كتابه ، البارع ، هذا أنه أراد أن يتيح الفرصة للأندلس للإسهام فى حركة المعاجم التى ظهرت فى الشرق وأخذ تيارها فى التدفق المتلاطم ، حتى رأى القرن الذى عاش فيه القالى - القرن الرابع - هذا العدد العظيم منها . فهذا الوافد الشرق على الأندلس كان يريد أن ينقل معارف المشاركة إلى تلاميذه وحببه من المغاربة فألف لهم ما ألف . وما حاز الشهرة التى طبقت الآفاق كبارعه هذا وأماله وكلها يقوم على ثقافة الشرق العربى وحدها . فأماله صورة لأمالى المشاركة ، وبارعه صورة لمعاجمهم .

قال السيوطى فى مزهره : : وأصح كتاب وضع فى اللغة على الحروف بارع أبى على البغدادى وموعب ابن التيانى ، .

وقبل أن نتحدث بتفصيل عن كتاب (الامالى) نذكر لماذا سعى أبو على بالقالى .
قال تليذه الزبيدى :

« وسألت أبا على : لم قيل له القالى ؟ فقال : لما انحدرنا إلى بغداد كنا فرقة فيها أهل قاليقلا فكانوا يحافظون لمكانهم من السفر ، فلما دخلت بغداد انقسمت إلى قاليقلا ورجوت أن أتفع بذلك عند العلماء لاني رأيت الناس يعظمون أهلها فلم اتفع بذلك وعرفت بالقالى » .
وصف الامالى :

قال القفطى فى كتابه « إنباء الرواة ، يصف أمالى القالى :

« من تصانيف أبى على كتابه فى الأخبار والحكايات المعروف بالنوادر والامالى أملاه ظاهراً من قلبه فى الأخمسة بجامع الزهراء بقرطبة ^(١) وارنجل تفسير ما فيه ، وهذا الكتاب غاية فى معناه وهو أنفع الكتب لأن فيه الخير الحسن والمثل المنصرف والشعر المتقى فى كل معنى ، وفيه أبواب من اللغة مستقصاة وليست توجد فى شيء من كتب اللغة مستقصاة مثل ما هو فى هذا الكتاب ، وفيه القلب والابدال مستقصى ، وفيه تفسير الاتباع وهو ما لم يستيقظ إليه أحد ، إلى فوائد فيه كثيرة » .

وذكر الحميدى فى كتابه « جذوة المقنيس فى ذكر ولادة الأندلس » :

[١] بنى عبد الرحمن الناصر (الزهراء) فى موضع قريب من قرطبة سنة ٥٢٢٥ هـ وعلمها منزهاً له وأتفق فى حمارتها من الأموال ما تجاوز فيه حد الاسراف .

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد - وقد ذكر كتاب أبي علي المسمى « بالنوادر » في الأخبار والأشعار - فقال : « وهذا الكتاب مسير لكتاب « الكامل » الذي جمعه أبو العباس المبرد ، ولئن كان أبو العباس أكثر نحواً وخبراً فإن كتاب أبي علي لاكثر لغة وشعراً . » والدارس لهذا الكتاب يجد فيه تفسيراً واضحاً لبعض آيات من القرآن الكريم في بيان شديد وتأويل معقول يسير اللغة وروحها والبلاغة وأسرارها ، فقد تكلم على قوله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول) وعلى معنى قوله تعالى (وغدوا على حرد قادرين) ثم أتى بتفسير شاف واف جامع شامل لقوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً) فتحدث عن معاني (أمرنا) حديث اللغوي المتضلع والاديب المتذوق .

ويجد فيه الدارس أيضاً مباحث متعددة لأبواب من فقه اللغة كالبحوث التي تناول فيها بنية الكلمات وصلة تراكيب حروفها بمعانيها ، وفيه عرض واسع للهجات العرب ولغاتها كطلب « ما سمع من العرب في لعل من اللغات » ومطلب « ما تتعاقب فيه القاف والكاف من الالفاظ » و « ما جاء من الكلمات بالصاد والزاي » وما تتعاقب فيه الفاء والثاء ، وهذا وأمثاله مما له صلة قريبة بالقرامات .

وفيه أيضاً مباحث عن أساليب أدبية في الاستعمال كطلب « ما تقول العرب في معنى أخذ الشيء كله » ومطلب « ما تقول العرب في معنى ما في الدار أحد » وكبحث « أيمان العرب » ومبحث « دعاء العرب » ومجلس « لا جرم » وتفسيرها والوجوه فيها ، وهذا فضلاً عن جملة خصبة من أمثال العرب .

أما الأخبار الأدبية والأحاديث اللغوية مما قيل في مجالس الخلفاء وبين يدي الأمراء لحدث عنها ولا حرج ، إلا أن أكثر أخبارها عن الدولة الأموية . ولعل ذلك كان منه عن قصد ليرضى أموي الأندلس .

على أن هذه الأحاديث المروية والأخبار المنقولة فيها الموضوع المصنوع وفيها الصحيح المروى ، وليس هذا بمقصود على أمالي القالي بل هو ينسحب على جملة الأخبار التي تروى في كتب الادب جميعها ، فينبغي أن يأخذها الباحث بحذر وشك . وليس هذا الشك بالرأي الحديث ، تقديمنا به القدماء إلى ذلك وطمنوا في بعض الرواة وجرحوا البعض وعدلوا البعض .

فن الاحاديث المصنوعة ، حديث خفافر الخيرى مع رنية من الجن المسمى شصار .
المثبت فى الجزء الاول من الامالى .

ويكنى أن نعلم أن راوى هذا الحديث هو ابن الكلبي ، والذي يظهر لنا أن واضع القصة أراد أن يبين مهارته اللغوية وقدرته فى تقليد الكان فى سجعهم وأن يشيع هذا الحديث لأنه يمس مظهراً من مظاهر الإسلام وهو إرسال النبي ﷺ إلى الجن كما أرسل إلى الإنس . وهذا من الاحاديث التى تنسب إلى ابن دريد فى كتاب الإصابة .

وربما كان آفة الاخبار المصنوعة فى هذه الامالى هو ابن دريد شيخ أبى على ، فإن أكثر أمالى ابن دريد منشورة فى هذه الامالى ، وابن دريد قد تكلم فيه ونسب إلى الوضع قد سئل عنه الدارقطنى أنفة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه .

وقال أبو منصور الأزهرى القنوى : دخلت عليه فرأيت سكران فلم أعد اليه .

وقال فى مقدمة كتابه ، التهذيب ، ومن ألف فى زماننا الكتب فرمى بافتعال العربية وتوليد الالفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامها أبو بكر محمد بن دريد .

ولهذه الامالى ذيل يعرف ، بذيل الامالى والنوادر ، مشحون بالغلط والاهام .

وللأمالى شرح لأبى عبيد البكرى يعرف باللكلى ، وقد وهم صاحب الخزانة فظنهما كتابين .

وقد ذكر العلامة تيمور باشا رحمه الله فى هلال سنة ١٩٢١ أن هذا الشرح من الكتب النادرة المفقودة كشرح مقدمة ابن خلدون ، ولكن صاحب المطبعة السلفية السيد محب الدين الخطيب ذكر فى الجزء الاول من الخزانة من طبعته أنه عثر على هذا الشرح فى مكة فتولى تصحيحه وتحقيقه ونشره الاستاذ الثبت الشيخ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ونشر ذلك الشرح مع التعليق عليه تحت اسم « سمط اللآلى » ، مذيلاً بكتاب من تأليف الميمنى يعرف « بذيل اللآلى » ، وهو شرح لذيل الامالى ولصلة ذيله وتبنيه على أغلاطه المعدودة فهما .

ومهما يكن من شىء فإن أمالى القالى أحفل أنواع الامالى مادة وأغزرها أدبا .

عبد الوهاب محمود

لا تعرف الإنسانية مفهامة قادت الرق كإبراهيم

استعباد البشر للبشر قديم جدا ، لا يعرف له التاريخ بداية: فقد رأيناه بجميع أنواعه في أقدم ما نعرفه عن الصين ، وفي الهند كانوا يديتون بأن من لم يكن برهميا فهو مخلوق ليكون عبدا للبرهمي ، ويسمونه « سودرار » . وكان الرقيق في النظام الفرعوني هو أداة العمل ، وعلى أكتاف الرقيق بنيت الأهرام ، وكان الرق عريقا في تاريخ الآشوريين والفرس ، أما في بني إسرائيل فقد أباحت التوراة الاسترقاق بطريق الشراء أو سبيا في الحرب ، بل أباحت التوراة للعبري أن يستعبد العبري إذا افتقر ، فيبيع نفسه لغنى ، حتى يوفى له الثمن ، أو يخدمه ست سنين ثم يتحرر ، وإذا سرق العبري ماشية وذبحها ، أو أى شيء استهلكه ، ولم يكن في يده ما يعرضه به عن سرقة يباع السارق بسرقة ، كما نصت التوراة على ذلك في سفر الخروج ، وأباحت التوراة للعبري أن يبيع بنته فتكون أمة للعبري الذي يشتريها .

الرق عند اليونان :

وكان استعباد البشر للبشر مطلقا وبكثرة في حضارة اليونان ، وكان قرصانهم يتخطفون أبناء الأمم الأخرى في مختلف السواحل ويبيعونهم في أسواق أثينا وغيرها ، ولما صارت لليونان مستعمرات في آسيا الصغرى صارت لهم فيها أسواق للتجارة بالرقيق ، حتى امتلأت بيوت الأغريق بالإماء والعبيد ، يستعبدون اليونان جميعا ، لافرق بين غنى وفقير . ولم تؤثر في تاريخهم كلمة واحدة عن أى حكم من حكائهم باستنكار استعباد الإنسان لأخيه الإنسان أو الترغيب في تحريره .

وعند الرومان :

أما الرومانيون فإن النخاسين كانوا يتخذون الحروب الكثيرة مواسم لتجارهم فيصحبون الجيوش إلى أوطان الشعوب الأخرى ليشتروا الأسرى والمفلولين من صبيان وبنات ورجال ونساء بأبخس الأثمان ، حتى لقد كان النخاس إذا كان غنيا يشتري ألف إنسان صفقة واحدة ، عقب نصر كبير تعده الإنسانية خزا ، ويعدده تاريخ الاستعمار الروماني عظمة ومجدا ، وفي مدينة رومية العظمى كانت للرقيق سوق تعرض فيها هذه البضائع للزاد العلني على رايصة مرتفعة . فيكون الرقيق عربانا من كل ما يستره ، ذكرا كان أو أنثى ،

كبيراً أو حدثاً ، ولمز شاء من الناس أن يدنو من هذا اللحم الحلى المعروض للبيع فيجسه بيده ، ويقبله كيف شاء ، ولو لم يشتره في النهاية ، والقانون الروماني لم يكن يعتبر الرقيق إنساناً له شخصية ذات حقوق على الإنسانية ، بل يعتبره شيئاً من الأشياء كسائر السلع التي يباح الاتجار بها .

نظام كان معترفاً به :

ولما جاءت المسيحية كانت عبودية الإنسان للإنسان شائعة في كل العالم . نقل الدكتور جورج برست ، أحد رجال الجامعة الأمريكية الأولين في بيروت ، في المجلد الثاني من كتابه (قاموس الكتاب المقدس) ص ٦٠ - ٦١ طبع المطبعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٠١ قول العالم (شاق) : إن المسيحية لم تعرض على العبودية من وجهها السياسي ، ولا من وجهها الاقتصادي . ولم تعرض المؤمنين على منابذة جيلهم في آدابهم من جهة العبودية ، حتى ولا على المباحثة فيها ، ولم تقل شيئاً ضد حقوق أصحاب العبيد ، ولا حركت العبيد إلى طلب الاستقلال ولا بحثت عن مضار العبودية ، ولا عن قساوتها ، ولم تأمر بإطلاق العبيد حالاً . وبالأجمال لم تغير النسبة الشرعية بين المولى والعبد بشيء ، بل بعكس ذلك فقد أثبتت حقوق كل من الغربيين وواجباتهما .

هكذا كانت عبودية الإنسان في أمم الأرض عندما ظهر الإسلام . فهو نظام كان معترفاً به من كل الأمم وأسواقه قائمة في كل مكان ، وآثاره موجودة في بيوت الناس ومجتمعاتهم ، وفي أنظمة الدول ومرافقها .

ثلاث جهات :

وأبرز مواقف الإسلام من الرق كان من ثلاث جهات :

أولاً : أمر المسلمين بحسن معاملة من تحت أيديهم من الرقيق إلى أقصى ما يمكن أن تسمو إليه الفضائل الإنسانية .

ثانياً : الترغيب في تحرير الرقيق إلى أقصى ما ينظر من دين عالمي ، جاء ليعالج عيوب المجتمع بحسن توجيهه نحو الفضائل .

ثالثاً : وضع قاعدة المعاملة بالمثل في الحروب الدولية فيما يتعلق بالأسرى ومبدأ الاسترقاق . وكلما وجد الإسلام دولة وترضى أن تتعامل معه بمبدأ ينطبق على أهدافه في تحرير الإنسانية من الرق فإنه كان دائماً على استعداد للاتفاق معها على تحقيق هذه الأمنية بالفعل .

إن النصوص الصحيحة المأثورة عن الدين الإسلامي في القرآن وكتب السنة النبوية المشهورة بصحة روايتها ، إذا أردنا أن تقتصر منها على المعاني الإنسانية الخاصة بالرقيق ، فإنها وحدها تبلغ كتابا ، وإذا حاولنا أن نقول الوقائع التاريخية عن عطاء المسلمين وأئمتهم ، وأخبارهم في تطبيق هذه النصوص والمبادئ والاحكام بالعمل ، لكان من ذلك مجلدات كثيرة . ويمكننا أن نعلن ونحن مطمئنون بصحة ما نقول : أنه من أول ابتلاء الإنسانية بنظام الرق ، واستعباد البشر للبشر ، إلى طرؤه الضعف على دول الإسلام في العصرين الأخيرين ، لا تعرف الإنسانية حضارة ولا ديانة ولا فلسفة ، قاومت الرق ، وحاولت التخفيف من أضراره ، وتهذيب بما يلائم الإنسانية كما فعل الإسلام وحده دون غيره من أنظمة البشر ومذاهبهم وطوائفهم .

تحرير الرقاب :

أما نص القرآن على إيجاب تحرير الرقيق فنجد في سورة التوبة - الآية ٦٠ - التي فرض فيها الإسلام ضريبة على المسلمين لهذا الغرض وهي الزكاة ، فجعل من مصارفها تحرير الرقاب (أى تحرير المملوكين) ، « إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم » .

والرقيق الذي يطلب من مالكة أن يتعاقد معه على مبلغ من المال يدفعه له بسعيه وعمله ليحرر من الرق ، قد وردت الآية ٣٣ من سورة النور بأمر المسلم المالك للرقيق أن يجب هذا الطلب ، وذلك في قول الله عز وجل : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم ، فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » .

وتحرير الرقيق قد جعله الإسلام فدية عن أمور كثيرة ، كقول الله عز وجل في الآية الثالثة من سورة المجادلة : « والذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خير » .

وكقوله سبحانه في الآية ٨٩ من سورة المائدة : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة » .

وبما أوصى الله به المسلمين في الآية ٣٠ من سورة النساء ، قول الله عز وجل : « واعبدوا

الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم .
النبي يوصى بالرفيق :

أما الأحاديث النبوية في هذا الموضوع الإنساني ، فكثيرة جداً لا يكاد يأتي عليها الحصر ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما برح يحدث أمم الأرض بها ويحث القبائل والشعوب على العمل بها مدة ثلاث وعشرين سنة ، منذ بعثه الله بالنبوة إلى أن اختاره للرفيق الأعلى . ونحن نورد هنا نماذج قليلة منها ، لتدل على سائر ما يتسع له المقام ، من ذلك ما ورد في كتاب الإيمان من صحيح الإمام مسلم ، من حديث أبي ذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال في الرفيق : « هم إخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

وفي ذلك الكتاب من صحيح مسلم أيضاً ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ، ثم جاء به قد ولي حره ودخانه فليقلعه معه فليأكل ، فإن كان الطعام مشفوهاً - أى كثرت عليه الشفاه فصار قليلاً - فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين) .
 وفي مسند الإمام أحمد ، من حديث مؤرق عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال (من لامكم من خدمكم فأطعموه مما تأكلون وأكسومهم مما تلبسون - أو قال تكتسون - ومن لا يلائمكم فيبعوه ، ولا تعذبوا خلق الله عز وجل) .

الاسترقاق الشرعى :

ثم إن الاسترقاق الشرعى هو الذى يقع في حرب يراد بها إهلاك كلمة الحق ، وأن يأذن بها الحاكم العام ، وأن يعامل المسترق بالرفق والإحسان كما يعامل الابن والآخر . وقد أصدر أحمد باي تونس سنة ١٢٦٣هـ أمراً بتحرير المسترقين في المملكة التونسية ، حيث إن غالب المالكين لا يعاملونهم بما أمر به الإسلام من الرفق وحسن المعاملة ، ووافق الشيخ إبراهيم الرياحى ، رئيس الفتوى في تونس على ذلك .

ونص الفقهاء على أن من أضرب رقيقاً ضرراً بيننا يعتقه القاضي عليه ، وقد قدمنا أن الرق ليس بواجب من واجبات الحرب . إنما أباحه الإسلام للحاكم العام إذا اقتضته مصلحة الحرب ، فلو اتفقت الدول على أن لا استرقاق فرغبة شارع الإسلام في الحرية تميز للحاكم العام أن يتفق مع المحاربين هذا الاتفاق ، ويبطل الاسترقاق من أصله .

من شكل أدبنا القديم

من الكتب الامهات التي يرجع إليها دارسو الادب العربي كتاب « قيمة الدهر » للثعالبي . وشهرة هذا الكتاب كانت تقنيا عن التصدي له والتعريف به ولكنني أقرر منذ الآن أنني لم أنصد له لأعرف به ، ولكنني أعرض للمشكلات التي قد يثيرها الكتاب أو تتور حول قيمة الكتاب . وقد سبق ناشر الكتاب الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد إلى الوقوف من بعض هذه المشكلات موقفاً خاصاً ، في حين أهمل الوقوف من غيرها . ولذلك أود أن أقسم كلامي قسمين : الاول يكون مع الاستاذ الناشر نفسه والثاني مع الثعالبي في كتابه .

وأول ما يلتفت قارئ الكتاب المادى أنه قد خلا خلا تاماً من الشكل ؛ فلم يضبط المحقق كلمة واحدة في شعر أو مثنو . وقد راح يستدر عن هذا النقص بأن « الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التي اختارها الناشر - مع الأسف المحض - لم يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ، ولا من الحركات ما يكفي للقيام بهذا العمل وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء في العمل على الوجه الذي أحب . . . » وهو في ذلك يشمرنا بأن التقصير لا يرجع إليه ، ولكن أليس في ذلك العذر غرابة ؟ لقد طبع الكتاب في سنة ١٩٤٧ ، فهل يصح أن تقوم مطبعة بطبع كتاب من أربعة أجزاء وليس فيها حروف مضبوطة ؟ ولو سلينا بهذا ، ألم تكن هناك وسيلة أخرى لتلافي هذا النقص ؟ إن انتظار سنة كاملة لإخراج عمل على كامل أو أقرب إلى السكال لحير من العجلة مع إخراج هذه الاعمال مبتورة منقوصة . ولست أنكر أن هذه الطبعة خير مما سبقها . وأعلم أن من سابقاتها ما لم يتمتع بالشكل والضبط ، ولكن ماذا تكون قيمة طبعة لم تعطى أكثر من الحروف ؟ ليس الشكل بدعة غريبة كما يتوهم البعض ، وإذا كان الكتاب الذي بين أيدينا من تلك الكتب القديمة كان الضبط له ألزم ، بل إن الضبط هو المقياس الذي يقاس به مجهود المحقق من جهة ، كما توزن به معرفته ويوزن إدراكه وفهمه للنص ، ومن ثم استلزمته عملية تحقيق الكتب القديمة وبعثها خبرة خاصة ومعرفة واسعة ومن خصائص لغتنا العربية أن الشكل يحدث في معانيها تغييراً قد يصل أحياناً إلى العكس

ونحن نعلم جميعاً أن الفرق بين اسم الفاعل واسم المفعول من الرباعي ليس في عدد حروفهما في الكلمة ، وليس كذلك في نظام هذه الحروف وإنما هو في الشكل ؛ ففي حين يكسر الحرف قبل الأخير في حالة اسم الفاعل ، نجد هذا الحرف نفسه مفتوحاً في حالة اسم المفعول ولا شك أن الضبط في هذه الحالة يحنأ خطأ الفهم الذي قد يجعل اسم الفاعل اسم مفعول أو العكس .

هذا فيما يختص بالصورة التي خرج فيها الكتاب ، وما زالت هناك مشكلة أخرى أثارها الأستاذ المحقق ، ويتضح منها نظرته العامة إلى هذا الكتاب . يقول في (المقدمة ص ٨) : « وإن يكن في هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل لم يتعرض في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقمت له أو سمعها من بعض روايتها من الأدباء فالكتاب في نظر هؤلاء ناقص وفي مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص . . ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع في تاريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تاريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولسكنه وضع في صميم الأدب ولبابه ، فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل . »

ونحن نختلف مع الأستاذ المحقق هنا اختلافاً كبيراً . وكون الكتاب ناقصاً أو غير ناقص فإن ذلك نبقىه إلى حين نقف وقفتنا مع الثعالبي نفسه ، ولكن اختلافنا مع المحقق يرجع إلى ما ورد في دفاعه عن هذا النقص ، في اعتباره أن الكتاب لم يوضع في تاريخ الأدب والشعر ، وإنما هو في صميم الأدب ولبابه ؛ فإن ذلك يتطوى على معنى غاية في الأهمية ، وهو التفريق بين الأدب وتاريخ الأدب . وهذه لفظة بارعة ولا شك ، سواء أكان المحقق يقصدها أم لا يقصدها . ولكن هل كتاب « البتيمة » حقاً كتاب أدب وليس كتاب تاريخ أدب ؟ ورأينا أنه ليس كتاب أدب وإنما هو أقرب إلى أن يكون في تاريخ الأدب . إن للأستاذ المحقق العذر في أن يعتبر كتاباً في الأدب وهو في تاريخ الأدب بخاصة إذا كان هذا الكتاب من الكتب العربية القديمة ؛ ذلك أنها كانت تأخذ من كل شيء بطرف ولكن الخبر بهذه الكتب يستطيع أن يميز بينها بسهولة إذا لم يدلّه المؤلف ذاته على وجهته

في التأليف منذ اللحظة الاولى . ونحن نعتبره الكامل ، للبرد مثلاً كتاب أدب وليس كتاب تاريخ أدب . أترانا نقرن ، اليتيمة ، بالكامل مثلاً من حيث هما صنف واحد ؟

وقد يعنى الأستاذ المحقق بقوله إن الكتاب . يعنى بالقول أكثر مما يعنى بحال قائله . أنه كتاب يدرس ويحلل ويقدم النماذج الادبية والقصائد الشعرية من حيث هي إنتاج أدبي ، بغض النظر عن أصحابها . وهو في هذه الحالة يسند إليه مهمة كتب النقد الادبي . ولكن هل ترانا نستطيع أن نضع كتاب اليتيمة جنباً إلى جنب مع كتاب كالوساطة للقاضى الجرجاني مثلاً ؟

ومن هذا مخلص بوجهة نظرنا ، وهى أن هذا الكتاب ليس في الادب البحث ، وليس في النقد الادبي . ويبقى أن نقول ماذا يكون إذن ، وأين نضعه في المصنفات أو المؤلفات .

وهنا تنتقل إلى الثماني نفسه لنفحص عمله ، وتبين الحظ الذى سار فيه ، والميدان الذى اهتم به ، ومدى النجاح الذى يمكن أن يكون قد أحرزه في هذا الميدان . ونحن — بعد أن استبعدنا أن يكون الكتاب في الادب البحث أو في النقد الادبي — نفترض أنه أقرب إلى لون آخر من التأليف هو المعروف بفن التراجم . ويؤيد هذا الفرض أن الثماني حين ندب نفسه لتأليف هذا الكتاب لم ينظر إلى كتب الادب فيضيف إليها ما فاتها ، أو إلى كتب النقد الادبي فيستدرك النقص فيها ، ولكنه نظر إلى كتب الطبقات والتراجم يتضح ذلك من قوله : . وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم وتدوين كلامهم . . . وبقيت محاسن أهل العصر التى معها رواه الحدائق ولذة الجدة . . غير محصورة بكتاب يضم نشرها . . . وكتب الطبقات تنطوى على نقد ولا شك ولكن ينبغي أن نكون على حذر من أن نطلق هذا الوصف على كتاب اليتيمة ؛ لأنه لم يصنف الشعراء بحسب درجاتهم في الإجادة ، وإنما هو يسجل شيئاً عن كل أديب أو شاعر عاش في القرن الرابع الهجرى وبلغه عنه خبر . ولذلك نجده يروى الجيد والمتوسط وقد يروى الضعيف . فهو وإن وضع لنفسه شرطاً أساسياً هو إيراد لب اللب كما يقول ، فإنه يتذرع بسببين لإيراد ما ليس كذلك : أولهما أن يكون هناك تعلق بين الصنفين من الكلام ، والثاني أن يكون المروى ملكاً أو أميراً أو وزيراً أو رئيساً خطيراً . . . وإذا عرفنا أن عدد هؤلاء ليس باليسير بخاصة في ذلك القرن الذى تعددت فيه الإمارات الإسلامية في

الشرق والغرب الإسلاميين اتضح لنا أن مهمة الكتاب تختلف في جوهرها عن مهمة كتب الطبقات .

ويبقى أن يكون هذا الكتاب في التراجم الأدبية . وهو في هذه الحالة يكون قد توافرت له بعض عناصر النجاح ، من هذه العناصر ذلك الأساس المنهجي الذي اصطنعه في الترجمة لأعلام ذلك العصر ، وهو تقسيم الإمبراطورية الإسلامية إلى بيئات أدبية لها خصائصها وعياناتها . ومنها استقفاؤه أسماء الأدباء والشعراء الذين عاشوا في ذلك العصر ، دون أن يتأثر بما لبعضهم من اتجاهات خارجية في المجون كآبي الرقعة وابن سكرة وأضرابهما . ومنها اصطناؤه المفهومات النقدية التي تأصلت في ذلك العصر عند تناوله الممتازين من الشعراء ، أو بعبارة أدق عند ما يجد عند النقاد مادة تتعلق بالشخصية التي يترجم لها . ولا شك أن هذا يزيد الشخصية وضوحاً وجلالة . وأوضح مثل نستطيع أن نضربه هنا ترجمته للمنتبي والصاحب وتوفي هناك نواح كانت تزيد من قيمة هذا الكتاب لو أنها توافرت فيه . ذلك أن بعض الذين ترجم لهم المؤلف لم تتضح لنا شخصياتهم الأدبية فضلاً عن شخصيتهم العامة ، ويرجع ذلك إلى نقص المادة التي تصور لنا هذه الشخصيات من جهة ، وقلة النماذج الأدبية التي تصور لنا اتجاهها الأدبي العام ، ومكونات أسلوبها الفني . يقول مثلاً في ترجمته لآبي سلمة بن أحمد المعاذي : « حضر بعض مجالس الانس بنيسابور فأنصبت محبرة فتى ملبح على ثوبه شغل المقي . قال أبو سلمة :

صب المسدام وما تعدد صبه فتورد الخلد البديع الأزهر
يا من يؤثر حبه في ثوبنا تأثير لحظك في فوادى أكثر^(١)

وهذا هو كل ما يذكره في ترجمة المعاذي . ولا شك أننا لانستطيع منها أن تمثل شخصية المعاذي تمثلاً يفردا عن غير ما من الشخصيات ، وهنا تصبح محبرة الاستقصاء سبباً لبعض العيب والنقص ؛ فالتعالي كان يكتب عن أى شخص يسمع به ، ويروي عنه أى رواية ترد إليه ، ويسجل ذلك دون تمثل منه للشخصية التي يترجم لها ، ذلك التمثل الذي يخرج لنا صور هذه الشخصيات حية نابضة .

(١) البيهقي ، ج ٤ ص ٤٢٣ . ويتخلل الكتاب كثير من التراجم المعالجة .

وقد يقال إن قلة الرواية لا صلة للنوفا فيها ، بدليل أنه أفاض في ترجمته للتنبئ وتعددت جوانب نظرته إليه لأن المادة كانت وفيرة في هذه الحالة ، ولكن هذا القول لا يقوم دفاعاً عن الثعالبي إذا كنا نريد أن نميز كتابه وعمله عن كتب الإحصاء ومهمتها . فهو كتاب مهمته الأولى - في رأينا - الترجمة الأدبية ، ولا يكفي أن يذكر المؤلف سطرأً أو سطرين عن إحدى الشخصيات وبزعم أنه ترجم لها بعبارة أخرى ؛ ليست مهمة ، اليتيمة ، أو كان ينبغي ألا تكون مهمتها - هي مهمة ، الفهرست ، أو ، وفیات الاعيان ، . فإذا رجعنا إلى الأستاذ الناشر وجدناه يدافع عن الثعالبي هنا بأن كتابه ليس في تاريخ الأدب والشعر ، مع أن النقص الذي لاحظناه فيه من حيث هو كتاب في التراجم الأدبية قد رده آخر الأمر إلى أن يكون تاريخاً شاملاً لأدباء القرن الرابع الهجري في البيئات المختلفة ، ولكنه أيضاً تأرخ لم تتوافر فيه كل عناصر التأريخ الناجح .

وتبقى مشكلتان يثيرهما كتاب اليتيمة . أولاهما رواية شعر المجون والتبذل . ففي الكتاب شعر كثير مما يمكن أن يطلق عليه التعبير الحديث ، الأدب المكشوف ، . وبعض المنحرفين من العيب يمدون في رواية ذلك انحذاراً وإهداراً لقيم الأخلاقية وحثاً على المروق . وهم في نظرتهم مصيبون إلى حد بعيد . ولكن ما ذنب المؤرخ في أن يكون الفسوق ركناً أساسياً في بنية الشخص الذي يترجم له . على أن المسألة أهون من ذلك بكثير ؛ فإن كتاب ، اليتيمة ، ليس كتاباً يقرأ في العصر الحديث للتسلية كما تقرأ القصص أو الروايات أو كتب التسلية على العموم ، ولكنه ما يزال كتاباً يفتنيه الباحثون في الأدب العربي وتاريخه . فهو كتاب للدرس وليس كتاباً للتسلية ، ومرجع للبحث لا يخشى منه البتة على أخلاق الباحثين (١) .

والمشكلة الثانية هي مشكلة الشعر والأدب الشامي بعامة ، فقد وقف الثعالبي موقف التحيز لبيئة الشام دون غيرها من البيئات ، بل ربما عقد مقارنة بينها وبين بيئة أخرى كالعراق ، فعنده أن ، شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، . وهو يمال ذلك ، بقرينهم من خبط العرب ولا سيما أهل الحجاز

[١] المجلة - وكون الكتاب مما ألف قبل صدور الطباعة يتمر باطمئنان مؤلفه إلى أن ميدان تداوله يضيق من الطبقات التي يخشى من انتشاره بينها .

وبعدهم عن بلاد المعجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد الدارض لآلسة أهل العراق المجاورة للفرس والنبط ... ، ولم يقل الثعالبي - في الواقع - بنظرية جديدة ، فالشعراء الذين اختلطوا بالفرس منذ العصر الجاهلي قد ظهرت في أشعارهم آثار هذا الاختلاط . وقرب الشام من بطن الجزيرة يجعلها أقرب إلى فصاحة البداوة . ولكن هل طبق الثعالبي نظريته هذه في دراسته لشعراء الشام وشعراء العراق ؟ يبدو أنه كان قد نسيها ، وأصبح كل همه أن يحصى أكبر عدد ممكن من الأدباء والمتأديين الشاميين . ولكننا نرى هنا نتيجة خطيرة لهذا التمييز ، وهي أنه حاول أن يعد شاميا كل من وفد إلى الشام في رحلة وإن لم يكن شاميا . ورأينا أن رحلة قصيرة لعراق إلى الشام لا تجعل منه شاميا ، كما أن الذين ولدوا في الشام ورحلوا منذ الصغر وعاشوا بقية حياتهم في العراق مثلا لا يعدون شعراء شاميين وإن ولدوا في الشام . وهذا الأساس يخرج بعض الذين عدوا شاميين . ويكفي أن يفلسب الفضل لشخص كالفقيه الجرجاني مثلا إلى الشام ، فهي التي خرجته وأخرجته - كما يقول . ودارس الأدب العربي وتاريخه يعرف تماما أن بيئة الشام كانت فقيرة في الشعراء ، وكان الوافدون إليها من مشاهير الشعراء أكثر من المقيمين فيها . ومشكلة الشعر الشامي أكبر من أن نوجزها هنا في كلمات . ونرجو أن نوفق إلى عرضها مستقلة في مقال نال ، ولكن لا ننسى أن الفضل الأول في إثارتها يرجع إلى الثعالبي .

عز الدين إسماعيل
مدرس اللغة العربية بكلية الآداب
جامعة إبراهيم

تصحيح

وقع في الجزء الماضي خطأ في آيتين صوابه كما يأتي :

ص ٥ سطر ٢٤ - ليجزى الله الصادقين .

ص ٧ سطر ١ - لا تخونوا الله والرسول .

مِنْ مَقَامِ آخِرِ دِينِكَ الْخَالِدِ

أكثر المذاهب القديمة والحديثة قامت على الدماء والأشلاء ، وكل النظم التي سادت - وتسود اليوم - العالم قد ذهب ضحيتها ملايين البشر . . . أما الإسلام ، وأمره في قيامه وفي ذبوعه في العالم كله ، فعلى العكس من ذلك : يقول هانوتو :

« لما بعث الشرق من مرقدہ عاش في الإسلام ، وانتصر بالإسلام ، ولا يزال يحيا اليوم وغداً في الإسلام » .

وأضيف إلى ذلك أن الإسلام إنما قام على السلام والحرية : حرية الدين ، وحرية التملك والكسب الحلال ، وحرية الطمأنينة على النفس والمال .

إن الإسلام رسالة إلهية ، لا مبدأ اخترعه بشر ؛ وهو رسالة الحرية والإخاء والمساواة والعدالة والإصلاح والمدنية ، إلى العالم كافة ، والبشرية بجميع طبقاتها . . .

ليس الإسلام ثورة طبقة على طبقة ، وصراع جماعة لهدم أخرى . . . ولم يكن قيامه وانتشاره إلا لما حواه من مبادئ القوة والحق والخير والجمال .

لقد جمع الإسلام إليه الأمة العربية من أديانها إلى أقصاها في أقل من ثلاثين سنة ، وتناول من بقية الأمم ما بين المحيط الغربي وجدران الصين في أقل من قرن واحد . وكان قيامه في الجزيرة العربية أثراً للدعوة إليه ، واقتناع العرب به ، إذ لم يفرضه محمد ﷺ على العرب بقوة السلاح ، ولا بتأييد من عسيرة أو سلطان أو ثروة . ولم تكن حروب محمد ﷺ وخلفائه إلا دفاعاً عن حرية العقيدة التي كان الشرك والوثنية والاستبداد تريد القضاء عليها وعلى نور الله الذي انبثق من الصحراء بآخر رسالات الله وأخرها ، وكانت مبادئ الإسلام نفسها ، وروح العدالة المطلقة والمساواة والإخاء التي سادت المسلمين الأولين بإخاء قوى من دينهم ؛ هي السبب الأكبر في انتشار الإسلام بين الأمم ؛ وكانت حرية الأديان محرمة إلا في بلاد الإسلام . إن سرعة انتشار الإسلام وإقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة إنما كان لسهولة تعقله ، ويسر أحكامه ؛ وعدالة شريعته ؛ وبألجلة لأن فطر البشر تطلب ديناً ، وترتاد منه ما هو أيسر بمصالحها ، وأقرب إلى قلوبها ومشاعرها (١) .

ولا داعي للإفاضة في هذه الحقيقة التاريخية فإنها معلومة مشهورة ، ولكنني أقصد من ذلك الرد على مغتريات المبشرين ودعاهم ، الذين يضللون عقول الجماعير ، ويقولون : إن الإسلام قام بالسيف ، وإن الجتود المحاربين هم الذين حملوه إلا جهات الدنيا ، وهذا افتراء على الحقائق ما يبداه من افتراء ، فدعوة الإسلام هي التي كانت تدعو إلى نفسها بنفسها ، والإسلام معناه السلام ، وهو حامى الحريات ، ومحرر الشعوب والجماعات ، والتاريخ الإسلامي شاهد صدق على أن مبادئه هي السر الأكبر في انتشاره ، وإن كان المسلمون حملوا السيف ليدافعوا به عن أنفسهم ، وليحموا العقيدة من عدوان المشركين والوثنيين ، ولم تهاجم الجيوش الإسلامية إمبراطوريتي الروم والفرس إلا للقضاء على الماورات العسكرية الخفية التي كانت تريد أن تمهد للإطباق على الجزيرة العربية ووآد الدين الجديد فيها .

إن كثيراً من المذاهب الحديثة والقديمة على السواء قامت على الثورة والحرب والكفاح وصراع الطبقات ، ولكن الإسلام لم يكن في حاجة إلى شيء من هذا ، والمسلمون الأولون كانوا دعاة خير وعدل وإنصاف ورحمة وور و تعاون ، ولا شك في أنه لا سبيل إلى التوفيق بين مؤمن بحرية الفكر والعقيدة ، وكافر بها لا يرحب مثله بمبادئ الخير والتكاتف والسلام ، بل يحق عليها وينقضها .

وإذا أردنا أن نوازن بين الإسلام والمذهب الشيوعي - مثلاً - في قيامهما ونشأهما ، هالنا الفرق بين دين شامره الإخاء والوحدة والأمان ، ومذهب يصططع العداء بين الناس ويعتمد على التفاوت بين الطبقات ، ليثير الحقد والبغضاء في نفوس بني البشر ؛ ويقول لهذا أنت غني ولذاك أنت فقير ، والغني شر والفقير موت ، وليدفع الفقير إلى أن يقاتل بالسيف أخاه الغني ليستحوز على ماله وثروته ، يدلك على ذلك التاريخ ؛ فقد بدأت الشيوعية في روسيا لأول مرة عام ١٨٨٣ حين شكل بليخانوف الجماعات الماركسية ، ومنها جماعة تحرير العمل التي تمتنع آراء ماركس وإنجلز الداعية إلى أن تسيير الطبقة العاملة إلى أهدافها بالقوة والثورة ، وقد سبق ذلك صدور قانون تحرير رقيق الأرض عام ١٨٦١ في عهد القيصر إسكندر الثاني بتأثير كتابات المفكرين ودعوتهم إلى الإصلاح ، من أمثال تولستوى وجوركي وبوشكين .

وفي عام ١٨٩٨ نشأ حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا داعياً إلى تعاليم

ماركس ، وفي ١٩٠١ قام الحزب الاشتراكي الثوري ، وفي عام ١٩٠٣ أنشأ لينين الحزب الشيوعي البولشفي ، ومن ذلك الحين ظهرت البولشفية مدرسة فكرية وحزبا سياسيا ينادى باستخدام القوة والعنف لخدمة أغراضه .. وخلال الحرب العالمية الأولى - وكانت روسيا تقامى أهوال الحرب وويلاتها - أخذت الشيوعية تستخدم الخط العام لإثارة حرب الطبقات ، فقامت في أوائل مارس ١٩١٧ ثورات وحروب أهلية مدمرة بين الطبقات ، وفي منتصف مارس قبض الشيوعيون على القيصر نقولا الثاني ، وفي اليوم التالي أعلنوا الجمهورية ؛ وأخذوا بمد ذلك في ذبح الأغنياء ، واستصفاء أراضي كبار ملاك الأرض ، وتسليم المصانع والمناجم إلى العمال ؛ وقامت الديكتاتورية الشيوعية الطاغية في روسيا ، وأخذوا يسلبون الملاك أراضيهم ومحاصيلهم ومتاجرهم ومصانعهم باسم الثورة ، حتى المنازل في المدن ، ونفذوا مشاريعهم الاقتصادية بقوة السلاح والإرهاب ، وعاملوا طبقة الفلاحين الأثرياء الكولاك بدون شفقة أو رحمة كما يقول المؤرخون الروسيون ^(١) ، فحكوا عليهم بالموت أو بالتشريد في سيبيريا وغيرها . وقامت المذابح الهائلة - باسم الإصلاح - في كل مكان مما انبعث عن فكرة آمن بها الشيوعيون إيمانا عميقا ، فكرة صراع الطبقات واستخدام القوة المسلحة للقضاء على خصومهم في الرأي ؛ ويصور هذه الفكرة زعماء الشيوعية الروحيون والسياسيون ، يقول ماركس وإنجلز : إن تاريخ كافة الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات ^(٢) ، ويقول ماركس : إن صراع الطبقات يقود بالضرورة إلى ديكتاتورية الطبقة العاملة التي هي وسيلة لآلغاء جميع الطبقات ^(٣) ، ويقول أيضاً : إن تستطيع الطبقة العاملة التحرك ولا النهوض بنفسها ما لم تقسف جميع طبقات المجتمع المتركة فوقها ^(٤) ، ويقول إنجلز : تقبض الطبقة العاملة على سلطة الدولة بدء القضاء على جميع طبقات المجتمع الأخرى .. ويؤمن ماركس بالثورة والانقلاب الشامل كضرورة للإصلاح ^(٥) ، ويؤثر عن لينين : « من غير نظرية ثورية لن تكون حركة ثورية » ^(٦) ... ونظرية صراع الطبقات هي التي استخدمتها الشيوعية لتسلم الحكم في روسيا ، وهي نظرية لا يقرها عقل أو دين

(١) ٢٤ و ٢٥ الدستور السوفيتي لفؤاد محمد شبل - طبع القاهرة .

(٢) ٢٨ المرجع السابق . (٣) ص ٤٦ المرجع نفسه ، وصفيحة ٧١ نقد النظرية الماركسية

لأحمد جمال الدين طبع القاهرة ١٩٤٨ (٤) ٤٧ الشيوعية . (٥) ٢٧ الدستور السوفيتي .

(٦) ٢٨ المرجع السابق .

وبحاربا الإسلام حربا شعواء ، لأنها تفسد الأمن والسلام ، وتقضى على الإخاء الإنسانى ، وتجعل بعض الناس أعداء بعض ، وتدعو إلى نهب بعضهم بعضا ، وتولد الشحنة والحقد فى المجتمع ، والتصوص على ذلك كثيرة من القرآن الكريم وكلام الرسول ؛ بل إن صراع الطبقات لم تؤم به أية جماعة فى عصور الجاهلية الأولى ، ولا يدعو إليه اليوم لإصلاح ، فهذا هو الإصلاح العام فى الدول الديمقراطية يسير بتلك الأمم إلى المساواة والمعدالة الاجتماعية دون وجود صراع طبقى ؛ على أن مصالح الجماعات الإنسانية لا تعارض بينها على الحقيقة ، وإنما بينها التعاون والانسجام ، والإسلام يوجب أن يعيش الفقراء والأغنياء بعضهم بجوار بعض إخوة متحابين ، وقد دعا إلى التعاون التام بين الطبقات .

ولقد أعلن المؤتمر الشيوعى الأول الذى عقد فى موسكو فى ٢ - ٧ مارس ١٩١٩ تأليف الدولية الشيوعية الثالثة (الكومنترن) لنشر الشيوعية فى العالم . وتحويل المال فيه إلى شيوعيين ، وإثارة الاضطرابات ، وإيجاد القلاقل فى المحيط السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى الدول ، تمهيدا لتتورط الطبقة العاملة وسيادة الشيوعية بين الشعوب ، وقد ألغت روسيا الدولية الشيوعية فى ٢٢ مايو ١٩٤٣ ، تقربا إلى الحلفاء ، ولكن الدولية الشيوعية الثالثة استعادت نشاطها الآن ، وهذا ما يبدو بعد إنشاء مكتب الاستعلامات الشيوعى (الكومينفورم) فى أكتوبر ١٩٤٧ ؛ وآثار ذلك واضحة فى إثارة الطبقات فى الشرق والغرب .

يقول كرافتشنكو مؤلف كتاب « آثرت الحرية » : إن موسكو وإن تظاهرت بحمل الدولية الشيوعية لا تزال توجه الحركات الشيوعية فى جميع أنحاء العالم ، ولم يكن ذلك إلا حركة بارعة من حركات الدعاية إبان الحرب لكسب مساعدة الدول الغربية . وكان يطلب إلينا أن نقوى إيماننا بالمبادئ الشيوعية واعتقادنا بأن هذه الحركات السياسية كانت خطة مدبرة ، وسياسية مرسومة وضمت لإحراز النصر النهائى ^(١) .

وكتاب « مشاكل اللينينية » ظل المرشد الأعلى فى شئون المبادئ والأفكار الشيوعية ولا يترك هذا الكتاب أثرا للشك فى اعتقاده ستالين ، مؤلفه ، فى أن من حق الكتلة العاملة المظفرة - الكتلة الشرقية - بل من واجبها المقدس أن تستخدم القوة فى إشعال نار الثورة

في البلاد الاجنبية إذا ما لاحت الفرصة لإشغالها ، وأن تستخدم القوة العسكرية إذا لزم الامر ضد الطبقات المستقلة والحقول التي تناصرهما .

وحكم العقل والاديان عامة والإسلام خاصة على مبادئ ونظرية صراع الطبقات واستخدام القوة الثورية لإرهاب الشعوب المسالمة ، لا يخفى على إنسان .

إن الشيوعية لم تكن لتقوم لها قائمة في بلادها لولا هذه المجازر الهائلة وعدد الضحايا الضخم لها في بلادها ولولا سجون الاعتقال والتقي إلى مجاهل سيبيريا والبطش بخصوصها في الرأي والتكيد بمعارضتها في الفكرة ، ثم لولا الدعاية والاموال الضخمة التي تبذل لنشرها .

أما الإسلام فلا يمكن أن يشك عقل في أنه إنما قام على السلام والمحبة والرحمة والخير والتعاون بين الناس ، وعلى الصدق في المبادئ ، والإقناع بالحجة ، وسمو مبادئ الدعوة وأهدافها ، واتجاه هذه الرسالة الإلهية إلى غرس بذور الوثام والوحدة بين جميع الأمم والشعوب ، وعملها لنشر الرفاهية والسعادة بين بني البشر كافة .

محمد عبد المنعم ففامي

المدرس في كلية اللغة العربية

أصاب الشيخ وأخطأت أنا

مر أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بالمدينة - وهو يريد مكة - فأقام بها أياماً فقال : هل بالمدينة أحد أدرك أحداً من أصحاب النبي ﷺ ؟ قالوا له : أبو حازم . فأرسل إليه ، فلما دخل عليه قال : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين وأى جفاء رأيت مني ؟ قال : أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني قال : يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن . ما عرفني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك . فالتفت أمير المؤمنين إلى محمد بن شهاب الزهري فقال :

— أصاب الشيخ ، وأخطأت أنا .

سالم بن معقل ...

هذه صورة من الصور الالعة في ذهنى ، المائلة في خاطرى ، المتمكنة في نفسى ، المائلة لجوانب قلبى ، المائلة منى موضع الإعجاب والإعجاب .

لأنه من هؤلاء الذين كان لهم دين وورع ، وفقه وعلم ، وأدب وخلق ، وقوى عبادة ، وسلوك محمود ، وتقان في طاعة المولى جل جلاله .

فربما كانت هذه كلها صفات كثير من صحابة رسول الله ﷺ . ولكن لأنه كان إلى جانب ذلك كله المخلوق الوحيد الذى استحق من عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - تلك الشهادة بالفضل ، والتتويه بالمزية ، والاعتراف بأنه لم يكن كغيره من الناس الذين يزيد بهم العدد ، ويكمل الحساب ، أو تترجح بهم الأرقام من درجة الآحاد والعشرات إلى سواها من الدرجات والمنازل ، ثم لم تعد أن تكون أعداداً وكفى .

وعمر لم يكن من أولئك الذين يرمون بالكلام على عواهنه في تقدير الأشخاص ، والحكم على قيم العظماء ، ولا سيما إذا أضيف إلى هذا أنه مر بجياله في لحظة تذهل فيها العقول ، وتفضل الأفكار ، وتختل معايير الحق الإبلج ، والصواب المحض ، لأن المؤرخين يعمون على أن أمير المؤمنين عمر سأل سائل - والدم ينزف منه بسبب طعنة اللعين أى لزؤلة المجوسى - أن يجعل ولاية العهد لابنه عبد الله ، فأبى الإباء الذى ليس قبله ولا بعده ، وقال : بحسب آل الخطاب أن يتحمل أوزار أمة محمد واحد منهم . . فلما ألحف الملحفون فى هذه الرجاوة ، وألحوا أن يستجيب لهم تلك الرغبة ، أشار عليهم أن ينتخبوا الخليفة من ذلك نفر الذين مات النى الأمين ﷺ وهو راض عنهم ، وعينهم بأسمائهم واحداً واحداً .

ولم يلبث أن قال : ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى ، ، يقصد أنه لم يكن أمثل لها منه ، ولا أجدر بها سواه .

وما كان إنسان يجمل في هذه الآونة من هو سالم الذي يعنيه الخليفة الثاني ، ولا كان هنالك من ينكر عليه هذا الثناء لأنهم يعرفون من شأنه ما يجعله قينا بما هو أبعد من هذا المديح المستطاب ، والإطراء الخالص .

والتعريض إذا أهدى إلى الأحرار المالكين ، قد لا تنكره الأذواق ، ولا تأباه الطبائع ولا تنفر منه النفوس ، أو قملق به الريب والظنون ، أما أن يخلع على الموالى ، ويعضى ثوبه على المملوكين ، فهذا هو الذى يلفت النظر ، ويسترعى الاهتمام ، لأن الشأن فى المستعبد الرقيق أن تقدم به همة ، وتضعف به غايته ، ولا يتطاول طموحه إلى أن يكون أكثر من خادم ينزل على أمر سيده لا أزيد ولا أنقص ولكن حديث هذا الإنسان كان أعجب ، لأن الإسلام صنع منه شيمة عالية ، وأودع فى قلبه آمالا سامية ، وسوى من نفسه الكبيرة صورة تروع ، وذكرى تضوع ، وتاريخاً يتحدى التاريخ ، ويتطاول على الأيام والسنين ومن الغريب أن ولاءه لأن حذيفة كان (ولاء موالاة) حل عليه الود الصميم ، والحب الأكيد ، والاستجابة الوثيقة لداعى البر والمعروف . . . وهو فى بادىء الأمر كان منه بمنزلة السيد لأنه عبد زوجته التى أعنته سائبة لوجه الله الذى فطر السموات والأرض .

وفى الحق أن هذا المحدث الجليل مدين فى نياحة ذكره والكشف عن مستور الخير فيه ، للسيدة عائشة التى يروى الرواة أنها تأخرت عن النبى ﷺ خارج البيت فسألها فى ذلك فقات واقه لقد حبسنى عنك يا رسول الله قارىء للقرآن كأنما يصبه فى الأذان ، وبفرغ من فى القلوب ، وينير البصائر ، ويفتح به الأفق ، ويرذل الحجب والأسداف ، وذكرت من الثناء عليه ، والمديح فيه ، ما أغراه برؤيته ، والاستماع إليه ، فلما وقف على الحقيقة دفعه سروره إلى هذا القول ، الحمد لله الذى جعل فى أمتي مثلك ، ، وذهبت هذه الكلمة ندوى فى المجتمعات والأديبة ، وأخذ أهل النظر والرأى ينفثون إلى سالم على أنه رجل يتناز بموهبة كريمة ، ومنقبة عظيمة ، وفضل يتسأى به إلى صفوف الخواص . . وبخاصة حين تناقل المتناقلون : « خذوا القرآن عن أربعة : عن ابن أم عبد ، وعن أبى بن كعب ، وعن سالم مولى أبى حذيفة ، وعن معاذ بن جبل ، .

ولم يكن هذا الولاء - فقط - مظهر حرص أبى حذيفة على أن تصل الأسباب ما بينه

وبين عتيق زوجته حتى ربط وشانجه بفاطمة ابنة أخيه الوليد بن عتبة ، ثم لم يكتف بذلك بل تبناه على العادة المألوفة - حينئذ - وكأما أراد بهذا النبي أن يقيح نفسه فرصة إشباع نهمه إلى التقرب منه ، والاجتماع معه ، والعطف عليه ، والتلئق من وجهه ، ولا يزال يروى ظمأه بهذه العرى التي تضم قلبيهما إلى أن نزلت الآية : ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم . . . ويقول ابن المبارك : إن سالماً كان يحمل لواء المهاجرين ويصلي بهم ، ويصلي وراءه أبو بكر وعمر . .

وفي موقعة اليمامة كان يقتدر مع المسلمين بقوله : بشئ حامل القرآن أنا إن فررت ، ولم يمنعهما أن قطعت يمينه فأخذ اللواء بيساره فقطعت كذلك ، وهناك حاول أن يأخذه فأحى جسمه كله عليه وعض فيه بأسنانه ، ولكن القدر كان حريصاً على أن يطوى الكتاب ، ويطمس السطور ، ويمحو المعالم . . وأحس سالم أنه يلفظ الأنفاس الأخيرة ، فأخذ يذكر مولاه أبا حذيفة ، وكان هو الآخر يجاهد في تلك المعركة ، ولما أخبروه أنه لقي مصرعه ، قال : أضجعوني معه . . وفي بعض الروايات أنهما وجدا هكذا بمحض المصادفة . . وسواء صح هذا أم ذلك ، فإن ذلك مظهر لتماثق الأرواح ، وتلاقى النفوس ، وارتباط القلوب ، وحب كل منهما للآخر . .

والذي تساعد الظروف على أن يستوعب رأى الكائنين في هذه الشخصية الكبيرة وغيرها من أولئك الذين يعتز بهم الإسلام يدرك إلى أي حد كانوا يؤمنون بالله ورسوله ، ويهبون للدعوة إلى الإسلام أرواحهم ونفوسهم وأموالهم . وأنهم كانوا لا يبالون إلا برضا الله سبحانه . . وأنهم ما انتصروا في المواقع ، وثبتوا للحن ، وصمدوا للحوادث ، وأرخصوا دماءهم الغالية ، لدنيا يطلبونها ، أو عرض يرجونه ، أو جاء يبتغون أن يصلوا إليه . . ولكنهم بذلوا ما بذلوا حتى لا تكون فتنة . . ويكون الدين كله لله ، ولهذا كان رصيدهم من العقيدة القوية ، والإيمان النقي ، ينفخ فيهم من معاني الشجاعة والاستبسال ، والموازاة ، ما جعلهم أهلاً للثناء والتقدير . ونطق القرآن بأنهم على قلوبهم خير ألف مرة من سواهم على كثرتهم . . . وكان الشرف كل الشرف عندهم أن يحسب أحدهم من المجاهدين الذين شهدوا الغزوات ، وحضروا الحروب ، وجاهدوا لإعلاء كلمة رب العالمين ، بصرف النظر عن الرق والحرية ، والغنى والفقر . . . وقد عرفنا من أخبارهم الماثورة ، وأنبيائهم

المشهوره إذا أرادوا أن يبالغوا في الثناء على إنسان بالفضل ، والوصف له بالتمكن عنده
جل جلاله ، أن يقولوا إنه من أهل بدر ...

والمقياس الصحيح لأن يتبوأ الرجل منهم مكان الصدارة ، ما يقدمه لإسلامه من تركيز ،
ولناس من معروف ، وللحياة من نفع ، من غير التفات إلى الفقر والغنى ، والحسب
والنسب ... وفي سالم ابن معقل مولى أبي حذيفة الدليل الواضح على صدق تلك الدعوى ..
لأنه لم يمتد به الزمن حتى يتصل به الرواة فيحفظوا عنه الآلاف والمئات فضلاً عن أنه ليس
من الذين انقطعوا للتلق عن النبي - هدايا الله بهديه - بحيث يضاف إلى المكثرين من الجمع ،
المشتغلين بالقتل ، وإنما كان ما تميز به أنه من المؤمنين بالإسلام ، ومن المكافئين ،
المجاهدين جهاداً لا يعرف الوناء والكسل ... ولم يكن عمر بن الخطاب بعد ما أصيب
الإسلام في مقتل هذه الإحابة بضرب ذلك المجرى له مبالماً إذ يقول : « ولو كان سالم حياً
ما جعلناها شورى ، لأن الأمة يومئذ كانت بحاجة إلى الجنود والبند ، والسيوف والقوة ،
والإيمان والعقيدة ، والإخلاص للكتاب ، والذود عن الشريعة ، أضفاف حاجتها إلى
العلماء الاعلام ، والفلاسفة العظام .

إبراهيم علي أبو القحطب
المدرس بكلية الشريعة

رسول الله صلى الله عليه وسلم يربى أصحابه

كان صلى الله عليه وسلم في سفر فأمر بذبح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله علي ذبحها ،
ووقال آخر : علي سلخها ، وقال ثالث : علي طبخها ، فقال ﷺ : « وعلى جمع الخطب ، ،
قالوا : يا رسول الله نحن فكيفك ذلك . فقال : قد علمت ، ولكني أكره أن أتميز عليكم ،
فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه ، ، وقام لجمع الخطب .

الدعوة لتحديد النسل

هدم لكيان الأمة ، وجريمة في حقها

حديث فضيلة الأستاذ الأكبر

قال مندوب « المصري » لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر : كان لابد للقراء أن يقفوا على رأيكم في مشكلة تحديد النسل ، وهي مشكلة الساعة ، وحديث الناس في محافلهم ومجالسهم .
فقال فضيلته :

إن التفكير في تحديد النسل لأفراد الأمة كلها أمر لا يميزه الدين بحال ، ولا ترضاه الشريعة الإسلامية السمحة وإلى جوار ذلك فإنه عمل لا يمكن تحقيقه بقانون عام يطبق على جميع الأفراد .

ومضى فضيلته يقول : وفيه هذا الملح من كثرة النسل ، ونحن في هذه الحياة قد تكفل المولى جل شأنه بأرزاقنا إذ يقول : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين » .

ويقول جل شأنه « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

النيل :

ثم قال فضيلته : وهذا الكلام - أعني الاتجاه إلى تحديد النسل - لا يقال في هذا البلد الذي وهبه الله النيل ليحبل صحراؤه إلى نعم ، وأرضه إلى ثروات ، وتساهل فضيلته قائلا : هلا حاول الذين يتادون بتحديد النسل - قبل مناداتهم بهذه الدعوة - البحث عن وسيلة فعالة تحقق للبلاد الانتفاع بمياه النيل التي تذهب إلى البحر سدى أيام الفيضان ، والانتفاع بهذه المياه لاشك يساعد على الهوض باقتصاديات البلاد وإنتاجها ويساعد على قيام عديد من المشروعات النافعة الهامة . هلا فكروا في شيء من هذا لإبداء الآراء النافعة للهوض بموارد البلاد .

مشكلة الأمية العامة :

وماذا يمكن أن يجدى تحديد النسل على الجميع غير الضيق ونقص الأيدي العاملة

المنتجة ؟ إتنا نرى الرجال في الريف يفرحون بكثرة الابناء لانهم يساعدونهم في أعمالهم الزراعية ، ويضاءفون إنتاج آباتهم ، فكيف إذن يحد نسل هؤلاء . . . إن لدينا مساحات واسعة يمكن تعميرها ، والمشكلة مشكلة الايدي العاملة لا كثرتها .

تقسيم صوري :

أما قلة الدخل وكثرته الذي تجعله الهيئة الصحية العالمية مقياسا لتقسيم الامم إلى متأخرة ومتوسطة ومتقدمة ففي نظري يكاد يكون تقسيما صوريا لا غير ، ذلك أننا إذا قسمنا متوسط الدخل في مصر وهو ٣٠ جنيا تقريبا للفرد في العام بمتوسط دخل الطبقة الاولى وهو مائتا جنيه في العام كما هو الحال في أمريكا وبعض عمالك أوروبا ، فإننا نجد النسبة محفوظة . لأن الحالة المعيشية في مصر أرخص جملة مرات من الحياة في أمريكا أو أوروبا ، والفرد الذي يعيش في مصر بثلاثين جنيا في العام لا يستطيع أن يعيش بمائتين أو ثلاثمائة في أمريكا وأوروبا . أفما كان من الواجب مراعاة رخص الحياة أو إغلائها في مثل هذا الإحصاء ؟

أصحاب الضرورة :

ونحدث فضيلته عن أصحاب الضرورة والحالات الخاصة فقال : أما أصحاب الضرورات كالمريض مثلا فإن هذه الضرورة تقدر بقدرها . وفي غير حالات المرض من الزوجين لا يجوز تحديد النسل في حالات فردية خوفا من الفقر ، وقد كان العزل جائزا في أول الإسلام ثم نهى رسول الله ﷺ عنه بقوله : « إن العزل هو الوأد الخبيث » .

وذمب ابن حزم إلى أن العزل قد نسخ بهذا الحديث الشريف ، ولا يباح إلا لضرورة المرض .

الامة الناهضة :

وأكد فضيلته المعنى بقوله : لنا أمة ناهضة ١٩

السنا في حاجة إلى إعداد جيشنا إعدادا يتفق ومقتضيات العم الجديد ؟ وهذا لا يتأتى إلا عن طريق أبناء الامة وإكثار عددهم ١٩

هدم لكيان الامة :

وختم فضيلته الحديث بقوله : إن دعوة تحديد النسل هدم لكيان الامة ، وجريمة في حقها .

خرافة الميتافيزيقا

خرافة الميتافيزيقا كتاب ألفه الأستاذ زكى نجيب محمود أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة . والميتافيزيقا التى جعلها خرافة هى علم ما بعد الطبيعة ، أو علم الإلهيات من الفلسفة .

والاستاذ زكى نجيب كان مترجما أولا ، فقد ترجم كتابا لافلاطون ، ثم اشتغل بالتأليف فألف المنطق الوضعى وكتاب خرافة الميتافيزيقا هذا الذى نريد تعريف القراء به وبيان منزلته . وهو وإن كان تأليفا ولكنه نقل فصولا بأكملها عن بعض فلاسفة أوربة مثل كانت وكارناب وبرتراند رسل .

ولقد قسا المؤلف فى كتابه هذا على الفلاسفة المتقدمين ، وهزى بهم وسخر من عقولهم وجعل قضاياهم فى الميتافيزيقا قضايا فارغة ، خالية من المعنى . وقد استعان المؤلف على تأييد نظرياته بأراء بعض الفلاسفة الأوربيين . أو قل إن الآراء لهم ، وقد أخذها وشرحها ثم أتى بأفوالهم بعد ذلك لتسكون جلية واضحة بعد ما قدمه من بيان

وإنى أريد هنا أن أدل القراء على نهايت الكتاب وتناقضه وفساده ، وأنبه المؤلف إلى أن آراء الفلاسفة من الأوربيين ليست كلها صوابا يؤمن بها المرء بدون بحث ولا ترو ، بل إن منها ما هو مهمل ومتداع لا يصبر على النقد ولا يقوى على التحجيص . وأريد أخيرا أن أحافظ على تراث العقل البشرى وأبين ثباته ورسوخه وأنه أقوى من أن يذهب به نقد أو يزعمه تخريج .

وأول ما أبدأ به : كلامه فى التناقض والقيضين ، فهو يرى أن قول المناطقة المتقدمين « التقيضان لا يجتمعان » ليست قضية عقلية يلزمنا بها العقل ، وإنما هى مواضعة واصطلاح ، فقد تواضع الناس على أن التقيضين لا يجتمعان فساكن ما تواضعوا عليه وجرى استدلالهم واستفناجهم ومحاورتهم على هذا الاصطلاح ولو اصطالحوا على أن التقيضين يجتمعان لاستقام لهم ذلك ولجرى استدلالهم وبحتمهم . ونحن نسرق من كلامه وهن كلام الفلاسفة الأوربيين الذين ترجم لهم واستشهد بكلامهم ما هو صريح فى ذلك أو نص فيه ، ثم نسكر عليه ، بالنقض والإبطال .

قال في ص ٢١٢ — : لكن إذا كان صدق العبارة معناه مطابقها للشيء الخارجي أو للواقعة الخارجية ، فإذا نقول في صدق قواعد المنطق نفسها مع أن هذه القواعد صدقها ضرورى يستحيل عليه الخطأ ؟ خذ مثلا قاعدة : إن القبيض لا يحتمل أن ، فلا يجوز قبول عبارة كهذه : س ولاس ، — هذه قاعدة ، صادقة ، بالضرورة ، فامعنى : صادقة ، هنا ، مع أنه ليس هناك في عالم الأشياء ما ترجع إليه لنطبق بينه وبين قولنا إن : س ولاس لا يحتمل أن . ؟ .

هنا يقول : كارناب ، إن قواعد المنطق صادقة بمعنى أننا اتفقا عليها ، حين اتفقنا على رموز اللغة ، وطريقة استخدامها ، فقواعد المنطق عنارة منا اتفاقا ، وصدقها اتفاقا ، كأن يتفق اثنان مثلا على أن يتفاهما برمز معين مثل هذا الرمز — ، على أنه يعنى عدم وجود الشيء الذى يحىء هذا الرمز سابقا لاسمه فإن قال أحدهما — س ، فهم الآخر أن س غير موجود فإذا وجدا بعد ذلك أن الرمز — ، يدل دائما على معنى معين لما جاز لهما أن يعجبا لأن دوام معناه ودوام صدقه هو نتيجة اتفاقهما ، وقد كان في استطاعتهما أن يتفقا على خلاف ذلك ، كأن يتفقا — مثلا — على أن الرمز نفسه دال على وجود الشيء الذى يحىء الرمز سابقا لاسمه ، فقولنا عن العبارتين الآتيتين : نابليون ولد في كورسكا ، و : نابليون لم يولد في كورسكا ، إنهما جملتان متناقضتان أى أن الواحدة منهما تنفى الأخرى منطقيا معناه أننا اصطلاحنا بحكم القواعد التى توضحنا عليها فى اللغة واستعمالها على أن كلمة التنى : لم ، إذا وجدت فى جملة كان معناها أن الجملة تصبح متناقضة مع نفس الجملة إذا خلت منها بحيث يستحيل صدقهما معا أو كذبهما معا .

ولقد تعرض الأستاذ : آبر ، لهذه النقطة فشرحها شرحا واضحاً فأنخصه فيما بلى :

إن مما أدته الحركة التحليلية فى الفلسفة خلال القرنين السنين الأخيرة هو أنها أزالته الإشكال الذى كان يظن أنه ملازم لقضايا المنطق الصورى والرياضة البحتة ، إذ كان الرأى يحما على أن هذه القضايا صادقة بالضرورة ، لكن نشأت الصعوبة حين أرادوا معرفة كيف أتبع للإنسان أن يعلم أنها صادقة بالضرورة : لماذا يكون العالم منطقيا ؟ كيف أتبع لنا أن نوقن بأن قوانين المنطق لن تخالف الواقع ؟ — الجواب هو أنه لامتنى لقولنا إن العالم منطقى أو غير منطقى إذ الشيء الوحيد الذى يمكن أن يوصف بكونه منطقيا أو غير

منطق استدلال عبارة من عبارة أخرى ، والاستدلال المنطقي هو ما نجريه وفق قوانين المنطق ، وقوانين المنطق هي قواعد وضعناها لإجراء مثل هذا الاستدلال .

إن قوانين المنطق يستحيل أن تمارض مع الواقع لأنها في ذاتها لا تقول شيئا عن الواقع ، إنما بتطبيقنا لقوانين المنطق نستطيع أن نشق عبارة صحيحة من عبارة أخرى صحيحة لأن ذلك موكل إلى الخبرة وحدها ، كل ما يستطيع المنطق أن يقوله هو أنه إذا صدقت عبارة — أو مجموعة عبارات — وصفية فلا بد أن تصدق كذلك عبارة وصفية أخرى هي كذا وكذا ، لكن لماذا تلزم أنفسنا اشتقاق العبارة الثانية من العبارة الأولى ؟ الجواب هو أننا إذا سلمنا بالعبارة الأولى الصحيحة ، ورفضنا أن نسلم بالعبارة التي تلزم عنها ، فإننا نكون بمثابة من يناقض نفسه .

والسؤال الآن هو : ولماذا ينبغي لنا أن نجتنب مناقضة أنفسنا ؟ ليس ذلك لأن العالم مكون على نحو يستحيل معه أن يصدق التقيضان معا ؟ وإذا كان أمر العالم كذلك ، فهو إذن عالم يجري على اتفاق مع قوانين المنطق ، لكن الجواب على هذا كله هو أنه ليس ثمة ما يلزمنا بالأناقة ، إنما هو اتفاق بيننا نشأ عن اتفاقنا على طريقة معيئة نستخدم بها لغة التعامل ؛ إنما اتفقنا على أن يكون لأداة النفي « لا » معنى معين ، بحيث إذا قلنا عبارة كهذه (ق ولاق) جاءت بغير معنى أى لم يجد لها مدلولاً في عالم الأشياء ، وليس ذلك لأن في طليعة العالم نفسه ما يأبى ذلك بل لأننا نحن الذين صممنا لغتنا على نحو يجعل ضم القضية إلى تقيضها لا يفيد وصفاً لشيء .

إن قولنا إن « عدم اجتماع التقيضين » قانون من قوانين المنطق ، مساو لقولنا إنما اتفقنا على استخدام معنى لأداة النفي ، وكان يجوز لنا أن نبني نسقاً منطقياً آخر يخرج على هذا القانون — قانون عدم اجتماع التقيضين — إذ يجوز لنا مثلاً أن نبداً بناء المنطق الجديد باشتراطنا صدق « ق ولاق » . ثم نأخذ في استدلال النتائج من هذا الاشتراط الأول ، وعندئذ يكون اجتماع التقيضين هو الصحيح ، وهو الذي ترتب على صدقه صدق القضايا التي تستدل منه ، وإذا بدا هذا القول مشكلاً غريباً فلأننا نظن أن علامة النفي ستظل في البناء المنطقي الجديد المقترح ، محتفظة بمعناها الحالي مع أنه واضح طبعاً أننا لو أبقينا لها معناها الحالي الذي يجعل عدم اجتماع التقيضين صحيحاً ، استحال أن يكون اجتماع التقيضين صحيحاً أيضاً . (اه من ص ٢٢٢ وما بعدها) .

ونحن نرى ، والعقلاء يرون معنا ، أن النقيضين لا يجتمعان ، قضية عقلية يقضى بها بالعقل في كل زمان وفي كل مكان ، وهي من القضايا الأزلية التي كانت كذلك في القدم ، وهي من القضايا الباقية التي سبق كذلك إلى آخر الزمن ، نزول الجبال ولا نزول ، بل نزول الأرض والسموات ولا تتململ ولا نزول ، بل هي أبقي على الدهر من الدهر ، وليست مرتبة باصطلاح مصطلحين ، ولا تواضع متواضعين ، وهي مركوزة في العقول وراسخة في الفطر . تقول لابنك الصغير : اشتريت لك حصانا ، ثم تقول لم أشرته ، فيحاجك ويقول : ألم تقل إنك اشتريته ؟ وما ذلك منه إلا لإيمانه بأن النقيضين لا يجتمعان ، وتقول لك خادمك التي لم تبلغ رتبة في التفكير : فلان لم يأخذ كذا ، ثم تقول : إنه أخذه ، فتقول لها : ألم تقولي إنه لم يأخذه ؟ فتبهت ، وربما تقول : لم يأخذه صباها ، وقد أخذه في المساء . فتحل التناقض باختلاف الزمن ، وكأنها تعلم أن من شرط التناقض الاتحاد في الزمن . وكيف يمكن أن يجتمع النقيضان ؟ هل يمكن أن يصدق : سقراط إنسان ، سقراط ليس بإنسان ، أو هذا حجر وهذا ليس بحجر ، والاسكندر وجد ولم يوجد . هذا محال في العقل وباطل في الفكر ، ومن عجب أن الاستاذ أبر لمسا قرر : أننا لو تواضعنا على أن النقيضين يجتمعان لا اجتماعا ولا استقام ذلك ، أحس بمرج موقفه وتهافت قوله ، فأراد التخلص ، فقال : كأنك تظن أن حرف التي سيق له معنى في اصطلاحنا الجديد ، إنه سينسلخ عن معناه وسيكون معناه معنى آخر يمكن أن يجتمع مع الإثبات ، كأنما يظن أن التناقض إنما هو بين الالفاظ مجردة من معانيها ، والواقع أنه لا تناقض بين الالفاظ دون نظر إلى معانيها ، ولا ينحتمق التناقض إلا في المعنى ، ولذلك قالوا في تعريفه : التناقض اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يلزم لذاته من صدق إحدهما كذب الأخرى ، وبالعكس . فالتناقض إنما يكون بين إثبات ونفي ؛ فإذا أجردت أداة النفي من معانيها لم يكن تناقض فلا يصح قوله : إنما تجرد أداة النفي من معانيها ، ويصح إذن قولنا القيسان يجتمعان لأننا نقول له إهما إذن ليسا نقيضين .

ونكتفي الآن بهذا القدر وسنعرض في المقال الآتي إن شاء الله للخيال الذي لاح وأخطأ التعبير عنه .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

تصويب لغوى

فى عدد رمضان من مجلة الأزهر طلع علينا كاتب أديب بتصويبات اقوية ، والكاتب عضو بالمجمع اللغوى ، وهو أديب وعالم معروف ، ولهذا كان لكلامه شأن ، فمكان الوفاء بحق العلم واللغة يقتضينا أن نبادر بالنقيب عليه ، حتى لا يلتبس الحق ، ولا يضيع الصواب .
(١) مخطئ* وخاطئ* :

• تقول كتب اللغة : أخطأ فلان ، جاوز الصواب ، والخطأ ضد الإصابة ، رباعى اسم الفاعل منه مخطئ* ، وتقول كتب اللغة : خطئ* الرجل يخطئ* (مكذا) من الخطيئة والذنب ، تلاقى اسم الفاعل منه خاطئ* فى معنى مذنب مسمى* .

هذا ما دونه الكاتب تحت هذا العنوان ، ثم عقب ذلك بأن بعض الكاتبين يخفون ، فيضعون الخطأ* موضع المخطئ* ، وذكر حادثا وقع فى البرلمان وهو نائب ، ذلك أن بعض الخطباء قال : لقد كان هذا الحديث خاطئا ، فصحح بعض الوزراء كلامه ، ورده إلى الصواب . وقد عراني غير قليل من الخبرة حين قرأت هذا التصويب ، ذلك أنى أعرف مكانة الكاتب من العلم والادب ، وأعرف أن كتب اللغة التى نقل عنها لا تقرر هذا التخصيص لكلمة (خاطئ*) ووئب إلى ذهني عند أول وهلة هذا المثل العربى المشهور « مع الخواطئ* سهم صائب » . وهأنذا أنقل إلى القراء ما ورد فى بعض كتب اللغة .

١ — جاء فى القاموس المحيط : الخطأ والخطأ والخطاء ضد الصواب ، وقد أخطأ أخطاء وخاطئة ، وتخطأ وخطئ* .

٢ — وزاد صاحب تاج العروس : قال أبو عبيد : خطئ* وأخطأ لغتان بمعنى واحد وأنشد لامرئ القيس :

يا لهف هند إذ خيطن كاهلا القاتلين الملك الحلا حلا

أى أخطأت الخيل بنى كاهل ، وأوقعنى بنى كنانة .

٣ — ذكر هذا الكلام السابق فى لسان العرب ، وزيد فيه عن أبى زيد : خطأ عنك السوء أى أخطأك البلاء ، وفيه : خطئ* السهم وأخطأ لغتان .

وأما المثل « مع الخواطئ* سهم صائب » فقد قال التاج : يضرب لمن يكثُر الخطأ ويصيب أحيانا ، وقال أبو عبيدة : يضرب للخيال يعطى أحيانا .

ويظهر أن أول من نبه على أن بين الفعلين فرقا ، الحريري في (درة الغواص) وقد تعقبه الخفاجي في شرحه على الدرّة ، فذكر أن الفرقة رويت عن ابن قتيبة كما جاء عن ابن بري ولكن ابن بري روى اتفاق خطيء وأخطأ في المعنى ، ثم جاء هذا النص القاطع : وكذلك جمهور الرواة المفرقين بينهما عقبوا التفرقة برواية التسوية .

أظن أنه لا شبهة بعد كل ما تقدم في أن خطيء يأتي بمعنى أخطأ ، وأن خاطيء يقع مكان مخطيء ، كلاهما يقال لمن لم يصب شائكة الأمر ووجه الصواب .
أمسية :

د يكثر بعض الكتاب أن يقول هذه المقالة - على التثنية - خرجنا للتريض فكانت لنا هناك أمسية طيبة - وجرى كيت وكيت ، .

د أما القاريء فما أكثر حيرته في كلمة «أمسية» هذه ، في مثل هذا المقال ، إذ كان مغزاهما أهم خرجوا في يومهم فكان لم في أمسيته أو أمسه شأن رقيق ، فما هذا الشأن ؟ وما ذلك الأمر الذي لم يقع في يومك وإنما جرى في أمسيته ؟؟؟ وسالفه ١١١ وإنما أمسية يومك هي اليوم الذي قبله ١١١ ، .

وإنما نقلت عبارات الكاتب بنفسها ، مع ما صاحبها من علامات الاستفهام وعلامات التعجب لأرى القاريء الحائر هذه الصورة مرة أخرى ، فلعل حيرته تزول حين يلقى النظرة العابرة فيعرف أنه لا داعي للحيرة ، فالكاتب ذكر أولا العبارة التي مثل بها ، فلم يكن فيها أمسية يوم بعينه وإنما كانت (أمسية طيبة) ثم أفكر أن يقع في يومك ما جرى في أمسيته ، وإنما أمسية يومك هي اليوم الذي قبله .

فالعبرة - إذن سليمة ، لأن «أمسية» حين خلت من الإضافة كان إطلاقها صحيحاً إذ أريد بها المساء وليس فيها ما يدعو إلى إنكار ، إذ لم يقل القائل - خرجنا في يوم الخميس فكان لنا في أمسيته ساعات طيبة ، وإنما قال : كانت لنا أمسية طيبة ، التي هي أمسية يوم الجمعة - مثلا - والامسية تقابل الاصبوحة كما جاء في اللسان .

ولم يذكر الكاتب أنه لا بد من إضافة (أمسية) . وما دام الأمر كذلك فإطلاق الامسية على المساء لا غبار عليه ، وحين تفيد الامسية يرم بعينه ينظر في صحة التعبير فقد جاءتها الحيرة بغير كثير .

على العماري

المدرس بمعهد القاهرة

العزة في القرآن الكريم

ما أكثر الذين تغفوا من آباءنا وأجدادنا بالعزة القعساء والمجد الآثم . وما أكثر الذين يتحدثون عن العزة في الحاضر صادقين أو كاذبين ، عازمين أو حالمين ؛ وما أكثر الذين سينحدثون عن العزة في المستقبل القريب أو البعيد ، يصفون أمرها ، أو يندبون حظها ، أو يحرضون عليها . وإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، والعزة فيه حديث يجب أن يقال وأن يسمع وأن ينتفع به ، ولكنه يحسن بنا قبل أن ندخل روضة القرآن الأريضة لنقطف منها الطاقة الريحانية التي تصور لنا العزة الحقيقية ، أن نعرف ما هي العزة ، فإن الناس قد أسرفوا عليها متغفلين ، وبعضهم قد أسرفوا فيها متعبرفين ، وليست ادعاء هرطفا ، كما أنها ليست كبرا سفيا ، ولكنها شيء بين هذا وذاك : كرامة في غير غرور ، وقوة بلا طغيان ، ورفعة بدون بهتان .

نستقيم كتب اللغة عن معنى العزة ، فنجد لسان العرب لابن منطور يستغرق في الحديث عن مادتها قرابة ست صفحات ، وهذا يدل - حتى من ناحية الحكم - على أن حديث العزة قد استغرق جانبا جليلا في تاريخ العروبة ، وإن شئت فقل في تاريخ الإسلام ، فقد أحكم الله الصلات بين العروبة والإسلام منذ سالف الأيام . وزى لسان العرب يحدثنا فيما يحدثنا عن مادة العزة فيقول مع الاختصار : « العزيز من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنی ، قال الزجاج : هو الممتع فلا يقلبه شيء . وقال غيره : هو القوى الغالب كل شيء ، وقيل : هو الذي ليس كمثل شيء ؛ ومن أسمائه المعز وهو الذي يهب العز لمن يشاء ، والعز خلاف الذل ، والتعزز التكبر والتشدد على الناس - كأنه تكلف العزة ، الفرق واسع بين الطبع والتكلف ؛ والعز في الأصل القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع . وقوله تعالى : سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ؛ أي جانبهم غليظ على الكافرين لين على المؤمنين ، وقال الأزهري : يتذللون للمؤمنين وإن كانوا أعزة ، ويتعززون على الكافرين وإن كانوا في شرف الأحابس دونهم ، ورجل عزيز : منيع

لا يغلب ولا يقهر . وعزت عليه إذا كرمته عليه ؛ وقوله تعالى : وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أى أن الكتب التى تقدمته لا تبطله ، ولا يأتى بعده كتاب يبطله ، وقيل محفوظ من أن ينقص منه أو يزداد فيه

ونجد القاموس المحيط للفيروزبَادى يتحدث أيضا عن العزة من الناحية اللغوية فيقول فيما يقول : والعزاز الأرض الصلبة ، والعز المطر الشديد ، وتعز لحه صلب واشتد ، والعزير العقاب - وهو الطير الذى يضرب المثل بمناعته - والعزير الملك لغلبته على أهل مملكته

نلاحظ من مجموع هذه النصوص وأمثالها أن العزة تدل على القوة والشدة والغلبة والامتناع ؛ ولكن تصرفات الأفعال من الكلمة تلون معانيها بتلون حركاتها ؛ وهذه خصيصة من خصائص اللغة العربية فى كثير من الكلمات ، إذ تبدل حركة حرف واحد فى الكلمة فتفيد معنى ، ثم تبدل فتفيد معنى ثانيا ، ثم تبدل فتفيد معنى ثالثا .. وهكذا ...

يقال : عز الرجل يعز ، بكسر العين فى المضارع ، أى صار عزيزاً قويا بعد ذلة وهوان ، فهذا معنى من المعانى . ويقال : عز المنافس خصمه يعزه بضم العين فى المضارع أى غلبه وقهره قال القاموس : د وعزه يعزه كده يحده غلبه فى المعازة ، ومنه قوله تعالى على لسان أحد الخصمين فى سورة (ص) : وعزنى فى الخطاب ، أى غلبنى فى الاحتجاج ، فذاك معنى ثان من المعانى . ويقال : عز يعز ، بفتح العين فى المضارع ، أى صعب وثقل واشتد ، مثل قولك لصاحبك : يعز على أن أسمع عنك ما يؤلمنى ، أى يشتد ويصعب ، فذلك معنى ثالث من المعانى . . . الخ .

فهذه اللغة العظيمة الكريمة المليئة بالعجائب والأسرار . . . إنها لغة القرآن
وحسبنا ذلك القدر فى حديث اللغة عن « العزة » ولننتقل إلى حديثها فى القرآن الكريم .

• • •

والسمة الغالبة على حديث العزة فى القرآن هى أن العزة لله وحده ، وهذه هى العزة الحقيقية الباقية ، وما عداها فمرة باطنة أو زائلة . وتؤدي إلى سوء منقلب وشر مصير ، اللهم إلا إذا كانت العزة هبة من الله لعباده ، فإن الله يشملها بتأييده وعونه ، ولذلك تأتى

نسبة العزة لغير الله تبعاً لنسبة العزة إلى الله : « وقه العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » (المنافقون ٨) .

ولتوضيح هذه القاعدة نقول : إن الله - وهو أصدق القائلين - قد وصف نفسه في القرآن الكريم بوصف العزة في عشرات وعشرات من الآيات فسمى نفسه سبحانه « العزيز » ، وهو يوصف في القرآن بأنه رب العزة : « سبحانه ربك رب العزة عما يصفون » (الصافات ١٨٠) - وما دام هو ربها فهو إذن مصدرها ومرجعها وواهبها وسالها ؛ ولذلك قال القرآن : « وتعلم من تشاء وتذل من تشاء » (آل عمران ٢٦) - ويوصف بأن العزة جميعاً له : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً » (فاطر ١٠) - « أيبتنفون عندم العزة فإن العزة لله جميعاً » (النساء ١٣٩) - « ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم » (بونس ٦٥) .

والله جل شأنه يهب العزة للأصالحين من عباده ، فيجعلهم الوارثين في الأرض ، القائمين بالأمم ، المستخلفين في السلطان ، الممكنين في الدين . الآمنين من الخوف ، ما داموا مؤمنين ، عالمين بخير العلم ، عاملين أصلح العمل ، معترفين لله بالفضل ، ذاكرين شأنه بالتنام والحمد ، شاكرين للحم بأصدق أنواع الشكر ؛ وأما إذا جاءت « العزة » عن طريق غير طريق الله ، فهي جائزة خاسرة ، وهي باطلة حائلة ، وهي لا تؤدي إلى خير ، وإن دامت ساعات ، فإن تطول بها الاوقات ، ونهايتها أسوأ النهايات .

هذا صنف من الناس ظالم غاشم ، يبغي ويطنى ، ويفسد ويهلك ، ويشدد ويقوى : « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ، خسه جهنم وليبس المهاد » (البقرة ٢٠٦) - أى حملته العزة السكاذبة الجائرة التي هي فيه ، والتي هي شبيهة بحمية الجاهلية ، وعلى الإثم المنهى عنه ، وأغرته بارتكابها فإذا كان الجزاء ؟ « خسه جهنم وليبس المهاد » ١١ .

وهذا صاحب المال والخصايق ، إنه يفخر ويعتز . وكان له ثمر فمال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً » (الكهف ٣٤) - فإذا كانت النتيجة ؟ ... كانت : « وأحيط بشمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أترك ربى أحداً ، ولم تكن له فتنة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً » (الكهف ٤٢ ، ٤٣)

وهؤلاء سمرة فرعون قد جاءوا مفترين بوزة فرعون الزائلة الحائلة : « فأتقوا حياهم وعصيهم وقالوا بوزة فرعون إنما نحن الغالبون » .. (الشعراء ٤٤) - فافسحوا بوزة فرعون

الذى قال : أنا ربكم الأعلى ، وظنوا أنهم قد تحصنوا بأمنع الحصون ؛ فإذا كانت نتيجة ذلك الاغترار ؟ ... ، فأتى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ، فأتى السحرة ساجدين ١ . (الشعراء ٤٦-٤٥) .

ولقد قال الكفرة لشعيب نبي الله عليه السلام : « ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزير » (هود ٩١) فاستأنوا بنبي الله وذكروا له أنهم إنما يقون عليه لأن قومه أعزاء فيهم كرماء عندهم ، لأنهم على دينهم ؛ وأنكر عليهم شعيب ذلك : « قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله ؟ » (هود ٩٢) ... فإذا كان المصير ؟ اندحر المقترون بعزمتهم ، وانتصر الذى قيل له : إنك لست بعزير ؛ مع أنه معتر بعزة الله : ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جائعين ، كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ، (هود ٩٤-٩٥) .

وذلك صنف من الكافرين ضلوا وجحدوا : « واتخذوا من دون الله آلهة ليكفونوا لهم عزا » (مريم ٨١) اتخذوا هذه الآلهة ليتعزوا بها ، فإذا كانت النتيجة ؟ ... كانت : « كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا » (مريم ٨٢) والمراد بالضد هنا ضد العز وهو الذل ، أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وأرادوه ، كأنه قيل : وتكون الآلهة عليهم ذلا ووبالا ، ولا تكون لهم عزا أو إكراما : « وإذا رأى الذين أشركوا شركاكم قالوا : ربنا هؤلاء شركائنا الذين كنا ندعو من دونك فآلئهم القول إنكم لكاذبون » .

ويقول القرآن أيضا : « بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » (ص ٢) أى فى شدة وقرة ونفاق ، فإذا كان آى ذلك كله ؟ ... هددهم الله وأوعدهم قائلا بعد قليل : « كم أهلكتنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص » ... وبعد آيات أخرى عاد إلى تهديدهم قائلا : « بل لما يذوقوا عذاب » ثم كان القرار الفاصل بعد ذلك : « سجد ما هنالك مهزوم من الأحزاب » ١١ .

وهذا بعض المنافقين : « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » . وقاتل هذا كما جاء فى سبب النزول هو ابن سلول رأس المنافقين ، وقد قصد - أخزاه الله - بالأعز نفسه وعنى بالأذل رسول الله صلوات الله عليه ... فإذا كان ؟ ... لما رجع قاتل هذه الفرقة وقف له ابنه المؤمن على باب المدينة قائلا : لئن لم تقرقه ولرسوله بالعز

لاضربن عنقك ١١... فقال ابن سلول : ويحك ، أفاعل أنت ؟ قال : نعم ، فلما رأى منه الجدل قال : أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ١١... .

أرايت ؟ ... كل عزة قامت على باطل زالت ، وكل اعتزاز غير موصول بحبل الله القوي المتين فهو اغترار وخسار ١١... .

ولذلك قال الراغب الأصفهاني في كتابه مفردات القرآن : « فقد يمدح بالعزة تارة كما ترى ، ويذم بها تارة كعزة الكفار قال : بل الذين كفروا في عزة وشقاق ؛ ووجه ذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية التي هي العزة الحقيقية ، والعزة التي هي للكافرين هي التعزز ، وهو في الحقيقة ذل ، كما قال عليه السلام : كل عز ليس بالله فهو ذل ، ١١... .

• • •

وننتقل بعد هذا إلى جانب آخر من جوانب البحث

لقد ذكر وصف « العزيز » منسوباً إلى الله سبحانه نحو مائة مرة في القرآن الكريم ؛ ولكن هذا الوصف يصحبه غالباً وصف آخر ، فما هو ؟ ولماذا ؟

إن العزة وصف قوة واقتدار وغلبة وسيطرة ، ولذلك يناسبها أن تقرن في العادة بما يقرب من معناها ، وعلى هذا رأينا في القرآن وصف « العزيز » ، يأتي مع وصف « القوي » ، ليتعاون الوصفان على إظهار قدرة الله وغلبته ، فجاءت في القرآن الكريم هذه الآيات : « إن ربك هو القوي العزيز » ، (هود ٦٦) - « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » ، (الحج ٤٠) - « ما قدروا الله حق قدره إن الله قوي عزيز » ، (الحج ٧٤) - « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز » ، (الشورى ١٩) - « وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز » ، (الحديد ٢٥) - « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز » ، (المجادلة ٢١) - « وكان الله قوياً عزيزاً » ، (الأحزاب ٢٥) .

ويأتي وصف العزيز مع وصف المقتدر في قوله تعالى : « كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » ، (القمر ٤٢) .

ويأتي وصف العزيز أيضاً مع وصف « الجبار » ، والجبار هو القهار الذي جبر خلقه على ما أراد ، أي أجبرهم فيقول القرآن في وصف الله تبارك وتعالى : « الملك القدوس

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، (الحشر ٢٣) ويتصل بهذه الناحية إتيان العزيز مع وصف، ذى انتقام، فى الآيات: « والله عزيز ذو انتقام، (آل عمران ٤) »، « والله عزيز ذو انتقام، (المائدة ٩٥) »، « إن الله عزيز ذو انتقام، (إبراهيم ٤٧) »، « أليس الله بعزيز ذى انتقام، (الزمر ٣٧) »

قد يبلغ الإنسان من الخوف مبالغه حينما يرى وصف الله بالعزة يقترن بهذه الأوصاف الدالة على الاقتدار والبطش: « قوى، مقتدر، جبار، ذو انتقام، ». وقد يضل ضال فيحسب أن العزة هنا معناها الظلم والجور والتعذيب بلا حساب... وجل شأن الله!

إن الله قد وصف نفسه كما ذكرنا بوصف « العزيز، » عشرات المرات فى القرآن، ولستنا نجد وصف « العزيز، » هذا يقترن غالباً بوصف « الحكيم، » حتى تسكر أقران الوصفين فى القرآن أكثر من خمسة وأربعين موضعاً، وهذا الاقتران المتكرر يصحح لذلك الضال خطأه، ويعرفه أن عزة الله مقرونة بالحكمة، والحكيم هو الذى يضع الأشياء فى مواضعها ولا يمتريه هيب أو زلل، ونحن نلاحظ أن العزة وصف قوة وقدرة، والحكمة وصف علم وإتقان، والقوة مظنة القسوة، والحكمة موطن الإنصاف والإحسان، فناسب اقتران هذه بتلك، لنعلم أن عزة الله عزة حكيمة لا جور فيها ولا طغيان!

يقول الله تعالى: « فاعلموا أن الله عزيز حكيم، » (البقرة ٢٠٩). « لا إله إلا هو العزيز الحكيم، » (آل عمران ٦). « والله عزيز حكيم، » (المائدة ٣٨). « إن الله عزيز حكيم، » (الأنفال ٤٩). « واسكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم، » (الأنفال ٦٣). « وكلية الله هى الدنيا والله عزيز حكيم، » (التوبة ٤٠). « أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم، » (التوبة ٧١). « والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم، » (النحل ٦٠). « يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم، » (النمل ٩). « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم، » (الزمر ١) الخ.

والعزة تحتاج إلى العلم والبصيرة، لأن العزة إذا لم يصحبها العلم كانت عزة جاهلية، تندفع وتتطاوّل وتحمق، وقد جاء وصف العزيز مقروناً بوصف « العليم، » فى القرآن ليشعرنا بأن عزة الله عزة عالمة محيطه مقادرة: « ذلك تقدير العزيز العليم، » (الأنعام ٩٦). « إن ربك يتقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم، » (النمل ٧٨). « تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، » (غافر ٢). « ذلك تقدير العزيز العليم، » (فصلت ١٢). « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم، » (الزخرف ٩).

والعزة وصف يثير في نفوس الناس الغيظ والحقد والحسد، وهم يتلمسون للعزير المثالب والمعاطب، ولا يحمّد العزير فيهم إلا نادراً، ولكن عزة الله عزة محودة لا لها هزة حامدة، تحمد لكل ذي عمل عمله، وتثيب كل محسن على إحسانه؛ ومن هنا اقترن وصف العزير بوصف الحميد في القرآن: «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد» (ابراهيم ١) «ويهدي إلى صراط العزيز الحميد» (سبا ٦) «وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد» (البروج ٨).

والمعجيب بعد هذا أن يقترن وصف العزير بوصف «الرحيم».. ولكن لا عجب بعد معرفة السبب... إن الرحمة قد تنافي العزة في عرف الناس، فأراد القرآن أن ينفى ذلك في جنب الله، فهو سبحانه عزيز قوى ولكنه مع ذلك رحيم رحيم، ورءوف كريم، وقد اقترن وصف العزير بوصف الرحيم ثلاث عشرة مرة في القرآن: «وإن ربك لهو العزيز الرحيم» (الشعراء ٩) (٦٨) (١٠٤) (١٢٢) (١٤٠) (١٥٩) (١٧٥) (١٩٩) «وتوكل على العزيز الرحيم» الشعراء ١٧ - «ينصر من يشاء» وهو العزيز الرحيم» (الروم ٥) «ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم» (السجدة ٦) «تنزيل العزيز الرحيم» (يس ٥) «إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم» (الدخان ٤٢).

ويؤكد هذا المعنى اقتران وصف العزير بوصف «الغفور» ووصف «الغفار» وهما وصفان يدلان على كثرة العفو عن الذنوب، وتكرر قبول التوبة من التائبين، وتلك رحمة واسعة. «إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور» (فاطر ٢٨) «ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور» (المالك ٢) «رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار» (ص ٦٦) «كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار» (الرعد ص ٥) «وأما أدعوكم إلى العزيز الغفار» (غافر ص ٤٢).

كما يؤكد اقتران وصف العزير بوصف «الوهاب» في قوله تعالى: «أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب» (ص ٩).

هذا حديث العزة في القرآن الكريم، ومنه نفهم أن العزة لله، تطلب عن طريقه، وتوهب بفضله، ومن اعترى به فقد أفلح، ومن طلب العزة من سواه فقد ضل وتاه: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين». محمد الشرباصي
المدرس في الأزهر

عقد التأمين

في التشريع الاسلامى

- ١ -

١ - صدر قانون الميراث السارى المفعول الآن في مصر بقانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ ، وقد استقى المشرع المصرى أحكام هذا القانون من الشريعة الإسلامية وخاصة من الأصل^(١) الذى كان مطبقاً في مصر قبل صدور هذا القانون ، وقد اعتبر قانون الميراث المذكور (ولاء العتاقة) سبباً من أسباب الإرث^(٢) وفصل أحكام هذا الولاء في الباب السادس منه تحت عنوان (في الإرث بالعصوبة السببية)^(٣) ولكنه لم يذكر الولاء الثانى ، ونعنى به (ولاء الموالاة) ولم ينص على اعتباره سبباً للإرث خلافاً للأصل^(٤) .

٢ - وعملت المذكرة الإيضاحية عدم ذكر القانون لهذا الولاء بأنه لا وجود له منذ زمن بعيد ، ومن ثم فلا حاجة لذكره والنص عليه ، وقد بحثنا في كتب الفقهاء المحدثين

(١) المقصود بالأصل هو : كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية - على مذهب الامام أبى حنيفة النعمان - لفردى باشا .

(٢) انظر : المادة السابعة من قانون الميراث لسنة ١٩٤٣ ونصها : « أسباب الارث : الزوجية ، والفراة ، والعصوبة السببية .. »

(٣) انظر : المادتين ٤٠٤ و ٤٠٩ من قانون الميراث السالف الذكر .

(٤) كان الأصل يرتب للمستحقين للتركة في المادة ٥٨٤ منه في عشرة أصناف مقدم بعضها على بعض ، وكان يحمل [ولاء للوالاة] الصنف السابع فيقول : [السابع] مولى للوالاة وهو كل شخص والاه آخر يفرط كون الادنى حراً غير عرب ولا ممثلاً لعربى ولا له وارث نسبه ولا هنل منه بيت المال أو مولى موالاة آخر ، وكونه مجهول النسب بأن قال أنت مولاي ترثني إذا مات وقمقل عني إذا جئت ، وقال الآخر وهو حر مكلف قبلت ، فيصح هذا المقدد ويصير القابل وارثاً وإذا كان الآخر أيضاً مجهول النسب إلى آخر شروط الادنى وقال للأول مثل ذلك وقبله ورث كل منهما صاحبه وعقل منه فن مات وترك مولى للوالاة وأحد الزوجين فالباقي من التركة يند نصيب أحد الزوجين له . »

الذين تناولوا بالدراسة والبحث قانون الميراث وأحكامه ، فلم نجد منهم من تعرض لما جاء بهذه المذكرة في هذا الصدد بالقدر إلا واحداً^(١) ، وقال بأن عدم وجود ولاء الموالاة منذ زمن بعيد لا يمنع وجوده في مستقبل الأيام ، ومن أجل ذلك كان حرياً بالمشرع المصرى أن يذكره في قانون الميراث ؛ إذ ليس في ذكره فيه ضرر .

٣ — وقد أعجبنى هذا القول كثيراً ؛ لا لمجرد أن عدم وجود هذا الولاء منذ القدم ليس مانعاً من وجوده مستقبلاً ، ولا لمجرد أن ذكره في قانون الميراث ليس فيه ضرر ، وإنما على أساس آخر له خطورة قصوى في المجال الشرعى والمجال القانونى الحالى في مصر . هذا الأساس هو أن ولاء الموالاة موجود بالفعل في حياتنا القانونية ، وأنه كان على مشرع قانون الميراث أن يلاحظ هذا الوجود ، وأن يسير التطور القانونى الحديث ، بتفسير وتطبيق قواعد وأحكام التشريع الإسلامى فيما يتعلق بمقد وللاء الموالاة مع ما يتفق مع هذا التطور ، ومع اتجاه التشريع المدنى بوجه عام . . . وما على المشرع - وقد أخفق في قانون الميراث في شأن هذا المقعد فيما يخص الأساس الذى أسلفته والذى سأوضحه - إلا أن يتدارك الأمر فيكمل ما في أحكامه الوضعية من نقص ، ويسير التطور الذى قصر عن مسيرته ؛ وذلك في تشريع جزئى جديد .

ولفهم هذا رأى الجديد من جهة ، وليبين خطورته القانونية من جهة أخرى ، أرى أن أعرض بشئ من التفصيل لمسألة (وللاء الموالاة) في التشريع الإسلامى ، لكي أربط بالنالى بينها وبين الأساس القانونى الذى اعتمد عليه .

٤ — وللاء الموالاة في التشريع الإسلامى هو عبارة عن رابطة قانونية بين شخصين ، بمقتضاها يتعاقدان على أن يعقل أولهما وهو (مولى الموالاة)^(٢) عن الآخر وهو (المأمول عنه) إذا جنى ، أن يدفع الدية في مقابل ميراثه منه إذا توفى غير مخلف وارثاً فقط^(٣)

[١] هو الاستاذ الشيخ أحمد ابراهيم [بك] في كتابه [الموارث علماء وعمل] سنة ١٩٤٢ - ص ٢٨

[٢] وتطلق عليه الشيعة الامامية اسم ضامن الجريمة أى ضامن الجريمة التى تستوجب الفرامة المالية .

[٣] وقد يكون مقتضى هذا المقعد بين هذين الشخصين أن يعقل كل واحد منهما عن الآخر جرائمه الموجبة للمال أى أن يلزم كل منهما التمويض عن جرائم الآخر ، وإذا مات أحدهما قبل الآخر ، ورثه الآخر في ماله .

— وقد اختلف الفقه في صحة هذا العقد ونفاذه ، من حيث كونه سبباً من أسباب الميراث ، ويمكن إجمال وجهات النظر في هذا الصدد في رأيين : قال أولها بصحته وجوازه واعتباره سبباً للإرث ، وقال ثانيهما بطلانه ورفضه سبباً له .

هـ — الرأى المائل بالرفض والبطلان : قال بهذا الرأى جمهور الفقهاء ، ومنهم الشافعى ومالك وأحمد ، وأسانيده تلتخص في أربعة :

أولها : ورود نص صريح في القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامى ^(١) بمقتضاه يكون ذوو القربات بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بسبب عقد الموالاة ذلك العقد الذى عرف في الجاهلية .

وثانيها ورود نص ثابت في الحديث المصدر الثانى للتشريع ، بمقتضاه يكون (الولاء لمن أعتق) وهو يحصر الولاء في نوع واحد هو ولاء العتاقة ، وعلى ذلك يعتبر باطلاً كل ولاء سواه .

وثالثها : أن عقد الموالاة فيه في الواقع وصية بجميع المال ، والوصية بجميع المال ممن لا وارث له غير جائزة (عند الشافعى) لأن وارث من لا وارث له هو جماعة المسلمين ، ولا يستطيع المورث أن يطل حق هذه الجماعة ، تفرعاً على عدم إبطال حق ورثته - في حالة ما إذا كان له ورثة - بالوصية بجميع ماله ^(٢) .

ورابعها : قول الشافعى إن الملك بطريق الوراثة لا يثبت ابتداءً ، وإنما يثبت على سبيل الخلافة ^(٣) وإن أسباب الإرث معلومة شرعاً ، لكن عقد الموالاة ليس منها !

٦ — الرأى القائل بالجواز والصحة : وقد قال به عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، وقال به كذلك أبو حنيفة وأصحابه ، وهو الرأى الصحيح والراجح والذي أميل إليه وأسانيده تلتخص في خمسة :

(١) النص هو الآية الكريمة : [وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض] .

(٢) أنظر . الشمس السرخى في « البسوط » جزء - ص ٤٢ .

(٣) أنظر . المرجع السالف الذكر .

أولها : وجود هذا الولاء باعتباره سبباً للإرث في الجاهلية ، وإقرار الإسلام له حين جاء ، وذلك بنص صريح في المصدر الأول للتشريع ^(١) ، ولا يرد على ذلك بوجود نص صريح آخر في المصدر نفسه ، بمقتضاه يكون ذوو القربات بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بسبب عقد الموالاة ؛ لأن هذا النص الأخير ليس نصاً على الأولوية في الميراث ثم إنه لا يتعارض مع النص الأول ؛ وذلك لأن حق الإرث المقرر لمولى الموالاة لا يثبت له إلا عند عدم وجود (أولى الأرحام) ، فرتبته في الإرث متأخرة عن مرتبة هؤلاء ، بل وعن مرتبة مولى العتاقة وعصبته ، وما دام ليس بين النصوص التشريعية من تعارض ما ، فالواجب إعمالها كل فيما يخصه ^(٢) .

وثانيها : أن الحديث القائل بأن الولاء لمن أعتق ، ليس المحصر فيه حقيقة بل إضافياً ^(٣) ولهذا لا يكون هذا الحديث نافياً استحقاق الإرث بسبب ولاء الموالاة ^(٤) . وثالثهما : أن ولاء الموالاة متصل بالوصية بجميع المال ، وهي صحيحة عن لا وارث له ، لأن من لا وارث له ، يصرف ماله إلى بيت مال المسلمين ، ومن حيث إن (الموصى له) هو أحد هؤلاء المسلمين يشركهم في دين الله ، ومن حيث إنه قد ترجح بإيجاب الموصى له ، فن أجل ذلك هو أولى من هذا البيت ، وكذلك الأمر بالنسبة لمن عاقده مولى الموالاة عقد الموالاة ^(٥)

(١) هو الآية الصريحة . [والذين عاقدت أميائكم فأتوهم بما بينهم] ومقتضاها أنه يجب أن أنقطوا خلفكم - الذين عاقدتم وإياهم على النصرة والميراث - نصيهم منه ، لأن ذلك مقتضى المقعد

(٢) أنظر . الشيخ أحمد إبراهيم - للراجع السالف الإشارة إليها - ٢٧ .

(٣) أي أن الولاء لمن أعتق لا لغيره ممن كان أجنبياً ، وتبين ذلك أن عائشة رضي الله عنها لما اشترت [بريرة] اشترط أهلها الولاء لهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الولاء لمن أعتق » يقصد بذلك أن شرط البائع ولاء العتق له إذا أعتق للمشتري منه الرقيق الذي اشتراه ، شرط باطل ، لأن ولاء العتق يثبت لمشتري العتق أي للسالك للعتق ، وليس للبائع بمال ، فالنصر في الحديث إذن إضافي - أنظر . الشيخ أحمد إبراهيم - ص ٢٧ - وأنظر . الشيخ عبد الله العرقاوي في « فتح للبدى بفتح مختصر الزيندى » - ص ٤٠٩ .

(٤) جاء في حديث نعيم الهذلي رضي الله عنه أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله . إن الرجل ليأمنني فيسلم على يدي ويولينني فقال الرسول . هو أخوك ومولاك فأنت أحق به بحياه ومماته ، وللقنود بحياه في تحمل عمل الجريعة عنه ومماته في الارث منه - أنظر . الرخى - السالف - ص ٤٤ .

(٥) المصدر نفسه - ص ٤٣ .

ورابعها : أنه فيما يتعلق بخلافة الوارث الموروث في ماله ، الظاهر أن الإنسان في شأن هذه الخلافة إنما يؤثر قرابته على الأجنب ، ومن أجل ذلك اقتضت حكمة التشريع الحنيف أن يقدم الأقرب على الأبعد فيها ، لأن المورث نفسه يفعل ذلك ويريده في أغلب الأحوال .
والمسألة لا تخلو من فرضين : الأول : أن يكون أحد من قرابته ، وفي هذه الحالة يوجد النظر من الشرع له ، ويقع الاستثناء عن نظره لنفسه . والثاني : ألا يكون أحد من قرابته ، وهنا تقع الحاجة إلى نظره لنفسه ، فإذا نظر إليها وعقد عقد موالاة مع شخص ما ، اعتبر ذلك منه تصرفاً صحيحاً في خالص حقه على سبيل النظر منه لنفسه ^(١) .

وخامسها : أن عدم الدليل المقول به في شأن إثبات الخلافة بين الوارث والموروث بطريق العقد عن قصد ، فيه نظر ، لأن إثبات هذه الخلافة بالمقد قصداً مشروع بالاتفاق ، وذلك في عقد النكاح ^(٢) ، إذ المعروف أن الزوجية التي أساسها العقد وتوافق الإرادتين هي سبب لليراث ، ومن أجل هذا ينتفى القول بعدم الدليل في إثبات الخلافة عن طريق عقد الموالاة ^(٣) .

٧ — على أنه يلاحظ أن ثمة شروطاً تشترط في عقد ولاء الموالاة عند الرأي القائل بموازاة وصحته ، وهي أن يكون الموقوف عنه حراً غير عربي (أجمعياً أسلم مثلاً) ولا معتقاً لعربي ، وليس له من وارث نسبي ، ولم يعقل عنه بيت المال أو مولى موالاة آخر ، وكونه مجمول النسب ^(٤) . وعلى هذا لا يرث مولى الموالاة مع أحد من أصحاب الفروض والعصبات النفسية والسببية ، والعصبات النفسية للعصبات السببية ، وذوى الأرحام ، إلا مع أحد الزوجين إن وجد ^(٥) .

أحمد طه السنوسي

(للبحث بقية)

(١) المصدر نفسه - ص ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يلاحظ أن السبب في الميراث في ولاء الموالاة هو [العقد والاتفاق] ، وليس السبب فيه في ولاء العتاقة كذلك ، لأن السبب في الولاء الأخير هو [الإرادة للفردة] .

(٤) انظر المادة ٨٤٤ الفقرة [السابعة] من الأصل .

(٥) أنظر : حاشية الفناوي - والمادة السابعة للذكر من الأصل . وانظر . الشيخ أحمد إبراهيم -

السالف - ص ١٥٢ .

نقد الكتب :

الفتنة الكبرى على الدكتور طه حسين

آثر الدكتور طه في السنوات الأخيرة نوعاً فريداً من البحث ، ذلك الهين اللين الذي لا يكلف جهداً أو مشقة ، والذي لا يبالغ موضوعاً وإنما هو دائماً على هامشه ، تقرأ له ونعمن في القراءة ثم لا نظفر آخر الأمر بمقتات علمية ذات بال ، وإن أفاد الناشئة خيالاً وأسلوباً .

بهذا المهبج في البحث كتب الدكتور ، على هامش السيرة ، وهو بهذا المهبج أيضاً كتب « الفتنة الكبرى » ، أو إن شئت « على هامش الفتنة الكبرى » ، فطلع علينا أخيراً بكتابه « على » .

وكنيت في الحق أعتقد أنه دراسة علمية مستفيضة لابن أبي طالب ، فإذا هو على هامش هذه الدراسة ، تلخيص الحوادث الفتنة كما رواها رواتها^(١) مع تعليقات يسيرة لا تزيد حيرة ولا تروى غلة فضلاً عن مجانبة بعضها للحقيقة ، ولي ملاحظات ومآخذ أحببت أن أناقش فيها المؤلف ، وأن أضعبها أو بعضها في الميزان بحثاً وراء الحق ونشداناً له .

وأرل هذه المآخذ هي هذه الطريقة العجيبة في البحث ؛ فأنت لا تكاد تعثر في ثابا الكتاب على مرجع واحد من المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ، وإنما هو يسوق الكلام سوقاً ويلخص الحوادث تلخيصاً ، دون أن يعني أبداً - ولو مرة واحدة - بذكر مراجعه

(١) المجلة : وما آفة الأخبار إلا رواتها ، ولا سبب إذا آثر مؤلف الروايات الرخيصة ، ولم يتحر في تاريخ الاسلام تحقيقات أعلام السنة ورجال الحديث .

وأرقام صفحاتها كما تنضى بذلك أساليب البحث العلمى . ومن الغريب حقا أن المؤلف يكثر النقل عن « البلاذرى » ، ثم هو لا يرشد القارىء ولا يعرفه بكتاب البلاذرى الذى ينقل منه ، هل هو « الفتوح » ، أو « الانساب » ؟ ولم يذكره فى نهاية الكتاب مما يجعلنا نعتقد أن هذه الفصول التى كتبها المؤلف ، ليس الأصل فيها أن تكون كتاباً يقرأه الناس ، وإنما هى أحاديث تذايع ومحاضرات تافى ، وأكبر الظن أن هذا النوع من الأسلوب لا يستقيم فى كتاب والبحث العلمى المنظم .

وما دمننا بصدد التحدث عن المراجع فيؤسفنا كثيراً أن يعتمد المؤلف على مراجع ليست أصيلة فى البحث بل هى ثانوية القيمة تاركا حتى شرح النهج لابن أبى الحديد^(١) . وتاريخ ابن واضح اليعقوبى^(٢) وغيرهما من المصادر « الإنجليزية » الأولى لدراسة هذه الفتنة الكبرى .

وبحدثنا الأستاذ (ص ١٧) فيقول :

« وقال (النبي عليه السلام) للمسلمين فى طريقه إلى حجة الوداع : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . ثم أعاد علينا ذلك القول فى

(١) المجلة : بل إن ابن أبى الحديد هو شريك ابن الملقمى فى الجناية على الشرق والعالم الاسلامى فى فتنة هولاء كوك . وأما فى الدين فانه على مذهب ابن سبأ فى العبودية لعلى ، ومن ذلك قول ابن أبى الحديد يخاطب عليا :

تبت أخلاق الربوية التى عذرت بها من شك أنك مريب

ومن فلة أدبه وتكذيبه لقول النبي صلى الله عليه وسلم « أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » قوله فى على كرم الله وجهه :

ألا إنما الاسلام لولا حسامه كمطقة هتر أو قلامة ظافر

ومن وثيقته وسببته قوله فى على أيضا :

يجل من الأعراض والآين وللى ويكبر عن تشبيهه بالناصر

إن مصادر الاسلام الأولى فى روايات أهل العدالة والتثبت من علماء الحديث . ومع ذلك فإن كل خبر يجب معرفة أقدار روايته ونزواتهم وأهواهم فى أى كتاب وجد .

(٢) المجلة - واليعقوبى ينزع إلى ما سيثير إليه الأستاذ صاحب المقال . وإن أعلام السنة وعلماء الحديث هم الذين يرجع إليهم فى تاريخ الصدر الأول ، والدين أوردوا منهم الأخبار بأسانيدهم فقد وكلونا إلى هذه الأسانيد لندرس نزوات رجالها .

(ص ١٩) ثم في (ص ٨٦) مما يحملنا نأسف كثيراً لعدم دراسته للوضع الذي يعالجه دراسة دقيقة .

فهذا الحديث لا يعترف به أهل السنة دليلاً على الخلافة ^(١) . وابن أبي الحديد شارح الهج وهو متشيع ينكر وجود نص من النبي بإمامة أحد من بعده ، ويؤسفنا أن المؤلف لم يطلع على هذا المصدر الهام ، قال ابن أبي الحديد :

« وانصرف عليٌّ إلى منزله ولم يبايع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع ، قلت (ابن أبي الحديد) : هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره ؛ لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ، ولم يجر للنص ذكر ، وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب ، فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين أو على أبي بكر ، لاحتج به أبو بكر أيضاً على الأنصار ، ولاحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر ، الخ (شرح الهج مجلد ٢ ص ٥) .

فلو صح الاحتجاج للخلافة بهذا الخبر لاحتج به على ما في ذلك شك .
وأما ما ينسب إليه من قوله معدداً لماخره :

محمد النبي أخى وصهرى وحمة سيد الشهداء ع
وبنت محمد بنتى وعرسى منوط لهما بدى ولحى

(١) المجلد - ولا أهل البيت أنفسهم يرون فيه هذا المعنى . أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه (٤ : ١٦٦) عن الحافظ البيهقي حديث فضيل بن مرزوق أن الحسن الثاني ابن الحسن الديلمي بن علي ابن أبي طالب سئل فقتيل له : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعلي مولاه » ؟ فقال : « بلى ، ولكن والله لم يبق رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الامارة والسلطان . ولو أراد ذلك لأفصح لهم به ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أنصح للمسلمين . ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدى ، فاسمعوا له وأطيعوا . والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ، ثم ترك علياً أمر الله ورسوله ، لكان علي أول من ترك أمر الله ورسوله » ورواه البيهقي من طرق متعددة في بعضها زيادة ولي بعضها نقصان والمعنى واحد . ورواه أيضاً الامام أبو نعيم الاصفهاني ونقله عنه علامة الهند شاه عبد العزيز الدهلوي ابن شاه ولي الله الدهلوي في كتاب (النحلة الاثني عشرية) الذي اختصره علامة العراق السيد محمود شكرى الالوسي (أنظر ص ١٦٠ - ١٦١) طبع للسلفية .

وسبطا أحد ولدای منها فأیکم له سهم کسبی ؟
وجعفر الذی یسی ویضحی یطیر مع الملائکة ابن أمی
سبقتمک إلى الإسلام طفلاً صغيراً ما بلغت أوان حلی
وأوجب لی الولا حقاً علیکم رسول الله يوم غدیر خم ^(١)

أقول أكبر الظن أن هذه الآيات ليست لعل وإن صح إسنادها لابن أبي طالب فالبيت
الآخر — بيت القصيد — منحول عليه ما في ذلك ريب ، يؤيدنا في ذلك ياقوت حيث لم
يرو هذا البيت الآخر في معجمه — معجم الادباء (١٤ ص ٤٨) وكذلك فعل ابن كثير
(البداية والنهاية - ٨ ص ٨) .

وكان حقاً على الدكتور طه ألا يعتمد على هذا الحديث أو يلتزم الأمانة العلمية فيورد
رأى أهل السنة فيه ، وقد قال في حقه العلامة ابن حزم :

« وأما من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فلا يصح من طريق الثقات أصلاً ، (الفصل
٤ ص ١٤٨) وقال العلامة ابن خلدون في أحاديث الشيعة :

« لا يعرفها جهاذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه
أو بعيد عن تأريخاتهم الفاسدة » ^(٢) (المقدمة في ٩٦ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ) .

وهكذا يتضح جلياً أن المؤلف لم يعن مع الأسف الشديد بدراسة موضوعه
دراسة جيدة .

ويقول الدكتور طه (ص ٣٣) :

« فلم يخالف أحد من أصحاب النبي عن أبي بكر إلا ما كان من سعد بن عبادة رحمه الله ،

(١) المجلة - في مادة [ودق] من تاج المروس المرفقى الزبيدي أنه لم يصح شعر من علي
ابن أبي طالب غير هذين البيتين :

تلكم فريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما بوا ولا ظفروا
فان ملكك فرهن ذممتي لهم بذات ودعت لا يفلو لها أثر

(٢) في كتاب « التمهيد » لقاضي أبي بكر البافلاقي شعبة لهذا الموضوع [ص ١٧١] وتقوم
جامعة الأزهر للنشر والتأليف مشكورة بطبع كتاب لنا بعنوان « للهدية في الإسلام » يضم كثيراً من
هذه الدراسات .

والقاري. يفهم من هذه العبارة أن أحداً لم يعترض على خلافة أبي بكر عدا سعداً ، وليس كذلك فهناك نفر غيره من الصحابة قد امتنعوا على أبي بكر منهم على نفسه ، وأبو سفيان ، وعتبة بن أبي لهب ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، وأبي بن كعب ، والبراء بن عازب ، وعمار بن ياسر ، بيد أن هؤلاء قد عادوا لمبايعة أبي بكر عدا سعداً فإنه لم يبايع أباً بكر حياته ولم يبايع عمر من بعده حتى مات بحوران .

ويقول المؤلف (ص ٦٢) :

« ولم يطلق عثمان نفسه معارضة أبي ذر فأخرجه من المدينة واضطره إلى أن يقيم في الرملة حتى مات . »

والحق أن أبا ذر تقي إلى « الربرة » ، لا إلى « الرملة » ، انظر إن شئت الطبري (ص ٥٠ ص ٦٦ ط الحسينية) ، واليعقوبي (ص ٢٠ ص ١٤٩ ط النجف) وابن الأثير (ص ٤٣ ط الحلبي)^(١) .

والمؤلف يحدثنا (ص ٦٨) عن انحياز عمرو بن العاص إلى معاوية ، وذلك من غير دعوة معاوية له ، وهي رواية الطبري ولها مكائنها ، بيد أن هنالك رواية أخرى حدثنا بها اليعقوبي - الذي يتضح أن المؤلف لم يرجع إليه - تقول : إن معاوية هو الذي أرسل إلى عمرو يستنجد به ويضمه إليه ، وكان على المؤلف أن يقدر هذه الرواية قدرها وأن يوازن بين الروايتين ، وأكبر الظن أن معاوية في دهائه لم يكن ليُنظر - وهو في هذا المعترك الذي يتطلب منه العدة والرجال - حتى يلجأ إليه عمرو ، وأكبر الظن أيضاً أن عمرأ في دهائه ومكائنه لم يكن ليقبل أن ينحاز إلى ابن أبي سفيان من غير أن يدعوه هو إلى ذلك ؛ واليعقوبي يحدثنا فيقول : « وبعث معاوية من ليلته إلى عمرو بن العاص أن يأتيه وكتب إليه : أما بعد فإنه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك ، فقد سقط إلينا مروان

(١) المجلة - الصواب في أمر أبي ذر ما رواه ابن خلدون في المعبر (بقية ج ٢ ص ١٣٩) أن أبا ذر هو الذي استأذن عثمان في الخروج من المدينة إلى الربرة وقال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلماً ، فأذن له ونزل الربرة وبقي بها مسجداً وأعطاه عثمان صرمة من الابل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقاً . وكان يتساءد المدينة . وبين المدينة والربرة ثلاثة أميال . قال ياقوت : وكانت من أحسن منازل في طريق مكة .

في رافضة أهل البصرة ، وقدم على جرير بن عبد الله في بيعة على ، وحسبت نفسي عليك حتى تأتيني فأقدم على بركة الله تعالى .

ثم يروى اليعقوبي أن عمراً حينما وصلته الرسالة جمع ولديه ليستشيرهما كما جاء في رواية الطبري ، بيد أن ابن واضح يحدثنا أن عمراً بعد استشارته ولديه أنشأ شعراً قال فيه :

تطاول ليلى للهموم الطوارق وخوف التي تجلو وجوه المواق
فإن ابن هند سألني أن أزوره وتلك التي فيها بنات البوائق

إلى آخر ما قال ، انظر اليعقوبي (٢٠ ص ١٦١) .

الآ يرى الأستاذ معي أن هذه الرواية جديرة بالدرس ؟ وأن إهمالها أو عدم الإلمام بها يشين البحث ويطبمه بطابع « السطحية » ؟
ويقول المؤلف (ص ٩٨) :

« وأقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبابة وعن ابن السوداء في حرب صفين أن أمر السبابة وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفاً منحولاً قد اخترع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية ، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إماماً في الكيد لهم والنيل منهم » .

والحق يا سيدي أنك بذلك ظلمت الحقيقة والتاريخ ظلماً بيناً وكنت مجافياً لأصول البحث الدقيق وقواعده ، أليس عجيباً حقاً أن يكون إعراض المؤرخين عن ذكر ابن السوداء

(١) المجلة : مؤلف (الفتنة الكبرى) حريص على إنكار شخصيات لا دليل عنده يسوغ إنكارها وللأستاذ للآزني مقال لطيف معروف عند الأدباء ينهك فيه على إنكار الدكتور شخصية مجنون ليلى ، ثم حلا الدكتور أن يشكر شخصية ابن سبأ ، وابن سبأ كان يمثل دوراً في تاريخ الإسلام من لوائمه التخفي والتكتم ، كدأب كل من يرتكب الحياة الكبرى في بيئة عظيمة . أما دهوى الدكتور الآن بأن خصوم الشيعة دسوا عليهم ابن سبأ فهي تدل على قلة اطلاعه على كتب الشيعة قديمها وحديثها . وقد نقل اللامعاني في ترجمة عبد الله بن سبأ من كتابه (تنقيح المقال في أحوال الرجال) ج ٢ ص ١٨٤ أن إمامهم الكشي اعترف بأن ابن سبأ هو مخترع عقيدة الوصية لأنه لما كان على يهوديته كان يعتقد في يوشع بن نون أنه وصي موسى فقال في إسلامه في على مثل ذلك « وكان أول من شهر القول بإمامة على وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفه وكفرهم ، فن هنا قال من خالف الشيعة : إن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهود . إن هذا القول هو قول الكشي وهو من كبار أئمة الشيعة ، فكيف يتم الدكتور طه حسين غيرهم بذلك وهم يقولونه في كتبهم .

وجامعته في حرب صفين فقط دليلاً قاطعاً على عدم وجودهم في الحياة ؟ وترى ما هو موقف المؤلف إزاء هؤلاء المؤرخين أنفسهم الذين يذكرون ابن السوداء وجامعته في غير حرب صفين ؟ إن الطبري نفسه (ميرودوت العرب) يحدثنا فيقول : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمن عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ... » الخ (الطبري - ص ٩٨) والمؤلف الفاضل يعترف بذلك فيقول (ص ١٠١) :

« والطبري ورواته الذين أخذ عنهم والمؤرخون الذين أخذوا عنه فيما بعد ، يذكرون ابن السوداء وأصحابه » .

إذاً ليس سكوت المؤرخين عن ابن السوداء في فترة معينة دليلاً على أن أمره متكلف منقول قد اخترع بأخرة كما يقول الدكتور ، والشك في وجود ابن السوداء قد رده في أخريات القرن التاسع عشر بعض المستشرقين (وقد غاب اسمه عن ذاكرتي) الذي لم يقرأ نص الطبري ، وأكبر الظن أن المؤلف يردد اليوم هذه المزاعم التي أدحضها وأبطلها البحث العلمي السليم من المستشرقين أنفسهم ، والمؤلف يرى أن خصوم الشيعة من أهل السنة وغيرهم هم الذين وضعوا أمر ابن السوداء وتولوا كبره ليدخلوا في أصول الشيعة عناصر يهودية إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم على حد تعبيره ، والحق أن الدكتور قد جانب الصواب أو جانبه الصواب : فأى كيد للشيعة في وجود عناصر يهودية في بعض فرقها ؟ وأهل السنة والشيعة جميعاً يلعنون ابن السوداء ويذنبون منه ومن جماعته ، وما رأى مؤلفنا في أن مؤرخاً متشيعاً يتحدث عن وجود ابن السوداء وجامعته ، ذلك هو ابن أبي الحديد شارح النج (مجلد ١ ص ٤٢٥) ؟

الحق يا سيدي أننا كنا نطمح منك في دراسة أدق وأعمق .

ويقول المؤلف (ص ١٠١) : « والطبري ورواته الذين أخذ عنهم للمؤرخون الذين أخذوا عنه فيما بعد ، يذكرون ابن السوداء وأصحابه في أمر الفتنة أيام عثمان وفي العام الأول من أيام علي » ثم ينسبونهم بعد ذلك ، والمحدثون وأصحاب الجدل متفقون مع الطبري وأصحابه فيما ذهبوا إليه ، إلا أن المحدثين وأصحاب الجدل ينفردون من دون الطبري وأصحابه بشيء آخر ، فيزعمون أن ابن السوداء وأتباعه ألتهوا عالياً ، وأن علياً حرقهم بالنار ، ولكنك تبحث عن هذا في كتب التاريخ فلا تجد له ذكراً .

ويقول في موضع آخر (ص ١٨٨) « ثم يغلو خصوم الشيعة فيزعمون أن الذين حرقهم عليّ بالنار قد ازدادوا تأليباً له حين رأوا النار ورأوا أنهم يدفعون إليها ويلقون فيها ، فقال قائلهم : لا جرم لا يعذب بالنار إلا خالق النار . وكل هذا خلط ومرأى من المراء ، وتكثر دعا إليه الإغراق في اللجاج والغلو في الخصومة والإسراف في هذا البغض المعقد . »

أن تأليه ابن السوداء لعلي بن أبي طالب حقيقة لا يدفعها شك وقد رواها رجال أثبات من السنيين والشيعة وغيرهما منهم الشهرستاني في الملل، (ص ٢٠٠) وابن حزم في الفصل، (ص ٤٠٠) ، وعبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق، (ص ١٤٣) والرسعنى في مختصر الفرق، (ص ١٤) والإسفرائيني في التبصير في الدين، (ص ٧١) وابن فتيبة في تأويل مختلف الحديث، (ص ٨٧) وابن قيم الجوزية في الطرق الحكيمة (ص ١٩) وغيرهم كثيرون ونحن لا نشك أبداً يا سيدي في صدق هؤلاء الرجال الأعلام الأساطين وحقائق التاريخ لا تؤخذ من كتبه لحسب ، بل : تؤخذ من كل مصدر محترم ، به مصادر الحديث والفرق . وهؤلاء الرجال أيضاً مؤرخون لا للحوادث السياسية وإنما للحياة العقلية ، ولوقصرنا دراستنا على كتب التاريخ السياسي وحدها لفاتنا دون ريب الشيء الكثير . ثم ما رأى المؤلف في أن يعقوبى وهو مؤرخ متشيع يحدثنا أن علياً أحرق أناساً بالنار (ص ٢٠٠ ص ١٨٨) ؟ وما رأى المؤلف الكبير في ابن عبد ربه ؟ الذى يحدثنا في كتابه « العقد الفريد » - وأكبر الظن أن المؤلف لا ينكر أنه من مصادر التاريخ - فيقول :

« فأما الرافضة فلها غلو شديد في عليّ ، ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح ، وهم السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ عليهم لعنة الله ، وفيهم يقول السيد الحميرى (١) :

قومٌ غلوا في علي لا أباً لهم وأجشموا أنفسهم في حبه تعباً
قالوا هو الله ، جل الله خالقنا من أن يكون ابن شئ . أو يكون أباً

وقد أحرقهم علي رضي الله عنه بالنار (العقد الفريد - ص ٢٠٠ ط لجنة التأليف)

أقول مرة أخرى ما رأى المؤلف في ابن عبد ربه هذا وليس من المحدثين الذين لا يأنس الدكتور بكتبهم ولا من أصحاب الجدل الذين يضعون بزعمه الأخبار ويختلفون ؟ ؟

(١) ولا ينكر الدكتور طه أن السيد الحميرى شيعى .

ثم ما رأى المؤلف أخيراً في ابن أبي الحديد وهو ليس مؤرخاً لحسب ولكنه معتزلي متشيع ؟ انه أيضاً يحدثنا ويقص علينا هذه الحادثة فيقول :

« وروى أبو العباس أحمد بن عبيد الله عن عمار الثقفى عن علي بن محمد بن سليمان التوفلى عن أبيه وعن غيره من مشيخته أن علياً قال : يهلك في رجلان محب مظهر يضغنى غير موضعي ويمدحني بما ليس في^(١) ، ومبغض مفرير يميني بما أنا منه بريء^(٢) ، قال أبو العباس : وهذا تأويل الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وآله فيه ، وهو قوله : إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم ، أحبه النصارى فرفعته فوق قدره ، وأبغضته اليهود حتى جهنت أمه ، قال أبو العباس : وقد كان عليّ عثر على قوم خرجوا من محبة باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربههم وجحدوا ما جاء به نبيهم واتخذوه رياء وإلهاً ، وقالوا : أنت خالفنا ورازقنا فاستتابهم وتوعدهم ، فأقاموا على قولهم ، فخر لهم حفراً دخن عليهم فيها طمعاً في رجوعهم فغابوا ، فخرقهم بالنار وقال :

الآنرون قد حفرت حفراً

أنى إذا رأيت أمراً منكراً أوقدت نارى ودعوت قنبرا

(انظر شرح النهج ٩ مجلد ص ٤٢٥)

هذا ياسيدى معتزلى متشيع — لم تطلع أنتى على كتابه في أكبر الظن — يقص علينا هذه الحادثة ، فليس لإمكارها من سبيل ، ولا يحق لنا أن نتهم هؤلاء جميعاً بالكذب والاختلاق ، والمستشرقون أنفسهم — الذين تسرون في ركا بهم — يعترفون للقوم — أمثال الشهرستانى وابن حزم وغيرهما — بأقدارهم ومكانتهم^(٣) .

ونحن لا يسعنا في ختام هذا النقد الخالص لوجه الحق إلا أن نأسف لما أصاب الدراسات الإسلامية من عقم في رجالها ، وأكبر الظن أن الأستاذ الدكتور طه حسين سينصفنا من نفسه ، وسينظر لعملنا هذا نظرة علمية خالصة ؟

سهر محمد حسن

المدرس بوزارة المعارف

(١) المجلة - وقد اختار ابن أبي الحديد لنفسه أن يكون من هؤلاء في قصائده السبع العلويات وغيرها

(٢) المجلة - وليس في أهل السنة أحد من هؤلاء وقه الحمد .

(٣) المجلة - ومن الأمثلة على أن المؤلف تعرض في هذا الكتاب لغير ما يحسنه زعمه أن وحشيا

كان عبداً لهند بنت عتبة ، فرأينا الناس يقتاتلون ذلك عنه ويتندرون به .

الكتاب

تخريج نصوص أرسططالية

في كتاب الحيوان للجاحظ

للدكتور طه الحاجري - مستخرج من مجلة كلية الآداب : ٢٣ ص قالين

تراث الثقافة العربية في الإسلام وقبل الإسلام من أواخر موارث الإنسانية وأمتها وأنفمها ، وقد رزئت الإنسانية عامة والناطقون بالصاد خاصة بفقد أكثرها في نسكة التتار والحروب الصليبية وخروج العرب من الأندلس ، والذي بقي منها يحتاج إلى دراسات وتحقيق وحسن إخراج . ومن زكاة العلم على كل عالم أن يقوم من ذلك بما يستطيعه . والدكتور طه الحاجري قد برهن بحسن إخراج كتاب البخلاء للجاحظ على أنه من يؤدون زكاة العلم راضية نفسه بما يتحمل في سبيل ذلك من مشقة . وقد خدم أخيراً تركة أبي عثمان الجاحظ بتحقيق النصوص التي أوردها في كتاب (الحيوان) ففلا عن كتاب الحيوان لأرسطو ، فتمعرف مواضعها من هذا الكتاب ، وأخذ في المقارنة بين كل منها في الصورة التي أوردها الجاحظ والصورة التي جاءت في كتاب أرسطو ، على النحو الذي وصل إلينا في هذا العصر .

قال الدكتور الحاجري : « وكان من حق البحث العلمي الرجوع إلى الأصل اليوناني ، ولكننا لم نجد بداً من الاكتفاء في هذا بالترجمة الفرنسية التي قام بها العلامة سانتليز ، وسنرى أن هذه المقارنة تكشف لنا عن كثير من المسائل الجديرة بالبحث ، وأنها تصحح كثيراً من الأخطاء التي وقعت في النشرتين اللتين بين أيدينا من حيوان الجاحظ (طبعة الساسي سنة ١٩٢٥ وطبعة الحلبي بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون سنة ١٣٥٦ - ١٣٦٤) كما أنها تتضمن فوق هذا ما يفيد الباحث في نص أرسطو ، وما قد يجد فيه أداة جديدة لتحرير عبارته ، والموازنة بين قراءاته المختلفة في النص اليوناني » .

والذي نشره الدكتور الحاجري في هذه الرسالة يقتصر فيه على الجزء الأول من كتاب الجاحظ و ٢١٢ ص من الجزء الثاني ، ووعده بمواصلة المقارنة بين ما في كتاب الجاحظ

وترجمة ساتلير لكتاب أرسطو . وكان الدكتور الحاجرى متحملاً بفضيلة الصبر والبصيرة في هذه المقارنة ، حتى تبين له فروق ما بين طبعتي الساسى والحامى ، وما بين الترجمة العربية التى استعان بها الجاحظ وترجمة ساتلير ، كما تبين له ما طرأ على كتاب الجاحظ من تحريف الناحين ، ومن أمثله تحريفهم كلمة « قورنية » بكلمة « رومية » وكلمة « لقونية » بكلمة « سلوقية » ، فى ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٤ من كتاب الجاحظ ، وتحريفهم كلمة « تقيها » بكلمة « بعينها » فى ٢ : ٥٠ .

وكثيراً ما أورد الجاحظ من نصوص أرسطو ولم يقع فيه مسخ من النسخ قد يرجع فيه الخطأ إلى آفات الترجمة ، والترجمة معرضة للآفات فى كل اللغات ، وقد اعتذر الجاحظ عن ذلك بقوله : « إن الترجمان لا يؤدى أبداً ما قاله الحكيم ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذهبه ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده . ولا يقدر أن يوفى حقوقها ، ويؤدى الامانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ، ويجب على الجرى . وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها ، والإخبار عنها على حقها وصدقها ، إلا أن يكون فى العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه . . ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه فى نفس الترجمة فى وزن علمه فى نفس المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ، حتى يكون فيهما سواء وغاية ، وفق وجدناه أيضاً قد تسلم بلسانين علنا أنه قد أدخل الضيم عليهما . . وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل ، كان أشد على المترجم ، وأجدر أن يخطئ فيه . ولن نجد البتة مترجماً ينى بواحد من هؤلاء العلماء » .

وهذا البيان الدقيق الصادر عن أبى عثمان الجاحظ فى أخطار الترجمة وعظيم مسئولية من يقوم بها قد زاد عليه شاعر البرهمية الأكبر ناعور يوم كان فى زيارة القاهرة قبل نحو ربع قرن وسأله بعض المعجبين بكتبه الأدبية التى كتبها مباشرة باللغة الإنجليزية أن ينقل لهم إلى الإنجليزية كتبه التى كتبها بلغة الهند ، فأجابهم : « إنى عاجز عن نقل ما كتبت بلغة الهند إلى لغة الإنجليز ، وإن كان ذلك من تألىنى وأنا صاحب الأفكار التى فيه ، لأن ما كتبت به باللغة الهندية لا توائى لغة الإنجليز على نقله إليها ، وسبب ذلك أن لكل لفظة فى لغة من اللغات جواً يحيط بها ويتأثر به سامع تلك اللفظة بتلك اللغة ، ولو أمكن أن توجد لكل لفظة فى كتبى الهندية لفظة فى لغة الإنجليز قريبة منها فإن الجوى الذى لتلك اللفظة فى لغة الهند لا يمكن نقله إلى لغة الإنجليز عند اختيار اللفظة الإنجليزية القريبة من اللفظة الهندية ، فتأتى الترجمة ناقصة ولا تؤدى فى اللغة المنقول إليها الصورة الكاملة التى كانت لها فى اللغة المنقول منها .

وكلام تاغور هذا من تمام البيان الدقيق الذي ذكره الجاحظ عن أخطار الترجمة .
 فرأينا أن نورد هنا تأييداً لما ذهب إليه القائلون باستحالة ترجمة القرآن ، فالترجمة تكون
 في العلوم الطبيعية والرياضية بالشروط التي ذكرها الجاحظ ، وتكون في التأريخ والسير
 كالتوراة والإنجيل ، وأما في الكلام البليغ المعجز فإن ما لاحظته تاغور يؤيد استحالة ترجمة
 مثل القرآن ، ومن زعم أنه ترجمه فإن عمله ناقص ولا يؤدي صورة الاصل حتى لو كان
 حسن النية ومستوفياً كل ما اشترطه الجاحظ ، وأين مثل هذا المترجم ؟ إنك لن تجد
 كما أعلن ذلك أديب العربية عمرو بن بحر قبل أكثر من ألف سنة .
 هذا ولنا عودة إلى ما قام به الدكتور الحاجري من تفريغ نصوص أرسطو في كتاب
 الجاحظ عند ما ينتهي من عمله إن شاء الله .

نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان

للأستاذ مسعود الندوي ، نشرته لجنة الشباب المسلم ، ١٩٠ ص . المطبعة السلفية
 الكتاب الجيد هو الذي يملأ فراغاً في مكتبة أمة من الأمم لم يكن يملأه غيره من قبل .
 وهذه الرسالة ملأت فراغاً في المكتبة العربية ، وقد أجاد مؤلفها عمله . فالأستاذ مسعود
 الندوي من أفاضل خريجي (دار العلوم) بمدينة لكنؤ وهي مما أسسته (ندوة العلماء)
 في الهند ، وكل من ينتسب إلى هذه الندوة العظيمة في الهند يقال له (ندوي) ، والأستاذ
 مسعود من خيرة الندويين ودعائهم إلى الله ، وأول ما اشتهر به لإصداره بالعربية مجلة
 (الضياء) من سنة ١٣٥١ إلى سنة ١٣٥٤ . قال رئيس تحرير هذه المجلة في المقدمة التي كتبها
 لهذه الرسالة : والظاهر إن مجلة الضياء كانت سابقة لأوانها فاضطر السيد مسعود الندوي
 إلى الانصراف عنها إلى ميادين أخرى لجهاده وكان آخر ذلك تأسيسه (دار العروبة) عقب
 الحرب العالمية الثانية ، ومن دار العروبة هذه صدرت التراجم العربية لصيحات الحق التي
 ينادي بها المجاهد في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي الأستاذ أبو الأعلى المودودي .

ورسالة (نظرة إجمالية) آخر ما أصدره الأستاذ مسعود الندوي وفيها تعريف من
 لا يعرف الهند وباكستان من أفاضل المسلمين بتاريخ سير الدعوة الإسلامية هناك من بدايتها ،
 وما طرأ عليها من هبوط واعتلاء ، وما صدر عن شائئها والمؤمنين بها من جهود لتقليص
 ظلها والعضاء عليها ، أو نشر هدايتها والعمل على بعثها وإحياء سفتها . وفي الرسالة أسرار
 وحقائق لا يعرفها حتى في الهند وباكستان إلا الراسخون في العلم به هذه الناحية من تاريخ
 الدهرة الإسلامية وأوليائها وأعدائها .

فشكراً للأستاذ السيد مسعود الندوى على أن خص اللغة العربية بهذا الموضوع النافع،
وشكراً للجنة الشباب المسلم على عنايتها بفشر هذا الكتاب القيم .

المكا كائية في التاريخ

لمؤرخ العراق الأستاذ عباس المزاولى - ١٤٦٩ ص قالين ، مكتبة الخانجي بمصر
وهذا كتاب آخر هو الأول بموضوعه لا في العربية وحدها بل في لغات البشر .
حقق فيه مؤلفه بدراساته العلمية والشخصية أصل نخلة (المكا كائية) ومعتقداتها وتاريخ
تطورها واستمدادها من طريقة (الفتوة) وآدابها ، وبسط كل ما وصلت اليه اليد
من حالها الحاضرة ، وكشف عن صلاتها بفرقة القزلباش ، والشبك ، والمساولية ،
والعلى اللبية ، والبكتاشية . ووصف قراها وقبائل معتقديها وأعيادهم ومزاراتهم وأدبهم
وشعرهم وكنبهم .

والمكا كائية نخلة أصلها إسلامي ، غلت في الدين على طريقة الحلاج والسهروردية
من أواخر القرن السابع ، مخالفة في ذلك توجيه القرآن وسنة الإسلام ، فأدام ذلك إلى التخرج
من ذكر اسم الله ، وصاروا ينكرون صفاته التي وصف بها نفسه ، واعتقدوا أنه يظهر
في الأشخاص رافة منه بهم ورحمة ، وقد ظهر في (أدوار الظهور) بطريقة حلول الله في أبدان
البشر ومنهم (على) . وعقيدتهم هذه تشبه (النصيرية) إلا أنها جاءتهم من طريق التصوف
والسهروردية أو الصفوية .

ومواطن هذه النحلة في شمال العراق : كركوك ومناطقها وبعض قرى (خاقين)
و (البندنجين) و (لابل) . ومنهم جماعات في إيران : طهران وتبريز وهمدان
وكرمانشاه وكرند الخ .

ومع فساد عقيدة هذه النحلة فإن لهم ناحية محمودة في أخلاقهم وعفة ألسنتهم وإيثارهم
السلام ، ولعل ذلك جاءهم من نظام (الفتوة) الذي كان معروفا في بعض أدوار الدولة
العباسية فانتفعوا به في مجتمعهم وروابطهم فيما بينهم ومع الناس .

إن المؤرخ العلامة الأستاذ عباس المزاولى من أعلام العلم المحققين في هذا العصر ،
ومؤلفاته الكثيرة تزدان بها الآن مكتبة الامة العربية ، وهو أوسع من نعرفهم اطلاعا على
تاريخ العرب ولا سيما تفاصيل تاريخ العراق ، ومكتبته الشخصية عامرة بالخطوط
والنوادير عن الملل والمحل والطوائف الإسلامية والعراقية . وسفندحدث إلى القراء عن كتب
أخرى له إن شاء الله . ونرجو الله أن يتمتع بالصحة والقوة ليواصل جهاده العلى حتى النهاية .

صور ومشاهدات من الحجاز

للأستاذ السيد محي الدين رضا - ٢٠٠ ص ، المطبعة التجارية الحديثة

للأستاذ السيد محي الدين رضا كتب متعددة في التعريف بالحجاز ومعالمه ورجاله ، لانه كثير التردد إلى الحرمين الشريفين وينشر في كل مرة كتاباً مافماً في ذكريات هذه الزيارات المباركة وآخرها هذا الكتاب الحافل بما يورد كل مسلم أن يقف عليه من أخبار قبلة المسلمين وأحوالها وتطوراتها وتراجم رجالها . وقد ألحق به رسالته (رفيق الحاج) الذي يعلمه كيف يحج ويعتمر ويزور النبي ﷺ ، والادعية التي يدعوها عند أداء الفسك . لجاء الكتاب نافماً لقرائه في دينهم ودنياهم . جزاء الله خيراً .

المهذب في غريب القرآن

للأستاذ الشيخ أحمد عبد الرازق شاخ - ٤ أقسام ٢٠٠ ص ، مطبعة الجهاد بأسيوط

هو كتاب لطيف في تفسير ألفاظ كتاب الله الحكيم مرتباً على ترتيب المصحف ، ومجزماً إلى أربعة أرباع : الأول من الفاتحة إلى آخر سورة الانعام ، والثاني من سورة الاعراف إلى آخر سورة هود ، والثالث من سورة الكهف إلى آخر سورة فاطر ، والرابع للربع الأخير من كتاب الله عز وجل . وقد ألزم فيه المؤلف أن يكون طبق المنهاج المقرر على القسم الثانوى من معاهد الأزهر ، وينتفع به كل من يتوخى فهم ألفاظ القرآن من جميع المسلمين . فلفت الأنظار إليه .

المجاهدون

للأستاذ محمد فهمى الطهاوى ، ١٦٠ ص جابر ، المطبعة السلفية

هو كتاب لطيف نافع في الجهاد ومشروعاته ، وأن الحرب في نظر الإسلام ضرورة اجتماعية ، وفي مشروعية القتال في الإسلام ، وموقف اليهود من الدعوة الإسلامية ، وحرب المسلمين خارج جزيرة العرب وسببه ، ووسائل النصر المعنوية ، والدول الغربية والتعالم الإسلامية ، وأثر العقيدة الإسلامية في النفوس ، والشجاعة الأدبية أو الجهاد باللسان ، ووسائل النصر المادية ، وإعداد الجيش ، ودور المرأة في الجهاد ، وحرب العصابات أو الفدائية ، والأسلحة وأثرها في المدنيين ، والفتح الإسلامى والغاية منه . وهو كما ترى من الكتب النافعة ، فنحث شباب المسلمين على مطالعته والإفادة منه .

الأدب والعلم في شبرا

إنشاء اتحاد علمي عربي

في الدور الأول ، و ٤١٠٠ من الناجحين
في الدور الثاني ، و ٦٦٠ طلبا بالبريد ،
و ٣٣٠ طلبا أعيدت إلى أمحائها لعدم استيفاء
الأوراق ، وبذلك يبلغ مجموع طلبات
الالتحاق بالجامعات الثلاث المصرية نحو
١٢ ألف طلب .

أوصت اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول
العربية في دورتها التي عقدت في القاهرة بإنشاء
اتحاد علمي عربي يهدف لجمع شمل العلماء
العرب والهيئات العلمية في البلاد العربية ،
واصدار مجلة علمية مبسطة .

ولما كان العدد الذي تقرر قبوله في الجامعات
الثلاث ٨٥٠٠ فيكون الباقي من الحاصلين
على شهادة التوجيهية هذا العام فقط - والى
٤٠٠٠ طالب ، فضلا عن الحاصلين على هذه
الشهادة قبل هذا العام ، وسيمتد هؤلاء
منتسبين لا منتظمين . . .

وأن يعقد مؤتمر لتوحيد المصطلحات
العلمية العربية ، ومؤتمر علمي عربي ثان
في سنة ١٩٥٥ ، مع العناية بدراسة تاريخ
العلوم وبخاصة عند العرب ، وترجمة الكتب
العلمية إلى اللغة العربية ، وتأليف تلك الكتب ،
وإقامة دورات تدريبية في تدريس العلوم ،
والاستعانة بالخبراء العرب في المشروعات
الإنشائية والفنية . . .

جامعة عرابي بالزقازيق

قرر مجلس مديرية الشرقية بالإجماع
تأسيس جامعة ومستشفى في مدينة الزقازيق
باسم أحمد عرابي ، وخصص لذلك خمسة عشر
فداناً يبلغ ثمنها مائة ألف جنيه . وأن تقوم
لجنة ذكرى عرابي بجمع المال اللازم
للاتفاق على بناء الجامعة والمستشفى ، وبذلك

الالتحاق بالجامعات الثلاث

٨٥٠٠ منتظمون و ٤٠٠٠ منتسبون

تلقي مكتب الالتحاق بالجامعات المصرية
الثلاث نحو ٦٧٠٠ طلب من ناجحي التوجيهية

دولاباً، وأرفف من الحديد من ثلاثة أذوار طولها ٤٤ متراً .

ويوجد بهذا القسم فرقة تركية للترجمة ، وفرقة عربية لتلخيص ونسخ الوثائق العربية ، والفرقة التركية هي التي كانت تعمل في دار المحفوظات العمومية مع الوثائق التركية ونقلت مع الوثائق عام ١٩٣٣ إلى قصر (عابدين) ، وكانت قد أنشأت في دار المحفوظات العمومية عام ١٩٣٠ - عندما ألغت الحكومة التركية استعمال الحروف العربية في اللغة التركية واستعاضت عنها بالحروف اللاتينية ، واستبدلت كذلك الكثير من الكلمات والاصطلاحات التركية المشهورة بأخرى مبهورة - وخوفاً من أن تصبح لغة هذه الوثائق مع الأيام أشبه بالرموز والألغاز كان لإنشاء قسم الترجمة هذا ضرورياً جداً ، وقد بلغ عدد السجلات التي ترجمت بهذا القسم ٣٤٤٠ مجلداً ، وعدد الحواشي ٢٤٦ حافظة عدد وثائقها يربو على مليون وثيقة تقريباً .

وسيضم هذا القسم إلى وزارة الإرشاد القومي لتبني عليه (دار الوثائق) المنتظرة ، وسوف تكون تلك الدار متصلة بكل الوزارات وبتدار المحفوظات العمومية لتجميع الوثائق التي تحفظ بها . وسيلحق بها مكان لتدريب

مستكون جامعة عراقية في مدينة الزقازيق رابعة الجامعات المصرية فيخف بها الضغط على كليات القاهرة والاسكندرية ...

وثائق مصر التاريخية

رأت اللجنة المشكلة لدراسة مشروع إنشاء دار الوثائق وعمل اللائحة الخاصة بها أن قسم الوثائق الموجود بقصر (عابدين) يصلح نواة لتلك الدار حتى يستقر نظامها .

ومحفوظات (عابدين) بها ثلاثة أقسام : الأول يشمل المحفوظات الخاصة بالدبوان الملكي السابق ، وهي تشمل سجلات ووثائق أصلية ، أو صور ووثائق تركية وعربية وفرنجية من عهد محمد علي إلى آخر عهد عباس الثاني . والثاني به صور الوثائق الدبلوماسية الخاصة بدور المحفوظات في فرنسا وإنجلترا وإيطاليا والنمسا وأمريكا والروسيا واليونان وبولونيا . أما القسم الثالث فيشمل المحفوظات التركية والعربية التي نقلت من دار المحفوظات العمومية في عام ١٩٢٣ م .

ومحفوظات القسم الأول والثالث التركية موضحة بالتفصيل في كتاب « دينيه » عن الوثائق التركية بالقاهرة ، وهذه الوثائق موضوعة في خمسة مخازن كبيرة ، بها ٢٣١

الجامعات الالتحاق بالدراسات التي سيقومها الأزهر هذا العام ؟ فقال : إننا سننظر في ذلك فيما بعد على أساس توفر الصلاحية فيهم للدراسات فيمن يريد ما .

وقلت لفضيلته : يدعو البعض إلى توحيد التعليم في مرحلته الأولى والثانوية على أن يكون الأزهر جامعة يلتحق بها كل من يريد من أنمو التعليم العام ؟ فقال :

إن الأزهر جامعة هريقة ستظل تنشر نورها وتفيض علومها على العالم كله ، ولها طابعها المميز عن غيرها ، ويمتاز أبنائها وخريجوها بأنهم من بدء دراستهم حتى نهايتها تتميز علومهم ومعارفهم بطابع ديني خاص فتسهم بسمات دينية ويكون لانطباعاتها وانمكاساتها أثر طيب كريم في نفوسهم وعقولهم بما يهيئهم لحل الرسالة الدينية الحقة في جدارة وأصالة وصلابة واعتزاز .

عن شيخ الأزهر

اجتمع عند فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر جميع شيوخ المعاهد الدينية في بلاد الجمهورية المصرية ونذاكروا في وضع الترتيبات اللازمة لبدء العام الدراسي الجديد ، وتوحيد الزى ووجوب تنفيذه والالتزام به ، كما بحثوا مسألة توزيع الحصص بين المدرسين .

طلبة معهد الوثائق التابع لجامعة القاهرة لتخريج المشتغلين بالوثائق ، وستكون لها في المستقبل فروع محلية في المديرية أشرف عليها الإدارة المركزية للدار بالقاهرة .

كما أنها ستعظم ثروة مصر التاريخية وجميع الوثائق الهامة الخاصة بتاريخ مصر من جميع أنحاء العالم ، وذلك لتسد النقص الموجود في جمهورية مصر من هذه الناحية لتيسير البحث العلمي على العلماء والطلبة في مصر والخارج .

استقبل التعليم الأزهرى

بعلومه وشروط الانتساب إليه

سأل مندوب (البلاغ) فضيلة الأستاذ الأكبر : لماذا لا تقبل الكليات الأزهرية حملة التوجيهية للدراسة فيها .

فقال فضيلته : إن من أم ما تستلزمه الدراسات الدينية واللغوية العليا لإجادة القرآن حفظاً ودراسة ، وحملة التوجيهية فاقدون لهذا الشرط . ومن أم ما نغنى به العمل على التحقق من إجادة القرآن حفظاً بالنسبة للتحققين الجدد والعناية بجميع الدراسات المتعلقة بالقرآن بالنسبة لطلاب جميع المراحل التعليمية المختلفة بالمعاهد والكليات .

وسأل المندوب فضيلة الأستاذ الأكبر : هل سيباح لغير خريجي الأزهر من خريجي

العجل للآسلاف في شهر

التحرر من مفاسد الماضي

قال الرئيس اللواء محمد نجيب في إذاعته
هن ذكرى الهجرة : « علينا اليوم - ونحن
نستقبل هذه الذكرى الإنسانية الخالدة على
الزمن - أن نستوحى عبرها وعظمتها فنعلم أن
الشعب الصالح لا يتكون إلا من لبنات هي
الأفراد الصالحون . وأن هؤلاء الأفراد
لا تنضج نفوسهم ولا تكتمل قوامهم
إلا بالترية والإعداد زماناً يتعدهم خلاله
الرعاة والمرشدون بالمثل الصالح والقُدوة
الكريمة . فالذين يظنون من أبناء أمتنا أننا
نستطيع أن نتحرر من الماضي بمفاسده كما يخلع
الواحد منا ثوبه، يتطلبون من الأيام ضد طباعها.

رسالة المساجد

انتهت اللجنة المؤلفة برئاسة الاستاذ محمود
عبد اللطيف وكيل وزارة الأوقاف لتحديد
رسالة المساجد في العهد الجديد من مهمتها ،
وقد اتخذت قرارات في هذا الموضوع أهمها
تكليف جميع الأئمة إلقاء دروس في مساجدهم
لمسألة الأمية أو للثقافة العامة أو لتحقيق
القرآن الكريم ، طبقاً لمقتضيات البيئة على أن
يوضع برنامج كل مسجد بإشراف قسَم المساجد .

كما تقرر أن يدرس الفقه في المسجد بصورة
عملية مبسطة ، مع تفسير الآيات والأحاديث
الخاصة بالأحكام والأخلاق والتاريخ
الإسلامي والثقافة الاجتماعية والتوجيه السليم
إلى الوطنية الصحيحة ، ومحاربة العادات الضارة
كالنار والتماثيم والزار وغيرها ، والتعليق بما
تقتضيه شريعة الإسلام وآداب الحضارة من
شئون النظافة والصحة والعمل للصالح العام .

الشريعة الإسلامية

أساس القوانين

حضر الرئيس اللواء محمد نجيب المناقشة التي
دارت في مدرج كلية الحقوق بجامعة القاهرة
حول الرسالة الجامعية المقدمة من اليوزباشي
حسن النورى وموضوعها (دراسة في عوارض
الاهلية في الشريعة الإسلامية) الحصول على
درجة الدكتوراه . وبعد الانتهاء من مناقشة
الرسالة خطب الرئيس اللواء محمد نجيب فقال :
« إن لهذه الرسالة أهمية كبرى في الشريعة
الإسلامية الغراء التي قامت على أعدل الأسس
وأصحها وأدقها ، وهي القرآن الكريم والسنة
الشريفة ، هذه الشريعة السامية التي تصلح
لكل زمان . ومكان وإذا كان الغرب قد طغى

تقوم بأي عقد أو اتفاق مع أي جهة إلا بعد أخذ موافقة رئيس مجلس الوزراء عليه ، ولرئيس الوزراء حق الإشراف والهيمنة على جميع أعمال الوزارات ، وله أيضاً أن يطلب أية قضية من أية وزارة لتدقيقها وإصدار تعليمات بشأنها .

كومنولث اسرمي

من ضيوف مصر الآن السيد إنعام الله خان سكرتير المؤتمر الإسلامي العالمي . وقد عقد مؤتمراً صحفياً في دار المراكز العام للشبان المسلمين ودعا فيه إلى إنشاء كومنولث يضم الدول الإسلامية في اتحاد أخوة ومساواة لا تعمل فيه دولة على دولة ويكون القرآن هو السراج الذي يهدي الجميع إلى حياة الجهد والنشاط في ظل السلام للبشرية جميعاً .

اليونسكو ورى الصحراء الغربية

قامت من الجزائر إلى منطقة تشاد في أفريقيا الاستوائية بمئة من كبار علماء الحيوان وخبراء التربة والنبات برئاسة الدكتور كولمان تحت إشراف هيئة اليونسكو لدراسة التربة في الصحراء الغربية الكبرى والسودان ومصر وليبيا وتونس .

قالوا : وستضع على أساس دراساتها مشروعات لرى الصحراء ، لو نجحت لغيرت شمال إفريقيا تغييراً تاماً .

عليها ووضعها في صورة الرجعية فهذا وم وخطأ محض . إن القانون الفرنسي الذي استمدت منه الدول تشريعاتها ظل حتى سنة ١٩٢٧ لا يعرف نظرية (العيب الخفي) المعروفة في الشريعة الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرناً . كما أن القانون الفرنسي استمد معظم نصوصه من مذهب الإمام مالك . والشريعة الإسلامية هي أرق القوانين ، وفيها المرونة التي تسير جميع الظروف ، وكلما أضاف أحد منا جديداً إلى ذخيرتنا من الشريعة الإسلامية ازدادت جلاء .

إن هذه الشريعة التي تنهم ظلماً بالرجعية قد حفظت حقوق المرأة ، وكلما عنيينا بتفصيلها وإيضاحها أضفنا أسانيد جديدة لمقاومة الأفكار القائلة بأن الشريعة الإسلامية يخشى تطبيقها .

أول مجلس وزراء

في المملكة العربية السعودية

صدر مرسوم ملكي في غرة صفر ١٣٧٣ من الملك عبد العزيز آل سعود بتأليف مجلس وزراء تحت رئاسة ولي العهد الأمير سعود يعقد اجتماعات دورية مرة في الشهر غير الحالات الاستثنائية ، وقرارات المجلس توضع موضع التنفيذ بعد تصديق الرئيس وموافقة الملك ، ولا يجوز لأية وزارة أن

فهرس

الجزء الثاني — المجلد الخامس والمثرون

صفحة	الموضوع	بسم
١٢٩	قوى ضائعة	الاستاذ محب الدين الخطيب وميس التحرير
١٣٦	نفعات القرآن	» عبد الطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
١٤١	السنة : شعب اليمان	» طه محمد بك
١٤٦	إشاعات السوء وموقف الاسلام منها	حديث لفضية الاستاذ الاكبر
١٤٩	فى ذكرى غزوة بدر	الاستاذ أحمد محرم
١٥٤	مهمة الفقيه	الدكتور محمد يوسف موسى
١٥٧	السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى	الاستاذ محب الدين الخطيب
١٦٢	دولة الاسلام — بين الدين والسياسة	» محمد فتحى محمد عثمان
١٦٩	لنـويـات	» محمد على النجار
١٧٣	كوله صهر والشيخ طاهر الجزائرى	التحرير
١٧٥	أقسام الواجب	الاستاذ صيد الله المرافى
١٧٨	الديمقراطية فى الاسلام	» سميد زايد
١٨٢	غزوة بدر الكبرى	اليوزبافى أركان حرب محمد جمال الدين محلوط
١٨٩	إعداد القوة وأخذ الأهبة للاعداد	الاستاذ محمد محمد أبو شبة
١٩٣	نشأة كتب الامالى — أمالى الفالى	» عبد الوهاب حمودة
١٩٨	الاسلام والرق	حديث لفضية الاستاذ الاكبر
٢٠٢	من مشكلات أدبنا القديم	الاستاذ حر الدين اسماعيل
٢٠٨	من مفاخر ديننا الحاله	» محمد عبد المنعم خفاجى
٢١٣	سالم بن مقل	» إبراهيم طلى أبو الحقب
٢١٧	الدعوة لتحديد النسل	حديث لفضية الاستاذ الاكبر
٢١٩	نقد كتاب خرافة الليتافيزيقا	الاستاذ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء
٢٢٣	تصويب لقوى	» على المبارى
٢٢٥	المزة فى القرآن الكريم	» أحمد القرباصى
٢٣٢	مقد التأمهن فى التشريع الاسلامى	» أحمد طه السنوسى
٢٣٧	نقد — الفتنة الكبرى	» سميد محمد حسن
٢٤٦	الكتب	قلم للتحرير
٢٥٢	الادب والمعلوم	» »
٢٥٤	العالم الاسلامى فى شهر	» »

الاشتراك السنوي

٥٠ في مصر ولبنان
٣٠ للطبعة في مصر ولبنان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطبعة في الخارج
ثمان الجزء ٥

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ بِتِمَامِ مَعْنَى
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ

العنوان
ادارة إجماع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثالث - القاهرة في غرة ربيع الأول ١٣٧٣ - ٨ نوفمبر ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ جَدِّدْ نَفْسَكَ

ثيابنا تتسخ ، فنزعها عن أبداننا لتغسل وتكوى ، وما تزال تتسخ وتغسل وتكوى حتى تبلى ، فندعها ، ونجدد لأبداننا ثيابا غيرها .

وأبداننا تتسخ ، فتعافها نفوسنا ، ثم نمر عليها بالصابون والماء حتى نرتاح إلى نظافتها ، ونعد ذلك نعمة ونعما .

ومنازلنا التي نسكنها ، وما فيها من أدوات ومرافق ومكتب ، وما وراها من شوارع وميادين وأحياء ودروب ، كل هذه تتسخ ، ولا نكون من أهل الحضارة والأذواق السليمة إلا إذا توصلنا إلى تنظيفها وإزالة ما طرأ عليها مما تفر منه النفوس وتضيق به المشاعر .

وكما تتسخ الثياب والأبدان والمنازل والمرافق والشوارع والأحياء ، فإن النفوس تتسخ كذلك ، وتحتاج دائماً إلى تنظيف ، وقد تحتاج في بعض الأحيان إلى تجديد ، أكثر مما تحتاج إلى ذلك الثياب والأبدان والمنازل والمرافق .

بنشأ نائمه الغيتان منا ، فتقذف به دواعي الحياة إلى سلوك طرقها وخوض لجبها . ثم تجمعها جامعة الحياة بمن يصحبهم في الحياة وبجوارهم ويتعاون معهم . فأصحاب النفوس النظيفة يتصاحبون ويتجاوزون ويتعاونون على الحق والخير ويكتبون مع أهل الإحسان ،

فتبقى نفوسهم نظيفة ، ويكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه . وأصحاب النفوس الملوثة يتصاحبون بالرياء والتقية ، ويداجى بعضهم بعضا ، ويخالس كل منهم صاحبه ، ويكون لكل منهم مع كل واحد منهم وجه غير وجوهه الأخرى . وقد يستيقظ ضمير أحدهم في يوم من الأيام فيرى بعين بصيرته أن هذه الحياة التي يحياها مع أصحابه المداجين إنما هي حياة قذرة ، فيتمنى لو أنه تمكن من تنظيف نفسه كما ينظف الإنسان بدنه وثوبه ويديه ومكتبته ومرافقه .

ويتحدث أحدنا إلى آخر فيأتى في خلال الحديث ذكر شخص ثالث ، فيذكره أحد الرجلين بما يسوءه لو أنه بلغه ، ويصفى الآخر إلى قالة السوء هذه فلا ينكرها ، أو ينكرها فيشتم منه صاحبه ، وقد يحدث بينهما ما يثالج به قلب الشيطان . إن هذين الصاحبين كانا قبل هذا اللقاء وهذا الحديث نظيفي النفس من هذه الغيبة وما ربما ترتب عليها من خصومة ، ثم اتسخت بذلك نفس أحدهما أو كليهما فأصبحت في حاجة إلى تنظيف أو تجديد ، كما يحتاج الثوب والبدن والمنزل والمكتب إلى مثل ذلك .

ونحن الآن في موسم افتتاح السنة الدراسية ، وإن عشرات الألوف من الطلبة يهرعون إلى معاهد العلم وكلياته ، وسيتأبرون جميعاً على الاشتغال بالعلم في كل أيام الدراسة . فمن كان منهم على المهمة كريماً على نفسه مزعماً أن تكون له رسالة في الحياة يؤديها لامتته بما يتفق مع مبادئها في الماضي وأهدافها في المستقبل ، فإنه يمضى حريصاً على نظافة نفسه وصيانة معدنها من كل ما يدنسه فيما بينه وبين نفسه وما بينه وبين الله ، ويتوخى أن يكون ما يكتسبه من حقائق العلم - من الأخلاق والفضائل غاية يطلبها في مدة الدراسة وفيما بعدها - من المهد إلى اللحد كما كان يقول أسلافنا ، ولا يعتبر ذلك وسيلة للشهادات لتكون الشهادات بعد ذلك وسيلة أخرى لطلب العيش . وأنا أحب لطالب العلم والفضائل - الذي يعتبر العلم والفضائل غاية له في الحياة - أن يعلم أنه هو طالب العلم حقاً ، وأنه هو الإنسان النظيف ، وأن مالك ابن أنس ، والليث بن سعد ، ومحمد بن إدريس ، وشمس الدين بن القيم ، والحافظ ابن حجر ، وأضرابهم هم الذين ينبغي له أن يتخذهم قدوة له في طلب العلم لله ، وأن يجدد منزلتهم في هذه الأمة وتاريخ ثقافتها ، وأن يحرص - مع صيافته نفسه عما يلوثها - على أن يتوسم في زملائه الطلبة من يراهم من أهل الاستعداد للخير فيعدهم عن قرناء السوء ، ويحسن توجيههم إلى ما اختاره لنفسه من وجهة يبلغ بها مرضاة الله . فهذا الطراز من الطلبة ذوى النفوس النظيفة هم أمة المستقبل المحمود ، وهم الحلقة المتصلة بسلسلة الماضى الذهبية ، وهم الناس ،

وهم تنهض الاوطان . أما الآخرون ممن يتخذون العلم حماراً يركبونه ليأخذوا الورقة التي يتاجرون بها لطلب العيش إلى أن يموتوا ، فسيموتون كما تموت السوائم والمواشي ، إن لم يتمنوا بعد الموت أن لو كانوا فعلاً من السوائم والمواشي ، لثلا يحاسبوا على نيابهم الرخيصة ، ولإسفافهم بآمالهم وأعمالهم إلى ما لا يحمدون مغبته .

ويكون أحدنا موظفاً في مصلحة من مصالح الحكومة ، ويكون رزقه الذي كتبه الله له ولعاليه من خدمة مواطنيه الذين لهم مصالح تحت يده في وظيفته ، فيأتيه مواطنه لقضاء المصلحة التي له عنده ، ولا يخفى على الموظف أن هذا المواطن قطع في سبيل الوصول إليه مسافات وأضاع لذلك وقتاً كان هو ووطنه في حاجة إليه . وهنا يكون الموظف في موقف الامتحان : فيما أن يكون من ذوى النفوس النظيفة — وما أقل هؤلاء — وحينئذ يبادر إلى قضاء مصلحة الرجل وإنجاز عمله بأيسر ما يستطيع ، ولما أن يكسل عن أن يمد يده إلى ملف هذا المواطن لإجراء ما هو مأجور من خزينة الدولة ومال الأمة على أن يتمه له فيتسكأ عن ذلك ويقول له « تعال بعد أسبوع » . وهذه الكلمة لا تصدر إلا عن نفس تحتاج إلى تنظيف ، وإن كان بدن صاحبها وثيابه ومنزله ومكتبه وجميع مرافقه نظيفة .

وقد تكون ثيابنا ومرافقتنا ذات ألوان قائمة ، فإذا أصابنا وساخة خفي أمرها حتى على صاحبها وإن أبداننا مستورة بثيابنا ، فلا يكاد يشعر بوساختها إلا أصحابها على قدر ما لهم من شعور . أما النفس الإنسانية فمن صنع الله ، وقد صنعها الله تقية على فطرته فلا تحمل من دنس الانانية والشهوات إلا ما ارتضاه لها صاحبها راغباً مختاراً . وإن إرادته للطيب أو الخبيث ، وللجيد أو الرديء ، وللحق أو الباطل ، وللخير أو الشر ، هي مناط التكليف ، وبها وبآثارها من العمل — على درجاته — يكافأ المرء أو يعاقب في الدنيا وفي الآخرة .

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن غالها تخفى على الناس تعلم

وإذا كان للناس من بصائرهم وتجاريهم ما يميزون به بين النفس النظيفة والنفس المذنسة ، بما يلحونه من آثارهما ، وما في ذلك لأهل الألمعية من علامات ، فإن خالق الابصار والبصائر ، المهيمن على الظواهر والسرائر ، عليم بكل ما يحل به الإنسان نفسه من فضائل ومآثر ، أو يدينها به من صفات وكبائر .

كل بني آدم خطاءون ، وما منا إلا من هو عرضة لأن ينسحق نفسه بما يعلم أو لا يعلم من أوساخ الحياة وأقذارها . والعصمة لأنبياء الله وحدهم فيما بلغوا الناس عن ربهم ،

وفيا يتفق مع جلال رسالتهم . وإذا كنا نعرف كيف نتخلص من أوساخ ثيابنا وأبداننا ومتازلنا ومرافقنا ، فما هو السبيل لتخلص من أوساخ نفوسنا ؟

هذا السؤال طالما خالج نفوس الناس وحدثوا أنفسهم به . وقد طلب إلى أحد شباب المسلمين أن يكون ذلك حديثي مع قرائي في هذا الشهر .

إن أوساخ النفس تعافها وتأنف منها نفس صاحبها ، قبل أن يعافها ويأنف منها الآخرون . ثم هي عبء عليه يتعذب بحملها . ولو أن ضامناً ضمن له رجوع نفسه إلى ما كانت عليه من نقاء الفطرة الإلهية في زمن الطفولة لاغتبط بذلك ، ولاستأنف مع نفسه وربه ومع الناس حياة جديدة يرضى هو عنها ليرضى الله عنها .

هذه أمنية يشمر بها مرتكب الأخطاء في لمحات من حياته يستيقظ فيها ضميره ، فيشمر بوطأة الذنوب ، ويثنى لو تخفف منها .

والرجوع إلى نقاء النفس في طفولتها أمنية كل مذنّب وكل خاطئ . ولو كشف لأحدنا الغطاء عن أدنى النفوس وأقذرها — كنفوس الزواني واللصوص والمجرمين والظلمة — لرأينا هذه الأمنية مستقرة في قرارتها ، ومنطوية في أعقق ما تطوى عليه جوانحها من أمان ، ولو في بعض الأحيان .

إن تنظيف النفس أيسر على صاحبها من تنظيف ثوبه وبدنه ومنزله ومكتبه ومرافقه .

كثير من الناس ، وأكثر النساء بل كاهن ، يتمنون لو يرجعون من سن الكهولة إلى سن الشباب والصبا والطفولة ، ولكن هيات . أما النفوس المثقلة بأوساخها فتستطيع أن ترجع إلى ما كانت عليه من نقاء عند ما كانت في سن الشباب والصبا والطفولة . ويسمى هذا الرجوع بلغة الاسلام : أوبة ، وتوبة . وأول علاماتها الندم الصادق على ما وقع من الانسان من هفوات أدت إلى ما علق بنفسه من أضرار . ويقترن بالندم على ذلك الاقلاع عنه ، والعزم على ألا يعود إلى تلك الهفوات أبداً . وإذا كان ما وقع من الانسان وتدنست به نفسه يتناول حقا من حقوق الناس المادية كالمال أو ما كان في حكمه ، فلا تتم هذه الأوبة من حالة الدنس إلى حالة النقاء إلا بأن يبرأ من ذلك الحق برده إلى صاحبه واستبراء ذمته منه ، وإذا كان يتناول حقا من حقوق الناس الأدبية كالغيبية والنيل من الكرامة فعليه أن يعترف بذلك لصاحب هذا الحق ويستحله منه ، وإن كان قدفاً ممكنة من إقامة الحد عليه وطلب العفو منه .

كلنا من صنع الله ، وهو مالكنا ، ونحن له . وإن خروج أحدنا عن طاعة سيده

بإقرار الإثم ، والانحراف عن الطريق الذي رسمه له خالقه ، وتدينسه النفس التي اتعنه الله عليها وهي نفة طاهرة ، كل ذلك يعد تمرداً منا على موجدنا ومالك أنفاسنا وعصياناً له . فإذا تبنا إلى رشدنا ، وأدركنا خطأنا ، وندمنا عليه ، وأردنا أن نتظف نفوسنا من هذه الأوساخ التي لوثناها بها ، فإن هذا الندم ، والاعتراف بالخطأ ، والإقلاع عنه ، والعزم على عدم العودة إليه أبداً ، كفيل بأن يردنا إلى الله بعد أن تمردنا عليه وابتدنا عنه . وقد أخبرنا الهادي الأعظم حامل آخر رسالات الله وأكلها صلوات الله وسلامه عليه أن الله يفرح بأوبة هذا المذنب إليه ، وإقلاعه عن ذنوبه . وإن بما صرح عن نبي الرحمة من حديث خادمه أنس بن مالك الأنصاري أنه ﷺ قال : « الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها » .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » .

إذن فتتظيف النفس من أوسارها أهون وأيسر من تنظيف الثياب والبدن والمسكن والمرافق . ولا يحتاج هذا التنظيف إلا إلى شيء واحد وهو العزيمة الصادقة التي هي مقياس رجولة الرجل ، فإذا ندم الواحد منا على ما فرط منه ، وعزم على أن يقلع عنه ، وعاهد الله صادقاً على ألا يعود إلى ذلك أبداً ، فبذلك ترجع نفسه إلى ما كانت عليه في عهد طهارتها ونقاها ، بشرط أن يتحلل من حقوق الناس وبرأ ذمته من كل ما أصاب من أموالهم وكراماتهم . إن هذا ميسور للمسلم في كل سائحة من سوائحه ، لأن الله أقرب إلينا من كل ما يتصل بنا وتتصل به . وقد روى الترمذي من حديث عبد الله بن عمر : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر » . ومعنى ذلك أن الطريق إلى تنظيف النفس مفتوح لصاحبها من ساعة إقراره بالإثم إلى آخر حياته . وقد حض الله عز وجل على ذلك فقال في سورة التور (٣١) : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) . وقال في سورة الشورى (٢٥) (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويمفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) بل إن في كتاب الله سورة مستقلة باسم « التوبة » أرشد فيها إلى أن من مطهرات النفس الإسلامية الصدقة ،

وقد سميت « الزكاة » زكاة لأنها تطهير للأموال ، فقال عز وجل في الآيات ١٠٢ - ١٠٥ من هذه السورة مخاطباً رسوله الأعظم إلى الإنسانية كلها : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم . ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم . وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

وكمال التوبة وجمالها في أن تكون توبة نصوحا . قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقال مثله أبي بن كعب صاحب رسول الله ﷺ : « التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع » . وقال سعيد بن المسيب : « توبة نصوحا تصحون بها أنفسكم » . أي قد نصح فيها التائب ولم يشبها بغش . ونقل عالم مكة في القرن الحادى عشر محمد بن علان الصديقي عن الإمام شمس الدين بن القيم في كتابه مدارج السالكين أن « النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء : أحدها تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنباً إلا تناولته . والثاني : إجماع العزم والصدق بكليته عليها ، بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار ، بل يجمع عليها كل إرادته وعزمته مبادراً بها : والثالث : تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله تعالى وخشيت والرجة فيما لديه والرهبة مما عنده ، لا كمن يتوب لحفظ جاهه أو حرفته أو منصبه أو لحفظ حاله أو ماله أو استدعاء حمد الناس أو الهرب من ذمهم أو نحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله تعالى . فالأول يتعلق بما يتوب منه ، والثالث بما يتوب إليه ، والأوسط يتعلق بذات التائب نفسه . ولا ريب أن التوبة الجامعة لما ذكر تستلزم الغفران وتنضمه ، وتمحق جميع الذنوب ، وهي أكل ما يكون من التوبة » .

وبعد فما أدرى هل تشعر جماهير الأمة - ولا سيما أهل العلم والثقافة فيها - أننا نستقبل طوراً من أطوار حياتنا العامة غير الطور الذي كنا فيه ، وأتينا على مفترق الطرق فيما نأخذ وما ندع ، وأن هذا التطور يترتب عليه حتماً أن نطّف أنفسنا من أوضار الماضى وأوساخه لنستأنف حياة جديدة يحمل رسالتها المدرسون إلى الطلبة ، وقادة الفكر إلى الشباب المفكر ، وزعماء الرأى إلى ذوى الرأى ، ورأس ذلك وعموده « تجديد النفس » ، وفي يدك يا أخى أن تجدد نفسك ، فبادر إلى ذلك ، وافتح مع الله صفحة حساب جديدة تكون فيها إن شاء الله

من الراجحين الفالحين ؟

حبيب الدين الخطيب

نَهْكَاتُ الْفِرَاقِ

- ٩ -

الدَّعَاءُ

[ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
فقد استمسك بالعروة الوثقى]

في ضوء القرآن وضحت للبصائر معالم الحق ، وأسفر على وجه الدنيا صبح طال ليله ، وتوسمت الإنسانية في مشرقها الجديد حياة رشيدة وآمالاً صادقة .
وكان من بواكير الغايات التي أبه لها القرآن في تربيته الحديثة للنفوس أن ينزع المرء من وثنيته ، ومن تبعيته للأشخاص ، ويقصره على الصلة بربه ، حتى تكون صلة إيمان مخلوق بخالقه : لا تقديس لإنسان لهنم ، ولا سيطرة لإنسان متبوع على إنسان تابع .
وبتركيز هذا الأصل نهضت شخصيات كانت قابعة وتوارت عن محيط الجماعة الإسلامية تلك السيطرة التي أذلت رقاب مستضعفين لكبراء ، وحبست أناساً على أناس ، حتى تلاشت في غمار ذلك حريات الإرادة ، وتعثرت عقليات ربما كانت موهوبة ، والتوت عن الوجهة الصالحة أفكار ربما كانت تجدى .

بل طغت تلك السيطرة ، واستسلمت تلك التبعية ، حتى كان المستضعفون يضلون بضلال كبرائهم ، ويكفرون بكفرهم ، ثم لم يبقوا من ووطنهم هذه حتى انطوت بهم الأيام ولم يبق لهم غير ذكريات مخزبات على لسان الزمن ، ومآس فاجعات تنتظرهم يوم يعرضون على ربهم فيود المستكبرون لو تبرأوا من أتباعهم ، ويعتذر المستضعفون عن أنفسهم ، ثم يستسلم الفريقان لما قضى به في شأنهم [إناكل فيها - النار - إن الله قد حكم بين العباد] .

وإذ كان الإسلام الجديد يأبى على أمته الجديدة أن تحيا تلك الحياة الذليلة ، كان لا بد له أن يطلق الأفكار من تعاليد الرثة ، ويستخلص الإنسانية من عوائقها الوهمية ، لتسير على فطرتها إلى أهدافها السامية .

ورجعة إلى سياسة القرآن في تربيته الصالحة نراه - مع ما شرع من عبادات ، ووضع من نظم - هي بوسيلة توجيهية ، ربما كانت أقوى أثراً في تكوين الشخصية ، وأجلى مظهرها

في سلامة التفكير ، وتركيز الشعور بأن الناس في الإنسانية سواسية كأسنان المشط ، لا يرجح بعضهم على بعض إلا بقدر ما تدعو النظم الاجتماعية في حدود معينة ، تلك الوسيلة هي : اجتذاب الناس إلى ربهم بما شرع لهم من الدعاء ، والرجوع إليه في كل ما يحزبهم من شأن ، وكل ما يروق لهم من أمل .

وقد لا يكون الدعاء مبتدعاً في القرآن ، ولكنه فيه بلغ شأواً أكد وأرحب ، وما أحسب (إلا أغلف القلب) من يرى الدعاء حيلة البؤساء ووسيلة المستضعفين ، فإن الدعاء عروة وثقى ، يتعلق بها العبد فيما هو بسبيله من أعمال ، أو فيما هو قادم عليه من أهوال ، فيكون مستأنساً برعاية الله ، مطمئناً إلى معونه ، الذين آمنوا ، ونطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، ، وليس يستغنى عن حماية الله ورعايته من يعيش تحت سمائه ، وإن غفل عن ذلك الغافلون .

وما أحسب - كذلك - من يظن الدعاء في جانب الآخرة وحدها : لا في جانب الدنيا ، فإن الدنيا نعمة موهوبة من الله ، وفي الدعاء بشأن من شأنها الحلال اعتراف بالنعمة ، وتوع من الشكر يتقدم به العبد إلى ربه ، والله يحب كل أنواع الشكر ، ويريد سائر الشاكرين من فضله كما تعهد في قوله : « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم » .

وقد بلغ من شأن الدعاء عند الله - كوسيلة من وسائل التربية والتثقيف - أن الله يستحسنا عليه في كثير من آياته ، ويستهنضنا إلى عطاءه - في الدنيا : حظاً ورزقاً وتأيداً ، وفي الآخرة : عفواً ورضواناً ومثوبة - حتى ليرى الناظر إلى تلك الآيات وكثرتها أن كل دعوة مجابة ، وأن كل رجاء مقبول .

وما دامت هذه التوجهات من جانب الله في كتابه ، مع ما يؤازرها من حديث نبيه الصادق ، فهي وعود حق ، والله لا يخلف وعده مع من اتجه إليه بخالص الرجاء .

ويسهل عليك أن تراجع من الآيات ما يحضرك ليقين لك ما نحن بسبيله من خطورة الدعاء شأناً في توثيق الصلة بين العبد وربّه ، واستعانتة بالله على الدنيا .

فإنه تعالى يقول : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، وهذا إطلاق في التكليف لم يقف به عند نوع خاص من أنواع الدعاء ، فهو يشمل ما يتصل بالآخرة والدنيا جميعاً ، كما يشمل أنواع العبادة المرسومة ، فإلى ذلك إلا دعاء ضمني ، وتسييح وتكبير ، وطاعات أخرى تقول كلها إلى طلب مرضاته والتماس مثوبته ، ثم يقول : « وإذا سألك عبادي غنى فإنه قريب ، أجب دعوة الداع إذا دعان » ، وهذا استقراض قوى إلى الله بذكر قربيه

من عباده ، وأنه يجيب دعوة الداعي إذا وجه نفسه إليه ودعاه بما يدعو ، راجياً من فضله ، غير قانط ولا مدخول الثبة .

وفي مقام التدليل على ألوهيته وحده ، يقول سبحانه : [أتم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ إله مع الله ؟ قليلاً ما تذكرون] فهذا امتتان بقبول الدعاء ، وإنما يمتن الله بالشئ ذي البال ، وفيه مواجهة بوصف يعرفه العبد عن نفسه ولكنه ينسأه ، وهو أنه يفزع - حينما يتخرج أمره ، ولا تسعفه الهيلة - إلى من بيده الأمر كله فيدعوه ليكشف عنه السوء .

وكذلك يستهن الله عباده إلى دعائه ، ويملهم من أدب الدعاء ما يكفل قبوله ، ويقول في ذلك : [ادعوا ربكم تضرعاً وخفية] فالنضرع أدب في خشوع ، والخفية تجرد عن الرياء ومن لم يطب نفساً إلى دعاء ربه آخذاً بهذين الوصفين فهو معتد على مقام الألوهية ، وهو بفيض إلى الله [إنه لا يحب المعتدين] بل تأخذ الآية في توجيه الإنسان إلى سبيل أجدي عليه في الدعاء ، فتنهاه عن الفساد في الأرض : أيا كان نوع الفساد فيها ، ليكون غير محارب لربه ، وتغريه بالدعاء خوفاً من بأسه وطمعاً في فضله ، والمؤمن الحق يمش دائماً على الخوف والطمع ، والحذر والرجاء ، ومن كان كذلك فهو المحسن الجدير بما وعد الله أهل الإحسان [ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، وادعوه خوفاً وطمعاً ، إن رحمة الله قريب من المحسنين] فأن ترى أن هذه الآية تنزعك انتزاعاً من الركون إلى غير ربك ، وتدفعك دفعاً إلى رحابه الفياضة ، وكان حسبك أن الله يعلم شأنك ، ولكنه يحب نجوى عباده : ضراعة إليه ، ليرفع من شأنهم ، ووقوفاً لديه ، ليجزل من عطائهم .

وعلى هذا النمط ، تأخذ بنا الآيات إلى مواطن الأمل فيمن عنده أصدق الأمل ، فإذا قدر لنا أن نسلم وجوهنا إليه محسنين ، انجابت الوثنية في كل شكل من أشكالها ، وتقلصت التبعية المقيتة التي هي صورة من صور الوثنية ، وصارت القلوب والجوارح متجهة إلى الله وعاملة على هدى الله [ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم] .

ولئن اتضح لنا أن الدعاء - بمشروعيته ، أو بما ورد من آيات التكليف به ، وبما في تلك الآيات من وعود كريمة ، وتهديدات شديدة - سبيل مستقيمة إلى الله ، فقد يزيدنا تأكيداً من هذا البيان أن آيات أخرى جاءت بأنواع من الدعاء ، فهي نماذج واضحة تطابق كل أمل وترجيء ، وتسائر كل رغبة وتعشقها .

فهناك دعاء بالزوجات والذرية ، ودعاء بالارزاق والاموال ، ودعاء بالنصر على الخصوم ، وعدم شتمة الاعداء ، ودعاء بطول الاجل ، ونجح الامل ، ودعاء جامع بحسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة ، بل في القرآن أدعية وأدعية ، وكلها جرت على ألسنة الانبياء والصالحين الاولين . . وقص الله علينا سيرهم لتحذو حذوهم ، فندعو بما شئنا ، وبما ورتنا من أدعيتهم ، وكل هذا طيب والله طيب لا يقبل إلا طيبا [إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد] .

أما ما يكون من سفه وبذاء ، ولغو ومجون ، فانه بفيض إلى الله ، يردّه على أهله [لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ، إلا من ظلم] .

وإذ تبين لك إغراء القرآن بما يطيب من دعاء الخير فقد أفسح الله لنا في معرّضه لجعله مستساغا في كل وقت من ليل أو نهار ، وعلى أى حال من قيام أو قعود ، وإن كان بعض الأزمنة أفضل من بعض ، وبعض الامكنة أفضل من بعض ، وبعض الأشخاص أفضل من بعض ، فأوقات السحر ، وساعات الوقوف بين يدي الله ، وأما كن العباد ، ومواقف الحج أفضل مما عداها ، وكذلك الاتقياء وأهل الإحسان ، والوالدان والرحم الموصولة أقرب دعاء من سواهم ، والنبي ﷺ يقول « إن لله خواص في الأزمنة ، والامكنة ، والأشخاص » .

وبذلك يتاح لمن أراد أن يكون في معية الله ورعايته أن يجعل لسانه رطبا بالدعاء وإن كان قائما بشأنه ، أو كادحا في حياته ، أو مهجنا على الشتمون العامة . فإنها صلة القلب - إن المحب عن العزال في صمم - .

وبعد - فهل ترى الدعاء - وذلك شأنه - مجرد وسيلة عنى بها القرآن لتربية أفراد من آمنوا به ؟ لو كان كذلك لمكان شأنه أهون .

ولكن الله جعل في الأدعية تعاطفا بين القلوب ، وتجاوبا بين الشعور ، وتناصرا بالالسن ، والتقاء عند الغاية . فاذا رددته الالسن بزفرات الضراعة ، وتساعد هنا وهناك من أفراد المسلمين وجماعاتهم ، كان مظهرا للوحدة في العقيدة ، وللوحدة في الوسائل والاهداف ، وكانوا كشافهم في الصلوات ، والمناسك ، وإن أمة تتجمع قلوبها وألسنتها ، وتتحد أو تتقارب غاياتها ، لجديرة أن يستجيب الله لها ، وأن يمكن لها دينها ، ويشد من أزرها وذلك وعد الله وكم صدق الله وعده وأعز وعده ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

الحياء

الحَيَاءُ النَّبَوِيُّ

درجات الحياء - مكان الحياء النبوي منها - مثل من هذا الحياء قبل الرسالة وبعدها - عظمة هذا الحياء واتساقه مع الفضائل النبوية - حياء العبودية - حياء الإجلال والمعرفة - حياء الكرم - قيس من مكارم النبوة .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا . وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ » .
رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

العذراء : البكر ، من العُذرة ، وهي جلدة البكارة ؛ والخدر : السرو زناً ومعنى ، وأخدرت الجارية : لزمت الخدر ، وأخدرها أهلها وخدروها : ستروها وصانوها عن الامتهان والخروج لقضاء حوائجها .

حاولنا أن نبين في الجزء الماضي مكان الحياء من الإيمان ، ونحاول أن نبين في هذا الجزء مكان الحياء النبوي من الإنسان ، نعني الإنسان الكامل الذي صنعه الله على عينه ، وصاغه بيده الكريم من مكارم الاخلاق .

ومهما نبلغ الجهد من هذه المحاولة ، فلن نصيب منها إلا بمقدار ما نلم من أخلاق هذا الإنسان الكريم ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، ثم أتى عليه بقوله الحق : « وإنك لعلی خلق عظیم » .

من الحياء ما هو غرزي جبلي ، ومنه ما هو تربوي مكتسب . ويقع هذا الثاني على أنحاء ووجوه شتى ، أبانها ابن القيم في مدارج السالكين ، عشرة : حياء جنائية ، وحياء تقصير ، وحياء إجلال ، وحياء كرم ، وحياء حشمة ، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها ، وحياء محبة ، وحياء عبودية ، وحياء شرف وعزة ، وحياء المستحي من نفسه .

أجمل ابن القيم هذه الوجوه ، ثم أخذ يفصلها تفصيلا (١) .

وسنرى بعد أن نعرض طرفا يسيرا من سيرته صلوات الله وسلامه عليه ، كيف آتاه الله تعالى من الحياء الجبلي أعدله وأجمله ، ومن الحياء الكسبي - على اختلاف وجوهه - أجزله وأكملته ١٩ وكيف كان حياؤه يهيم عليه في سره وجهره ، وسائر معاملته : مع ربه ، ونفسه ، وأهله ، وعشيرته ، وصحابته ، وأمه ، منذ نشأته الأولى ، إلى أن ألحقه الله بالرفيق الأعلى ١٩ ثم كيف كان هذا الحياء النبوي المعجيب ، لا ينال من بعيد أو من قريب ، شجاعته وإقدامه ودعوته إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وغضبه لله عز وجل ، وتعليقه الحرمات لله ، وشدة غيرته على دين الله ، وجهاده للكفار والمنافقين وغلظته عليهم كما أمره الله سبحانه ١٩ .

ولئن صح ما قيل : إن الشجاع لا يكون حياء ، لأن الحياء يمت إلى الجبن بنفس - إن هذا لا ينبغي لمن جملة الله بالمكارم ، وزينه بالفضائل ، وجعلها فيه - كاملة مكملة - على اتساق وتضافر ، لا ينبغي بعضها على بعض ، ولا تنقص واحدة من صاحبها فتبيلا .

وعما لا موضع للجدال فيه أنه كان صلوات الله وسلامه عليه أعظم الناس شجاعة وإقداما ، مع أنه كان أشدهم حياء ، وأكثرهم عن العورات إغضاء .

والصواب أن الحياء وسط بين الخجل والوقاحة ، وهو من الفضائل التي تنظمها العفة - كما قال ابن مسكويه - وليس الجبن منه في شيء ، والخجل : حيرة النفس لفرط الحياء ، والوقاحة : لجأ النفس في تعاطي القبيح . . وأيا ما كان الحياء فإنه محمود ما لم يفيض بصاحبه إلى منقصة أو يحول بينه وبين مكرمة . وما كان حياء النبي ﷺ - على شدته - ليحول بينه وبين مكرمة ولا فضيلة ، بل كان على العكس من حياء الناس ، يظاهاه على الفضائل ، ويعاونه على المكارم ، في رفق وأناة ، وعلم وحكمة .

(١) راجع ص ١٤٤ ج ٢ من مدارج السالكين .

ها نحن أولاء نقرأ فيما نقرأ من معاملته ﷺ لربه وعبادته له ، أنه كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ؟ فيقال له : يا رسول الله أتكلف هذا وقد غفراقة لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ وسم هذا إن شئت حياة العبودية ، وهو مزيج من المحبة والخوف ومشاهدة التقصير في حق العلي الكبير جل ثناؤه ، وإن العبد إن جد في عبادته فهي دون ما ينبغي لجلال وجهه ، سبحانه لا نحصى ثناء عليه ، وإن شئت فسمه حياة الإجلال ، وهو حياة المعرفة ، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه ، لا جرم أنه صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بربه وأعلمهم به وأخشاهم له .

ونقرأ فيما نقرأ من معاملته للناس ، أنه لم يجابه أحداً قط بما يكره ، حياءً وكرم نفس ؛ فإذا أتى أحد ما لا يحب تغير وجهه وعرف ذلك منه^(١) . وإذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون كذا أو يقولون كذا ؟ ينهى عن الشيء ولا يسمى فاعله ، دخل عليه رجل به أثر صفرة كرهها ، فلما خرج قال : لو قلمت له يفسل هذا ! .

ولم يكن - لشدة حيائه - يثبت بصره في وجه أحد ، وكان يكتفى عما اضطره الكلام إليه مما يكره ، وما عرف عنه تصريح بمباشرة النساء قط ، اللهم إلا في حدود الله عز وجل كما في حديث الذي اعترف بالزنى وجاء إليه ليظمره بإقامة الحد ، فقال له : لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت ، فلما رآه مصراً قال : أفعلت كذا ؟ لا يكتفى . وسبب هذا التصريح الذي لا مناص منه أنه كان يدرأ الحدود بالشبهات .

وما روى ما إذا رجليه بين أصحابه قط ، وما كان في جده ومزجه فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً بالأسواق ، وما جرى بالسيئة سيئة ، ولكن كان يعفو ويصفح ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها ، وكان يبدأ أصحابه بالسلام والمصافحة ، ولا ينزع يده قبل أن ينزعها من صافحه ، وربما استوقفته الأمة أو العجوز في الطريق وكلمته فلا ينصرف قبل أن تفرغ من حديثها .

(١) لأن وجهه كالقمر ليلة البدر . وما يكرهه كالنجم يبدو عليه .

وما مست يده يد امرأة قط إلا أن تكون زوجاً أو محرماً ، وما ضرب بيده الشريفة خادماً ولا امرأة ، وخدمه أنس رضي الله عنه عشر سنين - مدة إقامته بالمدينة - فما قال له مرة : أف لا أشتى صنعته لم صنعته ؟ ولا أشتى تركته لم تركته ؟ وفي هذا دليل على كياسة أنس ونباهته وفطنته وحسن اختيار أمه لرسول الله ﷺ ، فقد قدمت به صبيّاً يتباً لا يعدو العاشرة وقالت له هذا خويدهمك أنس ، فقبله ﷺ منها ، ولم يحدثنا التاريخ - ولن يحدثنا - بمنزل ما حدثنا به من أدب هذا الخادم ، ومكارم ذلك الخدم ، ولكن كثيراً ما حدثنا أنه إذا حسنت أخلاق أحدهما ساءت أخلاق صاحبه .

• * •

وفي قصة زواجه بابنة عمته زينب بنت جحش - كما أمره الله تعالى - مثلان بليغان من شدة حيائه وكرم نفسه صلوات الله وسلامه عليه : أوحى الله إليه أن زيد بن حارثة - وكان يتبناه قبل الرسالة - سيطلق زينب ويتزوجها هو صلى الله عليه وسلم ، ليبطل الله على يديه شريعة فاسدة من شرائع الجاهلية ، وهي تحريم نكاح حليمة المتبني ، وكان زيد كثيراً ما يشكو تعاليها وترفعها عليه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول له : « أمسك عليك زوجك ، ويستحي أن يخبره بما قضى الله في شأنهما انتظاراً للأمر الفصل من الله عز وجل . وقد عاتبه ربه على شدة هذا الحياء التي جاوزت الأولى به . ولو كان صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الرحي - وحاشاه - لكم هذه الآية التي اشتدت في العتاب عليه شدة لم تبلغها شدة في القرآن الكريم كله .

وابتلى هذا الحياء النبوي بثلاثة نفر تخلفوا عن القوم الذين طعموا في وليمة زينب ، بعد أن زوجه الله إياها ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديانهم إذا قضوا منهم وطراً ، جلس هؤلاء نفر يتحدثون ويسمرون ، والنبي ﷺ يتباً للقيام ، ثم يقوم فينصرف القوم إرسالاً ، وهؤلاء في مجلسهم وسمهم لا يتحركون ! حتى تنهوا آخر الأمر إلى ترده صلى الله عليه وسلم والحياء يكسو وجهه دون أن يجرهم بكلمة ، وعلى أثر خروجهم نزلت آية الحجاب : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، الآية ، ويسمى ابن القيم هذا الضرب من الحياء حياء الكرم .

• * •

وكان صلوات الله وسلامه عليه يستحي من سألَه ، حتى ليخيل لمن يراه أن المعطى هو الآخذ ، وهذا حياء الشرف والعزة ، وهو حياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان . . حتى إن بعض الكرام لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياء منه . . وقد بلغ من حياءه هذا أنه ما سئل شيئا قط فقال لا . إما أن يجيب سؤاله أو أكثر منه ، وإما أن يرد سائله بميسور من القول إن لم يكن عنده شيء ، كذلك الذي سأله فقال : ما عندي شيء ولكن اتبع عليّ فإذا جاءنا شيء قضينا . . وكان يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة .

• • •

وأما حيائه في بيته وخلوته فحسبك أنه ما عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، وما رأى أحد من نسائه عورقة قط ، وهذه عائشة أحب نسائه إليه تقول : ما رأيت منه ولا رأى مني ، وقد طوت العورة وسترتها في تعبيرها هذا ، حياء وأدبا مقتبسين من مكارم النبوة .

• • •

ذلك طرف يسير من أنباء حياته صلى الله عليه وسلم منذ أن شرفه الله تعالى بالنبوة إلى أن ألحقه بالرفيق الأعلى ، وأما حيائه في النشأة الأولى ، فحسبنا ما حدث به أصحابه قال : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يفعلونه غير مرتين ، والله يحول بيني وبين ما أريد ؛ قلت لغلام كان يرعى معي : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى سمعت عزفا بالدخول والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر : فضرب على أذني فتمت ، فما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت ولم أقض شيئا ؛ ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أهدأ بعد ذلك بسوء حتى أكرمني الله برسالاته .

• • •

هذا قليل من كثير مما رواه النقات الأثبات من أنباء هذا الخلق النبوي العظيم ، ولكن فيه لمن أراد أن يأنس أسوة حسنة وبلاغ .

طه محمد السالك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ بَالِغِ إِشَاعَةِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ
بِقَلَمِ الْإِسْتِاذِ الْبَاهِغِ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

حَسْبُكَ الْإِسْلَامُ

غزوة السويق

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
٢٥ رجب - ٢٧ أكتوبر

كانت في اليوم الخامس من ذي الحجة في العام الثاني من الهجرة - نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يس النساء والطيب حتى ينزوي النبي صلى الله عليه وسلم - ثم إنه خرج في مائتي راكب من مشركي قريش لير يمينته، فنزل على مسافة بريد من المدينة، وأتى بني النضير ليلا يريد دار حبي بن أخطب فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له . فجاء إلى سلام ابن مشكم سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له . واجتمع به ، ثم خرج إلى أصحابه فبعث رجالا منهم إلى المدينة فخرقوا نخلها ، ووجدوا رجلا من الأنصار - قيل أنه معبد بن عمرو - وحليفاهم (الأنصار) فقتلوهما ثم انصرفوا واجمعين .

نفرج النبي صلى الله عليه وسلم يطلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار، فجعل أبو سفيان وأصحابه يخفون للهرب يالقاء جرب (جمع جراب) السويق . فإخذه المسلمون وذهبوا فلم يدركوهم ، والسويق القمح أو الشعير يغلى ثم يطحن :

تأن (ابن حرب) لست في مثلها جلدا	قصاراك (١) أن نرتد حران أو تردى
هي الغارة الحرى ، فإن شئت فأنعلق	وإن شئت فاقعد وأنخذ مضجعا بردا
جلا السيف في (بدر) لأمينك ماجلا	وأبدي لك النصر الموزر ما أبدى (٢)
حلقت : لئن لم تأت (طية) غازيا	لتجبتين الطيب والخرد الملدا (٣)
أنغزو (رسول الله) أن هد بأسه	من الكفر سدا ما رأى مثله سدا ؟

(١) القصارى : التعب والفاقة .

(٢) النصر للموزر : البالغ الشدة .

(٣) الخرد الإبطار والخفوات من النساء ، والله : للناعيات .

كذلك وعد الله لو كنت مؤمناً
جری طيركم نحساً (يدير) ولن تروا
أمضك^(١) وجد متلف من (محمد)
رويداً هداك الله . إنك لن ترى
أراك غررت القوم إذ رحمت موجفاً^(٢)
ذهبت تقود الجند يالك قائدا
نحاول نصرا من (حيي بن أخطب)
رددت عن الباب الذي جئت طارقا
وما نلت خيرا إذ أنيت (ابن مشكم)
بعثت على التخل الرجال ، فلم تدع
شيت بهم نارا ترى لحيها
فوارس واحوا خيفة في سيوفهم
يصيرونها شتى الجنى وكأنا
تولوا سراعا بعد مقتل (معبد)
علما من الفر الميامين فتية
دعاهما (الرسول المجتبي) فكأنا
مضى ومضوا إثر السراحين ترمى
فلما رأى الجند استطار ولم يجد
يصيح بجند السوء : ألقوا بزادكم

لايقت أن الله لا يخلف الوعدا
لكم ما عبتهم غيره طائرا سعدا
ولست (أبا سفيان) إن لم تزد وجدا
له في الوعى إن هجته للوعى ندا
تخادعهم عن حلفة لم تكن جدا
وبالآلى سبقوا إلى (يثرب) جندا
و (صاحبه) هيات زدت المدى بعدا
فبالك سهما ما ملكت له ردا
و كنت امرأة أعمى الهوى ، لا يرى رشدا
لنفسك عزا تبغيه ، ولا بجدا
بعينك يكي (الضال) أو يضعك (الزندا)^(٣)
فما وجدا سيفاً ، ولا صادفوا غمدا
يصيرون من أعدائهم معشرا لدا^(٤)
و (صاحبه) والخليل تتبعهم جردا^(٥)
تبادر ورد الموت ، قلنس الخلدا
دعا عاصفاً صعباً يهد القوى هدا
الى (شيخها)^(٦) مذعورة تنق الأسدا
من الأرض يسوى في مسارها بدا
وفروا خفا ، لا يكن أمركم إذا^(٧)

(١) مضه الامر وأمضه . أحزنه حزنا بالغا .

(٢) أوجف الرجل الفرس ونحوه يوجب أى يعدو ويسرع .

(٣) الضال والزند : نوعان من الشجر البرى ، قيل والاول الدر ، وهما مما ينبت في أرض الحجاز .

(٤) من العدد وهو شدة الخصومة .

(٥) من الجرد وهو قصر النمر : صفة محمودة في الخيل .

(٦) أبو سفيان .

(٧) الاد : الدامية ، والامر للسكر الفظيح .

وطاروا شعاعاً^(١) (السويق) وراهم
 هم رفدوهم كارهين ، ولو وفوا
 اليك (ابن حرب) ان للحرب جذوة^(٢)
 هي النصر ، أوعاد من الموت واقع
 فررت تخاف الفقد في حومة الوغى
 أنى الحق أن لا تعبد الله وحده
 سبيلان شتى ، أنت لا بد عالم
 رجعت مفيظاً لم تل وتر هالك
 قصد (قريش) عنك عما كذبتها
 قل الحق — ما للعالمين سكةينة

ركام^(٣) الى أعداء أربابهم يهدى
 بأيمانهم كانوا لأسياهم رفداً^(٤)
 إذا هيجت ذا نجدة رادها وقدأ^(٥)
 بكل كفى ، لا مفر ، ولا معدى^(٦)
 بأيدي الالى يستعذبون بها الفقد
 وتسجد (للعزى) تكون لها عيداً ؟
 اذا ما استبنت الرشد أيهما أهدى
 ولم تشف غيظاً من ذوبك ولا حمدا
 ومنيتها — يا طول همك لو أجدى
 على الأرض حتى يعبدوا (الواحد الفرد)

ترجمان الشافعى

لما مرض الإمام محمد بن إدريس الشافعى (رحمه الله) مرضه الذى مات فيه ، قال لمن
 كان عنده :

« إذا أنا مت ، فقولوا لفلان يغسلنى »

فلما توفى وأبلغوا كلمة الشافعى إلى ذلك الرجل قال : اتتوني بتذكرته . فجئى بها فوجد
 فيها على الشافعى سبعين ألف درهم دينا لفلان وفلان ، فكتبها الرجل على نفسه وقال :
 « هذا هو الغسل الذى أراده » .

(١) متفرتين .

(٢) الركام : الشيء المتراكم بضه فوق بعض .

(٣) الرفد : المطاء ، ورفده : أعطاه .

(٤) الجذوة : القطعة من الحجر لا تنطق . حتى تصير رماداً .

(٥) مصدر من وقدت النار إذا اشتعلت .

(٦) مصدر ميمي من عدا الأمر إذا جاوزته وانصرف عنه .

مَوْهَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ السِّيَاسِيَّةُ

في مثل هذا الشهر من العام الماضي^(١) كتبت مقالا تحت هذا العنوان بينت فيه شيئا مما يدل على سياسة النبي صلى الله عليه وسلم الرشيدة التي ساس بها الناس جميعا أفرادا وجماعات ، أصدقاء وأعداء . وأن هذه السياسة كان مبعثها الرحمة والرفق ، ومرماها النظر البعيد العميق ، وأساسها المعرفة الشاملة الدقيقة بطبائع النفوس وغرائزها وانفعالاتها .

وما كان لمقال أن يفي بنواحي هذا البحث الملتصع الذي تآثرت خرزاته هنا وهناك في ثنايا السيرة المحمدية ، وها أنذا أتابع الكتابة فيه حتى ينظم العقد ، وتصبح الحقيقة بجولة سافرة .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة على تعدد فطرتهم وطبائعهم واختلاف أهوائهم ومشاربهم وتباين أخلاقهم وأفكارهم . ومن وكلت إليه هذه المهمة الشاقة فلا بد أن يتسع عقله لمقول الناس جميعا وطبيعته لطبائع الخلق ، وأخلاقه لما تباين من أخلاق الناس ، ولا عجب إذا كان الله أعطاه من رجحان العقل وسعة القلب ورحابة الأخلاق ما جعله أهلا لأن يسوس أحوال الناس الخاصة والعامة على خير ما تكون سياسة ، وقد أوفى رسول الله في هذا الباب على الغاية واستولى على جوانب الحكمة^(٢) ، وقد كانت تلك خصيصي لرسول الله لم يبلغ شأره فيها أحد من صفوة صحابته على ما بهم من ذكاء وحدة ذهن ، حتى من كان منهم ملهما محدثا ، روى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ، ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي : ولا أجملت . فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال : نعم ، جزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال عليه السلام إنك قلت ما قلت وفي

[١] عدد ربيع الأول لعام ١٣٧٢ من هذه المجلة الثراء .

[٢] ذكر القاضي عياض في [الشفاء] عن وهب بن منبه وهو من علماء أهل الكتاب « رأيت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأياً . وفي رواية أخرى : فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط الناس من بدء الدنيا إلى اقتضاها من العقل في جنب عقله إلا كعكة ومل من بين ومال الدنيا » .

نفس أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك . قال : نعم . فلما كان الغد أو العشي جاء فقال : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى ، أكذلك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال عليه السلام : مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبها الناس فلم يريدها إلا نفورا ، فناداهم أصحابها : خلوا بيني وبين ناقتي ، فإني أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ، أليس في هذه القصة أكبر دليل على أنه صلى الله عليه وسلم نسيج وحده في سياسة الخلق ، والخبرة بأحوال النفوس والطبائع ؟

وكثيراً ما كان لهذه السياسة الحكيمة أثرها في تأليف الناس واستئناسهم إلى الدخول في الإسلام . روى أن زيد بن سبعة جاء إلى رسول الله قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه ، فيخذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطل . فاتهره عمر وشدد له في القول ، والنبي ﷺ هادئ يبتسم ، فقال رسول الله لعمر أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي . ثم قال : لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر بقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه . ترى ماذا كانت العاقبة ؟ لقد أسلم الرجل وحسن إسلامه ، وازداد يقيناً بما جاء في وصفه ، وأن ما ساس به النبي ﷺ زبداً لشيء فوق العدل ، فالعدل أن يأخذ حقه إذا حل أجله وأن لا يزيده شيئاً ، وأن يقاد منه ما صنعه بالنبي ﷺ . وليس ترويع عمر له بأعظم من جبهذه ثوب النبي وإغلاظه القول له ، ولكنها سياسة ذى الخلق العظيم .

وفي سرية من سرايا أسرى المسلمين ثمانية بن أثال الخنفي من عظماء بني حنيفة — وهم لا يعرفونه — وأتوا به إلى رسول الله أسيراً ، ففرقه رسول الله وعامله معاملة كريمة ، وأبقاه عنده ثلاثاً عرض عليه فيها الإسلام عرضاً كريماً ، فأبى ، فأطلق سراحه .

فإذا كان من ثمانية ؟ لقد استرق هذه المعاملة ، فذهب واغتسل ثم عاد مسلماً مختاراً وقال : يا محمد ، والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى . والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلى من دينك ،

فقد أصبح أحب الدين كله إلى . والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، فقد أصبح أحب البلاد إلى . . وقد كان لهذه السياسة الرشيدة مع ثمامة أثرها البعيد في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فقد آلى على نفسه أن لا يرسل لقريش شيئا من حبوب اليمامة حتى يسلبوا ، فجدوا جهداً شديداً ولم يجدوا بداً من الاستغاثة برسول الله ﷺ بما جبل عليه من رحمة وشفقة ، وكتب إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين ميرتهم ففعل . ولما ارتد أهل اليمامة ثبت ثمامة ومن اتبعه من قومه على الإسلام ، وصار ينهى المرتدين عن اتباع مسيلة ويقول : « إياكم وأمراً مظلماً لا نور فيه ، وإله لشقاء كتبته الله عز وجل على من أخذ به منكم ، وبلاء على من لم يأخذ به منكم ، ولما لم يجد معهم النصح عزم على مفارقتهم ، وخرج هو ومن تبعه ، وانضموا للعلاء بن الحضرمي مدداً له ، فكان ذلك مما فت في عهد المرتدين .

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون لقتاله بقيادة سيدهم الحارث بن أبي ضرار سارع بغزوم ، فزهم في عمر دارهم ، وسبى منهم كثيراً من الرجال والنساء والذرية ، وغنم مالا وفيرا ، وكانت في السبي السيدة جويرية بنت الحارث فوكت في سهم أحد المسلمين فسكنته على نفسها فجاءت إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوكت في سهم لثابت بن قيس أو لابن عم له فسكنته على نفسه ، فحشنتك استعينك على كتابتي . هنالك تجلت الحكمة وقوة العارضة ، وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البدية ما لم يفعله غيره بعد اختيار الرأي . إن بنى المصطلق من أعز العرب داراً وأكرمها أحساباً ، وأسر نسائهم وذرائعهم بهذه الكثرة مما يشق على النفوس الآلية ويبقى فيها جرحاً لا يندمل ، فإذا يكون الأمر ؟ لقد تفتق العقل الكبير عن همل بارع رد بسية على بنى المصطلق سببهم ، واستعادوا به كرامتهم . فقال لها الرسول الذي يستشف ما وراء الحجب : قول لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله ، قد فعلت . وخرج الخبر إلى المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقالوا : أصهار رسول الله نسترقهم ؟ لأن يكون . فأرسلوا كل ما بأيديهم . قالت عائشة رضي الله عنها . فاقعد أعتق رسول الله بتزويجه إياها أهل مائة بيت من بنى المصطلق ، فما رأيت امرأة أعظم بركة على قومها منها . وروى الواقدي عن جويرية أنها قالت : فأعتقني رسول الله وتزوجني . والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون

هم الذين أرسلوهم . وما شمرت إلا بجارية من بنات عمى تخبرني الخبر ، فخدمت الله تعالى .
ويأمر هذا العمل الكريم قلوب بني المصطلق ، فأسلموا عن بكرة أبيهم ، وأخلصوا
للإسلام كل الإخلاص .

ومن المثل الرائعة في باب السياسة المحمدية الفذة التي اشجرت فيها الآراء وأشكل الأمور ،
ولم يستتب وجه الحكمة فيها على بعض الصحابة رضوان الله عليهم حتى صاحب الموافقات
الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ما حدث في صلح الحديبية . ففي السنة
السادسة من الهجرة خرج رسول الله ﷺ معتمراً ومعه خلق كثير ، وقد ساقوا الهدى
أمامهم إيذاناً بأنهم لم يربدوا حرباً . فصدّم المشركون عن البيت ، وعسكر الرسول وأصحابه
عند الحديبية ، وجاءت رسل قريش فأبان لهم الرسول عن قصده وأنه جاء معتمراً لا محارباً .
فتشبّث المشركون بموقفهم ، وبدأت المفاوضات بين الفريقين ، وانتهت بصالح الحديبية
المشهور ، وكانت شروط الصالح :

(١) وضع الحرب بين المسلمين والقرشيين بضع سنوات .

(٢) وأن من جاء المسلمين من قريش بغير إذن وليه يردونه عليهم ومن جاء
المشركين من المسلمين لا يردونه عليهم .

(٣) ومن أحب أن يدخل في عهد النبي ﷺ فليدخل ، ومن أحب أن يدخل
في عهد قريش فليدخل .

(٤) وأن يرجع المسلمون من طامم هذا ، فإذا كان العام القابل دخلوا معتمرين
وليس معهم من السلاح إلا السيوف في القرب .

وقد راعى النبي ﷺ في إنفاذ هذه المعاهدة المساواة ، فقد دعا سيدنا علياً رضي الله عنه
ليجي عليه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال مهيل بن عمرو - مندوب قريش - لأعرف
هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم . فأمر علياً أن يكتب كما قال . ولما قال : اكتب هذا
ما صالح عليه محمد رسول الله مهيل بن عمرو ، قال مهيل : لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك
ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فأمر رسول الله علياً أن يقول : « رسول الله » . ويكتب
« محمد بن عبد الله » ، فأبى ، فأخذ رسول الله الصحيفة وكتبها ، ومن يدري لولا هذه المساواة
لما تم الصلح ، ولما غنم المسلمون هذا الغنم الكبير من هذه المعاهدة .

وقد أغضب بعض المسلمين بعض هذه الشروط ولا سيما الشرط الثالث ، حتى قال الفاروق عمر للصدیق أبی بکر : أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال عمر : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال عمر : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال فلماذا أعطى الدنية في ديننا ؟ فقال الصدیق الأعظم رضی الله عنه : يا عمر ، الزم غرزك ، فإنی أشهد أنه رسول الله حقاً . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ولم تهدأ نفس عمر - وهو الشديد في الحق - حتى أتى النبي ﷺ فقال له مثل ما قال للصدیق ، فقال له ﷺ : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني .

وقد أفصح رسول الله عن السر الذي سهل له قبول هذا الشرط المجحف في نظر البعض ، فقال : إنه من ذهب منا إليهم فأبدهه الله ، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فسيجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً ، وصدق رسول الله ، فالإسلام في غنى عن يرتد عليه ، فلا تمسك به ليس من الحكمة في شيء ، إذ سيكون كلا عليه . وأما من رد إلى المشركين وكان مخلصاً في عقيدته فلن يثنيه عنها تهديد أو إغراء ، وهان عليه في سبيلها العذاب والبلاء .

وقد صدقت الأيام والحوادث بعد نظر النبي صلوات الله وسلامه عليه في قبول هذا الشرط الذي غدا وبالا على المشركين ، فقد جاء أبو جندل بن سهيل بمجمل في قيوده إلى المسلمين - وممداد صحيفة العهد لم يحف بعد - فأخذ أبوه بتلاييه وهو يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين يفتنون في ديني ١٩ فقال له رسول الله : يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً . إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهداً ، وإننا لا نغدر بهم . وتمر هذه الحادثة ويعود المسلمون إلى المدينة فيأتهم أبو بصير . عتبة بن أبي أسيد التيمي فاراً بدينه فأرسلت قريش في أثره رجلين يطلبانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أتردني إلى الكفار يفتنونني في ديني بعد أن خلصني الله منهم ١٩ فقال له : . إن الله جاعل لك ولإخوانك فرجاً ومخرجاً . فلم يجد بداً من الرجوع مع صاحبيه . وفي الطريق عند ذى الحليفة تحايل على أحدهما حتى أخذ سيفه فضربه به حتى برد ، وفر الآخر حتى أتى رسول الله وقال : قتل صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد - والله - أوفى الله ذمتك وقد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال له : اذهب حيث شئت

ولا تقيم بالمدينة . فخرج حتى أتى سيف البحر حيث تمر تجارة قريش ولم يلبث أن لحق به أبو جندل وغيره ممن أسلم من قريش حتى تكونت منهم عصابة قطعت على قريش تجارتها ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم في التنازل عن هذا الشرط ، وأن من جاءه منهم فهو آمن .

وهكذا تكشف الأيام عن سياسة النبي الحكيمة ، وعلم المتألمون أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعظم بركة من رأيهم ، وأن الله جعل لهؤلاء — كما قال الرسول — فرجا ومخرجا . ولو أن رسول الله سار مع من كانوا يرون أن هذه الشروط مجحفة . ولم يعمل على المساهلة عند كتابة الشروط ، لضاعت على المسلمين ثمار شبيهة هم كانوا أحوج إليها في بناء صرح الإسلام ، ألم يكن في قبول الصلح على هذه الشروط متنفس للدعوة الإسلامية ، فدخل الناس فيها أفواجا من كل فج ، وقد آمنوا على أنفسهم ودينهم وأموالهم ؟ بلى ، وليس أدل على ذلك من أن المسلمين في الحديبية كانوا بضع عشرة مائة ، وفي فتح مكة كانوا عشرة آلاف . ولو أن النبي ﷺ لم يقبل هذا الشرط الذي لم يرض عنه البعض ، فهل يتحدث الناس أن محمداً يرغم من يرتد عن دينه إلى الرجوع إليه ، ثم أليس في معاهدة القرشيين للنبي ﷺ اعتراف منهم بالنبي وأصحابه وأنهم أنداد لهم وعدول ، لا قوم نازرون صابرون ؟ واعتراف بكيان الدعوة الإسلامية وسلطانها في الجزيرة ، وبحق المسلمين المشروع في زيارة البيت والتمتع بما حوله ؟ بلى وإن صلح الحديبية كان بعيد المدى في تاريخ الإسلام وما فتح مكة إلا ثمرة من ثماره . ويرحم الله الصديق حيث يقول : ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية ، ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل بهجة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أرادوا ليس أدل على هذا الفتح من شهادة الحكيم العلام ، فقد أنزل على نبيه ﷺ مرقمه من الحديبية قوله سبحانه وتعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، وقد تليج لها صدر النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال : لقد أنزلت على الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » .

هذا ولا يزال في باب السياسة المحمدية الحكيمة فصول عسى أن أعود إليها في مناسبة أخرى إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهرة

الأستاذ بكلية أصول الدين

دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ

بين الدين والسياسة

- ٢ -

وسبب آخر كان يدعو البعض إلى الحكم بالفسق أو الكفر ، غير مجرد ترتيب الآثار الشرعية في قبول رواية المحكوم عليه أو رفضها ، وذلك هو الغلو والحماة والحمية التى تأخذ البعض أحيانا .

فقد قالت طائفة من الصحابة : حبط عمل عامر بن الأكوع إذ ضرب نفسه بسيفه فى الحرب ، فأكذب النبى ﷺ ذلك . وعمر قد قال : دعنى أضرب عنق حاطب فقد نافق ، فأبطل رسول الله ﷺ ذلك . وثبت فى الصحيح أن أسيد بن حضير قال لسعد بن عباد : إنك منافق تجادل عن المنافقين . وكذلك ما نقل من تكلم عمار فى عثمان إذ قال : لقد كفر عثمان كفره صلاء ١١ فأنكر الحسن بن على ذلك ، وكذلك على نفسه وقال له : يا عمار أنك كفر برب آمن به عثمان ؟؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة : « وقد تبين من ذلك أن الرجل المؤمن الذى هو ولى الله قد يعتقد كفر الرجل المؤمن الذى هو ولى الله ، ويكون خطأ فى هذا الاعتماد ، ولا يقدح هذا فى إيمان واحد منهما وولايته (١) » .

فهذا الغلو الذى يأخذ البعض بحسن نية قد ينقل الحكم من الخطئة أو النصيب إلى التكفير أو تقرير الإيمان . وهذا يزيد ويتفاقم عند الكثيرين من لا يتصورون صورة واقعية للجمع المثلئ ، وتظل الفضائل عندهم خيالات لا يمكن أن تتحقق إلا فى عالم الأحلام ، أو فى الملا الأعلى عند من لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، أو فى روضات

الجنات حيث لا يسمع الناس لغواً ولا تأثيماً . وقد تتحقق هذه الصور في بعض النماذج البشرية من أولى العزم ، ولكن لا يمكن أن تكون قاعدة مطردة في دنيا : كل بني آدم فيها خطامون ، وخير الخطائين التوابون .

ولقد كان من دارت عليهم رحى الفتنة أمثال هؤلاء . قال السيد محب الدين الخطيب في حواشيه الى علقها على كتاب « المواعظ من القواصم » للقاضي ابن العربي : « الذين شاركوا في الجناية على الإسلام يوم الدار - أى يوم مصرع عثمان ذى النورين (رضى الله عنه وجازى بمده من إقباح دمه الطاهر الشريف) طوائف على مراتب : فيهم الذين غلب عليهم الغلو في الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا في إنكارها الموبقات » (١) .

والباحث إذا تجنب الغلو فلن ينزلق في مهاوى تكفير المسلمين ، وتجريح العدول الأكرمين . قال ابن حزم : « وأما من أقدم على ما يعتقد حللاً فما لم يتم عليه في تحرجه حجة فهو معذور مأجور وإن كان مختئاً ، وأهل الأهواء معتزلهم ومرجئهم وزبيهم وإباحيهم بهذه الصفة إلا من أخرجه هواه عن الإسلام الى كفر متفق على أنه كفر » (٢) كما قال أيضاً ، وكذلك النائب من الكبائر ومن الكفر أيضاً فهو عدل ، وليس هذا من باب ثبوت الحد عليه في شيء ، لأن الملامة ساقطة عن النائب ، والحد عنه غير ساقط ، على حديث معاذ - فإن النبي ﷺ رحمه بعد توبته وأمر بالاستغفار له ونهى عن سبه » (٣) .

بل إن العدل والإنصاف يقتضى منا ألا نعتبر الحكم بفسق واحد ورد قوله طرداً له من رحمة الله ، فلنستأثر كيف كانت خاتمة ، ولا سيما أن أصول الفقه تعتبر التجريح يغلب التعديل لأنه علم زائد عند المجرم لم يكن عند المعدل . فرب شخص نقل عنه ما يجرح وما يعدل ، ولم نستطع تبين أن عدالة لاحقة لجرحه وأنه ناب ، فهو عندنا مردود — في حدود علمنا — وعند الله مقبول . ومن عدله عدل وجرحه عدل فهو ساقط الخبر . . . فلا خلاف في أن كل من جمع عدالة ومعصية فأطاع في قصة وصلى وصام وزكى ، وفسق في أخرى فزنى أو شرب الخمر ، أو أتى كبيرة ، أو جاهر بصغيرة ، فإنه فاسق عند جميع الأمة

(١) المواعظ من القواصم - ص ٥٨ هامش .

(٢) الاحكام - ص ١٤٩ .

(٣) للصدر نفسه ص ١٤٧ .

بلا خلاف ، ولا يقع عليه اسم عدل . ولو لم يفسق إلا من تمحض الشر ولا يعمل شيئاً من الخير لما فسق مسلم أبداً ، لأن توحيدة خير وفضل وإحسان وبر . وفي صحة القول بأن فينا عدولا وفساقا بنص القرآن . ورضاً وغير رضا ، بيان ما قلنا . ولو أخذنا بالتعديل وأسقطنا التعرج لكننا قد كذبنا المجرح وذلك غير جائز ، ^(١) .

فأنت ترى أن الحكم على شخص بالفسق يحتمل معه للحكوم عليه الفضل ، فربما تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض جميعاً لكفتمهم ولم يأتنا ذلك ، ولربما غفر له الله ما تقدم من ذنبه ولم نعرف . وصدق ابن حزم : « ولنا في الدنيا غير أحكام الآخرة » ، ^(٢) .

وبين الذين ابتغوا الحكم على عقائد الرجال ليقدروهم حق أقدارهم في أخذ هذا الدين عنهم ، وبين الذين اندفعوا إلى الحكم على عقائد الرجال حمية وغيرة ، أندس فريق ليست لهم مثل هذه النيات الحسنة ، وأولئك هم أهل الأهواء الطائفية كاليهود ، والشعوبية كالفرس ، والمصيرية كالعبيد من القبائل في تنازعها ، والمذهبية كما حدث بين الفرق .

وهؤلاء زادوا الخرق انساعاً ، ولم يتقوا الله ولم يخشوا عواقب الكذب والزور والفتنة وإطلاق اللسان بالباطل . ومن هنا جاءت كتب التاريخ مشحونة بأقوال المبطلين ، إنما ليجمع المؤرخ كل الروايات ويترك الباطل منها يكشف عن نفسه بوهن سنده ومثته : ولما لبس المؤرخ على الناس الأمر إذا كان من أهل الأهواء . وتلقف المستشرقون هذه الأباطيل ، وتعدلوا طريق البحث ، ولم يتذوقوا خاصية العلم الإسلامي في الرواية والإسناد . - إلا القليل منهم - فاستوى عندهم الحق والباطل ، وأضافوا إلى ذلك دخيلة حقد على الإسلام ودولته وتاريخه في نفوسهم ، ودعوى منهج تحليلي يكذبون به على الحقائق ، ويستنتقون السطور بما لا تنطق به ، ويزعمون أن هذا ما وراء السطور ، فأحالوا تاريخ الأمة التي عرفت في جاهليتها بالبساطة والصراحة والشهامة ، وعملها الإسلام الوضوح في القول والعمل ، والسر والعلن ، والحرب والسلام - أحالوا ذلك التاريخ إلى تاريخ

(١) المصدر نفسه ص ١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه - ص ٢٠٠ - ص ٨٥ .

مؤامرات ودسائس ، تجعل من خيام العرب في الصحراء ، قصوراً لها من مكاييد البلاط ما عرفته أوربا ١١

ومن هنا كان لابد من (غربلة) التراث الإسلامي ، على طريقة من كتبوه بمعرفة السند المعتل من الصحيح ، وتبين الحق من الباطل ، لا على طريقة المستشرقين وتلاميذهم ممن فتنوا بتصنيف أحداث التاريخ على هوامم قبل تصحيح المادة التاريخية نفسها . ويحتاج منا هذا إلى ألا نضيق (بالدين) كما حدث أحياناً للسيد رفيق العظم حين شاهد الإسراف في الحكم على الرجال بالكفر أو النفاق أو الفسق ، ولا ننظر إلى تاريخ المسلمين كأنه (سياسة) يستباح فيها أي قول وأي حكم ، بل يحتاج هذا منا إلى أن نقف الموقف الوسط العدل الصحيح ونقدر الدين قدره ، ونعرف أن أمانة الدين تدعو إلى أمانة العلم وهي محدودة مشكورة .

يقول القاضي أبو بكر بن العربي في خاتمة تحقيقه لمواقف الصحابة بعد النبي ﷺ :

« إنما ذكرت لكم هذا لنحترزوا من الخلق ، وخاصة من المفسرين والمؤرخين وأهل الآداب ، فإنهم أهل جهالة بحرمان الدين ، أو على بدعة مصرين . فلا تبالوا بما رويوا ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا للمؤرخ كلاماً إلا للطبري (١) ، وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر ، فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقاق الصحابة والسلف والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم ، وخروج مقاصدهم من الدين إلى الدنيا وعن الحق إلى الهوى .

فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول سلمتم من هذه الخبائيل ولم تطورا كشحاً على هذه الفوائل . ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل ، أو مبتدع محتال . فأما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصحابة رسماً في كتاب الإمامة والسياسة إن صح عنه جميع ما فيه (٢) ، وكالمبرد في كتابه الأدبي . وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المنتقم في أماليه ، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة . وأما المبتدع المحتال فالمسعودي ، فإنه يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك ، وأما البدعة فلا شك فيه ...

(١) بالطريقة التي وصفت في مقالة (تاريخ الأمم والملوك) في ص ٢١٠ - ٢١٥ من مجلة الأزهر

في سنتها للناضية .

(٢) ولم تصح نسبة الإمامة والسياسة إليه وهو من هذا الكتاب يرى .

وهذا المأمون كان يتول بخلق القرآن وكذلك الواثق وأظهروا بدعتهم ... وهذا أشد من برودات أصحاب النواريج من أن فلانا الخليفة شرب الخمر أو غنى أو فسق أو زنى . فإن هذا القول في القرآن بدعة أو كفر - على اختلاف العلماء فيه - وهذه المعاصي لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها ، فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المغنين والبرّاد من المؤرخين الذين قصدوا بذكر ذلك عنهم تهليل المعاصي على الناس ، وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا وساعدتم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم في مثل أفعالهم ، حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وحتى سمحوا للجاحظ أن تقرأ كتبه في المساجد وفيها من الباطل والكذب والمناكير ونسبته الأنبياء إلى أنهم ولدوا غير رشدة كما قال في إحدى عليه السلام في كتاب الضلال والنضال ، وكما مكثوا من قراءة كتب الفلاسفة في إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم في ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة ... وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم في دينار بل في درهم إلا عدلا بريئا من النهم سليما من الشهوة ، فكيف تقبلون في أحوال السلاف وما جرى بين الأوائل من ليس له مرتبة في الدين فكيف في العدالة ^(١) .

التعديل والتجريح ، ثم الحمية والغيرة ... ثم الاتراء والهوى ، هذه العوامل الثلاثة في نظري هي التي أدت إلى أن يحد السيد رفيق العظم ما يحد في نفسه وفي الكتب ، ثم يقول ما يقول ^(٢) .

إن تاريخنا الإسلامي يحتاج منا إلى جهد جهيد ... يحتاج منا إلى نشر مكتبتنا نشرأ جديداً محققاً مفهرساً ، وبحاجة منا إلى مفاتيح منهجية ، تكون كشفاً بين يدي هذا التاريخ في الرواية والرواة ، وفي التعديل والتجريح ، وفي تحديد صورة الفرد المسلم ، و المجتمع المسلم ، و الدولة المسلمة ، حتى يكون ذلك في أيدينا ونحن بصدد تقديم التفسير الإسلامي

(١) المواسم : ص ٢٤٧ - ٢٥٢ - راجع الحوائثي أيضاً فإن فيها بيان طريقة الطبري في التأليف وإثبات أن الإمامة والسياسة كتاب منحول لم يكتبه ابن تينية ، وعلاقة للبرد بالخوارج ، والمسدودى بالنيمة .

(٢) زد على ذلك أن كتباً كثيرة من كتب الأقدمين لم تطبع إلا بعد تأليفه كتابه ، ولو كانت في متناول اليد يومئذ لا يفتنح بها .

للتاريخ ، فلا نغفط أقدار الرجال أو المجتمعات أو الدول ولا نبغض حظها من الإسلام ، ولا نغلو في هذا الحظ تأثراً بالبريق والدلمان . . . وتستطيع أن تقارن بين القلة المؤمنة التي أصابها القرح في أحد ، وبين الكثرة المنتصرة من المنتسبين للإسلام أيام الخلافة العثمانية على أبدي الانكشارية والدلائية في آسيا وأوروبا ، لتعرف كيف يكون الميزان عند أهل الإيمان .

وإن التاريخ اليوم في منهجه الحديث « تاريخ حضارة » . . . وإن تاريخنا بهذه النظرة هو « تاريخ دعوة » لا مجرد « تاريخ دولة » . . . فنحن نحتاج إلى من يتعقب هذا التاريخ في صفوف الشعوب لا في مقاعد الحكم وحدها .

فتتصل حلقات الداعين إلى الله على بصيرة منذ ترك محمد صلى الله عليه وسلم هذا المسكان العظيم لورثة الانبياء ، على اختلاف الزمان ، واختلاف المسكان .

نحن نحتاج إلى الكثير ، حتى لا يخطئ « الكثير » في فهم الإسلام وتاريخه ، وحتى لا يقول البعض ما قاله كتاب وزارة المعارف للسنة الثانية الثانوية « أهم مميزات الدولة الأموية أنها كانت سياسية أكثر منها دينية ، فكان كثير من خلعاها لا يهتمون كثيراً بالدين بل كان بعضهم غير مكترث بالشعائر الإسلامية يدمنون الخمر وينهلون بالصيد ، ١١١ بل إن كتاب المعاهد الدينية الثانوية فيه كلام كهذا الكلام .

ويا ليت في هذا الباطل سبة لمسلك فرد ، ولكنه سب لشعب بأسره ، ترك الدين ، وغذل حلياً ، وقبل السياسة ، ومكن لمعاوية . ١١١

فأى شعب هذا الذي قيل عنه هذا ؟؟ إنه ليس شعب الرط أو الفجر أو الهنود الحمر أو زنوج استراليا . إنه شعب الإسلام ، وجيل الصحابة والتابعين ، والأمة المثالية التي كافأها الله بلشر دعوة الإسلام تحت راياتها في أنحاء الأرض .

فاللهم رحماك ، ومغفرتك لما لا نعلمه من حق الذين سبقونا بإحسان ، وحق الإسلام الذي يراد أن يحكم ضده — إذ يحكم ضدهم لأنهم ثمرته ونتيجته ؟

محمد قنمى محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

غزوة بدر الكبرى

ميدان الاستراتيجية — والتكتيك — والفن الحربي

— ٢ —

تعليمات القائد :

بعد أن عدل النبي ﷺ صفوف المسلمين قال : إن دنا القوم منكم فانضحوم بالنبال (أى ادفعهم عنكم بالنبل) واستبقوا نبلكم (أى لا ترموها على العدو وهو بعيد) ولا تسلوا السيوف حتى يفشوكم .

وبتحليل هذا الامر نجد النقط المهمة الآتية : —

(أ) تأخير قذف السهام من النبال حتى يقرب الاعداء .

(ب) منع استعمال السيوف إلا إذا أصبح العدو قريباً جداً منهم . وقد ناقشنا هذا الامر في بداية بحثنا ، وانتهينا إلى الإعجاب بمحمد رسول الله ﷺ الذي لم يتعلم الحرب ولا درس فيها في أى مدرسة عسكرية ، ثم يصدر تعليمات حربية تطابق تماماً الاصول الحديثة في استخدام الأسلحة .

فإن من المبادئ الحديثة في الدفاع كبت الزيران إلى اللحظة التي يصبح فيها العدو في المدى المؤثر لهذه الأسلحة ، وهذا ما عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : استبقوا نبلكم ، وذلك ليضمن تماماً ألا يطيش من سهامهم .

أما السلاح الأبيض فهو بطبيعة الحال سلاح القتال بدأ ليد ، والذي لا يلجأ إليه إلا إذا أصبح العدو وسط القوات . وهذا ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : ولا تسلوا السيوف حتى يفشوكم .

الروح المعنوية :

لما بدأ القتال بين المسلمين وقريش أشفق النبي ﷺ على رجاله الثلاثمائة الذين يقاتلون قرابة الألف من المشركين ، فتوجه إلى ربه دعياً بكل جوارحه ، وظل مقبلاً على

الدعاء حتى أنزل الله قوله تعالى : «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون ، .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجاله وقال لهم «والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، .

ألهب هذا الحديث نفوس المسلمين ، وزادهم قوة في الروح المعنوية وإيماناً فوق إيمانهم . ويجدر بي أن أبين أن هذه الروح المعنوية للمسلمين كانت في أرقى مراتبها ، لأن المسلمين كانوا يقاتلون عن إيمان وعقيدة ، يقاتلون بصدق في سبيل مبدأ آمنوا بسلامته ، وآمنوا بأن له حق الانتشار ، وأدركوا أن عليهم واجبا مقدسا ألا وهو المحافظة عليه من خطر قريش الذين آذوهم بشتى صنوف الإيذاء ، وأخذوا منذ ظهور الإسلام يعذبون كل من أسلم ويذلون كل ما في وسعهم لمحاربة هذا الدين . هذه الروح المعنوية التي تأتي صادقة عن إيمان بالرسالة هي أرقى مراتب الروح المعنوية .

ونأخذ مثلاً من الأمثلة العديدة لارتفاع روح المسلمين المعنوية ، فإنه لما سمع حمير بن الحمام قول النبي صلى الله عليه وسلم كان في يده بعض التمر يأكله ، فقال : أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلى هؤلاء ؟ وقذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، وما زال يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه . وماك مثلاً آخر ، فإن قطبة بن عامر رمى حجراً بين الجيش وقال : لا أفر إلا إن فر هذا الحجر . وذلك دليل على عزمه الأكيد على الثبات في عمله حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً .

بل هناك ما هو أقوى وأغرب ، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان من المشركين ، وفي ذلك يقول الله تعالى : «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، .

الفناسة :

وفي خلال المعركة أمر بعض المسلمين بتوجيه كل منهم لاصطياد زعماء قريش وساداتها من بين صفوف الأعداء واستئصالهم ، وهذا هو كما نعلم صميم عمل الفناسة الذين نعرفهم والذين يوجهون اهتمامهم لاصطياد الأشخاص الرئيسيين في جيش العدو كالضباط وغيرهم من تحدث بقتلهم صدمة لجيشهم وارتباك .

وإذا كانت القاعدة الحديثة في اختيار هؤلاء الفئاة هي المهاراة في الرماية ودقة الملاحظة ، فإن المسلمين زادوا عن ذلك بأن اختاروا لهذا الواجب من كان بينه وبين أحد زعماء قريش ثأر قديم ، أى زادوا ما يمكن أن نسميه الرغبة المصلحية أو الشخصية في القتل ، فقد اختاروا بلالا مثلاً لا صطياد أمية بن خلف وهو من كبار قريش وكان يتفنن في تعذيب بلال بسبب اعتناقه الإسلام في أيام ظهوره ، فكان يأخذه إلى الصحراء في القيظ ويضعه على ظهره ويضع صخرة عظيمة على صدره ليرجع عن إسلامه ، ولكن بلالا كان يردد قوله المشهورة « أحد أحد » . وكذلك اختاروا ابن العفراء لقتل أبي جهل لمثل ذلك .

اقتصار جيش الإسلام :

انتهى القتال برجعان كثرة المسلمين على قتلهم العددية ، ولكن يرجع السر في النصر إلى الروح المعنوية البالغة أرقى درجاتها ، فقد كان المسلمون يقاومون عن عقيدة يؤمنون بها أشد الإيمان .

وقد خسرت قريش ٧٠ قتيلًا و ٧٠ أسيرًا ، وولى الباقون الأدبار . واستشهد من المسلمين أربعة عشر ولم يؤسر منهم أحد .

معاملة القتلى والأسرى :

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتقل قتلى قريش من مكان المعركة إلى مكان منقطع منخفض يسمى بالقليب ودفنهم فيه ، ولقد كان من المعتاد في هذه الأزمنة أن يمثل المنتصر بجثث عدوه المغلوب بقصد التشفي . ومن طرق التمثيل بالقتلى جدد الأنف وصلم الأذن وبقمر البطن وغيرها ، ولكن النبي الكريم وضع الأسس الكريمة لمعاملة قتلى العدو فأمر بدفنهم ، ولم يفعل ما اعتاد الناس فعله في هذا الزمن .

أما الأسرى فقد استقر رأى المسلمين على أخذ فداء منهم نظير إطلاق سراحهم ، وكان على المسلمين أن يقودوا أسراهم تحت الحراسة إلى المدينة حتى يفنديهم ذروهم ، وقد وضع لنا النبي صلى الله عليه وسلم القواعد الكريمة في معاملة الأسرى فقال لا صحابة - بعد أن فرق بينهم الأسرى ليحرسوهم - ، استوصوا بهم خيرا ، فنفذ المسلمون أملياته .

ولنستمع في ذلك إلى أسير من قريش اسمه أبو عزيز بن عير يقول « كفت في ردط

من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدموا غذاءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله لإياهم بنا ، ما نفع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحن بها فاستجبي فأردها على أحدهم فيردها على ما يسها .

هذه شهادة شاهد منهم تنطق بما لاقاه من حسن المعاملة وهو في الأسر .

الغنائم :

أخذ المسلمون بعد انتهاء المعركة يتساءلون عن مرضوع الغنائم التي بلغت ١٥٠ من الإبل و ١٠ أفراس و متاعاً وثياباً وطعاماً كثيراً كان المشركون قد حملوه للتجارة .

انقسم المسلمون ثلاثة أقسام :

- (أ) قوم جمعوا الغنائم فقالوا : نحن جمعناها فبى لنا .
- (ب) وقوم طاردوا العدو فقالوا : نحن أحق بها ، فلولانا ما جمعتموها .
- (ج) وقوم كانوا يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما أنتم ولا هم أحق بها منا ، وكان لنا أن تقتل العدو وتأخذ المنافع .

أمر النبي ﷺ بجمع الغنائم ، وأقام عليها حارساً ، وبدأ يوزعها تنفيذاً لقوله تعالى (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) .

كان المدل الثام أساساً للتوزيع ، فلم ينس من استشهد في المعركة ، بل أمر بنصيبه لورثته . وجعل حصة لمن لم يشهد المعركة من تخلفوا في المدينة والجواسيس ، وأذكر منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد .

وهكذا جعل النبي ﷺ لكل من ساهم في المعركة سواء بالقتال أو بجهود لصالح القتال نصيباً من الغنائم .

ولا يخفى ما لتوزيع الغنيمة من أثر على روح المقاتلين المعنوية . وحبذا لو حدث ذلك في أقرب فرصة ، ولذة النصر لاتزال في أشدها ، كما حدث في هذه الغزوة .

خاتمة

وبعد فهذه غزوة بدر الكبرى أولى غزوات جيش الإسلام ، وقد نادى فيها محمد ابن عبد الله قائد جيش المسلمين في محراء العرب بمبادئ وأساليب جديدة بالبحث وقينة بالإعجاب والتقدير .

١ — فقد أبرز أهمية القضاء على قوة العدو الاقتصادية وجعلها لا تقل أهمية عن القضاء على قوته العسكرية وتلك هي الاستراتيجية الصحيحة .

ب — وأبرز مبدأ الشورى ، وأن القائد الحكيم هو الذى يستشير ويستفيد من خبرة الخبراء كما يستفيد من شجاعة الشجعان .

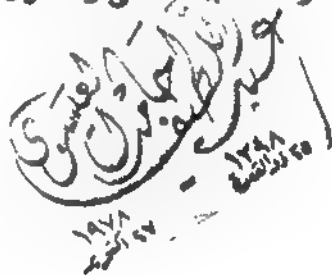
ج — تعليمات القائد بكتب النيران .

د — الروح المعنوية وأرق مراقبها .

هـ — استخدام الجواسيس والقناصة وقواعد اختيارهم .

و — معاملة القتلى والأسرى من الأعداء .

محمد جمال الدين محفوظ
بوزباني أركان حرب



حكم عربية

• ما تكلمت في الغضب بكلمة ندمت عليها في الرضا .

• ورق المجلى

• رب غيظ نجرته مخافة ما هو أشد منه .

• الاخف بن قيس

• الالهى من يرى بغير عينه ، والأصم من يسمع بغير أذنه .

شوق

نشأة كتب الأمان خصائصها أمان الشباب الخفاجي

الخفاجي هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري .

وهو يرجع نسبه إلى قبيلة (خفاجة) وسكن أبوه سرياقوس قرية من قرى الخانقاه .
وقد ترجم الشهاب نفسه في آخر كتابه (ربحانة الألبا) فقال : كنت في سن التمييز في مفرس طيب النبات عزيز ، في حجر والدي ، تمتعاً بذخائر طريقي ونالدي ، فلما درجت من عشي ، قرأت على خالي سيويو زمانه علوم العربية ، ثم ترقيت فقرأت المعاني والمنطق وبقية علوم الادب الإثني عشر ، ونظرت كتب المذهبين : مذهب أبي حنيفة ، والشافعي .
ومن أجل من أخذت عنه شيخ الإسلام ابن شيخ الإسلام الشمس الرملي ، قرأت عليه شيئاً من صحيح مسلم ، وأجاز لي بذلك وبجميع مؤلفاته ومرياته بروايته عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري .

ومنهم الملامة خاتمة الحفاظ والمحدثين إبراهيم العلقمي قرأت عليه الشفاء بنامه . ومنهم العلامة في سائر الفنون علي بن غانم المقدسي الحنفي ، حضرت دروسه وقرأت عليه الحديث وكتب لي إجازة بخطه .

ومن أخذت عنه الادب والشعر شيخنا العلامة أحمد العلقمي ، والعلامة محمد الصالح الشامي .
ومن أخذت عنه الطب الشيخ داود البصير .

ثم ارتحلت مع والدي الحرمين الشريفين وقرأت ثمة على الشيخ ابن جرافه العصام وغيره .
ثم ارتحلت إلى قسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت منهم وتخرجت عليهم . وأجلهم أستاذي سعد الملة والدين بن حسن أخذ عن خاتمة المفسرين أبي السعود العباري .

وكان لما وصل إلى الروم في رحلته الأولى ولي القضاء ببلاد روم إيلي حتى وصل إلى أعلى مناصبها ثم في زمن السلطان مراد توصل حتى اشتهر بالفضل الباهر ، فولاه السلطان قضاء سلا نيك فحصل بها مالا كثيراً ، ثم أعطى بعدها قضاء مصر .

أخذ عنه جماعة اشتهروا بالفضل ، من جللتهم العلامة عبد القادر البغدادى صاحب الخزانة
أما آثاره العلمية فكثيرة منها :

١ — الريحانة واسمها (ريحانة الالبا ، وزهرة الحياة الدنيا) يقول فيها : « هذه ذخائر
من خبايا الزوايا ، فيما فى الرجال من البقايا ، وهى تراجم أدبية واسعة لشعراء القرن
الحادى عشر وأدبائه وعلماؤه فى مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب .
وقد بنى الخفاجى الريحانة على التراجم ، ولكنه توسع فى تراجم الشعراء فشرح أقوالهم
ونقد ما يستحق النقد منها - وهو كتاب أدب وتاريخ جليل الفائدة .

٢ — شفاء الغليل ، بما فى كلام العرب من الدخيل .

صدره بمقدمة فى التعريب وشروطه ، ثم أورد الكلمات المعربة مرتبة على حروف
المعجم وبين أصلها فى لغاتها الأولى ، وكان يأتى بين هذه الألفاظ بكثير من المحرف والمولد ،
مع الإشارة إلى أصلها . غير أن به أوهاماً تدل على عدم معرفة الشهاب باللغات التى أسند
إليها الألفاظ كالفارسية - والحبشية - والرومية .

٣ — شرح درة الغواص ، فى أوهام الخواص . وهو نقد شديد للحبرى فى درته
تعمقه فى كل ما أورده فى درة الغواص ، ورد عليه بحجج وشواهد قوية تدل على سعة
اطلاعه وغزارة علمه .

٤ — طراز المجالس . وهو كتاب (الأمالى) الذى سنفصل الحديث عنه .

٥ — حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ، سماها « عناية القاضى ، وكفاية الراضى ،
على تفسير البيضاوى وهى خير كتبه وأخصبها وأظهرها دلالة على فضله وروعة تحقيقاته .

٦ — شرح شفاء القاضى عياض ، وسماء ، نسيم الرياض ، فى شرح شفاء القاضى عياض ، .
وللخفاجى ديوان شعر منه نسخة خطية بخط المؤلف فى الخزانة التيمورية .

توفى رحمه الله تعالى لثنتى عشرة خلت من شهر رمضان سنة تسع وستين وألف ، وقد
أناف على التسعين ، فرحم الله الشهاب رحمة واسعة كفاه علمه وخصوبة بحثه وشمول فضله .
طراز المجالس :

وهو مجموع مجالس رتبة على خمسين مجلساً ، قال فى مقدمة هذه الأمالى : « فهذه بنات
فكر زفتها إليك ، وأمالى مجالس أمليتها عليك ، بما تقر به عين الأدب ، ويتحلى بذوقه

لسان العرب . لو رآها ابن الشجرى لقال هذه ثمرات الالباب ، أو ابن الحاجب لقام بين يديها من جملة الحجاب ، أو ثعلب لراغ عما أملاه ، أو الفالى لهجر ما أملاه وقلاه . أو دعنها مالا يبلى على مرور الحقب ، وهل يصدأ مكنون الذهب .

فأنت ترى من هذه المقدمة أن الشهاب كان معجباً بنفسه مفتخراً بجمهده ، وليس أدل على ذلك مما جاء في خاتمة هذه المجالس حيث قال :

« هذه أبكار معان لم يشعر بها شاعر ، ودرر لم يفص في بحارها خاطر ، إلا أن بها أمرا حميدا ، ومبدأ ساميا ، وهو إهداؤه لها إلى ساكن طيبة محمد سيد الرسل الكرام صلوات الله عليه فالشهاب لم يقدم أماليه إلى ملك أو أمير ، ولم يرفعها إلى وال أو خليفة ، بل قدمها حسبة إلى خاتم الانبياء والمرسلين ، مما يدل على صدق إيمانه وعظيم تقواه .

ولا عجب فللشهاب قصائد عدة في مدح الرسول ﷺ . منها مقصوده التي عارض بها مقصورة ابن دريد ، إلا أن ابن دريد كان قالها يمدح بها الشاه بن ميكال ، والشهاب قالها يمدح بها محمد رسول الله ﷺ ، وللشهاب أيضاً ميمية عارض بها ميمية زهير بن أبي سلمى . والذي يظهر لى أن هذه المجالس إنما ألّفها الشهاب تقليداً للقدماء ، وجرباً على سنن الأئمة السابقين ، ولا أحسب أنه كان يعقد لها مجلساً أو يحدد لها يوماً .

وهو قد تناول فيها مسائل من علم الكلام ، ومسائل من علم الأصول والفقه ، ومطالب في علوم المعاني والبيان ، ومشاكل في علم الإعراب والنحو . ثم هي تضم في ثناياها جملة من الأمثال ومقطوعات من الشعر وشرحا لدقائق من اللغة . وأسلوبه فيها أن يفتتح المجلس بقوله .

سألت أقر الله عينك . أو سألت أكرمك لله ، أو سألت حماك الله . وأحياناً يترك هذه الافتتاحات ويأخذ في الموضوع من غير هذه الديباجة .

وهي أيضاً تمتاز بالنقل عن كتب نادرة ، مثل كتاب (النعاقب) لابن جنى ، و (الامالى) لابن الحاجب ، وكتاب (استطالة الفهم) للجاحظ .

وهذا أمر يسير متى علمنا أن مكتبة الشهاب قد حوت ما يزيد على عشرة آلاف مجلد .

ومن خير مجالسها المجلس الثانى الذى تسلم فيه على « التضمين » ، والمجلس الحسنون الذى ناقش فيه ابن حزم .

وسنكتفى بأن ننقل صورة لهذا المجلس لخطورته فى الدلالة على قوة عارضة الشهاب وصدق إيمانه وسعة عقله .

المجلس الحسنون :

طلعت كتب أبى محمد بن حزم ، فوجدته يمشى على غير الجادة ، فىأتى بأورثاها الطباع السليمة مع كثرة اطلاعه ، وطول بابه ، وفيها فوائد جليلة وعوائد جميلة .

فمن فوائده رحمه الله ما ذكره عن رجل من البصرة يسمى أحمد بن حائط المعتزلى تليذ النظام وتليذه أحمد بن يانوس ، ذكر أن له آراء فاسدة فيها رائحة لنقيصة الأنبياء وبعض الصحابة .

ثم ساق الشهاب مناقشة ابن حزم لأقوال ابن حائط .

وقال ابن حزم فى كتاب الملل والنحل :

إن فرقة من المبتدعة تقول إن نبينا ﷺ ليس هو بعد موته بنى ورسول . وهذا قول ذهب إليه الأشعرية وأبو سليمان الباجى ومحمد بن حسن بن فورك الأصهبانى ، وبسببه قتله بالسهم محمود بن سبكتكين . وهو قول مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة من ابتداء الإسلام إلى يوم القيامة .

ثم ساق رد ابن حزم على ابن حائط المعتزلى . غير أن الشهاب عقب على قول ابن حزم فقال :

إن فيما ذكره ابن حزم أمورا .

أما ما ذكره من أن رسالة النبى ونبوته باقيان بعد موته فهذا مما لا شبهة فيه ، لكن نسبة ضده للأشعرية غير صحيحة ، لأن السبكي ذكر أنه لم يقل به أحد منهم .

وأما ما نقله عن الباجى وابن فورك فلا يعلم حاله نفياً وإثباتاً ، لأنه كلام يقتضى أنه لم يقل به أحد حتى الكرامية . وتفصيله فى الطبقات .

ومن المجالس التى ظهرت فيها شخصية الشهاب المجلس الحادى والعشرون :

المجلس الحادى والعشرون :

قوله عز وجل : « فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » .

قال ابن الحاجب في الأمالى ما ملخصه :

فيها إشكالان :

الاول أن قوله (أن تفضل) وقع تعليلا لاستشهاد (المرأتين) ، والظاهر أن العلة التذكير .

والجواب أن العلة في الحقيقة هي التذكير ، لكن عادة بلغاء العرب أنه إذا كان لأمر علة ولعلته علة ، قدموا علة العلة وعطفوها عليها بالغاء لتحصل الدالتان بعبارة واحدة نحو (أعددت الخشبة لأن يميل الحائط فأدعما) ولو قيل إن الميل والاضلال هو السبب لم يبعد على حد (قعدت عن الحرب للجبين والخوف) على أن هذا هو الباعث لاعداد الخشبة ولتعدد المرأتين في الشهادة لا على أنه علة غائية .

الإشكال الثاني أنه أتى بالظاهر وهو (إحداهما) الثانية والمقام يقتضى الإضمار وأن يقال (فتذكر الأخرى) .

والجواب أن أصل الكلام (أن تذكر إحداهما الأخرى عند ضلالها) فقدم وأخر لما مر ، واقتضى ذلك أنه لا يقال إلا على ما عليه النظم ، لأنه لو قيل (أن تفضل إحداهما فتذكرها الأخرى) وجب عود ضمير المفعول على الضالة كقولك (جاء رجل وضربته) فالجائى هو المضروب وهو محل بالمعنى ، لأنها قد تكون الآن ضالة في الشهادة ثم تكون ذاكرة في زمن آخر ، والمذكورة هي الضالة . فإذا قيل فتذكرها الأخرى لم يفد ذلك لتعين عود الضمير إلى الضالة . وإذا قيل فتذكر إحداهما الأخرى كان مبهما في كل واحدة منهما ، فلو ضلت إحداهما الآن وذكرتها الأخرى فذكرت كان هذا داخلا في الكلام ، ولو انعكس الأمر والشهادة بعينها في وقت آخر اندرج أيضاً تحته لأن قوله (فتذكر إحداهما الأخرى) غير معين .

ولو قال فتذكرها الأخرى لم يستقم أن يكون متدرجا إلا على التقدير الاول . فعلم أن العلة هي التذكير من إحداهما للأخرى كيفما قدر وإن اختلف ، وهذا لا يفيد إلا ما ذكرناه ، فوجب أن يقال (فتذكر إحداهما الأخرى) . وهذا الوجه الثاني هو الذى يصلح أن يكون جاريا على الوجهين المذكورين أولا ، وأنه في التحقيق هو الذى وجب لأجل مجيئهما ظاهرين .

وأما الوجه الذى قبله فلا يستقيم إلا على التقدير الاول ، لأن الثانى جعل الضلال هلة ، فلا يستقيم حينئذ أن يقال إن أصله (أن تذكر إحداها الأخرى بضلالها) مع أن الضلال هو العلة . فثبت بما ذكرنا وجوب بحى الآية على ما هى عليه ، ولو غير إلى المضمر اختل المعنى واخص ببعضه . انتهى .

قال الشهاب :

أقول هذا الكلام مع تعقيد فيه ما يكدر موارد الأفهام . وحاصل ما قاله أن (إحدى الأولى هى الضالة أى الناسية المعينة ، والثانية غير معينة ليشمل النظم من يضل فى وقت أو حال أو بعض من المشهود به وتذكر فى غير ذلك فإنه قد يتفق مثله ، وهذا هو المراد . فلو أتى بالضمير لم يفده فليس هذا من وضع الظاهر موضع المضمر ، ولا من التكرار فى شئ .

وعلى هذا فقوله تذكر إحداها الأخرى إحداها فاعل والأخرى مفعول ، وهو يحتمل أيضا أن يكون إحداها فاعلا والأخرى صفة والمفعول مقدر أى تذكرها إلى آخره . ويحتمل أيضا أن إحداها مفعول مقدم والأخرى فاعل وفيه تكلف ، وهو حينئذ من وضع الظاهر موضع المضمر وعلى ما قبله ، والذى اختاره ابن الحاجب ليس كذلك كما مر . ثم إنه يرد على ما فى الأمالى أن لا يكون التفريع صحيحا ، لأنه لا يترتب على ضلال واحدة معينة إلا تذكير أخرى معينة . وأما تذكير واحدة ما لامرأة ما أخرى فلا . وسماجته أظهر من أن تذكر .

والحق عندى أن (إحدى الأولى هى الخلة بشئ من الشهادة) والثانية هى المذكرة لها ولهذا وصفت بالأخرى ، والأصل تذكرها إحداها الأخرى ، وعدل عن تذكرها الأخرى مع أنه أوجز وأظهر لاقتضاء الجزالة والمقام له فإنه قد يتوهم أن التقصير فى إحدى الشهادات محل بهما وكذا تلقينها للأخرى مما يوم ضرره كتلقين أحد الشاهدين الممنوع شرعا .

وأشار بعنوان المرأة بأنها إحداها إلى أنها مرضية وإن كان هذا ووصفها بالأخرى إشارة إلى مغايرتها الأولى دفعا للبس وهى مع المضلة كشيء واحد فلا يضر تلقينها . ولذا استنبط الفقهاء أعزم أنه لا يفرق بين المرأتين فى الشهادة كالرجلين ، وما أشار إليه ابن الحاجب من الصور داخل فيه .

عبد الوهاب محمود

طُرُوقُ اللَّحْنِ عَلَى اللِّغَةِ

واللحن هنا الخطأ في الإعراب قال ابن أسماء .

وحديث أئمة هو ما تشبهه النفوس بوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا نا وأحلى الحديث ما كان لحنا

د تلحن أحيانا ، فسرہ الجاحظ في كتابه البيان والتبيين د ص ١٤٧ ج ١ ط لجنة
التأليف والمشر ، بأنها تخرج على الإعراب في حديثها مسaire لسليقتها وإرسالا للنفس
على سجيئها .

ورده عليه رجال من العلماء باللغة ذاهبين إلى أن معنى اللحن في البيت التورية
في الكلام ، من لحن له إذا قال له قولاً يفهمه منه ويخفى على غيره ^(١) فأراد الشاعر أن هذه
المرأة تارة تنكلم بكلام واضح يفهمه جميع من سمعه ، وأخرى تخرج من التصريح إلى التلويح
ليفهم من تريد لفهامه وحده ، أمالي القالي ج ١ ص ٨ ، سمط اللآلي ج ١ ص ١٧ ، الفائق
للزحشرى ج ٢ ص ٥٦ ط حلي ، فهو كقول القطامي يصف سحر الحديث وأثره في نفوس
المحبين وما يجري بينهم من الدلائل الدالة عندهم :

يقتلنا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه بادی
فمن يفتن من قول يصن به مواقع الماء من ذى الغلة العصادی

واللحن بمعنى التورية كثير في كلام العرب ^(٢) من ذلك قول السيد الرسول لسعد
ابن معاذ وسعد بن عباد ائتيا بنی قريظة فإن كانوا على العهد فاعلنا بذلك ، وإن كانوا قد
نقضوا ما بيننا فالحنا لی لحنا أعرفه ، ولا تفتنا في أعضاء المسلمين د ج ٨ ص ١٩ رغبة الآمل ،
وبيت مالك بن أسماء يحتمل المعنيين معاً وربما كان ما ذهب إليه الجاحظ أقرب

[١] المجلة - وما كوشف الجاحظ بذلك اعترف بخطأه ، فقبل له : وملا صححه ، فقال ، كيف
وقد سارت به البغال إلى أنحاء الأرض .

[٢] وقد ألف فيه ابن دريد صاحب الجهرة كتاباً مستقلاً اسمه [الملاحن] طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة

إلى المراد ، لأنه يصف مجلس شراب وغناء ويحمد من الجارية في مغنى اللهو أن تخلط جداً بهزل وتمزج إعراباً بإعجام وتبعد قليلاً عن لغة الخفض والرفع ، فذلك أشبه بدلهاء ، وأخرى أن يظهر مواطن الجمال فيها .

والعرب قبل اختلاطها بالآعاجم كانت صحيحة المطلق جارية على طبيعتها من الإعراب ، فلما امتدت الغزوات وكثرت السرارى في البيوت وامتزجوا بغيرهم من الأمم فسدت سلاتقهم ودب اللحن في كلامهم وعظم الخطب فيه . وهم يحدوثونا أن من البلغاء وأبناء الخلفاء من كان يلحن .

روى المبرد في كامله د ج ١ ص ١٩٦ ، أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فقال : لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك . فقال : بئس والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين . فقال : إن خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى فقال له خالد : أنا أكفيك . فدخل خالد على عبد الملك — والوليد عنده — فقال : يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين مرت به خيلى ابن عمه فعبث بها وأصغره — وعبد الملك مطرق — فرفع رأسه وقال : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، فقال خالد : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً . فقال عبد الملك : أتى عبد الله تكلمنى ، فوالله لقد دخل على فما أقام لسانه لحناً . فقال خالد : أفدلى الوليد تقول ؟ فقال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان . فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد فقال الوليد : اسكت يا خالد فوالله ما تعد فى العير ولا فى النغير . فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، فن العير والنغير غيرى ؟ جدى أبو سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة ابن ربيعة صاحب النغير . ولكن لو قلت : غنيمات وحييلات والطائف ورحم الله عثمان ، لقلتها : صدقت .

هذه المحاوره تعطينا أن رجلين من الامويين أرباب البيان نشأ فى ظل الخلافة وغذا بلبان الملك كانا يلحنان . والامثلة تتكاثر فى هذا الباب فإن أردت المزيد منها فارجع إلى كتاب البيان والتبيين ولا سيما الجزء الثانى منه فقد عقد الجاحظ باباً للحن وعده فيه كثيراً من اللحانين . من ذلك أن الوليد صلى يوماً الصبح بالباس قمرأ : يا ليتها كانت القاضية ، (وضم تاء ياليتها) ، فسمعها عمر بن عبد العزيز فقال : ياليتها واسترحنا منك . ومما

أخذوه على الحجاج قرامته أحب بالرفع في قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتمسكوا حتى يأتي الله بأمره » . (الجنى طبقات ص ٩ ، ابن النبارى نزهة ص ٩٩ ، ياقوت ارشاد ص ٢٩٦) .

وذكروا من اللحنين في عصر بنى أمية عبيد الله بن زياد والحسن البصرى وغالداً القسرى وابن صفوان^(١) . وفي الجزء الرابع من رغبة الآمل أن خالد بن صفوان كان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن ، فلما كثر ذلك على بلال قال له : أتحدثني أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقالات ؟ فكان خالد يأتى المساجد ويتعلم الإعراب ، على أن غالداً هذا كان آية في الفصاحة وكان الحجاج منقطع النظر في البيان العربى وهم يقولون إن أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل الشعبي وعبد الملك والحجاج وابن القرية . وظنى أن أخبار لحنهم قد تزيد فيها خصومهم ليحطوا من أقدارهم فزادت في أخطارهم ، ولولا أن الأحاديث في الوليد بلغت مبلغاً من الكثرة والاختلاف في الرواية لما سوغنا اللحن على الحجاج وأضرابه ممن كانوا يعتبرون أئمة البيان ويتبومون صدور ديوان المحسنين في اللغة وآدابها ، إلا إذا قلنا : إن اللحن طراً على الطبقات العليا في عصر بنى أمية ، وقد يجوز أن تقع من الحجاج وأمثاله هنوات في لحظة من لحظات السهو والغفلة ففى الرواة عليهم هذه السقطات لأن لحنه البليغ بلغاه مشهورة ، على أن الذى لاشك فيه هو أن اللغة في أواخر هذا العصر طراً عليها وهن أصاب في الصميم مادتها وهدد بالمسخ صورتها .

لقد كان عمر بن الخطاب بعيد النظر ثاقب الذهن نافذ البصيرة حين أمر الغزاة ألا يتخذوا في البلاد المفتوحة دوراً ولا ضياعاً حتى تظل أخلاق العرب ولغتها بعيدة من الاضطراب ، وحتى لا تفرق هذه الفئة في غمرات الاعاجم .

ولكن أكان هناك سبيل إلى عزلة تامة شاملة تكون كمها حريزاً للطبائع العربية ولهجائها ؟ لقد أخبرت الأيام أن هذا في حكم المحال ، وأن هذه الظروف كانت لابد منها ، لأن الرق أكثر من السرارى في بيوت الطبقة الحاكمة فنشأ من الامهات الاعجميات

(١) المجلة - وإنما ذكروا ذلك لقراءة اللحن من مثل هؤلاء ، وكان يقال عن الحجاج والحسن البصرى أنها أفصح القرويين (أى المتحضرين) .

فاشئة تنزع في كلامها إلى لمكنات أعجمية ^(١) ويصعب عليها أن تقول فتعرب . ولأن هؤلاء الأعاجم دخلوا في دين الله أفواجا ، فلم يعض مائة عام من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى غلب الإسلام في كل بلد دخله الفاتحون ، وهؤلاء المسلمون الجدد يشق عليهم أن يقلدوا أهل البادية في طرائق تعبيرها من غير أن يتعشروا في الطريق ، وأن تنقاد لهم السنن من غير أن تنزع إلى ما كانت عليه ، وتاريخ اللحن قديم يرجع إلى ما قبل الإسلام إذا سلمنا بما يقوله الرواة ، ووجد في أيام النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الموالى والمنعربين الذين دخلوا في الإسلام ، ولكنه لم يكثر إلا بعد انتشار العرب في الأمصار الأعجمية فأحس العقلاء بحاجة ملحة إلى وضع النحو وضبط قواعد اللغة ، ويكادون يجمعون على أن أبا الأسود الدؤلى أول من وضع أصوله بإرشاد الإمام على ، ويذكرون أنه سمع قارنا يقرأ : إن الله يرى من المشركين ورسوله ، بالجر فوضع باب العطف ، وأنه سمع ابنه يقول : ما أحسن السماء (برفع أحسن) ؟ فقال : نجومها . فقالت : إنما تعجبت . فقال : افتحي فاك . ووضع باب التعجب . ثم جاء من بعده تليذه عنبسة بن معدان المهرى . ثم ميهون الأفرع . ثم عبد الله الحضرمي . ثم هيسى بن همر الجرمي . ثم الخليل بن أحمد الفراهيدي العالم المنقطع النظير في علوم العربية كلها ، وعنه أخذ سيويي ، فشكل أصوله وأكثر فروعه واستشهد عليه وألب كتابه في النحو فجاء غاية في الحسن والإحسان ، وإماما مرضيا لا يجد طلاب العربية معدلا عنه ولا يبدلا منه .

على أن النحو وحده وإن همم من الزيغ في الإعراب لم يعصم من الزيغ في القراءة ، فاضطروا إلى شكل الحروف وإعجام المتشابه منها حفظا لكتاب الله أن يقرأ على غير وجهه . ذلك أن القرآن في عهد الرسول لا خوف عليه من الزلل فيه ، لأن الرسول يرد الشارد إلى الخطيرة ويأخذ بيد الضال إلى الجادة ، كذلك في عهد الراشدين لتوفر عنايتهم على تناقله وضبط ألفاظه ، فضئت عهودهم والناس لا يقترون في قراءته إلى شكل ولا إعجام . ثم وضع أبو الأسود نقطة لتمييز الحركات فالفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة أسفله والضممة بين يديه ، وهذا هو المعبر عنه بالشكل . وكان يكتب بالمداد الأحمر مخالفا للون الخط . وفي دار الكتب المصرية مصحف كوفي مشكول على هذه الصفة وجد في جامع عمرو

(١) المجلة : ومن الأمثلة على ذلك عبيد الله بن زياد ، فقد طرأت اللمكنة عليه من قبل أمه ، وهي لمكنة في مخارج الحروف لا في صفة الإعراب .

وهو من أقدم المصاحف المعروفة ، وكانوا يستحسنون الشكل في القرآن ويستهمضونه في غيره ولم يكن الخواص في حاجة إليه ، وكانوا يقولون : شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه .

فأما الإجماع فهو تمييز الحروف المتشابهة في شكلها كالجيم والحاء والباء والتاء والتاء ، والفرض منه حماية القرآن من التصحيف فيه ، فإن الحجاج لما رأى الناس يقرأون كثيراً من كلمات التنزيل مصحفة فزع إلى كتابه أن يضعوا علامات تمييز الحروف المتشابهة ، ودعا نصر بن عاصم وبجي بن يعمر فأدخلوا هذا الإصلاح على الخط العربي بعد معارضة شديدة من بعض معاصريهم ، ولكن سيف الحجاج كان حذراً فاصلاً ، فقبل الناس الإجماع وعمموه ، ونجا الخط العربي من فوضى التشابه ، وحفظ القرآن من التحريف فيه . والفضل في ذلك لأبي الأسود وتلاميذه ، ولخلفاء بني أمية ولولا أنهم الذين حاربوا اللحن بكل سلاح مستطاع ، وشجعوا العلماء وبذلوا لهم كل نفيس .

وبعض مؤرخي الآداب يرى أن أبا الأسود نقل قواعد النحو من السريانية لفروض افترضها ومشابهات نفسها ، وكلها تموزها الحجة ويردها النظر الصحيح ، ومهما كانت فلا في الأسود وتلاميذه الأيادي البيضاء على العربية وعلموها ، فجزاهم الله خير ما يجزي به عباده العاملين ؟

عبد الفتى سماعيل

أستاذ في كلية اللغة

الأخلاق

قال روزفلت أحد رؤساء الولايات المتحدة : صحيح أن الذكي قد يعمل في بعض الشئون أكثر وأفضل مما يعمل رجل الخلق ، كما أن صاحب القوة الفطرية الذي يدرب قد يتغلب على الضعيف المدرب — مهما كانت عزيمة هذا قوية وقلبه قلب أسد — ولكنك لن تجد في أغلب معارك الحياة الكبرى قيمة للذكاء الفطري أو السكال الجسدى توازى قيمة تلك الفضائل الإيجابية أو السلبية التي تسمى « الأخلاق » ،

عقد التأمين

في التشريع الاسلامي

— ٢ —

٨ — هذا عن ولاء الموالاة في التشريع الإسلامي ، أما من الأساس القانوني الذي اعتمد عليه في القول بوجود هذا الولاء في المجال التشريعي الحالي ، ووجوب تدخل المشرع للاعتراف به ، والتوفيق بينه وبين التطور القانوني الوضعي الحديث ، فالقول فيه يتلخص في أن عقد ولاء الموالاة هو صورة حية من صور (عقد التأمين Contat d'assurance الشائع والمعترف به قانوناً هي صورة (التأمين على المسؤولية Assurance de responsabilité) ولفهم ذلك يمكن التعرض لبعض الشيء لهذا العقد وهذه الصورة .

٩ — يعرف عقد التأمين بوجه عام بأنه عملية يحصل بها أحد الطرفين ، وهو المستأن أو المؤمن له L'assuré على تعهد لمصلحته أو لمصلحة غيره في نظير مقابل مالي ، ويتعهد فيها الطرف الآخر وهو المؤمن L'assuré بدفع عوض مالي في حالة تحقق خطر معين ، أى بتحملة تبعه بمجموعة من المخاطر^(١) .

ولعقد التأمين أركان أربعة : أولها : الخطر ويشترط فيه أن يكون حادثاً احتمالاً

(١) انظر : Hémard, Théorie et pratique des assurances terrestres, t. 10, p. 73,74 و دكتور محمد علي عرفه في (شرح القانون المدني الجديد في التأمين والعقود المدنية) سنة ١٩٥٠ ص ١٠ وما بعدها - وانظر في عقد التأمين :

Planioi et Ribent, . Traité pratique de droit civil français -t-XI- Clin et Capitant, Cours élémentaire de droit civil français, -t-II q. 737.

هذا وقد عرف القانون المدني المصري عقد التأمين في المادة ٧٤٧ منه بقوله : « التأمين عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدي إلى المؤمن له أو إلى المستفيد الذي اشترط التأمين له ائحة مبلغاً من المال أو إيراداً مرتباً أو أى عوض مالى آخر في حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد ، وذلك في نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له المؤمن » .

incertain مستقبلاً futur ، وليس إرادياً محضاً purement potestatif . وثانيها : المقابل المالى الذى يحصل عليه المؤمن من المستأمن ، ليتحمل الأول تبعه الخطر المؤمن منه ، وهنا يبدو أن عقد التأمين معارضة تنشئ التزامات متقابلة في ذمة الطرفين . وثالثها : العوض المالى الذى يلتزم المؤمن دفعه عند تحقق الخطر . ورابعها : المصلحة فى التأمين أو المصلحة القابلة للتأمين (Intérêt assurable)^(١) .

١٠ — والتأمين على المسؤولية - وهو ما بهما هنا - صحيح وجائز قانوناً ، وهو بالطبع أفضل من الإعفاء من المسؤولية ، لأنه فضلاً عن أنه يرجع عن عاتق المسئول عبء المسؤولية فإنه لا يحرم الطرف المضرور من حقه فى التعويض ، وهذا النوع من التأمين ميسر وذائع فى الحياة العملية بسبب انتشار شركات التأمين .

ويلاحظ فى هذا التأمين أنه يجوز للشخص أن يؤمن على مسئوليته التى ترتب على الخطأ عقدياً كان هذا الخطأ أو تعديرياً ، ولا يهم كون الخطأ التقصيرى مفترضاً أو ثابتاً ، وكون الخطأ الثابت يسيراً أو جسيماً ، بيد أنه يمنع التأمين على المسؤولية التى تنشأ عن الخطأ العمدى الشخصى ، وعلة ذلك أنه لا يجوز أن ييسر الشخص لنفسه سبيل الغش^(٢) .

١١ — وقد أسلفت التكييف القانونى لعقد الموالاة فى التشريع الإسلامى ، ومنه يتضح أن أركانه تتفق إلى حد كبير وأركان عقد التأمين فى صورة التأمين على المسؤولية فى التشريع الحديث ، فهو أولاً عقد بين طرفين : أولهما : (مولى الموالاة) ويقابل المؤمن L'assureur وهو شركة التأمين Société d'assurance وثانيهما : (الموقوف عنه) وهو المستأمن أو المؤمن له L'assuré ، وهو يتضمن ثانياً عنصر (العوض المالى) الذى يلتزم المؤمن (وهو مولى الموالاة) دفعه عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وهو يمثل

(١) تعتبر غالبية الشراح ركن المصلحة غير لازم فى (التأمين على الأشخاص) وإن يمكن من مستلزمات (التأمين على الأضرار) - ويبدو أن المشرع المصرى لم يأخذ بهذه التفرة ، أى أنه يلزم هذا الركن حتى لانقضاء التأمين على الأشخاص - انظر : دكتور محمد على مرفه - السالف ص ٢٦٤ ، ٢٥٥ .

وانظر : المادة ٧٤٩ من النقتين للدق المصرى السالف الذكر .

(٢) انظر : دكتور عبد الرزاق السنهورى فى « الوسيط فى شرح القانون المدنى الجديد » سنة ١٩٥٢ - ص ٩٨١ وما يدها .

في الدية أو التعويض عن الجريمة التي تنجم عنها الضرر للغير المستحق له ، كما هو الحال في المسؤولية عن الأضرار الناشئة من ارتكاب جريمة ترتب عليها الغرامة المالية . وهو يتضمن ثالثاً عنصر (المقابل المالي) الذي يحصل عليه (مولى الموالاة المؤمن) مقابل تحمله نبعة الخطر ، وهو يتمثل في (مال التركة الموروثة) إذا توفي عنه (المعقول عنه المستأمن) غير مخفف وارثاً مطلقاً باستثناء الحالة التي يوجد فيها مع مولى الموالاة أحد من الزوجين ، فيكون ما يتبقى من مال التركة بعد فرض هذا الزوج حقاً مستحقاً لهذا المولى المؤمن ، أما شرط المصلحة في التأمين فمفهوم كما سلف أنه من مستلزمات صورة التأمين على المستولية ، وهي الصورة التي ينطبق عليها عقد ولاء الموالاة .

١٢ — وقد يثور الاعتراض على هذا التوفيق الذي أقول به ؛ وذلك بشأن المقابل المالي الذي يحصل عليه مولى الموالاة المؤمن ، وهو مال التركة من حيث كون عقد الموالاة الذي يحتوي عليه ، فيه تعامل ، في تركة إنسان على قيد الحياة ، ، والتعامل في التركة المستقبلية - حسب القانون المدني الجديد - تعامل باطل سواء صدر من الوارث أو من المورث نفسه ^(١) ، وفي الحالين يقع باطلاً بطلاناً مطلقاً ، ولا تلحقه الإجازة ، ويجوز لكل ذي مصلحة أن يتمسك به ، وللحكمة أن تقضى به من تلقاء نفسها ^(٢) .

١٣ — وردى على هذا الاعتراض - إن ثار - أن المادة ١٣١ من القانون المدني في فقرتها الثانية نصت على أن « التعامل في تركة إنسان على قيد الحياة باطل ، ولو كان برضاه ، إلا في الأحوال التي نص عليها في القانون ، ، وقد قصد المشرع بالأحوال المستثناة التي نص عليها القانون حالة قسمة المورث تركته بين الورثة ^(٣) .

وقد اعتمد المشرع المصري في استثناء هذه الحالة على حكمة التشريع ؛ فالمورث إنما يقصد من تقسيم تركته بين ورثته بالاتفاق بينهم حال حياته وفقاً لقواعد الميراث أن يتفادى

(١) انظر : للمادة ١٣١ فقرة ٢ من التقنين المدني المصري .

(٢) انظر : المادة ١٤١ فقرة ١ من التقنين نفسه .

وانظر : دكتور أنور سلطان في « شرح البيع والفاضة » سنة ١٩٥٢ - ص ١٤٧ وما بعدها .

(٣) انظر : للمادة ٩٠٨ وما بعدها من التقنين السالف الذكر .

ويلاحظ أنه في ظل القانون المدني المصري القديم ذكرت حالة النسبة مثالا للأحوال التي لا تنطوي على مخالفة للنظام العام - انظر : دكتور السهوري (باشا) و (نظرية العقد) بند ٤٥٦ ما وص ٢ .

النزاع بينهم بعد وفاته على هذا التقسيم ، فها ولو أنه يوجد تعامل في تركة مستقبلية ، إلا أن هذا التعامل مندوب في حد ذاته ، وليست به أية مخالفة للنظام العام أو الآداب التي هي أساس حظر التعامل في التركات المستقبلية (١) .

١٤ — ومن هنا نستطيع أن نقيس على حالة القسمة حالة عقد المراهلة ، وما دام قد تبين اتفاقها مع التشريع الوضعي في اعترافه بنظام التأمين وتنظيمه له بالنصوص القانونية الصريحة ، ولسكن المفهوم أن هذا القياس لا يكون بمجرد القول ؛ لأن الاستثناء لا يتوسع فيه ولا يقاس عليه كما هو معلوم ؛ ولأن النصوص القانونية التي اشتملت على حالات الاستثناء من قاعدة بطلان التعامل في التركات المستقبلية لا نجد فيها بالطبع نصاً يقرر استثناء عقد ولاء المولاة من هذه القاعدة .

(١) ومثال عدم بطلان الاتفاق المتعلق بالارث لمخالفة لنظام العام أو الآداب : الاتفاق الذي يحصل بين أحد النسابة *généalogiste* ووارث على أن يكشف النسابة له من نسبه حتى يمكنه الحصول على ميراث يستحقه ، ما دام أنه لم يخدع المتعاقد معه ، وإنما كشف له عن سر حقيق كان خفياً عليه . انظر ذلك : دكتور السنهوري في الوسيط ، - السالف - ص ٤١٣ .

هذا وبينما أن نقول : إن النضاء المصري قد حكم ببطلان عقدين ، صدر أحدهما من زوج والآخر من زوجته ، يتبرع كل واحد منهما في هبته للآخر بجميع أمواله يشملها حال وفاة الآخر قبله ، وقيل إنه تبين أن أياً من الزوجين لم يرد حقيقة الوصية التي هي عبارة عن تملك مضاف لما بعد الموت بطريق التبرع ، إذ أن كلا منهما قد جعل وصيته للآخر سببها وصية صاحبه له ، وقد شبه هذا التصرف بولاء الموالاة ، ولسكن في غير موطنه للعروع هو فيه ، لأنه ثبت في الواقعة الجزئية أن لكل من المتعاقدين ورثة بمنع وجودهم قيام هذه للموالاة ، وعلى هذا ظهر جلياً أن الفرض من هذا التصرف هو حرمان هؤلاء من حقوقهم الشرعية في الميراث ، فضلاً عن أنه تصرف يتطوى على تبادل منفعة ملحق على الخطر والنذر ، ومن أجل هذا اعتبر هذا التصرف من قبيل الرقي المحرمة شرعاً ، إذ فيه تمحيل على قواعد الميراث - انظر : حكم محكمة النقض المصرية الصادر في ١٤ يونيو سنة ١٩٣٤ - في مجموعة القواعد القانونية ، ج ١ رقم ١٩٩ ص ٤٤٩ وما بعدها - بيد أنه يلاحظ هنا أن ثمة فرقا كبيراً بين عقد الموالاة وبين مثل هذا التصرف المذكور ، إذ تبين كما سلف أن هذا الولاء إنما يشترط فيه ألا يكون وارث ، حتى لا يكون تمحيل على قواعد الميراث وحرمان الورثة الشرعيين من الارث ، كما رأينا أن الوصية بجميع المال صحيحة على الرأي الراجح ، إذ كان صاحبها لا وارث له ، ولم يشلق بما له حق لأحد ، وذلك على سبيل التفضيل لنظره إلى نفسه على نظر للشرع له .

١٥ - ولذلك نرى أنه يجدر بالمشرع أن يتدخل لينص على هذه الحالة الجديدة باعتبارها استثناءً ثانياً إلى جوار حالة القسمة ، لإقراراً منه للتوفيق بين قواعد الشريعة الفراء وقواعد التشريع الوضعي الحديث ، ما دام قد ثبت أن القواعد الأولى فيها ما يلائم التطور القانوني والاتجاه التشريعي الجديد ، وهذا بعد تعديل يحدث في قانون الميراث الصادر في سنة ١٩٤٣ ، بمقتضاه يذكر ولاء الموالاة ضمن أسباب التوريث كما كان الحال في الأصل (١) وأن يعدل عن تلك العبارة الركيكة الواردة في مذكرته الإيضاحية والقائلة بأن عدم ذكر هذا الولاء سبباً للميراث في القانون يرجع الى عدم وجود هذا النوع من الولاء منذ زمن بعيد ؟

أحمد طه السنوسي

المجلة - نشكر الأستاذ الباحث صاحب هذا المقال النفيس على ما فيه من الإحاطة والدقة وحسن المقارنة ، وتعتنى أن يكثر الباحثون في مثل هذه الموضوعات التي لا تزال بكرة . غير أننا نلاحظ على تشبيهه ولاء الموالاة بعقود التأمين التي تعقد بين المستأمن والمؤمن ، بأن هناك عنصراً معنوياً يقوم عليه ولاء الموالاة وهو مفقود في عقد التأمين . ولهذا العنصر المعنوي من عظيم الأهمية ما يحصل ولاء الموالاة غير عقد التأمين إن الولاء في الإسلام - من حيث هو - صلة ولحمة كصلة القرابة ولحمتها . ومولى القوم منهم . وكبار أئمة الإسلام الذين يتصلون ببعض القبائل بصلة الولاء يفتخرون بهذه الصلة حتى بعد زوالها لأنهم يعتبرونها قرابة كقرابة الدم ولحمة كالحمة الرحم . وهذا المعنى الأدبي موجود في ولاء الموالاة لانه ولاء على كل حال ، والولاء نصرة ، وفيه كل ما في معاني التبنى والإخاء والقرابة . والرجلان اللذان يتعاقدان عقد الموالاة يترابطان برباط القرابة والتناصر الأدنى حتى يكون ذلك هو الأصل في هذا التعاقد ، ثم تكون نتائجها المالية من ثمرات ذلك : أما عقود التأمين فلا حظ فيها لهذا العنصر المعنوي ، وإنما هي تعاقد بين مصالح مالية محضة ، وللخاطرة دخل كبير فيها ، وما ينتظره المتعاقد عقد الولاء من معونة صاحبه له في الحياة وأعبائها الأدبية والمادية لا ينتظره المتعاقدان عقد تأمين إلا فيما نص عليه العقد من نتائج مالية محدودة لا مطمع في غيرها ، لأنها في سبيل غير سبيل عقد الموالاة .

١٢ صفر

عيد الجهاد الإسلامي

في هذه الايام الى ينفض فيها المسلمون - في كل مكان - عن أنفسهم غبار الخمول والذل والهوان ، ويقفون للبحر الهوج . يناهذون الاستعمار ، ويكافون عوامل الضعف والانحلال ، وفي هذه اللحظات التي تتحفز فيها قوى التحرير للوثوب الى قمة المجد في وادي النيل ، جدير بالمسلمين أن يذكروا يوما عظيما من أيامهم الخالدة ، هو اليوم الذي وضع الله فيه الحجر الاسمي لبناء الحرية الإنسانية ، وصرح القوة العربية . والعزة الإسلامية ، وهو اليوم الذي اتفق جمهور العلماء على أن الله تعالى قد أنزل فيه على الرسول الكريم قوله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير » فكان ذلك الإذن إعلانا للجهاد ضد المشركين المعتدين الظالمين للمسلمين ، كما كان ذلك في الواقع استجابة ربانية لرغبات المسلمين الذين كانوا يتحرقون شوقا إلى مجابهة أعدائهم الذين لا يكفون عن العدوان ، كما كانوا يترمون بالموقف السلبي الذي يقفونه منهم ، وكانوا دائما يقولون للرسول عليه السلام عند كل داع : « حتى متى لا نؤمر بقتال ؟ » ولولا إيمان قوى بالله ورسوله ، وثقة مطلقة في وعد الله الذي لن يضيع أوليائه ، لتحول هذا التبرم إلى تمرد . ولكن الله سلم . فأدركهم حكمة الله بتشريعه ، فأذن لهم في قتال المعتدين ، وأباح لهم جهاد عدوم ، ودفع الظلم عن دينهم وحررياتهم وشخصهم ؛ وكان هذا الإذن بقتال المشركين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر من السنة الثانية للهجرة ، حتى أن يسمى هذا اليوم - عيد الجهاد الإسلامي ، أو عيد التحرير الأول ، وجدير بالمسلمين أن يحتفلوا به كلما أظلم ، فهو يوم من أيام الله - وما أكثر ما يحتفل المسلمون بأيام لاتدانيه مجداً وشرفاً . على المسلمين أن يكرموا ذكرى هذا اليوم - سينا وهم اليوم في حالة نشبه في كثير من نواحيها حالة المسلمين الاولين يوم أذن الله لهم بقتال عدوم ؛ وليستوحوا العبرة من ماضيهم لحاضرهم ، وليتبعوا منهج أسلافهم في مجابهة أعدائهم الذين يتحلبون عليهم من كل مكان ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد ثبوتا .

ولقد توالى بعد هذا الإذن الكريم التشريعات الربانية التي نظمت أمور الحرب ، ووسائل القتال وآدابه ، وكل ما يتعلق به من فنون ، وتحركات ، وهجورم ودفاع ، وتحديد علاقات ومسؤوليات ، وما يجب وما لا يجب أن يكون مما يكره بحق أول دستور عسكري واضح الحدود والمعامل في تاريخ المدينة .

ومنذ أعلن الجهاد طبق عمليا ، ولم يقف عند حد النظريات والمنطق . فقد بدأت عمليات القتال فور الإذن به . إذ بعث الرسول عليه السلام سرايا إلى أماكن العدو فقامت بمناوشات كثيرة ، وعمليات كشف واستطلاع ، وأقصد قصد عليه السلام - على ما أعتمد - بهذه السرايا تدريب المسلمين تدريبا عمليا في صورة - مجموعات - على عمليات الميدان ، وكان عليه السلام حكيما ، فأخرج أولا عدة سرايا ، من المهاجرين ليدرهم قبل غيرهم حتى لا يقول المنافقون ، والذين في قلوبهم مرض ، والمرجفون في المدينة : إن محمدا ضن بأهله وعشيرته لجنهم الخطر ، ولأنهم هم الذين احتملوا أذى المشركين وظلمهم في مكة . فهم أرغب في النار منهم ، وأشوق إلى مجالدتهم ، هذا من جهة ، ومن أخرى : هم أبناء الأرض التي ستشهد هذه العمليات ، فهم أعرف من غيرهم بها وبالأماكن التي يتسللون إليها ، كما أنهم أعرف بأهلها وطبائعهم ، وأقدر على التمييز بين أبناء القبائل التي تحالفهم أو تحالف عدوهم ، ثم هم أجراً على اقتحام أرض قومهم ، والسير فيها ، والإفادة عسكريا من معرفتهم بأرضهم - وأقدر على التصرف بما يضمن سلامتهم فيها عند الخطر .

وإذا لاحظنا أن انجاء هذه السرايا كان أولا إلى مكة وضواحيها ، وأن أهم أغراضها هو الاستطلاع والاستكشاف ، وأن هذا الغرض لا يمكن أن يقوم بتحقيقه إلا خبر بالارض وسكانها ، وذو تجربة سابقة فيها ، أدركنا عظم هذا الإجراء العسكري الحكيم الذي يبدو في تخصيص المهاجرين لهذه السرايا الأولى ، وهو إجراء يدلنا على تمام حرص القائد الأكبر على جنده ، وعمله على ضمان سلامتهم من المفاجآت في أرض لا يعرفونها ؛ وحسن اختياره لمن يكلفه بالأمور الهامة ، وكان هذا دستوراً عسكريا ألزمه الخلفاء وكبار الأمراء بعد الرسول عليه السلام . فكانوا لا يلتقون بالمسلمين في أرض يحملونها ، قبل ارتيادها ، وكشف أحوالها ، والتعرف إلى كل ما يتعلق بطبوغرافيتها ، وليس حقا أن نقول : إن الرسول عليه السلام قصد بإخراج المهاجرين أولا إثارة حمية الأنصار ، لأن الأنصار في الواقع لم يكونوا أقل من المهاجرين تحرقا إلى قتال المشركين ، وغيرة على الدين ، وسجا للرسول الكريم ، الذي يفدونه جميعاً ، ويضعونه فوق الظنون والشبهات ، وليس عندي إلا هذه الاعتبارات التي أساقها . والتي يقتضيها الفن العسكري الذي وضع أصوله ومثله العليا محمد عليه السلام . ولهذا نجد الرسول عليه السلام يشرك الأنصار مع المهاجرين . بعد أن تمرن كثير منهم على أرض المعارك ، وعرف المسلمون عنها كثيرا من المعلومات . على أننا نجد مع هذا أن عنصر المهاجرين ظل غالبا في هذه السرايا ، ولم يكن من المعقول عسكريا أن تخرج إلى أرباض مكة سرية من الأنصار وحدهم ، وهو ما لم يحدث .

وإذا كان الغرض من هذه السرايا كما يبدو لنا — هو التدريب العسكري على عمليات الميدان — فقد قصد بها أيضاً ما يسمى في هذا العصر « حرب الأعصاب » ، إذ أن خروج هذه السرايا المتتابعة إلى طريق تجارة مكة مع الشام . كان يقلقهم ويحطم أعصابهم ، كما أن بعض السرايا هاجمت ضواحي مكة هجوما خاطفاً في خفة وسرعة تحركات الكوماندوس اليوم . وكانت أخبار هذه السرايا ، والانباء عن قوة الفدائيين المسلمين تصل إلى مكة مبالاً فيها ، فتشيع فيها الخوف والهلج ، وكان أهل مكة وحلفاؤهم في منازلهم التي غشيتها السرايا ، يقيمون في فرج دائم ، واستعداد مستمر لحرب تباغتهم في وقت غير معروف ، وبهذا التكتيك السريع المحكم ، أزهق العدو إرهاقا كبيراً أضعف من معنوياته ، وكان له أثره الفعال في نفوس القوم بعد أشهر معدودة .

وكانت غائمة هذه السرايا السرية التي قادها ابن عمه الرسول عبد الله بن جحش إلى نخلة . بين مكة والطائف . وهي السرية التي نقلت طابع السرايا العام . من الاستطلاع والكشف وإرهاب العدو ، إلى عملية التحام فعلي ، وقاتل حقيقي ، فكانت بذلك مقدمة للمعركة الحائلة معركة بدر الكبرى يوم ١٧ رمضان من نفس السنة الثانية للهجرة ، أي بعد سبعة أشهر تقريباً من يوم إعلان الجهاد ، وفيها تحقق للمسلمين وعد الله لهم يوم الإذن ، وإن الله على نصرهم لقدير . وإذا كان نصر المسلمين في بدر قد أظهر لهم شخصية قوية . وجعل لهم كيانا ظاهراً . وقوة عزيزة يحسب حسابها ، وعليه انبنى مجد المسلمين وتركزت دولتهم . إذ كان ذلك كذلك . فإن أساس هذا البناء الإسلامي الشاخص هو الإذن بقتال الظالمين الذي فتح أبواب المجد على مصاريعها أمام المسلمين في اليوم الثاني عشر من صفر من السنة الثانية .

ولم يترك المسلمون هذا اليوم يوم عيد الجهاد الحقيقي . يوم عيد تحرير الإنسانية بالوسائل العملية يوم لفت الله أنظار المسلمين إلى أن النظريات وحدها لا تقيم دولا وأنه ما لم تطبق عملياً فلا خير فيها . وأن الحق والقوة إلفان . لا بد لكل منهما من الآخر ، فالحق بلا قوة ضياع والقوة بلا حق جبروت ووحشية ، وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل . فتفرق بكم عن سبيله

أكتب هذا للذكرى التي تنفع المؤمنين . ولنصرن الله من نصره إن الله لقوى عزيز

محمود فياض

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين



الأزهر والتضحية الوطنية

من الحملة الفرنسية إلى الثورة العربية

مرت مصر خلال هذه الفترة بأحداث مثيرة استدعت بذل ضروب عالية من التضحية ،
وقد خاض الأزهر غمار هذه الحوادث ، واستجاب زعماءه لداعي الوطن ، بإذلين
ما في وسعهم من تضحيات في سبيله ، وسنحاول في هذا المقال أن نسجل ما قام به علماءنا
من التضحيات ، لإحياء لذكراهم ، وتخليداً لتاريخهم العاطر .
العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين .

لم تكدر تستقر الحملة الفرنسية في القطر المصري في صفر ١٢١٣ (يولييه ١٧٩٨)
حتى نفر الشعب وزعماءه دفاعاً عن كرامة الوطن وحرية ، فقامت الثورات في جميع أنحاء
القطر لطرد المستعمرين من البلاد ، وكانت القاهرة مركزاً لثورتين مهمتين : الأولى
في جمادى الأولى ١٢١٣ (أكتوبر ١٧٩٨) وعلى رأسها الشيخ السادات ، وكان رئيساً
لمجلس الثورة . والثانية في ٢٣ شوال ١٢١٤ (٢٠ مارس ١٨٠٠) وعلى رأسها زعيم العلماء
في ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الأشراف . وقد استعمل الفرنسيون جميع أنواع
القسوة لكبت الشعور القومي والقضاء على المقاومة الأهلية ، ولكنهم لم ينجحوا في خطتهم ،
وانتهى الأمر بفوز المقاومة الأهلية ، وجلاء الفاصيين عن أرض الوطن .

وسندكر العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين خلال هاتين الثورتين :

(١) ثورة القاهرة الأولى في ٩ جمادى الأولى ١٢١٣ (٢٠ أكتوبر ١٧٩٨) :

بعد انتهاء ثورة القاهرة الأولى وجه نابليون نظره إلى الأزهر ، إذ كان يعلم أنه المعسكر
العام للثورة ، فقبض على زعماء الحركة ، وأصدر أمره إلى الجنرال بون قومن دان القاهرة
بأن يأخذهم ليلاً إلى شاطئ النيل - ما بين مصر القديمة وبولاق - حيث يعدمهم ، ثم يلقي
بجثثهم في النهر . وبهذه الطريقة خفي علينا تاريخ كثير من المجاهدين الذين استشهدوا
في هذه الثورة .

أما الذين حوكموا رسمياً من العلماء باعتبارهم من زعماء الثورة فهم :

الشيخ اسمعيل البراوى والشيخ أحمد الشرقاوى وكانا يقومان بالتدريس فى الأزهر ،
والشيخ عبد الوهاب الشبراوى وكان يقوم بقراءة كتب الحديث كالبخارى ومسلم فى المشهد
الحسينى ، والشيخ يوسف المصلى وكان يقوم بالتدريس فى جامع الكردى ، والشيخ سليمان
الجوسقى وكان من العلماء المشهورين بشدة السطو والبأس ، وكانت محاضراتهم سرية وقد حكم
عليهم بالإعدام فى يوم ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ (٣ نوفمبر ١٧٩٨) .

وفى الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٨ جمادى الأولى (٤ نوفمبر) أخرجوا من بينهم
إلى القلعة حيث تلى عليهم الحكم ، ثم أعدموا رمياً بالرصاص ، ولم يعلم لهم قبر بعد مقتلهم ،
وبروى الجبرقى أن الفرنسيين ألغوا من السور خلف القلعة بعد تنفيذ الحكم .

وقد نشرت صحيفة (كورييه دليجيت) بالعدد الصادر فى ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٨ م
(غرة جمادى الآخرة ١٢١٣ هـ) نبأ إعدامهم ، وأضافت إلى الأسماء التى ذكرها الجبرقى
اسم (السيد عبد الكريم) الذى لم تقف له على ترجمة .

وكان الشهداء من العلماء خلال هذه الثورة أكثر من هذا العدد ، إذ قرر الشيخ عبد الله
الشرقاوى فى تاريخه (تحفة الناظرين) أن الفرنسيين قتلوا ثلاثة عشر عالماً ، ويؤيد ذلك
ما رواه المعلم نقولا الترك فى كتابه (ذكر تلك الفرنسية للديار المصرية) إذ قرر أن
نابليون أمر بإعدام اثنين من العلماء كانا من أعضاء المجلس العالى .

وبالرغم من أن نابليون كان يعلم تمام العلم أن الشيخ السادات كان رئيساً لمجلس الثورة
إلا أنه لم يمسسه بسوء نظراً لمكانته فى نفوس المصريين المستمدة من نسبه الشريف ، وقد
طلب الجنرال كليبر من نابليون أن يقبض عليه ، فأجاب بأن إعدام مثل هذا الشيخ الجليل
لا يفيد الفرنسيين بل يؤدى إلى هواقب وخيمة .

(ب) ثورة القاهرة الثانية من ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ هـ إلى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٢١٤ هـ
(٢٠ مارس - ٢١ إبريل سنة ١٨٠٠ م) :

غادر نابليون القطر المصرى تاركاً قيادة الحملة الفرنسية للجنرال كليبر الذى لم يلبث أن
واجه أعنف ثورة قامت بها القاهرة ، ويرجع عنف هذه الثورة إلى أن رأسها المفكر كان

زعيم علماء ذلك الوقت السيد عمر مكرم تقيب الاشراف ، ولولا خيانة المالك لكان لهذه الثورة الوطنية الجارية شأن آخر. أما العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين بعد إخمادها فهم:

الشيخ مصطفى الصاوي وقد فرضت عليه غرامة ٢٦٠ ألف فرنك .

الشيخ محمد الجوهري وأخوه فتوح وقد فرضت عليهما غرامة قدرها ٢٦٠ ألف فرنك .

تعذيب الشيخ السادات :

كان الشيخ السادات معروفا لدى الجنرال كليبر بوطنيته منذ تزعم الثورة الاولى ، ولكنه لم يتمكن من النيل منه لمعارضة نابليون ، فانتهر فرصة اشتراكه في هذه الثورة لينكل به تنكيلا ، إذ فرض عليه غرامة قدرها ثمانمائة ألف فرنك ، ويمنح في غرفة قذرة بالقلعة حيث كان ينام على التراب ويتوسد بحجر ، مع ضربه ضربا مبرحا . ثم سمح له بالنزول مخفورا إلى داره ليسعى في سداد الغرامة المفروضة عليه ، فجمع ما في منزله من المال ، وقوم الفرنسيون ما وجدوه من مصاغ وملابس ومناخ فبلغت قيمة ذلك كله ١١٢ ألف فرنك ، ولم يكتف الفرنسيون بذلك بل جاسوا خلال الدار وحفروا الأرض بحثا عن الخبايا حتى أعيام البحث ولم يجدوا شيئا ، ثم نقلوه إلى السجن وصاروا يضربونه خمس عشرة عصا في الصباح ومثلها في الليل ، وجدوا في البحث وراء زوجته وابنه حتى قبضوا أخيرا على تابعه محمد السندوبي الذي عذبه حتى أقر على مكانهما ، فقبضوا عليهما ، ويجنوا زوجته معه ، وصاروا يضربونه أمامها زيادة في التعذيب ، فشفع فيها كبار العلماء لنقلها من السجن ، فأصدر الجنرال كليبر أمرا بتاريخ ٢٢ مايو بنقلها إلى منزل الشيخ سليمان الفيومي . وصودرت أملاك الشيخ السادات وممتلكاته وأوقاف أسلافه ، وبقي معتقلا حتى أفرج عنه في عهد قيادة الجنرال مينو في ٢٥ صفر سنة ١٢١٥ (١٩ يولييه سنة ١٨٠٠) وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس ، وألا يركب دون إذن من القيادة الفرنسية . وقد بقي رهن المراقبة في داره حتى اعتقل للمرة الرابعة في أواسط شوال سنة ١٢١٥ (أوائل مارس سنة ١٨٠١) بعد وصول الحملة الانجليزية الثمانية إلى مصر ، وقد اتخذ الفرنسيون هذا الإجراء خوفا من أن يثير عليهم الشيخ السادات الاهالي . ولما توفي ابنه أثناء اعتقاله أذن له بتشيعه مخفورا ، ولما انتهى ذلك أعيد إلى سجنه بالقلعة .

يقول نابليون في مذكراته تعليقاً على اضطهاد الشيخ السادات : إن تعذيبه كان من أهم الأسباب التي أدت إلى صرح الجنرال كليبر في ٢ صفر سنة ١٢١٦ (١٤ يونيو سنة ١٨٠٠) .

السيد عمر مكرم : كان الرأس المفكر لثورة القاهرة الثانية ، وإليه يرجع الفضل في تعبئة القوات الوطنية تعبئة قلباً تتوفر في ثورة من الثورات ، ولم يستطع الفرنسيون القبض عليه عقب إخماد الثورة إذ تمكن من الفرار من القاهرة تاركاً أملاكه عرضة للنهب والمصادرة ؛ ولم يدخل القاهرة بعد ذلك حتى تم جلاء الفرنسيين عن عاصمة البلاد في ربيع الأول سنة ١٢١٦ (يوليو سنة ١٨٠١) .

بين زعيم العلماء ومحمد علي باشا :

اختارت الزعامة الشعبية ممثلة في السيد عمر مكرم والشيخ عبد الله الشرفاوي محمد علي باشا والياً على مصر بشرط أن يحكم بمشورة وكلاء الشعب . ولكن محمد علي كان يميل إلى الحكم المطلق ، وسرعان ما ضاق ذرعاً برقابة وكلاء الشعب خصوصاً السيد عمر مكرم زعيم العلماء الذي أخذ يحاسب محمد علي باشا على جمع الضرائب التي فرضها . وبلغ من حماسه في الدفاع عن حقوق الشعب أن عقد مجلساً عاماً من العلماء في (أواسط جمادى الأولى سنة ١٢٢٤ أول يوليو سنة ١٨٠٩) ، وقد أقسم المجتمعون على ألا يلينوا حتى يجيب الوالي مطالبهم التي تلخص في هدم فرض ضرائب جديدة وإلغاء الضرائب المستحدثة ، وقد ازدادت العلاقات توتراً حينما رفض السيد عمر مكرم أن يوقع الميزانية السنوية . كما يريد محمد علي باشا ، وكان من المعتاد أن يوقع على الميزانية وجوه المصريين قبل إرسالها إلى السلطان العثماني .

تسكر محمد علي باشا للسيد عمر مكرم ، وأخذ يسمى في التخلص منه ، حتى سحبت له الفرصة في رجب ١٢٢٤ (أغسطس ١٨٠٩) فقرر خلع من نقابة الإشراف ونفيه إلى دمياط ، وقد تلقى السيد عمر مكرم هذا النبأ بقوله : أما منصب النقابة فإني راغب عنه وزاهد فيه ، وليس فيه إلا التعب ، وأما التي فهو غاية مطلوب لا راحة من هذه الورطة ، ولكنني أريد أن أكون في بلدة لا تدين لحكم الباشا .

مكث السيد عمر مكرم أربع سنوات في دمياط نقل بعدها إلى طنطا التي استمر بها حتى عام ١٢٣٣ (١٨١٨) ثم أذن له بالعودة إلى القاهرة ، ولكن استقبال الشعب الرائع

لوعيمه أثار شكوك محمد علي باشا مرة أخرى فأمر بنفيه إلى طنطا عام ١٢٣٧ (١٨٢٢) حيث توفى في نفس العام .

الاحكام الصادرة ضد العلماء الذين اشتركوا في الثورة العرابية :

قام الأزهر بتأييد القوات الوطنية في جهادها ضد الانجليز ، وألقى زعماءه في المؤتمر الوطنى المنعقد بتاريخ ٢٢ يولييه عام ١٨٨٢ بمروق الحديبو عن الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده غير مبالين بالسلطان العثماني ، وقام العلماء ببذل مجهود كبير في سبيل الدفاع عن الوطن سواء بالتطوع أو إعداد الجيش بالمؤن والذخائر أو الدعوة إلى الجهاد ، وبعد انتهاء الثورة العرابية قبض على زعمائها وعلى المشتركين فيها وقدموا جميعاً إلى المحاكمة وقد نشرنا في مقال سابق ^(١) أسماء العلماء المقبوض عليهم والاحكام التي صدرت عليهم ، وقد حكم على ثلاثة وعشرين عالماً بالتجريد من الرتب وعلامات الشرف والامتيازات مع نفي سبعة منهم خارج القطر المصري مدداً تتراوح ما بين ثلاث إلى خمس سنوات .

هذه هي صورة موجزة للعلماء الأبطال الذين ضحوا في سبيل وطنهم فمنهم من استشهد ومنهم من صودرت أملاكه ومنهم من عذب ومنهم من نفي .

فإلى هؤلاء الأبرار الذين نفثوا في الأمة روح الحماسة فكانوا مثلاً عالياً يقتدى بها كل مواطن صالح ؛ إلى هؤلاء الأبطال الذين أثبتوا أن مصر لم توجد لتفسخ وتؤكل ، ولم تخلق لنذل وتهان ، بل أثبتوا أن في الكنانة رجالاً يضحون في سبيل الوطن بكل عزيز لديهم .

إلى هؤلاء تتقدم هذه الذكرى المتواضعة أداء لما لم علينا من حقوق ؟

أحمد عز الدين عبد الله خليف الله

المدرس بمعهد دسوق

رأى الاسلام فى شروط من يعينون فى الوظائف

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

جرى حديث لندوب المصرى مع فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر عن رأى الإسلام فى شروط التوظيف والسن التى يجب توافرها فيمن يلى الوظائف فى الإسلام . فأجاب فضيلته على ذلك بقوله :

ولاية الأمور العامة فى الإسلام يتوخى فيها شرطان أساسيان : أحدهما الكفاية العلمية التى تناسب العمل العام الذى يراد من يتولاه أن يقوم بأعبائه ، والآخر العنصر الخلقى ومناطه الإخلاص .

ومهما تتبع الدارس الشروط والمؤهلات التى يطلبها الإسلام فيمن يلى الأمور العامة ويصف بها ولاية الأمر المثاليين ، وعمال الحكومة الصالحين ، فإنه يجد ما لا يخرج عن هذين الشرطين . وانظر ما وصف الله به أنبياءه الذين تولوا شئون أممهم ، كنبى الله يوسف عليه السلام فقد جاء فى كتاب الله عز وجل على لسانه : « قال اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ عليم » ، فذكر العلم ، وفيه الإشارة إلى الكفاية العلمية ، وذكر الحفظ وهو يستلزم العنصر الخلقى المطلوب فى مثل هذا العمل وهو الأمانة والإخلاص .

وقال الله سبحانه مخاطباً داود : يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . فذكر الحكم بين الناس بالحق ولا يكون ذلك إلا بالعلم ومعرفة الأحكام ، وشرط الانتهاء عن اتباع الهوى ، وفى ذلك إشارة إلى العنصر الخلقى ومناطه الإخلاص .

وتاريخ الولاية فى الإسلام يدور فى نصوصه وتطبيقاتها فى أصلح عهوده حول هذين الشرطين ، من غير نظر إلى السن والقسم ، لأن المطلوب فى العمل الكفاية للقيام به والإخلاص فيه ، وهذه هى الأهلية لولاية العمل العام فى الإسلام . وقد ورد فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

إن العلم واسع ومتشعب ولا حدود له ، والمطلوب منه فى ولاية الأمور العامة ما يحتاج إليه فى حسن إدارتها وتوخى المصلحة فى شئونها . فى الأمور العسكرية والحربية يكون العلم المطلوب هو العلم العسكرى وقنون الحرب ، وفى الأمور المالية علوم الحساب وتدبير المال

وفي الأمور الإدارية أو الهندسية أو الطبية أو القضائية الإمام الكافي بكل واحد منها لمن يتولاه بقدر ما يلزم للإحسان فيه .

وعما يدل على أن المعرفة والإخلاص هما اللذان كان الإسلام يتوخاهما في تولية العمال دون السن أو القدم ما ذكره التاريخ من أن النبي ﷺ لما تم له فتح مكة - وهي يومئذ أعظم أمصار الإسلام ، وفيها بيت الله ، وهي وطن مولد النبي ﷺ - اختار للولاية عليها عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وكان عمره حين تولاهما نيفاً وعشرين سنة ، فأحسن الولاية عليها في حياة النبي ﷺ وأقره أبو بكر عليها إلى أن مات يوم مات ، وقد برهن طول مدة ولايته على كمال الكفاية الإدارية والإخلاص لله ، روى عبد الله بن يسار عن عمرو بن أبي عقرب أنه سمع عتاب بن أسيد وهو مسند ظهره إلى بيت الله يقول : « والله ما أصبت في عملي هذا الذي ولاني رسول الله ﷺ إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاى كيسان ، ومن أمثلة ولاية الأكفاء للعمل وإن كانوا حديثي السن تأمير النبي ﷺ أسامة ابن زيد على جيش كان من جنوده أبو بكر وعمر وأمثالهما ، لميزات توفرت لأسامة في ذلك العمل ، وانتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى واختار المسلمون أبا بكر للخلافة عليهم فأقر ولاية أسامة على ذلك الجيش ، وأراد أن يستبق عمر في المدينة ليكون مستشاره ووزيره ، فلم يأمر أسامة بالتخلي عن عمر بل « استأذنه » ، في ذلك باعتبار أن أسامة هو الأمر على عمر فلا يجوز - ولا للتخليفة - التصرف في أمره إلا بإذن أمره المباشر ، وهي سنة من سنن الإسلام الحكيمة في نظام الحكم سنها ولاية أمور المسلمين في صدر تاريخهم ولم تتوصل إلى مثلها الدول العريقة في تقاليد الحكم إلا بعد دهر طويل .

وعما يدل على التقدم بالكفاية دون السن والتقدم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يحضر عبد الله بن عباس وهو شاب حديث السن في جملة كبار المهاجرين والأنصار ويستشيرهم لما بدا له من معرفته وإخلاصه .

والكفاية المطالبة لكل عمل هي التي فيها مصلحة الدولة والامة في مدة العمل . قال القاضي أبو الحسن المارودي في الأحكام السلطانية : « إذا كان أحد المرشحين للإمامة أعلم والآخر أشجع يراعى في الاختيار ما يوجه حكم الوقت ، فإن كانت الحاجة إلى فضل الشجاعة أدعى لانتشار النور وظهور البغاة كان الأشجع أحق ، وإن كانت الحاجة إلى فضل العلم أدعى لسكون الدهماء وظهور أهل البدع كان الأعلم أحق ، .»

وقال في شروط تقليد الوزارة : « إنه يحتاج فيه إلى شرط زائد على شروط الإمامة ، وهو أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل اليه من أمر الحرب والخراج خبرة بهما ومعرفة بتفصيلهما ، فإنه مباشر لها تارة ومستنيب فيهما أخرى ، فلا يصل إلى استتابة الكفاية إلا أن يكون منهم ، كما لا يقدر على المباشرة إن قصر عنهم ، وعلى هذا الشرط مدار الوزارة وبه تظلم السياسة . »

وقال في شرط ولاية كاتب الديوان : « المعتبر في صحة ولايته شرطان : العدالة والكفاية ، فأما العدالة فلأنه مؤتمن على حق بيت المال والرعية ، فاقتضى أن يكون في العدالة والأمانة على صفات المؤتمنين ، وأما الكفاية فلأنه مباشر لعمل يقتضى أن يكون في القيام به مستقلا بكفاية المباشرين . »

وأنت ترى أن مدار الولاية في الإسلام على الكفاية الممثلة في معرفة ما يلزم للعمل الذي يراد تولية العامل عليه ، والعنصر الخلقى ومناطه الإخلاص ، والغرض من ذلك أن يكون العامل جامعا للصفات التي تتحقق بها مصلحة الدولة والأمة في ذلك العمل بحسب ظروفه الزمانية والمكانية .

ومن هنا يقال في تولية ولي الأمر أقاربه ، فإن كانت ظروف العمل ، والصفات التي يتحلى بها أقارب الإمام ، تقتضى توليتهم لما يتوسم فيهم من الحرص على بقاء الدولة ونجاحها والإخلاص في جلب المصالح لها ودرء المفاسد عنها فتكون توليتهم من مقاصد الإسلام وسننه ، واعتبر ذلك بجهد مسلمة بن عبد الملك في خلافة أبيه وإخوته فقد قام للإسلام بما لو حرمت الدولة من قيادته وولايته لكان ذلك خسارة كبيرة على الإسلام ، أما إذا كانت ظروف العمل والصفات التي يتصف بها أقارب الإمام تنافى المصلحة في تعيينهم فيكون من سنة الإسلام اجتناب ذلك . ولما طعن أمير المؤمنين عمر وأراد أن يجعل الأمر شورى في الستة الذين سماهم اقترح عليه بعض الصحابة أن يستخلف ابنه عبد الله - وإن ابنه عبد الله من أعلم الصحابة وأكلمهم - ومع ذلك فإن عمر رأى الخير في الطريقة التي رسمها ، وأبى أن يستخلف ابنه لأنه كان يتوخى مصلحة الكيان الإسلامى على ما يجب أن يلقى الله عليه . إن سنن الإسلام في تولية العمال قائمة - كما ذكرنا - على عنصرى المعرفة والإخلاص ، ومدار ذلك على ما تتحقق فيه مصلحة الدولة والأمة ، وقد كانت الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية في خير إلى أن خرج الانانيون من الأحكام عن هذه السنن ، ولا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

لغويات

حميدة . حميدون : غَيْرُ . نُحْرُ . عدوة

من المقرر في العربية أن ما كان على زنة فاعيل في معنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث ، فلا يلحق مؤنثه التاء . فيقال امرأة جريح لاجريحة ، وشاة ذبيح لاذبيحة . فإذا قلت اشتريت ذبيحة فهذا ليس وصفا بل هو اسم ، وهو ما يبدل للذبح ، وقع عليه الذبح أو لم يقع ، والتاء فيه للنقل من الوصفية للاسمية وليست للتأنيث ، ومن هذا النطبعة والأكيلة .

ومن ثم كان مما أشكل على قولهم في الوصف : رجل حميد وامرأة حميدة ، وفي القاموس : حميده — كسمه — حمدا ، ومحمدا ومحمدا ومحمدة ، فهو محمود وحميد ، وهي حميدة .

وأشكل على أيضاً في هذا الباب جمع حميد على حميدين ، وقد تقرر أن الوصف إذا استوى في المذكر والمؤنث لا يجمع جمع التصحيح ، وقد ورد هذا الجمع ، حميدون ، في قول غوية بن سلمي يرثي رجالا من قومه في قطعة في الحماسة :

أصابهم حميدبن المنايا فدى عني لمصبحهم وغالي

ولشد ما استرحت وزاح عني ثقل من القلق حين وقفت على أن العرب خرجت بهذه الكلمة عن الوجه في نظائرها ، وحملتها على ما يسوغ فيه هذا التصرف . ذلك أنها حملتها على سعيد أو رشيد مما هو في معنى فاعل ، وانظرت إلى التقارب في المعنى ، فألحقت بحميد التاء لذلك ، وقد تغيب علماء العربية لهذا . في اللسان : « والآنني حميدة . أدخلوا فيها الهاء وإن كان في المعنى مفعولا تشبيها لها برشيدة . شبهوا ما هو في معنى مفعول بمعنى فاعل لتقارب المعنيين ، وأصل هذا في كلام سيويه [ذيقول في الكتاب (١) : « وقالوا رجل حميد وامرأة حميدة . يشبه سعيد وسعيدة ، ورشيد ورشيدة : حيث كان نحوهما في المعنى واتفق في البناء » .

وهذا زال الإشكال عن جمعهم حمدا على حمدين - كما في قول غوية السابق - إذ صار حميدا مما يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بالناء فزال ما كان يحول دون هذا الجمع .

وترى هذا مما يدخل في باب تدريج اللغة . فقد أدخل العرب التاء في حميد ، وتدرجوا من هذا إلى أن جمعوه على حمدين . وهذا الباب أوسع القول فيه ابن جني في كتبه . وانظر الخصائص طبعة دار الكتب ١ / ٣٤٧ .

ويفنى بنا الكلام إلى عدو وعدوة . فهذا أيضا مما يسترعى النظر . ذلك أن فعولا إذا كان في معنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث كعبور وغفور . فما بال عدوة خالفت هذا القياس ؟ . والجواب أن عدوا وعدوة حملا على صديق وصديقة ، فدخلت التاء كما دخلت في صديق وصديقة . وفي اللسان (عدا) : قال الفراء : وإنما أدخلوا فيها (أى في عدوة) الهاء تشبيها بصديقة ؛ لأن الشيء قد يبنى على ضده . .

ويتصل بما سلف أن الأقلام جرت في هذا العصر على جمع الغيور على الغيورين والفقور على الفقورين فيقال : نحن غيورون على كل ما يتصل بالعرب ، وغفرون بالذود عن حياضنا . وهذا من الخطأ الذي يجب تجنبه . والصواب أن يقال : الغيور والفقير . وقد قال طرفة :

ثم زادوا أنهم في قومهم غفر ذنبهم غير غفر

الحمد لله الذي نجح محمود

يجرى هذا الأسلوب على السنة الناس كثيرا . وهو في ظاهره مجاف للأساليب العربية . وإنما يقال : الحمد لله أن نجح محمود أو إذ نجح أو بفضله أو به أو عنه نجح محمود . وذلك ليتحقق لاسم الموصول إذا جرى به عائد .

وكنت أظن أن هذا الأسلوب نشأ في العصور المتأخرة التي فشا فيها اللحن ، حتى وقفت على أن ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ به عليه إذ يقول (١) : تقول : الحمد لله إذ كان كذا وكذا . ولا تقل : الحمد لله الذي كان كذا وكذا حتى تقول : به أو منه أو عنه . .

وقد تابعه الحريري في درة القواص إذ يقول : . ويقولون : الحمد لله الذي كان كذا

(١) اللسان (جيا) .

وكذا ، فيحذفون الضمير العائد إلى اسم اقه الذي به يتم الكلام ، يريد عائد الموصول ، وهو به أو عنه أو له ، كما تقدم في كلام ابن السكيت .

وقد مهد هذا للشهاب الحفاجي شارح الدرر ، أن يحكم بصواب الأسلوب ، وارتكاب حذف العائد للعلم به فقال : « وكأنه لم يسمع قول الناس في المتنون : إن العائد يحذف باطراد كثيرا ، وفي الحق أن هذا الموضع ليس من المواطن التي يحذف فيها العائد باطراد ، فذلك نحو شربت مما شربت منه ، فلك أن تحذف « منه » ، غير أن ظهور المراد يسوغ هذا الحذف مع كثرة الاستعمال .

وقد كان جل همي في إيراد هذا الموضوع أن أبين عن قدم هذا الأسلوب .

لمس . يلمس . يلمس . يلمس

اشتهر على الألسنة يلمس - بفتح الميم - في مضارع لمس - بفتحها - وهذا لا يتفق مع ما قرره الصرفيون في فعل يفعل بفتح العين فهما . فمن شرط هذا أن تكون العين أو اللام حرف حلق ؛ كفتح يفتح ، وسأل يسأل . ولا يخرج عن هذا إلا ما جاء شاذاً أو محمولا على تداخل اللغتين ، كما في أبي يأبى ، وقنط يقنط ، وركن يركن ، ولهذا باب نفيس أحسن القول فيه ابن جني في الخصائص .

إن الماضي (لمس) بفتح الميم ، لا محالة ، وفي الكتاب العزيز في سورة الأنعام : « ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلبسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » ، وفي سورة الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً » ، وإذا خلاص الماضي لفتح العين فلا مجال لفتحها في المضارع ، وإنما فيه الضم أو الكسر ، وقد جاء الوجهان في اللغة ، فيقال : يلمس ويلمس .

وهذا الخطأ قديم نبة عليه العلماء . فيقول الرملی الفقيه الشافعي في شرحه للنهاج في مبحث البيوع المنهى عنها ٣ / ٥٧ : « (بأن يلمس) بضم الميم وكسر ها . وما اشتهر على الألسنة من الفتح فلا وجه له : لأنها في الماضي مفتوحة وليست حرف حلق . وكتب الشبرايمسى في حاشيته عليه : « (قوله : لأنها في الماضي مفتوحة) نقل الاستوى في باب الأحداث الكسر في الماضي . وعليه فيكون المضارع بالفتح . فلعل الشارح اقتصر على

الأشهر ، . وهذا الذى نقله عن الأسنوى لا يعرف فى كتب اللغة . وكأنه اشتبه عليه لمس
بمس . وهذه الأخيرة بكسر العين . واقه أعلم .

ليس أضرم بالمرودة من قلة المال . ليس أفضل من على

وقع السؤال عن هذا التركيب ، وكيف يقرأ ، أضرم ، أبا لرفع أم بالنصب .

والذى يظهر أنه يقرأ بالرفع فيكون اسما ليس ، وخبرها محذوف أى ليس شيء أضرم
بالمرودة من قلة المال موجودا ، وليس عندنا أفضل من على مثلا . وقد ذكر الصبان
فى كتابته على الأشمونى فى مبحث عدد أخوات كان أن ليس يجوز حذف خبرها عند فريق
من النحويين ، وعزا ذلك إلى التسهيل لابن مالك . ونصه : ذكر فى التسهيل أن ليس تختص
بجواز الاختصار على اسمها وحذف خبرها . قال الدمامينى : حكى سيديويه : ليس أحد أى هنا ،
وذكر الصبان بعد هذا أن جواز حذف خبر ليس مذهب الفراء .

التصميم : الخطئة

أرى أن توضع الخطئة - بكسر الخاء - لما يعرف فى هذا العصر بالتصميم أو المشروع
وهو الرسم الذى يقدره المرء لبناء أو عمل آخر . وفى كتابة المدافعى على الخطيب فى مبحث
الجمعة : وخطئة . هى بكسر الخاء أرض خط عليها أعلام للبناء فيها .

محمد على النجار

ابداً بالواجب الذى بين يديك

قال توماس كارلايل : وابدأ قبل كل شيء بالواجب الذى بين يديك ، أى بالعمل الذى
تعرف أنه واجب ، فإنك إن فعلت اتضح لك الواجب التالى .

أحمد بن حنبل

عقيدته . مذهبه . محنته

نشأ الإمام أحمد في العصر العباسي الأول ، حيث أدرك أئمة الهدى والحديث وأخذ عنهم ، فأخذ الفقه عن الإمام الشافعي ، وأخذ الحديث عن الأئمة الذين توهت بهم في كلتي الماضية عن هذا الإمام الكبير . وقد غلب على الإمام أحمد طريقة أهل الحديث ، بل كان إماماً لهم في لزوم التمسك بظواهر الكتاب والسنة وما جاء عن السلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، لا يقبل في شيء منه ملأفة ، ولا يستبيح فيه إدهاناً ولا موادة .

وقد شاء الله سبحانه أن يتمتع هذا الإمام العظيم . كما يتمتع عباده المقربين فكان ظهوره في عهد ظهرت فيه الفلسفة وعلم الكلام المختلط بها ، وفتن الناس بهذه البحوث ، وتعدى ذلك الأمر إلى الخليفة المأمون ، وقرب أصحاب الكلام من أمثال ابن أبي دؤاد ويحيى بن أكثم وغيره ، وورثه المأمون الخلفاء من بعده ، وقد كانت في الخليفة المأمون نزعات إلى البحث والدرس والتقيب في مختلف علوم الإسلام والعلوم الحديثة حينذاك . والجديد بطبعه محبوب .

كان المأمون أشد الخلفاء مناصرة للحرية في البحث ، وتشجيعاً لرجال العلم ، وإغراء لهم بالمناظرات ، يعقد لها المجالس في القصور ، ويعقد في المساجد ، ويعقد في غير ذلك من الأماكن : استخرجوا للحقائق ، واستنبطوا للدقائق . وكان قد أمر يحيى بن أكثم منذ دخل بغداد لجمع له وجوه الفقهاء وأهل الرأي والعلم لذلك . وهذا المعنى — على ما فيه من حسنات جلي — فقد اتصلت به سنة سيئة هي فتنة خلق القرآن ، وقد يكون دعا إليها بحسن نية وحرص على حق يراه ، ولكن فاته أنه تنكب سنة السلف الصالح رضى الله عنهم وإن كره ذلك أصحاب الإمام أحمد لأنهم يرون كفره ، وكفر كل من قال بقوله ، وعند الله سبحانه الهداية والتوفيق .

من أجل ذلك نشأت فتنة خلق القرآن التي ابتلى الله بها من شاء من عباده . وكان في بغداد وغيرها من الأمصار معسكران : أما أحدهما فلاصحاب الكلام من المعتزلة الذين

يقولون بخلق القرآن ، ويكفرون من لا يقول به ، لأنهم ينكرون صفة الكلام لله ، ويقولون إن الله سبحانه وتعالى : إذا أراد الكلام خلقه في شجرة أو نحوها . بل لأنهم ينكرون صفات المعاني لله كما تقرر ذلك في علم التوحيد ، لأنه يبنى عليها تعدد القدماء في رأيهم ، والقول بذلك كفر . ولهم مذهب معروف يرجع في جملة إلى قاعدتين : العدل التي من فروعها مسألة الحسن والقبح وخلق الأفعال . والتوحيد التي من فروعها إنكار صفات الله ، ويتفرع عنها القول بخلق القرآن .

وأما الممسكر الثاني فلاصحاب الحديث الذين يابون أن يعرفوا غير ما قال السلف الأولون ، ويابون أن يخوضوا في غير ما كان السلف يخوضون فيه ، وتشددوا في ذلك حتى كفروا من قال بخلق القرآن لأنه كلام الله . وكلام الله غير مخلوق لأنه صفة ، وصفات الله قديمة . وقد كان الإمام أحمد يمثل هذا الاستمسك أقوى تمثيل كما قلت لك ، ذكر الثقات أن رجلا جاءه يوما فقال : يا أبا عبد الله ، إجماع المسلمين على الإيمان بالقدر خيره وشره ، قال نعم . قال : ولا نكفر أحدا بذنوب قال : اسكت اسكت ، من ترك الصلاة فقد كفر ، ومن قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، وقال عبدوس بن مالك القطان سمعت أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه الصحابة ، وترك البدع ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدل ، وليس في السنة قياس ، ولا يضرب لها الأمثال . والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنه من الله ليس بياتن منه . وإياك ومناظرة من أحدث فيه ، ومن قال باللفظ وغيره . ومن قال : لا أدري أعلق هو أم غير مخلوق ، وإنما هو كلام الله فهو صاحب بدعة . الخ .

ويظهر لي أن قوله إنه من الله ليس بياتن منه قول من أثار الجدل والخصومة ، نضح عليه من بعض مخالطات اقتضتها ظروف المدارس العلمية ، ولألا فإن السلف من الصحابة والتابعين فيما أظن لم يتكلموا بمثل ذلك . وكان أحمد يقول : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر .

كان أحمد يرى إذا ما يدل عليه ظاهر الكتاب والسنة ، ويقاوم كل فكرة في الدين مستحدثة . وباليات أمر الخليفة المأمون وقف عند حد حرية الرأي ، والانساع في البحث ليذهب كل طام نظار إلى ما يرجحه هذه الدليل ، إذا لم يأت خطب أصحاب الحديث ، ولما شوا

في أمن من هذه النكبات التي سبى صورة منها في الإمام ابن حنبل . ولكن الله ابتلاه وابتلى أهل السنة بطائفة من المعتزلة علماء الكلام ، زينوا للآمون أن يحمل الناس على التوحيد بالمعنى الذي ذهبوا إليه ، وهو يتحقق بنفي الصفات عن الله مع أنه وصف بها نفسه ، ومنها صفة الكلام كما قدمت لك . ثم زعموا للآمون أن مرضاة الله في النهي عن المسكر . وأنه يجب أولا وقبل كل شيء تجريد عقائد الناس من ذلك ، وحامهم على القول بخلق القرآن ومعاقبة من تظهر منه مخالفة ذلك بما يعاقب به أهل الكفر . ولهم في ذلك أدلة من العقل والقل ليس فيها عند التحقيق مقنع ، وليس هذا مجال الخوض فيها .

ولعمري لقد صرف هؤلاء الناس عن التوفيق ، وفتحوا في هذه الأمة بابا من الابتداع وأثرة من الجدل والخلاف لم يعرفها السلف الأولون ، ولا يتسع لها دين تنبى عقائده على الاتباع وترك الجدل والمراء . ولو فكروا قليلا لافتنعوا أنفسهم أنه يسع المسلمين إلى يوم القيامة ما وسع أصحاب محمد ﷺ ونابغهم بإحسان . وأنه لا عيب على شخص مهما بلغت مرتبته في العلم والبحث ألا يعلم في الدين ما لا يعلمه محمد وصحبه .

على أن أصحاب الخلاف تفاؤوا فكفروا من قال بخلق القرآن . ويخيل إلى أنهم أسرفوا في ذلك بما وسعوا به شقة الخلاف ، نسأل الله العافية .

وقد جاء بعد ذلك علماء فصلوا هذا البحث تفصيلا علميا ، فرقوا فيه بين الكلام النفسي والكلام اللفظي ، وعلى رأسهم الإمام أبو الحسن الأشعري ، ثم الإمام الغزالي وغيرهما ، وقد بدأت بوادر هذا البحث في عهد الإمام أحمد نفسه ، ولكنه كان ينفر من ذلك ويأباه كل الإباء .

قال إسماعيل بن الحسن السراج عن قال : القرآن مخلوق . فقال هو كافر . وعن قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، فقال هو جهمي .

فهو يرى أن من ذهب إلى أن التلفظ بالقرآن مخلوق مبتدع ، لأنه قال شيئا جديدا لا يعرف عن الأولين . وربما كان حقا ولكنه شيء جديد في الدين . على أن من أتباعه من علل كلامه في ذلك تعليلا فلسفيا فقال إن كلمة (لفظي) مشترك بين معنيين : المعنى المصدرى الذي هو (التلفظ) وهو مخلوق لا محالة ، وبمجموع التلفظ مع الملفوظ الذي هو القراءة مع المقروء ، وهذا ليس بمحدث ، لأن فيه القرآن ، وهو غير حادث .

فلما كان اللفظ مشتركا موهما لخلق القرآن ، منع الإمام أحمد ذلك وعده بدعة مما أحدثه
 جهم بن صفوان . واحتج لأصل مذهبه من أن القرآن كلام الله غير مخلوق بإجماع السلف
 على أن القرآن كلام الله مع علم المسلمين أن القرآن بلغه جبريل عن الله إلى محمد ﷺ وبلغه
 رسول الله إلى الخلق ، والكلام إذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه .
 فهو كلام من قاله مبتدئا ، فالقرآن كلام الله إلى أن تقوم الساعة . وإلى ما شاء الله .

وأنت ترى أن هذا الفدر لا يقتضى تكفير من قال بخلق القرآن (والعياذ بالله من
 ذلك) ولكنه مخالف لم يقيم البرهان على كفره .

والحق عندي أن هذه كانت حجة خطيرة فرقت كلمة الجماعة ، وكانت العافية ألا تكون ،
 ولكنه إذ قضى الله باختلاط العرب بالأجانب ، ولهم ثقافات فلسفية ، وبحوث تشكيكية ،
 زلت أقدام المعتزلة ومن على مذهبهم فأصابوا من هذه المعارف أو الجاهل ما حكموه في عقائد
 المسلمين ، فورطوا بعضهم باتباعهم ، وبعضا آخر بابتداع ألفاظ وبحوث اضطرم إليها
 ظرف اختلاف الطائفتين ، ومحاولة انتصار كل منهما على الأخرى ، مع تكفير كل فرقة لمخالفتها
 ولا حول ولا قوة إلا بالله . حتى إن الإمام أحمد رضى الله عنه حكم بكفر من قال : لا أدرى
 القرآن مخلوق أم غير مخلوق ، ولو أراد هذا القائل أن يستبرىء لدينه ويخرج من مأزق
 الاضطراب والخلف الحادث في هذه الأمة .

ولقد جاء بعد ذلك من صالحى هذه الأمة من خالف الإمام أحمد كأبي الحسن والغزالي
 وغيرهما من الفحول ، فتمد فرقوا بين الكلام النفسى والكلام اللفظى كما قدمت لك (١)
 وعندي أن هذه المسائل الدينية جدير بها أن تكون في موضع الحيطه لمن أراد السلامة
 كما هو طريق أهل الحديث فإن في الألفاظ متسعا في الدلالات ، وجهات من الاحتمالات
 واستعداها في الموضوعات ، وفضفضة في الأداء والانقها .

ومن شاء فليدرس لفظ الحادث والقديم والخلق والكلام وغيرها من هذه العبارات
 التي كانوا يتباحثون بها ، فسيرى أن الخطب فيها غير هين . وأن تطرق الاحتمال فيها واقع
 وواضح ، فليعلم بعد ذلك أن السلامة في نقل ما قال السلف الأولون . أما تكفير بعض
 الناس بعضا فليس سهلا في دين الإسلام ، ولقد جر كثيرا من الولايات على هذه الأمة .

(١) المجلة - والمنهور من الامام الأشعري أنه عاد بعد ذلك إلى مذهب السلف الذى كان يلزمه
 إليه الامام أحمد واستقر على ذلك .

خبر المحنة في خلق القرآن :

كان أول من دس عقيدة القول بخلق القرآن إلى المأمون القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، وكان هذا القاضي ممن تصلعوا بعلم الكلام ، وأخذوه عن هياج بن العلاء السلمي صاحب واصل بن عطاء رأس المعتزلة ، وكان معظما عند المأمون فما زال يحسن هذه العقيدة عنده حتى اعتقدها كل الاعتقاد ، ثم حسن له هو وجماعة أن يدعوا الناس إليها تطهيراً للعقائد برعهم : فأجمع رأيهم في سنة ٢١٨ هـ على الدعاء إليها ، فكتب إلى نائبه على بغداد إسحاق ابن إبراهيم الخزازي في امتحان العلماء كتاباً طويلاً ندد فيه بمن ينكرون خلق القرآن وسبهم واحتج عليهم بما تعلم من أهل التوحيد من المعتزلة ، وأمره في آخر الكتاب أن يجمع من يحضره من الفضاة ، ويقرأ عليهم كتاب الخليفة ، ويعلمهم أنه لا يستعين في عمله بمن لا يقول بخلق القرآن . وأنهم إذا أقرؤا بذلك فليأمرهم ألا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن ، ثم كتب إليه في أشخاص سبعة من أئمة الحديث إلى الخليفة ليمتحنهم بنفسه ، فكلهم أجاب المأمون تقية بعد أن توقفوا . ثم ردهم إلى بغداد وأمر إسحاق بن إبراهيم فأحضر الفقهاء ومشايخ الحديث وأخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة فامتنع جماعة من الاعتراف به ، منهم أحمد بن حنبل ، وبشر بن الوليد الكندي ، وأبو حسان الرازي وغيرهم .

فأمره الخليفة بإحضارهم إليه ، فاستدعاهم إسحاق وبلغهم أمر الخليفة وناظرهم قبل أن يتصرف في أمرهم ، فنهى من ورى في قوله ، ومنهم من أصر على امتناعه ، وكان الحديث مع أحمد هكذا :

إسحق — ما تقول يا أحمد ؟

أحمد — كلام الله .

إسحق — أغلوق هو ؟

أحمد — لا أريد على هذا .

ثم وجه بأجوبتهم إلى المأمون ورد عليه المأمون بكتاب تناول فيه الجميع بالسب إلا من أقر ، وكان مما قال : . وأما أحمد فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف خوى مقالته ، وامتلد على جهله وآفته ، وفي نهاية الكتاب : ومن لم يرجع عن شركه فاحملهم موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين ليسألم ، فإن لم يرجعوا حملهم على السيف . . فلما علموا ذلك أجابوا جميعاً

تقية ما عدا أحمد بن حنبل وبجادة والقواريري ومحمد بن نوح ، فأمر بهم إسحق فقيدوا ثم سألهم من الغد وهم في القيود فأجاب بجادة ، ثم عاودهم ثالثاً فأجاب القواريري ، ووجه بأحمد بن حنبل ومحمد بن نوح إلى طرسوس فلما صاروا إلى الرقة بلغتهم وفاة المأمون ، ومات محمد بن نوح في الطريق ، وكان عديلاً لابن حنبل في المحمل ، فغسله أحمد وصلى عليه ودفنه .

وكان المأمون قد كتب وصية يحرض الخليفة من بعده على حل الناس ليقولوا بخلق القرآن ، واستقل المعتصم بالخلافة ، فلما صارت الخلافة إليه عمل بوصية المأمون واشتدت المحنة على أهل السنة ، وقد دعا أحمد مرتين في مجلسين يطول شرحهما ، وفي الليلة الثالثة جمع الحشود ، وحشد الجنود ومعهم السياط ثم أمر العلماء بمناظرة الإمام وطأت المناظرات في حضرة المعتصم فلما ضجر المعتصم دنا وقال : ويحك . أجبنني حتى أطلق عنك يدي . فقال له : أعطني شيئاً من كتاب الله . فقال له عليك اللعنة وما زال يسبه . وقال : خذوه واسحبوه واخلعوه . ثم شدد يده في الخشب حتى تخلعتا . وهم المعتصم أن يساعده لما رأى من صلابته وتدينه ، ولكن القاضي أغراه به وقال : إنه كافر ولا يسعك أن تغير سنة المأمون فدعا بالجلادين وجعلوا يبادلون على الإمام حتى ضرب تسعة عشر سوطاً بقاية الشدة . ثم قال المعتصم : يا أحمد علام تقتل نفسك ، إني والله عليك لشقيق . فجعل جدى ينخسه بسيفه ويقول : أتريد أن تغلب هؤلاء جميعاً ؟ وآخر يقول له : الخليفة على رأسك . وجعل الناس يقولون للخليفة : أنت صائم ، وأنت في الشمس قائم . وهو يقول : أجب يا أحمد : والإمام أحمد يقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله . وما زال على هذه الحال يعذب بألوان العذاب وهو صائم لا يفطر . وصابر لا يتحول عما يعتقد الحق والدين .

رحمك الله يا ابن حنبل ، وجعل للعلماء ورجال الدين فيك الأسوة الصالحة الكريمة ، فقد طال تعذيبه وهو صائم طاروا لا يأكل ولا يشرب ولا يترقب بشيء في سبيل مبدأ يراه الحق ويعتقد فيه الهدى والرشاد . وقد أمر المعتصم به تخلي سبيله ولم يستطع أن يقتله . - على أنه قتل غيره من أئمة الحديث - خوفاً من الرأي العام الذي حفر بالإمام وأيده وأحبه حباً شديداً . وقد جاء في بعض الخبر أن الناس اجتمعوا حول قصر الخليفة وهتفوا بأحمد حتى خاف السلطان .

وهكذا هكذا يجب أن يأخذ المسلمون ورجال الدين العبرة في هذا الإمام الصالح الورع الزاهد الصابر المحقق ، فإن في هذه الصفات ما جعل في هذا الإمام ومن على شاكلته علماء كأنبياء بني إسرائيل يتفاني الناس في حبهم . ويفزعون إليهم في مهماتهم ويتخذون منهم الملوك والقادة يلمسون فيهم خلافة الله في الأرض .

اللهم جنبنا وعلما هذا الجيل عثرات التذبذب والتكالب على الدنيا ، وهبنا توكلنا عليك وزهداً فيما يشغل عنك . واجعل عصمتنا بك وحدك يا الله يا كريم .

ومات المعتصم سنة ٢٢٧ بعد محنة أحمد بن حنبل بسبع سنوات لم يتعرض له في أثناءها بل تركه وما يدين مقدراً فيه شجاعته وثباته .

وتولى الواثق منذ ذلك أمر المسلمين وكان أوسع ثقافة من سلفه حتى كان يسمى المأمون الأصغر ، وتعصب للقول بخلق القرآن عن درس وبحث ، وجرت في عهده مناظرات ومناوشات . واستدعى أحمد الخزازي وقال له : ما تقول في خلق القرآن ؟ فقال : كلام الله غير مخلوق . فحاول الواثق أن يحمله على أن يقول : إنه مخلوق فأبى . ثم ناظره في مسائل أخرى من علم الكلام . فخالفه . وانتهى الأمر بقتله كما قتل غيره . ولكنه لم يتعرض للإمام أحمد بأكثر من قوله : لا تسكني في بلد أنا فيه .

وجاء المتوكل بعد ذلك فلم يتعصب للقول بخلق القرآن ، بل نهى عن القول بذلك بعد نحو سنتين من خلافته ، فمظلمه الناس وبالفوا في الثناء عليه والبطاء له ، وكانت فتنة وفي الله الناس شرها على يد هذا الخليفة رحمه الله وغفر له . ومدحه الشعراء ، ومن أحسن من قال فيه البحري الذي يقول في بعض قصائده :

يا باني المجد الذي قد كان قوض فانهدم
اسلم لدين محمد فإذا سلبت فقد سلم
نلتنا الهدى بعد العمى بك والغنى بعد العدم

وفي عهد المتوكل كانت وفاة الإمام أحمد في سنة ٢٤١ رحم الله الجميع وغفر لهم .

محمود التواوي

مقدمة الواجب

بعد أن ذكرنا تقاسيم الواجب المشهورة عند الأصوليين ، نرى أن نلم بشيء مما يسمونه مقدمة الواجب ، وإنما يقصد بها ما لا يتم الفعل المطلوب إلا به ، بمعنى أن المكلف إذا أمر بإقامة الصلاة فهل يجب عليه ضمن ذلك تحصيل الوضوء الذي يتوقف عليه الصلاة شرعا ولا تتم حقيقتها الشرعية إلا به .

والذي يتوقف عليه الواجب ينقسم إلى أسباب وشروط . وكل منهما عقلي أو عادي أو شرعي . فالسبب العادي كالنظر الصحيح الموصول إلى العلم بالوجوب ، والسبب الشرعي كالنطق بلفظ العتق الذي يترتب عليه تحرير الرقاب ، والشرط العقلي كترك العمد لأداء الواجب لاستحالة جمع الضدين . والشرط العادي كفصل جزء من الرأس ليتحقق غسل الوجه والشرط الشرعي كالوضوء لصحة الصلاة ، ويبان ذلك أن الأسباب ضرورية لوجود المسببات فلا بد من توجه الخطاب إلى طلبها حين يتوجه إلى طلب مسيبتها إذ هذه لا توجد إلا بوجود تلك ضرورة . فإذا طلب الشارع عتق رقبة فقد أمر بالإتيان باللفظ الذي هو سبب للعتق وإذا طلب العلم فإنما يطلب أن يتوجه إلى النظر الصحيح . فالحقيقة أن المسببات التي توجه إليها الطلب ظاهراً ليست من فعل العبد ، وإنما هي آثار لأسباب هي التي تناهها قدرته ويتناولها كسبه . فالطلب إنما يتوجه إلى هذه الأسباب أولاً .

أما الشروط الشرعية فقد استفيد وجوبها من أوامر خاصة بها كالوضوء وستر العورة والطهارة وهي التي دلت على كونها شروطاً ، وإذا فلا حاجة بها إلى أن تستفاد من الإيجاب ضمن غيرها . وإذا تكلفنا موجبا آخر للشروط الشرعية فإنما يقال إن المكلف مطالب بتحصيل الواجب وهو لا يتحصل إلا بتحصيل شروطه لئتم مطلوب الشارع . وهذا هو الذي نقوله في بيان أن الشروط العقلية والعادية واجبة التحصيل لئتم تحصيل الواجب المأمور به ، ويختصر تفصيل ما تقدم في قاعدة قائلة - ما يتوقف عليه الواجب وهو مقدور للمكلف فهو واجب به - وإنما قيدت هذه القاعدة بالمقدور للمكلف ليخرج ما ليس مقدوراً كاليد في الكتابة والرجل في المشي ودلوك الشمس لتحقيق المطلوب في قوله جل شأنه « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » .

الحرمة : هذا هو الثاني من أحكام التكليف . ويقال له التحريم والمحذور والمحرم والمعصية والذنب والمزجور عنه والمتروك عليه والتقيح . وهذه العبارات تتردد على السنة الأصوليين والفقهاء . فالمحذور في اللغة ما كثرت آفاته ومنه يقال ابن محذور أى كثير الآفة . وقد يطلق بمعنى المنع والقطع ومنه قولهم حظرت عليه كذا أى منعته منه . ومنه الحظيرة للبقعة المنقطعة تأتى إليها الموائش ، والحرام هو ما يفتنض فعله سبياً للذم شرعاً بوجه ما من حيث هو فعل له ، فانتهاض فعله سبياً للذم يميزه عن الواجب والمندوب وسائر الاحكام . وقد يعرف بأنه طلب ترك الشيء طلباً جازماً بحيث يثاب على تركه ويذم على فعله . وإذا قد علمنا أن الواجب هو ما طلب فعله ، فوجوب ترك الفعل يكون منافياً لوجوب طلبه وقد اتفق الأصوليون على استحالة الجمع بين الحظر والوجوب في فعل واحد ، من جهة واحدة . على القول الراجح من عدم جواز التكليف بالمحال . ثم اختلفوا في جواز انقسام النوع الواحد من الأفعال إلى واجب وحرام ، كالسجود لله تعالى ، والسجود للصنم ، فأجازه جبهة الأصوليين والفقهاء ، ومنعه بعض المعتزلة ، استناداً منهم إلى أن السجود نوع واحد وهو مأمور به لله تعالى فلا يكون حراماً ولا منهيًا عنه بالنسبة إلى الصنم من حيث هو سجود وإلا كان الشيء الواحد مأموراً به ومنهيًا عنه وذلك محال . فالمحرم المنهى عنه قصد تعظيم الصنم وهو مغاير للسجود . وكما اختلفت في الواحد بالنوع بين أهل السنة وبعض المعتزلة اختلفت في الواحد بالشخص كالصلاة في الدار المغصوبة فعند الأكثر تصح إذا لا مانع من ذلك لاختلاف جهتي الوجوب والحرمة ، فإن السكون في المكان المغصوب وإن كان واحداً بالشخص ، لكنته متعدد باعتبار كونه صلاة وعبادة لله تعالى ، وباعتبار كونه غصبا وتعديا على الغير فيمكن افتراق إحدى الجهتين عن الأخرى . فبالجهة الأولى يكون واجبا وبالجهة الثانية يكون حراما ، نظير ذلك إذا أمر عبده بالحيطة ونهاه عن السفر فسافر وخاط في السفر فإنه مطيع في الحيطة ، وعاص في السفر . وهناك مخالقات فيما ذكرنا للقاضي أبي بكر الباقلاني والجبائي وغيرهما . وقد أقاما أدلة لما ذهبوا إليه وقد ضعفت بحيث تعجز عن الوقوف أمام أدلة الجمهور .

واللهي تارة يرجع إلى ذات المنهى عنه فلا يمكن إيجابه ، وتارة يرجع إلى وصف في المنهى عنه فيجوز إيجابه ، وذلك كوجوب الطواف مع النهي عن إيقاعه مع الحدث

وكشروعية الصوم مع الهى عن إيقاعه يوم الحمر . فيقال الصوم من حيث هو صوم مشروع ومن حيث أنه واقع في هذا اليوم غير مشروع ، والطواف مشروع بقوله تعالى « وليطوفوا بالبيت العتيق » ، ولكن وقوعه في حالة الحدث مكروه . والبيع من حيث أنه بيع مشروع لكن من حيث وقوعه مقتراً بشرط فاسد مكروه . والطلاق من حيث أنه طلاق مشروع ومن حيث وقوعه في الحيض مكروه ، إلى غير ذلك من التصرفات المقرونة بأوصاف توجب الكراهة دون الفساد .

ويذهب الشافعى إلى أن المحرم بوصفه مضاد لوجوب أصله - وصورة المسألة ما إذا أوجب الصوم وحرم إيقاعه في يوم العيد ، ذاهبا إلى أن المحرم هو الصوم الواقع في هذا اليوم فألحق المحرم بوصفه بالمحرم بأصله ، وجعل تحريمه مضادا لوجوبه ، وذهب أبو حنيفة في هذه الصورة إلى أن المحرم نفس الوقوع لا الواقع ، وهما غيران ، فلا تضاد ، فألحق المحرم باعتبار الوصف بالمحرم باعتبار الغير .

وكما وقع الاختلاف في هذه المسألة وقع الاختلاف في جواز تحريم أمرين من أمرين معينين إذ لا مانع من ورود النهى بقوله لا تكلم زيدا أو عمرا ، وقد حرمت عليك كلام أحدهما لا بعينه ، ولست أحرم عليك الجميع ولا واحدا بعينه . ولا شك أنه إذا كان كذلك فليس المحرم بمجموع كلاهما ولا كلام أحدهما على التعيين لتصريحه بنقيضه ، فلم يبق إلا أن يكون المحرم أحدهما لا بعينه . وذهب بعض المعتزلة إلى منع تحريم واحد منهما من أمرين معينين ويكفى للرد عليهم أنهم خالفوا اللغة فيما ذهبوا إليه .

وإذ قد ذهب الحنفية إلى التفرقة بين الفرض والواجب كما سبق بيانه ، ذهبوا إلى التفرقة في النهى مستنديين إلى أن النهى ينقسم إلى قسمين باعتبار طريق الثبوت .

فالأول ما ثبت قطعا بنص الكتاب والسنة المتواترة والإجماع ، ففاد ذلك التحريم المقابل للفرض .

والثاني ما ثبت ظاهرا كالتأنيث بأخبار الآحاد والقياس ، وهذا مقتضاء كراهة التحريم فهو يقابل الواجب . فالمكروه تحريما منزلة تقرب من الحرام عند أبي حنيفة وأبي يوسف . وقال محمد : كل مكروه حرام ، ولا خلاف بينهم وبين غيرهم من الأصوليين في المعنى ، وهو أن المكروه معاقب عليه كالحرام ، إلا أن جاحده لا يكفر ، لأن ما طريقة الظن لا يكفر جاحده عند الجميع .

عبد الله المراغى

السيد جمال الدين الأفغاني

نسبه وحياته :

هو السيد محمد بن صفدر ، وقد ولد في سنة ١٢٥٤ هـ (سنة ١٨٣٨ م) في أسعد آباد بمقاطعة كابل بأفغانستان ، من أسرة شريفة يرجع نسبها إلى الحسين بن علي ، ومن أجل هذا كان يدعى بالسيد . وكان على الترمذي المحدث الشهير من أجداده . وتروى بعض المصادر الأخرى أنه ولد في أسد آباد بالقرب من همدان بفارس ، وأنه هو الذي قد تعدد تغيير مسقط رأسه لينجو من الطغيان الفارسي . وعلى أي الاحوال قد أمضى السنين الأولى من حياته بالقرب من كابل في أفغانستان . ولما شب درس الفلسفة والرياضة في تلك الأصقاع بقدر ما كانت المناهج الشرقية تسمح به في ذلك العهد .

وفي سنة ١٢٧٣ هـ ارتحل إلى مكة ليؤدي فريضة الحج . وبعد عودته إلى أفغانستان التحق بخدمة الأمير دوست محمد خان ، وعلى أثر موت هذا الأمير قذفت به صداقته مع محمد أعظم شقيق دشير علي ، الأمير المتطلع إلى العرش في معمران الاضطرابات التي وقعت بين الأسر المالكة . وبعد أن تم الأمر للأمير الجديد عين جمال الدين وزيرا له ، ولكن حكم هذا الأمير لم يدم طويلا . وعلى أثر سقوطه صمم جمال الدين على أن يهجر أفغانستان فغادرها في سنة ١٢٨٥ هـ إلى الهند ثم إلى القاهرة حيث أقام أربعين يوما انعمت أثناءها الصلة بينه وبين الدوائر الأزهرية ، وألقى في منزله على بعض الناهضين من الأزهريين محاضرات ودروسا . وفي سنة ١٢٨٧ هـ ارتحل إلى القسطنطينية ، وكانت شهرته قد سبقته إليها ، فاستقبلته البيئات العالية في تركيا استقبالا غفيا ، ولم تلبث أن عينته في وزارة المعارف وكلفته بإلقاء محاضرات عامة في مسجد آياصوفيا ، وفي جامع السلطان أحمد ، فحده رجال الدين هناك ، وعلى رأسهم شيخ الإسلام حسن فهمي ، وظلوا يترقبون الفرصة للإيقاع به . وقد قدم إليهم جمال الدين نفسه هذه الفرصة حيث صرح - في محاضراته التي ألقاها في دار الفنون عن قوائد الفن - أن النبوة هي إحدى الوظائف الاجتماعية وأنها فن من الفنون ، ففهم هؤلاء من ذلك أنه يعني أن النبوة مكتسبة .

لم يكبد هذا التصريح إعلان حتى نارت نائرة شيخ الإسلام ، واتهمه بالمروق عن الدين وفي الحال غادر جمال الدين العاصمة العثمانية واتجه إلى القاهرة ، فاستقبله القائمون بالامر خير استقبال ، واحتفت به البيئات المثقفة أجل احتفاء ، ومنحته الحكومة المصرية اثني عشر ألف قرش سنويا دون أن تسكفه بعمل محدد .

مكنته هذه المعونة من أن يلتقي في منزله على الشبان الناهضين المتعطشين إلى العلم محاضرات في الفلسفة والتوحيد وفي إيضاح طريق الإنتاج الأدبي . وفي أثناء هذه الدروس كان يتحين الفرص لإيقاظ الشعور الوطني في نفوس هذا الشباب الغافل ، فيشوقه إلى الحرية الكاملة والاستقلال التام ، ويحبب إليه الانظمة الدستورية الحرة ولما كان الشباب المصري يتشرب تعاليمه في شغف ويسارع إلى العمل بها فقد ضايقته سياسته الإنجليز في مصر كما ضايقته تجديداته ودروسه الفلسفية البيئات الأزهرية يومئذ ، فتذرع الاولون بسخط الآخرين وأمرؤا بطرده من مصر ، فارتحل إلى الهند ، وهناك أرغته السلطات الإنجليزية على أن لا يرحل حيدر آباد ، وفيها ألف رسالته : « الرد على الدهريين » .

بيد أن تعاليمه لم تنطق في مصر بعد رحيله منها ، بل قد يكون لهذه التعاليم أثر في الحركة الوطنية التي اشتعل أوارها في سنة ١٨٨٢ م ، والتي انتهت بضرب الإسكندرية والاحتلال الإنجليزي .

وبعد أن تم الأمر للإنجليز في مصر ، وأيقنوا بأن أقدامهم قد تثبتت فيها ، وأن الدعاية ضدهم لم تجدها مجالا ، سمحوا لجمال الدين بمغادرة الهند ، فارتحل إلى أمريكا بذية اعتزام التجسس بالجندية الأمريكية ، ولكن يظهر أنه لم ينفذ هذه الفكرة ، وفي سنة ١٨٨٣ ارتحل إلى لندن فبقى فيها وقتا قصيرا ، ثم غادرها إلى باريس ، فأقام بها يرافقه صديقه وتلميذه الشيخ محمد عبده ، وهناك نشر في تفصيل آراءه السياسية التي هاجم فيها بعنف تدخل إنجلترا في مصير الشعوب الإسلامية . وقد فتحت كبريات الصحف وأكثرها تأثيرا صدورها لمقالاته التي عنيت بها البيئات الممتازة ، والتي كانت تمس سياسة إنجلترا وروسيا في الشرق ، وتغنى بأحوال تركيا ومصر ، والتي كشفت مغزى حركة المهدي في السودان .

وفي هذا الوقت عينه حدثت مناقشاته مع المسيو رينان بسبب المحاضرة التي ألقاها هذا

الآخر في السوربون عن الإسلام والعلم ، والى حل فيها منشأها على الإسلام حملته الجائرة الشهيرة ، فرد عليه السيد جمال الدين بمقال قيم نشر أولا في جريدة « الدنيا » ، ثم ترجم إلى اللغة الألمانية ، وبعد زمن قصير ترجم حسن أفندى عاصم محاضرة رينان إلى العربية ، ونشرها مع رد السيد جمال الدين .

غير أن نشاط السيد جمال الدين السياسى والأدبى قد ظهر على الأخص في مجلته : العروة الوثقى الأسبوعية . التى كان يصدرها بمؤونة الشيخ محمد عبده ، والى كانت تطبع على نفقة جمعية إسلامية هندية ، والى كانت تهاجم فى قسوة لا تعرف اللين أعمال إنجلترا في البلاد الإسلامية ، ولا سيما فى مصر والهند .

لم يكر العدد الأول من هذه المجلة يظهر فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١ (١٣ مارس سنة ١٨٨٤) حتى تعقبها السلطات الانجليزية فى الشرق فتمت دخولها إلى مصر والهند ولم ينجح القائمون بها فى إدخالها إلى تلك البلاد إلا بوضعها فى أغلفة كأنها رسائل خاصة . لم يطل أجل هذه المجلة إذ لم يظهر منها إلا ثمانية عشر عددا كان آخرها فى ٢٦ ذى الحجة سنة ١٣٠١ (١٧ أكتوبر سنة ١٨٨٤) ولكن تأثيرها كان رغم ذلك عظيما فى انتشار روح الحرية وكرامية الانجليز فى البيئات الإسلامية ، ويمكن أن تعتبر طليعة أدبية للحركات الوطنية التى جعلت تنمو منذ ذلك العهد فى البلاد الإسلامية المملوكة لانجلترا ، بل يمكن الاقتناع بأن أهميتها لم تنقص إلى الآن . ومن آيات ذلك أن حسيناً محي الدين الحبال مدير مجلة « أبابيل » أعاد طبع « العروة الوثقى » فى سنة ١٣٢٨ (سنة ١٩١٠) .

على الرغم من هذه الكرامية العلنية التى كان يبديها السيد جمال الدين نحو الانجليز ، فإن رجال الحكومة الانجليزية قد دخلوا فى مفاوضة شخصية معه ليستعينوا به على إخمات الحركة السودانية فى سنة ١٨٨٥ م ، ولكن هذه المفاوضة لم تنتج أية فائدة عملية .

وفى سنة ١٨٨٦ وكان حماسه لإيقاظ الشعوب الإسلامية قد جعل ينمو ويمتد - دعى برقيا إلى بلاط الشاه ناصر الدين بطهران قلبى الدعوة ، وهناك استقبل استقبالا حافلا وعين فى مناصب رفيعة ، ولكن تأثيره وشعبيته لم يلبثا أن حملا الشاه على الاحتياط منه ، بل على التبرم به ، فلما رأى هذه الحالة غادر بلاد فارس مدعيا أن ذلك لأسباب صحية ، ثم اتجه

إلى روسيا حيث ألفت صلات سياسية هامة ، وأقام بتلك البلاد إلى سنة ١٨٨٩ م . وفي ذلك التاريخ التقى أثناء سفره لزيارته معرض باريس العام بالشاه في مونيخ ، فخله هذا الأخير على العودة إلى فارس فعاد وحظى بقبته ، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا ، إذ لم يلبث الوزير ميرزا علي أصغر خان أمين السلطان أن حسده ورأى في شخصيته خصما له ، فأخذ يدس له حتى نجح في تصديره موضع رية السلطان . وقد استعان على هذه الدسيسة بالجنديد الذي كان السيد جمال الدين يريد إدخاله على النشريع ، فأحس بالخطر الذي يهدده ، فالتجأ إلى مسجد السلطان عبد العظيم بالقرب من طهران ، والذي من دخله كان آمنا ، وظل فيه سبعة شهور يحوطه عدد من المعجبين به ، الذين كانوا يتلقون في شفوف نظرياته عن التجديد السياسي ، في البلاد المضطربة ، ولكن ذلك الوزير أخذ يضاعف دسائسه له عند الشاه ويبين له الاخطار الناجمة عن تعاليمه حتى دفعه إلى الاعتداء على حرمة ذلك الملجأ فبعث إليه خمسمائة فارس أحضروه مكبلا في الحديد ، رغم سوء حالته الصحية ، واقتادوه في هذه الاغلال إلى الحدود الفارسية التركية ، وكان ذلك في أوائل سنة ١٨٩٩ م فاتجه إلى البصرة وأقام فيها وقتا قصيرا ثم ارتحل إلى إنجلترا حيث قام - في مقالاته ومحاضراته - بحملة عنيفة ضد الفزع السائد في فارس . وفوق ذلك فإن طرده من تلك البلاد قد ساعد كل أنصار التجديد فيها على الظهور لا سيما وأنه كان على اتصال دائم بهم يشجعهم في رسائله على السير في طريقهم .

ولما منحت الحكومة الفارسية إحدى الشركات المالية الإنجليزية امتياز احتكار التبغ وظهرت نتائج هذا التصرف السيئة التي سلبت البلاد جانبا عظيما من ثروتها ، اتخذ السيد جمال الدين هذا الحادث وقودا لنار حملته . وفي أثناء ذلك بعث إلى ميرزا حسن الشيرازي - وكان أول مجتهدى سامرا - إذ ذاك - رسالة مشتملة على حملة عنيفة على الحكومة انهما فيها بالسفه ، وبالتبذير في المال العام لمصلحة أعداء الإسلام . وبما جاء في هذه الرسالة قوله : إن الأوروبيين قد منحوا قبل ذلك عدة امتيازات هامة ، جعلتهم في الصف الأول من صفوف الاقتصاد . والآن سينتهى امتياز احتكارهم التبغ بتسليمهم بلاد فارس نهائيا .

لم يقتصر السيد جمال الدين على إبلاغ ميرزا حسن هذه التهمة ، بل أبان له بعض المظالم الأخرى التي ترتكبها الحكومة ، وعلى الخصوص قسوة أعضائها ، وعلى رأسهم ميرزا علي أصغر خان . وقد أراد بذلك كله أن يوقظ السلطات الدينية والشخصيات المنففة من نومها العميق ليدفعها إلى عمل عظيم باسم الدين .

كانت النتيجة الأولى لهذه الرسالة أن أصدر المجتهد قنوى حرم فيها استعمال التبغ على جميع المؤمنين حتى تلغى الحكومة عقد الاحتكار . وعلى أثر ذلك اضطرت الحكومة إلى الإذعان فألغت المقد ودفعت تعويضاً مالياً كبيراً للشركة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن تأليب جمال الدين للشعب ضد الشاه أخذ ينمو حتى تحول إلى حركة تجديدية عنيفة لم تلبث أن انفجرت بمساعدة رجال الدين وانتهت بقتل الشاه في ١١ مارس سنة ١٨٩٦ بيد ميرزا محمد رضا أحد أنصار جمال الدين .

وفي أثناء مقام السيد جمال الدين في إنجلترا تسلم رسالة من السلطان عبد الحميد يطلب إليه فيها أن يذهب إل القسطنطينية فينزل ضيفاً على السلطان ، فلم يتردد في السفر ، وعند وصوله إلى تلك المدينة منحه السلطان خمسة وسبعين جنياً تركياً في الشهر ، ومنزلاً جميلاً على تل د نشان طاش ، بالقرب من قصر بلدز حيث استطاع أن يعيش عيشة الأمراء ، فأمضى هناك الأعوام الخمسة الأخيرة من حياته ، وقد وصف أحد الرحالة الألمان حالته في ذلك العهد فصرح بأنه كان في سنة ١٨٩٦ يتأرجح بين نعم السلطان عبد الحميد ، ودسائس أتباعه التي لا تدرج تحت حصر ، وأنه طلب عدة مرات السماح له بالسفر فلم يؤذن له في ذلك ، ومعنى هذا أنه كان يحيا في هذا المنزل الجميل الموضوع تحت تصرفه حياة من يعيش في أسر مذهب .

وبعد قتل الشاه جماعات حالة جمال الدين تدهوت شيئاً فشيئاً ، إذ أذاع أعداؤه في بلاد فارس أنه هو الذى يدبر — وهو في القسطنطينية — المؤامرة ضد الشاه ، وأنه هو الذى دفع القاتل ، وهو من أنصاره المخلصين ، إلى ارتكاب جريمته ، وبالرغم من أن السلطان عبد الحميد قد أبى أن يسلمه إلى الفرس ، فإن تهمته قد أخذت تنمو وتنتشر في مختلف الأوساط ، ولما كان من بين خصومه الخطيرين أبو الهدى ، وهو أكثر رجال الدين تأثيراً في البلاط إذ ذاك ، فقد اتهم بدس السم له في ٩ مارس سنة ١٨٩٧ ، ولكن ذلك غير صحيح ، إذ أن السيد جمال الدين قد توفى بالسرطان ودفن في مقبرة د نشان طاش .

منتجاته :

أما منتجاته فأكثرها محاضرات متفرقة ، ودروس منتشرة ، لأنه - رغم هذا العلم الغزير - لم يترك كثيراً من المؤلفات ، ومن أهم ما سجل من منتجاته : (١) رسالته في الرد على الدهريين

وقد كتبت باللغة الفارسية ، وترجمها الشيخ محمد عبده إلى العربية بعنوان : « رسالة في إبطال مذهب الدهريين » ، وبيان مفاسدهم وإثبات أن الدين أساس المدنية ، والكفر فساد العمران ، وطبعت للمرة الأولى في بيروت في سنة ١٣٠٣ هـ ، وللمرة الثانية في القاهرة في سنة ١٣١٢ هـ ، وترجمت كذلك إلى اللغة الأوردية (ب) « تمة البيان » ، وهو موجز في تاريخ أفغانستان ، وله صورة فوتوغرافية أخذت في القاهرة . (ج) مقال عن الباب في دائرة معارف البستاني . (د) رده على رينان ، وقد نشره حسن أفندي عاصم بالعربية . (هـ) مقالانه في مجلة العروة الوثقى . (و) مقالانه في مجلة ضياء الخافقين ، وهي مجلة شهرية باللغتين العربية والإنجليزية ، كان السيد جمال الدين أحد مؤسسيها ومحرريها ، وكان يكتب فيها بتوقيع السيد أو السيد الحسيني أعنف المقالات هجوما على الشاء . (ز) محاضرتان في التربية والمهن ، وقد نشرتا في مجلة « مصر » في ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٦ هـ . (ح) مقالان سياسيان عنوانهما : في الحكومات الاستبدادية ، نشر في المجلد الثالث من المنار .

الدكتور محمد غنم

سبب تأخر المسلمين

قال الأستاذ هنري لاوست : من القرن الخامس عشر الميلادي بدأ الانحطاط في العالم الإسلامي . وللمسلمين اهتمام شديد في البحث عن أسباب هذا الانحطاط : فتنهم من يرى أنه ناشئ عن عدول المسلمين عما كان عليه سلفهم في العصر الأول . وبعض الأوربيين يرى أن سبب تأخر المسلمين عدولهم عن البحث في فلسفة أرسطو . والذين يقدمون تقدم الآلات الميكانيكية في الغرب يرون أن سبب تأخر المسلمين قصيرهم في الأخذ بأسباب الصناعة ومجاراة الأمم فيها . وفي الواقع أن المسلمين لم يقتبسوا الطباعة إلا في أزمان متأخرة ولو بكررا في ذلك لكان له الأثر الطيب . ويعد في جملة أسباب تأخر المسلمين ما كان من تعصب الترك على القومية العربية حتى قصرت عن بلوغ ما تستطيعه .

كمال الايمان

روى أبو داود عن أبي أمامة رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان ، .

في هذا الحديث الشريف يحل لنا رسول الله ﷺ أربعة أمور يقوم عليها نظام الحياة ، وتتوثق بها روابط الجماعة ، وتتضافر لنا أسباب العزة ، في خلوص من الشوائب ، ونقاوة من الأكدار ، وترفع عن الزلفى ، وسمو بالغرض النبيل .

ذلك أن علاقات الأفراد والجماعات تتجاذبها عوامل الحب والبغض ، وأن تعامل الأفراد والجماعات يتردد بين الإعطاء والمنع ، ولا بد من أساس يقوم عليه هذا التعامل وتركز به تلك العلاقات .

فالحب لله عزة وسمو ، والبغض لله تنمية وتزكية ، والإعطاء لله وصلة صادقة لا تبلى ، والمنع لله تأديب بالغ ، وزجر مشكور .

ولا يحب من أحب الله إلا محبواً مذهب النفس ، كريم الشئائل ، طاهر اليد ، عف اللسان ، طيب السيرة ، محمود السريرة ، يحبه الله لأن له صفات يحبها الله .

وفي ذلك ربط وثيق بين المنحابين ، وتدعيم لهذه الأسس الكريمة التي يحفظها الله ويباركها الله ، أما أن يكون الحب لغاية رخيصة في متعة زائلة ، من مال ، أو جاه ، أو منصب ، فلن يدوم هذا الحب ، ولن يسلم من عوامل الكراهية والبغضاء ، وهو بعد ، لا يخلص لله أبداً ، ولا يبلغ الغاية أبداً .

روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .

والحب في الله يستتبع الإجلال والإكبار لمن أحب ، والتفاني فيه ، والذود عنه ، والنصح له . كل ذلك في إخلاص لا يشوبه رياء ، وولاء لا يلابسه ملق ، وتقدير وتوقير

لكرامة النفس ، ونبالة الأخلاق . فالولاء للحاكم العادل حب لله ، وتقدير الجندى الباسل المجاهد حب لله ، واحترام الموظف الأمين حب لله ، وتشجيع العامل الوفي حب لله ، والإقبال على التاجر الصادق حب لله ، لأننا أحببنا في هؤلاء عدالتهم ، وبسالتهم ، وأمانتهم ، ووفاءهم ، وصدقهم . وكلها صفات كريمة يحبها الله . ويأمرنا بها ، ويحفظنا على أن نهي . مكانها في أعماق النفوس وبين طيات الجوارح ، فإذا اجتمعنا على هذا الحب من أجل هذه المكرمات ، فإن فضل الله يعمرنا ، ونوره ينشأنا ، ونصره يلاحقنا في أمن وعين وإعزاز ، روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله ، قالوا : يا رسول الله فتخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لور ، ولأنهم لعل نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ، وقرأ هذه الآية : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وروى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء » . وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، وتبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب والبغض ؟ ،

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : « ابن المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلم في ظلي ، يوم لا ظل إلا ظلي » . وكما يكون الحب لله من كمال الإيمان ، يكون البغض لله كذلك من كمال الإيمان .

فبغض الحاكم الظالم المستبد بغض لله ، وبغض الجندى المتبلد الذي لا يقوم بواجبه بغض لله وبغض الموظف المترخي بغض لله ، وبغض العامل الحامل بغض لله ، وبغض التاجر الخائن بغض لله .

والبغض لله يستتبع القضاء على تلك المفاسد ، وإزالة هذه الشرور ، فإننا حين نبغض الله إنما نبغض ظلم الحاكم ، وبلادة الجندى ، وتراخي الموظف ، ونحول العامل ، وخيانة التاجر وتلك لعمري الحق آثام ومناكر يبغضها الله ، فوجب أن نبغضها لله فنسارع لإهدارها والإنكار عليها ، وتطهير المجتمع منها ليقوم مجتمع صالح . ويسود شعب نظيف . ومن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلمه ، وذلك أضعف الإيمان . كما حدث بذلك الرسول الحكيم صلى الله عليه وسلم .

أما الإءطاء لله ، فهو البذل من غير من ولا أذى ، لسد حاجة السائل والمحروم ، وهو إنما يكون لله ، إذا وقع فى شغف بالبذل ، وفرح بالإيتاء . والمعطى من ماله كالمعطى ذات نفسه ، وكالمعطى من جاهه ، فى كل عطاء . فمن ضاق به ماله فليبذل من نفسه طلاقة وجه ، وبشاشة لقاء ، وليبذل من لسانه دلالة على الخير وهداية إلى البر ، وليبذل من قوته وفتوته مقاومة للمستعمر ومداغة عن حمى الوطن ، وليبذل من تفكيره ونضج عقله صواب الرأى وجمال التوجيه فى الحديث « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والصدقة خفيا تطفى غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر ، وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة ، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة ، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف » .

فالحديث الكريم يبين أن كل معروف صدقة ، وليست الصدقة قاصرة على بذل المال . فابذلوا - أيها الناس - من مالكم . وجاهكم ، وقوتكم ، وتفكيركم لنفع البلاد . ونفع العباد ، فى ذلك كله إعطاء لله ، وما أجمل قول الشاعر :

إذا ملكك كفى منالا ولم أنل فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
على الله لإخلاف الذى قد بذلته فلا مثلنى بذل ولا مسعدى بخلى
أرونى بخيلا طال عمرا يخلصه وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

والمنع لله هو الإحجام عن إنالة كل ما يساعد على الإثم والفسوق والعصيان . وهو كذلك يتناول قبض اليد عن البذل فيما يجر ضررا . والكف عن مهاوئة الأعداء ، والتضييق عليهم ، وحصارهم حتى تضيق عليهم الأرض بما رحبت ، وتضيق عليهم أنفسهم ، وكل منع وإعنات ، وتضييق فى هذا السبيل ، فهو منع لله ...

وبعد فهذه يا معشر الناس ، هى الباقية المزهرة العطرة ، التى قدوها لكم سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لتجدوا من نفعها النبوى ، ونورها المحمدى ، وتماسكها القوى ، وروحا وريحانا ، نروح فى ظله ، ونعبق من ريحه ، فتؤدى واجب النفس ، وواجب الغير . وواجب الوطن . لتسود أمتا ، وتظفر نهضتا ، ونسعد فى ديننا ودنيانا .

والسلام على من اتبع الهدى

محمد عبد النواب

أستاذ بكلية الشريعة

نداء الأستاذ الأكبر إلى الطلاب

بمناسبة افتتاح العام الدراسي بالأزهر

في يوم السبت ٢٢ صفر بدأت الدراسة في الأزهر ، ومعاهده ، وكلبانه . وقد وجه يومئذ صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الحضر حسين شيخ الجامع الأزهر هذا النداء :

أبنائي طلاب الأزهر والمعاهد الدينية

سلام الله عليكم ورحمته

أما بعد فإنكم اليوم تستقبلون عاما جديدا من حياتكم الدراسية الميعونة ، وإنه لطيب لى ولاسانذتكم أن تتلقاكم بالابتهاج والترحيب ، وأن توازركم فيما تبغون من خير ، وتتشدون من آمال ، وأن أبذل لكم النصح ، راجيا لكم التوفيق والسداد .
أبنائي :

إنكم تعدون لغاية نبيلة ، ومقصد عظيم ، يتقاضاكم أن تزودوا من العلم ، وأن تتحلوا بأحسن الاخلاق ، وتجملوا بأداب الإسلام . فارصدوا لذلك أوقاتكم ، وقفوا له جهودكم واصرفوا فيه مواهبكم مخلصين صادقين .

فياخلاصكم ومثابرتكم تبلغون آمالكم ، وتبنون مجدكم ، ومجد الامة التى تحوطكم بقلوبها ، وتعلق عليكم آمالها . فإن العلم أهدي سبيل إلى المجد : وأقوى دعامه لحضارة الامة ورقبها . وقد نهضت الامة إلى المجد واطرحت حياة البطالة والهر ، فاستشعروا الواجب عليكم لدينكم ولامتكم ، وكونوا فى طليعة العاملين ، وفقكم الله ، وعصمكم من بواعث الشر ، ونفعكم بالعلم ونفع بكم ...
والسلام عليكم ورحمة الله .

نظرة في شأهك

قال الشاعر :

قد ثكلت أمه من كنت « واحده » ، وبات مفتشاً في برثن الأسد

هذا البيت منسوب إلى حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ ، وهو من شواهد النحر ، استشهد به ابن عقيل في شرحه لآلفية ابن مالك على جواز تقديم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر من التقديم ، موافقة لرأى الناظم ابن مالك في هذا الرأي . وقد شرح شراح الشواهد هذا البيت على الصورة التي هو عليها في أول هذا الكلام قائلين : إن حسان بن ثابت رضى الله عنه مدح به أحد شجيمان المحاربين بأن من « يحده » ، هذا الشجاع في الحرب تفقده أمه ، ويبيت بعد قتله متشياً — أى معلماً — في كف الأسد يأكله بعد موته .

وظاهر من هذا الشرح أن كلمة « واحده » ، بالحاء مصحفة عن كلمة « واجده » ، بالجيم وهي موجودة كذلك بالجيم في النسخة الخطية من شرح ابن عقيل . وقد شرح هذا الشاهد أحد أسانذنا المعاصرين وأثبت كلمة « واحده » ، بالحاء ولم يتعرض لشرحها ، وتكلم عما عداها من الكلمات ، ولم يهتد تبعاً لذلك إلى شرح معنى البيت الإجمالى كما ينبغي .

ولكن بعد الرجوع إلى ديوان حسان رضى الله عنه تبين لى أن الشراح القدامى ومعهم أستاذنا المعاصر لم يعنوا أنفسهم بالرجوع إلى ديوان الشاعر حتى يعرفوا المناسبة التي قيلت فيها القصيدة التي منها البيت ، وحتى يعرفوا إن كان هذا البيت مصحفاً أو غير مصحف ، وأن المعنى الذي استنبطوه منه يطابق المعنى الذي قصده الشاعر أو لا يطابقه والحق أن المناسبة التي قيلت فيها القصيدة والمعنى الذي قصده الشاعر ، يتألفان منافاة تامة ما فهمه الشراح القدامى والمحدثون .

وليان ذلك أقول : إن لهذا البيت وقصيدته قصة ، تلك أن حسان بن ثابت رضى الله عنه كان ممن تكلموا في حادثة الإفك ، وكانت صفوان بن المعطل السلى عن أنهموا في تلك الحادثة ، فحلف ليضرب حسان رضى الله عنه ضربة بسيفه ، وجعل ينتهز الفرصة لذلك حتى أنزل الله البراة في قوله تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم

لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإيمان . والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون (فعند ذلك بر صفوان بقسمه ، وضرب حسان ضربة بسيفه لم تقتله ، ولكنها جرحته . فأخذ رهط حسان - صفوان فأوثقوه واحتبسوه عندهم حتى يقتص منه ، فبلغ الخبر محابة رسول الله ﷺ ، فذهب سعد بن عبادة رضى الله عنه إلى القوم وطلب أن يذهبوا بصفوان إلى رسول الله ﷺ ، فذهبوا به ، فلما مثل صفوان وحسان بين يدي الرسول الكريم استوب صفوان حسان جرحه ، أى طلب من حسان أن يعفو عن حقه عنده بسبب جرحه ، فوافق حسان ووجهه جرحه ، فكافأه النبي ﷺ على ذلك بأن وجهه جاريته سيرين أخت مارية القبطية وزوجه ، فأصبح حسان سلف رسول الله ﷺ أى زوج أخت وزوجه ، فقال حسان بعد ذلك قصيدة يعتر فيها برهطه ، ويلوم قبيلة مزينة التى آذته وهددته بإخراجه من المدينة ويقول لها : لا تحسبي أننى ليس لى رهط يدافع عنى . فإزال قومى بحمد الله أحياء لم تنكحهم أمهم ولم تأكلهم السباع . وإلى القارىء ثلاثة أبيات من القصيدة التى فيها بيت الشاهد ، وسيرى من ذلك بعد المعنى الذى فهمه شراح الشواهد عن المعنى الذى قصده حسان . قال حسان :

جاءت مزينة من عمق لتخرجنى إخسى مزين وفى أعناقكم قددى
يرمون بالقول سراً فى مهادة يهدى إلى كأتى لست من أحد
قد نكلت أمه من كنت صاحبه أو كان متشبهاً فى برثن الأسد

وظاهر من هذه الأبيات أن حسان يقول : كيف تهددنى مزينة بإخراجى ، وكيف تجرؤ على إيدائى غير هيابة ، كأتى لست من أحد — أى من قوم — يقدررون على الدفاع عنى ، أو كان قوى نكلتهم أمهاتهم فأتوا أو أكلتهم السباع ، فليس البيت مدحاً لأحد الشجعان كما فهم الشراح وإنما هو اعتزاز من حسان برهطه وبنفسه .

بقى بعد ذلك عل الشاهد فى البيت وهو أن « من » هنا مبتدأ مؤخر وهو اسم موصول صلتها جملة « كنت صاحبه » ، و « قد نكلت أمه » خبره المقدم وهو جملة ، وفى نكلت ضمير محذوف مفعولها تقديره نكلته . ولا يجوز اعتبار « من » مفعولاً لنكلت لأن ذلك يقتضى

عود الماء في أمه على متأخر لفظاً ورتبة وهو ممنوع إلا في مواضع ليس هذا الموضع منها .
لأنه إذا جعلت « من » مفعولاً تكون رتبتها التأخير فيعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة
أما إذا اعتبرت مبتدأ فرتبتها حينئذ التقديم ، فيعود الضمير على متأخر لفظاً متقدم رتبة ،
وهو جائز غير ممنوع .

وأعود فأقول : إن الأمانة العلمية تقتضي الباحث إذا لم يهتد إلى المعنى الذي يطمئن إليه
أن يرجع إلى أصول بحثه فينقب فيها على يهتدى إلى الصواب ، فإذا لم يجد ما يهديه أثبت
عدم اطمئنانه إلى فهمه حتى يكون قد أدى الأمانة العلمية ، وخرج من التبعة ، وحتى يحمل
غيره من العلماء على البحث وراء بحثه فربما وصلوا إلى ما لم يصل إليه ، وليس عيباً أن يقول
المرء لا أعلم أو يقول بحثت فلم أهد ، وإنما العيب أن يقعد عن البحث ويفسر بغير
ما يطمئن إليه ؟

طه الزينى

عالمية من درجة أستاذ في النحو والصرف

المروءة

قال سلام بن عبد الله الباهلي : « أسباب المروءة مرتبطة بشرف النفس وعلو الهمة -
إذا اجتماعاً ولم يفتقرا - فإن من علت همته وتواضعت نفسه طلب مالا يستوجهه ، وتعدى
إلى مالا يستحقه فلا تم له المروءة . ومن صغرت همته وكبرت نفسه قصر عما يستحقه ،
وترك ما يستوجهه ، فنقصت مروءته . فإن لكل وجه من هاتين الحالتين حظاً من الذم ،
ونصيياً من اللوم . ومن تعلق به لوم ، أو نيط به ذم فليس بداخل في حال من أحوال المروءة -

المغرب في حل المغرب

لابن سعيد

سلام على الاندلس .

سلام عليه يوم فتحه العرب .

وسلام عليه يوم زال منه ملك العرب .

سلام على الأبطال ، وسلام على الأجداد ، وسلام على المسلمين .

الاندلس ، ذلك اللفظ الذي يثير الخواطر ، ويبعث الحنين ، وينشر في الجو شذى بينه النفوس ، ويحيي القلوب . ويبعث الآمال .

الاندلس ، تلك الواحة التي تشهد للعرب بمجد تليد ، وعز ممكن ، تدل عليه آثارهم ، وينطق به ما خلفوه من تراث شاخ ، يتخطى السنين ، ويعبر الأجيال ، ويظل ثابت الأركان ، يدعو أهله إليه ، وهم عنه لاهون .

الاندلس ، هو ذلك الركن الضخم من تراثنا القديم ، والرقعة القاصية من الإمبراطورية الإسلامية ، التي لم نولها العناية الكافية ، ولم نكف عليها دارسين متبينين كما عكفنا على المشرق ، وبمشتاه في نفوسنا متميز المعالم ، واضح القسيمات .

لم يكن الاندلس أهون شأنًا من العراق ، وليست حضارة الاندلس أقل خصبًا من حضارة الشام ، بل ربما كان شأن الاندلس أخطر ، وحضارته أثرى وأخصب . ففيه التقى المشرق والمغرب ، وفيه تمثلت للعقلية العربية في أحسن معادنها وأوضح مميزات ، بل فيه تمثل الروح العربي في شتى مظاهره الفكرية والنفسية والمادية .

ولقد كانت صلتنا بالاندلس حتى عهد قريب صلة الذكرى ، وصلة الحنين . تتطلع إليه أرواحنا ، وتهفو نفوسنا ، ولسكتنا لم نكن نعرف عنه الشيء الكثير ، بل كانت معرفتنا به قاصرة ، وكان تصورنا له ناقصا ، وتمثلنا له بعيداً عن حقيقته . وقد أدركنا منذ عهد قريب هذا القصور ، وذلك النقص ، فبدأ الدارسون يميلون براحتهم مع الشمس الغاربة نحو المغرب ، وراحوا يتطلعون إلى أفقه الوردى الجليل . حتى إذا ما استقر بهم المقام في جربط أنشأوا

ممهداً للدراسات الإسلامية ، وقفوا فيه حياتهم على بعث التراث الإسلامى فى الاندلس ، وتصويره حيا نابضا فى نفوس المسلمين تصويراً يمتاز بالصدق ، كما يمتاز بدقة العلماء .

ولم يكن العلماء فى الشرق أقل حرصاً على الاهتمام بالاندلس وبعث تراثه الذى يصوره تصويراً دقيقاً . ولعل أبناء الاندلس أنفسهم كانوا قد أدركوا ما ل دولتهم ، وأنها ستزول يوماً ما ، فدفعهم حرصهم على حضارتهم إلى أن يصوروها فى المؤلفات الضخمة الى جمعوا فيها فأوعوا وكان أن دالت دولتهم ، وورثنا عنهم فيها ورثنا هذه المؤلفات الضخمة ، ولكننا بكل أسف لم نقرأها إلا بالأمس ، حين كونت الجامعة لجنة « الذخيرة » ، وهى « ذخيرة » ابن بسام . وكان هذه اللجنة - شأن كل اللجان عندنا - قد فترت عزميتها ، فلم تنابع السير ، ولم تدأب على العمل . وأصبح العمل الفردى أكثر جدوى وأكثر إنجازاً .

فلقد ندب الأستاذ الدكتور شوقى ضيف نفسه لإخراج مؤلف من أعظم المؤلفات التى خلفها لنا الاندلسيون عن دولتهم إن لم يكن هو أعظمها . ندب نفسه لإخراجه إلى النور بعد أن سئم حياة الظلام ، وأن يجمع شتاته ، بعد أن فرقت يد الزمن بين أجزاء منه وأجزاء ، وطوحت بها فى البلدان ، وأعنى كتاب « المغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد . ذلك الكتاب الذى يقع فى خمسة عشر سفراً ضخماً ، تروى لنا فى إسهاب قصة مصر ، وقصة المغرب ، وقصة أندلس .

ولقد كان الإحساس بالحاجة اللازمة إلى دراسة الاندلس والتنقيب عنه هى التى جعلت الأستاذ المحقق يصرف جمده كله إلى تحقيق ذلك الجزء الذى صور فيه ابن سعيد بلاده الاندلس . وقد بدأ يعمل منذ عدة سنوات عملاً دائماً لا يعرف الكلال . ولم تكن الصعوبات التى صادفها لتثنيه عن المضي فى سبيل تحقيق هذا النص القيم ، فأخرج لنا من تلك الأوراق « الدشت » ، التى تعبت بها « العنة » فى مخازن دار الكتب ، صورة منظمة مستوية واضحة . ولم تكن كل مهمته أن يعيد تنظيم هذه الأوراق على ما يكلف ذلك وحده من جهد يستنفده متابعة السياق فى كل ورقة وفى غيرها من الأوراق ، بل إنه كشف نقصاً فى مجموعة الأجزاء التى تتناول الاندلس ، وكان جزءاً قد ضاع من الكتاب وليس إلى العثور عليه من سبيل . ولكن يد الزمن كانت رحيمة حين طوحت بهذا الجزء إلى بلصفورة فى سوهاج ؛ فهناك وجد المحقق ضالته ، واستوت بين يديه الأوراق كاملة لا خرم فيها .

وفى سبيل إخراج صورة واضحة لهذا النص لم يكن بد من أن يرجع المحقق إلى الأصول التى استمد منها الكتاب والفروع التى أخذت عنه . وهنا يكشف أول أهمية لهذا الكتاب ؛

فهو « يصلح كثيراً بما فسد واضطرب في أصوله وفروعه المطبوعة ... إذ يصحح خطأها ويداوى سقمها »

والحق أن هذا المؤلف الذى اشتهر لابن سعيد قد اشترك في تأليفه معه خمسة آخرون تعاقبوا عليه خلفاً عن سلف ، وكان ابن سعيد هو أوضح حلقة في هذه السلسلة التى صنفته بالموارثة في مائة وخمس عشرة سنة ، وأفرادها هم أبو محمد الحجارى ، وهو أول من وضع فكرة الكتاب حين وفد على عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد بالقرب من غرناطة سنة ٥٣٠ هـ ، وسأله ابن سعيد أن يصنف له كتاباً في أدباء الأندلس فصنف له كتاباً سماه « المسهب في غرائب المغرب » ، وهو الكتاب الذى عكف عليه ابن سعيد بعده وتناوله بالتهذيب ، فأضاف إليه حيناً ، واختصر منه حيناً آخر . وخلفه عليه ابنه أحمد ومحمد إلى أن استقر عند موسى بن محمد فأضاف إليه بدوره ، وورثه عنه ابنه على ، وهو الذى أعطاه صورته النهائية .

ومعنى هذا أن هؤلاء الستة قد أودعوا الكتاب كل معرفتهم ، فهو خلاصة معارف كثيرة ، ربما كان أكثرهم حظاً منها موسى بن محمد ، وكان أشفهم بالتاريخ وأعلمهم به ، . والواقع أن المادة التى بالكتاب ليست مادة تاريخية حسب ، بل إن به بجانب ذلك مادة جغرافية وأدبية . وقد كان مؤلفوه يستمدون معرفتهم الجغرافية من المشاهدة ، فهم أبناء البلاد يذرعونها جيئة وروحة ، يصفون مشاهدنا ، ويمثلون ظواهرها الطبيعية ويسجلونها ، وهم إلى جانب ذلك يطلعون على ما ألف في الجغرافيا فيقرأون ويفيدون .

وهم في معرفتهم التاريخية يعتمدون على مؤلفات ابن حيان والرقيق القيروانى وابن حزم وغيرهم ، ثم هم يأخذون مادة وفيرة عن كتب التراجم ، ويستوعبون هذه الكتب حتى إننا نجدهم لا يقصرون اطلاعهم على الكتب المغربية منها ، بل يفيدون كذلك من كتب المشاركة التى ترجمت للأندلسيين كتيمة الدهر للثعالبي وغيرها .

أما فيما يختص بالمادة الأدبية فهى مادة غزيرة كانوا يروون الكثير منها ، ويتناقلونها شفاهة ؛ كانوا يستمعون إلى معاصريهم من الأدباء والشعراء ويحفظون لهم أو يدونون ، ولكن هذه المادة تعرف في جزء منها مصادر أخرى هى تلك المؤلفات الأدبية الأندلسية الخاصة . فكأن هذا الكتاب خلاصة معارف مفرقة وكثيرة ، تمثلت في الأندلس في القرون الرابع والخامس والسادس والسابع للهجرة .

والواقع أن هذا الكتاب بجانب ما فيه من تراجم قيمة ، أحصى فيه مصنفوه حتى كأنهم لم يتركوا شخصاً يستحق أن يترجم له إلا أعطوه حقه ومكانه ، فإتنا نجد فيه من الملاحظات الأدبية ما هو كفيل أن يدفع المؤرخين للشمز الاندلسى ، إلى أن يمددوا النظر فى تاريخهم وما ذروه من أحكام فيه ، فيعدلوا فى هذه الأحكام تارة ويلغوها ويثبتوا موضعها أحكاماً جديدة تارة أخرى . ومعنى ذلك أنه يحمل كثيراً من الحقائق الأدبية التى كنا نجهلها عن الاندلسيين وحياتهم الفنية ، وما أكثر ما نجهل عنهم ا .

وبروعنا المنهج الذى اختطه وسار عليه مصنفو هذا الكتاب الثمين ، فهو منهج معقد ولكننه المنهج الذى يضمنون به سلامة الإحصاء والاستقصاء . وهو منهج يقوم على البلاد ومرتب بحسبها . فإذا ما تكلم عن الاندلس بعامة راح يقسمها إلى غرب وموسطة وشرق وأفرد لكل قسم كتاباً ، ثم ينمطف على كل قسم يقسمه إلى ممالك ثم يقسم كل مملكة إلى كورها المختلفة ، وهكذا . وهو فى كل ذلك يجدنا عن طبقات الناس : الأمراء والرؤساء والعلماء والشعراء واللفيف .

ولن أضيف هنا جديداً فى وصف منهج الكتاب فقد وصفه الأستاذ المحقق وصفاً دقيقاً فى تقديمه للكتاب ، وهو يعد أول من خبره وعاناه ، وبذل فيه من الجهد ما يرضى به الكثيرون من القادرين .

هذا الكتاب إذن موسوعة أدبية ، استمد منها منذ القدم كثير من المصنفين والمؤلفين ، ولكن نقولهم عنها لم تكن نقولا وافية ولا منظمة . وحديث ابن خلدون عن الزجل والزجالين ليس إلا استلهاماً لما ورد فى المغرب عن هذا اللون الطريف من الأدب الذى شمرت به الاندلس . ولا شك أننا إلى عهد قريب كانت معرفتنا بهذا النوع الأدبى قاصرة . أما وقد نشره ونشئ الطرس فى حلى جزيرة الاندلس ، وهو الاسم الذى أطلقه المصنفون على القسم الخاص بالاندلس من كتاب المغرب ، فقد أصبحت المادة الأصلية متوافرة أمام أبصارنا . وقبل مثل ذلك عن غير الزجل . فتحقيق هذا الكتاب ونشره إذن يقفنا على المورد الأصل والمهل الصافى الذى استقى منه كثير من القدماء ، والذى يستطيع أن يمدنا بالمعرفة الصحيحة ، ويصور لنا الاندلس صورة صادقة .

لقد أسدى الأستاذ الدكتور شوق ضيف إلى الأدب والعلم خدمة جلى بتحقيقه ونشره هذا الكتاب ، وما زلنا نطمع فى علوه وثبته ، وننتظر على يديه الخير الكثير .

خرافة الميتافيزيقا

— ٢ —

بيننا في المجال السابق ما قاله كرناب وآير ، والاستاذ زكي نجيب محمود في قوانين المطلق ، ومنها قانون التناقض ، وتلونا قول الأستاذ آير — إن قوانين المنطق يستحيل أن تتعارض مع الواقع ، لأنها في ذاتها لا تقول شيئاً عن الواقع ، وقوله إنه ليس ثمت ما يلزمنا بالألا تقبل التناقض ، إنما هو اتفاق بيننا نشأ عن اتفاقنا على طريقة معينة نستخدم بها لغة التفاهم ، إنما اتفقنا على أن يكون لاداة التي لا معنى معين بحيث إذا قلنا عبارة كـ هذه — ق ولا ق — جاءت عبارة بغير معنى ، أى لم نجد لها مدلولاً في عالم الأشياء ، وليس ذلك لأن في طبيعة العالم نفسه ما يأتى ذلك ، بل لأننا نحن الذين صنعنا لغتنا على نحو يجعل ضم القضية إلى تقييدها لا يفيد وصفاً لشيء ، وتلونا قول كرناب : إن قواعد المنطق صادقة بمعنى أننا اتفقنا عليها حين اتفقنا على رموز اللغة ، وطريقة استخدامها ، فقواعد المنطق مختارة منا اتفاقاً ، وصدقها اتفاقاً . إنما اصطلاحنا بحكم القواعد التي توأصنا عليها في اللغة واستعمالها ، على أن كلمة التي — لم — إذا وجدت في جملة كان معناها أن الجملة تصبح متناقضة مع نفس الجملة إذا خلت منها ، بحيث يستحيل صدقها معاً أو كذبها معاً .

وقد رددنا على ذلك إجمالاً ، واليوم نريد أن نتناول الرد بشيء من التفصيل ، ونبين الخيال الذي تراهى لم فأوقمهم في هذا الغلط .

لا يجتمع في الواقع : سقراط وجد ، سقراط لم يوجد ، ولا يجتمع : الإسكندر إنسان ، الإسكندر ليس بإنسان ، وأمثالهما مما هو إثبات شيء لشيء ونفيه عنه في آن واحد ، ومكان واحد ، هذا في الواقع والوجود الخارجى ، وإن لم توجد لغة ولم يوجد إنسان .

وقد لاحظ العقل ذلك فاستخرج هذا القانون الكلى وهو أن النقيضين لا يجتمعان ؛ هذا في العقل ولو استطاع الإنسان أن يفكر بدون لغة لكان الأمر كذلك أيضاً عند العقل وهو أن النقيضين لا يجتمعان ، لأنه حكم منزع عن الواقع ، ولولم توجد لغة ، وتوأسع اصطلاح . وقد وضع الإنسان اللغة واصطلاح عليها وعلى دلالة ألفاظها على معانيها ، ومن ذلك الكلمات والأدوات التي تستعمل في القضايا ، مثل سقراط وجد ، سقراط لم يوجد ، فقد اصطلاح على معنى كلمة — لم — وهو النفي ، وعلى معنى المفردات سقراط ، ووجد ويوجد ، فهذا اصطلاح في الدلالة ما في ذلك شك ، وكان يمكن أن يجعل لكلمة — لم — معنى غير النفي ، ولكن ينبغى أن

تفرق بين التواضع على دلالة الألفاظ وعلى القانون الذى يبتا أنه منتزع من الخارج ، ولولم توجد لغة ولم يوجد تواضع واصطلاح ، ولم يدرك الأستاذ ان كارناب وآير الفرق بينهما فحكما بأن قانون التناقض مواضعة واصطلاح تواضعا عليه عندما تواضعتنا على معانى الألفاظ ، وبعبارة أخرى يلبنى أن نفرق بين شيئين ، بين دلالة الألفاظ على معانيها ، وبين قانون التناقض الذى يبتا أنه منتزع من الخارج ولولم توجد لغة ولم يوجد تواضع واصطلاح ، فليس لإثبات المواضعة فى دلالة الألفاظ على معانيها هو إثبات المواضعة لقانون التناقض ولا مستلزماله .

وهيا مسألة فنية نحب أن ننبه عليها ، لقد مثل الأستاذان آير وكارناب للتناقض برمزى قى ولاق وهما رمزان إلى تصورين لا إلى قضيتين ، والتناقض إنما هو فى التصديقات لا فى التصورات ، لأن التقيضين هما الأمران المتعاندان اللذان يتنافيان ، فلا يجتمعان ولا يرتفمان .

ولا تعاند فى التصورات فإنسان ولا إنسان يجتمعان فى الخارج وفى التصور ، إن إنسان أفراده : خالد وإبراهيم وعلى وحسين ، ولا إنسان أفراده : النبات والحجر والجل والطاووس من كل حيوان غير إنسان ، وهى موجودة فى الخارج كلها ، ووجوده فى التصور ، فلا تعاند ولا تنافى بين التصورات إنما التعاند بين التصديقات ، فإذا نسب التصور إلى شيء ثم نفى عنه بذاته كان التناقض كقولنا إبراهيم إنسان ، إبراهيم ليس بإنسان ، فلا يمكن أن يجتمع فى الخارج أن يكون هو إنسانا ولا إنسان ، وإذا كان إنسانا لم يكن لا إنسان وإذا كان لا إنسان لم يكن إنسانا .

ولعل قائل يقول : كيف تقرر أن التصورات لا تفتض لها ، وقد عقد المناطقة بابا لبيان النسبة بين السكليين ، وأثبتوا فيه تقاض للتصورات حيث قالوا . تقيضا السكليين المتساويين متساويان .

قلنا هذا مع اصطلاح آخر فى التقيضين ، وقد عرفوها عليه بأهما الأمران المتباينان اللذان بينهما غاية الخلاف ، ولم يعرفوهما بالتمريف الأول ، وهو الأمران المتماثلان اللذان لا يوجدان معاً ولا يتنفيان معاً ، بل إن وجد أحدهما اتنى الآخر ، وإذا اتنى أحدهما ثبت الآخر ، أو إثبات التقيض لها باعتبار حملها على شيء فتؤول حينئذ إلى التصديقات ، فإنسان ولا إنسان تقيضان باعتبار نسبتها إلى شيء واحد وهو شخص خالد مثلاً . وإنما دافعنا عن قانون التناقض بحرارة وقوة لأننا نعتقد أن قانون التناقض هو ميزة النوع البشرى الذى امتاز به على سائر الحيوان ، وبه أدرك هذه المعارف الجمة ، وكانت له الخلافة فى الأرض

وحكم الحيوانات الأخرى التي هي أضخم أجساما، وأمضى أسلحة طبيعية، وأعظم قوى، وهو الهادى في يدها المجبولات والمؤدى إلى واحة المعرفة.

انظر إلى القاضى الذى يستمع إلى شهادة شاهد فبراه يثبت الشيء ونقيضه. ألا تراه يعلم بذلك كذبه لأن النقيضين لا يجتمعان؛ وانظر إليه حين يسمع دفاع المحامى فبراه يترك نفي التهمة وينفي شيئا آخر مما يمكن أن يجتمع مع إثبات التهمة لأنهما ليسا نقيضين ألا تراه يبادر برفض الدفاع.

وانظر إلى الباحث حين يستدل من إثبات شيء على نفي نقيضه أو من نفي شيء على إثبات نقيضه، ألا ترى ذلك مبنياً على قانون التناقض، وهو أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان. بل إن الشكل الأول الذى يكاد يكون يدهى الإنتاج، وهو قريب من الطبع جداً، ذاك لأنه مبنى على قانون التناقض، ولو لاحظ المرء حركات فكره حين يتسكّر أو يستتج لرأى قانونى التناقض كملين في طريق موحش يهديانه إلى الجادة، وينكبان كل مهلكة فهما شعاع مشرق ونور هاد، هما من نور الله الذى هو كشكاة فيها مصباح، المصباح فزجاجة، الزجاجاة كأنها كوكب درى، يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتنها يضىء ولولم تمسه نار، نور على نور، يهدى الله لنوره من يشاء.

ونحن نشكر الأستاذ زكى نجيب محمود إذ أتاح لنا أن تناقش أعلاما من أعلام الغرب مشهوداً لهم بالعلم والفلسفة، في مسألة عقلية يسهل إدراكها، ووجه الحق فيها، فتكون فرصة طيبة لإعادة الثقة بالعقل الشرقى في نفوس الشرقيين، إذ يرون أن الصواب ليس بجانب الغرب دائماً، وأن الضعف والانهطاط ليسا ملازمين للشرق، بل في استطاعة الشرق أن ينازل الغربيين في العلوم العقلية، ويستعين بما ورثه عن آباءه الصيد الأماجد، من علوم ومعرفة على الفور والفلج. وليس بقليل أن نعيد للشرقيين الثقة بعقولهم وعلومهم، فليس أفسد للأمم وأدعى إلى فتور الهمة من فقدان الثقة بالنفس، وليس أدعى للتسالى والجد من الثقة بالنفس والإيمان بالقدرة والمقدرة. كما نشكره على أن أتاح لنا أن تناقش مسألة من المنطق أمام القراء، فلعل ذلك يكون حافزاً لدرس هذا الفن والاشتغال به، وهو كسب عظيم أيضاً، لأن المنطق ميزان الفكر ومعيار العلم، وقد أنتج اليونان هذه الثروة العظيمة في العلم حين علوا قوانين الفكر. وكذلك العرب. وهذه الحضارة وليدة اشتغال العرب بعلوم المنطق وبحبها وتقديرها، وإنى أرى أن نهضتنا العلمية في بلاد الشرق تنقصها العناية بالمنطق ومعرفة على وجهه وهذا يكون بتعاون الأزهر والجامعة تعاناً علياً؟

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

ليس في الإسلام موسيقى دينية ولا رقص ديني

سألت زائر أجنبي أثناء زيارته للسكنية الأزهرية وتقصي فنونها : هل عندكم بالمسكنية كتب للموسيقى الدينية ؟ ويقصد بالموسيقى الدينية الموسيقى التي تصاحب بعض الشعائر في الأديان الأخرى . فدهشت لهذا السؤال ، وكدت أنهم الزائر في تفكيره وثقافته . وعجبت أن تكون هناك موسيقى دينية إسلامية وتختفي على ، وأنا من رجال الدين الإسلامي ، وقلت له : ليس عندنا كتب من هذا النوع ، وليس هناك «موسيقى دينية إسلامية» كما يوجد في بعض الأديان الأخرى ، لأن الإسلام يكره أن يشغل المتعب نفسه بما يفرق قلبه ، ويشغل جوارحه عن تمام التوجه إلى الله ، والإقبال عليه ، واستحضار جلاله وعظمته . ولهذا كره للمصلي أن يغمض عينه ، أو يلتفت يمينا أو يساراً ، أو يفرقع أصابعه ، أو يعبك بثوبه وبدنه ، أو يشتم طيباً ، أو يستمع إلى موسيقى ، ونحو ذلك مما يشغل البال ، ويخل بالخشوع . وطلب إليه أن يلتفت إلى موضع سجوده يستجمع قلبه وجوارحه في مناجاة ربه . والموسيقى التي تشير إليها تهاض روح الإسلام ، وتناقض تعاليمه ، فلا يجيزها الإسلام ولا يترخص فيها أثناء الصلاة .

شغلني سؤال الزائر وأخذت أعمل الفكر وأبحث عما أوحى إليه به ، حتى عثرت عليه وبدأ لي وجه العذر فيه . فهناك بعض الطوائف الإسلامية تقوم بتوبات الذكر على توقيع الموسيقى ، بطريقة تثير دهش الفنانين وإعجابهم ، ويحرص كثير من السامعين على مشاهدتها . ومن هنا كان مبعث الظن في أن للإسلام موسيقى دينية ، وأن لها كتباً تدرس إلى جانب العلوم الدينية ليتمكن أداء العبادات على وجهها الكامل .

وقد أذكرني هذا الحادث بحادث قرأته في الصحف أثار عاصفة من استنكار الرأي العام الإسلامي ، فقد نشرت بعض الصحف الأجنبية صورة لمجاعة من الراقصين كتب أسفلها تعليقاً عليها : « صورة من الرقص الديني الإسلامي » ، وكان مبعث هذه الفكرة أيضاً أن بعض الطوائف الإسلامية في القرى وفي الفامرة تقوم أثناء الذكر بحركات تشبه حركات الراقصين بل هو الرقص في صورته الدقيقة ، ويحرص غواة الرقص على مشاهدة

هذه الحفلات للثقة والترويح ، فيظن بعض من يشاهدها من أبناء الأديان الأخرى ومن جهلاء المسلمين أن هناك رقصاً دينياً إسلامياً يصاحب الذكر الإسلامى ، كما أن هناك موسيقى دينية إسلامية . وهنا موضع الخطر ، إذ تلتصق بالإسلام وعباداته أعمال يبرأ منها ويبغض مبتدعيها ، وقد استعيرت هذه الأعمال على غفلة من هذه الطوائف وجعلت من شعارها ، وظن في خطأ أنها بعض شعار الإسلام .

وقد نبه العلماء إلى موضع الخطأ والخطر فيها ، ولكنهم مع ذلك ظلت قائمة ، وظل أهلها حريصين عليها متميزين بها لا ييغون عنها حولا ، وليس لنا بعد ذلك إلا أن نلجأ إلى أولى الأمر في درء ذلك الخطر . وأولو الأمر الآن من أعرف الناس بتعاليم الإسلام ومكان الخطأ فيه وأقدرهم على إصلاحه ، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

إن روح الإسلام هي البساطة في عقائده وعباداته ، وبذلك امتاز عن غيره من الأديان ، وكل ما يطلبه من المسلم أن يخلص القصد في عبادته لله ، ويحلى نفسه من كل شيء سواه ، وأن يلتزم الرسوم التي رسمها في العقائد والعبادات والمعاملات . ألا وإن أشياء كثيرة غير ما ذكرنا قد أدخلت في الإسلام على غفلة من سوء آثارها ، أو بتأويل خاطئ . من يظن أنه أهل للتأويل ، وقد اتخذها أعداء الإسلام ذريعة لتشويه الإسلام والزراية بأهله ، وعلى رجال الطرق الصوفية أن يتعاونوا مع العلماء في تبيان أخطارها ، وبعدها عن جوهر الإسلام الكريم ، وهؤلاء وأولئك يحفظون قول الرسول الكريم :

« من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد » .

أبو الوفا المراكشي

مولود ربيع

من ذا الذي حملت تلك البترول ومن	قامت لمقدمه الدنيا على قدم
نور من الله سواه وصوره	خلفاً وزكاه بالآداب والحكم
في ليلة لم تر الدنيا لها مثلاً	فيما تقضى من الاجيال والامم

الشيخ محمد عبد المطلب

اللَّهُ أَكْبَرُ يَا مُحَمَّدُ

طافت بأسماع الزمان بشارته فهفا له قلب الزمان وخطره
وتعلقت عين الحياة بداره آ منة ، تناجى ليها ونساره
فإذا مهد أشرفت جنباته وزكت بأعطار السماء ستاره
وإذا ملأته حولك ، ينشرو ن به ، وجبريل الأمين يساره
وإذا بنار القوس نغمد لجأه ولسانها المشبوب يسكن ناره ١١
وإذا بذعر يأخذ ، الإيوان ، فاه قرت به شرفاته ومقاصره ١١
وإذا بليل الجاهلية يخفى وتلذذ في النور السنى دياجره
وإذا بماضى الكون يستر وجهه خجلا ليحتل الصدرة حاضره
وإذا بيعت دافق ينساب في بادى الوجود فتستقيه حواضره
وإذا لسان الدهر يسأل حائراً هذا السنا الاخاذ : أين مناره ؟
وإذا يجيب في السماء : محمد ، هو وحده وحى السنا ومصادره

* * *

الله أكبر يا محمد أنت أج فغان الهدى وفؤاده ومشاعره
والمجد أنت ، فنك أول بدنه وإليك يرجع يا محمد آخره
وإذا تضوع في الورى حسب وطأ ب ، فنك وحدك طيبه وبجاره

* * *

أما البيان : فأنت ناظم عقده وإليك ينسب دره وجواهره
لك من جوامعه ومن آياته ما أعوزت أشباهه ونظائره
ولك البدائع تفنن الفصحى ويحسد فيها السحر البديع وساحره
يكفيك أن ، المذع ، حن حينه لما استبان إليه أنك هاجره

ما لاذ مسكين بمجودك مرة إلا وقد غمرته منك غوامره
وكانني بالجود ود لو آته مسكين كُثُفك بالعطاء تبادره

* * *

أما عن الخلق العظيم : فأنت من بسنانه ، أعطاه وأزاهره
تكفيك فيه شهادة القرآن أنه لك صاحب الخلق العظيم وناسره

* * *

أما الشجاعة : فهي طبعك خالطت دمك الزكي حيث سار تسايه
يكفيك أنك أنت ذو المزم الذي بتر السيوف المشرفة بآثره
ما كنت تبعاً بالخطوب ، ولا تخاف الموت تلمب بالرقاب أظافره
ولكم لقيت الموقف الصعب الخطير ببر بيسمة : فتهيبك مخاطره

* * *

مولاي : مولدك المبارك مولد بهرت عيون الكائنات مناظره
هو مولد العدل الذي قد أعوزت أفق الوجود الجاملي مظاهره
هو مولد الحرية انبثقت : فمزه رَ بها الأبرار ، وهان منها أسرته
هو مولد الإنسان تسمو نفسه الدُّنيا ، وتصفو روحه وسرائره
هو مولد الإسلام : تهدي للعلو والخير والخلق الرفيع شعائره
هو مولد بعث الضمائر حيّة في عالم لم تنح قبل ضمائره
هو مولد لا تقتفى أجماده أو تنقض آثاره ومآثره
صلى عليك الله ما طلع الصبا ح ، وما صفا أفق وغرد طائره

إبراهيم علي مبروي

من علماء الأزهر

المِلاديسُ الأجنبيَّة

لمناسبة ما ذكر عنها في لجنة الدستور

نشرت لي مجلة الأزهر في عددها الثامن لسنة الماسخية بتاريخ رجب سنة ١٣٧٢ هـ مقالة بعنوان : « الغزو الفكرى للبلاد الإسلامية بعد فشل الغزو العسكرى الصليبي ، وقد أوردت في تلك المقالة الوثائق التى تدل على أن الهدف المقصود من إنشاء المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين والعرب ، إنما هو التبشير الدينى المسيحى ، ومحاربة العقيدة الإسلامية بالسعى لتنصير المسلمين ، وتوطيد دعائم الاستعمار الأجنبى ، وخدمة أغراضه ومطامعه ، في بلاد الشرق العربى والإسلامى . وحذرت ولاية أمور المسلمين من ذلك الغزو الثقافى الأجنبى ، وأكدت أنه لا يقل خطراً عن الغزو العسكرى ، وطالبت بمقاومته بكل الوسائل الممكنة .

وقد دعاني للعودة إلى الكتابة في هذا الموضوع أننى اطلمت أخيراً على مقال نشرته مجلة روز اليوسف في عددها ١٣٢٤ الصادر في ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٣ بعنوان : « الدفاع عن الكنيسة القبطية » قالت المجلة فيه مانصه : « أثار الدكتور طه حسين عند مناقشة نظم التعليم في لجنة الحريات والحقوق العامة بلجنة الدستور ، مسألة المدارس الأجنبية ونظمها ، وذكر أن هدفها الأول هو التبشير الدينى ، حتى خلقت من الأقباط المصريين ثلاث طوائف هى : الكاثوليكية والبروتستنتية والارثوذكسية ، وقال إنه في الوقت الذى تنجح فيه التربية القومية إلى محو كل ما يتصل بالنعصب الدينى ترى أن هذه المدارس « الأجنبية » تثير التفرقة بين أبناء الدين الواحد ، وقال الدكتور طه في كلامه : إن الهدف المقصود من التبشير الأمريكى والانجليزى والفرنسى هو هدم الكنيسة القبطية ، مع أن هذه الكنيسة جزء هام من تراث الدولة يجب المحافظة عليه » .

وإننا لنشكر للدكتور طه حسين دفاعه عن مواطنينا الأقباط ، ومطالبته بحمايتهم ، وحماية كنيسهم من خطر التفرقة التى تثيرها بينهم المدارس الأجنبية ، حرصاً على الوحدة القومية بين المصريين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم .

وكم يصرننا لو أن الدكتور طه حسين وهو وزير سابق للمعارف المصرية، عرف حقيقة مقاصد المدارس الأجنبية، وأغراضها التبشيرية والاستعمارية الخطيرة، قد غنى إلى جانب دفاعه عن الكنيسة القبطية بالدفاع أيضا عن قومه المسلمين الذين هم أكثرية شعب مصر، وليت الدكتور طه ذكر لنا كم طائفه خلقت المدارس الأجنبية من مسلمي مصر وغيرها من بلاد الشرق، وكم خلقت فيهم من ملحدن وإنجليز وفرنسيين وأمريكيين وصهيونيين طبعهم المملون الأجانب بالطابع الغربي وأبعدوهم عن كل ما هو شرقي، وجردوهم من أخلاقهم وفضائلهم وتقاليدهم الإسلامية والعربية الحميدة، وأوجدوا بينهم فريقا عاقا مذنبيا كان وما زال حريا على أمته ووطنه، عوناً للعدو المحتل منفذا لسياسته وخططه. وفات الدكتور طه أن يذكر للجنة الدستور أن الهدف الأول للمدارس الأجنبية العمل على هدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجعل أوطانه وأقطاره فريسة للاستعمار الأجنبي، وما ذكره الدكتور طه حسين من خطر المدارس الأجنبية على نصارى مصر وتفرقتهم قد سبق أن شعر به ناله نفر من أحرار نصارى لبنان وأدبائهم.

وفي عام ١٩٤٧ نشر الأديب اللبناني الشاعر رشيد سليم الخوري كلمة شديدة في مجلة العصبة الاندلسية أعرب فيها عن ألمه للضرر الذي أصاب مواطنيه المسيحيين في لبنان من الإرساليات التبشيرية عامة والبروتستانتية خاصة فقال: «أما من الناحية الدينية فإن لإقامتي الدليل على عدم نزاهتهم لا تقتضي أن أكون بارعا في الجدل أو عالما بالتاريخ. إن طوائفنا العديدة قد زبدت بفضل تعرفنا على الرسالة الأمريكية طائفة جديدة اسمها الطائفة الإنجيلية البروتستانتية، وكم أنفق رجالها لكي يمرقونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه كأننا أشد افتقاراً إلى فضائل المسيحية من الأمريكيين أنفسهم،

وجدير بالذكر هنا أن المبشرين لم يخفوا مقاصدهم وأغراضهم فهم يعلمون هلى رموس الاشهاد أنهم إنما يريدون من مدارسهم وكلياتهم وجامعاتهم في بلاد المسلمين محاربة الإسلام والسعى لإخراج المسلمين من دينهم، فهذا المستر بزوز الرئيس الحالي للجامعة الأمريكية في بيروت يقول في كلمة له ما نصه: «إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا في هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات، إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة.

هم يقول مستر بزوز ، ولقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتبشير سوريا ولبنان (١) .

وفي رأى المبشرين أن تؤسس الكليات في المراكز الإسلامية ، ولذلك لم يكتفوا ببيروت ، بل أرادوا أن يكون ثمة كلية في القاهرة نفسها إلى جانب الجامع الأزهر (٢) وهكذا أصبح للمبشرين الأمريكيين الكلية الأميركية في القاهرة بعد كلية روبرت في استانبول . وإنما اترجوا أن تسفر أبحاث لجنة الحريات والحقوق العامة بلجنة الدستور عن إعداد قانون بتوحيد نظم التعليم العصري في جميع البلاد المصرية ينص على منع فتح مدارس أجنبية جديدة ، ووجوب تعليم الدين في جميع مراحل التعليم ، وإلزام المدارس الأجنبية بذلك ، ويأمنها مساجد في كل المدارس المصرية والأجنبية ، ليؤدي فيها الطلبة والطالبات من المسلمين صلواتهم وشعائهم الدينية في أوقاتها .

ويبغى أن ينص في القانون بصراحة على جميع الضمانات التي تمنع كيد المبشرين ومفاسد مدارسهم الأجنبية ، وتكفل للشعب المصري وحدته القومية ، وتصور دينه وعقائده وفضائله من العبث ، ويقرر منع المدارس الأجنبية من التبشير الديني ، ومن تدريس كل كتاب أو بحث يخالف الروح الدينية والوطنية والنظام العام .

وقد تفتت حكومة الجمهورية السورية إلى خطر المدارس الأجنبية وماتسيه في بلادها من مشا كل وتفرقة فعاجلت ذلك علاجاً حاسماً ، فقررت بالمرسوم التشريعي الصادر في ١٧ / ٣ / ١٩٥٢ نظام المدارس الخاصة ، وهو يتألف من ٥٧ مادة نصت المادة الثانية منه على أنه لا يسمح مطلقاً بتأسيس مدارس خاصة أجنبية في الجمهورية السورية ، أما المدارس الأجنبية القائمة فنطبق عليها الأحكام الانتقالية الواردة في هذا المرسوم التشريعي . ونصت المادة الثالثة على أنه يجب أن يهدف التعليم في جميع المدارس الخاصة إلى ما يهدف اليه التعليم الرسمي وفقاً لما تنص عليه قوانين المعارف وأنظمتها ، ونصت المادة السابعة منه على أنه يحظر على جميع المدارس الخاصة أن تقوم بتدريس أولاد نازحين من شأنه أن يؤدي إلى فساد الأخلاق أو إضعاف الروح الوطنية ، أو التفرقة الطائفية ، والتشفاق بين المواطنين أو مس كرامة الشعب السوري والأمة العربية .

(١) كتاب التبشير والاستعمار - الطبعة العلمية - بيروت ١٩٥٣ ص ٤١

(٢) Milligan 124 f. ١٥ من كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٧٧

ونصت المادة الثامنة على أنه لا يسمح مطلقاً بفتح مدارس خاصة لغايات تبشيرية .
وجاء في المادة ١٣ أن لوزارة المعارف أن تمنع تدريس كل كتاب في المدارس الخاصة
يخالف الروح الوطنية أو النظام العام أو ينافي الآداب أو يمس أحد الأديان .

وفي المادة ١٥ أنه لا يجوز للدرسة الخاصة أن تسمح لطلابها بحضور دروس وطقوس
دين غير دينهم ، ولا أن يحملوا أو يستعملوا شارات تنافي عقائدهم ، ونصت المادة ١٩ منه
على أنه لا يجوز للدارس الخاصة قبول إعانات نقدية أو عينية من مصدر أجنبي أو دولي
إلا بموافقة خطية من وزارة المعارف . ونصت المادة ٥٣ على أن كل مدرسة أجنبية لا تطبق
القانون المذكور تعتبر ملغاة .

هذه خلاصة موجزة للنظام السورى الذى تخضع المدارس الأجنبية فى سوريا لنصوصه
وأحكامه ، وإلا فهى عرضة للغلق والمنع . وإن بإمكان لجنة الدستور أن تستأنس بذلك
القانون لتنسج على منواله ما يلائم حاجة مصر ويتفق مع مصلحتها العامة وسيادتها .

ولم يأت على فقه بأن قادة الثورة المصرية يعلمون الكثير عن ضرر المدارس الأجنبية
وخطرها وما تقوم به من التبشير والتضليل ، وخدمة المظالم الاستعمارية تحت ستار الدين ،
وأن ما تعانيه قضية السودان من كيد بعثات التبشير وما تبثه بين إخواننا السودانيين
من عوامل التفرقة والفساد فى سبيل توطيد الاحتلال الإنجليزي ، والتكهن له لما يحفز
على العمل السريع لاستئصال هذا الشر الأجنبي من جذوره ومعالجة الموضوع من أساسه ،
ولعل فيما عملته سوريا الشقيقة فى هذا الشأن ما يدعو للبادرة إلى سن قانون يمنع فتح
مدارس أجنبية جديدة وتوحيد نظم التعليم المصرى فى البلاد المصرية جميعها وجعل الدين
والتربية الدينية مادة أساسية فيه ، وإلزام المدارس الأجنبية بتطبيقه وتنفيذ ذلك بالحزم ،
ولإغلاق كل مدرسة أجنبية تخرج على ذلك النظام ، حرصاً على دين الأمة وكيانها ووحدتها
القومية . وإنهم لعاملون إن شاء الله . وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .
واقه الموقف ، ومنه العون .

محمد صبرى هاجرمين

من علماء الأزهر الشريف

الملائكة النبوية

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله

هذه هي الكلمات الأولى في العقيدة الإسلامية ، وفيها يقترن اسم محمد بن عبد الله باسم الله العلي العظيم ، خالق الأرض والسموات - والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يكررون هذه الشهادة في الصلوات الخمس ، وفي غير الصلوات الخمس ، فهي كلمة تقال في اليوم الواحد مئات الملايين ، وكفى بذلك غزراً وامتداداً .

ولكن الشعراء وقد ملأت نفوسهم حبة الرسول ، واختلط الإيمان بدمائهم ، أرادوا أن ينالوا شرف المثل ببابه ، والقلوب إذا امتلأت فاضت على الألسنة ، والصدور إذا غلبها الشوق ألقته على الصحائف ، وقد علم الشعراء أن نبهم ﷺ ليس كغيره من أعيان الرجال ، وكبار الساسة ، وعظماء المصلحين ، أولئك الذين يرفع المديح من أقدارهم ، ويعلى من مكانتهم ، بل هو أعلى في الشرف مكاناً ؛ فقد رفع الله ذكره ، وفضله على العالمين ، فإبه حاجة إلى شعر الشعراء ، وثر الكاتبتين ، علواً ذلك ، ولكنهم أرادوا أن يتمسحوا بالأعتاب وأن يقفوا بالباب ، وأن يرجوا حسن التواب ، كما قال أمير الشعراء :-

لومت باب أمير الأنبياء ومن يمسك بفتح باب الله يفتح
علفت من مدحه حبلاً أعز به في يوم لا عز بالأنساب والشمم
مدح الله رسوله الكريم بقوله : (وإنك لعل خلق عظيم) ، وأمتن عليه بما من فقال
(وكان فضل الله عليك عظيماً) ، فإذا يصنع الشعراء ، وأى سبب يتعلقون به حتى يصلوا
أو يقاربوا .

غاية المدح في علاك ابتداء ليت شعري ، ما يصنع الشعراء
لأنهم أحسوا أنهم كالأفلة ، بينها وبين الفرض بون بعيد ، وعرفوا مكانهم الحق ، فقال
عمر بن الفارض :

أرى كل مدح في النبي مقصراً وإن بالغ المثنى عليه وأكثر
إذا الله أتى بالذي هو أهله عليه ، فما مقدار ما يصنع الوري ؟

وقال الإمام البوصيري :

إن من معجزاتك العجز عن وصفك ، إذ لا يحده إحصاء
ويمعجني جد العجب ما يقوله هذا الإمام الجليل ، وهو غاية في المدح والثناء ، والإعلان
عن الوقوف دون الشأو :

فبلغ القول فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم
كما يعجني قول التقي الصالح عبد الرحيم البرعي :

صفوه بما شتم فوالله ما انطوى على مثله في الكون أم ولا أب
والباحث يجد كثيراً من الشعر في مدح الرسول يكاد يعمي الباحث ، وفي مجموعة
واحدة ، هي مجموعة البنائي . عشرون ألف بيت ، مع أن صاحبها لم يدون كل ما قيل ،
ولا جزءاً من عشرة أجزاء منه .

وقد كان للرسول في حياته شعراء يمدحونه ، ويهجون خصومه ، ويدافعون بأستهم
عن الدين ، وكان من أشدهم على المشركين حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وقد دعا
الرسول لحسان فقال : « اللهم أيده بروح القدس » . ومن مدائح القدامى المشهورة ، مدحة
كعب بن زهير ، ومدحة الثابتة الجمدة ، ومدحة أعشى بكر ، وكانوا يمدحون النبي ﷺ
بحسن الخلق ، والصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، والعفو عند المقدرة ، وما أشبه
ذلك من الصفات النفسية ، فلما كانت الصور المتأخرة توسع الشعراء في المديح ، وجعلوا
يضيفون إلى ذلك كل ما يتصل بالسيرة النبوية ، فيذكرون معجزاته ، وإرهاصات نبوته ،
ومولده ورضاعه ، وغزواته ، وهكذا ، وكان لإمام المداحين غير منازع ، الإمام شرف الدين
محمد بن سعيد البوصيري ، وهو شاعر مصري ، مات في نهاية القرن السابع الهجري ، وقبره
بمدينة الإسكندرية بجوار قبر أستاذه التقي الورع أبي العباس المرسى ، وقد أكثر البوصيري
من مدح الرسول ، وقصيده البردة مشهورة محفوظة ، وقد كان لها ولبقة شعره أكبر تأثير
فيمن أتى بعده من الشعراء ، ويكنى أن البردة خمسها أكثر من تسعين شاعراً ، وعن عارضها
محمود سامي البارودي وأحمد شوقي ، وسبب لإنشائها أن شرف الدين أصابه فالج ، فعملها
واستشفع بها إلى الله تعالى أن يعافيه ، فرأى النبي ﷺ في المنام ، فمسح بيده السكرية على
جنبه ، وأتت عليه بردة فقام من نومه كأنما نشط من عقال .

ولا شك أن البوصيري أحدث تحولا في الشعر العربي بمدائحه في الرسول ، فقد اقتدى به كثير من العلماء والشعراء . يقول شوقي :

المادحون وأرباب الهوى تبع لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مديحه فيك حب خالص وهوى وصادق الحب يملئ صادق الكلم
والرجل يمتاز حقا بالإخلاص ، وفيه روحانية قلما نجد لها في شعر غيره من الشعراء ،
فعم يمز النفس أمثال ابن الفارض ، والبرعي ، والشهاب محمود ، ولكن للبوصيري في هذا
المعنى إمام الركب .

وقد يسأل متسائل : ما بال كبار الشعراء أمثال المتنبي والبحتري وأبي تمام لم يقولوا
في مدح الرسول ؟ وقد أجاب بعض الكاتبين عن ذلك بأن مدح الرسول من جملة الطاعات ،
وهؤلاء لم يوفقوا لهذه الطاعة . كما أن كثيراً من الأغنياء لا يحجون ولا يزكون ،
ولا يتصدقون ، ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أن أغراض الشعر العربي لم تكتمل كلها
دفعاً واحدة بل ظلت تنمو وتتدرج ، فيضيف كل عصر إليها غرضاً أو أكثر ، فشعر
السياسة — مثلاً — نشأ في العصر الأموي ، وشعر الوعظ والزهد نشأ في العصر العباسي ،
وشعر المدائح جاء في العصر المملوكي ... وهكذا .

ولم يكن مدح الرسول أو آل بيته غرضاً مستقلاً في الشعر كما كان ذلك في العصر
المملوكي ، ومهما يكن من شيء فقد أفاض المتأخرون في مدح الرسول ، وبعضهم نظم في هذا
الغرض دواوين بأكملها ، ونجد هذا الانجاء الطيب في شعراء السودان الذين عاشوا في أول
هذا القرن . فسامهم إلا من مدح الرسول ، وبعضهم له ديوان كامل في المديح ، وبعض
هذه الدواوين باللغة العامية وما زال ديون (أبي شريعة) منهلاً برده كل من أراد المديح
من أصحاب هذه الصنعة الراجعة في السودان .

وشعراء المديح وإن لم يكتوتوا كلهم من الشعراء المبرزين ، فقد أغنهم سمو الغرض ،
وذاات الممدوح عن بلوغ الذروة في البلاغة ، والنفس المؤمنة تجيد في هذا الشعر غذاءها
الروحي ، وإن لم تجد فيه البلاغة العالية ، والأسلوب الرصين .

وشعراء المديح منذ عهد كعب بن زهير يتخذون الغزل مفتاحاً لمدايحهم ، وهذه عادة
عربية قديمة ، يتبدئون أكثر قصائدهم بالنزل ، وقد هجرت هذه العادة في بعض العصور ،

عند بعض الشعراء ، ولكنها بقيت ملازمة للدائع النبوية ، ولذلك قل أن نجد مدحة — لا سيما المطولات — ابتدئت بغير الغزل . وغزل أمير الشعراء في نهج البردة ، وغزل البوصيري في برده . معروفان مشهوران ، ولكن غزل شعراء المديح أكثره مهذب مؤدب ، وقد رسم ابن حجة الحموي صورة لهذا الغزل فقال : « وهنا فائدة ، وهو أن الغزل الذي يصدر بالمديح النبوى يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاد ، ويتشبه مطربا يذكر سلع ورأمة وسفح العقيق ، والعذيب والغوير ولعلع ، واكتاف حاجر . » وقد كفانا ابن حجة مثونة القول في غزل المداحين ، ونسوق مثلاً من غزلهم ، يقول الشهاب محمود الحلبي المتوفى سنة ٧٧٥ هـ .

رأى الركائب تحدى فأنثى كلفا صب بكى أمفا ، والبين قد أزفا
مغرى بحب الحى تهفو جوانحه إن يرقه لاح أو قسره هتفا
يكاد يقضى عليه فرط لوعته إذا تذكر عهداً بالحنى سلفا
ومن غزل أمير الشعراء في نهج البردة :

لما رنا حدثتى النفس قائمة يا ويح قلبك بالسهم المصيب رعى
جحدتها وكنمت الحب فى كبدى جرح الاحبة عندى غير ذى ألم
يا لأنى فى الهوى المذرى معذرة لو شفق الوجد لم تعذل ولم تلم
يا ناعس الطرف لا دقت الهوى أبداً أسهرت مضناك فى حفظ الهوى فم
وربما ابتدأوا بغير الغزل كما فى مدحة للبوصيري :

أمدائح لى فيك أم تسيح لولاك ما غفر الذنوب مديح
نبئت أن مدائحي فى المصطفى كفارة لى ، والحديث صحيح
أريج بمن أهدى إليه ثناءه إن الكريم لراج مربوح

والمدائح النبوية ديوان كامل للسيرة المحمدية ، فلم يترك الشعراء صغيرة ولا كبيرة إلا ذكروها ، مرة بإسهاب ، وأخرى باختصار ، كما نجد فيها ذكر الأماكن الحجازية ، والتشويق إلى زيارة بيت الله ، والحنين إلى مشاهدة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها ذكر الصحابة ، ومحاسن الشريعة ، ومقارنتها بالديانات الأخرى . وتكاد تكون المدائح أكثر الأشعار اشتغالاً على الحكم والمواظ ، وهى مواظ مؤثرة غاية التأثير ، فإنها تواجه

النفس وهى فى جو صفاء روحانى، فتتمكن منها ، وتندفعها إلى الطاعات ، وكثيرا ما يتخذ المباح من معاناة نفسه ومحاسبتها عظة للآخرين يقول البرعى :

متى يستقيم الظل والعود أعوج وهل ذهب صرف يساويه بهرج
هى النفس والدنيا وإبليس والهوى بطاعتهم عن طاعة الله أزعج
أريد مقام الصالحين وليس لى كنهجهم فى الدين دين ومنهج
إذا حضر الإخوان للذكر والبكى حضرت كأنى لاعب متفرج
وللولد النبوى مكان ملحوظ فى أشعار المديح ، فهو أول ما يتدثرون به بعد الغزل ،
ثم يذكرون رضاعه عليه السلام ، وما ظهر فيه من بينات ، فهذه المرضعات تغدن إلى مكة ، تطلب
كل واحدة منهن طفلا ترضعه لتتال من ورائه خيرا ، وقد أبت المرضعات أن يأخذن هذا
الطفل لأنه يقيم ، وماذا تجد امرأة فقيرة من طفل يقيم ، ثم يدفع سادات مكة أطفالهم إلى
مرضعات البادية ، ولكن واحدا منهم لم يقبل أن يدفع طفله لحليمة السعدية لأنها امرأة
فقيرة لا يجد الطفل فى بيتها غناء ، فترضى حليمة باليتيم ، لاسر يريده الله ، وتأخذه فتأخذ
معهما اللبن والبركة والسعادة ، فيخصب عيشها ، ويجرى اللبن فى ضرع شأنها العجفاء ، ويفيض
الله عليها النعمة ، وتقال شهرة الأبد .

وبدت فى رضاعه معجزات ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبت له لبنه مرضعات قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأنته من آل سعد فتاة قد أبتا لفقرها الرضاء
أرضعته لبانها فسقها وبذها ألبانن الشاء
أخصب العيش عندها بعد محل إذ غدا للبنى منها غداء
وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فإنهم سعداء
وقد أكثروا فى هذه المدايح من الحنين إلى الحجاز ، وإظهار الرغبة فى زيارة الرسول ،
وأشهر من عرف بذلك عبد الرحيم البرعى ، والشهاب محمود ، ولهم فى هذه المعانى قصائد
تستنزف الدموع من العيون .

ونسأل والدار تدنو بنا هن القرب فى كل يوم مرارا
وما ذاك أنا شطنا السرى ولكن دنونا فزدنا انتظارا

على محمد صمد العمارى
من علماء الأزهر

شخصية الاسلام والمسلمين

قال رسول الله ﷺ : اتبعن سنن من كان قبلكم شرباً بشرب وذراعاً بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ، ولو أن أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتم ، وورد في رواية السؤال عن : من كان قبلكم ، : اليهود والنصارى ؟ قال ﷺ : فمن إذا ؟ .

قال العزبي في شرح هذا الحديث ، هذا الخبر منناه النهي عن اتباعهم فيما سى الله تعالى عنه صراحة أو ضمناً ، والمقصود أن هذه الامة تنسبه بأهل الكتاب في كل ما يفعلونه حتى لو فعلوا هذا الذي يخشى منه الضرر البين لا تبعوهم . وتمة مراد الحديث : فإذا فعلتم ذلك فمليكم بالنبوة ، فهي الملجأ ، وقد ورد : لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم ثاب الله عليكم .

وبعد - فكثير من مسلمي اليوم يعيشون على التقليد والاتباع لمن كان قبلهم كما ورد في الحديث ، وهو من أعلام النبوة : يعيشون على ذلك التقليد الاعمى الاصم الاغلف في الامور التي لا تؤدي إلا إلى فساد وضلال ، يحيون على الاتباع لجماعات من الناس كل ما يقال فيهم أنهم بشر ...

لا تكاد ترى لاكثر الناس وضماً من الاوضاع ، أو نظاماً من النظم ، أو طريقاً في العلم والمعرفة ، أو أسلوباً في الحياة والعيش ، أو سبلاً في اختيار الطعام واللباس ، أو مناهج في التفكير والقول وغير ذلك ، لا تكاد ترى لهم شيئاً مما ذكرنا إلا وهي نتيجة التقليد الاعمى والاتباع الاغلف الذي أشير إليه في الحديث النبوي .

وإليك أيها الاخ القارىء نموذجين موجزين تقيس عليهما الكثير :

١ — ينظر هؤلاء إلى دينهم كما ينظر إليه أولئك ، على أنه رابطة بين الله والقلب ، وعلاقة بين الروح والخالق ، وعبادة تقف عند باب البيعة (مثلاً) ولا تتجاوزها إلى الشارع والمعمل والمدرسة والحياة ، مع أن طبيعة الإسلام تختلف عن طبيعة غيره ، ووظيفته تختلف عن وظيفة الدعوات الأخرى ، فبينما غير الإسلام تنحصر رسالته في العقيدة والعبادة وبعض نواحي الأخلاق ، أتى الإسلام ليشرع حياة جديدة في المسجد والشارع والبيت والمعمل

والمدرسة والحياة ، حياة جديدة تستوحى الرشد والجمع من الله تعالى في كل مسألة وحالة ، حياة جديدة لا تترف بطبقة كهؤلاء روجيين ورجال دين فقط ، لأن قوام الإسلام الروح والمادة ، والدنيا والدين ، وأفراده جميعا مطالبون بأن يكونوا علماء بفروعه وأركانه لقول الرسول ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ، وإن كان لا مناص من التفاوت بين أفراده في زيادة الإلمام بالأصول والفروع أو الاجتهاد والتقليد مثلا .

ينظر هؤلاء إلى دينهم كما ينظر إليه أولئك ، دون أن يكلفوا أنفسهم البحث عن حقيقة الإسلام ووظيفته ، ويؤلفون (مثلا) قوانين لتسيير مصالح المسلمين ، ويشرعون انقفا في العقوبات والعقود ويرونها - وهي من صنع من - بهم - خيرا لا متهم من حكم الله جل وعلا ويعرضون جهلا واستهتارا عن وعيد الله تعالى فيمن يترك الحكم بشرعه ، ليطلب العدل في سواه . قال الله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) . وقال : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلو تسليما) .

٢ - ينظر هؤلاء إلى دينهم كما ينظر إليها أولئك ، فالعلم (مثلا) يطلبونه لما يطلبه أولئك له ، لا ديناً يربى النفس ويؤدب القاب وينشر الرخاء ويريد الحب والتعاون الأدبي بين الناس ، وإنما يتعلمونه لا ليرفخوا به الجمل عن أنفسهم ، ولا ليرفخوا طريق الله ، وغاية العيش ، مع أن من تحقير العلم والتصغير من شأنه قلب طبيعته باستخدامه والتقصير في خدمته ومن إضاعة العلم العمل به في غير ما أمر الله تعالى ، ولكن هؤلاء أيضاً يصنعون هذا ... تقليداً واتباعاً لمن كان قباهم .

وأسلوب الحياة والعيش قد جاروم فيه وماشوم عليه ، فجعلوا من الحياة الدنيا غاية والمعيشة المادية هدفاً ، وعروا فيها ورتقوا ، نسوا كغيرهم عن سبقهم وظيفتهم في هذه الدنيا وهدفهم من هاته المعيشة ، فكانوا حتى يعيشون ليأكلوا ولا يأكلون ليعيشوا . نسوا أن هذه الحياة الدنيا هو واسب وغرور وسراب ونمويه وخداع ، وأن الآخرة بالعمل الصالح هي الحيوان فوجهوا مهمهم إلى هذه الحياة المادية واطمأنوا إليها ، ركنوا إلى باطلها ونسوا يوماً هو آت لا بد منه (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ولا بد لأجل ذلك اليوم من إيمان وطاعة وعبادة وخلق وبر وإحسان وحب وإيثار .

ويتجاهل هؤلاء أيضاً أن الله تعالى قد جعل للإسلام والمسلمين شخصية وعلامة تميزهم عن غير أهل ملتهم ، وحدد للإسلام ذاتيته ومقوماته حتى لا يشبهه بدعوة أخرى .

ومن مظاهر ذلك أن الصلاة في الإسلام قد شرعت غير مشابهة لعبادة في دعوة ما جعلها الله شاملة لعمل الروح والجسد . وأعد لها ، أنشودة سماوية — في الأذان — ولحناً قديماً تتجاوب به الآفاق ، الله أكبر الله أكبر ، ، وجعلها غير مقبولة إلا بالاتجاه فيها إلى عين الكعبة المشرفة أو جهتها دون المسجد الأقصى أو غيره ، وشرط لها شروطاً من طهارة الجسد والنية وستر العورة ، مما لا يجتمع في عبادة لدعوة ما ، ومثل الصلاة غيرها من العبادات والطاعات ، تألف منها جميعاً شخصية مستقلة للإسلام لا تشبهها أو ترقى إليها دعوة أخرى . واعتبر المسلمين هيئة خاصة لها شخصيتها ، يجب على أفرادها أن يحققوها في أنفسهم إذا أرادوا السكال لإسلامهم .

فهذا رسول الله ﷺ ينهى عن التشبه بغيرهم فيما نهى الله تعالى عنه صراحة أو ضمناً فيقول : « من تشبه بقوم فهو منهم » ، رواه أبو داود وصححه ابن حبان . ويقول : « ليس منا من تشبه بغيرنا » . وتفصيل ذلك قد ألف فيه أئمة الإسلام الكتب ومنها كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) للإمام ابن تيمية .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين يوجه قائداً إلى ميادين الجهاد والفتح يأمره بحمل لباس المسلمين مخالفاً للباس أهل البلاد حتى لا يشبهه بالمسلم غيره ، وحين يرى رضى الله عنه امرأة مجوسية قد تسرت كماليات زمانه يزيح عنها الستر ويقول لها : أنتشبهين بالحرث يا لسكاع ١٤

وحين يكون للإسلام في أهله سلطان على قلوب أتباعه ، ترى العلماء الصادقين يحرمون على المسلمين لبس ما هو خاص بغيرهم مستوحين ذلك من روح الإسلام وشخصيته المستقلة إذ يرون — كما يرى الأغيار أيضاً — أن هذا التقليد مدرجة الانبعاث ، وقد يؤدي ذلك إلى الرضا بدين الغير وعقده . فكون الكفر بعد الإيمان وخسران الدنيا والآخرة !

هذا الإمام الشافعى رحمه الله تعالى حين يقرأ على الناس حديثاً ويسأله أحد المستمعين : هل يعمل هو بهذا الحديث فيقول له الإمام الشافعى : « رأيتني نصرانياً ، رأيت على وسطى زناراً ، رأيتني خارجاً من الكنيسة ؟ » ، وهؤلاء بقية الأئمة الأربعة وغيرهم يرون تشبه المسلمين بغيرهم فيما هو خاص بهم محرماً ، إلا على مضطر وصاحب عذر .

وهذا القاضي البيضاوى يقول فى تفسير قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » . يقول « ولما عد لبس الغيار (وهو شأن أهل الذمة يومئذ) وشد الزنار كفراً لأنها تدل على التكذيب ، فإن من صدق الرسول لا يجترئ عليها ، لا لأنها كفر بنفسها ، بل استعمالها فى ظاهر الشريعة كذلك » .

وهذا الكاتب الأوربى الذى أسلم منذ سنوات قليلة « محمد أسد الله » يقول فى كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) عند بحث التقليد :

« إذا حاكى المسلم أوربة فى لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه ينكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوربية مما كانت دعواه التى يعلنها ، وإنه من المستحيل عملياً أن تقلد مدنية أجنبية فى مقاصدها العقلية والبدعية من غير إعجاب بروحها ، وإنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الدينى وتبقى مع ذلك مسلماً صحيحاً » .

والآن ليستعرض الفارص الكريم الإسلام فى عقيدة أولئك الناس وعملهم ، ما نصيب الإسلام عندهم فى شخصيته واستقلاله عن غيره ؟ وما نصيبهم هم من شخصية الملة الإسلامية وذاتيتها ؟ إن من يستعرض ذلك فسيرى عجبا عجبياً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . اللهم إنا نسألك فى يوم مولد رسولك محمد صلى الله عليه وسلم أن تهب لنا من العزم والقوة ما نبرز به شخصية الإسلام والمسلمين مرة أخرى صريحة قوية صادقة أمام الناس جميعاً ، وأن ندع هذا التقليد الضار الذى شوه لإسلامك ويكاد يذلنا جميعاً ويجهلنا عبيداً للناس لا لك يا الله ! .

نسألك فى يوم مولد رسولك عليه صلواتك وبركاتك ، أن تيد لنا عزتنا وعظمتنا وشخصيتنا ، فنعمل ونجاهد لنكون مرة أخرى قدرة صالحة للناس ، لا مقتدين بأشباه الناس ومرشدين للحق لا مسترشدين بالهوى ، ونوراً للعالم يبدد الظلمات لا قنابلاً يتبع عبيد الشهوات ، اللهم إنك أردت لنا أن نكون « خير أمة أخرجت للناس » نأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وتؤمن بالله ، فيسر لنا اللهم ذلك لنا ، حتى نكون كما أردت لنا أن نكون . اللهم قد سألناك فى يوم مولد رسولك فاستجب لنا يا أرحم الراحمين .

وهي سليمان الالباني

بجاز فى القضاء من الأزهر الشريف

الكتاب

مختصر التحفة الاثني عشرية

للسيد محمود شكري الألوسي ، ٣٥٠ ص قالبين ، المطبعة السلفية بمصر

أصل هذا الكتاب النفيس من تأليف شاه عبد العزيز الدهلوي (١١٥٩ - ١٢٣٩) ابن مؤلف (حجة الله البالغة) الامام المجدد شاه ولي الله الدهلوي (١١١٤ - ١١٧٦) وهو أكبر أبنائه ووارث علمه . ويكاد يكون أعلم مسلمي عصره بمذاهب الشيعة وأغراضهم ، وأكثرهم إحاطة بنصوصهم ومعرفة برجالهم . وقد قام بتأليف هذا الكتاب عند ما استفحل طغيان هذه الدعوة في الهند ، فاضطر إلى تأليفه دفاعاً عن رسالة الإسلام ، وإثباتاً للحقيقة الجليلة وهي أن أهل السنة هم محبو آل البيت ، وأن آل البيت هم حملة السنة كما يعرفها أهل السنة ، وأن علياً كان أخاً حبيباً لآبي بكر وعمر ، وأنه طاملاً لشكا شيعته وتبرأ منهم ، وكذلك كان موقف بنيه وسائر الأئمة الاثني عشر . وإنما سماه التحفة الاثني عشرية لأنه ألفه في سنة ١٢٠٠ ، وكان قد جعله في ١٢ باباً ، ولأنه دافع فيه عن الأئمة الاثني عشر وبين أنهم في صف أهل السنة . وأن أهل السنة هم الذين يحبونهم ويكرمونهم .

وكان تأليف أصل هذا الكتاب باللغة الفارسية في أكثر من ألف صفحة ، والتمزم مؤلفه ألا يناظر الشيعة ويقم عليهم الحجج إلا من كتبهم وبنصوصهم والقضايا المسلمة عندهم ، ولذلك انتشر كتابه في البلاد يومئذ وتناقلت الأقلام نسخه المخطوطة . وبعد ربع قرن شعر أفاضل مسلمي الهند بالحاجة إلى نقله للعربية ، وأول من اقترح ذلك الحافظ محمد حيدر من كبار رجال طريقة المجدد السمرندي ، فكاشف في ذلك الأمير محمد عبد الغفار خان بهادر ثابت جنك ابن محمد علي خان واختاروا لترجمته عالماً جمع بين التصلح بمعرفة مذاهب الشيعة والاطلاع على كتبهم وبين التمكن من اللغة الفارسية ، إلا أنه غير بليغ في العربية وهو معذور في ذلك ، وهذا المترجم هو الحافظ غلام محمد بن محي الدين بن عمر الأسلي ، فقام بما طلب منه أحسن قيام ، وانتهى من ترجمة التحفة الاثني عشرية في شهر شعبان سنة ١٣٢٧ بمدينة مدراس بالهند . وفي سنة ١٣٥٠ تجدد الطغيان مرة أخرى فشرع مسلوبو العراق بالحاجة إلى كتاب التحفة الاثني عشرية ، لكنهم وجدوه مطولاً وفي ترجمته للعربية

ضعف ، فطلبوا من عالم بغداد وإمامها السيد محمود شكرى الألوسى أن يختصره وبهذه ويخرج منه كتابا ينفع الناس ويضع حداً للدعائيات والبنى على خير من أنجبتهم الانسانية وهم أصحاب محمد ﷺ وتابعوه والتابعون لهم باحسان ، وليقضى على الخرافة السخيفة ، وهى أن عليا خصم لإخوانه وأن إخوانه خصوم له ، وأن آل البيت فى غير الصف الذى فيه أهل سنة جدم صلوات الله عليه ، فقام السيد محمود شكرى الألوسى بهذه المهمة وقته الحمد ، وكان من نتيجة عمله الصالح ظهور هذا المختصر النفيس لكتاب التحفة الاثني عشرية .

وفى سنة ١٣١٥ قامت إحدى مطابع بومباى الهند بطبعه على الحجر ، ولكنها كانت طبعة كثيرة الاخطاء لصعوبة المواصلات يومئذ بين الهند والعراق فلم يتمكن السيد الألوسى من تصحيح ملازم الطبع قبل طبعا ، ومع ذلك فقد انتشرت تلك الطبعة فى الآفاق ، وتراحت عليها الأبدى ، فنضت نسخها منذ نحو خمسين سنة ، ثم كاد أهل السنة يفسون هذا الكتاب ، إلى أن ذكرهم به مؤلفو كتب الزهراء ، والسقيفة ، والرد على رد السقيفة وأمثال هذه الذشرات المليئة بما أشرنا إليه ، وحينئذ اقترح وجيه الحجاز العالم الجليل الشيخ محمد نصيف على رئيس تحرير مجلة الأزهر أن يحقق هذا المختصر ويعلق عليه ويخرج منه طبعة جديدة تجلو الحقائق وتبين الأمور من أصولها ، فقام بذلك على قدر ما اتسع له الوقت . ولما شعر فى خلال العمل بالحاجة إلى الوقوف على أصل الكتاب أرسل إليه حضرة الشيخ محمد نصيف نسخة مخطوطة من الأصل المترجم بالمرية وهى فى أكثر من ألف ومائة صفحة . وقد تم فى هذين اليومين طبع المختصر مصدراً بمقدمة ومختوما بخاتمة كلناهما من قلم رئيس تحرير هذه المجلة . وقد اقتصر السيد الألوسى على تسعة أبواب من الأصل :

الباب الأول فى ذكر فرق الشيعة ، وكيفية حسدونها . والباب الثانى فى أقسام الحديث عند الشيعة ، وأحوال رجال أسانيدهم ، وطبقات أسلافهم . والباب الثالث فى مواطن خلافتهم مع المسلمين فى الإلهيات ، وتحقيق البحث عن معرفة الله بالوجوب العقلى أو الشرعى ، وإثبات مخالفة الشيعة لكتاب الله وللتصوص الثابتة عن العترة سلام الله عليهم . والباب الرابع فى مواطن خلافتهم مع المسلمين فى النبوة ، واعتقادهم أن بعث الأنبياء واجب على الله ، وأن علياً أفضل من الأنبياء والرسل غير أولى العزم ، وقولهم ان الأئمة أريد من الأنبياء علماً فيكونون أفضل منهم رتبة . والباب الخامس فى الإمامة ، وأن المسلمين يوجبون على الأمة نصب الإمام ، بينما الشيعة يوجبونه على الله ، ويان نتائج ذلك . والباب السادس فى بعض عقائد الشيعة المخالفة لعقائد المسلمين كاعتقادهم

وجوب البعث على الله ، وقولهم بخرافة الرجعة قبل يوم القيامة ، وأن حب علي وسيلة النجاة ولذلك فإن محبيه لا يذبون في صغيرة ولا كبيرة لمجرد هذا الحب المزعوم . والباب السابع في الأحكام العقابية التي انفرد بها صناديدهم ومنها العجب العجيب ، وفي هذا الباب بيان أن أحد كبار أعلامهم - وهو أحمد بن إسحاق الأحوص القمي - اخترع لهم قبل أكثر من ألف سنة (عيد بابا شجاع الدين) وبابا شجاع الدين هذا هو عدو الله أبو لؤلؤة المجوسي قاتل أمير المؤمنين عمر . وفي الباب الثامن استعراض مطاعنهم على الخلفاء الراشدين والصحاب الكرام وأم المؤمنين عائشة الصديقة والرد عليهم . وفي الباب التاسع ذكر ما اختص به الشيعة كإنكارهم كرامات الأولياء ، وإقامتهم حفلات الجاهلية في الحرم ، واعتقادهم عصمة الأئمة ، وزعمهم أن من في قلبه حبة على يدخل الجنة ولو كان مشركا ، وتسميتهم أمة محمد ﷺ ، الأمة الملعونة ، وتفضيلهم لمن عمر على ذكر الله وسائر العبادات ، وقولهم إن أبا بكر وعمر وعثمان منافقون ، إلى غير ذلك .

ومن العجيب أن مجتهدهم وآيتهم - الذي كانت كبرى هيئاتنا الإسلامية في مصر تحتفل به وتكرمه لما تظاهر لهم به من عشقه للاتحاد - هو القائل في صفحة ٦٣ من الجزء الأول من كتابه إحياء الشريعة في مذهب الشيعة : « من قال أجمعت الأمة على نصب أبي بكر ، قلنا : لاحق لهم أن يجمعوا ، وهو القائل « ولو كان هناك إجماع فالدليل على حجتيه ، والقائل « إن في آية الغار إشماراً تخرج عن ذكره لأننا لا نريد الطعن على أبي بكر » . فإذا كان هذا داعية الاتحاد والمتحجب إلى السجوديين في الحجاز هذا العام ، وللصربيين في مصر أخيرا ، فإذا يقال في مقترق الزمراء ، والسقيفة ، والرد على رد السقيفة ، ويختزعي كتاب المراجعات كما تختزع القصص والروايات ؟ وباليههم يسكتون فترضى منهم بالسكوت !

المهدية في الاسلام

للاستاذ سعد محمد حسن ، ٣٢٠ ص قالين . نشرته جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر هو كتاب أهده مؤلفه لوجه الحق وحده ، وقدم له الدكتور عبد الحليم النجار الأستاذ بجامعة القاهرة . ومؤلفه من الذين جمعوا بين ثقافتى الشرق والغرب ، وكتابه حافل بدراسة حسنة لموضوعه على قدر ما واثته المراجع الكثيرة التي وقف عليها . وقد اختص الفصل الأول منه بالإمامة عند مختلف الفرق ، والفصل الثاني للكلام على الرجعة وتسربها من اليهود إلى الشيعة ، والفصل الثالث للمهدية ومستنداتها وتأليه الأئمة عند غلاة الشيعة ، والفصل الرابع لمذاهب فرق الشيعة إزاء هذا المعتقد ، والفصل الخامس لشعر الشعراء في المهدية ،

والفصل السادس للمهدية عند بقية الفرق الإسلامية وآثار عقيدة المهدي في المجتمع الإسلامي ،
والفصل السابع للمهدية في العصر الحديث ونشأة الشيعة والباية والبهائية والقاديانية .
وكنا نتمنى لو أن المؤلف توسع في مصادرہ ، ونعتقد أنه سيفعل ذلك في نشاطه العلمي
الذي يلي هذا الكتاب ، لأن هذه البحوث لا تزال بكرة في خارج محيط الشيعة ، وكلما زادها
المنفقون من رجالنا دراسة سقتق لهم عن حقائق تستحق التدوين والعرض . وهي جهود
مشكورة نأمل مواصلةا .

دراسات إسلامية

للأستاذ سيد قطب ، ٢٧٠ ص جابر ، المطبعة السلفية بمصر

الأستاذ سيد قطب كاتب إسلامي موهوب ، وقد عرفه قراء العربية بكتبه وفصوله
الملتزمة في المجلات والصحف . وأنفس ما كتبه فصول إسلامية أملاها عليه جو الطغيان
في آخر العهد البائد ، ثم جو التحرير لما أراد الله لعهد الطغيان أن يتحطم ويخزي . وهذه
الفصول جمعت في كتاب عنوانه (دراسات إسلامية) افتتحه سيد قطب بفصل عنوانه
(محطم الطواغيت) ، وهل حطم الطواغيت كلها إنسان مؤيد من الله كما حطمها محمد
ابن عبد الله ؟ فالفصل الافتتاحي من الكتاب في التعريف بمحمد بن عبد الله من ناحية
تحطيمه للطواغيت ، وبمده فصل عنوانه (انتصار محمد بن عبد الله) وفصل عنوانه (طبيعة
الفتح الإسلامي) ثم (التكافل الاجتماعي في الإسلام) و (كيف ندعو الناس إلى الإسلام)
و (نحن ندعو إلى عالم أفضل) و (خذوا الإسلام جملة أو دعوه) و (تحت راية الإسلام)
و (مصر أولا .. نعم ، ولكن !) ثم (إلى النائمين في العالم الإسلامي) و (ضريبة الذل)
و (العبيد) ... إلى غير ذلك من أمثال هذه الفصول النفيسة التي دعى رئيس تحرير مجلة الأزهر
إلى أن يكتب مقدمة لها فكتب مقدمة يتأسف فيها لأنه ليس في سن الشباب حتى يلهب
قراءه بمقدمة متقدمة كأنقاد هذه الفصول ، وأعلن أن كتاب (دراسات إسلامية) هو كتاب هذه
السنة في أدب القوة ، وتتمنى لو أن سيد قطب متع شباب الجيل بمثل هذا الكتاب في كل سنة .

رحلة المذنب البغدادي

نقلها من الفارسية الأستاذ عباس المزاولي ، ١٢٨ ص كبيرة ، مكتبة الحانجي
المذنب البغدادي هو محمد آغا الفارسي وهو إيراني كان من موظفي المقيمية البريطانية

بيغداد إلى سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠ م) وقام بهذه الرحلة أيام ولاية داود باشا على العراق (١) بصحبة كلايوس جيس ريتش المقيم البريطاني في بغداد . وكتب رحلته بالفارسية . وتناولت الرحلة ديار الكرد (شهرزور ، وسنة ، وسقز ، وكركوك ، وألتون كوبري ، ولاربيل) والموصل وأمماء أخرى ، ورافق المقيم البريطاني في التنقيب في خرائب نينوى . والباب الأول في الرحلة يتناول ما وقع بين داود باشا والمقيم البريطاني من اختلاف أدى إلى خروج المقيم البريطاني من بغداد . والباب الثاني في ذكر بغداد وأحوال عشائر العرب وطوائف الأكراد فيها وفي قرأها ونواحيها . والباب الثالث في المنازل من بغداد إلى كرمناشاه وذكر الآثار القديمة التي في الطريق . والباب الرابع في المنازل بين بغداد والسليمانية وكردستان وأحوال تلك الجهات . والباب الخامس في طريق بغداد إلى كركوك ومنها إلى السليمانية وبين السليمانية وكوي سنجق . والباب السادس في الذهاب من السليمانية إلى همدان من طريق شهرزور . والباب السابع في طريق السليمانية إلى سنة من طريق زربار وأحوال مقاطعة سنة . والباب الثامن من سنة إلى تبريز ومراغة وكرمناشاه . والباب التاسع في طريق السليمانية إلى الكبري ولاربيل والموصل ، وشرح أحوال الموصل ونينوى وطريق دجلة بين الموصل وبغداد . والباب العاشر في وصف البلاد والأصناف بين بغداد والبصرة .

والمؤلف الإيراني لهذه الرحلة البريطانية يسمى نفسه بأنه السيد محمد بن السيد أحمد الحسيني وينعت نفسه بأنه المنشئ البغدادي ، وقد علمنا أنه إيراني أقام في بغداد عدة سنوات في خدمة السياسة البريطانية ، ثم لما أجلى داود باشا المقيم البريطاني مستر ريتش عن بغداد اختار خادماً سياسته محمد آغا الفارسي الإقامة تحت جناح الهنرابل ألفنستين حاكم بومباي وأهدى إليه في سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) هذه الرحلة التي عني مؤرخ العراق الأستاذ عباس العزاوي بنقلها من الفارسية إلى العربية بأمانة وعناية وتحقيق تستفيد الأمة العربية بهض ما ينقصها من دغائل السياسة البريطانية في العراق يومئذ . وقد ألحق بها ستة فهارس للنواضع والكتب والأشخاص والأمكنة والقبائل والنحل والألغاز الاصطلاحية . لجاء الكتاب نفيساً ممتازاً كسائر مؤلفات الأستاذ العزاوي وأعماله العلمية .

(١) انظر لتاريخ ولاية داود باشا على العراق تاريخ ابن سند للشمسي (مطالع السمود) طبع للطبعة السلفية .

محاضرات في تفسير سورة الأنفال

للأستاذ مصطفى زيد - ١٩١ ص كبيرة - مطبعة العلوم

هي محاضرات نفيسة ألهاها الأستاذ المؤلف على تلاميذه طلبة السنة الثانية بكلية دارالعلوم في الموسم الدراسي المنصرم ، ثم أخرجها للناس في كتاب ليعم النفع بها . ويقول في مقدمتها إن سورة الأنفال - على قصرها - هي إحدى سور قليلة جمعت إلى مبادئ القتال مبادئ السلام ، وإلى صفات المؤمنين الكاملين صفات الكفار والمنافقين وضعاف الإيمان ... وهي السورة التي وصفت موقعة بدر وتحدثت عن النصر الأول في الإسلام ، ثم هي السورة التي نزلت بالمدينة والمسلمون حديثو عهد بالهجرة من مكة ، فسكادت بهذا الاعتبار تبدأ عهداً جديداً في القرآن ، كما ختمت بدر في تاريخ الإسلام عهداً ليبدأ بعده عهد آخر . قال المؤلف : ثم شاء الله أن تلقى هذه المحاضرات في عام بدأ به المصريون في تاريخهم عهداً جديداً . إن القرآن دستور المسلمين أفراداً وجماعات وحكومات ، وسورة الأنفال زاخرة بالمبادئ الكثيرة التي يجب على المسلمين وجماعاتهم وحكوماتهم أن يتدبروها ليعلموا ما يجب الله لهم أن يكونوا عليه ، ومن هذه الوجهة كان الأستاذ مصطفى زيد يحاضر تلاميذه في دار العلوم في تدبر آيات هذه السورة ومعرفة مبادئ الإسلام في الحرب والسلام والمجتمع . ولما انتهى من ذلك لخص هذه الحقائق كلها واستخرج من السورة ما يقرر مبدءاً ، أو يدعو إلى حق ، أو يأمر بخير . وحبذا لو واصل الأستاذ مصطفى زيد هذه الطريقة في تدبر آيات الكتاب الحكيم سورة سورة ، لا في محاضراته التي يلقيها على تلاميذه طلبة دار العلوم وحسب ، فإن ذلك يطول أمره ، بل كلما وانه الوقت وأسعفته الظروف ، فإن شباب المسلمين في حاجة ماسة إلى تفسير فهم كتاب الله عليهم ، كما فعل المؤلف في سورة الأنفال . فشكراً له ، وبارك الله له في وقته وجهده .

تجريد التوحيد المفيد - للمقرئ

بتعليقات الأستاذ الشيخ طه الزيني - ٧١ ص جابر - المطبعة المنيرية

هذه الرسالة لثقي الدين أحمد بن علي المقرئ من أنفس ما ألف في التوحيد وعقائد الإسلام ، ودعوة جمهور المسلمين إلى الوقوف عند حدود الله واتباع سنة رسوله . وقد سبق طبع هذه الرسالة ولا يزال الناس في حاجة إلى أمثالها ليرجعوا في دينهم إلى أصوله . وقد قام فضيلة الأستاذ الشيخ طه محمد الزيني من علماء الأزهر بتصحيح أصولها والتعليق عليها بما نرجو الله له المثوبة عليه .

خالد بن الوليد

الأستاذ صادق عرجون ، ٣٥٠ ص قالين ، مطبعة عيسى الحلبي

التاريخ الإسلامي في حاجة إلى إعادة دراسته من جديد تحت ضوء الحقائق الإنسانية التي توصل بها المؤرخون في هذا العصر إلى إنصاف عظماء الرجال وكبريات الأحداث ووزنهما بموازينها .

وقد سبق لفضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون شيخ معهد أسبوط الديني إخراج كتاب نفيس عن أمير المؤمنين عثمان كان موضع التقدير من المؤلفين والقارئين ، والآن يتقدم إلى المكتبة الإسلامية بهدية جديدة عن حياة سيف الله المجاهد الفاتح خالد بن الوليد والدور الذي مثله في التاريخ بنشر رسالة الإسلام ومقاومته طغيان الظلم السياسي والظلمات الأدبية . وأول شروط من يؤلف في تاريخ الإسلام أن يعرف الإسلام ويكون كأنه قد عاش مع رجاله الذين يؤرخ لهم ويحسن تقدير القيم للأعمال الصادرة عنهم . وإن توفر هذه الشروط في فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون على أنهم ما ينتظر من المؤرخ المسلم قد جعل كتابه (خالد بن الوليد) في طليعة ما ينبغي لكل مسلم مثقف — ولا سيما شباب هذه الأمة من الجامعيين والأزهريين — أن يكرروا قراءته ، وأن ينظروا إلى تاريخ الإسلام من هذه الزوايا السليمة التي ينظر إليه منها مؤلف هذا الكتاب ، والامل فيه أن يواصل عمله في التأليف وأن يكون أول ما يطلعون به كتاب عن فاتح مصر أبي عبد الله عمرو بن العاص والانقلاب الذي جرى على يده بمصر في مجتمعا وبيانا ، وأثر الإسلام في نفوسها وكرامتها ومستوى أخلاقها ، وإنه فاعل إن شاء الله .

التفسير الواضح

الأستاذ محمد محمود حجازي ، الأجزاء ١٢ - ١٥ ، مطابع دار الكتاب العربي

سبق لنا التنويه بهذا التفسير النافع في ص ١١٨ وص ١٠١٦ من السنة الماضية . وقد أهدى إلينا فضيلة مؤلفه الأستاذ الشيخ محمد محمود حجازي أربعة أجزاء أخرى من الثاني عشر إلى الخامس عشر أي من سورة هود إلى سورة الكهف ، وبذلك تم تفسيره نصف كتاب الله لأن المؤلف التزم أن يفسر كل جزء من الأجزاء الثلاثين القرآنية بحزم من تفسيره ، وكان موقفاً بقسميته (التفسير الواضح) لجاء اسمها صادقاً على مسماه . وإننا نكرر الشاء عليه . ونرجو له من الله التوفيق في إتمامه .

الأدب والعمل في شهر

رسالة العلم

وأول ما تتمناه أن يفهم الناس أن أستاذ الجامعة لا ينظر إلى عقل الطالب وحده ، فعقل الطالب جزء خطير من شخصيته ، وأما باقي الشخصية ففي قلبه وجسمه ، والجامعة خلقت لتوجد التوازن بين هذه العناصر الثلاثة ، لتخرج للناس علماء يقومون على تكاليف البحث ، ويحملون متاعبه ، ويؤمنون في الوقت نفسه بعقيدة تجعل منهم مواطنين صالحين ، وأفرادا في الجامعة الإنسانية نافعين .

وقد كنا نعيش في الماضي بلا عقيدة ملهمة حافزة ، أما اليوم فقد بانت لحياتنا أهداف مرسومة أجعلناها في شعارنا المثلث ، الاتحاد والنظام والعمل ، . ولكن أساتذة التاريخ والاجتماع والفلسفة وغيرهم من العلماء يعرفون كيف يفصلون هذا الإجمال ، حتى يثبت في يقين كل شاب أن لمصر - التي كانت ثقافتها أم الثقافات الحديثة - رسالة إنسانية إذا تحررت أدنها على الوجه الكريم الذي أدت عليه تلك الرسالة في الماضي .

ولا أحسب أن أستاذ الجامعة قادر على أن ينمي شخصية الطالب إذا اقتصرت علاقته

دعا رئيس الجمهورية المصرية شيخ الأزهر وشيوخ الكليات والمعاهد الأزهرية ومديرى الجامعات المصرية وعمداء كلياتها إلى تناول الشاي معه ومع إخوانه ضباط مجلس قيادة الثورة والوزراء في نادى الضباط ، وكان سيادته في استقبالهم والترحيب بهم . وبعد تناول الشاي ألقى خطبة فياضة عن العلم ورسالته في عيد التحرير . وما قاله فيها :

لقد امتنعت الجامعة وتقاليدها في الماضي القريب ، كما امتنعت كل شيء عظيم في هذا البلد الأمين . ولكننا لا نحب أن نعيش في الماضي ولا أن نحصى الأخطاء والزلات ولذلك أسألكم أن تتجهوا بقلوبكم وبكل ما فيها من أمل ورجاء إلى المستقبل المشرق الذى نودعه في ثقة وحسن ظن بين أيديكم .

وقد يكون من نافلة القول أن أتحدث عن التقاليد التى تودرن ، والتى أود ، أن تقوم عليها جامعاتنا . ولكن قد يكون من الخير مع ذلك أن نتناجى فيما بيننا بما يحبه كل منا ويتمناه .

وهذه الفترة فترة جهاد بمعنى السكامة ، فهي تتطلب منا تركيز جميع ما نملك من قوة معنوية ومادية ، وتوجيهها نحو الهدف حتى نتصر ، ولن يكون هذا إلا بتضافر الجهود ، والتعاون الوثيق بين جميع أفراد الأمة كبيرها وصغيرها عالمهم وغير العالم ، جندبها وتاجرها وصانعها ، ويقتضى من كل فرد الشعور بالواجب وتقدير المسؤولية ، وأن يتفانى كل فرد في أداء الواجب منكرأ ذاته ، متجرداً عن كل مصلحة شخصية ، مقدماً عليها الصالح العام ، وبعبارة أخرى نحتاج في هذه الفترة إلى إبراز أسس معاني شعار حركتنا والنسك بها ، وهي : الاتحاد والنظام والعمل ، كما نحتاج إلى الصبر والصلاة والجلد والتعفف والاقتصاد ، والنفسك بمكارم الأخلاق ومبادئ الرجولة الحقة .

والعدو من جانبه يربص بنا ، ويسعى ما وسعه الجهد من سعى ليجد ثغرة ينفذ بها إلى صفوفنا .

ولكنه لن يفوز بباطل ما دمنا متيقظين ، وما دمنا نعرف واجبنا فتوذيده ، وما دمنا لا نتخلى عن أقوى سلاح في أيدينا ، وهو الاتحاد المتين ، والعمل الدائب المتواصل في سياق من النظام الحسن فنحن أصحاب حق . لقد ألبوا علينا لإسرائيل - طفلهم المدلل - ولكن شكراً لإسرائيل فهي في جسم العروبة

بتلاميذه على ساعة الدرس وحدها ، فانها أضيقت من أن تسمح له بالتعرف عليهم ، وتبين الفوارق بين ذواتهم وميولهم . وقد نشأت في مصر أدم جامعة في العصر الحديث وهي (جامعة الأزهر) التي وضعت التقليد الرفيع الذي كان التلاميذ في ظله أصدقاء لاساتذتهم يأخذون عنهم العلم ، ويتأثرون بهم في الحياة ، ويستفتونهم في مشاكل العيش .

ونحن ننظر - في صبر نافذ - الوقت الذي ييمت فيه هذا التقليد الجليل ، فيصبح لكل أستاذ من أساتذتنا أبناء يحبون العلم من أجله ويحبونه من أجل العلم ، وقد يسرع بتحقيق هذا الأمل الجليل أن نخلق الجهر العلمي السليم الصادق في الجامعة ، فيتفرغ أساتذتنا بعد إلقاء دروس المنهج المقرر للبحوث الكبرى ، فيبشرونها في كتب ورسائل يرجع إليها الطلاب الراغبون في مزيد من العلم ، وينتفع بها العلماء الزعماء .

أيها السادة : إننا نختار فترة من أدق مراحل حياتنا ، وقد تحالفت قوى الشر والاستعمار ضدنا تحاول أن توهم من عزيمتنا ، أو تنال من تصميمتنا على تحقيق أهداف ثورتنا العظيمة وغايتها السامية ، وهي تحرير مصر والسودان من رجس الاحتلال ، لئلا تمتع أبناء وادي النيل جميعاً ، وعلى قدم المساواة ، بالحرية ليعيشوا أحراراً ، كراماً في بلادهم .

الإسلامي وتيسير وسائله للراغبين فيه . ولما كان بعض الراغبين في العلم والثقافة الإسلامية تحول ظروفهم الخاصة دون مواصلة التعليم ، أو لا تمكنهم من الاستمرار في الدراسة والمواظبة عليها ، رأينا من المصلحة عدم إحصاء الباب في وجوههم وإباحة التقدم للامتحان من الخارج لأى شهادة من شهادات الأزهر بالشروط التى ستوضع فى هذا الشأن كي يصبحوا رجالا نافعين لدينهم ووطنهم . والأزهر يسره أن يكون عدد خريجه أضعاف ما هم عليه ، وأن التوجيه الدينى هو الضمان الوحيد لتوجيه الشعب والنشء توجيها صالحا يحميه من الميول الفاسدة والاتجاهات الموهجة ، وأيضاً فإن البلاد الإسلامية تطلب مدرسين من الأزهر للتعليم فيها ونشر ثقافة الإسلام هناك ، وفى هذا إلى جانب نشر العلم توثيق الروابط وتوحيد الأفكار التى تقرب بين أفراد الأمة الإسلامية .

وهناك حقيقة يجب ألا تغيب عن البال وهى أن الثقافة - دينية أو مدنية - أمر مشكور فى حد ذاته ، ويجب أن تنظر إلى التعليم والثقافة على أنهما مقصد لاعلى أنهما وسيلة للتوظيف فى الحكومة ، ففى كانت الوظائف مقصدا لذىمة ، وغرضنا المجتهد ؟ ونلاحظ أن العهد الجديد يوجه النشء إلى التحرر من الفكرة التى كانت مسيطرة عليه وهى أنه يتعلم للوظيفة .

سرطان يؤلم ذلك الجسم باستمرار ، فبينه باستمرار إلى الخطر الدائم .

أنى باسم جمهورية مصر ، وحكومة مصر ، وباسم العهد الجديد ، أعلن أن كل قائد ، وكل وزير ، وكل عامل فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا يضع يده فى أيديكم ، ويشد عليها فى حرارة وصدق ، متمنيا لكم النجاح فى كفاحكم الشريف ومهمتكم الخطيرة . مؤملا أن تختلفوا من أبنائنا علماء فضجت عقولهم ، واستوت شخصياتهم ، وكلت عمواطفهم ، لا يرام أحد حق يقول : هذا مصرى قوى ، خرج من جامعة مصرية متينة البناء ، على أيدي أساتذة يؤمنون باقه والوطن .

الدراسات العليا فى الأزهر

قررت مشيخة الأزهر استئناف الدراسات العليا بالكلية الثلاث ، وأباحث الالتحاق بها هذا العام ، بعد أن كانت معطلة منذ إحدى عشرة سنة ، وكتبت بذلك للكلية الثلاث الاستعداد لهذه الدراسات .

التقدم لشهادات الأزهر من الخارج

وجه مندوب جريدة المصرى سؤالا إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن البواعث التى حملت الأزهر على إباحة التقدم للشهادات الأزهرية للخارج ، فأجاب : « إن مهمة الأزهر الأولى هى نشر التعليم

مكتبة أديب كبير

تهديها أمرته إلى الأزهر

تقدم أخيراً الأستاذ حفي المهيأوى إلى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر راعياً في إهداء مكتبة والده الأديب الشاعر محمد المهيأوى رحمه الله إلى الأزهر .

وقد تقبل الأستاذ الأكبر هذه الهدية وكلف مدير مكتبة الأزهر بتسلم المكتبة المهداة ونقل مجلداتها إلى المكتبة الأزهرية .

معهدينى بالطريق

أرسلت إدارة (معهد محمود) في الملايو مذكرة إلى الأزهر تتضمن تفاصيل شئون الدراسة في المعهد وتحمل رغبة المشرفين عليه في أن يتولى الأزهر امتحان طلبة المعهد بالمراسلة . ويرى الأزهر إيفاد مندوب إلى الملايو لتحرى حالة المعهد تمهيداً لانخراط الوسائل الكفيلة بتوثيق العلاقات الثقافية بين الأزهر ومسلمى الملايو

البحر

٣٥٠٨ بمعاهد الأزهر

وافق مجلس الأزهر الأعلى على قبول ٣٥٠٨ من الطلبة الجدد بمعاهد الأزهر في القاهرة والإقليم . منهم ٢٨٩٩ للمعاهد النظامية وعددها ١٦ معهداً والباقي للمعاهد الحرة وعددها ١٩ معهداً .

تمويل المدارس الابتدائية في مصر

يؤخذ من الإحصاءات أن عدد الذين قبلوا بالمدارس الابتدائية في عام ١٩٥٢/٥١ هو ١٧٠١٤٦ ارتفع في عام ١٩٥٣/٥٢ إلى ٢١٣٣٦٣ وفي هذا العام (١٩٥٤/٥٣) إلى ٢٣٤٧٣٤ ، هذا مع أن إحصاء سنة ١٩٥١ يشمل ٧٠٧٢٨ تلميذاً وتلميذة قبلوا بالمدارس الابتدائية القديمة وكانوا قبل ذلك برياض الأطفال أو بالمدارس الأولية ، وقد اعتبروا في سنة ١٩٥١ مستجدين ، أما هذا الصام فقد اعتبر أمثاله منقولين من السنة الثانية إلى السنة الثالثة الابتدائية في النظام القديم فلم يدخلوا في الإحصاء .

ومعنى هذا أن عدد المستجدين الذين قبلوا بالمرحلة الابتدائية سنة ١٩٥١ هو ١٠٠ ألف طفل ووصل في هذا العام إلى ٢٧٠ ألف طفل وهذا بالرغم من ظروف الميزانية ، وبالرغم من أن مؤسسة أبنية التعليم لم تتمكن من إنشاء المدارس الثلاثمائة التي كان مقرراً لإنشاؤها فوعدت بتسليم ستائة مدرسة للعام القادم يمكن أن تستوعب نحو ٣٠٠ ألف تلميذ باعتبار أن المدرسة الواحدة تستوعب نحو ٥٠٠ تلميذ . ولا شك أنه كلما زادت الاعتمادات المالية المخصصة لوزارة المعارف كلما زاد التوسع في نشر العلم وتعميم التعليم ، لأن من مبادئ العهد الجديد تعليم المصريين أجمعين .

العجلاء الإسلامية في شهر رمضان

وكان قد عرض على الجمعية التأسيسية اقتراح من بعض أعضائها بأن يكون النص هكذا : « باكستان جمهورية إسلامية خارج نطاق مجموعة دول الكومنولث ، ولكن الاكثوية لم توافق على هذه الإضافة .

تبصير المسلمين بالاسلام :

ووافقت الجمعية التأسيسية كذلك على إثبات مادة في الدستور الباكستاني آتص على تكوين هيئة تعمل على تبصير الشعب الباكستاني بتعاليم الإسلام ، وأن ينحصر الاتفاق على هذه الهيئة من المسلمين .

مزمعهم ابره

عن انتخابات السودان

تورط مستر ايدن وزير خارجية انجلترا فأعلن اتهام مصر بالتدخل في انتخابات السودان . ولما وقف رئيس الجمهورية المصرية يخطب في الحفلة التي أقامها بنساذى الضباط لرجال الازهر والجامعات المصرية استطرد لهذا الموضوع وقال :

بالاس التي ايدن كلسة في البرلمان الانجليزى لجأت ضفتنا على ابالة ، ولكنها حشرة الموت وعقالية فنة من غلاة المستعمرين فهو إذ يتهمننا بالتدخل في انتخابات السودان ، نسي أنه لا يوجد مصري في السودان له أى نفوذ يمكنه التأثير في الانتخابات ، وغاب عنه أن

فترة حرب منظمة

يشنها الاستعمار على العرب

خطب الرئيس اللواء محمد نجيب في جماعة من أبناء الدول العربية فقال :

نحن في فترة حرب منظمة يشنها الاستعمار على العرب ، ولا يمكن للعرب أن يصلوا إلى شيء إلا بالاتحاد ، وواجب كل عربي أن يضع يده في يد أخيه ناسين أنفسنا ومصالحنا الشخصية ومطامعنا الخاصة ، وأن نترك الداء الذي يتفشى فينا وهو (حب الظهور) الذي يقسم الظهور . إن الاستعمار لم يحكمنا إلا بشيء واحد وهو (فرق تسد) وقد تزامننا على المصائب والجاه والسلطان وتمكن المستعمرون من أن يكره بعضنا البعض الآخر . ولكتنا لو رجعنا إلى سيرة الرسول والخلفاء الراشدين لعلنا كيف كانوا يتعاونون في الجهاد لاعلاء كلمة الدين ، وكابوا يتعاونون بقلب سليم ، وضربوا أعظم الأمثلة لإنكار الذات .

فيجب على العرب أن يتنبهوا ويكونوا يقظين لهذه الفترة التي تمر بهم .

باكستانه جمهورية إسلامية :

قررت الجمعية التأسيسية الباكستانية في الدستور الجديد أن تكون باكستان جمهورية ، وسيكون اسمها (جمهورية باكستان الإسلامية) ولم يعارض أحد هذا القرار .

شيء ما دمنا مؤمنين بحقنا ، مصممين على الوصول اليه ، وسنصل اليه ان شاء الله .

اللغة العربية

لغة أجنبية في الجزائر

لمناسبة قيام لجنة حقوق الإنسان يبحث مشكلة الجزائر وضعت جامعة الدول العربية تقريراً قالت فيه : إن فرنسا تعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر . واستشهدت على ذلك بقرار رسمي أصدره مسيو شوتان أحد المقيمين الفرنسيين الذين تولوا حكم الجزائر باسم دولهم .

تعاونه العرب

تبرعت الحكومة السعودية بعشرين ألف دينار لإعادة بناء قرية القبية التي أصابها البغي من اليهود . وهذه القرية واقعة في منطقة الأردن على حدود إسرائيل . وسبق للحكومة السعودية أن قدمت للحكومة الأردنية ٨٥٠٠ دينار لتسليح الحرس الوطني الأردني .

البترول تحت مياه الخليج الفارسي

تألفت أخيراً شركة رأس مالها مليون جنيه لتتولى تنفيذ المشروعات الخاصة باستخراج البترول من المستودعات السكامة على طول ساحل قطر في الخليج الفارسي . وتشرف على هذه العمليات شركة شل التي نالت هذا الامتياز في العام الماضي من حاكم قطر على أساس تقسيم الأرباح مناصفة . ومن المرجح أن تفتش أول بئر تحت الماء في العام القادم .

نحت أيدينا مستندات دامغة لإثبات هذه التصرفات ، ولكنتنا التزاماً من الجانب الجيدة التامة امتنعنا حتى عن إذاعة هذه الأمور حتى لا نقول إلى أنها دعاية . مثل دعاياتهم التي يذيعها ركن السودان في محطة الشرق الأوسط أو غيره . ونسوا أني أجلت حتى رحلتى إلى بلاد النوبة أكثر من أسبوعين عامداً متعمداً وجعلت مداها بلدة - ادندان - آخر الحدود المصرية مع أن عندي بريقات كثيرة من اخواننا في حلفا وفي السودان يطلبون منى زيارتهم وهي أمنية من أعز أماني .

نسوا كل هذا ورمثنا بريطانيا بدائها وانسلت ، ولكن ردى على هذه الافتراءات هو أن المستعمرين - كما قال زميلي الصاغ أركان الحرب صلاح سالم - قد أزعجهم سير الانتخابات نحو الحرية والحق فكشفوا عنها كما أنها مناوره يشغلون بها الرأي العام البريطاني الذي أقلقه ثمر المفاوضات الخاصة بالقناة ، ونسوا ما نوهت عنه منذ أكثر من شهرين من أن ساسة الاستعمار يعتمدون تأجيل المفاوضات إلى انتهاء انتخابات السودان خوفاً من أن يؤثر فوزهم فيها على الانتخابات فيشتد ساعد أنصار الاتحاديين ، وهو ما صرح به وأغرى به الكثيرون من ساسة البريطانيين ومحافظهم أخيراً .

ولكنهم نسوا أن السودانيين يطلبون حرية بلادهم كما نطلبها ، ولن يقف في سبيل الحرية

قضية لا اعتبارها هذا العمل جريمة يعاقب عليها القانون . وفي المحكمة وجه القاضي إلى المتهم السؤال الآتي :

هل تعلم أن قيامك بإدخال مطبوعات عربية وترويجها مخالف للقانون رقم ٢٩٣ لسنة ١٩٢٧ ، كما أن فيه ضرراً معنوياً بالشعب فأجاب المتهم بشجاعة :

ليس هناك أي ضرر من هذه الكتب مادامت محتوياتها لا تمس الآداب العساة أو العقيدة السياسية ، وكان الأولى أن يوجه مثل الانهام إلى أصحاب المكتبات الأفريقية في حي يبرا (الحى الأفرنجى فى استنبول) الذين يستوردون كتباً ومجلات من باريس تفيض خلاعة ومجوناً .

وهنا وقعت ضجة فى قاعة المحكمة ، فرفع القاضى الجلسة ، وأجل القضية لموعد آخر .

مصادرة مجلة الأزهر بتونس

كتب إلينا من تونس أن السلطة الفرنسية صادرت جزء شهر المحرم من هذه المجلة ، وبستطيع القراء أن يفهموا من مثل هذا الحادث الصغير روح الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقيا ، وإيمانه بضغفه ، وتوقعه الخطر على مصيره حتى من مثل مجلة الأزهر فى اعتدائها وزائفها واقتصارها على البحوث العلمية والحقائق الإنسانية .

مقوق الزوجية ونظام الأسرة فى الاسهموم

تلقي الأزهر مشروعاً وضعته الهيئة التشريعية فى بورما لتنظيم حقوق السيدات المسلمات هناك ، وأرفق به السكرتير العام للمؤتمر الإسلامى فى عاصمة بورما رسالة عما تعانيه السيدات المسلمات فى تلك البلاد من معاملة الأزواج بما لا يتفق وآداب الإسلام .

وطلب السكرتير أن يبدى الأزهر رأيه فى حقوق المرأة المسلمة ، على أن يرسل الرد والمشروع إلى مركز المؤتمر فى (رانجون) . وقد أحال الأستاذ الأكبر هذا الطلب إلى الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر السابق بوصفه عضواً بجمعية كبار العلماء فوضع مشروع قانون يتضمن حقوق الزوجية ونظام الأسرة فى الإسلام وزجهم إلى اللغة الانجليزية وأرسل إلى بورما عن طريق وزارة الخارجية .

شلال الأهم المنورة

أعلن الدكتور سميل كاربيت (أسقف يورك) أن أصوات يهود نيوبورك هى السبب فى شلل أعمال الأمم المتحدة فيما يتعلق بالشئون العربية .

تحريم الكتب العربية فى تركيا :

استورد الأستاذ حكمت أو زاك كتباً عربية إسلامية إلى تركيا ، فرفضت عليه النيابة هناك

فهرس

الجزء الثالث — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
٢٥٧	جهد نفسك	الأستاذ محب الدين الخطيب وميس التحرير
٢٦٣	نفحات القرآن	» عبد الطيف السبي عضو جماعة كبار العلماء
٢٦٧	السنة : الحياء النبوى	» طه محمد الساكت
٢٧٢	ديوان مجد الاسلام — غزوة السويس	» أحمد محرم
٢٧٥	مومة النبي صلى الله عليه وسلم للسياسة	» محمد محمد أبو شهبه
٢٨١	دولة الاسلام — بين الدين والسياسة	» محمد فتحى محمد عثمان
٢٨٧	غزوة بدر الكبرى	اليوزباشى أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
٢٩٢	نشأة كتب الامالى — أمالى النهاب الحفاجى	الأستاذ عبد الوهاب حودة
٢٩٨	طروء الفتن على اللغة	» عبد الفتى إسماعيل
٣٠٣	عقد الثمانين فى التشريع الاسلامى	» أحمد طه السنوسى
٣٠٨	١٢ صفر — عيد الجهاد الاسلامى	» محمود فياض
٣١١	الأزهر والنضحية الوطنية	» احمد عز الدين خلف الله
٣١٦	رأى الاسلام فى شروط من يمينون فى الوظائف	حديث لفظة الأستاذ الأكبر
٣١٩	لشويات	الأستاذ محمد على النجار
٣٢٣	أحمد بن حنبل	» محمود النواوى
٣٣٠	مقدمة الواجب	» عبد الله المراضى
٣٣٣	السيد جمال الدين الأفغانى	الدكتور محمد غلاب
٣٣٩	كمال الايمان	الأستاذ محمد عبد التواب
٣٤٢	نداء الأستاذ الأكبر الى الطلاب
٣٤٣	نظرة فى شاعده	الأستاذ طه الزينى
٣٤٤	المغرب فى حل للغرب	» عز الدين إسماعيل
٣٥٠	خرافة الليتافيزيقا	» محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء
٣٥٣	ليس فى الاسلام موسيقى دينية	» أبو الوفا المراضى
٣٥٥	الله أكبر يا محمد	» ابراهيم على بديوى
٣٥٧	للدارس الاجنبية	» محمد سبرى هادين
٣٦١	للدائح النبوية	» على محمد حسن الهامى
٣٦٦	شخصية الاسلام والسلم	» وهى سليمان الألبانى
٣٧٠	السكرت	قلم التحرير
٣٧٧	الادب والعلوم	»
٣٨١	العالم الاسلامى فى تهر	»

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر ولبنان
٣٠ للطلبة في مصر ولبنان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
ثمن الجزء ٥

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ
مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ بِنِهَايَةِ
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَنِ

رئيس التحرير
عبد الله بن عبد الحليم
العنوان
إدارة أجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٣ - ٨ ديسمبر ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صُورُ لَطَّالِبِ الْعِلْمِ :

يَتِيْمٌ مِنْ مِصْرَ الْعَتِيْقَةِ

... وكان الطفل يوم مات عنه أبوه في رجب ٧٧٧ هـ يكمل السنة الرابعة من عمره ، وكانت مصر العتيقة - التي ولد فيها الطفل ونشأ بين بيوتها - كأنها الشمس بعد غروبها ، لأن العبيدين جنوا على الفسطاط - في أول عهدهم - بانصرافهم عنه إلى القاهرة سنة ٢٥٨ هـ ليسدوا جحف الإهمال والنسيان على البقعة التي حمل إليها أصحاب رسول الله ﷺ نور الهدى ودين الحق فسطعت أشعته وانتشرت من وادي النيل إلى إفريقية لجبال الأطلس حتى استنارت بها لمج بحر الظلمات . واجتاز قبس منها مضيق الزقاق إلى أوروبا ، فنبج في آفاق الأندلس أبهج أضوائها . ولولا خدعة من خدع الأراجيف صدرت عن جواسيس شارل مارتل لجازت على الأبطال المجاهدين تحت أوية عبد الرحمن الغافقي لسكانت العربية لغة فرنسا وأوروبا الآن ، ولكان نظام الإسلام العادل الرحيم هو نظام الأوروبيين والأمريكيين جميعاً . كل ذلك بفضل أشعة النور الأولى التي انتشرت من هذا الفسطاط الأعظم الذي تحول منه العبيدون إلى القاهرة في عهدهم الأول ، ثم ختموا في عهدهم الأخير جنايتهم على هذه البقعة المباركة بإحراقها سنة ٩٦٤ هـ ، فاستمرت السنة الحريق تلثم من عمارتها

ومن معالم الإسلام فيها مدة أربعة وخمسين يوما بلياليها ، إلى أن ذهب النيران بما لا يمكن أن تتصوره العقول من مساجد ومدارس ومؤلفات قديمة نفيسة في علوم الشريعة والعربية والأدب والتاريخ والفرائض وسائر فنون العرب والإسلام بما لا متسع للتحدث عنه في هذا المقال . ومن بعد هذا الحريق الرهيب تضرعت أطلال الفسطاط بسراويل الكآبة والحزن ، ثم أفاق من غشيتها بعد عشرات السنين ، فأخذت تسترجع وعيها ، وتقيم على ذكريات العزة والمجد منازل متواضعة حول أول مسجد أقيم للإسلام تحت سماء مصر ، فعاد العمران الحزين يطل بأعناق مرة أخرى فيما بين النيل وتلول عين الصيرة ممتداً نحو الشمال ، حتى إذا انطوى بعد هذه المفاجعة قرن آخر من تاريخ الإسلام في مصر صارت عروس الفسطاط الأولى تعرف عند الناس في شيخوختها باسم « مصر العتيقة » ، وفيها ولد هذا اليتيم الذي أحببت أن أتحدث عنه إلى طلاب العلم في موسم افتتاح الدراسة هذا العام ، لتسكون لهم في سيرته أسوة ، وليكون لهم من الطريق الذي سلكه إلى أهدافه طريق يسلكه خيارهم ونجباؤهم إلى أهدافهم ، بل لتسكون لهم من حياته صورة مشرقة تحبب إلى كل ذي نفس غالية عليه من طلبة هذا العام أن يحاول بعزيمة صادقة ونفس راضية السير في طريق « يقيم مصر العتيقة » . ولا أذيع سرا إذا قلت لهم إن هذا اليتيم كان يدعى : أحمد ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢) .

قلت في صدر هذا المقال إن أحمد فقد جناح رحمة الأبوة ، ففدا يتيما من سنة ٧٧٧ ولما يكمل السنة الرابعة من عمره . فلما مر على موت أبيه الحول الأول حضر إلى بيته وصيه الشيخ زكي الدين الحارثي فأخذ بيده وذهب به إلى الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ كتاب الله . وكان الشيخ زكي الدين يتعمده - مع الزمن - بمجمل الوصايا ، ومنها أن يحب العلم لله ليحبه الله ، وأن يكون صادق العزيمة في حفظ كتاب الله الحكيم ، وقد حدثه بما لذلك من عظيم المثوبة عند الله في الدنيا والآخرة ، ولا سيما إذا أخلص نيته في ذلك لله عز وجل . وقد نصح له بأن يوجه مداركه كلها إلى ما تفضل إليه بده من زاد الحكمة ونعمة العلم ليكون عما قريب رجلا وجهها عند الله وعند الناس . وما كاد أحمد يتقن القراءة والكتابة وتفتح مواهبه للحق والخير حتى عاهد ربه على كل ما كان ينصح له به وصيه الشيخ زكي الدين الحارثي . وروى المؤرخون الذين زياروا كتبهم بياقات عطرة من زهور سيرته أنه حفظ سورة مريم - وهي ثمان وتسعون آية - في يوم واحد . ولما بلغ التاسعة من عمره

(سنة ٧٨١) كان قد أتم حفظ كتاب الله وبعض متون الشريعة وقواعد العربية وغيرها ومنها العمدة في أحاديث الأحكام للحافظ عبد الغنى المقدسى ، والحاوى الصغير في فقه الشافعية للنجم القزوينى ، ومختصر ابن الحاجب في أصول الفقه ، وملاحة الإعراب للحريرى منشئة المقامات ، وغير ذلك . وفى أواخر سنة ٧٨٤ بدأ له أن يقصد بيت الله الحرام ليحج في موسم الحج وليلبث بمده مجاوراً في مكة فيتلقى العلم عن علمائها . وبالفعل استمر في مكة سنة ٧٨٥ وبعض سنة ٧٨٦ وشرع في تلقى الحديث النبوى فسمع صحيح الإمام البخارى من عفيف الدين عبد الله بن محمد النشاورى (٧٠٥ — ٧٩٠) وأخذ عن عالم الحجاز محمد بن عبد الله ابن ظهيرة المخزومى (٧٥٠ — ٨١٧) ، وأدى في مكة امتحاناً عملياً في حفظ كتاب الله فصلى به التراويح من أوله إلى آخره ليلى شهر رمضان سنة ٧٨٥ تجاه الكعبة المشرفة . وعاد في سنة ٧٨٦ إلى مصر ليواصل طلب العلم على شيوخها بالهمة العالية التى وطئ عليها نفسه وظهرت للناس آثارها حتى ذلك الحين ولما يبلغ الحلم .

وما هو ذا الآن في بيته بمصر العتيقة ، وقد بلغ الرابعة عشرة من عمره . لقد وجد نفسه واقفاً على مفترق الطرق يسترجع بذاكرته ما مر عليه في الحجاز ، وما تلقاه عن علمائها من معارف لم يكن له عهد بها ، وما اكتسبه قبل ذلك من أشياخ طفولته وصباه ، وما كان ينصح له به محوه من نصائح بدا له صدقها وعظيم نفعها في تجارب سنواته القليلة التى تذوق فيها حلاوة العلم ، وتمتع في خلالها بمراقبة أخلاق العلماء المنقطعين للعلم والذين يبتغون به وجه الله وحده .

إن قليلاً من التفكير السليم فى مثل هذه السن الطاهرة التى بلغها أحمد بن حجر ، سيهديه بلا شك - إلى طريق السلامة والعافية والسعادة ، ليكون إن شاء الله من أهل الخلود .

لقد عول فتانا على أن تكون مهمته فى الحياة الإمام بركة الإسلام التى توارثتها ثمانية قرون مضت ، فرسم خطته للاتصال بكل من أظلمت سماء مصر من العلماء والأدباء والاختصاصيين ، ليأخذ عنهم خير ما عندهم ، وليروى عنهم كل ما تفرّدوا بإتقانه من علومهم وما ورثوه عن شيوخهم من أمهات كتب الشريعة واللغة والأدب والتاريخ . حتى إذا استوفى ذلك وأتى منه على أقصى ما تستريح إليه نفسه ، فإنه سيقوم بعد ذلك برحلات علمية إلى الأفطار الإسلاميه ليستكمل ما عند أئمتها وأعلامها . لذلك رأيتاه بعدد أوبته

من الحجاز ينشئ أبواب المدارس المصرية التي اشتهرت بنضوج علمائها ونشاط تلاميذها ، ويتنقل بين حلقات الدروس في المساجد الكبيرة ، ويلتزم كبار العلماء وأساطين المعرفة لينظر إلى أهدافه بعيونهم ، ويسدد خطواته في طريقه على نور هدايتهم وتجاربهم . قال معاصره الحافظ ابن فهد المكي (٧٨٧ - ٨٧١) : « أول ما كان نظره في الأدب والتاريخ ففاق في فنونهما ، وقال الشعر الحسن ، وطارح الأدباء . » ثم أخذ الحديث عن الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٧٢٥ - ٨٠٦) وشهد له بأنه أعلم أصحابه في الحديث . وتفقّه على جماعة منهم شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني (٧٢٤ - ٨٠٥) وهو أول من أذن له بالإفتاء والتدريس . وتتلذذ للشيخ سراج الدين عمر بن علي بن الملقن (٧٢٣ - ٨٠٤) . وأخذ الأصول عن العز عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن جماعة الكنتاني ، كما أخذ اللغة عن صاحب الفاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩ - ٨١٧) .

وفي تمام سنة ٨٠٠ ازداد شعوره بحاجة إلى وقته ، وكان يضيع عليه منه شطر ثمين في كل يوم بالانتقال فيما بين مصر العتيقة والقاهرة ، فتحول إلى مزدحم أقدام الطلاب ، تاركاً وراءه في خطط الفسطاط ذكريات صباه وشبابه ، وذكريات صبا الإسلام وشبابه في مصر ، واتخذ لنفسه منزلاً في القاهرة ليسكون على مقربة من حلقات الدرس وخزانة الكتب ومعاهد العلم والعلماء .

وفي سنة ٨٠٢ — وكان قد ناهز الثلاثين — رأيناه قائماً برحلة في ديار الشام ، فأدرك في دمشق بقية من تلاميذ محدث الشام الطبيب المؤرخ العالم القاسم بن مغفر ابن صاكر (٦٢٩ — ٧٢٣) ، وتلذذ هناك للعلامة زين الدين عمر بن محمد البالي (٧٣٢ — ٨٠٣) ، ولفاطمة بنت علي بن محمد بن المنجا التنوخية ، وقد نوه بها في كتبه وقال إنه أكثر الأخذ عنها ، ومع أنها شيخته عاشت بعده بضعا وعشرين سنة . وأخذ كذلك في دمشق عن فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية (٧٢٢ — ٨٠٣) ، وقد أدركها قبل وفاتها بسنة واحدة ، وقال : قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء في صالحة دمشق بسفح قاسيون ونعم الشیخة كانت ، وأخذ عن أختها محدثة دمشق عائشة (٧٢٣ — ٨١٦) وقرأ عليها كتباً عديدة ، وقال عنها : إنها تفردت بالسماع من الحافظ

الحجار ، وكانوا يسمونه « مسند الآفاق » ، ولبت ابن حجر بدمشق في تلك الرحلة سبعين يوماً يستفيد في كل يوم بل في كل ساعة من علمائها ويفيد شبابها وطلابها ، حتى قيل إنه قرأ في تلك المدة الوجيزة قريبا من مائة مجلس أو أزيد ، ورحل أيضا إلى بيت المقدس فأخذ فيها عن شمس الدين القلقشندي وبدر الدين بن مكي ومحمد المنجي ومحمد بن عمر بن موسى ، وزار الخليل وأخذ فيها عن صالح بن خليل بن سالم ، ومر بالرملة فتلقى فيها عن عالمها أحمد ابن محمد الأبيكي ، وقصد غزة ليروي عن أحمد بن محمد الخليلي ، ولعل وصوله إلى هذه المدن الفلسطينية كان وهو في طريق رحلته إلى دمشق ، أو عند هودته منها . ثم تعددت رحلاته إلى الحجاز ، وبلغ في بعض ذلك إلى اليمن ، ولاغرض له فيها إلا لقاء العلماء والأخذ عنهم وربط صلته بشيوخهم وأسلافهم والاطلاع على ما لم يكن اطلع عليه من المصنفات المهمة والنادرة . وقد سجل روابطه بشيوخه وعلماء عصره في مصر وسائر الاقطار بكتب ألفها وكانوا يسمونها « المعاجم » و « الفهارس » ، ثم صارت تسمى « الآليات » . وهذا من آثار عناية السلف بالرواية ، وبيان مصدر كل فقرة من فقرات العلم ، وتسمية الشيخ الذي وصلت منه إلى تليذه . وذلك لأن العلم في الإسلام أغل على أهله من المال ، وكما أن قاعدة « أنى لك هذا ؟ » يهتم لها البشر في أمر المال ، فإن هذه القاعدة نفسها يهتم لها علماء المسلمين في أمر العلم ، والعلم عندهم عبادة ودين ، وبهذه الطريقة يفتضح الكذبة الذين يأتون بالعلم المزيف ، والتاريخ الممّوه ، والحديث الموضوع ، لأنهم مطالبون بأن يردوه إلى مصادره المحترمة والموثوق بها ، فإن لم تكن لهم هذه المصادر المحترمة بان للعلماء عوار بضاعتهم ، وتحاماهما الناس ، واشتهرت في سوق العلم بالتزويف والغش والتزييف . والرواية عند علماء المسلمين ولا سيما عند علماء الحديث كالانساب للناس ، وكما أن في الاطفال لفظا لا يعرف الناس آباءهم ، فكذلك في أخبار التاريخ ومرويات الحديث ومسائل العلم أخبار ومرويات ومسائل لا يعرف أصلها ، أو تلتصق كذبا بأصول لاصلة لها بها ، وذلك من صنع الكذبة الوضاعين أصحاب الأغراض والاهواء والمذاهب الفاسدة . ولكن علماء الإسلام وأعلامه من ورائهم يفتضحون أغراضهم ويميزون الغليب من الحديث بقواعد وقوانين ودراسات في النقد دونوها وألفوا فيها الكتب . ولذلك صار كل عالم حريصا على أن يسمى شيوخه ، ويبين مصادر علمه . ومن خواتيم هذه العناية الكتب التي ذكرناها وسمونها المعاجم والفهارس والآليات . وللمحافظ ابن حجر كتب يذكر فيها شيوخه أحدها كتاب (المجمع المؤسس ، بالمعجم

المفهرس) وهو في مجلدين وتوجد مسودته بخط ابن حجر في مكتبة الجامع الأزهر ، وفي مكتبة الأزهر كتاب آخر له في مجلدين أيضا ، والظاهر أنه غير الأول واسمه (المدجم المفهرس) ، وله غيرهما (فهرس المرويات) وكان هذا الكتاب معروفا عند معاصريه والذين جاءوا من بعدهم .

ومن الأخلاق التي عرفت عن الحافظ ابن حجر في سنوات طلبه للعلم ، وقد ذكرها معاصره الحافظ ابن فهد المكي ، أنه « كان في حالة طلبه للعلم مفيدا في زى مستفيد ، إلى أن انفرد في شبابه بين علماء زمانه بمعرفة فنون الحديث لا سيما رجاله وما يتعلق بهم » . وهذا الخلق في طالب العلم - أى أن يكون مفيدا في زى مستفيد - هو من أخص آداب طلب العلم في الإسلام ، وقد علوا بالتجربة أن « من تواضع لله رفعه » والكبرياء لا تجتمع مع العلم في نفس واحدة . فإذا لقيت العالم وأنت لا تعرف منزلته في العلم فانظر إلى تواضعه وكبريائه ، فكما كان أكثر تواضعا كان أكثر علما ، وكذا كان صاحب كبرياء كان ذلك دليلا على فقره في العلم . ولأن علماء المسلمين نشأوا على التواضع بآرك الله لهم في جهودهم وفي أوقانهم ونفع الناس بمؤلفاتهم وعلومهم واستطاع الواحد منهم أن يؤلف عشرات الكتب ، وإن من علمائنا مئات ومئات تجاوز عدد مؤلفات الواحد منهم المائة بل المئات ، وهذا يتم مصر العتيقة الذي نستعرض هذه الصورة الجميلة من حياته استطاع بالتواضع والمثابرة والصبر أن يكون نابغة مصر والعالم الإسلامى ، ولم يفارق هذه الحياة الدنيا إلا بعد أن زاد عدد مؤلفاته على مائة وخمسين ، والكتاب الواحد منها قد يكون في بضعة عشر مجلداً وقد يكون في بضع مجلدات وقد يكون في مجلد ضخم . هذا مع ولايته القضاء أكثر من عشرين سنة ، ومع رحلاته المتعددة إلى سوريا وفلسطين والحجاز واليمن ، ومع إلقاءه الدروس اليومية على الطلبة الذين صاروا علماء ، ثم على الذين صاروا علماء من بعدهم ، حتى قيل إن من تلاميذه الجد والاب والحفيد . ومر زمان بعد وفاة الحافظ ابن حجر لا يكاد الإنسان يجد فيه منتسبا إلى العلم في مصر إلا وهو من تلاميذ يقيم مصر العتيقة أو من تلاميذ تلاميذه . ففى ياترى وجد هذا الرجل الوقت الكافى لتأليف مائة وخمسين كتاباً مليئة بالأحاديث المنصوصة بأسانيدھا ، وبالأقوال المدروسة إلى الأئمة والعلماء ، وبالتحقيقات النفيسة التي هي نتيجة علم وتفكير ، فضلا عن التراجم المحررة عن الرواة

والعلماء والحفاظ ، وكل كلمة فيها تحتاج إلى مراجعة وتنقيب وثبت ؟ إن وقت أمثال الحفاظ ابن حجر قد برك الله فيه ، لأن صاحبه كان متخلفاً بأخلاق يرضى الله عنها ، ولذلك مكنه من جمع هذه الثروة العلمية لامة بعث الله فيها رسوله بالعلم والهدى .

وبعد أن اجتازنا مع الحفاظ ابن حجر هذه المرحلة من حياته نلقاه الآن وهو يناهز الأربعين ، والأربعون هي سن النضوج والحكمة ، فلا غرو إذا رأيناه مشغراً عن ساعد الجرد تركه الإسلام والإحاطة بكنوزها ، وأثنى كنوزها ما حفظه سلفنا من أقوال باني هذه الامة وهاديا إلى الحق والخير صلوات الله وسلامه عليه وما صبح عنه من أعمال . وابن حجر بدأ صلته بالحديث النبوى من رحلته الأولى إلى الحجاز سنة ٧٨٤ وكان لا يزال في الثانية عشرة من عمره . فلما بلغ أشده واستوى اتصل بالحفاظ زين الدين العراقي الذي شهد له بأنه أعلم أصحابه في الحديث . ويقول الجلال السيوطى إن ابن حجر كان يحفظ ما يزيد على عشرين ألف حديث . ويقول مترجم الحفاظ ابن حجر إنه تولى تدريس الحديث في خانقاه يببرس نحواً من عشرين سنة وأمل ما يزيد على ألف مجلس في الحديث من حفظه ، ونيط به التدريس في المدرسة الجمالية ، وفي دار الحديث الكاملية بين القصرين ، ودرس التفسير في المدرسة الحسينية ، وفقه الإمام محمد بن إدريس الشافعى في المدرسة الخرونية البدرية ، ودرس مختلف العلوم في القبة المنصورية ، وفي المحمودية ، والشريفية الفخرية ، وفي الشينخونية ، والصالحية النجمية ، والمؤيدية ، وفي الصلاحية المجاورة لإمامه الشافعى رحمه الله ورضى عنه . وهذه المدارس كانت يومئذ أعظم عناية بالعلم وتحقيقه والتعمق فيه من أرقى كليات هذا العصر . وسبب ذلك أنهم كانوا يطلبون العلم للعلم وللمرضاة الله عز وجل وعلى أنه عبادة ، أما في زماننا المادى فالغالب على طلاب العلم أن يطلبوا به الدنيا ، وهم يشتغلون منه بما له سوق رائجة . وشتان ما بين القصدين ، وبين الثمرتين . ومن الحكم التى تعزى إلى السيد المسيح سلام الله عليه قوله : من ثمارهم تفرقونهم ، ولم يكتف ابن حجر بالقضاء والتدريس بل إنه تولى الإفتاء أيضاً بدار العدل ، ونولى الخطابة بالجامع الأزهر ثم بجامع حامل رسالة الإسلام إلى مصر سيدنا عمرو بن العاص رضوان الله وسلامه عليه . ولحجة ابن حجر للكتب ورغبته في مجاورتها تولى - في جملة ما تولاه - خزن الكتب في المدرسة المحمودية . فكانت مكتبتها الكبيرة الثمينة كأنها مكتبته الخاصة يطالع فيها ويراجع ويؤلف ما شاء الله له أن يؤلف .

ولو لم يبق الحافظ ابن حجر بخدمة للإسلام غير تأليفه كتاب (فتح الباري) لكان ذلك كافياً لتخليده . وما كاد يتم تأليفه حتى تزامن أعلام العلماء ونجباء الطلبة على استنساخه واقتنائه ، وبيعت النسخة منه في حياة مؤلفه بثلاثمائة دينار ذهباً . وذهب المثل يومئذ بين علماء الحديث بأنه « لا هجرة بعد الفتح » ، لأن فتح الباري يغني متدبره عن الانتقال عنه إلى غيره . وقد بلغ هذا الكتاب في طبعاته المتعددة ثلاثة عشر مجلداً ، وكان الأقدمون يجزئونه في ضعف هذا العدد ، ولو أنه طبع طبعة دراسة وتحقيق وعناية ومقارنة للخرج في أربعين مجلداً وأكثر .

ولفتح الباري مقدمة في مجلد كبير اسمها (هدى السارى) جمع فيها الحافظ ابن حجر جميع مقاصد فتح الباري .

أما الأحاديث النبوية التي هي من أدلة الأحكام في التشريع الإسلامي فكان بين أيدي أهل العلم منها في طفولة يقيم مصر العتيقة كتابان متداولان أحدهما مختصر صغير للحافظ وهو (العمدة) للحافظ عبد الغنى المقدسى وقد تقدم في هذا المقال أن الحافظ ابن حجر كان يحفظه من طفولته . والكتاب الآخر مطول للدراسة وهو (المتقى من أحاديث الأحكام) للإمام مجد الدين بن تيمية جد شيخ الإسلام تقي الدين . وقد رأى الحافظ ابن حجر أن يجمع في أحاديث الأحكام كتاباً وسطاً بينهما حتى إذا حفظه الطلبة كانت مادتهم في أحاديث الأحكام أغزر ، ولذلك ألف كتابه الشهير (بلوغ المرام) . وإن الإنصاف العلى والمذمى الذى كان يغلب على أخلاق الحافظ ابن حجر في فتح الباري وغيره من مؤلفاته كان مما أثر في بعض نوابغ علماء اليمن في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ونرى أثر ذلك في شرح السيد محمد بن اسماعيل الصنعاني (١٠٥٩ - ١١٤٢) لكتاب بلوغ المرام ، كما نجد مثل هذا الأثر في شرح الفاضل الشوكاني (١١٧٢ - ١٢٥٠) لكتاب المتقى من أدلة الأحكام ، حتى لا يكاد قارئ الكتابين يشعر بأن مؤلفي الشرحين من كبار علماء الزيدية مع أن مؤلفي المتنين من كبار أئمة أهل السنة . وبمثل هذه الاخلاق ، ولا سيما خلق الإنصاف ، مضافاً إلى خلق الإخلاص ، يكون التقريب المعقول بين أهل المذاهب ، لأن الإنصاف والإخلاص يجمعانهم جميعاً على احترام ما صح من سنة رسول الله ﷺ وإجلال حفظتها من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان .

وهذا ما توافر في كتاب (سبل السلام) للعيد محمد بن اسماعيل الصنعاني وكتاب (نيل الأوطار) للقاضي الشوكاني . أما أن يأتينا رجال ينكرون السنة الصحيحة ويروجون الأحاديث المكذوبة ، ويمنضون الصالحين من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم وصادق الرواة عنهم ، ويدافعون عن شائيتهم والذين يفترون الكذب عليهم ، ثم يدعون الناس إلى التعريب ، فأى تعريب هذا بين الطيب والخبيث ، وبين الحق والباطل ، وبين الإسلام وضده ١٤ ومن كتب الحافظ ابن حجر في الحديث (تسديد القوس ، في مختصر مسند الفردوس) يوجد الجزء الأول منه في مكتبة الأزهر بخط الحافظ .

ومن أوائل كتبه في الحديث (تعليق التعليق) ، وقد عني فيه بوصول ما ذكره الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه معلقا ، ويوجد من هذا الكتاب في المكتبة الأزهرية مخطوطة في ستة أجزاء بمجلد واحد وعليها خط المؤلف . وقد اختصره المؤلف بكتاب سماه (التشويق) ، ثم اختصر هذا المختصر بكتاب (التوفيق بتعليق التعليق) .

ومن خدمته للحديث تأليفه كتاب (إتحاف المهرة بأطراف العشرة) وهو فهرس للأحاديث المدونة في الكتب المشهورة ، وله فهرس خاص بمسند الإمام أحمد سماه (المسند للمعتل بأطراف المسند الحنبلي) .

ومن كتبه في الحديث (المطالب العالية ، في الزوائد الثمانية) ، و (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) ، و (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه) .

وقد عني بتخريج أحاديث الكتب المشهورة ككتابه (تخريج أحاديث الأربعين النووية) ، و (تخريج أحاديث كتاب الأذكار للنووي) ، وله (تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب في الأصول) وهو في مجلدين ، و (تخريج أحاديث الهداية في فقه الحنفية) الذي ألفت فيه الزيلعي كتاب نصب الراية ، ومن هذا الباب كتابه (التخليص الحبير في تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعي الكبير) في فقه الشافعية .

وله في مصطلح الحديث (نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر) وشرحه (نزهة الفكر في توضيح نخبة الفكر) .

وكتبه في تراجم رواة الحديث من أنفس الكتب وأعظمها ، منها (تهذيب التهذيب) طبع في حيدر آباد الدكن بالهند في ١٢ مجلداً . وقد هذب به كتاب تهذيب الكمال في أسماء

الرجال ، لمحدث الشام الحافظ المزى . ثم لخصه في (نهاية التفریب) ، واختصره بعد ذلك في (تفریب التهذيب) ، وكل منها نافع في بابهِ وضرورى للشتغلين بعلم السنة .

ومن تمام التعريف برواة الحديث العناية بالمطعون فهم من الرواة ، وكان الحافظ الذهبي قد ألف في ذلك (ميزان الاعتدال) في ثلاثة مجلدات ، ففحصه الحافظ ابن حجر وزاد عليه وأخرج من ذلك كتابه (لسان الميزان) في ستة مجلدات ، وقد طبع في حيدر أباد الدكن بالهند .

وكا وفي الرواة حقهم ، فإنه قام بمثل ذلك لائمة الرواة وردهم وعليتهم الاولى وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، فبعد أن كان المتداول قبله في هذا الباب كتاب (الاستيعاب) لحافظ الأندلس ابن عبد البر وكتاب (أسد الغابة) لابن الأثير الجزري ، أخرج الحافظ ابن حجر كتابه الوافي الحافل وهو (الإصابة) في أربعة مجلدات كبيرة فأصبح هو العمدة في هذا الباب .

ولاه كان قاضى قضاء مصر ترجم لأسلافه من قضاة مصر في كتاب (رفع الإصر) وهو من أنفس الكتب .

وترجم لأهل القرن الثامن الذى عاش فيه ، وذلك في كتابه (الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة) وقد طبع في حيدر أباد الدكن في أربعة مجلدات .

وترجم لأقرانه ولداته في كتاب استمر على تأليفه إلى سنة ٨٥٠ ، وهو كتاب (إنباء القمر ، بأبناء العمر) ، ومسودته بخط الحافظ ابن حجر في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وكانت هذه المسودة إلى وقت طفولتى ضائعة في دشت مهمل بتلك المكتبة ، حتى قام شيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله في رمضان سنة ١٣٢٠ (على ما أذكر) بتنظيم ذكائب ، ذلك الدشت واستخرج منها مخطوطات أثرية قيمة ومنها مسودة الحافظ ابن حجر لهذا الكتاب ، وهى الآن معروضة للبطالة والمراجعة في مكتبة العاصمة السورية .

إن الحافظ ابن حجر كان يتوقع - قبل أن يستبحر علمه في الحديث النبوى ومعرفة رواته وتراجمهم وطبقاتهم - أن يكون أديباً بليغاً ينظم الشعر ويتغن في مشور القول وتدييع الرسائل . غير أن إيمانه بضرورة جرد تركة الإسلام وتنظيم نصوصه وتيسير فهمها وتمييز صحيحها من مريضها ، أنساه الشعر والأدب وبلاغة الترسل . إلا أن ملكة البيان بقيت

متأصلة فيه ، فكان إذا سمعت له سوانح المعاني صاغها عنواً في لطائف من الشعر تؤثر ٤٠
ويتناقلها الناس . وأكتفى - بعد أن طال هذا المقال - بمثال واحد لهذه الناحية من مواهب
هذا الرجل العظيم :

في أواخر سنة ٨٢٠ مالت منارة جامع المؤيد التي بنيت على البرج الشمالى بباب زويلة
وكادت تسقط ، واشتد خوف الناس من سقوطها ، فتحولوا من حوالها ، وكان المهندس
الذى بناها يسمى ابن البرجى ، فأمر الملك المؤيد بأن تقص ، فتقصت بالرفق إلى أن أمنوا
شرها ، فنظم الحافظ ابن حجر في هذه الواقعة هذين البيتين :

لجامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهو وبالزبن
تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا فليس على جسمي أضرب من الدين

وبلغ ذلك معاصره الشيخ بدر الدين العيني ، فظن أن ابن حجر عرض به ، فاستعان
بالنواحي الأبرص - وكان شاعراً - فنظم له بيتين معرضاً بأن حجر ونسبهما العيني لنفسه وهما :

منارة كهروس الحسن إذ جللت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين ، قلت ذا غلط ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر

وبلغت الكلمتان مسامح تقي الدين ابن حجر فقال :

على البرج من باني زويلة أنشئت منارة بيت الله والمعبد المنجى
فأخنى بها البرج الخبيث أمالها ألا صرحوا ياقوم باللعن للبرجى

والبرجى هو الذى كان قائماً على عمارة المنارة قبل أن تميل . ومثل هذه المطارحات كانت
من اللطائف التى يتبادلها العلماء والأدباء على سبيل الفكاهة ، ويكون لها جميل الوقع
فى المجالس والسهرات فى تلك الأيام التى لم يكن فيها للناس صحف يتحدثون بما يرد فيها .

وبعد فإن الإمام بأعمال يقيم مصر العتيقة ، وما اتسعت له حياته المباركة من درس ،
ومطالعة ، وتفكير ، وتأليف ، وتدريس ، ورحلة فى الأقطار - مضافاً ذلك كله إلى ولايته
القضاء الأعلى فى القاهرة ، والقضاء يومئذ واحد يشمل قضايا القطر - ليس مما تنسج له هذه
الصفحات . وقد حاول تلميذه محمد بن عبد الرحمن السخاوى صاحب الضوء اللامع فى تراجم
أعيان القرن التاسع أن يفرد ترجمة شيخه الحافظ ابن حجر فى كتاب مستقل لجاءت فى مجلدين
اثنين ، ولو شاء رجل من أهل عصرنا أن يدون ما فى كتاب السخاوى بأسلوب يستوفى به

ظروف الوقائع ويجلوها لقرائه حتى يكونوا كأنهم معاصرون لها ومشاهدون لتطوراتها ، لجاء من ذلك كتاب أوسع وأبسط من كتاب السخاوى ، لأن ترجمة رجل كالحافظ ابن حجر هي تاريخ لعصره في سياسته وثقافته وأخلاق عظمائه وآداب مجتمعه ومستوى طبقاته وأمانى الناس فيه وآمالهم ونواحي قوتهم ومواطن ضعفهم ، ولا بد لامتنا أن نتعرف إلى رجالها في العلم والسياسة والحرب والمال والأدب - من صدر الإسلام حتى الآن - على هذه الطريقة ، ليكون كل عصر من عصور تاريخنا الإسلامى نابضاً بحيويته أمام أنظارنا ، معلنا لفنائه وقائصه بأصولها وتناجها ، لنتم لنا العبرة بذلك ، ونعرف كيف وبماذا كنا من أهل الخير ، وبماذا ضاع منا ذلك الخير ، فصرنا ضعافاً حتى سهل على المستعمرين الاستيلاء علينا ، والنصرف في أوطاننا وعقولنا وقلوبنا وأذواقنا وأخلاقنا ، إلى أن صرنا كما أرادوا لنا أن نكون ، لا كما أراد لنا قائدنا الاعظم ﷺ أن نكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولو أن هذا اليتيم كان في طفولته وصدر شبابه ضعيف العزيمة متوسط المهمة ، أو كان يطلب العلم ليعيش منه ، لذهب في قافلة الموتى خاملاً منسياً ، ولا ضمحت صورته في ظلام الماضى كما تضمحل صور الموتى الخاملين في كل يوم وفي كل ساعة ثم لا يذكركم أحد بخير . بينما الرجل العظيم الذى يستعمل حياته القصيرة في هذه الدنيا بما ينفع أمته ، وبوفر لها أسباب عظمتها في الأخلاق وحسن التوجيه حتى تكون عظيمة بفضائلها وثرواتها الأدبية والمادية فإنه يبقى حياً مع الاجيال الآتية بعده كما كان حياً مع جيله ، ويذكره الناس بالخير ، ماتمتعوا بما خلف لهم من مآثر الخير .

أيها الطالب النجيب :

ها أنت الآن في بداية سنة جديدة من حياتك في طلب العلم ، فإما أن تكون نفسك عزيزة عليك فتتفقد جهودك كلها على طلب العلم للعلم وحده ، ولوجه الله وحده ، كما كان يفعل بقيم مصر العتيقة منذ كان يتيماً إلى أن صار قتي وشاباً ورجلاً وشيخاً جليلاً ترفرف القلوب من حوله بمحبته وإجلاله ، وحينئذ ستجد نفسك سائراً في طريق مفخرة الزمان ، زين الحفاظ قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، وأحسبني قد أخذت بيدك منذ ساعة فسرت بك من ورائه خطوة خطوة ، حتى عرفته من بداية أمره يوم ولد في سنة ٧٧٣ إلى أن ختم الله له بالحسنى بعد ثمانين سنة قريرة ، وأزيدك الآن أن مصر كلها

سارت في مشهده يوم روعت بخبر موته ، فلم يبق فيها عالم ولا عظيم ولا أمير إلا سار في هذا المشهد الرهيب ، وكان السلطان الملك الظاهر جفمق يتناوب مع العطاء حمل نعشه . ولما أرادوا الصلاة عليه قدم السلطان الخليفة العباسي لذلك ، فأذن الخليفة لعلم الدين البلقيني بأن يؤمهم في وداعه الأخير ، وكان الجميع ساعثن من ورائه يذكرون عظمة هذا العالم الإسلامي الكبير فيقولون مع إمامهم : الله أكبر ، ، المرة بعد المرة بعد المرة بعد المرة ، وكان ذلك في يوم السبت ٢٨ من ذى الحجة سنة ٨٥٢ . وكما كان وصيه الشيخ زكي الدين الخروبي هو الموجه له في طفولته لتسكون نيتة في أعماله خالصة لله ، وكما كانت المدرسة الخروبية إحدى المدارس التي عاش فيها شطراً من عمره متعلماً وعالماً ، فقد اختير لدفنه تربة بني الخروبي في القرافة الصغرى تجاه الجامع الديلي على مقربة من قبر إمامه محمد بن إدريس الشافعي رحمهما الله ورضى عنهما وجعلنا في قافلتها مع الصالحين الدائنين العاملين من أئمة هذه الأمة وعلماؤها ومجاهديها إلى يوم الدين .

حبيب المربع الخطيب

طلاب الوظائف

قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة :

« يا عبد الرحمن . لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها . وإذا حانك على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فانت الذي هو خير ، وكفر عن يمينك . »

نَفَحَاتُ الْفِرَاقِ

- ١٠ -

سِحْرُ هَارُونَ وَمَارُوتَ

[وما يعلمان من أحد حتى يقولوا: إنما نحن فتنه فلا تكفر]

١ - تمهيد - من القضايا التي اتسعت لها جوانب القرآن ، وتناولها سياقه في غير موضع : قضية السحر والسحرة .

وما كان القرآن ليفعل ظاهرة عليية - كظاهرة السحر - أخذت مجراها على مسرح الحياة ، حتى اتصلت بالعقيدة ، وكانت مثار الجدل ، بل مبعث اللجاج بين فريقين يختصمان حول الحق والباطل ، وينقسمان حول الدعوة الدينية في بعض أزمنة النبوة .

والمتصلون بالقرآن يعملون ما شئروا من خلف صاحب بين فرعون وسحرته وبين موسى عليه السلام ، ويعملون ما كان للسحر على فرعون وبطانته من تأثير ، ثم ما كان لموسى عليهم من القلب : إذ بطل السحر ، وألغى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين . فكان من نفحات القرآن أن يصرفنا بتلك الظاهرة التي باتت مزلة للعقيدة ، وفتن بها خلق كثيرون .

ولكن . . من أي ناحية يعرض القرآن للسحر ، وله جوانب عدة ؟؟
عمدنا بالقرآن أن يعنى بجانب الموعظة والإرشاد ، ويسوق من الآيات ما يتصل بهدفه ، وينير المحجة لاتباعه ، ويقم الحججة على مخالفه .

أما ما بعد ذلك من غايات أخرى - كتاريخ السحر ، ووسائله ، وتطوراته ، وأنواعه ، وتفصيل آثاره - فقد لا يذكرها القرآن ، أو لا يذكر بعضها إلا عرضاً ولتمام الفائدة . . وهو يدعو لبعدها عن مقصوده الأول - الموعظة - أو لأنها غير محدودة : فهي تختلف باختلاف الأزمنة ، وتتفاوت في تقديرها القول .

وحديث القرآن عن السحر يتصل بموسى ، ويتصل بسليمان بن داود عليهم السلام ، ويتصل كذلك بهاروت وماروت من الملائكة المسكرين .

وقد ارتضيت أن أختار - سحر هاروت وماروت - مطلقاً للحديث لأن زمنهما أسبق من زمن موسى ، ومن زمن سليمان ، إذ كانا في زمن إدريس ، وزمن إدريس قبل الطوفان ، وأما موسى وسليمان فهما من ذرية إبراهيم ، وبديهي أن إبراهيم وبنيه بعد الطوفان ، وسلام الله عليهم أجمعين .

ونظرة إلى الآيات « واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان - إلى قوله تعالى عطفاً على ما ذكر - وما أنزل على الملكين ببابل : هاروت وماروت ، توهم أن زمن سليمان أسبق تاريخياً لتقدمه في الذكر ، وذلك في بادئ الرأي يخالف ما أسلفت .

وبدفع هذا الوهم أن المطف بالواو - بين قضية سليمان وقضية هاروت وماروت - لا يفيد ترتيباً في الزمن ، وإنما هو لمطلق الجمع في السياق ، ولو كان المعطوف أسبق حدوثاً من المعطوف عليه - وذلك شأن مفروغ منه ، سيما أن القرآن الكريم لا يتقيد برعاية التاريخ ، فذلك غير ما يعنيه ، وما كان ينض من روعة القصة أن تكون على ترتيب الزمن فيبدأ فيها بذكر هاروت وماروت على ذكر سليمان .. ولكن الشأن فيما يبدو لنا يقضى بوردتها على النقط الذي جاءت به . لأن سليمان رسول .. وقد لصق به السحرة من الأباطيل ما فيه كفر ، والله يغار على رسله من سفه أعدائه ، وأعدائهم ، وأعداء الحق .

فكانت الحكمة السامية أن تبادر الآيات إلى تبرئة سليمان عليه السلام مما عزى إليه « وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا » .

ولنا بعد هذا التمهيد أن نواجه الموضوع .

٢ - من تدبير الله في ملكه أن يفضى إلى الملائكة بما كان غيباً ثم حان وقته فلم يعد غيباً ، وللملائكة فيما بينهم مناجاة بما ألقى إليهم من شئون كونية ، وكانت للشياطين جولات علوية تمكنهم أن يسترقوا السمع مما يدور بين الملائكة ، ثم نهبط الشياطين بما تلقفته ، وتخلط حقاً بباطل ، فتضيف إلى ما سمعت كثيراً من الأكاذيب الشيطانية ... ويتنهمون بذلك كله إلى أناس من الأشرار نصبوا أنفسهم للضلال ، واتخذوا الشياطين

أوليائهم ، فأصبح شياطين الجن وشياطين الإنس أعوان فتنة ودعاة لإفساد ، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ، ليجادلوكم ، وإن أطمعتموهم إنكم لمشركون ، .

ثم ظهرت موالاة أناس للجن بشكل واضح في عهد إدريس عليه السلام ، وكان علم السحر فاشيا حينئذ بين الناس ، فاستطاع السحرة أن يستعينوا بما يأخذون عن الشياطين : « شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، وكانت وسيلة هؤلاء المفسدين إلى السحر تجارب ودهت لهم ، وصيغا حفظوها من كتب لا ندري مصدرها ، كما كانت المنكرات وسيلتهم في التقرب إلى الشياطين ، فهم يرددون ما يوسوس إليهم مردة الجن ، ويفعلون من الكفريات ما يعجبهم ، ويستهيئون بما لا يقدم عليه إلا من خبثت نفسه ، وفسدت طويته وطاب له أن يمين في الشر قولاً ، وعملاً ، وعقيدة ليرضى شهوته وشيطانه .

راجت أباطيل السحرة بأرض بابل - بالعراق - فجرف الناس تيار السحر ، وفنتهم تخيلاته ، حتى التبس عليهم الحق بالباطل وزعموا أوزعم كثير منهم ، جواز الأخذ به على الإطلاق في غير حرج ، وترعزت عقيدة الناس في كثير من الحقائق الدينية ، فظنوا أن السحرة يعلمون الغيب ، ويخبرون بالمستقبل ، وأن مقام السحرة أشبه بمقام الأنبياء ، وهكذا .

وكان من مرحلة المولى بخلفه من أهل تلك الديار أن يبعث إليهم من ملائكة السماء - هاروت ، وماروت - ليعلموا الناس أن الشائع بينهم سحر ، بل ليعلمهم نفس السحر ، حتى يتبينوا أنه صناعة تكتسب بالتعلم ، وليس علماً سماوياً ، وأنه يستعان فيه بالوسائل المادية كالعزائم ، والرقى ، وأن محاولات السحر - وهي عمل إنساني - قد تصح ، وقد لا تصح . وليس كذلك ما يكون من علم السماء .

إذا عرف الناس ذلك قهوا وفتنوا إلى الصواب ، واهتدى من فيه صلاحية الهداية ، وكان من أمانة الملاكين - كما عهد الله إليهما - أن ينصحا كل أحد من الناس قبل طلبه ، فيقول له [إنما نحن فتنة - ابتلاء - فلا تكفر] فلا تفتن بملك السحر ولا تعتقد حله ، فتستريح به المخطور .

وهذا يتضح سبيل الرشد من سبيل الفى ، فن اتصح واجتنب السحر من أولئك عقيدة وعملا - فهو المؤمن الثابت . ومن تطوع للشيطان فهو غوى من الغاوين ، فكأن تعلم هاروت وماروت امتحان من الله لعباده ، ليتبين لهم ما لا يعرفون من خبايا أنفسهم ، وفه سبحانه - أن يختبر خلقه بما يشاء ، حتى ينفي الحبث عن دينه ، ويبعد الزيف عن خلاصاته [أحسب الناس أن يتركوا : أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم] .

ومع تحذير الملوك لمن ينصحاه لم تكن النفوس كلها خيرة : ففريقا هدى ، وفريقا حقت عليهم الضلالة ، واتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، وأصبح السحر لديهم مفسدة مستباحة ، يلحقون به الأذى بمن شاموا ، ويغفون به من يركن إليهم ، ويفرقون به بين الصاحب وصاحبه ، بل بين المرء وزوجه . وبقي السحر ظاهرة فاشية ، يتوارثها من الخبيثين خلف عن سلف ، والشياطين يتعهدونهم بالإمداد من أكاذيبهم ، وإغوائهم ، إلى أن جاء عهد سليمان عليه السلام .

٣ — وهنا يرد على المخاطر سؤال : هو أن الطوفان فصل بين سابق ولاحق ، وذهب بالاشقياء ، ونجى الله منه نوحا ومن آمن معه ، فمن أين جاء الأشرار الذين يستحوذ عليهم الشياطين ، ويجددون على أيديهم بواعث الفساد حتى يصلوا إلى عهد سليمان من بعد ؟

والجواب الذى نحاوله : هو أن الطوفان كان عقوبة لأولئك الذين أسرفوا في كفرهم حتى تمردوا على نوح عليه السلام ، ولم تتحول به الدنيا إلى جنة مطهرة من الحبث والخبائث بل هى الدنيا على حقيقتها ، والشياطين فيها إلى أن يقضى الله فيها قضاءه .

ومعقول جداً : أن يكون فى الناجين مع نوح من يكون عالما بالسحر لا يستخدمه فى الفساد فإذا تجددت الحياة ، واستأنف الناس فيها مذاهبهم ، ووجد فيهم من يتعلم السحر حديثاً فسيمود فيهم طراز من غواة الفساد ، ولو من ذرية نوح نفسه ، ومن ذرية المؤمنين به .

وما دام الشياطين على ما ألفنا منهم ، والمفسدون على ما عهدنا فيهم ، والدنيا دار امتحان وبلاء ، فلا غرابة أن تكون للسحر والسحرة نشوة أخرى في عهد سليمان ، وأن يعود الفساد سيرته الأولى . وهذه سنة الله فى دنياه ، وتعالى حكمته عن الرية .

٤ — كانت معجزات سليمان عليه السلام : أن يركب الريح ، وأن تجرى بأمره ، وأن يتحكم فى الجن ، ويستخدمها فى الأعمال على اختلافها ، ويحضرها ، ويصرفها ، ويطلق

بعضها ، ويقيد بعضا ، وأن يجمع الطير إذا شاء ، ويرسلها إذا ما أحب ، وهكذا بما طلبه وأجيب إليه ، وحدثننا عنه الآيات في قوله سبحانه : قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد ، هذا عطاؤنا ، فامنن ، أو أمسك ، بغير حساب ، وفي قوله تعالى : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ، وكذا في قوله : « وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدمه ، أم كان من الغائبين . لا عذبه عذابا شديدا ، أو لا ذبحته ، أو ليأتيني بسلطان مبين . . الآيات .

في ضوء من هذه المعجزات نشط السحر ، وكثرت أباطيله ، ودأب الساحرون على إيهامكم ليقارموا هذه المعجزات ويكذبوها في اعتبار الناس ، ويصوروا لهم أن سليمان لا يأتي بمعجز ، ولا يختص بتأييد من الله ، حتى تأثر بذلك جمهرة من البسطاء ، وحسبوا أنه لا فرق بين ما يصدر عن دعاة السحر وما يأتي به سليمان ، وأدى بهم ذلك إلى أن يزعموا للناس أن كتبهم التي يعتمدون عليها في التعاويذ ، والرقى ، والابخرة ، واستخدام الجن ، هي نفسها من كتب سليمان ، وكأنهم نجحوا أو كادوا في إقناع أفراد من القوم بأن الكفر الذي يبرونهم إليه هو من دعوة سليمان التي جاء بها .

وغنى عن الإيضاح أن هذا نقض للرسالة من أصلها ، وأنه غاية ما يصدر عن المخالفين من خيانة لله ، وكيد خبيث لرسله ، والله لا يهدي كيد الخائنين . وإنما يتلى بعض عبادته .

« ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا ، فيجعله في جهنم ، أولئك هم الخاسرون . »

• — ونحن الآن في نقاش مع اليهود ، وما أكثر النقاش معهم !!

فكتبناهم التوراة جاءهم بالحق من عند الله ، وكشف لهم من أمور الغيب ما يجب الإيمان به : من أحداث ، وأحكام ، ونبوات متجددة ، وليس في كتابهم ، ولا فيما توارثوه عن أنبيائهم ، ولا فيما حدثهم به أحبارهم الأمانة . أن كتبهم آخر الكتب ، ولا أن النبوة تنتهي فيهم .

بل فيه تبشير بأن الله أنبياء منتظرين من غير بني إسرائيل ، وفيه تمهيد للقرآن ،

والنبي العربي الذي تنتهى به الرسالات . . فكان سهلاً عليهم أن يطمئئروا ، ويعتقدوا في غير ربه ، وألا يجعلوا للأناية سبيلاً إلى المعتقدات الدينية .

ولكن مع استقرار أنباء التوراة في وعيهم ، كلما حان لخبر من أخبار السماء أن يتحقق سارع أحبارهم إلى التكذيب ، وحفزتهم نزعة الأثرة إلى التبديل في التوراة ، ونفضوا أيديهم من سابق علمهم الحق ، وركنوا إلى عماية الجهل المصطنع (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) .

فكان من شأنهم مع المسيح بن مريم - عليه السلام - ما لا يطيب لذي عقل وحساسية أن يقول به في إنسان من جمهرة الناس : فضلاً عن نبي مؤيد بكتاب مقدس من عند الله .

ولما جاء محمد - صلوات الله عليه - ووجدوا كتابه مصدقاً لأنباء التوراة عن نبي العرب ورسالته زاهم حقيقاً والتواء ، حتى أنكروا ما عرفوا ، وتجهجوا للتوراة فيما حدثتهم به ونفوا الأخذ بها فيما تطابق عليه القرآن والتوراة (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب - كتاب الله وراء ظهورهم : كأنهم لا يعلمون) ويكفي في ترك التوراة أن يتركوا بعضها ، إذ الإيمان لا يتجزأ .

وبعد نبذهم للتوراة . اعتاضوا عنها - وواضح أن تارك الحق لا يجد عوضاً عنه إلا يابل ، ضرورة أن الحق لا يتعدد . (فإذا بعد الحق إلا الضلال) ؟؟

كذلك كان - اعتاض المارقون من التوراة بالسحر ، فأتخذوه علماً وعملاً وشعاراً ، ووجدوا في ضروب السحر وآثاره مشتهام من السيطرة على الأوهام ومن جمع الأموال ، وإفساد العلائق ، وكل ما تبغيه نفوس منهومة لا تعرف التريث في سبيل غاياتها وإن جمعت أو تجاوزت الجحوش .

وإذ كان السحر بالغاً أشده في عهد سليمان ، ومن قبله في عهد إدريس مفسوباً إلى الملوك لمز القرآن اليهود بإعراضهم عن الحق الصراح ، ولجؤهم إلى الباطل البواح ، فقال الله تعالى [واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - على عهده - وما كفر سليمان - بعمل السحر - ولكن الشياطين كفروا : يلبسون لباس السحر - وما أنزل على الملوك يابل هاروت وماروت ، وما يعلنان من أحد حتى يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلون منها

ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه - اختاره علدا وعملا - ماله في الآخرة من خلاق [من نصيب . فاليهود هم الآخذون بالسحر الموروث عن عهد سليمان ، وعن الملكين من قبل ، التاركون للقرآن . وقد ظل السحر إلى يومنا هذا بابا من أبواب الشر ، ووسيلة من وسائل الضلال ، حتى ليتخذ بعض الغاوين وسيلة عيشهم ، وسبيلا إلى مخادعة الناس عن الدين وتعاليمه الحقة ، ويضاف إلى ذلك أن أغلب مدعيه جملة بوسائله ، فهم يخوضون في المنكر عن معرفة بأساليبه المرذولة مرة ، وعن جهل بها مرات .

بل يبلغ من تبذلم وسفهم أن يجهلوا على الناس بأنه آيات من القرآن ، وصيغ مشروعة ، وقد يصادف أن يتحقق شيء مما يعملون له فتتأصل الفتنة ، ويتركز الضلال [وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون] .

وبعد - فإن لله حكمة بالغة في أن يكون بنو إسرائيل أصحاب الموقف البارز في كل فتنة نائرة ، وأصحاب محاولات ماكرة في الفرار من الحق ، واللباذ بالباطل ، حتى لو لم يجدوه لاختلقوه ، فإذا ومن موقفهم ، ولم تسعفهم المعاذير نشطوا في المراوغات كما كانوا ينشطون إلى قتل أنبيائهم : مبالغة في تجافى الهداية ، وتأبيهم السمع والطاعة ، ولئن كان لهم نشاط في عمارة الدنيا ، وإنهاض بعض الصناعات ، فإن ذلك وأضماف ذلك لا يغير من نفسياتهم ، ولا يرفع من خديستهم ، بل كلما برزوا في الميدان الاقتصادي بانث لهم ضرور كانت مكبوتة وابتدعوا رذائل كانت مجهولة ؛ فإن أفادوا في جانب فهم يضررون في جوانب ، ولعل الضرر منهم يرجح على نفعهم ، فإن شرف الافراد والجماعات إنما ينهض على القيم الادبية ، ويتناس بالمعنويات ؛ أكثر مما ينهض على القيم المادية ، أو يتناس بالثروات .

وليت شمري ١١ لو لم يكن من صنع الله أن تكون يهود كما عهدناها . . . أكانت دعوات الانبياء تتعثر بمثل ما تعثرت بهم ، أو كانت الجماعة الإنسانية تصدع بمثل ما يصيبها على أيديهم ؟؟ ولكن الله أراد ...

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الْبِسْمَةُ

خُصُومَةُ الْإِسْلَامِ

الخصومة من طبيعة البشر - موقف الإسلام من الخصومة - أنبل خصومة
هر فيها التاريخ - شذرة من مناقب العمرين - فضل الصديق علي الفاروق -
درس نبوي عظيم - درس إلهي أجل وأعظم - شعار الخبيرين بعد الدرسين .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكرٍ أخذاً
بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته : فقال النبي ﷺ : أَمَا صاحبُكم فقد غامر . فسلم وقال :
يا رسول الله ، إنه كان بيني وبين ابن الخطَّابِ شيءٌ ، فأمرعتهُ إليه ثم ندمتُ ، فسألتهُ أن
يغفر لي فأبى عليَّ ، فأقبلتُ إليك . فقال : يغفر الله لك يا أبا بكرٍ ! ثلاثاً . ثم إنَّ عمرَ ندم
فأتى منزل أبي بكرٍ فسأل : أنتم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأنى إلى النبي ﷺ فسلم عليه ،
فجعل وجه النبي ﷺ يتممرُّ حتى أشفق أبو بكرٍ فجنا على ركبته فقال : يا رسول الله ،
أنا كنتُ أظلمُ ! مرتين . فقال النبي ﷺ : إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كذبت ! وقال أبو بكر :
صدق ! وواساني بنفسه وماله ؛ فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ مرتين . فما أودى بعدها .
رواه البخاري .

• • •

غامر : دخل في غمرة الخصومة ، والمغامر : هو الذي يرى بنفسه في الأمر العظيم ،
وأصل الغمرة : الماء الكثير .

يتممر : يتغير وتذهب نضارته من أجل الغضب ، والظاهر أنه من قولهم : مكان أَمَر
إذا لم يكن به خصب ؛ وفي نسخة : يتممر : أي يحمر ، كأنه صُغ بالمغرة .

واساني ، وفي رواية : آساني بالهمز ، وهي الأصل ، وعليها يقتصر بعض أهل اللغة ، والحديث حجة عليه : والمواساة : المعاونة .

تاركولي صاحبي ، بحذف نون الإضافة ، وفي رواية بإنبائها وهي الأصل ، ولذا قال أبو البقاء إن الحذف من خطأ الرواة ، أفلا يبلغ رواية البخاري عنده مبلغ رواية النحاة ؟ مع أن لمثل هذا الحذف بين المضافين في العربية وجهان وجيهان وشاهدان .

الخصومة من طبيعة البشر في هذه الحياة الدنيا ، لا تمعدي لم عنها ولا محبص لم منها ، ما داموا مختلفون ويتجادلون ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، . وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ،

يبد أنها تختلف قوة وضعفا ، ورفقا وعنفا ، وقصدا وسرقا ، تبعا لاختلاف الطبائع والميول ، والآراء والمقولات ، وكبر النفوس وصغرها ، وعلو الهمم وسفلها .

ولا يؤاخذ الإسلام أحداً باختلاف أو خصومة في سبيل الحق والجهاد فيه والعمل له ما دام سليم القصد حسن الطوية ، نزاعاً إلى الخير ، ولو أخطأ في بعض أحيانه قصد السبيل ، بل ربما يدعو الإسلام إلى الهجرة - وهي تومم الخصومة - إذا كانت سيلاً إلى الترية والتأديب . وفي هجرته ﷺ نساء شهرأ أبلغ حجة وأبين دليل .

كما لا يؤاخذ الإسلام أحداً كذلك بالتزعة يزرعها الشيطان في مخاضته لأخيه ، إذا استغفره أو استغفر الله له ، معترفا بذنبه ، عاتذاً من الشيطان بربه ، غير مصر على ما فعل ، ولا يجادل في الحق بعد ما تبين .

على هذا النحو من النبل في الخصومة - إن لم يكن بد منها - كانت خصومة أصحاب رسول الله ﷺ فيما شجر بينهم ، وعليه تكون خصومة الذين جاءوا من بعدهم ، يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

وفي هذا الحديث مثل من أروع الأمثال في شرف الخصومة ونبلها ، يضربه لنا الصديق والفاروق بين يدي الرسول الأكرم ﷺ فزى فيه من أعاجيب الفضل والنبل والسود

ثم من أساليب التربية والتزكية والتعليم ، ثم من الاعتراف بالجليل لاهله ، ما يحل عن وصف الوصفين .

كان بين الصاحبين الكريمين رضوان الله عليهما محاورة ومعاتبة ، أسرع فيها الصديق إلى الفاروق فأغضبه .. انصرف عمر غضبان أسفاً ! واتبعه أبو بكر نادماً معتذراً ! يسأله أن يتقبل عذره فلم يقبل ، ويتوسل إليه أن يغفر له فلم يفعل ، بل تحرز بعد الفرار منه بدارة ، وأغلق بابه في وجهه ! إنها لكبيرة ، وسابقة جد خطيرة ، ليس لها أن ترفع ، إلا إلى الشفيع المشفع صلوات الله عليه وسلامه ...

أقبل رضوان الله عليه ، والرسول ﷺ ينظر إليه ، وقد كشف عن ركبته ، وأخذ من ثوبه بحاشيته ، حتى سلم وجلس ، وقص ما كان بينه وبين صاحبه لم يظلم منه شيئاً ، وما إن فرغ من شكاته ، حتى طمأنه الرسول الكريم بدعوته : أن يغفر الله له ، ثلاث مرار يكررها ...

كان الفاروق رضى الله عنه في هذه الأثناء راجع نفسه فقدم على ما كان منه لأحب الناس إليه بعد رسول الله ﷺ ، فليسر إذاً إلى بيته ليغفر له ويتقبل معذرتة ، بل ليستغفره ويعتذر له ! قلنا لم يجده بمنزلة أسرع إلى النبي ﷺ .. ومن خير المرين تلقى درساً شديداً قاسياً ، غير أنه كان عظيم النفع ، حميد العاقبة .

لم يكن درساً لعمر وحده ، بل كان درساً للامة كلها في شخص عمر ، ذلك الذي أعز الله به الإسلام ، وفرق به بين الحق والباطل ، وأعدده لامر عظيم هو أحق به وأهله ، بعد أفضل الناس وأحبهم إلى رسوله وأولاهم به ، ذلكم ثاني اثنين الله ثالثهما ، ذلكم الصديق أبو بكر رضى الله عنه .

فليجلس عمر إذاً من الرسول ﷺ بمجلس التليذ من معلمه ، ولا بأس إذاً بأن يعرض عنه صلوات الله وسلامه عليه مراراً ، لأنه كان صاحب حق فأضاعه وصار مدنياً ، وليذكر - إن كان نسي - من هو أبو بكر ؟ صاحب الأيادي البيضاء التي ذكرها أعرف الناس للصنيعة وأذكرهم لها صلوات الله عليه وسلامه ، فقال فيما قال من فضائله التي لم يشرك فيها

أحداً غيره : إن من أمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يققن في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر ^(١) وقال : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعى مال أحد قط ما نفعى مال أبي بكر .

وبينا إلى ﷺ يؤذ عمر ويعتب عليه أن لم يقبل عذر أبي بكر ولم يغفر له بعد أن استغفره ، وكان الظن به ألا يحوجه إلى اعتذار أو استغفار - أشفق أبو بكر على عمر أن يناله من رسول الله ﷺ ما يكره ، فبورك على ركبته معتذراً أسفاً ، ويقسم للنبي ﷺ مرتين أنه كان أظلم ، لأنه هو الذي بدأ صاحبه بالإساءة ! وهنا يكف النبي ﷺ عن تأنيب عمر وتوبيخه ، ثم يذكر بعض ما أثر أبي بكر ومناقبه وسبقه إلى التصديق برسالة ، ومؤاساته له بنفسه وماله ، ثم يختم حديثه عن أولى الناس به من صحابته بهذه الكلمة المدوية الجامعة : « فهل أتم تاركوكي صاحبي » ؟ ويكررها مرتين أو ثلاثاً كما في بعض الروايات ، تلك الكلمة التي كانت فصل الخطاب ، في فضل مقدم الاصحاب ، فلم ينله من الصحابة رضوان الله عليهم مكروه بعدها .

وإذا أثرت هذه الخصومة الكريمة بين العمرين ذلك الدرس النبوي العظيم ، فتمت درس إلهي أجل وأعظم ، لا يعيننا أن كان لاحقاً أو سابقاً ، ولكن يعيننا أنه تأديب رباني للناس كافة ، ولأولى الأمر منهم خاصة ، وفي مقدمتهم الإمامان الحيران : أبو بكر وعمر .

ففي صحيح البخاري وغيره أنه لما قدم على النبي ﷺ ركب من بني تميم قال له أبو بكر رضي الله عنه . أمر عليهم القمقاع بن معبد ، وقال عمر رضي الله عنه : بل أمر الأقرع ابن حابس : فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، وقال عمر : ما أردت خلافتك . فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، ونزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، إلى قوله عظيم ، فما كما يكلمان رسول الله ﷺ بعد ذلك إلا سرارا .

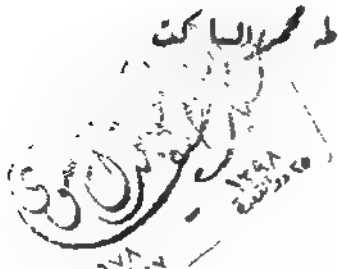
اختصما في الخير والمصلحة للأمة ، ولكنهما افتاتا على رسول الله ﷺ ، إذ لم يكن

استشارهما ، ثم عزب عنهما أن يجلسه أجل وأرفع من أن يكون فيه تنازع أو صخب ، وهما
الأسوة الحسنة بمد رسول الله ﷺ ، فكان في هذه الآيات التأديب الإلهي الرائع ، الذي
يملا النفوس إجلالا ولا كباراً للرسول الأكرم ، ويبقى المراجعة أو المجادلة مما يشوبها من
كدر الخصومة ولجساجها .

وكذلك كان هذا الأدب الرفيع شعارهما فيما يختلفان فيه بعد انتقال الرسول ﷺ
إلى الرفيق الأعلى وهما يقبلان وجوه الرأي ، لا وجهة لها إلا الخير والمصلحة ، وسرعان
ما يتفقان على ما هو أهدى سبيلا ، ومن ذلك اختلافهما في قتال مانئ الزكاة وكان رأى
أبي بكر أن يأخذهم بالسيف حتى يؤدوها كاملة ، ورأى عمر ممانتهم وتألفهم خشية أن
يكون القتال نكبة على الإسلام والمسلمين ! ولكن عزم الصديق وهو الرفيق اللين ، غلب
سلم الفاروق وهو المقدم الصنيد ! ومن ذلك اختلافهما في جمع القرآن كما أشار عمر وتخرج
أبي بكر أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ، فلم يزل يراجع حتى شرح الله صدر
أبي بكر للذي شرح له صدر عمر

• • •

هذا مثل من أمثال كثيرة في خصومة أولى الفضل والنبل ينادينا ألا تلفوا ولا تخاصموا
فإن لم يكن بد من لغو أو خصام ، فحسبكم أن تمروا عليه مرور الكرام .



الهدم والبناء

قيل للخليل بن أحمد : استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو . فقال : نعم ، كما
أن تخريب الثوب أهون من نسجه .

مَوْلِدُ رَسُولِ مَوْلِدِ رَسَالَةٍ

حَدِيثُ لَفْضِيَّةِ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

أذاع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر الكلمة الآتية في صباح يوم ١٢ ربيع الأول من دار الإذاعة المصرية :

يحتفل المسلمون الآن بمولد خير الخلق، المبعوث بالهدى ودين الحق .

إنه مولد الإنسان الكامل ، الذي ولدت بمولده رسالة الإنسانية الكاملة .

والإنسان الكامل الذي نحتفل بذكرى مولده ، قد تمكن - في ثلاث وعشرين سنة هلالية قضاهما في حياته النبوية على الأرض - من أن يقدم للتاريخ أعموداً للامة المثالية يعرضه على الاجيال منذ نحو أربعة عشر قرناً ، لتقوم حجة الله على الناس فيما ينبغي لهم أن يأخذوا به ، وما ينبغي لهم أن يتخرجوا منه ، فيكونوا هم أيضاً صورة أخرى من صور الامة الكاملة التي صنعها الله بيده حامل أكمل رسالته ، فإن فعلوا كانوا من أهل الهدى ودين الحق ، وفتح الله لهم كنوز السعادة ينعمون فيها بنعمة الطمأنينة والرضا ، إلى أن يلقوا الله راضياً عنهم وهم راضون عنه .

إن هذا المولود الكامل صلوات الله وسلامه عليه لم يكن في زمن مضى ولا في زماننا هذا بحاجة من الإنسانية إلى تخليد ذكره ، فإن الله قد رفع له ذكره ، منذ شرح صدره للهدى والحق ، وقرن اسمه إلى اسمه عز وجل في شهادة الملايين له آناه الليل وأطراف النهار بأنه أدى رسالة الله كاملة ، واعترفت له الامم على اختلاف العصور بأنه صنع من أمته أمة لا يعرف تاريخ الإنسانية أمة بلغت شأوها في فضائلها وأقدار ساداتها وعظمت عظمائها .

إن هذا المولود العظيم صلوات الله وسلامه عليه ليس في حاجة إلى إحياء ذكره وتخليدها ، فإن الدهر يفتى ولا تغنى ذكره الطيبة الخالدة . ولستنا نحن معاشر المسلمين المنتسبين إليه ، المغتبطين بأننا من أهل الإجابة لدعوته ، في أشد الحاجة لأن يذكر بعضنا بعضاً بأن سمعنا وعادتنا وهنأنا وكرامتنا وقوتنا وصدق انقسامنا إلى صاحب هذه الذكرى - كل ذلك موقوف

على أن نعود إلى الاخذ برسائله وأنظمتها: في أنفسنا وبيوتنا وأسواقنا، ومجتمعاتنا، ومحاكننا ودور حكمتنا، في كل ما اشتملت عليه هذه الرسالة الكاملة من أغراض ومبادئ وأخلاق وأحكام ومقاصد.

علينا أن نحتفل اليوم بإحياء ذكرى (رسالة الإسلام) في عمومها وشمولها. وأول المظاهر في إحياء هذه الذكرى أن نتخذ الأسباب للعمل بها، وأول العمل بها أن يعمل بها كل مسلم في ذات نفسه، وفيما بسط الله عليه سلطان مسئوليته وولايته من أهل وولد، أو أمة وبلد.

إن الرسالة التي بعث الله بها صاحب هذه الذكرى - سلام الله ورحمته عليه - تنحصر في كلمتين اثنتين هما: «الحق»، و«الخير»، وإن وراء هاتين الكلمتين من مدلولات المعاني والأمان ما لا آخر له، وبمجموع ذلك هو الإسلام الذي بعث الله به صاحب هذه الذكرى ﷺ. ولا نعرف أحداً يخاف الحق والخير أو يمتنع منهما ويعارض في إقامتهما وظهورهما، إلا أن يكون مبطلاً أو شريكاً. ولذلك كانت رسالة الإسلام عامة إلى جميع الأمم في كل زمان ومكان. وجدير بكل من يحب الحق والخير أن يتدبر رسالة الإسلام وما اشتملت عليه من أجلهما ليحمل بما انطوت عليه من حق وخير بقدر ما يرى فيها من موافاة الحق والخير، وأن يصلي ويسلم عند ذلك على صاحب هذه الرسالة لأنها رسالة الإنسانية الكاملة، والإنسان - من حيث هو إنسان - جدير به أن يؤمن بها، وأن يكون من أوليائها، وأن يحيي عليها إلى أن يموت عليها.

أيها المسلمون، إذا كان الإنسان - من حيث هو إنسان - جديرًا به أن يتدبر الرسالة التي ولدت بمولد هذا الرسول الكريم، وأن يعمل بها، وأن يصلي ويسلم من أعماق قلبه على المختار من الله لحملها والدعوة إليها وطبع أم الأرض بطابعها، فأنتم أجدر الناس بأن تعاهدوا الله في هذه الذكرى المباركة بأن تعملوا تدبر رسالة الإسلام أعظم أعمالكم، وأن تؤمنوا بكل ما انطوت عليه من حق وخير، وأن تعيدوا إليها جماعها بما يراه الناس من ذلك في أعمالكم. وهذا العهد أو فقه العهود لذلك، ولا سيما في ذكرى مولد خير الخلق، المبعوث من الله بالهدى والحق، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وكل من عمل برسائله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ذِي الْوَجْهِ الْإِسْلَامِيَّةِ
 مِنْ بَيْتِ شَاعِرِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حَمْدًا
 بِتَعْلِيلِ الْأَسْتَاذِ الْبَاهِيَّةِ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

غزوة أحد

كانت في شوال من السنة الثالثة ، وأحد جبل من جبال المدينة - لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية إلى أبي سفيان ، وإلى من كان له تجارة في العير التي كانت سبباً للوقعة ، وكانت لا تزال موقوفة في دار الندوة ، يحرضون على الحرب ، وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش . فقال أبو سفيان : أما أول من يفعل ، وبنو عبد المناف معي ، ورضى القوم ، وكان الربح خمسين ألف دينار ، وقبل خمسة وعشرين ألفاً ، وفي ذلك نزلت : هـ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فينفقونها ثم تكون حلهم حسرة ثم يغلبون . .

أدأبك أن تريد المستجيلاً ؟ تأمل أيها المولى قليلاً
 لبثت تعالج الداء الدخيلاً ونصرت في جوارحك الغليلاً
 وما يجديك لاجعه قليلاً
 أما تنفك تذكر (يوم بدر) وما عانيت من قتل وأسر
 ورايك إنها الأقدار تجري بنهر (النبي) وراء نصر
 وكان الله بالحسنى كفيلاً

(أبا سفيان) دع (صفوان) يكي و (عكرمة) يطبل من النشكي
 وقتل للقوم في بر ونسك نهيت النفس عن كفر وشرك
 وآثرت المحجة والسبيلا

أراك أطمئنت وأيت إلا سبيل السوء تسلك مدلاً^(١)
 تريد (محمداً) وأراه بسلاً رويدك يا (أبا سفيان) هلاً^(٢)
 أردت لقومك الحسن الجيلاً ؟

(قريش) لم تزل صرعى هواها و (عير الشؤم) لم تحلل عراها
 أجل عينيك وانظر ما عاها تسوق من الجنود إلى وعاها ؟
 فقد حلت لكم أسفاً طويلاً

دعا (صفوان) شاعره^(٣) فلي وكان يسومه شططاً فيأبي
 أحل له الهجاء ، وكان خبا^(٤) أحب من الحياة ما أحيا
 يريد العيش محترماً ذليلاً

يذم (محمداً) ويقول نكرا ولولا لؤمه لم يأل شكرا
 تعتمد حقه^(٥) وجزاه شرا وأمسى عبده كذبا وغدرا
 وإن له لمنقلباً ويلاً^(٦)

ألم يئن عليه إذ الأسارى تمكاد نفوسها تهوى حذاراً ؟
 تطوف به مولدة حيارى تود لو أنها ملكت فراراً
 وهل يعطى عدو الله سولاً ؟

(١) للدل الواقع بنفسه وبمالديه .

(٢) قال صفوان لأبي عزة : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، ولك على إن رجعت أن اغنيك ، وإن أصبت أجمل بئناك مع بئاني . قال : إني عاهدت محمداً حين أطلقني فمين أطلق من أسارى بدر ألا أظاھر عليه أحداً . فقال صفوان : بل أعنا بلسانك يا أبا عزة . فخرج هو ومسانم يستنفران الناس .

(٣) الحب : الخداع .

(٤) تعتمد حقه : أنكروه وأصل للفى ستر الشيء وإخفاؤه .

(٥) ظفريه النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة حراء الأسد فامر طهم بن ثابت بقتله ، وحمل رأسه إلى المدينة .

(جبير^(١)) أكان عمك حين أودى (كم محمد) شرفاً ومجدا ؟
 أ (حزة) أم (طمية) كان أهدى ؟ رويدك يا (جبير) أتيت إذا
 وإن قضاء ربك لن يحولا
 أراد فـا (لوحشى) محيد ولا لك مصرف عما يريد
 أليس (لحزة) البأس الشديد ؟ فـا يغنى فتاك ، وما يفيد ؟
 تبارك ربنا رباً جليلاً
 تولوا بالكتائب والسرايا^(٢) وساروا بالحرار والبغايا^(٣)
 منايا قومهم جلبت منايا فسيرى في سبيلك يامطايا
 ولا تدعى الرسم ولا الذميلة^(٤)
 وياخيل اركضى بالقوم ركضا وجوبى للوغى أرضاً فأرضا
 لمعل الناقم الموتور يرضى نشدتك ، فأنفضى اليبداء نقضا
 ووالى فى جوانبها الصبيلا
 ويا (هند^(٥)) اندى القتل ونوحى وزيدى ما بقومك من جروح
 وراءك كل منصلت^(٦) طموح تهبج بأسه ربح الفتوح
 وراءك فية تأبى التكولا^(٧)

-
- (١) جبير بن مطعم بن عدى دعا غلامه وحشيا ، وقال له : اخرج بحربتك مع الناس ، فانك إن قتلت حزة عم محمد بمسى طمية بن عدى (وكان قتله حزة رضى الله عنه فى وقعة بدر) فأنت هتيق .
 (٢) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل .
 (٣) خرجت النساء مع للمشركين بالدخول ، ويقول ابن الجوزى : وساروا بالبيان والدخول وللمازف والنجور والبغايا .
 (٤) الرسم والذميلة نومان من سمر الايل ، والاول أسرع .
 (٥) هند زوج أبى سفيان كانت ممن خرج مع الجيش من النساء . ييكن قتل بدر ويحرضن على القتال وترك الفرار .
 (٦) للمنصت هنا : للناضى فى الأمور .
 (٧) التـكول : التـكوس والجبن .

وراءك نسوة الحرب تزجي ترج دفوفها الإبطال رجا
وتلك خمور عسكري المرجى وكان النقى بالجهلاء أحجى (١)
كذلك يطمس الجهل العقولا

رأيت الرأى شؤماً أى شؤم وما تدرى يمينك أين ترى
لعمرك إنه لرئيس م (٢) تغفل منك بين دم ولحم
فيا (ابنة عنة) اجتنبي الفضولا

أعن جسد الرضية (بنت وهب) يشق القبر يا امرأة (ابن حرب) ؟
ويقطع بالمدى فى غير ذنب ؟ ليفدى كل مأسور يارب
فيا عجباً لقول منك قبيلاً (٣)

هى الهيجاء ليس لها مرد فن بك هازلاً فالامر جد
لبأس الله يا هند أشد له جند ، وللكفار جند
وإن لجنده البطش المهولا

سيوف (محمد) أمضى السيوف وأجلب للمعاطب والخوف
إذا هوت الصفوف على الصفوف وأعرض كل جبار عنوف
مضت ملء الوغى عرضاً وطولا

أرى (السعدين) (٤) قد دلفا وهذا (على) بالحسام العضب لاذا

(١) أحجى بمعنى أخلق .

(٢) رئيس المم وغيره ما ثبت منه .

(٣) لما بلغ للشركون الإيواء أشارت هند عليهم بنيش قبر أم النبی صلى الله عليه وسلم ، وأخذ جثمانها ، قالت : فإن أسر منكم أحد فديتم كل أسير يارب من آرابها [الارب الجزء] ، فأبوا ، خيفة أن ينيش بنو بكر قبور موتاهم .

(٤) سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

و (حمزة) جد ممتازما ، فإذا ومن للقوم إن أمسوا جذاذاً ^(١)

وطار حمامهم ففوضوا فلولا

وفى الابطال ^(٢) فتیان رفاق بأنفسهم إلى الهيجا اشتياق

لم في النامضين لها انطلاق دعا داعي الجهاد فإ طاقوا

بدار السلم مشوى أو مقيلا

أعادم (النبي) إلى العرين شولا سوف تصلب بعد لين

يضمن بها إلى أجل وحين رعاك الله من سمح ضنين

يسوس الأمر يكره أن يعولا ^(٣)

وقيل (لرافع) نعم الفلام إذا انطلقت لغايتها السهام

تقدم أيها الراعى الهام إذا الهيجا شب لها ضرام

فأمطرها سهامك والنصولا ^(٤)

ونادى (سمرة) أيرد مثلى ويقبل صاحبي ، وأنا المجلى ؟ ^(٥)

أصارع ، فإن أغلب فسؤلى وكيف أذاذ عن حق وعدل ؟

وأمنع أن أصول وأن أجولا ؟

(١) صار النوى جذاذاً أى قطعاً .

(٢) عرض النبي جيشه بعد أن عسكر بالشيخين - جيلان أو أطهان - فوجد فيه جما من الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة ، وقيل الرابعة عشرة ، فردهم وأجاز رافع بن خديج من دونهم ، لما قيل له إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه : أيقبل رافع وأرد ، وأنا أصرعه ؟ قبلت مقاتته النبي فقال : قصارط ، فصرع سمرة صاحبه فأجازه .

(٣) حال في الحكم جار ومال عن الحق ، وعاله الأمر : شق عليه وتثقل .

(٤) نصل السهم : حديثه ، والنصول جمع .

(٥) المجلى : الأول من خيل السباق .

وصارعه ، فكان أشد أسراً^(١) وأكثر في المجال الضنك صبرا
وقبل له : صدقت ، فأنت أخرى بأن ترد الوغي فتسال نصرا
ألا أقبل ، فقد نلت القبولاً
(أعبد الله) مالك من خلاق^(٢) فعد بالناكفين ذوى الفاق
كفأك من الخافة ما تلاق ومالك من قضاء الله واق
وأن أميت للشعري تزيلا
أبيت على (ابن عمرو^(٣)) ما أراذا وشر القوم من يأبى الرشادا
نماك ، فلم ترد إلا عناءاً أن يسمع فريقك حين نادى
أطيعوا الله واطيعوا الرسولا ؟
يقول : نشدتكم ، لا تخذلوهم وموثق قومكم لا تقضوه
(رسول الله) إلا تنصروه فإن الحق ينصره ذووه
ألا بعداً لمن يبغى الغلولا^(٤)
تجلى نور ربك ذى الجلال وهز الشعب صوت من (بلال)
بلال الخير أذن في الرجال فهو للصلاة من الرجال
وقاموا خلف (سيدغم) مثولا^(٥)

(١) الأسر : الخلق بخفاء مفتوحة ، وشدة الأسر من صفات القوة .
(٢) عبد الله بن أبي [ابن سلول] رجع ومن معه من المنافقين ، وكانوا ثلثمائة رجل ، وهو يقول :
صاني وأطاع الولدان ومن لا رأى له ، سيعلم . لا تدرى علام تقتل أنفسنا ؟ ارجعوا أيها الناس -
الخلق : النصيب الوافر من الخير ، وقبل ما يكسب الإنسان هذا النصيب من أفضاله للمدوحة .
(٣) عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنهما ، انطلق في أثر للمنافقين يريد ودهم
ويقول لهم : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم . فلم يطيعوه . قال أهدمكم الله ، سيفي الله تعالى
عنكم نبيه . (٤) الغلول : الحياة .
(٥) مضى صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فصف للسلهين . وحانت صلاة المصبح
والسلدون يرون للشركين فأذن بلال رضي الله عنه للصلاة ، وصلى النبي بأصحابه - الرجال جمع رجل وهو
هنا بمعنى للتوى ، أو للنزل ، أو ما يكون مع الرجل من الأثاث ، ومثول : جمع مائل أى قائم .

علا صوت الاذنين فأى معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسمى ؟
إله الناس فرد لا يثنى تأمل خلقه إنساً وجناً
فل تجد الشريك ولا المنيلاً

أجل الله أكبر لا مرء فهل سمع الآلى كفروا النداء ؟
أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضاً تطيق ولا سما
جلال الحق أورثهم ذهولاً

سرى الصوت المردد فى الصباح فضج الكون - حى على الفلاح -
تلقى صيحة الحق الصراح فقام يصبح من كل النواحي
يسبح ربه غب (١) أوتياح وبجده بالسنة فصاح
تعطفت الجبال على البطاح وكبرت المدائن والضواحي
وأوبت (٢) البحار مع الرياح وصفق كل طير بالجناح
كتاب الحق ، ما للحق صاح يرتل فى الغدو وفى الرواح
فقل للناس من نمل وصاح شريعة ربكم ما من براح
فن منكم يريد بها بديلاً ؟

ألا طابت صلاتك إذ تقام وطاب القوم إذ أنت الإمام
أقها يا (محمد) فهى لام (٣) تساقط حولها الجن العظام (٤)
بها يتخطف الجيش اللام وليس كمثلها جيش يرام
فضاماً الله ، فهى له ذمام وذاك فظامها ، نعم النظام
يوطلد من نبي ، وهى الدعام ويصعد بالذرى وهى السنام

(١) غب : بمعنى بعد .

(٢) التأويب هنا : ترجيع الصوت [يا جبال أوبى منه] .

(٣) اللام [جمع لامة] : وهى الدرع .

(٤) الجن [جمع جنة] : وهى هنا ما يتق به من السلاح .

نهضت لها ، وما هب النيام وبادرها الهيامين الكرام
مقام ما يطاوله مقام ودين من شعائره السلام
يصون لواءه جيلا لجيلا

(هدى الاجيال) بخطب في الهداة ويأمر بالجهاد وبالصلاة (١)
وبالأخلاق غرا طيبات ملق الوحي والإلهام هات
وصف للناس آداب الحياة وكيف تكون دنيا الصالحات
وخدم بالتصامخ والعظاات مهنئات للعالم مشرقا
شعوب الأرض من ماض وآت هياك ، فاهدم سبل النجاة
إذا ضلت دهاقين (٢) الذنات وأمسى الناس أسرى الترهات
وخف ذوو الحلم الراسيات فأصبحت الممالك واجفات
أقت الأرض تكره أن تمسلا

ألا برز (الزبير) فأى وصف (حوارى الرسول) بنى ويكفى؟
برزت (الحال) حثفاً لحنف تصد قواه عن كر وزحف
وتدفعه إذا انبث الرعيلا (٣)

ألم تره و (عكرمة) استعدا ؟ فإما جدت الهيجاء جدا

(١) خطب صلى الله عليه وسلم أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة ، ومن قوله في هذه الخطبة : « ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقرّبكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فانتوا الله ربكم ، وأجلوا في طلب الرزق ، لا يمحسبكم استبطاؤه أن تطلبوه بمصيبة الله ، وللؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتعل تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

(٢) الدهاقين : الذين لهم قوة التصرف من كبار الرجال .

(٣) أقبل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل في طليعة خيل للشركيين ، فأمر الزبير بن العوام أن يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بأزانه ، وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا في جانب آخر وقال : لا تبرحوا حتى أؤذنكم ، ولا يقاتلن أحد منكم حتى أمره بالقتال . والرعيلا : القطعة من الخيل .

بنى لها (رسول الله) سدا ومثلك يمجز الابطال هذا

ويترك كل تمتع مهلا ^(١)

لمن يرث الممالك ، لا سواء أعد (القائد الأعلى) قواه

ويث الجيش أحسن ما يراه تعالى الله ، ليس لنا إله

سواء ، قواه ودع الجهولا

(رماة النبل) ما أمر (النبي) فذلك ، لا يكن منكم عصى ^(٢)

إذا ما زالت الشم الجنى ^(٣) وكان لها انطلاق أو مضى

فكونوا في أماكنكم حلولا

(رماة النبل) ردوا الخيل عنا وإن نهلت سيوف القوم منا

فلا تترحزحوا ، فإذا أذنا فذلك ، أن للبيجاء فنا

تلقته الجهابذة الفحول ^(٤)

تلق (أبا دجاجة) بأنمين حسامك من يد (الهادي الامين) ^(٥)

(١) الليل من الرمل ونحوه : ما انهل .

(٢) كان الرماة خمسين رجلا ، أمر النبي عليهم عبد الله بن جبير ، وقال له : انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا ، وفي رواية - إن رأيتونا تنغطنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتونا قتل فلا تعينونا ، ارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل . إنا لا نزال غالبيين ما مكثتم مكانكم ، اللهم إني أشهدك عليهم .

(٣) الجبال الرواسي كأنها في صورة من يجشو أي يجلس على ركبته أو يقوم على أطراف أساميه .

(٤) الجهابذة [جمع جيهة] : وهو النافذ البصير .

(٥) أخرج النبي صلى الله عليه وسلم سيفا مكتوبا في إحدى صفحتيه :

في الجبن طار ، وفي الاقبال مكرومة ولله بالجين لاينجو من القدر

ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحمته ، فقام اليه رجال فأمسكه منهم ، وكان من جملتهم علي بن أبي طالب قام ليأخذه فقال : اجلس ، وعمر فأعرض عنه ، والزبير [وطلبه ثلاث مرات] فكذلك ، وقام أبو دجاجة فقال : ما حقه يا رسول الله ، قال : تقرب به في وجه العدو حتى ينضني ، قال : أنا آخذه بحقه ، فدفعه اليه .

وخذه بحقه في غير لين لتصر في الكربة خير دين

يرف على الدنا ظلا ظليلا

نصيك فله من فضل رب قضاء لصادق الجدات ضرب^(١)

تخطى القوم من آل وصحب فكان عليك غضبا فوق غضب

تبخر، وامنض منونا صقيلا^(٢)

(أبا سفيان) لا يقتلك هما ولا يذهب بحملك أن نذما^(٣)

أحين بعثتا سرا وشؤما أردت هواة، وطلبت سلبا؟

مكانك، لا تكن مذلا^(٤) ملولا

من الداعي يصيح على البعير : أمالى في الفوارس من نظير؟^(٥)

أروني همة البطل المغير إلى فاء بمثل من تكبير^(٦)

أما الأسد الذي يحى الشبولا

نجداه (الزبير) وفي يديه قضاء خف عاجله إليه

رى ظهر البعير بمنكبيه وجرحه منيته عليه

فأسلم نفسه وهوى قتيلا

[١] الغرب من الرجال : الساضي في الأمور .

[٢] كان أبو دجانة يمثال عند الحرب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد رأى بين الصنفين : إنها لحية يفيضها الله إلا في مثل هذا للوطن .

[٣] فادى أبو سفيان عند اصطفاق القوم : يا ممنر الأوس والمخزوم ، خلوا بيننا وبين بني عمنا وتتصرف منكم ، فتتموه أشد الشتم .

[٤] اللذل : التلق العجزور .

[٥] خرج رجل من المشركين على بعير يدعو للبراز فأحجم عنه الناس ، وقام إليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ، ثم طافه فاقبلا فوق ظهره ، فوقع للمشرك ووقع عليه الزبير فذبجه ، فأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : لكل نبي حوارى ، وإن حوارى الزبير ، وقال : لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه .

[٦] فكبر الرجل الآخر فكبرا : جهله ولم يعرفه .

ألا بعداً (طلحة^(١)) حين يهذى فيأخذه (علي) شر أخذ
أصيب بقسورى البأس فذ يعدد لكل طاغى النفس مؤذ
يعالج داه حتى يزولا

أمن فقد إلى فقد جديد ؟ لقد أضخى اللواء بلا عيد
بصارم (حمزة) البطل النجيد هوى (عثمان) إثر أخ فقيد^(٢)
وأم الكفر ما برحت فكولا

أبي شر الثلاثة^(٣) أن يريما^(٤) نخر على يدى (سعد) صريما
ثلاثة إخوة هلكوا جميعاً وراح (مسافع^(٥)) لم تبيما
رمت يد (عاصم) سما نقيما تورد^(٦) جوفه لجرى نجيماً^(٧)
وجاه (أخوه^(٨)) يلتمس القريما فأورد نفسه ورداً فظيماً
أ (عاصم) أنت أحسنت الصنيما فعند الله أجرك لن يضيما

وإن لربك الفضل الجزيلاً

(١) طلحة بن أبي طلحة - من بني عبد الدار - حامل لواء للشركين ، طلب للبارزة وجعل يهذى بكلام منه : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار ، وفي رواية - إنكم تزعمون أن الله يجعلنا بسيفكم إلى النار ، ويجعلكم بسيفنا إلى الجنة ، قبل أحد منكم يجعلني بيده إلى النار ، أو أمجله بسيفي إلى الجنة ؟ كذبتم واللات والزرى - خرج إليه علي بن أبي طالب فقتله .

(٢) لما سقط لواء للشركين بعد قتل طلحة أخذه أخوه عثمان فحمل عليه حمزة فقطع يده وكشفه حتى انتهى إلى مؤثره .

(٣) لما قتل عثمان بن أبي طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبي طلحة ، فرماه سعد ابن أبي وقاص فأصاب حمزته فقتله .

(٤) يريع : بمعنى يرجع .

(٥) مسافع بن أبي طلحة القذى قتل على بن أبي طالب كرم الله وجهه - أخذ اللواء بعد أبي سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتله .

(٦) تورده : بمعنى ورده .

(٧) النجيم : ما كان إلى السواد من الدم ، أو هو دم الجوف .

(٨) أخو مسافع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم فقتله . والفريع هنا المقارع .

دميتهما فظلا يزحفان يجران الجراح وينزقان ^(١)
 وخلفهما من الدم آيتان هما للكفر عنوان الهوان
 ترى الرأسين عما يحملان على الحجر المذموم يرضعان
 أمن ندي (سلافة) يرضعان ؟ تقول وقلها حران عان
 على الجود بالمائة الهجان ^(٢) لمن يأتي بهامة من رمان
 فواظمأي إلى بنت الدنان تدار بها على فودعان
 وموتا ، إن للقتلى ذحولا ^(٣)

دعاة (اللات والعزى) أنبيوا فليس لصانح منكم مجيب
 وليس لكم من الحسى نصيب لرب الناس داع لا يجيب
 ودين الحق يعرفه الليب وما يخفى الصواب ولا يغيب
 رويدأ إن موعدكم قريب وكيف بمن يصاب ولا يصيب ؟
 سليب النفس يتبعه سليب أما يفنى الطعين ولا الضريب ؟
 لواء ليس يحمله (عريب) ^(٤) عليه من مناياكم رقيب
 كفاكم ، ياله حملا ثقيلا

رمى بالنبل كل قتي عليم فرد الخيل دامية الشكيم ^(٥)
 بنضح مثل شؤبوب الخيم يصب على فراغة الجحيم

[١] كان كل واحد من مسافع والمخارث يمدان رماه عامم يأتي أمه سلافة ويضع رأسه في حجرها فتقول : يا بني من أصابك ، فيقول سميت رجلا يقول : خذها وأنا ابن الأتلع ، فتذرت إن أمكنها أفة من رأس عامم أن تقرب فيه الحمر ، وجعلت لمن يجي به مائة من الإبل

[٢] الهجان : الخالصة .

[٣] جمع ذحل : وهو النار .

[٤] اسم جبل ، وقد تنابح القتل في حلة القواء ، فتزق المشركون .

[٥] حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات وهي تنضح بالنبل فترجع مغلولة ، وحال السلمون

عليهم فسمى القتال - الشكيم (جمع شكيمة) : وهي حديدة الهجام في فم الفرس .

وصاحت (هند^(١)) في الجمع الاتيم تحرض كل شيطان رجيم
 ألا بطل يذب عن الحرم ؟ ويضرب بالمهند في الصميم ؟
 فهاجت كل ذات حشى كريم تبث الشجر في الهذر الذميم
 وتذكر (طارقا) دأب المليم يسى ويدعى^(٢) لآب كريم
 وأين مكانن من النعيم ؟ ومن جرثومة الحسب القديم ؟
 زعن الشرك كالدين القديم لمن الويل من خطب صميم
 رى الأبناء وانتظم البعولا

من البطل المعصب^(٣) يختلها^(٤) رقابا ما يمل الضرب فيها ؟
 بأبيض تنقيه ، ويعترها وتكره أن تراه وبشبهها
 لها من جده وال يلبها وتتزع الحكومة من ذورها

[١] قامت هند زوج أبي سفيان في الفتوة الاتي معها لما حيت الحرب فأخذت الدفوف يضرب
 خلف الرجال ويقلن :

وبها بنى عبد الدار • وبها حانة الادبار • ضربا بكل بقار
 ثم يفتدن :

نحن بنات طارق • نمتى على النمارق • متى الفط النواقر
 وللدك في للطارق • والدر في الخماق • إن قبلوا فائق
 ونفرض النمارق • أو تدبروا نطارق • فراق غير وائق

وكان النبي إذا سمع ذلك يقول : « اللهم بك أحول ، وبك أصول ، وبك أقاتل .
 حسبي الله ونعم الوكيل » .

[٢] ينتسب .

[٣] أبو دجانة كان له عصابة حراء يمصب بها رأسه في الحرب فسميت [عصابة للوت] جعل لا يلقى
 احداً إلا قتله بالسيف اذى أخذه من رسول الله ، وكان يشهده بالحجارة كلما كل ، فما زال يضرب به
 حتى انحنى وسار كأنه للنجل .

[٤] يجرما أو يترصها ، تنقيها لها بالخل الرطب إذا فعل به ذلك .

بررت (أبادجانة) إذ تربها وحى الموت^(١) نطعمه كرهها
صدت عن (الشفة)^(٢) تودرها وتكرم سيفك العف الزمها
تولول للنية تنقبها فأياها يابنة الهيجاء إياها
نجوت ولو رآك له شبها معنى العضب المشطب يقتضها
حياة مناجر ما يبتغيها إذا شهد الكريمة يصطلها
فأرسلها دماً ، وهوى تليلاً^(٣)

أصدق وصف للمرأة

في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستقيم لك المرأة على خليفة واحدة ، وإن
تركها تستمتع بها وفيها عوج » .

[١] الوحي: السريح

[٢] مند سمها أبادجانة تحرض على القتال أشد التعريض فعمل عليها بسيفه يظنها رجلا فولدت
فأعرض عنها ، إكراما لسيف رسول الله .

[٣] التليل الصريح .

نَظِيَّةُ الدَّفَاعِ الْمُحَرَّمَةِ

بعد انتصار المسلمين في بدر

كانت هزيمة قريش في بدر ضربة شديدة لكبرياتها وعظمتها ، فكان من الطبيعي أن تفكر في الثأر ، وهذا أبو سفيان كبير قريش ، يندب بعد بدر ألا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً . . .

وما كان ذلك ليخفى على محمد رسول الله ﷺ قائد جيش المسلمين ، فلم يله النصر عن التفكير في عواقبه ، وكان في تفكيره بصيرا واعيا . . .

قريش تلك الأمة العربية القديمة ، كانت تعيش — في جاهليتها — عيشة ترضاهما كانت قوية الشوكة ، كبيرة المقام بشيوخها وزعمائها ، وبسواعد رجالها الشبان الذين كانوا يردون عنها كل عادية ، ويصدون عنها كل غارة ، ويدفعون عنها كل شر . وكانت سعيدة ترفل في رغد من العيش ، وبسطة من الرزق : تجارتها العظيمة في الشام تأتي لها كل عام بالوفير من موارد الخير ووسائل الحياة ، ثم يجيء رجل منهم من أوساطهم يدعى نبوة ، ويحمل رسالة ، فيقوم بأداء واجبه بالدعوة سرا ثم جهرا ، ويعيب عليهم ما يعبدون من أصنام ، فيقاومونه بشتى وسائل التعذيب فلا يفتنى ، ولا يزداد إلا إيمانا بدعوته ، ويصدره عن سبيله بكل ما أوتوا من قوة فلا يرجع ، ولا يزداد إلا إمعانا في رسالته ، حتى إذا ما فشلت محاولاتهم يناصبونه العداء ، ويعيثون رجالهم عليه ويقاقلونه في بدر ، فتكون الدائرة عليهم ، وتنزل بهم الهزيمة على الرغم من قلة رجاله ، وضعف عدته ، بل ويهلك في ذلك خير زعمائهم ، وصفوة رجالهم .

ولم يغفل الرسول أمر يهود المدينة ، فقد كان هذا حالهم أيضا ، وهم قد كانوا من قبل يناهضون المسلمين ، وزادت أحقادهم حين رأوا هذا الاجنبي الذي جاءهم من مكة منذ عامين ، يزداد سلطانا وبأسا حتى ليسكاد يكون صاحب الكلمة في أهل المدينة جميعا ، ولولا أنهم عاهدوه ألا يحاربوه لحدث بين اليهود والمسلمين قتال وحوادث جسام .

وهكذا خلاص محمد من تفكيره ذاك إلى أن موقفه من عداء قريش واليهود أصبح يقتضيه الحذر المستمر ، واليقظة الدائمة ، وأنه من الواجب أن يكون على تمام الاهبة وكامل الاستعداد للقتال فى أية لحظة وفى أى مكان .

والامر الجدير بالملاحظة والتقدير هنا أن محمدا لم يقنع بالوقوف موقف المدافع الذى ينتظر حتى يغير عليه أعداؤه ، فيقوم لدفعهم ، بل استن خطة بارعة فى الدفاع ، بأن يخرج للقضاء أعدائه فور علمه بهم لهم له ، وبذلك يتسنى له القضاء عليهم فى عقر دارهم ولما يكمل استعدادهم .

هذه الخطة الحكيمة طبقها النبي ﷺ عدة مرات فى الغزوات القصيرة التى حدثت فى الفترة بين بدر وأحد مثل غزوة بنى سليم ، وغزوة بنى قينقاع ، وغزوة السويق ، وغزوة غطفان ، وغزوة بجران . . .

وهذه الخطة الحكيمة الى وضع أصولها وطبقها قائد جيش الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا هى بعينها نظرية الدفاع الهجوى ، وهى نظرية حديثة تتبعها اليوم جيوش العالم ويلفنها رجالها فى المعاهد العسكرية .

فإن النصر فى الحروب إنما يأتى نتيجة للأعمال الهجومية ، وهى وحدها التى تقرر مصير أحد الفريقين ، وليس الدفاع إلا وسيلة مؤقتة قد يضطر الطرفان لاتباعها لغرض كسب الوقت حتى يتسنى لـكل منهما أن يعد عدنه لاستئناف الهجوم .

ونظرية الدفاع الهجوى هذه تلخص فى أن المدافع الذى يضطر لانتخاذ وضع الدفاع يجب عليه ألا يستكين فى مواقفه الدفاعية انتظارا لهجوم عدوه عليه ، بل عليه أن يقوم بحركات هجومية تنصف بروح العدوان تسمى فى العرف العسكرى بالأعمال التعرضية ، ومنها إرسال دوريات القتال عبر الأرض الحرام الواقعة بينه وبين عدوه لمناوشته أو إزعاجه أو قتل بعض رجاله ، أو أخذ بعض أعدائه أسرى أو تدمير شئ من تجهيزاته . ونظرية الدفاع الهجوى المزايا الآتية :

١ — إحباط خطط العدو فى مهدها .

٢ — حرمان العدو من ميزة المفاجأة وحرية العمل أو المبادرة كما يطلق عليها

فى العرف العسكرى وترجمتها (Initiative)

٣ — رفع الروح المعنوية للجنود المدافعين ، لأن الانتظار يورث في النفوس الملل والضعف ، وتسوء حالة الجند المعنوية بمرور الأيام ، وتقل بذلك رغبتهم في القتال ، والروح المعنوية في الدفاع معناها الرغبة في القتال التي لا تتولد إلا باتباع نظرية الدفاع العدواني ، وبدون الروح المعنوية قد تفشل أحسن الخطط الدفاعية التي يضعها أكبر القادة حنكة وبراعة .

وهكذا أثبت لنا الرسول الكريم ﷺ أنه قائد عسكري غير منازع ، ولا أدل على ذلك من أنه خرج لغزوة بني سليم ولما يحضر عليه في المدينة بعد بدر إلا سبع ليال !

وفي هذه الغزوة خرج بعد أن استعمل سباع بن عرفطة الغفاري على المدينة ، وسار حتى بلغ براً تسمى الكدر ، فأقام هناك ثلاث ليال ، ولم يخرج أحد لقتاله لأن بني سليم لما علوا بخروجه هربوا وتركوا وراءهم خمسمائة بعير غنمها المسلمون وعادوا بها إلى المدينة .

وكانت غزوة السويق بعد شهرين من عودة المسلمين من بدر ، فإن أبا سفيان أراد أن يبر يمينه الذي أقسم فيه أن يغزو محمداً وألأيمس النساء والطيب حتى يبر بقرمه ، فجمع من قريش مائتي رجل راكبين ، وغادر مكة وسار حتى وصل إلى جبل يقال له (ثيب) بالقرب من المدينة فتوقف وعزم على المبيت في هذا المكان .

وفي جوف الليل ترك رجاله وسار صوب المدينة حتى دخل حياً من أحياء اليهود لبني النضير ، وقصد إلى بيت حبي بن أخطب وهو من رؤساء بني النضير فأوجس حبي من زيارته خيفة فلم يفتح له ، فأنصرف وجاء إلى سلام بن مشكم وهو سيد بني النضير فطرق بابه ففتح له وأكرمه . ثم سأله أبو سفيان عن أخبار المسلمين وسرهم فأجابه .

ورجع أبو سفيان إلى أصحابه بالجليل ، فبعث بعضاً منهم إلى المدينة لخرقوا نخلاً كثيراً في ناحية منها تسمى العريض ، ووجدوا رجلاً من الأنصار هو معبد بن عمرو ورجلاً آخر حليفاً للأنصار فقتلوهما ثم قفلوا راجعين إلى الجبل .

وسرعان ما ذاع الخبر في سائر المدينة وبلغ رسول الله ﷺ فجمع مائتين من المهاجرين والأنصار وخرج على رأسهم ، وكان ذلك في الخامس من ذي الحجة قاصداً أبا سفيان . .

ولما أحس أبو سفيان بخروج المسلمين لاذ بالفرار بعد أن خفف من أحاله حتى يمكنه

الفرار بسرعة . وكان أكثر ما تركه طعما ما يسمى السويق (١) وبذلك سميت الغزوة (غزوة السويق) ، أما المسلمون فقد غنموا ما ترك أبو سفيان وعادوا إلى المدينة .

وفي الثاني عشر من ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة علم الرسول ﷺ أن بني ثعلبة ومحارب اتفقوا على الإغارة عليه بقيادة غورث بن الحارث ، لجمع من المسلمين ٤٥٠ رجلا وخرج إليهم ، فلما سمعوا بمجيئه هربوا في رموس الجبال . . . فعاد الرسول وكانت تلك الغزوة غزوة عطفان .

وفي السادس من جمادى الأولى من نفس السنة اتفق جمع من بني سليم على شن غارة على المدينة ، فاجتمعوا في بجران لهذا الغرض ، فبلغ ذلك الرسول عليه السلام لجمع ثلاثمائة من أصحابه ، وسار مسرعا حتى بلغ بجران ، وكان قبل وصوله إليها لقي رجلا منهم وأخبره أن القوم قد تفرقوا لحبسه النبي حتى يتبين صحة قوله ، فلما وصل إلى بجران وجدهم قد تفرقوا لما شعروا بخروجه فأطلق الرجل ، وعاد إلى المدينة في السادس عشر من نفس الشهر ، وسميت تلك الغزوة غزوة بجران .

هذه الغزوات ، وإن كانت صغيرة ولم يحدث فيها قتال ، إلا أنها دلائل واضحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مستعدا في كل لحظة للخروج للقتال ، وهو في هذه الغزوات قد خرج فعلا ، أما أنه لم يقاتل أحداً فلأن من خرج لقتالهم هربوا .

تلك نظرية الدفاع الهجومي بأجلى معانيها ، فلا يسلم المدافع بحرية التصرف والمفاجأة لعدوه ، وإنما يخرج له ، ويفسد خطته وهي في المهد ، وبذلك يحافظ على هيئته ويرفع الروح المعنوية لرجال المدافعين .

محمد جمال الدين محفوظ

يوزباشى أركان حرب

[١] السويق . هو أن تحمص الحنطة أو الشعير ثم تطحن ، وتؤخذ في السفر وعند استعمالها تنجز بالبن والسل والسنن أو الماء وهي تخب ما نسميه [الفريك] .

العلم في ضلال المذاهب البشرية

تدخلت الأديان المساوية في كل شأن من شئون الفرد لذاته ، وباعتباره عضواً في الجماعة الإنسانية ، وفي كل شأن من شئون الدنيا والآخرة ، كما تدخلت في شئون الجماعات ونظمت هذا التدخل في صورة شرائع من عقائد وعبادات ومعاملات وآداب وأخلاق ، ولا حظت استعداد الجماعات لهذه الشرائع فتدرجت بها في التكاليف كما يتدرج المربي الماسر في تربية الناشئة وتأديبهم وأخذهم في كل مرحلة بما يطبقون ، وتوافقت جميع الأديان على ذلك ، فلم يتمتع رسول من الرسل أمته بما يعلو عن مداركها ، ويغني عن عقولها وجه الحكمة والرشاد فيه ، وإذا تعرضت الأديان لما لا بد من التعرض له مما يعجز العقل عن استكناحه والوصول إلى حقيقته تجلى فيها الفرق والرحمة بهذا العقل الضعيف ، فإذا عرضت للآخرة والجنة والنار والحساب ، وحال الموتى في قبورهم وكيفية البعث وما إلى ذلك طلبت إلينا أن نصدق بذلك إجمالاً وأعفتنا عن التفاصيل ، فالعقل البشري أعجز من أن يستبطن أسرارها ويدرك أغوارها ، وإذا اقتحم ذلك عرض له الشك والإنكار ، وتاه في عباب من الحقائق لا يصل إلى شاطئ السلامة فيه .

ذلك شأن الأديان عامة مع بني الإنسان ، وما يحده الإنسان أحياناً من معميات وطلسمات وطقوس في العقائد والعبادات يباهى بمعرفتها طائفة من الناس ، فليس ذلك من حقائق الأديان في شيء ، بل هي أصداء تراكت فوقها على مر العصور ، وفي غفلة من أولى الأمر لأغراض دنيوية زائلة سيتولى الله جزاء مقترفيها كما قال تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون . »

وكان غائمة الأديان الدين الإسلامي ، فقد أكل الله به الأديان السابقة ، واستوفى حاجات البشرية عامة ونظم شئون الأفراد والجماعات وعلاقاتهم بالله وبالناس تنظيمًا دقيقاً واضحاً يكفل لهم الاستقرار والرضا والطمأنينة والسعادة ما استقاموا عليه ولم يكلمهم إلى أنفسهم ، فن وكل إلى نفسه تصافرت عليه عوامل المم والقلق والعذاب النفسي ، فيضطرب

عقله ويختل تفكيره ويضعف إنتاجه ، وتضطرب لذلك شئون الجماعة وتسودها الفوضى ، ولا نستطيع أن نصل إلى غاية من غايات الإنسانية الرشيدة .

ولقد جاءت الأديان بأصول العقائد والآداب والأخلاق والعبادات لتطهر النفوس وتربط الأفراد بعضهم ببعض ، وتربط الجماعات كذلك ، وإن اختلفت أديانهم بأسباب المحبة والتعاون ، فلا يطمع قوى في ضعيف ، ولا يبغي حاكم على محكوم ، ولا يفضل جنس جنسا ، يسير الجميع في ظلال هذه التعاليم إلى غايتهم ، فالأديان مستقر السكينة ومهبط العلمانية ، وهي القوانين الصالحة لسياسة الجماعات تعصمها من الزيف والضللال .

وقد عاشت أكثر الأمم في ظلال الأديان السماوية قروما طويلة رخية العيش ناعمة البال تسعى إلى شئون الحياة في قناعة ورضا ، يرضى أفرادها بما قدر لهم من رزق ، ويقنع كل بما يسر له فيشكر الغنى ويرضى الفقير .

فالأديان وبخاصة الدين الإسلامي تقوى في الفرد نوازع الخير والحق والعدل والفضيلة والقيام بالواجب ومراقبة النفس واحترام حقوق الغير والتضحية والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وتحول بينه وبين الارتكاس في الآثام والمنكرات ، وتشد فيه عزيمة التضحية والدفاع عن الوطن ، وتصرفه عن حياة العبث والمجون إلى حياة الجد والوقار .

وظلت الأديان قوانين الأمم المقدسة ودساتيرها المحترمة : يزن الأشخاص أعمالهم بموازينها ، ولا يعترفون بغيرها ولا يرون السعادة إلا في ظلها ، وظلت علاقات الأفراد بعضهم ببعض وعلاقات الجماعات علاقة سلم ونواد واحترام ، لا علاقة تحاسد وتباغض وانتقام . وكانت حياة الأمم في ظلال الأديان حياة سهلة رتيبة في كل شأن من شئونها السياسية والقضائية والإدارية والاجتماعية والمعاشية ، ولم يكن فيها هذه الإدارات المتعددة ولا هذه القوانين المتلاحقة المتزاخرة التي لا تكاد تصدر حتى يلحقها التذمغ والتعديل والتفسيق والتحوير ، فقد كان يقوم مقام ذلك الضمير الحى الطاهر الذى يزع النفوس عن مزالق المطامع والأهواء ، ويعصمها عن مهاوى الفسق والفجور والظلم . وإذا استيقظ في الإنسان ضميره وصفت نفسه فلن يصدر عنه إلا ما هو خير لنفسه وجماعته .

وفي أواخر القرن التاسع عشر وطوال هذه الحقبة من القرن العشرين وتحت تأثير

عوامل مختلفة من الثقافة والاقتصاد واشتداد الظلم والاضطهاد في بعض البلاد اشتدت الدعوة إلى التحلل من الأديان بدعوى أنها عوائق في طريق تقدم الرقي الإنساني ، وأنها كانت دعوات إصلاحية مؤقتة استنفدت أغراضها ، وأنها لم تعد تلائم العصر ولا تساعد على التقدم الذي تنشده البشرية . والنفس البشرية أماراة بالسوء ، والتكاليف الدينية قيود لها ، سرعان ما تحاول التفلت منها إن دعا إلى ذلك داعي الهوى والشيطان . وقد استجاب لهذه الدعوة ذوو النفوس الضميعة وتهاونوا عليها كما يتهاون القراش على النار .

وقد كان القائلون على تلك الدعوات ذوي مكر ودهاء : فنشطوا فيها ، وتسلحوا لها بأخطر الأسلحة ، وتوسلوا إليها بوسائل تتصل بعواطف الناس وأطامعهم ، وزخرفوها بأغشية براقة خلافة ، فجعلت تلك الدعوات تشتد ويكثر أشياؤها حتى اكتسحت العالم ونجحت في بعض الشعوب نجاحا كاملا ، كما نجحت في الشعوب الأخرى بنسب مختلفة ، وما زالت تجد وتجد حتى زحزحت القيم الدينية عن منزلة القداسة في نفوس الناس إلى الموضع الذي أرادوه لها ، وأحالوم في مجموعهم إلى أنواع من الجماعات لها صور الاناسى وسماتهم وليس لها نفوسهم وعقولهم ، ينظرون إلى الأمور بعين الهوى والمصلحة واللذة العاجلة ، وما الفاصل بين الإنسان والحيوان إلا ما يمتاز به من القيم الروحية والأخلاقية .

وإن من المغالطة والتغاضي عن الواقع أن يزعم زاعم أن الشعوب ما تزال على شيء من التدين إن لم يبلغ حد السكال فهو تدين على كل حال ، لأن الواقع أن كثيرا من شعوب العالم قد كفرت بالأديان وبتعاليمها ، وظل بعضها مستمسكا بمراسم الأديان ومظاهرها دون حقائقها وجواهرها ، ومن التسامح أن يسمى ذلك تدينا ، فليس التدين رسوما ومظاهر وإنما هو إيمان يخالط النفوس وتبدو آثاره في الواقع أعمالا نافعة ، وفضائل حميدة ، ومراقبة لله في كل شأن من الشؤون .

تلك هي المرحلة الأولى التي قطعها دعاة الإلحاد ، أما المرحلة الثانية ، فهي أنهم حاولوا أن يسدوا الفراغ الذي أحدثوه بنجاحهم في الدعوة إلى التحلل من الأديان ، فأرادوا أن يضعوا نظما تقوم مقام الأديان ، والأديان بمجموعة من النظم والقوانين الإلهية سياسية واقتصادية وإدارية وقضائية وغيرها ساسا فيها البشر ، وأتقدم من أواخر الأوامر والحرافات ، وحمل تبليغها عن الله ، ملائكة أصفاء ورسلا أوفياء ، فبلغوها من حضرم ، ووصلت إلى من بعدم بالطرق الموثوق بها من العلماء - وكان الفراغ كبيرا فاعترضوا

عقولهم في وضع القوانين التي تحمل على الأديان في التواحي التي أشرنا إليها ، وتقود العالم إلى السكال ، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً . لجماعة شيوعية ، وثانية اشتراكية ، وثالثة ديمقراطية ، ورابعة نازية ، وسامسة وسادسة إلى جماعات كثيرة مما نعرف وما لا نعرف ، هدف الجميع واحد هو لإسعاد البشرية وإن اختلفت وسائلهم ، وتركز اهتمامهم في الناحية الاقتصادية ظناً منهم أن المادة هي سبيل السعادة ، وأن ارتفاع مستوى المعيشة وإلغاء العوارق بين الطبقات كفيل بالقضاء على أسباب الشر والقلق في العالم .

وقد وضعوا النظم والقوانين التي حسبوها تسد الفراغ الذي أحدثوه برفضهم للقوانين الدينية : وضعوا نظماً اقتصادية واجتماعية وسياسية إقليمية وعالمية ، فأسفر التطبيق عن الفرق بين قوانين الخالق وقوانين الخلق ، أسفر التطبيق عن فشل هذه القوانين في الوصول إلى الغايات التي قدروها ، فبعد قرابة نحو قرن في تجارب القوانين البشرية ، نرى العالم قد استعالت حاله ، وغابت في قاذئه آماله ، ومل العيش به نساؤه ورجاله . ونرى السعادة التي كانت تسوده في ظلال الأديان قد خبا نورها وذهبت بهجتها ، وأصبحت الحياة كالحلة عابسة تنقبض لها الصدور ، وتضيق بها النفوس ، وعمت الشكوى وتفاقت البلوى ، وأنى توجهت ألفت نيرانا مستعرة ، ومشاكل مستعصية ، ومظالم ليس لها من دافع ، وحقوقاً مضیعة ليس لها من ولي ولا ناصر ، وساد قانون القوة كل شيء ، وفن العالم بالمادة فصارت معبوده المطاع ، يخضع لسلطانها في سائر شئونه ، وكفر بالآخلاق والآداب والمثل العليا للإنسانية الراشدة ، وأفلس كل ما وضع من قوانين لإصلاح العالم كما زعموا وقدرُوا .

أفلست قوانين السياسة ففقدت الثقة بين الأمم ، واستحكم فيها سوء الظن ، وتربعت كل بالأخرى ، وانصرف نشاط الأمم واقتصادها إلى الإعداد الحربي ، واستنفدت ميزانيات الحروب أكثر ميزانياتها ، وانسكشت أبواب المشروعات الإنتاجية والإصلاحية ، وانخفض مستوى المعيشة ، وثقلت الحياة على الأفراد في كثير من الأمم ، ونجاوبت أصداة الشكوى في بقاع العالم ، وأفلست قوانين الاقتصاد ، وعم الكساد ، وأدرك الناس زمان صار الغداه فيه بالأوقيات والدرهم ، وتهددت الجماعات شعوباً بالقضاء رغم أن الناحية الاقتصادية هي التي تركزت فيها جهود العلماء وأفكار المصلحين . وأفلست قوانين القضاء والإدارة فكثرت الجرائم وافتن المجرمون فيها وأصبحوا لا يبالون بقاءهم ولا يرهبون العقاب ، وطمع الناس بعضهم في بعض واعتدى بعضهم على حقوق الآخرين ، وغصت المحاكم بالقضايا

والمتناقضين والمدافعين ، وتعددت جماعات الشرط وتنوعت اختصاصاتها وما أغنى ذلك شيئاً وما وقى من شر وما دفع من ضرر . فقد أولع الناس بالخصومات إذا اضطربت أعصابهم وضائق بهم سبل العيش حتى هانت عليهم نفوسهم وشاح الانتحار فيهم . وأفلست قوانين الأخلاق . وإن أشد ما يعانيه العالم اليوم هو الفوضى الخلقية التي فشت في جميع النواحي فقد تمزقت أثواب الحياة والعفة في النساء والرجال ، وبدت عوراتهم الخلقية كما بدت عوراتهم الجسمية تؤذي العيون وتصلك الأسماع ، وتردى كثير من الأمم فيما يشبه الإباحية الحيوانية ، وقد ألبست هذه الإباحية أثواباً براقة من المدنية والرقى والدوق واللباقة وما إلى ذلك من الفاظ ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، وفسدت الذمم والضمائر ، وغاض الوفاء وفاض الغدو وانفجرت مسافة الخلف بين القول والعمل ، فلا اعتداد بين الناس بالعهود والمواثيق إلا أن يساقوا إلى ذلك بسياط القانون والقوة ، وأولع الناس بالمال يجمعونه من وجوهه المشروعة وغير المشروعة ، وأصبح الفش في الصناعة والتجارة مهارة ، والصدق والأمانة خيبة وخسارة . ويضيق المقام عن الاسترسال في تصوير ما يعانيه العالم من بؤس وشقاء وبلاء وعناء ، ونكتفي بهذه الصورة الموجزة ، وإنها لصورة قائمة الظلال كالحلة الألوان ، قد يهتمنى بعض الناس بالغلو في تصويرها والخطأ في اختيار ألوانها ، ولكنها فيما أرى صورة صادقة انتزعت ألوانها من واقع الأمور في الشعوب ، يراها المنتصف بالعين المجردة دون معاناة أو تعب ، وما هي ذى صحف العالم ومذباطاته . وكلاهما مرآة الأمم في هذا العصر - فليقرأها وليستمع إليها من شاء ، ولن يقرأ ولن يسمع في جميع أنحاء العالم إلا أحاديث عن مشا كل يأخذ بعضها برقاب بعض ، وكلما عولجت مشكلة بدت أخرى أشد استعصاء على الحل من سابقتها حتى كاد زعماء العلماء يستيئسون من الإصلاح والعلاج .

وبالأمس القريب خطب زعيم من أكبر زعماء العالم ، فقال : إن العالم يعيش الآن في حالة من الارتباك المزعج ، ومن الصعب أن نجد في أى جزء من العالم جماعة من الأقوام لا تحاول العمل على مناوأة جماعة أخرى ، ولقد فسكر جماعة من سياسة العالم وقادته في أن يصلحوا من شئون العالم وينتشلوه من وهدهته وينهضوه من كبوته ويعيدوا إليه ما فقدوه من أمن وطمأنينة ، واجتمعت آراؤهم على تأليف جماعة دولية تنظر في مشاكه ونصف ما نراه من علاج ، فألفت جماعة ثم جماعة تعلقت بهما آمال العالم ، وأضاءوا الصموع لمولدها

ولكنها قضت نحبها قبل أن تنقضي هذه الشموع ، وكان الحزن في ساعة الموت أضعاف المرور في ساعة الميلاد ، وإنما فشلت هذه الجماعات لأن نجاحها كان يستدعى عنصرين مهمين : هما الإخلاص ، والتطبيق العملي من القائمين عليها ، ولم يتوافرها ذلك ، وظل العالم على حالة من القلق والازعاج تتزايد يوماً بعد يوم ، وعاماً بعد عام . كالفرق تقاذفه الأمواج في سواه البحر ، وتنقطع به أسباب الرجاء ولا متقذ ولا مجير .

قد يعجب بعض الناس للحالة التي صار إليها العالم ويقول : كيف ذلك والعلم يطير إلى السكال بمخارح حتى سمي عصرنا عصر العلم والسرعة ولا تكاد تنقضي للعلم دهشة من مخترع عجيب حتى تفجأ دهشة أخرى تكاد تذهله عن وجوده ، فلماذا لم يحقق العلم للعالم أحلامه في الأمن والرخاء والسلام ، وقد ينقضى عجب إذا علم أن العالم قد تقدم بالعلم حقيقة ، ولكن في الناحية التي تتصل بفرائز الإنسان الحيوانية ، وهي غرائز البطش والقوة والمتاع الحسى ، تقدم في صناعة الدبابات والطائرات وصناعة السينما والراديو والكهرباء والتلفزيون ، واكتشف للناس أنواعاً لا تحصى من الأدوية تقي الناس شرور الأمراض وتعالجهم منها واكتشف لهم الخصبات الزراعية المختلفة إلى مكتشفات كثيرة تتصل بشئون حياتهم المادية ، وما زال العلم يجد ويدأب ويظفر في كل يوم بمجدد مفيد ، إلا أن العلم مع اهتمامه بالناحية المادية أهمل الناحية الإنسانية والمعنوية في الإنسان كالإيثار والرحمة والتعاون والتضحية واحترام الحقوق ولم يعرهما اهتمامه فرجع العالم فيها القهقري ، وأصبح الإنسان قاسي القلب غليظ الوجدان ، وتحكمت المادة في كل تصرف من تصرفاته خوف الفقر والخذر من المستقبل فتضاعفت عليه همومه وتنفست حياته مع توافر أسباب السعادة المادية من حوله .

لقد كان تقدم العلوم في الناحية المادية ، وجودها في النواحي الخلقية والروحية سبباً من أسباب الشقاء الذي يعانيه العالم ، إذ فتح عليه تقدمه في الناحية المادية أبواباً من الشر يحاول جاهداً أن يتفادها ، وأصبح أبغض شيء إلى نفوس الناس هذا النوع من العلم الذي يرناغ لذكر تفاصيله وآثاره حين تدعو ضروره الحرب إلى تطبيقه واستعماله ، والعلم الذي كان مناط الرجاء في إصلاح العالم وإسعاده غداً من أهم أسباب الشقاء الذي يعانيه ، والعالم الآن يعاني ألواناً من الآلام الجسمية والنفسية لا عهد له بمثلا في عصور التاريخ .

لقد تحدث أحد علماء الذرة فقال : « إن العالم يجتاز طريقاً قد يؤدي إلى القضاء على المدنية ، والكوكب الذي نعيش عليه قد يصبح قريباً جزءاً من الجحيم ، ألم تخير الطريقة

المؤدية إلى الحياة فيه ، وإننى واثق أننا لن نصل بعد إلى هذا الحد . ثم قال : إن فى تناول البشرية الآن وسائل الاستئصال الجنىسى البشرى . .

لقد أفلس المذاهب البشرية إذن فى تخفيف آلام العالم وطمأنينته وقيادته إلى ذرى العز والمجد والسعادة ، ووصل العالم بهذه المذاهب إلى ما وصفنا ، وقد شغل ذلك قاده وزعماءه ومفكره . ورأى كثير منهم أن لاسبيل إلى ما ينشد العالم من استقرار وأطمئنان إلا أن يستهدى بهداية الأديان ، فالأديان وحدها هى التى استكملت المقومات الضرورية لسعادة العالم وصلاحه وأمنه وأطمئناؤه ، وهى التى قدرت نواحي النفس الإنسانية العقلية والوجدانية ، والمعنوية والمادية فوضعت لكل ناحية مقتضياتها من المبادئ والتعليم ، وما أفلس المذاهب البشرية إلا لغنايتها ببعض ذلك دون بعض .

لقد نشطت الدعوة إلى الأديان فى كثير من الشعوب ، وتجاوبت أصداء الدعوة إليها من رجال الدين والسياسة والاجتماع ، وأخذ اعتقادهم يزداد شيئاً فشيئاً بأنه لا صلاح للعالم ولا علاج له من علله التى ألحت عليه إلا بتعاليم الدين ، ولم تقتصر هذه الدعوة على هؤلاء بل نشطت فى البيئات الفنية والأدبية ، حتى ما كان يظن أنها أبعد الناس عن الأديان وأزهدهم فيها ، فقد انجذبت الروايات السينمائية إلى الموضوعات الدينية وأخذت تستلهمها فى كثير من موضوعاتها ، وقد أغرى نجاح الروايات الدينية مؤلفي تلك الروايات إلى العناية بالموضوعات الدينية وازدياد الاقتباس منها وأخذ المنتفع لتلك الحركة يشعر بحسن أثر ذلك الانجاء وحسن نتائجه فى أخلاق العامة وسلوكهم ، وأخذ كثير من الأدباء عن كادت تفتنهم المدنسات المعاصرة وتوقعهم فى مزالق الشكوك والريب يؤمن بضرورة دعوة الشعوب إلى الأديان كوسيلة من وسائل الإصلاح فنشطوا إلى التأليف فى الحوادث الدينية التاريخية التى كان لها أثر فى تاريخ الشعوب وفى سير أبطالها ، ولاقت مؤلفاتهم رواجاً زائداً من نشاطهم وبجوداتهم . والمنتفع للحركات الفكرية فى العالم بوجه عام يلاحظ اهتمام الأديان والمباحث الدينية واتعاش الروح الدينية فى كثير من الأمم ، وإذا قدر لهذه الحركات أن تسير قدماً فى طريقها فستصل الشعوب إلى غايتها المنشودة فى الاستقرار والرخاء والسلام . فالأديان بما أنطوت عليه من أسباب ذلك سبيل السعادة ، ولن تسعد الشعوب إلا إذا استنارت بنورها فى ظلمات الحياة ؟

أبو الوفاء مصطفى المراغى
مدير المكتبة الأزهرية

الرِّبَاطُ فِي الْأَسْلَاحِ

١ — مناسبة البحث :

نحن في عصر مكافح مجاهد ، تألب علينا فيه قوى الشر والبغى من كل جهة ، ونحتاج فيه إلى إعداد ما يستطاع لرد العدوان والخص من الطغيان ؛ والعدة قد تكون حسية كالدفع والطائرة ، وقد تكون معنوية كالإيمان والشجاعة ؛ ومن أقوى الأسلحة المعنوية وأمضاها ، إحياء روح الجهاد والتضحية في نفوس الجماهير ، والتذكير بمبادئ الثبات والإقدام ، وعرض الصور الرائعة للبطولات الخالدة ، والتفكير على الأصول الحية التي تتكون منها العقيدة الثابتة ، والتي لها اتصال بتأحية الحرية وإبهاء الضيم والتحرير على الاستجابة لكرهم التعاليم والتوجيهات التي تحت على الإعداد والاستعداد ، بالعدد والأعداد .

ومحاولة المشاركة في هذا المقصد فنحدث عن الرباط في التزويل المجيد ، مصورين ما هو الرباط أولاً ، وعارضين مواطن استعمال القرآن الكريم لكلمة الرباط ، ثانياً ، ومشيرين إلى المعنى العام المشترك لهذا الاستعمال ثالثاً .

٢ — الرباط في اللغة :

ونبدأ أولاً باستنباه اللغة عن « الرباط » ، ما هي مادته ؟ وما معناه ؟ وما هي ألوان الحتمية والمجاز فيه ؟ تكلم القاموس المحبط عن مادة (ربط) فذكر وجوها من معانيها واستعمالاتها ، ومما قاله : « ربطه يربطه ويربطه شدة فهو مربوط وربط ، والرباط ما ربط به جمه ربط ، والفؤاد ، والمواظبة على الأمر ، وملازمة ثغر العدو كالمرابطة ، والخيال أو الخرس منها فما فوقها ، وواحد الرباطات المبذبة ، أو المرباطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة ، وكل معد لصاحبه ، فسمى المقاتم في الثغر رباطاً . والربط الراهب والزاهد والحكيم ، ظلف نفسه عن الدنيا كالرباط في الثلاث ، ^(١) .

(١) والربط أيضاً لقب الغوث بن مرين طابخمة ، لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت أن تاتى هذا لتربطن برأسه صوفة ، واتجهلته وربط الكعبة ، فماتت ففعلت وجعلته خادماً لبيت حتى بلغ فنزعته ، فلقب الربط [القاموس] وهناك يربط بنى إسرائيل الذي قال : زين الحكيم الصمت ، وهو زاهدم وحكيمهم الذي ربط نفسه عن الدنيا أى شدها ومنعها [النهاية] .

وجاء الزحشرى في (أساس البلاغة) فيين الاصل في المراقبة فقال : « ورباط الجيش أقام في الثغر ، والاصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم ، ثم سمي الإقامة في الثغر مراقبة ورباطا ، والغزاة في مرباطهم ومراقبةاتهم وهي موضع المراقبة ، ووقف ماله على المراقبة وهي الجماعة التي رابطة ، ومنهم : اللهم انصر جيوش المسلمين ومراقبةاتهم ، ومن المجاز ربط الله على قلبه : صبره . »

وفسر النوى في (تهذيب الاسماء واللغات) رباطة الجأش فقال : « وفلان رابط الجأش وربط الجأش أى شديد القلب ، قال الجوهري : كأنه يربط نفسه عن الفرار . »

وتعرض ابن الأثير في (النهاية) للمادة ، وأراد أن يبين العلاقة بين استعمالها اللغوي واستعمالها النبوي حينما سئل الرسول عن أفضل الأعمال فقال : « إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط . » الرباط في الاصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها ، فشبه به ما ذكر من الانفعال الصالحة والعبادة . أى أن المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة كالجهاد في سبيل الله ؛ فيكون الرباط مصدر رابطة أى لازمت .

وقيل : الرباط ما هنا اسم لما يربط به الشيء أى يشد ، يعنى أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم .

وتعرض الاصفهاني في (مفردات القرآن) للرباطة بلونها الحسى والمعنوى فقال : « . . . فالمرابطة ضربان : مراقبة في ثغور المسلمين ، وهي كمرابطة النفس البدن ، فإنها كمن أقيم في ثغر ، وفوض إليه مراعاته ، فيحتاج أن يراعيه غير محل به ، وذلك كالجماعة ، وقد قال عليه السلام : « من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ وفلان رباط الجأش إذا قوى قلبه . »

٣ - فضل الرباط في الحديث النبوي :

وردت أحاديث كثيرة في فضل الرباط والحث عليه ، وإذا تذكرنا أن الرباط لون من ألوان الجهاد عرفنا أن كل تمجيد للجهاد في السنة يعد تمجيداً للرباط ، وقد استفادت السنة المحمدية بأحاديث الجهاد مما يحتاج إلى مؤلفات لا مقالات ؛ ومن أحاديث الرباط الحديث المتفق عليه : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط

أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها . والروحة يروحها العبد أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها . . وعن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » . وعن سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » (الشيطان) . وعن عثمان بن عفان قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حرم ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة بقيام ليلها وصيام نهارها » . وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عيان لا تنسهما النار ، عين بككت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » . وعن فضالة بن عبيد أن الرسول قال : « كل ميت يختم على عمله إلا المرباط في سبيل الله ، فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان النفر » .

٤ - الرباط عند الفقهاء :

تطلق كلمة الرباط - كما فهمنا - عند علماء الإسلام على إقامة المجاهدين على الحدود وفي ثغور البلاد ومدخلها ، لحراستها والدفاع عنها ، وهم أثناء ذلك يقومون بربط خيولهم وخدمتها ، ويسمون بالمرباطين ، وهذا الرباط فرض كفاية ، إذا قام به البعض وكفوا سقط عن الباقي فرضا ، وإن استحسنه الإسلام وحث عليه في كل زمن قدرة ، ولكن إذا هاجم العدو أرض المسلمين وتعرضت كلمة الإسلام للخطر وجب التنفيذ العام على كل مستطيع . وتحديد وقته ومدته يخضع للظروف والملابسات .

وجاء في كتاب (المغني) لابن قدامة ^(١) : « فإن الرباط يقل ويكثر ، فكل مدة أقامها بنية الرباط فهو رباط ، قل أو كثر ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (رباط يوم ، ورباط ليلة) . قال أحمد : يوم رباط ، وليلة رباط ، وساعة رباط . وقال عن أبي هريرة : ومن رباط يوما في سبيل الله كتب له أجر الصائم القائم ، ومن زاد زاده الله . وروى سعيد بن منصور بإسناده عن عطاء الخراساني عن أبي هريرة : رباط يوم في سبيل الله أحب إلى من أن أوافق ليلة القدر في أحد المسجدين ، مسجد الحرام أو مسجد رسول الله

[١] المجلة - الامام موفق الدين ابن قدامة من كبار علماء فلسطين زمن الحروب الصليبية . هاجر إلى دمشق هو وأسرته ، واشترك في محاربة الصليبيين هو وأخوه الأكبر الشيخ أبو عمر وتلاميذهم وكان لهم خيام في معسكر صلاح الدين في حملات الحروب الصليبية وفتح بيت المقدس ومعركة حطين .

صلى الله عليه وسلم ، ومن رابط أربعين يوماً فقد استكمل الرباط ، وتمام الرباط أربعون يوماً ، روى ذلك عن أبي هريرة وابن عمر ، وقد ذكرنا خبر أبي هريرة . وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تمام الرباط أربعين يوماً . وروى عن نافع عن ابن عمر أنه قدم على عمر بن الخطاب من الرباط ، فقال له : كم رابطت ؟ قال : ثلاثين يوماً . قال : عزمت عليك إلا رجعت حتى تنمها أربعين يوماً ؛ وإن رابط أكثر فله أجره كما قال أبو هريرة : « ومن زاد زاده الله » (١) .

٥ - الرباط في القرآن الكريم :

وقد ذكر الرباط ، و الربط ، في التنزيل المجيد في خمسة مواضع ، اثنان منها وردت فيهما المادة بصيغة الأمر وهما قوله تعالى في سورة آل عمران : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » آية ٢٠٠ . وقوله في سورة الانفصال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » آية ٩٠ .

والثلاثة الباقية وردت فيها المادة بصيغة الإخبار وبمعنى الشد والتثبيت ، وهي قوله تعالى في سورة الانفصال : « وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » ١١ . وقوله في سورة البكةف : « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض » آية ١٤ . وقوله في سورة القصص : « إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » آية ١٠ .

ويلاحظ مع التأمل وشيء من التعميم المعنوي أن استعمالات القرآن الكريم للمادة الربط ، يشملها معنى واحد عام ، هو ما يفيد الشد والتماسك ، سواء أكان هذا التماسك ملبوساً محساً كما في الأشياء المادية الظاهرة ، أم كان معقولاً مدركاً كما في الأمور العقلية المعنوية ؛ ففي الآية الأولى نسمع الحق تبارك وتعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والمعنى : يا من صدقوا الله ورسوله وابقوا بهما وبأمرهما ، اصبروا على التكاليف ، واحتملوا المصائب والمتاعب ، وصابروا على طاعة الله والزموها ، واصبروا على معاصيه وابتعدوا عنها ، وصابروا أي ما هدرأ أعداءكم واصبروا في جهادكم كما يصبرون في جهادكم وعداوتكم ، ورابطوا السكهار في سبيل الله ، بأن تعدوا لهم من رباط الخيل ما يكون كفاه ما أعدوا لكم ورابطوا .

وعبارة الزنجشري في كشافه : « (اصبروا على الدين وتكاليفه) (وصابروا) أعداء الله في الجهاد ، أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب ، ولا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً ، والمصابرة باب من الصبر ، وذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصاً لشدته وصعوبته (ورابطوا) وأقيموا في الثغور مرابطين خيلكم فيها ، مترصدين مستعدين للغزو . »

وهذه الآية شاملة لجامعة لأنواع الاوامر تكليفا ونهيا ، لأن الصبر يشمل لزوم الفرائض والعبادات ، مع اجتناب المنهيات والمحرمات ، والمصابرة تشمل مجاهدة الغير من الإنس والجن والنفس ، والرباط يدخل فيه الجهاد في سبيل الله والدفاع عن وطن الإسلام وجماعته والدفاع عن الملة ، ثم تأتي تقوى الله فتفيد تعميم الانتهاء عن جميع المناكر والانتهاز بجميع الاوامر ، فيكون من وراء ذلك كله النجاح والفلاح ^(١) .

والمرابطة هنا تفيد المعنى العام للبادء وهو الشد والتماسك ، لأن المسلمين لا يستطيعون مجاهدة أعدائهم متفرقين ، ولا يستطيعونها متراخين أو مستنجمين ، بل لا بد لهم من أن يشدوا شدة القوى ، وأن يتماسكوا تماسك المجتمعين المتعاونين ... ولذلك جاء في التنزيل : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخى ، اشد به أزرى ، ، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ، ، حتى إذا اتخضمهم فشدوا الوثاق ، ، قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ، ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، ، الخ . وجاء أيضاً : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ، فن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ، ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ، فاستمسك بالذى أوحى إليك ، الخ .

وفي الآية الثانية نسمعه سبحانه يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لئلعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . »

فاقة يأمر عباده في الآية الكريمة بأن يهيئوا جميع الوسائل والأسباب التى تجملمهم في قوة ومنعة وشدة ، وأن يذللوا في سبيل ذلك كل ممكن وكل مستطاع ، وأن يحرسوا حدودهم

ومداخلهم وثغورهم بقوات الفرسان المدرية الفتية الشديدة ، حتى تكون تلك القوات جيشاً مستعداً دائماً للدفاع وصد هجمات الأعداء ؛ وما أبلغ الآية حين تستعمل كلمة « القوة » الشاملة لأنواع من السلاح وألوان من العناد والإعداد ؛ وما أبلغها حين تشير إلى الأعداء المعلومين لله وللناس ، والأعداء المجهولة من الناس المعلومه من الله ... إذن فالاستعداد يجب أن يكون على غايته ، وفي كل وقت ومكان ، وبكل حيلة ووسيلة ، لأن الأعداء ظاهرون وباطنون ، ومعلومون ومجهولون ، وحاضرون وغائبون ؛ « ترهبون به عدو الله وعدركم ، وآخرين من دونهم لآعلمونهم الله يعلمهم » .

ومن الجلى الواضح أن هذا الإعداد وتلك الألوان من القوى والأسلحة لا تنبأ ولا تدرم إلا إذا كانت في المسلمين قوة وشدة ، وكان في جميعهم تماسك وتكاتف وتساعد ؛ كما أنه قد يكون من الواجب أن تشير إلى أن « المراقبة » لا تقتصر على ذات الخيل ، وإن ذكرتها الآية لمناسبة ما كان موجوداً ، بل علينا أن نربط الأعداء بمثل عدتهم وأسلحتهم ووسائلهم .

والآية الثالثة تقول : « إذ يفشيكم الغساس أمنة منه ، ويُنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، ويربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

وقد نزلت هذه الآية ضمن الآيات التي نزلت في غزوة بدر ؛ وهنا يتحدث الحق تبارك وتعالى عن النعم التي أنعم بها على المجاهدين الأولين ، فقد كانوا قلة وأعداؤهم كثرة ، وهذا يشير الخوف في القلة ، والخائف لا ينام وإن رغب في النوم ، فأزل الله الغساس على المسلمين لطميناً منه وتأميناً وإذهاباً للخوف عنهم ، وإراحة لهم حتى يستعدوا للمعركة القادمة ، وكذلك أنزل الله عليهم ماء في وقت جاف ومكان مجهد وساعات كلها ظمأ وحاجة إلى النظير والاعتسال ... فتطهروا وأزالوا وسوسة الخناس عن نفوسهم ، وثبت الله أقدامهم بهذا الغيث إذ صارت الأرض الرملية اللينة صلبة متماسكة ، لا تلين فيها الأقدام ، بل تقوى وتشد .

والقلوب إذا ارتبطت قويت واشتدت وجروئت ، كما أن الأقدام لا تثبت إلا على أرض متماسكة صلبة ، فكأن الربط على القلوب هنا - وإن كان معنوياً - يفيد الشدة والتماسك أيضاً .

والآية الرابعة تقول : « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها ، لقد قلنا إذن شططاً » . وقد نزلت في فتية الكهف الذين كفروا

بالوئبة والاصنام ، وآمنوا بالله الخالق للسموات والأرضين ، والله يحدث عباده في قرآنه عن نعمته على هؤلاء الفتيه حين قوام باليقين والصبر ، وشد قلوبهم وجعلها متاسكة لا تنزع ، بل تقوى على هجر الارطان والنعم ، والقرار بالدين إلى الكهف ، وتقوى على مجاهرة الضاغين والجبارين ومصارحتهم بكلمة الحق ، ولو لاقوا في سبيلها الأذى والعنت ؛ فقد قاموا بين يدي الجبار (دقيانوس) دون خوف أو مبالاة ، وأظهروا إيمانهم ، وأصروا على هجر عبادة الاصنام ، لأن عبادة غير الله إفراط في الظلم والضلال .

والقلوب الضعيفة تكون خائرة متداعية تطير شعاعا عند كل صيحة ، وأما القلوب المؤمنة المرتبطة بأسباب الله ، المترابطة في سبيل الله ، فإنها تكون شديدة في حقها وصدقها ، متاسكة في إقبالها على دعوتها ومجاهدتها لأعدائها .

والآية الأخيرة تقول : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ، إن كادت لتبدي به ، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » . وقد نزلت هذه الآية في شأن أم موسى عليه السلام ، حين صنعت له الثابوت ، وألقته في اليم ليلتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، وقد خافت أم موسى على وليدها ووحيدها خوفا شديدا ، حتى تاهبت قلبها المخاوف والهواجس فأصبح فارغا متبهدا ، وقاربت أن تكشف سرها وتعلن سرها ، ولكن الحق جل جلاله ربط ، على قلبها ، لجمع منه ما كان مشتتا ، وشد منه ما كان متداعيا ، فصار في امتلاء واشتداد واستمساك .

وهكذا نرى أن الاستعمال القرآني للكريم لمادة « الرباط » و « الربط » يشعر بالشدة والتماسك ، والشدة قوة لا تكون إلا ببذل الجهود لتحقيق المقصود ، والتماسك لا يكون إلا بالتكتل والتجمع والتعاون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

٦ - إلهام :

بابي الإسلام ... إن « الرباط » في سبيل الله شعيرة من شعائر الملة ، وفريضة من فرائض الكتاب ، ومنه لا يقطعها إلا جاحد أو جاهل ، وقد كتب الله الجهاد والقتال كما كتب الصيام والصلاة ، « ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين » ، « افقروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

أحمد الشرباصي

من علماء الأزهر الشريف

ليس للمرأة شرعاً أن تمارس السياسة

لأنه ذر الفاسد الزئير على ذلك نُقِمْ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ مَضَالِحٍ

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

قال مندوب ، الأهرام ، .

كان فضيلة الاستاذ الاكبر أمس حاكفاً على دراسة طائفة من المراجع الفقهية التي تحدثت في استفاضة وإبانة عن حقيقة موقف المرأة في نظر الشريعة الإسلامية ، وقد ذكر لي فضيلته أنه سوف يضع مذكرة مدعمة بالأدلة والبراهين الفاطمة التي لا تدع مجالاً لمنازل بأن للمرأة أن تمارس شأنها من شئون السياسة العامة ، وسوف يفرغ من هذا البحث في خلال أيام قليلة .

الإسلام دين الفطرة :

ومضى الاستاذ الاكبر فقال : لست أريد بهذا البحث أن أدخل في جدل حول موقف المرأة نفسها ، ولكنني سأحدث عن حكم الشريعة الإسلامية بوجه عام .
ومن الحقائق الدائرة على الالسنه ، المقررة بين علماء الإسلام ، أن الإسلام دين الفطرة وكان ذلك من أسباب سرعة انتشاره ، واستمرار حيويته ، وازدياد الإقبال عليه في كل العصور ، ولو أتيح له أن يعرف كما هو ، لكان هو نظام الإنسانية كلها .
ومن مظاهر كون الإسلام دين الفطرة أنك مهما استقصيت أوامره ، لا تجده يأمر إلا بما فيه مصلحة عامة ، ومهما أحصيت نواحيه ، لا تجده ينهى إلا عما فيه مفسدة ، والإسلام يترك غير المسلمين يتحاکون إلى أهل ملتهم ، وإذا تحاکوا لدى القاضى المسلم حكم بينهم أو بينهم وبين المسلمين بالعدل ، فإن العدل تابع للتحاكم للإسلام ، وذلك شأن دين الفطرة وقد توصل علماء الإسلام إلى أن يستخرجوا من مجموع نصوص الشريعة وأحكامها قواعد عامة كاستخراجهم قاعدة — الضرر يزال — من مثل قوله ﷺ ، لا ضرر ولا ضرار ، ويتفرع على ذلك أحكام لا تحصى في الفقه والقضاء .

ثم قال : إن القواعد شأنها أن تؤخذ من موارد متعددة في الشريعة ، ولهذا كانت في نفسها قطعية ، وإنما الظن القوي في تطبيقها ، وذلك كاف في حق المجتهد .

وقد يرى واضع القانون الضرر الصغير في الواقعة فيمنعه ، ويبينه الشارع لأنه وقاية من ضرر كبير ، ومن هنا نشأت قاعدة ارتكاب أخف الضررين ، ومن أصولها قول الله عز وجل : أما السفينة فكأن مساكين يعملون في البحر فأردت أن أعياها وكان وراهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، فإن عيب السفينة ضرر ، لكنه أخف من أخذها غصبا .

وينظر بعضهم إلى مصلحة تظهر من شيء ، ولا تقع أنظارهم على المفسد التي تنجم عنه ، فيظهر لهم أنه أحكم من منعه نظرا إلى مفاسده ، ومن هنا نشأت في الشريعة قاعدة : درء المفسد مقدم على جلب المصالح ، ومن ذلك ما يذعيه القائلون بإعطاء المرأة حقوق الرجل السياسية ، فإنهم نظروا إلى ما في المرأة من مزايا ، وغفلوا أو تغافلوا عما يترتب على ذلك من مضار تشاهد في كل مكان ، فدفع المضار مقدم على ما يذكرون من المزايا .

ثم تحدث الأستاذ الأكبر مبينا ما في الشريعة الإسلامية من النصوص والبراهين المؤيدة لهذا فقال :

من قواعد التشريع الإسلامي قاعدة : العادة محكمة ، أي أنها نجمل حكما في إثبات الأحكام إذا لم يعارضها نص ، وابتنى عليها قولهم : : الممتع عادة كالممتع حقيقة ، وقولهم : : المعروف عرفا كالمشروط شرطا ، وقولهم : : التعين بالعرف كالتعيين بالنص ، وقولهم : : لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان ، أي أن الأحكام التي كانت مبنية على عرف طرا عليه التغير تنغير بتغير ذلك العرف ، فتبى دائما على العرف الذي لا يخالفه نص .

ثم قال : إن القواعد كما قلنا مأخوذة من النصوص ، والنصوص لا تأتي إلا للمصلحة العامة ، والمصلحة العامة تتمشى دائما مع الفطرة الإنسانية وسعادتها ، فإذا لم تجز الشريعة للمرأة أن تمارس حقها من حقوق السياسة فإنما قصدت بذلك الخير الأشمل للمجتمع الإنساني ، فإن وظيفة المرأة الأولى أن تكون أما ، وأن تمارس ربة بيت ، وقد أبيع لها أن تمارس الوظائف التي تتمشى مع طبيعتها ، فإذا هي أرادت أن تتعداها فإنما تكون قد خرجت عن الطريق التي رسمت لها والتي تتفق مع طبيعة تكوينها ، وفي هذا مضرة بها ، ومضرة بالمجتمع ، وشر بالإنسانية جمعاء يجب أن نتكاتف على دفعه ، والله الموفق .

الرِّقُّ وَآثَارُهُ

فِي النَّسَبِ وَالْإِسْلَامِ وَالصَّرْفِ

١ - كاد إجماع الأمة في الفقه الإسلامي يكون منعقدًا على أن الرق من موانع الإرث ، حتى لقد حكى الإجماع على ذلك في أكثر المصادر المعتبرة لهذا الفقه ^(١) . وقد كان مشروع قانون الميراث (٧٧ لسنة ١٩٤٣) - كما قدمته لجنة الأحوال الشخصية - مشتملاً على النص على الرق باعتباره مانعاً من الإرث ، بيد أنه رُؤي حذف هذا النص ، بسبب الحظر القانوني للرق وزوال نظامه ؛ إذ أنه من الجرائم المعاقب عليها منذ ستين عاماً ، ومن أجل ذلك قضى بأنه ليس ثمة فائدة من الناحية العملية من جراء إيراد نص في قانون الميراث يعتبر الرق مانعاً من موانع الإرث ^(٢) . وصدر قانون الميراث ، وقد خص موانع الإرث بالمادتين ٥ ، ٦ منه ، وذكر فيهما ثلاثة موانع هي : القتل ، واختلاف الدين ، واختلاف الدارين في حالة خاصة ، ولم ينص على الرق مانعاً من الميراث ^(٣) .

٢ - بيد أن المادة الخامسة صيغت بحيث تشعر بأن ما ورد فيها من موانع ، ليس على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل ؛ إذ ابتدأت عبارتها بالقول « من موانع الإرث ... » وهذا تعديل أجرته عليها (لجنة الشؤون التشريعية بمجلس النواب) وأكدت في تقريرها عن مشروع قانون الميراث ، أن السبب في ذلك هو جعل المادة المذكورة بحيث تكون أوضح في الدلالة على أن النص وارد على سبيل التمثيل لا الحصر ^(٤) .

(١) انظر : الأستاذ أحمد إبراهيم (بك) في « الميراث علماً وعملاً » سنة ١٩٤٢ - ص ٧٢

(٢) انظر : المذكرة الإيضاحية لقانون الميراث في (مجموعة القوانين ، الوقف والوصية والميراث) جمع وترتيب محمد القريب - الطبعة الثانية - ص ١٤٤ .

(٣) انظر : المادة ٥٨٥ من الأصل (كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية) لقدري باشا ، إذ نصت على أن موانع الإرث الأول هو « الرق وافرأ كان كافن والمكاتب أو ناقصاً كالديبر وأم الولد ؛ لأن الرق ينأى أهمية الإرث لأنها بأهمية للآلة رقة » .

(٤) انظر : المذكرة الإيضاحية لقانون الميراث في (السالف) - ص ١٣٨

٣ — وأوردت المذكرة الإيضاحية في تعليقها على نص م ه السبب في جعل هذه المادة غير دالة على حصر موانع الإرث بقولها :

« حتى لا يظن أنه قصد بالحذف تغيير حكم شرعى أجمع عليه المسلمون ، »^(١) .

٤ — وتعديل لجنة الشئون التشريعية لنص م ه لم يكن له لزوم في نظرى ، بالرغم من السبب الذى أوردته المذكرة الإيضاحية : إذ يترتب على جعل موانع الإرث فى القانون واردة على سبيل التمثيل لإباحة إدخال موانع أخرى ، لم يكن المشرع يقصد بحال إدخالها ، ولقد كان الأصل - الذى كان معمولاً به قبل صدور قانون الميراث - موقفاً إذ حصر موانع الإرث بشكل لا يدع مجالاً لإمكان دخول غيرها من الموانع المختلف فيها^(٢) .

٥ — ثم إن المعروف هو أن القواعد المتعلقة بالتوريث وأحكامه المتبعة شرعاً ، ومن هذه القواعد والأحكام موانع الإرث - هى من النظام العام *L'ordre public* ، وقد قررت ذلك أحكام القضاء : إذ قيل بأن أحكام الإرث من كون الإنسان وارثاً أو غير وارث وكونه يستقل بالميراث أو يشارك فيه سواء إلى غير ذلك من الأحكام ، وكذلك الأحكام المتعلقة بتعيين الورثة وانتقال الحقوق فى التركات عن طريق الوراثة للمستحقين شرعاً ، مخالفة كل هذا باطلة لمخالفتها للنظام العام ، يحكم بطلانها القاضى من تلقاء نفسه فى أية حالة عليها الدعوى ولا تصححها إجازة من أحد^(٣) .

٦ — ومن هذا يفهم أن كل شخص قابل للإرث ، إذا توافرت فيه شروط التوريث ، وانطبقت عليه أحكام الباب الثانى من قانون الميراث الخاصة بأسباب الميراث ، ولم يكن فى

(١) انظر : للرجع السابق - ص ١٤٤

(٢) انظر : للواد من ٥٨٥ - ٥٨٨ من الأصل (كتاب الأحكام الشرعية) السالف الذكر .

(٣) انظر : حكم القضية رقم ٢ سنة ٤ قضائية فى (مجموعة القواعد القانونية) ١ ص ٤٤٩ ، وجاء فيه أنه باطل كل اتفاق قبل وفاة شخص ما على شيء يمس حق الإرث عنه ، لأن مثل هذا الاتفاق يخالف للنظام العام - وانظر كذلك حكم محكمة استئناف مصر (٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦) فى (المحاماة) ص ٣٠ من ٧٥٢ رقم ٣٧٣ ، إذ يستفاد منه أن قواعد التوريث وأحكامه من النظام العام والتعايل عليها ممتنع لذلك .

حالة حجب عما هو منصوص عليه في الباب الثالث ، إلا أن يكون ممنوعاً من الإرث ، فهذا المنع إذن من قبيل الاستثناء ، وفتح باب المادة الخاصة به (م ٥) لدخول موانع جديدة ليست معروفة لدينا خاصة بعد إلغاء الرق قانوناً وحذفه باعتباره مانعاً من الإرث ، وبعد ثبوت أن ليس في القانون المصري الوضعي على وجه العموم مانع من الإرث غير الموانع الثلاثة المذكورة في قانون الميراث ، أقول إن هذا الفتح يعتبر من قبيل اللغو الذي كنا ننتزه الشارع عن الوقوع فيه من الناحية الشكلية ^(١) .

٧ — أما السبب الذي أوردته المذكرة الإيضاحية ، فلست أفهم بصدد ما وجه الظن بتغيير حكم شرعي أجمع عليه المسلمون ، مادام الرق قد ألغى في مصر ولم يعد موجوداً ١٩ ، بل إن (الرق) في حد ذاته كان في الإسلام نظاماً اقتضته ظروف مؤقتة خاصة به ، يدل على ذلك عدم تسجيل القرآن الكريم له ، وإنما سجل العتق ووسع في أسبابه حتى يتسنى إلغاؤه والقضاء عليه ، حتى لقد قيل : إن أسباب العتق التي وضعتها القرآن ، لو نفذت كلها ، فإنه لا يبقى رقيق في دار الإسلام أكثر من عام واحد ^(٢) .

٨ — على أن دعوى الإجماع التي استندت إليها المذكرة مردودة وغير صحيحة على

[١] قد تصور فكرة دخول موانع أخرى للميراث في المادة ٥ ، إذا لاحظنا أن ثمة عدداً وافراً من هذه الموانع موجود عند الفقهاء على اختلاف ، ومثال هذه الموانع ، مانع الزنا ومانع العمان ومانع التبوء من الوالد ومانع عدم الاستتال ومانع النكاح في الموت ومانع اختراق التركة بالهين ومانع الفقد ومانع الزواج المنقطع [المتمتع] عند الشيعة الإمامية إلا إذا اشترط أحد للتناكح الميراث . الخ راجع في هذه الموانع ، أحمد إبراهيم — السالف — ص ٩١ وما بعدها .

[٢] انظر . الأستاذ محمد أبو زهرة في بحث [شرعية القرآن دليل على أنه من عند الله] — في [المسلمون] ص ١ ص ٣٥ بند ١٠ — ومما هو جدير بالذكر أنه على الرغم من اعتراف الإسلام بشرعية الرق ، فإنه كان يبيح للمبد أن يسلم مع بقائه عبداً ، ويقول البعض بأنه لو حدث يوماً ما أن كان كل الناس مسلمين فإن مصدر الرق ما كان ليبقى له وجود نتيجة لذلك ، ويوضحون ذلك بأن وضع المبد في المجتمع الإسلامي كان في المادة حسناً جداً ، وإعتاقه من سيده كان باباً مفتوحاً لهذا الأخير ، يستطيع من طريقه أن يكفر عن المصاحي والعيثات التي وقعت منه في مواجهة الحياة الإسلامية ، وبصرف النظر عن هذا الغرض الخاص من الرق وهو التكفير ، فالمتق في حد ذاته كان مندوباً ومطلوباً من الاسياد . انظر .

إطلاقها^(١) ؛ وذلك لوجود خلاف ليس قليل الأهمية ، في شأن الرق واعتباره مانعاً ؛ إذ وجد فقهاء كثيرون قالوا باعتباره غير مانع من الإرث^(٢) .

٩ — ومن أجل كل هذا لا أرى معنى للحفاظ والخوف من الظن بتغيير حكم شرعي أجمع عليه المسلمون ؛ لأن هذا الظن وهم وخيال من جهة ، ومن جهة أخرى لأن هذا الإجماع المردود من المسلمين ، ليس عيباً خروج المشرع المصري الحديث عليه ، مادام بشأن مسألة خاصة ، رأينا أنها سلمت في التشريع الإسلامي لوجود علمها الذي هو انتشار الرق في هذه نشوتها ، ثم ما كان من محاولة هذا التشريع القضاء عليه ، بحثه على العتق ، وإيراده للأسباب الكثيرة لتشجيع هذا الأخير .

١٠ — وبلاحظ أن قانون الميراث لم يتخلص البتة من آثار الرق ، يتبين ذلك من اعتباره (العصوبة السببية) سبباً ثالثاً للإرث بعد الزوجية والقرابة (م ٧) ، ويقصد بهذه العصوبة الميراث بولاء العتاقة وفق هذا القانون^(٣) ، وصورة ولأه العتاقة هذا أن

[١] انظر . أحمد إبراهيم - السالف - هامش ص ٥٧

[٢] راجع في ذلك . [التواعد ومفتاح الكرامة] و [حاشية الفناي] و [ابن حزم] و [الروضة الندية وشرحها لشوكاني وصديق خان] و [الإلهية وعوارضها] و [نظام النفقات] لأحمد إبراهيم - عن : أحمد إبراهيم في - السالف - ص ٧٢ وما بعدها

(٣) عرف الرومان ولأه العتاقة والتوريث على أساسه ، إذ كان لديهم نظام العتق ، وكان المتبق بمقتضاء يكتب بصفة الحرية والصفة الوطنية معا ، ولكنه لا يصير حراً على إطلاق ، إذ وضع القانون الروماني عدة قيود تحد من حريته كي يعتبر في مرتبة أدنى من مرتبة الأحرار الأصليين ، وخاصة ما يتعلق من هذه القيود بالحقوق المالية Bona ، وبهنا منا من هذه الحقوق : الحق القدي كان يخول لسيده إذا أعتق ، والقدي بمقتضاء يرث عتيقه إذا مات من غير وارث وبدون أن يترك وصية - انظر . الدكتور محمد عبد النعم بدر والدكتور عبد النعم البدراني في (القانون الروماني) ص ١٥٢ ، ومفهوم أن القانون الروماني قد عرف الرق واعتبره مانعاً من الإرث - انظر . السالف ص ١٤٣ ، كما عرف نظام الموت اللدني Capitis Deminutis انظر بياناً موجزاً عن هذا النظام وتاريخه في موجز القانون الروماني لجيفار - طبعة ١٩٣٤ - ص ١٠٩ - ٣١١ . وجاء هذا النظام La mort ciuil إلى القانون الفرنسي ونس عليه في سنة ١٨٠٤ - ثم ألغى بقانون سنة ١٨٥٤ انظر في ذلك Code Civil annoté d'après la doctrine et la jurisprudence, par, H. Bourdeaux, p. 33, وانظر - Prof. Gaston Stefani, Les successions ab intestat et testamentaire en droit français comparé au dr. égyptien, Rev. Al-lanoun Wal Iqtisad, xx1 eannée, No 1, p. 47.

يعتق الرجل عبداً أو أمة له ، فيرتب على ذلك أن يصبح العتيق مفسوباً إلى المعتق بالولاء ، ومن أجل هذا أطلق على هذا الولاء (ولاء الذمة) ، ويعتقضاء يرث الممتق من العتيق دون العكس ، وسواء في ذلك أحدث العتق من المعتق لوجه الله تعالى أم لوجه الحاكم أو السلطان ، وسواء أعتقه سائبة أم شرط ألا ولاء عليه ، كما أنه يستوى العتق بجعل أو بغير جعل أو بطريق الكتابة ^(١) .

١١ — والرأى الذى أخذ به القانون فى شأن ولاء العتق هو رأى الجمهور ، فهم الذين يعتبرونه سبباً من أسباب الإرث ، ويستندون فى ذلك إلى حجج يمكن تلخيصها فى سنيين : أولها : سند قرآنى : إذ قال تعالى : « وللكل جعلنا موالى عما ترك الوالدان والأقربون » وقد فسروا « الموالى » فى الآية على أنها العصبات ، ومولى العتاقة يعتبر عصبه ، ومن أجل ذلك يرث . ويرد على ذلك بأسرين :

(الأول) أن كلمة الموالى فسرت أيضاً على أنها الورثة ، وبذلك تفتقر إلى دليل يدل على أن مولى العتاقة من هؤلاء .

(والثانى) أن المترقى ليس والداً ولا قريباً لمولاه المعتق ، وهنا يتبين أن مولى العتاقة خارج عن الصورة الواردة فى الآية ^(٢) .

وثانيهما : سند نبوى : ويتفرع فرعين :

(الأول) خاص بقول الرسول ﷺ إن « الولاء لحة » ^(٣) كلمة النسب لا يباع ولا يوهب ، إذ يدل هذا الحديث فى نظرم على أن الولاء كالنسب (القرابة) سبب للإرث . وهذا القول مردود كذلك لاعتبارات ، منها أن هذا الحديث معلول ^(٤) ، ومنها أن الولاء إن كان كالنسب ، فليس كل نسب سبباً فى الإرث عند من يقول بعدم توريث ذوى الأرحام ، ومنها أن وجه الشبه الوارد فى الحديث بين الولاء والنسب هو الخاص بالبيع والهبة فقط لا المتعلق

(١) انظر : شمس الدين السرخسى فى [المبسوط] ٣٨ من ٣٨ .

(٢) انظر . أحكام القرآن لابن بكر الرازى الجصاص — وأحمد إبراهيم — السائف . من ٣١ .

(٣) الراد بالحنة . الرابطة التى تربط ذمتين أحدهما بالآخر .

(٤) أعله البيهقى .

بالإرث ، وكذلك لا دليل على توريث الجمهور للمعتق من العتيق دون [إجازة العكس ^(١)] .
والثاني خاص بتلك الرواية التي تتلخص في أن النبي ﷺ - لما مات مولى لبنت حمزة
تاركا ابنته ومولاه ابنة حمزة - أعطى الابنة نصف مال المتوفى والنصف الآخر أعطاه
لبنت حمزة ، وهذا يدل على توريث النبي ﷺ للمعتق من العتيق ، ولكن الواقع أن هذه
الرواية مضطربة الإسناد كل الاضطراب ، والاحكام الشرعية لا تثبت بروايات فيها مثل
هذا الاضطراب ^(٢) .

١٢ - وعلى خلاف رأى الجمهور وجد رأى آخر ، هو رأى (الإباضية) ^(٣) ،
يقول : إن ثبوت الإرث لا يكون إلا بدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، وليس
في حالتنا هذه شيء من ذلك ، لأن أسباب الإرث الثابتة في الكتاب والسنة هي القرابة
والزوجة ، وأما عن الإجماع ، فإنه يروى أن قد مات مولى لابن عمر ، لجيء إليه بما ترك
فرفض أخذه قائلا : لو كان لى لأخذته ، كما أنه يروى أن مولى لرسول الله ﷺ مات ،
فدعى النبي من حضر من أهل أرضه ، وأعطاه مال الرجل ، ولم يدع لنفسه إرثه
بسبب الولاء ^(٤) .

١٣ - والواقع أنه لا مجال للرأى بعد أن نص قانون الميراث على هذا الولاء واعتباره

[١] انظر . أحمد إبراهيم - السالف - ص ٣٢ - ويلاحظ أن بعض الفقهاء يرون التوارث بين
المعتق والعتيق . بيد أن الجمهور لم يميزوا ذلك .

[٢] انظر : أحمد إبراهيم - السالف - ص ٣٣ - على أن بعض الفقهاء حاول الجمع بين مختلف
الروايات في هذا الشأن [نيل الأوطار] ولكن هذا لا يثنى ما ذكر في المتن

[٣] هم أتباع عبد الله بن إباض التميمي ، وهم فرقة من الخوارج ، يشيرون عن سواهم من فرق
الخوارج بأنهم لم ينلوا في الحكم على مخالفيهم ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة ظروف نشأتهم
إذ أن صاحبهم السالف الذكر لم يخرج إلا في أيام مروان بن محمد بعد أن قضى الأمويون على الخوارج
أو كادوا وبعد أن تحول نضال الأحزاب بعد تأسيسهم حول الحكم إلى مذاهب علمية بحتة - انظر : دكتور
حسن إبراهيم حسن في [تاريخ الاسلام السياسي] - ١ - سنة ١٩٣٥ م ص ٤٦٩ ، وما مشها - هذا ولاعتدال
هذه الفرقة بقي منها ناس إلى اليوم ، انظر : محمد أبو زهرة في [أحكام التركات والموارث] عاشر ص ٩٢

[٤] انظر : شرح النبيل (من كتب الإباضية) ونيل الأوطار [للتوكانى] - وأحد إبراهيم -

سبياً للتوريث ، وقد أخره عن توريث ذوى الأرحام وعن الرد على الزوجين ، وهو في ذلك يعمل بمذهب الإباضية إذا كان ذوو أرحام أو أصحاب فروض ، ويأخذ برأى الجمهور حين لا يكون أحد من الأقارب قط ؛ إذ يقرر هذا الجمهور أن التوريث الثابت بالولاء على أنه عصبية سببية يعقب ذلك المتعلق بالعصبية النسبية ، ويسبق الرد على جميع أصحاب الفروض وكذلك ذوى الأرحام ^(١) .

١٤ — غير أنه بالرغم من هذا الاهتمام الذى أبداه المشرع المصرى بمسألة مولى العتاقة وتوريثه من عتيقه ، ونصه على ذلك فى المادة السابعة من قانون الميراث ، وإيراده مادتين خاصتين بأحكام توريثه (م ٣٩ ، ٤٠) والتعب الذى لاقاه فى سبيل ترجيح رأى الجمهور ، يضيق نطاق تطبيق ما جاء به فى هذا الشأن كل الضيق ؛ وذلك نظراً لأن الرق قد انتهى كما أسلفت منذ زمن بعيد ، ويعد من الجرائم المعاقب عليها من عشرات السنين ^(٢) .

١٥ — ويلاحظ بعد هذا أن الحجة العملية المعقولة التى يمكن تسليمها فى شأن توريث المولى الذى أعتق من عتيقه هى التى تقول بأن تقرير ذلك التوريث إنما يشجع على العتق ؛ لأن المعتق يقدم على الإعتاق إذا علم أن علاقته بعتيقه سوف لا تنقطع وأنه سيكون وارثه فيما يخلفه من مال بعد موته ^(٣) ، بيد أنها حجة لا مجال للأخذ بها هنا فى قانون الميراث ؛

[١] انظر محمد أبو زهرة - فى السالف - ص ٢٣٦ - وقد بين القانون أحكام الارث بالعصوبة السببية فى الباب السادس - راجع نص المادتين ٣٩ - ٤٠ وتطبيق للذكره الايضاحية علم الى - [مجموعة القوانين] - السالف - ص ١٥٥ .

[٢] الظاهر أن اعتبار المشرع المصرى لولاء العتاقة سبباً للارث يرجع إلى وجود فئة [الأغوات] وهم شريحة من العتقاء عاشوا فى النصوص الملكية المندثرة ، ويمكن التطبيق على ذلك بأن نظام هؤلاء النعم نظام خاص ، واهتمام المشرع بإدراج هذه النصوص فى قانون الميراث خاصة بتوريث المولى منهم وضع متتبع لاعتبارات لا تخفى على قاص ، ولئن صح أن هذه الفئة من المخلوقات هى التى ينطبق عليها وحدها قانون الميراث فى شأن مولى العتاقة باعتبار أنها من العتقاء الذين يرثهم مواليتهم إذا ماتوا من غير واث إذا صح ذلك - وفى علمى أنها الفئة الوحيدة فى هذا الصدد - فإنه يمكن تصور مبلغ الضيق فى نطاق تطبيق قواعد الارث فيما يتعلق بولاء العتاقة ، ولئن صح هذا كذلك فلا محل لأعمال هذه القواعد بعد انقلاب الحكم فى مصر وزوال الملكية وقيام الجمهورية . . .

(٣) انظر : محمد أبو زهرة - فى السالف - ص ٢٤٢ .

إذ كيف تندب العتق بتقرير توريث مولى العتاقة ، وأساس العتق الذي هو الرق ملغى

لا وجود له (١) ١٤

أحمد طه السوسي

(١) يلاحظ أن ولاء العتاقة هو أحد نوعين للولاء ، يعرف ثانيهما بولاء للوالاة ولم يتعرض له المشرع ، وهو عبارة عن عقد بين عربي وأعجمي أسلم مثلاً بمقتضاء يلتزم العربي دفع الفدية عن الأعجمي إذا أجرم هذا الأخير ، ويرثه إذا توفى وليس له وارث قط ، ومن المفيد بيان التفرقة بين الولاءين من الوجهة القانونية والمالية ، وهذه التفرقة تتلخص في ثلاثة أمور :

الأول : أنه في ولاء العتاقة يرث الأعلى وهو مولى للعتاقة من الأسفل وهو العتق دون العكس ، على حين أنه في ولاء للوالاة يكون التوريث على مقتضى الاتفاق بين الطرفين ، وبناءً على ذلك أن ولاء العتاقة إنما سبب التوريث فيه الاعتناق وهو يوجد من الأعلى في حق الأسفل دون العكس ، بينما السبب في ولاء للوالاة هو العقد والشرط ، والحكم يثبت على الوجه الذي يوجد عليه الشرط والعقد .

والثاني : أن ولاء العتق لا يحتمل النقص والفسخ على حين يحتمل ولاء للوالاة ذلك ، وعلة هذا مفهومة ، وهي أن سبب الأول وهو الاعتناق لا يحتمل النقص بعد ثبوته ، والمعروف أن ثبوت الحكم يكون على وفق السبب ، وهذا على خلاف الحال في ولاء للوالاة ، إذ السبب فيه الإيجاب بطريق التبرع وهو يحتمل النقص ، وتظهر القدرة على الفسخ في التفرقة بين الحال بعد العقل وقبله ، وتنضج في حالات أولها : أن الموجب يتفرد بالفسخ ما لم يتقل عن الطرف الآخر ، ولما لا يتفرد به بعد ما عقل عنه جنائته ، والسبب في ذلك أنه قبل عقل الجنائية العقد تبرع بالنسبة له ، والمتبرع له الفسخ قبل حصول المقصود بفرض رضا الطرف الآخر ، على عكس الحال إذا تحمل عنه جريرته ، فالمعقد هنا يصير معاوضة ، ولا يحدث الفسخ في المعاوضة من جانب واحد بل لابد من رضا الطرفين . وثانيهما : أن الواجب ما دام يملك فسخ العقد قبل العقل ، فهو يملك التحول بولاية إلى سواء ، وذلك بأن يتماقد مع غيره معاوضة ولاء ، فيفسخ العقد عندئذ بينه وبين المتماقد الأول بذلك العقد اللاحق ، أما إذا عقل الجنائية ، فهو لا يملك مثل هذا التحول ، وثالثها : أن من لم يوال أحدًا لا يستطيع أن يفقد عقد موالاته مع أحد ، في حالة ما إذا حنى وعقل بيت المال جنائته ، وذلك لأن ولاءه صار لبيت المال ، وتأكد هذا بعقل الجنائية : فلا يستطيع من بعد إبطال هذا الولاء ، وهذا على خلاف الحال قبل عقل بيت المال جنائية الجنائي ، إذ يستطيع عقد الولاء مع آخر باتفاقه معه .

والثالث : أن مولى العتاقة مقدم في [المذهب الحنفي] على ذوى الأرحام ، على حين أن مولى للوالاة مؤخر عنهم ، والسبب في ذلك ثبوت العصوبة لمولى العتاقة بالمشرع ، أما في حالة ولاء للوالاة ، فالمرتبة هي التي أوجب صلة التوريث بالمعقد ، وعلى هذا يكون بمنزلة الوصية بجميع المال ، وهي ممتعة هنا لحق ذوى الأرحام وحق المصبات ، وشأنها في ذلك شأن الميراث ، وعلى هذا لا ينال مولى للوالاة شيئاً إن كان ثمة أحد من ذوى الأرحام . انظر في هذا : شمس الدين السرخسي - السالف - ج ٣ ص ٤٥ .

انتكاس الإنسانية والحضارة

بانتصار شارل مارتل على "عبد الرحمن الغافقي"

في معركة تور Tours يوم السبت ٨ شعبان سنة ١١٤ (أكتوبر ٧٣٢)

في افتتاحية هذا الجزء من (مجلة الأزهر) إشارة إلى قبس النور الذي سطع من فسطاط مصر قبل مجيء في آفاق الأندلس، وكادت تستضيء به فرنسا وأوروبا فتكون العربية لغة فرنسا الآن، ويكون نظام الإسلام العادل الرحيم هو نظام الأوروبيين والأمريكيين جميعاً، لولا خدعة من خدع (الاراجيف) صدرت عن جواسيس شارل مارتل فجازت على الأبطال المجاهدين تحت ألوية الأمير القائد المجاهد عبد الرحمن الغافقي، فتغير بذلك انجاء التاريخ، وتحولت به زعامة التمدن من ذات اليمين إلى ذات الشمال، فكان ذلك نكبة على الإنسانية والحضارة.

وقد شعرنا بعد مشول المقال الافتتاحي للطبع، أن هذا الموقف يحتاج إلى بيان تكمل به الفائدة من تلك الإشارة الحاطفة، فاخترنا نقل النصوص الأجنبية الآتية :

شهادة مسيو كلود فارير :

لما ترجم أحد أساتذة مدرسة اللغات الشرقية في باريس رواية (العباسة أخت الرشيد) لجرجي زيدان من العربية إلى الفرنسية طلب إلى أديب الفرنسية الأشهر مسيو (كلود فارير) أن يكتب لهذا الكتاب مقدمة، فلي طلبه، ومما جاء في تلك المقدمة ما يأتي :

« في سنة ٧٣٢ م (١١٤ هـ) حدثت فاجعة ربما كانت من أشأم الفجائع التي انقضت على الإنسانية في القرون الوسطى، وكان منها أن غمرت العالم الغربي — مدة سبعة قرون أو ثمانية إن لم نقل أكثر — في طبقة عميقة من التوحش لم تبدأ بالتبدد إلا على عهد النهضة (رونسانس) وكاد عهد الإصلاح يعيدها إلى كفافها. هذه (الفاجعة) هي التي أريد أن أمقت حتى ذكرها، وأعني بها الانتصار البغيض الذي ظفر به على مقربة من يوابه (١) أولئك البرابرة المحاربون من الأفرنج بقيادة الكارولنجي شارل مارتل على كتائب العرب

(١) بقعة من الأرض الفرنسية قريبة من بلدة (تور) في مقاطعة شباينا.

المسلمين الذين لم يحسن عبد الرحمن الغافقي جمعهم على ما ينبغي من الكثرة فانهزموا راجعين أدراجهم .

في ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدينة ثمانية قرون إلى الوراء . ويكفي المرء أن يطوف في حدائق الأندلس ، أو بين الآثار العربية التي لا تزال تأخذ بالابصار عما يبدو من عواصم السحر والخيال (إشبيلية ، وغرناطة ، وقرطبة ، وطليلطة) ليشاهد — والألم الغريب آخذ منه — ما عساه أن تكون بلادنا الفرنسية لو أنقذها الإسلام العمراني الفلسفي السلي المنساح . لأن الإسلام بمجموعة كل هذا — تخلصها من الأهاويل التي لا أسماء لها . وكان من ذلك أن تتج خراب غاليا القديمة التي استعبدتها أولا لصوص أوسترازيا ، ثم اقتطع جزءا منها قرصان النورمانديين ، ثم تجزأت ونزقت وغرقت في دماء ودمسوع ، وفرغت من الرجال بما انبعث في أرجائها من الدعوة للحروب الصليبية ، ثم اتفتحت بالاشلاء والجثث بما دهمها من الحروب الخارجية والأهلية الكثيرة العدد .

حدث ذلك في حين كان العالم الإسلامي — من نهر الوادي الكبير في أوروبا إلى نهر السند في قلب آسيا — يزدهر كل الازدهار في ظل الإسلام ، تحت أعلام أربع دول سعيدة : الأموية ، فالعباسية ، والسلاجقية ، فالعثمانية .

ليس ما أكتبه فصلا من التاريخ الرسمي ^(١) ، بل هو التاريخ الحقيقي الذي يتعلمه المرء بنفسه ، مما يجتازه من بحار ، ويقطعه من فياف وآفاق ، ويقبله من خزائن الكتب الأجنبية . وليس هذا بعزير على حياة سائح يريد أن يفضح — عقب رحلة له — ما كان يلبسه بأطراف بناته من تلك الأكاذيب الكبرى السفهة التي أراد معلنونا — ولا يزالون يريدون — وضعها أمام أعيننا كأنها حقيقة ، بل هي الحقيقة

إن هذه الشهادة من أديب فرنسا الأكبر مسيو كلود فابرير للحضارة الإسلامية تنادي بأنه كان من الخير لفرنسا لو انتصر عبد الرحمن الغافقي على شارل مارتل ، ليمكون نصيب

(١) وما أكذب التاريخ الرسمي ، لأن الأقوياء يملونه على للناقيين وللغرضين والكذبة بوسيلتي الترغيب والترهيب . ثم يحتاج إلى تصحيح ، كما شعرنا الآن بالحاجة إلى تصحيح تاريخ الأسرة العلوية بمصر ، وكما يشعر علماء المسلمين بالحاجة إلى تصحيح تاريخ الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، وكما يعلن كلود فابرير حاجة أوروبا إلى تصحيح تاريخها الرسمي الذي يشتمك به . [المجلة]

الفرنسيين في لغتهم وثقافتهم كنصيب أهالي قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة ، يوم كان العرب المسلمون يقيمون فيهن معالم الحق والحضارة والحكمة والعمران .

شهادة هنرى دى شامبون :

والإليك شهادة ثانية من فرنسى آخر هو المسيو هنرى دى شامبون مدير مجلة (ريفو پارلمنتير) قال :

« لولا انتصار جيش (شارل مارتل) الهمجى على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ، ولما كابدت المذابح الالهية الناشئة عن التعصب الدينى والمذهبي . ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب لنجت إسبانيا من وصمة حاكم التفتيش ، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون .

إننا مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا : في العلم ، والفن ، والصناعة . مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة في الفضائل . وحسبها أنها مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية . وإذ لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى . »

وصف تاريخى للمعركة :

وكأنى بك بعد هذا وذاك تريد أن تعرف شيئاً عن تلك المعركة التى تغير بها سير التاريخ ، وتسألنى : وكيف كان ذلك ؟ فأحييك — في تفصيل ما سألت — على الاستاذ حنا خباز من أدباء الشام و«ورخيها» ، قال :

« نشأت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة بالحجاز ، وأتمت إخضاع العرب في حياة منشئها العظيم ، ومن ثم شرعت في نشر سطوتها في العالم .

وليس في تاريخ العالم أغرب من سرعة انتشار الدعوة الإسلامية في سنين قلائل : في سوريا ، والعراق ، وكردستان ، وأرمينيا ، وقوقاسيا ، والعجم ، والتار ، ومصر ، وطرابلس الغرب ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش . ولم تقف عند هذا الحد ، بل تخطته إلى ما هو أبعد مكاناً وأعظم مغزى : فهاجمت أوروبا أولاً من ناحية قسطنطينية ، وإذا امتنعت

عليها دارت بها من ناحية إسبانيا ، ودخلتها عن طريق جبل طارق ، ومساعدتها الاقدار على استعمار إسبانيا وسمتها الأندلس .

ولست أرى هنا إلى شرح تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس ، ولا إلى إيراد فتوحاتها المجيدة في بلاد الفندال والفريقوت ، بل أقول : إنها امتدت شمالا إلى جبال بيرنيه وعبرتها إلى فرنسا . وشنت الغارة على فرنسا بقيادة (عبد الرحمن بن عبد الله العافقي) سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) ، وكان هذا قائداً خبيراً بفنون القتال ، دمك الأخلاق ، محبوباً من جميع جنوده . فاجتاح (غسقونيا) وكل (وادي غارون) ، وقهر السكونت (إيدو) وهزمه ، وكانت على نهر غارون مذبحه هائلة نشرت الرعب في قلوب جميع سكان أوروبا . ثم تقدم عبد الرحمن بجيشه اللجب إلى (وادي اللوار) ولم يقف في سبيله حاجز حتى وصل نواحي مدينة (تور) وهو يفتح ويغنم ويحرق .

(ميدان المعركة) : في رحاب شيبانيا الشاسعة — بين پراتيه وتور — المؤلفة من مروج خصبة وافرة المرعى غنية الحاصلات ، تنساب فيها جداول الشار والكروز والفيان والسكلين والأندر ، وكل هذه الجداول فروع من نهر لوار العظيم . وترقط تلك الرحاب هضبات وأنشاز امتازت بنضارتها وجناتها ، تخترق بهض أقسامها حراج وغابات تفصل بين مروجها الخضراء ، فهي جنات تجري من تحتها الأنهار ، وتفرّد على ميلاء أفنانها صادحات الأطيّار ، ويهب في غاباتها النسيم عليلاً ، وينساب لجين مائها على در حصبتها فراتا سلسيلاً . وقد ازدان تاريخ تلك الرحاب — أو تشوه — بأخبار معارك عديدة شبت فيها في مختلف الأزمان ، بين الغزاة الفاتحين والوطنيين المدافعين في مختلف الأمم والأحوال ، وأهم ماسطر في صفحات تاريخها أخبار المعركة الفاصلة بين (شارل مارتل) و (عبد الرحمن العافقي) أو بين العرب والجرمانيين ، بل بين الساميين والآريين ، بين آسيا وأوروبا ، بين الشرق والغرب .

هناك كانت نقطة التحول والانقلاب في مجار كثيرة هي : الفتح العربي ، الامتداد الإسلامي ، الطموح الشرقي ، النهضة الآسيوية . ومن ثم نكصت هذه المجارى راجعة من جوار باريس إلى ما وراء جبال بيرنيه ، ثم برحت أوروبا إلى العالم القديم ، فساد أوروبا التمدن المسيحي والامم الجرمانية .

(جيوش المعركة) : نشر الإسلام رواقه على شمال إفريقيا وغربي آسيا . وتعمق في هذه إلى ما وراء دجلة ، فاكتمح بلاد الفرس والتتار وما فيها من جبال ووهاد ، وأغوار وأبحار ، وبحيرات وأنهار ، ومدائن وأمصار ، وأم وأسابط ، فكان (جيش عبد الرحمن الغافقي) خليطاً من كل تلك الأمم من بدو وحضر وعرب وبربر ، وفيه من الفزيغوت والفندال من شعوب إسبانيا والبرتغال . واختلف المؤرخون في عدده بين ٨٠ ألفاً و ٧٠٠ ألف^(١) . وأثبت أحد مؤرخي الأجيال الوسطى خسارة العرب في معركة تور ٣٥٠ ألفاً . ولا سبيل لنا إلى تحقيق ذلك ، والأرجح أن فيه مبالغة كبيرة . على أننا إذا فحصنا الأمور بنور الحقائق تجلت لنا القواعد التي تؤيد أهمية المعركة ووفرة جنودها . قال أحد مؤرخي الأديار : « حل الإسلام إسبانيا بخيله ورجله ، وجاءها المسلمون بأبنائهم وأزواجهم ، وشكلوا الممالك ، ونشروا التمدن العربي والفنون الشرقية ، وحشدوا جيوشهم في تلك الأصقاع ، وجمعوا أسلحتهم وذخائرهم ، وعبروا بكل هذه الأشياء إلى فرنسا ، فاكتملت بها الأقدام ، وغمرتها الجحافل والأعلام » .

أما (جيش شارل مارتل) فكان فيه الجرمانيون ولا سيما التيوتون الذين سكنوا غرب نهر الرين ونبذوا عنهم عيشة البداوة الخشنة واعتنق بعضهم النصرانية ، ولكن أكثرهم ما زال إلى ذلك الحين على الجاهلية . وكان زعمائهم في نزاع مستديم على التفوق . وأخيراً قبض كلوفيس على أزمة الأمور سنة ٥٨٩ ، وهذا أساس الدولة الفرنسية ، ومن ذريته (شارل مارتل) بطل معركة تور ، وهو دوق الفرنج الأوستراسيين ، وهم أشجع الجرمانيين . وكانت تحت لوائه جموع كثيرة من الغالين والتورمنديين والسكسونيين والثورنجيين والغيرسانيين والبافارين والإيطاليين والأوستروغوثيين .

(أوصاف المعركة) : كتب العرب تاريخ هذه المعركة ، وترجم ذلك إلى اللغة الإسبانية الدون خوسيه أنطونيو كوندو في (تاريخ الممالك العربية في إسبانيا) وقد طبع هذا الكتاب في مدريد سنة ١٨٢٠ وعنه أخذ المؤلف الإنجليزي إدورد كريسي سنة ١٨٥١ في كتابه (١٥ معركة فاصلة) وهذه ترجمته :

[١] ويشقى سيوكلود فابر لو أن الجيش العربي كان أكبر من ذلك ليم له سحق جيش شارل مارتل ويستولى على فرنسا لتأخذ بثقافة العرب وحضارتهم وأديهم ويكون لها ما لهم وعليها ما عليهم .

«... بجمع الكونت جموعه ، وحارب وهو على غير يقين بالفوز . فساقهم عبد الرحمن أمامه ، وطاردهم جنوده بما في نفوسهم من الخاسة الناشئة عن انتصارانهم الماسية ونقمهم الثامة بالفوز . فضرب المسلمون أعداءهم ضربات حاطمة ، واجتازوا نهر غارون فدمروا البلاد ، وأخذوا الأسرى بدون عدد ولا إحصاء ، وسارت جيوش عبد الرحمن في عرض البلاد الفرنسية سير العواصف السكاكية لا تبقى ولا تذر . وتمادت الجيوش الإسلامية في الرخاء والغنائم ، ودفع عبدُ الرحمن الكونتَ عن ضفاف النهر فارتد إلى حصونه ، لخاربه المسلمون وقهروه وانزعوا منه حصونه وذبحوه بحمد السيف وفازوا بخطف الأرواح . فارتفعت قبائل الإفرنج من هول الجيوش العربية وارتجفوا ، وذهبوا إلى ملكهم (كالدوس) وقصوا عليه الروع الذي ألقاه فرسان المسلمين في نفوسهم ، وأنهم اجتاحتوا بلاد نريون وتولوز وبوردو وأصبحوا أحرارا في البلاد ، وأخبروه بموت الكونت قائدهم ، فطيب كالدوس قلوبهم ووعدهم بالجدّة .

وامتنطى كالدوس صهوة جواده سنة ٧٣٢ م (سنة ١١٤ هـ) وقاد جيشاً لا يحصى عددا ونزلوا لقتال المسلمين ، فأدركهم في نواحي مدينة تور العظيمة . ورأى عبد الرحمن وغيره من الزعماء انتقاض حبل النظام بين الجيود الإسلامية لاشتغالهم بالغنائم والأسلاب ، ولم يتجاسروا أن يفيظوم بشئ . ووثق عبد الرحمن ببسالة جنوده ، وبيمن الطالع الذي رافقه . ولكن انحطاط الروح الحربية في الجيش هو على الدوام آفة الآفات ، فهاجم عبد الرحمن وجيوشه مدينة تور ليغنموا الغنائم وحاربوها ببسالة قبلما أدركتها النجدة ، وكان صياح المجاهدين المسلمين كبراج الفجر لدى فرائضها . ولكن الله أهملهم لتوغلهم في الملاذ والاطماع الدنيوية ، فالتقى الجيشان قرب نهر (لوار) وهما مختلفان في اللغة والدين والصفة المدنية (وكان ذلك يوم الجمعة ٧ شعبان سنة ١١٤ - ٢ أكتوبر سنة ٧٣٢) . وبدأ عبد الرحمن وجنوده الحرب بقلوب ملؤها الغضب والكبر ، وهجمت فرسان المسلمين على صفوف الفرنج ثبتت هؤلاء لم تبات الإبطال ، وتكدست جثث القتلى إلى الجانبين ، وظلوا في كر وفر إلى غروب الشمس ، وفصل ظلام الليل بين الجيشين .

واستأنف المسلمون القتال عند ضوء الفجر ، واخترق فرسانهم طريقاً إلى قلب الجبهة النصرانية ، ولكن قلوب كثيرين من المسلمين كانت مشغولة بالغنائم التي جمعوها في خيامهم .

وذاع في صفوفهم نداء كاذب : إن الأعداء يفتونوا المحلة (أى ساحة خيام المعسكر) ونهبوها . فبادر بعض فرسانهم للدفاع عنها وطرد الأعداء ، فظن إخوانهم أنهم انهزموا من الميدان ، فاضطربت جيوش المسلمين . وفيما كان عبد الرحمن يهدهم ويسكن روعهم ليردوهم إلى الميدان ، أحاط به محاربو الفرنج واخترقت صدره حراهم غر صريعا ، فهرب جنوده أمام الأعداء ومات منهم خلق كثير .

ويقول المؤلف الإنجليزي كريسي (تعليقا على ما نقله دون خوسيه انطونيو كوندو الإسباني عن مؤرخي العرب) : ونذر أن نحمد إنصافا كهذا في تاريخ الحروب القديمة ، وصراحة كالصراحة التي يصف بها العرب انكسارهم في تور^(١) . ولكن مؤرخي النصارى يخالفونهم في بعض التفاصيل ، ولا خلاف بين الفريقين في نتيجة المعركة ، وهي انسحاب العرب من فرنسا إلى ما وراء جبال بيرنه ، فانفرد شارل مارتل ثم ابنه خلفه شارلمان بالحكم في فرنسا ، وهم ملوك الدولة الماروفنجية الشهيرة ، فتأسست على أنقاض معركة تور (الإمبراطورية الرومانية الغربية) ، ونوج البابا شارلمان إمبراطورا على فرنسا وألمانيا وإيطاليا سنة ٨٠٠ (١٨٤ هـ في زمن أمير المؤمنين هارون) وبذلك بدأ التمدن المسيحي .

(آراء كتاب أوروبا في معركة تور) :

من غرائب الأمور أن المعركة التي احتدم أوارها تحت سماء فرنسا قلما أعارها قدماء الكتاب الفرنسيين حقها من الاعتبار ، ولكن ما فاتهم لم يفت كتاب الإنجائز والألمان والعرب ، فوفوها حقها من الأهمية ، وكشف بعضهم صفاتها الفلسفية والاجتماعية . ولما أورد هنا أقوال بعضهم على مسئولية كتابها :

١ — قال (جبون) المؤرخ الإنجليزي الشهير : « إنها المعركة التي بها نجا آباؤنا البريطانيون وجيراننا الغاليون (أى الفرنسيون) من أبناء العرب والإسلام . » وقال

[١] المجلة - ونحن لا نرى أنه كان انكسارا ، فالفرنج خرجوا من المعركة خائري النوى وطاجرين من ثقب المهاجرين المسلمين ، وقد جاء ذلك عقب يأثمهم من النجاء لولا تلك الخدعة التي صرفت فرسان العرب إلى خيامهم المحافظة على ما فيها ، واعتقاد بعض الكتاب أن الذين انصرفوا المحافظة على للمعسكر قد انهزموا . أضف إلى ذلك وقوع البطل الأعظم الأمير عبد الرحمن بن عبد الله النافق شهيدا في ساحة الجهاد

في المجلد الثاني من تاريخه ص ٧ : « لو لم يصد ذلك الهجوم لكانت العربية تدرس اليوم في جامعات إنجلترا وألمانيا » .

٢ — وقال (شليف) في (تاريخ الفلسفة) ص ٣٢١ : « ذلك النصر العظيم الذي أحرزه شارل مارتل ، وبه نجا التمدن المسيحي في غربي أوروبا » .

٣ — وقال (ف . ل . برانك) في (تاريخ جرمانيا) المجلد الأول ص ٥ : « إن حادثة القرن الثامن هي من أهم حوادث التاريخ كافة ، وبها وقفت الدعوة الإسلامية في جانب والمسيحية في جانب ، وكانت غالبا (أى فرنسا) وإيطاليا بين نارين : العرب من الجنوب والجرمانيون الوثنيون من الشمال الشرقي . وقد قيص الفوز للتمدن المسيحي بيد الفتى الجرمانى الاصيل (شارل مارتل) الذى قاد البلاد إلى طريق النجاة » .

٤ — وقال (أرنولد) في (تاريخ الإمبراطورية الرومانية) المجلد الثاني ص ٣١٧ : « إن فوز شارل مارتل أعظم كثيرا من فوز أرمينوس ، وكانت له نتائج أرسخ في حياة الجنس البشرى » .

٥ — وقال (درابر) : « قد وصل طرف الهلال العربى الواحد إلى اليوسفور ، ووصل طرفه الثانى إلى إسبانيا ، وامتد إلى فرنسا ، وكان يهدد أوروبا بيلوغ البدر التمام فيمحو التمدن اللاتينى العتيد من الوجود ويغمر أوروبا » .

٦ — وقال (إدورد كريسى) : « كلما تذوقنا أهمية معركة تور زاد تقديرنا لأهميتها ، وبها نرى أنقاض الإمبراطورية الرومانية تتنازعها قوتان هما القبائل الجرمانية والجيوش العربية ، وكانت هاتان القوتان تتنازعان تراث أعظم إمبراطورية ظهرت في التاريخ . وأخيرا اشتبكت القوتان في تور . وقد وصف المؤرخ (جيون) الإنجليزي المعركة كوصف (هوميروس) معارك طروادة » .

كلمة شاعر مسيحي :

وأخيرا بعد هذه الإلمامة بتاريخ الواقعة كما دونها الأستاذ حنا خباز ، نورد القطعة الشعرية التالية بقلم شاعر من أبلغ مسيحي لبنان وهو الأستاذ شبل ملاط ، لما فيها من الروح العربية العالية ، قال :

{ ١ } المجلة - العربية تدرس اليوم في جامعات إنجلترا وألمانيا ، ولم يرد (جيون) مجرد تدريسها ، وإنما أراد أن العربية كانت تكون لغة التدريس في جامعات أوروبا ، ولغة الحديث والتأليف والنصر في أوروبا كلها ، لو أن عبد الرحمن بن عبد الله النافق بق يومئذ حيا إلى أن يكسب المعركة ويسيطر نفوذ الفحل العربى على أوروبا .

من الزمان بمثل فضل محمد
رفع الرسول عماد أمة يعرب
غشت الفتوح وصفقت راياتها
وتغلغل في الغرب طائفة على
لولا نجلد شرل مرتل خيمت
ولسكان صار الغرب أندلساً به
حى الجزيرة فى مسارحها وما
واسع فديتك نبرة مضرية
واستشد القرآن قوماً جودوا
واقرا به فصحن اللغات مدله
أخذت قرش بحزها وبكت بها
لولا يد الإسلام لم تسلم بما
ولو ارعوى من صد عنها زاهداً
من لم يهن لغة الجود فليس من

وعدالة كعدالة الخطاب
وأعزها بالآل والأصحاب
فى الشرق فوق أباطح وهضاب
أكتاف صقر جارج وعقاب
فى قلبه بسراق وقباب
شوق يقول سواحراً وسواب
فى الريف من رى ومن إخصاب
عربية فى منطق خلاب
منه مآى فى النفوس عذاب
فى المشرقين بجوهر الأحساب
غرناطة فى رقعة وعناب
فيها من الأخلاق والآداب
متعللاً بعناكب الأسباب
قومية تنميه فى الانساب

كلمة للفيلسوف نيتمه :

ونختم هذا الفصل بكلمة إن لم يرد فيها ذكر معركة عبد الرحمن الغافقى وشاورتل مارتل
فقد ورد فيها ذكر الصدام الذى وقع بين حضارة الإسلام العربية الرحيمة ، وحضارة
الغرب المادية القائمة على الجشع المنظم ، والختل المسلح بالجهل ثم بالعلم والثقافة الواسعة .
وهذه الكلمة مما عربه الاستاذ سلامة موسى من كلام الفيلسوف الأشهر (نيتمه) ، وذلك
والعدد ٣ من مجلة (المستقبل) استتمها الأولى الصادر فى ٢٤ مايو سنة ١٩١٤ . قال الفيلسوف :
« لقد حرمتنا المسيحية من ميراث العبقريّة القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الإسلام .
لقد ديس بالآقدام تلك المدنية العظيمة ، مدنية الأندلس المغربية . ولماذا ؟ لانها نشأت
من أصول رفيعة ، ومن غرائز شريفة . نعم من غرائز رجال . إن تلك المدنية الإسلامية
لم تنسك الحياة ، بل أجابتها بالإيجاب ، وفتحت لها صدرها . ولقد قاتل الصليبيون تلك المدنية
بعد ذلك ، وكان أولى بهم أن يسجدوا لها على التراب ويعبدوها . وما مدينتا فى هذا القرن
التاسع عشر إلا فقيرة وانية بجانب مدنية الإسلام فى ذلك الوقت . »

طُفْيَانُ الاستعمار وخطر الشيوعية

ما نأخذ من نظم الغرب وما ندع

قالت جريدة القاهرة :

استقبل حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الحضر حسين شيخ الجامع الازهر صحفياً ألمانيا يمثل صحفاً ثمانية، وهو انو بونجرائش الذى قدم إلى مصر وسياسافر إلى سوريا ليوافق صحفه بمشاهداته في الافطار الإسلامية .

وقد سأل الصحفي فضيلته عن رحلته في ألمانيا فقال فضيلته : كانت هذه الرحلة في أيام الحرب الكبرى ، وكنت مع الاسرى الإفريقيين أتردد عليهم وأعود إلى برلين . وقد زرت ألمانيا مرتين : أولاهما استغرقت تسعة أشهر ، والثانية سبعة أشهر . ثم سأل الصحفي الاستاذ الاكبر عن أهم مشكلة في نظر المسلمين .

فقال فضيلته : إننا نعمل على التخلص من طُفْيَانِ الاستعمار على حقوق الاوطان الإسلامية والعربية .

وسأل : إذا كانت روسيا من الدول الاستعمارية فما هو خطرهما على العالم الإسلامى ؟ فأجاب فضيلته : إن الشيوعية نظام يخالف الإسلام ، والمبادئ الشيوعية يقف الإسلام في وجهها ، ولن تروج عندنا ، وللأزهر وعاظه في أنحاء القطر ومهمتهم نشر الفضائل الإسلامية ومقاومة التطرف في أى صورة من صوره ، ولن تروج الشيوعية إلا عند أفراد لا يتخذون منها مذهباً أو عقيدة ، وإنما يحملونها مغنماً مالياً .

وسأل الصحفي الالماني عن رأى الإسلام والمسلمين في طرق الحياة الغربية عامة . فأجاب شيخ الازهر : في نظم الغرب ما يوافق الإسلام . وهناك نظم وتقاليد يجرى عليها الغرب لا يقرها الإسلام . والذي يدعو إلى تقليد الغرب في كل شيء مغالط .

ونحن نخالف هؤلاء الدعاة فيما يخالف تقاليدنا الإسلامية ، مثل إعطاء المرأة الحرية المطلقة .

قال الصحفي : هل تقصد فضيلتكم أن تبقى المرأة على النظام القديم ؟ فأجاب : أعنى أنها لا تختلط بالرجال الأجانب عنها .

وسأل الصحفي الألماني : هل على المرأة أن تطيع زوجها ؟
فأجاب : عليها الطاعة فيما هو الحق والمصلحة . وقص فضيلته معنى ما روى عن عمر
ابن الخطاب : كنا معاشر قريش نغلب نساءنا ، بلجنا الانصار وهم قوم تغلبهم نساؤهم ،
فأخذ نساؤنا بأدب الانصار وكلمت زوجتي فراجعتني في القول فأنكرت عليا ، فقالت :
نساء النبي يراجعنه في القول .

فنحن نريد زوجة تطيع فيما هو حق ، ولها أن تراجع زوجها متى كان الحق في جانبها .
فلما قال الصحفي : ومن يحكم بين الزوجين في الخلاف ؟
أجابه الأستاذ الاكبر : المدار على خلق الزوج . وإذا كان الخلاف كبيراً فالمرجع
إلى القاضي ، مثل الخلافات المالية إذا عجز الأهل والأقارب عن حلها .
وهل يبيح الإسلام أن تشكو المرأة زوجها ؟
نعم ، لها أن تذهب إلى القاضي .

وانتقل الصحفي إلى أنه كان مع درية شفيق ، وأنها تحتج على رأى الأستاذ الاكبر
بالنسبة لتعدد الزوجات .

وهنا ابتسم فضيلة الأستاذ الاكبر وقال : تحتج على رأى الإسلام ؟ ... و .. الإسلام
أباح تعدد الزوجات ، وليس للزوج أن يتعدى ما حددته الشريعة .

لقد اشترطت الشريعة العدل والإنفاق ورخصت للقادر أن يتزوج من أربع ، وإذا
خشى عدم القدرة على الإنفاق كان عليه أن يقتصر على زوجة واحدة ، والحكمة في تعدد
الزوجات ظاهرة ، لأن الزوجة قد تكون مريضة وقد تكون عقيماً ، والزوج يريد
إنجاب الأولاد .

وكثيراً ما ترضى الزوجة أن تظل مع زوجها وتسمح له بالزواج من غيرها .
والرجل ممنوع شرعاً من مباشرة غير زوجته ، فإذا لم يبيح الإسلام له الزواج ربما
ضاعت عفته .

ولما قال الصحفي : إن التمدد يشاهد كثيراً بين أفراد الطبقة الفقيرة ؟

أجاب الأستاذ الأكبر بأن الإسلام اشترط العدل في الإنفاق والمبيت . . . (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) - والعرب كانوا يكثر من الزوجات ، لحارب الإسلام هذا الإكثار ونظمه وحده .

واستفسر الصحفي عن معنى (الرجال قوامون على النساء) - وهل يدل ذلك على أن طبقات الرجال أعلى من طبقات النساء ؟

فقال فضيلة الشيخ . إن عقول الرجال أوسع من عقول النساء ، وفي النساء من هن أرجح عقلاً . والقوامة للرجال من جهة المال والإنفاق على النساء ، والزوجة ذات المال غير مسئولة عن نفقتها ولا نفقة أولادها إلا إذا تبرعت بمساعدة الزوج أو الأولاد .

ومهمتها في البيت مهمة عظيمة ، والإسلام لا يمنعها من التعلم والثقيف ، على أن تباعد بينها وبين الاختلاط بالرجال الأجانب عنها .

والإسلام يرضى صالح المرأة ويحرص على كيان الأسرة لإنشاء المجتمع القوي في الحياة .

استفتاء لغوى

لفضيلة الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب أدام الله نفعه ، وأطال عمره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد - فإني عن نتائج قراءة مجلة الأزهر القيمة ، ولى شغف بتلك اللغويات التي يجبرها قلم الأستاذ المحدث محمد على النجار .

وقد أشكلت على كلمة أجدها كثيراً في الصحف ، وأسمها في الإذاعة ، ولم أجدها في القاموس المحيط ، ولا في الأساس ، ولا في مختار الصحاح . مما بين يدي من كتب اللغة ، وهي كلمة « بعثة » يقولون ذهبت بعثة مصرية إلى إيطاليا ، وجاءت « بعثات » أوربية فيجمعونها على « بعثات » ، ويريدون بها الجماعة المبعوثة ، والذي فهمته من كتب اللغة أن الجماعة المبعوثة يقال لها : « بعث » و « بعث » و « بعث » ، و « البعثة » للمرة ، يقال بعثته بعثة أى مرة ، فهل هذا التعبير الشائع صحيح ؟ هذا ما أردت السؤال عنه ، وأرجو من الأستاذ النجار التفضل بالجواب على صفحات المجلة المحبوبة ، وله منى الشكر ، ولكم مزيد التحية والاحترام .

أحمد نصيب المحاميد

١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٣

دمشق

جَدِّدْ نَفْسَكَ

جددتُ بالأسْ نفسى، وهى صافيةٌ وعدتُ أوقظُ فى دُنْيائِ أحلامي
ألمنى الشعرَ، فامتزتْ خمائلُهُ وفاضَ فى موكبِ الأَطْيَارِ إلهامي
والشعرُ يوقظُ أقواماً ويبيهمُ فكمْ بعثُ بهِ فى الشرقِ أقوامي

• • •

مشيتُ على (الفتح) أحداثٍ مؤرقةٍ وكنتُ أودعته سرى وآلامي
وعشتُ بغمري نورٌ، وبرفعي (أبو قصى) ... فكانتُ خيرَ أبيامي
إنا النقينا، وفى اللقا لنا عِبرُ فانسابَ شعري، وغشى فى الربا جامي
تلكَ والمحاريبُ، هزتها سواجمها فالروضُ ما بين حياضٍ وبساتم
وفى رحابِ الهدى جددتُ بيعتنا وصافحَ الليلَ ... هذا الشاعرُ الظامى

• • •

دعائمُ الحقِ أرساما هبائرةٌ وطهروا الروضَ من رُجسٍ وآثام
فموكبُ النيلِ يحمده ملانكةٌ والقومُ ما بين أطهارٍ وأعلام
بجددِ النفسِ : واباغِ ما نشاء بنا من المكارمِ ... قد جددتُ أنفامى

الزقازيق

صابر على رمضان الجوشقى

المعاهدات في الدول الإسلامية

حديث لفَضِيلَةِ السَّيِّدَةِ الْأَكْبَرِ

كتب مندوب ، الأهرام ، يقول :

أثر الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يستريح طيلة يوم أول أمس في منزله ، وقد رأيت أن أقضى في صحبته بعض الوقت ، وطاب له أن يترق مع زائريه مختلف الأحاديث في عديد من الشئون العامة الهامة . وقد رأيت أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لأقف على رأى الإسلام حيال : المعاهدات ، الدولية التي يبرمها الأقوياء مع الضعفاء ، وحيال المعاملة التي يصع أن يعامل بها المسلمون ضيوفهم من الأجانب ، الذين يقيمون بين ظهرائنا ، وقد تفضل فضيلته فاستهل حديثه بقوله :

العهود بين الدول :

لا شك أن العهود بين الدول في أزمات السلم والحرب هي مناط الثقة في الحضارة الإنسانية ، وعليها يتوقف الأمن الدولي العام ، والاستقرار الاقتصادي ، إذا قامت على أسس من العدل والإخلاص في الوفاء .

الدرس الخفي :

غير أن مما لا ينكره أحد أن أكبر العقول في كل دولة تتجه عند تدوين المعاهدات إلى الدرس الخفي . ليكون حجة في التأويل عند الحاجة إلى ادعاء ما لم يكن واضحاً منه في وقت التدوين . وإذا كانت المعاهدات والعقود الدولية بين قوى وضعيف ، أو بين غالب ومن قضت عليه الظروف أن يكون مغلوباً ، فقد لا يبالي القوى بأن يتحمل عناء التأويل . وإن الإنسانية لا تنسى في الحريين العالميتين تسمية الأقوياء للمعاهدات . بأنها قصاصات ورق ، ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا النوع من المعاهدات . وفي طليعتها صك الانتداب على فلسطين الذي تمهد فيه أصحابه تعهداً رسمياً صريحاً بعدم المساس بحقوق العرب ، وقد رأيت ما انتهى إليه ذلك الصك من الظلم الصارخ على أصحاب البلاد الذين سلبت منهم أوطانهم وأملأهم وحقوقهم سلباً وقذف بهم في العراء تحت الأمطار والعواصف .

المعاهدة الملقاة :

بل إن معاهدة سنة ١٩٣٦ التي فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال منصوص فيها على أنه لا يسمح للإنجليز بأن يكون لهم في منطقة القناة إلا عشرة آلاف جندي . وخلافاً لذلك التعهد ضاعفوا عدد تلك القوة إلى ثمانية أضعاف ما تعهدوا به ووقعوا عليه .

المثل العليا :

واستطرد فضيلته فقال :

إن المعاني الإنسانية العليا ، ومدلولات الحق والعدل ، هي آخر ما يخطر على البال عند الدول الحديثة عند ما يجلسون إلى الموائد الخضراء ليكتبوا صيغ المعاهدات ونصوصها أما الإسلام فقد كان في نصوصه وتطبيقها العملي دلائل قائمة على أن المعاني الإنسانية لها شأن كبير في اليهود التي يعقدها المسلمون مع غيرهم في حالتي السلم والحرب . وأظهر ما تمتاز به هذه العمود إذا صدرت عن المسلمين أن تكون صريحة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام . وكثيراً ما يراعى فيها المقابلة بالمثل بصرف النظر عن قوة أحد الطرفين وضعف الطرف الآخر .

الوفاء بالعهد :

ويرى فقهاء المسلمين أن المسلم إذا كان أسيراً في يد العدو وأطلقوه بشرط أن يبعث إليهم ما لا ، وإن عجز عن إحضار المال عاد إليهم ، لزمه الوفاء لهم عملاً بقول الله عز وجل : « وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم ، وقول نبيه ﷺ : « المسلمون على شروطهم » .

وفي منع الأمان للعدو من المعاني الإنسانية في الشرع الإسلامي ما لا يوجد في أي تشريع آخر قديم أو حديث . ومن المعقول أن يمنع الحاكم الأعلى أماناً للأعداء جميعاً ، ومن المعقول أيضاً أن يمنع قائد جيش أماناً للجيش المقابل له ، ولكن بما لا يعرف إلا في التشريع الإسلامي أن يصدر عن جندي عادي في جيش إسلامي لجندى من جنود العدو . أو لبضعة جنود ، أو لقافلة كاملة ، ثم يصبح الجيش الإسلامي كله ملزماً بقبول هذا الأمان والعمل به . إن هذا لا يعرف في تاريخ الأمم إلا عند المسلمين وفي تشريعهم ، وإلى هذا يشير الحديث النبوي « ويسمى بذمتهم أدناهم » وقد أمضى النبي ﷺ تأمين أم هانئ بنت أبي طالب لرجل من الأعداء وقال لها النبي ﷺ : « قد أجرتك يا أم هانئ » ، وهذا الخبر في صحيح البخاري .

ومن عجائب التشريع الإسلامى والمعاني الإنسانية العليا التى يرى إليها أن الجيش الإسلامى إذا كان محاصراً الحصن أو بلد ، وتقدم له من الحصن أو البلد من يتطوع بفتح الحصن فى مقابل إعطائه الأمان ، ثم بعد فتح الحصن اشتبه أمره واختلط بغيره ، كان على الجيش الإسلامى أن يمتنع عن قتل الجميع والتعرض لحريتهم . لأن القاعدة الشرعية أن المباح إذا اشتبه بالمحرم وجب تغليب التحريم ، وفى الحالات التى يترتب فيها على ذلك ضرر حربى عام يؤخذ من أهل الحصن أى واحد بالقرعة ويعطى الأمان الذى كان موعوداً به ذلك الشخص المتطوع بفتح الحصن . وفى كل الأحوال ينبغى للمسلمين إذا وعدوا بوعده أن يفوا بوعدهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

وفى مذهب المالكية أن الوعد إذا كان مسيئاً ووقع السبب وجب الوفاء به . أما إذا لم يكن مسيئاً فالوفاء به من مكارم الأخلاق .

وإذا تيفت للجيش الإسلامى قرائن واضحة على أن العدو المعاهد يريد خيانة العهد ، فلا يجوز للمسلمين المبادرة إلى تقض العهد السابق بينه وبينهم اعتماداً على تلك القرائن مهما كانت قوية بل يقبضون إليهم عديم علانية ، وهذا منتهى النبل فى آداب الحرب بين الأمم .
ما يجب على المسلمين نحو الأجانب :

إن المخالفين للمسلمين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : محاربين ، ومعاهدين ، وذميين . فالحاربون هم الذين حدثتلك بينهم أحكام الإسلام المتعلقة بهم . والمعاهدون تقوم ههودما معهم على أنبل الأسس الإنسانية ، وأقلها مراعاة قاعدة المعاملة بالمثل والذميون ضمن لهم الإسلام أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . وواجب على الحكومة الإسلامية حفظهم ، ومنع الغير من أذاهم . واستنقاذ من أسر منهم . والبلاد التى فتحها المسلمون فى زمن الصحابة كان فى إمكان الفاتحين أن يلغوا الأنظمة الدينية التى وجدوها فى البلاد ، ولكنهم لم يتعرضوا لها وأقرروا رؤساء الأديان على ما كانوا عليه ، بل أحسنوا معاملتهم أكثر مما كان يعاملهم به الحكام السابقون الذين كانوا من أهل دينهم ، وأباحوا من الشعائر والطقوس والأحكام مالا تبيحه الدول الأخرى غير الإسلامية حتى فى زماننا هذا . والمنصفون من المؤرخين وغيرهم يعترفون بهذه الحقائق ، ولا سيما عند المقارنة بين الأنظمة والتشريعات . وكلما كان المواطنون - على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم - أكثر إخلاصاً لأوطانهم ومواطنيهم كانت السعادة أشمل لهم جميعاً وعاشوا مع مواطنيهم فى تعاون وتراحم وتبادل للحقوق على أحسن الوجوه وأسعدها . وإلى هنا رأيت أن الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية فى وضوح ، فاستأذنت فضيلته فى نشر هذه الآراء الطيبة فأذن مشكوراً مقدوراً .

الترجمة العربية لكتاب إيساغوجي

إيساغوجي
لفرغوريوس الصوري ، نقل أبي غنيم الهمثقي
لدكتور أحمد فؤاد الأهواني
أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول
القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م

نشر هذا الكتاب الزميل المحترم ، وأراد من نشره له أن يكون عوناً على فهم كلام ابن سينا في مدخله في أول كتاب الشفاء ، لأن ابن سينا ، كما يقول : « لا ينفك يرجع إلى صاحب إيساغوجي ، آخذاً عنه تارة ، ناقداً إياه تارة أخرى ، قادحاً فيه وذاماً تارة ثالثة » وقد قدم الناشر لمكتابه بمقدمة ضافية من حياة فرغوريوس وفلسفته لا نريد أن نتعرض لها لأن الذي يهمنا هو نص إيساغوجي كما نشره الناشر ، وذلك لإبداء ما لنا من ملاحظات على ضبط النص ولا سيما أنه نص هام ، فهو كما يقول الناشر ، قد قصد به أن يكون معيناً على فهم كتاب المقولات لأرسطو ومدخله ، ولذلك كان ضبط النص المنشور لا يقل أهمية عن الغرض من نشره ، ومن جهة أخرى نريد من نقدنا هذا أن نصح عمل الأستاذ الزميل تحقيقاً للفائدة الكاملة من كل بحث يوضع في متناول المثقفين .

وقد اعتمد الزميل في نشرته على صورة شمسية مأخوذة عن النسخة الوحيدة العربية لكتاب الأورجانون ، وهذا الجزء من المخطوط العربي واضح إلى حد كبير وسهل القراءة .

أما ما نلاحظه بوجه عام ، فهو قلة تدقيق الناشر في ترقيم النص ، وسقوط كثير من الكلمات ، وسقوط جمل بأكملها أحياناً ، وذكر بعض الكلمات في الهامش على أنها في الأصل مخالفة لما هي عليه ، وكتابة كلمات على غير وجهها ، وقد أنشأ عن هذا كله تغيير في الصورة الدقيقة للفكرة أو تحريف في المعنى . وهذا كله وليد السرعة .

وستكون ملاحظتنا مقصورة على نص إيساغوجي فقط من الناحية الفنية ، تاركين

الشروح التي جعلها الناشر في آخر الكتاب - وكان يحسن أن تكون مع النصوص الخاصة بها - لأنه ترك كثيراً من الشروح ، وتاركين أيضاً الكثير من الملاحظات المتعلقة بطريقته في كتابة أسماء الأعلام باللغة العربية التي منها اسم فروريوس نفسه ، فالناشر يكتبه فروريوس مع أنه موجود في المخطوط في أكثر من موضع على الصورة الصحيحة التي تجعله أقرب إلى أداء نطقه باللغات الأخرى .

ص ٦٨ س ٣ - ٤ : نص الناشر : « يقال جففس لجماعة قوم لهم نسبة بوجه من الوجوه إلى واحد أو لبعضهم إلى بعض » . ويقول الناشر في الهامش ، إن عبارة : « أو لبعضهم ، يقابلها في الأصل : « ولبعضهم » وبدلاً من أن يتابع الأصل اختار تعديله وجعله : « أو لبعضهم . والنص الأصلي أصح ؛ ذلك لأن الجنس يطلق على جماعة ينتسبون إلى أصل واحد ، فينبه وبينه نسبة و بينهم نسبة لبعضهم لبعض ، وهي مستمدة من النسبة الأولى ، وكلمة : « أو ، ربما تفيد الانفصال بين النسبتين ، على حين أن النسبتين مرتبطتان ارتباطاً ضرورياً . والمقصود هو أن فكرة الجنس تتضمن النسبتين معاً .

وبمراجعة الترجمة الفرنسية والألمانية لإيساغوجي نجد في كل منهما حرف العطف البسيط الدال على الجمع بين المعطوفين والنسبتين ، وهو كلمة et و und .

ولا يبقى أي شك بعد مراجعة الأصل اليوناني ، حيث نجد حرف العطف لا يقبل الترجمة بحرف آخر .

ص ٧٠ س ٣ - ٤ : نص الناشر : « فالأجناس تخالف الأشياء التي تحمل على شيء واحد فقط بما توصف به من أنها تحمل على كثيرين » . والمعنى فاسد بسبب الخطأ في النقل عن الأصل المخطوط ، ففيه : « ... بما توصف به من أنها ... » ووجه صحة الأصل هو أن الأجناس تختلف عن الأشياء التي تطلق على شيء واحد بأنها تحمل على أشياء كثيرة ، وتتفق الترجمات الفرنسية والألمانية في ترجمة هذه الكلمة بما يعادل الترجمة العربية بلفظ « بما ، ويعادل الأصل اليوناني أيضاً .

ص ٧١ س ٧ - ٨ : نص الناشر : « فأما النوع فقد يقال على صورة كل واحد بمنزلة ما قيل : « أما أولاً فصورته مستحقة لذلك » .

وفي المخطوط الذي اعتمد عليه الناشر ، وهو الهواب أيضاً ، نجد الشرط الأخير من النص هكذا : « ... بمنزلة ما قيل : « أما أولاً فصورته مستحقة لذلك » .

ومن الغريب أن الناشر كما يدل عليه كلامه في الهامش قد رأى تعليق تريكو (Tricot) ، مترجم إيساغوجي إلى الفرنسية ، على هذه العبارة المنسوبة إلى أوريفيديس (أو : أوريفيدس بوجه أدق) . ويترجمها تريكو جاعلاً يدل كلمة الصورة كلمة بمعنى الجمال .

ويقول الناشر في الهامش : إن العبارة بيت شعر لأوريفيدس ، والصورة بمعنى الجمال ، وفي هامش المخطوط العربي : « فصورته أى نوعه ، وعلق تريكو (المترجم الفرنسى) على هذا النص بما يفيد هذا الرأى . ولا يمكن معرفة هذا الرأى الذى يقصده الناشر ؛ فإن كان يتعلق بأن الصورة بمعنى الجمال . فن المعلوم أن الكلمة اليونانية وهى المقابلة لكلمة الصورة تدل إلى جانب دلالتها على النوع المقابل للجنس فى المنطق ، على الصورة عند أرسطو وعلى المثال الأفلاطونى ، وتدلل أيضاً على صورة الخلقة ومظهر الإنسان وعلى الجمال والشمائل الإنسانية بوجه عام .

أما ما يقول الناشر عنه إنه موجود فى هامش المخطوط العربى فغير موجود فى الهامش وإنما توجد فى المتن فوق كلمة : فصورته . كلمة : أى نوعه ، وذلك على سبيل الشرح لكلمة صورة . أما الذى فى الهامش فهو هذه العبارة المفيدة التى لم يذكرها الناشر لا فى مكانها ولا فى التعليقات التى جمعها فى آخر كتابه ، وهى فى أعلى الأصل العربى إلى الشمال ، فهى : « هذا قاله بعض الشعراء فى أغائمن لما رآه ، ويقال إنه أودساوس ، ويقال إنه أوريفيدس » . أما التشرح الذى فرق كلمة « فصورته » ، فهو غير موفق فى هذا المعنى الذى تستعمل فيه كلمة صورة . لأنها بمعنى صورة الخلقة وإلا كان النوع كله مستحقاً لذلك ، وهذا مستحيل . فإذا كان تعليق تريكو المترجم الفرنسى خاصاً بدلالة الصورة على النوع فى هذا المفهوم فلا شك أنه تعليق خطأ أيضاً . وصاحب إيساغوجى يصرح بالمعنى فيقول : « صورة كل واحد » ، مما يؤكد قصده بوضوح .

س ٩ : يقول الناشر : إن عبارة : « وصفنا يقابلها فى الترجمة الفرنسية : وصفنا ، ولكن هذا غير صحيح لأن معنى العبارة الفرنسية هو : الجنس المذكور أو المبين أو ما أشبه ذلك ، وخصوصاً أن الكلام قد تقدم عن الجنس قبل ذلك .

ونجد فى الأصل اليونانى ما يمكن ترجمته بقولنا الجنس المذكور أو المتقدم ذكره . ص ٧٢ س ١ - ٤ : نص الناشر : « وقد يصفونه (أى النوع) أيضاً على هذه الجهة : النوع هو المحمول على كثيرين مختلفين بالعدد من طريق ما هو . ولكن هذه الصفة أيضاً هى لنوع الأنواع ، ولما هو نوع فقط » .

وفي المخطوط الاصل : . . . ولكن هذه الصفة إنما هي لنوع الانواع ولما هو نوع فقط . .

واستعمال كلمة «أيضا» ، بدلا من كلمة «إنما» ، أفسد المعنى ، خصوصا لأن الكلام التالي مباشرة يؤيد استعمال كلمة «إنما» وتدل الترجمات الاجنبية لإيساغوجي على صحة الاصل العربي المخطوط ، فليس فيها ما يقابل كلمة أيضا ، وليس في الاصل اليوناني ما يقابلها بل نجد في هذا الاصل كلمة تدل على التأكيد البسيط .

ص ٧٥ س ١٢ - ١٣ : نص الناصر : «فأما النوع فليس يحمل إلا على الجنس القريب منه ، ولا على الاجناس التي فوق ذلك الجنس ، لأنها لا تنعكس» . وفي المخطوط الاصل نجد النص هكذا : . . . فأما النوع فليس يحمل لاعلى الجنس القريب منه ولا على الاجناس التي فوق ذلك . ومن الواضح أنه بمراجعة المخطوط الاصل يزول التناقض الموجود في الكلام السابق واللاحق كما نشره الناصر .

ص ٧٦ س ١٤ - ١٧ : نص الباشر : «فالرجح إذن يحوى الأشخاص ، والجنس يحوى النوع ؛ لأن الجنس كل ما ، والشخص جزء ، والنوع كل وجزء ، غير أنه جزء لشيء آخر ، وليس هو كل لآخر ، لكنه كل في أجزاء ، ذلك أن الكل في الأجزاء» . وجاء في المخطوط الاصل ما يلي : «غير أنه جزء لشيء آخر ، وليس هو كل لآخر ، لكنه كل في آخر ، وذلك أن الكل في الأجزاء» .

والمعنى بحسب المخطوط الاصل أصبح وخال من التكرار الذي لا قيمة له ، وهو مطابق للاصل اليوناني ومتفق تمام الاتفاق مع الترجمتين الالمانية والفرنسية .

ص ٧٩ س ١٧ - ص ٨٠ س ١ : «وقد يحدث أن هذه الفصول ويقولون : إن الفصل هو الذي به يفضل النوع على الجنس . وذلك أن الإنسان له شيء يفضل به على الحي ، وهو الناطق والممات ؛ لأن الحي ليس هو واحداً من هذين ، وإلا فربما اقتنت الأنواع فصولاً ؟ ولا الفصول أيضاً المتقابلة بأجمعها له ، ولا صارت الفصول المتقابلة لشيء واحد بعينه معاً .»
والحتم في هذا النص في الشطر الأخير منه ، حيث قرأ كلمة «وإلا» ، على أنها : ولا .

وبذلك ضاعت معالم التقابل المنطقي في الكلام وأصبح كأنه بلا نتيجة فيجب تصحيح النص هكذا : «ولا الفصول أيضاً المتقابلة بأجمعها له ، وإلا صارت الفصول المتقابلة لشيء واحد بعينه معاً» . وربما كان يكون من الخير ولاجل مصلحة القارئ أن توضع الجملة المعترضة الاولى بين شرطين ، لكي يمكن إدراك تسلسل الفكرة .

ولما كان صاحب إيساغوجي يقول في هذا الموضع : إن النوع يفضل على الجنس ويقول بعد ذلك (ص ٨٦ س ٨) إن الجنس يفضل على النوع ، فقد كان من الخير التعليق على هذين الموضعين بما يسهل على القارئ الفهم ، ولا سيما أن نص الترجمات الأوربية لإيساغوجي ، سواء منها الفرنسية أو الألمانية ، يشتمل على ما يبين أن فضل النوع على الجنس من حيث المفهوم لأن معنى الإنسان مثلا أغنى مضمونا من معنى حيوان .

ص ٨٧ س ١٢ — ١٣ : هذا الجزء داخل في القطعة المخرومة من الأصل العربي ، وقد ترجمها الناشر عن الفرنسية . وهذه الترجمة ليست دقيقة تماما ، لكن المهم هو أن بعض أجزائها بعيد جدا عن التعبير عن معنى النص الفرنسى

نص الناشر : « وأيضا فإن الخاصة تحمل على الشيء الذى هى خاصة له ، فأما الجنس فلا ينعكس » .

وهذه العبارة تدخل ضمن بيان الاختلاف بين الجنس والخاصة : فالجنس يحمل على نواع كثيرة ، ولكن ليس بينه وبينها تبادل في الحمل . فلو قلنا مثلا إن الإنسان حيوان فإثنا لا نستطيع أن نقول : الحيوان إنسان ، وليس بينهما تلازم في الوجود ، فلا يتحتم إذا وجد الحيوان أن يوجد الإنسان ، أما الخاصة فهى تحمل على أشياء هى خاصة لها ، ثم إن بينها وبين ما تحمل عليه تبادلا تاما في الحمل وتلازما تاما في الوجود ؛ فلنستطيع أن نقول الإنسان ضحاك ، وأن نقول في نفس الوقت الضحاك إنسان . وإذا كان الإنسان موجودا فالضحاك موجود والعكس . والترجمة العربية الصحيحة للترجمة الفرنسية يفبغى أن تكون هكذا . « وأيضا فإن الخاصة تحمل في الحمل على ما هى خاصة له ، على حين أن الجنس لا ينعكس بته » .

ومن الواضح أن ترجمة الناشر لا تبين الفرق المقصود بيانه ، مع أن الكلام التالى يعين في الترجمة الصحيحة . وفي ترجمة فرنسية أخرى نجد العبارة تصير بالعربية هكذا : « وأيضا فإن الخاصة ذات حمل متبادل مع الشيء الذى هى خاصة له ، فأما الجنس فليس له هذا الحمل بته » .

والترجمة الألمانية أوضح وإذا نقلت إلى العربية تصير هكذا :

« والخاصة وما هى خاصة له يقال أحدهما على الآخر بالتبادل ؛ وليس الجنس كذلك » أما النص اليونانى فإن ترجمته هى : « والخاصة تبادل الحمل ما هى خاصة له ، أما الجنس فلا يبادل الحمل (= الخاصة تنعكس في الحمل على ما هى خاصة له . أما الجنس فلا ينعكس =) والخاصة متكافؤ في الحمل ما هى خاصة له ، أما الجنس فلا يكافؤ »

على أن في ثنايا النص العربي لإيساغوجي ما يدل على الفكرة تمام الدلالة .

فنجد (ص ٩١ س ٨ - ٩) : « فأما الخواص فإنها تكافؤ في الحمل الأشياء التي هي لها خواص ، من قبل أنها تنعكس عليها » ، (ص ٩٤ س ٣ - ٤) : « وذلك أن الخاصة قد تكافؤ في الحمل الشيء الذي توجد له » .

ونجد (ص ٩٢ س ٨) : « ويم النوع والخاصة أن أحدهما يكافؤ الآخر في الحمل ، وذلك أن الإنسان إذا كان موجوداً ، فالضاحك موجود ، والضحك إذا كان موجوداً فالإنسان موجود .

وليس من شك في أنه يمكن مع العناية بتتبع نص إيساغوجي أن يترجم الجزء المخروم ترجمة دقيقة من حيث المعنى وحتى من حيث اللفاظ ، فلا تكاد توجد في إيساغوجي عبارة أو فكرة إلا تكررت .

ص ٩١ س ١٣ : نص الناشر : « ويم الفصل والأعراض غير المفارقة أنهما يوجدان فيه دائماً ، وجميعه » . والمعنى مبثوث لأن الأصل المخطوط هو هذا :

« ويم الفصل والأعراض غير المفارقة أنهما يوجدان لما يوجدان فيه دائماً وجميعه » .

ص ٩٤ س ٣ - ٤ : نص الناشر : « ... فليس (السواد) يوجد للزنجي وحده ، بل قد يوجد أيضاً للفراب ، والفحمة ، والابنوس ، والأشياء غير متفesse » ، والنص في المخطوط هكذا أيضاً .

غير أن عبارة « غير متفesse » تستلقت النظر ، لأن الكلام عن السواد ، باعتباره عرضاً غير مفارق بالنسبة للزنجي ، يوجد لأشياء أخرى ، فما معنى ذكر الأشياء غير المتفesse في سياق عام لأشياء ليس لها حدود .

وقد تبين بمراجعة الترجمة الفرنسية لأكثر من مترجم ، ومراجعة الترجمة الألمانية ، أن الذي يقابل عبارة « غير متفesse » هو ما معناه : أشياء أخرى . ولا شك أن كلمة : « غير متفesse العربية تحريف عن كلمة : « غير متعينة » ، وبهذا يتفق النص العربي لإيساغوجي مع الترجمات الأخرى اتفاقاً أقرب .

وفي الأصل اليوناني نجد في هذا الموضع ما يفيد « ولأشياء أخرى غير معينة » ، وإذا نظرنا في كلمة الأصل اليوناني في هذا الموضع تبين لنا أن الترجمة العربية لإيساغوجي قد بلغت منتهى الدقة .

وتم ملاحظات أخرى أقل شأنًا عما تقدم وهي تتصل بكلمات أو جمل سقطت من الناصر ، أو كلمات حُرِفَتْ أو زِيدَتْ . وكانت الدقة نحتم النقل عن المخطوط كما هو (١) .

هذه أهم ملاحظتنا على نص إيساغوجي كما نشره الزميل . وإنما أحببنا أن نكتب هذا النقد ليستفيد به من يقرأ إيساغوجي .

وتركنا أخطاء قليلة الأهمية كما تركنا أخطاء أخرى كثيرة في ضبط الشروح التي انتزَعها الناصر من مكانها وجعلها في آخر الكتاب بميدة عن موضعها الذي يمكن من الاستفادة منها فيما هي شرح له .

ولا يمكن أن يستفيد أحد الفائدة الحقيقية من نشر الزميل لإيساغوجي إلا بعد تصحيحها على الفشرة القيمة الصحيحة التي أكمل بها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي المجلد الثالث من منطق أرسطو ، مزوداً بالشروح والتعليقات راجعاً في تحقيق الترجمة العربية العتيقة إلى الأصل اليوناني .

ولولا أننا أردنا أن نحقق بعض المواضع في نشر الزميل الأستاذ الأهواني بالرجوع إلى المخطوط الذي اعتمد عليه وبالرجوع إلى الترجمات المختلفة لكان في الإحالة على نشر الأستاذ بدوي ما يغني عن كل ما قلناه .

وبعد فإننا نرجو أن نكون قد حفلنا بجهود زميلنا الأستاذ الأهواني على النحو الذي يرضى الباحث عن الحقيقة ويحقق الخير للقراء .

الدكتور

محمد عبد الرهادي أبو ريرة

(١) المجلد - وقد أورد الكاتب كثيراً من هذه التصويبات ، ولأنها لا ينتفع بها إلا من عنده نسخة من الكتاب اقتصرنا على نشر ما تقدم . وقد أطلع الدكتور أحمد فؤاد الأهواني على ملاحظات زميله فكتب إلينا الفصل الآتي .

في أصول النشر

اطلعت على التصويبات التي ذكرها الزميل الدكتور عبد الهادي أبو ريدة لكتاب «إيساغوجي» لفرغوريوس الصوري، نقل أبي عثمان الدمشقي، وإني أشكر له عنايه في تعقب النص والرجوع إلى الأصل المخطوط.

غير أن معظم تصويباته ترجع إلى اتخاذ أصولا للنشر تختلف عن الأصول التي نعتمد عليها. ذلك أن «إيساغوجي» مترجم عن السريانية، لا عن اليونانية، كما يتضح من تعليقات الحسن بن سوار الذي يشير إلى النقول السريانية الموجودة في زمانه. والنص السرياني مفقود، وبذلك تنعذر الموازنة بين الترجمة العربية وبين النقل السرياني. ولهذا السبب كنت أرجع إلى الأصل اليوناني في ترجمته الفرنسية على سبيل الاستئناس، لأعلى سبيل تقويم النص العربي، لأن تغييره يعد تغييراً في النص لا تملكه. وقد نهت إلى بعض هذه الاختلافات في الهامش، وأبقيت النص العربي على حاله. ولكن الدكتور أبو ريدة يذهب مذمباً آخر هو الاعتماد على النص اليوناني، مما يخرج نشر المخطوط العربي عن حاله.

مثال ذلك لفظة «وصفنا» ص ٧١ التي وردت في هذه العبارة «وقد يقال نوع أيضاً للرتب تحت الجنس الذي وصفنا». وهي في الأصل اليوناني والترجمة الفرنسية عنه «وصفنا» وكنت أستطيع تغيير النص العربي، ولكنني لم أقبل حفظاً للأصل، ولأن الناقل العربي، وهو أبو عثمان الدمشقي، جرى على استعمال لفظة الوصف دون الوضع خلال الكتاب بأسره. وسبب ثالث هو انتلاف لفظة الوصف مع اللسان العربي، هذا إلى أنها تفيد المعنى ولا تبعده عنه كثيراً. يضاف إلى ذلك أن الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي امتدح نشرته، أبقاهما كما هي ولم يعلق عليها.

ومثال آخر جره إليه تمسكه بالأصل اليوناني، هو قراءة لفظة «متنفسه» هكذا «متينة»، وهي في المخطوط كما قرأتها، وكذلك قرأها الدكتور عبد الرحمن بدوي، وهي

تستقيم مع السياق العربى إذ العبارة كما يأتى «... السواد» ، فليس يوجد للزنجى وحده ، بل قد يوجد أيضاً للغراب ، والمحمة ، والابنوس ، ولاشياء غير متنفسة ، . فالمقصود بالاشياء غير المتنفسة هى كالفحمة والابنوس ، وغير متعينة ، التى يقترح زميلنا الدكتور أبو ريذة قراءتها لا تستقيم فى اللسان العربى ولو أراد الناقل هذا المعنى لقال «وما أشبه» .

وما دنا بصدد الحديث عن الترجمة ، وذلك فيما يختص بالصفحة المفقودة من الاصل العربى والتى نقلتها ، فإنى أخالف الدكتور أبو ريذة فى الترجمة التى يقترحها لهذه العبارة . وأيضاً فإن الخاصة تحمل على الشيء الذى هى خاصة له ، فأما الجنس فلا ينعكس ، . ذلك أن اقتراحه «تبادل الحمل» اقتراح لا يمكن أن يؤخذ به ، إذ ينبغى أن نلتزم روح المترجم العربى الذى جرى عليه ، ولم نسمع أن منطقة العرب قالوا بتبادل الحمل .

وقد تعجب الدكتور أبو ريذة من رسم «فرقربوس» هكذا بدون الواو التى تفصل بين الفاء والراء ، كما جاء فى المخطوط . وقد فعلت ذلك عن قصد ، سواء فى المقدمة التى كتبتها عن حياة فرقربوس ، أو فى المخطوط ، وذلك لأن المنطقة فيما بعد تخففوا من الواو لأن الضمة تسكفى بدلا عنها . أما قوله إن هذا الرسم أقرب إلى اليونانية ، فأقرب منه إذا شاء التزام اللغة اليونانية أن يرسمها بفرقربوس ، فالفاء الاولى ليست فاء ، ولسكتها باء ثقيلة ، استغفلها العرب فنطقوها من الشفة فاه .

وهناك أصول أخرى تختص بقراءة النص المخطوط . ويرجع هذا الاصل إلى طريقة الكتابة فى العصور المختلفة . فلكل نوع من الخط قاعدة وطريقة ، ولكل تاسخ أسلوب ولوازم . ومن جملة تلك اللوازم كتابة «واو» العطف فى أول الكلمة بحيث تشبك مع الكلمة نفسها ، والواو تشبه فى كثير من الاحيان حرف الفاء ، ولذلك تشبه القراءتان ويرجحهما المعنى والسياق . وقد جرى الدكتور أبو ريذة على قراءة الواو التى أقرؤها فاه ، وعلى قراءة الفاء واوآ ، فإذا أثبت «وكا» قرأها «فكبا» وهكذا . وهذا ذوق فى القراءة أعتقد أنه لا يأتى إلا من معاناة الفشر والاطلاع على أساليب النساخ . وهذه التغييرات لا قيمة لها . ومن هذا القبيل أن قدماء النساخ ما كانوا ينقطون الحروف بل يتركونها معجمة ، وكذلك لا يضعون شرطة الكاف بحيث تلتبس مع اللام ، ومن

أجل ذلك يتحير الناشر في قراءة ، كذلك ، أهي ، لذلك ، والتصويبات التي من هذا القبيل ترجع إلى اللبس المذكور ، وهي لا تغير المعنى كثيراً ، إذ في بعض الأحيان لا تكون ، لذلك ، نتيجة عن مقدمات ويستوى معها استهال ، كذلك ، .

وننتقل إلى قراءات يرجعها المعنى ، من ذلك ما ذهب إليه الدكتور أبوريدة مخالفاً لماى في قراءة واو العطف ، التي نهت عليها في الهامش أنها كذلك وصحتها في المتن وجعلتها ، أو ، . والوجه الذي أثبتته هو عندى أليق ، دون حاجة إلى بيان الفرق اللغوي بين أو والوار . وكذلك اعتراضه على شكل بعض الالفاظ . ولست أدري كيف يريد أن يضبطها ؟ أما رجوعه إلى الأصل اليوناني أو إلى الترجمة الفرنسية فلا يفيد شئاً في ضبط الكلمة ، وكنا نود أن نرى الوجه الذي يقترحه هو .

فهذه عدة أصول في فن النشر تختص بالكتب المترجمة قديماً الخصبها فيما يلي :

أولاً : الاعتماد على النص العربي مع الاستئناس بالأصل اليوناني بالإضافة إلى تراجمه الفرنسية والإنجليزية ، مع العلم أن العبارة اليونانية تفهم على أوجه كثيرة ، ولذلك تعددت التراجم الأجنبية في اللغة الواحدة لاختلاف المترجمين في فهم الأصل اليوناني .

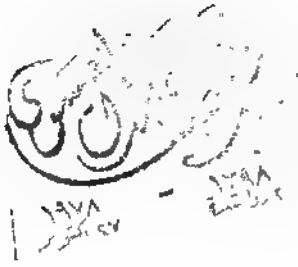
ثانياً : معرفة قاعدة رسم النساخ للكتابة العربية عموماً . وقاعدة النسخ الذي نرجع إليه ، وهذا شيء لا يكتسب إلا مع طول الخبرة والممارسة .

ثالثاً : التزام الذوق العربي في كتابة الالفاظ الأجنبية ، وفي ترجيح العبارات .

رابعاً : معرفة موضوع العلم الذي ينشر معرفة تامة حتى يدرك المقصود .

وإنى أكرر الشكر للزميل الذي أتاح لي فرصة الحديث عن النشر وأصوله وطرقه . ولعلنى أنفصل هذا الحديث مرة أخرى بناء على ما اكتسبته من خبرة بعد طول النظر في المخطوطات المختلفة والتي نشرتها في الفلسفة ؟

أحمد فؤاد الأهواني



لغويات

تجنبوا الفوضى والاضطراب - أمر القوم شتى

يرى القارئ استعمال (الفوضى) في الكتابة والحديث كما في الاستعمال المدون . والفوضى فيه بمعنى الحدث . ويعني بها مخالفة النظام وتجنب المنهج السوي . وهذا الاستعمال لا يقف عليه الناظر في الكلام العربي . وإنما ترد (الفوضى) مورد الوصف ، ويعني الباحث أن يجد ما يساوق الاستعمال العصري .
ويذكر اللغويون للفوضى الموارد الآتية :

١ - فيقال : قوم فوضى أى متسارون لا رئيس لهم . ومن هذا قول الأفوه الأودى من قداماء شعراء الجاهلية وحكايتهم في قصيدته ^(١) الحكمة الاجتماعية :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهلهم سادوا
ومن هذا قول الزمخشري في المفصل في مبحث الحرف حين ذكر حروف الإضافة
أى حروف الجر : « سميت بذلك لأن وضعها على أن تفضى بمعاني الأفعال إلى الأسماء .
وهي فوضى في ذلك ، وإن اختلفت بها وجوه الإفضاء » ويقول ابن يعيش في شرحه ^(٢) له :
« وهي متساوية في إيصال الأفعال إلى ما بعدها وعمل الخفض ، وإن اختلفت معانيها
في أنفسها . ولذلك قال : هي فوضى في ذلك أى متساوية : يقال : قوم فوضى أى سادة
لا رئيس لهم . وأكبر الظن أن الذى بعث الزمخشري على إثارة (الفوضى) في هذا الموطن
الرغبة في التجنيس مع « تفضى » و « الإفضاء » .

٢ - ويقال : قوم فوضى : مختلطون ، ونعام فوضى : مختلط بعضه ببعض . ويقال :
جاء القوم فوضى أى مختلطين ، والمسال فوضى بين القوم أى مختلط : من أراد منهم شيئاً

(١) توجد كاملة مع غيرها مما مر عليه من شعراء في الفرائد الأدبية من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر .

أخذه . ومن هذا ما جاء : كانت خير فوضى أى مشتركة بين الصحابة غير مقسومة ؛ كما فى المصباح .

٣ — ويقال : الوحش فوضى فى الفلاة ، أى منفرد يتردد ويحول فيها . وهذا قريب من المعنى السابق . ومنه قول أبى العلاء المعرى من قصيدة ^(١) له فى سقط الزند :

دع الطير فوضى إنما هى كلها طوالب رزق لا نجىء بمفظع

يقول هذا فى التنبى عن زجر الطير وترقب حركاتها ليتعرف منها - كما كانوا يزعمون - عاقبة أمرهم . فهو يقول : دع الطير يتردد فى مجاله ، ولا تمرض له للاستنباء من حركاته عما سيكون ، فإنما يتردد لطلب الرزق ، ولا صلة لحركاته بما يخشى من الأمور .

وترى أن أكثر موارد (الفوضى) أن تقع من وصف الجمع . وقد تقع من وصف المفرد كما رأيت فى قولهم : المال فوضى بين القوم ، وفى المخصص ١٥ / ١٨٥ : « ويقال : متاعهم فوضى بينهم إذا كانوا فيه شركاء » . وترى أن استعمالها فى معنى الحدث كما تستعمل فى هذه الأيام لم يأت فى مواردما اللغوية .

وقد بدا وجه من تصحيح الاستعمال المشهور : أن يقدر موصوف محذوف . فإذا قيل : وقع الناس فى الفوضى فالتقدير : فى الأمور الفوضى أى الأمور والشئون المختلفة المنفردة ، وكذلك إذا قيل : وقعت الفوضى فعناء : الشئون الفوضى . ويضعف من هذا الوجه أن التقدير لا يخطر ببال المتكلمين بهذا الأسلوب ، ومن الخير أن يعدل الكتاب عنه إلى السنن القويم والبهج الواضح .

ويبقى بعد هذا فضل بحث فى (الفوضى) من جهة بنائها ، ومن أى ضرب هى من ضروب الأسماء ؛ فهل هى مفرد أو جمع ؟ وإلى أى مادة لغوية يرجع كيانها ؟

وأقدم مانلقه فى الكلام عليها نجده فى كتاب ^(٢) سيبويه إذ يقول : « فأما فتسعل فعلى الأصل فى الواو والياء . وذلك قولهم : فوضى وعيى ، يريد أن ما جاء على وزن فعلى - بفتح الفاء - وكانت عينه وارا أو ياء فإنهما يصحان ولا يعلان . وعيى مؤنث عيثان من العيث أى الإفساد . فعيثان : مُفسد ، وعيى : مفسدة . وهذا كما يقال سكران وسكرى .

(١) انظر شروح سقط الزند ص ١٥٣٠

(٢) ص ٣٧١ ج ٣

وترى أن سبويه لم يُبين عن أسرها : أمفرد هي أم جمع ؟

وبحسب تن هذا الأزهرى في التهذيب إذ يقول : « صار الناس فوضى أى متفرقين . وهو جماعة الفائض . ولا يفرد كما يفرد الواحد من المتفرقين ، فالفوضى عنده واحدها الفائض . و (الفائض) هذا من فاض يفوض لأم فاض يفيض حتى ينسق مع الفوضى التي عينها واو . ويذكر الأزهرى أن هذا الوصف المفرد لم يستعمل ، إذ لم يستعمل فعله ، فلم يرد فاض يفوض ، وإنما ورد من الأفعال المزيد ، يقال : « فوضت أسرى إلى الله ، وإذا فالوارد من هذه الصيغة الجمع فقط .

والقارىء بعد هذا له أن يعقب على كلام الأزهرى وغيره بهذين السؤالين ١

١ — إذا كان (الفوضى) جمعا فما باله جاء للمفرد على ما تقدم ؟

٢ — وما بال الفعل (فاض يفوض) لم يستعمل هو ولا وصفه المفرد (فائض) ؟ وإنى أعرض تخريجا لى فى هذا المقام على بساط البحث والنظر .

فالاصل مادة الفض . وهو يكون للكسر والدق . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للعباس : لا يفضض الله فاك أى لا يكسر أسنانك ، والفم هنا الأسنان ؛ كما يقال : سقط فوه أى أسنانه وكذلك دعا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء للناطقة الجعدى حين أنشده قصيدة استحسناها عليه الصلاة والسلام . ويقال من هذا : فض الجماعة : فرقها ، لما كان الكسر يثنأ عنه التفریق . وقد تفرع عن هذا الفيض فى قولهم : فاض النهر إذا جاوز الماء مجراه ، فإن ذلك فيه تفرق وعدم الثمام .

ومن الفض يقال . الفضيض أى المفرق ، وهو فعيل فى معنى مفعول ، وهذا إذا أشعر بنقص أو عيب بجمع على فَعَّلَى ، كجريح وجرحى وأسير وأسرى . فكان القياس فى جمع الفضيض أن يقال : الفضَّى ، ويظهر أنهم استفعلوا هذا لما فيه من التضعيف الذى قد يتجنبه العرب ، فقالوا فيه : الفوضى ، بإبدال أول المثانين حرف لين .

وصار الأصل فى معنى « الفوضى » المتفرقين . ولما كان المتساوون الذين لا رئيس لهم يجمع شملهم ويوحد كلمتهم فى معنى المتفرقين أطلق الفوضى على هؤلاء ، ودخل الكلمة معنى التساوى من هذا الباب ، فقيل : المتاع فوضى بين القوم أى هم شركاء فيه متساوون ، ويدخل هذا فى باب التدوير الغوى .

وقد يسأل سائل . هلا أبدلوا من التضعيف ياء فقالوا : فيضى ؟ والجواب أن العرب تستحسن في حشو الكلمة الواو وتستكثر منها . وترى الصرفيين يحكمون للألف التي هي عين الكلمة إذا جهل أصلها أنها مقبولة عن الواو : كما قالوا في اللصاب ، يصفرونه على صريب لا صليب . وعلى أنه ورد (الفيضى) كما في التاج .

ويبقى بعد هذا السؤال الآتي : إذا كان الفوضى جمعا فكيف جاء للفرد على ما تقدم ؟ والجواب أنه من باب التوسع في العربية . ويدخل هذا في فروع كثيرة حتى عقد له ابن جني في الخصائص بابا سماه : شجاعة العربية ، وذكر فيه ما هو أبعد من هذا .

ومبنى هذا استعمال وصف الجمع في المفرد^(١) . ويذكر من هذا قولهم : ذهب به الدينار الحمر والدرهم البيض ، وقول مزاحم العتيلي :

ولو بذات أنسا لأعصم عاقل برأس الشرى قد طردته المخاوف

لظل رهينا غاشع الطرف حظه تخلب جدوى والكلام الطرافف

فتراه وصف (الكلام) بالطرافف .

وقد وجدت للفوضى في هذا نظيرا في وزنها ومعناها ، وهو (شتى) فشئى جمع شتيت . ويقول أبو حيان في البحر المحیط ٢٤٤/٦ : « شت الامر شتا وشتانا : تفرق . وأمر شت متفرق . وشئى : فعل من الشئت ، وألفه للتأنيث ، جمع شتيت كريض ومرضى ، ومعناه : متفرقة . » يقول السعدى شرحه للتلخيص عند قول الخطيب : « وله ملابسات شتى » : « أى مختلفة : جمع شتيت كريض ومرضى » .

ومع هذا ورد (شتى) وصفاً للفرد . وفي اللسان : « وقعوا في أمرشت وشئى » . جاء في الآية ٥٣ من سورة طه . « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » . ويقول أبو حيان : « والاجود أن يكون (شتى) في موضع نصب نعتا لقوله : (أزواجا) لأنها المحدث عنها . وقال الزمخشري : يجوز أن يكون صفة للنبات ، والنبات مصدر سمي به النبات كما سمي بالنبت ، فاستوى فيه الواحد والجمع . وما رأينا المصدر المفرد إذا سمي به الجنس أو إذا لم يسم به يطرد وصفه بوصف الجمع ، فليس من المستساغ أن يقال : النبات القويات أو الكثيرات ، ولكن هذا توسع أجرته العرب في (شتى) .

(١) انظر الخصائص طبعة دار الكتب ١/٢٥ .

وجاء من هذا أيضاً قوله تعالى في الآية ٤ من سورة الليل : « إن سميعك لحشي » .
وترى أبا حيان يقول : « أى سماعيكم » ، وهذا ليسوغ وصف المفرد بالجمع . ولكن لو قيل
إن سميعكم تحاسبون عليها أو عليهن أفكان ذلك يسوغ في الكلام ؟ وعندى أن هذا توسع
ترتكبه العرب في بعض كلامها ، ولا يكون منهجاً مطرداً .

وجاء (شتى) وصفا للثنتين . وإنى أسوق إليك في هذا الموطن القصة ^(١) الآية :

روى أبو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني الذي قدم الأندلس من المشرق سنة ٤٠٦
أن ابن الأعرابي الإمام اللغوي الكوفي المتوفى سنة ٣٣٠ رأى في مجلسه رجلين يتعادنان . فقال
لاحدهما : من أين أنت ؟ فقال : من أسبيجاب ^(٢) . وقال للآخر : من أين أنت ؟ فقال :
من الأندلس . فتعجب ابن الأعرابي ، وأنفذ :

نزلت على قيسية يمنية	لها نسب في الصالحين هجان
فقلت لها : أما رفيق فقومه	لأية أرض أم من الرجلان ؟
رفيقان شتى ألف الدهر يبتنا	نميم وأما أسرقى قيمان
	وقد يلتقي الشئ فيأغلغان

فترى قوله : « رفيقان شتى » كيف جاء (شتى) وصفا للثنتين . وعندى أن الفوضى سرت
في هذا السيل . وافته المهادى إلى سواء السبيل .

محمد علي النجار

(١) انظر جذوة المقتبس ١٧٣ ، ومعجم الأدباء (طبعة الحلبي) ١٤٧ / ٧

(٢) اسم بلدة كبيرة من بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان . ووردت في معجم البلدان : أسبيجاب

طرائف لغوية وأدبية:

نظرة في شأهذه

يستشهد النحويون والبلاغيون بهذا البيت :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره
الأولون يستشهدون به على جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر من
التقديم ، فقد تقدمت جملة الخبر وهي « ما أمه من محارب » ، على المبتدأ وهو « أبوه » ، وجاز
عود الضمير الذي في أمه على الأب مع تأخره لفظاً لأنه متقدم في الرتبة ، فالمبتدأ رتبته
التقدم على الخبر . والآخرون يستشهدون به على التحقيد اللفظي بسبب التقديم والتأخير
الذي لا يفهم معه المعنى إلا بعد تأمل وإعمال فسر .

والبيت من قصيدة للفردق يمدح بها الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ويستجديه
لقومه وقد أصابهم قحط ، ومطلع القصيدة :

كم من مناد والشريفان^(١) دونه إلى الله تُشكى والوليد مفقره
ينادي أمير المؤمنين ودونه ملا^(٢) تمطى بالمهاري ظهائر
إلى أن قال :

وأرى قتادون أسوق مطيتي بأصوات هلاك سغاب حرائره^(٣)

(١) الشريفان : جيلان يسمى أحدهما (شريف) بصيغة التثنية ، وهو أعلى جبل في بلاد العرب .
ويقول جند البدين الفيروز أمدى صاحب الناموس إنه صمده . ويجوز أنه جبل آخر يسمى (شرف) بوزن
قر ، فقلب الفردق اسم الجبل الأول وجعل للتثنية له .

(٢) الملا : للصغراء .

(٣) الهلاك : جمع هلك ، وهو البيت . واستعمل الفردق الهلاك بمعنى البيت في الضعيف المزيل
على سبيل الاستعارة . والقرينة قوله « بأصوات » لأن الهلاك ليس له صوت . والسغاب : جمع
ساحب وسغبان وسغب كفرح ، ومعناه الجائع أو الجائع للقمب .

فقالوا أغتتا إن بلغت بدعوة لنا عند خير الناس إنك زائر
فقلت لهم إن يبلغ الله نافق وإيأى أنبي بالذى أنا خابره
ثم يأتي بيت الشاهد بعد ذلك بأيات ، ولكنه ليس كما رواه النحاة والبلاغيون ،
ولمّا يختلف عن روايتهم اختلافا يترتب عليه اختلاف معناه واختلاف الشاهد فيه ،
وتأتى بعده آيات تؤكد خطأ رواية النحويين والبلاغيين ، وإلى القارئ الشاهد وما بعده
كما ورد في ديوان الفرزدق في النسخة المطبوعة في أوروبا وهي معجمة وواضحة :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوها ولا كانت كليب تصاهره
ولكن أبوها من رواحة ترتق بأيامه قيس على من تفاخره
زمير ومروان الحجاز كلاهما أبوها لها أيامه ومفاخره
بهم تحفض الأذيال بعد ارتفاعها من الفزع الساعى نهرا حراثره

وهنا يظهر عدم اتئلاف بيت الشاهد على الرواية الأولى مع الأيات بعده من جهة
اللفظ ، إذ كيف يقول الشاعر إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ، ثم يقول بعد ذلك ،
ولكن أبوها من رواحة ، ثم يقول كلاهما أبوها ، والمعنى يختلف أيضا على هذه الرواية عنه
على الرواية السابقة . إذ معناه على الأولى أبو هذا الملك ليست أمه من قبيلة محارب وتقدير
الكلام حينئذ : إلى ملك أبوه ما أمه من محارب .

والمعنى على الرواية الأخيرة ، أبو أم هذا الملك ليس من قبيلة محارب ، إذ تقدير
الكلام حينئذ : إلى ملك ما أمه أبوها من محارب ، كما تقول محمد ما أبوه حاضر ويرتب
على ذلك تغير الخبر ، فهو على الرواية الأولى جملة : ما أمه من محارب ، وعلى الثانية شبه
جملة وهو الجار والمجرور اللذان هما : من محارب ، ولا يجوز تقدم المبتدأ وهو أبوها على
لفظ الأم لأن المبتدأ حينئذ جزء من جملة خبرها ، إذا عملت عمل ليس وجزء من جملة خبر
المبتدأ الذى هو أمه إذا عملت ما ، وفيه ضمير يعود على اسم ما أو على المبتدأ الأول على
الاعتبارين السابقين ، فإذا تقدم (أبوها) على (أمه) لزم عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة
لأن المبتدأ الثانى رتبته التأخر عن المبتدأ الأول ، وكذلك خبر ما رتبته التأخر عن اسمها
وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة لا يجوز إلا فى مسائل ليست هذه المسألة منها .

أما على الرواية الأولى فقد سبق بيان جواز تقدم لفظ الأب على الأم وعدمه ،
ويختلف الاستشهاد بالبيت عند النحويين ، فبعد أن كان يستشهد به على جواز تقدم الخبر
الجملة على المبتدأ أصبح يستشهد به على جواز تقدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ إذ يجوز أن
يقال « ما أمه من محارب أبوها ، أو « ما أمه أبوها من محارب » .

والغريب أن جميع شراح الشواهد كالعيني والجرجاوى والشيخ قطة العدوى وغيرهم
رووا هذا الشاهد على الرواية الأولى وشرحوه على المعنى الأول واستشهدوا به على ما فيه
من جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر ، وهذا بخلاف الواقع ولما قاله الشاعر
وأراد به ، حتى المحدثون الذين شرحوا شواهد ابن عقيل وغيره ، نهجوا نهج القدامى ،
ولم يفكر أحد من السابقين أو اللاحقين في الرجوع إلى ديوان الفرزدق ، ولو رجعوا إليه
لتبين لهم خطأ الرواية الأولى واختلاف معناها عن الواقع وعن كلام الشاعر ومراده .
وأعجب من ذلك أن شارحاً حديثاً روى هذا البيت :

راونى فنادونى أسوق مطينى بأصوات هلاك سقاب حراره
رواه هكذا :

راونى فنادونى أسوق مطينى بأصوات هلال صباب جرائره
ولم يشرحه مع أنه يشرح كل بيت يأتي به تبعاً لأحد آيات الشواهد .

ولعل الذى حمله على ذلك أنه لم يستطع معرفة مرجع الضمير في قول الشاعر « سقاب
جرائره ، فغيره من عند نفسه إلى ما رأيت حتى يعود الضمير في « جرائره ، على كلمة « هلال ،
ولو قرأ القصيدة كلها بإمعان وتدبر لظهر له مرجع الضمير واضحاً .

ولعل بذلك بينت خطأ وقع فيه القدماء والمحدثون من العلماء لأخذهم ما يعرض لهم من
الشواهد من غير أن يفحصوا فيه أو يبحثوا وراءه ، وكان الصواب قيد شعرة منهم لو تنبها
إليه ، وإمكن لهم مع ذلك عنراً في تصديق من روى لهم إذا كان ممن يوثق به ، أما أن يؤخذ
النص من كتاب دون بحثه والتنقيب على ما خلفه فهذا ما لا يرضى عنه العلم ، ولا تقبله
الإمامة العلمية ، وما ينبغي أن يتزده عنه رجال الأزهر على وجه الخصوص .

طه الزبينى

أستاذية في النحو والصرف

الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

تفسير القرآن الكريم من العلوم الشرعية التي عيّنت بها الأمة الإسلامية عناية فائقة ، إذ عليه يتوقف فهم الكتاب العزيز ، ومعرفة ما فيه من حكم وأحكام وآداب ومواعظ ، والكشف عما فيه من هداية وإرشاد ، وأسرار في التشريع والاعجاز . وقد حث الله عز شأنه على تدبر القرآن وفهمه فقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وقد كان النبي ﷺ يبين لأصحابه معاني القرآن كما يبين لهم ألفاظه ، قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) . وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . وهذا هو السر في أنهم كانوا يقون مدة في حفظ السورة ، وأن الرجل منهم كان يجمل في أعين أصحابه بمقدار ما يحفظ من القرآن .

وقد روى مالك في الموطأ أن ابن عمر أقام على حفظ البقرة ثمانين سنين . وقال أنس رضي الله عنه : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا . فالصحابة قد تلقوا تفسير القرآن وبيانه عن النبي صلوات الله وسلامه عليه وأضافوا إليه ما أدركوه بصفاء فطرتهم وذكاء قريحتهم ومعرفتهم التامة باللغة وأساليب البيان وما فهموه من الظروف والملايسات التي كانت عند نزول الوحي . والخلاف بين الصحابة فيما صح عنهم من التفسير قليل ، وأغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا التضاد ، ثم تلقى التابعون عن الصحابة تفسير القرآن كما تلقوا علم السنة ، وإن كانوا يتكلمون في بعض التفسير بالاستنباط والاستدلال كما يتكلمون في بعض السنة بهما أيضاً ^(١) ، وأضاف التابعون إلى ما سمعوه ما تلقوه عن أهل الكتاب من المعارف وفسروا القرآن ببعضها ، ومن هنا دخل البلاء على الإسلام كما سألين ذلك فيما بعد . وقد كان الاختلاف بين التابعين أكثر منه بين الصحابة ، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين ، وهكذا حتى دوت الكتب في شتى العلوم والفنون ، ومنها كتب التفسير .

وقد ألفت كتب في التفسير بالمأثور كما ألفت كتب في التفسير بالرأى والاجتهاد، وكتب هذا النوع الثاني لا تخلو من التفسير بالمأثور أيا كان ضحاها، ذلك أن التفسير بالاجتهاد لا يكون منوطا بالقبول إلا إذا اعتمد فيه على ما صح من المنقول، ولا سيما فيما لا يعلم إلا من طريق النقل كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقصاص ونحوها، فهذا النوع من التفسير قل أن يفرد عن النوع الأول كما قال ابن خلدون، والتفسير بالمأثور أسبق في الوجود من التفسير بالرأى والاجتهاد، وهو يعتبر جزءاً من الحديث، والذين ألفوا في الحديث لم تخل كتبهم منه. وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه كتاباً في التفسير، وقد استفاد ذلك جزءاً من صحيحه لا يستهان به، وكذا فعل مسلم وغيره من أصحاب الكتب المعتمدة، ولم يقتصرُوا فيما ذكروه على المرفوع، بل ذكروا ما ورد عن الصحابة والتابعين. وهذا الصنيع يدل على الصلة الوثيقة بين الحديث والتفسير بالمأثور.

والحق أن الحديث بالنسبة لغالب العلوم بمنزلة الأم، وعليه معول كثير من المؤلفين، فالفكر والفقيه والمؤرخ كلهم في حاجة إليه.

والذين ألفوا في التفسير بالمأثور في القديم ذكروا ما روى عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين وصنفوه بالصيغة الحديثية من ذكر للسند ونقد الرجال وتصحيح المتن أو تضعيفه، إلى أن جاء ابن جرير الطبري فزاد توجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وذكر الأعراب والاستنباط، ثم ألفت من بعد كتب التفسير بالاجتهاد، ولم يمس مؤلفوها في الغالب - فيما اشتملت عليه كتبهم من مأثور - على سنن السابقين الأولين، فحذفوا الأسانيد، واختصروا الأقوال، ولم يفسبوا إيمانها. وصار من يسنح له قول يورده، ومن يجيء بعده ينقله ظاناً أن له أصلاً، ولم يكلف نفسه مؤونة البحث عن أصل الرواية ولا من يرجع إليه هذا القول، فاختلط الصحيح بالسقيم والمقبول بالمردود (١).

ولما كان الحديث قد دخله الوضع فلا جرم أن دخل التفسير بالمأثور الوضع أيضاً، ومن ثم اشتملت كتب التفسير - سواء منها ما كان مختصاً بالمأثور أو شاملاً له وللتفسير بالاجتهاد - على قطعة كبيرة من الموضوعات والإسرائيليات والآراء الزائفة التي لا تستند إلى نقل صحيح ولا يؤيدها عقل سليم. وكان لذلك أسباب عدة نجتزئ بذكر بعضها:

(١) الاتفاق في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ١٩٠.

فمن طريق الزنادقة دخل الكثير من الموضوع ونسبوه إلى النبي ﷺ حيناً ، وإلى الصحابة والتابعين حيناً آخر . وكذلك كان للمصنف المذهبية ضلع كبير في التزبد : فالشيعة نسبوا إلى سيدنا علي ما هو براء منه ، والمزلفون لبني العباس نسبوا إلى ابن عباس ما لم يقله قريبا إليهم ، وهذا هو السر في تضخم التفسير المفسوب إليهما دون غيرهما من الصحابة الذين تصدوا للعلم والرواية . وهناك سبب آخر مهم وهو النقل عن مسلمة أهل الكتاب ، والاختذ عنهم فيما لا تعلق له بأصول الدين وأحكام الشريعة ، كإقصص وأخبار الأمم الماضية ، وإلى ذلك أشار العلامة ابن خلدون في مقدمته في أثناء تكلمه على التفسير بالمأثور فقال : وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود . والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والامية ، وإذا نشوقوا إلى معرفة شيء مما تنشوق إليه النفوس البشرية في أسباب الكائنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلوا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون لها ، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم ، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم ، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب العمل بها . ويتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات (١) .

وقد أخذ عن مسلمة أهل الكتاب في هذه الأغراض السابقة الكثير من التابعين وبعض أجلة الصحابة كابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث بما فيهما بما فهمه من الإذن في حديثه ، بلغوا حتى ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، رواء البخاري .

ثم إن هذه الإباحة فيما لم يعلم كذبه ، أما ما علم كذبه فيحرم التحديث به ، ولا تجوز روايته إلا مشفوعاً ببيان كذبه . وعلى هذا يحمل ما ورد من الهى عن التحديث عنهم . وذلك أن أخبار بنى إسرائيل على أقسام ثلاثة :

١ — ما علينا صحته بما بأيدينا بما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح ، ونحن في غيبة عنه بما عندنا ، ولا مانع من التحديث به .

٢ — ما علينا كذبه بما عندنا مما يخالفه ، فهذا يجب تكذيبه .

٣ — ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا ولا من ذاك ، فلا يؤمن به ولا نكذبه . وغالب ذلك مما لا فائدة فيه ، وكثيراً ما يختلف علماء أهل الكتاب فيه ، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف ، واسم الغلام الذى قتله الخضر (١) ومقدار سفينة نوح ونحو ذلك .

ولو أن هذه الاسرائيليات ولا سيما المكذوب منها وقف بها عند قائلها لكان الامر محتملاً ولكن الشناعة وكبر الإثم أن ترفع بعض هذه الاسرائيليات إلى المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، وهنا يكون الضرر الفاحش ، فقد وجد أعداء الدين في ذلك ثغرة ينفذون منها إلى القول على الإسلام وعلى نبي الإسلام بما هو برىء منه ، وببعض هذه الاسرائيليات جاء موقوفاً على الصحابة فظن من لا علم له بحقيقة الامر أنها متلقاة عن النبي ﷺ لأنها مما لا مجال للرأى فيها فالها حكم المرفوع . ولكن جهابذة الحديث ونفاذه كانوا أبعد غوراً وأدق نظراً حينما قالوا : إن كلام الصحابي فيما لا مجال للرأى فيه له حكم المرفوع بشرط أن لا يكون الصحابي معروفاً بالاختصاص من أهل الكتاب ، ولا من يعرف بذكر الاسرائيليات وبذلك يجد الباحث المنصف مخرجاً من هذه الروايات الموقوفة بأنها اسرائيليات تقبلت بحسن نية ، إن لم تكن مدسوسة على هؤلاء الأئمة دسها عليهم الزنادقة .

وقد تنبه بعض الصحابة إلى ما في رواية أهل الكتاب من المغالط والكذب وإن لم يكن عن نعمد : روى البخارى في صحيحه عن معاوية رضى الله عنه أنه ذكر كعب الاحبار فقال : « إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يتحدثون من أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب ، وإذا كانت مقالة السيد معاوية في كعب كما ترى وهو من أصدقهم —

(١) انظر تفسير ابن كثير جزء أول ص ٨ ط النار ومقدمة التفسير لابن تيمية ص ٨ ط السلفية .

فما بالك بغيره من لم يصل إلى درجة صدقه . وقد حسن العلماء الظن بكعب فقال ابن حبان : « أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به ، ولم يرد أنه كان كذابا ، وقال ابن الجوزي : « أى أن بعض ما يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب » (١) ومع موافقتي للإمامين على ما رأياه فإنى أرى أن ذلك لا يقلل من خطر مثل هذه المرويات . وقد تنبه العلماء المحدثون وأئمة الدين إلى ما دخل التفسير بالمأثور من موضوعات وإسرائيليات زائفة مما روى مرفوعا أو موقوفا على الصحابة والتابعين ، فقدوه ، وبينوا الحق من الباطل والصحيح من السقيم . وقد صح عن الإمام الشافعى رحمه الله أنه قال : « إنه لم يثبت عن ابن عباس إلا شبيه بمائة حديث ، وقالوا : أصح الطرق عن ابن عباس طريق على بن أبى طلحة عنه ، وهى التى قال فيها الإمام أحمد : إن بمصر صحيفة يروها على بن أبى طلحة عن ابن عباس لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا عليه . وقد اعتمد عليها البخارى فى صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس . وطريق ابن جرير يحتاج إلى بحث وتدقيق ، لانه جمع فى كل آية من الصحيح والسقيم ، كما قالوا : أوهى الطرق طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس . فاذا انضم إليها محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب . وكثيرا ما يخرج عنها الواحدى والثعلبى . وكذلك نقدوا ما روى فى التفسير عن على وابن مسعود وأبى بن كعب وغيرهم وبينوا الطرق الصحيحة من غير ما (٢) كما نقدوا ما روى فى التفسير عن أئمة التابعين وبينوا منزلة كل منهم فى الرواية ، وهكذا نجد غير قليل من النقد التفصيلي لرواة التفسير بالمأثور كما نجد النقد الإجمالى لهذه المرويات . فالإمام أحمد له الكلمة المعروفة : ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازى . وقد حمل الخطيب هذه المقالة على كتب مخصوصة فى هذه المعانى فأنشدها كتابان للكلبي ومقاتل بن سليمان . وقال غيره : لأن الغالب عليها المراسيل ، وبحق أقصاه . على أن مراده أن الغالب ليس لها أسانيد صحيحة متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير . وقد عقب السيوطى على هذا القول فقال : « الذى صح من ذلك قليل جدا بل أصل المرفوع فى غاية القلة ، وقد سرد ما صح من ذلك فى آخر الإتيقان . والحق أن ما صح من المرفوع إذا ما ضم إلى ما صح من الموقوف على الصحابة والتابعين فإنه يصفو لنا من ذلك شئ غير قليل »

(يتبع)
 محمد محمد أبو شربة
 الاستاذ بكلية أصول الدين

(١) فتح البادى جزء ١٣ ص ٢٨٤ ط الأزهرية

(٢) الإتيقان فى علوم القرآن ص ١٨٨ ، ١٨٩ جزء ٢

الحساب الفلكي

واعتماده لتحديد أوقات الصلوات الخمس

نشر الشيخ محمد رحيم أحد شيوخ طرابلس الشام في الأقطار العربية الشقيقة ، كتيباً ، أسماه « وقت الظهر » ، وأرسل نسخة منه إلى مشيخة الأزهر سابقاً لاستطلاع رأيها ، ذكر فيه دعوى ...

منها : « لا يعتمد الحساب الفلكي في بيان الأوقات الشرعية ، وهي كما ترى » مجرد دعوى فقط ، إذ لم يستند بها إلى دليل ، غير أنه نقلها كما هي عن « ابن عابدين » ، الحنفى الذى عزاها هو أيضاً إلى « ابن دقيق العيد » ، الشافعى .

ولا يخفى ما قاله علماء « البحث والمناظرة » ، من أن ناقل الدعوى مجردة عن السند لا يناظر فيها إلا بالمنع المجرد أيضاً عن السند بأن يقال له مثلاً ، أنا أمنع تلك الدعوى ، ثم تنقطع المناظرة ... إلا إذا التزم هذا الناقل تصحيحها ، وقد كان . فإن الشيخ رحيم قد انتقد لمعنائها وعمل بمقتضاها إذ يقول في كتيبه أيضاً : إنه حين اطلع عليها فى حاشية ابن عابدين على الدر المختار عمد إلى قياس الظل لتحديد أوقات الصلوات . ولذلك صحت مناظرته فيها وحينئذ نساؤه : —

« أولاً ، عما أراده بالحساب الذى لم يعتمد عليه ، فإن أراد به « الحساب التقريبي » كحساب المنازل وبعض القواعد القديمة التقريبية ، سلطنا له ذلك ؛ إذ ورد فى كتب الفقه منع الاعتماد عليه من العلماء المحققين حتى قال بعضهم : إن من أذن لوقت الفجر على حساب المنازل أدب وعوقب لأنها تقريبية ، وإنما شرعت المنازل ليعلم قرب الصبح فقط فيكف الصائم ويتأهب للمصلى حتى إذا تبين الصبح الصادق صلى ...

وإن أراد الشيخ رحيم « الحساب الفلكي » ، مطابقاً أى ولو كان تحقيقاً متبعاً لما لو تأمله الحس لأدركه ، لا ندلم له ذلك ، وقلنا :

إن الحكم الذى شملته هذه الدعوى معارض بما عليه إجماع الأمة ، من العمل بالجداول

الحسابية ، والتناجح السنوية المضبوطة ، وتقدير الزمن بالمازول والأرباع الدستورية وغيرها ، وبالساعات الميكانيكية المنظمة جيئية أو حائطية ، من أول نشأة الحساب إلى الآن . وإن تمسكه بما لم تلتفت إليه الأمة . وانقياده لمعنى هذه الدعوى مع خلوها عن الدليل يعد شذوذاً منه وخروجاً على الإجماع ...

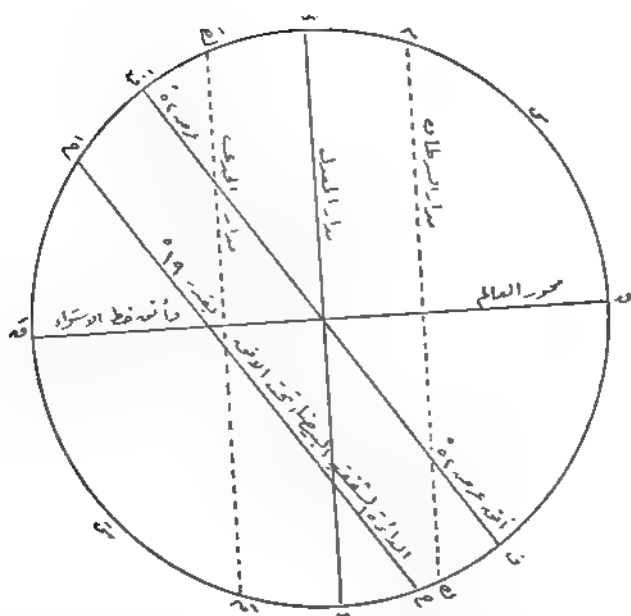
على أن سائر علماء الشافعية وغيرهم من المحققين والخواص في كل بلد وأوان نزام يهرعون إلى الصلاة على حساب الساعات الفلكية وتقدير الجداول السنوية ، ولم نسمع أن اثنين منهم قد اتفقا على ترك ذلك إلى قياس الظل في أى عهد من العهود المتقدمة ...

ثم ، ثانياً ، فنقض عموم الحكم في هذه الدعوى ، إذ يعم البلاد التي ينعدم فيها علامة وقت العشاء أو غيرها في بعض أيام السنة ومقتضاه أنه لا يعتمد فيها على الحساب ، . كيف وأن إجماع السادة الشافعية ومنهم ، ابن دقيق العيد ، على وجوب الصلوات الخمس في تلك البلاد وتقدير أوقاتها بالساعات الفلكية بحسب أقرب البلاد أو الأيام المعتدلة مع أنه لا غروب ولا شروق للشمس ولا للشفق ولا بلوغ لظل شئ مثله أو مثليه في هذه الاوقات هنالك في بعض أيام السنة ولا بد لهذا التقدير من الحساب ...

ووافقهم على ذلك علماء السادة المالكية وكذا المحققون من الحنفية كالسكال بن الهمام وغيره وحجتهم على ذلك قوية كما سيأتى :

البلاد التي ينعدم فيها بعض علامات الاوقات :

أما البلاد التي ينعدم فيها في بعض أيام السنة علامات الاوقات الشرعية ، ففنها ، ما عرضه (٤٩) درجة فأكثر إلى (٦٦) درجة كبلاد الإنجليز ، والبلجيك وهولاندة ، وبولاندة وشمال فرنسا وألمانيا وجنوب فنلندة وجنوب السويد والنرويج وجنوب كندا وأواسط روسيا ، فإن في هذه البلاد ينعدم في بعض أيام السنة أعنى حول (٢١) يونية علامة وقت العشاء فيدور الشفق من نقطة غروب الشمس إلى نقطة شروقها حول آفاقها من جهة الشمال دون أن يمتد في الأفق ثم يصعد في السماء حتى تطلع الشمس ، ومعناه بقاء علامة المغرب إلى أن توجد علامة وقت الصبح وتندم تلامة وقت العشاء أصلاً وهي غياب الشفق في الأفق الغربي .. انظر الرسم رقم (١) .



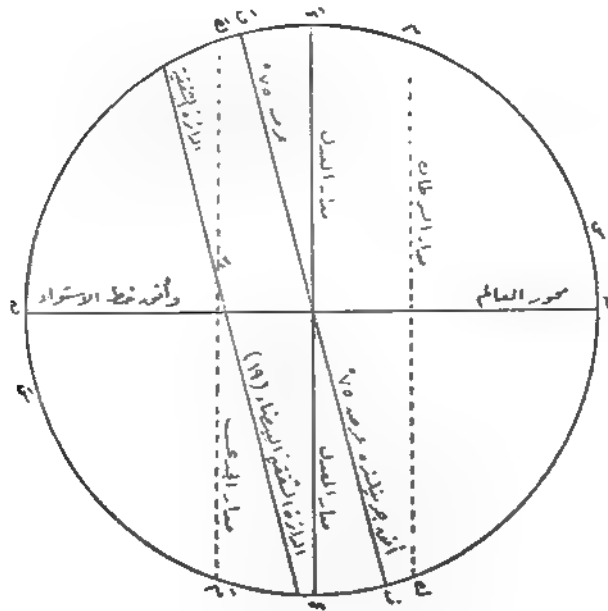
شکل (۱)

وفي الحالة الثانية — تتواري الشمس في الافق بعد (٢١ سبتمبر) وتدور تحته ، وما دامت على بعد من الافق أقل من (١٧ درجة) أو (١٩) يتبعها الشفق في هذا الدوران ويبقى ظاهراً دائراً حول الافق مدة جملة أيام معتدلة كما لو كان في حصة المغرب ، ومعناه انعدام جميع علامات الاوقات لهذه الايام .

وفي الحالة الثالثة — يختفي الشفق أيضاً ويحبك الليل ظلمته على الافق ويدوم أيضاً ذلك مقدار جملة أيام معتدلة ثم يظهر الشفق عائداً إلى حالته السالفة جملة أيام ، ثم تظهر الشمس كذلك وهكذا ، وفي هاتين الحالتين يمكن أن يحكم بأن جميع العلامات للاوقات الشرعية منعدمة ... انظر الرسم رقم (٢)

وأى شيء يمكن أن يعتمد عليه في تقدير الاوقات الخمس حينئذ غير الحساب الفلكي مع مساعدة الساعات الميكانيكية التي يمكن ضبطها أيضاً بحركة النجوم ومطالعها ...

ولا شك أن حديث الدجال وإن كان مسوقاً لبيان حكم الصلاة في أيامه ولكن يعلم منه أن مدار العبادات على الدورات اليومية والشهرية والسنية وبيان حكم الصلاة في أيام الدجال بيان لحكمها فيما يماثل أيامه .



شكل نمرة (٢)

فالشارع وإن علق وجوب الصلوات بأوقات يغلب وجود علاماتها الحسية كما في غالب الجزء المعمور من الأرض ، لكنه لم يهمل حكم غير الغالب ، فقد أخرج مسلم في صحيحه من رواية ابن يونس بن سمان من حديث الدجال وفيه : قلنا يا رسول الله : فذلك اليوم الذي كسنة ؛ أنكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له ، وكذلك عدة أحاديث غيره في هذا المعنى .

ولا يلزم أن يكون كل الناس عارفين بهذه العلامات التي تدل على الأوقات ، بل من لم يعرف يعرف من يعرف (فـأـلـوـا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) كما لا يلزم امتناع التعريف بنظر الغالب كآلات الدقيقة والحساب الصحيح والساعات المضبوطة والأوراد والحرف والصناعات إلى غير ذلك ...

وبالجملة فإذا قبل العلماء المحققون التقدير بالأوراد والصناعات ، أفلا يقبل التقدير بالساعات المحررة وجداول الحساب المضبوطة ، وقد أجمع الأم كلها على ضبط مواقيدهم في أعمالهم وصناعاتهم وزراعاتهم وتجاراتهم وبرقياتهم وسفرهم وبريدهم إلى غير ذلك بالساعات والحساب . وعلمائنا أول الواضمين لها كما يعلم من تواريخ الحساب الفلكي والساعات ، أقصد الحساب المبني على براهين هندسية وقوانين جبرية وحساب مثلثات مستوية وكروية ، ومن الكتب المتداولة في الأيدي كتاب : طيب النفس ، لأدريس باشا راغب وكتاب : رياض المختار ، لمختار باشا الغازي وكتاب : الدرر البهية ، لاسماعيل باشا الفلكي وكتاب : الفلك العملي ، لحسن مصغني بك العبادي وغيرهم من أرباب الكتب الحديثة في الفلك :

أما الكتب المعتمدة القديمة فـكـتـاب : الدر المنثور ، للشيبخ عبد الله المارديني وكتاب : حاوي المختصرات ، لسبطه محمد بن المارديني وكتاب : جامع المبادئ والغايات ، لأبي الحسن المراكشي وكتاب : النفع العام ، لابن الشاطر . فإن كل ما حوته هذه الكتب من القواعد الفلكية مطرد الإنتاج لكل ما لو تأمله الحس لأدركه من العلامات للأوقات الشرعية دون خطأ أو مخالفة لا يبتأئها على براهين وقوانين معقولة .

وفقنا الله جميعاً لخدمة العلم والدين .

محمد أبو العز البنا

مدرس الفلك بالأزهر

كُنُوزُ بِلَادِ سِدْقُمْرَا

خطرها على الشرق

[إن في ذلك لآيات للتوهمين]

• سورة الحجر •

ورد في سورة الحجر عن بلاد قوم لوط : « لجعلنا عليها ساقطها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ، إن في ذلك لآيات للتوهمين » . والتوهم هو التأمل والتفكر والاعتبار . هكذا إجماع التفسير . ولم تذكر هذه الكلمة في القرآن الكريم جميعه إلا في هذا المقام . وظلت هذه المنطقة لا يعرف الناس عنها إلا الشيء القليل ، إلى أن ظهرت الآلات الحديثة ، فاكشفت ما فيها ، فأظهرت إعجاز القرآن في هذه الآية . وإليك ما قرره علماء الجيولوجيا وطبقات الأرض .

تبين أن بحيرة لوط تنخفض عن سطح البحر (٤٠٠ متر) ، وأن هذا العمق تنبع منه ارتفاع درجة الحرارة في البحيرة حتى أصبحت تبلغ مثل درجة حرارة خط الاستواء ، وقدرها ما يتبخر من مياهها يومياً بستة ملايين طن . ومع أن المياه المتبخرة يعوض معظمها من مياه الشمال التي تنصب في البحيرة فإنه لاكثر التبخر ينقص ماء البحيرة على مر الاحقاب وقد اشتدت ملوحة مائها وكشف بالنسبة إلى باقي البحار ، وبهذا فقدت الحياة من البحيرة فلا يوجد فيها أسماك ولا يفرق الساج فيها ، ولهذا أطلق عليها اسم « البحر الميت » . وقد قرر العلم أيضاً أن البحر الميت والأغوار المجاورة له إنما حدثت نتيجة لاضطرابات أرضية (أى خسف) قبل ألوف السنين . ولم يقف العلم عند هذا الحد ، بل حلل المياه فوجد فيها مواد كيميائية كثيرة منها البوتاس والصودا الكاوية والصودا العادية (الفلويات) والمغنسيوم والأورانيوم الذي تصنع منه القنبلة الذرية .

لهذه الثروات وغيرها من الأسباب تأمر اليهود والإنكايز والأمريكيون فلم يكذبوا

الجنرال النبي يفتح القدس سنة ١٩١٧م حتى استقدم تلوك المهندس والخبير البريطاني الكبير
فكنكب تقريراً اضافياً عن كنوز البحر الميت رفعه النبي إلى الوزارة البريطانية ، وقد جاء فيه :
أن المواد الكيماوية فيه تقدر بـ ١٣٠٠ مليون طن ، وتقدر قيمتها بـ ٢٤٠ ألف مليون جنيه .
وأن قوة انحدار النهر تقدر بمليون حصان .

بهذه المطامع يفتح اليهود الأمير كان والانكليز بضروة الاستيلاء على المملكة الأردنية
فلم يسكد يعلن الانتداب على فلسطين حتى أخذت شركة يهودية امتيازاً لاستخراج المواد
الكيماوية من هذا البحر باسم شركة اليوتاس ، وقد حصلوا على امتياز آخر للاستفادة
من قوة انحدار النهر سموه « مشروع روتبرغ » وهذا المشروع أصبح يثير ويدير المدن
والمستعمرات والمعامل في أكثر بقاع فلسطين . أما العرب فلم يستفيدوا من ذلك حتى الآن
إلا ملح الطعام . يضاف إلى هذا خيرات الاغوار فإن خصوبة أراضيها مضرب المثل ،
ولسرعة نضوج مزروعات الغور أطلق عليه اسم « طباخ » . وفيه تزرع وتنمو مزروعات
وأشجار المناطق الحارة كالنخيل والموز والفطن والفول السوداني والارز وقصب السكر
وغیره مما يزرع الآن وما جرب قبلاً ، وهو يزرع ثلاث مرات في السنة إذا توفرت له المياه .
هذه الكنوز الكيماوية والمنافع الموجودة في وادي الأردن والبحر الميت هي التي يود
اليهود تحويل الأردن لأجلها ليسهل عليهم تهجير البحر الميت . أما الأراضي فيستفاد من
الجداول والروافد لإروائها .

إن هذا العدوان الوحشي الذي يقوم به اليهود ويغطي عليه أنصارهم وأخوانهم ومؤيديهم
هو لاجل إيقاع العرب والفرز في قلوب سكان هذه الديار - وقد ضربهم بالإفلاس -
لهاجروا ويتركوا البلاد خراباً ياباً كي يحتلها اليهود باسم المحافظة على الأمن والعمران .
هذه حقائق لا ريب فيها وإن الأمر ليس أمر حدود . ولقد كنا قبل الحرب نذّر
بالخطر على فلسطين ، وما نحن الآن نذّر بالخطر على المملكة الأردنية .

إحصاء النهر

نابلس

فهل آن لنا أن نستيقظ ؟

تصحيح

وقع في الجزء الماضي ص ٢٦٧ س ١٠ خطأ صوابه (إلى الله والرسول)

الكتيب

نظام السلم والحرب في الاسلام

للاستاذ السيد مصطفى السباعي • ٤٨ صفحة جيب • مطابع الكشف في بيروت

الأستاذ السيد مصطفى السباعي من نوابغ خريجي الأزهر ، ومن حملة الدكتوراه في التشريع الإسلامي ، وقد أهله مواهبه لقيادة الرأي العام الإسلامي في الديار الشامية ، وله جهاد بالسلح في فلسطين كجهاده بالبيان لتوضيح رسالات الله كما جاء بها الإسلام . وهذا الكتيب اللطيف بداية سلسلة وعد بإصدارها تحت عنوان « هذا هو الإسلام » تبحث عن الفكرة الإسلامية الحديثة من مختلف النواحي . وقد تكلم في هذه الرسالة الأولى من تلك السلسلة عن موقف المسيحية من السلم والحرب . وموقف الإسلام ، ومبادئ السلام في الإسلام ، ونظام السلم الداخلي ، ونظام السلم الخارجي ، وواقع الحروب الإسلامية في التاريخ . وكل ما يكتبه الأستاذ السباعي جدير بشباب الإسلام في كل مكان أن يستفيدوا منه .

أسس الحكم في الاسلام

للاستاذ محمد عبد الله السمان • ٨٠ صفحة جيب • مطابع دار الكتاب العربي .

هذه الرسالة هي الحلقة الرابعة من سلسلة رسائل الفكرة الإسلامية للأستاذ السمان ، بدأها بعد المقدمة بتمهيد عن الحكم في الإسلام ، وعن الحكم والاستقرار . ثم انتقل إلى موضوع « الاعتراف بالإسلام » ، فتحدث عن الذين يرتجفون من الدعوة إليه وعن الدستور الإسلامي والقانون الإسلامي والنظام الإسلامي ومرونة التشريع وختمه بالإشارة إلى خطوة إيجابية . ثم انتقل إلى موضوع « الاعتراف بالشعب » ، فتكلم فيه عن البيعة ، وعن براءة الإسلام من الحكم الوراثي ، وعن موقف أهل الحل والعقد من الإمام إذا جار وظهر غشه . وخطط المؤلف بعد ذلك بين نظام الإسلام والأنظمة الأجنبية عنه مع أن الإسلام لا يحكم العامة بالخاصة ولا يعرف الشورى إلا وأمل الحل والعقد . وبعد أن ضرب الأمثلة انتقل إلى موضوع « الحكومة المستقيمة » ، فتكلم على استقامة الحاكم وبشريته وعفته وعن تحقيق العدالة والمسئولية الشاملة وعن الشعوب المغلوبة . ووعداً بأن تكون الرسالة القادمة عن الدعوة الإسلامية

الأدب العلوي في شهر

مزارع الكتب العراقية

يقول الأستاذ فؤاد جميل في (إذاعة باكستان) إن في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ١٥٢٠٠ كتاب منها أكثر من ثلاثة آلاف مخطوط . وهذه للمكتبة جمعت من مكتبات مساجد بغداد قبل نحو ربع قرن ، ويقومون الآن بتنظيم فهرس لها على غرار فهرس دار الكتب المصرية . ومن مخطوطاتها كتاب « تأريخ مختلف الحديث » لابن قتيبة كتب في مدينة واسط سنة ٤٧٢ هـ .

وفي مكتبة المتحف العراقي خزانة كتب مهمة لكل ما يتعلق بالعراق والبلاد العربية والشرقية ولا سيما في تاريخها القديم مما تسهل معه المقارنة بين الحضارات القديمة في مختلف الأماكن كالحند والصين واليونان والرومان فضلا عن الأمم التي سكنت العراق . وفي هذه المكتبة نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد بخط السماوي منقولة عن نسخة قديمة يقال إنها في السكاظية . وفيها بعض أجزاء من وفيات الأعيان قبل إنه بخط القاضي ابن خلكان .

أما مدينة الموصل فإن ما فيها من خزائن الكتب قد وصفها الدكتور داود الجلي في كتابه المشهور (مخطوطات الموصل) ولوزارة المعارف العراقية مكتبات عامة في مقاطعات العراق الأربع عشرة وفي مناطق أخرى ثانوية . ومبلغ مجموع ما فيها من الكتب مضافا إلى مكتبة مديرية الآثار حسب آخر تقرير لوزارة المعارف ١٩٩٧ و ١١١٠ كتابا

جامعة القاهرة

أعدت إدارة جامعة القاهرة لإحصاء عن هيئة التدريس في الكليات والمعاهد المختلفة ، وعدد الطلبة والطالبات في الجامعة ، وبعض البيانات الخاصة بهم . وفيما يلي أهم ما يتضمنه الإحصاء :

يوجد في الكليات والمعاهد التابعة للجامعة ١٦٩ أستاذا و ٢٣٠ أستاذا مساعدا و ٣٠٣ مدرسين و ١٠٠ مدرس مساعد و ٣٦٦ معيدا و ٧ أساتذة غير متفرغين و ٧ أساتذة زائرين و ٤٨ مدرسا غارجين عن هيئة التدريس ، وبذا تكون هيئة التدريس مكونة من ١٢٢٢ من الأساتذة والمدرسين .

واضطرت هذه اللجان إلى كتابة كثير من إقرارات التسليم والتسليم باللغات التركية والألمانية والفرنسية ليستطيع سكان القصور والمساكن الذين لا يعرفون العربية قراءة هذه الإقرارات والتوقيع عليها .

هزة سميحة

أعلن الدكتور محمد طلعت عميد كلية الطب بجامعة الإسكندرية في حديث له أن هزة سميحة قد نشأت بين البعض من الأطباء وبين مثلهم العليا ، وهم يتسابقون إلى المادة في عالم مضطرب . ثم أورد من تفاصيل ذلك أن الإخصائي الاستشاري يفحص أى مريض يستطيع دفع الأجر ، وهو يتقاضاه أجراً مضاعفاً إذا تقدم إليه دون واسطة الطبيب المعالج . وإخصائيو المستشفيات العامة والتعليمية يعملون على اجتذاب المرضى إلى عياداتهم الخاصة ، وهم في ذلك يلتحقون أو يتطوعون للعمل في أكبر عدد من المستشفيات فيحرمون زملاء لهم من العمل ، وربما اضطرت حاجة هؤلاء إلى النزول بالمستوى الاجتماعي للهينة . وقد أدى هذا التكالب بأحد الجراحين الإخصائيين إلى أن يعلن عن استعداده أن يدفع عروناً مالياً لمستشفى يتطوع فيه . وفي إحدى العيادات الخارجية التي أعرفها شخصياً اعتادت الممرضة أن تصح من يدل لباسه على شيء من اليسر بأن الأوفى

وتضم الكليات والمعاهد هذا العام ٢٠٥٤ طالباً و ١٨٩٩ طالبة ، ومن بين هذا العدد ٣٥٧ طالباً سودانياً ، و ٩٦٣ طالباً من مختلف الدول العربية الشقيقة ، علاوة على ٨٥ طالباً من الطلبة المغاربة ، و ٦٦ طالباً من الإفطار الشرقية ، و ٩٨ طالباً من جنسيات مختلفة .

مخطوطات أثرية بالمرسى

انتهت بمثة اللجنة الثقافية للجامعة العربية من البحث عن المخطوطات العربية ذات القيمة التاريخية وتصويرها بعد أن قضت في بلاد الأردن نحو أسبوعين لإنجازها . وقد صرح أحد أعضائها بأن البعثة عثرت في القدس على مخطوطات ذات أهمية أثرية وتاريخية لا مثيل لها في العالم ، وستزور دمشق وبيروت للغاية ذاتها .

لا يعرفون العربية

لاحظ أعضاء لجان حصر ممتلكات أفراد أسرة محمد على أن معظم هؤلاء الأفراد لا يعرفون اللغة العربية ولا يتكلمون بها في قصورهم مع أنهم مضى عليهم مائة وخمسون سنة وهم يتناسلون في مصر . وهم يتكلمون - مع التركية - الفرنسية والألمانية والإيطالية - وسأل أحد أعضاء اللجان سيدة من أفراد هذه الأسرة : ألا تعرفين اللغة العربية (ليكلمها بلغة البلاد) فردت قائلة : لا أعرفها .

وبدل التخصص ... وكانت هذه العلاوات كلها رشوة . وإنى لأربأ بالمتعلمين في هذا العهد أن يقبلوا على أنفسهم هذا الوضع . إننا لن نحاي طبقة على حساب طبقة ، ولكننا سنعطي بالوطن - كمجموعة - نحو الحياة القوية . أرجو أن نعرف هذا ونفهمه ، فإن الوطن لا يكون قوياً بوفرة الحياة لنصف مليون متعلم ... إننا نريد أن يأكل ويلبس ويعالج ويسكن كل المواطنين . وأنتم تعلمون أن اليهود الماضية تركت لنا مواطنين لا يجدون ماياً كلون ، ولا ما يلبسون ، ولا مأوى يأوون إليه ، .

حكماء المياه العربية

ما زالت قائمة في أسبانيا

كان مما لفت نظر مندوب غرفة الاسكندرية التجارية في أثناء زيارتهما الأخيرة لإسبانيا ، « حكماء المياه » التي ما زالت قائمة في إسبانيا منذ العهد العربي . وهي تقوم بحسم كل خلاف بين الزراع في منطقة بلنسية على رى أراضيهم فتتصف المغبون وتوقع العقوبة المناسبة على من يجور على حقوق غيره ولو كان من قضائها وهذه المحكمة المؤلفة من الأهالى تشمل فيها العدالة العربية في بساطة لإجراءاتها وشعبية نظامها ودقة أحكامها التي لا تتقيد بأى قانون وضعى بل تستند إلى التقاليد المرعية والعرف الذي توارثته قضائها عن العرب . وهي تتمتع باحترام عميق في نفوس الإسبان شعباً وحكومة لا يقل عن احترامهم لأكبر هيته قضائية في بلادهم .

لمصلحته استشارة الطبيب في عيادته الخاصة وفى كثير من الأحيان تكون كلمة السر لدخول المستشفى زيارة سابقة بأجر معلوم للطبيب في العيادة الخصوصية ... الخ .

فطر الارتجال

في الخطاب العظيم الذى ألقاه الرئيس محمد نجيب في هيئة التحرير بأسبوط قال : « إننى أحذركم من الوقوع في براثن مرض فتك بأعمالنا في الماضى وهو الارتجال ، فكم من مشروح قضى عليه في المبد لأنه لم يدرس ولم يعرف القائمون به الصعاب التي تترضه والثغرات التي نعيه : فضاء وضاعت معه الجهود التي بذلت فيه والاموال التي جمعت له . فاعطوا بهذا الماضى ، وادرسوا مشاكل المجتمع الذي تعيشون فيه ، واجمعوا الإحصائيات ، وقيسوا جهودكم على الأعمال المطلوبة منكم . فإذا فرغتم من الدرس والبحث فنفذوا مشروعاتكم معتمدين على الله وعلى ثقة مواطنكم بكم . »

ملو الطبقة المتعلمة

ألقى البكباشى جمال عبد الناصر نائب رئيس الوزراء خطبة في منيا القمح قال فيها : « إن الطبقة المتعلمة طالما تملقت اليهود الماضية على حساب باقى المواطنين . وكانت الحكومات ترى أن الطبقة المتعلمة ذات أسنة طوال تستطيع أن تمتد إلى الحكومة لتقول لها مثلاً : إنك لا تسيرين في الطريق المستقيم . فتبادر الحكومة بصرف العلاوات ، وبدل التفرغ ،

العجالة الإسلامية في شهر

قوة العرب أجمعين

خطب الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي في المؤتمر السياسي بمدينة الإسكندرية فقال : لقد وكل إلى هذه الأمة المصرية أمر قيادة شعوب العرب في أم منطقة من العالم . ولكن بكل أسف لم تتم مصر في الماضي بما يجب أن يذل في هذا المضمار حتى تتمكن من السير - بقوة العرب أجمعين - إلى مجد العرب أجمعين ، مجد العرب وعزتهم أجمعين يجب أن نفهم أن وطننا ليس مقتصرأ على مصر فقط ، إن هناك ملايين عديدة تقف إلى جوارنا وتنتظر منا أن نقودها إلى مجدها السابق . إننا لن نتجح في هذه الناحية إلا إذا تبصرنا جيداً هذه الأمور واضعين نصب أعيننا أن الوطن هو منطقة العروبة جمعاء .

أعمالنا ونوحد خطتنا وأغراضنا وأهدافنا . وإني مطالب وأوجه هذه الكلمة لكم لنجد صداقتنا في نفوس العرب في كل مكان . إن مطالب - كمشول في هذه الأمة - أن أدبر اجتماعات شعبية تمثل العرب في كل مكان . وليكن هذا الاجتماع في القاهرة في أقرب وقت ممكن ، يحضره ممثلو الشعوب لا الحكومات ، يتدارسون ويتباحثون ويتناجون ويدرسون الخطط التي توصل إلى تحطيم الظلم والإرهاب والاستعمار . بهذه القوة البشرية الهائلة ، وهذه الموارد الهائلة التي بين أيدينا ، وبهذه المنطقة الحيوية ، وبسواعدنا وتماسكنا ، وبتوحيد خططنا ، نستطيع أن نستغنى عن العالم أجمع ، وأن ننبد إلى الأبد فكرة العون من الغرب أو من الشرق

موقف مصر من الاستعمار

ألقى الرئيس اللواء أركان الحرب محمد نجيب خطاباً في مدينة أسيوط قبل عودته إلى القاهرة تحدث فيه عن أهداف هيئة التحرير ، وعن زعامة الشباب ، كما تحدث عن فكرة الحرس الوطني والإنجليز والخدمة العسكرية . وفي

لقد سمعتم من أخى جمال منذ شهر مضى أنه اقترح عقد اجتماع لقادة العرب كل شهرين أو ثلاثة ، وليكن هذا الاجتماع في مكة المكرمة ، نناقش فيه أمور دينانا وننسق

وفى اليوم الذى نستطيع فيه انزعاج حريتنا
نصبح أمة قوية ، ولن تقف يومئذ أمامنا
أمريكا ولا بريطانيا ولا أية دولة أخرى ،

الكهرباء بالمدينة

وضع الملك سعود بن عبد العزيز أثناء زيارته
للمدينة المنورة الحجر الأساسى لمحطة توليد
الكهرباء .

الاتحاد الإسلامى

وجه مندوب جريدة (القاهرة) إلى حاكم
الباكستان السؤال التالى :

س - ما رأيكم فى قيام اتحاد إسلامى بين
الدول الإسلامية على نمط الكومنولث ؟

فأجابه : أرى أن التكتل بين الدول يزيد
من قوتها ، وكلما انجبت الدول الإسلامية
نحو التكتل زادت قوتها وقوى نفوذها ،
ولاشك أن الدول الإسلامية لو توحدت
فى نظام يجمعها لأصبحت قوتها الدولية لا
تقل عن قوة كل من الكتلتين الشرقية والغربية
ولست وحدى الذى يجذ هذا المشروع ،
بل إن سلفى السيد محمد على جته - الحاكم العام
السابق لباكستان - طالما نادى بهذا رأى
وإن بعث هذه الفكرة ليس سابقاً لأوانه .

ختم خطابه وجه لدول الغرب إنذاراً حاسماً
قريباً ، وكان مما قاله :

إن الاستعمار أفقرنا ، وأجاعنا ، وفرض
علينا المرض . . . فالقتال من أجل الحرية
سيجمعنا فى ظل الشدة ، وسيجعل كلامنا
رفيقاً وزليلاً لأخيه المصرى من غير أن
يسأل ابن من هو .

ولتعلم دول الغرب هذه الحقائق وتنفكر
فيها جيداً ، لأن النار التى يودون إشعالها فى
الشرق العربى ستحرقهم قبل أن تحرقنا . بل
ستحرقهم دون أن تحرقنا ، وسنبقى أقوىاء
ظافرين ، لأننا على حق وهم معتدون .

لما صداقة أساسها حريتنا الكاملة ، ولما
عداوة ستقف إلى جوارنا فى حربها
شعوب العرب .

إنى أقرر بإيمان أن الحرس الوطنى سيكشف
عن مواهب أبناء الشعب الكامنة فيه ، وأنه
حينما تدق ساعة الجهاد سيهرون العالم .

مساعرات هذه الدول

قال وزير الإرشاد القومى الصاغ صلاح
سالم : « إننا إذا كنا سنظل نأمل فى مساعدة
هذه الدول فلن نصل إلى شئ . ولتعلبوا أنه
لا توجد أية دولة مستعدة لمجاملتنا ، فكل دولة
تنظر إلى مصلحتها وإلى مصلحتها فقط . ولن
نحصل على شئ إلا إذا انزعجنا بسواعدنا .

إلى الاتحاد الإسلامي

صرح الرئيس اللواء محمد نجيب بأن وحدة وادى النيل مقدمة لتأليف اتحاد إسلامي واسع النطاق . فقد قال في الخطاب الذي ألقاه في جامعة القاهرة : « لو مجتمعت عن السر في تمسك بريطانيا بالتفريق بين شطري الوادى لعرفتم أن وراء إتمام وحدة وادى النيل هدفا أعظم ، هو أن يصبح وادى النيل المتحد العمود الفقري لاتحاد إسلامي عظيم يمتد من شمال إفريقيا إلى الملايو شرقا ، ومن شمال البحر الأبيض المتوسط حتى جنوب إفريقيا .

المؤتمر الإسلامي في القدس

استقبلت مدينة القدس في الأسبوع الأخير من شهر ربيع الأول الماضي وفود الأقطار الإسلامية لعقد مؤتمر ينظر في القضية الفلسطينية على ضوء الأحداث التي وقعت إلى الآن ، وما ينبغي أن يكون موقف العالم الإسلامي منها . وفي صباح يوم الخميس ٢٦ من ربيع الأول الذي افتتح فيه هذا المؤتمر نشرت « الأهرام » البيان الآتي من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قال :

ينعقد المؤتمر الإسلامي في القدس اليوم للنظر في موقف المسلمين من أعظم كارثة ارتكبتها الإنسانية في هذا العصر ، وهي

إخراج أمة من بيوتها وحقوقها ووطنها ، وإلغاؤها بنسائها وشيوخها وأطفالها في خارج الحدود ، لتحل في محلها أمة أخرى غريبة عن البلاد .

وإذا كان المهيمنون على القوة البشرية قد ارتضوا لأنفسهم أن يقفوا موقف المتفرج بل موقف المؤيد لهذه الفاجعة ، وما يتلوها من بغي على الأماكن المقدسة ، وتثبيت للمعدوان على جهات أخرى - فإن هناك خمسمائة مليون مسلم عاصروا مراحل هذا الحادث الإنساني العجيب ، وراقبوه من مرحلة إعلان حكم الانتداب على فلسطين ، إلى تنظيم الهجرة اليهودية المتواصلة ، إلى ابتكار فكرة تقسيم فلسطين ، إلى المصارحة بإقامة دولة إسرائيل ، إلى التمتع بسباع أنين الإنسانية والفضائل حزنا على فتك القوات الشريرة بالضعفاء والمضطهدين من سلالة أصحاب فلسطين ومالكها من قبل أن يخلق إسرائيل بآلاف السنين .

لقد دعيت للاشتراك في هذا المؤتمر ، استنكاراً لأبشع بغي وقع في تاريخ الإنسانية خالت الظروف بيني وبين أن أكون مع الذين اشتركوا فيه .

ولكن قلبي وقلوب خمسمائة مليون مسلم تضطرب باشمزاز وسخط غصبي على التشكيل بالآبرياء جبهة على سمع القوة وبصرها ، ولاني

إن ما قيل من أن أمريكا تمنحنا قروصاً لتنفيذ مشروعاتنا الإنتاجية ، والاجتماعية والثقافية لم يكن إلا خداعاً ، وبهتاناً . فها نحن بعد أربعة عشر شهراً من قيام الثورة لم نر شيئاً ، ولم نصدق شيئاً .

لا بد من الاعتماد على أنفسنا .

لأن أمريكا مرتبطة تمام الارتباط بحليفاتها إنجلترا . وللثنتين عدو مشترك هو روسيا . وأمريكا لا نرضينا لنغضب إنجلترا .

لا تصدقوا أن أمريكا ستساعدنا ، فإنها وحليفها إنجلترا خطتهما واحدة ..

الخطر على روحانية الصحراء

من اتساع الرخاء المادي

عرضت مجلة (إيكونوميست) لموضوع مهم يتعلق بالبترول في صحارى بلاد العرب ، والروحانية التي كانت تتجلى على تلك الصحارى قبل السئراء الطارئ ، وما يخشى على تلك الروحانية من خطر ينشأ عن اتساع الرخاء المادي الطارئ عليها بسبب استغلال آبار البترول .

ولما وقع نظرنا على ملاحظة هذه المجلة الأجنبية تذكرنا حديث عمرو بن عوف في

وكل مسلم على وجه الأرض مشتركون في كل ما يقرره المؤتمر الإسلامي في القدس لإزالة هذه السببة عن الإنسانية التي وقعت كارثة فلسطين تحت ممعها وبصرها .

إن هذا بنى ، والبخى مصرعه وخيم ، وعلى الباغي تدور الدوائر ، وإن الله بالمرصاد للظالمين .

وإني لأهيب بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يجودوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل إنقاذ المشردين الجائعين من أهل فلسطين ، فإن في إنقاذهم عملاً لعار بهد كيانه البشرية بأسرها ، وإنقاذاً للكرامة للمسلمين أمام العالم ، والله يوفقنا ويهدينا سواء السبيل .

أقبوه

استطاع البكباشى جمال عبد الناصر في خطبة له أن يصور حقيقة الموقف السياسى بوضوح ، ودقة ، وإيجاز ، قال :

إن ما يزعجه « العالم الحر » من مساعدة الشعوب الصغيرة ليس إلا « أفيوتا » لتخدير هذه الشعوب كي تمام ، ويظل هذا « العالم الحر » مسيطراً عليها .

إنهم يعتبروننا أسواقاً لترويج منتجاتهم ، وإنهم ينهبون أرزاقنا ويسرقونها ويقدمونها لاهليهم ، ويمطوننا بدلاً منها وعوداً كاذبة .

السودان عن مصر بأن تقيم دولة مستقلة صورية قبل انتهاء عام ١٩٥٣. ثم تعقد هذه الدولة مع بريطانيا مثل معاهدة ليبيا مثلا ١. وربما كنا أطلقنا نحن المصريين في ذلك الوقت على السودان اسم دولة السودان المزعومة. وكان ذلك كله قبل حركة الجيش بشهور قليلة. ولذلك حرصنا عندما قمنا بالحركة على أن نتصل بالسودانيين أنفسهم لتعرف على رغباتهم التي هي رغباتنا. فهم يريدون إجلاء المستعمر كما نريد نحن. وقد واجهنا الحقائق بشجاعة فعرقلنا مناورات ومؤامرات المستعمرين.

أسوان بين أسرها وحررها

خطب السيد رئيس الجمهورية في أهل أسوان عند زيارته لهم في الشهر الماضي، فكان مما قاله لهم:

« كان جهد الحكام في العهد المنقرض يقف بهم عند المديرية القريية من القاهرة. أما أنتم فأبعد ما تكونون عنهم. لقد كانت مديرياتكم وعواصمها ومراكزها منقلا يبعث اليه إلا بكل مغضوب عليه مطرود من رحمة الله ولا يشارككم مشاق العيش إلا من لفظته الحكومة. مع أن مديرية أسوان هي صلة الوصل بين شقي الوادي، والشريان الذي يصل الرأس بالجسد. وإن هذه المنطقة وما حوالها

صحيح البخاري الذي يرويه عنه المسور بن غزوة وهو قول رسول الله ﷺ: « والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وهذا الحديث من اعلام النبوة.

والمال في نفسه ليس خطراً على فرد ولا على جماعة، ولكن الخطر ينشأ عن وضعه في غير مواضعه، وعن استعماله في المهم دون الأهم، والاستجابة فيه لوصي الساعة فلا نصفي إلى نداء المستقبل.

انقاذ السودان

كشف الصاغ صلاح سالم عن سر خطير يذاع للمرة الأولى، فقد أوضح في الخطاب الذي ألقاه بجامعة القاهرة كيف أن الاستعمار البريطاني كان قد أعد خطة لفصل السودان عن مصر قبل انتهاء عام ١٩٥٣، قال.

« في أبريل عام ١٩٥٢ قدم الحاكم العام للسودان الذي كانت له السلطة الأولى مذكرة لمصر تتضمن الملاحظات على دستور الحكم الثاني. وكانت أم نقطة في هذا الدستور تقول: « يحق للسودان أن يقرر مصيره في عام ١٩٥٣ إذا أراد. » ومعنى ذلك أنه كان من الممكن أن تمضي بريطانيا في سياستها لفصل

الزراعة فى الوامات

وزعت وزارة الزراعة على أهالى الواحات الداخلة والخارجة عشرة آلاف شجرة من الزيتون والموالح والعنب والرمان والمشمش بالمجان ، كما وزعت عليهم أشجاراً خشبية لاستعمالها كسياج لمقاومة سفوف الرمال على مزارعهم . وذلك رغبة فى توفير ما يكفى حاجة البلاد من الموالح والفاكهة والتصدير منها .

موقف مصر الاقتصادية

ألقى الدكتور عبد الجليل العمري وزير المالية والاقتصاد محاضرة فى قاعة يورت موضوعها « ما نريده فى شئوننا الاقتصادية ، وبما قاله فيها :

لاشك أن مستوى المعيشة منخفض فى مصر وهذه حقيقة تعز فى نفوسنا ، ومرجع هذا إلى تزايد عدد السكان . وقد تناول الباحثون هذه الناحية بإسهاب ، وتظهر هذه المشكلة بجملاء بمقارنة الزيادة المطردة فى السكان بالزيادة فى موارد الإنتاج على اختلاف أنواعها من أراض ومصانع ومصادر للقوى المحركة وما إلى ذلك ، وأهم ما يستره النظر فى هذا الصدد هو أنه بالرغم من نمو الاستثمار الصناعى فإن عدد المشتغلين بالصناعة فى آخر

هى التى شهدت فى الماضى مولد مجد مصر وحضارة مصر ، وهى التى قام بها خزان أسوان واحتملت فى سبيل إقامته - المرة بعد المرة - ما لم تحتمله مديرية أخرى .

وقد كان خزان أسوان - ولا يزال - الجهاز المحكم فى صدر حياتنا ، أعنى النيل العظيم ، وسيكون فى الغد القريب بإذن الله مصدراً لروزق جديد . فسنولد منه الكهرباء فينبثق نورها يضيء ، وتنطلق حرارتها تخلق صناعات كبيرة كصناعة الحديد .

إن التاريخ يعيد نفسه ، فلقد خرجت الحضارة من بلادكم ، وستقام بلادكم فى وضع أساس الصناعة المصرية الفخمة التى تؤمن إيماناً عميقاً بأنها الوسيلة الناجمة لقضاء على الفقر الذى نكابه ، والمرض الذى يفتك بأولادنا فتكا ذريعاً . وعندما تقوم هذه الصناعات الفخمة ستفتح المصانع الكبيرة أبوابها لأولادكم ليتعلموا فيها ولينجوا مصنوعات تزيد من دخلنا وتعيننا على أن ننشئ ما نحتاج إليه من مدارس ومستشفيات ، ونشقى ما يلزمنا من مصارف وطرق ، ونستصلح ما ينتظر الإصلاح من أراضينا الزراعية ، ونروى ما يحتاج إلى الري من مناطقنا الصحراوية .

إنى لا أدعىكم بالامانى إن أنا قلت لكم : إن اسم أسوان سيطير فى الآفاق وسيكون على لسان كل إنسان فى عالم الصناعة .

ولقد خصصت الحكومة اعتمادات كبيرة في الميزانية الإنتاجية للسنة الحالية والسنوات المقبلة لاستصلاح منطقة تقرب من ربع مليون فدان في مختلف أنحاء البلاد ، كما أنها تسهر بخطوات موفقة لاستكمال أبحاث السيد العالي وإعداد وسائل تمويله مما ينتظر معه زيادة المساحة المزروعة بنحو مليون و ٢٠٠ ألف فدان خلال ١٥ عاما .

وزيد إلى جانب ذلك زيادة الاستثمار للصناعى زيادة مطردة بحيث تستوعب جانباً من الزيادة في عدد السكان ، فإن عدد القادرين على العمل يزداد سنوياً بنحو ١٥٠ ألف نسمة وزيد أن يتحول من هؤلاء إلى الصناعة قرابة ٥٠ ألف نسمة .

ويجب أن نسمى أيضاً لاستغلال الصناعات الحالية إلى أقصى حد ، لاجتناب استيراد ما يماثل منتجاتها ، كما زيد ألا يقتصر تفكيرنا على الصناعات الضخمة ، وليكن الهدف الذى نسعى إليه هو اقتفاء أثر اليابان في الاهتمام بالصناعات الصغيرة إلى جانب الصناعات الكبيرة .

تعداد سنة ١٩٤٧ لم يتجاوز المليون مقابل ثلاثة أرباع المليون في سنة ١٩٢٧ ، ولم يزد نصيب الصناعة في الدخل القومى زيادة تذكر ، بينما زاد عدد المشتغلين في الزراعة من ثلاثة ملايين ونصف مليون في عام ١٩٢٧ إلى سبعة ملايين ونصف مليون في عام ١٩٤٧ بينما الأراضي الزراعية تراوحت تقديراتها بين ٥١ و ٥٩ ملايين من الافدنة مما أدى إلى ازدحام الريف وتناقص إنتاج العامل وقصور الأراضي المزروعة عن تزويدكم بالغذاء الكافى . ولهذا يجب أن نعمل على زيادة الإنتاج من الرقعة الحالية وهو ما نسعى إليه في الوقت الحاضر عن طريق التقاوى المتقنة ، وإبادة الحشرات ، واستعمال الأسمدة العضوية والكيميائية ، والآلات الزراعية ، مع تحسين وسائل الري والصرف الحالية .

وتفترن بتحسين طرائق الإنتاج وزيادة الرقعة المزروعة ، وهذا هو أساس إحداث زيادة ملحوظة في الدخل الأهلى تساعد على زيادة طلب الكثرة على مختلف السلع مما يسهل قيام التصنيع وازدهاره .

وزيد في السنوات القادمة أن يسير استصلاح الأراضي بنسبة تقرب من نسبة زيادة عدد السكان أو تربو عليها .

الحياة النيابية فى مصر

من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٥٢

قال الدكتور محمد حسين هيكل فى شهادته بقضية أحمد عبد الغفار : « وكان عندنا نقص فى الدستور من حيث أننا مركزون كل السلطة فى القاهرة ، والملك كان فى يده السلطة والبرلمان والوزارة . أما الهيئات النيابية فى الأرياف فليس لها سلطة مطلقاً ، والشعب ما فىش فى يده سلطة . فكان بطبيعة الحال يضطر أن يجارى السلطة القائمة . وفى سنة الحياة النيابية من سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٥٢ تغيرت فى مصر أكثر من عشرين وزارة ، والمجلس الذى ما يرشح الملك كان يحصل ، والوزارة التى ما تعجبش الملك كانت تقال . »

الأزهر يستولى على مبنى

من أوقاف عبد المال

طلب الأزهر إلى وزارة الأوقاف ، اتخاذ مبنى الملجأ المنشأ حديثاً من وقف عبد المال مقراً لدراسة الفصول الزائدة من طلاب معهد سمود الدينى .

وقد استجابت الوزارة لهذا الطلب وأحالت أوراق هذا المبنى إلى المحكمة الشرعية للبت فى الموضوع .

حياد أندونيسيا

أعلن السيد سوكانتو رئيس جمهورية أندونيسيا فى خطبة ألقاها بمدينة (سوراكارنا) أن بلاده ستقف على الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية .

الانقلاب فى إيران

قال الدكتور مصدق رئيس وزارة إيران السابق فى أثناء محاكمته فى طهران : إن إيران كانت مرتعاً للخيانة ، وإن حكومتها لم تكن تتخذ أى قرار سرى حتى تعرفه لندن فوراً . وإن الأجانب هم الذين دبروا انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ ، لا الشعب ، ولا الشاه الذى فرض عليه هذا الانقلاب من الدول الأجنبية .

محمد على

يشتق جد الأستاذ سليمان حافظ

صرح السيد سليمان حافظ ، أن محمد على عندما كان بطارد الممالك إلى أقاصى الصعيد ، كان يختار أربعة من زعماء القبائل فى كل بلد ، ويعدهم بقصد الإرهاب .

وقال السيد سليمان حافظ : إن أحد أجدادى كان من هؤلاء الضحايا فى بلاد النوبة ، وقد شق فى قلعة أبريم .



فهرس

الجزء الرابع — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
٣٨٥	يقيم من مصر المتينة	الأستاذ محب الدين الخطيب ورئيس التحرير
٣٩٨	نقعات القرآن : سحر هاووت وماروت . . .	» عبداللطيف السبيعي عضو جامعة كبار العلماء
٤٠٥	السنة : خصومة الأكابر	» طه محمد السكاكيت المفتش بالأزهر . . .
٤١٠	مولد رسول ومولد رسالة	صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . . .
٤١٢	ديوان مجد الاسلام — غزوة أحد	الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محمد . . .
٤٢٦	نظرية الدفاع الهجومي بمدا تتصا والمسلمين في بدر	اليوزباشي أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
٤٣٠	العالم في ظلال المذاهب البشرية	الأستاذ أبو الوفا الراعي
٤٣٧	الرباط في الاسلام	» أحمد الشرايبي
٤٤٤	ليس امرأة شرما أن تخافس السياسة . . .	صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . . .
٤٤٦	الرق وآثاره في التشريع الاسلامي	الأستاذ أحمد طه السنوسي
٤٥٤	انتكاس الانسانية والحضارة بانتصار شارل مارتن على عبد الرحمن الفانقي	صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . . .
٤٦٣	طفيان الاستثمار وخطر التبعية : ما تأخذ من نظم الغرب وما نأخذ	الأستاذ صابر علي رمضان الجوشي . . .
٤٦٦	جدد نفسك (شعر)	صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . . .
٤٦٧	المجاهدات في الدول الاسلامية	الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده . . .
٤٧٠	الترجمة العربية لكتاب إيساغوجي (نقد)	الأستاذ أحمد فؤاد الأهواني
٤٧٧	في أصول النشر	» محمد علي النجار
٤٨٠	لغويات	» طه الزيني
٤٨٥	نظرة في شامه	» محمد عبد أبو شهبه
٤٨٨	الدخيل وكتب التفسير	» محمد أبو الملا البنا
٤٩٣	الحساب الفلكي	» إحسان النور
٤٩٨	كنوز بلاد سدوم	قلم التحرير
٥٠٠	الكتيب	» »
٥٠١	الادب والعلوم في شهر	» »
٥٠٤	العالم الاسلامي في شهر	

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر



مشيخة الأزهر الشريف

تعيين صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن ناج

قرر مجلس الوزراء في جلسته المزمعة يوم الخميس ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ (٧ يناير سنة ١٩٥٤) الموافقة على قبول الاستقالة المقدمة من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر ، واختار لهذا المنصب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن ناج عضو جماعة كبار العلماء وأستاذ الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة إبراهيم وعضو لجنة وضع مشروع الدستور . وفي يوم السبت ٤ جمادى الأولى (٩ يناير) صدر قرار مجلس الوزراء الخاص بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن ناج شيخاً للأزهر ، وقد أبلغته السكرتيرية العامة لمجلس الوزراء إلى فضيلته .

وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن ناج مولود بمدينة أسبوط سنة ١٣١٤ (١٨٩٦) ونال شهادة العالمية بالمرتبة الأولى سنة ١٣٤١ (١٩٢٣) وشهادة التخصص بالمرتبة الأولى أيضاً سنة ١٣٤٥ (١٩٢٦) وعين بعد تخرجه مدرسا بمعهد أسبوط الديني ثم نقل إلى المعهد الأزهرى سنة ١٩٣١ ثم اختير أستاذا بكلية الشريعة سنة ١٣٥٢ (١٩٣٣) . وفي سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦) اختير عضواً في أول بعثة الأزهر إلى أوروبا ومكث في فرنسا سبع سنوات وثلاثة أشهر . ونال الدكتوراه من جامعة السوربون ، وعاد من فرنسا سنة ١٣٦٢ (١٩٤٣) فاختير للتدريس في قسم تخصص القضاء الشرعى ، ثم عين مفتشاً للعلوم الدينية والعربية بالمعاهد الأزهرية ، وعين شيخاً لمعهد الزاويق الديني ، ثم شيخاً للقسم العام والبعوث الإسلامية بالأزهر ، وعضواً دائماً وسكرتيراً فنياً للجنة الفتوى بالأزهر وقد كان في عضوية هذه اللجنة منذ إنشائها في سنة ١٩٣٥ ، واختير أستاذاً للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق في جامعة إبراهيم ، وحصل على عضوية جماعة كبار العلماء سنة ١٣٧٠ (١٩٥١) وكان موضوع رسالته « السياسة الشرعية والفقہ الإسلامی » . واختير عضواً في لجنة وضع مشروع الدستور الجديد عند تكوينها في العام الماضي .

مجلة الأزهر

وفي صباح يوم الاثنين ١١ يناير توجه فضيلة الأستاذ الأكبر إلى إدارة المعاهد الدينية حيث تسلم مهام منصبه الجديد ، وكانت في استقبال فضيلته جموع حاشدة من أساتذة الأزهر وطلابه ، وتمالت المآفات بحياة فضيلته وحياة رجال الثورة الأحرار .

وقد أقبل أعضاء جماعة كبار العلماء وأساتذة الكليات والمعاهد الدينية والموظفون الإداريون على مكتب فضيلته مهنتين . وبعد أن استمع فضيلته لكتابهم أطل على جموع الأزهريين المحترمين أمام مبنى الإدارة وأرتجل الكلمة الآتية :

« أشكر لكم هذه الحفاوة البالغة وهذا الاستقبال الرائع . وإنى أرجو أن يوفقني الله لأن أقدم بالأزهر إلى المكانة العالية التي كان يتبوؤها من قبل

وإنى أبشركم بأن بوادر هذا المستقبل الزاهر المرجو للأزهر قد لمستها في جلسات قصيرة خفيفة مع رجال هذا العهد السعيد . فقد لمست فيهم إيماناً خالصاً وضراعة إلى الله تعالى أن يعينهم على ما فيه خير الأزهر .

والذي أرجوه أن ينصرف كل منا إلى واجبه وأن يحافظ على النظام ، ولا أطيل عليكم ، وسأجمل برنامجي في كلمة قصيرة وهي :

أني سأعمل على أن يكون العدل بين جميع الأزهريين رائدي ، وعلى أن يحافظ كل منا - وأنا أولكم - على أداء واجبه . فليحافظ كل منا على أداء هذا الواجب ، وسينال كل حقه كاملاً إن شاء الله ، والله المستعان ، ويده الحول والطول ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وفي اليوم نفسه زار الأستاذ السيد فتحي رضوان وزير الدولة مكتب صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر في إدارة المعاهد الدينية .

وتوجه فضيلة الأستاذ الأكبر والأستاذ الشيخ صالح موسى شرف السكرتير العام للأزهر إلى قصر الجمهورية وقيدا اسميهما في سجل الزيارات لمناسبة تعيينهما في مناصبيهما .

فضرع إلى الله عز وجل أن يحمل عهده عهد إصلاح وحيوية وتجديد للجامع الأزهر وكلياته ومعاهدته لينجد به شباب الإسلام ، ويعود المسلمون إلى طريقهم نحو السعادة والرضا الإلهي .

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر ولبنان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
ثمان الجوزة هـ

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ
مَجَلَّةُ شَهْرَتَيْنِ بِمِصْرَ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر على

رئيس التحرير
عبد الله الخطيب
العنوان
ادارة الجامع الأزهر بالعاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الخامس - القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٣ - ٦ يناير ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وسائل... وغايات...

إن الاستعمار يعالج الآن سكرات الموت ...

وبعد أن كان التاريخ واقفاً منذ ثلاثمائة سنة يشاهد انسياب هذا الاضطراب نحو
الأوطان الإسلامية - وطن بعد آخر - ليفشب فيها أرجله المصاصة ، ويفرض عليها وصايته
- بل عبوديته - في معاشها وحقوقها وأسواقها وصناعاتها وأذواقها وثقيف أبنائها وغزو
عقائدهم بترويج مبادئ تخالفها وإدارة بلادها بما لا يتفق مع مصالح أهلها والقضاء بينهم
في حقوقهم ودمائهم بأحكام غير أحكامهم ؛ رأينا بعد الحربين العالميتين واقفاً يشهد قصة
انسحاب هذا الحيوان المفترس : فرفعت هولاندا قبضتها الحديدية عن إندونيسيا بعد أن
تحكمت فيها أكثر من ثلاثمائة سنة ، وانكش الاستعمار البريطاني من باكستان والهند بعد
أن استغل كل ما فيهما من مدر و-حجر وشجر وبشر مدة مائة سنة استغلالا سافراً ومدة
خمس سنين أخرى قبل ذلك باسم الضيافة والتجارة وصيانة المصالح ، وتحجرت البلاد الشامية
من الانتداب الفرنسي السمج بعد أن عانت منه الامرين فيما بين الحربين ، وانقلب إيطاليا
من ليبيا وأريتريا فقيعت في حذاء وطنها المغفور في البحر لتستيقظ فيه من أحلام موسوليني
بتجديد سطوة الرومان وجبروتهم على الأرض . وما نحن الآن نرى السودان مقبلا على

هدد جديد من حياته العامة تتولاها وزارة من أبنائه الأحرار بإشراف مجلسه النيابيين عليها ،
وسيسجل التاريخ عما قريب خروج آخر جندي أجنبي من منطقة القتال في مصر ، ثم من
فلسطين ، وشمال إفريقيا ، ومن كل بقعة أخرى في دنيا المسلمين .

إن هذه الأحداث من أعظم أحداث التاريخ ، وما بقي منها أيسر مما أتم الله به نعمته
علينا حتى الآن . وإن عظمة هذه الأحداث في عواقبها أهم وأغزر بركة من بوادرها ،
بشرط نحتم لا مناص منه وهو أن يضع المسلمون حداً لحياة الارتجال ، وأن يفتنوا إلى رأى
حكيم فيما ينبغي لهم أن يأخذوا وما ينبغي لهم أن يدعوا ، وأن يرسموا طريقهم السوى إلى
مستقبلهم الذى هم ماضون إليه .

هذه العملية ، عملية تكوين الرأى الحكيم فيما نأخذ وما ندع ، وعملية رسم الطريق
إلى المستقبل ، هما شطر العمل العظيم الذى نحن مقبلون عليه وهو إقامة كيانتنا الكريمة
في الخلافة على الأرض ، أو في الخلافة الصالحة على أرضنا وشعوبنا في الأقل .

الأساس يجب أن يكون متناسباً مع البناء الذى سيقوم عليه . فإذا أراد الفراش أن
يقيم سرادقاً لحفلة تنتهى في ليلة ثم يقوض سرادقه فإنه لا يحتاج إلى إقامة أساس للسرادق .
وأنا لما بنيت بيتى في روضة القسطنطين رأى المهندس أن متراً واحداً تحت الأرض يكفى
لإقامة الأساس الصالح للبيت . ولكنهم لما أرادوا أن يقيموا في ميدان التحرير هذا البناء
المجمع الذى لا تقل مرافقه عن مرافق بلدة من ضواحي القاهرة احتاجوا إلى أن يبذلوا
من العناية في أساسه المتوارى تحت الأرض ما لا يقل عن عنايتهم بإقامة هذا الصرح الجسيم
الذى لا يضارعه بناء آخر حتى الآن في بلاد الجمهورية المصرية . إن كل أساس يجب أن
يكون متناسباً مع كل بناء يراد إقامته عليه ، وقديماً قالوا «على قدر أهل العزم تأتي العزائم» .

رأينا كثيرين ممن يشتغلون بالأمور العامة يتساحون في البدايات على أمل أن يتلافوا
ذلك فيما بعد . ومثل هؤلاء كمثل المهندس الذى يريد أن يقيم بناء كالبناى المجمع فيتساح في
أساسه على أمل أن تكون العناية مبذولة بعد ذلك في تقوية البناء الذى سيقوم فوق الأساس .
إن هذا التساح عظيم الخطر ، وهو عمل من يبنى ليومه ، ولا يبالى بما يأول إليه بنيانه في غده .
هو عمل الفراش الذى يقيم السرادق لاجل ليلة واحدة ، لا عمل المهندس الذى أشرف على
تشيد البناء المجمع ليبقى كما هو بعد دهر طويل .

نحن مقبلون على تشييد بنايتنا الأعظم وتكوين كياننا الخالد ، وكما نفعل هنا سيفعل أمثالنا في الشام والعراق والمملكة السعودية واليمن ، وإخواننا في الباكستان واندونيسيا وفي كل بقعة من دنيا المسلمين . كل ناحية من هذه النواحي تنظر إلى نظائرها في النواحي الأخرى لتقتبس منها ولتقل عنها ولتسير على مواعط أقدامها وآثار خطواتها . يقول مكون كياننا الأول ، باقى ببيان النظام الإسلامى الخالد صلوات الله وسلامه عليه : « أيها الناس ، إن لكم معالم ... فانتبهوا إلى معالمكم ! » .

ومعنى هذا أن القافلة إذا أوغلت في الصحراء ، حيث تشابه الجبال والفيافي والأودية ، فإنه ينبغي أن تكون لها معالم تسترشد بها في تعيين طريقها بين مصدرها وموردها ، بين بداية سيرها ونهايته ، وأول معالم كل وحدة من وحدات المجتمع الإنسانى الأعظم هو أن تعلم هذه الوحدة من هي لتعرف بعد ذلك من هم أولياؤها ومن هم شاتها ، وأن تعرف ما هي أهدافها لتعرف بعد ذلك هل هي تدنو من تلك الأهداف أم تبعد عنها ، وهل ماتهم أن تأخذ به يبسر لها الوصول إلى ما تريد أم يحول بينها وبين ذلك ؟

ولا نستطيع — وقد وصلنا إلى هذا الموقف — إلا أن نعود فنذكر الأسئلة الخطيرة التى وجهها وزير خارجيتنا الأستاذ محمود فوزى إلى أمته ، ولا تزال إلى الآن بلا جواب قطعى يقتزن القول فيه بالعمل ، وهذه الأسئلة هي : من نحن ؟ أين نحن ؟ ماذا نريد ؟ ما هي وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟

إنها أسئلة حكيم ، وقد أضعنا نحو سلتين من حياة الأمة منذ وجهت إلينا هذه الأسئلة . ولو أننا انتبهنا فيها إلى نتيجة قطعية لكانت هذه النتيجة صالحة لتكون أساساً يقوم عليه ببيان كياننا المنشود .

لقد خرجنا من حياة الاستعمار ، ونريد أن ندخل في حياة التحرير . وما نحن أولاء نحاول أن نتحرر من كثير من عوائق الحرية والاستقلال التى مكن لها الاستعمار في بلادنا إن لم يكن هو الذى أقامها بعناية قد أجهد رجاله في بذلها ، وسهر على رسم خططها وتنفيذها في جملتها وتفصيلها .

قرأت للبكباشى أركان حرب حسين الشافعى فى « رأى » له سديد أعلنه فى العدد الرابع من « الجمهورية » هذه الكلمة البعيدة الغور ، المريقة فى الحكمة :

ولا يمكن القضاء على الاستعمار إلا إذا تعرفنا على وسائله وأسلحته المختلفة ، وحددنا - في نفس الوقت - الأسلحة المضادة التي يمكن مقابله بها . فقد يستخدم الاستعمار (المبادئ) ليغزو بها (العقيدة) ، فيجب أن نتسلح بمبادئ وعقيدة تمنع هذا السلاح الخطير الذي يتسلل إلى عقول أبنائنا فيجد لنفسه العون في أبناء الأمة التي يريد غزوها . ولنا في مبادئ ديننا خير العون على مقابلة سلاحه بأسلحة أقوى وأمنع .

وعجيب أن ينسب لهذه الحقيقة العظيمة أحد دعائم الثورة وأعلامها ، وبغفل عنها مديرو الجامعات وعمداء الكليات وأساتذتها وقادة الفكر وأهل الرأي .

نعم ، كما أن هناك استعماراً عسكرياً ، واستعماراً سياسياً ، واستعماراً اقتصادياً ، فإن هناك استعماراً عقلياً أيضاً . هنالك استعمار من أسلحته (المبادئ) وهو يغزو بها (العقيدة) . وكما ينتظر أن يحاربنا الاستعمار بهذا السلاح فإن مما ينبغي لنا أن ندرسه ما سهر الاستعمار على دسه في تربة أوطاننا وعقول متقفينا وقلوب جماهيرنا من قتابل هذا السلاح عندما كان الاستعمار يفرض علينا وصايته - بل عبوديته - في معاشنا وحقوقنا وأسواقنا وصناعاتنا وأثواقنا وتقيف أبنائنا وغزو عقائدهم بترويج مبادئ تخالفها وإدارة بلادنا بما لا يتفق مع مصالح أهلها والقضاء بينهم في حقوقهم ودعاتهم بأحكام غير أحكامهم . وأنا أقول عن إيمان وافتتاح : إن الاستعمار العسكري لم تطب نفسه بالهزيمة التي منى بها في أوطان المسلمين إلا بعد اطمئنانه إلى أنه قد خلف وراءه في دنيا المسلمين استعماراً عقلياً لعسله أعز عليه من الاستعمار العسكري الذي وطن نفسه على الرضا بما قضى الله عليه به من هزيمة وإفلاس .

إن الاستعمار العقلي شر على الأمم الإسلامية من الاستعمار العسكري : لأن الاستعمار العسكري يستعبد الأجسام والمرافق ، أما الاستعمار العقلي فيستعبد النفوس والقلوب والعقول . ولأن الاستعمار العسكري يدافع عن نفسه برجاله ، أما الاستعمار العقلي فيدافع عنه رجال منا . ولأن الاستعمار العسكري يشترك في الثغرة منه ويساهم في مناصبته العداء خاصة الأمة وعامتها ، أما الاستعمار العقلي فلا يشعر به عامة الناس ، وكثيراً ما يلتبس أمره على خاصتهم فيحسبون ما فيه من سم دسماً ، بل رأينا ألوفاً من المثقفين يجدونه ويدافعون عنه ويسمونونه تقدماً وارتقاء . لذلك كان التخلص من الاستعمار العقلي أصعب من التخلص من الاستعمار العسكري ، لأنه مما تختلط فيه الوسائل بالغايات ، وقد يباح في الوسائل ما لا يباح في الغايات .

لما كانت اليابان تحاول في أواخر القرن التاسع عشر ما نحاوله نحن الآن في أواسط القرن العشرين من الأخذ عن الغرب للموض بالشرق زار البارون كيتارو كانيكو الياباني الفيلسوف الأشهر هربرت سبنسر العالم البريطاني ، وطلب منه النصيحة لوطئه في أسئلة وجهها إليه ، فكان مما أجابه به الفيلسوف سبنسر :

« إن سياسة اليابان يجب أن تكون لإبعاد الأمريكيين والاوربيين عنها ولو قيد ذراع فإن موقفكم حرج ، والخطر محقق بكم مزمن لوجود أمم أخرى أقوى منكم . فابدلوا أقصى جهدكم في منع الأجانب من أن يتمكنوا في بلادكم ، ويظهر لي أن المعاملات التي تفيدكم ولا تضر بكم إنما هي المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الطبيعية وغير الطبيعية من صادرات وواردات ، فلا تمنحوا امتيازات لأمم أجنبية ، وخصوصاً الأمم التي هي أقوى منكم إلا ما كان لازماً لهذه المعاملات ، فإني أرى أنكم تريدون من تنقيح المعاهدة التي بينكم وبين دول أوروبا وأمريكا أن تفتحوا بلادكم كلها للأجانب ولا موافقهم ، فساءت هذه السياسة لأنها الضربة القاضية عليكم ، فإذا أردتم أن تعملوا ماسيحل بكم فافقروا تاريخ الهند : أنيلوا إحدى الدول القوية موطن قدم في بلادكم ومستنداً تستند إليه فتتحول إلى الاعتداء عليكم بعد زمن ، ويفضى الأمر إلى النزاع بينها وبينكم ، فتشيع عنكم أن ذلك النزاع إنما هو اعتداء منكم عليها فيجب أن تتأمر لنفسها منكم ، فتضع يدها على قسم من بلادكم وتستعمره بأبنائها وتتخذة قاعدة تحمل منها عليكم لإخضاع سائر البلاد اليابانية . نعم إنكم ستجدون المصاعب في تجنب هذا الخطر ، ولكن إذا منحت الأجانب امتيازات غير التي ذكرتها سلمت عليهم ما يسعون إليه » .

والذي نصح به سبنسر لليابانيين يتناول شئون الاستعمار الاقتصادي والسياسي والعسكري . وأفزع منه ما يتعلق بشئون الاستعمار العقلي ، فإن مخازيه أبقى ، وعواقبه أطول ، وأضراره تستعصى على من يعالجونها بعد أحقاب .

إن هذه الحضارة الغربية اندفعت على الدنيا بتيارها الرهيب . والمسلمون منها على ثلاثة مذاهب : أولها مذهب كان يمثل الإمام محي باليمن ، وهو أن يسد الباب في وجهها فلا يقبل منها خيراً ولا شراً . والمذهب الثاني يمثل أحد المؤلفين المصريين في الثقافة ، وهو يذهب في كتابه إلى أن حضارة الغرب كل لا يتجزأ ، وعلينا أن نقبلها بخيرها وشرها ، وما فيها من محاسن وفواحش . والمذهب الثالث هو الذي يقول أصحابه بأن هناك وسائل وغايات .

وهو ما أراد أن يوقظنا إليه البكباثي أركان حرب حسين الشافعي في « رأى » نشرته له « الجمهورية » ، بعددها الرابع . وهو الذي كان يحول في ذهن الأستاذ محمود فوزي يوم وقف يسأل : من نحن ، أين نحن ، ما ذا نريد ، ما هي وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟ وقد أدت الكلام حول هذه الأسئلة في الجزء الرابع من السنة الماضية لمجلة الأزهر .

والآن نوجه هذا السؤال الصريح إلى كل مفكر في دنيا المسلمين مهما كان مذهبه واقتناعه : هل يرجو أن يخرج المسلمون عن دينهم فينتكروا له ويتحولوا إلى غيره ؟ أنا أزعج أنه لا يرجو ذلك إلا من فقد عقله وارتضى أن يعيش في عالم الخيال . وما دام المسلمون سيبقون مسلمين حتماً ، فن الصواب لكل من يواطنهم ويعاملهم وينوى أن يستمر في عشرتهم أن يجيب بصراحة وشجاعة على السؤال الأول من أسئلة الأستاذ محمود فوزي فيقول بلا تقيّة ولا تردد : نحن مسلمون . وإذن فلماذا لا نبني كياناتنا التي نفقدها على أساس أننا مسلمون ؟ ولماذا لا نمضى في كل تجديد نستحدثه في معارفنا ومدارسنا وثقافتنا وآدابنا وفنوننا على أن يكون هذا التجديد إسلامياً ؟ ولماذا لا تفتح جامعاتنا صدورنا للدراسات والبحوث الإسلامية باعتبار أنها دراسات قومية ، وبحوث في صميم الكيان الذي ننسب إليه ؟ أنا أعلم أن الكثيرين منا يشمئزون من هذا التوجيه ، ويظنون أنه ليس في مصلحة هذه الأمة . ولكنني مع على بنزعهم أزعج أن روح الاشتمزاز هذه من بقايا الاستعمار العقلي ، وأن الاستعمار قد غرسها في النفوس بعناية ورعاية وطول تفكير وتصميم ، وأن أول ما يجب علينا ونحن في صدد التجديد والتحرير أن نتحرر من الاستعمار العقلي الذي يريد أن يشكك المسلمين في إسلامهم ، ويهاجم بين كل فترة وأخرى ناحية من نواحي هذا الكيان الإسلامي ، وإذا غلب الاستعمار العقلي على أمره ووقف من الإسلام وجهاً لوجه فاضطر إلى الاعتراف به يحاول أن يؤمن ببعضه ويكفر ببعضه ، داعياً إلى الحكم على الإسلام بالحبس بين جدران المساجد فيقتصره على عنصر واحد من عناصره وهو العبادات . أما حياة المسلمين العامة فيريد أن يسيطر عليها ظله الاستعماري قاتلاً إن حضارة الغرب كل لا يتجزأ . . .

لا يا سيدى ، ولا كرامة . إن حضارة الغرب أصبحت بلاء على الغرب نفسه ، وهويته منها . ومن مظاهر أبنته منها شكوى نيتشه الفيلسوف الألماني التي نشرناها في الجزء الماضي (ص ٤٦٢) من أن الغرب كان سيء الحظ يوم حرم من اعتناق حضارة

الإسلام . وشكوى كلود فارير (التي نشرناها في ص ٤٥٤ - ٤٥٥) من أن الإنسانية تأخرت في حضارتها ثمانية قرون يوم تغير اتجاه التاريخ بخروج قيادة الحضارة من أيدي المسلمين . ومثل ذلك كلمة هنري دى شامبون صاحب مجلة ريفو پارلمنتير التي اطلع عليها القراء في ص ٤٥٦ من الجزء الماضى

إن حضارة الغرب لم تسكن في يوم من الأيام كلا لا يتجزأ ، وقبلنا بوجود في الكون كل لا يتجزأ ، والذرة التي كان الفلاسفة والطبيعيون يعتقدون من ألوف السنين أنها جزء لا يتجزأ شاهدنا في عصرنا حادثة تحطيمها وتجزئتها فكان ذلك من أعظم أحداث التاريخ . وحضارة الغرب التي يريدون منا أن نقبلها على أنها كل لا يتجزأ - هي في الواقع مكونة من شطرين مختلفين : أحدهما وسائل ، وعماده هذه العلوم المحضة ونتائجها في الصناعات والتنظيم ، وهي مما تعاقبت الأمم والعصور على المساهمة في إيجاده وتنميته والتقدم فيه ، وكان للغرب والمسلمين حظ في ذلك عظيم ، إلى أن وصلت هذه العلوم وثمراتها إلى الغرب ، وهو معترف بأنها علوم عالمية لا تستأثر بها أمة دون غيرها ، ولا يدعى الفضل فيها شعب على سائر الشعوب . وهذه العلوم - من رياضية وطبيعية ، وما أثمرته من صناعات وتنظيم - نعدها وسائل ، ونحرص على الأخذ بها ، والمساهمة في إنهاضها واستثمارها إلى أبعد غايات التقدم والاستثمار . أما الشطر الثاني من الحضارة فهو الشطر الثقافي وما يتعلق منه بالمقومات الأدبية والفكرية والاجتماعية والأغراض الإنسانية ، فهذا مما لا يرى المسلمون أن الإنسانية عرفت منه ما يضارع الذي جاء به الإسلام وجنح إليه المسلمون يوم كانوا مسلمين . ولذلك يعتبره المسلمون من صميم الغايات ، التي لا يرضون بها بديلا ، ويرون أن ما طرأ عليها من تصرف يخالفها في معاهد تعليمنا ومرافق دولتنا وأذواق شعوبنا إنما كان بما دسه علينا الاستعمار من حيث لا نشعر ، أو فرضه علينا بسلطانة العسكرى والسياسى ليكون من دعائم استثماره العقلى الذى يرجو أن يستخلفه علينا يوم ينكشف استثماره العسكرى والسياسى عن أوطاننا . ومن تمام تحررنا من الاستعمار أن نتحرر من هذا الاستثمار العقلى بعناية وبصيرة وخطط نرسمها للخلاص منه كالخطط التي رسمها الاستثمار لفرضه علينا وترويجه في مجتمعاتنا وبثه في كياناتنا حتى نستغنى به عن إسلامنا وتتخذ منه غايات ، نكتفى بها عن غاياتنا .

الوسائل ، هي التي نحن في حاجة إليها في نهضتنا وصناعاتنا وأسباب قوتنا . والغايات ، هي المعالم ، التي أرشدنا مكنون كياناتنا محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى أهميتها ، وأمرنا

بأن ننتهي إليها ، وأن نجعلها على مرأى منا ، مادمتا سائرين بقافلتنا في فيافي الحياة . وكل ما نفرط به من غاياتنا ، فهو كسب للاستعمار يقيم في موضعه احتلالاً من استعمار العقل يرحضنا به عن قلاعنا ومعقلنا لنفسلخ عن كياننا الذي لأجل المحافظة عليه نقاوم الاستعمار وإن لم نحافظ عليه بمقاومة الاستعمار العقلى تكن مقاومتنا للاستعمار العسكرى والسياسى لهوا ولعبا .

أيها المسلمون ، إن لكم معالماً ... فاقموا إلى معالكم !

حب الدين الخطيب

مؤسس « الاستعمار العقلى » فى مصر

كان حسين نغرى باشا يتولى فى وزارة فهمى باشا الثانية وزارتى المعارف والأشغال معا ، وكانت شئون الأشغال كلها فى يد مستشارها مستر جارستن ، وكانت شئون المعارف كلها فى يد مستشارها القسيس دانلوب مؤسس « الاستعمار العقلى » فى مصر . وليس لحسين نغرى باشا فى كلتا الوزارتين غير التوقيع والختم . وبعد أن دامت هذه الحال عشر سنين أعطيت وزارة المعارف لسعد زغلول وانفرد حسين نغرى بختم وزارة الأشغال . وعلى أثر ذلك نشرت (المؤيد) رجواً بليغا يقال إنه من شعر شوق ، وهو هذا :

تمزيق لذى الوزارتين تمزيق الشيعة فى الحسين
قد كان يعطى الختم باليدى فصار يعطيه لجارستين
مطبعة فى مثل حجم المين يديرها الكاتب دورتين
فيظفر الرشى بمليونين

زين الوزارات وأى زين قد استرحت بعد طول الاين
وكننت متعبا بالاثنتين كتعب الزوج بضرتين
فراق « دانلوب » كد الدين فلا تعد لقاء بعد بين
لا يلدغ المؤمن من رنين

نَفْحَاتُ الْفَرَّانِ

- ١١ -

لَقْمَانُ الْحَكِيمِ

ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن اشكره ومن يشكر
فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد

هبة من الله ، تفضل بها على عبده لقمان ، فداشت ذكراه بين الذكريات الحية ،
وصارت له نفحة أريجة بين تلك النفحات العلوية التي يتضوع بها القرآن .

فإن يكن لقمان واحداً منا فقد جعله الله مثلاً طيباً في الأولين والآخرين .. وإن يكن
عبداً أنعم عليه وبه كما ينعم علينا ؛ فقد آتاه الله الحكمة [ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً] .

فن - يا ترى - لقمان المذكور في كتاب الله ؟؟ .. وما الحكمة التي امتدحه بها مولاه ؟؟
١ - أما هو - فقد حاول أسلافنا أن يحددوا نسبه ، ووطنه .. بل ولونه ، وطول
قامته .. دون أن يتوفر لهم دليل ثابت على شيء من ذلك ، فاضطرب لديهم القول ، دون حاجة
إلى هذا الاضطراب ، ثم خرطه بعضهم في عقد النبوة اجتهداً منهم .. وكأنهم استكثروا
أن يشيد القرآن بغير النبيين ، فمل علينا من سبيل أن ندع هذا التحرى ولا نخوض فيه ..
وحسبنا أنه عبد كريم على ربه : أضفى عليه من فضله ما نستمد منه علماً واسعاً ، وهدياً
نافعاً .. وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ؟؟

٢ - وأما الحكمة التي أوتينا فليست - بالإجماع - ما نعهد من طب وعلاج
للأمراض الحسية .. وهي بعد ذلك مجال ذهب فيها المفسرون مذاهب شتى .

وإذ كان القرآن أطلقها عن التقيد ، فما بالنا نحصرها في معنى دون آخر ؟؟ لكن

القرآن يريدنا شاملة لكل ما ينطوي تحتها من مواهب ، ولو قصرناها على ، وهبة دون أخرى
لكان هذا تحجيرا لها .. وإشادة القرآن بها تأتي ذلك التحجير .

فليقل ابن عباس - رضى الله عنهما - عن حكمة لقمان : إنها العقل ، والفهم ، والفتنة .
وليقل غير ابن عباس : إنها العقل ، والفقه ، والإصابة . أو إنها إتقان الشيء علما
وعملا ... أو هي كمال حاصل باستكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية ،
واكتساب الملائكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ... فكل ذلك صحيح ، وكل
ذلك هو الحكمة ، وليس من سبب للتضييق ، وبجانب ما يبدون إطلاق القرآن ...
ولعل فيما يغمرنا به العلماء من شواهد الحكمة عن لقمان ما يزيدنا ارتياحا إلى إفراح
معناها .. فقد رووا أنه صحب داود - عليه السلام - شهورا ، وداود يسرد الدرع
- يصنعها - فلم يسأله لقمان عما يصنع ، فلما لبسها داود وقال : نعم لبوس الحرب أنت !
عرف لقمان فادتها دون أن يسأل ، وقال : الصمت حكم - حكمة - وقليل فاعله .

وروا أن داود أمره يوما أن يأتيه بأطيب مضغتين من الشاة ، فأناه بالقلب واللسان ،
ثم أمره يوما آخر بأخبث مضغتين من الشاة ، فأناه بالقلب واللسان ، فسأله داود ليعرف
ما عنده ، فقال لقمان : هما أطيب شيء إذا طبأا . وأخبث شيء إذا خبثا . وهو طبعا
لا يقصد مذاقهما أكلا ، وإنما يقصد عملهما ، وذلك يتمثل في الحديث النبوي : المرء
بأصغريه : قلبه ولسانه .

وروا كذلك من حكمه : يا بني . لا تأكل على شبع ، فإن إلقاءك إياه للكلب خير
من أن تأكله . يا بني : لا تكن حلوا فتبلع ، ولا مرا فتلفظ . يا بني : ذقت المرار فلم أر
شيئا هو أمر من الفقر . وحملت كل شيء ثقيل ، فلم أحل شيئا أثقل من جار السوء .

وهكذا من مآثور حكمه الوفيرة التي عرفت عنه ، ثم صارت أمثالا موروثة على التاريخ
وكان من أروعها بهجة ، وأخلدها أثرا ما يرويه القرآن ، ويتخذ من حكايته وسيلة في التهذيب .
فإن القرآن كعهدنا به يسوق من قصص الأولين ما يقرب العظة به إلى النفوس ، ويفر بها
بالقبول ، مستأنسة بمدح من سلف ، فإن التقليد من نوازع الفطرة ، وإذا عرف الإنسان
شيئا مدح في غيره هان عليه أن يأخذ به . كما أنه إذا عرف شيئا عيب على غيره رغب عنه
وتحاشاه ولو ظاهرا ، ولأن القرآن في هذا وفي غيره أولى بمسيرة الفطرة ، وتوجيه العقول
من مسالكها الهينة ، كثر فيه القصص والتثيل .

وقد اهتدى المربون إلى ضرب الامثال ، حتى ليخترعونها على السنة الحيوان ، توصلا إلى بث المعارف المرغوبة ، وتلقيح الفكر بما يراد تزويدها به مصورة في صورة الواقع المحكى . فكان من منهج الكتاب العزيز أن يطالعنا بشيء من أدبه محكما عن لقمان في وصيته لابنه : وإذ كان لقمان حريصا أبلغ الحرص على تزويد ابنه بكل خير يرتجيه له في دينه ودنياه كان مأخوذا برحة الأبوة ، مترفقا معه في ألين أسلوب ، حتى ليدعره في وصيته بلهجة الوالد الواله : يا بني . يا بني . يا بني .

دعوات ثلاث . هتف فيها لقمان بابنه ليستيقظه من غفلته ، ويستحثه على الخير بمجرعاً في ثلاث غايات : في توحيد الله ، وعمل صالح ، وأخلاق حسان .
ويجمل بنا أن نتروى مع القارىء في عرض هذه الثلاث لنستوضح من خلالها مبلغ الحكمة ، ونقبس من هديها نورا ، نرجو إلى الله أن يدوم .

الغاية الأولى — التوحيد :

١ — « يا بني ! لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم »

بدأ لقمان يغرّس في ولده عقيدة التوحيد ، ويطبعمه على الثقة بالله وحده ، ويشعره في قوة بأن الاتجاه إلى غير مولاة شرك ، والشرك ظلم تجفل منه النفوس الطيبة : بل هو الظلم العظيم .

٢ — « ثم ركز لقمان هذه العقيدة في قلب ولده فيناديه ثانيا . « يا بني ! ! إنها إن تلك مثقال حبة من خردل ، فتسكن في صخرة ، أو في السموات ، أو في الأرض ، يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير » .

يبين لقمان لابنه : أن من خصائص الوجدانية التفرد بالعالم الشامل ، ويؤكد له أن ذلك حق في جانب الله وحده ، وأنها — أى شئون الناس عامة — وجميع حسناتهم ، وسيئاتهم معلومة كلها لله ، وأنه سيأتي بها ويجزى عليها ، مهما غابت عن أذهان خلقه ، أو زعموها ضئيلة كحبة من خردل ، أو حسبوها مع هذه الدقة مستكنة في صخرة ، أو سابحة في السموات أو مفدوفة في بجمال الأرض — إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء — والله تعالى من لطفه ، ودقة علمه ، ما يعرف به السر وأخفى . . كما له من عظيم خبرته وكال قدرته ما يدبر به ملكوته ، ويكشف به عن حكته ، ويحقق به عدالته .

بهذا الإيجاز الذي جمعه لقمان في وصف الله بالطف وبالحبرة يوجه ولده إلى صدق الإيمان بالله، والإخلاص في توحيده، حتى يكون قدر الله تعالى حق قدره كما هو شأن المؤمنين .

٣ — وإنما تكرر نداء لقمان لابنه مرتين في جانب العقيدة : لأنها الأساس في تكوين الصلة بالله، وعليها تنبنى الأعمال المقبولة، وتنهض الأخلاق المنشودة ؛ فكل شيء بعدها متفرع عنها، ومظهر لها . . .

٤ — وبين النداء الأول والثاني من كلام لقمان نرى إضافة جديدة ليست محلبة عن لقمان ، وإنما هي خبر من جانب الله سبحانه بأنه شرع طاعة الولد لوالديه قديما ، وألزمه الوصية بهما ، كفاء فضلهما عليه ، ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين ، : أن اشكر لي ، ولوالديك ، إلى المصير . . الخ ، حملته ضعفا يزيد بعد ضعف ، وعانت في رضاعه حتى قطمته بعد عامين .

وهذه الإضافة — التي يسمونها اعتراضا بين كلام لقمان — مقصودة لتعزيز قضيته مع ابنه ، ومؤازرته في دعوته إياه إلى الإيمان ، وما بعده من إرشاد . . . فيكأن هذه الإضافة تقول : إذا كان من مقتضيات الأبوة أن يبذل الأب لولده إرشاده ، ويبتغي كلا الوالدين لولدهما كل خير ، فقد حق على الولد أن يطيعهما في ذلك ، ضرورة أن فضلهما سابق عليه ، وأتينا وصينا قديما بمراعاة حقهما ، وبرهما والمبادرة إلى ترضيتهما في جنب الله ، حتى ولو كانا على شيء من الشذوذ ، فليصاحبهما في الدنيا معروفا .

وفي ذلك توجيه شامل نحو حق الوالدين ، يكشف ويؤكد الغرض من حكاية وصية لقمان ، ويكشف ويؤكد أن الوصية بالوالدين مما شرعه الله من فجر التاريخ ، وعززها القرآن في تعاليمه .

٢ — الغاية الثانية في وصية لقمان - العمل الصالح .

[يا بني اقم الصلاة ، وأمر بالمعروف : الآية] .

٣ — الغاية الثالثة — الأخلاق الحسان .

[ولا تصغر خدك للناس : الآية] .

ونحن نرى : أنه أهاب بابنه مرة ثالثة ، وأنه جمع في حوزة هذا النداء الثالث كل ما قصد إليه من عبادة وأخلاق ، بعد أن فرغ من دعوته إلى العقيدة وأيدها بالدليل .

وكأنه لم يفرق بين ما يعتبر من رسوم العبادات ، وما يعتبر من الأخلاق : فالصلاة ، والأمر بالمعروف ، والقصد في المشي ، وعدم تصغير الخد للناس : كل ذلك من قبيل واحد في وصية لقمان ، باعتبار أنها مظهر العقيدة الصحيحة ، وأنها لا تتوفر إلا عند من توفر فيه إيمان صادق ، فإن يكن للعبادات شأنها الراجح ، وعليها ثوابها المقدور . فكذلك للأخلاق الكريمة شأنها الراجح ، وعليها ثوابها المقدور ..

وإن تكن بين العبادات والأخلاق فروق أخرى : فالدين ينظر إلى الأخلاق نظرة لكبار ، ويعول عليها في قيام الحياة المنشودة كالعبادة ، حتى يطلبها من أهله مع غير أهله . وقد نعلم من أحكام الشريعة أن الله يحبط عبادة عابد لسوء خلقه ، وأن الله قد يتسامح في حقه مع عبد من عباده لطيب أخلاقه . وما مدح الله عبده ورسوله محمداً - ﷺ - بأصرح مما مدحه في قوله [وإنك لعلی خلق عظیم] . وسنة الرسول حافلة بالتوجيه نحو كرم الخلق ، ومنها « أقربكم مني مجلساً يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، الخ » .

١ — [يا بني .. أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور] . فهذه أمور أربعة : ما بين صلاة ، وصفات أخرى يغلب عليها الطابع الديني ، وواضح أنها تكشف عن عقيدة سليمة قوية ، فإنه لا يقيم الصلاة ، ولا يأمر بالمعروف حقاً إلا من كان مطمئناً قلبه بالإيمان . ولا ينهي عن المنكر في إخلاص مشكور إلا من كان متحاشياً لفعل المنكر . ولا يصبر على مصابه راضياً محتسباً إلا من هانت عليه نفسه ، ورخصت عنده الدنيا طمعاً في مشربة الله ، وثقة بوعده للصابرين .

فلك أهداف قصد إليها لقمان ، وعلم ابنه أن الأخذ بها آخذ بآكد وأقوى ما عزم الله به ، وطلبه إلى عباده ، وهي في ذاتها من مقومات النفوس ، ومن بواعث الإجلال ، وأسباب القدوة الحميدة .

ومن هذا لم تكن هيئة يطبقها ذو همة فائرة ، وإنما هي عظام ، ينهض بها من تسامى عن الهوان ، وتعشق الكمال - [إن ذلك من عزم الأمور -

٢ — [ولا تصغر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور] .

من أمراض الإبل داء يعرف بالصعر ، إذا أصاب البعير لوى عنقه فيصير مائلا ، . .
 وحينما يبذل المبره بأفة الغرور ظانا في نفسه ميزة على غيره ، قد يأخذ الإعجاب بنفسه حتى
 يباهي بتصغير خده ولى عنقه ، على نحو ما نرى فيمن يحذر طربوشه إلى أحد صدغيه ،
 أو يكفأ عمامته على جبهته ، رغبة في المباهاة ، وحسبانا أن ذلك مما يبرز بهاء الشكل وحسن
 الهندام . . نرى هذه الظاهرة بادية في رجل انتفخت أوداجه ، تظاهر بالقوة ، أو الجاه ،
 أو نحوهما مما يفتن به صغار النفوس ، ونرى مثل ذلك في امرأة زعمت في نفسها ما ليس
 لغيرها من النساء ، ويقوم مقام هذا الظاهر أحاديث الغرور التي تساق للتمدح ، والإعلان
 عن النفس . . فكل ذلك محقوت ، ولا يرفع من قدر صاحبه .

وقد اعتبره القرآن حكاية عن لقمان مرضا مشوها للخلفة الطبيعية ، وهو مرض الصعر
 المعروف في الإبل . . وكفى بهذا التشبيه تنفيراً من الكبر والتكبرين ، وتحقيراً لما يقع
 من المخدوعين ، فكل غرور مبعثه الغلو في تركية الإنسان لنفسه ، وحامل له على الاختيال
 والتبختر يعتبر من الخيلاء وتصغير الحد ، ولو لم يكن هناك تصغير خد .

والمرح - ظهور الإنسان في مظهر الطيش والتدح بما ليس من ذاتياته ، ككثرة ماله ،
 أو بسطة نفوذه ، أو بعدد ولده وأهله ، أو امتداد صيته ، واتساع شهرته ، ونحو ذلك
 من العراوض التي يستغلها المأفون في التدح ، والافتخار بين الناس .

كل ذلك مسخوط عند الله تعالى : وغير محبب إلى القلوب ، وهو مناف لما يدعو إليه
 القرآن من التجميل بمكارم الأخلاق ، والتلطف في استرضاء الغير ، وتوثيق المحبة ، وقد
 أئذ الله بكراهيته أصحاب الاختيال - وهم الصنف الأول ، وأصحاب الفخر - وهم الصنف
 الثاني . إن الله لا يحب كل مختال فخور ، . وإذا كانت كراهية الله لاحقة بمن يلتفت
 بالخيلاء والفخر الصارفين عن الكمال ، فإذا بقي للمختال أو الفخور من حظ ؟؟

٣ - [واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير] .

عند التجميل يكون البدء بإزالة الأوساخ ، ثم يثنى بالملبس الجميل ، وهذا ما يسميه
 العلماء - تخلية ، ونحلية - وقد جرت وصية لقمان في هذه الآية على التخلية ثم التحلية ، فهي
 تطلب عدم تصغير الحد ، وعدم المشي مرحا في الأرض ، ثم تأمر بالقصد في المشي وهو
 الاعتدال : فلا تبخر ، ولا هوج ، ولا شذوذ عن السمت المألوف ، وهو التوسط المقبول .

وقد كانت مشية الرسول صلوات الله عليه بين السريع والبطيء ، وروى عنه عليه السلام أنه قال : سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن ، وذلك أنها تدل على الخفة .

وقد يتباطأ بعض الناس في مشيته تظاهرا بالتقوى ، ويحاولون أن يكسبوا ثقة الناس فيهم ، وهذا أيضا من الرياء والخيلاء ، وقد رأى عمر رجلا مطأطأ الرأس في مشيته فقال له : ارفع رأسك ، فإن الإسلام ليس بمريض . . . ورأت عائشة - رضى الله عنها - رجلا كاد يموت في مشيته ويتخافت في حديثه ، فقالت : ما لهذا ؟ فقل لها : إنه من القراء ، فقالت : كان عمر - رضى الله عنه - سيد القراء ، وكان إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع .

والغرض من الصوت : الخفض منه والندبة ، وذلك أوفر للراحة ، وأحب إلى النفوس وأحف على المسامع . وربما كان الجهر بالصوت وسيلة من وسائل الخيلاء تظاهرا بالسلطان ولعنا للأنظار ، وإعلاما بالرهبة .

وقد جاء تشبيه بصوت الخمر غاية في استهجانه ، وتأكيذا لقبحه ، والتنفير منه ، ومفهوم أن القصد في المشى والغرض من الصوت مطلوب في ذاته : إذ لم بدع داع إلى شيء منهما ، وعند الداعي لا يكون حرج . والضرورة تقدر بقدرها .

وإلى هنا نكون وصية لفنان حكمة من حكمه الجامعة : جمعت من الخير قسما غير قليل : ففيها التوحيد ، وفيها فروعه ، وفيها أدب الدين والدنيا .

ورب قائل : إذا كانت الحكمة هبة من الله تفضل بها على لفنان ، فأى فضل للفنان فيها حتى يمتدح من أجلها ؟

والجواب - أن الخير كله من جانب الله تعالى . . وليس هناك جهة أخرى يستمد منها العطاء ، ولكن الله يمدح تكريما ، ثم يشكر تفضلا . فن تمام نعماته أن يحمد لعبده كيف تلقى نعمته ، وكيف تصرف فيها على وجهها الحق . . إذ يكون العبد برهن على أن الله وضع نعمته موضعها ، وأصل ذلك هو الوجه في أن المولى سبحانه يحب أن يرى آثار نعمته على عبده ، كما في الحديث .

وقل مثل ذلك في كل نعمة تكرم الله بها على عبده : من علم ، أو مال ، أو قدرة ، أو جاء وسلطان ، (إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون) .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

السنة

خصومة الأكاير



خصومة من طراز آخر — شذرة من تاريخ الصديقة — أبرز صفاتها — شذرة من حياة ابن الزبير — هجرة الأكاير للتأديب — حسنات الأبرار — ألطف الحيل في إصلاح ذات البين — ابن بار وأم حنون — خصومة الخير والبركة .

عن عروة بن الزبير قال : كان عبد الله بن الزبير أحبّ البشر إلى عائشة رضي الله عنها ، بعد النبي ﷺ وأبي بكر ، وكان أبرّ الناس بها ؛ وكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله تصدّقت^(١) ! فقال ابن الزبير : ينبغي أن يؤخذ على يديها ! فقالت : أيؤخذ على يدي^(٢) ؟ ! على نذر إن كلمته ! فاستشفع إليها رجال من قريش ، وبأحوال رسول الله ﷺ خاصة ، فامتعت ؛ فقال له الزهريون أحوال النبي ﷺ — منهم عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، والمثنوي بن مخزوم — : إذا استأذنا فاقنم الحجاب ، ففعل ، فأرسل إليها بعشر رقاب ، فاعتقهم . ثم لم تزل تعتقهم حتى بلغت أربعين ، فقالت : وددت أني جعلت حين حلفت عملاً أعمله فأفرغ منه . رواه البخاري^(٣)

* * *

سقنا حديث الجزء الماضي — مكتفين به — شاهداً عدلاً على أنبل خصومة عرفها التاريخ . ثم بد لنا في آخر الأمر أن نسوق حديث هذا الجزء شاهداً آخر من طراز آخر ، يختلف عنه سابقه بأنه مس رابطة الصحبة وجلالها ، ويختلف هو عن سابقه بأنه أثار عاطفة

(١) في باب مناقب قريش من أوائل كتاب التائب ، ورواه مطولاً في باب الهجرة من أواسط كتاب الأدب ، وفي الرواية للطولة تفصيل لكثير مما أجهل في هذه الرواية المختصرة ، استمنا به في الشرح .

الرحم ودلالها ؛ ثم يختص هذا بالطف الحبل وأشرف الوسائل إلى بلوغ المثل الأعلى في صلة الرحم ، وترضية الأم ، على حين يتفق الشاهدان كلاهما في أصالة النبل والفضل ، وجلالة العبر والذكرى !

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ودوداً كريماً ، وفياً أياً ، فطناً ذكياً ، لا يبلغ أحد مبلغه من مكارم الأخلاق ، حاشا من يبعث ليتممها صلوات الله وسلامه عليه ؛ وكان إلى ذلك مرهف الوجدان ، رقيق الحس ، ومن هنا كانت تعذيبه - إذاً - من أحد عقيدته أو مروءته - حدة ربما غابت على حزمه وعزمه ، وهما من نفسه الآية في حصن حصين ؛ وقد لخص ترجمته ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله عنهما في كلمة جامعة فقال : « كان أبو بكر خيراً كله على حدة كانت فيه ، وإيم الله إنها فورة الحق ، وغضبة الإيمان والصدق وإنها لفضيلة من فضائله ، وإن عابها هو من نفسه الكريمة رضوان الله عليه ، وكذلك كانت ابنته الصديقة رضى الله عنها . »

ورثت عنه كثيراً من مكارمه ، كما ورثت عنه حدته التي كانت تعذيبه ، إلى جانب ما ورثت من مكارم النبوة من شمائل وفضائل جعلتها بالمنزلة التي لا تسامى هند خاتم النبيين . ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه يفر لها حديثها ، ويحببها من أيها إذا هم بها ، وقد بدرت منها بادرة تستوجب المأخظة والتأنيب .

وكان من أبرز صفاتها رضى الله عنها كرم وجود ، وإتفاق في سبيل الله والرحم لا يبق على شيء ، وحسبك أنها ابنة الصديق أجود الناس بعد زوجها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وكان عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهما أحد العبادلة ، وأحد الشجعان من الصحابة ، وأحد من ولى الخلافة - أحب الناس قاطبة إلى خالته عائشة بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر رضى الله عنه ، كانت أشد حباً له من أبويه وأقرب الناس إليه ، ومن آيات هذا الحب أنه لما أخذ من وسط القنلى يوم الجمل وفيه بضع وأربعون جراحة ، أدت إلى البشير الذى بشرها بأنه لم يمت عشرة آلاف ! .

وأساس هذا الحب أن عبد الله أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة ، وكانت يهود تقول : قد سحرناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد ، فكبر الصحابة حين ولد وفرحوا به فرحاً شديداً ، ثم جاءت به أمه أسماء إلى رسول الله ﷺ ووضعت في حجره ، فبرك عليه ، وتفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم قال لعائشة : هو عبد الله ، وأنت أم عبد الله ، فزالت تكفى به وما ولدت قط ، ثم لأنها استوهبت من أبيه فكان في حجرها يدهوها أما ، هذا إلى ما لها عليه من حق الترية ، ثم حق الأمومة العامة الذي كتبه الله لامهات المؤمنين على جميع المؤمنين .

ليس عجبا بعد الذي قدمنا أن تغضب هذه الأم الروم على ابنها العاق غضبة الحق ، وتعتزم قطيعته وهجرانه فلا تسلمه أبداً حتى يفرق بينهما الموت ! ثم تؤكد الهجرة ودوامها بنذر عظيم لربها العظيم ، يتفق — إن هي كلمته — مع فظاعة العقوق وبشاعة الجرم (١) . وأى عقوق في شرعة الأبوة الرحيمة ، والأمومة البرة الكريمة ، أشد من تسفيه رأيهما والحجر في الخير عليهما ؟ وهل ذنب أم عبد الله أم المؤمنين عند ابنها هذا الذي سخط عليها بيع دارها ، حتى قال لتنتهين عائشة أو لا تحرجن عليها ، إلا أنها طبعت على إغاثة المملوف ، وصنائع المعروف ، وألا تدع شيئاً عندها من رزق الله إلا تصدقت به ؟

إن أقل عقوبة لهذه الجريمة هي الهجرة حتى الموت ... وكذلك أجمعت أمرها ، ووطنت عزها ، فلا تردد ولا شفاعة .

ومن ذا الذي يؤاخذ أم المؤمنين أو يعيب عليها هذه الهجرة ، وهي الفقهية في دين الله ، المتأدبة فيما تدع وتأخذ بأدب رسول الله عليه صلاة الله وسلامه ؟ وأقل ما تنسم به مثل هذه الهجرة إباحتها إن لم ينهض دليل على وجوبها .

ولقد هجر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أمهات المؤمنين — للتأديب — شهراً ، وهجر بعضهم أربعين يوماً ؛ وهجر كعب بن مالك وصاحبيه : مُرارة بن ربيعة ، وهلال

(١) نذرهما مطلق بدليل إن الشرطية ، واستدلنا على عظمتها بأمرين : معنى وهو إيهامه ، وحسب وهو إعتاقها في كفارة نذرهما أربعين رقة وظلها بعد ذلك أنها لم توفه كما ينبغي له .

ابن أمية ، وأمر أصحابه بهجرتهم — خمسين يوما ، ولولا أن تاب الله عليهم وأنزل توبتهم بعد ما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ما كدوم أبدا ۱۱

واقعد رأى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه رجلا يضحك في جنازة فقال له مسننهما : تضحك مع الجنازة ؟ لا أكلك أبدا . وكان لأنس بن مالك رضى الله عنه امرأة في خلقها سوء ، فكان يهجرها السنة والأشهر وهي تتعلق بثوبه وتقول أنشدك بالله يا بن مالك ! أنشدك بالله يا بن مالك ! فما يكلمها . والنهى عن الهجران فوق ثلاث ليال إنما هو رخصة لحظ النفس ورغبتها ، فأما إذا كان لخوف مضرة أو أذى في الدين أو الدنيا فإنه لا حد له .

وبعد هذا كله فإنه يستعظم من صاحب الشأن في رحم أو قرابة أو علم ودين مالا يستعظم من غيره ، ورب حسنة من صغير تعد سيئة من كبير ؛ ولذلك لم يمنع النبي ﷺ كلام من تخلف من المنافقين في غزوة تبوك كما منع كلام الثلاثة ، ولم يؤاخذهم مؤاخذتهم ازدراء المنافقين وتحقيرا ، وإعظاما للصادقين وتقديرا .

ومن هذا القبيل كانت حقبة أم المؤمنين لأحب الناس إليها وأبرهم بها .

طالت هجرة أم المؤمنين على عبد الله ، ونقصه الله بهجرتها في أمره كله ، ولم يستطع على تلك الحال صبرا ، فأخذ يستشفع إليها بكل جذير أن يشفع ، وهي تقسم بالله لا تشفع فيه أحدا . ولا تحنت في نذرهما أبدا ، ولقد بالغت في الرد ، حتى إن الزهريين أخوال النبي ﷺ وذوى قرابته لم ينالوا من الشفاعة لديها مأربا .

ازدادت قسوة الأم على ابنها ، واشتد خوف الابن من هجرها ، فلم يكن بد من إهمال الحيلة ، وتحنيها في نذرهما بكل وسيلة ، رحمة بعبد الله وشفقة عليه ، وليقض الله أمرا كان مفعولا .

كانت أم المؤمنين لا تدخل أحدا في بيتها إلا ياذنها ، ومن دخل فينبه ويئنها حجاب ، إلا ذوى محارمها . ومع هذا فلا يدخلون عليها حجابها إلا بإذن . وكانت حيلة الزهريين التي يبتونها أن يقبل المسور وعبد الرحمن بعبد الله مشتملين عليه بأرديتهما ، فيستأذنا على أمهما ويقولان : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أندخل ؟ فنقول : ادخلوا ، فيقولان : كلنا ؟ فنقول : نعم ادخلوا كلكم ، وهي لا تعلم أن معهما ابن الزبير . وكذلك نجحت الحيلة النبيلة في مصالحة أم المؤمنين ... فأنعم بها .

دخلوا ، واقتحم عبد الله الحجاب فاعتنق أمه ! وطفق يناشدها ويبيكي ، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدها إلا ما كذته وقبلت منه ، ويقولان : إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة ، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال .

فلما أكثروا على أم المؤمنين من التذكرة والنهريج طفقت تذكرهما وتبكي ، وتقول إني نذرت ! والنذر شديد ! فلم يزالا بها حتى كلبت ابنها ، وكفرت عن نذرهما . ولا يعلم إلا الله مدى ما اشتمل عليه من فرح الآوبة ، وقبول التوبة . وعودة الابن البار إلى أمه الخنوف !!! .

وأرسل إليها عبد الله عشر رقاب فأعتقهم جميعاً ، ثم لم تكف بهم كفارة لنذرهما ؛ بل بعثت إلى الذين بمال تبتاع به رقاباً فلم تزل تعتق منهم حتى بلغ ما أعتقته في نذرهما هذا أربعين رقبة مؤمنة .

وهكذا كانت خصومتها خيراً وبركة ، وفتح باب فسيح لتحرير هؤلاء المساكين ؛ ولم لآل أبي بكر من بركات وخير كثير .

ثم كانت بعد ذلك تذكر نذرهما وتبكي حتى تبل دموعها خمارها وتقول وددت أني جهات حين حلفت عملاً أعمله فأفرغ منه . . وددت والله أعلم لو حددت نذرهما ، حتى تكون على بينة من الأمر حين تكفر عنه إذا حنث فيه ، لكن هذا النذر المهم المجهول لا حد لكفارته إلا أن يعلمن قلبها ، وهما هي ذى تعتق أربعين رقبة كاملة ثم تخشى ألا تكون قد وفيت بحق نذرهما وأدت إلى الله ما عليها !

وبعد ، فإذا كان في الحديث الأول أنبل خصومة عرفناها بين الإخوان والاصدقاء فإن في هذا الحديث الثاني أجمل مصالحة عرفناها بين الآباء والأبناء ؛ فإن يرد الله أن يمزجها بثالث فإننا نرجو بتوفيقه ومعونته ، أن يكون في الإصلاح بين السادة الكبراء ، وموعنا الجزء التالي إن شاء الله ، والله المستعان .

طه محمد السكاك

الفرح التقيدي في الإسلام

شاهد بأنه من صنع الله لا من انعكاس البيئة

للاستاذ الكبير سيد قطب ، نظرة تحليلية موفقة في أن النظام الإسلامى موحى به من (أعلى) ، وليس نتيجة للفكر البشرى المعاصر من (أسفل) . فهو يقول إن آية ذلك أن النظام الإسلامى عبر القرون ليسير الاتجاه العالمى الآن نحو الاشتراكية مع تميز وأصالة ، فى حين أنه نزل فى عصر الرق . وهذه طرفة لا تتأتى إلا لنظام ربانى !!
والحقيقة أن الدارس للبيئة العربية ، بل للفكر المتداول فى العالم المعروف وقت الجاهلية ، يجد أن الأفكار الإسلامية لا يمكن أن تكون نتيجة الظروف الاجتماعية والفكرية القائمة وقتذاك .
ونحن نستطرد على هامش تلك الحقيقة التى قررهما الأستاذ فى تحليله ، لنثبت الفكرة ، ونسوق المثل والأدلة .

عالمية وإنسانية :

فالامة العربية عاشت فى جاهليتها على العvisية التى تفرق بين الشمال والجنوب ، بل بين القبيلة والقبيلة ، بل بين الانحاذ والبطون فى القبيلة الواحدة . والعالم فى ذلك الوقت كان حديث عهد بالاطوان الصغيرة والنزعات المحلية والآفاق الضيقة ، وكان توسيع الرقعة وتكوين الإمبراطورية لا يذيب شخصية البلدان المقهورة والشعوب المغلوبة بحال من الاحوال .

وفى هذه الظروف يأتى الإسلام ليجمع وطنه فى جميع العالم ، ويجعل أمته مشاعة بين كل الأجاس . فباستثناء أمتار مربعة من الأرض فى مكة هى البيت الحرام ، وأمتار أخرى فى المدينة هى المسجد والروضة النبوية المطهرة ، وأمتار فى ثالث الحرمين فى المسجد الأقصى باستثناء هذه المواضع الثلاثة كل الأرض سواء وجميع الاوطان سواء . والأرض كلها جعلت مسجداً وطهوراً .

والدنيا بتخومها الجغرافية وحدودها السياسية لا تصلح لأن تكون سبباً للنزاع، وأساساً للعواطف الموضوعية المحدودة، فكلها تشترك في صفة « الأرض »، لذلك ترد هذه الكلمة كثيراً في سياق القرآن لتذكر الناس بحقيقة الوضع « يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون » ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . وهكذا تصبح الأرض مسرحاً للفشاط البشري كوحدة ، تتداول عليها الأجيال دون أن تمتد النفوس حول تضاريس الطبيعة وفواصل السياسة .

وأبناء الإسلام في حركة قد تدعوهم إلى الهجرة ، فالأرض كلها أرض « ومن يهاجر في سبيل الله يجمد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة » ، فلا يصح أن تحتجز المسلم أرض عن أرض ، ما لم يكن إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، ١٩ وفي الحج تدريب على إجباري على تغيير الأرض وهجرة الوطن ، إلى أرض لا ترغب في سياحة أو نزعة أو متعة ، حتى لا يكون المسلم أسير ألف ولا عادة ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترتبصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

والقانون الدولي في الإسلام لا يعرف التقاسيم الجغرافية والسياسية ، إنما يعرف أن الأرض كلها سواء ، وهي محكومة بحكم العقيدة التي تنفسح لكل أرض وتنفسح لها كل أرض ، فهي إما دار حرب أو دار إسلام ، إلا ما حكته العهود والعقود حكماً خاصاً .

ورسول الإسلام ﷺ غرس هذه العالمية بسيرته ، فهاجر إلى المدينة رغم نشأته في مكة وحبها ، وقد أرسل الوفود لكل حاكم معروف في وقته . وحين هزم المسلمون في أحد ، لم يشأ رسول الله ﷺ أن يدع هؤلاء المسلمين للحدق والضعف والطيرة ولو بالنسبة لشبر من الأرض فقال « إن أحداً يحبنا ونحبه » .

ومن مقتضيات العالمية « الإنسانية » ...

والإسلام كان إنسانياً لأنه لم يقدس جنساً ليسود على سواء كما لم يقدس أرضاً إلا في أضيق نطاق . كلكم لآدم وآدم من تراب ، واختلاف الشعوب والقبائل من أجل التعارف والتعاون والتكامل ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا .

وحلقة الإسلام الأولى « عصبية أم » ، ففيها عرب من أنساب وقبائل مختلفة ... وفيها صهيب الرومي وبلال الحبشي وطلحة الفارسي ، وما أكثر الأحاديث في فضل هؤلاء من غير العرب .

وإذا كان الإسلام قد ضرب نطاقا حول الجيل الأول من المؤمنين المشهود لهم بحسن البلاء والمبشرين بحسن الجزاء حتى لا ينال منهم عيب اللسان ، فهذا الجيل الأول عن صحبوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فيهم مختلف الأجناس والألوان .

وإذا كان الله قد اختار العرب ليكونوا حملة رسالته ، فإن هذا يقطع بأفضليتهم لهذا المعبى والتشريف ، ولكنه لا يعين أن تكون هذه « الميزة التاريخية » ضربة لازب في كل حال وفي كل حين .

وإذا كان الله قد اختار العربية لتكون لسان دينه الأخير ، فقد فتح الباب لتعلمها على مصراعيه ، حتى تصبح العروبة لوفاً ثقافياً ، لا عصبية دموية .

ولقد كان انتصار الإسلام ، انتصاراً للحق المطلق الذى قامت به السموات والأرض في كل زمان ومكان ، لا انتصاراً لأرض على أرض ، ولا لشعب على شعب .

وعمر بن الخطاب الذى أوصى واليه عمرو بن العاص بسكان مصر ، لم يكن عمر العربى الذى لا يأبه بما يناله عمرو العربى ما دام يكسبه من غير العرب ، وما دام يحكم قطرا غير جزيرة العرب .

هذه عالمية ، وهذه إنسانية ، ليس في وسع عقل أن يلحقها بالفكر البشرى في وقتها ، وقد كان لا يعرف إلا العصبية .

إنها تقدمية تسير القرن العشرين الذى يبشر فيه بالعالم الواحد والأسرة الإنسانية ، مع فارق واحد ، هو الفارق بين الحق والباطل ، وبين الإخلاص والخداع .

فالعالمية ، والإنسانية ، قامت في الإسلام في ظل عقيدة تنير الضمير وتكون الضمان ، والعالمية والإنسانية الآن صيحتان لتبرير الاحتلال والاستعمار ، حتى تنسى المظالم وتفرق في العالمية ، والعالميون قولاً يخدعون أوطانهم فعلاً ونحن عليهم متفرجون ، بل من أفسكارهم مقتبسون .

الحرية لا الرق :

والأمة العربية عاشت في جاهليتها وهي تفر الرق في أوضاعها الاجتماعية ، حتى قامت عليه حياتها الاقتصادية ، والعالم كله جرى على الاسترقاق في الحروب إبان ذلك الوقت .

والإسلام يأتي ليقول إن الحرية أصل والرق عرض ، ويجعل النص الصريح في معاملة الأسرى المن أو الفداء ، ويجيز الاسترقاق على قاعدة المعاملة بالمثل ، لأن هذا كان هو الوضع العالمي وقتذاك . . . وهو يضيق مصادر الرق حتى يقصرها على الأسرى في حرب شرعية ، ولا يجيز النخاسة والخطف ، وهو كذلك يوسع مصارف الرق فيجعلها من واجب الحكومة في حصيلة الزكاة وفي الرقاب ، ويجعلها شريعة على المحكومين في الكفارات والقربات ، فضلاً عن اتفاق الرقيق مع صاحبه على أن يعتقه ويدفع له مالا ويسمى هذا بالمسكينة ، وللإمام أحمد في رواية أنها واجبة متى دعا الرقيق سيده إليها على قدر قيمته أو أكثر ، وللرقيق الانجرار ليدفع للسيد الأقساط ، وعلى السيد أن يتركه يشتغل أين شاء وفيما شاء ، والمالكية تجبره على الكسب ليتحرر ما دام قادراً عليه إذا لم يكن معه مال ، والخنفية تجبره على أداء مال المسكينة إذا امتنع عن السداد وكان معه مال . ويشترط الفقهاء أن يراعى في عقد المسكينة حال الرقيق ، كما يرون أن أقل وعد من السيد أو أقل احتمال للوعد بالتحرير يجعل التحرير ضرورياً (١) .

وما يتبقى بعد ذلك من رقيق « شكلا » فإن الإسلام يلغى رقهم موضوعاً ، إذ يمنع من إرهابهم بالعمل ، ويأمر بمعاونتهم فيما يغلبهم ، وينهى عن إيذائهم حتى بكلمة عبد أو أمة ، ويجعل لهم لباساً وطعاماً كطعام السيد ولباسه ، حتى يصبح الرق مغزماً لا مغنياً . وإيذاء المملوك بعد ذلك كفارته العتق وحده دون أى شيء آخر .

وحاشى للإسلام وقد ضمن للرق هذا العيش الرغيد وضيق الحدود على الاسترقاق أن يجيز الرق كبداً وكقاعدة ، واستمع معى إلى علماء المسلمين يقررون ذلك .

يقول النسفي في تفسير قوله تعالى : ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة : « قيل لما أخرج نفسك مؤمنة من جملة الأحياء ، لزمه أن يدخل نفسه مثلها في جملة الأحرار ،

(١) الإسلام دين الفطرة - عبد الميز جلوبش .

لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها ، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات ، إذ الرق أثر من آثار الكفر ، والكفر موت حكا ، أو من كان ميتاً فأحييناه ، (١) . ١ . هـ

ويقول الأستاذ الشيخ أحمد إراهيم في حكم الوقف : « قال أبو يوسف يزول ملك الواقف بمجرد القول قياساً على الإعتاق بجامع إسقاط المال في كل . وقال محمد لا يلزم الوقف إلا بالتسليم إلى المتولي قياساً على الصدقة المنفذة بجامع التبرع في كل . . . ولا وجه لقياسه على الإعتاق لأن الإعتاق إنفاق للمال وإرجاع الشيء إلى أصله ، إذ الأصل في بني آدم الحرية ، وأما الأموال فإنها خلقت لتملك وينتفع بها ، (٢) . ١ . هـ

واتفق الأئمة على أنه لو كان في يد إنسان غلام بالغ عاقل ، وادعى عليه أحد أنه عبده فكذبته الغلام ، فالقول للغلام مع يمينه أنه حر . وبتطبيق القاعدة المشهورة « البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر » نجد أن الشرع قد اعتبر أن حرية الإنسان هي الأصل وأن الرق أمر عارض ، فكلف من ادعاه بالبيئة واكتفى بمن أنكر باليمين . أضف إلى ذلك إجماع الفقهاء على أنه إذا التقط شخصان لقطاً فادعى مسلم أنه عبده ، وادعى كافر أنه ابنه ، فإنه يقضى ببذوته للكافر حتى يكون حراً ، ولا يقضى للمسلم حتى لا يكون رقيقاً (٣) ١١١

فهل يمكن أن يكون هذا التشريع من نتاج عقول البشر في عصر الرق ؟
ألا إن فاسفة العصر كانت تقسم الجنس البشري إلى « حر بالطبع » و « رقيق بالطبع » ، فما أبعد الفرق ثم ما أبعد الفرق !

فإذا انتهت طريقة الإسلام التشريعية في التدرج بالإنسانية إلى أن يقل الرقيق بتضييق موارده ، ويزيد العتق بفتح أبوابه ، وإذا تغيرت القاعدة الدولية في الإسترقاق تطبق هذه القاعدة الشرعية المقررة في اعتبار الرق أمراً عارضاً ، وتعامل دولة الإسلام مع غيرها على أساس المقابلة بالمثل بعد أن زال عرف الاسترقاق في الحروب . وفي هذا الضوء يفهم الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر وصححه السيوطي في الجامع الصغير « شر المال في آخر الزمان المالك » .

(١) ١ - ص ١٨٩ - طبعة الحسينية . (٢) الماملات الشرعية المالية ص ٣١٤ .

(٣) الاسلام دين للنطرة ص ٦٢ والنظم الاسلامية ص ٣٦٥ .

التكافل الاجتماعي ... لا الفردية والطبقية :

وفي عصر الرق ، يتخطى الإسلام العصر ويتخطى عصر الإقطاع وعصر الرأسمالية من بعده ليسير الاتجاه الاشتراكي فهو يعتبر الملكية وظيفة اجتماعية وليست تسليطاً وتجبراً . يقول تعالى في سورة الانعام : « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » . فالتفريق مايز بين الناس في درجاتهم ، فإنما كان هذا من أجل ابتلائهم واختبارهم ، لا من أجل تأكيد التفرقة بينهم ، وإقامة الفوارق الجائرة الجامدة بين طبقاتهم . فن أرقى مالا فهو مطالب بأن يؤدي واجبه لإزائه ، ومن حرم المال فهو مطالب بأن يطالب بحقه ويبتغي من فضل الله . وبذلك تتساهد القوى في إقامة صرح الحياة ، ويتعاون رأس المال مع العمل على أساس من الاشتراك في الغنم والفرم ، فيندفع تيار الحياة الاجتماعية وتستمر حركة تداول الثروة ، كما يسير التيار الكهربائي بين الموصل والسالب . وصدق الله العظيم . « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » :

أما أن تتحكم طائفة في احتجاز الثروة ، وتستهلك طائفة في الحرمان ، فإن معنى هذا مخالفة خطيرة لمقصد الشارع من تباين درجات الناس ، وتجميد للطبقات القائمة ، وتضييق لجمال التداول والنشاط الاقتصادي . فينقسم المجتمع قسمين : أحدهما قسم موجب مكتنف الخزان ، والآخر سالب معروق الأبدان ، دون أن يتصل التيار الاجتماعي بينهما بما يحقق التوازن ويثير الحياة . وفي هذا الضوء يصدق ما قاله الأستاذ الدكتور محمد صالح رحمه الله « ... التكاليف التي فرضت على المالك تجعل من الملكية وظيفة اجتماعية إن لم يضطلع بها المالك على هذا الوجه زالت ملكيته » (١) .

والتكافل الاجتماعي له سنده الإسلامي فيما يتعلق بمراقف الإنتاج وبحاجيات الاستهلاك فن ذلك ما رواه أحمد وأبو داود عن الرسول ﷺ ، المسلمون شركاء في ثلاثة : الماء ، والكلاء ، والنار ، وروى البخاري عن جابر ورافع « من كانت له أرض فليزرعها أو ليئبحها فإن أبي فليملك أرضه » (٢) ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري

(١) مجلة « المسلمون » - السنة الأولى .

(٢) روى مثله مسلم عن أبي هريرة وأورد أحاديث في هذا المعنى أبو داود والنسائي وهذه حجة قهراً القى يقول : الأرض لمن يزرعها .

« من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل مال فليعد به على من لا مال له - فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل » .

وأخرج الطبري عن حبيب بن أبي وائل : قال عمر بن الخطاب « لو استقبلت من أمرى ما استدرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فتسمتها على فقراء المهاجرين » . كما قرر عمر ابن الخطاب فيما أخرجه الطبري عن السائب بن يزيد أنه ما من أحد إلا وله في مال الدولة حق يتقاضاه وفقا للقرآن والسنة ، « فارجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وغناؤه (كفايته) ، والرجل وحاجته » .

ومن كلام عمر يظهر أن الدولة الإسلامية كانت هي التي تلزم إقرار التكافل الاجتماعي باعتبارها نائبة عن المجموع ، لذلك جرّد أبو بكر الصديق الجيوش الجرداء في أدق ظروف الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ دفاعاً عن الزكاة حق الفقير .

وإلى القارىء كيف فهم فقيه القرن الخامس الهجرى نصوص الإسلام هذا الفهم التقدمي العظيم - يقول الإمام ابن حزم في كتابه « المحلى » : -

« وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا فيه سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمنثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة ، ا . هـ »

وهو يستعرض نصوص القرآن ، ثم يستعرض نصوص الحديث ويعلق عليها بما يدعم به هذا الرأي فيروى بالسند الصحيح « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » ثم يقول : ومن كان على فضلة ورأى المسلم أخاه جائعاً عريان ضائعاً فلم يغثه ، فإرحمه بلا شك .

ويروى أيضاً بالسند الصحيح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق « ان أصحاب الصفة كانوا ناساً فقراء ، وان رسول الله ﷺ قال : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

ويروى كذلك « المسلم أخو المسلم لا يظله ولا يسله » ثم يقول : من تركه بمجموع ويعرى - وهو قادر على إطعامه وكسوته - فقد أسله .

إلى أن يقول ابن حزم : والنصوص من القرآن والاحاديث تكثر جدا .
ثم ينقل ابن حزم عبارة عمر : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ... الخ ، ويقول
هن إسنادها : وهذا إسناد في غاية الصحة والجلالة .

وينقل عن علي بن أبي طالب بسنده : إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر
ما يكتفي فقراهم ، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء ، وحق على الله تعالى أن
يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه .

وعن ابن عمر : في مالك حق سوى الزكاة . وعن عائشة والحسن بن علي وابن عمر
أنهم قالوا كلهم لمن سألهم : إن كنت تسأل في دم موبع ، أو غرم مفضع ، أو فقر مدقع ،
فقد وجب حقلك ، وصح عن أبي عبيدة وثلاثمائة من الصحابة أن زادهم في فأمرهم أبو عبيدة
بجمعوا أروادهم في مزدوين ، وجعل يقوتهم إياها على السواء .

إلى أن يقول ابن حزم : فهذا إجماع مقطوع به من الصحابة رضى الله عنهم ، لا يخالف
لهم منهم .

ثم ينقل ابن حزم بعد الاستدلال بالقرآن والسنة ثم أقوال الصحابة ، إلى من يلونهم
فيقول : وصح عن الشعبي ومجاهد وطارس وغيرهم ، كلهم يقول : في المال حق
سوى الزكاة .

ثم يختم ابن حزم كلامه بقذيفة - ق مدوية :

« ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاماً فيه فضل عن
صاحبه لمسلم أو لذى ، لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان كذلك
فليس يضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير . وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل فعلى قاتله
القتل ، وإن قتل المانع فاللعنة الله لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية . قال تعالى : فإن
بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، وما منع الحق باغ على
أخيه الذي له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق مانع الزكاة . » (١)

وهكذا يقرر ابن حزم بالنسبة لحق الفقير قوتين تسهران على استغناؤه وحمايته :
الإلزام الحسكى ، والكفاح الشعبى .

ترى فى القرن الخامس الهجرى كان يعيش ابن حزم ، بل كان يعيش الصحابة والتابعون الذين استند إلى أقوالهم وأعمالهم ، أم فى القرن الرابع عشر الهجرى الذى نعيش فيه ؟
لقد علق محقق كتاب المحلى الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر على هذه النصوص فقال :

« من هذا ومن أمثاله فى الشريعة الإسلامية يرى المنصف أن التشريع الإسلامى فى الذروة العليا من الحكمة والعدل . وليت إخواننا الذين غرهم القوانين الوضعية وأشربتها نفوسهم يطلعون على هذه الدقائق ويتفقهونها ، ليروا أن دينهم جاءهم بأعلى أنواع التشريع فى الأرض : تشريع يشبع القلب والروح ، ويطبق فى كل مكان وكل زمان ، إن هو إلا وحى بوحى . ولو فقه المسلمون أحكام دينهم ، ورجعوا إلى استنباطها من المنبع الصافى والمورد العذب : الكتاب والسنة ، وعملوا بما يأمرهم به ربهم فى خاصة أنفسهم وفى أمورهم العامة وفى أحوال اجتماعهم - لو عملوا هذا لكانوا سادة الأمم . وهل قامت الثورات المخربة المهدامة ، والفتن المهلكة إلا من ظلم الفنى للفقير ، ومن استغثاره بخير الدنيا وبجواره أخوه يموت جوعاً وعرياً . والمثل كثيرة ، ولو فقه الأغنياء لعملوا أن أول ما يحفظ عليهم أموالهم لصداء المعروف للفقراء ، بل القيام بنحوهم بما أوجبه الله على الأغنياء . فليفقهوا أو ليعملوا أو يعملوا ، فقد جاءتهم النذر . هداانا الله جميعاً . ا . هـ »

* * *

العلم ... لا الامية :

نزل القرآن فى بيئة تفسر فيها الامية ، وصدع بتبليغه نبى أمى ، فكان انعكاس البيئة هنا أن تنجد الامية ، أو يفلسف الأمر الواقع .

ولكن القرآن افتتح خطابه للبشرية بالدعوة إلى القراءة والعلم . اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم . والقرآن ملىء بالأمور بالتدبر والتفكير والعلم ، وبسكريم العلماء وأولى الأبواب .

وهو يشير إشارات دقيقة إلى كتاب الكون ، تستثير البصائر والابصار ، وتحفز الهمم للبحث والكشف ، ثم الإبداع والاختراع . سنربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .

وكثير من الباحثين ألمع في إجمال أو تفصيل إلى ما ورد في القرآن من إشارات تتعلق بمباحث علم الفلك ، أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار . وكل في فلك يسبحون ، ، وإشارات تتعلق بموضوع علم النبات ، وأرسلنا الرياح لواقح ، ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ، وإشارات لها صلة بعلم طبقات الأرض ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، ، أو بعلم المناخ ، ألم تر أن الله يرحى صحابا ثم يؤولف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله . وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالابصار . يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ، ، كذلك يلع القرآن إلى علم الاجتهاد ، يخلفكم في بطون أمماتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ، ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، والآيات في ذلك كثيرة ، حتى استلهم الكتاب من بعضها انقسام الذرة حين ترد عبارة ، مثقال ذرة ، ثم يرد من بعدها ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ، وهكذا .

هذا الاستقراض للعلم لم يتركه الإسلام لحب الاستطلاع وحده ، بل جعله فريضة لازمة فطلب العلم فريضة كما ورد في روايات كثيرة ومن طرق كثيرة صحيحة . وفي غزوة بدر كان في الأسرى المشركين من يكتب ، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة ، وكان منهم من لا مال له ، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويحلى سبيله . قال عامر الشعبي : كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين ، فكان زيد بن ثابت من علم وأخرج الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس حديثا يتضمن هذه الواقعة (١) .

والعلم إذا قصد به وجه الله وامتنال فرضه كان عبادة قدسية ، فيها تسبيح للخالق الصانع المبدع بكشف الغطاء عن إتيان الصنعة وإحكام الخلق ، وفيها حمد لله بنشر نعمه وآلائه المودعة في خلقه والمطمورة عن أعين الناس ، وفيها إفادة من قوى المكون التي سخرها فاطره للإنسان ، إنما يخشى الله من عباده العلماء .

وفي الشرع ما يسمى بالواجب الكفائي ، وهو ما لو قام به البعض فقد أدى الواجب وسقط الإثم والحرَج عن باقي الأمة ، وإذا لم يَقم به أي فرد من المكلفين أثموا جميعاً بإهمال هذا الواجب . ومن ذلك ما يحتاج إليه الناس من مهن وصناعات وحرف ، ومنها الطب والهندسة والطيران والصناعات المختلفة من آليّة وكهربية وكيماوية وغير ذلك . وليس من سبيل لرفع الإثم عن الأمة جميعها ، وأداء هذا الواجب الكفائي غير التعلم . يقول الإمام ابن حزم في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » :

(قال الله تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، فبين الله في هذه الآية وجه التفقه كله ، وأنه ينقسم قسمين : أحدهما يخص المرء في نفسه وذلك مبين في قوله تعالى « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، فهذا معناه تعليم أهل العلم لمن جهل حكم ما يلزمه . والثاني تفقه من أراد وجه الله تعالى بأن يكون منذراً لقومه وطبقته ، قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . ففرض على كل أحد طالب ما يلزمه على حسب ما يقدر عليه من الاجتهاد لنفسه في تعرف ما ألزمه الله تعالى إياه) .

وقد حدد ابن حزم حداً أدنى للثقافة يلزم غمار العامة ، وجعل الحاكم ملزماً بجعل هذا

القدر من التعليم إجبارياً فقال :

إن كل مسلم عاقل بالغ من ذكر أو أنثى ، حر أو عبد يلزمه الطهارة والصلاة والصيام فرضاً بلا خلاف من أحد من المسلمين ، ونلزم الطهارة والصلاة المرضى والأصحاء ، وفرض على كل من ذكرنا أن يعرف فرائض صلاته وصيامه وطهارته وكيف يؤدي كل ذلك .

وكذلك يلزم كل من ذكرنا أن يعرف ما يحل له ويحرم عليه من المأكَل والمشرب والملابس والفروج والدعاء والأقوال والأعمال .

فهذا كله لا يسع جهله أحدا من الناس : ذكورهم وإناثهم ، أحرارهم وعبيدهم وإمامتهم .
وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون ، أو من حين
يسلمون بعد بلوغهم الحلم ، ويجبر الإمام أزواج الفسء وسادات الأرقاء على تعليمهم
ما ذكرنا ، إماماً بأنفسهم وإماماً بالإباحة لهم لغناء من يعلمهم ، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس
بذلك ، وأن يرتب أقواماً لتعليم الجبال ، . ١٠ .

وبعد هذا القدر المشترك ، يحدد ابن حزم ما فرض على كل طائفة تخصصت في عمل
بعبء من العلم ، فيقول :

... ثم فرض على كل ذى مال تعلم حكم ما يلزمه من الزكاة ، وسواء الرجال والنساء
والعبيد والأحرار ، فمن لم يكن له مال أصلاً فليس تعلم أحكام الزكاة عليه فرضاً .

ثم من لزمه فرض الحج ففرض عليه تعلم أعمال الحج والعمرة ، ولا يلزم ذلك
من لاصحة لجسمه ولا مال له .

ثم فرض على قواد العساكر معرفة السهم ، وأحكام الجهاد ، وقسم الغنائم والفيء .

ثم فرض على الأمراء والقضاة تعلم الأحكام والأفضية والحدود ، وليس تعلم ذلك
فرضاً على غيرهم .

ثم فرض على التجار وكل من يبيع غلته تعلم أحكام البيوع وما يحمل منها وما يحرم ،
وليس ذلك فرضاً على من لا يبيع ولا يشتري .

ثم فرض على كل جماعة مجتمعة في قرية أو مدينة أو دسكرة - وهي المجشرة عندنا -
أو حلة أعراب أو حصن أن يتدب منهم لطلب جميع أحكام الديانة أولها عن آخرها .

فهل تكون هذه الدعوة الحارة للعلم ، إلا بمن « علم بالقلم » علم الإنسان ما لم يعلم ، .

محمد فتحي محمد عثمان

يتبع

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

جمال الأسلوب القرآني

نقلنا في ص ٢٤٧ من الجزء الثاني لهذه السنة من مجلة الأزهر قول أبي عثمان الجاحظ عن الترجمة إذا أراد أن يترجم كتاباً لحكيم من الحكماء : « إنه لا يؤدي ما قاله الحكيم على خصائص معانيه وخفيات حدوده ، إلا أن يكون في العلم بمعانيها وتأويلات مغارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه . ومتى وجدناه قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضم عليها وكما كان الباب من العلم أفسر والعلماء به أقل كان أشد على للترجم وأجدر أن يخطئ فيه » .

ونقلنا هناك قول تاغور الفيلسوف البرهمي الذين اقترحوا عليه في مصر ترجمة كتبه بالهندوستانية باللغة الانجليزية التي يجيدها كأكملها ، فأجابهم : « إن لكل لفظة في لغة من اللغات جواً يحيط بها ويتأثر به سامع تلك اللفظة بتلك اللفظة ولو أمكن أن توجد لكل لفظة في كتي الهندية لفظة في لغة الانجليزية قريبة منها قال الجواب الذي لتلك اللفظة في لغة الهند لا يمكن نقله إلى لغة الانجليزية ، فتأتى الترجمة ناقصة ، ولا تؤدي في اللفظة المنقول إليها الصورة الكاملة التي كانت لها في اللفظة المنقول منها » .

ثم قلنا يومئذ : إن الترجمة تكون في العلوم الطبيعية والرياضية بالشروط التي ذكرها الجاحظ ، وتكون في التاريخ والسير كالتوراة والانجيل . أما في الكلام البليغ المجز فإن ما ذكره تاغور يؤدي (استعالة) ترجمة مثل القرآن . ومن زعم أنه ترجمه فإن عمله نافس ولا يؤدي صورة الأصل حق لو كان حسن النية ومستوفياً كل ما اشترطه الجاحظ .

والآن لمناسبة نشر المقال التالي نمود إلى التذكير بهذه الحقائق .

المهم

ليس هدفي في هذا المقال أن أعود إلى إثارة مشكلة ترجمة القرآن من جديد ؛ هل تجوز أم لا تجوز ، ولكن المشكلة التي أردت أن أواجهها الآن هي البحث في القضية العامة ، قضية الترجمة ، من الناحية الادبية الفنية .

والقضية في صورتها العامة نذهب إلى أن الجمال القرآني يضيع عندما تترجم الآيات إلى لغة غير اللغة العربية . ولكن ما هو هذا الجمال ؟ وكيف يضيع ؟ هذه مشكلتنا الآن . وكثيرون

أولئك الذين يتحدثون عن جمال القرآن ، ولكن من منهم وضع إصبعه على موطن الجمال خُلقه إلى عناصره ، وبين لنا ما يفقد من هذه العناصر في أثناء عملية الترجمة ، وكيف يفقد ؟ .

وسيلنا إلى بحث هذه المشكلة أن نلجأ إلى المفارقة ، فهي الوسيلة الوحيدة التي نستطيع أن ندلس من خلالها تلك الفروق بين النص العربي للقرآن والنص في الترجمة . وقد يُظن عندما نجد فرقا بين الترجمة والأصل أن الترجمة ليست دقيقة ، وأن العيب إنما يرجع إلى ضعف المترجم ، وأنه إذا وجد المترجم الدقيق فإنه يستطيع أن يقدم إلينا ترجمة كاملة تنقل إلينا ما في القرآن من جمال ؛ فليست المشكلة في الواقع مشكلة دقة في فهم المترجم وفي ترجمته ، فالذين ترجموا القرآن أولوه من العناية والدقة ما لم يولوا به عملا آخر ، ثم إننا إذا كنا نتحدث عن الدقة فليست الدقة هي الجمال ، بمعنى أن الترجمة عندما تكون دقيقة تكون جميلة ؛ فإنه رغم الدقة التي اتصف بها بعض المترجمين لم يخرج نص الترجمة شاملا لكل عناصر الجمال التي يتضمنها الأصل . والسري في ذلك أن الدقة تهتم بالمعنى ، والترجمة الدقيقة هي تلك التي تحافظ على المعنى المنقول فتحاول أن تنقله كاملا دون زيادة أو نقصان .

وليس القرآن مجموعة من المعاني خُصب ، وإلا فإن الترجمة الدقيقة ستنقله نقلا كاملا أميناً ، ولكن هذه المعاني مغلفة بعناصر أخرى تكسبها جمالا ، وهي عناصر لا يمكن ضبطها بالنسبة للشرق بله الغربي ، ولكنها عناصر تحبس وتعمل في خفاء ، وقد نستطيع أن ننبه إليها ، ولكننا في الغالب لا نستطيع حصرها وتحديد ما .

ويمكن بنا أن نعرض الآن لآية من الآيات ندرسها دراسة عملية . ونقارن الأصل بالترجمة ، ونحاول كشف العناصر الجمالية التي في الأصل وكيف هي تضع في أثناء عملية الترجمة .

وقد قلت إن ترجمات القرآن كثيرة جدا ، وسأكتفي في هذه الحالة بمجموعة منها فقط لقصد المقارنة .

وأقدم ترجمة بين يدي الآن هي ترجمة الإنجليزية بعنوان : ^(١) The Alcoran of Mahomet

(١) نحب أن نلفت النظر هنا إلى تلك النسبة التي نجد ما في بعض الترجمات ، فليس هو « قرآن محمد » إلا أن يكون المعنى « القرآن الذي أنزل على محمد » صلى الله عليه وسلم .

وهي منقولة عن ترجمة فرنسية قام بها Du Rey ، وقد ظهرت الترجمة الإنجليزية في لندن سنة ١٦٤٩ .

فإذا أخذنا آية مثل قوله تعالى : « والضحي ، والليل إذا سبحي ، ما ودعك ربك وما قلى ، فإننا نجد في الآية واو القسم وواو العطف وإذا الظرفية في قوله : « والضحي والليل إذا سبحي » . ويبقى بعد عناصر الربط هذه : الضحي والليل ، وهما كما نعلم ظاهرتان كونيتان خالدتان يعرفهما كل الناس في كل زمان ومكان . ووراء لفظي الضحي والليل من ألوان الأحاسيس ما يشعر به كل إنسان ، فكلاهما - الضحي والليل - مستودع لإحساسات لا يمكن حصرها لأنها تختلف من فرد إلى آخر في قليل أو كثير . ولست أريد أن يجرني السياق إلى الحديث في موضوع آخر هو موضوع العناصر السكونية في الصور القرآنية . فإذا انتقلنا إلى لفظة « سبحا » وربطنا بينها وبين الليل ، وجدنا أن هذه الإحساسات الغامرة التي يحسها الناس في الليل على اختلاف أنواعها ودرجاتها قد أخذت تتحدد في نفوسهم ، فلا يتسرب إليهم منها سوى تلك الإحساسات التي يحسونها في الليل إذا سبحا . وكأن كلمة سبحا هنا قد ولدت هذه الإحساسات لأن معناها « سكن » ، فليس السكون وحده هو ما تشعه كلمة « سبحا » ، ولكنك تحس منها السكون والهدوء ، كما يتمثل لك الامتداد والطول الذي تصوره لك الآب الممدودة في آخر الفعل ، فكأنها تمتد إلى غير نهاية أو إلى غاية بعيدة . ويستطيع كل منا أن يحس أن كلمة سبحا لا يمكن أن يكتب في معناها أو دلالتها بالسكون . ولو أن الآية كانت : والضحي والليل إذا سكن ، لفهمنا فيها معنى واغتنقنا جمالا ، ذلك الجلال هو الذي امتازت به لفظة « سبحا » ، على « سكن » ، وهذا بغض النظر عما في لفظة سبحا من قيمة إيقاعية فليسها إذا ما وقفنا عند نهاية كل آية من آيات السورة .

وعندما حاول المترجمون أن يترجموا هذه الآية فإنهم أقعدوا اللفظة جمالها الذي نجده واكتفوا منها بالدلالة على السكون ، وفي الترجمة التي سبق أن أشرت إليها ضاعت كلمة سبحا نهائيا . ويحسن بنا أن نقرأ النص . يقول في عنوان السورة : " The Chapter of the Sun rising " وطبيعي أن « الضحي » هنا قد انتقلت إلى معنى الشروق ، ثم يقول في ترجمة السورة :

" I swear by the brightness of the rising of the Sun, and by the darkness of night, that the Lord has not forsaken thee " .

فهنا نجد أنه قد نقل القسم إلى هذا المعنى : . . . وأقسم بظلام الليل . ، وطبيعى أن القرآن يقسم بالليل إذا سجا لا بظلام الليل .

ولننص الآن في استعراض ترجمات مختلفة لهذه الآية ، لنلص مدى الفشل في نقل جمالها من النص العربى إلى الصورة الأجنبية .

يقول مارماديوك بكثول M. Pickthall في ترجمته لمعاني القرآن .

" The Meaning of the Glorious Koran " (١) :

By the morning hours

And by the night when it is stillest . . . etc.

فهو هنا يجعل الضحى ساعات الصباح ، ثم هو يقسم بالليل في أشد حالات سكونه . وإذن فالكلمة ، سجا ، تعنى ، سكن ، وحسب .

وهو إذا كان قد ذكر لنا أنه إنما يترجم معاني القرآن لا نص القرآن فإنه ضمناً يكون قد اعترف بأنه لن ينقل إلينا ذلك الجمال الذى نجده في النص العربى للقرآن . ولكننا نستطيع أن نلاحظ أن الذين أخذوا على عاتقهم ترجمة القرآن لا ترجمة معانيه لم يخرجوا في ترجمتهم عن هذا النطاق وهو تقايم كلمة سجا بمعنى سكن ، وهنا يستوى الذين يترجمون المعنى والذين يترجمون النص ، لأنهم جميعاً في الحقيقة - إنما يترجمون المعنى ، ولا يستطيعون إلا أن يترجموا المعنى أو بعضه .

ولننظر في ترجمة جورج سيل G. Sale (ط ٥ سنة ١٨٦٨) ص ٤٩٢ فسنجده يقول :

" By the brightness of the morning, and by the night, when it groweth dark, . . . etc "

وهو يقسم بالليل عند ما يظلم . وكأن الليل عند ما يظلم تتساوى مع الليل إذا سجا . والحق أنها قد تتساوى من حيث المعنى من بعض الوجوه ، ولكنها لا تتساوى مطابقة من حيث الدلالة الفنية .

وحتى الآن يكون هناك ترجمتان لكلمة سجا : ١ - سكن ، ب - أظلم .

ويقول كازيميرسكى في ترجمته ، " Le Koran " , par M. Kasimirski ,

(Paris 1869) ، ص ٥٩٢ :

(١) أحسن هذا المترجم إذ نس على أنه إنما يترجم معاني القرآن .

"J'en jure par la matinée,

Par la nuit, quand ses ténèbres s'épaississent, . . . etc".

أى أقسم بالليل عند ما يتكاثف الظلام . وكان سجاً قد دلت عنده على تكاثف الظلام في الليل .

ولمحمد على اللاهورى ترجمة مشهورة للقرآن عنوانها : " The Holy Qur'an " ، يقول في ترجمته لهذه الآية ، ط ٢ سنة ١٩٢٠) ص ١١٩٨ :

" Consider the early hours of the day.

And the night when it covers with darkness .etc. "

فهو هنا يقسم بالليل عندما يغطيه أو يشمل الظلام . وكان سجاً الليل ، هى غطى أو شمل الظلام الليل ، . وعلى كل فهذا معنى من المعانى التى انتبه إليها المترجم غير المعانى التى سبق أن رأينا فى الترجمات التى عرضناها .

وهناك ترجمة فرنسية أحدث من هذه الترجمة لادوار منتيه E. Montet بعنوان : " Le Coran " (ط باريس ١٩٢٩) ، يقول فيها فى ترجمة الآية ، ص ٨٤٧ :

.. " (Je le jure) par la matinée. Et par la nuit, quand l'obscurité vient " .

فقد أقسم بالليل عندما يأتى الظلام - وكان سجاً الليل ، هى : أتى الليل ، .

ولست أحب أن أعرض لترجمات أكثر من ذلك ، فليس هناك سبيل إلى حصر هذه الترجمات ، فضلاً عن أن قضيتنا لا تحتاج إلى أكثر من هذه الشواهد .

والذى نلاحظه الآن بصفة عامة هو أن لفظة سجاً لم تترجم ترجمة واحدة مشتركة متفقاً عليها عند مختلف المترجمين ؛ فبعضهم ترجمها بمعنى سَكَنَ ، وآخر ترجمها بمعنى أظلم ، وغيره ترجمها بمعنى تكاثف ، وغيره ترجمها بمعنى غطى أو شمل ، ومنتهى ترجمها بكل بساطة بمعنى أتى وإذا نحن وضعنا أى لفظة من تلك الالفاظ مكان لفظة سجاً فى النص العربى لقلنا قيمته الفنية إن لم نتلاش نهائياً . ومعنى هذا أن كل هذه الترجمات لم تنقل اللفظة بكل إمكانياتها الفنية ، ولكنها وقفت فقط عن بعض دلالاتها المنضبطة المحددة .

والذى أنصوّر أنه حدث أو يحدث عادة فى مثل هذه الحال هو أن المترجم يقف أمام كلمة سجاً عاجزاً فى فهمها فيذهب لتوّه إلى معجم من معاجم اللغة وليكن لسان العرب لابن

منظور مثلاً ، وهناك يقرأ في معاني الكلمة : « بجا معناه سكن ودام ، وقال الفراء : إذا أظلم وركد في طوله ، كما يقال بجـ ساج وليل ساج إذا ركد وأظلم ، ومعنى ركد سكن . ابن الأعرابي : بجا امتد بظلامه ... الخ » (١) وهنا يجد المترجم ضالته ، فيختار أحد هذه المعاني (٢) ، ويبحث بدوره عن اللفظ المقابل في اللغة التي ينقل إليها ، ثم يثبت في نص الترجمة .

في هذه العملية التي تتم على أكثر من مرحلة يموت اللفظ ويفقد كل حيويته ، أو اقل يفقد كل العناصر الفنية التي استودعها فيه أصحابه ؛ لأن اللفظ في النص الأدبي لا يؤخذ معناه من المعجم ، فالمعجم لا يعطي كل إحياءات اللفظة التي يعتمد عليها المتفنن في صوره الأدبية كل الاعتماد . ولذلك نلاحظ أن كلمة بجا بمعانيها المختلفة في المعجم هي التي تمتلئ أو تمثل بعضها في الترجمات التي عرضناها . ومن هنا يأتي العيب ، وهو أن هذه الترجمات قد نقلت المعاني المتجمدة المتحجرة في المعجم للفظ ، في حين أن الآية لم تهتم بهذه المعاني بقدر اهتمامها بموقع لفظ « بجا » من العبارة ، وما يمكن أن يكون لها من قدرة على إحياء هذه المعاني وأكثر منها في نفس السامع .

ومن كل ذلك نفتهى إلى أن أي ترجمة لا يمكن أن تحافظ على جمال الأصل ، وإن نقلت المعنى نقلاً دقيقاً ، وأن جمال القرآن يضيع في خلال عملية الترجمة التي يدخل فيها المعجم ، فلا تخرج منه الالفاظ إلا وقد فقدت حيويتها وفنيته ، أو إن شئت فقدت جمالها .

عز الدين اسماعيل

(١) السان - ١٩ ، ص ٩٩

(٢) قد يرجع المترجم إلى الفروع ، ومراجعة الفروع عادة لا تغطي أكثر مما في السان .
راجع الكشف - ٢ ، ص ١٦٩٥ ، والطبري - ٣٠٥ ، ص ١٤٧

حافظ الصَّحَابَةِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالطَّائِفُونَ فِيهِ

ظهر في هذا الشهر الجزء الثاني عشر من مسند الإمام أحمد بتحقيق الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر، وبهذا الجزء تبدأ مرويات أبي هريرة رضي الله عنه من أحاديث رسول الله ﷺ وقد صدرها الأستاذ الشيخ أحمد شاكر بكلمة قيمة عن أبي هريرة جاء فيها ما يأتي :

هو حافظ الصحابة، وأكثرهم رواية عن رسول الله ﷺ. روى له الإمام أحمد في هذا المسند ٣٨٤٨ حديثاً وفيها مكرر كثير، باللفظ أو بالمعنى، كمادة المسند في تكرار الحديث. ويصفوه له منها - بعد حذف المكرر - خير كثير، وهو أكثر الصحابة رواية على كل حال. وقد لهج أعداء السنة، أعداء الإسلام، في عصرنا، وشغفوا بالطعن في أبي هريرة، وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته. وما إلى ذلك أرادوا، وإنما أرادوا أن يصلوا - زعموا - إلى تشكيك الناس في الإسلام، تبعاً لسادتهم المبشرين. وإن تظاهروا بالفصد إلى الاختصار على الأخذ بالقرآن، أو الأخذ بما صح من الحديث - في رأيهم. وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم وما يتبعون من شعار أوربة وشرائعها. ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن، ليوافق تأويلهم وهواهم وما إليه يقصدون !

وما كانوا بأول من حارب الإسلام من هذا الباب، ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديماً. والإسلام يسير في طريقه قدماً، وهم يصيحون ما شاموا (١)، لا يكاد الإسلام يسمعه، بل هو إما ينخطاهم لا يشعر بهم، وإما يدمرهم تدميراً.

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون، يكاد يرجع في أصوله ومعناه إلى مقال أولئك الأقدمين، بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين - زائفين كانوا أم ملحدين - كانوا علماء مطلعين، أكثرهم عن أضله الله على علم !

أما هؤلاء المعاصرون، فليس إلا الجهل والجرأة، وامتناع ألسنتهم لا يحسنونها، يقدون في الكفر، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم.

واقف رأي الحاكم أبا عبد الله (المتوفى سنة ٤٠٥ هـ) حكى في كتابه المستدرک

(١) المجلة - وآخر هؤلاء شيخ من سلالتهم اختص أبا هريرة رضي الله عنه بكتاب مستقل طبع

(٣: ٥١٣) كلام شيخ شيوخه ، إمام الأئمة ، أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة (المتوفى سنة ٣١١) في الرد على من تكلم في أبي هريرة ، فكانما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء . وهذا نص كلامه :

« وإنما يتكلم في أبي هريرة ، لدفع أخباره ، من قد أعى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار :

« إما معطل جهلى ، يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم - الذى هو كفر - فيشتمون أبا هريرة ، ويرمون به الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويهاً على الرعاء والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة .

« وإما خارجى ، يرى السيف على أمة محمد ﷺ ، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي ﷺ ، خلاف مذهبهم - الذى هو ضلال - لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الوقعة في أبي هريرة .

« أو قدرى ، اهتزل الإسلام وأهله ، وكفر أهل الإسلام ، الذين يتبعون الأقدار الماضية التى قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة ، التى رواها عن النبي ﷺ في إثبات القدر - لم يجد حجة تؤيد صحة مقالته التى هى كفر وشرك ، كانت حجته عند نفسه : أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !

« أو جاهل ، يتعاطى الفقه ويطلبه في غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتنب مذهب واختاره ، تقليداً بلا حجة ولا برهان - تكلم في أبي هريرة ، ودفع أخباره التى تخالف مذهب ، ويحتج بأخباره على مخالفته إذا كانت أخباره موافقة لمذهب !

« وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها ، أنا إذا ذكر بعضها بمشيئة الله عز وجل ، (ثم ذكر على سبيل المثال بعض تلك الأخبار وأجاب عنها بما يقضى عن إرادته الرجوع إلى أصله) .

(الحجة) : والحقيقة التى توصلنا إليها بعد طول المراقبة والتأمل والاستقصاء أن هناك طوائف انتسبت إلى الإسلام لتقوم بأفساده وتمطيل رسالته وتغيير أنجابه وأتت أن أبا هريرة رضى الله عنه قد أنعم الله عليه بنعمة الحفظ ، وساعدته ظروفه على ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم والحرس على حفظ كل ما يصدر عنه من قول أو عمل كما رزق رواة عنه حفظاً في طليعهم سعيد بن المسيب فتم بذلك للمسلمين صيانة هذه الأمانة العظيمة على أيديهم . فرأت تلك الطوائف للدوساة على الإسلام أنها يهدم أبي هريرة فتوصل إلى هدم ركنين من أركان الإسلام وتأسيسها على ذلك ملاحة هذا العصر وجهلهم ، فكانوا جميعاً : كناطح صخرة يوماً ليونها فلم يضرها وأوعى قرنه الوعل

البدن في نظر الإسلام

تعنى كل أمة ناهضة بتدعيم أسس الرياضة البدنية بين أبنائها ، وخاصة بين شبابها ، وذلك لإيمانها بأن الرياضة تقويم وتعليم ، وبأن العقل السليم في الجسم السليم ، وقد حشدت كل أمة لتلك الناحية من مالها ووقتها وجهدها وتوجيهها الشيء الكثير .

ولا يزال يوجد مع الأسف — من يعتقد أن تلك العناية البادية بالرياضة لا تتواءم مع تعاليم الدين ، لأن الدين في نظر أولئك الزاعمين يحصر رسالته في إيقاظ الجوانب الروحية فقط ، ولو ضحى في سبيل ذلك بسلامة الأبدان .

وهذا زعم صاحب باع طويل في مجال الوهم والخطأ ، وخطأه ذو شعبتين ، الشعبة الأولى لأن الرياضة البدنية كما رسم منهاجها المربون ليست مقصورة على تقوية الأجسام دون الأفهام ، والشعبة الثانية لأن العناية بالبدن أمر ليس غريباً على الدين فهو واجب شرعاً كما هو واجب عقلاً ، وصدق رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يوم قال : « إن لبدنك عليك حقاً » .

إن هذا الجعم بنأية الله ، وحسب البدن تشريفاً أن يكون بناء الرحمن ، الذى لا يعتدى عليه إنسان ، وإلا استوجب لعنة الديان ، فلا يتصرف في هذا الجسم أصلاً إلا بأية ، حتى صاحبه نفسه لا يملك التصرف فيه بما يسوؤه أو يرديه ؛ ولذلك حرمت الأديان من قبل كما حرمت القوانين من بعد إتلاف البدن ولو من صاحبه بالانتحار أو الاعتداء أو الإهمال .

والقرآن الكريم — دستور الإسلام الأقدس — قد كرم الإنسان في جسمه وصورته ، واعتبر ذلك نعمة كبرى من نعم الله ، يمن بها ويلفت إليها وينبه عليها ، فيقول القرآن المجيد في مفتح سورة التين : « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » .

فهذا التقويم البالغ غاية الحسن في تكوين خلق الإنسان وتهذيب صورته ، مظاهر العناية الإلهية الصمدية بيدن الإنسان ، وإن كان التقويم يشمل غير البدن . ويقول القرآن الكريم : يأياها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ما شاء ركبك ، ؟ فهذه الأدوار المتلاحقة من الخلق والتسوية والتعديل واختيار الصورة بيان أى بيان عن قيمة البدن في الإنسان .

بل إن الله تبارك وتعالى قد جعل قوة الجسم يوماً ما سبباً من أسباب الاصطفاء والإيحاء... ألم تستمع إلى القرآن المجيد حيث يقول : « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء ، والله واسع عليم » .

فنحن نرى في الآية الكريمة أن الحق سبحانه قد فضل بسطة العلم والجسم على شرف النسب وعلوه ، لأنهم قالوا : « ونحن أحق بالملك منه » لأنهم ورثته ، وفضل بسطة العلم والجسم على المال والثروة ، لأنهم قالوا : « ولم يؤت سعة من المال » وهم عندهم المال ، وعندهم النسب من قبل ، ولكن بسطة النسب وبسطة المال اهزمتا أمام بسطة العلم وبسطة الجسم ؛ وقد قرن الله بسطة العلم ببسطة الجسم ، وجمع بينهما ، وبأنه من تمجيد ليس وراءه تمجيد .

ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام قد قيل في وصفه - كما في حديث ابن أبي هالة - « إنه بادن متماسك » ، والبادن هو الممتلئ ، فليس هزلاً ، والمناسك هو الذي يمسك بعض أعضائه ببعضاً ، فليس إذن مترهلاً ولا متخاذلاً ، بل هو معتدل الخلق قوة ومنظراً . والرسول عنوان الرسالة وقُدوة الاتباع العليا ، فهو مثلهم السامى في كل ناحية من نواحي الحياة .

ولقد اهتم الرسول صلوات الله عليه بالرياضة البدنية ، فأنشأ أول ساحة رياضية في الإسلام ، وكانت خارج المدينة المنورة ، وكان يدرّب فيها الشباب على الجرى والرمى وفنون المبارزة ؛ واعتبر الرسول في بعض أحاديثه هذه الساحة قطعة من الجنة ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يخامون نعالهم عندما ، فلا يظأونها إلا حفاة الأقدام ؛ إظهاراً للاحتفال والإكرام ...

ولقد مارس محمد ﷺ الرياضى الأول في الإسلام فنونا من الرياضة ، فسابق أعز الناس عليه وهي عاتشة ، فسبقته مرة وسبقها أخرى ، وقال لها : هذه بتلك . وصارع ركانة الذى كان مضرب المثل عند العرب فى المصارعة والقوة ، صارعه فصرعه مرات ، وكان ذلك سبباً فى دخول ركانة الإسلام ؛ ورمى بالقوس ، وسابق بين الخيل ، ونظم هذه المسابقات بين ذوات الحف والوصل والحافر ، وجعل ميدان السباق من الحفيا إلى ثنية الوداع ، وبينهما نحو سبعة أميال ؛ ووضع للمسابقات نظاماً دقيقاً ينزهها عن الحشاد والمؤثرات الخارجية ، فهو مثلاً يقول عن السباق : « لا جلب ولا جنب فى الرهان ، والجلب

أن يأني المتسابق برجل يحلب على فرسه ، أى يصبح عليه حتى يسبق ، والجانب أن يجعل المتسابق فرسا بجانب فرسه ، حتى إذا تعب المركوب تركه وركب المجنوب .
واشترط الرسول التكافؤ أو التقارب بين الجياد ، بحيث لا يكون النصر مؤكداً للجانب فقال : « من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فلا بأس ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وهو آمن أن يسبق فهو قار » .

وكان الرسول يعلم علياً طريقة التنظيم في السباق والإشراف عليه ، ففي حديث على : « فصُفَّ الخيل ، ثم نادى من مصلح للجام ، أو حامل لعلام ، أو طارح لجل ، فإذا لم يجبك أحد فكبر ثلاثاً ، ثم خلها عند الثالثة يسمد الله بسبقه من شاء من خلقه » . وكان على يقعد عند منتهى الغاية ، ويخط خطاً ، ويقف رجلين متقابلين عند طرف الخط ، طرفه بين إبهاميهما أرجلهما ، وتمر الخيل بين الرجلين ، ويقول : إذا خرج أحد الفرسين على صاحبه بطرف أذنيه أو أذن أو عذار فاجعلوا السبق له ، فإن شككتها فاجعلا سبقهما نصفين » .

ولقد مر الرسول ﷺ على بنى إسماعيل وهم يترامون ، فقال : ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع بنى فلان . فأمسكوا فقال : مالكم لا ترمون ؟ فقالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم كلكم فكان ذلك درسا في تشجيع الرياضة وتأييد الرياضيين على شريعة سواء .

وكان للرسول ناقة تسمى (العضباء) ، وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابي على قعود فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وجعلوا يقولون : سبقت العضباء سبقت العضباء . فقال الرسول : « إن حقاً على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » . فكان ذلك درسا في التحريض على الرضا والصبر والثبات ، وعدم الزلزلة عند الانهزام .

وحينما لعب الأحباش بحراهم وسيوفهم في مسجد الرسول ، وتطلع إليهم الرسول وزوجته عائشة ، أفهمونا ضمناً أن الرياضة ليست لهواً ، وليست عملاً دنيوياً محضاً ، وإنما هي قوة للدين والدنيا معاً ، فتكتسب من هنا معنى العبادة بمعناها العام ، لأن كل عمل طيب أريد به وجه الله يكون عبادة .

ولقد تلا رسول الله ﷺ يوماً قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ثم قال : ألا إن القوة الرمي (ثلاثاً) . والرمي كان محصوراً يومئذ في الرمي بالسهم ، ولكننا لو أخذنا الكلمة بمعناها العام المطلق لشملت كل لون من ألوان الرياضة ، فالقوة

هى الرمى ، والرمى هو محور الرياضة وأساسها ... قذف كرة القدم رمى ، ودفع اليدين للكرة الطائرة رمى ، ودفع الساعدين للنقل الحديدى إلى أعلى رمى ، وضرب المضرب لكرة المضادة رمى ، وتصويب كرة السلة نحو الهدف رمى ، والجرى من الأشخاص أو من الجياد رمى ، لأن الجرى اندفاع إلى الأمام ، فكأن الإنسان يقذف بجسمه فى حركة وسرعة إلى الأمام ...

وإذن يمكن أن نقول : إن القوة هى الرمى ، والرمى يشمل كل ألوان الرياضة ، فكأننا مطالبون شرعا بكل هذه الألوان ، حتى نعد لأعدائنا كل قوة مستطاعة ١١ ...

لكن هذه المنزلة العالية للبدن وتقويته فى نظر الدين مشروطة بشرط ، هو أن يكون من وراء أجسام العالقة أخلاق الفضلاء وعقول الحكماء ، وإلا كان طغيان البدن وبالا ونكالا . إن الله تبارك وتعالى يقول فى صفة المجرمين من الكافرين :

« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . »

إذا نظمت إليهم رأيت الأجسام الفارعة ، وإذا نطقوا راعتك الأصوات الجهورية القارعة ؛ ولكن لا شئ وراء ذلك ... لا عقل ولا خلق ولا روح ، وإذن فلا ثبات ولا يقين : « كأنهم خشب مسندة » .. ولذلك يفزعون ويهللون عند كل صرخة ، على الرغم من ضخامة الجسم وجهازة الصوت ، فيحاولون الفرار من كل صيحة ، والتأني عن كل صراخ ، حتى ولو كانت الصيحة على سوامم ، وحتى لو كان الصراخ على غيرهم « يحسبون كل صيحة عليهم » .. فليست عندهم أخلاق تحكمهم ، أو أرواح تزهم ، فهم هواء وهم للسليين أعداء : « هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، ١١ .

فيا شبيبة الإسلام ، كرموا أجسامكم ، فبى وديعة ربكم عنديكم ، كرموها بصياتها وتقويتها ، واعمروا هذه الأجسام بصياتها وسنائها ، اعمروها بمكارم الاخلاق ...

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

- ٢ -

لقد اشتملت كتب التفسير - مما لم يصح - على شيء كثير ، ومن ذلك جزء غير قليل من الموضوعات ، قال الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية . ه وكما أن على الحديث أدلة يعلم بها أنه صدق وقد يقطع بذلك فعليه أدلة يعلم بها أنه كذب ويقطع بذلك مثل ما يقطع بكذب ما يرويه الرضاعون من أهل البدع والغلو في الفضائل ، مثل حديث يوم عاشوراء وأمثاله مما فيه أن من صلى ركعتين كان له كأجر كذا وكذا نبيا . وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدى والزحشرى في فضائل سور القرآن سورة سورة . فإنه موضوع باتفاق أهل العلم . والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع . والواحدى صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف . والبغوى تفسيره مختصر من الثعلبي لكن صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة ، والموضوعات في كتب التفسير كثيرة ومنها الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة ، وحديث على الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة فإنه موضوع باتفاق أهل العلم . ومثل ما روى في قوله (ولكل قوم هاد) أنه على . (وتعبها أذن واعية) أذلك يا على () .

وفي الحق أن كتب التفسير اشتملت على زيف كثير في فضائل السور ، وفي أسباب النزول ، وفيما يتعلق بتبيين مبهم ، أو تفصيل مجمل ، أو بأحوال الأمم السابقة ، وقصص الأنبياء ، وأحوال المعاد ، وبهذه الوجود ، وأسرار الكائنات ، فقد دخل ذلك كله دخيل من خرافات بنى إسرائيل وأباطيلهم التي لا تتفق هي وشريعتنا ويجب تكذيبها .

وكتب التفسير من عهد ابن مردويه وابن جرير الطبري إلى اليوم لا تخلو تفسير منها من موضوعات إذا استثنينا تفسير ابن كثير والألوسي والناظر وبعض التفاسير المستحدثة ،

وتفسير ابن جرير على جلالة قدره قد ذكر بعضها منها إلا أنه قليل جداً بالنسبة لما فيه من الروايات المأثورة . ومن حسنات ابن جرير أنه يذكر السند مما يساعد المطلع إن كان من أهل الحديث أو كان ممن ينشد البحث الصحيح على أن يميز الحق من الباطل ، والمقبول من المردود . ويظهر أنه ممن يرى أن في ذكر السند خروجاً من العهدة ولا يلزمه البيان ، وعلى نهج ذكر السند والعزو إلى من خرج الرواية سار الإمام الصيوطي في تفسيره ، الدر المنثور ، وقد جمع فيه من الروايات ما الله أعلم بصحته ، وفيه من الموضوعات ما حكم جمع من الحفاظ ببطلانه ، بل في تفسيره هذا ما وافق هو على وضعه في كتبه الأخرى كاللكل المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، ولعله اكتفى بذكر السند والتخريج عن التنصيص على الوضع ، أو أن ذلك كان سهواً . وكتاب التعلي على الموضوعات والقصص الإسرائيلية . ومن العجيب أنه ذكر في مقدمة كتابه أن الله رزقه ما عرف به الحق من الباطل ويميز به الصحيح من السقيم وعاب من جمع بين الغث والسمين . وتفسير الزمخشري وهو الكشاف ، مع خلوه غالباً من القصص الإسرائيلية قد ذكر بعض الموضوعات في الفضائل والقراءات وأسباب النزول ونحوها . وتفسير الدسوقي تابع لتفسير الكشاف غالباً في كل ما ذكره ، إلا أنه لم يذكر الحديث المروى في الفضائل إلا نادراً مثل ما ذكره في آخر سورة يوسف وطه ، وتفسير الخازن أكثر من ذكر القصص الإسرائيلية وأخبار الأمم الماضية وذكر بعض الموضوعات في أسباب النزول ، إلا أنه مما يذكر له أنه يكر على بعضها بالإبطال وذكر أقوال المحققين ، مثل ما فعل في قصة هاروت وماروت والغرائق وقصة داود وسليمان على ما يروىها القصص ، وقد يغفل عن بعض الموضوعات بما لا يدركه إلا جهاذة الحديث وأئمة الرواية وتفسير الفخر الرازي وتفسير أبي السعود قد تنبه مؤلفهما إلى بعض الروايات الباطلة ورداها ، وبخاصة من جهة العقل والنظر ، إلا أنهما خفيت عليهما بعض الموضوعات مما لا يدركه إلا أئمة الحديث . ولهما في الرد جولات موفقة ، ولا سيما ما يطعن في عصمة الانبياء والملائكة منها . وما ينبغي أن يعلم أن بعض المفسرين كان لهم جهاد مشكور في رد المفتريات والتزييه عليها كالأئمة ابن كثير والالوسي ومحمد عبده في تفسيره الذي نشره صاحب المنار . وفارس هذه الحلبة هو الحافظ ابن كثير فقد جاء تفسيره مصفى من الموضوعات والإسرائيليات ، وكان له فضل التنصيص على بطلانها وبيان كيف أمرت إلى الإسلام ومن أين أنت . ولا عجب فهو حافظ وخريج مدرسة عرفت بأصالة النقد .

ولو أن المفسرين جميعهم رزقوا هذه الملكة لما دخلت عليهم هذه الأباطيل ، ولنفوا هذا الخبث من كتبهم ، فقد صار -جاءاً على فهم القرآن فهماً صحيحاً ، واغتر به من لا يعلم حقيقة الأمر فأذاعه ، كما كان مثاراً للظن في الإسلام ونبينا عليه الصلاة والسلام من أعداء الدين ، وقديماً شعر بعض العلماء المحدثين بالنقص الذي يوجد في كتب التفسير من ذكر الأحاديث بلا سند ولا عزو فألف الحافظ الزيلعي تخريجاً لأحاديث الكشاف^(١) . وقد اختصره الحافظ ابن حجر في كتاب سماه «الكاف الشاف من تخريج أحاديث الكشاف» . وقد أحسننا بهذا العمل الجليل صنفاً إذ ميزا المقبول من المردود ، وما أحوج كتب التفسير إلى مثل هذا التخريج . وبحسبنا الآن أن نذكر بعض ما في كتب التفسير من موضوع وإسرائيليات مع بيان مواقعها من الكتب المشهورة على قدر الاستطاعة لتكون نبراساً يهتدى به القارىء في هذه النفاسير .

أحاديث فضائل السور والآيات :

فن ذلك الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب مرفوعاً في فضائل السور سورة سورة ، فقد بحث مؤمل بن اسماعيل حتى وصل إلى من اعترف بوضعه ، قال مؤمل حدثني شيخ بهذا الحديث فقلت له : من حدثك بهذا ؟ قال : رجل بالمدينة وهو حى ، فسرت إليه فقلت : من حدثك بهذا ؟ فقال : حدثني شيخ بواسط ، فسرت إليه فقال : حدثني شيخ بالبصرة ، فسرت إليه فقال : حدثني شيخ بعبادان ، فسرت إليه فأخذ يبدى فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ ، فقلت : يا شيخ من حدثك ؟ فقال : لم يحدثني أحد ، ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن^(٢) . وقد خطأ المحدثون من ذكر هذه الأكاذيب من المفسرين في كتبهم كالثعلبي والواحدى والزحشرى والبيضاوى وأبي السعود ، لكن من أبرز سنده كالأولين فهو أبسط لعذره ، إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده وإن كان لا يجوز له السكوت عليه ، وأما

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٢) هذا وأمثاله من الوضائع كآبى عصمة نوح بن أبى مريم يضمنون الأحاديث في الفضائل احتساباً فيما زعموا ، وبئس ما فعلوا ، وهم غفلة وآمنون وداخلون تحت قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، وهم أعظم أصناف الوضائعين ضرراً لا غترار بعض الناس بما أظهره من صلاح مزيف . وقد قبض الله لهم من أئمة الحديث من كشف عوارهم ورد كذبهم

من لم يبرز سنده وأورده بصيغة الجزم كالأخرين فخطؤه أخش . والتعلي يذكّر هذا الحديث المزعوم في صدر السور ، أما الزخشرى ومن تابعه فيذكرونه في آخر السور . ومن أمثلة ذلك ما ذكروه في آخر سورة آل عمران ، من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم . وما ذكروه في آخر المائدة . من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى ، وكل ما ذكروه فهو على هذا النقط .

وقد يذكر بعض المفسرين في فضائل بعض السور أحاديث موضوعة عن غير أبى بن كعب ، وذلك مثل ما ذكره الزخشرى ومتابعوه في فضائل الفاتحة . وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله قال : إن القوم ليبحث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب : الحمد لله رب العالمين ، فيرفع الله عنهم العذاب أربعين سنة ، قال فيه ولى الدين العراقى : في سنده الجوىبارى ومأمون المروى كذابان ، فهو من وضع أحدهما ^(١) .

وقد يذكر المفسرون في فضائل الآيات ما لا أصل له وما لا يعرفه المحدثون المشهود لهم بالحفظ والاطلاع وما هو منكر جداً ، وذلك مثل الحديث الذى ذكره أبو السعود في تفسيره في فضل آية الكرسي ، من قرأها بعث الله تعالى ملكاً يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة ، فهو لا أصل له ^(٢) . ومثل ما ذكره الزخشرى والنسفى وأبو السعود في تفاسيرهم في فضل آية الكرسي من حديث : ما قرئت في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة . وكذا حديث : إن الصحابة تذاكروا فضل ما فى القرآن ، فقال على كرم الله وجهه : أين أنتم من آية الكرسي قال له رسول الله ﷺ يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد وسيد الجبال الطور وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي ، فقد قال الحافظ في تخرجه لم أجدهما .

ولا يتوهم متوهم أن جميع ما ذكره الزخشرى ومن تابعه في الفضائل موضوع وكيف ؟ وقد ذكر أحاديث في غاية الصحة مثل ما ذكره الزخشرى في تفسيره في خواتيم سورة البقرة : من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ، فهو متفق عليه ، ومثل حديث

(١) من كتاب محاسن السور في الكشف عن أحاديث السور « مخطوط » .

(٢) تفسير الألوسى جزء ٣ ص ١١ ط منير

« أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتني في قبلي ، فقد أخرجه أحمد والنسائي ، ومثل ما ذكره في فضائل الفاتحة حيث قال : « وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لآتي : ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلاً قلت : بلى . قال : فاتحة الكتاب ، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ، أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي والحاكم ومصححه على شرط مسلم ، ومثل الحديث الذي ذكره في آخر سورة البقرة وهو : السورة التي يذكر فيها البقرة فسقاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ، فقد رواه الإمام أحمد .

وتفسير الحافظ ابن كثير أجل ما يعتمد عليه في باب الفضائل ، وكثيراً ما ينبه على ما فيه ضعف شديد أو نكارة وما هو مختلق موضوع . والسور التي صحت في فضائلها الأحاديث الفاتحة والزمر وإوان - البقرة وآل عمران - والأنعام والسبع الطوال بحلة ، والكهف وياسين والدخان والمك والزلزلة والنصر والكافرون والإخلاص والمودتان - وما عداها لم يصح فيها شيء . وأصح ما ورد في فضائل السور هو ما ورد في سورة الإخلاص . وكذلك ورد في الفضائل أحاديث حسان وضماف لم تصل إلى حد الوضع . وقد سرد الثابت في فضائل السور الإمام السيوطي في إتهانه على ترتيب السور (١) وكذلك ذكر الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما ما صحح على شرطهما في الفضائل ، والإمام أحمد في مسنده ذكر الكثير منها .

وقصارى القول أن الأحاديث المذكورة في كتب التفسير في الفضائل منها ما هو موضوع قطعاً ، ومنها ما هو ضعيف ، ومنها ما هو صحيح أو حسن ، فليكن القارئ فيها على بينة من ذلك ، ولا يروى حديثاً منها إلا بعد التأكد من معرفة درجته من الصحة أو الحسن ، ومعرفة ما إذا كان مقبولاً أو مردوداً ، وليس بمسير على أهل العلم والمتصدين للتعليم والوعظ الوقوف على درجة الأحاديث من مظانها ، وكل ساعة تنفق فذلك فهي لله وفي سبيل الحق .

أما بيان الدخيل في غير الفضائل من أسباب النزول والقصص وأحوال الأمم الماضية وما فيه الطعن في عصمة الأنبياء والملائكة فوعدنا به المقالات الآتية إن شاء الله ٢

محمد محمد أبو شهب
الاستاذ بكلية أصول الدين

لغويات

في مصر علامون . وفيها رجال مدركات لما جل ودق

يرد علامة في مبالغة علام ، وهو مبالغة في عالم . وكذلك مُدْرِكَة يأتي في مبالغة مُدْرِك . وقد وقع البحث في جمع هذا الضرب من الأوصاف المختومة بتاء المبالغة . والجمع المطرد في الأوصاف - كما هو مقرر في موضعه - جمع التصحيح ، أي جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم .

وعلى هذا فأى الجمعين أولى بهذا الضرب من الأوصاف وآثر به ؟ إن المعروف أن ما كان محتوماً بالتاء لا يجمع جمع المذكر السالم ، أيا كانت التاء . فيستوى في ذلك تاء التانيث وتاء المبالغة . وفي الحق أن تاء المبالغة فيها معنى التانيث ، فقد قيل في توجيه المبالغة بها الذهاب بالوصف إلى معنى الداهية أو الغاية والنهاية ، وقيل غير ذلك مما يرجع إلى هذا . ومن ثم يقول صاحب التوضيح في الحديث عن جمع المذكر السالم : « ويشترط في كل ما يجمع هذا الجمع ثلاثة شروط : أحدها الخلو من تاء التانيث . فلا يجمع نحو طلحة وعلامة ، وقال الشيخ خالد في شرحه التصريح : « لا يجمع فيهما علامتا التانيث والتذكير . ولو حذفت التاء التيسر بالمجرد منها ، فترى أن التاء في علامة أدرجت في تاء التانيث . وعلى هذا فلا يقال في جمع علامة : علامون ، ولا في جمع مدركة : مدركون .

ومع هذا فقد ورد في طبقات ابن سعد (١) : « عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا انقسم لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد ، ثم يسلك ويقول : كذب النسابون . قال الله - عز وجل - : « وقرونا بين ذلك كثيراً » ، والمعروف في واحد النسابين هو النسابة . ومن قبيل ما جاء في الحديث ما جاء في كلام ابن جني في التنويه بالكوفيين من الحويين والموازنة بينهم وبين البصريين إذ يقول : « الكوفيون علامون بأشعار العرب مطلقون عليها فوق البصريين . والبصريون أجود قياساً ، وقد أورد هذا النص عن ابن جني السيوطي في الاقتراح في المسألة السادسة عشرة من الكتاب السادس .

وقد عقب ابن علان شارح الاقتراح فقال : « علامون جمع علام بغير هاء ، مبالغة

في عالم ؛ كعلام الغيوب . وليس جمع علامة بالهاء ؛ لأن شرط ما يجمع هذا الجمع من أوصاف المذكور تجرده من ماء التأنيث ؛ كما قرروه . وهذا أولى من قوله في الشرح ؛ إنه شاذ ؛ بناء على أنه جمع علامة .

وفي الحق أن ما وقع من ابن جنى إن لم يرد عن العرب وكان مخالفا للقياس كان خطأ من القول لا شاذاً ؛ إذ الشاذ لا يقبل إلا إذا ورد عن العرب .
ويؤخذ من كلام ابن علان الجواب عن « النسابين » فيقدر أن واحده نساب لا نسبة وقد ورد الوصفان كلاهما .

على أنه عرف عن الكوفيين أنهم يميزون جمع نحو طلحة على « طلحين » ، ويوافقهم ابن كيسان من البصريين ، غير أنه يفتح اللام فيقول : طلحنون . ويقول صاحب^(١) الإنصاف : « ذهب الكوفيون إلى أن الاسم الذي في آخره تاء التأنيث إذا سميت به رجلاً يجوز أن يجمع بالواو والنون . وذلك نحو طلحة وطلحنون . وإليه ذهب أبو الحسن بن كيسان ؛ إلا أنه يفتح اللام فيقول : الطلحنون ؛ كما قالوا : أرضون ، حملا على أرضات . وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز . »

ولا ينبغي أن يفهم من كلام الإنصاف أن هذا الحكم خاص بالاسم إذا سمى به ، كما هو ظاهر كلامه . فالوصف مثل العلم لا يختلف عنه في شيء ؛ وإنما «عنى صاحب الإنصاف بهذا التقييد في جانب الاسم لأنه لا يسوغ جمعه هذا الجمع إلا بعد التسمية به وتصويره علماً . فأما الوصف فلا كلام فيه . ومما يؤيد هذا أن الناقلين عن الكوفيين أطلقوا القول في العلم والوصف . يؤخذ ذلك من كلام الشيخ آيس في حاشيته على القطر ، وقد ذكر من جمع الوصف عندهم رَبعين في جمع رَبعة . وفي اللسان : قال الفراء : من العرب من يقول : امرأة ربعة ونسوة ربعات . وكذلك رجل ربعة ورجال ربعون . »

ومع هذا فصاحب الإنصاف في سياق حجج البصريين يقول : « وإذا وصفوا المذكور بالثؤنت فقالوا : رجل ربعة جمعه بلا خلاف فقالوا : ربعات ، ولم يقولوا : ربعون ، وترى هذا يخالف ما سبق عن الفراء في اللسان ، وإطلاق التحويين .
وأرى أن في جمع نحو علامة على علامين سعة من قبل مذهب الكوفيين إذا فهمناه على الإطلاق في العلم والوصف .

وبعد فقد عرفت من هذا أن جمع هذا الضرب بالواو والتون غير مستقيم المنهج عند الجميع ، فإن البصريين ينكرونه .

والجمع المطرد فيه هو جمع المؤنث السالم . فيقال : رجال علامات ومدركات وراويات للأخبار . وقال الماكي في شرحه للقطر : « والذي يجمع بألف وتاء قياسا مطردا خمسة أنواع : ذو التاء مطلقا ، فقال الشيخ يس في كتابته عليه : « ذو التاء مطلقا أى تاء التأنيث المبذلة في الوقف هاء ؛ كتمره ، والساكن ما قبلها ؛ كبت وأخت : وكذا كيت وذيت لوسمى بهما ، ولو مذكرا . وشمل قوله : (مطلقا) العلم ، واسم الجنس ، والمذكول فيه بالتاء على تأنيث أو مبالغة ، كنسابات » .

ويقول صاحب اللسان (نسب) : « وتقول : عندي ثلاثة نسابات وعلامات . تريد ثلاثة رجال ، ثم جئت بنسابات نعنا لم . وفيه أيضا (نكح) : « قال أبو زيد : يقال إنه نكحة من قوم نكحات » ونكحة التاء فيه للمبالغة ؛ كما هو معروف .

ويقول أبو جعفر النحاس فيما نقله عنه صاحب الخزائنة : « وعلى هذا تقول : عندي عشرة نسابات ؛ لأنك تريد الرجال ، وإنما نسابات نعت » .

كفى كلاما !

كفى شغلا بالمال ونأيا عن المعاني السامية !
يكثر هذا الأسلوب في الحديث والخطاب ، يكثر الكلام في مجلس عن عمل الخير وتبدير الخطط الناجحة ورسم المنهج القويم ، فنقول : كفى كلاما ، وعليكم بالفعل وحسبكم القول . وقد جرى بحث في هذا التركيب وموافقته لقواعد العربية . وموضع البحث فاعل « كفى » ، ما هو ؟

ويبدو أن التأليف صحيح ، وأن فاعل كفى محذوف مقدر أو ضمير أى كفى ما أنتم عليه أو الحال التي ترونها ، و « كلاما » تمييز .

وقد قرئ في أواخر سورة البقرة قوله تعالى . « وإن كان ذا عسرة » ^(١) قرأ بذلك أبي وابن مسعود وعثمان وابن عباس ، أى إن كان المدين . قال الفراء ^(٢) : « إذا نصبت أضمرت في كان اسما ، كقول الشاعر :

فه قـومى أى قوم لحرة إذا كان يوما ذا كواكب أشمما
وقال آخر :

أعنى هلا تبكيان عفاقا إذا كان طعنا بينهم وعناقا
فقوله إذا كان يوما أى إذا كان اليوم يوما ، وقوله : إذا كان طعنا أى إذا كان القتال
أو الجلاء طعنا .

ويقول -سيبويه في الكتاب (١) : وقال عمرو بن شأس :

بنى أسد هل تعلون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشمما
أضمر لعلم المخاطب بما يعنى ، وهو اليوم ، ويقول الأعم : أى إذا كان اليوم يوما
وأضمر لعلم المخاطب . ومعناه إذا كان اليوم الذى يقع فيه القتال .
ومن هذا قول الشاعر :

فإن كان لا يرضيك حتى تردنى إلى قطرى لا إخالك راضيا
قال ابن عيش في شرح المفضل (٢) : المراد : فإن كان لا يرضيك ما جرى في الحال
التي نحن عليها . ويقولون : إذا كان غدا فأتى أى إذا كان ما نحن عليه غدا ، كما ذكره
في المفضل . وقرئ في سورة الانعام قوله تعالى : لقد تقطع بينكم ، بفتح النون في (بينكم)
لحمل على أن المراد : تقطع الأمر أو العقد أو الود بينكم . وهذا بمعنى ما قبل فيها .
وبما لم يذكر الفاعل فيه قول الراجز :

يكفيك من سوداء واحتجانها وكرك الطرف إلى بناتها
فاتمة الجبهة في مسكانها صلما لو يطرح في ميزانها
رطل حديد شال من رجحانها

وسوداء اسم امرأة . واحتجانها : الغم إليها . فتراه أضمر الفاعل في يكفيك ، أى يكفيك
ما أتيت . ولا ينبغي أن يقال : إن « من » حرف جر زائد والمجرور هو الفاعل ؛ لأن « من »
لا تزاد في الإثبات ، ولا حين يكون المجرور معرفة . وقد ورد هذا الرجز في اللسان (عج) .

محمد علي النجار

أَبُو دَهْبَلِ الْجُمَحِيِّ

شاعر أموى، جال في نواح من الشعر يكثر فيها الغزل والنسيب، على أنه يمثل لك في شعره الغزلى - مع ما يتصل به من أخباره - العصمة والعفاف، والبعد عن السفساف. ويمثل لك من حام حول الحى وعصمه الله فلم يواقه. ويصور لك من طلبته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين. ومن حفظ نفسه من الزلل برغم المغريات التى تصبى الحليم، وتستوى الكريم، فتعرف ما يصنع الدين بمن لجأ إلى كنفه والتس العيش الطيب فى محبوبته. إنه ليقيم على صاحبه رقيباً أميناً منه، وضميراً حياً يحول دون المنكروه والإثم. ويجعل فيه كرامة تسعد حياته، وتقوم خاقه، وتحفظ جسمه، وتحظ دنياه، وتؤمن أخراه، على أن للشعر هنوات يغفرها الله لمن يحتابون كبار الإثم والفواحش إلا اللدم، إن ربك واسع المغفرة

شهد هذا الشاعر من عصور الخلفاء عصر على بن أبى طالب كرم الله وجهه فما بعده حتى عصر هشام بن عبد الملك من ملوك بنى أمية. وقال الشعر فى آخر عهد على كما قالوا، ولكننا لم نرو له شعراً قبل عهد معاوية مما سنرى بعده. وقد كان الشعر لتلك العهود التى شهدها أبو دهل غصاً فطرياً لم يتعد بالصناعة، ولم يثقل بالتكلفات البديعية البعيدة عن المقصود، كان شعراً كالنثر ينظمه قائله لآلىء فى عقد فيحفظه من التفرق، ويسره للتحفظ، ويدنيه من النفوس بما يعبر عن خلجاتها ويلبس نزعاتها. ولا سيما فى شعر العاطفة والحكم الخالدة.

هذا الشاعر (أبو دهل) وهو وهب بن زلفة، كان شاعراً خلا لا يبلغ فيما نرى أمثال جرير والفرزدق والاختل بمن اتخذوا الشعر حرفة وصناعة. ووفروا أنفسهم له ينافسون به وفيه، ويحاولون المجادة من تعاطيه، على أنه لم يكن كهؤلاء، متمسكاً إلى حزب قوى على أو أموى، ولكن ظروفا قضت أن يكون زبيرياً وأن يخدم فى دولة الزبير حتى كان ابن الزبير ولاء بعض أعماله. ولو قد أتبع له أن يكون من أنصار بنى أمية وشعراتها لكان فيما نظن أقوى وأشهر مما هو الآن. على أنه قد قلت لك إنه خل فى الشعر وإن كان غير مشهور. وفى أخباره ما يجعله أشعر الناس عند بعض الناس.

ذكر صاحب الاغانى بسنده أن قوما مروا براهب فقالوا له : ياراهب ، من أشعر الناس ؟ فقال : مكانكم حتى أنظر في كتاب عندي ، فنظر في رق له عتيق ، ثم قال : وهب ابن وهيب من جمع أو جمحين . وإذا شاء معلق أن يعلن على هذا الخبر فسيقول إنه غريب إن صححت روايته ، وإن فيه دلالة على شيء من القصور الذهني والعقلي . فما كان من عمل الراهب أن يحكم في الشعر ، ولا سيما بعد أن قضى الإسلام على خرافات التكهن وأحكام الرهبان . وأنت ترى في صورة هذا الحكم أنه استمد من رق له عتيق ، وليس ذلك سبيلا في القضاء ، ولا طريقة في الفصل بين الشعراء .

وقد كانت لهذا الشاعر حوافز من عصره الذي عاش فيه ، وقومه بنو جمع المعرقين في العروبة ، واستعداده الصادق الحبيب مما جعله يبلغ منزلة رفيعة في الشعر ، في ألفاظ جزلة مصقولة إلى حد ، بما أضفاه أدب الإسلام وتهذيبه للغة العربية في شتى نواحيها ، ومعان تؤثر الملح والإشارة ، وعدم الإغراق والتوغل ، وترضى بالميسور من الخيال من مثل ما تجدد في قوله وهو يفتخر بقومه :

قوى بنو جمع قوم إذا انحدرت شهباء تبصر في حافاتها الزغفا
أهل الخلافة والموفون إن وعدوا والشاهدو الروح لا عزلا ولا كشفاً (١)

على أن له معاني نغمة ، يزيد في روعتها تخيير ألفاظها وحممة الطبع فيها من روح الشاعر وقوة طاقته . وماله من ذلك قوله يمدح عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن الأزرق عامل عبد الله بن الزبير على اليمن :

اعلم بأني لمن عاداك مضطفن ضباً ، وأنى عليك اليوم محسود (٢)
إن تغد من منقلى نجران مرتحلا يرحل من اليمن المعروف والجود
وهذه المعاني وإن كانت مسلوكة فإن ذلك في النادر القليل ، على أن العرض يزيد في قوتها كما قلت من قبل .

ومما أستحسن من معانيه قوله :

عفا الله عن ليلي الخداة فإنها إذا وليت حكما على تجور
أترك ليلي ليس يئني وبينها سوى ليسة ، إني إذا لصبور

[١] الشهباء - السكتبية الكثيرة العدد والمدد . والزغف : الدروع . والاكشف : للثزم ، جمه كشف .
[٢] الضب : القبط والحفد .

فأما أغراض الشعر في شعر أبي دهل فإنه - كما قلت - نواح أكثر ما رأيت منها النسيب والغزل ، وقد مدح وحجا ، وافنخر ورننا ، وذكر أهله وحن إليهم في بعض أسفاره ، ولو أتيج لنا أن نرى الكثير من شعره لاستطعنا الاستقصاء في الحكم عليه ، ولكننا نوال البحث إن شاء الله ، عسى أن نظفر بغير ما ذكرنا من أغراض شعره .

غزله :

والآن أستطيع أن أتحدث معك في بعض ما جاء من شعره في الغزل ، وأخباره مع من تغزل معهن من النساء فإنه أكثر ما رأينا من شعره ، وأخباره فيه كريمة شريفة غير مسفة كثيرة ، وإن كان هناك أيضاً غزل عذري لأمثال جميل والمجنون ولكن الأمر فيهم مشهور معروف .

تغزل أبو دهل في غير واحدة من كرائم العقائل ، فلم تكن واحدة فيهن ساقطة ولا نازلة .

وكان في غزله أديباً مهذباً لا يهجر ولا يفحش ، ولكنه يصف الهيام بالوصف العام ، ويشكو الجوى والصبابة ، والهدم والكآبة ، ويرم بالواشين والوشاية . . ويشفق من الفراق ويضيق ذرعاً بالهجر وعدم التلاق ، ويألم من الوعد والمنى دون استجابة ، ويتوجع لكبده المتصدعة من جفوة الحبيب وما إلى ذلك في أنماط وكُسا لطيفة غير مستهجنة .

واشتهر أبو دهل بحب فتاة تسمى عمرة من قومه ، وكانت امرأة جزلة ^(١) يجتمع إليها الرجال والنساء للحادثة وإنشاد الشعر والأخبار فتتيم أبو دهل بها ، وكان لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً تحبه وتألفه وكان حباً شريفاً قيل إنه انتهى بالزواج بينهما . وكان أبرز ما هاج مخجوه . وألح في عمرة شعره ، أن عمرة كانت تحرص على كتمان ما بينهما وتوصيه بذلك ، ولكن زوج أبي دهل اطلمت على الأمر فدست إليها عجوزاً أو منها في لباقة أن حديث الحب بينهما شاع حتى تحدثت به أشراف قريش في مجالسها وسوقة أهل الحجاز في أسواقها ، والسفاة في مواردها ، فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتمويهه فوثبت عمرة من مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير إليها ، وجاء أبو دهل على عادته فحجبه وأرسلت إليه بما كره ، ففي ذلك يقول :

(١) جزلة : حميفة الرأي .

تطاول هذا الليل ما يتبلج وأعيت غواشي عرقي ما تفرج
وبت كئيباً ما أنام كأنما خلال ضلوعي جمة تترج
فطوراً أمني النفس من عمرة التي وطوراً إذا ما لج بي الحزن أنشج^(١)
لقد قطع الواشون ما كان بيتنا ونحن إلى أن يوصل الجبل أحوج
رأوا غرة فاستقبلوها بألبهم^(٢) فراحوا على ما لا نحب وأدلجوا
وكانوا أناساً كنت آمن غيبهم فلم ينهم حلى ولم يتخرجوا
فليت كواينياً من أهلي وأهلها بأجمعهم في قعر دجلة لججوا^(٣)

ومن المعاني اللطيفة والطريفة فيها قوله :

ولو تركونا لا هدى الله سمعهم ولم يلحموا قولاً من الشر ينسج
لأوشك صرف الدهر يفرق بيتنا ولا يستقيم الدهر والدمر أعوج
وهذا نسج قوي وأسلوب جليل . ثم قال :

وقلت لعباد وجاء كتابها : لهذا ورب كانت العين تخرج
وإني لمخزون عشية جنتها وكنت إذا ما جنتها لا أعرج
أخطط في ظهر الحصير كأنتي أسير يخاف القتل ولهان مفلج^(٤)
فلما اتقينا لجلجت في حديثها ومن آية الصرم الحديث الملجلج
ومن المعاني الأولية فيها قوله :

وأشفق قلبي من فراق خلية لها نسب في فرع فهر متوج
وكف كهدهاب الدمقس لطيفة بها دوس حناء حديث مفرج
يحمول وشاحها ويقتص حجلها ويشيع منها وقف عاج ودماج^(٥)
ومن قوله في عمرة :

يا عمر حم فراقكم عمرا وعزمت منا النأى والهجرة
إن كان هذا السحر منك فلا ترعى على وجددي السعرا^(٦)

(١) التئج : صوت معه توجع وبكاء . (٢) يجمعهم .

(٣) السكواهن : التئاد . (٤) المفلج : الفزع .

(٥) يقتص : يمتلي . والوقف : سوار من عاج . (٦) الارطاء : الابقاء .

إحدى بنى أود كلفت بها حلت بلا وز لنا و ترا
 وزى لها دلا إذا نطقت تركت بنات فواده صمرا
 كنساقط الرطب الجى من ال أفان لا بترأ ولا نورا
 أقسمت ما أحبت حيك لا ثيباً خلقت ولا بكرا
 ومقالة فيكم عركت لها جنبى أريد بهالك العذرا
 ومريد صرتم عدلت به فيما يحاول مركباً وعرا

وهذا الشعر فى جلته كأنه أسلس من سابقه أسلوباً ، وإن كانت فى سابقه معان أعنى
 إلى حد ، على أنك إن تعجب فقد ساق صرف الدهر أبا دهل الجمحى فرأى عاتكة بنت
 معاوية وهى فى فريضة الحج ، فملفها فواده وتغزل بها ، وسار بمسيرها هاجرا الأهل
 والوطن ، فلولا لطف الله وحلم معاوية وخشية القالة لكان فى ذلك حينه . ولكن الله سلم ،
 فنجوا وهب وهو التقي الورع المحفوف برعاية الله ولطفه . لعمر آيه لقد كان يأوى إلى ركن
 شديد من ربه فغفر له وآمن خوفه . إنه لم يخف بطش الخليفة ، ولا جبروت يزيد أخيه .
 ولعله كان فى باطن نفسه لا يؤمن بخلافة بنى أمية كما أثرت لك من قبل أو لا يستجيب .
 وحديث أبى دهل مع عاتكة بنت معاوية ظريف وعجيب نذكره ليجد القارى فيه
 بعض السلى ، وليرى فيه بعض العبر ، ولينصوّر فيه شيئاً من أدب أبى دهل الغزلى .

تحدث أبو الفرج الاصبهاني فى إسناده ذكره قال :

حجت عاتكة بنت معاوية بن أبى سفيان فزلت من مكة بنى طوى ، فبينا هى جالسة
 وقد اشتد الحر وانقطع الطريق ، إذ أمرت جواربها فرفعن الست وهى جالسة فى مجلسها
 عليها شغوف لها تنظر إلى الطريق ، إذ مر بها أبو دهل الجمحى وكان من أجمل الناس وأحسنهم
 منظراً ، فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهى غافلة . فلما فطنت له سترت وجهها ،
 وأمرت بطرح الست وشمته ، فقال أبو دهل :

إنى دعانى الحنين فاقنادى حتى رأيت الظبي بالبواب
 يا حسنه إذ منى مدبراً مستراً عنى بجلباب
 سبحان من وقفها حسرة صبت على القلب بأوصاب
 بذرد عنها إن تطلبتها أب لها ليس بوهاب
 أحلها قصرها منيع الذرى يحمى بأبواب وحجاب

بغفر الله لك يا أبا دهيل ، فما كان أخرى بمثلك - وأنت التقي الورع الطاهر كما تحدث
عنك الرواة وسارت الأخبار - أن تكرم نفسك عن تلك المواقف الفاتنة ، وألا تقتادك
تلك النظرات الحاطئة . ولقد أرشدك الدين الشريف ، وذلك المنطق السليم ، أن النظر مبدأ
الحوادث ، والشرر مبعث الحرائق ومذهب المخاطر :

وكنتم إذا أرسلت طرفك رائداً لفليك يوماً أنعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

ولكن ماذا نقول وللشباب جهالة لا منجاة منها لغير المعصوم ، وللشاعرية انزلاقها
وتدفعها المحتوم ، وللقدر حكمه اللازم المقسوم ، وللشرع الشريف تجاوزه لمن لم يندفع
في نيار الشر ومن طلب ما أحله الشرع مثلك كما يترجم عن ذلك ما يتمناه قولك :

يدود عنها إن تطلبها أب لها ليس يوهاب

ثم تقول الرواية : وسمع هذه الآيات بعض الناس فشاعت بمكة وشهرت وغنى بها
المغنون حتى سمعها طائفة إنشادا وغناء فضحكوا وأعجبها وبعثت إليه بكسوة . وجرى
الرسول بينهما ، فلما صدرت من مكة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها فكانت تعاهده
بالبر واللفظ حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقاءه وبعد من أن يراها ومرض
بدمشق مرضاً شديداً فقال شعراً منه :

طال ليلى وبنت كالمحزون وملكت المقام في جيرون^(١)
وأطلت المقام بالشام حتى ظن أهلي مرجحات الظنون

إلى أن يقول :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغو أص مبرزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتهما لم نجدما في سناء من المكارم دون

قال المبرد في الكامل : والذي كأنه إجماع الناس أن هذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان
في بنت معاوية . على أن لصاحب الأغاني رواية أخرى تقول إنه لعبد الرحمن في أخت
هوية . ومهما يكن فإن صاحب الأغاني يطرد في حديثه منافية قول : إن هذا الشعر شاع

حتى بلغ معاوية فأمسك عنه حتى إذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهب ،
فلما انصرف الناس استدناه ثم خلا به فقال له : ما كنت أظن أن في قریش أشعر منك
حيث تقول :

واقعد قلت إن تقاصر نوى وتقلب ليلتي في فنون
ليت شعري أمن هوى طار نوى أم يراني الباري قصير الجفون ^(١)

غير أنك قلت : ومعى زهراء ، البيتين السابقين . والله إن فتاة أبوها معاوية وجدها
أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت ، وأى شيء زدت في قدرها ؟ ولقد أسأت
في قولك :

ثم خاصرتها إلى القبة الحظ وراء تمشي في مرمر مسنون

ثم هدده يزيد وجبروته وأمره بالخروج من الشام . ثم خرج أبو دهب إلى مكة
وقال أشعارا شاعت في عاتكة ، وبلغ بعضها معاوية وبلغ بعضها يزيد . وانتهت القصة بأن
معاوية زوجه إحدى بنات عمه وأفاض عليه من ماله وحله حتى أمسك عن عاتكة تائباً على
يد هذا الداهية الحليم . ولكنها صروف الدهر لم تهان أباً دهب فقد جر عليه قلب الأيام
هوى وهوى .

وقد عشقته في طريقه إلى الغزو سيدة في بيت عريق واحتالت عليه حتى تزوجها وأقام
عندهما هاجراً أهله وولده حتى ظنوه قد فنى وهو حي في متعة ولهو حلال . ثم استأذنها وعاد
إلى وطنه وقال في ذلك شعراً حن فيه إلى أيامه مع عشيقته الحلال ويهف بعض نعيمها
وعلاقته بشعر منه قوله :

وقباب قد أسرجت ويوت نظمت بالريحان والزرجون
قبة في الشتاء قد ضربوها عند حد الشتاء في قيطون
ثم فارقتها على خير ما كا ن قرين مفارقاً لقرين

رحمك الله أبا دهب قد طال الحديث عن غزلك حتى خفت ملل القارى .

محمود النواوي

(١) الحق أن المعنى في هذا البيت لطيف .

فَالْحَصْلُ فِي غَزْوَةِ بَنِي قَيْنِقَاعَ

تحدثت في المقال السابق عن نظرية الدفاع المجهوى التى طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد جيش الإسلام بعد بدر ، وتجلى هذا التطبيق فى الغزوات القصيرة التى جرت فى الفترة ما بين بدر وأحد ، وقد تحدثت عن هذه الغزوات كلها تقريباً إلا واحدة هى غزوة بنى قينقاع ، فقد رغبت فى أن أفرد لها مقالا خاصا لأنها كانت غزوة من نوع فريد ، جاءت بشئ جديد وفن جديد من فنون الحرب ظهر لأول مرة وهو فن الحصار ...

فى هذه الغزوة لم يلق محمد أعداءه فى الميدان ، بل أثر أن يحاصروهم فى دورهم حتى تضيق بهم الحياة فيعلنوا التسليم ، ووجه العظيمة فى تلك الخطة الحكيمة التى اتخذها النبي ﷺ أنها كانت الخطة المثالية التى تناسب طبيعة الأعداء ، فكانت هى الوسيلة الفعالة فى القضاء عليهم .

وأحسن الخطط ما وضع على أساس من الدراسة التحليلية لطبيعة الأعداء ، والقائد المحنك هو الذى يعرف نقط الضعف عند أعدائه ، حتى إذا ما وجه ضربه كان واثقا من نتيجتها الفاضلة .

إن الغرض النهائى من القتال أمر واحد هو القضاء على قوة العدو ، ولكن وسائل تحقيقه قد تعدد ، وإحدى هذه الوسائل الحصار .

ولكن ما الذى يدفع القائد إلى اتخاذ خطة الحصار بالذات ؟ وما الذى يدعو به إلى تفضيله عن لقاء عدوه فى الميدان مثلا ؟ ذلك هو الأمر الجدير بالذكر والملاحظة ..

هناك شرطان أساسيان لا ينجح الحصار بدونهما فى القضاء على العدو هما : —

١ — انعدام الاكتفاء الذاتى لدى العدو "Self Sufficiency" ، والاكتفاء الذاتى ، اصطلاح معروف عند العسكريين يعبر عن توفر المؤن والذخائر ووسائل العيش دون الحاجة إلى موارد أو مساعدات خارجية ، فإذا انعدمت الكفاية الذاتية عند العدو

المحاصر وقطعت عنه وسائل الاتصال بالخارج فسوف لا يمكنه تحمل الحصار لمدة طويلة وسوف يضطر مرغما على التسليم ..

وقد رأينا في الحروب الحديثة كيف تحاول الدول المحاربة تموين جيوشها المحاصرة وتزويدها باللوازم من مؤن وأسلحة وذخائر ومهمات طبية وذلك عن طريق الجو، فترسل طائراتها فوقهم ثم تسقط لهم هذه اللوازم، وفي سبيل ذلك تتحمل تضحيات جسيمة وخسارة كبيرة لأن عدوها لن يتركها دون تدخل منه .

٢ — ضعف الروح المعنوية للعدو المحاصر .. فالروح المعنوية عامل له قيمته في الحرب وبدونه تهزم أحسن الجيوش تسليحا، وأضعفها عددا. ويحدثنا التاريخ عن جيوش حوصرت في أحوال سيئة ولكن روحها المعنوية كانت عالية، فصمدت وتحملت الحصار مددا طويلة نذكر منها القوات الانجليزية في طبرق في الحرب العالمية الثانية فقد صمدت ثمانية أشهر، وكذا القوات المصرية في الفالوجة في حملة فلسطين سنة ١٩٤٨ فقد كانت مثالا رائعا وآية معبرة أصدق تعبير عن مدى تأثير الروح المعنوية على الجيوش في الميدان .

وغير هذين الشرطين، هناك اعتبارات أخرى لها قيمتها مثل قوة تحصينات المدافعين وغيرها، غير أني اكتفيت بهما في مقام الحديث عن غزوة بني قينقاع لكفائتهما في هذا المقام .

وبنو قينقاع هم أشهر قوم من اليهود، كانوا مثال الشجاعة فيهم، وكانوا صاغة، فجاءت إلى سوقهم امرأة من العرب المسلمين كانت زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو جلست إلى صائغ منهم، فاجتمع حولها جماعة من اليهود يعرفونها أن تكشف عن وجهها فأبت، فإما كان من أحدهم إلا أن غافلها وعقد طرف ثوبها إلى ظهرها بشوكة دون أن تشعر، فلما قامت انكشفت سواها فضحكوا منها ساخرين، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، ولكن اليهود لحقوا به فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتوابعوا من كل ناحية، فبلغ الخبر النبي ﷺ فقال : يا معشر يهود، احذروا من الله ما نزل بقريش من العقمة - يعني في بدر - واسلبوا فإنكم قد عرفتم أني مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وهداه الله تعالى إليكم به . فقالوا : يا محمد، إنك ترى أنا قومك

(أى تظننا مثل قومك) ولا يفرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لو حاربناك لتعلن أنك لم تقاتل مثلنا ..

وبذلك كان بنو قينقاع أول من نقض العهد من اليهود ، ولم يكن بد من قتالهم ، فولى النبي على المدينة بشير بن عبد المنذر ، وخرج إليهم في الخساءس عشر من شوال وكان حمزة حامل اللواء ، فتحصنوا في دورهم ، فحاصرهم المسلمون وكان عدد اليهود ثلاثمائة رجل مسلحين بالدروع ، وأربعمائة غير مسلحين ، واستمر الحصار خمسة عشر يوما متتابعة لا يخرج منهم أحد ، ولا يدخل عليهم بطعام أحد ، ولما اشتد بهم الحال ، وكادوا يهلكون ، أعلنوا التسليم ...

من هذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد انتهج خطة الحصار ، فكانت ناجحة كل النجاح ، وكانت عملا بارعا آية في الدلالة على الفطنة والحكمة ...

فإذا رجعنا إلى الشروط التي ذكرناها للحصار الناجح نجد أنها تنطبق تمام الانطباق على حالة يهود بنى قينقاع :

أولا : انعدام الاكتفاء الذاتي :

فلم يكن لبنى قينقاع نخيل أو زرع يعيشون من خيراته ، فلقد كانوا صاغة يعيشون مما يصوغون من حلى وغيرها ، وبذلك كانوا يعتمدون على غيرهم في الطعام ، وهكذا كان حصارهم وقطع الصلة بينهم وبين غيرهم أنجح وسيلة لقهرهم ، لأنهم كانوا لن يطيقوا الصبر على الحرمان من ألزم مقومات الحياة ..

ثانياً : ضعف الروح المعنوية :

كانت الروح المعنوية عند بنى قينقاع ضعيفة ، وكانت هناك لهذا الضعف أسباب قوية وهي :

١ — لم يكن لهم أنصار قريبون منهم لأن سائر اليهود المنتسبين إلى المدينة كانوا يقيمون بعيداً عنها بخير وما أشبهها ، ولا شك أن شعورهم ببعد النصير عنهم في وقت هم فيه محاطون بأعدائهم لما يضعف روحهم المعنوية تماماً ..

٢ - سبب هذا الحصار وانقطاع أسباب اتصالهم بالخارج ، كساد الحالة التجارية لهم ، وبالنظر إلى غريزة حب المال المطبوعة في هذه الطائفة إلى درجة العبادة . نجد أن انقطاع ورود المال إلى أيديهم ، واختفاء بريقه عن عيونهم من أقوى أسباب انخفاض روحهم المعنوية ، فلم يكن من المستغرب أن يضيقوا ذرعاً بتلك الحال وأن يسرعوا إلى التسليم . .

ثم إن هناك اعتباراً آخر جعل النبي ﷺ يفضل حصار بني قينقاع على قتالهم وهو أنهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم مالا ، فرأى أنه إذا قاتلهم في الميدان ربما يفر منهم بعضهم ليستعدوا للجمع له والإغارة عليه ، فوجد أن الخلاص منهم جميعاً مرة واحدة أحسن وذلك بحصارهم وأمرهم .

وقد قرر النبي ﷺ - بعد أن استشار أصحابه - قتلهم جميعاً ليستريح من شرهم ، فلم يرض بذلك عبد الله بن أبي (ابن سلول) وكان حليفاً لليهود وللسلدين ، فألح على الرسول قائلاً : يا محمد أحسن في موالي . .

فأعرض عنه النبي ، فأدخل يده في جيب درع النبي من خلفه ؛ فقال له غاضباً (ويحك أرسلني) وكررها مرتين ، فقال : والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فإنهم أعزت وإني والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال النبي ﷺ : خلوهم لعنهم الله ولعنة مذهبهم ، خذهم لا بارك الله لك فيهم . .

وأمر صلى الله عليه وسلم بإجلاء اليهود عن المدينة وكلف عبادة بن الصامت رضي الله عنه بهذا الأمر ، فأملهم ثلاثة أيام ليستعدوا فيها للإجلاء ، وكان ذلك سهلاً فلم تكن لهم بالمدينة كما ذكرت أراض زراعية أو نخيل . ورحلوا عن المدينة تاركين وراءهم السلاح وأدوات الذهب الذي كانوا يصوغون وساروا إلى أذرعات بالشام .

ولقد كان إجلاء اليهود عن المدينة تصرفاً سياسياً آتياً في الدلالة على الحكمة وبعد النظر فلم يكن أضر على وحدة المدينة من تنازع الطوائف فيها ، فكان إجلاء اليهود مقدمة لم يكن منها بد للأثار السياسية التي ترتبت بعد ذلك على خطط الإسلام ؟

محمد جمال الدين محفوظ

بوزباشي أركان الحرب

إنباء الغمر بأبناء العمر

أشار الأستاذ السيد محب الدين الخطيب في ترجمته الوافية لابن حجر في الجزء الماضي من مجلة الأزهر إلى مؤلفات ابن حجر القيمة في الفنون المختلفة وعد منها كتاب «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس» الذي ترجم فيه لشيخه ، وعد منها كتاب «إنباء الغمر بأبناء العمر» . وقد تحدثنا إلى القراء في كلة سابقة بهذه المجلة عن كتاب المجمع المؤسس الذي توجد مسودته بمكتبة الأزهر ، وتحدث إليهم اليوم بمناسبة كلة السيد محب الدين عن كتابه «إنباء الغمر بأبناء العمر» . وأول ما نلاحظه على الكتاب أن بعنوانه غرابة على بعض القراء ، فكلمة « الغمر » بضم الغين بمعنى قليل الخبرة والتجربة تخفى على كثير منهم وإن كانت متداولة في بعض قرى الصعيد بهذا المعنى . وخلاصة عنوان الكتاب أنه إخبار للغافلين بأخبار علماء عصره وعظمائه وأعيانه ، كما يلاحظ أيضاً التجنيس فيه بين إبناء وأبناء والغمر والعمر ، والتجنيس في عناوين الكتب ظاهرة شائعة قديماً وحديثاً . وقد جمع ابن حجر في كتابه هذا حوادث الزمان ووفيات الأعيان وبخاصة أعيان رجال الحديث الذين أخذ عنهم وتلقى منهم ، واعتمد في مادة الكتاب على مشاهدته أو نقله عن وثق بهم من الأشخاص والكتب ، وعدد بعض هؤلاء الأشخاص في خطبة الكتاب كما يأتي . واستحسن ابن حجر أن يعتبر هذا الكتاب - من حيث الحوادث - ذيلًا على تاريخ ابن كثير ، فإنه انتهى في ذيل تاريخه إلى هذه السنة ، وأن يكون ذيلًا على الوفيات لتق الدين بن رافع من حيث وفيات الأشخاص فإن كلا منهما انتهى في تاريخه إلى السنة التي ابتداء فيها ابن حجر بتأليف كتابه سنة ٧٧٣ هـ .

والكتاب يصور عصر ابن حجر تصويراً دقيقاً ، خصوصاً من ناحية النظم الإدارية ورقابة الحكومة للحالة الاقتصادية وعلاقتها بالتجار ، كما يصور علاقة أهل الأديان بعضهم ببعض ، ويروى في ذلك نواذر غاية في الطرافة .

وإلى القارئ تعريف الكتاب كما جاء في خطبته :

أما بعد : فيقول العبد الضعيف أحمد بن علي بن محمد بن علي ابن حجر المصقلاني الأصل المصري المولد القاهري الدار : هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان

الذي أدركته منذ مولدى سنة ثلاث وسبعين ومبهاة وهلم جرا ، مفصلا فى كل سنة عن وفيات الأعيان ، مستوعبا رواة الحديث ، خصوصا من لقيته وأجاز لى . وغالب ما أورد فيه ما شاهدته أو تلقفته ممن أرجع إليه ، أو وجدته بخط من أثق به من مشايخى ورفقتى ، كالنارخ الكبير للشيخ ناصر الدين بن الفرات ، وقد سمعت عليه جملة من الحديث . ولصارم الدين بن دقاق ، وقد اجتمعت به كثيرا ، وغالب ما أنقله من خطه ومن خط ابن الفرات عنه . وللحافظ العلامة شهاب الدين أحمد بن علاء الدين حجبى الدمشقى ، وقد سمعت منه وسمع منى والفاضل البارغ المقتنى تقي الدين أحمد بن على المقرئى . والحافظ العالم شيخ الحرم تقي الدين محمد بن أحمد بن على القاسى القاضى المالكى بمكة . والحافظ صلاح الدين خليل ابن محمد بن محمد الأفهى وغيرهم ، وطالعت عليه تاريخ القاضى بدر الدين بن محمود العيى وذكر أن الحافظ عماد الدين بن كثير عمدته فى تاريخه وهو كما قال ، لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقاق حتى كان يكتب منه الورقة الكاملة متوالية ، وربما قلده فيما يسمم فيه حتى اللحن الظاهر . وأعجب منه أن ابن دقاق يذكر فى بعض الحوادث ما يدل على أنه شاهدها فيكتب البدر كلامه بعينه بما تضمنه وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعد فى عتاب^(١) ولم أشاغل بتتبع عثراته بل كتبت منه ما ليس عندى بما أظن أنه اطلع عليه من الأمور التى كنا نغيب عنها ، وسميته «إنباء الغمر بأبناء العمر» ، والله أسأل أن يحتم لنا بخير ، وهذا الكتاب يحسن - من حيث الحوادث - أن يكون ذبلا على تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير ، فإنه انتهى فى ذيل تاريخه إلى هذه السنة ، ومن حيث الوفيات أن يكون ذبلا على الوفيات التى جمعها الحافظ تقي الدين بن رافع فإنها انتهت إلى أوائل هذه السنة وعلى الله أعمد ... ثم قدر الله سبحانه لى الوصول إلى حلب حرسها الله تعالى فى شهر رمضان سنة ست وثلاثين وطالعت تاريخها الذى جمعه الحاكم بها العلامة الاوحد الحافظ علاء الدين ذبلا على تاريخها لابن العديم وقد بيض أوائله ، فطالعت كله من الميضة ثم من المسودة وألحقت فيه أشياء كثيرة وسمعت منه أيضا وسمع منى ... » .

[١] المجلة : وكان جرجى زيدان يقع فى مثل هذا الخطأ . ومن ذلك أنه فى الطبعة الأولى من كتابه تاريخ مصر زعم أنه رأى جهة باب زويلة قبل أن يحدث فيها التمديل والتغيير ، مع أن التغيير الحادث كان أقدم من زمن جرجى زيدان . ثم نبه العلامة المحقق أحمد تيمور باشا إلى أن جرجى زيدان نقل عبارة مؤرخ فرنسى ذكر تيمور باشا اسمه ، وذلك للأورخ الفرنسى هو الذى رأى ما نقله عنه جرجى زيدان دون أن يمزوه إليه .

والكتاب بالمكتبة الازهرية ، وهو من نواذرها في فن التاريخ ، ويقع في مجلدين كبيرين عدد أوراقهما ٢٢٧ و ٣١٨ ورقة وسطور الاول مختلفة بين ٢٣ و ٢٥ والثاني بين ٢٥ و ٢٨ سطرا وكتبات السطور مختلفة بين ١٧ و ٢٢ كلمة ، وهما بخط علي بن داود الخطيب وكان الفراغ منه في رمضان سنة ٨٧٩ كما ذكر في آخره أى بعد وفاة المؤلف بنحو ربع قرن فقد توفي الحافظ بن حجر سنة ٨٥٢ هـ .

وبظاهر الصفحة الأولى من المجلد الاول مذهب مستطيل بأعلامها في وسطه « الجزء الاول ، وبوسط الصفحة ثمن به « لشيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين بن حجر ، وبأسفلها مستطيل مذهب به اسم الكتاب « إنباء العمر بأبناء العمر ، ويبدو بعض أوراقه ترقيع ذهب ببعض الكلمات كما أن به خرما ، وعلى هامشه تعليقات واستدراكات وتكملات تاريخية قيمة بخطوط مختلفة تخالف خط الاصل ، وبه تعليقات متعددة تدل على أن الكتاب تداوله بالمطالعة مؤرخون لبعضهم تضلع في علم التاريخ يبدو ذلك في التصويب والتكميل . فإذا أهمل ابن حجر بعض مؤلفات من يترجم له استدرك بعض المطالعين ذلك على هامشه فأكمله ، وإذا أخطأ في حادثة تاريخية صوبها ، والكتاب بهذه الهوامش قد استوفى عناصر التحقيق العلمى الصحيح . ويعيب هذه النسخة ما فيها من خرم وترقيع ، وربما أمكن إخراج نسخة كاملة منها ومن المسودة التى ذكر الاستاذ محب الدين أنها بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهى بخط المؤلف .

وقد فرغ ابن حجر من كتابه هذا بعد كتاب « المجمع المؤسس » فقد فرغ من المجمع سنة ٨٢٩ هـ ، لذلك تكررت بعض تراجم رجاله وبخاصة تراجم شيوخه ، وقد أشار إلى ذلك بعض المعلقين على هوامش النسخة في مواضع كثيرة .

وبعد — فإن الحافظ ابن حجر شخصية دينية تاريخية خصبة جدية بأن تدرس وتعرض وتنشر صحائف مجدها العلمى لتسكون أسوة يقتنى أثرها شباب الإسلام ويستقرون بأضوائها إلى أهدافهم العلمية .

غفر الله له وأفسح له فى جناته وأسبغ عليه سحائب الرضوان ٢

أبرار الوفا المرافى

مدير المكتبة الازهرية

اختلاف الدارين في التشريع الإسلامي والقانون المصري

- ١ -

١ — من موانع الإرث في التشريع الإسلامي مانع يتعلق بالمركز القانوني للأجانب بمقتضاه يتمتع الميراث بين غير المسلم (الذمي) الذي يعيش على إقليم تنبسط عليه السيادة الإسلامية ، وبين غير المسلم الخارج عن نطاق هذا الإقليم أى الموجود في بلد ليس خاضعاً للسيادة الإسلامية ، وهذا المانع ليس بمهما عليه من جميع فقهاء الشريعة الغراء ؛ إذ يقول به الحنفية والشافعية فقط ، ولا يراه الإمامان مالك وأحمد مانعاً ^(١) .

٢ — ويتضح معنى الإقليم الذي تنبسط عليه السيادة الإسلامية من سواء ، من القول بأن التشريع الإسلامي يقسم العالم إلى دارين : أولها دار الإسلام ، وهى الإقليم الإسلامي أو مكان الإسلام ^(٢) وهذه الدار تسكنها ثلاث طوائف من الناس ، الأولى طائفة المسلمين والثانية طائفة الذميين ، والثالثة طائفة المستأمنين ، ويعتبر أهل الكتاب ^(٣) من الذميين ، ومثلهم المسيحيون واليهود والصابئة — وثانيتها دار الحرب وهى بلاد الحرب ^(٤) وتشمل كل البلاد التى لا تدين بالإسلام ، ولا تجرى عليها أحكامه ، ولا يأمن من فيها بأمان المسلمين ^(٥) ، ويستوى في ذلك أن تقوم دولة واحدة بحكم هذه البلاد أو أن تقوم بحكمها دول كثيرة ، ولا يهم أن يكون بعض السكان القاطنين بها يعتنقون الإسلام مادامت قوانين الإسلام وأحكام الشرع غير ظاهرة فيها ، وما دام المسلمون لا يستطيعون إلى إظهار

(١) تعرضت لهذا المانع المادة ٥٨٨ من [كتاب الأحكام العرفية في الأحوال الشخصية لقدرى « باحا » بقولها : « اختلاف الدارين في حق المستأمن والذمي في دار الإسلام ، وفي حق الحربيين والمستأمنين من دارين مختلفتين ، وفي حق الذمي والحربي . . . » .

(٢) Le Locus de l'Islam انظر بمحسا للاستاذ أحمد رشيد في « مجموعة أكاديمية القانون الدولي » سنة ١٩٣٧ تحت عنوان : L'Islam et le droit des gens. t. 60 p. 415. (٣) " Gens du Livre " (٤) Le Locus de la guerre.

(٥) انظر : الشيخ عبد الوهاب خلاف في « السياسة الشرعية » سنة ١٣٥٠ هـ للطبعة السلفية

أحكام وقوانين دينهم فيها من سبيل ، فالديانات والعقائد التي لا تخضع للإسلام هي التي يكون معتقوها في الواقع إقليم الحرب أو دار الحرب ^(١) .

٣ — ولتفهم هذا المانع القائم على أساس اختلاف الدارين لدى الحنفية ، نقول إن الميراث في المذهب الحنفي يبنى على أساس العصمة والولاية فيما بين الأفراد ، سواء أكان هؤلاء الاخيريون مسلمين أم كانوا غير مسلمين : ذميين أو مستأمنين أو حربيين ^(٢) ، واختلاف الدار يعني تميز البلد وانفصاله في عسكره ونظام حكمه وأحكام قوانينه ، وهذا التميز والاختلاف إنما ينشأ عنه انقطاع العصمة والولاية بين الأفراد ، ومن أجل ذلك يتمتع الميراث ، ويعتبر هذا الاختلاف في الدار مانعاً من الإرث بين التابدين لدولة معينة والتابعين لدولة أخرى .

٤ — واختلاف الدار قد يكون اختلافاً حقيقياً ، وقد يكون اختلافاً حكماً ، والاختلاف الحقيقي مثاله الاختلاف الواقع بالنسبة للحربي من جهة والذي من جهة أخرى ، وفيه يتمتع ميراث أي منهما من الآخر ، فلا توارث بينهما إذا مات الحربي مثلاً في دار الحرب وله أب أو ابن ذمي في دار الإسلام ، أو إذا مات الذمي في دار الإسلام وله أب أو ابن في دار الحرب .

والعلة في ذلك واضحة ، وهي اختلاف الدارين بالنسبة إليهما ؛ إذ ثمة تبان بين دار الذمي ودار الحربي ؛ فدار الأول هي دار الإسلام ، ودار الثاني هي دار الحرب ، وهذا الاختلاف

(١) انظر : "La conception et la pratique du dr. inter. privé dans l'Islam" (Etude juridique et historique) par Choucri Cardahi, Recueil des Cours, op. cit, p. 518.

وانظر بحثنا تحت عنوان "La conception de la nationalité et l'Etat des étrangers, " dans la législation islamique "

(٢) يبش الذميون في دار الاسلام بناء على « عقد القمة » وهو عقد مؤبد عهده مهم للسلمون حين امتد سلطانهم إلى مختلف البلدان التي فيها ثبت بعض الأهالي على عقيدتهم الأولى كالمسيحية واليهودية ولم يدخلوا في دين الاسلام ، ويعتصموا بترك هؤلاء وما يدينون به ، ويسلمون معاملة طيبة ، ويأمنون في دار الاسلام على أنفسهم وأموالهم وإلى جوار هذا العقد المؤبد عرف عقد آخر هو [عقد الامان] وهو خاص بتأمين الحربيين الذين يندون إلى دار الاسلام ، ولكنه عقد مؤقت بمام ، لأن الحربيين هم من الاجاب عن المسلمين ، فهم من دار الحرب التي تمتد دار عداوة بالنسبة لدار الاسلام وبالنسبة للمسلمين فيها . انظر : دكتور محمد عبد المنعم رياض (بك) في « مبادئ القانون الدولي الخاص » سنة ١٩٤٣ م — ٢٠٨ .

يقطع الولاية فيما بينهما ، ومن شأن انقطاع الولاية امتناع التوريث القائم على أساسها ، وذلك بالرغم من اتحاد الملة بين هذين الشخصين ^(١) .

٥ — والاختلاف الحسكى مثاله الاختلاف الحاصل بين المستأمن ^(٢) من جهة ، والذي من جهة أخرى ، وتوضيح هذا الاختلاف أن المستأمن هو من أهل دار الحرب ، ولكنه أنى دار الإسلام ^(٣) وأمنه المسلمون بأمان مؤقت خاص ، فهو ليس أصيلاً في دار الإسلام ولا مستطيماً أن يملك فيها أكثر من وقت معين ، وإن فعل دخل في زمرة الذميين وطبقت عليه أحكام الإسلام في شأن هؤلاء الآخرين ، وهو ليس أصيلاً في دار الإسلام ، بمعنى أنه يستطيع أن يغادرها ويؤوب إلى بلاده أو إلى غير بلاده خارج نطاق بلاد المسلمين ، ولذلك فوضعه مع الذي في دار واحدة هي دار الإسلام لا يعنى اختلاف الدار بالنسبة إليهما حقيقة ، وإنما يعنى اختلافهما حكماً ، بالرغم من أن الواقع المشاهد هو أنهما في الحقيقة موجودان في دار واحدة .

على أنه لا فرق في الميراث بين حكم اختلاف الدار حكماً وحكم اختلافها حقيقة ، بمعنى أن اختلاف الدار حكماً يمنع التوارث بين المستأمن والذي تماماً كما يمنع اختلافها حقيقة الوراثة بين الحربى والذي .

٦ — وقد استقى المشرع المصرى الحديث أحكام التشريع الإسلامى في مادة الموارث

(١) انظر : الشيخ عبد الله مصطفى المراغى في « التشريع الإسلامى لنير المسلمين » ص ١٠٥

(٢) المستأمن هو حربى في الأصل ، ولكن سمح له بدخول دار الإسلام بأمان خاص ، يصير بمقتضاه آمناً على نفسه وماله فيها ، وبغير هذا الأمان لا تقم نفسه ولا ماله في هذه الدار ، فيعتبران فيثاً للمسلمين ، ويروض لقتلهم وأسرهم إياه ما لم يعتنق الديانة الإسلامية ، وقد يطيل المقام في دار الإسلام ، وحينئذ يأمره للسلون بالخروج منها فإن بقى بعد هذا الأمر سنة كاملة فرضت عليه الجزية وصار ذمياً ، وكذلك يثبت ذمياً بطريق ضمى إذا حدث منه ما يدل على أنه قد أزمع النوطن والعيش في هذه الدار كشرائه لأرض خراج وزراعتها والتزامه الخراج — انظر في هذا الصدد : القاضى أبابوسف في « الخراج » طبعة السلفية سنة ١٣٥٢ ص ١٨٧ وما بعدها .

(٣) يأتي المستأمن إلى دار الإسلام لأغراض شتى ، منها التجارة ، ومنها الزيارة .

وأصدر قانوناً خاصاً بذلك هو القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣^(١) ، بيد أن المشرع المذكور لم يأخذ في هذا القانون بمناخ اختلاف الدارين على إطلاقه . ولغهم ما ورد فيه خاصاً بهذا المناخ ، نقول إن الأمر الآن وفقاً لهذا القانون يتلخص في ثلاثة فروض رئيسية :

أولها خاص باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين المسلمين وغير المسلمين .

وثانيها خاص باختلاف الدارين بالنسبة للمسلمين .

وثالثها خاص باختلاف الدارين بالنسبة لغير المسلمين .

٧ - الفرض الأول : وهو المتعلق باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين المسلمين

وغير المسلمين :

يلاحظ بشأنه أنه لا توارث بين المسلمين وغيرهم على الإطلاق ، وهذا حظر شرعي قرره التشريع الإسلامي ، ولا أهمية ولا اعتبار لاختلاف الدارين فيه ، وحظر هذا التوارث هو نفسه مانع من الإرث ، مما يفضل منه أن نبهته في بحث مستقل قادم إن شاء الله .

(١) يمكن القول من وجهة نظر [القانون للفران] الآن إن مانع اختلاف الدارين في التشريع الإسلامي والقانون المصري يشابه ذلك المناخ المشلق بالمركز القانوني للأجانب الذي عرفه القانون الفرنسي ، إذ نصت المجموعة المدنية الفرنسية الصادرة في سنة ١٨٠٤ على حرمان الأجنبي من ميراث الأموال التي يملكها أبوه في إقليم المملكة الفرنسية [سواء أ كان هذا الأب فرنسياً أم كان أجنبياً (Voir l'art. 126 de Code C. F.)] بيد أن هذا المنع لم يمتد أكثر من أربعة عشر عاماً ، إذ صدر في فرنسا بتاريخ ١٤ يوليو سنة ١٨١٩ قانون بمقتضاه يكون للأجانب حق الإرث والتصرف من الفرنسيين ، كما لهؤلاء الأخيرين أن يرثوا منهم ويتصرفوا إليهم تماماً في جميع أرجاء فرنسا . هذا وقد جاء هذا القانون بتقرير حق خاص أطلق عليه Le droit de prélevement وفيه ما يدل على تمسك المساواة بين الوارثين الفرنسيين والوارثين الأجانب إذا كانوا مشتركين في تركه واحدة ، إذ بمقتضى هذا الحق يستطيع الوارث الفرنسي الموجود بالخارج في مثل الفرض السالف إذا كان القانون الأجنبي يحمله مستحقاً لأموال واقعة في الخارج أن يحصل من الأموال الموجودة في فرنسا على قيمة معادلة لتلك الأموال ، ما دام الفرض أن التركة تضم أموالاً ليست كلها في فرنسا بل يوجد بعضها في خارج حدودها .

انظر : Prof. Gaston Stefani, Les successions abintestat et testamentaire en droit français conporé au droit égyptien, Rev. Al-Qanoun wal Iqtisad, XXI^e année, No 1 p. 47.

٨ — الفرض الثاني : وهو المتعلق باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين المسلمين :

المتفق عليه بغير خلاف هو أن اختلاف الدار ليس مانعاً من الميراث بين المسلمين ،
أى أن المسلم يرث المسلم مهما اختلفت دولة كل منهم ، وهنا نلاحظ صورتين :

٩ — الأولى : إذا كان التوارث بين مسلم مصرى ومسلم غير مصرى قاطن
في إحدى البلاد الإسلامية ، وهنا يتضح تماماً أن اختلاف الجنسية حسب القوانين الوضعية
الحديثة لا يمنع التوارث بين هذين المسلمين ، إذا قام سببه ؛ لأن التوارث يتعلق في الإسلام
بالجنسية المعتمدة فيه لا بالجنسية الوضعية ، والجنسية المعتمدة فيه هي الجنسية الإسلامية التي
يتمتع بها أبناء دار الإسلام ، وما دام طرفا الميراث : المورث والمورث في هذه الصورة ،
هما من دار الإسلام ؛ إذ أن كلاهما يتبع بلد إسلامياً ، فالتوارث بينهما واقع ، لأن العبرة
في وقوعه هي بالجنسية الإسلامية العامة في دار الإسلام ، وليست العبرة بجنسية كل منهما بحسب
القانون الوضعي في البلدين اللذين يقعان لهما ؛ وتطبيقاً لذلك يحدث التوارث بين المسلمين
في مصر والمسلمين في أى بلد من البلاد العربية كسوريا ولبنان وليبيا والمملكة العربية
السعودية والكويت والبحرين واليمن ، وكذلك المسلمون في البلاد الإسلامية كأندونيسيا
وباكستان ؛ لأن كل هذه البلاد تجمعها دار الإسلام .

١٠ — الثانية : إذا كان التوارث بين مسلم مصرى ومسلم غير مصرى قاطن في أى بلد
من بلاد العالم غير البلاد الإسلامية أو متجنس بجنسيته ، وهنا يحدث التوارث بينهما ، وذلك
متفق عليه بغير خلاف ، والعلة فيه أن ولاية المسلم في الميراث هي للإسلام مهما اختلفت الدار
التي يتبعها ومهما اختلفت الجنسية الوضعية التي يتجنس بها ، أى أننا في هذه الصورة لا نحتاج
إلى التقسيم الثلاثي للعالم إلى دار إسلام ودار حرب ؛ لأن الدار غير معتبرة هنا في التوريث ،
وتطبيقاً لذلك يقع التوارث بين المسلم المصرى والمسلم الروسى أو الألماني أو النمساوى
أو الفرنسى أو البلجيكى أو الأسباني أو الإنجليزى أو الأمريكى ... الخ .

أحمد طه السنوسى

دَوْلَةُ الشَّعْرِ

مهداة إلى شعراء العربية وأدبائها في مصر والشرق العربي

« فلسفة العالم فلسفة كاذبة »

« ما أبعد بحر هذا العالم وما أروع ظلمته »

يا دولة الشعر ثوري	حسب العروبة هجرا
فألوّزفك تشوى	وما لغيدك أسرى ١٩
فالنيل في مصر يجرى	أما للبينك مسرى ١٩
بلا بلّ النيل .. ثوري	وأرسل الشعر بكرا
ملأت سمعى همأ	وصحت في الشرق دحرا
وصفت زهر القوافي	من الفرداديس درا
فهل طوى الشعر .. ليل	وكم طوى الليل شعرا ١
مئت بالامس دوراً	فثلى اليوم .. دورا

« يا دولة الشعر .. ثوري	فالكون حولي .. يثور
والأرض بالناس تجرى	طوراً ، وطوراً تدور
والنيل صاح .. فصاحت	في المشرقين الدهور
فدُك صرْحٌ ودالت	للسالكين ... عصور ...
وروع الدهر وارتا	عت في الروابي الطيور
ففي العرين أسود	وفي الفضاء نسور ..
وفي الخائل .. عُرس	وفي الودائع .. نور
وموكب النصر يمشى	والدهر فيه يسير

يادولة الشعر ثوري	قد ضاق هذا الفضاء
فالعرب ثار وُجَّت	سأساته ... الادعياء

والغرب تعصف فيه رياحه ... الحقاء ...
 وتصرخ الجن في لا بقيه ... والظلماء ...
 سلى (فرنسا) أفي (تو نسي) تراق الدماء ؟
 فني (الجزائر) نار وفي البوادي .. عواء !!
 و (الدار) ولول فيها وفي الدياجي الفناء ^(١)
 فا على الارض حب وما بها ... رحماء
 فنحن في الجرح والبلو ي في الحياة .. سواء
 شعب على الحب يحيا وأمة ... عزلاء
 فأين في الارض تلك الشرائع ... الوضاء ؟
 هزوا قلوب الليالي بأبها .. الشمرء
 فالشعر وحى ، وذكرى وحكمة ... وغناء

* * *

يا دولة الشعر ثورى طال النوى واللقاء
 يا شرق .. يا مهبط الوحي ضجت « الخضراء » ^(٢)
 فهذه الارض ضاقت فهل تضيق السماء ؟
 أين السلام ؟ وأين الحرية الحمراء ؟
 وأين تلك الحضارات أبها ... الدخلاء ؟
 شريعة الكون حب ورحمة .. وإخاء ..
 سلى « فرنسا » أ للظلم دولة .. وبقاء ؟
 عوت شياطينها والمعا بد ... الخرساء !!
 يا دولة العلم والفلسا ت أين .. الحياة ؟
 دارت عليك الليالي وناحت .. النكباء
 « شريعة الغاب » مانت ومال هذا البناء ..
 مهد الحضارات .. أين القضاة ، والحكام
 فالحب فيك جفاء والجور فيك قضاء ..

(١) هي الدار البيضاء من ثنور المغرب الاتقى .

(٢) هي تونس التي يقوم الفرنسيون فيها بتمذيب الاحرار المجاهدين .

شباب الزمان وضلت سيلها .. العلماء ..
 فأين يا أم دفنهم جنائك الفيحاء ؟
 وأين علم الليالي والشعر والشعراء ؟
 يا دولة الشعر ثوري وأبغضى .. الثوار
 هذا شراذك يحرق فأرسل الأفعاما
 وودعني الأمر ، وامض واستقبل الأعداء
 جددت بالأمس نفسي بجددي (الإسلام)
 وشيعي الظلم والظا لمين .. والأعداء
 فصر قد شيعتها والدهر كان غلاما
 نادى (نجيب) ثوري وحطى .. الأصنام
 فابغى أدنى قلباً والجور أدى عظاما
 فأبى مع الدهر صرحاً بشيب .. الأعداء
 ننتك مصر ، ومصر تكرم .. الأعداء
 فكرمي اليوم (شعباً) وأمة و (لهما)
 وحطى القيد وامض وجردى الأعداء
 تلك الجحافل تمشي فأبغى الأعداء
 وأرسل الشعر ناراً وأرسله سهام
 فالشعر يبنى شعوباً ويلهم الأعداء ..
 خذني (الكتاب) دليلاً وهادياً ... وإماما
 فنحن قوم .. عرفنا مع الحياة النظام
 ولا نخاف الليالي ولا نهاب الحما
 وإن كررنا بعثنا ها لجنة ... وضراما
 وإن سجا الليل كنا حرباً .. وكنا سلاما
 أمجادنا خالداً تشيب الأعداء

الأرض صارت جحيماً والكون أمسى ظلاماً
فإن سهونا ضلنا سيلنا ، والمقام
وإن مشينا بلغنا مع الجهاد المراما ..
صاح (الهزبر) فهزت صبحاته .. الآجاما
وزلزلت في الليالي صرحا على الظلم قاما
فصيرته يباباً وصيرته خطاماً
فأيقظ في الروابي الدرر والأكماما
ومزق الحجب ، وامضى وحقق .. الاحلاما

يا دولة الشعر ثورى * *
فأنيل للشعر روض والفنون .. مهود
ضاق الفضاء ثورى إن الحياة قصيد ..
الشرق قد كبلته سلاسل ، وتميود ..
في المدائن هول يشيب منه الوليد
وفي (فلسطين) صرعى وساغب وشريد
وفي البطاح كماء وفي (العرين) أسود
يبنى ، وبينك همد فأين منا اليهود ؟ ؟

يا دولة الشعر ثورى * *
وداعب النيل فجر فأنصر صافح مصرأ
ومادن الدهر مصرأ وأيضف الفجر زهرأ
وألف الله شعباً وحقق الدهر أمرأ
صحب في الدهر جيلاً وجمع الله قطراً
فأين د شوقي ، وجيل وعشت في الناس عمرأ
أرى على الشط نورا من الغطاريف مرأ ؟
مصر الفتية .. ثارت وفي الخسائل .. جفراً
وأصبح النيل حرأ

صابر على رمضان
المجوشى

الرقازيق

الاضطرابات العقلية

في أمراض الشخصية

عند العلامة ريبو (١)

يقول وودورث : « إننا إذا اعتبرنا الشخص دائماً وحدة مستقلة فإنه يحتاج إلى ما يملكه هذه الوحدة ، فإن ميوله الطيية المختلفة ورغباته لا تعمل مجتمعة دوماً ، بل إن بعضها يناقض - بالضرورة - البعض الآخر ؛ حتى إننا أحياناً نقول عن الشخص الذى يسلك سلوكاً مخالفاً لسلوكه العادى . إنه شخص آخر ، وقد نصف شخصاً بالكآل ، ونريد بذلك عدم تغيره وارتباط ميوله المختلفة ارتباطاً محكماً بحيث أصبحت تعمل مجتمعة ؛ ونقول عن آخر إنه غير كامل ، وإنه قلق لا يثبت على حال ... »

والذى يهمننا من كلام العلامة وودورث أن الشخصية تقسم وتعدد وتسير في أكثر من طريق واحد ، فيكون للإنسان شخصيتان أو أكثر : شخصية له في عمله ، وأخرى في منزله ، وقد تكون الغرائز والميول والرغبات المسيطرة على الإنسان مختلفة في كل جهة عنها في الأخرى . فما هو السبب في ذلك ؟ إن الإجابة على هذا السؤال تلمس عند العلامة ريبو .

فقد أفرد ريبو كتاباً خاصاً لأمراض الشخصية ، وهو يقسمها إلى اضطرابات عضوية واضطرابات عاطفية واضطرابات عقلية ؛ ثم تكلم عن انحلال الشخصية ، وأوضح بعد ذلك النتائج التى حصل عليها من تجاربه . ويعيننا هنا ما قاله عن الاضطرابات العقلية .

١ - يبدأ ريبو الفصل الخاص بالاضطرابات العقلية متسائلاً عن مهمة الحواس الخمس ، وعن الدور الذى تلعبه في الشخصية ؛ وعما يحدث للشخصية لو قصرت إحدى الحواس أو بعضها في أداء وظيفتها ، ويجب على ذلك بأن الشخصية لا تتأثر بذلك . وفقدان الحواس قد يكون وراثياً وقد يكون مكتسباً . وبالرغم من شدة تأثيره في الحالة الأولى عنه في الثانية إلا أن « فقدان حاسة أو عدة حواس ، فطرياً كان ذلك أم مكتسباً ، لا يجر على الشخصية أية حالة مرضية . والتزينة كفيلة بإصلاح أى أثر يحدث . » فالحواس تحدد الشخصية ولكنها لا تكونها .

وأعراض الحواس عديدة ، ولكل حاسة أمراض تختلف شدة وضعفها ، وباجتماع بعض هذه الأمراض تتخلق عناصر شخصية جديدة ، وتصدق العبارة المشهورة « لقد فقدت شعورى بوجودى ، ولم أعد أنا نفسى » ، بل قد يستفحل الأمر فتزدوج الشخصية ويشعر المريض بأن لديه شخصية تفكر ، وأخرى تفقد . غير أن « الأنا » الجديد لا يستطيع الظهور فى كل حالة بل إنه سرعان ما يزول بعد تكونه ولا يستطيع أن يحل محل « الأنا » الاصلى . ويرى الدكتور مورتن برنس أن الشخصية الجديدة قد تراث الأولى علماً وعملاً وقد لا تراثها فى شيء مطلقاً أى يصبح الفرد كأنه طفل حديث الولادة لا يدرك عن الحياة شيئاً .

وتؤثر بنية الشخص وتركيبه الجسدى فى الشخصية ، ويصعب مع هذا التمييز فى الحياة العادية بين الخصال العقلية والجسدية وإن أمكن ذلك فن الناحية النظرية فقط ، فحجم الإنسان يؤثر على العلاقات بينه وبين الناس ؛ فالضخم يستولى على غيره بسهولة لضخامة جسمه ، ولهذا يميل إلى البشاشة ، بينما الصغير الحجم يميل إلى القسوة وإلى إظهار السلطة الذاتية ؛ كما أن للنمو العضلى وملاحج الوجه أثراً وأى أثر .

٢ — ويحدثنا ريبو بعد ذلك عن « الهلوسة » ويقول إنها تؤثر أحياناً فى حس واحد وأحياناً فى أكثر من حس ؛ وأنه ليس هناك مرض أصيل للشخصية بل هى اضطرابات ثانوية ظاهرة . وازدواج الشخصية الناتج عن الهلوسة متنوع متعدد ، فهناك ازدواج بصرى وازدواج سمعى ... الخ ؛ ومن الازدواج البصرى أن يرى الشخص شخصيته الثانية ويحدثها أو يسخر منها مثلاً . وقد تزدوج الشخصية البصرية والسمعية ، كما يروى ذلك المسيو بال عن أحد الأمريكين الذى كان يسمع شخصاً يحببه كل صباح ومع ذلك كان لا يرى إلا نصفه الأعلى ... واستمر الحال هكذا حتى أمره بأن يلتقى بساعته وجريدته فى الأرض ، وبأن يلتقى بنفسه آخر الأمر من النافذة ، وعلى كل حال فليست الهلوسة دائماً ذات آثار خطيرة حادة .

ولقد ثبت أن تضافر النصفين الكرويين فى المنع ينتج انتظام الروح وينتج من اختلافهما اضطرابات مختلفة ، ولقد كان لاكتشاف الأستاذ بروكا Broca فى الأفازيا قيمة كبيرة ، فقد افترض آخر الأمر أن النصف الكروى الأيسر هو المركز الرئيسى للذكاء والإرادة ، وأن النصف الأيمن مركز للحياة الباقية . وعلى أساس هذا التقسيم يفسر ريبو الحالات المتضادة المتأينة ، فقد يفرح الإنسان ويغضب فى وقت واحد ، وهذا يدل على أن ناحيتين مختلفتين

في الشخص تعملان في وقت واحد ، وعلى أن كلا من النصفين الكرويين مستقل أحدهما عن الآخر استقلالاً نفسياً يؤدي أحياناً إلى اثنيّة قامة وبذلك ينتج ازدواج الشخصية ، بل قد تتثلث الشخصية كما روى عن أحد القسس الذي كان يرى كل شيء ثلاثة ، وكان يطلب عند جلوسه على المائدة ثلاثة أطباق وثلاث فوط وثلاث ملاعق لاعتقاده أنه ثلاثة أشخاص .

هذا التضارب في الشخصية ليس تضارباً في الهواه ، وإنما هو كما يقول الأستاذ لوس Lawes « أوضاع متتابعة للآنا » . ويذكر لنا وود ورث في كتابه مثالا عن الدكتور مورتن برنس . فقد أحضر هذا الأخير فتاة وجعلها تفتقل من حالتها الطبيعية إلى الحالة الشاذة وذلك بطريقة تشبه طريقة التويم المغناطيسي ، وأخبرها أثناء نومها أنها مكلفة بحل مسائل حسابية معينة ولم يرها الأعداد الحقيقية في الجواب ؛ ولما رجعت إلى حالتها الأولى أراها الأعداد لمدة وجيزة من الزمن ثم نومها مرة ثانية وسألها عن الاجوبة ، فقالت : إن الاجوبة كانت حاضرة لديها وكانت تنتظر لإعلانها بفروغ صبر ، ثم أجابت إجابة صحيحة ... وهذا مثال يذكره مورتن لمن يشك في وجود شخصية ثانية .

ونحب أن نذكر أخيراً أن ريبو لم يجب على السؤال الآتي : هل توجد حالتان شعوريتان في وقت واحد ، أم أنهما تتتابعان سريعا فتظهران متآنتين ؟ فقد تركه ريبو للبحث والتفكير

(٣) والذاكرة لها صلة وثيقة بموضوع الشخصية فالشخصية ليست ظاهرة وليكنها تطور ، حدث وفقى ؛ هي تاريخ حاضر وماض . والذاكرة التي نهمنا هنا ليست الذاكرة العقلية أي الإحساسات والتصورات والمعارف المخزونة فينا ، فكل هذا يمكن اختفاؤه جزئياً أو كلياً تبعاً لأمراض الذاكرة ؛ بل المهم هي الذاكرة الذاتية أي ذاكرة حياتنا الفيزيولوجية والإحساسات والمشاعر التي ترافقها . فهل توجد مثل هذه الذاكرة ؟ الواقع أن كل شيء يتغير ، فنحن عندما نرى شيئاً لأول مرة ثم نراه مرة ثانية فإننا لانحس نفس الإحساسات التي أحسنا بها في المرة الأولى ، وهذا التغير يتقابل في ثلاث صور هامة تختص بالذاكرة : فقد تظل الشخصية الجديدة وحدها بعد فترة تحول قصيرة أو طويلة وقد تغنى الأولى وإن كان هذا نادراً إذ لابد من بقاء آثار لها . تبقى الذاكرة العضوية القديمة على الرغم من التحول العضوي الجديد ، وتظهر من وقت إلى آخر في الشعور كما تظهر ذكريات الطفولة التي لم يرها التكرار . أما في حالات التغير فإن لكل ذاكرة حالات عضوية وأنهما يتناوبان

الظهور ... وهذه الحالات تجعلنا نقسمها عما إذا كان من الممكن وجود ذاكرتين لإحدهما سليمة والأخرى مريضة ، وبذلك يصبح عندنا حالتان متميزتان للتكوين العضوى ؟

٤ — بقى أن ننظر فى هذا العامل الجديد أثناء عمله ونبين ما ينتجه بنفسه وبمفرده . فهناك حالات يضطرب فيها التكوين العضوى والعاطفى والحسى ، فىرى المريض فى حالة غير حالته الطبيعية ، ويشعر شعوراً مختلفاً ويبدى آراء تخالف آراءه ، وهو فى حالته الطبيعية الأولى ، ويقوم بأعمال غريبة آلية قد تعد فوق الطاقة البشرية العادية تحت سيطرة العقل الباطن ، وقد يفكر فى أشياء لا وجود لها مطلقاً ، وقد يتكلم فى أمور بعيدة عن العقل والمنطق ، وقد يعتقد أن له جسمين ينامان فى سريرين مختلفين ؛ وفى حالة الذهول والنوبة العصبية يشعر بعض المرضى أحياناً بفقد أسنانهم أو فقد أعضائهم وما إلى ذلك من أعضاء . وأوضح مثل للتحويل هو اعتقاد الرجل بأنه تحول إلى امرأة واعتقاد المرأة أنها تحولت إلى رجل دون أن يكون هناك حالات جنسية تؤيد هذا التحول . وفى بعض حالات الانجذاب لا تمحى العناصر العضوية والعاطفية والعقلية للشخصية الحقيقية بل تكون فى حالة كمن أى موجودة بالقوة ، فلو حدث ما يخرجها إلى الوجود الفعلى عادت الشخصية السليمة . وهناك حالات اختفاء الشخصية حيث يشعر بعض المتصوفة أنهم فى حالة فناء تام .

صغير زهير

على لسان إبليس

قال إبليس :

إن ابن آدم الترابى أضفى شعله من نار ! ضعيف الروح ، سمين البدن ، جميل اللباس . قلبه بحال النزع ، وعقله ناضج ومحتال !

إن ما قضت شريعة المشرق بأنه رجس ، أفتى فقهاء المغرب بطهارته !

ألا تعلم أن حور الجنة قد باتت حزينه لخراب فردوسها ؟

إن أرباب السياسة اليوم هم (أبالسة) الأمم ، فلم يعد لبقائى من ضرورة تحت السماوات .

محمد إقبال

طرائف لغوية وأدبية :

نَظِيرَةٌ فِي شَأْنِهَا

قال الشاعر :

سريتنا ونجم قد أضاء فذ بدا عجايبك أخفى ضوءه كل شارق
يستشهد النحويون بهذا البيت على جواز وقوع النكرة مبتدأ إذا وقعت بعد واو الحال .
فقد وقعت كلمة « نجم » بعد واو الحال فساغ الابتداء بها . قال الشيخ الحضري في حاشيته
على ابن حنبل : ليس ضرورياً أن تقع النكرة بعد واو الحال ، ولكن المسوغ للابتداء بها
وقوعها في أول الجملة الحالية ، سواء كانت الواو سابقة عليها أو كانت الجملة خالية من الواو
مربوطة برابط آخر كما في قول الشاعر :

تركت ضائي نود الذئب راعبها وأنها لا تراني آخر الأبد
الذئب يطرقها في الدهر واحدة وكل يوم تراني مدية يدي
فدية مبتدأ مسوغ الابتداء بها وقوعها في أول الجملة الحالية التي هي « مدية يدي » ،
ولم تربط بالواو وإنما ربطت بالضمير الذي هو الياء في « يدي » ، العائدة على صاحب الحال
الذي هو الياء في « تراني » .

غير أن سؤالا يتردد في النفس ، ما الذي يسوغ الابتداء بالنكرة الواقعة في أول الجملة
الحالية ؟ مع أن السبب العام لتسويغ الابتداء بالنكرة أن تكون مفيدة حتى تضارع المعرفة
في إفادة معنى خاص يصح الحكم عليه بالحجر ، وأى معنى خاص أفادته النكرة بوقوعها
في أول الجملة الحالية ؟

وجواباً على ذلك أقول : إن كون جملة الحال قيداً فيما قبلها أى في عاملها وهو متقدم
عليها في الغالب يقلل شياع النكرة حتى يجعلها خاصة هي وخبرها بصاحب الحال فنحصل
الفائدة المرجوة ، ففي قوله « ونجم قد أضاء » ليس النجم عاماً عموماً مطلقاً وإنما هو النجم
الخاص الذي أضاء وقت سرى الشاعر وصحبه ، وفي قوله « مدية يدي » ليست المدية عامة

عموما مطلقا وإنما هي المدية الخاصة بالشاعر التي تراها غنمه كل يوم في يده . فلذلك كانت النكرة هنا كالمعرفة ، ومثلها كل نكرة وقعت في أول الجملة الحالية . وفهم خصوصية النكرة في كل جملة على حدة ليس بالأمر العسير .

ثم إن لي بعد ذلك ملحوظات على شراح الشواهد والمعرّبين في شرحهم لهذا الشاهد ولعراهم له :

أولا : فسروا كلمة « نجم » على أنها مطلقة على المفرد ، ولكن الذي يقرأ البيت بإمعان يظهر له أنها مطلقة على عدد من النجوم كثير ، بدليل قول الشاعر « أخفى ضوءه كل شارق » فهو يقول : سرنا ليلا وقد أضاءت نجوم كثيرة في السماء ، فلما أشرق وجه حبيبته أخفى ضوءه ضوء كل نجم طالع ، واستعمال النجم في النجوم ليس غريبا على اللغة العربية ، فقد ورد في القرآن الكريم استعمال النجم في النجوم ، قال تعالى في سورة النحل « وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بهم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون » ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أي يهتدون بالنجوم ليلا إلى الطرق والقبلة والوقت ، ولم يكن العرب يهتدون بنجم واحد وإنما كانوا يهتدون بنجوم كثيرة معروفة الأسماء والمواقع بعضها شرقي وبعضها غربي وشمالي وجنوبي ، يضاف إلى ذلك أن الشاعر يريد تشبيهه بحبوبته بالشمس ، والشمس يخفى عند ظهورها جميع النجوم .

ثانيا : قال الشيخ عوض الجرجاوي في شرحه لهذا الشاهد : إن الفاء في قوله « فذبدا » زائدة لتحسين اللفظ . وهذا قول غير مستساغ لأن معنى العطف فيها ظاهر ، وهي في الواقع ليست داخلية على « مذ » ، وإنما هي داخلية على « أخفى » ، والتقدير : سرينا وقد أضاءت نجوم فأخفى ضوءه بحياك مذبدا كل شارق . فقد عطف الفاء جملة « أخفى ضوءه » على جملة « سرينا » وتخرج الحرف على التأسيس أولى من تخرجه على الزيادة .

ثالثا : أعرب بعض الشراح كلمة « مذ » مبتدأ ولم يذكر خبره ، وربما يفهم أن خبره جملة « بدا بحياك » وليس الأمر كذلك لأن « مذ » إذا وقع بعدها مرفوع أو جملة اسمية فكل منهما خبرها ، أما إذا ولها جملة فعلية فغيرها حينئذ اسم زمان مضاف إلى الجملة الفعلية ، فالتقدير في قوله « مذ بدا بحياك » مذ وقت أر زمان بدا بحياك برفع وقت وزمان على أنها خبر « مذ » ، وهما مضافان إلى الجملة بعدهما . هذا من ناحية عدم التثنية على الخبر ، وأما من ناحية

إعراب ، مذ ، مبتدأ قبل الجملة الفعلية فهو ضعيف ، والقول المشهور أنها ظرف زمان مضاف إلى الجملة بعده ، والتقدير : فأخفى ضربه بحياك مذبدا ضوء كل شارق ، فلعامل في ، مذ ، الفعل ، أخفى ، لأن الإخفاء واقع في وقت ظهور وجه المحبوب ، والظرف ينصب بالواقع فيه .
رابعاً : فهم بعض الشراح من قول ابن مالك :

ومذ ومنذ اسمان حيث رفعاً أو أوليا الفعل كجئت مذكراً
أن مذ ومنذ إذا وقعت بعدهما جملة فعلية فهما ظرفان لا غير ، ولكن الواقع أنه يجوز
كونهما مبتدئين خبرهما زمان مضاف إلى الجملة الفعلية كما سبق ذلك في الملحوظة السابقة .

خامساً : قال بعض الشراح : ويجوز أن يكون مثل بيت الشاهد قول الشاعر :
عندى اضطبار وشكوى عند فانتقى فهل بأعجب من هذا امرؤ سما
فإن الواو في قوله « وشكوى عند فانتقى » يجوز أن تكون واو الحال وشكوى مبتدأ
وهو نكرة وعند ظرف متعلق بحذف خبر المبتدأ ، فإذا أعربناه على هذا الوجه كان مثل
بيت الشاهد تماماً .

وأقول : أعرب الشراح هذا البيت على وجهين ، أحدهما أن الواو عاطفة لا حالة
والتقدير : عندى اضطبار ولى شكوى عند فانتقى فتكون شكوى مبتدأ مؤخرًا وسوغ
الابتداء بها تقدم الخبر عليها أو وصفها بالظرف بعدها ، والوجه الثاني أن الواو للحال
وشكوى مبتدأ نكرة وسوغ الابتداء به وقوعه في أول جملة الحال .

ولكن هناك وجه ثالث لم ينتبه له الشراح : ذلك أن الياء في « شكوى » ليست هي
الآلف المقصورة المكتوبة ياءً ، وإنما هي ياء المتكلم والواو قبلها مكسورة ، والشكوى
بوزن شمس معناه العلة والمرض فيكون المعنى عندى اضطبار وعلى عند فانتقى وتكون
الواو للحال والمبتدأ معرفة لأنه مضاف إلى ياء المتكلم ، أو تكون الواو للعطف ، كأنه
يقول : عندى اضطبار وعلى عند فانتقى فهل سمع أحد بأمر أعجب من ذلك . ويكون هذا
الوجه أقوى إعراباً من الوجهين السابقين لأن المبتدأ فيه معرفة وفيها نكرة والأصل في
المبتدأ أن يكون معرفة فإذا جاء نكرة احتاج إلى مسوغ وما كان على الأصل ولا يحتاج
إلى مسوغ أولى من غير الأصل المحتاج إلى المسوغ ، والمعنى عليه أحسن وأجمل ٤

طه الزبني

أستاذية في النحو والصرف

مِشَاكِلُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ هَلْ تَحَلَّيْهَا الْمُؤْتَمِرَاتُ؟

يحث الإسلام في صميم دعوته ، ولب رسالته ، على العزة والكرامة والقوة ، ويدعو المسلمين دائماً أن يكونوا أعزة على أعدائهم ، أقوياء في نفوسهم لا يستسلمون لضعف ، ولا يخضعون لهوان وذلة . تحل بهم النعمة فلا يطغيهم بريقها ، ولا يطرهم روتقها ؛ بل يحترسون منها أشد من احتراسهم من النعمة . وتطوف بهم الشدائد ، وتنزل بساحتهم المحن فلا تنال منهم ، ولا يستقر لديهم أثرها إلا بمقدار ما يقتبسون منها العبرة الحسنة ، والموعظة البالغة ، ذلك أن عدتهم في الملل ، وسلاحهم في الأحداث هو كإرساء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : « إني لا أعد للحادث الذي يحدث سوى طاعة الله ورسوله ، وهى عدتنا التى بلغنا بها ما بلغنا ، ، وبهذا كان المسلمون أقوى الناس حين كان المسلم يستشعر سلطان ربه على نفسه ، ورقابته على أفعاله وتصرفاته ، لا تستهويه شهوة ، ولا تفتته لذة ، ولا يظهر للناس بمسوح الرهبان ، وأردية العباد ، وبين جنيبه ذئاب عاوية ، وكلاب نابجة ، لا تديش إلا فى ظلال الإثم ، ونحت جنح المعصية .

كان للمسلم ظاهر يشوق الأنظار ، ويستهوى الأنفس ، وباطن طاهر نظيف يحمده من يطلع عليه ، ويلبس أثره ، وكلاهما يستويان فى الصدق والصراحة والنجدة والفناء فى الجماعة . قد يختلف الأخ مع أخيه فى رأى ، أو يفرق فى الوجهة ، ولكنهم كانوا يقابلون العدو صفاً مرصوحاً ، لا ثغرة فيه ، ولا ضعف يعتريه . كانوا يؤمنون إيماناً صادقاً أن ما وهبهم الله من عزة بالدين ، وقوة فى اليقين ، هو شارة المجد ، ودليل السيادة ، وأنهم بذلك خلفاء فى الأرض ، ينشرون الفضيلة ، ويمكنون للمدالة ، ويرفعون لواء الأمن والاستقرار ، وبهذه العقيدة القوية التى غامرت القلوب ، وسكنت فى أعماق النفوس ، وبهذا الإيمان الراسخ استطاع أفراد قلائل أن يثبوا على ملك كسرى ودولة قيصر صاحبين بدعوة الحق والعدل ، مرددين من أعماقهم شعار الإسلام وكلته : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ووقف التاريخ يسجل فى دهشة ، والعالم يرنو فى إعجاب ، والمشفقون يتطلعون إلى الفاتحين ،

وقد وضعوا أيديهم على جنات وعيون ، وزروع وكنوز ومقام كريم . ولكن الدنيا كانت لا تزن في نفوس هؤلاء المؤمنين جناح بعوضة ، والشيطان كان أضعف من أن يفتنهم بأعراض زائلة جعلوها تحت أقدامهم ، حتى لقد بكى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أتى إليه بتاج كسرى وعليه من الجواهر والياقوت ما لم تقع عليه عين عربى قط ، وقال : اللهم إنك قد منعت هذا نبيك ورسولك ، وكان أحب إليك منى وأكرم ، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك منى وأكرم ؛ فأعوذ بك أن تكون أعطينيته لتسكر به ، وما زال يبكى حتى رحه من حوله .

تلك حال المسلمين الأولين الصالحين الذين فتحوا الدنيا ، وعهروا الأرض ، وأقاموا ميزان العدل ، وجعلوا الناس كما أمر الله سواسية كأسنان المشط .

ثم دالت على المسلمين أحداث ؛ وتماورتهم خطوب أضعفت نفوسهم ، وأرخت صلتهم بربههم ، وجلبت القسوة والنسيان إلى قلوبهم ؛ فاغتروا بما تهاهم من زهرة الدنيا وزينتها واستسلموا للشهوات الطاغية ، وخضعوا للأهواء القاتلة ، وعكف كل على هواه ، وانطوى على رغباته لا بعينه سوى أن يأكل ويتمتع ، ويخطب من كل ناحية ويجمع ، وإن قتل أخوه جوعاً ، وقضى جاره مخمصة ، ومن هنا طمع فيهم العدو ، وتمكن منهم الدخيل ؛ فاغضب حقوقهم ، وامتنص دماهم ، واستلب أموالهم ، واحتل ديارهم ، وسلط جماعة على جماعة ، وأغرى فربها بفريق .

ها هي ذى بلاد المسلمين ودولهم أصبحت نهبا للطامعين ولقمة سائفة للهازين المستغلين ، كل بلد قدفت فيها الاستعمار ، وأنتك قواها العدوان ، ودب فيها ديب القرقة والشقاق ، وخذعها الغاصب بالأكاذيب والأضاليل ؛ حتى زعزع إيمان الناس ، وأضعف عقائدهم ، وجعل غايتهم المنفعة وهدفهم أن يعيشوا على موائد الطامعين .

كل دولة قد استغلت مرافقها ، واستيحت أرضها وديارها ، وزروعها ومنتجاتها الأجنبية الذى يحاول دائماً أن ينسبها مقوماتها ، ويقضى على تراثها ، ويهدم مقدساتها ، ويجعل أفرادها هبيداً يخرجون له من الأرض ذمها ، ويعملون له في الأهواء سييا ، ورضى المسلمون بهذا ، وأقاموا آماداً لا تمر بهم السنون والأعوام إلا لتزيد بلادهم وانتكاساً ، وظلمة على القلوب وقسوة في النفوس .

ولكن شعاعاً من الإيمان كان يضيء لهم بين حين وآخر وصوتا مجاهلاً من أعماق التاريخ

كان يتف بهم أحيانا ، ليوظهم من غفلتهم ، ويحركهم من ركودهم ، فكان يثور الثائرون ويشتمرون المتمردون محاولين القضاء على ما أصابهم من بغى أو لحقم من ضيم ، ولكنهم لا يلبثون أن يلقوا أشد أنواع العذاب وأقسى ضروب النكال ، وتنتهي حياتهم بالسجن أو القريد والموت الذى لا رحمة فيه .

قد يرضى الراضون طمعا فى غنى آثم ومكسب حرام ، وقد يتملق المتملقون فيكسوم العدو الحريز ، ويجعل تراب الأرض من تحتهم تبرا ، ولكن ذلك ليس حبا فبهم ، ولا إثارا لهم ، بل ليفتن المؤمنين ويزعزع عقائد المجاهدين حتى لقد بلغ الأمر أن رأينا بعض ضعاف الإيمان صفار النفوس يحملون سلاحهم على إخوانهم تأييدا للاستعمار ، وتثيتا لأقدامه . أليس هذا من الفساد الذى يدمى القلوب ويفتت الأكباد ؟ أليس هذا من تحلل العقيدة ، وفساد الضمائر ؟

لقد شرب المسلمون المر من خصومهم ، وهم أشدها قساة القلوب غلاظ الأكباد ، ولو أتيح لى أن أنشر بعض ما أعرف من الوسائل البربرية ، والطرائق الهمجية التى يعذب بها المسلمون ، ويفتنون عن دينهم ، ويحاربون فى عقائدهم ومشاعرهم ، ويكرهون على نسيان مقوماتهم ومقدساتهم ، وحتى أسمائهم — لو أتيح لنا هذا لعرف الناس ما ينزل بإخوانهم من ألوان الفجائع التى تقشعر منها الأبدان ، وتشيب لها الوالدان .

ونحن نخدع أشد الخديعة حين نفهم أن لونا من ألوان الاستعمار أخف من لون ، أو أن عدوا أهون من عدو ، أو بعض هذه الدول المعتدية المستقلة أكثر رفقاً وأشد عطفا على المسلمين من بعضها الآخر . كلا إن العاية واحدة هى القضاء على الإسلام حتى يعبد الشيطان فى الأرض من دون الله ، والهدف واحد هو كسر هذه الشوكة التى تنجز جنوبيهم ، وتفت فى أعضادهم وإن تعددت الوسائل وتنوعت الأسباب .

ها هم أولاء المسلمون فى إفريقيا شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، وفى آسيا وأوروبا ، يتسلط عليهم أعداء لا يرقبون قيم ضميرا ، ولا يراعون أقل واجبات الإنسانية ؛ فإذا أقيمت بعيدا عنا أستار حديدية تحجب صيحة الصائحين ، وآهة المتألمين فقريب منا ألوان بشعة من الفتنة والاضطهاد يستمع إليها الضمير العالمى دون أن يستنخى وأن ينجعل ، ومن غير أن يحس بمعاطفة رحمة ، أو عاجلة إنسانية .

ماذا صنع المسلمون للذود عن حمام ، والدفاع عن ديارهم وأنفسهم ؟ ماذا قدموا من جهاد وتضحيات ؟ ماذا بذلوا من أرواح وأموال ؟ أى خطوة إيجابية رمقتها العيون أو سمعت بها

الآذان ؟ نسمع كل آن بمحاولات للعلاج في شكل مؤتمرات تعقد ، ونكثر وتعدد ، ويخف المؤتمرون ويتسابق المتسابقون إلى حضور المؤتمرات ، وتنمق الخطب ، وتديج البيانات ، ويحاول كل خطيب أن يكون جهير الصوت ، رائع العبارة ، واضح الإشارة ، بليغ الأسلوب ، رابط الجأش ، يهز المنبر بما يستطيع من نصاعة الحجج ، وقوة الدليل ، وحسن سوق الفكرة ، وتضيق الأهداف الخفية وتبدد الأغراض المشتركة في راحة الإعجاب بالبلاغة والإنصات للسحر البياني ينساب من أفواه الخطباء . وتحفل الموائد بالأطعمة التي تسابق الخطابة في الإتقان والجودة ، ثم ينفض المؤتمرون وقد سطروا على الصحائف بضعة قرارات لا يلبث الزمن أن يطمس آثارها ، ويمحو معالمها فلا يبقى في النفوس منها شيء .

لقد عقدت مؤتمرات كثيرة ، وبجئت محاضرها ومناقشتها آراء واقتراحات تمخضت عنها عقول ، وفتفتت بها دراسات . فإذا بقي لنا منها بعد ذلك ؟ أى فكرة تحققت ، وأى ثمرة قطفت ؟ ماذا كسب المسلمون المشتتون داخل صفوف الأعداء وهم يرقبون الفرج وينظرون ساعة الخلاص ؟ لقد أوشك صبرهم أن يتفد وكاد أملهم أن يتبدد ، والناس لا يزالون في حى المؤتمرات تائهين .

أنا لا أحارب هذه المؤتمرات ، ولا أكره انعقادها ؛ بل أدعو إليها وأجندها ؛ ولكنى أريد أن تؤمن بما تتخذه من قرارات ، وأن تتخذ ما تتفق عليه من آراء ، وأن تكافح ونجاحه في سبيل ما نعتقد من رأى ، وما ندين به من فكرة ؛ أما أن نقول ونفدى ، ونخطب ثم تذهب الخطب أدراج الرياح فذلك مالا يتفق وما نشكوه من داء ، أو يساورنا من أمراض . يجب أن نحاسب أنفسنا في كل مؤتمر عما نفذناه من قرارات المؤتمر الماضى ، ليعرف الجميع أننا نسير إلى هدف ونتجه إلى غاية .

وبعد - فهل لى أن أتوجه إلى السادة المجاهدين الذين تملأ الغيرة قلوبهم ويسكن الإخلاص نفوسهم برجاء أن تتكون في عواصم البلاد الإسلامية جمعيات قوية لإعداد المساكين من كل لون وجنسية وتسليحهم بالأخلاق والعزائم والإيمان بالأهداف حتى إذا تم تدريبهم وآمنوا برسالة الإسلام في أبعد غاياتها انطلقوا فوراً إلى بلادهم ، يوقظون النائم ، وينبهون الغافل ، ويحملون راية الجهاد حتى يرتفع لواء الإسلام ، وتعلو كلمة الله . وإن لنا لعودة إن شاء الله إلى بيان الوسائل التي ينهض بها المسلمون والله المستعان .

عبد الحميد محمود المسالوت

المدرس في كلية اللغة العربية

ذِكْرُ الْمُحَجِّجِ الْإِسْلَامِيِّ

مِنْ بُلُغِ إِشَاعَةِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حُرِّمَ حَرَمُ اللَّهِ
بِتَغْلِيْقِ أَسْتَاذِ بَرَاهِيْنِمَ عَبْدِ الطَّيْفِ نَعِيمٍ

الرَّسْمُ، مَثَلَةٌ

لَمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ انْهَزَمُوا وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَضَعُونَ فِيهِمُ
السَّلَاحَ ، وَيَنْتَهَبُونَ الْغَنَائِمَ ، فَأَلْقَى نَسَاؤُهُمُ الدَّفُوفَ ، وَذَهَبَ إِلَى الْجَبَلِ صَارِخَاتٍ مَوْلُودَاتٍ ،
فَفَارَقَ الرَّمَاةَ أَمَّا كُنْهَمُ ، وَنَهَامَ أَمِيرَهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَتَرَكُوهُ وَأَنْطَلَقُوا
يَبْتَذِرُونَ الْغَنَائِمَ إِلَّا فَرِيقًا مِنْهُمْ دُونَ الْعَشْرَةِ ثَبَتُوا مَعَهُ فِي أَمَا كُنْهَمُ . وَنَظَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
إِلَى قَلَّةٍ مِنْ بَقِيٍّ فِي الْجَبَلِ مِنَ الرَّمَاةِ فَفَكَرَ بِالْحَيْلِ وَمَعَهُ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ لَحْمَلُوا عَلَى هَذِهِ
الْبَقِيَّةِ فَقَتَلُوهَا ، وَمَثَلُوا بِأَمْرِهَا ، وَخَرَجَتْ أَحْشَاؤُهُ لِكَثْرَتِهِ مَا طَمَنَ بِالرَّمَاةِ :

أَنْ تَوَلَّتْ جُنُودُ الشَّرِكِ مَدِيرَةً	خَفَ الرَّمَاةُ وَظَنُوا الْأَمْرَ قَدْ وَجِبَا ؟
كَأَنَّهُمْ وَالرَّعَانُ الشَّمُ ^(١) تَقَذَّفَهُمْ	سِيلٌ تَدْفُقُ فِي شَوْبِهِ صَنِيبَا
يَخَالُفُهُمْ مِنْ يَرَامُ سَاعَةً أَنْطَلَقُوا	سَهَامُهُمْ حِينَ جَاشَ الْبَاسُ فَالْتَبَا
رَدُّوا عَلَى (ابْنِ جَبْرِ) رَأْيَهُ وَمَضُوا	إِلَّا فَرِيقًا رَأَى مَا لَمْ يَرَوْا فَأَبَى
أَصَابَهَا (خَالِدٌ) مِنْهُمْ (وَعِكْرَمَةُ)	أُمْنِيَّةٌ لَمْ تَصِبْ مِنْ ذِي هَوًى سَيَا
فَاسْتَفْرَا الْحَيْلَ وَالْأَبْطَالَ وَأَنْطَلَقَا	فِي مَبِوَةِ تَزْدُمِي الْأَرَامِحَ وَالْقَضَا

(١) الرمان : أنوف الجبال ، والجبال يجمعتها ، والشام الطوال .

هم خلقوا وهم القتلى مطرحة
طاروا إلى جبل راس على جبل
قال (الرسول) فأعطاه مقاتله
توزعوه ، فلو أبصرت مصرعه
طعن وضرب يعاف البأس عندهما
سأوا حشاه فظلت من أسفهم
تتابع القتل يحتاج إلى معه
تلك الدماء التي سألت على (أحد)
ظلمتها ما لشيء مثل وتبتها
لم يبق سهم ولا رام يسدده
وكرت الخيل تردى^(١) في فوارسها
المسلمون حيارى ، كيف يأخذهم
حلوا الصفوف وجالوا في مغائهم
تسكرت صور الهيجاء وانخذت
خرساء صماء ، تعمى عن معالمها

وغادروا الجند جند الله والسلبا
ما هزم مذاق من ضعف ولا اضطربا
وما سوى نفسه أعطى ولا وهبا
أبصرت في الله منه منظراً عجبا
سلاح من طعن الأبطال أو ضربا
تموج في الدم يجري حولها سربا
لولا المناقب لم يترك لهم عقبا
لو أنبت الدم شيئاً أنبت ذهباً
ولإن تخطى المدى ، أو جاوز الرقبا
تغيب الرابل المطال واحتجبا
بعد الفرار فأسمى الأمر قدحرباً^(٢)
بأس العدو ، أما ردوه فانتقلاً ؟^(٣)
ما ظن عسكرهم شراً ولا حسبا
من الأعاجيب أثواباً لها قسما
عين البصير ، وتعي الخاذق الدربا

(١) ردت الفرس : وجت الأرض بمخاقرها .

(٢) حزب الأمر : اشتد ، وهو يتعدى فيقال حزبه الأمر .

(٣) أحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالنهب والأسر ووضعوا السيوف فيهم فنفروا في كل وجه ، وانتفضت صفوفهم ، فاختلطوا وصار يضرب بعضهم بعضاً وهم لا يعلمون ، وقيل إن منادياً منهم قال : يا عباد الله أخراكم ، يريد احتزوا من حبة أخراكم فمطفوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون ، وذهبت طائفة منهم إلى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت فأُنزل الله تعالى : « إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمان إنما استلهم للشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم » .

وتبت النبي صلى الله عليه وسلم لما تفرق أصحابه وصار يقول : (إلى يا فلان ، إلى يا فلان ، أنا رسول الله ، والنبل يأتيه من كل ناحية ، والله يصرفه عنه ، وثبت معه جماعة من أصحابه ، واستمر أبوطلة بين يديه - وكان رامياً مجيداً - يترك كنهاته ويقول : نفسي لنفسك الفداء ، ووجهي لوجهك الوفاء وما زال صلى الله عليه وسلم يرى من فوسه الكتوم (التي لا يسمع لها صوت) حتى صارت شظايا .

مغبرة الجو ما زال الخفاء بها ترى الليث وإن كانوا ذوى رحم
 يعدو على مهجة الضرعام صاحبه هذا البلاء لقوم مال غافلهم
 قال : اثبتوا فتولوا ما عصى أحد أمر من الله مرجو عواقبه
 إن (النبي) يعضى الأمر في وضوح مسدد الرأي ، ما تهفو الظنون به
 للسلم والحرب منه حازم يفظ إن الذي زين الدنيا بطلاته
 حتى تقنع فيها الموت وانتقبا لا يتقى بعضهم بعضا إذا وثبا
 ولا يجاوزه إن ظفروه نشبا عن رأى (سيدهم) إذ يحكم الأرباب^(١)
 منهم ، ولكن قضاء واقع غلبا يقضيه تبصرة للقوم أو أدبا
 من حكمة الله يحلو نوره الريا الخير ما اختار ، والمكروه ما اجتنب
 يمي الدعاة ويردى الجحفل اللجبا حاي^(٢) العروبة فيه واصطنى العربا

زيادة بن عمارة

رضى الله عنه

كان من أعظم أبطال هذه الفزوة ، ثبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى السهام
 دونه ، ويدافع القوم عنه ، حتى أنفلته الجراح فسقط ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه
 وقال : أدنوه مني ، فأفرشه قدمه الشريفة ، فمات وخده عليها : —

أكان يزيد بأبك إذ تصاب ؟ (زيادة) ذلك العجب العجيب
 تكاثرت الجراح وأنت صلب يهابك في الوغى من لا يهاب
 قوى تصعب عمته حثانا ولادم في مواقعها انصياب
 ترد الهندوانيات ظمأى بخادعها عن الرى الشراب

(١) جمع أربة وهي المقدمة التي لا تنحل حتى تمحل .

(٢) حباب نصره واخته ومال إليه .

تريد (محمداً) واقه راق
(زيادة) دونه سور عليه
وما (بمحمد) خوف المنايا
ولكن جبل منزلة وقدرأ
هوى البطل المفاخر واضمحطت
فى صدقت مشاهدة فظلت
وهى منه الأديم ، فلا أديم
تمزقت الصحاتف من كتاب
تلقاه برحمته وروى
أبأدى الله يحملها ثوابا
أهاب (محمد) : أدنوه منى ،
على قدمى ضموأ لىك رأسا
ففاضت نفسه تورأ عليها
عباب تنطوى الآفاق فيه
مضى صعدا عليه من الفرارى
تلقته الملائك بالتحايا
وزخرفت الجنان ، وقيل هذا

فرجع ، وهى محقة غضاب
من النفر الالى احتضنوه باب
ولا فى سيفه خلق يعاب
فبر رجاله ، ووفى الصحاب
قواه ، وغارت الهمم الصلاب
تعاوره القواضب والحاراب
وأعوزه الإهاب فلا إهاب
طواه فى صحائفه (الكتاب)^(١)
غليل جراحه (السور) العذاب
لكل مجاهد ، نعم الثواب
فذلك صاحب المحض اللباب
أحاذر أن يعفوه الزاب
وماج الجسو ، وامتد العباب
ويفرق فى جوانبه السحاب
ومن بركات خالقه حباب^(٢)
منضرة نحب وتستطاب
مآبك - إنه نعم المآب

مصعب بن عمير رضى الله عنه

قاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه قتالا شديداً فى هذه الغزوة ، وصنع الاعاجيب بين
يدى رسول الله ﷺ ، يدافع عنه ويقيه بنفسه ، ولما قطعت يده اليمنى فسقط اللواء وهو
يجاهد المشركين ، أخذه بيده اليسرى وبقى يعمل بين يدى الله ورسوله ، فلما قطعت يده
اليسرى وسقط اللواء ، جثا عليه ، وضمه بعضديه إلى صدره ، ثم دأب على القتال حتى قتله

(١) القرآن الكريم .

(٢) حباب الماء : مطه أو طرائفه ، أو فقايقه التى تطفو عليه .

عبد الله بن قسمة يظه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى المشركين يقول : قتلت محمداً ، وذلك بعد أن أقبل على المسلمين وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا ، وفي رواية أن قاتل مصعب هو أبي بن خلف : —

هو مرتضى الأبطال ، مالك دونه
ولقد صبرت تخوض من أهواله
ترى بنفسك دون نفس (محمد)
تبغى الفداء ، وذلك سنة من يرى
دعاً من بعض على الحياة ، فإنه
ما اختار نهرة دينه أو رأيه
ما هذه للمثل التي لا تنتهى ؟
طاح الجهاد به شهيداً صادقاً
إيمان حر ما يبالى كلما
يرسو وأهوال الوقائع عصف
إن يضربوه بفارس ذو نجدة
كم هارب يخشى بواذر بأسه
الموت في وثباته يجرى دماً
سقطت يده وما يزال لواؤه
لو يستطيع لمد من أهوابه
يمناه أم يسراه أعظم حرمة
جارى منيته فكل يرتضى
حتى دعاه الله برحم نفسه
إن كان ذلك من أعاجيب الوعى
إن امرأ كره الجهاد ، فلم يفز

متزحزح ، فاصبر له يا (مصعب)
ما لا يخوض الفارس المتليب (١)
وقته من بأس العدى ما ترهب
أن الفداء هو الدمام الأوجب
غاي يضل ، أو دعى يكذب
من لا يرى أن الفداء المذهب
هذا هو المثل الأبر الأطيب
أو فى بعد إلتهم يتقرب
ركب العظام أن يهول المركب
تذرو الفوارس ، والمنيا وثب
ما انفك يطعن فى الجود ويضرب
ويضاف منه شيئاً ما يهرب
والموت فى نظراته يتأليب
فى صدره ، يخنو عليه ويحبذ
سياً يشد به إليه ويحذب
أم ساعده وصدره والمنكب ؟
فى شأنه جللا ، وكل يدأب
فأجاب يلتمس القرار ويطلب
فالبخل بالدم فى المحارم أعجب
بالموت فى غمراته تخيب

(١) تلب الرجل الحرب . تمزم وتشر .

كَلِمَتَانِ عَنِ كِتَابَيْنِ

١ - كتاب (المضنون به على غير أهله)

مكذوب على حجة الإسلام الغزالي

اطلعت على عدد صفر لمجلة الأزهر فرأيت مقالا لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغي وقد تعرض في هذا المقال لكتيب الغزالي وخص بالذكر كتاباً في الأصول، وود لو طبع لينتفع به الجمهور. والأستاذ صاحب المقالة في غنى عن التفريط والإشادة، فهو يقرظ نفسه بأدبه وعلمه، يد أتا رأينا في غضون هذا المقال ذكر كتاب (المضنون به على غير أهله) ونسبه للغزالي، وليس الأستاذ وحده هو الذي ذكر هذا بل كثير من المؤرخين يفسبونه إليه، ولكن رأينا في شرح الإحياء للسيد مرتضى الزبيدي الجزء الأول صفحة ٤٤ ما نصه: اعلم أنه قد عزي إلى الشيخ كتب، منها (المضنون به على غير أهله)، قال ابن السبكي: ذكر ابن الصلاح أنه منسوب إليه وقال: معاذ الله أن يكون له. وبين سبب كونه مختلفاً عليه، والأمر كما قال. وقد اشتمل هذا الكتاب المكذوب على الغزالي على التصريح بقدم العالم. ونفى علم القديم بالجزئيات، وكل واحد من هذا يكفر الغزالي قائله هو وأهل السنة أجمعون، فكيف يتصور أنه يقول ذلك، وفي المسامرة لمحى الدين بن عري أن هذا الكتاب من تأليف علي بن خليل السبكي. وكذا صرح صاحب تحفة الإرشاد بأنه موضوع عليه. وقد صنف أبو بكر محمد بن عبد الله المالقي كتاباً في رده ونوفى سنة ٧٥٠ هـ. وكذا النفخ والتسوية منسوب إليه. وقد نسب إليه أيضاً قصيدة:

قل لإخوان رأوني ميتاً أنا ذاك الميت واقه أنا

وهي قصيدة طريفة. وقد ذكرها العلامة الشيخ يوسف الدجوي رحمه الله في كتابه سبيل السعادة واعتبط بها وروى لها حكاية: أنه قبل موت الغزالي تطيب واغتسل ثم مات، فوجد عند رأسه هذه القصيدة وساقها بتأهامها في الكتاب المذكور. وهذه القصيدة به عليها أيضاً الشيخ محي الدين بن عربي في كتابه المسامرة، ونص على أنها منسوبة للغزالي

وليس له وإنما هي لعل بن خليل . ثم قال : وقد رأيت بسبته ، فدل على أنه معاصر لابن عربي ، وابن عربي توفي سنة ٦٣٦ هـ أى بعد الغزالي ، فإن الغزالي توفي سنة ٥٥٥ هـ والقصيدة لو أمعن الناظر فيها لجزم بأنها ليست للغزالي ، فنسبناها إليه تشوّه أمثاله وهو حجة الإسلام ، ولنا عودة في تحقيق الغزالي القديم والغزالي الجديد ولمن له هذه الكتب الكثيرة .

٢ — عبقرية محمد

والاستاذ العقاد

رأيت في صفحة ١٤٤ من هذا الكتاب حديثاً وهو امرؤ القيس حامل لواء الشعر وقائدهم إلى النار ، ، واطمأن العقاد إلى أنه حديث ، وقد نبه عليه المحدثون بأنه غير صحيح ، فإن هذا الشاعر جاهل من أهل الفترة ، وأهل الفترة ناجون ، ومبعض بحاة أهل الفترة أو عدم نجاحهم فيه نزاع طويل بين العلماء قديما ، فلو صح هذا الحديث لكان دليلاً لمن قال بعدم نجاحهم ، والآية الكريمة صريحة في نجاحهم وهي قوله تعالى : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، وهذا هو المعول عليه عند أهل التحقيق من العلماء الاعلام الذين لم القدح المولى في فهم الشريعة والاتساع فيها ، فجاء هذا الحديث عرضاً في هذا الكتاب ولم ينتبه المؤلف إلى ما حوله من نزاع ملأ الصحف والكتب قديما ، وقد ألفنا كتاباً سميناه المباحث المحررة في نجاح أهل الفترة طبع منذ عشرين سنة . ولنا ملاحظة على المؤلف في تسميته كتابه بعبقرية محمد سنشرها بعد ، فإما لا نستطيع هذا ، فإن العبقرى نسبة إلى عبقر نوح العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شئ عجيب ، فهذا أولى بأن ينسب إلى الزعماء والأبطال ، أما من تولى الله أمره وأدبه واصطفاه فليس في أمره عجب ولا يطلق عليه بأنه عجيب ، فإنه إذا ظهر السبب بطل العجب ، وليس عجيباً أن يختاره الله للأمم والشعوب بل أمره أكبر من هذا ، فإنه وإن كان منا أى من أنفسنا — إلا أنه صار بتوجه الله إليه شيئاً آخر .

وإن تفق الأنام وأدت منهم فإن المسك بهض دم الغزال

فهذه النسبة — أى العبقرية — ينبغي إطلاقها على الزعماء والأبطال لترفع من قيمتهم والإعجاب بهم ، ولكن إنساناً كرمه الله بالرسالة والألقاب السامية لا ينبغي أن نصفه بوصف الرجال الذين نبغوا ، ولو اقتصر الأستاذ في ذلك على النبي الكريم لسهلنا ، ولكنه جاء

بعد وقال : عبقرية عمر ، فسوى بين النبي ﷺ و عمر ، وما يدرينا فلعله يحىء بعد ويقول عبقرية الحاكم وقد جاء الأستاذ العقاد في جريدة أخبار اليوم وعبر عن جيتى فقال اتجهت إلى عبقرية جيتى وتاريخ الأخبار ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٣ فقد سوى بين الشعراء والأنبياء ومن يعرف الذوق فى الأساليب والألقاب يسلم لنا تقدنا ، ومن ليس بدقيق يتساهل ، والذوق شىء ليس فى الكتب ، فن نازعنا فليتهم ذوقه ، والمسألة مسألة ذوق لا أكثر ولا أقل . وأنا شخصيا أجد هذه النسبة وأصفه كما وصفه ربه : النبي ، رسول الله ، خاتم الأنبياء . وقليل من الناس من يفرق بين أسلوب وأسلوب وفهم وفهم ، ففرق بين قولك لآخر : ليس ذمك الناس من عادتك ، وبين : ليس ذم الناس من عادتك ، فمن حرم الذوق أجازه . على أن هذا باب واسع أغلق مصراعه لم يفتح منه شىء ولعلنا نتعرض بعد للكلام فى هذا العدد .

ولقد ألف كارليل صاحب كتاب الأبطال وذكر النبي ﷺ فى ضمن الأبطال ، وهذا غريب لا يتوجه إليه ملام ، وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم بمدائح عظيمة ، ووصفه بأوصاف جميلة وبأروع الأساليب ، ولكنه قد ضيع كل هذا بمباراة ما أخفها وما أكذبها وسنورها بعد لتتنى قالم فى الدسم ، فمدح ليتوصل إلى غرس كلمة شيطانية تروج عند المسلمين الذين لم يتأسس دينهم على المعرفة واليقين بل هم مسلمون جغرافيا ؟

سير على الطوبى

حكم

- من أحب الحمد أحسن السيرة .
- الملل من كواذب الأخلاق .
- الاختيار دليل العقل .
- إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا .
- من أجذب اتجع .
- الهوى مفتاح السيئات .
- شرار الناس الذين يكرمون اتقاء شرم .

خرافة الميتافيزيقا



كتاب للأديب الفاضل الدكتور زكي نجيب محمود - مدرس الفلسفة في (جامعة القاهرة) بسط فيه آراء باحثي الغرب الواقعيين في (الميتافيزيقيا) أو ما يسمى ما وراء الطبيعة . وقد انتصب لنقده أحد أفاضل علماء الأزهر في عددي صفر وربيع الأول سنة ١٣٧٣ من (مجلة الأزهر) فعرض لمسألة تافهة مما أنكر على المنطق ، وهي مسألة تقابل النفي والإثبات في شيء واحد ورمز لها بـ (ق) و (لا . ق) وجمع همته للرد على منكريها وذكر أنه يدافع بذلك عن تراث العقل البشري ، ثم حمد نفسه وحمد المؤلف إذ أتاح له فرصة الرد على علماء الغرب ومناضلتهم . ولو علم الشيخ الفاضل الناقد أن في المنطق خيالات فاسدة أعدت للمستقلين به فلم يقدموا أى نفع للبشرية ولو لإبرة خياطة - بله ما ازدهر على أيدي رافضي المنطق من صناعات البخار والكهرباء وتحليل مركبات المسادة وتركيب بساطتها - لما وصفه بأنه تراث العقل البشري . ولو علم الشيخ الفاضل أن علماء الإسلام يبنوا فسادهم وإفساده للعقول ولغة والدين ، وأخص منهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي كتب الكتب وألف الرسائل في تنافته وفساده وإفساده للعقول والأديان ، وظهر له في عالم المطبوعات ودان أحدهما مطول طبع في بمبي (الهند) بمطبعة آل شرف الدين ، والثاني مختصر طبع في مصر ، وقد فصل القول في بطلان قضاياء وخرج بنتيجة ذهبية فيه هي أن أكثره باطل فاسد والقليل منه صحيح يستغنى عنه الأذكيا ولا يفيد الأغيا . وإلى أهيب بناقده كتاب (خرافة الميتافيزيقيا) أن يرجع إلى أحد الردين المذكورين أو كليهما - ولا تخلو منهما المكتبات العامة - فإذا سمع الشيخ الناقد وحفزه همته إلى مطالعتهما أو أحدهما فإنني أعتقد بأننا سننتق رأيا فنجتمع لدفن رمم هذا العلم ، هذه الرمم المنتقة التي آذت البشرية أحقابا طويلة وأخرت جماعات عن ركب الحضارة والاختراع والعمل الصالح .

هذا وقد سمعت أن أبواق الإلحاد وكاتبنا يتظارف بالدعوة إلى ترك الدين فرح بهذا الكتاب ونفى أن في استطاعته شراء نسخ منه بعدد طلاب (كلية دار العلوم) ليوزعها

عليهم مجانا ، لظنه أنه يهاجم الاخلاق ويهدم أركانها . ونحن نسوق إلى هذا البوق ما يزيد غيظا ويحرق كبده ، هو أن الكتاب لا يمس الدين في قليل ولا كثير ، والدين هو أساس الاخلاق - ولكن هذا الكتاب يهدم خيالات أفلاطون وأرسطو ومن قلدهما من متفلسفة العرب - من المجردات التي لا وجود لها إلا في خيال من تخيلها . وأضرب لذلك أمثلة يتبين منها سلامة الدين وأصوله وأركانه - بينما تقوض دعاوى من زعم أو تخيل أن في الوجود ما لا يمكن أن يحس أو يرى أو يلمس .

المثال الأول : الروح - أو النفس الناطقة - يقول عنها أفلاطون وأرسطو ومن قلدهما : إنها جوهر مجرد عن المادة لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا حيز لها ولا زمان ولا مكان ، ولا طول ولا عرض ، ولا ، ولا ، مما يحمل العقلاء جميعاً أن يقولوا إن ذلك شيء لا يعقل ولا يتصوره إلا المبرسمون . أما الدين فيقول عن الروح : إنها في البدن صاحبا ، وإنها نفخت فيه ، وإنها تخرج من البدن حين النزح (قلولا إذا بلغت الخلقوم) ، (والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم) . وفي الحديث « لا تؤمن يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنيتك » و « إن أمسكت روحى فارجحها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

المثال الثاني : زعم فلاسفة اليونان أفلاطون وتلميذه أرسطو ومن قلدهما من بعدهما أن هناك مجردات مثل أفلاطو وعقول عشرة ونفوس فلكية تسعة وأنها مجردة عن المادة لا داخل العالم ولا خارجه ولا طول ولا عرض ، ولا تحس ولا ترى ولا تلمس ولا ولا . مما لا يمكن وصف المستحيل بأبلغ مما وصفوها به . وظن بعض المتفلسفة أنها المرادة بالملائكة عند أهل الأديان ، وشتان بين خرافة هذه المجردات وبين الملائكة عند أهل الأديان ، فالأولى أمر لا يعقله إلا متهوسو المتفلسفة ، وحق للواقعيين من بني آدم أن يعدوا ذلك خرافة وتفاهة ولا معنى له . أما الملائكة عند المؤمنين بها من أهل الأديان فهم - كما جاء في الكتب السماوية أو أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، وتمثل أحدهم وهو جبريل لمريم بشراً سورياً ، وتمثل كثير بصورة أعرابي يسأل رسول الله ﷺ ويراها ويسمعه الصحابة ، وتمثل الملائكة ضيوفاً لإبراهيم حتى قدم لهم عجلاً خنيذاً ، وتمثلوا للوط وقومه شباناً جميلي الصور ، ويصعدون إلى السماء وينزلون إلى الأرض - إلى آخر ما جاء في وصفهم في الكتب السماوية - فلا تنالهم خرافة الميتافيزيقيا بسوء ولا تعرض لهم في قبيل ولا دبير .

المثال الثالث : خالق السموات والأرض رب العالمين ، يقول عنه المتفلسفة إنه علة العلل والعقل الأول وإنه واحد من كل وجه ، وإنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا ولا . من السلوب التي تجعله هو والعدم سواء ، فلو قيل لهم صفوا العدم أو المستحيل لما وصفوه بأكثر مما وصفوا به رب العالمين . أما المسلمون - بل واليهود والنصارى - فيؤمنون أن رب العالمين فوق العرش وأنه يرى في الآخرة ويتكلم بكلام يسمعه من شاء من خلقه ك موسى ومحمد ، وأنه عرج إليه النبي ﷺ ليلة المعراج وسمع كلامه ، وراه أو رأى نوره ، وأنه تشرق الأرض بنوره يوم القيامة ، وأنه يحيى والملك صفاً صفاً لفصل الحساب ، وأن له يدين مبسوطتين ، ويده الميزان يخفضه ويرفعه ، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، إلى آخر ما جاء في وصفه في القرآن والحديث والتوراة والإنجيل - وآمن به المسلمون واليهود والنصارى الذين لم يمرضوا بمرض الفلسفة والتعطيل كمن قلدوا متهوسى اليونان الذين بدأوا طفولة تفكيرهم في عصرهم الجاهلي الوثني وقلدهم في هذه الآراء الصيانية والخيالات البدائية في التفكير مرضى الفلسفة من العرب كالفارابي وابن سينا وابن رشد والرازي - بله الجهمية والمعتزلة .

هذا وإتانا نحب انتشار هذا الكتاب وأمثاله آمين على جانب الدين منه حتى يشفي به مرضى المجردات الخيالية المسماة عندهم بالعقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة والنفوس الناطقة - إلى آخره - ولست نخاف على الدين وأصوله وأركانه أن يصدم بمخالفة تفكير صحيح من عقلاء بني آدم ، ولو أن المؤلف الذي لخص بحوث عقلاء الغرب رفع رأسه قليلاً إلى تراث علمائنا المحققين - كؤلفات شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن القيم ، وأسلافنا من الأئمة المقتدى بهم لرأى فيها ما يثلج صدره من إنكار الميتافيزيقيا عقلا وقللاً ، وأن مجردات الفلاسفة لا وجود لها إلا في أذهان متغلبها ، ولا وجود لها في الواقع وخارج الأذهان ، ولرأى أن ما لخصه من تحقيق علماء الغرب إنما استفادوه من تحقيق علمائنا الأعلام ، حرص عليه الغرب وارثف علماءه من رحيق أزهاره وقدموه لنا عسلاً ظنتاه من صنع أيديهم وليس الأمر كذلك ، وإنما مثلهم في ذلك كمثلهم في (خامات) الشرق يأخذونها عنه ثم يعيدونها إليه مصنوعات براقة مدهشة تمشى بصر من يراها من لا يعرف الحقيقة ، والعيب عينا نحن ، عندنا (خامات) لم نحسن أن ننتفع بها وأدوية لم نتعالج

بها . فنحن مرضى والدواء في دارنا ، وجياع وخيرات الدنيا بين أيدينا ، وجهال لم نفتفع بما كتب محققونا .

ولعل المؤلف الفاضل ترتفع همته إلى مطالعة تراثا الشرق فيجمع بينه وبين ما يعرف عن الغرب فيخرج لنا كتابا يجمع مشرق شمس الحقيقة ومغربها - فيجيب شبائنا في مراجعة تراث أسلافهم فيستفيدوا الحق من القديم والحديث ، ومن لا قديم له لا جديد له .

هذه المجالة حفزني إلى كتابتها ما قرأته في مقدمة كتاب (خرافة الميتافيزيقيا) ولما أت على الكتاب بنهاه ، وخصوصا باب الخير والشر فقد رأيت من بعض الأجاب اشتمازا منه ، فلعل الفرصة توافي لاستيعاب الكتاب فأكتب عنه ما أرى فيه من حسنات وغيرها — فإلى مقال آخر والسلام ؟

محمد عبدالرزاق حمزة

وصية أحمد محرم إلى صديق له

يا حارس الإسلام حسبك أن ترى	من كيد كل مناجز محروسا
فاطرد دعاة السوء عنه ولا تدع	في المؤمنين الصادقين دسسا
اعمل لربك لا يرعك مضلل	يحفوا الإله ويصطفى إبليسا
سبحان ربك لن يغادر عدله	بين البرية عاملا مبخوسا

من هم العبيديون؟ ولماذا أحرقوا مدينة الفسطاط؟

كتب إلينا السيد محمود محمد عيد وكيل إدارة التوريدات والمخازن بوزارة الشؤون الاجتماعية يقول :

« قرأت مقالكم الأخير في جزء ربيع الآخر من (مجلة الأزهر) بعنوان (يقيم من مصر العتيقة) وقد جاءت في ثناياه كلمات عابرة عن (العبيديين) وتعمدهم إحراق مدينة الفسطاط . فن هم العبيديون ، وما هي حقيقة هذا الحريق ؟

ولما كان هذا الموضوع قد كثر فيه القول من ألف سنة إلى الآن ، ثم جدت فيه مراجع وأنصوص وتحقيقات لم تكن معروفة قبل عصرنا هذا ، رأينا من المفيد أن نجيب على سؤال السائل بما يأتي ، موجزين فيه القول بقدر ما يحتمله المقام .

العبيديون :

هم سلالة (عبيد الله المهدي) ، وهو عراقي ، ولد في الكوفة سنة ٣٦٠ هـ واختبأ في بلدة سلية بؤرة الاسماعيليين الباطنية في شمال الشام ، وكان من ولادته إلى أن استقر في سلية يعرف باسم سعيد بن أحمد بن حسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح . وفي منطقة سلية ومصيف من بلاد الشام مات الحفيد الرابع لاسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو علي ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل ^(١) ، فرسم دعاة الباطنية بعد موته خطة جديدة لدعوتهم قرروا فيها نقل الإمامة من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق إلى ابنهم بالنكاح

(١) اسماعيلية الشام وهم جماعة أغان أقاموا منارات سرية لهذا وغيره من أئمة الاسماعيليين في سلية ومصيف . وتجدد صور منه للزارات وكلاما عنها وعن الاسماعيلية في الكتاب الرسمي لنحلة أغان ، وهو باللغة الأوردية عنوانه (نور مبین جبل الله للثنين) تأليف علي محمد جان محمد جنانا أحد عبيد أغان . وهو مطبوع في بومي الهند بنمو ٦٧٠ صفحة كبيرة غير عشرات الصور المضافة إليه والمطبوعة على الورق المتفيل .

الروحي وهو سعيد بن أحمد القداح ، وقرروا تغيير اسمه الحقيقي (سعيد بن أحمد) باسم (عبيد الله المهدي) ، وناطوا الدعوة إليه برجلين أحدهما أرسلوه إلى اليمن واشتهر باسم (منصور اليمن) واسمه الحقيقي حسن بن فرح بن حوشب بن زاذان السكوني (١) ، وأرسلوا الداعية الآخر إلى شمال إفريقيا واشتهر فيها باسم أبي عبد الله الشيعي . وقد نجح أبو عبد الله الشيعي في شمال إفريقيا بما لم ينجح بمثله ابن حوشب في اليمن . وبعد أن اطمأنوا إلى نجاحهم نقلوا القداح (أي عبيد الله المهدي) إلى شمال إفريقيا ، وبعد فوات الفرصة وخروج الأمر من يد حكومة المغرب يومئذ وهي حكومة بني الأغلب اتبعت لهذا الفساد الذي استشرى في غفلة منها فقبضت على عبيد الله المهدي وحبسته فتمكن داعيته أبو عبد الله الشيعي من مهاجمة السجن بالكوار من أهل نخلته وأخرج عبيد الله وصارت له بجاعته قوة لا تغلب ، وكان أول أعماله قتل داعيته أبي عبد الله الشيعي فلقى في الدنيا جزاء عمله . ولما أصبح الأمر في القيروان والبلاد التونسية إلى عبيد الله المهدي احتل مدينة رقادة ، وطردها عنها بني الأغلب في ربيع الأول سنة ٢٩٧ واستقر بها ملكه ، فقال في ذلك أحد شعرائه مشيراً إلى عقيدتهم في الحلول :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذو البرايا وكل شيء سواه ربح

ثم بنوا له على اسمه بلدة (المهديّة) وبقي الحاكم فيها إلى أن مات سنة ٣٢٣ ، خلفه على هذه الدعوة ابنه القائم نزار (٢٨٠ - ٣٣٤) ، وتولى بعد القائم ابنه المنصور إسماعيل العبيدي (٣٠٢ - ٣٤٩) وهو والد المعز معد (٣١٩ - ٣٩٥) الذي استولى على مصر مسلماً بجيش على رأسه عبده جوهر الصقلي ، وبنيت له القاهرة المعزية .

اعتراف الاسماعيليين بأنه المهدي منه ذرية القداح :

هذا هو أصل العبيديين ، وقد علمت أن نسبهم إلى عبيد الله المهدي ، وأن شخصيته الحقيقية ونسبه الصحيح : سعيد بن أحمد بن حسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح ، والعبيديون لما مات آخر أئمتهم علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل انتقلوا عن ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق إلى سعيد بن أحمد من ذرية ميمون القداح زاعمين أنه ابن السلسلة الإسماعيلية ، وخالفهم في ذلك جميع المسلمين في المغرب نفسها وفي كل مكان ، وفي طليعة

(١) هو معاصر للمهداني مؤلف (الاكلیل) و (صفة جزيرة العرب) ، وقد أشار في الكتاب المأثور من الاكلیل ص ١٨٢ - ١٨٥ إلى بعض نشاط ابن حوشب هناك .

الذين أنكروا ذلك عليهم الأشراف العلويون، وسنشير إلى طرف من حوادث هذا الخلاف في هذا المقال . إلا أننا نبادر الآن بالإشارة إلى مصادر إسماعيلية وباطنية لم يكن يعرفها أسلافنا لأنها من كتب الإسماعيليين السرية ، فلما ظهرت الآن زال الغموض حول هذه النقطة ، وتبينت حقيقة نسب العبيدين ومذهبهم هم في ذلك ، فمن تلك الكتب كتاب ديني إسماعيلي يسمى (غاية المواليد) ألفه الخطاط بن الحسن بن أبي الحفاظ الهمداني المتوفى سنة ٥٣٣ هـ وهو من علماء الإسماعيليين ودعاتهم ، يقول فيه :

« ... وذلك ما روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تسليمه الأمر إلى ولده إسماعيل عليه السلام وغيبة إسماعيل ^(١) — وولده محمد بن إسماعيل في حد الطفولة ، ولم تكن الإمامة ترجع القهقري منه كما لم ترجع من غيره — فأودع حجته المنصوبة بين يدي (ميمون القداح) مقامه لولده ، وأقامه ستراً عليه وقدمه بين يديه ، واستكفله إياه إلى بلوغه أشده . ولما بلغ أشده تسلم وديعته . ثم جرى الأمر في عقبه خلفاً عن سلف ، حتى انتهى الأمر إلى علي ابن الحسين بن أحمد بن إسماعيل ^(٢) ... وكان على يديه طلوع الشمس ، وذلك أنه لما ظهر النور بأسقا باليمن وبلاد المغرب ^(٣) سار ولى الله في أرضه على ابن الحسين يريد بلاد المغرب حتى كان في بعض طريقه إلى الشام وأظهر الغيبة ^(٤) واستخلف حجته (سعيد الخير الملقب بالمهدي) عليهم السلام ، فبك قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدهما بسجاسة من العمال بالمغرب ما جرى ^(٥) ووقى الله بوليّه كيده . »

وهذا النص نقله الدكتور برنارد لويس B. Lewis أستاذ تاريخ الشرق الأدنى والوسط

-
- (١) يعبر الإسماعيليون عن موت أئمتهم بلفظ (الغيبة) لأنهم يزعمون أن أئمتهم يغيبون ولا يموتون وهذا متفرع عن اعتقادهم حلول الألوهية في أولئك الأئمة .
 - (٢) مكذبا وردت السلسلة الإسماعيلية في كتابهم الديني (غاية المواليد) وكتب أخرى . أما كتاب أغا خان الرسمى فإنه في ص ١١٩ يورد سلسلة النسب هكذا : هداية بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل وإن اضطرابات الإسماعيليين أنفسهم في إيراد الأسماء الأولى من النسب يدل على عجاظتهم الحقيقية حتى في هذا الأمر اللهم الاذى تقوم عليه دهوام من أولها إلى آخرها .
 - (٣) أى على يدي الداعيتين ابن حوشب باليمن وأبي عبد الله الشيعي بالمغرب .
 - (٤) أى مات . وهذا التعبير يشير بأن موته باختباره لا كما يموت نحن . ومثله عند الأئمة عشية مجاء في أوثق كتبهم عندهم وهو (الكافي) ص ٦٢ طبعة سنة ١٢٧٨ هـ « باب أن الأئمة يملكون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم » . . .
 - (٥) يشير إلى حبس سعيد بن أحمد القداحي للتتخل اسم عبيد الله المهدي .

بجامعة لندن في كتابه (أصول الإسماعيلية) ص ١٢٨ - ١٢٩ وقد استفدنا منه اعتراف الإسماعيليين بثلاث حقائق : الأولى الاعتراف بميمون القداح والدور الذي مثله في صدر هذه النحلة بعد الأساس الذي أقامه لهم أبو الخطاب . والحقيقة الثانية أن عبيد الله المهدي هو سعيد ابن أحمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح (. والثالثة - وهي النتيجة المحتملة - هي أن العبيديين الذين يسمون أنفسهم الفاطميين هم من سلالة القداح لا من سلالة محمد ابن إسماعيل بن جعفر ، إلا أن يكونوا غير صادقين في أن القائم نزارا هو ابن لعبيد الله المهدي . ويقول الدكتور برنارد لويس في ص ١٢٩ : وقد أخبرني صديقي الأستاذ الأعظم ^(١) بأن أمثال هذه العبارة واردة في كتب إسماعيلية باطنية أخرى يملكها ، وتضيف بعض العبارات إلى العبارة السابقة أن سعيداً نفسه من ولد القداح .

وهناك وثيقة باطنية أخرى وهي رسالة (تقسيم العلوم) ^(٢) خلط فيها نسب القداح بالنسب الإسماعيلية - على قاعدة التنبؤ الروحي أو النكاح الروحي التي سيأتي الكلام عليها - فقد قيل في هذه الوثيقة الباطنية عن نسب سعيد القداح : إنه ابن أحمد بن الحسين بن محمد ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل ، فأسماء أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله ، لسلالة قداحية ، وما بعدها وهي أسماء أحمد بن محمد بن إسماعيل ، لسلالة علوية (وانظر لذلك ص ١٦٣ من كتاب أصول الإسماعيلية ، للدكتور برنارد لويس) وقد قال قبل ذلك في ص ١٦١ : « ما زالت سلسلة الأئمة بين (محمد بن إسماعيل) و (سعيد - المهدي) مشكلة من أعقد المشاكل في التاريخ الإسلامي ، فالمؤرخون من أهل السنة يروون لها روايات عديدة مختلفة ، والإسماعيليون لا يبدو أنهم متفقون فيما بينهم عليها . وقد بحث كثير من القدماء هذه المشكلة وناقشها نقاشاً دقيقاً ، وحققها دى خويه M. J. De Goeje ^(٣) وبلوشيه من المحدثين ، ثم قال : « والظاهر أننا نستطيع أن نتلص مفتاح المشكلة في عقيدتي « التنبؤ الروحي » و « الإمامة المستودعة » .

(١) هو إسماعيلي هندي من المعاصرين معروف كثيراً في مصر . وهو منسوب إلى مدينة [أعظم كر] ومن أهلها سنيون وإسماعيليون ونسبهم جميعاً [أعظمي] . أما في العراق فالأعظمي من ينسب إلى حمى في بغداد يقوم فيه مسجد الامام الأعظم أبي حنيفة ومدهته .

(٢) مخطوط رقم ١٤١٥ ورقة ١١٧ وما بعدها . عن دى سامي ٢ : ٥٧٨ .

(٣) كان أستاذ التربية بجامعة ليدن بهولندا ، وهو للناشر الأول والمحقق الدقيق لتاريخ الامام ابن جرير الطبري في القرن الماضي ، وله خدمة واسعة النطاق جداً لعلوم الاسلامية .

ما هو النبي الرومي ؟

يتقدم الأستاذ لويس ماسنيون برأى خاص في مشكلة النسب في الإمامة فيقول (١) : إن القرامطة اعتبروا حق العلويين الشرعي في الخلافة كوسيلة لا غاية ، فالإمامة ليست ميزة محسنة تورث في عائلة ، وإنما هي ميزة فكرية وتولية إلهية وتفويض (أى من حامل أسطورة الحلول الإلهي) إلى حامل اللقب على أثر التنوير الذي يشرق فيه مما يجعله الخلف أو « الابن الروحي » لسلفه . ولهذا لم يعبا عبيد الله المهدي ببيان نسبه لأنه لم يكن مهما بالنسبة لاتباعه ، إذ كانوا يريدون قبل كل شيء أن يكون حاصلا على التفويض الإلهي والمستوى الذهني الخاص ، سواء أكان علويا أم لم يكن . فهو هنا يؤكد فكرة « النسب الروحي » في الإمامة .

ثم جاء في مقدمة أصول الإسماعيلية (ص ٣١) تلخيصا لنتيجة بحث الدكتور برنارد لويس في هذا الباب : « في حياة الصادق كـوْن أبو الخطاب - بالتعاون مع إسماعيل بن جعفر الصادق كما يظهر - مذهباً كان أساس المذهب الإسماعيلي فيما بعد ، واشتغلوا لتكوين فرقة شيعية ثورية تجمع كل الفرق الشيعية الصغيرة حول إمامة إسماعيل وأولاده . وبعد وفاة أبي الخطاب وإسماعيل وجعفر انقسمت فرقهم إلى عدة شعب متنازعة في المبادئ والزعامات ثم اجتمع هؤلاء حول محمد بن إسماعيل الذي نجح - بمساعدة بعض الأنصار وخاصة المبارك حول إسماعيل وعبد الله بن ميمون القداح - في أن يجمع بحركة واحدة أكثر أتباع إسماعيل ومعظم الخطائية الذين أخذ مذهبهم مع بعض التعديل .

أبو الخطاب والإسماعيلية :

وأبو الخطاب الذي يتردد ذكره في تاريخ تأسيس النحلة الإسماعيلية هو (محمد بن مقلص ابن أبي زئب الكوفي الأجدع) ، كان من أصحاب جعفر الصادق وكان متظاهراً بالاستقامة في أول أمره . ثم صار ينسب إلى جعفر الصادق علم الغيب ، ثم جمع طائفة من المتأمنين حول جعفر الصادق وقام بمظاهرة في الكوفة هتفوا فيها « ليك جعفر ليك اء » ، ثم صار

[١] من مقدمة أصول الإسماعيلية ص ٢٤ بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري أستاذ التاريخ الإسلامي في دار للطبع العالي ببغداد .

أتباع أبي الخطاب يزعمون أنه أفضل من رسول الله، بل ادعى لنفسه وادعوا له أنه رسول الله وتروى الشيعة الاثنا عشرية عن عتبة بن مصعب أن جعفر الصادق سأله: أي شيء سمعته من أبي الخطاب؟ قال عتبة: سمعته يقول: إنك وضعت يدك على صدره وقلت له: «ع، ولا تنس»، وإنك تعلم الغيب، وإنك قلت عنه: «هو عيبة علينا وموضع سرنا، أمين على أحيائنا وأمواتنا»، فقال جعفر: لا والله ما مس شيء من جسدي جسده إلا يده. وأما قوله: «إني قلت أعلم الغيب فوالله الذي لا إله إلا هو لا أعلم الغيب»^(١) ولا أجرني الله في أمواتي ولا باري في أحيائي إن كنت قلت له (وكانت أمام جعفر جويرة سوداء تدرج، فقال) لقد كان مني إلى أم هذه - أو إلى هذه - بخطئة القلم، فأنتني هذه، ولو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني. ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطاً - أي بحتاناً - بيني وبينه فأصابه السهل والشرب وأصابني الجبل، فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشرب وأصابه الجبل. وأما قوله: «إني قلت له: هو عيبة علينا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا، فلا أجرني الله في أمواتي ولا باري في أحيائي إن كنت قلت له شيئاً من هذا قط»^(٢).

وقال عمار بن أبي عتبة هلكت بنت لأبي الخطاب فلما دفعها اطلع يونس بن ظبيان في قبرها فقال: السلام عليك يا بنت رسول الله. ولما انكشف عن أبي الخطاب ستار كفره قال جعفر الصادق: اللهم المن أبا الخطاب فإنه خوفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي، اللهم أدقه حر الحديد. والانباء مستفيضة عن اتصال أبي الخطاب بإسماعيل بن جعفر الصادق وتعاونهما على إقامة كيان ديني جديد باسم إسماعيل بن جعفر على الأسس التي يدعوا إليها أبو الخطاب. وشعرت الدولة العباسية بهذا النشاط فأرسل عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله ابن عباس - وكان عامل المنصور على الكوفة - من قتل أبا الخطاب وطائفة من رجاله وهم في المسجد، لأنهم كانوا يلزمون أساطين المسجد ليرى الناس أنهم من أهل الدين والعبادة، فقتلهم عند هذه الأساطين التي كانوا يلازمونها. ولما بلغ جعفر الصادق خبر قتلهم قال

(١) ومع أن الاثني عشرية هم الذين يروون هذا النسخ للفظ عن لسان جعفر الصادق بأنه لا يعلم الغيب فإن أرنؤي كتبهم وهو (الكافي) الذي يعتبرونه كمصحح البخاري عندنا قد جاء في ص ٦٤ منه «باب أن الائمة يعلمون علم ما كان، وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء!».

(٢) من ترجمة أبي الخطاب في (تنقيح المقال) للهاشمي ٣: ١٦٠ وهو أخف كتب المبرج والتعديل عند الاثني عشرية الآن.

- فيما سمعه منه عمران بن علي الحلبي - : لعن الله أبا الخطاب ، ولعن من قتل معه ، ولعن من بقي منهم ، ولعن من دخل قلبه رحة لم . وروى سدير بن حكيم الصيرفي من أصحاب الباقر والصادق قال : كنت جالسا عند جعفر وميسر عنده ونحن في سنة ١٨٨ فقال له ميسر : جعلت فداك ، عجبت لقوم كانوا يأتون معنا لهذا الموضع فانقطعت آثارهم وفتيت آجالهم . فقال جعفر : ومن هم ؟ قال : أبو الخطاب وأصحابه - وكان جعفر متكئا لجلس ورفع إصبعه إلى السماء ثم قال : على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأشهد بانه أنه كافر فاسق مشرك وأنه يحضر مع فرعون في أشد العذاب غدواً وعشيا .

أما إسماعيل بن جعفر الصادق المتعاون مع أبي الخطاب هذا فكان أكبر إخوته ، وكان أبوه شديد المحبة له والبر به ، ومات في حياة أبيه بالعريض - بعد انتقالهم من العراق إلى المدينة - فحمل نعشه من العريض إلى المدينة على رقاب الرجال حتى دفن بالقيع . ونقل المامقاني في تنقيح المقال (١ : ١٣٢) أن الصادق قال في حق ابنه إسماعيل : عاص ، عاص ، لا يشبهني ولا يشبه أحدًا من آبائي ، وقال الوحيد (من علماء الشيعة) : وفي الصحيح عنه : والله ما يشبهني ، وفي حديث عنه أنه نهى عن إعطاء ماله شارب الخمر فلم يفته فتلّف . وفي (السكافي) في باب النص على الرضا : لو كانت الإمامة بالحق لكان إسماعيل أحب إلى أهلك منك . ورووا في كتاب (الخرائج) أسطورة أذاعها الوليد بن صبيح الكوفي (من رجال جعفر الصادق) قال : جاءني رجل فقال لي : تعال حتى أريك ابن إهلك . فذهبت معه فجاءني إلى قوم يشربون (أي الخمر) فيهم إسماعيل بن جعفر عليه السلام ، فخرجت مغموما ، فجئت إلى الحجر فإذا إسماعيل بن جعفر متعلق بالبيت قد بل أستار الكعبة بدموعه فرجعت أشتد فإذا إسماعيل جالس مع القوم ، فرجعت فإذا هو أخذ بأستار الكعبة قد بلها بدموعه . قال : فذكرت ذلك لأبي عبد الله جعفر الصادق فقال : لقد ابتلى ابني بشيطان يتمثل بصورته (عن تنقيح المقال للمامقاني : في ذلك الموضع) .

أما ميمون القداح وابنه عبد الله فقد سقط بينهما محمد بن إسماعيل ، وفي هذه البؤرة تطورت الإسماعيلية ، ونظمت على أساس تغيير دين الإسلام عما كان يعرفه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، إلى ما صار معروفا بعد ذلك في سيرة الباطنيين والإسماعيليين في ألف سنة ، والركن الأول في ذلك هو التكرار لأصحاب رسول الله ﷺ ، ولكل ما فهمه الصحابة من دين الإسلام ، ومحاولة تأويل القرآن بغير ما كان معروفا في عصر تنزيله لتكون منه رسالة أخرى غير الرسالة المحمدية .

الفسطاط قبل العبيريين

ودولة العبيديين تأسست في القيروان وبلاد المغرب منذ أسس عبيد الله المهدي (٢٦٠ - ٣٢٢) بلدة المهديّة هناك ، ولما مات سنة ٣٢٢ تولى بعده ابنه القائم نزار (٢٨٠ - ٣٣٤) ، ثم حفيده المنصور اسماعيل (٣٠٢ - ٣٤١) والد المعز بنالقاهرة ومؤسس دولتهم في مصر ، وفيما بين عبيد الله المهدي والمعز كانوا يستعدون بالمال والرجال للاستيلاء على مصر ، وحاولوا ذلك مرتين قبل المدة الأخيرة التي استفادوا فيها من اختلال أمر مصر بموت كافور الإخشيدي (١٠ جمادى الأولى ٣٥٧) ، فاستطاع قائدهم جوهر أن يستولى على مصر سلماً بلا حرب ولادفاع ، وكان قيام جوهر من القيروان (تونس) يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨ ووصل إلى مصر في شعبان من تلك السنة ، وتم له في يوم ١٧ شعبان الاستيلاء على السلطة المطلقة في وادي النيل ، وكانت العاصمة المصرية — من بدء دخول الإسلام مصر إلى يوم دخول جوهر — هي مدينة الفسطاط (مصر العتيقة الآن) وكانت من أعمر الأمصار الإسلامية وأغناها وأسعدها ، وقد وصف القاضي محمد بن سلامة القضاعي (المتوفى سنة ٤٥٤) ما كانت عليه مدينة الفسطاط قبل أن تبنى القاهرة ، فقال : كان فيها من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد ، ومن الحمامات ألف ومائة وسبعون حماما ، ومن الشوارع المسلوكة ثمانية آلاف شارع ، وكانت أسواقها عامرة بكل شيء من أنفس البضائع إلى أكل الككاليات ، وضرب المثل لذلك بأن قطر الندي بفت خمارويه بن أحمد بن طولون احتاجت إلى ألف تكّة من التي تساوي الواحدة منها عشرة دنانير ذهباً لجاء رسلها إلى سوق الفسطاط بعشرة آلاف دينار فوجدوا ما طلبوه ميسوراً بأسرع وقت وأهون سعى ، وكانت الفسطاط عامرة بالمنازل الشاهقة ، وكثير منها بخمس طبقات وست وسبع ، وكان بعض المنازل من السعة وكثرة المرافق بحيث يتسع المنزل الواحد لمائتين من الناس ، وكان في الفسطاط دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لها كنيها في كل يوم أربعمئة راوية ماء ، وفي داخل هذه الدار خمسة مساجد واسعة وحمامان كالحمامان العامة وعدة أفران كاملة يتخبز بها عجين أهلها . أما بضاعة العلم في الفسطاط فكانت أغلى البضائع وأنفسها وأكثرها رواجاً ، وفضلاً عن الأسواق التي كانت للكاتب ، فقد كانت صناعة الفسخ واسعة النطاق يعيش منها آلاف من المشتغلين

بالعلم ، لأن المكتبة كانت زينة المنزل في كل أسرة مثقفة ، وحلقات العلم تعقد في المساجد التي بلغ عددها ستة وثلاثين ألف مسجد ، وكان جامع عمرو الذي يسمى تاج الجوامع مباداة التحديث والتدريس من زمان الصحابة رضوان الله عليهم إلى زمن الأئمة الليث بن سعد ومحمد بن إدريس الشافعي وأضرابهما ، وحتى في سنة ٧٤٩ كانت حلقات الدرس الدائمة كل يوم بلا انقطاع في جامع عمرو لا تقل عن بضع وأربعين حلقة كما ذكر ذلك الجلال السيوطي في حسن المحاضرة (٢ : ١٣٦) فما بالك بما كانت عليه الحال قبل الإغراض عن الفسطاط واتخاذ القاهرة عاصمة للبلاد .

هذه هي الفسطاط التي جاء جوهر حاملا أوامر مولاه المعز بأن يعرض عنها ، وأن يفتش عاصمة أخرى غيرها للبلاد ، فأنشأ جوهر في شمالي الفسطاط مدينة سماها في بادئ الأمر (المنصورية) نسبة إلى المنصور إسماعيل (٣٠٢ - ٣٤١) وهو والد المعز المبيدي

نجى المعز إلى مصر

وفي أوائل رمضان سنة ٣٦٢ وصل المعز من المغرب ، فخرج أعيان الفسطاط وأشرفها وعلادها لاستقباله في الجيزة ، واستعدت الفسطاط لاستقباله فزينوها له بأجل زينة ، فلما سار موكبه من الجيزة وجاز النيل إلى الشاطئ الشرقي أبى أن يدخل الفسطاط وجعلها خلف ظهره بما فيها من زينات واستعداد لم يسبق له نظير ، وأمر موكبه بالاتجاه إلى المنصورية التي صدر أمره في ذلك الحين بأن تسمى (القاهرة المعزية) .

وفي أثناء سير الموكب أراد أشرف الفسطاط من العلويين أن يعلوا درجة قرابتهم من ابن عمهم الجديد ، فقدم إليه ثلاثة منهم - وهم الشريف أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسيني الرسى وأحد أبناء الشريف أبي محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط - فسألوه : إلى من ينتسب مولانا ؟ فقال المعز : سنعقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا . فلما اجتاز المياني الجديدة في المنصورية - التي صار اسمها القاهرة ، وكانت خالية خاوية وعلى غير استعداد لاستقباله للاعتقاد السائد بأنه سيقابل المصريين في بلد الفسطاط - وصل موكبه إلى القصر الذي بنى له ، فلما استقر به المقام جمع الناس في مجلس عام ، وقال للأشرف : هل بقي من رؤسائكم أحد ؟ فقالوا : لم يبق معتبر . فسل

عند ذلك نصف سيفه^(١) وقال : « هذا نسي » ، وأثر عليهم ذهباً كثيراً ، وقال : « هذا حسي » ، ففهموا من ذلك أن الرجل من معدن آخر غير معدنهم ، واكتفوا بهذا الجواب عن السؤال الذي كان يحبك في نفوسهم ولا يجدون جواباً عليه .

ولادة ابنه العزيز

وفي السنة الثالثة من دخول المعز مصر ، مات (وكانت ولادته بالمهدية ووفاته سنة ٣٦٥) فتولى ابنه الأصغر العزيز نزار (وكان قد ولد بالمهدية سنة ٣٤٤ ثم أدركته منيته في بليس سنة ٣٨٦) وفي بداية ولايته صعد المنبر في يوم جمعة فوجد في أعلى درجانه ورقة فيها هذه الآيات :

إنا سمعنا نبأ منكرا	يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعى صادقا	فاذكر أبا بعد الأب الرابع ^(٢)
وإن ترد تحقيق ما قلناه	فانصب لنا نفسك كالطائع ^(٣)
أو لا دع الانساب مستورة	وادخل بنا في النسب الواسع ^(٤)
فإن أنساب بني هاشم	يقصر عنها طمع الطامع

والعزيز العبيدي هذا بلغ به الغرور في السنة الأولى من ولايته أن كتب إلى الخليفة الأموي بالاندلس - وهو الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر - كتاباً يسبه فيه ويهجوّه من غير مناسبة ولا داع إلى ذلك ، ومعلوم أن الحكم المستنصر من كبار علماء قریش في عصره ، ومن أكثر فضلاء المسلمين إلماماً بالأدب والتاريخ واضطلاعاً بمعرفة الأنساب ،

-
- [١] وقد أخطأ مؤلف الكتاب الرسمي لأغا خان فرسم صورة المعتز في هذه الحادثة ، وجعل السيف مسلولا كله بيده ، وذلك تجاه الصفحة ٢٣٠ من كتاب [نور مبین] .
- [٢] الأب الرابع هو عبيد الله للهدي الذي شوّهوا حقيقة إخفاء اسمه الخفيق ، ولو أن العزيز ابن المنصور قبل تعدى الآيات لاضطر إلى ذكر أحد القدامى فيفتضح أمره .
- [٣] الطائع هو الخليفة العباسي في بغداد للمناصر العزيز العبيدي ، ونسب الطامع إلى عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب صريح بظيف واضح لا يختلف فيه ولي ولا شاني .
- [٤] أي النسب الذي يجمع بني آدم .

فاكتفى الحكم بأن كتب إلى العبيدي أربع كلمات جواباً على كتابه أصابت منه مقتلاً ، لأنها وافقت الحقيقة التي أراد العبيديون أن يعالطوا بها التاريخ وأمله . وهذا هو جواب الحكم المستنصر :

« عرفتاه فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجنبناك » .

ومعلوم أن المذهب الباطني الذي كان العبيديون يقومون على حراسته وأشره وتأييده دعوته ، يقضى لهم بالحلول وعلم الغيب ، وهذا هو الأساس الأول الذي أسسه لهم أبو الخطاب محمد بن مقلص بن أبي زينب من أيام جعفر الصادق ، واستحق عليه اللعنة من الصادق ، وسفك الدم من أمير المؤمنين المنصور على يد عامله العباسي على الكوفة . فلما أخذ العزيز يدس هذه العقيدة على أيدي دعاة ودعاة ، لم يكن المصريون ليسكتوا له هلى هذه الحماقة ، فذكر القاضي ابن خلكان أن العزيز العبيدي صعد المنبر يوماً فرأى فيه رقعة كتب له فيها :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم غيب فاذكر لنا كاتب البطاقة

إمامهم الثالث :

وإمامهم الثالث بعد الممز والعزير هو الحاكم العبيدي (٣٧٥ - ٤١١) ابن العزيز الذي أشرنا إلى طرف من أخباره ، تولى وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ثم نكبت مصر بأحكامه أكثر من ربع قرن ، وكانت له شخصيتان مختلفتان : إحداها شخصيته الصريحة التي يصدر فيها عما اعتقده أهل بيته من أيام أبي الخطاب في زمن جعفر الصادق وابنه اسماعيل . والشخصية الأخرى هي التي يمثل فيها دور صاحب السلطان إذا راعى ظروف سلطانه ، فن شخصيته الصريحة التي صدر فيها عن عقيدة أهل بيته أنه أمر الناس وهو في الثامنة عشرة من عمره (سنة ٣٩٣) بالسجود إذا ذكر اسمه في الخطبة ^(١) ، وفي سنة ٤٠٨ أى بعد خمس عشرة سنة نهى عن تقبيل الأرض له وعن الصلاة عليه ، واكتفى بأن يقال في خطبة الجمعة السلام على أمير المؤمنين ^(٢) ، وأصدر أمره وهو في العشرين من عمره (سنة ٣٩٥) بأن يكتبوا على

[١] حسن المحاضرة للجلال السيوطي [١٥٠ : ٢] .

[٢] ابن خلكان [في ترجمة الحاكم] .

جدران المساجد والمدافن والشوارع سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب المراسيم الرسمية إلى جميع ولاية الدولة وعمالها يأمرهم بتعميم هذا السب ، وما زال مستمراً في بغية هذا على دين الله ورسوله سنتين كاملتين ، ثم عاودته شخصيته الثانية - أو أيقظه لها بعض من يخافون على هذه الأسرة أن ينقلب بغيتها عليها - فأصدر أوامره في سنة ٣٩٧ بالعدول عن هذه الزندقة . وفي سنة ٤٠٠ بنى داراً زعم أنها للعلم ، وأنه أباح فيها ذكر مناقب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه عاد بعد ثلاث سنوات فهدم الدار وسفك دماء خلق ممن كانت فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والديانة ، ذكر ذلك الجلال السيوطي في حسن المحاضرة .

وفي سنة ٤٠٢ كتب في بغداد محضر تاريخي في إنكار نسب العبيديين وقع عليه جماعة من الأشراف والقضاة والعلماء والفقهاء والمعدلين والصالحين - سنين واثني عشرية - فمن العلويين المرتضى وأخوه الرضى وابن البطحاوي العلوي وابن الأزرق الموسوي العلوي والركي أبو يعلى عمر بن محمد وأبو طاهر بن أبي الطيب ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبي يعلى . ومن القضاة والعلماء ابن الأكفاني وأبو القاسم الحريري وابن السيوري وأبو العباس الأبيوردي وابن الحرزي ، ومن الفقهاء أبو حامد الأسفرائني والقندوري والصيمري والبيضاوي وأبو الفضل النسوي وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم ، شهدوا جميعاً أن التاجم بمصر - وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والحزى والنكال والاستئصال ، ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله ، فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي ، ومن تقدم من سلفه ... أدعياء خوارج ولا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ، ولا يتعلقون منه بسبب ، وأنه منزه عن باطلهم ، وأن الذي ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون أن أحداً من بيوت الطالبيين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء ، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين ، وفي أول أمرهم بالمغرب ، منتشراً انتشاراً يمنع من أن يدلس على أحد كذبتهم أو يذهب وهم إلى تصديقهم ، وأن هذا التاجم بمصر هو وسلفه ... معطلون ، وللإسلام جاحدون ، وللمذهب المثنوية والمجوسية معتقدون .. لعنوا السلف وادعوا الربوبية . وكتب في ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة .

أيام الظاهر العبيدي :

وبعد الحاكم ذى الشخصيتين تولى ابنه الظاهر العبيدى (٣٩٥ - ٤٢٧) . وفى أيامه بدأت الشام تحرر من الحكم الإسماعيلى ، وتدفع عن آفاقها العقيدة الباطنية وما تفرضه على الناس من تسكر للإسلام وأهله الأولين . وفى السنة الثالثة من أيام حكمه تقدم فى موسم حج سنة ٤١٣ رجل طويل جسيم أحر أشقر من موالى والد الظاهر العبيدى متظاهراً بأنه يريد تقبيل الحجر الأسود - وكان ذلك يوم النفر الأول - فلما وصل إلى ركن الكعبة ضرب الحجر الأسود بدبوس كان معه ثلاث صربات متواليات ونادى : إلى متى يعبد هذا الحجر ، ولا محمد ولا على فيمنعنى عما أقوله ، فإني أهدم اليوم هذا البيت ! وكان تخلف عنه عند باب الحرم جماعة من الفرسان ليحموه ولينعوه عن يريده بسوء . وما لبث أن تقدم له رجل من أهل اليمن فى منطقته خنجره جنية ، كمادة أهل اليمن ، فوجأ به وتسكأثر عليه الناس ففطموه قطعاً . ولم يستطع الفرسان أن يحموه لتسكأثر الناس إلا أن الناس لما علموا بأن الفرسان من أصحاب هذا الملحد طاردوم وقتلوا منهم جماعة . وسقط من الحجر ثلاث فلق مثل الاظفار ، فأخذ بنوشيه (سدة الكعبة) تلك الفلق فمجنوها بالمسك واللك وحشوا بها تلك الشقوق التى بدت . قال الإمام السيوطى (فى حسن المحاضرة) بعد الإلماع إلى ما تقدم : وذلك ظاهر فيه - أى فى الحجر الأسود - إلى الآن .

المستنصر :

وتولى بعد الظاهر العبيدى المستنصر (٤٢٠ - ٤٨٧) وبزعم أغا خان وأئمة البهرة أنهم من ذرية هذا الرجل ، أما أغا خان فيقول إنه من ذرية نزار بن المستنصر ، وأما البهرة فيقولون إن أئمتهم أمن ذرية أخيه المستعلى بن المستنصر . ومن المفارقات العجيبة أن تتعلق فرق الإسماعيلية بهذين الأخوين حتى الآن ، مع أنهما كانا عدوين ، حتى أن المستعلى بنى جداراً دفين وراءه أخاه نزاراً وهو حى حتى مات خنقاً وجوعاً . وفى أيام المستنصر انتشر إلحاد الإسماعيلية فى اليمن على يد على بن محمد الصليحي (الذى اغتيل سنة ٤٧٣ هـ ^(١)) ولما كان الباطنيون حريصين على كتمان إلحادهم إلا عن الذين أوقعوم فى حياتهم ، فقد

[١] الذى أفسد عقيدة على بن محمد الصليحي وهو صغير رجل اسمه طامر بن عبد الله الرواحى ، ولم يسكتف بتلقيته الإلحاد وهو حدث حتى ترك له كتباً أوصى إليه بها بعد موته تثبيتاً لكفره .

قيض الله عالماً من علماء الدين وهو محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادى البغدادى فأنس بين الصليحيين ملتحقاً بهم - إما مخدوعاً أو على - ميل الاختبار - وأومهم أنه صار منهم إلى أن صرحوا له بمقائدهم فاكشف باطنهم وقارنه بظواهرهم وألف في ذلك كتاباً سماه (كشف أسرار الباطنية) وقد طبع في مصر سنة ١٣٥٧ وتصح لكل مسلم بالاطلاع عليه ليعرف حقيقة مذهب العبيديين ومن والاهم . وفي مدة المستنصر هذا أيضاً قام المعز ابن باديس أمير المغرب بإزالة ذكر طغاة العبيديين من منابر المسلمين في القيروان وغيرها فطهرها الله من ذلك . قال أبو المحاسن في النجوم الزاهرة (٥ : ٥٣) وفي سنة ٤٤٤ - أى في ولاية المستنصر - برز محضر من ديوان الخليفة العباسى القائم بأمر الله بالقذح في أنساب العبيديين وأنهم ديصانية خارجون عن الإسلام ، وهومن جلس المحضر الذى برز في أيام القادر بالله سنة ٤٠٢ وأخذ فيه خطوط القضاة والأشراف .

المستعلى وابنه الأمر

وتولى بعد المستنصر ابنه المستعل (٤٦٩ - ٤٩٥) الذى ذكرنا أنه بنى جداراً على أخيه نزار (الذى تنسب إليه جماعة أغا خان) . وكانت بيت المقدس تابعة لدولته ، فانتزعها منه الصليبيون وقتلوا فيها ما يزيد على سبعين ألفاً ، وانتزع المسلمون بسبب ذلك في جميع بلاد الإسلام إلى أن استردها بطل الإسلام حامى حمى السنة والجماعة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رضى الله عنه . وكانت بيت المقدس في أيدي الأمراء بنى أرتق قبل تغلب العبيديين عليها . قال القاضي ابن خلكان في ترجمة المستعل : ولو بقى بيت المقدس في يد الارتقية لكان أصلح للسلمين . ثم استولى الافرنج على كثير من بلاد الساحل الفلسطينى في أيام المستعل هذا .

وتولى بعد المستعل ابنه الأمر (٤٩٠ - ٥٢٤) وكان عند ولايته في الخامسة من عمره لا يعقل شيئاً . قال القاضي ابن خلكان : ولما اشتد وفطن لنفسه قتل وزير أبيه الأفضل ابن أمير الجيوش واستوزر محمد بن قاتك البطائحي فاستولى هذا الوزير عليه وقبح سمعته وأساء سيرته ، ولما كثر ذلك منه قبض عليه واستصنى أمواله وقتله وصلبه بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من إخوته . قال ابن خلكان : وكان الأمر سبب الرأى جائر السيرة مستهتراً متظاهراً بالهوى واللعب . وفي أيامه أخذ الفرنج مدينة عكا وطرابلس الشام وعرقه

وبانياس وصور وبيروت وحيدا . ووصل برديول الفرنجي إلى الفرما من الديار المصرية وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش . أما الأمر العبيدي فكانت عاقبته أن قتله بعض المصريين على الجسر القائم بين القسطاط وجزيرة الروضة . قال القاضي ابن خلكان : وكان قبيح السيرة ظالما للناس يأخذ أموالهم ويسفك دماءهم وارتكب المحظورات واستحسن القبايح فابتهج الناس بقتله .

الحافظ عبد المجيد :

وانتقل ملك العبيدين من الأمر إلى ابن عمه الحافظ عبد المجيد (٤٦٧ - ٥٤٣) وكان أحمد بن الأفضل أمير الجيوش محبوساً في حبس الأمر منذ قتل الأمر وزير أبيه الأفضل . فلما تولى الحافظ العبيدي هجم الجند على السجن وأخرجوا أحمد بن الأفضل وولوه الوزارة للحافظ . وكان أول أعمال الوزير أحمد بن الأفضل أن رفض إمامة هذه الأسرة العبيدية جميعاً . قال أبو المحاسن في النجوم الزاهرة (٥ : ٧٣٩) : ثم أمهل خلفاء بني هيد والدعاء لهم ، فإنه كان سنياً كأيهم . . ولما كان من الصعب إرجاع الدولة إلى أحضان السنة المحمدية والجماعة لكثرة أنصار العبيدين ورجال المناصب منهم ، رأى الوزير أن يعالج الموقف بحالة وسطى يتخلص بها من سلاطة العبيدين فأظهر مذهب الاتني حشرية ، وأعلن أن الإمام هو المهدي المنتظر الغائب في السرداب ، وأمر بأن يدعى له على المنابر ، وكتب اسمه على السكة . ولم يكن الإسماعيليون ودعاتهم وأصحاب مناصبهم ليسكتوا على هذه الإمامة فتربصوا له بتدبير الحافظ ، ووثب عليه مملوك أفرنجي من مماليكهم (كالذي أرسلوه إلى مكة ليكسر الحجر الأسود ويهدم الكعبة) وكان ذلك في البستان الكبير في ظاهر القاهرة عند خروج الوزير إلى لعب الكرة ، وكان ذلك في العشرين من المحرم سنة ٥٢٩ فقتله ، وبادر الجند بإخراج الحافظ عبد المجيد العبيدي وبأيعوه ، وأعادوا الدعاء له على المنابر بدلا من الغائب في السرداب . وفي مدته تأمر عليه ابنه حسن وكتب الأمراء وكتبوه ثم خافوا فأفشوا سره لأبيه . وسكت عنه أبوه ، تخافوا أن يفتك الابن بهم فتجمعوا وطلبوا تسليم الابن إليهم ليقتلوه . ولما أبى الحافظ هددوه بالخلع وأحضروا الحطب والثيران لتحريق القصر . ورأى الحافظ أن يخرج من الورطة بأن يقتل ابنه بالسهم ، واستعان على ذلك بطييه اليهودي ابن قرفة . وبعد موت ابن الحافظ بالسهم وثبت الأمراء من ذلك بطعته طعنات

متعددة انتقم الإمام العبيدي من طليبه اليهودي ابن قرفة فرماه في خزانة البنود وصادر أملاكه وموجوده .

وفي سنة موت الحافظ العبيدي (٥٤٣) تمكن السلطان المجاهد نور الدين محمود بن زنكي رضي الله عنه من منع عمال العبيديين عن الاستمرار في سب أصحاب رسول الله ﷺ في حلب ، وأزال من صيغة الأذان فيها جملة : حتى على خير العمل ، وأعلن أن من استمر في سب الصحابة رضوان الله عليهم فجزاؤه القتل . قال أبو المحاسن في النجوم الزاهرة (٥ : ٢٨٢) فلم يعد أحد إلى ذلك .

العشرون سنة الأخيرة من ملك العبيديين :

وتولى بعد الحافظ العبيدي أصغر أبنائه واسمه إسماعيل (٥٢٧ - ٥٤٩) وتلقب (الظافر) وكان ابن سبع عشرة سنة وأشهر . قال سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) : وكانت أيامه مضطربة لحدائثه واشتغاله باللهو . وكان يتادم ابن وزيره عباس الصنهاجي ويعاشره ويبيت في دار الغلام في السيوفية متخفياً ويسكر عنده ، فكثرت لفظ الناس في ذلك فأمر الوزير ابنه أن يقتل الظافر العبيدي إذا بات عنده ليرحض عن نفسه قالة السوء ، فقام ابن الوزير بالمهمة وقتل إمامه العبيدي وألقاه في بئر . قال سبط ابن الجوزي : فأخذ عباس (الوزير) وابنه ما قدرا عليه من المال والجواهر وهربا إلى الشام . فبلغ الفرنج ذلك من كتابة وردت إليهم من أخيه الظافر ووعدتهم بمال جزيل إذا خرجوا عليه وأخذوه ، فخرجوا إليه بالقرب من عسقلان وغزة وقتلوا الوزير وأسروا ابنه ، ثم قتل الابن في السنة التالية . وكان قتل الإمام العبيدي المساجن في سلخ الحرم سنة ٥٤٩ . قال ابن خلكان : وكان من أحسن الناس وجهاً .

وتولى بعده ابنه عيسى الفائز (٥٤٤ - ٥٥٥) وكان في الخامسة من عمره ، ومدة ولايته ٩ سنين و ٩ أشهر وتوفي وهو ابن ١١ سنة . وكان وزيره طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح .

وتولى بعد الفائز عبد الله بن يوسف بن الحافظ (٥٤٦ - ٥٦٧) ولقب بالعاقد وفي زمنه عند الله شجرة هذا البيت . وكان وزير دولته شاور ، وفي زمنه استعان العبيدون

على المسلمين بالصليبيين غير مرة ، وفي زمنه كان حريق الفسطاط ، وكان الله أرحم بهصر وأعدل في خلقه من أن يملئ للعبيدين بأكثر مما أملى لهم . وقبل أن يزيلهم من الوجود تدارك كنتاجه برجال يخلفهم الله لإنقاذ هذا الدين وأهله على حين فترة من الزمان . فكان ذلك والله الحمد والمنة على أيدي الملك المجاهد نور الدين محمود بن زنكي ، ورجل دولته أسد الدين شيركوه ، وابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . ولما أيقن العاضد العبيدي بعدل الله وقضائه الصارم ، وأن مثل هذه النحلة الإسماعيلية لا يمكن أن تتحكم بالوطن الإسلامي أكثر مما تحمكت ، عمد حيثئذ إلى خاتم كان في يده له فص مسموم فامتصه ومات ، ومات بموته هذه الدولة إلى الأبد . وجلس صلاح الدين في عزائه ، ومشى في جنازته ، وتولى غسله وتكفينه ودفنه عند أهله ، واستولى السلطان صلاح الدين على ما في القصر من الأموال والذخائر والتحف والجواهر والعبيد والخدم والخيل والمتاع وغيره مما لم يكن مثله عند خليفة ولا ملك .

لماذا أمرفت مدينة الفسطاط ؟

في سنة ٥٥٨ هـ وهي السنة الثالثة من ولاية العاضد كان يتنازع السلطة في دولة العبيدين ثلاثة من رجال دولتهم وهم شاور السعدي وضرغام صاحب الباب والعاذل بن رزيك . وكانت الغلبة أولاً لشاور ، فلما استبد بالإمرة حسده ضرغام وجمع جموعاً كثيرة وغلب شاوراً على الوزارة في شهر رمضان سنة ٥٥٨ هـ ، فسار شاور إلى الشام مستنجداً بملكها المجاهد السلطان نور الدين محمود بن زنكي . وكانت لنور الدين خطة سياسية بعيدة المدى ترمي إلى إنقاذ مصر من إلحاد ملوكها العبيدين وفسادهم ، وإلى قطع الخطة على الصليبيين لئلا يستولوا على مصر أو يتمكنوا منها يرضا العبيدين أو بغير رضاهم . فلما استنجد شاور بنور الدين كان نور الدين يعلم أن شاور لا يستحق النجدة والمعونة ، إلا أن مصر تستحق التحرير من العبيدين وقطع الطريق على الصليبيين . وبناء على ذلك عقد نور الدين اتفاقاً مع شاور على أن يكون لنور الدين إذا عاد شاور إلى الوزارة تلك خراج مصر بعد إقطاعات العساكر ، وأن يبقى أسد الدين شيركوه (عم صلاح الدين) بعساكره في مصر ، وأن يكون التصرف في أمور البلد بأمر نور الدين . وبعد الاتفاق على ذلك وقسجيله أصدر نور الدين أمره في جمادى الأولى سنة ٥٥٩ هـ بإعداد جيش قوى عقد لواءه للأمير أسد الدين شيركوه

وجعل ابن أخيه صلاح الدين من قواد هذا الجيش . ولما دنا جيش أسد الدين من الأرض المصرية خرج له ضرغام بعساكر العبيدين وحاربه في بليس ، فكتب الله النصر لأسد الدين وانهمزم ضرغام عائداً إلى القاهرة وعاد فظم قواته للدفاع عنها مصمماً على منع جيش نور الدين من أن يستولى على العاصمة ، ووقعت معارك بأرض الطيالة والمقس (ميدان باب الحديد الآن) ثم دخل أسد الدين القسطنطينية واستولى عليها وعسكر بباب اللوق وانتهى الأمر بقتل ضرغام في سلخ جمادى الآخرة سنة ٥٥٩ هـ . وقدم أسد الدين شاورا ليتولى الوزارة حسب اتفاقه مع نور الدين . وما كاد شاور يتولى أمور الدولة العبيدية حتى عاودته سياستها وأخلاقها فنجح إلى جانب الخيانة وأخلف عهده مع الملك نور الدين محمود بن زنكي ومنع الغلال والأرزاق عن جيش أسد الدين ، فأرسل أسد الدين ابن أخيه صلاح الدين إلى بليس ليجمع له الغلال وغيرها من الأموال للاتفاق على الجيش . وبلغت الفحة بالوزير العبيدي شاور أن حشد قوة قاتل بها أسد الدين وجيشه في وقائع احترق فيها وجه الخليج خارج القاهرة بأسره واحترقت قطعة من حارة زويلة . ولم يكتف شاور بذلك بل بعث رسله إلى عسقلان وفلسطين يستنجد بالصليبيين على أسد الدين وصلاح الدين وجيشهما ، فخرج ملكهم أمرى من عسقلان بمجموعه . ولما علم أسد الدين بذلك انسحب إلى بليس لينج الصليبيين من دخول مصر ، وفي بليس اتحدت قوات العبيدين بقيادة شاور وقوات الصليبيين بقيادة أمرى وحاصروا أسد الدين في داخل بليس وكانت إذ ذاك حصينة ذات أسوار ، وبقي أسد الدين محصوراً يقاتل من داخل بليس ثلاثة أشهر إلى أن جيش نور الدين جيوشه وقام بغارات شديدة على البلاد الفلسطينية المحتلة بالفرنج وأخذها من أيديهم ، وبذلك اضطروهم إلى الإخلاء عن أسد الدين شيركوه وتمكينه من العودة إلى الشام . وكان ذلك في ذى الحجة سنة ٥٥٩ هـ .

وفي سنة ٥٦٠ و ٥٦١ هـ أخذ نور الدين أمبه لتأديب العاضد ووزيره شاور على ما ارتكبت حكومتها من نقض العهد ، وعلى خيانتها لله ورسوله باستدعاء الصليبيين لحرب الجيش الإسلامي الذي يقوده أسد الدين . وفي النصف من ربيع الأول سنة ٥٦٢ هـ سار جيش جديد من دمشق بقيادة أسد الدين وابن أخيه صلاح ، وتجنب في طريقه البلاد المحتلة بالصليبيين فاختر طريق الرمل في شرق الأردن ووصل إلى أطفح في سادس ربيع الآخر ، وعبر منها إلى الجانب الغربي وأناخ بالجيزة محاذة للقسطنطينية ، فأقام هناك نيفاً وخمسين يوماً . وفي خلال

ذلك عاد العبيديون إلى الاستعانة بالصليبيين فاستدعوم إلى مصر ورتبوا لهم سوقا بالقاهرة وانتشرت قوات الفرنج من بلاد مديرية الشرقية إلى بلاد مديرية الغربية . وسار إليهم أسد الدين فالتقوا في موضع يسمى البانين ، ونشبت معركة بين جيش أسد الدين وجيش الافرنج ومن انضم إليهم من قوات العبيديين ، وكتب الله النصر لجيش أسد الدين وقتلوا من الفرنج والعبيديين ألوفاً ، ووقع بيده سبعون بارونا من فرسان الصليبيين (الشغالية) . ورأى أسد الدين أن يتوجه بعد هذا الانتصار نحو الإسكندرية فاستقبله أهلها بالتأييد والمساعدة من جميع قلوبهم ، لأنهم كأهل الفسطاط والصعيد كان موافقاً مع أهل السنة على العبيديين ولا سيما بعد أن خان العبيديون الملة باستدعاء الصليبيين مرتين ، وأراد أهل الإسكندرية أن يحصنوا ثغرهم وأن ينعنوا أسد الدين بالانضواء بقواته إليهم ومحاربة من يقصدهم من العبيديين أو الفرنج ، ولكن أسد الدين قال لهم : أنا لا يمكنني أن أحصر نفسي ، وأخذ حركه وسار به نحو بلاد الصعيد فأحسن استقباله واستولى عليها وجبى خراجها ، وترك صلاح الدين بالإسكندرية ليتعاون مع أهلها . فسار شاور والفرنج إلى الإسكندرية وحاصروها أربعة أشهر ، وصدق أهل الإسكندرية القتال مع صلاح الدين ، وقوى أسد الدين في قوص وسائر الصعيد ، فاستنفض أهل الصعيد للانضمام إليه وقصد الإسكندرية لرفع الحصار عن ابن أخيه صلاح الدين ، وقبل أن يصل إلى الإسكندرية رفع الفرنج الحصار عنها وانسحبوا . وكان شاور قد استمال عنصر التركان الذي كان في جيش أسد الدين وأغراهم بالذهب قالوا معه ، وحينئذ رأى أسد الدين أن يجيب العبيديين إلى المهادنة بشرط أن يدفعوا له خمسين ألف دينار في مقابل ما غرمه فبدلوا ذلك له . وعاد إلى دمشق فوصلها في ١٨ ذي القعدة سنة ٥٦٢ .

وقد تبين لشاور والعبيديين من هذه الحوادث أن استمرار الحكم العبيدي في مصر من مائتي سنة لم يضعف من سلطان عقيدة أهل السنة والجماعة على المصريين ، وأن الفسطاط على الخصوص وكذلك الإسكندرية وبلاد الصعيد كلها صادقة الميل نحو نور الدين وصلاح الدين لما يمثلانه من العقيدة الإسلامية السليمة . وكان ظاهراً لهم أن دولتهم أشرفت على الزوال ، فقرر دعائهم أن ينتقموا لهم بتمهم بإحراق الفسطاط — مدينة الذكريات الإسلامية — ليزيلوها من الوجود ، وليبدوا ما فيها من ملايين المصنفات الإسلامية المخطوطة التي كانت تزداد وتتمو في أكثر من خمسمائة سنة . وكما أغرقت في دجلة ثروة

الإسلام العلوية بخيانة ابن العلقمي ومستشاره العلبي ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة ، كذلك أحرقت ثروة الإسلام العلوية في الفسطاط بخيانة شاور ومستشاريه من دعاة العبيديين وأعمين لأهل الفسطاط عندما أمرهم بالخروج السريع من بيوتهم ليحرقوا البلد أنهم مضطرون إلى إحراقها خوفاً عليها من استيلاء الفرنج ، مع أنهم كانوا حلفاء الفرنج وهم الذين كانوا يستدعونهم المرة بعد المرة ، والفرنج لا تهمهم الفسطاط بقدر ما تهمهم القاهرة ، وكان المعقول أن يحرق العبيديون القاهرة لا الفسطاط . ولكن الفسطاط كان يمثل تراث أصحاب رسول الله والأئمة المقتدين بهم ، والقاهرة كانت تمثل إسماعيلية العبيديين والدعاة المتلغنين حولهم . ولهذا وحده أحرقت الفسطاط في سنة ٥٦٤ هـ حريقاً مكتمساً جارفاً التهم الأخضر واليابس ، وابتلع ألوف الشوارع وما يتفرع منها من دروب وأزقة وحارات ، وما يقوم بينها من عشرات ألوف المساجد وعشرات ألوف المكتبات الحافلة بأنفس المخطوطات في العلوم الإسلامية ، وقد أعجلوا الناس عن نقل شيء من مدخرات هذه المدينة الإسلامية التي حفلت بتراث نحو ستة قرون كان يتوارث فيها الأبناء عن آباءهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم كل ما تعز به أمة إسلامية من مصاحف وكتب ومبان أثرية وزخارف يضن الزمان بمنحها . ولو أن زلزالاً عنيفاً وقع في الفسطاط بدلا من النار لبقيت هذه المدخرات تحت الردم ولا يمكن للباحثين فيما بعد أن يستخرجوها ، لكنه حريق وأى حريق ، استمر أربعة وخمسين يوماً بلياليها ، وإن مصر لا تزال كلها ذكرت الفسطاط وحريقه يتجدد بها الأسى والحزن وهي إلى هذه الساعة تبكي على ما أهمل المسلمون في مصر العتيقة من أجدادها وذكرياتهما ؟

حسب الدين الخطيب

تصحیح

وقع في السطر الأخير من الصفحة الأولى من الجزء الماضي رقم ٦٦٤ خطأ وصوابه (٥٦٤) .

الأزهر والعلم في شتات

نفقات البعوث الإسلامية

في ميزانية الأزهر

قرر مجلس الوزراء فتح اعتماد إضافي قدره ٣٤٠٤٠٠ جنيهاً في ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية للسنة المالية ١٩٥٣ - ١٩٥٤ لتكفلة نفقات المبعوثين من الأزهر إلى العالم الإسلامي لنشر الثقافة الإسلامية، وطلاب البعثات الوافدة إلى الأزهر من مختلف الاقطار.

الأزهر أبحر الجامعات :

ألقى الأستاذ فتحي رضوان وزير الدولة الكلمة الآتية في مؤتمر كليات الأزهر بهيئة التحرير :

الأزهر عندي هو أبحر الجامعات : لا في مصر وحدها ، بل في العالم بأسره ، فقد نيف على الألاف وليس في الجامعات الحية جامعة بلغت هذا العمر أو داته .

وقد سميت المعاهد العليا باسم الجامعة اشتقاقاً من الجامع الأزهر وقد نسجت على منواله ونهجت نهجه تلك المعاهد ككمبريدج وكسفرورد والسوربون ، فقد كان أساس التعليم الأزهرى أن يختار التلاميذ أستاذهم ،

فيجلس الأساتذة كل منهم إلى عمود ويتلقى الطلاب من حولهم حلقات يستمعون إليهم مختارين في أدب ، ثم يناقشونهم في شجاعة .

وقد أنتجت هذه الأسس الحرة نتاجها الحتمى ، فازدهر العلم في الأزهر وضرب علماء المسلمين بسهم في كل فن حتى في الرياضيات وفي الطبيعيات .

ثم حفظ الأزهر لنا تراث آبائنا ... بل تراث الحضارة كلها ، ومن هنا أدرك الاستعمار خطر الأزهر فاستمسك المصريين بقوميتهم وفي تقديمهم الحضارى ، فأراد أن يقوضه ، فأخذ يضرب فيه بمعاوله . وأول معارله صرف العلماء عن علمهم . وقد نجح بعض الذى أراده ، ولكنه لم ينجح فيه كله ، فقد بقي الأزهر علماً ، لا على حضارة مصر وحدها ، بل على تلك الحضارة التى أنتجها العرب والمسلمون في بلادهم وفي المشارق والمغارب .

وقال أيضاً :

إن نكبتنا جامات في الماضى من إزاحة الأزهر عن تبوء مكانته العظمى . وإننا نرجو أن يعود الأزهر إلى استعادة مجده الأول إن العهد الجديد - الذى يقوم على الصدق

عليه الحكومة مائة جنيه في السنة من دم الفلاح وعرقه ليحضر إلى المعامل ويستمتع إلى المحاضرات لينال مجرد شهادة ، يخرج بعدها وقد ترك وراءه ١٤ مليوناً من الفلاحين هم في أشد الحاجة إلى علمه ومعرفة وجهه . هذه الملايين من الفلاحين من الذي يعالج مشاكلهم ويأخذ بأيديهم ، ويرشدهم في عمام ؟ أمي الحكومة بموظفيها الممسودين في وزارة الزراعة ، ولا يزال من بينهم المتربص بإخوانه والطامع في ترقية !

أقولها بصراحة : إذا اعتمدنا في حل مشاكلنا الزراعية على هذا الجهد الحكومي فقط ، فلن نحقق شيئاً ، أما إذا انتهر طالب الزراعة فرصة عطلة الاسبوعية وذهب إلى الريف وترك اللهو في المدينة واجتمع بأهله فأرشد الفلاحين إلى وسائل الإنتاج الصحيح ودخل في بيوتهم وأقربهم وسائل التوضيح بإنتاجهم - إنه لو فعل ذلك لاتفع الفلاح بذلك وظل يذكر له هذا الفضل ولأدى لبلده كل الخير .

« أمركة » التعليم :

نقلت (الجمهورية) عن مجلة (حول العالم) التي تصدر في عمان :

« ان هناك خطة مرسومة لأمركة التعليم في الاردن عن طريق وزارة المعارف وتحت

والامانة ومصارحة الوطنيين بما يستطيع وبألذي لا يستطيع - لأحرص ما يكون على إعطاء الأزهر فرصة الكبرى حتى ينهض مع الأمة التي تتعاون كل عناصرها الصالحة في الوصول بها إلى مكانتها اللائقة بها بين الأمم .

المصحة

جزء متم لمنهج الدين في المدارس

طلبت الإدارة العامة للتعليم الحر بوزارة المعارف إلى جميع المدارس الحرة إنشاء مصلى في كل منها ليتمكن التلاميذ من أداء فريضة الصلاة واعتبارها جزءاً متما لمنهج الدين ، فضلاً عن أثرها النفسي في تقويم أخلاقهم وتوجيههم توجيهاً سليماً .

الأزهر في مؤتمر نيروبي

مثل الأزهر في المؤتمر الإسلامي بمدينة نيروبي عاصمة شرق إفريقيا الأستاذ الشيخ محمد الدهان مبعوث الأزهر في زنجبار .

واهب العلماء والمثقفين :

خطب الصاغ صلاح سالم في نادي التجارة بالإسكندرية فكان مما قاله : « إنني أتحدث الآن إلى رجال العلم والمعرفة ، وأرجو أن تسمحوا لي أن أقول في صراحة : إن العلماء لا يقومون بواجبهم الاكل وحينما أذكر العلماء أتذكر طلبتهم ، فطالب الزراعة الذي تنفق

أول شعب أدخل زراعة الذرة في أواسط إفريقيا وجنوبها .

وقد خصص البرفسور جفريز - وهو قاض سابق في نيجريا - معظم وقته في بحث تاريخ العرب ودراسته ، وهو من القائلين بأن العرب هم الذين اكتشفوا أمريكا قبل خرسوف كولومب .

متحف لعلم الحيوان :

أصبح في حكم المقرر تحويل قصر الأمير السابق يوسف كمال إلى متحف لعلم الحيوان وسيضم إلى المتحف كل مجموعات الطيور والحيوانات الموجودة بمتاحف القطر المصري كلها ، ليصبح المتحف المصري في مركز المتاحف العالمية .

إنشاء ١٥٧ مدرسة ابتدائية :

و ٢٦٩٢ فصلا في العهد الجديد

أعدت وزارة المعارف تقريراً عن المشروعات التي قامت بها في العهد الجديد تنفيذاً لسياسة التوسع في التعليم جاء فيها أنه تم إنشاء ٧٠ مدرسة ابتدائية للبنين والبنات منها مدرسة نموذجية للعميان و ١٢٠٠ فصل بالمدارس الابتدائية و ٧ فصول بمعاهد النور وسبعة بمعاهد الصم وتسعة بمدارس تحفيظ القرآن وجاء فيه أن الوزارة في سبيل إنشاء ٨٧ مدرسة ابتدائية و ١٦ مدرسة للحضانة هذا

إشرافها : لقد كان مدير كلية المعلمين في عمان خريج جامعة لندن ، فنى عن عمله وعين أحد خريجي الجامعة الأمريكية في مصر مديراً لها وتشرف على إدارة مدرسة المعلمين في بلدة (رام الله) إحدى خريجات المعاهد الأمريكية ويشرف على إدارة مدرسة المعلمين الريفية في بيت حنينا أحد خريجي المعاهد الأمريكية ترى ... أجرى الأمر صدقة ؟ أم أن وزارة المعارف تخضع في ذلك لشروط النقطة الرابعة التي ساهمت في تفقات بناء هذه المدارس ؟ .

(مجلة الأزهر) لا تتخلص القومية العربية ولا الجامعة الإسلامية من الاستعمار العقلي ، وهو شر من الاستعمار العسكري والاستعمار السياسي إلا إذا رسمت خطط التحرير الثقافي على ما تقتضيه حيوية العروبة والإسلام وأهدافها ، كما أشرنا إلى ذلك في افتتاحية هذا العدد . أما إذا استمر الحال على أن يكون تثقيف الجيل وتكوين كيانه القومي بأيدي عملاء أمريكا وإنجلترا وفرنسا فن الكذب أن ندعى أننا عاملون للتحرر من الاستعمار ..

العرب اكتشفوا أمريكا :

يقول الأستاذ جفريز (أحد العلماء المعروفين في مادة تاريخ الجنس البشرى بجامعة وتازساند في الترنسفال) : إن العرب كانوا

وقد قررت السفارة الإسبانية أن تعمل على إيفاد قسم اللغة الإسبانية بالمدرسة إلى إسبانيا في رحلة عليية لإيارة معالمها التاريخية.

قرنما والبعوث الأزهرية

يحول الاستعمار الفرنسى في أفريقيا الغربية دون إيفاد الطلبة الذين يرغبون في تلقى العلم في مصر .

وقد استقبل الأزهر ثلاثة عشر طالبا وفدوا من (داكار) عاصمة السنغال عن طريق بعض التجار الذين ساعدوم في التنقل من مقاطعة إلى مقاطعة ، وقد ألحقوا بالفصول المناسبة لمستواهم ، فقامت إدارة الحسابات بتدبير المال المناسب لإعطائهم وأجر سكنهم .

لصوص الأهرام

وافق مجلس الوزراء على قراره هذا نصه :
« يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سبعة أيام كل من تعرض لانتق على وجه يتخذه حياءها بالقول أو بالفعل في طريق عام أو مكان مطروق . فإذا عاد الجاني إلى ارتكاب جريمة من نوع الجريمة المنصوص عليها في الفقرة السابقة مرة أخرى في خلال سنة من تاريخ الحكم عليه في الجريمة الأولى تكون العقوبة الحبس لمدة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة لا تزيد على خمسين جنيا ، »

العام وكذلك إنشاء ١٤٩٢ فصلا بالمدارس الابتدائية و ١٥٣ فصلا بالتعليم الحر و ٨ فصول بمعاهد الثور و ٨ مدارس ابتدائية راقية ذات صبغة تجارية وصناعية و ٩ مدارس ابتدائية راقية ريفية للبنين و ٩ مدارس راقية لتحفيظ القرآن و ١١ مدرسة راقية للبنات .
أما في المرحلة الثانوية فقد أنشأت الوزارة ٤٥٠ فصلا في العام الماضي و ١٢٥ فصلا في العام الحالي . كما أنشأت ٣ مدارس معلمين عامة و ٥٠ فصلا معلمين خاصة و ريفية و ٩٩ فصلا للمعلمات العامة والخاصة .

مدرسة الألسن

تنشئ قسما للغة الإسبانية

افتتحت مدرسة الألسن قسم اللغة الإسبانية فيها ، وقد حضر حفل الافتتاح سفير إسبانيا في مصر ، يصحبه الملحق الثقافي الإسباني وبعض رجال السفارة .

وألقي عميد المدرسة الدكتور مراد كامل كلمة أشاد فيها باللغة الإسبانية وما كان لها من وثيق الصلات بماضيها العربي العريق في الأندلس .
وألقي السفير كلمة قيمة عبر فيها عن تميته للدراسة وطلابه لكي تؤدي رسالتها الحيوية في سبيل النهوض الثقافي في عصر جديد جدير بمصر أن تأخذ فيه بالثقافات المختلفة ومفاتيحها هي اللغات .

العجالة الإسلامية في شَهْر

دستور فلسطين

فيجب عليها أن تنفذ سياستها الحالية ، وهي أسس السكوارت التي حلت بالعرب في الجيل الحاضر .

ثم قال : « إن المملكة السعودية تبسط يدها لكل حكومة عربية ترغب في العمل معها لتحقيق أهداف العرب . وإن أقولها كلمة صريحة : إننا نحن الملوك والقادة إذا لم نتبادل وجهات النظر على أساس غاية في الصراحة فإننا لن نضع أقدامنا على بداية الطريق الذي يؤدي إلى تحرير فلسطين المحتلة ،

علماء جامع القرويين

يقولون « لا ،

طلب الفرنسيون وأذناهم في حكومة المغرب من علماء جامع القرويين بمدينة فاس أن يصدروا فتوى شرعية يقولون فيها إن الفدائيين المغاربة الذين يقاومون الاستعمار الفرنسي يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، وأن حكم الإسلام فيهم هو الإعدام . ولكن علماء جامع القرويين أبوا أن يصدروا هذه الفتوى ، وقالوا إن الإسلام لا يحكم بذلك على من يحاربون الاستعمار .

أذاعت شركة برقيات (أسوسياتد برس) لأمريكية برقية من الرياض قالت فيها : إن الملك سعود عامل الدولة السعودية العربية أدلى بمحسبك إلى فريق من الصحفيين الأردنيين قال فيه : « إن السيل الوحيد الذي يتحتم على الدول العربية أن تسلكه حيال إسرائيل هو أن (تستأصلها) كما يستأصل السرطان . فلم لا نضحي بعشرة ملايين من رجالنا البالغين خمسين مليوناً لنعيش ونحن نحفظون بكرىاتنا واحترام أنفسنا . إن الدول العربية لن تجري مباحثات مباشرة مع إسرائيل لأننا لن نعترف بها . ولقد خسر العرب فلسطين في سنة ١٩٤٨ لأنهم لم يكونوا متحدين ولم يكونوا مخلصين في أعمالهم وجهودهم . إن إسرائيل جرح خطر في جسم العالم العربي ولن نطبق الألم من هذا الجرح إلى الأبد . ونحن لن نصبر على أن تظل إسرائيل قائمة وتحتل جانباً من فلسطين زمناً طويلاً . وإذا أرادت الدول العربية أن تحقق أمانها في الحرية والوحدة

(الحد من تقدم الإسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أى نشر البدع المخالفة لأصل الإسلام لإفساده وإزالة حقيقة الإسلام عنه مع بقاء اسم الإسلام عنواناً له) حتى يكون هذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد .

حدود الحرم المكى

أذاعت وزارة الداخلية السعودية بياناً لجميع المقيمين فى جدة من الأجانب تحذرم فيه من تجاوز حدود الحرم المكى أو الذهاب إلى أماكن بعيدة بقصد الصيد أو لأى سبب آخر بدون إذن من الجهة المختصة .

وجاء فى البيان أن الحكومة غير مسئولة عما يقع لمن يخالف هذه التعليمات .

خط الحجاز الحديدى

قابل وزير المملكة السعودية المفوض فى الأردن السيد فوزى الملقى رئيس الوزراء وأبلغه رغبة الملك سعود فى أن يستهل عهده بإعادة تسيير خط الحجاز الحديدى بين المدينة المنورة والأردن وسوريا ، توثيقاً للعلاقات الأخوية ، وتحقيقاً للتقارب المنشود بين العرب وقد أعرب الرئيس الأردنى عن موافقته مبدئياً على الفكرة ، وسيجرى تشكيل لجان مشتركة من الجانبين لدراسة هذا الموضوع دراسة تفصيلية والعمل على تنفيذه فى أقرب فرصة ممكنة .

ولما أصر هؤلاء العلماء الأبرار على أن يقولوا ، لا ، ، بادر الجنرال جيوم إلى التمسك على ٢٤ عاماً من أفاضلهم وكبارهم وزج بهم فى السجون ، وقد أضرب الطلبة احتجاجاً على هذا البغى الذمى .

الاستعمار والاستعمار

تفلس (الجمهورية) فى العدد ٢٣ عن مقال الجريدة (التمس) التدنية الفقرات الآتية :
« يتقدم الإسلام بخطى سريعة فى غرب إفريقيا ، حتى أن بعثات التبشير والأوربيين على السواء يلبدون قلقاً شديداً مما قد يترتب على انتشار الإسلام فى المنطقة كلها .

وكان الاعتقاد قديماً أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء ، وقد يتقدم إلى الحضر ، وما كان أحد يصدق أنه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى الجنوب كما حدث فى (سيرايلون) و (ساحل العاج) و (ساحل الذهب) و (داهومى) .

ويخشى رجال الإدارة على الأخص من أن انتشار الإسلام فى هذه البقاع يقبمه اتصالات بالقاهرة ، وبالعالم العربى .

ويختلف المفكرون الغربيون فى اتجاههم الفكرى نحو مستقبل الإسلام فى إفريقيا : فمن قائل إن تقدم الإسلام لن يضرب بالمصالح الاستعمارية ما دام يسير فى (الخطوط التى رسمها له المستعمر) بينما يرى آخرون ضرورة

٥ - تكوين صندوق إسلامي عام لقضية فلسطين وتدير الأموال اللازمة له لينتوي وسائل الإنعاش الاقتصادي ومساعدة المشروعات الاقتصادية في المملكة الأردنية عامة وفي القدس خاصة والقيام بكل ما يلزم في قضية الكفاح العام وتنظيم لجان لتدبير هذا المال .

٦ - إنذار الدول المستعمرة التي أقامت إسرائيل وما تزال تسندها بعداء الشعوب الإسلامية كافة إذا لم تكف عن موقفها الجائر في قضية فلسطين وتوجيه الشعوب إلى حمل حكوماتها لتقف موقف العداء كذلك من تلك الدول .

٧ - اتخاذ يوم ٢٧ وجب يوم فلسطين ويكل المؤتمر إلى المكتب الدائم اتخاذ التدابير اللازمة لتنظيم ما يلزم عمله في ذلك اليوم وإذاعته بين المسلمين في أنحاء العالم .

اليهود في بلاد العرب

اكتشفت السلطات العسكرية العراقية في كنيس لليهود بمدينة البصرة ستة مدافع رشاشة صغيرة و١٣ صندوقاً للذخيرة وعدداً من القنابل اليدوية وكية من المواد المتفجرة ومع هذه الأسلحة هلم إسرائيل وكتاب عن الفن الحربي مكتوب باللغة العبرية .

قرارات المؤتمر الإسلامي بالقدس

انتهت يوم ٣ ربيع الآخر جلسات المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بالقدس واستمر سبعة أيام وحضره مندوبون من مختلف الأقطار العربية والإسلامية ، وقد أصدر المؤتمر قرارات هامة هي :

١ - اضطلاع الشعوب الإسلامية بقضية فلسطين واعتبارها قضية كل مسلم ، واعتبار الدفاع عن الأرض المقدسة فرض عين على جميع المسلمين لا يعفيهم منه إلا القيام بأدائه فوراً كل بما يستطيع .

٢ - إعلان بطلان الوضع الذي أحدثه اليهود في فلسطين بما يشتمل عليه من تقسيم واحتلال ، واعتبار كل ذلك وما نشأ عنه من تشريد للوطنين ونصب لحقوقهم اعتداء على حقوق المسلمين جميعاً .

٣ - اعتبار الصلح مع إسرائيل أو التعامل معها خيانة يفتقر لها واعتبار التفكير في تدويل القدس مؤامرة يقف العالم الإسلامي في وجهها .

٤ - طرح وسائل الاستخذاء والسلبية التي أثبتت فشلها وإعداد العدة وتعبئة القوى الشعبية للكفاح الإيجابي وتمكين اللاجئين من استرداد ديارهم وأموالهم وإلى أن يتم ذلك يجب تحسين أحوال اللاجئين المادية وتربيتهم وتعليمهم بكافة الوسائل .

الحرس العربى بالاردن

تلقت حكومة الاردن ٢٠٠ ألف جنيه من مصر و ٥٧١٤٢ دولاراً من الحكومة العراقية و ٢٥١٧٤ دولاراً من جامعة الدول العربية و ٢٣٠٥٧١ دولاراً من الحكومة السعودية لتقوية الحرس العربى ، وقد سبق أن قررت جامعة الدول العربية أنها ستقدم مليونين من الجنيهات لهذا الغرض

البترول السعودى

أعلنت شركة الزيت العربية الأمريكية أن إنتاج زيت البترول الخام فى الاراضى السعودية خلال شهر نوفمبر الماضى بلغ ٢٤ مليوناً و ٦٧٧ و ٢٥٢ برميلاً بمعدل ٨١١٠٧٥٦ برميلاً فى اليوم . وبلغ مقدار زيت البترول الخام الذى كرو فى معمل تكرير الشركة فى (التتورة) خمسة ملايين و ٢٩٠٩٦٠ برميلاً بمعدل ١٧٣٣٦٧٣ برميلاً فى اليوم .

الانجليز فى كينيا

تحدث صحفى انجليزى مع أحد سكان كينيا ، وهو أحد الذين تصبروا على أبهى المبشرين ، فقال الرجل للصحنى :

« لما جاء الانجليز إلى بلادنا كنا نملك الارض ، وكانوا هم يحملون الإنجيل . أما الآن فإنهم صاروا يملكون الأرض ونحن نحمل الإنجيل ! » .

التماثيل

فى محاكمة مصدق بطهران وجه رئيس المحكمة سؤالاً إلى مصدق بشأن الأوامر التى كان أصدرها بعدم التعرض للذين حطموا تماثيل شاه إيران ، فأجاب مصدق :

« إن الإسلام يحرم إقامة التماثيل ، وأنا مسلم وأحترم دينى ولذلك أكره التماثيل . وأنا أعتقدكم أن تجدوا لى بنداً فى قانوننا الجنائى يحمى التماثيل ويعاقب الذين يكرهونها مثل . . »

تحسين أحوال العمال

نتيجة لزيادة الإنتاج وتحسينه

قدم مصر أخيراً مستر مورس مدير مكتب العمل الدولى ، وبعد جولة دراسة واختبار قام بها من الإسكندرية إلى أسوان تحدث عن رأيه فى نهضة مصر الاقتصادية فقال :

« إن الإنتاج يجب أن يسبق كل شئ . وليس هذا أوان تحسين أحوال الموظفين أو العمال ، بل يجب أولاً مواصلة العمل لزيادة الإنتاج ، وبعد ذلك تزيد الثروة ، ويتبعها تحسين أحوال العمال . »

ومدير مكتب العمل الدولى كان وزيراً للعمال فى أمريكا واشتغل طوال حياته فى مسائل العمل والعمال .

فهرس

الجزء الخامس — المجلد الخامس والعشرون



صفحة	الموضوع	بسم
٥١٣	وسائل ... وغايات	الاستاذ محب الدين الخطيب ورئيس التحرير
٥٢٠	مؤسس الاستعمار العقلى فى مصر	
٥٢١	لفحات القرآن : لسان الحكيم	» عبد الطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٥٢٨	السنة : خصوصية الأكاير	» طه محمد السكاكيت المفتش بالأزهر .
٥٣٣	الروح التقدمية فى الاسلام	» محمد فتحي محمد عثمان
٥٤٥	جمال الاسلوب القرآنى	» هو الدين اسماعيل
٥٥١	حافظ الصحابة أبو هريرة والطاعنون فيه	
٥٥٣	للبدن فى نظر الاسلام	» أحمد الشرباصى
٥٥٧	الدخيل وكعب التفسير — ٢	» محمد محمد أبو شهبة
٥٦٢	لغويات	» محمد على النجار
٥٦٦	أبو دهميل الجهمى	» محمود النواوى
٥٧٣	فن الحصار فى غزوة بنى قينقاع	اليوزباشى أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
٥٧٧	من نوادر المخطوطات : إنباء الفم لآل حبر	الاستاذ أبو الوفا للراعى
٥٨٠	اختلاف الدارين فى الاسلام والمانون للمصرى	» أحمد طه السنوسى
٥٨٥	دولة الشعر	» صابر على رمضان الجوشنى
٥٨٩	الاضطرابات العقلية فى أمراض الشخصية عند ريبو	» سعيد زايد
٥٩٣	نظرة فى شامد	» طه الزينى
٥٩٦	مشاكل العالم الاسلامى	» عبد الحميد محمود المسلوت
٦٠٠	ديوان محمد الاسلام	» أحمد محرم
٦٠٥	كلمان من كتمان	» سيد على الطوبجى
٦٠٨	خرافة الميتافيزيقا	» محمد عبد الرزاق حمزة
٦١٢	من هم المبيدون	» محب الدين الخطيب
٦٣٢	الادب والعلوم فى شهر	قلم التحرير
٦٣٦	العالم الاسلامى فى شهر	» »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَجَلَّةُ الدِّينِ الْحَقِيقِ
—
الْإِشْرَاقِ السَّيْنَوِيِّ
—
٥٠ في مصر والتوزيع
٣٠ للاطلاع في مصر والتوزيع
٦٠ في الخارج
٤٠ للاطلاع في الخارج
٥٠ حق، فن،

مَجَلَّةُ الدِّينِ الْحَقِيقِ
مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخَةِ الْأَرْهَمِ شَرْفِ الْأَوَّلِ شَيْخِ عَرَبِيٍّ

مُتَرَجِّمَةٌ
عَبْدُ اللَّهِ طَيْفِ السَّيْنَوِيِّ
عُضْوَةُ جَمَاعَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ
—
لِلْعُقُولِ
إِدَارَةُ الْجَمَاعَةِ الْأَرْهَمِ بِالْقَاهِرَةِ
تَلِيفُونَ ٤٦٢١٤

الجزء السادس - القاهرة في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٣ - ٥ فبراير ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْجِيلُ الْمَثَالِي

من أيام افلاطون (٤٣٠ - ٣٤٨ ق. م) وكتابه الجمهورية،
ثم من عصر أبي نصر الفارابي (٢٦٠ - ٣٢٩ م) وكتابه المدينة الفاضلة،
إلى زمن السرتوماس مور Tomas More (١٤٧٨ - ١٥٣٥ م) وكتابه
« يوتوبيا » Utopia .

من تلك العصور والأزمان - إلى يوم الناس هذا - والإنسانية تحمل بالجيل المثالي الذي
يود البشر لو يظفرون به فيتخذونه قدوة لهم في السلم والحرب، والمنشط والمكروه، في مختلف
أطوار الحياة، ليكون لهم من كاله الإمكانى، المثل المقتدى به في كالم الإنسان .
هى أمنية من أمانى الشعوب والأمم، من أقدم الأزمان إلى الآن، تحدث عنها الحكماء،
وتغنى بها الشعراء، وترنم بها رخيخ أصوات الهاتفين، وهمس بها صقوة الصارعين والمناجين،
من كل صادق أو باغم .

بل إن « الجيل المثالي » هو الذى دعا إلى تكوينه وحمل على تحقيقه الأنبياء من أولى

العزم ، وهو الذى تنمى الحكماء وأهل العلم ، وهو الذى كانت الإنسانية ولا تزال تنمو إلى شبيهه المرجى فى أحلام يقظاتها وفترات غفواتها .

تريث موسى بقومه فى آفاق العريش وبرية سيناء وصحارى النقب وحوالى بئر سبع أربعين حولا يلتحف معهم بحائب السماء ويفترش أديم الغبراء ، وهو يحاول أن يربى منهم جيلا مثالياً يستن بسنن الله ، ويتخلق بأخلاق الرقى والحزم والتضحية والاستقامة والاعتدال فيرضى بها عن وبه ويرضى ربه عنه ، ثم مات موسى ولما يبلغ من أمته هذه الأمانة ...

وينبغ فى الصين حكيمها الأعظم كونغ فوتس الذى عرفناه من طريق الافرنج باسم كونفوشيوس (٥٥٠ - ٤٧٩ ق . م) ، ولا شك أنه كان من أصدق الدعاة إلى أن يتعامل الناس بالمروءة ، ولكنه لم يرتفع بدعوته إلى تخليص الصين من عبوديتها لابن السماء (الامبراطور) ولما فى السماء من شمس وقمر وكواكب وبحائب ورهود وصواعق وأمطار ، ولا إلى تخليصها من عبادة الأرض وما فى الأرض من جبال وبحار وأنهار ، ولا من أرواح الآباء وما تقيمه فى سبيلهم من حدود وسدود وقيود . وقد أخفق كونغ فوتس (كونفوشيوس) فى كل ما قام به من دعوة فى أرجاء الصين ، فعاد إلى بلده يؤلف الصحائف فى الدعوة إلى المروءة ، وقد رأينا تفصيل ذلك فى كتابه (الحوار ^(١)) . ثم مات كونفوشيوس وليس له من المتأثرين بدعوته إلا عدد قليل من تلاميذه ، وبقيت الصين هى الصين من ذلك الحين إلى الآن ...

وأعلن حكماء اليونان مذاهبهم فى الحكمة وتهذيب النفس ، فصنفوا فى ذلك المصنفات ، وألقوا به الخطب . وقد اشتطوا فى كثير مما صنفوا وخطبوا . وكتاب « الجمهورية » لافلاطون من أبرز الأمثلة على هذا الشطط . ثم انقضى زمن حكماء اليونان وحكمتهم ، دون أن تعمل شعوبهم بما دعوها إليه ، لأن الدعوة والمدعويين للعمل بها لم يكونا أهلاً لذلك ...

وعالج المسيح فى فلسطين عمول مواطنيه من العامة والخاصة ، عن كانوا يقصدون هيكلا

(١) نقله إلى العربية السيد محمد مكيه الميمني عن اللغة الصينية مباشرة باقتراح رئيس تحرير هذه المجلة ونعشره المطبوعة السلفية .

أورشليم ، أو يتسلقون جبل الزيتون ، أو يترددون على شواطئ بحيرة طبريا وحقول أرض الجليل وحدائقها ، فلم يستجب لدعوته إلا عدد ضئيل لا يكاد يسمى جماعة ، فضلاً عن أن يكون أمة .

إن الإنسانية من أقدم أزمانها ، وفي مختلف أوطانها ، لم تشهد « الجيل المثالي » إلا مرة واحدة حين فوجئت بإقباله عليها من صحارى أرض العرب يدعو إلى الحق والخير بالقوة والرحمة ، فكان ذلك مفاجأة عجيبة لكل من شهد هذا الحادث التاريخي الفذ من روم و فرس وآراميين وكنعانيين وعبريين ومصريين وليبيين وبربر وفاندال ولاتين ونيوتون وسكونيين وحقلبيين وغيرهم .

كانت المفاجأة عجيبة — بمصدرها ، وكيفيتها ، وأطوارها — ثم كانت عجيبة العجائب بفنائها التي لا تزال إلى اليوم من معجزات التاريخ .

أين كان هؤلاء ؟ وكيف تكونوا على حين غفلة من الأمم ؟ وما هذه الرسالة التي يحملونها ؟ وكيف نجحت ؟ وما هي وسائل نجاحها ؟

سلسلة من الأسئلة لا يكاد الناس يتسامحون بأولها حتى يفاجأوا بما ينسبهم تاليه أوله ، إلى أن رأوا من صفات هذه الأمة المثالية ما أيقنوا به أنها تحمل إلى الإنسانية رسالة الحق والخير ، وأنها تترجم عن رسالتها بأخلاقها وسيرتها وأعمالها ، وأن الذي اعتقده وتخلقت به ودعت الأمم إليه هو الحق الذي قامت به السماوات والأرض .

وكما تسأل الناس عن هذه العجائب في زمن وقوعها ، ثم أنساهم بعضها بعضاً ، كذلك نحن نتساءل اليوم عن كثير من أسرارها . وبالرغم من ضياع العدد الأكبر من المراجع القديمة فيما احترق مع بيوت الفساطط ومدارسها وجوامعها مدة أربعة وخمسين يوماً ، وفيما غرق بمياه دجلة أيام ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد ، وفيما خسرناه بضياع الاندلس وكوارث الحروب الصليبية ، وفيما فرطنا به في أزمان الجهل والانعطاط — بالرغم من كل هذا — فإن النفوس استيقظت الآن لدراسة أحوال « الجيل المثالي » الفذ الذي عرفته الدنيا ، ولنقد الاصيل والدخيل من أخباره ، وتحليل عناصر الخير التي انطوى عليها ، ومعرفة الأسباب التي صار بها جيلاً مثالياً ، لتستفيد الإنسانية من الاقتداء به ، والتأسي بسننه وأخلاقه وتصرفاته .

وأول ما فعله وتؤمن به من أسباب الكمال في هذا الجيل المثالي أنه تلقى تربيته على يد معلم الناس الخير خاتم رسل الله المبعوث بأكمل رسالات الله ﷺ . إن هذا السبب في طبيعة أسباب الكمال لهذا الجيل المثالي ، لا يشك في ذلك عاقل فضلا عن مؤمن . ولكن يحق لنا أن نتساءل : ألم يكن موسى أحد المبعوثين برسالات الله ؟ ألم ينح لموسى أن يماشر قومه في الحل والترحال معايشة تربية ودعوة أكثر من أربعين سنة ؟ ومع ذلك فقد جاء في « سفر العدد » من التوراة الموجودة الآن في أيدي قومه (١٤ : ٢٦ - ٢٧) ما نصه : « وكلم الرب موسى وهارون قائلا : حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتدمرة علي ؟ » ، ٢٩ « في هذا القفر تسقط جثثكم جميعاً ، المعدودين منكم حسب عددكم ، من ابن عشرين فصاعدا الذين تدمروا علي » .

أين — من أصحاب موسى هؤلاء — أصحاب محمد عليهما صلاة الله وسلامه يوم سار بهم إلى بدر وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ليتجاوزوا ثلاثة أضعافهم من أهل الرجولة والحماسة والبأس ، فلما بلغ النبي ﷺ بهذه القلة القليلة من أصحابه وادى ذفران أراد أن يحتجبر إيمانهم فأخبرهم عن قريش واستشارهم في الموقف ، فقام الصديق الأعظم أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الإسلام فقال وأحسن ، ثم قام فارسهم المقداد بن عمرو (الأسود) الكندي فقال : « يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغناء لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا علي » أيها الناس . فقال له سعد بن معاذ سيد الخزرج وأقوى زعيم في الأنصار : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ » ، قال : « أجل » . قال سعد : « فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك . فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر غطتته لخصناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء لصل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله » . وقد كان عملهم أبين من قولهم وأصدق .

مكذبا كانوا في مواقف البأس وعند الشدائد . ورأيتهم في تحريم الحقوق وإذعانهم للإنصاف والعدل في حياتهم السلبية كما تحدثت عنهم أم سلمة رضى الله عنها — فيما رواه عنها الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه — قالت : « جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث قد درست ليس بينهما بينة ، فقال لهما رسول الله ﷺ إنكم تختصمون إلي ، وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها اسطاما في عذقه يوم القيامة . فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما حق لآخى فقال لهما رسول الله ﷺ أما إذا قلنا ذلك فاذبها ، فاقبسما ، ثم توخيا الحق ، ثم استهما (أى اعملا قرعة على القسمين بعد قسمهما) ، ثم ليحل كل واحد منكما صاحبه ، وهذان الرجلان المثاليان في الإيمان بالحق لا يزال إلى الآن نجمل اسميهما لأنهما من عامة الصحابة لا من خواصهم الممتازين بالفضائل الإنسانية النادرة المثال كالعشرة المبشرين بالجنة وطبقتهم ممن اختصهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمسكنة والمناقب . وهذه الطريقة في تربية محمد ﷺ لأصحابه على محبة الحق واستجابة أصحابه له فيما أحب ﷺ أن يكونوا عليه ، قد أشاعت هذا الخلق في الخاصة والعامة من أبناء ذلك الجيل المثالي ، فلما كانت خلافة الصديق الأعظم رضوان الله وسلامه عليه ناطق منصب القضاء برمز العدالة في الإنسانية — وهو عمر بن الخطاب — فكانت تمر على عمر الأفرس ولا يأتيه اثنان بتفاضيان عنده ، وأى حاجة بهذه الأمة المثالية إلى القضاء والمحاكم وهي أمة الحق ، ومن أخلاقها أن تنحرى الحق بنفسها فلا تحتاج إلى تحكيم القضاء فيه .

بل إن الطبقة الدنيا في هذا الجيل (وأحوالها وأخلاقها معروفة في كل جيل وقبيل) وهم ممن يستطيع الشيطان في العادة أن يغلبهم على إرادتهم في بعض الأحيان فيقعون في زلة يستوجبون عليها الحد الشرعى ، فإن من أعجب ما وقع في تاريخ البشر أن يأتي من يقع في شيء من تلك الزلة من أهل تلك الطبقة إلى رسول الله ﷺ فيعترف له بزلته ، ويلج بلجاجة وإصرار على طلب إقامة الحد عليه (وفي ذلك حنفة) ليتطهر عما دنسه به الشيطان . وكان نبي الرحمة إذا رأى هذا الإيمان العجيب في هذه الطبقة من أصحابه الطيبين يحاول جهده أن يدرأ الحد عنهم بكل ما يجيزه الشرع ، فيأبون إلا أن يتعجلوا عقوبة الدنيا ليتقوا بها عقوبة الآخرة .

وهذه الملاحظة - عن هذه الطبقة بالذات - قد سبق إلى التوجيه بها والتحدث عنها إمام كبير من أئمة أهل البيت من زيدية اليمن ، وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حزمة بن سليمان ابن حزمة (المتوفى ببلدة كوكبان باليمن سنة ٦١٤) نقل ذلك عنه عالم الزيدية في القرن التاسع السيد محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى الوزير (٧٧٥ - ٨٤٠) في كتابه الروض الباسم (١ : ٥٥ - ٥٦) فذكر تلك الطبقة وقال : « إن أكثرهم تساهلوا في أمر الدين بمن يتجاسر على الإقدام على الكبائر ، لا سيما معصية الزنا .. وذلك دأبل خفة الأمانة ونقصان الديانة ، لكننا نظرنا في حالهم فوجدناهم فعلوا ما لا يفعله من المتأخرين إلا أهل الورع الشحيح ، والخوف العظيم ، ومن يضرب بصلاحه المثل ، ويتقرب بحبه إلى الله عز وجل . وذلك أنهم بذلوا أرواحهم في مرضاة رب العالمين ، وليس يفعل ذلك إلا من يحق له منصب الإمامة في أهل التقوى والدين . أي أن طبقة الدماء في ذلك الجيل المثالي - بمن قد يعون في الكبائر - كان لهم من صدق الإيمان والاستقامة على الحق ما يرفعهم إلى مرتبة من يحق له منصب الإمامة في أمة من أهل التقوى والدين ، فكيف بخاصة الصحابة الذين نزههم الله عز وجل عن أصغر المفوقات ، ورفعهم إلى أعلى الدرجات . ولولا أن النبوة ختمت بمريمهم وهاديهم إلى الحق ﷺ لما كان مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أقل من الأنبياء الذين سلفوا في الأمم الأخرى . وإن هذا الذي يتكلم عن الزناة من دماء الصحابة واستحقاقهم لمنصب الإمامة لإمام من أئمة أهل البيت يعنى ما يقول ، ويعلم معنى أقواله . لكنه رأى هذه الطبقة في ذلك الجيل المثالي ، قد صدر عنها من صدق الإيمان ما لم تر أمة من أمم الأرض مثله ، فحكم بعلمه ، وكان منصفاً لنفسه ، وللحق ، ولدعوة الإسلام وآثارها في أهلها الأولين .

وقد علق على كلام الإمام المنصور بالله علامة الزيدية السيد محمد بن إبراهيم الوزير (١ : ٥٦ - ٥٧ من الروض الباسم) قائلا يخاطب قارئ كتابه : « فأخبرني على الإنصاف : من في زماننا - وقبل زماننا - من أهل الديانة سار إلى الموت نشيطاً ، وأتى إلى ولاية الأمر مقراً بذنبه مشتاقاً إلى لقاء ربه ، باذلاً في رضا الله لروحه ، ممكناً للولاية أو القضاء من الحكم بقتله ١٩ وهذه الأشياء تفتي الغافل ، وتقوى بصيرة العاقل . وإلا ففي قول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، كفاية وغنية ، مع ما عضدنا من شهادة المصطفى عليه السلام « بأنهم خير القرون » ، وبأن غيرهم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، إلى أمثال ذلك من مناقبهم الشريفة ومراتبهم المنيفة » .

ونعود إلى المقارنة الأولى بين أمة محمد ﷺ وأمة موسى عليه السلام — وكلاهما من الأنبياء أولى العزم — وموسى أتيح له من الوقت لتربية أمته ضعف الوقت الذى أتيح لمحمد ﷺ في تربية أمته ، فكيف نالت أمة محمد ﷺ هذه المسكرمة فكانت ، الجيل المثالى ، الذى خلده الله عز وجل فى القرآن بقوله فى سورة آل عمران ١١٠ : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، ، بينما الجيل الذى كان مع موسى استحق أن يدمغ بما ورد فى سفر العدد (١٤ : ٢٦ - ٢٧ و ٢٩) كما نقلناه آنفاً عن التوراة التى يطبع منها فى كل سنة ملايين النسخ بكل اللغات ؟

أنا فكرت فى هذا الأمر كثيراً من خمسين سنة إلى الآن ، ومن ذلك الحين وأنا أراقب كل ما يقع عليه نظرى من تحقيقات العلماء وخطرات أفكارهم لأصل إلى حكمة الله فى هذا الامتياز الذى اختص به أصحاب رسول الله ﷺ لجيلهم ، الجيل المثالى ، الوحيد الذى عرفه تاريخ الإنسانية .

فكرت فى معادن الأمم ، ومواهبها ، وبجاياتها ، فراقبتها جميعاً وهى فى بداوتها (أى فى مادتها الخام) قبل أن تطرأ عليها الحضارات والعلوم المكتسبة والصناعات والانظمة الاجتماعية التى هى من صنع التشريع البشرى ، فتبين لى أن الأمة التى منها « الجيل المثالى » فى الإسلام امتازت فى بداوتها على كل أمة أخرى فى بداوتها بسعة المدارك ونضوج العقل ودقة المشاعر وجودة الاخلاق ، وأنها امتازت فى بداوتها بلغة هى أرقى على الإطلاق من كل لغة أخرى للبشر فى طووم البدوى . وكل رقى لآى لغة أخرى غير اللغة العربية هو من أثر الحضارة واتساعها الحادث فى الصناعات والعمران والفنون والثروة ، ولو أن عالماً من علماء اللغات أمسك بيده قلماً بالمداد الأحمر وشطب به كل لفظة فى المعجم الالماني أو الإنجليزي أو الفرنسى برى أنها من الالفاظ التى حدثت بعد التقدم الصناعى أو العلمى أو الاقتصادى أو الفنى ، ولم تكن للألمان أو الإنجليز أو الفرنسيين فى بداوتهم ، لما بق لهذه الأمم فى أكبر معاجمها اللغوية إلا ما يعادل نصف جزء من أجزاء لسان العرب العشرين إن لم يكن أقل من ذلك ، والعرب لما استفحل ملكهم وصارت لهم جيوش عظيمة واصطلاحات عسكرية وإدارية وفلسفية وعلمية وصناعية أبى علناؤهم أن يتحموا على معاجمهم وأصل لغتهم هذه الاصطلاحات الطارئة ، فألفوا كتباً مستقلة للاصطلاحات ، وبقيت معاجم اللغة تمثل أصل اللغة بشواهداها من شعر العرب وحكمهم وأمثالهم فى أيام بداوتهم ، فبى برهان حسى قائم

أمام الأنظار على ما امتازت به العربية بين جميع اللغات التي نطق بها البشر . وما امتازت به الأمة التي ظهر منها ، الجيل المثالي ، إنسانيتها العليا في معاملة الغير وإكرامه بالأمن والقرى وإذا استثنينا ما يكون في حالة الحرب بين القبيلة وغيرها من العرب ، فإن جزيرة العرب من أقدم أزمانها إلى هذه الساعة أعظم بلاد الله أمناً على الإطلاق ، ينقل فيها من شاء حيث شاء فيجد لنفسه قدقاً بجانياً عند كل بصيص ضوء يمشو إليه في الليل ، أو أى خباء يلوح له في النهار ، وله (حق) الضيافة ثلاثة أيام بلا من عليه ولا فضل لمضيفيه . ومن آداب الضيافة عندهم أن لا يسألوا ضيفهم حتى عن اسمه ، وكان عندهم نظام الأشهر الحرم يتمتع فيها القتال بين المتحاربين ، وكان عندهم الأمن المطلق حتى للحمام والظباء وسائر الصيد في داخل أعلام الحرم في جميع أيام السنة ، ولو لقي الرجل قاتل أبيه في أرض الحرم ما كان له أن يروعه أو يرعبه . أنا مقتنع بأنه كما اختار الله ﷺ لأكمل رسالته وآخرها ، اختار كذلك العربية لكتابه الحكيم لأنها أكل اللغات وأغناها ، واختار أيضاً لرسوله أصدق الأمم وأكرمها معدنا وأجمعها للصفات التي تكفل نجاح هذه الدعوة وتقوى بها على حمل هذه الامانة ، فكانت بها خير أمة أخرجت للناس ، وقد دعت إلى الإسلام بسيرتها وأخلاقها وتصرفاتها ، فتعرفت الأمم إلى الرسالة المحمدية بما رأت العيون من سيرة أصحابه أكثر مما سمعته الآذان من بيانهم . وأصحاب رسول الله ﷺ لما استجابوا لهذه الدعوة وتشرفوا بالدخول في الإسلام كانوا متفاوتين في مبلغهم من سجايا أمتهم : فبعضهم كان أسرع إدراكاً من بعض ، وإذا امتاز أحدهم على أخيه بتأحية من نواحي الخير كان لأخيه تأحية أخرى من الخير يمتاز بها كان أبو بكر أسبق من عمر إلى إدراك الحق في دعوة الإسلام ، لكن عمر حتى في أشد عصييته على الإسلام يوم بلغه إسلام أخته وابن عمه وجاء ليطاش بهما طرقت سمعه صيحة من صيحات الحق التي يهتف بها الإسلام ، فبردت عصييته ، وتغلب نزوعه للحق على نزوعه لنصرة الإلف ، فكان — في خلال دقيقتين اثنتين — من أكرم أنصار الحق على الله ، ومن أسرع البشر إلى الاستجابة لنداء الحق . وخالد بن الوليد كان شاباً من أبناء الأعيان من رؤساء قریش سكر بخمرة النصر على المسلمين في أحد ، وعاد إلى مكة نشوان بها ، لكن الحق الذي كان الإسلام يهتف به كان يطرق مسامع خالد ، فتأمل فيه فوجده حقاً ، فترك ثروة أبيه وجاهه ومربط خيله الواسع في مكة وخرج قاصداً المدينة ليدخل في دين الذين حاربهم وانتصر عليهم فلقي في طريقه عمرو بن العاص وحامل مفتاح الكعبة وعلم أنهما مثله قد تبين لهما الحق وخرجا

في طلبه والالتحاق بأهله والجهاد في سبيله ، فقال النبي ﷺ فيهم هند بلوغهم المدينة : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها .

مثل هذه الاخلاق كثيرة جداً في « الجيل المثالي » الذي صنع منه محمد ﷺ أصحابه . ولستنا قلنا نجد ذلك شائعاً في الأمم الأخرى . نعم إن الخير موجود في كل الأمم ، ولكن لا إلى الحد الذي يقوم به الجيل المثالي ، ولذلك كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري في صحيحه (الكتاب ٦١ - الباب الأول) من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » . وما لا شك فيه أن العرب كانوا على وثنية ، ولكن من من الأمم لم يكن عند ظهور الإسلام من أهل الوثنية بمختلف معانيها ؟ إلا أن العرب كانوا أحدث الأمم في وثنتهم ، لأنها طرأت عليهم قبيل الإسلام بمئات قليلة من السنين على يد عمرو بن لحي الخزاعي في خبر طويل لا يتسع المقام للإفاضة فيه . وكانت العرب قبل ذلك من أهل الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل ، وبنو إسماعيل انتشروا من مكة وتوطنوا في جميع البقاع الشمالية من جزيرة العرب إلى أسوار مدينة دمشق . ومن العرب من كانوا على دين شعيب وقد ترك التاريخ لنا نصوصاً في هذا المعنى . وهذه الوثنية الطارئة على العرب لم يكن لها عندهم من الهياكل والسدنة والتهاويل ما يضارع الذي لها عند غيرهم ، فكانوا أقرب أمم الأرض إلى دين الفطرة ، وبذلك استحقوا ثناء الله عليهم فيما جاء بسورة البقرة ١٤٣ : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً . وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع إيمانكم ، إن الله بالناس لرؤوف رحيم » ، وما جاء في سورة الأنفال ٦٤ : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، وما جاء في سورة التوبة ١٠٠ : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » .

نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣ : ٣ طبة السلطان عبد الحفيظ) عن الزبير بن بكار « أن رجلاً قال لعمرو بن العاص : ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في هلك ؟

قال : إنا كنا مع قوم لم علينا تقدم (يعنى أباء ومن هو فى طبقته) وكانوا بمن نوازى حلومهم الجبال . فلما بعث النبي ﷺ فأنكروا عليه ، فلدنهم ، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا ، فإذا حق بين ، فوقع فى قلبى الإسلام ، فمرفت قریش ذلك منى ، من إبطائى عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه ، فبمشوا إلى قتي منهم فناظرنى فى ذلك ، فقلت أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك : أنحن أهدى أم فارس والروم ؟ قال : نحن أهدى (يعنى الصدق والعدالة والأمانة والتعاون المحمود) . قلت : فنحن أوسع عيشا أم هم ؟ قال : هم . قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا فى الدنيا وهم أعظم منا فيها أمرا فى كل شئ ؟ وقد وقع فى نفسى أن الذى يقوله محمد - من أن البعث بعد الموت ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته - حق ، ولا خير فى التماذى فى الباطل ، .

إن المسلمين - بل الإنسانية كلها - أشد ما كانوا اليوم حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وكرم معدنهم وأثر تربية رسول الله ﷺ فيهم ، وما كانوا عليه من علو المنزلة التى صاروا بها ، الجيل المثالى ، الفذ فى تاريخ البشر . وشباب الإسلام معذور إذا لم يحسن التأسي بالجيل المثالى فى الإسلام لأن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والاغراض والبر والزيادة وسوء التأويل من قلوب شغفت بالغل على المؤمنين الأولين فأنكرت عليهم حتى نعمة الإيمان ، وقد أصبح من الفرض الدينى والقومى والوطنى على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات وأن يبادر له ويجهتد فيه ما استطاع ، إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ويجددون عهده ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته .

وهذه المعانى تحتاج إلى دراسات علمية عميقة ، ليقين لنا سر الله فى تكوين هذا الجيل المثالى ، على يد حامل أكمل رسالات الله . وإن مقالا فى مجلة أضيق من أن يلم - ولو بإشارات قصيرة ولحات سريعة - لمثل هذه المعانى التى تخطر على البال فى أثناء المطالعات والتفكير ، ونحن نكتفى بتسجيلها ليتخذ منها أذكىاء الطلبة الأزهريين والشبان الجامعيين مواضع للدراسة والتحصيل . والله الموفق .

حج الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ١٢ -

طالوت.....وجالوت

طالوت في قلة مؤمنة... وجالوت في كثرة غير مؤمنة

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .
نحن وقراءنا على بينة من قبل بأن كتاب الله تعالى يعنى من القصص بجانب العبرة التي
يحتويها البيان ، ويمتدح بها السياق : تبصيراً لنا بوجوه السداد ، وتربية لنا في ضوء الواقع
الذي مر بأسلافنا ، وإقناعاً بأن سنة الله في خلقه لا تبدل ، فالدنيا هي الدنيا وإن تعاقب
أهلها ، وأعمال الناس فيها مقشابة في الخير أو الشر ، فالخير للخيرين ، والشر للآخرين ،
والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من وعظ بنفسه .

وموقفنا أمام قصة طالوت وجالوت موقف الآخذ لنفسه ما يجديها ، ويصلح من شأنها
غير ظانين ما يظنه آخرون من أنها أحداث كانت لغيرنا ، وفي زمن سابق على زمننا ، فليس
القرآن قصد في ذكر قضاياها لمجرد العلم بأنها كانت ، أو للتذكير بتاريخها لحسب .
ونحن بعد هذا التقديم أمام قصة تناولتها الآيات عن بني إسرائيل .

وكم عرض القرآن لشأن هؤلاء في ذكريات بعضها أغرب من بعض ، وأمعن في الضلال
وما لنا بد من الإلمام بما يعرضه القرآن عن بني إسرائيل أو سواهم حتى تستبين عبره
لمن شاء الهداية لنفسه من أفراد وأمم .

والقصة الحاضرة ذات مراحل متتابعة .. ونحن نستقيها من القرآن الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ، مسترشدين بما وعاه المقصرون .

١ — المرحلة الأولى : - أن بني إسرائيل - وكان مقامهم على حدود مصر الشرقية -
طابت لهم الحياة حتى غمرهم الترف في زمن ما ، فوهنت قواهم عن الكفاح ، وتحللت قوميتهم ،
وكان من تغافلهم عن دعم حياتهم بما يدرأ عنها أسباب الانهيار أن طمع فيهم الوثنيون
من أهل فلسطين ، وواجهوهم بحروب لا طاقة لهم بها حتى غلبوهم على نواح من وطنهم

وأخرجهم منها، وفرقوا بينهم وبين بنهم بالتشريد، وأخذوا منهم التابوت الذى يعتزون به من عهد موسى عليه السلام .

والتابوت صندوق صنعه موسى على صفة خاصة كما أمره الله وكان وعاء توضع فيه بعض الوثائق الدينية من التوراة، ومن تقاليدهم يومئذ أن يضعوه فى إبان الحرب أمام صفوفهم فيكون وجوده من أسباب انتصارهم، وكأنه يبارك جهادهم، ويحفزهم على المقاومة، ويعت فيه النشاط وحب التضحية ذوداً عن دينهم، ووطنهم، وأرواحهم، ولكنه ضاع من أيديهم بسبب إخلالهم بواجبهم الدينى، وتقاعدهم عن صيانة الوطن .

٢- المرحلة الثانية — أن رمقا من الغيرة جاش بنفس الإسرائيليين بعد أمد من الزمن، وأن ذكريات الماضى بعثت فى نسلهم أخيراً شيئاً من الحنين إلى استعادة مجدهم واسترداد ماضع منهم ... وكان ذلك على عهد نبيهم شمويل - صموئيل - وهو الزمن الذى ظهر فيه داود عليه السلام ولم يكن نبياً الآن .

نهض الملا منهم - وهم أشرافهم - وطلبوا إلى نبيهم أن يختار منهم والياً عليهم فى الملك، ليتولى قيادتهم فى حروب أعدائهم الفلسطينيين، وكانت أمورهم لا توكل إلى ملوك من قبل، بل كانت إلى الأنبياء وأهل العلم . ولأنه اتجه من الملا إلى نظام غير معهود لم يكن شمويل مطواعاً لهم، وهو فوق ذلك على علم بوهن عزائهم، وغير ناس لما مر من أسلافهم طوال الزمن، وهؤلاء ورثتهم ... والمصا من العصية .

فكان طبعياً ألا يستجيب لهم فى هواده، حتى ألحوا عليه، صارحهم بما يتوقعه من خذلانهم، فهم يرددون عليه قولهم (ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله) وهو يقول (هل عسىم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟) يريد : هل أتوقع منكم نكوصاً عن القتال وتخلفاً عن المهد كما عهد فى أسلافكم ؟

فكان تشككه فيهم، وارتياحه فى وفائهم إغراء لهم بتوكيد العهد، والتبرى مما يتخلجه فى شأنهم، (قالوا : وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ؟) وكان لابد أن ينتهى الجدل إلى قبول مه، وانتظار منهم لما يأتهم به النبى بعد .

وفى هذا الموطن وقبل الدخول فى المرحلة الثالثة تواجهنا آية تتعلق بالطرف الآخر من القصة، ومكانها الواقعى يكون فى النهاية لا فى البدء، وهى قوله سبحانه : قلنا كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين . وهذا لإخبار بنكوص أكثرهم

ولم يكونوا أمروا بالجهاد بعد... وحكمة ذلك التقدير أن الله يعلم من أمرهم أنهم سيشذون ،
وتلك عادات معهودة في بني إسرائيل ، والله - سبحانه - يعجل بإفادتنا لما كان من شأنهم
أخيراً ليرجى الفارى^١ والسامع من التطلع إلى النتيجة ولو على سبيل الإجمال .

وفي التعجيل إجمالاً حافظ على الاسترسال في تعرف التفاصيل ، وبذلك تستقر القضية
في النفس ، ويتنبه الذهن إلى أن المنتظر منهم لا يبعد عن المؤلف عنهم من نكث العهد
والثعلل بالمعاذير ، وشيء من هذا لا ينبغي أن يحدث ممن يزعمون الطاعة ويتمنون إلى دين ...
فالتعجيل بالفائدة كشف عما يخفى على الفارى^٢ إلى نهاية التلاوة ، وذلك غاية في التشفيق
أو التنفير من حسن الظن بهم ولو زمناً قليلاً ريثما يقرأ إلى النهاية .

٣ - المرحلة الثالثة - أن الله تعالى أذن لنبيه أن يختار طالوت ملكاً عليهم ، لما يعلمه الله
من صلاحيته وتوفر صفات فيه لم تكن في غيره منهم (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً)
وكان مفروضاً وم حريصون على مطلبهم أن يتلقوا نبأ ذلك بالترحيب ، وأن يعتبروه مكرمة
من ربهم ، ولكن ما كاد شمویل يطالعهم بهذه البشري حتى ابتدروه بالإنكار ونزعوا إلى
الانانية (قالوا : أنى يكون له الملك علينا .. ونحن أحق بالملك منه .. ولم يؤت سعة من المال) .

فهم يأبون الاعتراف بطالوت ، ويستبعدون اختياره للهلك ، وينكرون صواب هذا
الاختيار ، وإن كان من عند الله كما أخبرهم نبيهم ، لأنه ليس من بيت يساوى بيوتهم ،
وليس ذا مال بينهم ، فلم يكن للجانب الإلهي اعتبار في حسابهم .. وكذلك تقدير العوام غالباً
في أنهم لا يخضعون إلا لمن كان على شاكلتهم ، وينسون ما هنالك من المواهب الشخصية التي
تنهض بصاحبها إلى مصاف الأكابر ، ومقاليذ الحكم .. نعم .. إذا تمهياً لإنسان أن يكون
راجع النفس وأن تكون له المميزات على غيره من الناحية الشخصية كان أجدر بالاعلمة
إليه ، ولكن الأمر في الزعامات منوط بالجانب الذاتي ، أكثر من نوطه بالوراثة كما زعموا ،
وكان حسبهم أنه غير مغموز في بيته ... لذلك قرع شمویل أسماع قومه بذكر صفات أربع
ليست في واحد منهم ، وكان ينبغي أن يراعوها في طالوت .

١ - (إن الله اصطفاه عليكم - فضله - ٢ - وزاده بسطة في العلم - ٣ - والجسم ...

٤ - والله يؤتي ملكه من يشاء) فاستعداده ، وعلمه ، وفراغة جسمه ووجاهته ، واختيار الله له
لذلك كافية لاقتناعهم لو كانوا ينصفون .

وكان من تمام الاحتجاج عليهم أن يلفتهم إلى أن ذلك كله من شأن الله وحده فهو - سبحانه - يقضى في شئون عباده على ما يرى ويعلم وعلى مقتضى علمه الواسع ، وحكمته السامية (والله واسع عليم) .

ويبدو أن نفوس القوم لم تسكن إلى هذا التوجيه ، وظلت تساورهم الحيرة والريبة فأتاهم شويل بحجة أخرى تزيدهم ركونا واطمئنانا ، فلا يتبادون في المسكابة ، وساق لهم في ذلك بشرى جديدة بانتزاع الانانية من نفوسهم ، وهى عود التابوت إليهم قبل أن يتكلفوا لها حربا لعدوم (وقال لهم نبيهم : إن آية ملكه أن يأتكم التابوت ، فيه سكنة من ربكم ، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، تحمله الملائكة ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) . ونحن ما نسيئا أن أخذ التابوت من أيدي أسلافهم كان من أفدح الخطوب عليهم ، فضلا عما أصابهم من ويلات الحرب ، وإخراجهم من ديارهم وأبنائهم .

فإذا أكد لهم النبي أن الامارة الصادقة على تولية طالوت وتأيد الله له أن يعود إليهم التابوت ، وفيه ما كان فيه من آيات الله التي تسكن بها النفوس ، ويرداد الإيمان ، وفيه كذلك ما كان فيه من آثار موسى وهارون ، وأنه سيأتي إليهم وهم في ديارهم . . إذا أكد لهم ذلك ثم صدق خبره فجاء التابوت وجب أن تزايد الشكوك ، ووجب أن يكونوا عند عهدهم الاول فيستجيروا للملك إذا دعاهم ، ويتابعوه إذا خرج بهم للقاء عدوهم واسترداد ما ضاع من ملك أو متاع .

فهل جاء التابوت ؟ وهل صدقوا ما عاهدوا النبي عليه ؟؟

نعم جاء التابوت ، وكما صرحنا الآية : كانت تحمله الملائكة . . وتفسير هذا على ما نقله العلماء : أنه جاء على عربة يجرها بقرتان ، وليس مع العربة سائق ، وإنما كانت تسير بتوجيه الله ، وفي كفالة الملائكة حتى وصلت إلى بني إسرائيل كما وعدهم نبيهم . .

والسبب في رد التابوت أن الوثنيين من أهل فلسطين أيقنوا أن التابوت كان شؤما عليهم منذ اغتصبوه ، فأصابهم الأمراض ، وأكلت زروعهم الآفات ، ولم يكن فيه نفع لهم كما توقعوا ، وكما كان يمنا وبركة على بني إسرائيل ،

فلم يروا بدا من حمله على عربة ، وإطلاقها تأخذ طريقها إلى مقام الإسرائيليين في وطنهم وهذه أفاعيل القدر الإلهي ، ولا يبعد على الله شيء وإن تعاضلته العقول .

فيما صنع بنو إسرائيل . . هذا مبدأ المرحلة الرابعة . . وسنعود إليها إن شاء الله .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

١٩٧٨
٢٥
١٩٧٨
٢٥



الْبَيْتَةُ

الإصلاح بين الأكابر

حاجتنا إلى هذا الإصلاح - من ذا الذي يضطلع به؟ - إما كم والحالفة -
لابد للآدم الناهضة من سياسة الحسن وكياسة معاوية - من نبل السادة
نبد الخصومة عند الشدائد - دعوة السادة إلى زكاة السيادة.

عن أبي بكر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ، والحسن
ابن علي إلى جنبه ، وهو يُقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : « إن ابني هذا سيد ، ولعل
الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . رواه البخاري .

• • •

في أول جزء من المجلد الثامن عشر قررنا حديث الصحيحين « ليس الكذاب الذي يصلح
بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً . . . » وبيننا هناك فضل الإصلاح بين الناس عامة ،
وإلى أي مدى دعا الإسلام إليه ، وأعد لأهله من الأجر العظيم والخير العميم . . ثم قلنا
في خاتمة الشرح : إن الإصلاح بين الناس جزء من شرائع الأنبياء والمرسلين ، بل إنه عماد
دهونهم وأساس رسالاتهم ؛ وما أحوج البشر — وقد اصطخب بينهم المأرك ، واشتعلت
فيهم نيران الخصومة — إلى من ينهج في إصلاحهم منهج التبيين ، ويستار فيهم سيرة
الصادقين المخلصين « وما ذلك على الله بعزيز » .

ونريد أن نقصر القول في هذا الحديث ، على صف خاص من هذا الإصلاح العام
نرى أن أمنا الإسلامية — التي كانت في أوج مجدها أمة واحدة — أحوج ما تكون إليه
ونعني به الإصلاح بين سادة كل أمة وكبرائها وأولى العلم والأمر فيها ، ثم الإصلاح

بين أكابر الأمم وساداتهم ، فإنهم الذين إذا صلحوا صلح الناس جميعاً ، وإذا فسدوا فسد
الناس جميعاً .

وليس هذا الإصلاح الخاص الذي نعينه ، وتدعو إلى الاضطلاع بعينه ، ونمهد له منذ
زمن بعيد - ليس بالأمر اليسير الهين ، الذي يضطلع به كل فاضل خير ؛ ولكنه أمر عظيم جد
عظيم ، لا يضطلع بخطر من السادة التجب ، إلا من أخذ من النبل والفضل ، والهدى
والتقى ، والحزم والعزم ، بحظ عظيم .

ولئن كان الحسن بن علي رضي الله عنهما نسيج وحده في السادة المصلحين ، إن من بعده
قلة تهيج منهجه سداداً ورشداً ، وتدعو بدعوته حقاً وصدقاً ، حقناً للدماء ، وصوناً
للأعراض والأموال ، وحرصاً على ذات البين أن تفسد ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة .
بهذه القلة الكريمة المباركة يرجي للأمر صلاحها ورشادها ، وإلى هذه القلة الكريمة
المباركة توجه - أول ما توجه - ببيان هذه المنقبة العظمى : منقبة الإصلاح بين الأكابر
التي بشر بها النبي ﷺ علماً من أعلام بيته ، فانتدب لها ، وكان أحق بها وأهلها ،
بل كان إمام الأئمة الذين جاءوا من بعده من الهداة المصلحين .

كل الناس يعلم من هو الحسن ؟ وكل الناس يعلم مكانه من رسول الله ﷺ وكثير
منهم يود لو يتخلق بخلق الحسن رضي الله عنه ويقتدى به وبجده صلوات الله عليه وسلامه .
ولكن القليل النادر هو الذي يقدر هذه الأخلاق النبوية قدرها ؛ وأقل من هذا القليل
النادر من يحتملها ، ويصبر عليها ويوفيقها حقها . ومن ذا الذي يستطيع أن يرفض الملك ،
والملك يسعى إليه ؟ أو يعرض عن الدنيا ، والدنيا مقبلة عليه ، إلا الحسن وأمثاله ١٩ من
هذه الفئة القليلة النادرة ، التي يصطفى الله الواحد بعد الواحد منها ، فيجدد به للأمة أمر دينها
ويجمع به شملها ، ويحييها بعد موتها ، من الآلى يهون الدنيا على خصاصة وخبرة ، ويرجون
الآخرة على بينة وعبرة ، ويدعون إلى الله على هدى وبصيرة .

وإذا آمنا إيماناً لا ريب فيه بما بشر به النبي ﷺ أمته ، من سيادة رتبته الحسن ،
وتحقيق منقبة الإصلاح الكبرى على يديه ، ثم آمنا أن هذه الإشارة العظمى ووقوعها علم

من أعلام النبوة - فلتؤمن كذلك إيماناً لا شك فيه بتحقيق بشارته صلوات الله وسلامه عليه لمعاوية رضي الله عنه ودعائه له إذ قال اللهم اجعله هادياً مهدياً وأهدني ، اللهم عليه الكتاب والحساب وقه العذاب ، وقد استجاب الله لثنيه عليه السلام فحدثنا التاريخ المنصف الصدوق أنه كان يهديه وحله ورققه وسياسته وكياسته ، أجدر الناس بالخلافة والملك طول ولايته ، وأرغام للأمة وأعظمهم بلاء في دين الله ، وأكبرهم شأنًا وسلطاناً في عين عدو الله وما هو ذا ملك الروم يزحف إلى حدود الدولة الإسلامية بمجد عظيم ، ومعاوية في معمة القتال مع علي بصفين ، فيكتب إليه معاوية منذراً فيقول : والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت . فيخاف ملك الروم ويتكف .

وإن تكن له أخطاء يبالغ فيها ويحسمها من لا يبالي أن ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يغفرها له بجانب ما قدم للإسلام والمسلمين من جهاد وفتح ، وإعزاز وقوة .

وما لنا تؤمن ببشارة النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بما أجرى الله على يديه من هدى وإصلاح ، ولا تؤمن ببشارته صلى الله عليه وسلم لمعاوية وقد مهد لهذا الإصلاح نفسه وكان شريكاً للحسن فيه ؟ فقد حدثنا التاريخ أنه لما تهايت العتسان العظيمتان للقتال أو كادتا ، أسف معاوية أسفاً شديداً وخاف على المسلمين الهلاك ، وقال فيما قال : من لداري المسلمين ونسائهم وضعفائهم ! ثم أرسل رسولين من قريش من ذوى الشأن والرغبة في الإصلاح ، وفوض إليهما الأمر في كل ما يريان وفي كل ما يطلب الحسن من مال ، لترضية الثائرين ، وتعويض الغارمين ، وتسكين قن كقطع الليل المظلم ، حتى لقد روى المؤرخون أن معاوية أرسل رسوليه ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها ، وكتب إليه أن اكتب إلي في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها بما شئت فهو لك . وما ذاك إلا لشقيقته على المسلمين ، ورحمة بهم ، وحقنا لدمائهم ، وقد تواتر أنه رضي الله عنه ما كان يضع سيفاً حيث يغنى عنه سوط ، وما كان يضع سوطاً حيث تغنى عنه كلمة ، لا جرم أنه لا يقاتل حتى لا يجد من القتال بدأ .

وما هو ذا البخاري يحدثنا بسنده حديث هذا الصلح فيقول :

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال حدثنا سفيان عن أبي موسى ، قال سمعت الحسن [البصري] يقول : استقبل - والله - الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص والله إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ؛ فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - أى عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ... من لى بأموال الناس ١٤ من لى بنسائهم ١٤ من لى

بضيعتهم ١٩ فبعث إليه رجلين من قريش ، من بنى عبد شمس : عبد الرحمن بن سمرة ، وعبد الله ابن عامر بن كُـرَيز ؛ فقال اذهبا إلى هذا الرجل ، فاعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا إليه . فأنياه قد خلا عليه ، فتكلما وقالاه فطلبا إليه ؛ فقال لها الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عانت في دمائها ^(١) . قالوا فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك . قال : فن لي بهذا ؟ قالوا : نحن لك به ، فاسألها شيئا إلا قالوا : نحن لك به ، فصالحه . فقال الحسن [البصري] ولقد سمعت أبا بكره يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ... الخ الحديث .

هذا نص رواية البخاري في كتاب الصلح ؛ ورواها في كتاب الفتن مختصرة ^(٢) وكلتا الروايتين — وناهيك بهما صحة وقوة ووثوقا — شاهدة على صدق رغبة الحسن ومعاوية ورسوله في الإصلاح بين الطائفتين ، وأن اشتراكهم جميعا في هذه المحمدة التي تعاونوا عليها من أجل المحامد التي تدخر في صحائف المصلحين ، وتسجل بمداد من النور والشرف في سجلات الخالدين .

ولما سلم الحسن لمعاوية الأمر بإياعه على إقامة كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ، ودخل معاوية الكوفة ، وبايعه الناس أفواجا ، وسمى عام هذه البيعة عام الجماعة ؛ لاجتماع المسلمين بعد الفرقة واتلافهم بعد التفرقة ، وسلّ سيوفهم لحماية الدعوة الإسلامية ، بعد أن عطّلها قتلة ذى النورين رضى الله عنه بضع سنين . وبايع معاوية كل من كان معتزلا للقتال ، من أمثال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم . وأجاز معاوية الحسن بثلاثمائة ألف ، وألف ثوب ، وثلاثين عبدا ، ومائة جمل .

ولما تنازل الحسن لمعاوية رجع إلى المدينة ؛ وولى معاوية الكوفة المغيرة بن شعبة ، والبصرة عبد الله بن عامر ، وهو أحد رسوله إلى الحسن ، ورجع هو إلى دمشق .

ولم يبال الحسن رضى الله عنه أن يجترأ عليه بعض السفهاء من دعاة الفتنة ، فيقول له وقد تم الصلح : يا عار المؤمنين ! فيجيبه بحواب من قبس النبوة : العار خير من النار . .

(١) فيحتاج إرضاءها في دمائها إلى مال كثير ، وكان رضى الله عنه جوادا كريما لا يدخر شيئا وقد راعى هذا الكرم معاوية عند الصلح .

(٢) وروى الحديث مقصودا على سيادة الحسن وإصلاح الله به في علامات النبوة ، وفي فضل الحسن . وللناسبات في هذه اللوازم الأربعة ظاهرة .

ولئن كان لم الشمل ، وجمع الكلمة ، عاراً عند السفهاء ، إتنا لرحب بهذا العار ونقر به عينا ، ونطيب به نفساً .

أما بعد ، فليس من شأنا في هذا المقام أن نطيل بذكر الأحداث التي جرت في ذلك العهد ولا أن نرجع بعض الروايات المتضاربة فيها على بعض ، ولا أن نفاضل بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما في أمر الخلافة أو الملك ، ثم نقضى لاحدهما بأنه أجدر به من صاحبه وأحق ؛ فإلى شيء من ذلك قصدنا . . وإنما الشأن كل الشأن أنهما اشتركا في الصلح بين المسلمين وتعاونوا عليه ، حقناً للدماء ، وصوناً للحرمان ، وقصداً إلى السداد والرشاد ^(١) .

وإذا كان من سيادة الحسن ، وعظيم ورعه ، ورغبته فيما عند الله عز وجل ، أن يدع الأمر لصاحبه وهو أحق به منه ، بعد أن بايعه أربعون ألفاً على الموت - فن سياسة معاوية وكياسته وجدارته باضطلاع هذا الأمر ألا يعرض جيشه ، وهو أطوع له من جيش الحسن له ، للمركة يسيل فيها دم ، أو تقطع فيها رحم ، أو يشمت بالإسلام فيها خصم . ولكل منهما مقام معلوم ، لا يمارى فيه من كان على حق . ولولا كتاب من الله سبق باستشهاد الحسين رضي الله عنه ، لاستمع للناصحين له بالألا يخرج ، وعلى رأس نصحائه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ، ولتهج منهج أخيه الحسن في الأخذ بالحيلة ، وإمعان التبصر في العاقبة ! ولكن أي الله إلا أن يكون الحسن في الرعيل الأول من سادة الحكماء ، وأن يكون الحسين في الصف الأول من سادة الشهداء .

وفصل الخطاب فيما ندعو إليه سادتنا وكبراءنا ، وأولى الفضل والنيل منا - وهم من وصفنا بالقلة الكريمة للباركة - أن يؤدوا زكاة السيادة كما أداها الحسن كاملة ، بالإصلاح النقي الجلي ، وبالشفاعة الحسنة الخالصة ، وبالدعوة الجادة الصادقة إليهما ، ما استطاعوا إلى الجهد والصدق سيلا .

طه محمد الساكت

(١) من أهم مراجعتنا في شرح هذا الحديث : كتاب المواسم من القوام ، في تحقيق مواقف الصعابة . قفاضي أبي بكر بن العربي ، بتحقيق السيد محب الدين الخطيب .

ابن سيرين

المتوفى سنة ١١٠

ذلك إمام جليل من أئمة التابعين يشبه إماما جليلا من أئمة التابعين سبق تناولى له على صفحات هذه المجلة الفراء (سعيد بن المسيب) ، بينهما مشابه طيبة الشكول فى نواح عدة . هل أنه إن فات ابن سيرين أن يكون أفضل التابعين أو سيدهم كما قالوا عن سعيد بن المسيب ، لقد أجمعوا على أنه أروع التابعين ، وأبعدهم عن شبهة الحرام . وقالوا إنه أصدق من رأوا وحدثوا لهم . وإن فات ابن سيرين أنه كان يرجع إليه صحابى جليل هو عبد الله بن عمر فى فتاوى عمر كسعيد بن المسيب فذلك لأن ابن سيرين لم يعاصر عمر وإنما عاصره سعيد وعكف على نقل أخباره وأحكامه حتى كاد يسمى راوية عمر ولم يراحه أحد من التابعين فى ذلك فيما نعلم .

هما يشتركان بعد فى أكثر المعانى التى تتوفر فى رجال العلم والدين : تتلذذ كل منهما لكثير من الصحابة ، واختص ابن سيرين بمولاه أنس العالم الحافظ الراوية ، كما اختص ابن المسيب بصهره أبى هريرة العالم الحافظ الراوية وأخذ كل منهما عن صاحبه علما جما ، مع الاستعداد الخصيب العجيب . على أن كلا منهما تتلذذ لأستاذ الآخر وأخذ عنه بعد ذلك الاختصاص والملازمة . كان كل منهما يعبر الرؤيا تعبيراً خارقاً عجبياً عبقرياً ، وقد طعن الأستاذ أحمد أمين فى براعة ابن سيرين فى ذلك أو نفى دلالة المصادر عليها ، وسترى مناقشته أثناء البحث .

وجمع كل منهما بين الحديث والفقه والورع والعبادة والزهد والتعفف عما فى أيدي الناس والتماس الرزق فى التجارة وفى تجارة الزيت . ثم كانا متعاصرين يسبق ميلاد أحدهما - وهو سعيد - بما يقرب من تسع عشرة سنة ، فقد ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ثم توفى سنة ٩٤ فى خلافة الوليد بن عبد الملك . وأما ابن سيرين فقد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وتوفى سنة ١١٠ فى عهد هشام بن عبد الملك عن إحدى وثمانين سنة .

ومهما يكن من أمر فلقد كان كل منهما مثال المسلم الفاضل من خيار العالمين فى خيار القرون .

كان سيرين والد محمد بن سيرين عبداً لأنس بن مالك الصحابي الكريم ، أخذه من سبي عين التمر الذين ظفر بهم خالد بن الوليد أثناء توغله في الفتح في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ففرقهم في الناس فكان سيرين حظ أنس .

قال ابن خلكان وهو يترجم ابن سيرين : وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق طيبها ثلاث من أزواج النبي ﷺ ودعوا لها ، وحضر لإملاكها ثمانية عشر بدرهما فيهم أبي ابن كعب يدعو وهم يؤمنون .

وإذا فقد كان من الموالى الذين نبثوا في أحضان حملة لواء الإسلام من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ففسر نفسه في بوتقة الدين ، وغرس شخصه في تربة العلم الصحيح ، وهو غراس كريم صالح ، لا يفشد إلا العلم والدين . لقد كان ابن سيرين غريباً لا نسب له إلا التقوى ، ومتواضعاً يرفعه ما يرفع الذين آمنوا والذين أتوا العلم ، ولم يزل التواضع أساس العلم والهدى ، والسيل حرب للسكان العالي . ذلك في التحقيق — مع الاستعداد الحصيب — هو الذي جعل من الموالى حملة لواء العلم والأدب في المسلمين . ثم إذا شئت أن تتبع في التاريخ صفات ابن سيرين لتتخذ منه أسوة صالحة ، ومثلاً مهذباً ، ودراسة واعظة ، فستقف له على خصال ومزايا أهمها ما أسوق لك :

(١) الفقه في الدين :

وقد كان رضي الله عنه فقيها بكل ما تحتمله الكلمة من معنى . وكان إماماً في الأحكام ومرجعاً إذا أشكلت المسائل ، بقى على غرار ما أخذ عن أئمة العلم ومبليغيه من الصحابة والتابعين المعاصرين ، أخذ عن أنس مولاة كما علمت ، وأخذ عن أبي هريرة في حلقته مع ابن المسيب وأبي سلمة والاعرج وأبي صالح وطاوس ، وأخذ عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين ، وانقطع لشرح القاضي من التابعين ، ومن شريح ؟ لقد كان مضرب المثل في الذكاء ، والفقه والقضاء ، استقضاء عمر بن الخطاب ، ومن عمر بن الخطاب ؟ وظل في القضاء على ما قالوا خمسا وسبعين سنة لم يتعطل إلا ثلاث سنين منذ فتنه ابن الزبير ، ولا نطيل في هاته الناحية ، وإنما نجمل واسطة عقدها شهادة الإمام الشعبي المعاصر : عليكم بهذا الأصم . وأشار إلى ابن سيرين وكان في أذهنهم .

(٢) تعبير الرؤيا:

وهي ناحية مستفيضة عن ابن سيرين شهر بها كثير من الكافين الثقات عنه كالحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب، ونقل ذلك عن الثقات، وأبي نعيم في الحلية، وزكاه بذكر غرائب عنه. وقد عرف ذلك السيد المرصني في كتابه رغبة الآمل وقال: إنه علامة في التعبير. فما ذكره الأستاذ أحمد أمين في كتابه لجر الإسلام^(١) من قوله: وقد اشتهر فيما بعد بتفسير الأحلام وزيف عليه كتاب في ذلك، ولكننا لا نجد أثراً لشهرته في كتب المتقدمين أمثال طبقات ابن سعد، وهذا الذي ذكره الأستاذ لا يفتي ما شهد به الأوائل وما رووه عنه من الغرائب بالأسانيد. نعم أنا أعتقد أن الكتاب مزيف عليه، ولكن ذلك على الأستاذ لا له لأن الزيف للترويح، والترويح إنما يكون بالمألف المعروف. فهل نستطيع أن نقول للأستاذ: إننا وجدنا لك أثراً في كتب المتقدمين يؤيد شهرة ابن سيرين بالتعبير. فأما ما ذكره أبو نعيم في الحلية من غرائب تعبيرات ابن سيرين فإنا نكتفي بإيراد بعضه واثمين من نقل هذا الحافظ في مثل ذلك.

١ — روى أبو نعيم بسنده إلى خالد بن دينار قال: كنت عند ابن سيرين فأتاه رجل فقال: يا أبا بكر رأيت في المنام كأنني أشرب من بلبلة لها منقبان، فوجدت أحدهما عذياً والآخر ملحاً. قال ابن سيرين: اتق الله، لك امرأة وأنت تخالف إلى أختها.

٢ — أن رجلاً قال لابن سيرين: رأيت كأنني أبول دماً قال: تأتي امرأتك وهي حائض؟ قال: نعم. قال: اتق الله ولا تعد.

٣ — أن رجلاً رأى في النوم كأن في حجره صيا يصيح، فقص رؤياه على ابن سيرين فقال: اتق الله ولا تقرب العود.

٤ — أن امرأة رأت في المنام أنها تحلب حية فقصت على ابن سيرين فقال: اللب فطرة، والحية عدو وليس من الفطرة. هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء.

٥ — رأى الحجاج بن يوسف في منامه كأن حوراً^(٢) أتته فأخذ إحداها وفاته الأخرى، فكتب إلى عبد الملك فقال: أبشريا أبا محمد هنيئاً. فبلغ ذلك ابن سيرين فقال: أخطأت استه الحفرة. إنما هما فتتان يدرك إحداها وتقوته الأخرى، قال: فأدرك الجماع وفاته الأخرى.

٦ — جاء رجل لابن سيرين فقال له : رأيت كأنى ألقى عسلاً من جام من جوهرة . فقال : اتق الله وعاود القرآن فإنك رجل قرأت القرآن ونسيته .

٧ — قال رجل لابن سيرين : رأيت كأنى أحرث أرضاً لا تثبت . قال : أنت رجل تمزل عن امرأتك .

٨ — قال له رجل : رأيت كأنى أغسل ثوبى وهو لا يثق . فقال : أنت رجل مصارم لاختيك .

٩ — قال له رجل : رأيت كأنى أطير بين السماء والأرض . فقال : أنت رجل تكثر المني .

١٠ — قال رجل : إني رأيت كأن على رأسى ناجاً من ذهب . فقال له ابن سيرين : اتق الله ، فإن أباك فى أرض غربة ، وقد ذهب بصره ، وهو يريد أن تأتبه . فإرادته الرجل الكلام حتى أدخل يده فى حجزته فأخرج كتاباً من أيه يذكر فيه ذهاب بصره وأنه فى أرض غربة ويأمره أن يأتبه .

وهذه عجائب كانت يعين عليها سلامة الفطرة وحدة الذكاء ومعرفة الكنايات والتقاط الدلالات .

(٣) الذكاء :

كان فى هذا الرجل ذكاء عجيب ، قد رأيت بعض صورته فى تعبير الرؤيا . ومن يتبع أخبار هذا الإمام وفناويه وأقواله ومخاوراته للناس على اختلافهم يتجلى له ما أوتيته ذلك الإمام من ذكاء . لقد كان ذكاء فطرياً ، وذكاء مكتسباً ، وذكاء روحياً رياضياً . تجمعت هذه كلها لذلك الإمام فكان نمطاً عجيباً فى بابه .

ليس عجيباً أن يكون فيه وفى أمثاله الموالى الذكاء الفطرى ، فإنهم عناصر نفاذة دراكه متعمقة بالفطرة ، وذلك مع مدنيته مما جعلهم يتفرغون لنقل العلم والتصرف فيه بالتأليف والتصنيف والتوليد العجيب .

وليس عجيباً أن يكون لابن سيرين ذكاء عقلى كسبى وهو الرجل الممتاز فى حرصه واجتهاده ومحبة لائمة العلم والدين ، ومن كانوا فى الذكاء من المعرفين ولا سيما شريح .

ولم يكن عجيباً أن يكون في ابن سيرين ذكاء رياضي رواسي يحيى من إشرافات التقوى ، والزهد في الدنيا ، والإقبال على الله .

ومن أخلص لله أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، فذا ظنك بمن وهب نفسه لله واحتمل في ذاته كل بلاء (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) . وأذكر أن الفقهاء يشترطون التقوى في الاجتهاد الفقهي لأن من المشاكل ما لا يحل إلا بالإلهام والتوفيق الإلهي الذي خصه بالمتقين ، ولأن الاجتهاد لإمامة وهي أمانة ودين . ولقد تعاونت هذه الناحية مع الورع الذي سأحدثك عنه في ابن سيرين ، فكان شفاء ورحمة للمؤمنين ، ومن مفاتيح الخير والفرج للصادقين ، وكان سلاماً على الناس ، وما أحسن العلم والدين إذا اجتماعاً ، وأقبح أن ينفرد أحدهما كما قال على كرم الله وجهه : قصم ظهري رجلان ، جاهل بنفسك ، وعالم متهتك .

أما صور الذكاء من أخبار ابن سيرين فتجلى في حضور البديهة وسلوك المذاهب الكلامية المفحمة كما ترى في هذه الجزئيات :

سئل عن يسمع القرآن فيصعق . فأجاب بقوله : ميعاد ما يبتنا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن كله فإن سقطوا فهم كما يقولون . وهذا الكلام يحتمل المناقشة ولكنه رضى الله عنه علم أن الكثرة من هؤلاء مرادون مبتدعون يفعلون ما لم ينقل عن أئمة الدين من الصحابة والتابعين . والمرأى بمثل ذلك يفهم .

وكان مسلم بن قتيبة يزور الإمام على بردون ، ثم أتاه يوماً راجلاً ، فقال له : ما فعل بردونك ؟ قال : بعت . قال : ولم ؟ قال : لمؤنته . فقال : أترأه خلف رزقه عندك ؟ وهذا جواب طريف جداً يلحمه مع وجازته بين الإخفاء وقوة الإيمان ، والتوكل مع الفسكاهة المخرجة .

وادعى عليه رجل درهمين فأنكر ، فقال الرجل : تخلف ؟ قال : نعم . فقيل له : يا أبا بكر من أجل درهمين ؟ قال : لا أطعمه حراماً وأنا أعلم . وعكس ذلك ما روى عن عثمان رضى الله عنه أنه افتدى نفسه من يمين في مثل ذلك ، غرط في ذلك فقال : أخاف أن أبتلى ببيلة فيقول الناس : ذلك ليمينه الفاجرة ، ولكل وجهة . على أن ما فعل ذو النورين يشبه مذهبه في الحياء . وما فعل ابن سيرين يشبه مذهبه في الورع والدقة . ولقد حق ما قال عثمان من البلاء فصدقت فراسته وسلم رضى الله عنه .

وروى أبو نعيم في الحلية بالسند إلى السري بن يحيى أنه قال لابن سيرين : إني قد اغتبتك فاجعلني في حل ، فقال : إني أكره أن أحل شيئاً حرمة الله . لم يكن رحمه الله يحبل أن من أحل شيئاً وصفع عن مذنب فلا حرج ، بل ذلك أعون لأخيه المؤمن على الخلاص من زلته ، ولكنه رضى الله عنه رأى أن ذلك أيضاً أعون على تهذيب أخيه حتى لا يعود ، وهو أخرى ألا تشيع مساءة الإساءة ، وهى وجهة كريمة تدن على فطنة كريمة .

ترى ابن سيرين يوصى بالوصاة فى وقتها المناسب ذات أثر بين فى الإفادة وذات أثر بالغ فى العظة ، لأنه يتوخى ذلك من أقرب سبله ، فيقول للسافر فى التجارة : اتق الله واطلب ما قدر لك من الحلال ، فإنك إن تطلبه فى غير ذلك لم تصب أكثر مما قدر لك . ويقول لمن يسمعه يسب الحجاج : مه أيها الرجل ، فإنك لو قد وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج ، واعلم أن الله تعالى حكم عدل ، إن أخذ من الحجاج لمن ظله فسوف يأخذ للحجاج من ظله ، فلا تشغلن نفسك بسب أحد . هو لا يبق على الحجاج ولا شخص بعينه ، ولكن هذه دقة الإمام وفطنته وحسن توجيهه بالجديد من المعانى فى الأغراض المعروفة ، وإلا فإنه يحتقر الحجاج فى نفسه ويدل على ذلك قوله آخر العبارة : لا تشغلن نفسك بسب أحد من الناس .

ويقول لمن هو بصدد أن يستقبل أخاه ويتعرض لوفوده عليه : لا تكرم أخاك بما يشق عليك .

وترى ابن سيرين يعلم الناس حسن التصرف ويفصح لهم بحال الترخص إذا الجأت مناسبة أو عرضت عارضة ؛ فيقول : الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف . ترى أن لك أن تنظر وتداعب مع الاحتفاظ بالصدق ، وذلك أن تسلك ملك التعريض والكناية . ويقول لمن سأله عن يقبح الجنازة حياء من صاحبها : أله أجر ؟ قال ابن سيرين : أجر واحد ؟ بل له أجران : أجر للصلاة على أخيه وأجر لصلته الحى . لله دره فقيها لا يقتط الناس من رحمة الله ولا يسد أمامهم باب خير ، وكذلك تكون الفطنة والذكاء فى الأئمة العلماء . قال الفضيل بن عياض قال الحسن : إنما هى طاعة الله أو النار . وقال ابن سيرين : إنما هى رحمة الله أو النار .

كان ابن سيرين يدعى إلى الولية فيلتزم أن يحجب ولكنه كثيراً ما يعتذر عن الطعام

بمائع ما ولديه المعارض فإنه لم يكن يأكل طعام كل الناس ، على أنه كان إذا شاء أن يأكل بدأ بيته فتناول فيه شيئاً من الحساء لتلا يحمل حرجوه على طعام الناس . وهذا تصرف العالم الكريم الورع اللقي .

(٤) الورع والنحرى :

وقد تمت لك في صدر هذا المقال أن ذلك مما أجمع الناس عليه لابن سيرين . كان هذا الإمام يكلف نفسه في سبيل التورع ما لا يطيقه الناس ، وعرف ذلك فيه عرفانا بيّنا .

قال أبو قلابة وذكر عنده محمد بن سيرين : وأبنا يطيق ما يطيقه ؟ إنه يركب مثل حد السنان . وما ظنك بسفيان الثوري ^(١) ذي التاريخ الناصع ومحبي السنة في عهده ومن أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته ، إنه يعترف له فيقول : لم يكن بصرى ولا كوفي في مثل ورع ابن سيرين . ومؤرق العجلى يقول : ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه ولا أورع في فقهِه من محمد بن سيرين . والمزني يقول : من سره أن ينظر إلى أورع أهل زمانه فليُنظر إلى محمد بن سيرين ، فوالله ما أدركنا من هو أورع منه . وهشام بن حسان يقول : ترك محمد بن سيرين أن يفتي في شيء ما يرون به بأساً ، وكان يتجر فإذا ارتاب في شيء من تجارته تركه حتى ترك التجارة .

هكذا كان ذلك الإمام ، وكذلك يكون أو يقارب من يتخذ في الصالحين الأسوة الحسنة ، فقل للمتجرين على اختلافهم وللقشاشين في معاملاتهم : هلم إلى مائدة الورع التي هي خير لكم وأجدى عليكم ، والله هو الرزاق ، لقد حبس ابن سيرين في الدين لأنه لم يستطع أن يسير في التجارة لكثرة ما أخذ به نفسه من الورع والحيلة ، فكانت كلها خسرانا عليه ، ولكنه ربح سعادة الآخرة والثوبة التي لا تعد لها مثوبة ، اشترى بأربعين ألف درهم زيتا فوجد في زق منه فأرة فتوهم أن الفأرة كانت في المعصرة التي أخذ منها الزيت فيكون الزيت كله نجسا فصب الزيت كله . ؟

(١) الامام المجتهد سفيان بن سعيد الذي كان يشبه بصير بن الخطاب وعبد الله بن عباس . راجع

وقال هشام : إن ابن سيرين اشترى يعباً فأشرف منه على ثمانين ألفاً فعرض في قلبه منه شيء فتركه . قال هشام : ما هو برياً . هكذا ظلت حال ابن سيرين حتى ترك التجارة واقتصر وركبته الديون ودخل السجن فلزمه ورعه وصدقه ، وإيمانه وصبره . قال له السجن : إذا كان الليل فاذهب إلى بيتك فإذا جاء الصباح فعد إلى السجن . فرفض ذلك لئلا يعينه على خيانة السلطان ويكون شريكاً في الإثم . وتوفي أنس مولاه رضى الله عنه وهو في السجن ، وكان أوصى أن يصلى عليه ابن سيرين ، فلما أخبر بذلك قال : أنا في السجن ، فقيل له : إن الوالي رضى بخروجك ، فقال إن الوالي لم يسجنني إنما يسجنني صاحب الحق ، فرجعوا إليه فأذن بخروجه فصلى على مولاه ثم عاد . يا لها نفساً ، ويا له ديناً . وكان في ذلك السجن رفع لقدر هذا الإمام ، وظهور لكثير من مزاياه ، وتأس بالصالحين من الأنبياء وأولياء الله . وكان رضى الله عنه يقول : إني لأعرف بهم سجن ذلك السجن : إني أذنبت ذنباً ، قلت لرجل يوماً : إنك مفلس . وقد حدث بذلك أبو سليمان الداراني الصوفي الجليل فقال : قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون وكثرت ذنوبي وذنوبك فلم تدر من أين تؤتى .

وقد مر ابن سيرين يوماً ببعض أصدقائه فقال له : لم يكن ينبغي من مجالستكم إلا مخافة الشهرة ، فلم يزل بي البلاء حتى أخذ بلحيتي فأقمت على المصطبة ، فقيل هذا ابن سيرين يأكل أموال الناس .

ولقد كان ابن سيرين يكون في أصحابه كواحد منهم ، فإذا سئل عن شيء من الفقه الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان . وهذا تقدير للمستولية وعرفان لقدر ما يحمل من عبء . فهل لي ولمشايعي وإخواني أن نأخذ من هذا الورع وخوف الله في هؤلاء دروساً وعبرة .

وكان ابن سيرين لا يميز رواية الحديث بالمعنى ، ويرى المحافظة على لفظه لحق الأمانة ولخشية التبديل . ولو ذهبت أتبع لك صوراً من ذلك لأعياني القلم ولأعيبك النظر فسي وحسبك .

(٥) النسك والعبادة :

كان لهذا الإمام (رحمه الله) وجعل لنا في سيرته عظة كريمة (نواح من الإقبال على الله ملأت نفسه بالإيمان والتوكل والمراقبة ، وطهرت قلبه من كل رجس من رياء أو نفاق

أو ملق أو مداراة لظالم أو تدليس في قول ، وعرف بذلك برغم محاولة إخفاء نفسه حتى كان إذا روى في السوق ذكر الساس الله برؤيته ، على أنه أحياناً كان يدلن بذكر الله اتباعاً للسنة المحمدية التي تحت على ذكر الله بين العاقلين . قالوا إنه كان يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله تعالى ، فقال له رجل يوماً : يا أبا بكر في هذه الساعة : قال : إنها ساعة غفلة .

وقال زهير الأفطع : كان ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدة . وكان يجلس في أصحابه يمثل الثمر ويذكر الشيء يضحك حتى إذا جاء الحديث من السنة كلح وانضم بعضه إلى بعض . فأما أخوه أنس بن سيرين فإنه يحدث عنه فيقول : كان لمحمد ابن سيرين سبعة أوراद يقرؤها بالليل ، فإذا فاتته شيء قرأه من النهار ، وكان الضيف ينزل عنده فيسمع بكاءه الليل ، ثم يسمع ضحكك بالنهار . هذا لأن هؤلاء القوم مع الله حالاً من الخشوع والقنوت والخشية وحالاً مع الناس من الإيناس والسرور والبهجة ، ولذلك عرف هذا الإمام بالدعابة والتبسط والضحك المشروع يرضى به المجتمع ويحملهم على ما يطبقون ويحتال لنفهم ويرفه عن نفسه معهم حتى تحمله وتسايه ، ولقد نضح عليه ذلك الفك والإقبال على الله أنه كان يخشع للسلطان فما يبالي ما يصيبه بقدر ما يلين للناس ويتواضع لهم لأنه لا يخشى أحداً إلا الله . وقد جرى أن ابن هبيرة وإلى العراقيين بعث إليه وإلى الحسن والشعبى فدخلوا عليه فقال لابن سيرين : ماذا رأيت منذ قربت من بابنا ؟ قال : ظلماً فاشياً ، فغمزه ابن أخيه بمنكبه فالتفت إليه ابن سيرين فقال : إنك لست تسأل ، إنما أنا أسأل ، فأرسل الوالى إلى الحسن بأربعة آلاف وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف وإلى الشعبى بألفين ، فأما ابن سيرين فلم يأخذها .

وفى ابن سيرين نواح من الكرم والسخاء ، ونواح من البر والوفاء ، ونواح من اللطف والدعابة ، ونواح من التسكت المستطابة . وهى مشورة فيما بين يديك من كتب الأدب والتاريخ ، أخشى أن أطيل عليك في وصفها وتحليلها ، فحسبك من القلادة ما أحاط بالعتق ، وعند الله سبحانه التوفيق والهداية .

محمود التوماني

الدَّخِيلُ وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ

— ٣ —

الموضوع في أسباب النزول : —

من ذلك ما روى في سبب نزول قوله تعالى : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية » (١) فقد روى عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه حين التقوا ذات يوم بغير من الصحابة ، فقال ابن أبي : انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ، فأخذ بيد الصديق فقال : مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وثاني رسول الله في الغار . وأخذ بيد عمر فقال : مرحبا بالفاروق سيد بنى عدى الباذل نفسه وماله لرسول الله . ثم أخذ بيد علي فقال : مرحبا بابن عم النبي وخنته سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ، ثم افترقوا فقال لأصحابه : انظروا كيف أرد هؤلاء ، فإذا قابلتهم فافعلوا معهم مثل ما فعلت ، وهو من رواية السدي عن الكلبي عن أبي صالح . قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : « هو سلسلة الكذب ، وآثار الوضع لائحة عليه ، وسورة البقرة نزلت في أوائل الهجرة وتزوج على بفاطمة كان في السنة الثانية » (٢) ، وقد ذكر هذا السبب الكلبي والواحدي والزمخشري وأبو السعود ، وذكره السيوطي في الدر المنثور إلا أنه قال : بسندواه ، فنبه على سقوطه .

* * *

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » الآية (٣) . فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن خباب . قال : جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في أناس من الضعفاء ، فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم وقالوا : إنا نريد أن نجعل لنا مجلسا يعرف به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأنيك فنتسحق أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعياد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عاوا إذا نحن فرغنا فاقعد معهم .

(١) سورة البقرة الآية ١٤ . (٢) في هذا وغيره دلالة على أن المحدثين كانوا يعتمدون

ل تزييف الموضوع على قعد المتن كما يعتمدون على نقد السند . (٣) سورة الأنعام الآية ٥٢ .

قال : نعم . قالوا : اكتب لنا كتاباً بذلك ، فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ، فنزل جبريل على النبي بهذه الآية .

وهذا غير صحيح ، وهو من الغلط الذي يلحق بالوضع ، فإن الآية مكية بل قد ورد أن سورة الانعام أنزلت كلها جملة واحدة ، والاقرع بن حابس وعينة إنما أسلبا بعد الفتح ، وهما من المؤلفات قلوبهم ، فكيف يعقل نزول الآية في ذلك ؟ والصحيح أن القائل هم المشركون وهو الذي رواه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما^(١) وليس في السبب الصحيح أن النبي ﷺ وافقهم على مقالهم ، ولا أنه دعا بالصحيفة والكاتب إلى غير ذلك من التزييدات التي نثره مقام النبوة عنها . وقد ذكر هذا السبب المزيف بعض المفسرين ولم ينبه على ما فيه من دخل ، إلا العلامة ابن كثير في تفسيره . والإمام الألوسي وهو من المفسرين المتأخرين الذين عنوا برد الموضوعات والتفيه عليها ، ذكره ولم يعقب عليه بشيء . ولعل هذا السبب هو ما عناه ابن تيمية بقوله في المنهاج^(٢) . « وكقولهم إن آية : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي نزلت في أهل الصفة ، فإن هذا الكذب مما لا ينبغي على غير أهل الحديث ، ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين كالزحشرى والنسفي والخازن وغيرهم في سبب نزول قوله تعالى : وإنا أوليك الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، من أنها نزلت في علي حين مر به سائل وهو في الصلاة فطرح له خاتمه ، وقد حكم عليه بالوضع ابن الجوزي وابن تيمية . وأثر التعصب الشيعي ظاهر عليه وجميع أسانيده لا تخلو من ضعف وجهالة ، والمعهود من الصحابة أنهم ما كانوا يشتغلون في الصلاة بغيرها بل كانوا في غاية الخشوع والخضوع .

قصة الفرائق :

ومن الموضوعات ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، الآية . قال السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر من طريق بسند صحيح - كما زعم - عن سعيد بن جبيرة قال : قرأ النبي ﷺ بمكة : « والنجم » فلما بلغ قوله تعالى : « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » ألقى الشيطان على لسانه : تلك الفرائق العلى وإن شفاعتهن

[١] أسباب النزول للسيوطي على هامش تفسير الجلالين ج ١ ص ١٥٨ ط المطبى .

[٢] منهاج السنة جزء ٤ ص ١١٥ ط بولاق .

لترجي ، فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجدوا وسجد فزلت . وأخرجه
البخاري وابن مردويه بوجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه (١) . وقال :
لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد . وبعد أن ذكر له طرقاً كثيرة قال : وكلها إما ضعيفة
أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأولى ، وهذا الطريق وطريقان آخران عند ابن
جبر هي معتمد المثبتين للقصة كإبن حجر والسيوطي .

وهذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ولا من جهة العقل والنظر .

أما من جهة النقل فقد طعن فيها كثير من المحققين والمحدثين . قال البيهقي — وهو
من كبار رجال السنة — « هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل » ، وقال
القاضي عياض في الشفاء « إن هذا حديث لم يخرج له أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة
بمسند سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب
المتلفون من الصحف كل صحيح وسقيم . ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين
لم يستندوا أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية الخ
ما قال (٢) ، وكذا أنكر القصة القاضي أبو بكر بن العربي وطمع فيها من جهة النقل . وسئل
الإمام محمد بن إسحق بن خزيمة عن هذه القصة فقال : إنها من وضع الزنادقة ، وصنف
في ذلك كتاباً . وأنكرها أيضاً الإمام أبو منصور الماتريدي حيث قال « الصواب أن قوله
تلك الغرائق الملا من جملة إيماء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء
وأرقاء الدين ليرتابوا في صحة الدين » .

ومما يقلل الثقة بالحديث المزعوم اضطراب الروايات اضطراباً فاحشاً ، فقايل يقول :
إنه كان في الصلاة ، وآخر يقول : كان في نادي قومه ، وثالث يقول : قالها وقد أصابته سنة ،
ورابع يقول : بل حدث نفسه فسهى ، ومن قائل إن الشيطان قالها على لسان النبي ، ومن قائل
أعلمهم الشيطان أن النبي قرأها . كما رويت « تلك الغرائق الملا » على أنحاء مختلفة ، وكل هذا
الاضطراب مما يذهب الثقة بالرواية ويوهنها ، والحق أبلج والباطل للجلج .

[١] التلک فی وصل الحديث وهو يقلل الثقة به .

[٢] الشفاء جزء ٢ ص ١١٧ وما بعدها طهناية .

ولأنى لأجيب على ما ذكره الحافظ بن حجر في فتح البارى (١) من جعله لهذه القصة أصلاً والاحتجاج بالمرسل فيها بما يأتى :—

١ — أن جمهور المحدثين لم يحتاجوا بالمرسل وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابى وحيلتد يحتمل أن يكون ثقة وأن يكون غير ثقة ، فلا يؤمن أن يكون كذاباً . والإمام مسلم قال في مقدمة صحيحه : والمرسل فى أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة ، وذكر نحواً من ذلك ابن الصلاح فى مقدمته (٢) بشرطه .

٢ — الاحتجاج بالمرسل إنما هو فى الفرعيات التى يكفى فيها الظن ، أما الاحتجاج به على إثبات شئ يصامم العقيدة فغير مسلم .

٣ — ما أضعف هذا التأويل الذى ارتضاه الحافظ عند النظر والتأمل فهو يوقع متأوله فيما فر منه ، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات ، والحق أن نسج القصة مهما تأول فيها المتأولون فهو مهمل متداع لا يثبت أمام البحث ، وإن أغلب البلاء دخل على الإسلام من المراسيل والمنقطعات .

مصادمة القصة للقرآن : ما أفادته الروايات المرسلة والمهملة فى هذه القصة مخالف لقوله تعالى : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، ، وأى أحد أحق بهذه العبودية من الأنبياء به رسول الله ، وقال تعالى : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، . وأى بشر أصدق إيماناً وأشدّ -كلاً على الله من الأنبياء ولا سيما خاتمهم ، وقد أقر الشيطان بأنه لا سلطان له على عباد الله المخلصين ، فقال كما حكاه الله عنه فى قوله عز وجل : قال فيمزنك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ، ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء ؟ أو من أشدّ إخلاصاً منهم ؟ فهؤلاء الزنادقة الحاقدون نسبوا إلى الشيطان ما أقر هو بأنه لا قبل له به ووضعوا هذه الروايات الباطلة التى تصادم نص القرآن الذى لا ريب فيه .

وأما بطلان القصة من جهة العقل والنظر فقد قام الدليل القطعى وأجمعت الأمة على عصمته عليه الصلاة والسلام ، وكل ما جاءت به الروايات الباطلة تمتنع فى حقه أن يقوله من قبل نفسه عمداً أو سهواً لمكان العصمة . قال القاضى عياض : وقد قررنا بالبراهين والإجماع

(١) فتح البارى جزء ٨ ص ٣٥٤ ط الأزهرية (٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٥٨ ط المطبعة بمبج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ: قُلْ تَرَبُّصُونَ إِنَّا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ
وَتَحْنُ تَرَبُّصُكُمْ: أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ
عِنْدِهِ، أَوْ بِأَيْدِينَا؛ فَتَرَبَّصُوا. إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ،
(من سورة التوبة) صدق الله العظيم

عصمته ﷺ من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهواً أو أن يشبه عليه ما يلقبه الملك بما يلقبه الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يقول على الله لا عمدا ولا سهواً ما لم يزل عليه ، قال الله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية » ، وقال تعالى : « إذا لا ذنك ضعف الحياة و ضعف الممات الآية »^(١) ، ولو جوزنا شيئا من ذلك لذهب الثقة بالأنبياء ووجد المارقون سبيلا للتشكيك في الأديان .

ووجه آخر لفساد هذه القصة وهو أن الله تعالى ذم الأصنام في سورة النجم وأنكر على عابديها وجعلها أميأه لا مسمى لها . وما التمسك بعبادتها إلا أوهام وظنون ، فلو أن القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها ، ولما كان النظم مفككا ، والكلام متناقضا . وكيف يطعن إلى هذا التناقض السامعون ، وهم أهل السن والفصاحة وأصحاب عقول لا يخفى عليها مثل هذا ، ولا سيما وفيهم أعداؤه الذين يتلصسون له العثرات والزلات ، فلو أن ما روى كان واقعا لشغب المعادون ، وارتد الضعفاء من المؤمنين ، ولثارت ثائرة مكة ، ولا تخذ منه اليهود بعد الهجرة متكأ يستندون إليه في الطعن على النبي ﷺ وعصمته ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن .

ووجه ثالث وهو أن بعض الروايات ذكرت أن فيها نزل قوله تعالى : « وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك ، الآيتين »^(٢) وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه ، لأن الله ذكر أنهم كادوا يفتنونه ولولا أن ثبت لكاد أن يركن إليهم ومفاده أن الله عصمه ونبته حتى لم يكدر يركن إليهم فقد اتفق قرب الركون فضلا عن الركون ، فالأسلوب القرآني ، جاء على أبلغ ما يكون في تنزيه ساحته صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون بل أقرى بمدح آلهم وهذا ضد مفهوم الآية ، وهو توهم للنخبر لو صح فكيف ولا صحة له ، ولقد طالبته ﷺ تعقيب وقريش إذا مر بآلهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل ، فما فعل ، وما كان ليفعل ، وإذا كانت القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وهي مخالفة للقرآن ولما قام عليه الدليل العقلي ، فلا جرم أن التحقيق يدعونا إلى أن نصدع بأن حديث الغرائيق مكذوب ، اختلقه الزنادقة الذين يريدون إفساد الدين . وإذا قد انتهينا إلى هذه النتيجة المحصنة ، فما معنى الآية إذا ؟ والإجابة على ذلك أقول :

(١) كتاب الشفاء ص ١١٩ .

(٢) سورة الاسراء آية ٧٣ ، ٧٤ .

إن التنى المراد به تشبه حصول الأمر المرغوب فيه ، والأمنية من هذا المعنى ، ومامن نبي أو رسول إلا وغاية مقصوده وجل أمانيه أن يؤمن قومه . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك في المقام الأعلى ، قال تعالى : فلهلك باخع نفسك على أثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ، وقال : وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ، وعلى ذلك يكون معنى الآية : وما أرسلنا من قبلك رسولا بشرع جديد كإبراهيم وموسى وعيسى أو نبيا مجددا لشرع جاء به رسول قبله ، كأنياء بنى إسرائيل إلا إذا تمنى هداية قومه وإيمانهم ، ألقى الشيطان في سبيل أمنيته هذه العقبات ، ووسوس في صدور الناس فثاروا في وجهه وجادلوه حيناً ، وحاربوه حيناً آخر ، حتى إذا ما أراد الله هدايتهم ، أزال تلك الوسوس التي ألقاها الشيطان في نفوسهم ووقفهم لإدراك الحق وإجابة داعي الله ، وبذلك ينسخ الله ما ألقى الشيطان من الشبهات ، ويحكم آياته بنصر الحق وأهله على الباطل وحزبه ، وينشئ من ضعف أنصاره قوة ، ومن ذلهم هزة ، وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، ليجعل ما يلقى الشيطان في سبيل دعوات الأنبياء فتنة للضعفاء ، وليعلم الذين أوتوا العلم أن ما جاء به الرسل هو الحق ، فتختب لم قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ؟

محمد محمد أبو شهب

الأستاذ بكلية أصول الدين

اتصال الثقافة

مما لاحظته فقيده الاستشراق الإيطالي الأستاذ فلينو على المؤلفين والمترجمين في الرياضة والفلسفة عندنا ، أنهم لا يستعملون الألفاظ والاصطلاحات التي استعملها العرب قديما في هذين الموضوعين . قال : وكان يحسن بالمترجمين والمؤلفين ، أن يعملوا لاتصال الثقافة ، بأن يراعوا الحدود العلمية والفلسفية التي وضعها العرب أيام العباسيين .

الفرح التقيدي في الإسلام

شاهد بأنه من صنع الله ، لا من انعكاس البيئة

- ٢ -

مكانة المرأة ... تقرير وتقدير ، لا واد وتحقير :

ثم ما مكان المرأة في ذلك النظام الإسلامى البديع ؟
إن الإسلام يأتي في البيئة التي كان يحدث فيها أحيانا أن تواد البنت ، وكان يحدث
أن تمضل ، أو تورث كرها ، أو تزوج قسرا ، أو تحرم الإرث ...

إن الإسلام يأتي في هذه البيئة لينصف المرأة من جهة الجنس ، ومن جهة الحقوق
الشخصية ، ومن جهة الحقوق المدنية والاجتماعية .

فأما من جهة الجنس ، فالمرأة من الرجل ، فلا تطاول ولا تحقير ، يأبى الناس اتقوا ربكم
الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ،
« فاستجاب لهم ربهم ، أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض » .
وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة رضى الله عنها ، والبخاري عن أنس رضى الله عنه
حديث رسول الله ﷺ « إنما النساء شقائق الرجال » ، وصحح السيوطي في جامعه
هذا الحديث .

وقد قدم القرآن الكريم في قصصه نماذج رفيعة لنساء كريمات ، مثل أم موسى ،
وامرأة عمران ، ومريم ابنة عمران ، « وحارب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون » .

وقد قدم تاريخ الدعوة الإسلامية نماذج ممتازة من إيمان النساء ، فدور خديجة
زوج رسول الله في أول رسالته ، وبطولة سمية زوجة ياسر ، وأول شهيدة في الإسلام ،
من خير الشواهد على ذلك . ولا ينسى التاريخ بذل عائشة ، وزينب بنت جحش ، وعاتكة بنت

يزيد بن معاوية . ومغازى رسول الله ﷺ تضم في ثناياها أسماء لامعة لنساء مؤمنات ، مثل عائشة ، وأم سليم ، وأم عطية ، فضلا عن أم عمارة .

وكفاح الجور يشهد لأسماء بذت أبي بكر وأم عبد الله بن الزبير بموقفها من الحجاج .

والمرأة حين تبذل في الإسلام ما تبذل . فبى إنما تفعل ذلك عن عقيدة في دين أنصفها ورعى حقها . تقدر لما رأيها في اختيار زوجها ، وفي إدارة بيتها ، وفي تربية أولادها . فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما . وحفظ حقها أثناء الزواج وعند وفاة الزوج ، وعند الطلاق .

والمرأة في شريعة الإسلام لها نصيبها المقرر في الميراث ، ولها حقها في أن تتولى أمورها المالية ولها استقلالها الاقتصادي عن زوجها .

والإسلام قد حفظ للمرأة حقوقها الاجتماعية ، كما حفظ لها حقوقها الشخصية والمدنية . فلها حق التعليم ، بل هو واجب عليها في الوقت نفسه . روى أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي في السنن عن أنس ، أن النساء أتين يوماً إلى رسول الله ﷺ يشكون من غلبة الرجال على مجالسه ويطلبن وقتاً خاصاً ، ليتعلن أحكام دينهن ، فأجابهن إلى ذلك .

والمرأة تستطيع أن تفعل الخير للناس على قدر طاقتها وفي حدود الشرع . والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . . وإن جهود امرأة عمر مع المرأة الفقيرة التي جاءها الخاض ، تنوّج نشاط المرأة في ميدان الخدمة الاجتماعية . ولوليدة زوجة الرشيد مآثرتها المذكورة المشكورة في رسالة عين يشرب منها الحجاج في الحجاز ، ولقد آتت بالفنيين وفتحت لهم الخزائن ، وقالت لمدير ذلك الأمر ، أو مدير ذلك المشروع . اعمل ، ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً ، ١١

ولقد قال الإمام ابن حزم الأندلسي في تعليم المرأة . ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم ما ذكرنا ، إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم . ١٠ هـ . وقد ناقش في موضع آخر مسئوليات المرأة المختلفة فقال :

« فإن قالوا : فأوجبوا الجهاد فرضاً على النساء ، قيل لهم وبالله تعالى التوفيق :

لولا قول رسول الله ﷺ لعائشة - إذ استأذنته في الجهاد - « لكن أفضل الجهاد حج مبرور » ، لكان الجهاد عليهن فرضاً ، لكن بهذا الحديث علمنا أن الجهاد على النساء ندب لا فرض ، لأنه عليه السلام لم ينهها عن ذلك ، ولكن أخبرها أن الحج لمن أفضل منه ... فإن قالوا : فأوجبوا عليهن الفجار للتفقه في الدين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، قلنا وبالله تعالى التوفيق : نعم هذا واجب عليهن كوجوبه على الرجال ، وفرض على كل امرأة التفقه في كل ما يخصها ، كما أن ذلك فرض الرجال . ففرض على ذات المال ممن معرفة أحكام الزكاة ، وفرض عليهن كمن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم ، وما يحل وما يحرم من المأكَل والمشرب والملابس ، وغير ذلك كالرجال ، ولا فرق . ولو تفقّحت امرأة في علوم الديانة لزمنا قبول نذارتها ، وقد كان ذلك .

فهؤلاء أزواج النبي ﷺ وصواجه ، قد نقل عنهم أحكام الدين ، وقامت الحجة بتقلبن ، ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلنا في ذلك ، فمن سوى أزواجه عليه السلام : أم سليم ، وأم حرام ، وأم عطية ، وأم كرز ، وأم شريك ، وأم الدرداء ، وأم خالد ، وأسماء بنت أبي بكر ، وفاطمة بنت قيس ، وبسرة ، وغيرهن . ثم في التابعين عمرة ، وأم الحسن ، والرياب ، وفاطمة بنت المنذر ، وهند الفراسية [ويقال القرشية وهي هند بنت الحارث صاحبة أم سلة وروت عنها] وحبيبة بنت ميسرة ، وحفصة بنت سيرين وغيرهن ، (١) .

وحسب الفقه الإسلامي دليلاً على أنه لم يتعصب ضد المرأة كجنس ، أن مذهب الطبري والمذهب الظاهري ، جوزا للمرأة أن تكون قاضياً على الإطلاق في كل شيء ، خلافاً لأبي حنيفة الذي لم يجوز لها ذلك إلا في قضايا الأموال ، وخلافاً لباقى الفقهاء الذين أبوا عليها ذلك الحق مطلقاً ، (٢) . ونحن لسنا هنا بصدد إقرار هذا الرأي أو رفضه ، ولكن بصدد

الدلالة على خلو الفقه الإسلامي من كل أثر للتعصب ضد المرأة كجنس ، والنظر كل النظر في حجية الدليل الشرعي دون متابعة الأهواء .

(١) الأحكام ج ٣ ص ٨٩ - ٨٢ .

(٢) فلسفة التشريع في الإسلام - محمادي ص ٥٢ وأشار في حواشيه إلى بداية المجهود ج ٢ وإلى المجلد ج ٩ .

يقول ابن رشد في كتاب الاقضية : الباب الاول : فيمن يجوز قضاؤه : —

« وكذلك اختلفوا في اشتراط الذكورة ، فقال الجمهور هي شرط صحة الحكم . وقال أبو حنيفة يجوز أن تكون المرأة قاضياً في الاموال . قال الطبري يجوز أن تكون المرأة حاكماً على الإطلاق في كل شيء .

فمن رد قضاء المرأة شبهه بقضاء الإمامة الكبرى ... ومن أجاز حكمها في الاموال فتشبهها بجواز شهادتها في الاموال . ومن رأى حكمها نافذا في كل شيء قال : إن الأصل هو أن كل من يتأني منه الفصل بين الناس لحكمه جائز ، إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى ، (١) . ١ . هـ

فهل تكون هذه الروح التي ألهمت أصحاب هذا الرأي ما قالوه - صواباً كانت النتيجة الفقهية أم خطأ - إلا من هداية رب الارض والسماء ، الذي لا يحابي الرجال ، ولا يتعامل على النساء ؟؟

مع غير المسلمين ... سماحة وعدالة ، لا عداوة وعدوان :

وقد يقال أخيراً : إن الإسلام قد حارب الامواء العنصرية والطبقية كي يقيم بين الناس حروباً دينية .

والإسلام يرى مما يرى به فإن الإسلام لا يحارب اختلاف الأديان ، وإنما يحارب البغى والعدوان . لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبرؤم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوك في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون .

والإسلام حين يأمر بقتال الباغين المعتدين من غير المسلمين ، يقاتل الباغين المعتدين من المسلمين أيضاً . وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله .

(١) بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٨٤ .

وحين تكون المسألة هي أساس المعاملة ، يعطى الإسلام غير المسلمين عن دخلوا في ذمته واستأنوا في دولته من الحقوق مثل ما للمسلمين ، ولم ما لنا وعليهم ما علينا ، وإن كان لا يلزمهم بما يلزم به المسلمين من واجبات في العقيدة ، والعبادة ، والأحوال الشخصية .

واختلاف العقيدة لا يبرر القطيعة ، ليس عليك هدام ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، وقد نقل ابن كثير عن ابن عباس بسنده : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فرخص لهم فزلت هذه الآية ، ، والعصاة الاجتماعية موصولة بآقية ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات . والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب . .

أما الجزية فهي بدل نقدي عن الخدمة العسكرية ، فما كان الإسلام ليكلف بخالفه شططا : إذ يلزمهم بدل دماهم في سبيل دولة تقوم على عقيدة لا يعتقونها . فالجهاد في الإسلام هو في ، سبيل الله ، ، والدولة في الإسلام تحكم بالقرآن ، فهل هناك أسمح من أن يعفى غير المسلمين من حرج القتال في سبيل ما لا يؤمنون به ، ويكتفى منهم بهذا البدل النقدي اليسير ؟

لقد كتب خالد بن الوليد حين وصل الفرات لصلوب ابن نسطورنا ، إني عاهدتكم على الجزية والمنعة ، فلك الذمة والمنعة ، وما منعناكم فلنا الجزية والإفلا ، . وتكرر مثل هذا المعنى فيما كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر لمزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان ، وما كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر لأهل أذربيجان ، وما كتبه سراقه عامل عمر لشهربراز وسكان أرمينية . وقد صالح الجراجمة على جبل اللكام أبا عبيدة على أن يكونوا أعرانا للمسلمين وعبونا ومسالح وألا يؤخذوا بالجزية . وحين اضطرب أبو عبيدة لضرورات عسكرية ، أن ينسحب من حصص أثناء فتح الشام رد لأهلها جزيتهم ، لعدم استطاعته الوفاء بشرطها وهو الحماية والمنعة ، وكذلك فعل في دهشق حين كان يتجهز لليرموك . ولقد كان فرض ضريبة الجزية مقصوراً على الأشداء الأقوياء الذين كانوا يستطيعون الخدمة في الجيش ، فهي لا تؤخذ من الشيخ الفاني ، أو المرأة ، أو الطفل ، وهذا مما يتضامن مع القول بأنها بدل نقدي عن الخدمة العسكرية .

ولو كان المسلمون قوما تستعز في صدورهم العصية الدينية ، لما رضوا من غيرهم بغير اعتناق دينهم بعد أن ذاقوا حلاوة النصر ، ليشعروا بذشوة الظفر مغنوا ، ويجبوا الزكاة بأقسامها المختلفة وهي تربو على قيمة الجزية ماديا . ولو فعلوا لتناقضوا مع أصلهم الشرعى الذى يقول : لا إكراه فى الدين ، ومع أصلهم الاعتقادى النفسى الذى يجعل الدبرة بما وقر فى القلب ، لا بما يتناظف به اللسان ١١١ وإن الناظر إلى ما يفرض على الأمم المغلوبة اليوم من تعويضات والتزامات ليجد المدى واسعا بين المعاملة هنا وهناك .

فالإسلام لا يقتلع العصية والطبقة والجهل واضطهاد المرأة ، ليشير الطائفة والمذهبية . والتطبيق التاريخى خير شاهد ودليل . فبلاد الحبشة اختلفت فى ديانتها عن المسلمين ، ولكن لم يمنع هذا الاختلاف من أن يفر المسلمون بدينهم إلى تلك البلاد . يرجون عند مخالفتهم فى العقيدة الحاية والأمان ١١١١ ولقد قويت دولة المسلمين بعد ذلك واستطالت سلطتهم ، حتى نالت من امبراطوريات القيصرية والاكاسرة ، ومع ذلك لم تقذف بهم الشهوة إلى المساس ببلاد الحبشة ، وهى التى تخالفهم فى الدين ، وكان يتأجج فى قلوبهم عليها أحقاد قومية دينية منذ حادث الفيل فى الجاهلية ١١١

وفلسطين قد عاش فيها اليهود منذ حكم الخلفاء الراشدين إلى نهاية الدولة العثمانية فى ظل حكم إسلامى — ولو من ناحية الشكل فى آخر الأمر — وما اتجهت دولة الإسلام مرة واحدة أثناء تلك القرون الطوال ، إلى صرف هؤلاء اليهود عن دينهم أو اضطهادهم فى هاشم ، وهم المكروهون قومياً واجتماعياً بل ودينياً ، فهم قساة القلوب ، غلاظ الرقاب ، حرفوا السكلم عن مواضعه ، وجعلوا كتاب الله قراطيس ١١١١ وعندما برزت مطامع الصهيونية كان للمسلمين والمسيحيين موقف أملتته اعتبارات ليس بينها بحال مجرد الاختلاف فى الدين ١١

لقد حاولت الدولة العثمانية يوماً أن تسير فى مشروع إجبار غير المسلمين على الإسلام ، فأفتى شيخ الإسلام للسلطان بأن هذا حرام ثم حرام ١١١

فهل تكون هذه أحكام دين تمليه أهواء البشر ، أم هى من مصدر يعلو عن الأرض ويسمو عن الإنسان ؟؟؟

محمد فتى محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

(يتبع)

المُؤْمِنُونَ حَقًّا

كما وصفهم القرآن الكريم

من السنن التي جرى عليها القرآن الكريم ، أن يفرق الحديث عن بعض الأغراض ، فأنت تراه يتحدث عن معنى من المعاني ، أو يقصد إلى غرض من الأغراض ، فيمر به مرأ خفيفاً في بعض الأحيان ، ويطيل فيه بعض الإطالة أحياناً أخرى ، ثم يعاود الحديث عنه مرات عندما تعرض المناسبة ، فإذا تتبعنا هذه الآيات المتفرقة ، ورتبت ما تضمنته من المعاني ، استوت لك صورة واضحة لهذا المعنى الذي قصد القرآن أن يسجله . وإذا تأملت هذه الصورة ، تبين لك أن القرآن استقصى جميع ما يتصل بها ، بحيث لا تستطيع أن تقول إنها يتقصها شيء ، قل أو كثر .

تحدث القرآن عن طوائف من الناس ، وأبان في كل طائفة عن نواحي الخير أو الشر فيها ، وقد شاع فيه الحديث عن المؤمنين الصادقين ، وعن الكافرين المعاندين ، وعن المنافقين المخادعين ، وجاء الحديث عن هذه الطوائف الثلاث في أول سورة البقرة ، وهي السورة التي نزلت في الطريق بين مكة والمدينة ، فذكر شيئاً من أوصاف المؤمنين ، أتبعه ببعض الآيات عن المشركين ، ثم أطل في وصف المنافقين ، حتى جاوزت تلك الآيات في أوصافهم الثمانية .

ونحن إنما قصدنا في هذا البحث أن نجمع الآيات التي تحدثت عن المؤمنين حقاً ، كما وصفهم آيات الانفال ، أو (عباد الرحمن) كما وصفهم آيات الفرقان ، أو (المتقين) كما ذكروا في آيات البقرة وآل عمران .

قال الله تعالى في سورة الانفال : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ورزق كريم » .

تضمنت هذه الآيات أوصافاً كثيرة ، فبدأت بوصف هؤلاء المؤمنين ، بأنهم يخافون

عند ذكر الله، ثم ثلث بأن آيات الله إذا تليت عليهم تزيدهم إيماناً، ثم وصفتهم بالتوكل على الله وحده، وبأنهم يقيمون الصلاة، وينفقون مما رزقهم الله.

وقد ذكر المفسرون فيما يتعلق بالوصف الأول، أن المؤمن إذا ذكر الله فزع قلبه، استعظما لشأنه الجليل، وتنبها منه جل وعلا، ثم قالوا: والاطمئنان المذكور في قوله تعالى: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»، لا ينافي الوجل والخوف، لأنه هبارة عن تلج الفؤاد، وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد، وهو يجمع الخوف، وقال بعضهم: إن الذكر في إحداها ذكر رحمة، وفي الأخرى ذكر عقوبة، فلا منافاة بينهما. وقال السدي: هو الرجل يريد أن يظلم، أو يهجم بمصيبة، فيقال له: اتق الله تعالى فيوجل قلبه، وهذا بخلاف المتكبر المشار إليه في قوله تعالى: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام). وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً (أى ثبتت قلوبهم، وقوت يقينهم). وذلك لما يصلون إليه حين يتأملون هذه الآيات من معان خفية، وما يحدونه في أنفسهم لها من أثر عميق.

وقد جاء وصف حال المؤمنين عند تلاوة القرآن في غير موضع من القرآن. فجاء في سورة السجدة قوله تعالى: «إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً، وسبحوا بحمد ربهم، وهم لا يستكبرون، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، ومما رزقناهم ينفقون». فهم يستمعون لهذه الآيات، ويخرون على وجوههم سجداً عند سماعها، ويطيعون أوامر الله، ويحجبون نواهيها فيها، ولا تأخذهم الكبرياء عن الطاعة والالتقياد، كما يفعل الجهلة، وكيف؟ والله تعالى يقول: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي، سيدخلون جهنم داخرين).

وجاء في سورة الزمر قوله تعالى: «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً، مثاق، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلتين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن يضلل الله فإله من هاد».

ومعنى (مثاق) — كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما — أن القرآن يشبه بعضه بعضاً. أما اقشعار جلودهم، فذلك ناتج عما يفهمون من القرآن، من الوعد والوعيد، والتنويف والتهديد، فإذا رجوا ما عند الله من الرحمة واللفظ لانت جلودهم، وهكذا

كان شأن المؤمنين الصادقين من السابقين حين يسمعون القرآن ، تضطرب فرائصهم ، وتفيض دموعهم ، ويعلو نحيبهم ، وربما مر أحدهم بالآية من كتاب الله ، وهو في أول الليل ، فلا يزال يرددها حتى يصبح ، يصحب ذلك خوف شديد ، وبكاء حار . حدث رجل قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز ، قرأ ذات يوم : « وما تكون في شأن ، وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل ، إلا كنا عليكم شهودا ، إذ تفيضون فيه ، فبكى بكاء شديداً حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة زوجته ، وجلست تبكي لبكائه ، ويكي أهل الدار لبكائهما ، فجاء عبد الملك ابنه ، فدخل عليهم ، وهم على تلك الحال يبكون ، فقال : يا أبت ، ما يبكيك ؟ قال : خير ، يا بني ، وذو أبوك أنه لم يعرف الدنيا ، ولم تعرفه . والله ، يا بني ، لقد خشيت أن أهلك ، والله يا بني ، لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

وروى أن محمد بن المنكدر بكى ليلة حتى فزع أهله ، وأبى أن يخبرهم بجأوه . بأبي حازم ، فقال : يا أخى ما أبكاك ؟ قد روعت أهلك ! قال : ذكرت آية من كتاب الله « وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون » فبكى أبو حازم معه ، واشتد بكأؤهما ، فقال بعض أهله لأبى حازم : جئنا بك لتفرج عنه ، فودته ، فأخبرهم .

وهذا الذى حدث لسيدنا عمر ، ولمحمد بن المنكدر ، ولأبى حازم . حدث لكثير غيرهم من عباد الله المؤمنين . وهؤلاء المؤمنون الذين تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ، يستمعون إلى القرآن بانتباه شديد ، ولا يشغلهم عن آياته شاغل ، ويفقهون معانيها ، ولا يعرضون عنها . وهذا معنى قوله تعالى في سورة الفرقان في وصف عباد الرحمن ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم ، لم يخروا عليها صما وعميانا ، كما أنهم يلتزمون جانب الأدب عند سماع الآيات ، فلا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم ، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك .

وهم كذلك تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، وهذه صفة من أنبل صفات المؤمنين ، فهم يقومون الليل ، ويهجرون النوم ، لا ليديروا شأننا من شئون الدنيا ، ولا ليبكوا على ما فاتهم مما تصدع النفوس الضعيفة له ، وإنما ليعبدوا الله ، ويناجوه ويحاسبوا أنفسهم على ما فرطت في جنب الله ، ويتفكرون في يوم العرض والحساب . وفي الحديث الكريم أن النبي ﷺ قال لبعض أصحابه : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام العبد في جوف الليل ، ثم تلا هذه

الآية « تتجافى جنوبهم عن المضاجع .. الآية » ، وفي حديث آخر : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم ، من أولى بالكرم ، ثم يرجع فينادى ، ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعا ، فيقومون ، وهم قليل . وقد وصفهم الحسن البصري فقال : « أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم ، يفرشون خدودهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يتاجون مولاهم في فكك رقابهم ، إذا عملوا حسنة سرتهم ، وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم ، وسألوا الله أن يفرها لهم .

وعما وصف به المؤمنون في آيات الانفال التوكل على الله ، فهم يعتمدون على الله وحده لا يشركون به شيئاً ، ولا يرغبون إلى غيره . فقلوبهم خالية بما سوى الله ، فلا سلطان ، ولا جاه ، ولا مال ، ولا حاكم ، ولا رئيس ، ولا أحد ، ولا شيء له موضع في قلوبهم ، رهبة أو رغبة ، وإنما اعتمادهم كله على الله وحده ، هو الخالق وهو الرازق ، وهو المحيي وهو المميت ، لا يملك غيره ضراً ولا نفعاً ، فهموا ذلك أتم الفهم ، فشغلوا أنفسهم بالانجاء إليه تعالى ، ولم يشغلوا برجاء مخلوق .

وقد سمع بعض العلماء في تفسير قوله تعالى : (إلا من أتى الله بقلب سليم) أن العبد يأتي ربه وليس في قلبه أحد غيره ، فقال هذا العالم : منذ ثلاثين سنة ما سمعت تفسيراً خيراً من هذا التفسير . وكان أولئك المؤمنون - لهذا - يأنفون أن يطلبوا من أحد غير الله شيئاً . روى أن أبا حازم الأعرج دخل على بعض خلفاء بني أمية فقال له : يا أبا حازم ، ما أخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ما عندك فلا تضعه إلا في حقه ، وإلى ما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه . قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين ، قال : ما مالك ؟ قال : ملان : الثقة بما عند الله ، واليأس بما في أيدي الناس . قال الخليفة : ارفع إلينا حوائجك . قال : هيات ، رفعتها إلى من لا تتحزل الحوائج دونه ، فإن أعطاني منها شيئاً قبلت ، وإن زوى عني شيئاً رضيت .

وقيل لرابعة القيسية : لو كلمنا رجال عسيرتك فاشتروا لك خادماً تكفيك مؤونة بيتك ، فقالت : والله ، إني لاسئحى أن أطلب الدنيا من يملك الدنيا ، فكيف أسألها من لا يملكها . والمؤمنون يحدون في هذا التوكل سلامة نفوسهم ، ونقاوة دينهم ، وضمائم أرزاقهم . فهم يؤمنون أشد الإيمان وأقواه بقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » . وهم يفقهون كل الفقه المعنى الحقيقي للتوكل ، فليس من دأبهم أن

يناموا في بيوتهم ، أو يعتكفوا في مساجدهم ، ثم لا عمل . ولكنهم تركوا وعملوا ، فكان من أسلافهم الخواص والحراز والبزاز ، ولهم كلمات رائعة في الحث على العمل ، والحض على كسب الرزق بعرق الجبين .

أما هذا التواكل الذي نراه في بعض المدعين والغافلين ، فذلك ما ينهى عنه الدين أشد النهي .

على العمارة

المدرس بالآزهر

تفسير بيت من شعر جاهلي

أرجو أن تفسح المجلة صدرها لهذا التعقيب الذي جاء بعد أوانه ، فقد وقع في يدي متأخراً جزء جمادى الأولى ١٣٧٩ وفيه مقال للأستاذ عز الدين إسماعيل عن الشعر الجاهلي في النهر الجاهلي ، وقد جاء في صفحة ٤٥٥ منه ما يأتي : —

« إن الدم لا يشفيه إلا الدم ، ولذلك كان الأخذ بالثأر أكرم عند العربي من قبول الدية ، واستشهد على ذلك بقول كبشة أخت عمرو بن معد يكرب على لسان أخيها عبد الله :
فإن أتم لم تتأروا واتديتم ففشوا بأذان النعام المصلم
وفسره بقوله : « أي أنكم إن لم تتأروا وقبلتم الدية ، فستمشون كما يمشي النعام المقطوع الأذن ، لا تسمعون ما يقال فيكم من العار . »

ولم يصب الأستاذ التوفيق في هذا التفسير إذ جعل قول كبشة « فشوا » من « المشى » والصواب أنه من « المش » بمعنى المسح ومنه « المشوش » أي المنديل الذي يمسح به . والبيت أورده أبو علي الفاي في أماليه (٢ : ٢٢٦ طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٦) .

وقد كانت العرب تمسح أيديها بأعراف الخيل كقول امرئ القيس :

تمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قننا عن شواء مضهب

وكبشة تقول للذين يقولون الدية بدلا من دم قتيلم : اتخذوا من أذان النعام مشوشاً بدلا من أعراف الخيل لأنكم لستم من فرسانها . وقد سأل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان جلساءه يوما : أي المناديل أفضل ؟ فذكروا له مناديل مصر كأنها غرقى البيض ، ومناديل اليمن كأنها زهر الربيع ، فقال لهم : بل مناديل عبدة بن الطيب في قوله :

ثمت قننا إلى جسد مسومة أعرافهم لا يدينا مناديل

محمد بروي المختوم

المدرس بالجيزة الثانوية للبنات

في فلسفة الحياة

حواريون

« شابت ناصية الليل ، ومن وراء تلك الآزال ،
« ينبعث من أعماق الكون هذا الصوت ، وينساب ،
« هذا اللحن ، فيسبح حواريو الإسلام بحمد ربهم ، وينادي ،
« داعي السماء حي على الصلاة »

حواريون ، إن نُودوا وصاح مؤذن . . الفجر
وجلجل في الدجى صوت يشير . . غواني . . الدهر
وسار الركب في صمت وجد الليل في السير

* * *

حواريون . . يجمعهم صفاء الروح والفكر
وأقباس ، وأضواء بأفاق المدى تجري

* * *

حواريون . . قد عبروا صراط النور والطهر
وطافوا حول كعبتهم كأسراب من الطير
وأيقظ وجدهم صوت من الفردوس كالسحر
ونادى بعضهم بعضاً وكبر موكب . . الشمر
وصلت ورقه شكراً وغنى ساجع . . الفجر

■ * *

موت الامم

إذا ضاع في أمة (دينها) وساد بها الفاجر الجاهل
فقد ضاع في الأرض سلطانها ومات بها الحاكم .. العادل
وناحت على مجدها النائمات ، وشيعها الزمن المازل

رحلة الكون

ولست أبالي حين أعلم أنني جهلت ، فإنني حين أعلم أجمل
وللجهل أوزار ، وللعلم مثلها ونحن بهذا الجهل والعلم نُقتل
هبطنا إلى تلك البقاع ، ولأنني لأعلم أنا بعد لأي سنرحل
فأحب ليلى والرباب ، وما الذي وراءك يا شعري ، وهل أنت تعقل؟
وماذا وراء الفلسفات لعالم سيمضي ، وماذا أنت بالعلم تفعل ؟
وتلك لعمرى .. رحلة .. طال ليلى وما أنت إلا خائف .. يتعجل !!

أسرار الخلود

ليلى ... ماذا في ضمير الدوح من سر الخلود ؟
عبروا إليه شواطئ الماء ضى ، وطافوا بالوجود ..
فهوت فلاسفة الزمان ، وضل في الوادي قصيدي
ليلى ... ما هذا الخلود ؟ أنى الربا ؟ أم في النجود ؟
في هاتفات الروض آيات .. وفي همس الورود
في الصخر ، والنبوع .. يا ليلى ، وفي نجوى الوليد
في عالم الأرواح ، والآ نسام ... « أسرار الخلود »

صابر على رمضان الجبوشي

الحصار الاقتصادي لقرش

في سرية زيد بن حارثة إلى القردة

تحدثت في المقال الفائت عن الحصار الحربي الذي جاءت به غزوة بني قينقاع ، وبينت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتخذ خطة الحصار الحربي ، حيث كانت تقضي الحكمة والبراعة العسكرية .

واليوم أتحدث عن نوع آخر من الحصار ، سمع عنه العالم في العصر الحديث فقط ، وأخذ به قادة الحروب الحديثة ، وآمنوا به وعدوه من أقوى أسلحة الحرب فنكا بالعدو ، ذلك هو الحصار الاقتصادي .

وفي هذا جاءت النظرية العسكرية الحديثة التي تقول بأن القضاء على قوة العدو الاقتصادية لا يقل أهمية عن القضاء على قوته العسكرية ، وأصبحنا نسمع اصطلاحات عسكرية لم تكن معروفة من قبل ، مثل الحرب الاقتصادية - الحصار الاقتصادي - المال عصب الحرب ... الخ والدول العربية - منذ وقف القتال على أرض فلسطين - مثلا تحاول ما وسعها ذلك ضرب نوع من الحصار الاقتصادي على إسرائيل لتحرمها عما يفيدها عسكريا : فتفتش السفن المارة بموانئها قاصدة لإسرائيل ، وتصادر المواد التي يمكن أن تستخدم أو تفيد في المجهود الحربي كالمعدات والأجهزة والخامات بل والاعذية ، وهي علاوة على ذلك تفرض رقابة شديدة على صادراتها للخارج للتأكد من الجهات المرسله إليها حتى لا تصل إلى إسرائيل ، بل وتمتنع عن التعامل مع الشركات والمؤسسات التي تتعامل معها ، إلى غير ذلك من الوسائل التي يطلق عليها - على العموم - الحصار الاقتصادي ، بقصد حرمانها مما يساعد على تقويتها من الناحية العسكرية ،

ولا شك أن هذا الحصار قد ضايق إسرائيل كل المضايقة ، فإن الانتعاش الاقتصادي في ذاته متوقف على فتح أسواق الدول العربية - وهي المجاورة لها - لمنتجاتها . وهذا ما جعلها تجار بالشكوى في المحافل الدولية .

وكلنا قد سمع من ذلك الحصار الاقتصادي الذي كانت الدول المتحالفة تفرضه على ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية ، وقد كان هذا الحصار عنيفا استخدمت فيه الأساطيل والغواصات وغيرها للتضاء على القوافل البحرية .

هذا الحصار الاقتصادي عرفه العالم في العصر الحديث ، أما قائد جيش الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فقد عرفه ونادى به منذ ثلاثة عشر قرنا ، وطبقه على أحسن ما يكون التطبيق ، ووضع لذلك خطة كانت في غاية الإحكام .

كان ذلك في سرية زيد بن حارثة إلى القردة في جمادى الآخرة من السنة الثالثة الهجرية . فإنه على إثر غزوة بدر ، وما كان من أمر قافلة أبي سفيان ، أصبح طريق القوافل من الحجاز إلى الشام مهددا بحفوق بالآخطار ، وبخاصة بعد أن تعاهد المسلمون مع كثير من القبائل التي تقطن على هذا الطريق .

خشيت قريش إذا هي عاودت إرسال القوافل في هذا الطريق ، أن ينالها سوء من المسلمين . وأخذت تفكر في مخرج من هذا المأزق ، فوقف صفوان بن أمية يوما في قريش وقال لهم : « إن محمدا وأصحابه قد عوروا علينا متجرتنا ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسكن . وإن أفتنا في دارنا هذه أكلنا رموس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف ، وإلى الحبشة في الشتاء . »

فقال له الأسود بن المطلب : « تنكب الطريق على الساحل ، وخذ طريق العراق . » وهكذا قر قرارهم على اتخاذ طريق العراق وهو طريق طويل مقفر ، واختاروا فرات ابن حيان ليدلهم عليه . وقد قال لهم : « طريق العراق ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد ، فإنما هي أرض نجد وفياف . »

ولم تضع قريش وقتا بل جهزت قافلة من الفضة والبضائع ، وخرج فيها مع صفوان أبو سفيان بن حرب ، وحويطب بن عبد العزى ، وسارت القافلة في طريق العراق .

لكن خبر هذه القافلة بلغ رسول الله ، فأرسل على الفور زيد بن حارثة في مائة راكب فلقبها عند القردة وهي بئر قرية من نجد ، وكانت مفاجأة مفروعة لرجال القافلة ، فهربوا

تاركين كل شيء ، العير وما فيها ، فأخذها زيد وقدم بها على رسول الله ﷺ فقسمها كما نصت الشريعة ، وقد بلغ قيمة الغنيمة ١٠٠٠٠٠ درهم ، وكانت هذه أول غنيمة ذات قيمة أصابها المسلمون .

بهذه السرية أكمل الرسول حلقات الحصار الاقتصادي المحكم الذي فرضه على قريش ، وكانت خطة هذا الحصار في غاية الروعة ، فقد استطاع النبي ﷺ أن يسد عليها جميع الأبواب ، فلم يدع لها منفذا إلى الخارج لتصرف التجارة إلا سده ، وكان لها بالمرصاد . وينطبق بذلك وبديل عليه بمنتهى الوضوح ، قول صفوان بن أمية الذي ذكرناه والذي يقول فيه : وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف ، وإلى الحبشة في الشتاء . .

ويجدر بنا أن نلم بحلقات تلك الخطة جميعها لنذكر قيمة إحكامها :

أولا : حرص النبي ﷺ على مواءمة القبائل المقيمة على طريق التجارة إلى الشام والتحالف معها ، حتى أصبح هذا الطريق محفوقاً بالمخاطر .

ثانيا : حرصه على استطلاع أخبار قوافل قريش ، وقد ظهر هذا جليا في سرية عبد الله بن جحش في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، وقبل غزوة بدر بشهرين ، وقد جاء في كتاب الرسول الذي دفع به إلى عبد الله بن جحش ، وامنض فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها عير قريش ، وتعلم لنا من أخبارهم . .

ثالثاً : غزوة بدر نفسها في رمضان من السنة الثانية الهجرية ، كان الغرض الأصلي منها القضاء على قافلة أبي سفيان في عودتها إلى مكة . وفي هذا كان قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه « هذه عير قريش ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها » .

رابعا : وأخيرا سد طريق العراق الذي لجأت إليه قريش بعد أن سدت في وجهها السبل في سرية زيد بن حارثة إلى القردة .

وهكذا نرى أنها خطة حصار اقتصادي في غاية الإحكام ، وضعها النبي ﷺ على خير ما تكون الخطط دقة وبراعة ، وقبل أن يعرفها الفن الحربي الحديث بثلاثة عشر قرناً من الزمان ؟

محمد جمال الدين محفوظ

صاغ أركان الحرب

أَحَادِيثُ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

١ - حديثه إلى مراسل النيويورك تايمس

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن ناج شيخ الأزهر بمكتبه إلى مراسل النيويورك تايمس في الشرق الأوسط مستر روبرت روني .

وقد وجه الصحفي إلى فضيلته أسئلة عن النزعة الدينية في الشرق الأوسط ، ثم تطرق إلى السؤال عن رسالة الإسلام .

فأجاب الأستاذ الأكبر بأن الإسلام دين السلام ، وأجمل فضيلته المبادئ الإسلامية السامية ، وأنه الدين الذي به وعليه صلاح البشرية .

ولما سأل الصحفي عن أسباب الانحلال في بعض الأفراد ، قال فضيلته : ليس ذلك راجعاً إلى الدين ، وإنما يرجع إلى التأثير بالمبادئ المادية ، ثم شرح جانب القوة في الإسلام ، والمعاني التي تقوم الشعوب ، وتعلو بالأفراد والجماعات .

مركز المرأة الشرقية :

وسأل الصحفي عن مركز المرأة الشرقية ، والفرق بينها وبين المرأة الغربية في الزواج ، والطلاق ، والميراث ، والحياة العامة .

فأجاب فضيلته بأن المرأة الشرقية في الزواج : متى كانت راشدة عاقلة ، فلا سلطان لأحد على تزويجها دون إرادتها .

أما في الميراث ، فالمرأة لها نصف ما للرجل ، لأن الرجل عليه تبعات ، وله عليها القوامة . وتبعاتها واجبة على الرجل .

أما من حيث الطلاق ، فمكروه أن ناحية العاطفة فيها أقوى ، ولو سلم لها زمام الطلاق ، فإنه يخشى من انحرافها وراء العاطفة . على أن الإسلام لم يحرمها حق طلب الطلاق عند المضارة .

المرأة والتعليم :

أما في الحياة العامة ، فالإسلام أباح لها التعليم بل أوجبه عليها ، ونساء الصدر الأول كن عالمات بعلوم الإسلام . بل إن بعض الرجال من ذاك العصر كانوا يأخذون عن بعضهن العلم .

التصرفات المالية :

وقال فضيلته : والإسلام أعطى المرأة حرية التصرفات المالية . لها أن تبيع ، وتشتري وترهن ، ولا حرج عليها في التصرف المالي .

الإسلام يمنع الفتنة :

والشيء الذي منعه الإسلام ، هو أن تظهر المرأة بمظهر يفتنها أو يفتن الرجال بها . وهكذا مضى فضيلة الأستاذ الأكبر ، يحدث الصحفي عن معاني الإسلام ورسائله الخالدة . وفي النهاية شكر الصحفي لفضيلته حسن استقباله له ، وهناء بتقلده منصبه ، وقدم فضيلة الأستاذ الأكبر للصحفي مطبوعاً ، عن تاريخ الأزهر باللغة الانجليزية .

٢ - حديثه إلى جريدة المصري عن أزمة الزواج

قال مندوب جريدة (المصري) :

في زحمة الأعباء وجدت فضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الجديد ، فلما ألقيت إليه بأسئلتى حاول أن يعتذر وقال : إن تبعات المنصب لا تترك لي فرصة من الوقت . قلت : ولكن هذا المنصب يفرض عليك أيضاً أن تجيب فقال :

أزمة الزواج :

ترجع أزمة الزواج إلى عوامل كثيرة :

الأول - المغالاة في المهور سبب في إعراض كثير من الفتيان عن الزواج ، لعدم استطاعتهم

القيام بهذا الواجب الذى يحتمه آباء الفتيات، فلو كان يقتصد فى هذه الناحية ، ويقتصر على تخيير الزوج الصالح الذى يهجه أن يبنى حياة زوجية يرمى بها إلى التعاون والقيام بتكوين أسرة نافعة، لما صعب أمر الزواج ولما كانت أزمة .

ومن الأسباب أن كثيرين من الناس يفهمون أن نظام الزواج ليس إلا مجرد قضاء الحاجة الجنسية ، مع أن المقصود منه التئاسل والتوالد الذى ينشئ رجالا يعملون فى هذه الحياة ليجنوا ثمراتها ، فإذا كان ما يرى إليه بعض الشبان هو مجرد قضاء الحاجة الجنسية فإن ذلك يكون من أكبر الصوارف عن الزواج الذى هو نواة تكوين الأسرة ، ولذلك يستبج بعض الفتيان أن يصرح بأن الزواج فيه حجر على الحرية فى الاستمتاع الجلفى بمن يشاء من غير تحمل الواجبات التى يفرضها نظام الإسلام وتعاليمه فى الزواج .

وإذا أخذ بهذه الفكرة المخطئة الخاطئة فإن أمر الأمة يصير إلى التفكك والانحلال واختلاط الانساب الشائن ، فينشأ الناس فى همجية وفوضى أسوأ حالا من فوضى سائر الحيوان .

وبعض الفتيان إذا أراد أن يتزوج فإنه يعمل على أن يصاهر رجلا صاحب جاه أو نفوذ أو ثروة ، ولا يقصد من الزواج تلك المعانى السامية التى يبيها الإسلام بنظام الزواج ، ومن أجل ذلك تراه لا يلبث طويلا على حياة الزوجية إذا زال جاهد من صاهره أو ضاعت ثروته ، فتظهر فور ذلك مظاهر التكد والتفليس فى هذه الحياة ، وتكون النتيجة أن يطلق امرأته بزوال كل ما كان يرمى إليه من هذا الزواج . وقد يحاول بعد ذلك أن يدخل فى تجربة أخرى من هذا النوع فلا يصيب فيها خيرا مما أصابه فى التجربة الأولى ، وبذلك يفاضب شريعة الزواج ويحمل عليها ، ويرى أن الزواج مشكلة مستعصية الحل ، وأن الإنسان لا ينال منه فى أغلب الأحوال إلا الشر والتكد والعناء ، فينصرف لذلك عن الزواج ، ويكتفى بأن ينال مما تقضى به طبيعة النوع فى الإنسان ما حرم الله .

فلو أننا كنا نراعى مبادئ الإسلام وما يقصد إليه من الزواج ونترفع عن تلك الأغراض النازلة الهابطة التى لا ترمى إلى فضيلة ولا عفة ولا تكوين أسرة . فلا شك أن نستقيم بذلك أمور الزواج وتكون حياة الزوجية هنيئة سعيدة مثمرة ثمرتها الصالحة .

إن الزواج لا يصرف الطالب عن درسه ، ولا العامل عن أن يعمل ، ولا التاجر عن تجارته ، وإنه يكون من المستطاع ومن اليسير على كل من يريد عفة نفسه من الوقوع في الفجور والحفاظة على كرامته وشرفه ، وعلى التمسك بمبادئ دينه أن يتزوج ، ففي الزواج عون له على القيام بواجبه الذي يكدر في الحياة من أجله ، لأن الزوجة يد تعمل معه على تيسير أسباب هذه الحياة .

الكبت الجنسي :

والكبت الجنسي له مضار كبيرة يقرها الأطباء : فهو ضار بحجم الإنسان وعقله وقلبه ، فقلما نجد واحداً من هؤلاء الذين يضطرون إلى هذا الكبت صحيح البنية سليماً معافى من الأمراض المتنوعة التي هي أثر من آثار هذا الكبت ، ولا شك أن الإنسان إذا ضعفت بنيته واضطرب تفكيره وضعف قلبه فإنه لا يستطيع أن يقوم بعمل نافع قوى ، فإن الضعف لا يفتح إلا ضعفاً ، والمرض لا يكسب قوة ، وبذلك تضعف الأمة في كثير من نواحي الحياة وأساليبها .

وكذلك يقرر الأطباء أيضاً أن الكبت الجنسي يسبب الوسواس والهوس .

الاختلاط المحرم :

ليس هناك في الإجابة عن هذا النداء الجنسي ما يبيح الاختلاط المحرم ، الزنا ، فإن مساوئ هذا الاختلاط كثيرة من ناحية الصحة ، ومن ناحية ما يصلح للجمع ، ومن ناحية الدين ، ولا يشك في هذا إنسان . والذي يضعف قوة هذه النزعات الجنسية هو انصراف الشخص إلى ما يزاوله من عمل انصرافاً كاملاً يستطيع به الوصول إلى غايته من طريق قريب ، وعدم مطاوعة النفس بالتفكير في الاختلاط الجنسي .

وعوامل تخفيف الكبت كثيرة : منها انصراف الشخص إلى ما فيه من عمل دراسي أو صناعي أو تجاري انصرافاً كاملاً ، وعدم التطلع إلى الفساد وزينات النساء عما يثير فيه الممنى الجنسي . ولقد قال رسول الله ﷺ : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (واجبات الزوجية) فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء . .

ولا يبيح الإسلام أبداً بأي حال البغاء سواء كان رسمياً أم غير رسمي .

الحيانات الزوجية :

قد يكون من أسباب هذه الحيانات عدم الاحتياط والتحري في تغير أحد الزوجين للآخر بسبب أن بعض الناس لا يقصدون بالحياة الزوجية ما يقصده الإسلام - فقد يندفع الزوج بأسباب الإغراء المادية التي ترجع كما قلنا إلى الطمع في الانتفاع بجاه أو مال ، ثم لا يصل هذا الطامع إلى غايته من ذلك ، فتتسكد الحياة الزوجية وينصرف أحد الزوجين أو كلاهما إلى الاتصال غير المشروع ، وقد يكون سبب هذه الحيانات أن الزوجين كانا أو أحدهما قبل الزواج على اتصال غير شريف ، والشخص الذي ليست عنده مناعة وحصانة من الدين لا يقنع بامرأة واحدة ، بل يكون شأنه دائماً التطلع إلى نساء أخريات .

ومن أكبر أسباب هذه الحيانات الزوجية ظهور النساء للرجال الأجانب بمظاهر الفتنة ، والاختلاط بين النساء والرجال في المجمع والمنتديات والحفلات الراقصة وغير الراقصة ، والواقع الملموس يشهد بأن هذا الاختلاط من أقوى دواعي الفجور ، قال الله تعالى : « قل للذين آمنوا يحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للذين آمنوا يفضضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو بنائهن أو أخواتهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » . فإن الاختلاط لا يتم بين الرجل والمرأة فجأة بل يتم بمقدمات .

اختلاف الدارين في التشريع الإسلامي والقانون المصري

- ٢ -

١١ - الفرض الثالث : وهو المتعلق باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين غير

المسلمين :

ونفرق بشأنه بين صورتين :

١٢ - الصورة الأولى : صورة ما إذا كان التوارث بين غير مسلم مصري

- طرفاً أولاً - وغير مسلم من دار الإسلام - طرفاً ثانياً -

وفيها يجرى التوارث بصرف النظر عما إذا كان القانون الوضعي للدولة الإسلامية التي يتبعها غير المسلم الطرف الثاني في التوارث ، يميز توريث الأجنبي عنها أو لا يبيحه ، وعلى هذا يرث المسيحي الإيراني من المسيحي المصري إذا وجد سبب التوريث بينهما ، وكذلك الأمر بالنسبة لتوارث بين المسيحي الأندونيسي ، والمسيحي المصري ، وبالجملة يقع التوارث بين غير المسلم المصري وغير المسلم التابع لدولة إسلامية ، وهذا هو المقرر في مذهب الحنفية ، ولم يخرج عليه قانون الميراث المصري ، إذ لم ينص على ما يخالفه .

١٣ - والصورة الثانية : صورة التوارث بين غير المسلم المصري . وغير المسلم

التابع لبلد من دار الحرب ، وفي هذه الصورة حالتان :

أولاهما : حالة ما إذا كان التوارث بين غير مسلم مصري ، وغير مسلم في بلد من دار

الحرب لا تمنع شريعته الوضعية من توريث الأجنبي عنها ، وهو في هذه الصورة المصري غير المسلم عن يموتون من رعاياها ، فهنا يحصل التوارث ، ولا يعد اختلاف الدار مانعاً من التوارث .

١٤ - وقد استقى القانون حكم هذه الحالة من المذهب المالكي والمذهب الحنبلي ،

أما المذهب الحنفي - الذي لم يؤخذه في هذه الصورة - فقد كان يقول بأنه لا توارث

بين أهل دار الحرب إذا اختلفت الدول التي يقعون إليها ، بالمنفعة والسلطان ، ولم يكن بين دولة المورث ودولة الوارث تعاون وتناصر على أعدائهما ، وترتيباً على ذلك إذا وجد مستأمنان في بلاد الإسلام : أحدهما ياباني ، والآخر صيني ، ومات أحدهما وكان بالآخر سبب للإرث منه ، فإنه لا يقع التوارث بينهما في حالتين : الأولى حال ما إذا كانت حرب فعلية بين الصين واليابان ، والثانية حال ما إذا لم تكن حرب بالفعل دائرة رحاها بين الدولتين ، ولكن ليس يقوم بينهما تناصر وتعاون على أعدائهما ، ويستند هذا المذهب في تقرير ذلك إلى أن الموالاة والمناصرة هي سند الوراثة ، فإذا انتفت امتنع الميراث ، لأن مال الشخص لا يعطى لأعدائه أو أعداء قومه^(١) . بيد أن القانون المصري كما سلف لم يأخذ بهذا المذهب وتبنى مذهب المالكية والحنابلة ؛ لأنه يحقق التسوية بين المسلمين وغيرهم في حالة اختلاف الدار في مجال التوريث^(٢) . وهنا نجد المشرع قد استند في تقريره لحكم هذه الصورة إلى أساس (المعاملة بالمثل) وهو أساس معروف بين الدول المتمدينة تأخذ به في صدد تنظيم علاقات أبنائها بأبناء غيرها في مجال القانون الدولي .

١٥ - وثانيتهما : حالة ما إذا كان التوارث بين غير مسلم مصري ، وغير مسلم من بلد من دار الحرب تمنع شريعته الوضعية توريث الأجنبي عنها ممن يموتون من رعاياها ، وهذه الحالة هي الحالة التي يعتبر اختلاف الدار فيها مانعاً من الإرث ، وقد استقى القانون حكمها من المذهب الحنفي الذي يعد اختلاف الدارين مانعاً من الميراث في جميع الحالات ! والظاهر أن اختلاف الدار المانع من الإرث في هذه الحال ، المعتبر فيه هو الاختلاف الحكمي ، أي اختلاف الجنسية ، أو الرعوية . وليس مجرد الاختلاف في الإقامة لأنه لا عبرة باتحاد الإقامة ، ما دام ثمة اختلاف في الرعوية^(٣) .

(١) انظر : الأستاذ أحمد إبراهيم (بك) في « الوارث علماً وعملاً » سنة ١٩٤٢ - ص ٨٨

(٢) انظر للذكرة الإيضاحية لقانون الميراث المصري في « مجموعة القوانين : الوقف والوصية والميراث » جمع وترتيب محمد الفريب . الطبعة الثانية - ص ١٤٥ - هذا وقد ورد نص م ٦ من قانون الميراث خاصة بمائتي اختلاف الدين والدارين ، وتقول المادة في فقرتها الثانية (ويتوارث غير المسلمين بعضهم من بعض ، واختلاف الدارين لا يمنع من الإرث بين المسلمين ، ولا يمنع بين غير المسلمين إلا إذا كانت شريعة الدار الأجنبية تمنع من توريث الأجنبي عنها) .

(٣) انظر الشيخ محمد أبو زهرة في « أحكام التركات والوارث » - ص ١١٥ .

١٦ - وهنا يمكن التعرض لضرورة غير المسلم الحربى الذى أنى إلى مصر بقصد التجارة أو الزيارة مثلاً، ونقصد به «المستأمن» إذا مات في مصر وله ورثة في بلده التى هي في دار الحرب، نقول: إن المذهب الحنفى، يرى في هذه الحالة وجوب وقف مال «المستأمن» إذا مات في دار الإسلام - ومنها القطر المصرى - لورثته الذين في دار الحرب (١)، والتكليف القانونى لذلك، هو أن حكم الأمان يبقى في مال المستأمن حتى بعد وفاته؛ لأنه متعلق بحقه الذى اكتسبه من عقد الأمان، وهذا الأخير يرتب للمستأمن جملة حقوق يعتبر واحداً منها وجوب إيصال مال المستأمن لورثته إذا أتمته المنية في دار الإسلام (٢).

١٧ - ويمكن الأخذ بهذا الحكم الخاص بميراث المستأمن في ظل قانون الميراث إذ أنه يترتب على القول بأن عقد الأمان الذى يقدّمه المسلمون مع المستأمن في دار الإسلام، يترتب عليه التزام المسلمين إيصال ماله بعد وفاته لورثته الذين في دار الحرب، وهذا الالتزام ينشأ من احترام الحرمة التى لهذا العقد ولسائر العقود في الشريعة الفراء، ولا ينشأ من احترام ملكية المقيمين بدار الحرب.

نقول إنه يترتب على هذا القول عدم تعليق حق الخزانة العامة أى بيت المال باعتبارها مستودع الضرائع التى لا يعرف لها مالك، بمال المستأمن المتوفى في دار الإسلام والمخلف ورثة في دار الحرب؛ إذ يتبين من التكليف السابق، أن مال المستأمن ليس مالا ضائعاً لسبيين. أولها: أن له مالاً في دار الحرب.

وثانيهما: أنه مال محترم تولد احترامه من عقد الأمان نفسه، وهذا هو السبب أيضاً في أن المستأمن إذا أوصى بكل أمواله لشخص في دار الإسلام، استحق هذا الشخص هذه الأموال بصرف النظر عن حقوق الورثة؛ إذ أن إرادته المنفردة في مصير أمواله، هي المعتبرة عند المسلمين الذين عقدوا معه عقد الأمان؛ ذلك العقد الذى ترتب عليه وجوب صيانة أمواله (٣).

[١] فهدت للمادة ٨٨٨ من كتاب [الأحوال الشخصية] وقف مال «المستأمن» في دار الحرب لورثته الذين في دار الحرب باتحاد دارهما، ولنا قههم من ذلك إلا أن يخرج عن حكم هذه المادة صورة ما إذا كان ورثة المستأمن ليسوا في دار الحرب بل في دار الإسلام، لأن المعروف أن ما خرج من مجال هذه المادة الأخيرة هو دار حرب، ودار الحرب هي دار للمستأمن الأصلية لأنه من أهلها، ومقامه مؤقت في دار الإسلام، فلا مبرر لشرط اتحاد الدارين بين المستأمن وورثته إلا خروج الصورة التى ألفتناها.

[٢] انظر: هبة الله مصطفى للرافعى في السالف - ص ١٠٥.

[٣] انظر: محمد أبو ذهرة في السالف - ص ٩١.

١٨ — ولنا نستند في الأخذ بهذا الحكم ، إلى التكييف الشرعي والقانوني السالف حسب ، وإنما نعتد كذلك على نص في القانون المدني المصري ^(١) ، مقتضاه أن « يسرى على الميراث والوصية وسائر التصرفات المضافة إلى ما بعد الموت ، قانون المورث أو الموصى أو من صدر منه التصرف وقت موته » ، فالأموال التي تكون ميراث المستأمن — فضلاً عن احترامها بموجب عقد الأمان والتزام إيصالها لورثته — تخضع كذلك لقانون المورث الذي هو هنا المستأمن ، أي قانون البلد الذي يتبع إليه هذا الشخص في دار الحرب ، ويدخل في ذلك تعيين هذا القانون لورثته ، فحتى كان له ورثة في دار الحرب أو بالأحرى في البلد الذي يطبق فيه هذا القانون بحسب التمييز والتحديد الوارد فيه ، صارت مهمة الحق الذي خول لهذا الشخص بمقتضى عقد الأمان أن توصل أمواله إليهم !

* * *

١٩ — بقيت مسألة أخيرة في هذا المجال ، خاصة بحق الخزانة العامة ^(٢) - وهي بيت مال المسلمين - باعتبارها مستودع الضوائع التي لا يعرف لها مالك ، فيما يتعلق باختلاف الدارين ، وانفهم ذلك يمكن التعرض لهذه المسألة في حالتين :

٢٠ — الحالة الأولى : حالة ما إذا مات شخص في مصر وهي بلد من دار الإسلام وله تركة ، وليس له ورثة مطلقاً : وفي هذه الحالة نجد فرضين :

٢١ — الأول : أن يكون هذا الشخص مسلماً مصرياً ، وهنا بصريح نص القانون ^(٣) .
يؤول ماله إلى الخزانة العامة .

٢٢ — والثاني : أن يكون هذا الشخص ذمياً مصرياً ، أو له جنسية إحدى الدول الإسلامية في دار الإسلام ، وهنا أيضاً تستحق الخزانة العامة تركته التي خلفها ، وينطبق هذا كذلك على الفرض الذي يكون فيه الذي أحد رعايا دولة إسلامية غير مصر في دار

[١] هو نص الفقرة الأولى من المادة ١٧ من القانون المدني الجديد الصادر به القانون رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ .

[٢] وزارة المالية .

[٣] انظر : الفقرة الأخيرة من م ٤ ، من قانون الميراث ، ونصها : « فإذا لم يوجد أحد من هؤلاء ، آلت التركة أو ما بقي منها إلى الخزانة العامة » .

الإسلام ، حيثئذ تكون الخزانة العامة لحكومة تلك الدولة هي التي يؤول إليها مال هذا الشخص بعد وفاته من غير وارث .

٢٣ — والحكم في هذه الحالة مأخوذ من المذهب الحنفي ، الذي يقسم بيت المال إلى أقسام ، من بينها قسم خاص بأموال الضوائع ، وأساس استحقاق الخزانة العامة لمال من لا وارث له في هذا المذهب ، لا يستند إلى أنها وارثة للمتوفى ، مسلماً كان ، أم ذمياً ، وإنما يستند إلى اعتبارها موئل الضوائع التي ليس لها مالك ، وهذا مفهوم في فرض المتوفى المسلم الذي لا وارث له ، أما في فرض المتوفى الذي ، فيتضح هذا الأساس من القول : بأن الخزانة العامة هي بيت مال جماعة المسلمين ، ولو قررنا حكم استحقاقها على أساس أنها وارثة للمتوفى الذي ، لظهر التناقض في أحكام التشريع الإسلامي في شأن الميراث ؛ لأن هذا التشريع قد أجمع فيه على أن اتحاد الدين شرط للورثة بين المورث والوارث ، وأن اختلافه مانع من موافقها ، ومن أجل هذا لا يكون صحيحاً تكليف استحقاق الخزانة على أنها وارثة للذي لأن هذا الأخير غير مسلم ؛ ولأنها تمثل جماعة المسلمين ، ولا توارث بين مسلمين وغير مسلمين .^(١)

٢٤ — ويؤيد هذا التكليف ، أن الخزانة العامة إذا وضعت يدها على تركه المتوفى فهي إنما تستولى على مال ضائع ، فإذا ادعى شخص بعد ذلك ملكيته لهذا المال وأحقيقته له بأن أقام الدليل على أنه الوارث لهذا المال دون سواء ، انتفت عن المال صفة الضوائع ، ووجب على الخزانة العامة أن تسلمه لهذا الشخص ، لأنه مالكه ؛ ولأنها ليست ذات أحقية في الاستيلاء عليه ، ومثل الخزانة في ذلك مثل الشخص الذي يحمّد شيئاً ضائعاً فيعرف عنه ، ثم يحمّد من يدعي ملكيته له ويقيم الإمارات المثبتة لهذه الملكية ، فعندئذ يصير واجباً على الملتقط أن يسلم إليه ماله الذي فقده .^(٢)

٢٥ — وهذا التكليف أخذ به القضاء المصري بالفعل^(٣) ، وأوجب الأخذ به في القانون المصري بعض الفقهاء المحدثين^(٤) ، ويشارك المذهب الحنفي في القول به ، المذهب

[١] انظر : الأستاذ محمد زيد الأبياني في «شرح الأحكام الشرعية ، في الأحوال الشخصية» ٣٨ ص ٢٦٠ .

[٢] انظر : محمد أبو دهر في السالف - ص ٩٠ :

[٣] انظر : «مجموعة القواعد القانونية» لحدود عمر ص ١٠٨ حكم محكمة النقض المصرية في ٢٦ مايو سنة ١٩٣٢ — وانظر : مجلة التشريع والقضاء ص ٥٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٥ استئناف غنطط ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٠ .

[٤] انظر : دكتور مزالدين عبد الله في « القانون الدولي الخاص المصري » ج ٢ في « تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدوليين » سنة ١٩٥٣ — ص ٢٧١ .

الحنبلية وبعض المالكية كذلك ، وخالفه بعض الشافعية ، الذين اعتبروا الأساس في استحقاق الخزانة العامة للتركة الضوائع ، هي أنها واردة من لا وارث له ، إذ أنها تمثل جماعة المسلمين وهؤلاء يستحقون الأموال التي يخلفها من يموت دون وارث ، كما أنهم يعقلون عن جناية من لا عاقلة له ، فالزامهم هذا العقل الذي يوجب كون المعقول عنه لا عاقلة له ، يقابله حقهم في أن يرثوا مال من لا وارث له ^(١) .

٢٦ — غير أنه يلاحظ أن قيمة هذا الخلاف في تكييف استحقاق الخزانة العامة ضئيلة الشأن من الناحية العملية ، ما دام أن النتيجة العملية لكل من المذهبين واحدة ؛ إذ تتمثل في استحقاق بيت المال لمال المتوفى من غير وارث ، وتقتصر قيمته على الناحية النظرية ، وهي مهمة في هذا المجال من حيث التناقض الذي يظهر من الرأي القائل باعتبار بيت المال وارثاً ، مع أن شرط الميراث اتحاد الدين ، ولا اتحاد في الدين بين المورث إذا كان ذمياً ، وبين جماعة المسلمين ، وهم من يمثلهم بيت المال ^(٢) .

٢٧ — على أننا نستطيع أن نؤكد أن القانون المصري في عومه ، قد تبني تكييف المذهب الحنفي القائل باستحقاق الخزانة العامة لتركة من لا وارث له ، لا على اعتبار أن هذا حق من حقوق الإرث مخول لها ، بل على اعتبار أنها مستودع الضوائع ، والدليل على ذلك نص ورد في قانون المرافعات المدنية والتجارية المصرية ^(٣) ، إذ جاء فيه ^(٤) أن :

« على الوصي أن يثبت حالة التركة بمحضر جسر ، ولا يمكنه أن يبيع المنقولات إلا بالأوضاع المبينة في هذا القانون لبيع الأشياء المحجوز عليها .

[١] هذا فضلاً عن أن السفة جاء فيها : [أنا وارث من لا وارث له] انظر : شرح المراجعة للسيد الشريف ص ١٧ وانظر : أحمد إبراهيم في بحث له بمجلة القانون والاقتصاد ص ٤ ص ٥١ .

(٢) أخذت بعض التشريعات الأجنبية كالنشرية المدنية الألمانية [في م ١٩٣٦] والنشرية المدنية السويسرية [في م ٤٦٦] بفكرة اعتبار الدولة واردة لمن يموت مطلقاً تركة لا وارث لها ، انظر في ذلك وفيما يؤدي إليه تكييف حق الدولة في تركة من لا وارث له على أنه من حقوق الارث : دكتور محمد عبد المنعم رياض في السائف - ص ٤٤٦ - أما التشريعات التي لم تنص صراحة على تكييف حق الدولة في أخذ تركة من لا وارث له كالنشرية الفرنسية ، ففيها تمديدت الآراء وتباينت ، انظر في ذلك : دكتور حامد سلطان في تطبيق أحكام اللوارث - مجلة الحقوق سنة ١٩٤٣ ص ١٣٤ .

(٣) الصادر به القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٩ .

(٤) الفقرات الأخيرة من المادة ٩١٨ من القانون السالف الذكر .

وإذا عين غير مصلحة الأملاك وصياً على التركة وجب عليه أن يبلغ تلك المصلحة خبير تعيينه في عشرة أيام ، وعلى المصلحة المذكورة أن تبأثر في بلد المتوفى الأصلية التحريات اللازمة لمعرفة ما إذا كان هناك ورثة .

فإذا لم يظهر أى وارث في خلال سنة من تاريخ التبليغ المشار إليه في الفقرة السابقة ، وجب على الوصى أن يسلم التركة باعتبارها تركة بلا وارث إلى مصلحة الأملاك . .

٢٨ — الحالة الثانية: حالة ما إذا مات شخص غير مسلم في مصر (أو في دار الإسلام) ، وكان هذا الشخص قد استؤمن بأمان المسلمين ، أى صار أجنبياً مستأمناً ، وكان له تركة لم يخلف لها وارثاً :

هنا في هذه الحالة ، يجب إعمال القاعدة العامة وتطبيقها ، وعلى ذلك نجد أن تركته تؤول إلى بيت المال كذلك باعتباره خزانة المال الذى لا مالك له .

٢٩ — غير أن البحث يثور فيما يتعلق بالقانون الواجب الأخذ به فيمن يعتبر وارثاً لهذا المستأمن ، أهو قانون دولته التى ينتمى إليها ومنها آق (وهى من دار الحرب) أم هو قانون الدولة الإسلامية (مصر) التى توفى فيها ، أى قانون افتتاح التركة ١٩

٣٠ — ونرى في هذا المجال أن القانون المعتبر في هذه الحال ، هو قانون الدولة الأجنبية التى يتبعها المستأمن ، وذلك تفريماً على القول بأن مال المستأمن يوقف حال موته في مصر أو في البلد من دار الإسلام ويسلم لورثته في بلاده ؛ لأن ذلك ما يوجب عقد الاستئمان ، وعلى ذلك إذا اعتبر شخص بحسب قوانين الدولة الأجنبية وارثاً للمستأمن ، كان له ماله الذى توصله إليه الدولة الإسلامية التى توفى فيها هذا الأخير ، وكذلك إذا لم يوجد من يعتبر بحسب قوانين تلك الدولة الأجنبية وارثاً له ، صار مال المستأمن مالاً ضائعاً لا مالك له تأخذه الخزنة العامة للدولة المصرية التى أسلم روحه فيها ، إذا لم يكن قانون دولته ينص على مآل تركه رعاياها الذين يموتون من غير وارث في خارجها ، فإذا كان هذا القانون يعتبر خزانة دولته هى الوارثة في هذه الحالة ، كان المعتبر هو حكم القانون الأجنبى ، وذلك تطبيقاً لنص الفقرة الأولى من المادة السابعة عشرة من القانون المدنى المصرى الذى يقرر أنه :

« يسرى على الميراث والوصية وسائر التصرفات المضافة إلى ما بعد الموت ، قانون المورث أو الموصى أو من صدر منه التصرف وقت موته . »

مِينَاء العَقْبَة

لقد كثر ترداد ذكر العقبة ، منذ قام الملك علي مقام والده في جدة ، واستمرت حوادثها وأسباب ذكرها حتى أيامنا هذه . والقلائل من القراء من يعرفون ما فيها وموقعها ومستقبلها وخطرها ، فأجبت أن أكتب هذه الكلمة للذكرى والبيان ، مشفوعة بكلمة عن تاريخها . في رأس البحر الأحمر (وهو بحر القلزم) خليجان يكونان من البحر كأذني الأرنب ، يعرف الشرقي منهما قديماً باسم (خليج أيلة) ويسمى (خليج العقبة) في القرون الأخيرة . وفي سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) زرت العقبة لأن أخى رحمه الله كان موظفاً فيها ، وأقت في ربوعها أربعين يوماً ، فعرفت موقعها ، وتبعت حوادثها قديماً وحديثاً .

إن رأس الخليج في الشمال قليل العرض بحيث لا يزيد عن كيلو متر ، وعلى مسافة نحو بضعة كيلو مترات من زاويته الشمالية الغربية إلى الجنوب يقع رأس مراخ الذي يكون ميناء طبيعياً هادئاً فيصبح في نهايته كأنه بركة ماء كبيرة .

وفي الشمال الغربي من رأس الخليج تقع خرائب أيلة ، وفي الشمال الشرقي تقع بلدة العقبة ، ويقع ما بينهما وادي العرابة ، وهو يتصل بالغور والبحر الميت الذي تسكمت عن كنوزه في جزء سابق لهذه المجلة . وتقع أيلة (أيلات) اليوم ضمن النقب وحدود إسرائيل ، وتقع العقبة ضمن المملكة الأردنية ، وما بينهما في قم وادي العرابة تنزل القوات البريطانية ، وعلى بعد كيلو مترات من أيلة تقع طابة وهي الحد المصري ، وعلى مسافة مرحلة يقع الحد السعودي ويبدأ ببلدة حنبا ، ففي هذه المساحة الضيقة حول رأس الخليج تقع أربع دول ، وترابط خمسة جيوش ؛ ووراءها أربعة أقطار : الحجاز ، والأردن ، وفلسطين ، ومصر . ومن مواثيقها يمكن الاتصال بسائر موانئ البحر الأحمر ، ومنه يمكن الخروج إلى البحر الأبيض شمالاً وإلى باب المندب والبحر العربي والمحيط الهندي جنوباً .

إن اليهود يطمعون في إنشاء ميناء على خليج العقبة لتصدير المعادن والاملاح بل الكنوز التي يستخرجونها من البحر الميت والنقب ، ولاستيراد خيرات الشرقين الأقصى والوسط . ويطمع الانكليز في التركز بها إذا انسحبوا من فايد ليتخذوها مركزاً حروبياً وتجارياً ،

يتصلون منه بالشرق الأدنى شمالاً ، وبالشرقين الأوسط والاقصى جنوباً وشرقاً ، ويطعمون في موقعها الاستراتيجي الخطير الذي يمكن السيطرة منه على سيناء وفلسطين والأردن والمملكة السعودية ، ويمكن أن يرسو أسطول فيه فهدد جميع سواحل البحر الأحمر .

* * *

وأهمية العقبة معروفة للمملكة الأردنية والمملكة العربية السعودية ، وكادت تقع الحرب بينهما بسببها عقب انتهاء الحرب الحجازية النجدية سنة (١٣٤٣ هـ ، ١٩٢٤ م) إلا أن الأمر توقف بهدنة مدتها سبع سنين ، ثم استطاعت الأردن أن تقنع المملكة السعودية بترك الحال على ما هي عليه . فلما ضاعت سواحل فلسطين وأصبحت الأردن تلاقى صهوبات في نقل البضائع من ميناء بيروت عادت تفكر في ميناء العقبة ، وهذا أصبح موضع اهتمام الأردن أيضاً ، وشعرت مصر وشعرت المملكة السعودية بأن وجود ميناء معاد لها في نهاية الخليج خطر على البلاد وسواحلها فاستيقظوا ، وبهذا تحول الاهتمام إلى خليج العقبة ، ويزداد هذا الاهتمام فيما بعد متى خرج الانكليز من فايد واحتاج اليهود إلى تضدير معادن وأملاح وكنوز البحر الميت والنقب ، فيشتد الضغط على الأردن وتضطدم مصر والمملكة السعودية باليهودية المعادية وبالانكليز ، وتصبح العقبة (ترسته العرب) .

إن ميناء العقبة بموقعها الاستراتيجي واتصالها بالشمال والجنوب تنبئ بمستقبل عظيم ، وفي نفس الوقت تنذر بشر مستطير يتصل اتصالاً وثيقاً بالشور التي تنجم عن كنوز البحر الميت والنقب ، وعلى الأمم العربية أن تستمد لهذه المواقف من الآن .

تاريخ العقبة وقلعتها

لا نعرف اسم العقبة ، إلا في القرون الأخيرة ، إذ كانت الشهرة في العهد الأول لاية التي تقع تجاهها في أول النقب ، وهي القرية التي كان أهلها يعدون في السبت ، ويتوارث اليهود أنهم قد مسخوا قردة وخنازير ، وهي في العبرانية (أيلات) . وكانت تتصل بغزة وفلسطين وبمصر والشام والعراق والحجاز . ولم يرد لها ذكر في الفتوح الإسلامية إلا مرة واحدة حينما وفد صاحبها على الرسول ﷺ في تبوك ، وقد دفع الجزية وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم عهداً كما ذكر الشهاب القسطلاني .

وفي الحرب الصليبية استولى عليها صاحب الكرك المعروف عند العرب بالبرنس رينود

أورنيالد (ريجنالد عند الافرنج) وأنشأ فيها أسطولا هاجم به سواحل عيذاب، وهاجم قوافل السفن التي تقل الحجاج، وقد هاجم الحجاز وبلغ جيشه نقطة تبعد يومين عن المدينة المنورة، فردّه أشراف ينبع بقيادة الشريف قتادة، وأسرم الشريف وقتلهم جميعاً، فكان هذا سبباً لتولى الشريف قتادة وبنيه إمارة مكة، وهم أشراف الطبقة الرابعة من حكام مكة.

ثم أنشأت الحكومة المصرية أسطولا فقصت به على الأسطول الصليبي، وأنشأت بلدة العقبة تجاه عقبة طريق معان، وأصبحت إحدى منازل الحج الساحلية، وقد بنيت فيها قلعة في عهد قنصوه الغوري آخر ملوك المماليك الشراكسة كما قرأت على باب قلعتها من الداخل. وبقيت العقبة ذات شأن بمرور الركبين الشامي (ومركزه نابلس) والمصري (ومركزه غزة) وكان أمراء الركبين من المماليك الفقاريين آل فروخ في نابلس وآل رضوان في غزة، فكانا يلتقيان في الكرك ومنها يسيران إلى العقبة. ولما انقرض الفقاريون وأصبح آل العظم ولاية دمشق أمراء للركب الشامي أصبح الركب يسير من الداخل فيأتي إلى معان حيث يلتقي بالركب الشامي ويسيران معا إلى العلا فالمدينة المنورة، وبذلك أهمل شأن العقبة، وظلت كذلك إلى أن احتل الانكليز مصر، واثارت اليمن وعسير سنة ١٩٠٥ وأصبحت الدولة العثمانية مضطرة إلى سوق الجيوش إلى اليمن فانخضت دمشق مركزاً داخليا لحركات الجيش، والعقبة ميناء بحرياً لذلك.

وفي السنة التالية أي سنة ١٩٠٩ حاول الانكليز الاستيلاء على العقبة باسم تصحيح الحدود، فحدد السلطان عبد الحميد فيها أربعين طابوراً، وقد هيا له معتمده في مصر أحمد مختار باشا الخرائط اللازمة، فتظاهر بمحاولة الهجوم على مصر، فقتل الانكليز بالحد الحاضر وهو (طابة) في الجهة الغربية على الخليج، وهي ترى من العقبة، وظلت العقبة مركزاً لسوق الجيوش العثمانية إلى موافى الحجاز واليمن.

ولما وقعت حرب طرابلس الغرب سنة ١٩١١ م ضرب الأسطول الإيطالي القلعة فدمرها، فلم يبق منها سوى الباب وبدن السور والأبراج. ولما وصل الخط الحجازي إلى المدينة المنورة أهملت العقبة، إلا أنها عادت واستردت مكانتها السابقة بعد أن اتخذها الأمير (الملك) فيصل والحلفاء مركزاً لقيادة الجيش الشمالي في الحرب العالمية الأولى وأنشئ فيها ميناء ومداخر، وأصبحت تدرج بالجيوش والمنطوعين والبدو والذخائر.

ثم أملت العقبة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وأصبحت كالمعلقة بين الحجاز والشام :
فالمداخر لفصل ، والإدارة لوالده ، وقد ذاق أخى الشيخ ^(١) أحمد نجيب النمر بوصفه
(مدير المدخر) مشقات إلى حد المخاطرة بنفسه للمحافظة على المدخر من شيوخ البدو
والأشراف العظامين فيه ، إلى أن بلغ الأمر جلالة الحسين بن علي فأرسل باخترين شحتا
ما فيه من سلاح وعتاد وذخائر وكافاً أخى ورقاه .

وقد عنى الملك حسين بالعقبة عناية كبيرة فجعلها قائممقامية (أى بدرجة مركز) فى الإدارة
المصرية) وعين فيها رؤساء دوائر للبالية والبرق والبريد والجرك ولها قاض شرعى وقيادة
درك وقيادة شرطة وجنود شرطة ودرك وحجامة ولاسلكى للمخابرة ، ونقل إليها عدداً من
المسكين وغيرهم لبنى سكانها ، وهم خليط من الصعايدة والمعانين وغيرهم . وكان يتفق على
إدارتها ثمانية آلاف جنيه ذهباً ، وقد رفع له أخى تقريراً بالاكتفاء لإدارتها باثنين من
الموظفين وأن تكون نفقاتها نحو ألف جنيه فلم يقبل . وقد لجأ إليها الملك حسين بعد تنازله
لابنه على عن الملك ومنها نسلته المدمرة الانكليزية التى نقلته إلى قبرص . والملك على بن
الحسين هو الذى تنازل عن معان إلى الأردن لما كان فى جدة ، وقد أقيمت مؤقتاً لسبع سنين
فى حوزة الأردن بموافقة السعوديين كما أشرت إلى ذلك آنفاً ، ثم بقيت كلياً على ما هى عليه .
وبعد هذا يوضع سنين جرفت السيول نصفها فهاجر أهلها إلى معان وعمان وغيرهما . وبعد
كارثة فلسطين نزح إليها كثير من اللاجئين ، منهم بحارة من ثغر يافا ، ورابطت فيها قوات
انكليزية وأردنية للحيلولة دون تقدم اليهود ، وأصبحت الأردن تعمل لإصلاحها وإنشاء
ميناء فيها الشحن والتفريغ ، وقد عنيت بها فرفعتها مؤخراً من (ناحية) إلى (قائممقامية) ،
إلا أن سير العمل بطيء جداً رغم زيارات وزراء المواصلات المتكررة . والمأمول بل
الواجب أن تعمل الأردن ومصر والمملكة السعودية لعمران رأس الخليج فتحول دون
تحصن غير العرب فيه ولا مجال للتريث ؟

(نابلس)

احسان النمر

[١] كانت حكومة الحجاز تقب جميع موظفيها بالشيخ .

التَّارُ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ

غرض البحث :

موضوع هذا البحث هو التَّارُ في نظر الشريعة الإسلامية، وزيد منه أن نعرف ما كان عليه التَّارُ قبل الإسلام، وما صار إليه بعد مجيء ذلك الدين الحنيف، ولأن يكون اختصاص التَّارُ في الإسلام؛ أيكون للأفراد أم للدول والحكومات؟ .

ولعل من الاستئناس بمحو هذا البحث، أن نتعرف إلى الالفاظ المستعملة في هذا المقام، سواء أكان الاستعمال لغوياً، أم عرفياً، أم إسلامياً، فقد يكون في تحديد التعبير عون على سلامة التفكير واستقامة التصوير.

هناك ألفاظ ثلاثة تستعمل غالباً في هذا المجال، هي: التَّارُ، والقَتْلُ، والقصاص؛ فلتعرف إلى معانيها الأصلية والاستعمالية في اختصار وإيجاز.

كلمة التَّارُ:

التَّارُ ويسمى الذَّحْلُ أيضاً^(١) هو كما جاء في لسان العرب^(٢) والقاموس المحيط وغيرهما: الدم، أو الطلب بالدم، وقيل التَّارُ قاتل حيمك، والتَّارُ هو الذي لا يبق على شيء حتى يدرك ثأره؛ وتقول يا ثارات فلان، أي يا قتلة فلان؛ ومنه قولهم قديماً: يا ثارات عثمان، أي يا أهل ثاراته، ويا أيها المطالبون بدمه؛ وقال الجوهري^(٣): يقال: يا ثارات فلان، أي يا قتلة فلان؛ فعلى الأول يكون قد نادى طالب التَّارُ ليعينوه على استيفائه وأخذه، وعلى التقدير الثاني يكون قد نادى القتلة تعريفاً لهم وتقرباً، وتنظيماً للأمر عليهم، حتى يجمع لهم عند الأخذ بالتَّارِ بين القتل وبين تعريف الجرم وتسميته، وقرع أسماعهم به ليصدق قلوبهم فيكون أنسكى فيهم، وأشنى للنفس.

[١] في القاموس المحيط: «الذَّحْلُ التَّارُ»، أو طلب مكافأةً بمجنابة جيت عليك، أو مداوة أمت إليك، أو هو المداوة والحقد، جمه أذحال وذحول.

[٢] انظر ص ١٦٥

[٣] النهاية لابن الأثير ج ١ ص ١٢٤.

وقال الرغزنى فى أساس البلاغة : « وُجِعَ الثَّارُ الذى هو معنى فليل : يا ثارات الحسين ، أريد : تعالىن يا ثارانه ، أى يا ذلوله ، فهو أوان طلبكن ؛ قال حسان :

لنى لمنم وإن غابوا وإن شهدوا حتى المات ، وما سميت حسانا
لتسمن وشيكا فى دياركم : الله أكبر ، يا ثارات عثمان (١)

وقال الأصهبانى فى (مفردات القرآن) : « وثارَت الحصىة ثوراً تشبيهاً بانتشار الغبار ، وثور شراً كذلك ، وثار ثائرُه كناية عن انتشار غضبه ، وثاروره واثبه ، والثور البقر الذى يثار به الأرض .. » (٢)

ونلاحظ فى الاستعمالات الغالبة لمادة « الثار » أنها تذكر بمعانى الحق والعداوة ، وطلب الدم وإسائه ، وتحريك الغير للاشتراك فى الثوران للاشتفاء والاستيفاء ، وانتشار الغضب كما ينتشر الغبار بلا ضابط ، أو كما يقلب الثور الأرض ظهراً لبطن .

وكل هذه المعانى المستفادة من المادة ، تدل على الاندفاع والإسراع فى الشر ؛ ولذلك كانت المادة شعار العرب فى الجاهلية ، حين كانوا يشنون الغارات الشعواء فينهقون : يا للثارات
كلسة القتل :

والكلسة الثانية « القتل » ، لأنها كما تطلق على القتل الأول الابتدائى ، تطلق على القتل الثانى الذى يكون عقاباً للأول ، ومن هنا قال العرب : « القتل أنفى للقتل » .

وأصل القتل - كما يقول الأصهبانى فى مفرداته (٣) - هو إزالة الروح عن الجسد كالموت ، لكن إذا اعتبر بفعل المتولى لذلك ، يقال قُتل ، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال موت .

وفى لسان العرب (٤) - باختصار - : قتله إذا أماته بضرب ، أو حجر ، أو سم ، أو علة ؛ ومن معانى القتل اللعن والطرود من الرحمة ، كقوله تعالى : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » ، وقوله « قتل الإنسان ما أكفره » . وفى الحديث : قاتل الله اليهود ، أى قتلهم ، وقيل لعنهم ، وقيل عاداهم .

ونحن نرى المادة فى أصلها تدل على إزهاق الروح ، وإن استعملت فى الدلالة على عقاب جريمة القتل ، فإنما تستعمل على سبيل المشاكلة المعروفة فى علم البديع ، وكذلك تدل المادة على اللعن والطرود والإبعاد .

[١] أساس البلاغة ص ٨٨ طبعة دار الكتب . [٢] أساس البلاغة ص ٨٢ .

[٣] للمفردات ص ٤٠١ . [٤] لسان ج ١٤ ص ٦٤ .

كلمة القصاص :

والكلمة الثالثة هي القصاص ، ^(١) ومعناها الأصل المساواة ^(٢) ؛ والقصاص بمعنى عقوبة الجاني بمثل ما جنى يتضمن هذه المساواة ، لأن الإنسان يفعل مثل ما فعل القاتل .

وفي اللسان أن القصاص هو القود ، وهو القتل بالقتل ، أو الجرح بالجرح ، والقصاص يفيد معنى التناصف في القصاص ^(٣) ...

وسمى « المقص » ، مقادير التعادل جانبيه ، وسميت « القصة » قصة لأن الحكاية تساوى المحكي ؛ ومن هذا نرى أن المعنى الأصلي لكلمة « القصاص » هو المساواة والتعادل ؛ ولذلك كانت هذه الكلمة أنسب الكلمات للاستعمال في موضوعنا ؛ فلا يحسن أن نقول « النار » لأن النار يذكر بالسم والعداوة والاحقاد والإسراف ، ولا يحسن أن نقول « القتل » ، لأنه أيضاً يذكر بإزهاق الروح والطرده واللعن ؛ بل نقول « القصاص » ، لأنه عدل ومساواة وإنصاف ...

ويلوح أن هذا هو السبب في أن القرآن الكريم - دستور الإسلام وكتاب العربية الأقدس - لم يذكر كلمة « النار » ، في آية من آياته ، لا في موطن القصاص ، ولا في غيره ؛ وكذلك لم يرتض القرآن المجيد استعمال كلمة « القتل » ، في الدلالة على عقوبة القاتل المتعمد ، وإن جاز ذلك على وجه في العربية كما سبق ؛ وإنما استعمل القرآن كلمة « القصاص » ، العادلة المنصفة ، فكأنه ينفر من البغي والظفیان في هذا المجال ، وينفر من ذلك حتى في التعبير ،

(١) ومرادفه : القود ، وفي القاموس : القود القصاص ، وأقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

(٢) في مجمع البيان في تفسير القرآن لطبرسي : « والقصاص والمساواة والمقاصة والمبادلة نظائر ، يقال قص أثره أي تلاه شيئاً بعد شيء ، ومنه القصاص ، لأنه يتلو أصل الجناية ويقبضه ، وقيل : هو أن يفعل بالثاني ما فعله هو بالأول مع مراعاة للمائة ، ومنه أخذ القصص ، كأنه يقبض آثارهم شيئاً بعد شيء » ج ١ ص ٢٦٤ .

(٣) انظر اللسان ج ٨ ص ٣٤١ . وسمى القصاص قوداً لأن المقتص منه يقاد في الغالب بشيء حين قتله ، وفي النهاية لابن الأثير : « وفي حديث عمر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص من نفسه ، يقال أقصه الحاكم بقصه ، إذا أمكنه من أخذ القصاص ، وهو أن يفعل به مثل فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح » ج ٣ ص ٢٥٩ .

ولا يرتضى هنا إلا « القصاص » المساوى العادل ، المؤدى إلى الردع المناسب ، والتأديب المطلوب ، يرتضيه تعبيراً ويرتضيه عملاً وتطبيقاً ...

لفظ القصاص في القرآن :

فلنستمع إلى القرآن الكريم يتحدث عن « القصاص » في القرآن فيقول :
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، فمن عني له من أخيه شيء ، فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » . البقرة - ١٧٨ و ١٧٩ .

ويقول : « الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ^(١) » ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين » . البقرة - ١٩٤ .

ويقول : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسِّن بالسِّن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » . المائدة - ٤٥ .

نرى في هذه الآيات أن الله سبحانه قد كتب (القصاص) أى فرضه عند موجباته والمطالبة به ، ليرتدع الآثم عن عزمه على الجنابة ، ولينال المجرم عقابه المؤدب الرادع عن جريمته ، وليتعض غيره بحاله وعقابه ، فلا يقترب مثل ما اقترف ؛ ولذلك جعل القرآن الكريم القصاص حياة ، لأن تنفيذه في فرد ينهى عن قتل أفراد فيقتون أحياء ، ولأن تشريعه يخيف الهامين بالقتل فلا ينفذونه ؛ وما أجمل هذا التعبير الذى يجعل القصاص مصدر الحياة ^(٢) ...

(١) الحرمات جمع حرمة ، وهى ما يجب حفظه ويحرم انتهاكه .

(٢) أفانئ السابقون والمتأخرون في بيان ما ينطوى عليه قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » من وجوه البلاغة والايجاز والايجاز ، ويراجع ذلك في التفسير للبسطة ، وفي كتاب الاتقان لجلال الدين السيوطي وغيره .

ونرى في الآيات الكريمة نصاً على أن يقف العقاب المؤدب عند حد المثل والتساوي ،
ففي الآية الأولى نجد : « فن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . وفي الثانية نجد : « فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . وفي الثالثة نجد المقابلة بين الأجزاء وهي تشير بوضوح
إلى التساوي : « والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسِّن بالسِّن » .

ونرى في الآيات إشارة إلى العفو الذي يحسن أن يمن به صاحب القصاص على الجاني ،
ففي الآية الأولى نجد : « فن عفى له من أخيه شيء » ، فاتباع بالمعروف ، وأداء إليه بإحسان ،
وفي الثالثة نجد : « فن تصدق به فهو كفارة له » .

ولنما لم يذكر العفو في الآية الوسطى التي أولها : « الشهر الحرام بالشهر الحرام »
لأنما نزلت في قتال المسلمين للشركيين المنتهكين حرمة الأشهر الحرم المتطاولين بينهم
على المسلمين ، وهذا لا يناسب ذكر العفو ، وإلا دخل الضعف على كتيبة الإسلام
إبان الجهاد ...

وإذا كانت هذه الآية الوسطى لم يذكر فيها العفو ، فقد ذكر فيها أمر آخر اشتركت
فيه مع بقية الآيات ، وهو التذكير بالتقوى ، وإذا ذكر الإنسان ربه حين القصاص ،
وتدفع بشعار التقوى ، ودثار الخشية ، لم يكن منه في القصاص إسراف أو اعتساف .

إننا نجد عقب الآية الأولى قوله : « لعلمكم تتقون » ، وفي الآية الوسطى : « واثقوا الله
واعلموا أن الله مع المتقين » ، وفي الآية الثالثة ذكرت التقوى ضمناً ، لأن الله أعدل العادلين
قد حكم على من يخرج عن عدله وقسطاسه بالظلم وإذا لم يلتزم المرء التقوى ، فقد ظلم نفسه ،
وظلم غيره ؛ تقول الآية : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

وكل هذا تأكيد من القرآن الكريم ، لالتزام العدالة ، والقسطاس حين القصاص .

« يتبع »

أحمد الصرياحي

من علماء الأزهر الشريف

الفتاوى

- ١ -

حكم إجارة البساتين

جاء إلى لجنة الفتوى ما يلي :

ما قول علماء الإسلام ، نفع الله بعلومهم الآنام ، فيما يقع كثيراً من إجارة الحوائط المشتمة على نخل منمر ، وقد يكون معه شجر قليل ، بوزن معلوم ، وصنف معروف ، يدفع وقت الجذاذ . ويسمى هذا في عرف العامة « قبالة » وفي عرف المؤتمنين « إجارة » ، يعنون أنها إجارة للأرض . والحال أن الأرض المسماة لها الأجرة ، لا تقل شيئاً لأنها ليست ببياض وإنما هي مغمورة بظل النخل ومحتاجة لتقيتها من الحشيش المضر بمروق النخل .
أفيدونا مأجورين ولكم من الله جزيل الثواب .

يوسف بن راشد المبارك

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتقيد بأن المفهوم من المذاهب الأربعة منع هذه الإجارة ، لأن عقد الإجارة إنما يرد على المنافع ، لا على الأعيان ، ويرى ابن القيم كما جاء في كتاب زاد المعاد ، أن عقد الإجارة يرد على المنافع ، ويرد أيضاً على الأعيان التي تستوفي ثمرتها مع بقاء أصلها ، كاستجار الشجر لأخذ الثمر ، والظن للرضاع ، والأرض للزرع . وإنما المنوع هو استجار عين تستهلك بالانتفاع ولا يبقى بها أصل ، كاستجار الحبل للأكل . واستدل على ذلك بأدلة كثيرة : منها إجارة الظن للرضاع الثابتة بقوله تعالى - (فإن أرضعن

لكم فأتوهن أجورهن) وهى عقد على اللبن وهو عين من الأعيان . ومنها ما فعله عمر
رضى الله عنه ، من أنه قضى بأخذ حديقة أسيد بن حضير مدة معلومة ودفع الاجرة في دين
عليه ، وهذه إجارة للعائط مدة معلومة ، بأجر معلوم ، وهو مقدار الدين الذى عليه . قال ابن
القيم : ولا يعلم من الصحابة مخالف لعمر في هذا ، وأطنب ابن القيم في هذا وقال : إن دعوى
أن عقد الإجارة إنما يرد على المنافع لا على الأعيان ، لا أصل لها من الدين .

وبناء على ذلك - يجوز استئجار الشجر بمقدار معلوم من الثمر مدة معلومة كما هو وارد
في السؤال ، إنما لا يصح اشتراط أن يكون الأجر من نفس الشجر المؤجر . لاحتال أنه
لا يخرج منه المقدار المشروط وذلك غرر يدخل فيما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
واللجنة لا ترى مانعاً من الأخذ بهذا رأى الأخير ، تيسيراً على الناس ، وبهذا علم الجواب
عن السؤال . والله أعلم .

* * *

- ٢ -

استغلال الأطيان المرتفعة

زيد ارتهن قطعة أرض من عبيد قيمة فدان نظير ٥٠ جنياً ، فراح زيد يأخذ خيرات
الأرض مدة ١٥ سنة ويضع يده على الأرض وإجارة الفدان . وعند سداد المبلغ وهو
٥٠ جنياً أخذها كلها من عبيد ولم يترك شيئاً أبداً . فزجو الإقادة .

عبد الله عبد العزيز الجعفرى

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فتفيد اللجنة بأن هذه المعاملة محظورة شرعاً لما فيها من الربا المحرم . فلا يجوز
للدائن أن يأخذ أكثر من رأس ماله ، وهو مبلغ الخمسين جنياً ، فعليه أن يرد إلى المدين
ما أخذه زيادة على ذلك ، وهو أجرة مثل الفدان في المدة المذكورة ، والله أعلم .

- ٣ -

استعمال مكبرات الصوت في المساجد

١ — يستعمل أحد الأئمة (ميكروفونا) في إذاعة خطبة الجمعة ، فهل عمل الإمام صحيح تبعاً للشرعية الإسلامية ؟ .

٢ — هل يجوز استعمال مكبرات الصوت في المساجد للأغراض التالية : —

- ١ — الخطب . ب — الصلاة . (خمس مرات في اليوم) . ج — التراويح .
 - د — الوعظ . وغير ذلك من الاجتماعات الدينية . فزجوا الإفادة .
- ناظم متولى جامع شولا — رانجون

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال جاز شرعاً استعمال مكبر الصوت في المسجد ، لإسماع من لا يسمع من المصلين ، سواء في ذلك الخطبة والصلاة والوعظ وغير ذلك من الاجتماعات الدينية . وليس هذا من البدعة المذمومة شرعاً ، بل هو من أعمال البر والخير ، لما يترتب عليه من سماع من لا يسمع وانعاظه ، والله أعلم .

- ٤ -

حجر السيد البدوي وقدم الرسول ﷺ

زرت مقام السيد البدوي (رحمه الله) فراغني ما رأيته ، والحق أقول ، انه بمثل في نفسى أشد الأسى والحزن .

يحد الزائر في زاوية من المقام قاعدة تلفت الأنظار ، وموضوع فوقها حجر من الجرانيت

مطروح عليه أثر قدم قيل : إنه قدم رسول الله ﷺ ، والناس يتزاحمون عليه للتبرك بلمسه ، ووضع اليدين فوق الوجه بعد اللبس . وهنا نتساءل : هل يوجد بحزيرة العرب أحجار من الجرانيت . أم حضر إلى مصر سيد الخلق صلوات الله عليه ، وهل من الجائز شرعاً ما يعمله الزائرون ؟ .
محمد محمد سلطان

الجواب

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن هذا الحجر المذكور لم يضع رسول الله ﷺ قدمه عليه . ووضعته للتبرك به ولمسه وتقبيله وإيهام العامة أنه مما يتبرك به ويتقرب إلى الله بلمسه أو تقبيله ضلال مبين . وفاعل ذلك ضال مضل . كما أن تقبيله ولمسه تقرباً إلى الله من قبيل العبادة بغير ما شرع الله . وهذا كله غير جائز بإجماع المسلمين ، ومعلوم حظره وعدم جوازه من الدين بالضرورة . ويجب على كل من يقدر على محو هذا الضلال وإزالة هذا المنكر محوه وإزالته والله أعلم ؟
رئيس لجنة الفتوى

التقليد في الزندقة

قال الجاحظ في رسالة (أخلاق الكتاب) : « وقد قال أهل الفطن : إن محض العمى التقليد في الزندقة ، لأنها إذا سمحت في قلب امرئ تقليداً أطالت جرأته ، واستغلق على أهل الجدل إقامته » .

لغويات

أرسل الأزهر بعثته إلى العراق

تطلق البعثة - بفتح الباء - في هذا العصر على من يبعث ليقوم بأمر على أو غيره . وقد يكون هذا واحداً ، وقد يكون فوق الواحد ، وقد كتب ^(١) إلى إدارة مجلة الأزهر الأستاذ الفاضل أحمد نصيب الحاميد من دمشق يذكر أن الوارد في المعاجم لتأدية هذا المعنى هو البعث ، ويجمع على البعوث ، وأن البعثة لم تعرف إلا اسما لليرة من البعث .

والذي ذكره الأستاذ الفاضل صحيح وحق ، ولنا نحمد له بعثته وزكاته ، وتهديه للصواب ؛ غير أن البعثة في معنى البعث - وإن لم يرد هذا في المعاجم - وجها يسوغها ، وينأى بها عن الرد والإنكار .

ذلك أن إطلاق البعث على المبعوث ، الذي ورد في اللغة ، هو استعمال جاء بطريق التوسع والتجاوز ، وهو من قبيل إطلاق المصدر على الوصف ؛ كما في ضرب الأمير ، وخلق الله ، ونسج الين . ويجعل البيانون هذا مجازاً مرسلًا علاقته التعلق الاشتقائي . والتجاوز لا حرج فيه ، وبابه واسع ، فلا ضير أن يستعمل اسم المرة في الوصف تجاوزاً ؛ كما يستعمل المصدر العام فيه . والوحدة مراعاة في الوصف المراد باسم المرة ؛ كما في اللفظة ، يراد بها الملفوظ مرة ، وأصلها اسم المرة ؛ كما لا يخفى . فالبعثة يراد بها من يبعث مع قصد وحدة في شأنها من جهة الغرض أو من جهة أخرى ، فمن ثم أثر لفظها على لفظ البعث .

وإذا كان الأمر يذكر بالأمر فإنني أذكر هنا أن المتداول على الألسنة في البعثة كسر الباء ، وقلنا كنا نسمع « بعثة الرسل » إلا بكسر الباء ، وقد اهتدى الناس في العصر الأخير إلى الصواب ، وهو فتح الباء ، ومع هذا فقد وقفني صديق الأستاذ الجليل عبد السلام هارون على نص في اللسان والقاموس فيه ضبط البعثة بكسر الباء ، وذلك بضبط القلم ، فقد

(١) نهر هذا الكتاب في جزء ربيع الآخر ١٣٧٣ .

جاء في مادة « برهم » فيها ما يأتي : « والبراهمة قوم لا يجوزون على الله تعالى بعثة الرسل ، والظاهر أن هذا الضبط من النسخ على حسب ما تعودوا ، ولم يثلوا فيه إلى علم وثيق . ومن البعيد أن يراد هنا اسم الهيئة ، فالبراهمة يشكرون أصل البعث ، ولا يختص الإنكار بهيئته .

وأظن الآن ظنا يتأخم اليقين أن الاستاذ محمد عبد الرسول الذي كان في دار الكتب المصرية - عليه رحمة الله - أخبرني أن في مقدمة الأدب للزحشرى النص على البعثة بكسر الباء . ولم أقف على هذا ، وقد يقف عليه غيري من الباحثين .

ما الذى أبطأ بك حتى سبقك الناس ! أهو كسلك ! أهو عزوفك عن المجد

يجرى هذا الأسلوب على أفلام الكتاب في هذا العصر . وقد جاء في جريدة المصرى في يوم ٢٧/٤/١٩٥٢ في مقال « لماذا يدبر حفى باشا المقالب ، ما يأتي : « وبقى أن نجيب على سؤال الجميع : لماذا يحب حفى باشا أن يفكر في تدمير المقالب ، وأن يحكم ذلك التدمير وأن يوقع فيها أعز الأعداء ؟ أهى رغبة الباشا في السخرية بالحياة والأحياء ؟ أهو شغف الباشا أن يقتل في إحراج الناس ؟ أهو الميل إلى التفرج على المتناقضات التى تؤدى إليها مقالبه ؟ أهو الولع بإظهار القوة واللعب بالعقول والقلوب من وراء ستار .

وقد جرى بحث في عربية هذا الأسلوب ، وموطن الشبهة فيه أنه وقع السؤال فيه أولا بالهمزة ، ولم يكرر السؤال مع أم ، والمعهود أن يكون تكرير السؤال بعد الاستفهام بالهمزة مقرونا بأم . تقول : أتسافر غدا أم بعد غد ، أنجح على أم أخفق ؟ . ولا تقول : أنجح على ، أخفق ؟ وبالقياص على هذا كان الواجب في المثال المصدر به البحث أن يقال : ما الذى أبطأ بك ! أهو كسلك ، أم هو عزوفك عن المجد .

وقد بدا لى أن الأسلوب الذى هو موضع البحث صحيح . وذلك على استئناف الاستفهام وأن كل استفهام مستقل عن سابقه ؛ ألا ترى أنه قيل : ما الذى أبطأ بك ، أهو كسلك أم هو عزوفك ، ولولا هذا لقليل : ما الذى أبطأ بك أكسلك أم عزوفك ، ويكون « كسلك ، بدلا من « ما الذى أبطأ بك ، ، والاستفهام كله في قوة استئناف واحد .

وقريب من هذا قول النحاة إن أم الداخلة على الجملة تكون منقطعة غير معادلة للهمزة .
ففي المثال المصدر ثلاث جمل استفهامية ، كل جملة قائمة برأسها ، ولا عليك أن تعقد بينها ارتباطا
يكلفك أن تأتى فيه بأم بعد الهمزة . ويقرب مما نحن فيه من استئناف الاستفهام أن يقول
من يعد محاسنه وآثاره وفضله على سامعه : ألم أقضك من الهلكة : ألم أجنبك السوء !
ألم أغمرك بإحسانى ! وهذا وإن كان للترقيق أصله للاستفهام ؛ كما هو معروف .

وقد يشهد لصحة الأسلوب ما جاء في الحديث ^(١) أن يهوديا رضى رأس جارية بين
حجرين ، فقيل لها - وهي تجود بنفسها - : من فعل هذا بك ؟ أفلان ؟ أفلان ؟ حتى سمى
اليهودى ، فأودأت برأسها ، فأخذ اليهودى فاعترف ، فأمر به النبي ﷺ ، فرض رأسه
بين حجرين . ألا تراه كرر الاستفهام دون أم . وسيله ما ذكرت من استئناف السؤال .

الموسيقى

المشهور على الألسنة ضبط « الموسيقى » بفتح القاف . وقد جاء ذكرها عرضا في القاموس
في ترجمة « رب » . ففي هذه المادة : « وممدود بن عبد الله الواسطي الرباني يضرب به المثل
في معرفة الموسيقى بالرباب » وكتب الشيخ نصر الموريني مصحح القاموس : « قوله :
الموسيقى هكذا في الفسخ بكسر القاف . وهو اشتباه سببه رسم الكلمة بالياء . وصوابه فتح
القاف ، كما هو في اللغة الرومية ، ويريد باللغة الرومية اللاتينية . ويبدو أن الكلمة مأخوذة
عن اليونانية ، فالكلمة تأصلت فيها ، ثم انتقلت إلى الرومية . وأصل الكلمة في اليونانية
هى (Muses) موز وهى الأرواح التى تلهم الأنعام والوحوش وما إلى ذلك من الشعر والخيال
وكان مقرها فى الأولب فى اليونان ، ويعد بعض الشعراء عندهم هذه الأرواح تسعا .
والكلمة فى الإغريقية بكسر الكاف أو القاف ، كما أخبرنى بذلك من له بصيرتها . ويبدو
من هذا أن ضبط القاموس ليس بخطأ ، وأن كتابة الياء فى الموسيقى لمد الكسرة ، لا أنها
ألف ، فإن الكلمة الأعجمية ترسم فيها الألف ألفاً ولو زادت على ثلاثة الأحرف ؛ إلا ما شذ
كبخارى وكسرى ؛ ألا ترى أنا نكتب أمريكا بالألف لا بالياء .

(١) انظر صحيح البخارى فى « ما يذكر فى الأشخاص ، والخصومة بين المسلم واليهود » .

ووردت الموسيقى في قرينة للارتباط طبق - وهو فن الحساب عند اليونان - ويبدو أن الارتباط طبق أيضاً بكسر القاف . وذلك في رسالة العاصب بن عباد في نقد المتنبي ص ٢٠ إذ يقول في قصائد المتنبي : « تحبير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحسنات ما لا يدرك إلا بالارتباط طبق ، وبالأعداد الموضوع للوسيقى » .

ووردت الكلمة في صورة أخرى ، وهي « الموسيقى » بتقديم الياء على السين في شرح الشيخ خالد الأزهرية . وكتب الشيخ حسن المطار في حاشيته عليه : « قوله : الموسيقى ضبطه شيخنا بكسر السين بلا ياء بعدها . كلمة يونانية ، معناها الانغام والالحان » .

هذا المظروف فيه أوراق كثيرة، والصواب : هذا الظرف

يستعمل المظروف هذه الأيام في معنى الظرف الذي هو الوعاء أو ما يحوى غيره ويضمه . وفي جريدة المصري في يوم ٢١ / ٢ / ٥٣ : « وقد لوحظ في المطار أمس أن الدكتور محمود فوزي حضر ويده مظروف أخرج منه أوراقا » .

وهذا الاستعمال لا وجه له يصححه . ولم أقف على فعل من الظرف متعد ، فلا يقال : ظرفه أي وضعه في الظرف ، حتى يقال : إن الأصل مظروف فيه ، فتوسع فيه بالحذف والإبصار ، كما قيل : هذا الأمر مشترك أي مشترك فيه .

ويفسر الحويون الظرفية الحقيقية في مباحث حرف الجر ويحدونها بأن يكون للظرف احتواء وللظروف تحيز ، فترام يستعملون المظروف ، وهذا عندى خروج على اللغة وإحداث ما لا تجيزه أصولها .

محمد علي النجار

الأستاذ في كلية اللغة العربية

مشروع تقييد تعدد الزوجات

نشرت صحيفة الجمهورية الغراء مشروع قانون تقييد تعدد الزوجات ، وتنظيم حق الطلاق تحت اسم قانون حماية الأسرة ، ونشرت معه بعض أسماء أعضاء مجلس الخدمات العامة الذي أقر المشروع .

وحتى يتفضل السادة أهل الشرع والفقه بنقد هذا المشروع من الناحية الشرعية الصرفة يحل كاتب هذا المقال لنفسه أن يتقدمه كما أحل السادة أعضاء المجلس لأنفسهم أن يضعوه وليس بينهم عالم متخصص في الدين ، بل وفيهم من ليس من المحللين وهم المقصودون بهذا المشروع .

ومن القليل المنشور مع المشروع من مذكرته الإيضاحية يتبين أن المجلس صاحب المشروع يرى أن الشريعة الغراء لم تبيح تعدد الزوجات إلا للحكمة تبرر هذا التعدد ، وأنها لم تبيحه إلا في ظروف خاصة وحيث لا يخشى الجور ، وأن لولي الأمر أن يتدخل فيقيده من أجل مصلحة عامة طبقا لما تمليه مقتضياتها .

أما أن الشريعة الإسلامية لم تبيح تعدد الزوجات إلا للحكمة فصحيح ، لكنها لم تنص على تلك الحكمة وتركها لاتساعها قيد البحث والتقييد . فهل بحث عنها مجلس الخدمات العامة حتى تبينها ؟ وهل بينها ووضحها في مذكرته الإيضاحية ؟ كان من الواجب أن يبين المجلس للناس حكمة إباحة الإسلام تعدد الزوجات ليطعنوا إلى أن المجلس قد أحاط بها علما وأن مشروعه قد راعى جوانب تلك الحكمة فلم يخالف جانبها منها .

وأكبر الظن أن الحكمة في رأى المجلس ليست إلا مراعاة تلك الظروف الخاصة التي يقول : إن الشريعة الإسلامية لم تبيح التعدد إلا فيها ، فهل تناول المجلس في مذكرته تلك الظروف بالتبيين ، وهل ساق الدليل على أن الشريعة قد قصرت التعدد على تلك الظروف فيكون في غيرها غير مباح ؟

إن مجلس الخدمات العامة يدعى هنا دعوى لا علاقة لها بالرأى الشخصى لأعضائه .
لأنه يدعى على الشريعة دعوى يجب عليه إثباتها قبل أن يستقيم له وللناس أن مشروعه يتفق
مع للشريعة الغراء ، فهل أثبت دعواه بنص من الكتاب ، أو بسنة عن النبي ، أو بإجماع
أو شبه إجماع ، أو حتى بأغلبية من علماء المسلمين في عصر من العصور ، أو بقياس صحيح
إن لم يكن دليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع ؟

إذا كان المجلس قد قام يبحث الموضوع بحثاً فقهاً أصولياً فليشر بحثه على الناس لينقده
منهم أهل الاختصاص . أما إذا كان لم يرد على أن أخذ برأى أعضائه فيما ظنوا أنه يحفظ
مصلحة الأسرة فله رأيه ، لكن لا يحل له ولا يجوز أن ينسب هذا الرأى إلى الشريعة
إلا بهرمان .

إن الناظر في كتاب الله لا يجد من آية في التعدد إلا آيتين في سورة النساء . والذين
يضايقون قول الغرب في تعدد الزوجات كثيراً ما ينظمون من بعض الآيتين قياساً مقدمته
« فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .
ولو لم يكن وراء هاتين المقدمتين شيء في الآيتين يدل على مراد الله سبحانه لكانت النتيجة
المنطقية الحتمية ألا تعدد في الزوجات قط مهما كانت الظروف ، فكيف إذن وجد التعدد
في الإسلام مطلقاً من لدن عهد النبي ﷺ إلى يوم الناس هذا إذا كان الأمر كما زعموا
وصح لهم في القرآن هذا القياس ؟

لكن القياس كما نظمناه غير موجود في القرآن اللهم إلا على نمط « فويل للضالين » ،
و « لا تقرّبوا الصلاة » ، إن خصصوم التعدد حين يريدون دليلاً قرآنياً على مذهبيهم
يغفلون بقية الآية الثانية ، وفيها حكم الله الذي ينقض ما ذهبوا إليه . فالآية هي : « ولن تستطيعوا
أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » . وهذا صريح في أن
الله سبحانه أباح التعدد حتى مع بعض الميل والجور . فما ذعبت إليه المذكرة الإيضاحية
من أن الشريعة أباحت التعدد حيث لا يخشى الجور هو إذن غير صحيح ، لأن قوله تعالى
« فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » هو في موضعه من الآية إباحة لا تحريم - إباحة حتى
مع الجور ما دام الجور لم يبلغ المبلغ الذي يترك الزوجة لا هي بالمزوجة المحصنة ، ولا هي
حرة يمكن أن تزوج . وهذا وحده دليل واضح أن الله سبحانه شرع التعدد اتقاء أضرار

اجتماعية، هي شر من ذلك الجور المحدود الذي يصيب ثمانية الزوجتين - أو رابعة الزوجات - من أن إلى آن .

فإذا كان أعضاء مجلس الخدمات العامة لا يعرفون تلك الأضرار التي وفي الله المجتمع شرها بإباحة تعدد الزوجات إلى أربع مطلقاً غير مقيد إلا بمقدار ما يكون عند الزوج من تقوى تجعله على مراجعة العدل بينهن قدر الإمكان كما يدل عليه تمام الآية الثانية الكريمة في موضعها من سورة النساء - إذا كانوا لا يعرفون أضرار منع التعدد أو تقييده فإن عليهم أن يبحثوا عنها من ناحية، وأن يشرعوا ما يزيد من تقوى الله في قلوب الأزواج والزوجات من ناحية أخرى، حتى يحسنوا استعمال الحقوق التي وهبهم الله وشرع لهم .

أما أن يتركوا الناس ينشأون على جهل بالدين وقلة من تقوى الله ثم يتخذوا من آثار ذلك سبيلاً إلى سلهم تلك الحقوق أو تقيدهم فيها بمحض الرأي فذلك ليس لهم، إذ ليس لأحد كاتنا من كان أن يحمل الناس بقوة القانون على ما يخالف نص الكتاب وعمل النبي وإجماع المسلمين من لدن عهده ﷺ إلى اليوم .



إن حكمة تعدد الزوجات في الإسلام غير مقصورة على حالات مرض الزوجة أو عقمها أو ما شابه ذلك مما يريد أصدقاء التعدد أن يقصروه عليه . إذ ماذا يقول أصحاب المشروع مثلاً في حالات زيادة عدد النساء على عدد الرجال بحيث لو تزوج كل رجل لبقى من النساء عدد كبير محروماً من الزواج ؟

إن الإحصاء يثبت وجود هذه الزيادة الكبيرة في مصر وفي غيرها من بلاد الله . وهي زيادة تزداد تضخماً واستفحالاً بإعراض الشباب عن الزواج ؛ فإذا يكون مصير ذلك العدد الضخم من النساء اللاتي يفقدن كل فرصة في الزواج إذا أغلق التشريع الوضعي أمامهن أو ضيق المنفذ الوحيد الذي فتحه الله لهن ، منفذ تعدد الزوجات ؟

والمشروع يوجب استئذان القاضي قبل التعدد، فكيف يمكن القاضي أن يحكم أو يتصرف ليتلافى هذا الاحتمال أو ليحل إشكال زيادة عدد النساء على الرجال، وهي زيادة ماثلة في الأمة غير محصورة في مكان ؟

والمشروع يحتم على القاضي مراعاة المقدرة المالية للزوج، ولكن من أدرى القاضي وأدرى أصحاب المشروع أن المرأة لا تفضل أن تشارك الزوج الفقير لقمته على أن تعيش بلا زواج ؟

وبأى حق يحرمون على المرأة أن تختار لنفسها أى الامرين تشاء ما دام التعدد حين يكون إنما يكون برضى الطرفين ؟ أظن أصحاب المشروع أن فى طبيعة المرأة أن ترضى بزواج متزوج وهى تجد بعلا خالصا لها فى الرجال ؟ لو أن أصحاب المشروع بدلا من التفكير فى سد هذا المنتفس فكروا فى مشروع يلزم الشباب بالزواج فلا يعيش الشباب فى رهبانية ولا مخادنة ، ولا يؤخر الزواج إلى أن يتقدم به العمر ؛ ولو أنهم فكروا فى تشريع يستوثق للمرأة بحرية الاختيار عند الزواج ويقها شر كذب الرجل عند الخطبة فلا يزعم لها ولا لها أنه وحيد وهو متزوج ، أو أنه غنى وهو فقير ، أو فقير وهو مدقع ، أو قليل الذرية وهو كثيرها ، أو مستقيم وهو فاسد ، إذن لعملوا فى غير إضرار بالمرأة وبالجمتمع كل ما يمكن عمله تشريعا للحد من تعدد الزوجات .

• • •
إن الإسلام دين الفطرة ، وتشريع تعدد الزوجات فى الإسلام فيه مرونة الفطرة : سيتسع من نفسه ويضيق حسب الحاجة إليه ، لأنه إنما يقع ويتحقق برضا المرأة المخطوبة وموافقتها وهى أدرى بمصلحتها . وهذه نقطة يغفل عنها كل الذين يرون فى التعدد إهدارا لكرامة المرأة وظلما لها ، ويظنون أنهم ينصفون المرأة حين يسلبونها حق الاختيار فيه فلا تزوج إلا بإذن القاضي ! . فلو أن كل امرأة وكل فتاة وجدت زوجها خالصا لها لانعمد التعدد من نفسه . أما إذا فقدت الأمل فى ذلك لسبب من الأسباب فإنها ترضى من الأزواج بالمتزوج فلماذا يريد أصحاب المشروع أن يتدخلوا فى الفطرة البشرية وما شرع الله لها فى الإسلام دين الفطرة ؟ ألم يقرأوا قوله تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبدل خلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . فهل من مصلحة الأسرة والجمتمع أن يخرجوا بالناس عن مرونة التشريع الإلهى الملائم للفطرة فى مظاهرها وتقلباتها المختلفة فى الناس إلى جمود التشريع الوضعى الذى يعامل الناس كأنهم سواسية فى الطباع والميول والغرائز والظروف ؟

لقد جرب ذلك مرة فى تقييد سن الزواج فكانت النتيجة أن لجأ الناس إلى الكذب والتزوير ليخرجوا من ذلك القيد الوضعى الذى لم يقيدهم به الله ، والذى إن لامم بيته فى وقت ما فلن يلائم جميع البيئات فى جميع الأوقات ، حتى اضطر المشرع أن يعود فيبيع سماع الدعوى عن خالفوا قيد السن إذا هم بلغوها بعد الزواج . والمشروع الجديد يمنع من سماع الدعوى عند تعدد الزواج من غير الطريق الذى يريد أن يقيد به الناس ، فهو يعترف بصحة الزواج اعترافا بشرعية النسل فيما يبدو ، لكنه يضار النسل وأبهر بعدم سماع

دعواهما عند الخلاف . فهل مثل هذا التشريع من الحق والصواب أو من مصلحة الفرد والمجتمع في شيء ؟ هل في الدين أو في العقل أن ينشأ بين بعض الأفراد في أمة خلاف من غير أن يقسم نظام القضاء فيها للنظر فيه ؟

إن الذي لولى الأمر في الإسلام أن يمنع أى قاض من سماع أى نوع من الدعاوى ليولها غيره ممن هو أقضى منه فيها ، وليس له أن يمنع جميع القضاة من السماع ، إذ يجب في الدين والعقل أن يكون هناك لكل دعوى قاض يسمعها ويفصل فيها بين المتخاصمين حتى لا يكون المسلمون فوضى عند الخلاف في أمر من الأمور .

وأحق الدعاوى بالسماع هى دعاوى الخلاف بين الزوجين ما دام الزواج قد تم برضاها طبق كتاب الله وسنة الرسول .

إن الإنسانية لم تبلغ في العلوم الاجتماعية عشر معشار ما بلغت في العلوم الطبيعية . وقد شرع الله سبحانه الإسلام ليكنى الإنسانية شر جهاها بسن الله في الاجتماع ، وشر خطئها في تطبيق ما قد تهتدى إليه من تلك السنن . فليس لأحد بالغاً ما بلغ أن يجعل الدين رأياً ، ولا أن يحاول أن يحمل الناس بحكم القانون على رأى يخالف ما شرع الله . فإذا ادعى أن رأيه يطابق شرع الله فليأت على ذلك بالبرهان ؟

محمد أحمد النمرائى

أخلاق أمراء الصحابة

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين في فتح الشام وبين أحد قواد الروم ، جاءه أمير الروم بطعام فاخر وقال له : — هذا طعام الأمير فقال له أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟ قال : لم يتيسر مثله للجند .

فقال أبو عبيدة : لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدها من ألوان الطعام . وبئس المرء أبو عبيدة إن صحب جنداً من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه . لا والله لا تأكل إلا مما يأكلون .

قلنا وقالوا !

قال بعض الغيورين على كرامة المرأة وأخلاقيها وصوالحها والفاهمين لطبيعتها وغرائزها : إن للمرأة وظائف خاصة ينبغي أن تقصر عليها وتغنى بها وإن في ذلك خيراً لها ولائها ، وليس من الخير مطلقاً أن تستجيب المرأة لدعوة المتطرفات من جماعاتها والمتطرفين من أنصارها إلى أمور تقتضى بنا ولا شك إلى الاضطراب والفوضى .

ومن الخطأ أن تجارى المرأة المصرية المرأة في أم لا تشابه أحوالنا أحوالهم ولا تقاليدنا تقاليدهم ، ولا تشابه شئونهم الاقتصادية شئوننا ، فقد يكون لاشتراك المرأة مع الرجال في الأعمال هناك دوافع اقتصادية لا وجود لها بيتنا ، فمن في وفرة من القوة العاملة من الرجال حتى بدأ ما نسميه بشيء من التعمطل والبطالة بينهم .

قلنا ذلك فنثار علينا الثائرون من أنصارها ، وبزونا بالتأخر والرجعية ، وقالوا : إننا ندعاه إلى حرمان الأمة من جهود المرأة في ميادين العمل ، وبتعبير آخر ندعاه إلى حرمان الأمة من نصف قواها ممثلة في المرأة ، وهذه جريمة في حق الوطن لا يدعوا إليها إلا جاهلون أو غائثون .
وقلنا : إن المرأة بطبيعتها عاطفية تستجيب لنداء العاطفة فهي تارة إلى اليمن وتارة إلى الشمال ، لا تثبت على رأى ولا يدوم على حال لها شأن ، فلا تصلح للحكومة ، ولا تفلح في ولاية .
فقالوا : أنا نبون مظلون ، وحاسدون مبغضون .

وقلنا : إن المرأة من طبيعتها حب الظهور وحب السبق على اللدات في هذا الميدان دون ميالة بالوسائل والتناج ، ولا تبخل في هذا السبيل بوقت أو مال ، فقالوا : مغالون وكاذبون .
وقلنا : إن للرجل فضل قوة وعقل يقوى بهما على تحمل الآلام وتذليل الصعاب وإن المرأة تحس من نفسها الضعف والخور والحاجة الدائمة إلى رجل تعيش في كنفه وتلوذ بحماه ، ولذلك تفرح بإنجاب الذكور أضعاف فرحها بإنجاب الإناث . فقالوا : هذه دعوى يموزها البرهان .

وقلنا : إن واجبات الأسرة وتبدير المنزل ورعاية الأطفال وتربيتهم تقتضى أن تكون المرأة في المنزل ترعى شئون الأسرة المالية والخلقية ، ومحال أن تستغنى الأسرة بالخدم

عن مديرة المنزل مهما كانت خبرتهم وأماتهم ، على أن مستوى الخدم الخاطئ كما نعرفه ونلسه من سوء وانحطاط . فقالوا : إن ذلك رق واستعباد لا يرضاه المرأة ولا يرضاه لها أنصارها ، وإن عهد الرق والاستعباد قد انقضى زمانها ودال سلطانها ، وإن الدعوة إليه رجوع بالمرأة إلى عهود بالية عتيقة .

وقلنا : إن الإسراف في اختلاط النساء بالرجال في معاهد التعليم والمنشآت غير مضمون العواقب ولا محمود النتائج . فقالوا : إن ذلك سوء ظن بالفتاة وإتاهم لها في أخلاقها وكرامتها وتشويه لسمعة الأمة في المحيط العالمي المتمدين .

وقلنا : إن تربيته الدينية والمنزلية وعاداتنا الشرقية تجعل الفتاة تؤثر العزلة وتفر من الاختلاط ضنا بسمعتها واحتفاظاً بكرامتها ، ولأن ذلك من صالحها في مستقبلها ، فكثرة العرض تغري بالزهد فيها والرغبة عنها ، فقالوا : ذلك حديث عن المرأة في القرون الماضية لا حديث عن الفتاة في القرن العشرين .

قلنا كل ما ذكرنا وأكثر منه ، وأقنا على صحته من البراهين ما صبح في الدين ، ووضحت دلالته في نظر العقل وواقع الحال ، ولكن حال دون الاقتناع به التعصب للرأى ، والمسكابة للهوى ، وقديما قيل : حبك الشيء يعمى ويصم . وقد عميت عيون عن الحق ، وصمت آذان عن سماعه ، واستنتت نفوس في طريق الضلال والغواية ، ولكن يأبى القدر إلا أن يمد أنصار الحق على تطاول الأزمان بما يعضده من الأدلة ويمكنه ، عسى أن يستفيق له الجاحدون الغافلون .

ولقد ساق إلينا القدر في يومين متالين جملة من الأدلة الواقعية على ما دعونا إليه وكررنا الحديث فيه : وهو أن للمرأة وظائف خاصة تكفي أن تشغلها وتستنفد جهدها ووقتها ، فينبغي أن تقصر نفسها عليها وتنشط في تأديتها ولا تقسم نفسها فيما لا طاقة لها عليه ولا تفلح فيه ولا تحسنه ، وما لا فائدة منه لنفسها ولا لامتها . ووظيفة المرأة هي رعاية المنزل وتدير شئونه والقوامة على أطفالها بالرعاية والنهذيب ، وإن من حقها أن تتعلم من وسائل ذلك ما يمكنها من إتقانه وحسن أدائه . أما أن تتدخل في الشؤون العامة وتزاحم في ميدانها وتعرض نفسها لمصاعبها وآلامها وتدنس أردانها بما يثار فيها من غبار وأوسار أو تلى من وظائف الدولة ما يتطلب من المؤهلات الطبيعية والكسبية ما هي محرومة منه

طبيعة وكسباً فذلك مالا نرضاه لها بل نكرهه ونعارضه ، لا بغضاً فيها ولا تجنّباً عليها ، ولكن لما نعتقده من آثاره ووخيم عواقبه .

لقد ذكرت بعض الصحف قريباً أن جمعية نسائية تتكون من ثلاثين عضواً أرادت انتخاب واحدة منهن لمصب شرفي فيها ، فتقدم للترشيح لذلك المنصب ثمانى عشرة امرأة منهن ، قلنا حين قرأنا ذلك الخبر : يا سبحان الله ، إننا لو أعطينا المرأة حق الترشيح لمصوبة مجلس النواب لكان لنا من كل دائرة بها مائة امرأة صالحة للترشيح نحو سبعين مرشحة في هذه الدائرة ، قياساً على ما حدث في هذه الجمعية ، وكيف يكون الحال لو كان في الدائرة ألف امرأة لها حق الترشيح

وأجرت بعض الصحف استفتاء من طالبات فصل في كلية من الكليات عن رأيهن في الاختلاط بالسكّية ، فكان رأيهن عدم المرافقة على الاختلاط بما يشبه الإجماع . وسأل مندوب الصحيفة عميد هذه السكّية عن رأيه في نتيجة الاختلاط في الجامعة فقال : إن الاختلاط في الجامعة لا يسير على ما يرام ، ولهذا أسباب : أولها فساد البيئة التي يترتب فيها شبابنا من جهة ، وعدم وجود تربية أخلاقية ضمن برامجنا التعليمية من جهة أخرى ، فينشأ أبنائنا مجردين من مثل أخلاق يسرون على هده .

ومن أخبار الخارج : أن مؤتمر العمال بـويسرا قرر أخيراً تحريم تشغيل النساء في العمل الليلي ، كما قرر تحريم تشغيلهن في أعمال المناجم .

تلك هي بعض الأخبار التي قرأتها في الصحف في يومين متتاليين تتعلق بقضية المرأة وحقوقها المزعومة وهي تدحض بقوة وفي بيان واضح وشهادة المرأة نفسها من نصرفاتها وشهادة ذوي الخبرة والمعرفة ما يدعيه أنصار مساواتها بالرجل على الإطلاق .

إن الأيام والحوادث ستكون في جانبنا نحن الرجميين^(١) وتكشف عن سواء السبيل فيما ندعوا إليه المرأة من التنازل عن الحقوق السياسية المزعومة والاقتصاد في التبرج وعدم الاختلاط في معاهد التعليم ، والاستقرار في المنزل لتدريش ثنونه ، وتشرف على تربية أطفالها ، وستبين الأيام أننا أغير على المرأة وأحرص على كرامتها ، وأينا أجدر بوصف الخصومة لها ، وأحق بالمدح والثناء . وإتنا لنلح في الأفق بروقا من الأمل في نجاح دعوتنا ونرجو ألا يكون برقنا خلباً .

أبو الوفا المرافعى

(١) المجلة - الرجوع الى الحق فضيلة ، ورجوع الملحق إلى سنن دينهم وآدابه هو ميل قوتهم وسادتهم .

تعلّقات

- ١ -

الغيرة على الأزهر

تعالمنا الصحف من حين إلى حين بما يكتبه بعض الراغبين في إصلاح الأزهر ، وليس من شك في أن تجاوب الرغبات ، وترادف الدعوات إلى النهوض ، من أقوى الأسباب في تركيز الفكرة الإصلاحية ، وإيقاظ الهمم الوائية ، وتمجيد الفكرة المرجوة ، فإن كل فكرة تتصل بالإصلاح تعتبر تحدينا للأمة من آفة التداعي ، وبخاصة إذا كان الإصلاح المطموع فيه على أساس الدين ، ومن طريق الثقافة الإسلامية التي يتعهد بها الأزهر .

وكان الداعين إلى إصلاح الأزهر يدركون حفا أن الثقافة الإسلامية - وهي نظام إلهي - كفيلة بكل ما يرنجى من الخير كما كانت في نشأتها الأولى ، وقبل أن تتراكم في سبيلها المعوقات .

ثم هم يرونها اليوم بحاجة إلى نشاط موصول في إبرازها للناس في صورتها الصحيحة ، وهي كفيلة بعد ذلك بإقناع المترددين في الاعتماد عليها في التربية ، وهي مع كفايتها الذاتية لا تأبى أن تحتضن كل ما يؤازرها في التنقيف من أفكار رشيدة . هذا والأزهر وأهله يصغون في وعى إلى تلك الصيحات الكريمة ، ويتهافون عن رغبة تخامرهم في تلبية هذه الأمنية المشكورة .

بل يصبون منذ آماد بعيدة أن تكون الصبغة الإسلامية غالبية على دور العلم في كل واد . وما وقي الأزهر ، ولا تريت أهله قليلا إلا لتكاثف المقاومين له ، وانصراف السلطات إلى النواحي التي تغذت من مواردها ، واستأثرت بها السياسة ، وآزرها التوجيه الاستعماري زمناً ما ... فكان للأزهر عذره ، وكان عذره مفهوماً عند المنصفين : وقليل ما هم .

ولعل يوماً كان ينشده الأزهر قد أصبح مشرقاً في عهد النهضة الموقفة ... ولعل أملاً يتعلق به الأزهر في سيطرة الآداب الإسلامية على المجتمع أصبح دانياً .

هذا - ويلحظ الأزهر والواعون لما يجرى حوله أن صيحات الصائحين به من الكتاب

كثيراً ما تحمل في طيها تهجاً قاسياً عليه ، وانقاصاً من قدره ، وتنفيراً من الثقة فيه ، وإسرافاً في النيل من سمعة رجاله وبنيه . وهذا التجريح والتعامل مما يشكك في نيات الصائحين ، ويكشف عن مقاصد مريبة ، ويعدنا عن تصديقهم في الحذب على الأزهر ، أو رغبتهم في مؤازرة الثقافة الدينية .

ولإزاء ما نراه من تنقلهم بهذه النعمة المسمومة من جريدة إلى جريدة لا يكون مبالغا من أيقن في دعوة هؤلاء الصائحين أنها خداع ، وأنها نقشات معدور . فإن ظاهرها ليس فيه رفق ، وما خفي لديهم فهو شر وأنى .

وم بدافع الحق على الأزهر ، أو مبالغة في ترضية جهات معادية ، يسرها أن تظني . نوره - بله نور الإسلام - يظنون أن خداعهم محجوب عن الأفهام ، وفاتهم أن ثوب الرياء يشف عما تحته .

وم بدأبهم على هذه الجفوة سيظلون أشبه بالآثم الذي يفر من وجه العدالة ، ويتنادى في غيه ظانا أنه على صواب ، والخطأ يغمره وليس داريا .

فهل لنا أن نلتقي معهم على الهدى ، ونسمع منهم دعوات بريئة ، ونلس إخلاصاً غير مرئب ، لنصفي إلى هتافهم في رحابة صدر ، ونرفع لهم أصواتنا شاكرين ؟

(المجلة)

- ٢ -

التشكيك في إيمان أبي بكر وعمر

ونسبة الإلحاد إلى مجلة الأزهر

وصلت إلى لجنة الإفتاء بالأزهر نشرة صادرة عن الشيخ محمد بن محمد مهدي الخالصي من مجتهد الشيعة في العراق ينسب فيها الإلحاد إلى هذه المجلة ، وقد وصل مثل هذه النشرة إلى جهات أخرى متعددة .

والبريد الذي حل إلى مصر من العراق هذه النشرة المجيبة حل مما عدد ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ من رصيفتنا جريدة (السجل) اليومية التي يصدرها في بغداد المجاهد الشهير

السيد محمد طه فياض العاني ، وفيها دفاع كريم بعنوان (الخالصي يهت الأزهري بالإلحاد)
وعما جاء بمقال جريدة (السجل) الغراء الفقرات التالية :

« تقول القاعدة الإسلامية : إذا اتهم شخص شخصاً بالكفر بآء أحدهما بالوزير . والعلامة
الخالصي لا يتورع عن اتهام المخالفين له والمقاومين لخطته بالإلحاد والكفر والزندقة .
ولو رجع إلى نفسه لعلم أنه هو الذي يبوء بهذه المآثم ، وإلا فكيف يفترى على رجل يحمر
مجلة تنطق بـان الأزهر ، ويحمر فيها جماعة كبيرة من أفاضل العلماء ، بغض النظر
عن مذاهبهم ومشاربهم . »

« ولو كان الخالصي من الصادقين في قوله لنشر نماذج مما تنشره مجلة الأزهر من الدعوة
إلى الإلحاد ، ولجعل الناس يصدقون قوله واتهاماته . فإن هذه المجلة يقرأها في العراق ألوف
من المسلمين ، فليدلتنا سماحة الخالصي على بحث واحد يشتم منه رائحة الإلحاد ، فإن فعل كان
من الصادقين ، وإن أحرنهم كان من ال . . . »

« إن هذه الصنيعة - في نظر الخالصي - أفنت حياتها في الذود عن حياض الإسلام ،
ونشرت مجلة الفتح ومجلة الزهراء زهاء نصف قرن ، وكانت ميداناً فسيحاً لعلماء المسلمين
سنيهم وشيعهم وخارجهم ، وقد كتب على مقدمتها : « الفتح لاهل القبلة جميعاً » ، ثم يأتي
الخالصي يهت هذا الرجل بأنه صنيعة الإلحاد ، فرحى مرحى للجهتد الأكبر . »

وهقال رصيفتنا جريدة (السجل) اليومية الغراء التي تصدر في بغداد مقال فياض ،
اقتصرنا منه على هذه الفقرات القليلة على سبيل المثال . ونحن نطمئن الرصيف الكريم بأن
الامر بالنسبة إلينا أهون من ذلك بكثير . لأن قلم الخالصي الذي نسب الإلحاد إلى رئيس
تحرير مجلة الأزهر قد سجل على نفسه نقي نعمة الإيمان عن الشيخين صاحبي رسول الله ﷺ
وخليفتيه على أمته أبي بكر وعمر . وإذا كان أبو بكر وعمر غير مؤمنين في نظر الخالصي
فأين يكون رئيس تحرير هذه المجلة وكل ما يود مثله أن يقال من الله الخطوة بأن يحشر
يوم القيامة في ركاب أبي بكر وعمر ؟

يقول الخالصي في الجزء الأول من أكبر مؤلفاته وهو (إحياء الشريعة في مذهب
الشيعة) ص ٦٣ - ٦٤ ما نصه :

« وإن قالوا : إن أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم في القرآن (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قلنا : لو أنه قال ، لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة ، أو ، عن الذين يبايعوك ، لكان في الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع ، لكن لما قال (لقد رضى الله عن المؤمنين ، إذ يبايعونك) فلا دلالة فيه إلا على الرضا عن محض الإيمان . »

فالعلم الذى استباح به رئيس تحرير مجلة الأزهر بأنه صفيعة الملحدين ، قد استباح قبل ذلك إنكار حتى نعمة الإيمان ، على أبي بكر وعمر اللذين لولا أن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ لما كانا أقل من كثير من الأنبياء السابقين منزلة في إقامة الحق على الأرض وتوحي رضا الله عز وجل .

لقد تواتر عن أمير المؤمنين على - كرم الله وجهه - أنه كان يقول على منبر الكوفة : « خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، روى هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهاً ، ورواه البخارى وغيره ، ولا يوجد تاريخ في الدنيا صحت أخباره كصحة صدور هذا القول - من الوجهة العلمية التاريخية - عن على بن أبي طالب . وكان كرم الله وجهه يقول : « لا أوتى بأحد يفضلى على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفترى ، فإذا انتقلت الإحنة والضغينة على أصحاب رسول الله ﷺ من موضوع المفاضلة إلى موضوع إنكار الإيمان ، على أعظم المؤمنين إيماناً في الإسلام ، أصبح من الفخر لرئيس تحرير مجلة الأزهر أن يسجل عنه بعد موته أن الخالصي اتهمه بالإلحاد ، لأن للإلحاد والإيمان مدلولاً عند الخالصي غير مدلولها الذى كان يعرفه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى المبشرون من خاتم رسل الله بأنهم معه في الجنة . »

نحن لا نرى لنا سبيلاً على الخالصي من ناحية اعتقاده في إيمان أبي بكر وعمر - فضلاً عن رأيه في إيمان رئيس تحرير هذه المجلة - فإن في البشر ملايين لا يعتقدون حتى بإيمان خاتم رسل الله محمد بن عبد الله ، بل فيهم من لا يعتقد بالله . فليقل الخالصي وغير الخالصي ما شاء في إيمان أبي بكر وعمر وغيرهما ، وما نحن بمسيطرين على عقائد الناس . ولكن الذى نوجب له أن تكون للخالصي دعوى طريفة عريضة في توحيد المسلمين

والتقريب بين طوائفهم ، وأن يتقدم بهذه الدعوى إلى أهل الحجاز ونجد في حجة الأخيرة ، وأن تقام له الحفلات في الجمعيات الإسلامية بمصر لأجل هذه الدعوى ، ثم يكون أبو بكر وعمر غير مؤمنين في اعتقاده ، ويسجل ذلك في أكبر مؤلفاته (إحياء الشريعة في مذهب الشيعة) ، وهل الاتحاد والتقارب يقومان إلا على أساس الأصل الأول ، وهو تعديل الرجال الذين تلقينا عنهم القرآن وسنن الإسلام ؟

وإذا كان هؤلاء غير عدول ، ولا مؤمنين ، ولا مرضيا عنهم من الله ، فأى ثقة لنا بالإسلام الذى تلقيناه عنهم ، وعلى أى إسلام غير الذى عرفناه منهم نتحد ونتقارب ؟
اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا ووقفنا لاجتنابه
يا أرحم الراحمين . (المجلة)

- ٣ -

نحو مجد الأزهر

سبعت إلى الأستاذ الجليل مدير مجلة الأزهر لأنهى إليه أملى فيه رجلا غيوراً على مجد الأزهر ، متوثباً إلى نهضته الكريمة ، وقد كنت ولا أزال على يقين من أن مجلة الأزهر تستطيع لو توفرت لها عناصر الحرية والحياة أن تسهم في خلق أمل جديد ، وبناء مجد منشود للأزهر ، بعد أن تعاضدت عوامل الخمول على تعويق ركبته ، وإثبات خطاه .

وقد عرفت المدير الجديد لهذه المجلة ناقداً بصيراً لشئون الأزهر ، وذكرت له من قريب محاضراته التى ألقاها في القاعة الكبرى للمحاضرات متوخياً بعث الهمم ، واستيقاظ العزائم وحشد الجهود للقيام برسالة الأزهر التى طرحنا جانباً منها عن كواهلنا ، أو حملناه متاعلين .
وحدثنى أحد الزملاء أن رئيس تحرير هذه المجلة رجل لا يحرص على بلاغة المقال قدر ما يحرص على إخلاص صاحبه ، وإيمانه العميق بما يدعوه إليه .

قلت لنفسى : فاقفتمون على شئون هذا المنبر الضخم حريون بأن يسمعوا صوت الأزهر ويستمعوا إليه ، وأن يمدوا في هذا الصوت حتى يبلغ آذان الجاحدين والمكابرين ، وأن يعرضوا شئوناً جمة للأزهر في معرض النقد والبحث والتحقيق ، لتأخذ بأسباب الكمال في كل أمر يتعلق به ، ولست من المدعين للأزهر براءته من العيب ، ولا نقاده من الهنات ، فاعتقاد الكمال المطلق ، وادعاء الصلاح - وإن عزت أسبابه - عصبية جاهلة ، بها يتفاهم الغداه ، ويستعصى الدواء .

ومن ذا الذى ترضى بجايه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معاياه

لقد تعرض الأزهر لحلة ظالمة من الكتاب ، وغلا فريق من الناس في لومه ، والتشكر له والتسخط عليه . بل ذهب بعض النافين من أبنائه إلى أن الأزهر نقص كله ، ففيه التفاف الشائع ، والفنوى المأجورة ، والشرعية المشوكة ، بل هو د مقبرة حسا ومعنى .

إن في الأزهر الآن وعياً يقظاً ، وشعوراً سامراً متوثباً نحو حياة ماجدة ، منطلماً إلى أفق جديد ، وفي كل يوم صيحة مدوية من أبنائه وشبابه الاغيار يدعون إلى اقتحام ميادين الكشف ليزودا عن الدين بأسلوب مجدد كريم ، وإلى تنقيح البراج الدراسية تنقيحاً يجمع إلى العمق والدرس وضوح الفكرة ، وإشراق الأسلوب ، وإبراز الجوهر ، وإلى إعادة النظر في مناهج الأزهر ، لتساير الحياة المتجددة ، والعقول المنهجرة . والحكومة مستجيبة لهذه الصيحة ، وإدارة الأزهر ماضية في هذه السبيل ، تدعو إليها على بصيرة .

هذا الهجوم المقذع الحثيث من خصوم الأزهر وأعدائه اللد يقتضى من مجلة الأزهر أن تفسح صدرها للرد البزبه ، والبحث الممحص ، وعرض ما في أفق الأزهر مما هو طيب أو غير طيب ، كريم أو غير كريم ، لملك من ملك عن بينة ، وبجاء من حى عن بينة ، ولا بأس بأن يزحف بنقده إلى مجلة الأزهر النوروز ولو من غير أبنائه ، حتى يكون هذا الصيال محصاً لفكرة قوية ، أو ميئناً لأساس رشيد ، ومن ثم نبهى للأزهر ما هو أهل له من النهوض والمستوى الرفيع ، أما ترك هؤلاء الممارقين ينهشون الأعراض ، ويلفون في الكرامات ، وينفنون السموم ، ويصورون الأزهر بهذه الصورة الشوهاء ، في تجن وظلم وإفراء ، فذلك تلبك لا يلىق أن ينسب لأبناء الأزهر عامة ، ولا بالحرص على كرامته خاصة .

على أن شيئاً لا يمنع أن يكون في بعض هذه الأقلام ما يفيد توجيهها ونصحاً ، ولا ضير على الأزهر أن يتأقف ذلك من كل لسان ، ولا عليه أن يأخذ الحكمة من أى فم خرجت .

وعنده الآمال النائرة في شباب الأزهر ، المتقدة في صدورهم ، الحافلة بالحب والوفاء له ليس لها أرحب صدرأ من هذه المجلة ، تحمل آلامه وآماله ، ومتى حفلت بهذه وتلك أشرفت حياة الأزهر ، واهتزت جنباته وانجهت إلى المجد والعزة غاياته ، وأصبح عسيراً على أعدائه أن ينالوا منه .

أنا مؤمن بأن فرداً واحداً لا يصلح الأزهر مهما عر شأنه وسمت عبقريته ، ولكن اجتماع الجهود ، واحتشاد الفكر ، يدعم أسس الإصلاح ، ويثير إليها السيل ، ولقد كان في الماضي اختلاف المذاهب ، واضطراب العصية ، مما يباعد بين القلوب ، فأما اليوم فالناس على كلمة سواء ، يسعى بذمتهم أدناهم .

على أن للإخلاص سمنا ، ولبناء الإصلاح روحا لا يكذب ، ومنطقاً لا يضطرب ، ومتى أقامت المجلة من ضميرها ويقظها رقيباً على تحرير هذه الصفحة نفت عنها الخبيث والدخيل وصاحب الهوى ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون .

إن مجلة الأزهر — في اتهام بعض الناس — تحيا حياة رتيبة لا تلون فيها . ولاني لازعم أن كثيراً من القراء — والأزهريين — شمو ما تردده بنغمة واحدة من بحث على أو أدبي مهما سبق من عقل الفحول وبحشم ، فإذا ما صعب ذلك انبعثت المرائم نحو الإصلاح ، واهتزاز القرائح بالرأى يأنلف حيناً ، وبمختلف حيناً ، فذلك تنفيق لسوق المجلة ، واجتذاب لبقول القراء وقلوبهم ، ودعوة لكل صاحب رأى مؤمن أن يدل به .

فلتقم هذه المجلة بهذه المثابة مقام لجان سياسة التعليم والمجالس العليا له في غير الأزهر . ولن يكون ذلك لو تم إلا حسنة الأزهرين ، وفضلا يدرى للقاتمين على أموره ، يذكرون به بين المنحدرين .

هذه أمنية تتخالج نفسى ، وتمازج شعورى ، وحتى أن تكون مجلة الأزهر صوت الإصلاح الجهير ، وعينه الساهرة اليقظى ، ومؤتمره الواعى المنبصر .

أسوق هذه الامنية للأزهريين الناهضين ، ولرعاة المجلة الناهيين ، مستغنياً بهذه الامنية عن كل تحية ، فيوم توتى أكلها سيمجز رعاتها عن شكر التحيات المتدفقة ، منبعثة من الاعماق والله ولى المحسنين ٧

محمد طامل الفقى

مدرس فى كلية اللغة العربية

التكرار في الكلام

التكرار ظاهرة واضحة في أسلوب القرآن الكريم ، وهي كذلك ظاهرة في حياة الأعراب أنفسهم . ولذلك قد يكون من خير الدراسات التي يفيدنا بها دارسو الإثنوجغرافيا أن يدرسوا لنا خصائص البيئة العربية في شبه الجزيرة ، ويربطوا بينها وبين الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها ، ثم يربطوا بين كل ذلك وبين الحياة اللغوية والأدبية التي كانت سائدة . وقد حاول بعض الدارسين منذ أوائل القرن العشرين (راجع من سامبل Simple في كتابها القيم : مؤثرات البيئة الجغرافية ... etc. Influences of Geographical Environment) أن يقوموا بهذا العبء ؛ ولكننا لا نكاد نجد من يتحدثون إلينا مرة واحدة عن شبه الجزيرة العربية ، ولا عن المناطق الجغرافية المشابهة لها . ولذلك فإن أى كاتب معاصر يريد أن يدرس ظاهرة فنية عامة عند العرب لن يستطيع أن يحكم حكما يستمع له ما لم تتوافر لنا تلك الدراسة . حاول البعض أن يعلل ظاهرة التكرار من واقع البيئة العربية والروح السائد فيها ، ولكنها محاولات اجتهدية محضة ، تعجب القارئ وتأسره إليها ، ولكنها لا تستند على أساس مدروس .

وأمام القصور الذي ما زلنا نعاني منه في مجال هذه الدراسات لا يسع الإنسان إلا أن يقف عند المفهومات العامة التي شاعت من قديم ، والتي ما تزال شائعة ليرى منها على أى نحو تصور القدماء المشكلة ، وعلى أى نحو يتصورها المحدثون .

والظاهرة العامة التي تسود الدراسات القديمة هي أنها كانت تفصل المشكلة المراد بحثها عن كل ما عداها من المشكلات : وتتصورها منفصلة عن كل شيء . ثم تعالجهما في هذا الوضع من الانفصال . ومن هنا لن نجد ناقداً عربياً (إلا في النادر) يربط لنا بين ظاهرة لغوية أو أدبية وبين البيئة التي ظهرت فيها . وهكذا كان موقفهم من ظاهرة التكرار .

فإن رشيق يحدثنا عن التكرار فيقول : وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه . وهكذا يتحدث ابن رشيق عن التكرار فيتمثله

في بعض النصوص فإذا به يرتاح له حيناً ، وينفر منه حيناً ، فيسجل لنا هذه النتيجة :
أن التكرار يحسن أحياناً ويقبح أحياناً . ولكن ما هو السر في ظهور التكرار في الأدب
واللغة ، وما براعته ؟ هذا سؤال لا نتمر له على جواب .

وقد يقدم إلينا ابن رشيقي صوراً للتكرار حين يقبح ، وصوراً له حين يحمل فيقول :
فأما قول محمد بن منذر البصري في معنى التكثير :

كم وكم ، كم كم وكم ، كم كم وكم قال لي أجز حر ما وعد
فقد زاد على الواجب ، وتجاوز الحد . ومن المعجز في هذا النوع قول الله تعالى
في سورة الرحمن : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » ، كلما عدد منه أو ذكر بعمه كرر هذا .

والآن لماذا يرتاح العربي للتكرار الذي في الآية ولا يرتاح له في البيت ؟

قد يبدو هذا السؤال غريباً ، لأن نفس الإنسان ترتاح لهذا ولا ترتاح لذلك . هذه هي
المسألة : فكان المسألة مسألة قضية صرفة ، ولكن ذلك فيما يبدو حل سريع ، وهو لا يكفي .
ذلك أن الارتياح النفسى أو عدم الارتياح ليس قاصراً على ظاهرة التكرار في صورها
المختلفة كما نواجهها ، بل إن ذلك يشمل حين نواجه ظاهرة التكرار وغيرها من الظواهر ،
فنأخذ منها أحد الموقفين . وعلى ذلك ينبغي البحث عن الصلة التي بين التكرار بالذات وبين
روح الحياة السكينة في البيئة العربية والتي كان العربي يحسها إحساساً عميقاً ومباشراً .

ويترك القدامى هذا المبحث ويتحدثون إلينا عن فوائد التكرار في الكلام . وهذا
بطبيعة الحال كان يتمشى مع مهمتهم الأولى والأساسية ، وهي أن يعلبوا الناس الأساليب ،
مق تحسن ومتى تقبح ، وفي أى المجالات ، ولأى الأغراض ، وعلى أى نحو تستخدم .

والسيوطى يلخص لنا هذه الفوائد التي للتكرار فيقول : وله فوائد منها التقرير وقد
قيل : الكلام إذا تكرر تقرر .

وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرر الأفاضل في القرآن بقوله :
« وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون أو يتحدث لهم ذكراً » ، ومنها التأكيد ، ومنها زيادة
التففيه على ما ينشئ النعمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول : « وقال الذى آمن يا قوم اتبعون
أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع » . فإنه كرر فيه النداء لذلك . ومنها

إذا طال الكلام، وخشيت تناسي الأول، أعيد ثانيها نظرية له، وتجديداً لعهدته؛ ومنه: «ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها... الآية». ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها... الآية. ولما جاءهم كتاب من عند الله - إلى قوله: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به. لا تحسبن الذين يفرحون بما أنوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب. إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين، ومنها التعظيم والتحويل نحو: الحاقة ما الحاقة - القارعة ما القارعة - وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين... ومنه التريديد كقوله: الله نور السموات والأرض، مثل نوره كشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاج كآنها كوكب دوى... وقع فيها التريديد أربع مرات، وجعل منه قوله: فبأى آلاء ربك تكذبان؛ فإنها وإن تكررت نيفاً وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثة، ولو كان الجميع عائداً إلى هي. واحد لما زاد على ثلاثة، لأن التأكيد لا يزيد عليها، قاله ابن عبد السلام وغيره. وإن كان بعضه ليس بنعمة فذكر النعمة التحذير نعمة. وقد سئل أى نعمة في قوله: كل من عليها فان، فأجيب بأجوبة أحسنها: النقل من دار المموم إلى دار السرور، وإراحة المؤمن والبار من الفاجر. وكذا قوله: ويل يومئذ للكاذبين في سورة المرسلات، لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول، فسكانه قال عقب كل قصة: ويل يومئذ للكاذبين بهذه القصة. وكذا قوله في سورة الشعراء: «إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك هو العزيز الرحيم». كررت ثمانى مرات كل مرة عقب كل قصة. فالإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والمعبر.

وكذا قوله في سورة القمر: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر، قال الزمخشري: كرر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها انعطافاً وتنبهاً، وأن كلا من تلك الانباء يستحق لاعتبار يختص به، وأن يتنبهوا كي لا يغلبهم السرور والغفلة.

ويستمر السيوطى ينقل إلينا عن سابقه تفسيراتهم للتكرار الذى صادفوه في بعض الآيات بالذات.

ولاشك أن البحث عن الفوائد النفسية التى يقدمها التكرار أمر لا يكاد ينتهى، لأن صورة التكرار في أى نص من النصوص إنما هى حالة فردية بحتة، بمعنى أن كل تكرار يكاد يكون له دلالة خاصة ويهدف إلى منحى نفسى ما يختلف في كل نص عنه في الآخر. فقد يكون

التكرار إذن للاستعطاف كما في قول إبراهيم عليه السلام وتكراره « يا أبت... » ، وقد يكون إلى ذلك لاستدرار الرحمة كما في تكرار « اللهم » في الدعاء .

وهكذا نستطيع أن نجد ما لا يحصى من المعاني أو الفوائد التي للتكرار . ولكن هذا الإحصاء لا يحل الإشكال فيما يبدو ، لأن كل هذه المعاني كان من الممكن تأديتها بصورة لغوية لا تكرار فيها . هنا يقول قائل : ولكنها عندئذ لن تكون بالقوة التي هي عليها في حالة استخدام أسلوب التكرار . وهنا نسأل : ما هي هذه القوة ؟ ولماذا يكون التكرار أكثر قوة ؟

والمحدثون حين يقفون أمام ظاهرة التكرار هذه يفكرونها تفسيراً نفسياً ، ذلك أن الدراسة النفسية قد وجدت طرقها إلى دراسة اللغة والأدب بما هو مظهر من مظاهر النشاط الروحي ، ووجدت بعض المحاولات التي أخذت على عاتقها تفسير الأدب والظواهر الأدبية تفسيراً نفسياً محضاً . وهنا يأخذ المحدثون من هذا الأساس النفسي وسيلة للكشف عن السر في قوة الأساليب ومن بينها التكرار . وهذه المحاولات طريفة ولا شك ، ولكنني أريد أن أؤكد للقائمين بها أنهم لا يمسون المشكلة في أعماق أعماقها ، ويكفي أن أقدم هنا صورة تثبت ذلك . فمن الممكن أن يكون للتكرار أصل نفسي أو بيولوجي كامن في الإنسان (الشبهق والزفير مثلاً عملية متكررة) ، وهو حيناً يلتقي في الخارج بصورة من صور التكرار فإن هذا التكرار يحدث مع نفسه توازناً ، ويكون الإعجاب بالتكرار هنا نتيجة لالتقاء طبيعي بين الخارج والداخل . وهنا يمكن أن توجه هذا الاعتراض : أليس الشبهق والزفير قسمة بين جميع الناس ؟ فلماذا إذن يغلب التكرار على لغة بذاتها أو يفشو في أدب بذاته ، حتى يكون ظاهرة واضحة فيه ولا يكون كذلك في أدب آخر ؟ ولماذا يرتاح الناس في هذه الأمة إلى التكرار ولا يرتاح إليه الناس في أمة أخرى ؟

مرة أخرى أؤكد أن جواب ذلك كامن في بحث الروح العام السائد في كل أمة تعيش في بيئة بذاتها ، وأن هذا العمل هو موضوع الدراسات الانثوجرافية أولاً وقبل كل شيء ، وهي التي تدرس لنا أثر البيئة على الإنسان ، ومدى ما بينهما من تفاعل . وحين تنصب هذه الدراسة على شبه جزيرة العرب فإنها عندئذ ستعطينا المفاتيح التي تفتح لنا تلك المغاليق ، وتجيئ لنا على تلك الأسئلة الكثيرة التي أسلفنا ، دون أن نجد لها الجواب العلمي الكافي . وعندئذ سنحقق لنا أن التكرار ليس إلا نتيجة لظروف بعينها ، وأن انفعال العربي به كان نتيجة غير مباشرة لتفاعله مع بيئته .

عز الدين اسماعيل

صَانِعُ الْقَوَائِمِ

من ذلك الذى لفه جنح الليل الرهيب ، وماجت بين عينيه آفاق الظلام المهيّب ، وجنمت حوله قن الصخور الشاخسة كعزيمته ، المتحدية كهيمته ؟

من ذلك الذى تخرق غياهب الماضى نظراته ، وتزف حسرة على الحاضر عبراته ، وتتحفز لتسبق لجر المستقبل وثباته ؟

من ذلك الذى تطارده المؤامرات وهو لائذ بإيمانه ، وتفرقها عليه الملأت وهو عائد بقرآنه ، وتتقاتل عليه أغوال الشر وهو معتم بصلاه ، وتتداهى عليه الاحقاد وهو مدرع بعناية الله ؟

إنه محمد بن عبد الله ، إنه معجزة الحياة ، إنه عارب الأرباب ، إنه صانع الانقلاب ، إنه قاهر العزى ومناة ، ومن عفروا من ثراها الجباه ، إنه أعلن الحرب على العقيدة التى تغفلت فى الدماء ، وتوارثها الأبناء عن الآباء وآباء الآباء ، إنه يناضل الشيطان الذى تجسم فى هذه الأوثان ، إنه يصارع الطغيان الذى تمثل فى كل إنسان ، إنه ينظر إلى بناء العروبة وقد نسجت عليه العناكب ، ويتطلع إلى دعائه فإذا هى رخوة الجوانب ، فوحدتها متراخية الأسباب ، مزعزة الأطناب ، لا تمسكها وشيجة ولا تربطها آصرة ، والناس كلهم بين مجرور عليه وجارم ، ومحرور من لقمة العيش وحارم .

فأنى لقوة بانية أن تجعل من هذه الهاوية صروحاً سامية ؟ ألا إنها قوة المعجزات التى تصنع الآيات .

وقف محمد على باب الغار يودع مدارج طفولته ومعارج صباه ، ويذكر حرب قومه لدعوته ، وتعذيبهم لمن والاه . ثم انطلق من قيود الحزن والوفاء التى أقعدته أعواماً بين مرارة الإيذاء ، ومرارة البلاء ، وانفلتت معه الدعوة من ضيق هذه الحدود ، وأغلغل ذلك الجحود .

وهاجرت الحياة من مكة الجسدباء إلى المدينة الغراء ؟ هاجرت الحياة إلى من يؤمنون بطهارة الحياة . وإلى المدينة تطلع الوجود ، لينظر إلى محمد كيف يصنع الخلود .

إن محمداً عليه السلام يؤمن بأن خلق المهمة قبل بناء الأمة ، وبأن نكران الذات قبل قيادة الجماعات ، وبأن التغلب على هوى النفس قبل خوض معارك البأس ، وبأن الاخلاق المكافئة خير من خير الأسلحة .

بهذا وبكثير غير هذا راح محمد عليه السلام يصنع في المدينة قادة ، وبين جوانب مسجده أنشأ مصنع القيادة : مصنع القيادة الذى يعد كل مسلم ليكون ماجداً ، وليكون حينما كان قائداً .

مصنع القيادة الذى يصنع الأرواح ليهيئها ليوم الكفاح ، ويعمى القلوب قبل أن تنزل إلى معامع الحروب .

مصنع القيادة الذى يصنع القائد الفاتح وادعاً إذا ملك ، ويجعل المؤمن الصالح قائداً بما امتلك .

مصنع القيادة الذى يتقف الهداة كما يتقف الغزاة ، يصنعهم كتاب الله ، وتصلبهم سنة رسول الله ، بل لقد أنشأ بين جوانب مسجده مدرسة الثورة ... مدرسة الثورة على الأصنام التى عنت لها الهامات ، وسيقت لها القرايين ، ونحرت زلفى لها الذبايح .

مدرسة الثورة على العادات المتوارثة ، والاخلاق العابثة ، إنها مدرسة الثورة على الحياة الجاهلية كلها لتخلق حياة جديدة كلها .

وما انقضى عام حتى زلزلت قواعد اللات والعزى ، وانخلعت القلوب التى عاشت بينها الشياطين ، حينما رأت قريش على مياه بدر القوة المؤمنة تطحن ما عبأت مكة طحنا ، وتسوم العداة شجماً وطعناً .

رأت قريش المؤمنين يكرون في قوة دافقة ، وقلوب بحب الموت في سبيل الله خافقة يستعذبون مرارة الجهاد ، ويذمرون بحرارة الجلال : فتفوسهم من مادة جديدة ، لا تعرف

الحور ، كأنما حللتها يد العناية من طباع البشر ، وهنا ذابت قريش على الصحراء أمام حرارة الإيمان كما يذوب البرد .

واقطعت بعد ثمانية أعوام صيحات الوعيد والتهديد التي كانت ترسلها قريش ، حينما دخل القائد الأعظم مكة فاتحاً لحلم الأرباب ، وقضى بقواد المدينة ومؤمني العرب على الوثنية التي طرأت من أيام عمرو بن لحي على العرب ، وقد شهدت المدينة أفواجا من الفدائيين تخرجوا في أعظم معهد عرفه تاريخ التضحيات ، وأنجمهم أقوى مصنع خلق الرجال ، وكلهم القائد الذي لا تقل له قناة ، والغازي الذي تخر أمامه جباه العتاة .

بل كلهم المهادي الذي امتلا من هدى النبوة قلبه ، وكان لله ورسول الله وبنساعة المسلمين عمله وجهه .

إن صانع القواد صنع المسلمين كلهم قواداً ، فإذا حل اللواء أحدهم سار الجميع خلفه أجناداً .

وإذا أمر رسول الله زيداً فإنما يهدف من وراء ذلك إلى أن الإمارة ليست وفقاً على السابقين من المهاجرين ، ولا على الذين آووه وآزروه من الأنصار ، ولا وفقاً على العرب الماجدين ، بل إن كل المسلمين قادة وإن كلا يصلح للقيادة .

ولحق صانع القواد بالرفيق الأعلى وقد ترك وراءه مئات الآلاف من القواد ينشدون الدعوة ، ويفتحون لها البلاد ، وقد فتحوا لهذا الدين أقطارا استعصت على كل مغوار ، وأخضعوا حصوناً لم تدن أسوارها قبل لاي جبار ، وحق للإسلام وأولئك حماه ألا تصده الحدود ، أو تكبله عن الانطلاق في أرض الله القيود .

وهكذا صنع العرب المعجزات لأنهم من صنع مدرسة محمد عليه السلام : تعلموا فيها كيف تنفاني ذواتهم في خير أمتهم ، وتعلم كل كيف يعمل لأمته قبل أن يعمل لأسرته ، وتعلم كيف يسائل نفسه إذا أمسى ماذا صنع لدعوته وماذا قدم لدولته .

فما انقضت عشرة أعوام على الهجرة حتى اقتلعت قوة الإسلام جذور الوثنية من جزيرة العرب ، وحتى تبدل بطش الجبابرة رقة وادعة ، أمام حقوق الضعفاء ، وقوة رادعة أمام الصلف والكبرياء .

ودارت مجلة التاريخ عشرين عاما أخرى ، فإذا مئات الآلاف من القواد الذين صنعهم محمد عليه السلام يبهرون الدنيا بأعمالهم ، وإذا الوجود يقف مشدوها أمام أولئك الذين زحفوا من الصحراء شمالا فلكوا ملك فارس الواسع ، وانطلقوا غربا فلكوا ملك الروم الشاسع .

ثلاثون عاما مضت على هجرة الرسالة إلى المدينة غيرت وجه التاريخ .

ثلاثون عاما قصيرة في عمر النهضة ، ولكنها خلقت التاريخ ما تعجز عن خلقه القرون .

ثلاثون عاما بنى فيها كل مسلم بدمه وعقله وإيمانه وساعده وبكل حيويته مجد الأمة الإسلامية .

وبهذا خلفوا للإسلام تراثا عظيما ، وملكاً عزيزاً لم تغب عنه الشمس ، فهل حماء بعدم المسلمون ؟ وهل صانت عزته كثرتهم التي تضيق بها الآن رحاب الأقطار ؟ .

اللهم إنا نقف أمام هذا المجد الذي بناه أسلافنا منكسى الرؤوس ، اللهم إنا نقف أمام صفحات هذا التاريخ جرحى النفوس ، حتى متى نقف ويطول بنا الوقوف ، ونحمد ويطول بنا الجمود ؟

أيها المسلمون .

إن جميع بلادكم أصبحت مرتعاً للاستعمار السياسى والاقتصادى والعسكرى والثقافى ، وليس ثمة بين بلاد المسلمين بلد لم تستعبد قواه أو يستنزف دمه أو تستغل أرضه أو يحرم أهله من خيره أو تربى على غير التربة الإسلامية عقليته .

فأين قادة الإسلام ليمثلوا ؟ فلم يعد في الزمن ما يقنع للخطب والمؤتمرات .

إن مئات الملايين من المسلمين تمر بهم في بلادهم رضى الاضطهاد ، وتسفع نواصبيهم سياط الاستعباد ، وتنتهك حرماهم وتستباح أعراضهم ، فالجتاح المبيض جناحهم ، والسلاح المفلول سلاحهم ، والكفاح المانع كفاحهم .

أيها المسلمون .

إن المصنع الذي صنع فيه محمد عليه السلام قادة اعتزت بهم الميادة، وجعلت لهم السيادة لم يزل حياً في الصدور ، وفي السطور : كتاب الله وسنة رسول الله ، ولكنكم تسمعون ولا تعون ، وتحفظون ولا تفعلون ، فغيروا ما بأنفسكم بغير الله لكم وجه التاريخ قبل أن تصبحوا عبرة التاريخ .

أيها المسلمون .

لا تستجدوا العزة من لا يحبونكم أعزة ، ولا تطلبوا السلطان من يحبون لكم الهوان ، ولا تنتظروا الوعود من ينقضون العهود ، وماذا تناله الخطب والأسفار في عصر الحديد والنار .

إن روح التضحيات والفداء هي التي صنعت ذلك المجد الغابر ، فهل حرص المسلمين على الحياة والدعة هو الذي جعلهم عبرة الحاضر ؟

لا . لا . أيها المسلمون : استمدوا من مصنع المعجزات قواكم ، وانفضوا لتشقوا إلى العزة السيل أو انفضوا .

أما أنتم يا من تقدمتم الشعوب وتبوأنتم مراكز قيادتها ، وارقيتم إلى مرقى سادتها ، فاصهروا أنفسكم في مصر البطولة الذي صهر خالداً ، ثم اصنعوا بعد للإسلام تاريخاً خالداً ، واذكروا بسالة ابن الوليد وكفاحه المجيد ، ثم اذكروه واذكروه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة فيتميز حسرة وقصطك أنيابه أسفاً ، لأنه لم يفز بالاستشهاد بين أهوال الجهاد ، وفي جسده أثر لمائة طعنة قاتلة لم يزل بها الشهادة ، ومن ثم يموت في بيته مردداً : « أأموت على سريري كما تموت النساء !! لا نامت أعين الجبناء » .

اذكروه أيها الفدائيون لعل ذكراهم تصنع لنا مجداً ، ولعل فيكم من يكتب بدمه في صفحات الوجود خالداً ؟

محمد خليفة
المدرس بالأزهر

كيف ينحضر المسلمون!

بم يسترد المسلمون ما سلف من مجدهم الغابر ، ومضى من عزمهم التليد ؟ وكيف يسترجعون تلك الحكمة السامية التي اقتعدوها في ذروة التاريخ ؟ بم يعودون كما كانوا قادة الدنيا وهداة العالم، يحملون في أيماهم مشاعل العلم والحق والعدل ، لا يضعفون ولا يتغلبون ؟ وكيف تعود هذه الرقعة الإسلامية زاخرة بالقوة المستنيرة المبصرة ، حافلة بالعزائم الفتية ، والحكم القوية التي تتحدى الخطوب ، وتزرى بالحن ؟

تلك أسئلة تطوف بالفكر ، وتتردد على الذهن ، حين يستسلم المرء لتصوراته وتأملاته ، وتسرح خواطره خلال الأحقاب التاريخية ، تستعرض أجداد المسلمين ، وتقرأ صحائفهم الناضرة اللامعة ، وهي أمنيات مثيرة ملحة تداعب المرء حين يستبد به التفكير ، ويمسكه الالاسى ، ويتأمل فيما غشى الأمة من أحداث ، ومر بها من خطوب . على أن العوارض التي تعرض للأمم ، والآفات التي تلحقها ، فتزخر وثباتها ، وتشل نهضاتها ، وتقلب أوضاعها ، وتكس تاريخها ، كالعلل التي تعترى الأفراد فتتال من أجسامهم ، وتسلب من قواهم ، وتضعف من هزائهم ، ثم لا تلبث أن تلاشى أعراضها ، وتزول آثارها حين يحرص المرء على أن يأخذ بوسائل الطب وأسباب العلاج . كذلك الأمم والشعوب إذا حاول المصلحون أن يصلحوا أوضاعها ، ويعالجوا هيوها وأعراضها ، ويهيئوا لها أسباب الحياة الكريمة ، ولازمهم الإخلاص فيما اتسموا من طب ، واتجهوا إليه من علاج . فلا بد أن تزول أسباب الضعف ، وتنمحي آثار العلل والآفات .

... قد تختلف الأنظار وتباين الوجاهات فيما يلتمس من دواء ، أو يرسم من سبل ، ولكن لابد من الوصول إلى الغاية المنشودة ، والهدف المأمول ، مادام الناس يأخذون أنفسهم بما انجهموا إليه من وجهة ، أو ارتبطوا به من سلوك ، وليس هناك أخطر على الأمة وأدعى إلى شيوع الداء واستشراء العلة من أن تلبس الآراء ، ونفترج الوسائل ، ثم لا تأخذ أنفسنا بوضع ، ولا نحملها على سلوك ، وقد حذرنا رب العالمين جل شأنه من هذه الخلائق

التي لا تحمل في طياتها إلا الضعف والانحلال . ويا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون .

فإذا أردنا أن نعود إلى القوة الإسلامية الهادية البانية العادلة ، وإذا أردنا أن نعود
إلى سيادتنا الرحيمة القويمة ، فما علينا إلا أن نتحلى بالشائيل التي خلقت هذه القوة ، وأنشأت
تلك السيادة ؛ فإن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما يصلح به أولها ، ما علينا إلا أن نتجمل
بأخلاق أسلافنا ، وتندرع بالاسباب والوسائل التي سلكوها إلى أهدافهم وغاياتهم ،
والوسائل التي مكنت لهذا الدين ، وهيات لتلك الأمة ملكها الواسع ومجدها العريض ، هي
الوسائل الطبيعية التي شرعها الله لقيام الجماعات ، ونهوض الدعوات ، ونجاح الرسالات ،
هي الوسائل التي لا تفضل بها الآراء ، ولا تفشل فيها القوى والجهود .

ونحن نعلم من تاريخ ديننا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه نهض بدعوته ، وقام
برسالته بين جماعة استبد بهم ظلام العقل ، وتمكنت منهم قسوة القلب ، ولفهم الجمل بأغشية
سميكة ، ولم يكن مع الرسول سلاح يحارب به ، ولا ذخيرة تحمل الناس على الخضوع له ،
والإذعان لرسالته ، إلا قوة العقيدة والفناء في الدعوة . كان يحمل بين جنبيه أنفذ سلاح وأمضى
عدة . كان يحمل الإيمان الراسخ الذي لا يهين ، والعزم المصمم الذي لا يتردد ، والسيرة الناصعة
التي لم تدنس بريية ، والسلوك القويم الذي يحمل الناس في قوة وروعة على الانقياد والتسليم ،
ثم لم تلبث بشاشة الإيمان أن خالطت قلوباً شرحها الله للهداية ، ومازجت صدوراً أضاءها
الحق ، وزينتها الطاعة الصادقة ؛ فجاهدت في الله حق جهاده ، حتى صارت كلمة الله هي العليا ،
وكلمة الذين كفروا السفلى ، وما هي إلا فترة وجيزة ولحمة عابرة من حساب الدنيا حتى تلفت
التاريخ في دهشة حائرة يطل على امبراطورية ممتدة الأطراف ، مقسعة الرقعة ، زاخرة بالقوة
الهادرة والضحج الإنساني ، أقام دعائهما وأسس بناءهما أولئك الذين لم يشهروا بمدينية ، ولم
يعرفوا بحضارة ، ولم تتم لهم قبل ذلك دولة منظمة ، ولا سلطان مخيف .

ما الذي جعل هذا الملك يمتد في فترة أدهشت العقلاء والمفكرين إلى الهند والصين شرقاً ،
وإلى بلاد الاندلس غرباً ، وإلى سيبيريا شمالاً ، والسودان جنوباً ، ما الذي جمع هذه الأشلاء
المبعثرة ، وضم تلك القوى المتناثرة ؟ ما الذي ألف هذه القلوب المتنافرة ، وجمع تلك النفوس
المتباغضة المتحاسدة ؟

ما الذى قهر الأعداء وأرغم الخصوم ، وأذل القوى الجبارة التى تتحكم فى العالم وتنازع سيادته لهذه القوى الفنية النابضة الناهضة ؟

إنه الإيمان وحده ، الإيمان الذى يخالط القلب ، ويمتزج باللحم والدم ، ويسرى فى جميع أنحاء النفس ، فلا يترك فيها مجالاً لحقد مدمر ، ولا موضعاً لغل مهلك ، وطمع دنيء خبيث ، ولا أثراً لشهوة فانية وأثر زائل .

إنه الإيمان الذى تسترخس فى ظلاله المهبج والأرواح ، ويضحي من أجله بالأموال والأولاد . وبمقدار ما يقوى الإيمان فى الصدور ، وتمكن العقيدة من النفوس ، تعظم قوة المسلمين ، وتشمخ عزتهم ، ويمتد سلطانهم ، ويهرب الأعداء جانبهم ، فإذا قرأ الإيمان ، الإيمان بالله ، الإيمان بقوة الأمة ورسالتها ووضعها فى الحياة ، وتحملت العقيدة التى توحى باقتحام الأهوال ومغالبة الأحداث والانتصار على قوى الأعداء .

إذا استسلم الناس لما يساورهم من الوسوس الحاطة والأوهام الضالة ، والشك فى رسالتهم فى الحياة ، فلا بد أن يتحلل سلطانهم ويتضاءل نفوذهم ، وتسقط هيبتهم من نفوس أعدائهم ، ولقد صدق الرسول الأكرم حين صور هذه الحالة أصدق تصوير بقوله : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصاعها . فقال قائل : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت . »

إن أعنى عدو للمسلمين ، وأشد خصومهم جبروتاً وطغياناً لن يتمكن منهم ولن يستطيع أن يفرق جمعهم ويشتت صفوفهم ووحدتهم ، ويستذلهم أقبح الذلة ، إلا إذا تمكن أولاً من قلوبهم ، فلما يحب الدنيا وشهواتها الآثمة ، ونزواتها الظالمة ، وجعلها تحرص أشد الحرص على السلامة والعافية ، فلا تكلم فى جسم ، ولا تؤذى فى نفس ، ولا توتر فى مال . ومتى دب الحرص والوجل فى الأمم فقد تمكنت منها الاستكانة والرضى بما ينزل من هوان .

ماذا نقول الآن حين ننظر والآسى يملأ نفوسنا إلى هذه الرقعة الإسلامية التى كانت تزخر بالقوة ، وتنبض بالمجد ، وتتوئب بالسلطان ، فترى أن أيدي الأعداء قد عبثت بجمعها ، وأطاع المستعمرين قد مزقتها شرموز ؟

ماذا نقول حين نجد الهداة قد أصابهم العمى ، وشر العمى عى القلوب ، ونجد العلماء قد ران على قلوبهم الجمل ، فتخلفوا عن الركب وأصبحوا يلتمسون من يحدد لهم الوجهة ويوضح أمامهم القاية ؟

ماذا نقول حين نرى هذه القوى تسكدح وتستخرج كنوز الارض وطيبات الرزق ؛ ليستمتع بها الاعداء ، ويستأثر بها المستعمرون . ؟

لا نقول إلا أن الإيمان قد خبا في القلوب نوره ، وضعف على الأفةة تأثيره ، فاستسلم المسلمون لسلطان المخلوق بعد أن هربوا من سلطان الخالق ، وعكفوا على عبادة الظالم بعد أن فروا من عبادة الواحد القهار . ومن تمرد على الله وكله الله إلى الناس .

هذه بلادكم أيها المسلمون قد غدت نهباً للطامعين ، ولقمة سائفة للمستعمرين . ما من دولة فيها إلا حاولوا أن يسيطروا على منافذها ومواردها ، وأن يمسخوا في النفوس إيمانها وعقائدها ، وقد طال إلغنا لما ران علينا من ذل ، وتحكم فينا من ضعف ، مع أن الله تعالى يدعونا دائماً إلى مواصلة الجهاد ، ويحثنا على مناهضة الاعداء بقوله : « ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً » .

يجب أن يعود المسلمون إلى ربهم ، وإلى الإيمان الذي غاب عن قلوبهم ، وأن يشعر كل مسلم بأنه رقيب على نفسه ، يحاسبها إذا أخطأت ، ويقومها إذا اعوجت ، ويهديها إذا ضلّت .

وبهذا يتيسر لنا أن تنهض ، وينهض لنا أن نقوى وأن نأخذ وضعنا ونؤدى رسالتنا في الحياة ؟

عبد الحميد محمود المسالوت

المدرس في كلية اللغة العربية

شَاعِرُ نِعْمَةِ ثَانِيَةٍ مِنَ الْإِسْلَامِ

كان أمية بن أبي الصلت من الشعراء الجاهليين الذين تفكروا في هذا الكون ، وعرفوا بعقولهم أن مصيره للزوال ، وأنه لا بد له من خالق تجب عبادته ، كما يجب له وحده البقاء ، وأن ما يأتيه معاصروهم وإخوانهم في بلادهم من المفاسد كشرب الخمر ولعب الميسر ومقارفة الفواحش وغير ذلك نقص يبغي للرجل العاقل اجتنابه والابتعاد عنه ، حتى لا يخالف إرادة خالق هذا الكون . ومن هؤلاء الشعراء النابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى وغيرهما . وكان أمية عالماً بتاريخ الأمم السابقة وما حدث لها من انتقام من الله ، بسبب عصيانها له ، لأنه قرأ التوراة والإنجيل وكتب التاريخ ، وفي شعره كثير من الإلهيات ، ووصف لبعض الحوادث التي قص القرآن قصصها ، وكانت قد وردت في الكتب القديمة ، من ذلك قوله يذكر قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون وإرسال الله تعالى لها إليه :

وأنت الذي من فضل سيب ونعمة	بعثت إلى موسى رسولا متادبا
فقال أعني يابن أمى فإنتى ...	كثير به يارب صل لي جناحيا
وقلت لهارون اذهبا فتظاهرا	على المرة فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له هل أنت سويت هذه	بلا وتد حتى اطمانت كما هيا
وقولا له هل أنت رفعت هذه	بلا عمد أرفق إذن بك بانيا
وقولا له هل أنت سويت وسطها	منهرا إذا ما جئته الليل ساريا
وقولا له من أخرج الشمس بكرة	فأصبح مامست من الأرض ضاحيا
وقولا له من أنبت الحب في الثرى	فأصبح منه البقل بهتز رايا
فأصبح منه جبه في رؤوسه	ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

ومن ذلك قوله يصف عرض الناس على الله وعلى التاركا ورد في القرآن :

عند ذى العرش يعرضون عليه	يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم	إنه كان وعده مأثيا
يوم نأتيه مثل ما قال فرداً	لم يذر فيه راشداً وغويا

أسميد سعادة أنا أرجو أم مهان بما كسبت شقيا
رب كلا حتمه وارد النا ركتاباً حتمه مقضيا

ومن ذلك قوله في خلق الكون ، وفناء الخلق ، وعاقبة الناس مجرمين ومتقين :

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شدادا بلا عمد يربن ولا حبال
وسواها وزينها بنور من الشمس المضيئة والهلل
وشق الأرض فانبجست عيونا وأنهاراً من العذب الزلال
وبارك في نواحيها وزكى بها ما كان من حرث ومال
فكل معمّر لا بد يوما وذى دنيا يصير إلى زوال
ويفنى بعد جدته ويبيلى سوى الباقي المقدس ذى الللال
وسيق الحجر، ونومهم عراة إلى ذات المقامع والنكال
فنادوا ويلنا ويلنا طويلا وعجوا في سلالها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلمهم بمر النار صالى
وحل المتفنون بأرض صدق وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا من الأفراح فيها والكال

وكان يعلم أن نبياً سيخرج من العرب ، فأمل أن يكون هو ذلك النبي المبعوث من العرب ، فتذسك وحرّم على نفسه الملاهي والمحرمات التي كان يتمتع بها قومه ، وكان يذهب إلى الرهبان يسألهم عن موعد ظهور النبي الجديد ، وعن صفاته ليطبقها على نفسه ، فإذا أخبره أحدهم بأوصاف ينطبق بعضها عليه زاد أمله في النبوة ، وإذا أخبره أحدهم بأوصاف لا تنطبق عليه اكفر وجهه واغبر ، وربما سكّت مدة طويلة لا يتكلم ، وكان يسافر إلى بلاد الشام ليسأل الرهبان في الطريق إليها وفي حواضرها ، فكانت إجاباتهم تسبب له هما ناصبا وحزنا شديدا ، لأنها تقطع رجاءه في النبوة ، وتباعد بينه وبين أمله العذب وحله الجميل .

ولما بعث الرسول ﷺ ذهب أمية إليه ليراه وليعرف خبره ، فجلس بين يديه يسمع كلام الله المنزل على عبده الذي اصطفاه ، ومعجزته الخالدة التي طاولت الزمن ، وحار فيها العرب والعجم ، وتلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : يوم يجمعكم ليوم

اجتمع ذلك يوم التغابن ، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ، فهبت أمية وأخذته رعدة جعلته يضطرب اضطرابا عنيفا ، وأراد أن يؤمن ، ولكنه فتح فمه ومهمهم مهمة غريبة ثم أقفله ، وساور نفسه ، أهذا سحر ؟ ، لو كان سحرا لعرفه ، فقد رأى السحرة وغالطهم ، وما هذا بقولهم ، أهو سحر ؟ ، إنه الشاعر الذي نظم هذه المعاني في شعره إذ يقول :

ويوم موعدهم أن يحشروا زمراً يوم التغابن إذ لا ينفع الحذر
وأبرزوا بصعيد مستو جرز وأنزل العرش والميزان والزر
وحوسبوا بالذي لم يحصه أحد منهم وفي مثل ذلك اليوم معتبر
فنههم فرح راض يبعثه وآخرون عصوا ماوأم سقر

ولكن لم يكن لقوله مثل ما لهذا القول من سحر ، ولا لجرسه وقع بسبب الرعدة ، وما يشيع من الخنوع والاطمئنان في النفس ، وخرج أمية من عند النبي صلى الله عليه وسلم مذهولا لا يدري أين يذهب ولا ماذا يفعل ، ولقيه أحد الصحابة فسأله : هل لقيت محمداً ؟ فقال : أجل ، قال له : وهل أعجبك حديثه ؟ قال نعم ، وإن له لشأنا . قال : فهلا آمنت به ! قال : حتى أنظر . وانطلق ينشر الشائعات الكاذبة عن دين محمد الجديد وما فيه من إفساد لحياة الناس ، وتبديل لما تعلقوا به منذ نعومة أظفارهم ، فهو يدعو إلى المساواة بين الناس : فلا سيد ولا مسود ، وكل الناس عبيد الله ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . ثم كانت يدر الكبري ، وقتل فيها شيوخ قريش وساداتها ، وفيهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيعة ابنا خاله ، فرأىهما بقصيدته التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن روايتها ، وفيها يمدح القتل بأنهم أهل المحامد والكرم إلى غير ذلك من الصفات التي تقدمها الجاهلية ، ولم يطق البقاء بالجزيرة العربية ، فهرب هو وأولاده إلى اليمن ، ثم لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رجع إلى الطائف .

وعاش إلى أن شاخ وعقه أولاده ، ومات على الكفر ، بعد أن كان داعية إلى الإسلام ، ولما حضرته الوفاة دبت في نفسه الحسرة ، وأخذته اللوعة على اتقاء حياته الطويلة دباء دون أن يبلغ مأربه أو يقارب أميته .

وكان مما أنشده عند ذلك قوله :

كل شيء وإن تطاول دهرأ صائر أمره إلى أن يزولا
ليتى كنت قبل ما قد بدالى فى رؤوس الجبال أرمى الوعولا

هذا أمية بن أبى الصلت الشاعر الذى آمن لسانه ولم يؤمن قلبه ، كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى عرف الحق فقلبه أنانيته عن إظهاره ، وعقلت لسانه عن التلفظ به فهمهم بكلام غير مفهوم عند ما همت نفسه بالإيمان ، وأكل الحقد قلبه ، فشن الغارة على الإسلام ، لأن الله لم يختره نبياً للإسلام ، يريد أن تجرى الأمور على ما قدره هو وأراده لا على ما قدره الله وأراده ، فكان عاقبة أمره خسرأ .

نسأل الله أن يواعد بيننا وبين الحقد ، وأن ينزع من قلوبنا الغل ، وأن يخضعنا فى الانانية ويجعلنا إخوانا فى دينه ومحبه . إنه نعم المولى ونعم النصير .

طه الزينى

أستاذية فى النحو والصرف

الأستاذ محمد فريد وجدى

انتقل إلى سعة عفو الله ومغفرته العالم الجليل الأستاذ محمد فريد وجدى ، رئيس التحرير الأسبق لهذه المجلة ، عن نحو ثمانين عاما قضاهما من بداية نشأته فى العلم والبحوث العقلية والفلسفية والإسلامية ، فألف الكتب ، وأصدر جريدة الدستور اليومية ، ومجلة الحياة ، ثم قام بتحرير مجلة الأزهر وإدارتها من أواخر سنة ١٣٥٢ هـ إلى أواخر سنة ١٣٧١ هـ وله من المؤلفات دائرة معارف القرن الرابع عشر ، وتفسير صفوة العرفان ومقدمته ، وكتاب الإسلام فى عصر العلم ، وكتاب المرأة المسلمة فى الرد على كتاب المرأة الجسدية لقاسم أمين ، وكتاب الحديقة الفكرية فى إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية . ومن آخر مؤلفاته كتابه : الإسلام دين عام خالد . ومن الحقائق المملوسة فى سلسلة مؤلفاته وكتاباته الكثيرة أن آراءه فى الحقائق الكبرى دينية واجتماعية قطورت كثيراً مع الزمن ، ولا يتسع المجال هنا لدراسة هذا التطور ، فنكتفى بتعبيه لقراء مجلة أشرف على تحريرها أكثر من ثمانية عشر عاماً ، منوهين بما قدمه للعلم من بحوث ، وما ألفه من كتب ، طالين له من الله عز وجل الرحمة والمغفرة .

حول الفن القصصى فى القرآن

فى الكلمة التى نشرتها صفحة الجامعة فى الأهرام لمدرس بكلية الآداب حول ما سماه بحث الفن القصصى فى القرآن الكريم أخطاء. كان يفنى ألا يقع فيها جامعى مسلم .
فقد زعم أن صاحب الفن القصصى أستاذ جامعى ، فى حين أنه لم يصل فى الجامعة إلى درجة مدرس .

وزعم أن البحث نشر منذ أكثر من سنتين فلم ير الناس فيه كفراً ولا إلحاداً ، وهى دعوى على الناس تحتاج إلى دليل ، فقد يكون سكوت الناس عنه راجعاً إلى أنه لم يقرأه منهم إلا القليل من على شاكلة صاحب الكتاب ، أو من لم يجد سبيلاً إلى إظهار الناس على ما فيه .
وكانت هذه الأسطر لم يسمع بنشر البحث كتاباً إلا عن طريق الكلمة المنقودة ، ولم يطلع عليه إلا ليستوثق من خطأ صاحب الكلمة فيما ادعاه .

وقد عجب كاتب الكلمة من أن صدور الجامعيين ضاقت بما زعم فى الكتاب من تفكير على ، مع أن الذين أسقطوا ذلك البحث من الجامعيين كانوا من الأساتذة المعروفين بدقة النظر ، وسعة الصدر ، مثل أحمد الشايب ، وأحمد أمين .

وكل من تعود البحث العلمى ، وعرف ما القرآن ، واطلع على كتاب الفن القصصى ، لا يشك فى أنه بعيد كل البعد عن التفكير العلمى ، لما فيه من خبط وخطأ كثير . جرى فيه صاحبه خلف قساوسة المستشرقين مثل ردويل ومرجليوث ، حتى لقد بلغ الأمر به أنه لم يدرك ما هنالك من تناقض بين نسبة القرآن إلى الحق سبحانه والحكم على قصص القرآن الكريم أن أكثره غير صحيح .

وإذا كان حميد كلية الآداب بالنيابة لا يرى فى هذا الحكم كفراً ولا شبه كفر ، فاعلمه يرى على الأقل أن تفكيراً يؤدى إلى جواز الجبل والكذب على الله لا يمكن بوجه من الوجوه أن يمت بسبب إلى التفكير الصحيح . إنه تفكير لا يستقيم إلا على فرض أن القرآن من عند محمد لا من عند الله كما يقول قساوسة المستشرقين . وإذا كانت الجامعة فى عهد الإصلاح الجديد تحتاج إلى معونة مثل صاحب هذا التفكير ، فعلى الإصلاح العلمى والخلق فى الجامعة العفاء .

محمد أحمد النمرائى

الأستاذ السابق بجامعة القاهرة

(المجلة) كان اللائق بهذه الكلمة أن تنشر فى باب (التعليقات) لولا أنها وردت بعد انتهاء طبع ذلك الباب .

الكتاب



تاريخ العرب قبل الاسلام

للدكتور جواد علي

الجزء الثالث - ٤٦٤ ص - نشره المجمع العلمي العراقي

أهدى إلينا المجمع العلمي العراقي الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الإسلام للفاضل المحقق الدكتور جواد علي ، وهو كتاب نفيس حافل بما توصل إليه المستشرقون من بحوث عن ماضي الأمة العربية وبلادها ، وما أضاف إلى ذلك مؤلف الكتاب بما وقف عليه في المراجع العربية .

ويشتمل هذا الجزء الثالث على تاريخ مملكة النبط (المظنون أنهم من ذرية نابت ابن إسماعيل) وهذه المملكة قامت قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب وقد عاصروا بطالسة الاسكندرية وكانت بينهما وقائع وحروب . وكان رئيس تحرير هذه المجلة قد اقترح قبل نحو ثلاثين سنة في رسالته (اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب) أن يرسم اسم هذه الدولة العربية بالناء لأنه مشتق من اسم نابت بن إسماعيل ، وبذلك يتميز هؤلاء عن الأنباط المتوطنين في البطائح بين العراقيين ، ومتى دخل تاريخ العرب في دور التنقيح فإن هذا الموطن منه جدير بأن يتناوله النظر والتحقيق .

وبلى تاريخ مملكة النبط تاريخ مملكة تدمر ، وهي دولة عربية قامت قبل الميلاد في الشمال الشرقي من الديار الشامية وكانت واقعة على ملقى طرق التجارة بين سلطتي الرومان والفرس حافظت على حيادها أمداً طويلاً ثم دخلت تحت نفوذ الرومان وبلغت في الثروة والعمران مبلغاً عظيماً .

وبعد أن انتهى الدكتور جواد على من استيفاء النصوص التي وصل إليها المستشرقون والعرب عن هاتين المملكتين انتقل في الفصل الثالث إلى عرض ما أبقاه الدهر من نصوص وأخبار عن سبأ ذي ريدان وحضر موت واليمن . والقول عن هذه الحقبة من ماضي العرب ذو سعة ، وإن كان التاريخ في أشد الحاجة إلى بحوث أثرية في تلك الجهات لتحيص ماضيها وإرسال الأضواء إلى المواطن التي لا تزال مجهولة من هذا الماضي .

وفي الفصل الرابع عرض المؤلف للمملكة كندة .

وفي الفصل الخامس والسادس تكلم عن العرب واليونان والرومان ، فأشار إلى ما دونه سترابون وديودورس الصقلي وبلينيوس عن العرب وبما لکم وأوطانهم وقبائلهم ، وعرض لكتاب (الطواف حول البحر الأريتري) لمؤلف مجهول معاصر لبلينيوس وهو يتضمن وصف البحر الأحمر في القرن الأول للبلاد وثغور الحجاز واليمن وإفريقيا ثم تكلم عن علاقة خلفاء الاسكندر والبطالسة بالبلاد العربية وما دونوه في كتبهم عنها وما ترجمه العرب منها في أيام العباسيين . وفي هذا الفصل تحقيق مهم عن مدلولات أسماء الاعلام التي وردت في كتب اليونان والرومان على أنها أعلام عربية وما ذكره للمستشرقون وغيرهم في تحقيق مواضعها وأسمائها .

والفصل السابع وهو الأخير عن العرب الشماليين وما اكتشف من كتاباتهم وما عرف من أخبارهم .

والأجزاء الثلاثة التي صدرت للدكتور جواد على عن تاريخ العرب قبل الاسلام خاصة بالتاريخ السياسي ، وقد وعد بأن يصدر أجزاء أخرى في بقية التاريخ السياسي للعرب قبل الاسلام ثم في تاريخهم الديني والثقافي وتاريخ الفن العربي قبل الاسلام ، فشكراً له وللمجمع العلمي العراقي على هذه الخدمة العظيمة للعلم ، ولا تزال نرجو منهم المزيد .

معجم ألفاظ القرآن الكريم

الجزء الأول : إلى آخر الثاء - ١٨٥ ص - نشره مجمع اللغة العربية

هذا المعجم وضعت قواعد العمل لتأليفه في سنة ١٣٦٠ (١٩٤١) ، وألفت لجنة لوضع المنهج العمل لإنشائه في محرم ١٣٦٣ (يناير ١٩٤٤) . ثم قسمت مواد القرآن الكريم

على لجان فرعية كل لجنة مكونة من أحد أعضاء المجمع وأستاذ منتدب يساعده . والطريقة التي اتبعت في وضع المعجم هي أنه إذا كانت الكلمة القرآنية ترد في القرآن بمعنى واحد تشرح أولاً شرحاً لغوياً ، فإن كانت فعلاً ذكر بابها ومصدره ، وما ورد استعماله في القرآن من مشتقاته ، وإن كانت اسماً اكتفى بمعناه ، وإن كانت مصدراً ذكر معناه وفعله . وإذا كانت للكلمة القرآنية معانٍ لغوية مختلفة ينص على المعاني اللغوية كلها ويبين نوع الفعل والمصدر وتذكر المشتقات التي وردت من هذه المادة . ويؤخذ أولاً أكثر المعاني دوراً في القرآن . ثم تذكر المعاني الأخرى .

وقد كتب فضيلة مدير المجلة إلى المجمع اللغوي ينبهه إلى غلطة في نص القرآن وردت في آخر العمود الثاني من الصفحة الأولى من المعجم وهي قوله تعالى : حتى تؤمنوا بالله وحده ، فقد وردت في المعجم : حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

ولاحظ بعضهم أن الآيات القرآنية كلها غير مضبوطة بالشكل ، مع أن المعجم مطبوع بالمطبعة الأميرية ، وفيها الاستعداد التام لمثل هذا الأمر الضروري في مثل هذا المعجم . بل كان ينبغي شكل المشكلة من كل كلمة ولا سيما عين الفعل .

ولعل إبطاء المجمع عشر سنوات في إصدار الجزء الأول من هذا المعجم لا يسرى على الأجزاء التالية ، فلا يمتضى زمن يسير حتى يكون المعجم كاملاً في أيدي الناس إن شاء الله .

مسبل الاسلام

للأستاذ أحمد مظهر العظمة — ٨٥ ص — نشرته جمعية التمدن الإسلامي بدمشق هي ثمانى كلمات في معانٍ إسلامية أذاعها الأستاذ أحمد مظهر العظمة من دار الإذاعة السورية في دمشق وجمعها في هذا الكتاب . والكلمات المذاعة هي : صدق عقائدنا ، سمو عبادتنا ، ثقافتنا الراشدة ، مكارم أخلاقنا ، استقامة معاملتنا ، تربيتنا الإنسانية ، شمول نظمنا ، كيف يعود مجدنا .

والمؤلف من أفاضل المفكرين المسلمين الذين جمعوا بين ثقافة الغرب ومعرفة سنن الإسلام ، وقد سبق لنا التعريف بكتاب آخر له كهذا الكتاب عنوانه (مذاعات في الإسلام) ، فارجو الله أن ينفع بهما قراءهما كما نفع المستمعين إلى المؤلف عند إذاعتها .

حول حقوق المرأة السياسية

للأستاذين : حسن وهدان . وأحمد فهمي أبو سنة - ٩٦ ص - نشرته جبهة علماء الأزهر . أحسنت جبهة علماء الأزهر بنشرها هذا الكتيب النافع ، وهو يتطوى على محاضرة كان فضيلة الأستاذ الشيخ حسن وهدان ألقاها بالمركز العام لهيئة التحرير وأفاض فيها القول عن إنصاف الإسلام للمرأة ، وأنه ليس من مصلحة المرأة والمجتمع ، ولا من اتجاه التشريع الإسلامى لإقحامها فى ميادين الحكم وادعاء أن لها حقوقاً سياسية . وناقش المحاضر معارضيه بالبراهين ، ومنها اعتراف بعضهم بالحقائق فى مناسبات سابقة .

أما بحث فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد فهمي أبو سنة فقد ألقاه فى دار الشبان المسلمين ، وتكلم فيه عن التكليف الفقهي فى مسائل الخلاف حول الحقوق السياسية المزعومة للمرأة والشبه المعارضة للشئتين . ثم أفاض القول على ذلك من الناحية الاجتماعية . وختم بحث بدعوة الباحثين إلى أن لا يترضوا للكلام فى الفقه إلا إذا كانوا من أهله ، ليكون قولهم فيه عن علم وحيثئذ يكون مقبولا ومفيدا .

عبد الباقي العمري

للأستاذ محمود الملاح - ٣٢ ص - دار منشورات البصرى بالبصرة

أهدت إلينا دار منشورات البصرى بالبصرة هذه الرسالة اللطيفة ، وهى سياحة فكرية فى ديوان شاعر العراق عبد الباقي العمري (١٢٠٤ - ١٢٧٨) قام بها الكاتب الألمى المجاهد الأستاذ محمود الملاح فبعث بها الحيوية فى المجتمع العراقى فى القرن الثالث عشر بما تناوله من نقد وتنوير لشعر هذا الشاعر ، وما فيه من حسنات أو نواحي ضعف انعكست عليه من مظاهر ضعف المجتمع فى ذلك الحين والتوجيه الذى كانت تقوم به الدولة العثمانية للشعوب التى كانت تحت أمانتها .

ولو أن كل شاعر انعكست أحوال عصره فى مرآة شعره قيض الله له ناقد ، يستعرض شعره ويقوم باستجلاء حسناته ونواحي ضعفه ، كما فعل الأستاذ محمود الملاح فى شعر شاعر العراق فى القرن الماضى السيد عبد الباقي العمري ، لكان ذلك من أعظم مظاهر الخدمة للأدب والتاريخ .

النيل في ضوء القرآن

للأستاذ الشرباصى — ١٢٥ ص — مطابع دار الكتاب العربى

فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى من أفاضل علماء الأزهر ، وله حركة نشاط فى كل باب من أبواب الحيوية الإسلامية فى مصر ، وقد امتاز ببحوثه الممتعة فى هذه المجلة وغيرها من المجلات العربية والإسلامية ، وبمؤلفاته وخطبه المتواصلة . وكتابه الجديد (النيل فى ضوء القرآن) تكلم فيه أولاً عن النيل فى اللغة وفى التاريخ وفى الشعر العصرى ، ثم عن النيل فى الحديث النبوى ، وفى القرآن الحكيم ، وأن من تمام ملك مصر أن يشمل النيل الممتد الموحد ، ونقل عن الفلقشندى أن مصر سميت مصر لالتقاء الشرق فيها بالغرب ، لأن المصر فى أصل اللغة الحد بين الأرضين ، وما زال المؤلف يستعرض مافى القرآن عن النيل وعن مصر ويمسح عرضه بفهم ثاقب حتى وصل إلى نتائج البحث مما يجب على المصرى لمصر وأن أساس الوحدة الإسلام . وأنت ترى أن الكتاب طريف فى بحوثه كسائر ما يكتبه الأستاذ الشرباصى ، فشكراً له .

Mohammad the Prophet of Islam

للأستاذ عبد السمیع المصرى — ١٣٠ ص مكتبة النهضة بالقاهرة

يشعر المتصلون بالغربيين من شباب مصر والعالم الإسلامى بالحاجة إلى رسائل باللغات الغربية فى التعريف بالإسلام وحامل رسالته ﷺ . ومن حاول سد هذا الفراغ الأستاذ عبد السمیع المصرى نائب وكيل بنك مصر فى أسبوط فألف هذه الرسالة اللطيفة باللغة الانجليزية لخص فيها سيرة خاتم النبيين ﷺ من ولادته إلى أن اختاره الله عز وجل للرفيق الأعلى .

وقد راعى المؤلف فى وضع كتابه أن يكون بلغة سهلة وأسلوب مبسط تعريفياً للناطقين بالإنجليزية عامتهم وخاصتهم بحقيقة السيرة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فشكراً له وجزاه الله خيراً .

الموسيقى العربية في عهد المغول والتركمان

للأستاذ عباس العزاوى — ١٢٩ ص — شركة الطباعة المحدودة ببغداد

نوهنا في أجزاء سابقة بمؤلفات قيمة للتورخ المحقق الأستاذ عباس العزاوى المحامى ، وأما الآن كتاب آخر له عن تاريخ الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان (من سنة ٦٥٦ إلى سنة ٩٤١ هـ) ويبان ما حدث فيها من تطور في العراق . وقد أثر المؤلف هذه الحقبة لأن تاريخ الموسيقى العربية فيها غامض ، أما ما قبل ذلك حتى أواخر الدولة العباسية فالعلماء أشبهوا هذا الفن تمحيصا ووضعوا له قواعد ثابتة من ناحية الصنعة . ثم جاء المغول بموسيقى خاصة بهم ، ولهم آلات تختلف بأسمائها ، ولا تعرف كتب خاصة بها ، فأراد الأستاذ السيد عباس العزاوى أن يسد هذا النقص فألف هذا الكتاب ، وذكر فيه نواحي الموسيقى العراقيين في عهد المغول وفي طليعتهم صفى الدين الأرموى (المتوفى سنة ٦٩٣) ، ولحاظ المغنية المعاصرة له ، وزين الدين الموصلى ، والشهربانى ، وشرف الدين السهروردى والتوربى ، والسلطان أبو سعيد وغيرهم . ثم ذكر الموسيقى المغولية وما تتفق به أو تفرق عن الموسيقى العربية وما تأثرت به منها موسيقى العراق وما أثرت به عليها .

وانتقل إلى الموسيقى العربية في أيام التركمان فذكر رجالها ومؤلفاتهم وتكلم عن الموسيقى في أيام الصفويين (لأنهم يعدون من التركمان) فذكر رجالها ومؤلفاتهم . ثم عقد فصلا لأثر الموسيقى في الآقطار ، وآخر لآلات الموسيقى ، وفصلا لمصطلحات الموسيقى في العهدين . وبعد أن استوفى بحوثه في ٧٢ صفحة ألحق بها (كتاب الملاحى وأسمائها من قبل الموسيقى) للفضل بن سلة النحوى المتوفى سنة ٢٩٠ هـ نقلا عن مخطوطة مكتبة سراى طوبقبو فى القسطنطينية وهى بخط ياقوت المستعصى .

وأتمها بفبذة فى اللبو والملاحى لابن خرداذبة منقولة عن مروج الذهب للسعودى . تلهما (أرجوزة الأنعام) لبدر الدين محمد بن على الخطيب الإربلى وقد نظمها سنة ٧٢٩ هـ وختم الكتاب بسبعة فهارس : أولها للدواضيع ، ثم للكتب ، فالأمكنة والبقاع ، فالأشخاص ، فالشعوب والقبائل والبيوت والنحل ، فالمصطلحات ، فالألفاظ . فجاء الكتاب بذلك على أتم ما يرجى له من استيفاء البحث وبذل العناية والتحقيق والتجويد ، كدأب الأستاذ العزاوى فى مؤلفاته الكثيرة النفيسة .

الأدب والعمل في شهر

لجنة مراجعة آثار السلف

قررت جماعة كبار العلماء في جلستها المنعقدة في يوم الخميس ٣٠ من جمادى الأولى (٤ من فبراير) تأليف لجنة لنشر وتصحيح ومراجعة آثار السلف في الحديث والفقه والتاريخ الإسلامي والأدب العربي وسائر مواد الدراسة في الأزهر . وللد على ما ينشر في الداخل والخارج من المفترقات والأخطاء الماسة بالعقيدة الإسلامية أو المنافية لتاريخ الإسلام .

وهذه اللجنة برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف وعضوية أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون ، والشيخ الحسيني سلطان والشيخ محمد عبد الله دراز والشيخ محمد عبد اللطيف السبكي ، والشيخ محمد عرفة . وقد عين صباح يوم الأحد ١٤ من فبراير لاجتماعها في إدارة المشيخة بالرواق العباسي لتوزيع العمل على الأعضاء وتحديد موعد وأيام الاجتماع لمباشرة كل فريق عمله .

لجنة الفتوى بالأزهر

قررت جماعة كبار العلماء في جلستها المنعقدة

في ٣٠ من جمادى الأولى (٤ من فبراير) أن يكون تأليف لجنة الفتوى في الأزهر من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ حسين محمد مخلوف رئيساً (حنفى) والشيخ محمود شلتوت (حنفى) والشيخ عيسى منون (شافعى) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكي (حنبلى) والشيخ محمد الطنيزي (مالكي) . على أن تباشر تنظيم عملها وتحديد موعد وأيام اجتماعها في صباح يوم الاثنين ١٥ فبراير .

مدرجيو الأزهر

والترقية للدارس الثانوية

أصدر وزير المعارف قراراً تخريجي كلبتي الشريعة وأصول الدين الحاصلين على الشهادة العالية أو العالية وإجازة التدريس ولم يحصلوا على دبلوم معهد الدراسات العليا ويستحقون الترقية من المدارس الإعدادية إلى المدارس الثانوية أن يعاملوا كما لو كانوا قد رقبوا فعلاً إلى المدارس الثانوية ، وإذا ما حصلوا على دبلوم معهد الدراسات العليا في مدى ثلاث سنوات من تاريخ وجودهم في جهة يستطيعون

الطيران من شراء عدد من طائرات التعليم ، مع تقديم جميع المساعدات والتسهيلات اللازمة لها للحصول على الأدوات ووسائل التعليم النظرى .

فيها الالتحاق بهذا المعهد بمنحون أقدمية اعتبارية كمدربين بالتعليم الثانوى من تاريخ تطبيق هذا القرار عليهم .

غاية الأزهر بالسودان

للأزهر في معهد أم درمان ٦ مدرسين ، و ٥ معهد حلفا ، و ٣ معهد جوبا ، و ٣ معهد الممسكال ، ومدرس بمعهد شجرة غردون . ويدور البحث حول إنشاء معهد الخرطوم الذى رصد لإنشائه عشرة آلاف جنيه لتكون نواة لتأسيسه .

ورصد أربعة آلاف جنيه لإعداد مبنى شارع البرموى ليكون مقراً لدراسة طلاب البعث السودانية .

تشجيع تعليم الطيران

وافق مجلس الوزراء على مذكرة لمصلحة الطيران المدنى للمصرى بشأن تشجيع الطيران وذلك بأن تتحمل مصالحة الطيران نصف الاجور لساعات التعليم لكل من يعمل على إجازة طيران خاصة أو تجارية ، وأن يكفل قانون تنظيم التطوع فى الطيران الحربى رفع بقية الاجور لمن تقبله وزارة الحربية من الطيارين .

شراء طائرات تعليم

وافق مجلس الوزراء على تمكين معاهد

الصور المنافية للأدب

عندما حضر السيد الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب إلى دار الرئاسة ذات مساء بأدر مندوبى الصحف بقوله : « انه فى الوقت الذى تعمل فيه الحكومة على حماية الفضيلة ومقاومة الرذيلة - لأن الامم بالاخلاق - لا تزال الصحف تنشر صوراً تتنافى كل التنافاة مع الآداب والاخلاق » . ورجا العدول عن نشر مثل هذه الصور بالطريقة الحسنى بدلا من اتخاذ إجراءات قانونية .

الإساءة إلى الإسلام فى كتاب مدرسى

احتج المسلمون فى سنغافورة على فقرات فى كتاب للمطالعة باللغة الانجليزية أسىء بها إلى الإسلام بعبارات مفرضة شوه بها المؤلف بعض نواح من السيرة النبوية .

وكان المسلمون قد احتجوا قبل ذلك على صورة للنبي ﷺ وردت فى هذا الكتاب نفسه ورأوا أنه من غير اللائق وجودها فيه .

مستشفى تعليمي جامعي في أسيوط

لمناسبة لإنشاء كلية طب بجامعة أسيوط ، اتجهت النية إلى إقامة مستشفى تعليمي جامعي هناك ، يكون على غرار المستشفيات الجامعية المختلفة .

مكتبات المدارس

ثروة تربوية معطلة

روت الجمهورية أن النية في وزارة المعارف متجهة إلى إخراج المكتبات المدرسية من دائرة اختصاص المخازن كي تؤدي رسالتها كرفق أساسى للنشاط التربوى بالمدارس .

وقد لوحظ أخيراً أن نظام المكتبات الحالى يجعل الكتب فيها مادة غير مستهلكة بحيث يحاسب أمين المكتبة على كل كتاب فيها عند فقد أو تلفه ، الأمر الذى يجعل هذه المكتبات ثروة تربوية معطلة لا يستفيد منها التلاميذ .

آثار مأرب وسبأ

ستوفد الحكومات العربية بعثة من خبراء الآثار العربية إلى اليمن للتقيب فيها عن آثار مأرب وسبأ ودول اليمن القديمة .

قضاء المرأة

نقلت جريدة (الاخبار) عن خطاب

للقاضى الأمريكى ريتشارد أوستن الفاه فى اجتماع القضاة بمدينة شيكاغو ، أنه هاجم قضاء المرأة ، وقال إنها تحكم (عواطفها) ولا تحكم (عقلها) . وروى أنه لما كان قاضياً عرضت عليه قضية ضبط فيها البوليس اثنين من الاشقياء ، متلبسين بخطف تاجرين . وبعد سماع الادعاء والدفاع طلب القاضى من المحلفات - وقد اتفق أنهن كن فى تلك القضية كلهن من النساء - أن يدورن القضية ثم يعلن رأيهن فيها . وبعد ١٥ دقيقة أعلن فى الجلسة أنهن بجمعات على برائة الشقيين اللذين كانا متلبسين بجريمة الخطف ، ودهش القاضى عند ما سأل المحلفات عن مبرر واحد يؤدى إلى هذه البرائة فعجزن عن الرد .

العربية لغة دولية للسياحة

تلقت وزارة الخارجية المصرية من الأكاديمية الدولية للسياحة أنه تقرر إضافة اللغة العربية إلى اللغات المعترف بها فى القانون الدولى للسياحة . وقد أبلغت وزارة الخارجية هذا القرار إلى مصلحة السياحة لتتخذ ما ينبغى من إجراءات لترجمة المصطلحات المقررة فى السياحة إلى اللغة العربية ليتيسر التعامل بها .

إنشاء العمل الإنساني

وقد اختار القائد العام للقوات المسلحة بعثة من ستة ضباط : ثلاثة منهم من الجيش وثلاثة من سلاح الطيران ، لمرافقة هذه الوحدات البحرية في رحلتها .

وعند مرورها بيور سودان حضر لاستقبالها السيد خلف الله خالد وزير الدفاع السوداني .

عمره بنور العرب

عادت من الحجاز البعثة الجامعية المصرية التي يرأسها الدكتور أحمد زكي مدير الجامعة ، وقد روى الدكتور أحمد زكي كلمة حكيمة سمعها من أحد الأمراء السعوديين وهي قوله : « إن الزيت جاء من عند الله وجاءت معه الثروة ، ولكنها نعمة لا ندري كم تدوم ، والرزق الدائم لا يلبث إلا من الأرض زروعا أو خامات ، فعلينا عمار الأرض وعمارها سريعا وحيثما وجدنا لتعميرها سبيلا . »

المملكة السعودية والأردن

أذيع بيان رسمي بأن ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية اتفقا

كسوة الكعبة الشريفة

في العهد الجديد

طلبت وزارة الاوقاف بواسطة وزارة الخارجية موافقة الحكومة السعودية على صيغة ما سيكتب على كسوة الكعبة في العهد الجديد وهذا نصها : « تم صنع هذه الكسوة في عهد جمهورية مصر برياسة اللواء أركان الحرب محمد نجيب وأهديت إلى الكعبة الشريفة في عهد خادم الحرمين الشريفين سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية . »

الأسطول المصري

في زيارة باكستان والهند

تقوم قطع من السفن الحربية المصرية معقودة اللواء للقائمقام محمد عبد الفتاح إبراهيم برحلة إلى مياه باكستان والهند للمرة الأولى في تاريخ البحرية المصرية . وهي مؤلفة من المدمرات طارق ودمياط ورشيد . وقد قصد بهذه الرحلة توثيق الروابط بين البحرية المصرية والبحرية الهندية والباكستانية ، علاوة على تدريب الطلبة الممتازين الذين يتدربون على الباخرة دمياط .

تحت إشراف مصر ٢٠٤ آلاف، وفى شرق فلسطين وشرق الأردن ٧٠ ألفاً وهم تحت إشراف حكومة شرق الأردن، وفى لبنان ولا سيما جنوبية المناخم لشمال فلسطين الغربى ١٠٤ آلاف، وفى سوريا ولا سيما فى جنوبها المناخم لشمال فلسطين الشرق ٨٤ ألفاً، وفى العراق ٥ آلاف، وهناك ١٩ ألفاً مشردون فى المناطق المحتلة بالاستعمار اليهودى الاجنبى . ولعل الحكومات العربية الاخرى التى لجأت إليها طوائف من عرب فلسطين تقوم لهم بمثل ما قامت لهم مصر بقطار الرحمة وبما تنويه لهم من خير .

الانجليز والمحميات :

يقول السيد على المؤيد وزير اليمن المفوض فى مصر إن الانجليز يحاولون تكوين حكومة جديدة من « المحميات » لتكون لهم السيطرة عليها وتسييرها بأهوائهم . وإنها إلى الآن لم تتمكن من موافقة أكثر رؤساء المحميات على التعاون معها . ولذلك فإن تأليف الحكومة الجديدة قد توقف أو تأخر . قال : وإن الانجليز يعلمون أن منطقة شبر النينة فيها آبار بترول يمكن اكتشافها بجد قليل فارادوا ضمها إليهم للاستفادة من بترولها ومن وضعها الاستراتيجى .

الحزب الاسلامى بأندونيسيا

كتب إلى (أخبار اليوم) من مدينة

فرصة اجتماعهما فى (بدنة) يوم ٢٠ جمادى الاولى ١٣٧٣ فمقدا جلسة خاصة استعرضا فيها مصالح البلدين ، كما بحثا عامة القضايا العربية ، وتبادلا وجهات النظر فيها ، مما أظهر اتفاق الرأى بينهما وحسن التفاهم ، حسب الخطط المتفق عليها ضمن الجامعة العربية وتبادلا عبارات الود والتأييد على المضى فى العمل لتوثيق الصلات بين البلدين خاصة وتحقيق الامانى العربية العامة ، بالتضامن مع الدول العربية فى كل ما فيه الخير والفلاح للأمة العربية .

تبرع للحرس الوطنى الاردنى

لمناسبة اجتماع الملك سعود الاول ملك المملكة العربية السعودية بالملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية فى (هرهر) على الحدود بين المملكتين تبرع الملك سعود بخمسين ألف دينار من جيبه الخاص لمساعدة الحرس الوطنى الاردنى .

باكستان وفلسطين

تبرعت حكومة باكستان بنحو أربعة آلاف جنيه استرلى للاستعانة بها فى إعادة بناء قرية (قبية) التى اعتدى عليها اليهود بوحشية فى شهر اكتوبر الماضى .

لاجئو فلسطين :

اللاجئون من عرب فلسطين يبلغ عددهم حوالى ٨٨٠ ألفاً ، يوجد منهم فى قطاع غزة

الاسلام في ملايو وسيام

تلقت (الجمهورية) رسالة من سنغافورة فيها بيانات محزنة عن تعصب الاستعمار على الاسلام والمسلمين في الملايو وسيام. ويقول السيد هارون الحبشى عضو مجلس سنغافورة البلدى : « لا مثيل لجرمة أمريكا في توطين اليهود في فلسطين إلا جرمة انجلترا في توطين الصينيين في الملايو ». وجاء في تلك الرسالة أن نسبة ما ينفق على العبادة البوذية إلى ما يصرف للعبادة الإسلامية في سيام ٩٩ إلى واحد، بالرغم من أن نسبة المسلمين لعدد السكان في سيام هو ١ : ١٨. وفي بورما يعادل المسلمون ١٠٪ والبوذيون ٧٥٪. ونصيب المسلمين من عناية الحكومة دون تعدادهم بكثير مع أنهم على قلتهم لهم نشاط ديني كبير، ومساجدهم في رانجون وحدها ٣٦٥ مسجداً، ولم ٥٠٠ مدرسة ابتدائية إسلامية ومدرسة ثانوية ومدرسة للبنات، وينفق على ذلك من أوقافهم الأهلية وحدها.

تفسير مصر

وافق مجلس الوزراء على تخصيص عشرين ألف جنيه هذا العام للبدء في تنفيذ مشروع إنشاء المشاتل لمشروع التشجير، على أن يخضع هذا المبلغ من الاعتماد المدرج بميزانية المجلس الدائم وقدره ٢٢٠.٠٠٠ جنيه لتنمية الانتاج القومى لمشروع التوسع في زراعة الفاكهة والأشجار الخشبية.

جاكرتا في أندونيسيا أن الوزارة الأندونيسية الحاضرة يقل مستوى الكفاية بين أعضائها عن المتوسط. وأن كثيرين من أعضائها يخضعون كثيراً للنفوذ الشيوعى، ويعتبرون آلات تحركها أيدي الحزب الشيوعى الأندونوسى والذى يقف موقف المعارضة في أندونيسيا هو (الحزب الإسلامى) وهو أكبر الأحزاب الأندونيسية وأقواها وأرسخها تقليداً. وتزداد محبة الجماهير له باستمرار. ويؤيده في سياسته الاشتراكيون المعتدلون والحزب الليبرالى والأحزاب المسيحية والكاثوليكية.

وقد رفض الحزب الإسلامى الاشتراك في الوزارة لأنه كان يعلم سلفاً أنها ستكون واقعة تحت تأثير الحزب الشيوعى.

وهناك حركتان إسلاميتان إحداهما في غرب جاوة والأخرى في جزائر سيليبس. فالتى في غرب جاوة هى جماعة دارول الإسلامية ويرأسها كرتو سواريجو، وهى تفسر نظم الحكم الحالية في أندونيسيا بأنها تبعد عن الفكرة الإسلامية الصحيحة، وأنها تهبط بالإيمان إلى الدرجة المسكلة ولا تعتبره بالدرجة الأساسية. وقد تشكلت هذه الجماعة في جاوة عام ١٩٥٠. أما جماعة جزائر سيليبس فيرأسها السيد عبد القهار مذكر من خريجي دار العلوم بالقاهرة وقد تأسست سنة ١٩٥١ ويبلغ عدد أعضائها عدة آلاف من الميليشيا.

مياه جوفية بوادى النطرون

اكتشف فى وادى النطرون بحرى جوفى للبياء التى تقرب من النيل فى باطن الأرض وتساب بين طبقات الصحارى مارة تحت أرض الوادى على عمق لا يزيد على متر واحد من تحت أقدام السكان الذين كانوا يشكون الفاقة والتعطل وكانوا على وشك أن يرحلوا عن أرضهم . وقد تمكن المشرفون على تعمير هذا الوادى من أن يشقوا سطح الأرض لمسافة طويلة تبلغ عدة كيلو مترات ليكشفوا هذا المجرى العميق للبياء التى ستكفى لرى عشرات الألوف من الأفدنة بواسطة آلات المطر الصناعى . وبالفعل بدأ سكان وادى النطرون فى زراعة أرضهم بشجر الزيتون والمواخ والجوافه والأشجار الخشبية ، فضلا عن محاصيل الفول السودانى والشعير والبرسيم . ويجرى البحث الآن فى إنشاء مصنع للورق هناك من نبات البردى . وبعد أن زالت مشكلة المبال المعاطلين التى كانت تغلق الأفكار فى وادى النطرون نشأت مشكلة الحاجة إلى الأيدي العاملة هناك .

الأمراض المتوطنة فى مصر

وخسائر الإنتاج

ورد فى تقرير حافل رفعه وزير الصحة فى هذا الشهر إلى مجلس قيادة الثورة ومجلس

الوزراء والإنتاج أن ٢١ مليوناً من المصريين مصابون بالبلهارسيا ، وأن البلاد تخسر سنوياً ٨٠ مليون جنيه بسبب ضعف إنتاجهم .

وان وزارة الصحة تبذل جهوداً شاقة لمقاومة ذلك حتى انخفضت نسبة الإصابات بالبلهارسيا من ٦٥ ٪ عام ١٩٣٢ إلى ٤٦ ٪ عام ١٩٥٢ ، كما انخفضت نسبة الانكستوما فى هذه المدة من ٤٢ ٪ إلى ١٤ ٪ .

وكان الدكتور على توفيق شوشه قد أصدر منذ عهد قريب بياناً نوه فيه بأن الفقر يقشأ عنه المرض ، والمرضى يؤدى إلى الفقر ، وكلاهما يعوقان الناس عن العمل المتقن ، ويصيان الدولة بالفقر بما يكبدانها من نفقات باهظة وما يسلبانها من إنتاج .

ويضرب المثل لذلك بمرض البلهارسيا فى مصر فإنه يتحيف ٣٣ فى المائة من قدرتها الإنتاجية . وهذا المرض وحده مسئول — على الأرجح — عن الخسارة التى أعلنها وزير الصحة الآن وقدرها ٨٠ مليون جنيه مصرى تذهب سنوياً كل عام فيما تكبده البلاد من مصروفات مباشرة ، وفيما تخسره من إنتاج زراعى .

ويقول الدكتور على توفيق شوشه : والملاييا مرض آخر ينكب الزراعة ويعوق إنتاجها ، ولا مفر من مكافحته والسيطرة

أكثر من نصف العجز السنوى ، والمنتظر أن تكون سنة ١٩٥٤ خيراً من التى قبلها فيتلاشى العجز كله إن شاء الله .

محكمة عدل عربية

وافقت الحكومات العربية على مشروع إنشاء محكمة عدل عربية يكون مقرها القاهرة وتؤلف من سبعة قضاة عرب تجدد عضويتهم كل ثلاث سنوات .

وتختص هذه المحكمة بفض المنازعات التى تنشأ بين دولة عربية وأخرى .

معهد الدراسات العربية

فى نوفمبر عام ١٩٥٣ افتتحت جامعة الدول العربية معهداً فى القاهرة لتدريس المواد والحقائق العلمية التى يتخرج بها شباب مؤمن بالفكرة العربية . والتحق به هذا العام ١٤٤ طالباً من جميع الأوطان العربية . وهو مقسم إلى شعبة للأدب وأخرى للقانون وثالثة للاقتصاد والاجتماع وشعبة للتاريخ والجغرافيا . ويحاضر فيه الآن خمسون أستاذاً وبلغت ميزانية المعهد ٢٢ ألف جنيه ، ومدة الدراسة فيه عامان يمنح الطالب بعدها درجة الماجستير فى الدراسات العربية العالية بعد تقديم رسالة مبتكرة .

عليه إذا صح العزم على استثمار المساحات الشاسعة من الاراضى الصالحة للزراعة . ولا يعلم إلا الله مقدار الخسارة من السل فى هذا الإقليم .

وربما كانت وفيات الاطفال أفدح خسائرننا ، والعمى يستنزف اقتصادياتنا ، وقد دلت الابحاث على أن ٨٠ فى المائة من حالات العمى تنشأ عن عدوى يمكن تفاديها أو شفاؤها إذا ككولحت فى المراحل المبكرة للرض .

والواقع أن (الوقاية) هى مفتاح المستقبل وهى أيضاً مسألة اقتصادية ، فقد قدرت نفقات برنامج الطب الوقائى المحض فى البلاد المتقدمة فى المدنية بما يوازى ١/٣ فى المائة من دخلها القومى ، بينما قدرت نفقات الطب العلاجى بعشرة أمثال هذا المقدار .

الميزان التجارى فى مصر

بلغت جملة الواردات إلى مصر فى العام الماضى ١٧٤ مليوناً و ٦٩٦٦٣٨ ج ، وجملة الصادرات ١٣٥ مليوناً و ٨٦٣١٢٢ ج والبضائع المعاد تصديرها مليوناً و ٤٨٢١٠٩ ج وبذلك يكون العجز فى الميزان التجارى فى العام الماضى ٣٧ مليوناً و ٣٥١٩٤٠٧ ج بينما كان فى سنة ١٩٥٢ قد بلغ ٧١ مليوناً و ٨٦٥٧١١ ج وهو تحسن استهلك فيه

إلى حضرات القراء

السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد :—

فيسر مجلة الأزهر إذ توجه إلى حضراتكم أطيب تحياتها أن تستقبل معكم فترة طويلة مباركة من حياتها العلمية في عهد ميمون الطلعة إن شاء الله باختيار الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن ناج شيخاً للجامع الأزهر .

وإن المجلة لتصارحكم بما تشعرونه بأنه يحتاج حضراتكم من رغبة في مضاعفة نشاطها والاختذ في التحسين والدأب على محاولة السكال .

وهي إذ تحرص على مسابقة هذه الرغبات المشكورة لكم ، لتأمل في توفيق الله تعالى أن يتبع لها من توجيه الشيخ الأكبر ومن مؤازرتكم لها أسباب الظفر بما نصبو ونصبون إليه ، حتى نكون عند رغبتكم ، وتظفر بيزيد ارتياحكم إليها ورضاكم عنها ، وعند ذلك نطمئن كثيراً إلى أنها أدت واجبها نحو الأزهر في نشر ثقافته الإسلامية ، وفي توثيق الصلة العلمية بينه وبين قرائها الأفاضل في مختلف الأقطار الشرقية .

هذا وتود المجلة إلى حضرات الكتاب ، وهم عماد المجلة في نهضتها ، أن يشكروا بمراعاة ما يأتي :

١ — إرسال المقالات إلى المجلة في النصف الأول من كل شهر عربي ، ليكون لدى القارئ على الطبع وقت متسع لإظهار العدد في غرة الشهر التالي ، وهو الموعد المحدد ، فضلاً عما في تخلف المقالات أحياناً من فوات لفرصة النشر .

٢ — عدم الإطالة في الكتابة حتى يتسع العدد لأكثر ما يرد إليها .

وحتى لا نعرض القارئ للسآمة من النطويل ، مع بيان عنوان الكاتب بالكامل .

٣ — ترحب المجلة بما يرد إليها من توجهات القراء نحو الإصلاح وبلوغ

المجلة مبلغها المنشود .

ونسأل الله أن يكون عوناً لنا ، وهو ولي التوفيق .

(المجلة)

فهرس

الجزء السادس — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
٦٤١	الجيل للثالثي	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٦٥١	نقعات القرآن : طالوت وجالوت	» عبد الطيف السبيكي عضو جماعة كبار العلماء
٦٥٥	السنة : الاصلاح بين الاكابر	» حله محمد الساكت المفتش بالأزهر
٦٦٠	ابن سيرين	» محمود النواوى المفتش بالأزهر
٦٦٩	الذخيل وكعب التفسير — ٣	» محمد محمد أبو شهبه
٦٧٥	الروح التقدمية في الاسلام	» محمد فتحي محمد عثمان
٦٨١	للمؤمنون حقا	» علي الماري
٦٨٥	تفسير بيت من شعر جاهلي	» محمد بدوي الختوني
٦٨٦	حواريون (شعر)	» صابر علي رمضان الجوشقى
٦٨٨	الحصار الاقتصادي لقرش	الصاغ أركان الحرب محمد جمال الدين محفوظ
٦٩٩	أحاديث الاستاذ الاكبر
٦٩٦	اختلاف الدارين في الاسلام والقانون للعصري	الاستاذ أحمد طه السنوسي
٧٠٣	ميناء العقبة	» إحسان النمر
٧٠٨	النار في نظر الاسلام	» أحمد الشراصي
٧١٢	الفتاوى	لجنة الفتوى
٧١٦	نفويات	» محمد علي النجار
٧٢٠	مشروع تقييد تعدد الزوجات	» محمد أحمد النمراوى
٧٢٥	قلنا وقالوا	» أبو الوفا المرافى
٧٢٨	النبوة على الأزهر	المجلة
٧٢٩	التشكيك في إيمان أبي بكر وعمر { تعليقات	» محمد كامل الفتى
٧٣٢	نحو مجد الأزهر	» حق الدين اسماعيل
٧٣٥	التكرار في الكلام	» محمد خليفة
٧٣٩	صانع القواد	» عبد الحميد محمود المسلوت
٧٤٤	كيف ينض للمسلمون	» حله الزيني
٧٤٨	شاهر منته أنانيته من الاسلام	» محمد أحمد النمراوى
٧٥٤	حول الفن القصصى في القرآن	قلم التحرير
٧٥٣	الكتب	» »
٧٥٩	الادب والعلوم في شهر	» »
٧٦٢	أنباء العالم الاسلامي	» »
٧٦٧	إلى حضرات القراء	» المجلة »

زيارة الرئيس للأستاذ الأكبر

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين (١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣)
زار سيادة الرئيس اللواء أركان الحرب، محمد نجيب، فضيلة الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر في مكتبه بالإدارة العامة .

كلمة فضيلة الشيخ السبكي

وقد ارتجل بين يديه ، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة
كبار العلماء ، الكلمة الآتية :

إن الأمة المصرية تنتظر إلى شخصكم وإلى أصحابكم من أبطال الثورة ، نظرتها إلى الأمل
بالسهم ، والحظ الميمون ... وإن الشعب كله ليرقبكم أينما سرتهم أو -للمتم لييادكم حياً بحب ،
وليروى بمطالعكم عاطفة شوقه إليكم .. وإن الأزهر ليعتبر نفسه في طليعة الأمة من هذه
المعاني الكريمة .

وإذا كانت معاقل الجيش رمزاً للقوة المادية التي هي سياج الأمة ، ومظهر سيادتها ، فإن
الأزهر ، هو معقل القوة الروحية ، ومصدر الثقافة الدينية التي تحيا بها الأمة حياة مجيدة ،
وإذا كانت النهضة الحقة تقوم على الدين والقوة جميعاً ، فإن الدين هو القاعدة الأولى .

وقد نهض الإسلام أول نشأته على المبادئ الدينية ، ثم حل الجيش : فأزر الدين ،
واعتمد به في شق طريقه إلى الأهداف المنشودة ، وعاش في ضوئه مجاهداً مظفراً .

لذلك : يعتبر الأزهر نفسه أنه المعصد القوي للجيش ، وأنهما -معاً عماد النهضة المرجوة
على أيديكم .

والأزهر مطمئن إلى تقدير الجيش له ، وحرصه على توثيق اتصاله بالدين من طريق
الأزهر ، ليظل مؤيداً بتوفيق الله .

والأمل أن يكون عطفكم دائماً على الأزهر بما يليق بماضيه ، وينهض بحاضره ،
ويحفظ عليه مستقبله .

وإذا تهافت بعض الصحف ، أو الأفراد على التعمز في الأزهر ، فإنما هي نزغات يذفهم
إلها حقن شخصي ، أو طمع في فقع مادي ، أو رغبة في تمزيق الوحدة بين القوتين ،
الروحية والمادية ، وهذا نقص في الوطنية ، فوق أنه ومن في التدن . وسيظل الأزهر
حامل لواء الدعوة الإسلامية ، كما هو من قديم مبعث الصيحة الإصلاحية .

زيارة الرئيس

ونرجو الله تعالى . . أن يتولى جيشنا بالعون والرعاية ، وأن يطيل حياتكم ، ويحفظ عليكم العافية .

كلمة سيادة الرئيس

أعتبرها فرصة سعيدة لتشرف بزيارة الأزهر مرة أخرى في هذا العهد الجديد ، عهد هذا الشيخ الذي تعرفون عنه كل الفضائل ، وأرجو المائدة إذا لم أستطع أن أعبر عن شعوري نحو الأزهر ، الذي هو معقل الإسلام ، ومنه النور الذي يشع على العالم أجمع ، وإذا كان الشيخ السبكي ، قد قال : إن الأزهر مع الجيش فإنني أقول : إن الجيش مع الأزهر ، لأنني أقدم العلم على القوة ، والإسلام وإن كان بني على العلم والقوة ، فإن العلم هو الركن الأول في بناء الأمم ، والإسلام جعل الأولوية للعلم ، ونور القرآن .

أسأل الله أن يساعدنا على النهوض ، والتخلص من آثار الميود السابقة ، من إزدلال للنفس ، وزلني ، وعدم تقدير للعلم ، وخصوصاً إذا صدر ذلك من رجل عالم ، ولا أسمى عالماً من يقبل يد شخص آخر .

فالدين الإسلامي هو الناحية العملية التي توحى بالكرامة التي يجب أن يسعى إليها كل مسلم ، فيجب أن نعمل به حتى نصل إلى المكائنة السامية ، ولا سلاح لنا إلا العمل على ربط القلوب ، وتطهيرها من الحقد والحسد والجري وراء أعراض الدنيا الزائلة ، وبهذا تتخلص من الاستعمار ، ويجب أن لا نفسر أي عمل قبل تمحيصه ومعرفة حقيقته ، فالحكم عليه قبل ذلك يؤدي إلى خطأ كبير ، وأرجو أن نعمل بالحكمة القائلة (أحسن الناس أعذرهم للناس) . إن آمال جميع المسلمين معقودة على الأزهر ، فهو المكبة المشرفة كما قال مولانا في حديثه أمس ، إن الأزهر هو المكبة الثانية التي يشع منها على العالم الإسلامي نور العلم والمعرفة والقوة ، ويجب أن ننسى كل ما نريد لأنفسنا من مطالب شخصية ، وأن نفرس كل هذه المبادئ في نفوس الطلاب وأبنائنا جميعاً ، وإذا كان في الماضي أخطاء تحتاج إلى إصلاح فلتتذرع بالصبر والمثابرة ، ونعمل على تلافيها ولنعطيها حقها من الوقت . نسأل الله التوفيق والسداد للأزهر في أداء رسالته .

وقد قدم فضيلة الأستاذ الأكبر ، المصحف الشريف ، هدية لسيادته قائلاً : وهذا هو ذخيرتنا ودستورنا الدائم الخالد ، وهو أساس ديننا الباقي الذي يقول الله فيه جل شأنه : وإنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون . فتقبله الرئيس شاكرًا وقال : هذا هو الذي سيقيم ظهر الاستعمار .

الاستاذ الاكبر بمكتبه يادارة الازهر بحج بالسيد رئيس الجمهورية



بسم الله الرحمن الرحيم
مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ
—
الاشيراك السنيوى
—
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطباعة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطباعة في الخارج
٥٠ تحت الجوز

مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ

مَجْلَدُ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد اللطيف التنبكي
عضو جماعة كبار العلماء
—
للعنولت
إدارة كجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٤١٤

الجزء السابع - القاهرة في غرة رجب ١٣٧٣ - ٦ مارس ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَارِيخُنَا

وقبل أن نتحدث عن تاريخنا ، ينبغي لنا أن نعرف من نحن ، ليتسنى لنا القول - على هدى - في ما ضينا الذي نخضع عن حاضرنا فكان امتداداً له وحلقة في سلسلته ...

نحن جزء من موجودات هذا الكون الأعظم ، وإن المعارف التي ترشدنا إلى تاريخ الكون الأعظم ، والأطوار التي تدرج بها حتى صار إلى ما هو عليه الآن ، هي من تاريخنا ...

ونحن بشر ، والحقائق التي توصل إليها البشر عن ماضي الإنسانية على الأرض ، وعن تطور جماعاتها وشعوبها ودولها حتى صارت على ما هي عليه الآن ، هي من تاريخنا ...

ونحن مسلمون ، نشترك مع مئات الملايين من المسلمين في اقتناعات والتزامات وأذواق وأنظمة ومشارب وواجبات ونزعات وميول وأمانى . ول هؤلاء المسلمين - منذ كانوا مسلمين - كيان مرت عليه أحداث ، وله أجداد ، وأخطاء ، ومزاي ، وزلات ، وخدمة متواصلة للعلم ، وإخلاص للفضائل الإنسانية والحضارة البشرية ، وقد يكون لهذا الكيان انحراف عن بعض ذلك في بعض الأحيان . وإن لهذه الأمور تاريخاً نحن مساهمون فيه ، وقد دخل نصيبنا منه في ميزانية أرباحنا وخسائرنا . ومن مصلحتنا ، بل من خاصة شئتنا ، أن نقوم

بدراسته وتمحيصه وتحديد المسؤوليات فيه ، وتعيين المسؤولين عنها بأمانة وإخلاص ، والاعتراف بأجداد هذا الماضي وقضائه لأصحابها ، وقبول ذلك كله على أنه من تاريخنا ... أنا أكتب هذه الحقائق الآن بالعربية على أنها لغتي ولغة أمتي من بضعة عشر قرناً على الأقل ، وليس لنا لغة قومية غيرها . والجمهور الأعظم من قراء هذا المقال - في العراق والديار المصرية والمملكة العربية السعودية واليمن ، وفي السودان وبلاد المغرب وسائر الأوطان العربية - يقرأون هذا الذي أكتبه بالعربية وهم على بينة من أنها لغتهم ولغة أوطانهم منذ عصور كثيرة وليس لهم لغة قومية غيرها . فنحن إذن عرب ، عربون في عربيتنا وعروبتنا ، بل نحن أعرق فيهما من تركيا في تركيتها ، ومن جرمانيا في جرمانيتها . وقد شئت لنا الحظوظ والأقدار أن نكون ورثة هذه اللغة ، وأن نكون أهلها ، لا ينازعنا في ذلك منازع . فنحن أصحاب الميراث التاريخي في كل محمود وممدوح من تراث العربية والعروبة وثروتهما القومية وكنوزهما الأدبية والعلمية . وعلينا اليوم - في مقابل هذه الملكية الضخمة والميراث العظيم - مسئولية ما وقع فيه التقصير من واجبات الناطقين بالضاد في هذا العصر نحو لغتهم وثقافتها . ولن تتلافى هذا التقصير إلا إذا آمنا بعروبتنا ، ووضعنا أيدينا بالفعل على كنوزها ، وفرغنا لدراسة تاريخها على أنه تاريخنا ، إلى أن نبعث في العروبة حيويتها التي كانت لها في أيام السيادة والخلافة على الأرض ، واتخذنا من ذلك أساساً للامتداد الذي نقيم على دعائمها ، وبذلك يتم لها - ويتم لنا بها - البعث ، فنتبوأ هي المستوى اللائق بها بين اللغات والقوميات ، ونبوأ نحن المستوى اللائق بنا بين الأمم .

وأنا أكتب هذه الحقائق في هدأة من الليل ، بين مجرى النيل الأعظم عند احتكاك لججه بشواطئه الجيزة وهي تحيي تربتها الطيبة بقبلات الإجلال والتكريم ، وبين فرع النيل الذي تطل عليه أرض الفسطاط فتطل منها عليه ظلال أجداد وهدايات يفي الدهر ولا تنفي . إن هذه الشواطئ وما وراءها من تربة وآفاق ، وهذه اللجج وما تحمله من ذكريات وعظات ، وما مرت وستر عليه من مشاهد وبقاع ، هي مصر العزيرة التي شهدت طفولة الإنسانية وصباها ورجولتها ، وشاركت في عبثها واضطرابها واتزانها ، وفي جاهليتها وحيرتها وهدايتها . هي مصر التي اختصها الله بنعمته الدائمة التي لا تزول : نعمة النيل في ضمان رزقها لمعاشها ، ونعمة الإسلام - آخر رسالات الله وأكملها - في ضمان استقامتها على الطريق السوي إلى سعادتها . وإن من شكرنا الله على هاتين النعمتين الباقيتين أن نعرف أقدارهما ، وآية ذلك

أن نقوم لهذا النيل ولهذا الإسلام بما ينبغي لنا أن نقوم به لها من جهود وجهاد لتكون مصر بهما عروس البلاد وأسعدها .

وقد شاء الله لنا أن نكون امتداداً لمصر الإسلامية ، فلتكن مشيئته التي لا يكون في المكون غيرها ، ولتقم لذلك بما يجب علينا من تكوين كياننا الحاضر على أنه متمم لكياننا المتصل به ، ولترسم طريقنا إلى المستقبل على ضوء ما اقتنعنا بصلاحه من تجارب مصر في بضعة عشر قرناً ، مزودين بما ورثناه عنها من موارث أدبية خالطت أرواحنا ، وتأصلت في قلوبنا ، وجرى الاقتناع بها مع دماثنا في شرايفنا وأوردتنا ، وليكن من وفاتنا لأنفسنا ولموارثنا عن أسلافنا تمحيص تاريخ مصر الإسلامية وتنقيحه وتنظيمه ، لنجد فيه القدوة بمن يحسن الاقتداء به من عظماء رجاله الصالحين ، ولنجد فيه العظة والاعتبار بمن ينبغي لنا الاعتبار بأخطائه وزلاته من المتغلبين والمنحرفين .

ولأن من حكمة الله في وقوع هذا الانقلاب الأخير على مرأى منا ومسمع أن نعلم كيف أن الحقائق كانت تحرف ، وأن التاريخ كان عرضة للتشويه بقسمة الماحجن صالحا ، والعظيم في نفسه تافها ، وتلقين الأجيال أباطيل تفرض عليهم باسم العلم والثقافة فرضاً ، ثم لا يجدون السبيل إلى العلم بغيرها ، فجاء هذا الانقلاب لحكم كثيرة أرادها الله ، ومنها كشف الحجاب عما يصيب التاريخ من تشويه وتضليل لأغراض يتصورها الأقوياء ، فيفرضون على الأمم جمود الحق وأهله ، وتمجيد الباطل وأهله . وكما آمنا الآن بضرورة تصحيح التاريخ في حقبة الأخيرة من ثورة عراق إلى الآن ، بل من ولاية محمد علي إلى الآن ، كذلك ينبغي لنا أن نؤمن بحاجة مصر إلى تصحيح تاريخها وتمحيصه من زمن العبيديين وقبلهم وبعدهم ، بل من الحادث الإنساني الأعظم وهو دخول مصر في الإسلام ، وكيف كان ذلك ، وما ترتب عليه من نتائج ، ومن ذا الذي ساهم في تحقيق نتائج الخير التي ترتبت على دخول مصر في الإسلام ، ومن ذا الذي عمل على تحويلها - قليلاً أو كثيراً - عن المضى في ذلك الطريق . وهي مهمة نحتاج إليها الآن في تنقيح ثقافتنا وتفكيرنا ومناهجنا ، لأنها أساس لما يقوم عليها من بناء ثقافي . وعلى الأزهر أن يساهم بذلك في مناهجه ودراساته ، كما أن على جامعاتنا أن تقوم بنصيبها من ذلك في مناهجها ودراساتها .

إن من أعظم المفارقات في تاريخنا أن نكون أغنى الأمم بالنصوص السليمة التي نستطيع أن نصحح بها تاريخنا فنبيته على أساس قويم من الحقائق العلمية التي لا يتطرق الشك إليها ،

وأن نكون - مع ذلك - أشد أم الأرض إهمالا للإفادة من ذلك حتى يبق تاريخنا مضطرباً كما أراد له الذين دسوا فيه ما ليس منه ، وشوهوا من جماله ما جعل المسلمين يسيثون الظن بأجد صفحات ماضيمهم ، ويجهلون أن الجيل المثالي الوحيد الذى عرفته الإنسانية فى تاريخها منذ وجد الناس فى الأرض إلى الآن هو الجيل الذى شوه المفرضون جمال سيرته بما دسوه فيها من باطل ، وما اختزلوه من حق ، فكان من نتيجة ذلك أن رأينا فى أفاضل الناس وعلمائهم من يتسكروا لأعظم الرجال الذين كانت لهم اليد الكريمة علينا فى إسلامنا وفى أجدادنا وفى أئمن ما كان ينبغى لنا أن نعتز به من موارثنا .

إن تاريخ مصر الإسلامية فى حاجة إلى التمهيص والتفتيح والتصحيح .

وإن تاريخ العرب قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام فى حاجة إلى البعث والكتابة من جديد .

وإن تاريخ المسلمين والإسلام أجدر تاريخ فى الإنسانية بأن يرجع به إلى نصوصه السليمة التى عرف رواتها بالصدق والدين والمعرفة الوثيقة .

ولا يقوم بهذه المهمة لتاريخ مصر والعرب والإسلام إلا المحققون وأهل العلم من أوفياء المصريين والعرب والمسلمين لمصريتهم وعروبهم وإسلامهم .

إن سليمان بن داود لما تقاضت إليه امرأتان فى طفل ادعت كل منهما أنه ابنها ، وليس لإحدهما بيئة رابحة على بيئة خصيمتها ، قضى بأن يقسم الطفل بالسيف قطعتين يعطى لكل منهما قطعة من الطفل . فقالت إحدهما حينئذ : إنه ليس بابنى فلا تقطعه ، وأعطته للمرأة الأخرى . فعلم سليمان أن شفقة الأمومة هى التى حملتها على ذلك ، وحكم لها بأنه ابنها . وتاريخ مصر والعرب والإسلام فى حاجة إلى أمه الحقيقية الرفيقة به المشفقة على حقائقه وأجداده ، فهل ترى أن هذه الأم هى الأزهر ، أم ترى أنها جامعة من الجامعات المصرية ، أم ترى أن هذه الأم ستظهر من بغداد أو دمشق أو غيرهما ؟ إن تاريخنا الآن أشبه باليتيم ، بل قد أهمله أهله أكثر مما يهمل اليتيم ، حتى أشفق عليه أعداؤه من المستشرقين وأمثالهم ، وحتى صار بعضنا حالة عليهم ، فبعد أن كان تاريخ العرب والإسلام فى مصر وسائر الأقطار ينوء بما شوه به أصحاب الأغراض من الأقدمين ، أصيب فى عصرنا بمن يزيد تشويها من أصحاب الأغراض المعاصرين .

لقد قشت في السنين الاخيرة بدعة جديدة فيمن يكتبون التاريخ من أذكيائنا ، فوضعوا على أعينهم نظارات سوداء يرون بها الأبيض أسود لئلا ينهوا بالتمصب للإسلام ولعروبهم . بل رأيت فيمن لقيتهم من يظن أن المصرية شيء والعروبة شيء آخر ، ومن يظن أن الوفاء للعروبة يتنافى الوفاء للإسلام ، وأن الاهتمام بأجداد العروبة وموارثها يتنافى الاهتمام بأجداد الإسلام وموارثه .

بل رأيت فيمن لقيتهم من يمتنع لدعوة الجيل إلى الوفاء للإسلام ، ويرى أن ذلك يخل بالزرعة الإنسانية ، أو يغنى عنه التعلق بالوطنية الجغرافية .

هذا كله خطأ . وكأ أن وفاء أبناء مديرية الشرقية لإقليمهم ، ووفاء أهل أسبوط وقتنا لمناطقهم ، لا يخل بمحبتهم لمصر ووفائهم لها ، كذلك الوفاء لمصر في مصر ، أو للعراق في العراق ، وكذلك وفاء أبناء كل قطر عربي لقطرهم لا يخل بمحبتهم لعروبهم ووفائهم لها ، ووفاء العرب لعروبهم والافغانين لافغانيتهم والاندونيسيين لاندونيسيتهم لا يخل بأخوة الإسلام والوفاء لجامعته .

إذا أقيمت حصاة في بركة ماء رأيت حول موقع الحصاة من الماء دوائر ضيقة في القرب من ذلك الموقع ، ثم تتسع فيما وراء ذلك . إن موقع الحصاة من الماء هو بلد الإنسان الذي ولد فيه ، والدائرة التي تلي ذلك هي المركز الذي يتبعه ذلك البلد ، والدائرة التي بعدها هي المديرية ، والتي أكبر منها هي الإقليم الجغرافي ، وفيما وراء ذلك الجامعة القومية وهي عندنا جامعة العربية والعروبة ، وأكبر منها أخوة الإسلام الجامعة بين المسلمين ، ثم الإنسانية ، فالكون الأعظم . وأنت إذا أردت أن تكون وفيًا لبلدك فإن وفاءك له لا يتنافى وفاءك لمديرتك أو لإقليمك الجغرافي . ووفاءك لإقليمك - وهو مصر - بعد جزءا من وفائك لقوميتك العربية التي لا شك أن مصر عضو فيها وركن من أركانها بل قطب دائرة ثقافتها وأدبها ، ووفاءك لعربيتك وعروبتك عنصر من عناصر وفائك للإسلام ، لأن العرب مادة الإسلام كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

يقول (ول ديورانت) في مقدمة كتابه (قصة الحضارة) : إن السيادة الأوروبية تسرع الآن نحو الانهيار ، وإن من أعظم أخطاء الغرب تجاهه فضل الشرق ، واندفاعه بالتمصب الإقليمي إلى غلط الشرق في فضائله وحيويته وامتداده ، وإصراره على كتابته التقليدية للتاريخ بأن يبدأ قصة الحضارة من اليونان ويكتفي بالحديث عن آسيا كلها في سطر واحد .

ومن العجيب أن المئات من الأساتذة والمدرسين الجامعيين عندنا قرأوا هذا الاعتراف من هذا المحقق المنصف ثم لا يزالون رابطين مناهجنا بمجلة هؤلاء الذين شكوا ديورانت من تعصبهم الذي سيؤدى بهم وبسيادتهم إلى الانهيار .

وفي المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية الذى انعقد من ١٤ إلى ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ بمدينة أوسلو من بلاد النرويج حاضر الأستاذ بيرن فى موضوع (الفتوحات الإسلامية وبداية العصور الوسطى) فكرر دعوته التى أعلنها فى المؤتمر الدولى الخامس إلى اعتبار ظهور الإسلام هو خاتمة العصور القديمة وبداية إيقاظ الإنسانية فى أول عصورها المتوسطة ، لأن احتكاك الغرب بالإسلام هو الحد الفاصل بين شطرى التاريخ القديم والمتوسط ، وحيث بدأت أوروبا الغربية تكتوّن مدنية جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث هو بداية العصر المتوسط .

وفى ذلك المؤتمر التاريخى نفسه حاضر الأستاذ دوبرى فى « نشأة الاستكشافات الجغرافية والأسباب الباعثة عليها » فأعلن أن احتكاك الصليبيين بالمسلمين واستيلاء المسلمين على مغانج التجارة الشرقية هما السبب المباشر لبداية عصر الاستكشاف ، الذى يعتبر بداية العصر الحديث . إذن فإن ظهور الإسلام باعتراف الأستاذ بيرن هو الشرارة الأولى التى انتهت بها العصور القديمة وأشرف بها على الإنسانية نور جديد ، واحتكاك أوروبا بالمسلمين هو الذى انتهت به عصور أوروبا المتوسطة وبداية تاريخها الحديث .

إن تعصب الأوربيين - على ما اعترف به (ديورانت) فى « قصة الحضارة » - حملهم على كتمان كثير من الحقائق المتعلقة بالشرق والإسلام ، ومن النادر أن نسمع شيئا من هذه الحقائق على ألسنة المنصفين منهم ، ولكن هل ستبقى جامعاتنا ومؤلفونا مرتبطين بمجلة الغرب فى تقرير الاتجاه لتاريخنا ، وهل سيبقى تعليمه مبتورا ومشوها لأبناء الجيل من الجامعيين ؟

وهل سيبقى مخدوعين بالدسائس التى دسها الطوائف القديمة وصناديد الشعوبية وأعداء الإسلام من الذين تظاهروا بالانقياس إليه ، فشوهوا بها تاريخنا ، مع أن فى نصوص علمائنا وأعلامنا ما يصححها ويزيل الغشاوة عن أعيننا فنرى جمال تاريخنا كما كان ينبغى لنا أن نراه ؟

إن العبرة التي أتاحها الله لنا فيما ظهر من حقائق عن تاريخ مصر الحديث جدرة بأن تحملنا على إعادة النظر إلى تاريخنا فنكتبه من جديد معتمدين على النصوص الصحيحة المعقولة التي خلفها لنا أئمتنا وأعلامنا من المحدثين ومؤلفي كتب التراجم . وسنرى حينئذ أن أسلافنا حملوا إلى الإنسانية أكل رسالات الله ، وأنهم ضربوا أصدق الأمثلة من سيرتهم للعظمة التي تنشدنا الأمم لنجد فيها الأسوة والقدرة ولتسير على نورها إلى غايتها من الحياة السعيدة .

حج الربيع الخطيب

منكم تعلمنا

في حفلة أقامتها الجالية السورية بين الحريين العالميتين في مدينة (ديترويت) بأمریکا خطب القاضي الأمريكى آرثر لايسى فقال :

« يرجع الناس بأصول مدینتنا إلى المدينتين اليونانية والرومانية ، مع أن آثارهما كانت في زوايا النسيان زمن العصور المظلمة ، ولو لم یقدر لها أن تتناولها أبدي العرب لأصابهما الوهن والاضمحلال .

إن إسبانيا العربية هي مدرسة أوروبا التي علمتها الآداب والفلسفة والعلوم . ومنكم تعلمنا السكور العشرية وحساب التفاضل والمقابلة ، ومنكم تعلمنا القول بكروية الأرض . وإن الكرة القضية التي أهداها الشريف الإدريسی الجغرافي العربی إلى روجر الثاني أمير نابولی في منتصف القرن الثانی عشر (القرن السادس الهجری) خير شاهد على ما أقول . وكان ذلك قبل رحلات كولبوس بخمسمائة سنة . وقد حسب محیط الأرض بأربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة ميل . وشعرکم وآدابکم كانت منها استقى منه أدباء الفرنسيين والإيطاليين والانجليز ، ومنه جاء دور البعث والتجديد إلى أوروبا .

وأنا بالنيابة عن أبناء جنسی الانجلو سکسون أعترف بفضلكم وأشکرکم شکراً وافراً .

نَفَايِةُ الْقُرْآنِ

- ١٣ -

٢ - طالوت.....وجالوت

طالوت في قلة مؤمنة ، وجالوت في كثرة غير مؤمنة

« ولما برزوا لجالوت وجنوده - قالوا : ربنا
أفرغ علينا صبراً . وثبت أقدامنا . وانصرنا
على القوم الكافرين . »

تجاوزنا بك في هذه القصة ثلاث مراحل :

الأولى — أن الملا من بني إسرائيل طلبوا من نبيهم - شمويل - أن يختار لهم ملكاً يجمع شملهم ، ويؤلف جيشهم ، وينهض بهم إلى حرب عدوهم من جابرة فلسطين .

الثانية — أن الله حقق رجاءهم ، واستجاب لدعوة نبيه ، واختار من بينهم طالوت ملكاً على قومه مؤلاً . . ولكنهم لم يدعوا في هوادة كما تظاهروا ، بل أخذوا في اللجاج مع نبيهم ، وأنكروا أن يتولى عليهم من لم يبلغ مبلغهم في السيادة والمال ، وظل نبيهم - شمويل - يدحض كلامهم ، ويحبط فكيرهم ، ويوجههم إلى أن الله اصطفى عليهم طالوت ، لما يمتاز به من بسطة في العلم ، وفي الجسم ، وأن الله يؤتي ملكه من يشاء ، بمن يعله أليق من سواه ، وأوفق لحال الأمة .

الثالثة — أن شمويل أقام لهم أمانة على حقسية الملك لطالوت ، وأن اختياره من عند الله ، وهي أن يعيد إليهم التابوت من أيدي الجابرة من غير محاولة ، وقد صدق الله وعد نبيه ، وجاء التابوت على نحو ما حدثاك آتفا ...

فإذا كان شأن بني إسرائيل وقد قامت عليهم الحجة ؟

هذه هي المرحلة الرابعة التي نتحدث عنها اليوم .

أصبح طالوت في عرفهم ملكاً ولا محالة ، وأصبحت غايته الأولى أن يعي جيشه ويواجه به عدواً جباراً في ملكه ، معادياً لبني إسرائيل ، ومنتزحاً على دينهم وأنبيائهم .. فالأمر بحاجة قصوى إلى مؤازرة القوم للملكم الذي تمتوه من قبل ، وتمنوا أن يجاهدوا في سبيل الله تحت إمرته .

فهل هم على الولاء جميعاً لطالوت ؟؟ وهل يجدهم سواء في صدق النية والحفاظ على العهد ؟؟

لم نزل نزعة الخبث كامنة فيهم ، ولم يزل تخليهم عن دعوة الحق من طلائعهم .. وكأنهم حسبوا أن تظاهرهم بالتسليم لطالوت سيكفي للاطمئنان إلى صدقهم ، وأنهم سوف لا يختبرون بعد ذلك في إيمانهم ، وأن أمرهم سيظل مستورا فلا يستبين الجاد من الهازل .

وفانهم أن الله سنة مقضية في عبادته ، يميز بها الخبيث من الطيب ، ويمحص بها المخلصين من المرائين ، وهي أن يبتليهم فيما آتاهم ، ويمتحنهم بما لم يكن في حسابهم من خير ، أو شر ، وعند ذلك تركز إلى الحق نفوس ، وتثبت على الصبر أقدام ، وتتحرف عن الحق قفوس ، ويزل عن الرشد أقوام .. هذه سنته في خلقه أزلاً .. وجدد القرآن ذكرها لنا في قوله سبحانه : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ، أي سنختبركم حتى يتبين منكم ما نعلمه فيكم قبل أن نعرفوه عن أنفسكم . وكذا في قوله : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ، وفي قوله : « أحسب الناس أن يتركوا : أن يقولوا آمنا ، وهم لا يفتنون ؟؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين ، أي .. فليبين الله عليه بالصادق والكاذب .

وكان البلاء لبني إسرائيل في موقفهم مع طالوت إذ تهبوا للخروج معه : أن أوحى إلى شمويل أمر يفضي به إلى طالوت ليتحدث به إلى جيشه بعد ... ليكون في إعلانه من طالوت إشعار بأنه مؤيد من عند الله ، فيكون في ذلك مسرة للقلوب العامرة ، ورجفة للنفوس الهازلة .. وليكون في إعلانه كذلك لفظة قوية إلى أن أمر طالوت هذا ليس هيناً ، وليست سياسته فيهم العوبة .. وإنما هي جد لا هوادة فيه .

وكذلك تكون مواقف الحرب وقد تمنوها .. وهكذا تكون الجندية ، وقد سعوا إليها ... فليكونوا كما تظاهروا من قبل - وهم حينئذ أباة ضيم .. وأبطال حرب .. وعشاق مجد .. وطلاب سؤدد .

أو ليكونوا كما عرفهم التاريخ وهم لا يذكرون : قوالين لا يفعلون .. ومتهافتين وهم قاعدون ، ومتعاهدين ولكنهم كذابون ..

هذا أو ذاك ما يكشف عنه البلاء ، وإنه لقريب من بني إسرائيل ، ثم قد حان اليوم الذى خرج فيه طالوت بالجيش إلى لقاء عدوه ، وأعلنهم بما سيمنحهم به الله ... (فلما فصل طالوت بالجنود ، قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني) .

ومعنى ذلك - أنهم سيمرون في الطريق بنهر ، والمسافر غالباً على ظمأ .. فمن ترفق بنفسه وشرب : فذلك عبد نفسه ، لا يؤتمن على الجهاد ، ولا يحتمل لأواء الحرب في سبيل الله مع طالوت ...

ومن تجشم احتمال الظمأ : إثارة لطاعة القائد ، واطمئناناً إلى سياسته وتوجهه ، واستبسل معه في الجهاد : فذلك العون الصادق ، والمقوار الجلد ، والجندي الوفي لقائده ، ووطنه ، ودينه ، ولا بد من يسر بعد عسر ..

ولكن هناك قريباً ثالثاً : قد لا يشرب إلى أن يروى حتى يكون من المبعدين ، وقد لا يمتنع إلى الحرمان حتى يكون من المقربين ، بل يربطون أكبادهم بالقليل من ماء النهر .. فهم بين البين كما نقول .

وقد تجاوز الله هؤلاء عن غرفة باليد الواحدة ، واعتبرهم حكماً من المستجيبين ، واستثناهم من الشاربين المبعدين بقوله سبحانه (إلا من اغترف غرفة بيده) .. يعنى هؤلاء كذلك مني ، ومعى .. كمن لم يطعمه ولم يذقه .

ومن سنة الله في معاملة خلقه : أن المسمى قليلاً - كهؤلاء المغتربين باليد الواحدة - أقرب إلى مرضاته .. وأولى بالقبول من المسرف : ضرورة أن التريث في الخطيئة ، والاقتصاد في المعصية ، نزوع إلى الخشية ، وجانب من التقوى .. والله - عز شأنه - يضاعف الحسنه ، وإن كانت مثقال ذرة ...

ثم ماذا ؟ ثم كان البلاء كاشفاً للنبيء من شأن القوم حينما وردوا ماء النهر (فشرّبوا منه ، إلا قليلا منهم) فافضح أمرهم .. وكانوا يخالون أن سيظل مستورا إلى النهاية .. ولكن المكر السيء يحق بأهله .. وإذا مكروا فاقه خير الماكرين .

وإلى هنا ندخل بك في المرحلة الخامسة فنستقبل جملتين متعارضتين في سياق القصة .

إحداهما - قوله تعالى : (فلما جاوزوه - النهر - هو والذين آمنوا معه) . فهذه ظاهرة في أن الشاريين من النهر تخلفوا عنده ، ولم يجتازوه مع طالوت ... وإنما اجتازوه معه المؤمنون فحسب ..

والجملـة الثانية .. (قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فهذه كما ترى : تردد في الإقدام على العدو .. وهو لا يتفق مع ما ثبت من صدق إيمانهم ، والوفاء بعهدهم .. وفوق ذلك .. هو مستبعد بعد نجاحهم في الابتلاء بالنهر على ظمأ من وعناء السفر في الفلوات ، وبعد أن اجتازوه غير هيايين ... فماذا نفهم ؟؟

يقول بعض المفسرين - وهو الأرجح - : إن الجميع اجتازوا النهر مع طالوت .. غير أن الآية صارحتنا بأن الذين جاوزوا النهر مع طالوت ، هم المؤمنون دون ذكر الشاريين .. لأن المؤمنين على صدق في متابعتهم ، فلم يترشوا في السير ، ولم يقفوا للشرب ، فكان سيرهم متصلا ، وكانت مجاوزتهم للنهر وسيلة جديدة للحرب .

ومن أجل ذلك استحقوا التوبة بالإفصاح عنهم .. وكان سواهم لم يجتازوا النهر ، لتخلفهم أولا .. ولأن مجاوزتهم كانت هزلا ورياء ، ولم تك وسيلة إلى غاية مفروضة ، فأهل الله ذكرهم : تغاضيا وتحقيرا .

وفي هذا التوجيه ضوء يكشف القموض عن الجملة الثانية : إذ تبين لنا في وضوح : أن الشاريين من النهر لحقوا بسابقيهم ، وحينما رأوا جالوت العدو في جيش لجب ؛ غارت قواهم أكثر ، وغلبت عليهم الرهبة لعدم تحصنهم بإيمان و (قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وولوا أدبارهم .. وهذه رجعية إلى معاذيرهم المألوفة ، وانتهاء منهم إلى الارتكاس المتوقع (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) .

وإلى موقفهم هذا سبقت الآية بالخبر عنهم أول القصة ، كما نبهناك آنفاً عند قوله تعالى (فلما كتب عليهم القتال - أصبح لزاما - تولوا : إلا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين) .. وذلك القليل منهم : هم الذين لاذوا برهبهم ، وعولوا على نصره لهم ، واستمدوا أملهم من قوة إيمانهم ، وقالوا : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ..) وبذلك التصوير لما أفهمه من محاولات الأشياخ لا غموض في سياق المجتئين ، وحسبنا هذا عن تقديرات أخرى .. فعلى أى الفروض لم يقاتل مع طالوت غير النخبة من خيار أتباعه بعد أن تولى عنه من تولوا ، سواء أكان تخلف بعضهم قبل النهر ، أم بعده .

وحينما أصبحت القلة المؤمنة في وجه الكثرة غير المؤمنة ، فزعت إلى الدعاء تستمد به رعاية الله ، وتغالب به الكثرة في عددها وعنادها (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين) .

وتلك دعوات ثلاث : فيها غناء عن كثرة مضاعفة : فالصبر وسيلة أولى في دفع الأوهام التي تنازع النفس عند لقاء عدو أكثر .

وثبات الأقدام : احتمال النوازل ، وذلك مبعث الرهبة عند الخصم ، وإيأس له من الظفر ، وإشعاره بأن الأمر أمر عزائم قبل أن يكون أمر كتائب .

والنصر : هو الغاية المرجوة ، ووعد الله الحق لمن نصر دينه ، على من حارب الله ورسوله . المرحلة السادسة والأخيرة - أن جالوت برز من صفوف جيشه ، معتزا بجبروته ، وطلب من ينازله ، فكانت له أثاره من رهبة .. ولكن طالوت ترفع عن منازلته ، ونفخ من شجاعته في جنده ، ووعد أن يزوج بنته لمن يقتله ، وأن يشركه معه في تدبير الملك .

وكان في القوم غلام لم يتعود حمل السلاح ، ولما برعى الغنم ، ويحمل المقلاع والأحجار فنهض بمقلاعه ، وقذف جالوت بحجر أصاب رأسه ، وصرعه ، ففر جيشه الزاخر ، وصدق الله وعده ، وأعز جنده ، وكفى الله المؤمنين القتال .

أما ذلك الغلام الراعى ، فهو داود بن يس ، وقد أخذ رأس جالوت ، وذهب بها غفور إلى الملك طالوت ، فأنجز له وعده وأصبح داود ذا شأن خطير ، وظهرت له حكمة كانت

مكنونة فاجتمع لداود ملك طالوت ، واختاره الله للنبوة بعد شمويل ، وعله صنعة الدروع للحرب ، وأقام به ديناً ودولة ، وهو أول من كانت له نبوة وملك - وكان ذلك تلبية الدعوات الثلاث . . كما حدثتنا آيات ثلاث هي (فهزمهم بإذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة ، وعله بما يشاء) .

وقد يخطر بالبال سؤال هما وراء هذا التديب الكوفي : لم ينهض بنو إسرائيل يوماً ، وينكمشون آخر ٩٩ ويفتصرون مرة ، وتشرق فيهم هنة العيش . . . وينهزمون أخرى ويأفل نجمهم في الحياة ٩٩ أنى ذلك حكمة لمن أبدع السكون ليعمره بالخير ، ويجعله أمانة على وجوده ٩٩

ونفحات القرآن تنبه الغافل ، وترشد الحيران ، فالدنيا لا تعمر إلا بالآحياء ، ومظهر الحياة فيها صعود وهبوط ، ووثوب وتراجع ، وبناء وهدم ، وأخذ وعطاء . .
فن سنة الإبداع أن يكون في السكون خير وشر ، وتعمير وإفساد .

ودعاة الشر شياطين يهدمون ، وأهل الخير رحمة يننون ، فإذا فهمنا في دنيانا ، أن نظامها في تناوب أحداثها ، وأن صلاحها في تطاحن أهلها ، فقد ظهرت لنا حكمة ، ووضحت لنا آيته (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين) .

ومع التسليم بذلك فالمطلوب إلينا أن نكون رحمة مصلحين ، لا شياطين مفسدين ، وعسى أن يهدينا الله إلى صواب يرتضيه . ويكفلنا بتوفيق ترتجيه ، فلا نكون كبنى إسرائيل على إيمان مكذوب . . وفي حظ مسلوب ، فهو الهادى إلى خير صليل ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الشفاعة

أَشْفَعُوا تُوجَرُوا

الشفاعة الحسنة — ضروب من الشفاعة — الشفاعة
في الحدود — أعجب الشفاعات وأحبها — شفاعة الملائكة —
موقف كريم لأم سلمة — شفاعات نبوية — الشفاعة والمشيئة —
آثار الشفاعة الحسنة في الأمة — حاجة الحاكم والمحكوم إليها .

عن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان إذا أتاه السائل ، أو صاحب الحاجة قال : اشْفَعُوا فَلتَسْؤَرْجُوا ، وليَقضِ الله على لسانِ رسوله ما شاء ،
رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري في كتاب الأدب (*) .

* * *

في غاتمة الحديث الماضي أمينا - وما زلنا نهيب - بالكبراء والسادة ، أن يؤدوا زكاة
السيادة « بالإصلاح النقي الجلي » ، وبالشفاعة الحسنة الخالصة ، وبالدعوة الجادة الصادقة إليهما ،
ما استطاعوا إلى الجدد والصدق سيلا .

وفي هذا الحديث نرجو أن نولى الشفاعة الحسنة بعض ما أولاها الإسلام ، ورسول
السلام ، صلوات الله وسلامه عليه ، من رفيع الذكر ، وعظيم الأجر ، وبلغ العناية . .
شأنه في تربية الفضائل ، وتنمية المكارم ، ودعم خصال العفو والصفح والإحسان

(*) في باب قول الله تعالى : من يشفع حسنة يكن له نصيب منها .

ومد ظلال المروءة والفضل والرضوان ، ونهية حياة طيبة مباركة ، للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .

والشفاعة الحسنة التي يأمر بها الشفيح المشفع أمته صلوات الله وسلامه عليه ، هي نفسها التي يدعو الله إليها عباده في محكم كتابه إذ يقول جل ثناؤه : « من يشفع شفاعته حسنة يكن له نصيب منها » .

وأجمع ما يقال في بيانها أنها التوسط ابتغاء وجه الله تعالى في جلب نفع للناس ، أو دفع ضرر عنهم ، في غير معصية لله تعالى ولا حد من حدوده بعد أن يبلغ الإمام .

فأما الوساطة في حد الله بعد بلوغ الإمام ، أو في معصية من معاصيه ، أو مع رشوة أو هدية ، فهي الشفاعة السيئة التي نهى الله ورسوله عنها ، وحمل صاحبها كفلا منها لأنها تجرى الناس على انتهاك المحارم ، واقتحام المآثم ، والتلاعب بدين الله تعالى . وقد اشتد غضب النبي ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وهو جبه وابن جبه ، لما كلفه في شأن فاطمة بنت الأسود المخزومي أن يرفع عنها الحد ، وكانت قد سرق حليا في غزوة الفتح . . فأم قريشا شأنها ، لشرفها وخيفة الفضيحة عليها . . ثم اختاروا أسامة شفيعا لها عند رسول الله ﷺ ، وقالوا : ومن يجزئ عليه إلا جبه وابن جبه ١٩ فلما كلفه أسامة فيها تلون وجهه ﷺ وأنكر عليه ، وقال : أنشفع في حد من حدود الله ١٩ فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله . . فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاخطب على عادته في الأمر الجلال فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أيها الناس ، إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرق لقطعتم يدها ١ ثم أمر بها فقطعت ٢١ وقد تابعت رضي الله عنها فأحسنتم توبتها ، وكانت تأتي أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها فترفع حاجتها إلى النبي ﷺ .

(١) شرح الشيخ الجوزي رحمه الله حديث المرأة المخزومية شرعا مبسوطا في الجزأين : الأول والثاني من الجلد التاسع ، بين فيه الحكمة في الحدود الشرعية ومدى الشفاعة فيها . . .

وما شرع الله الحدود إلا لكسر شوكة الظالمين ، والقضاء على الفساد والمفسدين ، لا جرم أن الشفاعة فيها عند الحاكم عون لهذا الفساد والظلم ، ولا جرم أن قبول الحاكم الشفاعة حينئذ إضعاف لهيبته ، وإهدار لسلطته ، بل لسلطان الله في الأرض ، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

أما الشفاعة في العقوبة التي لم تبلغ الحد ، أو في الحد قبل أن يبلغ الحاكم ، ولا سيما الشفاعة لأرباب المروءة والحياء ، الذين لم يستمرتوا الديوب ، ولم يصروا على الذنوب ، فإنها تدخل في ستر العورات ، وإقالة المثرات ، والإصلاح بين الناس ، وتلك من مكارم الأخلاق . وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حد فقد وجب ؛ ولقي الزبير رضي الله عنه سارقا فشفع فيه ، فقبل له : حتى يبلغ الإمام ، فقال : إذا بلغ الإمام فلن الله الشافع والمشفع .

وكل ما جاء عن المعصوم ﷺ من فضائل الذب عن المسلم والستر عليه والإغضاء عنه وما إلى ذلك من نجدة ومروءة ودفاع - فوضعه ولا ويب في غير حدود الله إذا بلغت الإمام ، أو نائبه من الحكم . ولقد كان النبي ﷺ أشد الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات إغضاءً ، وما كان يخبر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها .

ومن أعظم الجرائم التي تسوي الشفاعة الحسنة وتبطل أجرها ، أن تباع وتشترى بهدية أو رشوة أو عرض من الدنيا . والشافع والمشفع كلاهما يقرآن بذلك أمراً جسيماً ، إلى ما يجنبان من حقارة ودنائة ، ويستوجبان من لعنة الله والناس في الدنيا والآخرة .

وتنظم الشفاعة الحسنة التحريض على الصدقات للفقراء والمساكين ، وتفريج الكربات عن المكروبين ، وقضاء الحاجات لأصحابها ولا سيما العاجزين . ومن ذلك التوسط في الإقالة من بيع المضطر ، والإظهار إلى ميسرة في دين على معسر ؛ وأما التوسط في تخفيف الدين

عن المدین ، أو إبرائه منه ، أو تأديته عنه من غیر من ولا أذى - فذلك من كرائم الشفاعات وعظائم المروءات .

ومن ذلك التوسط في إعاة اللاجئين ، وإجارة المستجيرين ، وينبغي لهذين الصنفين من الشفاعة حديث خاص .

* * *

ومن أعجب الشفاعات الحسنة وأروعها ، وأحبها إلى الله ورسوله ، وأرجاها في القبول - شفاعة الأخ المسلم لأخيه في الغيب ، وما نفع أخ أخاه بمثل شفاعة أو دعوة يدعو له بها في ظهر الغيب . تلك خلة من خلال الملائكة المقربين ، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا سمعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم

ومن شدة فرح الملائكة بدعاء المسلم لإخوانه في ظهر الغيب ، أنها تؤمن على دعائه ، وتدعو له بمثله . ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقول : « دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » .

* * *

ومن عيون الشفاعات في ظهر الغيب شفاعة أم سلة رضي الله عنها لأصحاب رسول الله ﷺ في صلح الحديبية ، فقد دخل عليها مغضباً مرموماً وهو يقول : هلك المسلمون ، أمرتهم بالأمر فلم يفعلوا ! فقالت : يا رسول الله لا تلهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ، فاخرج إليهم يا رسول الله ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُदनك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه . . فلما رأوا ذلك قاموا قنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً . . وجلا الله عنهم الكرب الذي كاد يقتلهم وسلبهم منه بأمر المؤمنين أم سلة .

ولا يقتبه لهذه الشفاعة العجيبة الرائعة إلا الأخبار الأبرار ، ممن لهم في رسول الله أسوة حسنة . . فقد ضرب صلوات الله وسلامه عليه أعلى الأمثال في الشفاعة لأمته والدعاء لهم بظهر الغيب في أشد أوقاته وأحرجها ، وأولاها بالتشفي والانتقام !!

ناداه ملك الجبال فسلم عليه ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني إليك ربك لتأمرني بأمرك ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(١) . فقلت . فقال ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له . .

ولما كسرت رباعيته وشج وجهه الشريف يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه شقاً شديداً وقالوا له : لو دعوت عليهم فقال : إني لم أبعث لعانا ، ولكن بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون . .

وقد أعطى الله كل نبي دعوة دعا بها في الدنيا فاستجبت ، واختبأ النبي ﷺ دعونه شفاعاً لأمة يوم القيامة .

ومن اللطائف التي يجدر بنا أن نقف عندها وتأملها ملياً ، ما يشير إليه بعض شراح الحديث ، من أنه صلوات الله وسلامه عليه يأمر أصحابه بالشفاعة عنده مع علمهم بأنه مستغن عنها ، لأن عنده شافعاً من نفسه ، وباعثاً من كرمه ورافته ورحمته ، فإظنك بالشفاعة عند غيره ، ممن يحتاج إلى بعث على الخير وتحريك للهمة ؟ لا جرم أنه صلوات الله عليه متخلق بأخلاق ربه ، إذ يقول له وهو ساجد يوم الفزع الأكبر : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع ...

لم يكتف صلوات الله عليه وسلامه بالاحتفال بالشفاعة الحسنة والدعوة إليها وتقبلها قبولاً حسناً ، دون أن يشفع هو نفسه لدى أصحابه كلما دعا داعي الإنسانية المثلى ، والمروءة الفضلى ، واستجابات لأهلها مكارم الأخلاق . وحسبنا - ونحن نخاف السأمة كما كان يخافها صلى الله عليه وسلم على أصحابه - أن نشير إشارة خاطفة إلى مثلين اثنين :

(١) ما جيلامة : أبو فبيس ، ومقابله قبيقمان . وكان ذلك في أثناء عودته من الطائف مهموماً حزينا .

بعد ليال من غزوة الطائف ، قدم عليه صلوات الله عليه وسلامه وفد هوازن (١) مستشفعين به أن يرد إليهم نساءهم وأبنائهم ، فقال لهم : « أما مالي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، ثم شفع لهم عند أصحابه أن يردوا عليهم سيبيهم ، فقبل شفاعته المهاجرون والأنصار وقالوا : ما كان لنا فهو لله ورسوله . وامتنع جماعة من الأعراب ، فقال ﷺ : « من تمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه ، ففرحوا واستجابوا .

وأعجب من هذه شفاعته في بريرة ، وهي أمة كانت تخدم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وكانت عائشة تعينها على تحريرها من الرق فلما عتقت وهي تحت زوجها مغيث ، وكان عبداً لآل المغيرة من بني مخزوم - أضحي لها الخيار ، بحكم دين الحرية والسماحة ، أن تفارقه . وقد فعلت .. فكان مغيث يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته .. حتى قال ﷺ لعنه العباس : « ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ! ثم قال ﷺ لها : لو راجعته قالت : يا رسول الله تأمرني ؟ قال : إنما أنا أشفع . قالت : لا حاجة لي فيه ... ، وتقف هنا ملياً ساكتين خاشعين ، ثم تردد قوله تعالى « لقد من الله على المؤمنين ... » .

ولم يفت المربي الأعظم ﷺ وهو يدعو أمته إلى الشفاعة الحسنة بأبلغ عبارة وأجزها - أن ينههم على أمرين خطيرين كثيراً ما يحاول أحدهما أو كلاهما دون الشفاعة : خوفهم ألا تقبل ، واحتجاجهم بقضاء الله الباقد ، وفق مشيئته المحجة - ليعلمهم أن من أتى الشفاعة من بابها فله أجرها كاملاً غير منقوص ، وافقت قضاء الله على لسان رسوله المعصوم صلى الله عليه وسلم ، أو خالفت ، وأن الغيب لله وحده ، لا ينبغي لأحد أن يتكلم عليه ، ولا أن يحتج به ... وأخيراً ليعلم الأمة والأئمة جميعاً خطر الشفاعة الحسنة وعظيم منزلتها ، حتى لا يجبن الأفراد والجماعات أن يتقدموا بها ، ولا يتعاضم الولاة والحكام أن يستمعوا إليها ، وحتى يكونوا جميعاً بنياناً قوياً يشد بعضه بعضاً ، وجسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر السهر والحى أو ما أحوج الحاكم والمحكوم إلى أن يكون بعضهم لبعض ناصراً وظهيراً ؟

طه محمد الساكنت

(١) في شرح المواهب اللدنية عن الوافدى أنهم كانوا أربعة وعشرين بيتاً قدموا مسلمين وجاءوا بإسلام من وراءهم من قومه .

الفتاوى

١ - التعاون مع الأعداء

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد : فما هو حكم الإسلام في زعيم قبيلة أو كبير عشيرة مسلم ، يتعاون مع حاكم غير مسلم يكيد لوطنه وقبيلته وعشيرته ؟ وما هو واجب المسلمين من بنى وطنه وعشيرته في معاملتهم لذلك الزعيم الذى انحرف عن جادة الحق ، وتسكر لوطنه وبنى وطنه المسلمين .

أفتونا في ذلك ، دام فضلكم .

والسلام عليكم ورحمة الله

المخلص

توفيق أحمد البكرى

المشرف على ركن السودان بالإذاعة المصرية

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد - فقد ورد إلينا كتاب يسأل فيه صاحبه عن حكم الإسلام في رجل مسلم يتزعم طائفة من المسلمين ، فيتصل بأعداء الإسلام : يواليهم ، ويمكن لهم في وطنه ، ويسهل لهم السيطرة والتسلط على قومه .

« وإنا نبين حكم الإسلام في ذلك مأخوذاً من القرآن الحكيم ، وسنة النبي العظيم .
 والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .
 قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا
 بما جاءكم من الحق » .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان .
 ومن يتولهم منهم ، فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم
 وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم
 من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي
 القوم الفاسقين » .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا
 آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

« الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبغون عندهم العزة ، فإن العزة
 لله جميعاً » .

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله
 في شيء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير » .
 وهذه الحالة المستثناة التي يتق فيها شر الكافر هي حالة الضرورة القاهرة ، وليست
 الموالة فيها موالة حقيقية قلبية ، وإنما هي مسالمة ظاهرية ، على حد قوله تعالى :
 « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » .

هذه الآيات البيّنات ، نهى الله المسلمين عن موالة الكافرين وموادتهم ، مبيناً أنه لا يجتمع
 الإيمان بالله وموالة أعداء الله في قلب واحد ، وأن العزة التي تبغى عند الكافرين هي ذلة
 يأبأها الإسلام لابنائهم المؤمنين ، وأن الأموال والمنافع التي تجرى من أيدي الكافرين
 إلى أيدي الذين في قلوبهم مرض عن يعدون في المسلمين ، هي أوزار وأحمال ثقالة تحبط
 الإيمان ، وتجر إلى الهوان .

والمسلم الذي يرضى لنفسه هذا الوضع الآثيم - فيصافى عدواؤه وعدوه ، ويتخذ له وحيه ، يذل له المعونة ، ويمكن له من السيطرة على مواطنيه وإذلالهم - خارج عن صف المسلمين ، داخل في زمرة الفاجرين الخاسرين ، يجب على عامة المسلمين أن يقاطعوه ، ولو كان من الآباء أو من الأبناء ، لأنه قطع الصلة التي بينه وبينهم ، ووصل نفسه بأعداء دينهم ، ولا صلة أقوى من صلة الدين ، فإذا انفصمت فقد انفصمت عروة القربى والنسب . وقد فهم الله رحم القربى بين نوح عليه السلام وابنه الذى خالفه وخرج على أمره حين قال له : يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين - قطع الله صلته به فقال تعالى : يا نوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح .

ولما تخلف نفر من أصحاب رسول الله ﷺ عن الجهاد فى غزوة تبوك ، أمر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه بمقاطعتهم ونبذهم إلى أن تابوا وقبل الله توبتهم ، وأنزل فى شأنهم قرآنا يتلى ليعتبر بهم غيرهم .

فإذا كان المتخلف عن ركب الجماعة ، قد حكم الشارع بنبذ ومقاطعته ، فما بالك بمن يخرج عن صفوف المسلمين ، ويقف فى صف أعداء الدين .

ولا سيما إذا كان زعيما أو كبير عشيرة ، له تأثير على أتباعه الضعاف ، فيعمل على تقويض بجمهم ، وتفريق كلمتهم ، وتمكين العدو من ديارهم ، وتهديدهم فى عقائدهم وتقاليدهم لا شك أنه يكون أشد إضرارا بالمسلمين من عدوهم الظاهر الذى اتخذ حيلة مكره وكيد وخداعه . ويجب على المسلمين مقاطعته ومكافئته ، وصدده عن عدوانه بكل وسيلة ، وفى كل سبيل ، لأنه ولى أمر عشيرته فخاها ، وعمل على إضعاف شوكتها ، وفهم عرى وحدتها ، والله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم ، وأنتم تعلمون ، ويقول الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .

وبهذا يتبين حكم الإسلام على الزعيم المسلم الذى يتعاون مع غير المسلم ضد أبناء دينه ، وكذلك حكم الإسلام على معاونيه وأتباعه .

نسأل الله العافية للمسلمين فى الدنيا والدين . والله الهادى إلى سواء السبيل .

شيخ الجامع الأزهر

٢ - شهادة الزور للوصول إلى الحق

وجاء إلى لجنة الفتوى ما يلي : -

رفعت دعوى على شخص أطلاله بحق ، فطلبت منى المحكمة إحضار الشهود ، ولما كان لا يعلم بصحة دهرأى إلا شخص واحد .

فهل يجوز لى أن أحضر شاهد زور (بحسب الظاهر) لتكيل نصاب الشهادة فى سبيل وصولى إلى الحق .

عبد المجيد حامد

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن إقامة شاهد زور لتكيل نصاب الشهادة ، حتى يصل من أقامه إلى ما يريد ، لا تجوز بحال من الأحوال ، ولا يبررها أن مقيم هذا الشاهد صاحب حق فى الواقع ونفس الامر ، والله أعلم .

* * *

٣ - حمل المصحف الشريف

رجل يحمل المصحف الشريف فى جيبه ، فى غدواته وروحاته ، ولا يفارقه .

فهل إذا دخل به المراض حرام مع تحفظه الشديد بوضعه داخل قطعة قماش نظيفة .

سليم السباعى

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه لا يجوز على مذهب الحنفية أن يدخل الشخص المرحاض ومعه المصحف الشريف . ولكن نص المالكية على جواز هذا الدخول ، إذا كان حامل المصحف قد اتخذ حرزاً له ، أو خاف ضياعه لو تركه في الخارج ، بشرط أن يكون المصحف بسائر يصونه عن وصول القذر إليه . والظاهر موافقة باقي الأئمة للمالكية في جواز دخول بيت الخلاء بالمصحف ، إذا خيف عليه الضياع بالشرط المذكور . فهذه الصورة تكون حبيطة مستتاة عند الحنفية من إطلاق قولهم بتحريم ذلك ، والله أعلم

٤ - هل على السجين زكاة

هل على السجين زكاة ، وإذا وجبت فن الذي يخرجها ، وفي أى مكان تخرج ؟ أرجو الإجابة .

فؤاد عبد الرحمن

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن السجن لا يمنع من وجوب الزكاة ، ففى توافرت شروط وجوبها على شخص وجبت ، وعليه أن يؤديها بنفسه أو بوكيل عنه لأهل بلده ، وإذا أداها لغيره من الفقراء جاز ، ولكن الأفضل أن يصرفها لفقراء المكان الذى فيه المسال ، ولا ينقلها منه إلا لقريب أو أحوج أو أصلح أو أنفع فى غير بلد المال .

أما صدقة الفطر فالظاهر أن الأفضل للسجين أن يصرفها لأهل بلده . والله أعلم .

٥ - صلاة الجمعة بدون خطبة

اعتماداً على استماعها في اللذباغ

جرت عادتنا أن نحضر « الراديو » بالمسجد يوم الجمعة ، لسماح الخطبة التي نذاع به عادة ، ثم نصلى الجمعة بدون خطبة .

وقد أنكر علينا ذلك بعض أهل العلم ، مدعياً أنه لا بد أن يخاطب فينا خطيب خاص . نرجو الإفادة .

إبراهيم على إبراهيم

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلمت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن ما قاله بعض العلماء المشار إليه في السؤال من أن صلاة الجمعة بدون خطبة في نفس المكان الذي فيه الصلاة اعتماداً على سماع خطبة في مكان آخر بطريق المذياع باطلة ، وتجب إعادتها - ما قاله هذا البعض هو الصحيح الموافق للشرع ، ويجب على من فعل ذلك ألا يعود إليه . والله أعلم .

* * *

٦ - تعدد الجمعة في بلد واحد

رجل يصلى الجمعة خلف الإمام بمسجد صغير ، وبمجرد خروج الإمام من الصلاة يقيم جماعة لصلاة الظهر ، ويدعم أنه شافعى ، وأن الجمعة لمن سبق ، ولا بد له من صلاة الظهر بتلك الهيئة التي تقوت وتضيق على المصلين سماع الموعظة من الإمام ، وختم الصلاة والاستغفار وغير ذلك . نرجو الإفادة .

عמוד مرزوق

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتقيد بأنه إذا تعددت الجمعة في بلد واحد
وكانت الحاجة ماسة إلى هذا التعدد ، لضيق بعض مساجد البلدة عن أن يتسع لأهلها ، فإنها
تكون صحيحة في كل مساجد البلدة ، سواء السابق منها واللاحق ، ولا تجب إعادتها ظهراً حتى
على مذهب الإمام الشافعي ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم ؟

• • •

٧ - حكم التبنّي

عثر أجنبي مسيحي على طفل حديث الولادة ، ومعه ورقة مكتوب بها اسم إسلامي
وبعد الإجراءات المعتادة أقر هذا الرجل على نفسه أمام قنصليته أنه تبني هذا الغلام ، ومنحه
اسم عائلته ، وجرده من اسمه الأصلي ، فأصبح الغلام مسيحي الديانة . ثم مرت الاعوام
وتكرر الرجل للغلام - فما حكم هذا التبنّي - وهل يجوز رفع دعوى حسيبة بهذا الشأن ؟

سيد بغدادى المحامى

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتقيد بأن التبنّي على الوجه المفهوم من
السؤال ، لا يجوز في نظر الإسلام ، ولا تثبت به بنوة الولد المتبنّي لمن تبناه ، بل لا يزال هذا
الولد أجنبياً منه ، ليس عليه ما يجب على الولد لأبيه من الحقوق ، وليس له على من تبناه شيء
من حقوق الأبناء على الآباء . قال الله تعالى : « وما جعل أديعائكم أبناءكم ذلكم قولكم

بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل، ادعوم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعملوا آباءهم فإخوانكم في الدين ، أى فهم إخوانكم في الدين، فادعوم إخواناً ما دام لم يعرف لهم آباء . والولد في نظر الإسلام مسلم من حيث نشأته ، وعليه أن يتقدم إلى المحكمة الشرعية ليسجل إسلامه في سجلاتها ، حتى لا يكون لمن تبناه سلطان عليه .

ويجب على المسيحي الذى تبناه أن يبين الحقيقة بالنسبة لهذا الولد ، ويخل سبيله ليسجل إسلامه كما قلنا . وأما رفع قضية حبة في هذا الموضوع فهو أمر يرجع فيه إلى نظام القضاء الشرعى . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

تهنئة للأستاذ الأكبر

بمناسبة اختيار فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخا للجامع الأزهر ، أرسل إلينا الأستاذ محمد طاهر حسين البان المدرس بمعهد دمياط قصيدة صماء ، نقتطف منها ما يلى :

حزت العلوم قديمها وحديثها	ولانت غمر الباحثين الأكبر
نرجو الحياة قوية وعزيرة	لا ترضى ضمنا يذل ويقهر
نرجو لأزهرنا صلاحا شاملا	حتى يعود له الصباح المسفر
فاسلك بنا النهج السديد لغاية	يسمو إليها سابق ومظفر

موقف الاسلام من التغيرات التي يمر بها العالم حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

حضر إلى إدارة الأزهر لمقابلة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر، شيخ الجامع الأزهر الأساتذة : هاني المان . فرنسيس ج . جولدنج . الكونت جيرارد رنسون . المر هانز جورج جازنز ، من جماعة التسليح الخلق العالمية .

وطلبوا من فضيلته أن يتحدثهم عن مبادئ الإسلام وموقف تعاليم الإسلام والمسلمين إزاء التغيرات التي يمر بها العالم اليوم ، وما يلاحظ من التحول عن الناحية المادية إلى الاتجاه الروحي والخالق ، وبينوا أن في شعوبهم اتجاها لهذه الناحية .

فحدثهم فضيلة الأستاذ الأكبر عن الإسلام حديثاً مستفيضاً ، شرح به مبادئ الإسلام القويمة ، وتعاليمه السامية ، وبدأ حديثه بقوله :

« أنا شاكر لكم هذه الزيارة الكريمة ، ومسروور بها كل السرور ، لأنها تدل على أنه لا يزال في الناس من يعنى بتأكيد الروابط بين الأمم وبين مصر وعلى الخصوص الأزهر ، بكامعة ثقافية عالمية ، تنشئ أبناء المسلمين على مبادئ الإسلام السليمة والثقافة العلمية الصحيحة .

ومن ناحية واجب الأزهر ودراساته الدقيقة ومبلغ تأثيره بالنواحي الخلقية : فالإسلام جاء بأمرين عظيمين :

الأول الأساس فيه عبادة الله وحده ، وتقديسه وحده ، وألا يعترف بكائن من كان بالاشتراك فيما يستحقه من هذا التقديس .

فالمسلم لا يعبد إلا الإله الواحد ، ولا يقدر إلا الإله الواحد ، ولا يجوز لإنسان أن يذل لإنسان آخر ، لأنه مثله في الإنسانية ، ولا يحق لأحد أن يقدر أحداً آخر ، لا أميراً ولا ملكاً ، ولا رئيساً ، فإن الله هو الخالق ، والتقديس واجب له وحده .

هذا الأساس وهو أساس التوحيد الصحيح إلى جانبه جاءت مبادئ تنظيم علاقة الإنسان بالله الذي يستحق وحده هذه العبادة وهذا التقديس ، وإلى جانبه مبادئ أخرى لا تقبل التغير ولا التبديل ، وهي المبادئ الخلقية : من الصدق ، ومعاونة الضعيف ، والوفاء بالوعد ، وحسب العمل النافع المنتج ، والحث على النظام والتعاون والمواخاة ، والعمل على استئثار الأمن والسلام في جميع أنحاء العالم . هذه المبادئ في مجموعها هي الأساس الثاني . والمسلم أخو المسلم في كل البقاع ، ومصر فيها مسلمون وغير مسلمين ، والسكل أمام الإسلام في الحق وفي الواجب سواء .

والإسلام روحه حب السلام ، والعمل على تمكين روابط المحبة والألفة والتعاون بين الناس ، وهو يرمى دائماً إلى نشر السلام في بقاع الأرض . والإسلام لا يحب العدوان ، وفي جميع الحالات التي اضطر فيها المسلمون في عهد رسول الإسلام إلى أن يستخدموا القوة لم يكونوا بادئين بعدوان ، بل كانوا دائماً يعملون على الإقناع بالحق ، وبالحجة من طريق السلام .

والمسلمون في ذلك العهد ، وتحت زعامة الرسول ﷺ ، كانوا في حالات استعمالهم القوة مضطرين كل الاضطرار ، وكان يكرههم الأعداء المحييطون بهم لإكراهها بالغ الحد على أن يستخدموا هذه القوة التي لا بد لهم من استخدامها ، ليردوا عن أنفسهم وعن وطنهم وعدوان أولئك المعتدين عليهم .

والإسلام لا يأخذ الناس بادية الأمر بالشدّة والقوة ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى (لا إكراه في الدين) (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) .

كان إكراه أعدائهم لهم في استعمال القوة على ألوان مختلفة : مرة بمحشد الجيوش والقوات لمحاربة المسلمين ، والإحاطة بهم من كل جانب ، وكان مرات كثيرة أخرى بالحيولة بين الدعاة إلى السلام من أهل دين الإسلام وبين أن يقوموا بواجبهم الديني في التعليم والتثقيف ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده وعدم تقديس غيره ، والدعوة أيضاً إلى نبذ الأخلاق الفاسدة ، والعادات الذميمة ، والظلم ، وعدوان الناس بعضهم على بعض ، كانوا يحولون بين الدعاة وبين غاياتهم التي لا يقصدون من ورائها حرباً ولا تسلطاً ولا استعماراً ، ولكنهم كانوا يقصدون بها إنقاذ الناس من الجاهلية ومن فوضى الأخلاق ، ومن جميع العادات والتقاليد التي لا يرضاهم الدين لعباد الله .

الإسلام حينما يراد بأهله الشر والظلم والظفر والجور ، فإنه لا يميز في هذه الحالة الضعف والاستكانة والتزام خطية الذلة ، وإنما يأمر أهله بالدفاع القوى ، والاستبانة في هذا الدفاع ، لا يفرق في هذه الحالة بين معتد ومعتد . وعلى درجات هذا العدوان ، وبحسب تفاوتها يكون كفاح المسلمين وجهادهم وتعاونهم لرد ذلك العدوان .

والإسلام لا يحابي ولا يمارى . ومبادئه يجب تنفيذها على كل إنسان من أهله . ومن يرتكب مخالفة أو جريمة ، فإنه لا يعفيه من المؤاخذه قرابته لصاحب جاء أو نبي أو رسول من رسل الله ، فقد قال في ذلك رسول الله ﷺ ما معناه : لو أن فاطمة بنته سرقت لآخذها بالعقوبة كما يأخذ غيرها ممن يرتكب هذه الجريمة .

الإسلام يأمر أهله بالعمل للدين والدنيا معاً ، وليست تعاليمه مقصورة على أوامر الصلاة والزكاة والصيام والحج وما إلى ذلك من أنواع العبادات والطاعات ، وإنما يأمر أهله ويحثهم حثاً قوياً شديداً على العمل للدنيا ، لتعميرها واستثمار ما فيها من قوى ، والانتفاع بما في الأرض من ذخائر وكنوز ومعادن ، وما إلى ذلك .

فالاعتصار على النوع الأول وهو العبادة ، يعتبره الإسلام رهبانية وهو لا يميزها للمسلمين كنظام عام ، فإن من المبادئ المحركة في الدين الإسلامى ، أنه لارهبانية في الإسلام .

وفي النوع الثانى الذى يطلب به العمل للدنيا يحذر من التهالك على هذه الدنيا إلى درجة تضعف القيام بالواجب الأول ، فإن هذا مذموم أيضاً لأنه يسبب طغيان المادية على المعانى الروحية السامية ، التى لا بد للإنسان منها ، والتى لا يستطيع العالم أن يعيش فى سلام بدونها . وقد أخذ الإسلام فى هذه الناحية ناحية العمل الدنيوى بنظام يمكن أن يعبر عنه بأنه نظام اشتراكى ، ولكنه نظام اشتراكى انفرد به الإسلام ، فهو لا يسخر المجموع لمصلحة فرد ، ولا يقنى جهود الفرد لأجل المجموع ، وإنما يحرص على أن يكون للفرد كيانه وقوامه وحرية التى يحافظ معها على حرية غيره ، ثم هو مع ذلك يحتم عليه أن يقوم للمجموع بنصيب عظيم من جهوده . وهذا هو أساس نظام الزكاة فى الإسلام ، فإنه يفرض على أهل الثروة والغنى أن يكون لغيرهم من الفقراء والضعفاء نصيب وحق فى أموالهم ، ولكن ذلك بنسبة خفيفة لا تؤثر على الغنى فى ماله ، وهى فى الوقت نفسه تقوم بمصالح الفقير الضعيف

هذه النسبة قدرها الإسلام بحزم من أربعين جزءاً ، من الثروة في كل سنة ، فالإسلام لا يذهب مذهب المادية ، ولا مذهب الرأسمالية العنيفة ، ولا مذهب الشيوعية ، ولا مذهب الاشتراكية المتطرفة ، ولكن نظامه في هذه النواحي هو نظام الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط .

هذه نبذة صغيرة من تعاليم الإسلام وأخلاقه ، ومصر بوجه عام ، والأزهر بوجه خاص يرحب بكل دعوة تدعو إلى نشر الفضائل والأخلاق الجميلة التي انعكشت في عصرنا الحاضر عند غالب الأمم ، لتأثير الناحية المادية وتقلبها وطفانها على النفوس .

وأنا أكرر لحضرات الزائرين عظيم سروري وارتياحي لزيارتهم . وفوق ذلك قد سرتني كل السرور أنهم من دعاة هذه الفكرة ، ففكرة العمل على نشر مبادئ السلام والمحبة والأخلاق الفاضلة بين جميع الناس ، لا فرق بين أهل قطر وقطر ، وأمة وأمة ، فإن هذه الفكرة التي يقومون بالعمل في سبيلها ، هي جملة ما يدعو إليه الإسلام وتعبير صادق عن مهمته .

وأرجو أن تتعاون الجهود في جميع الدول على تحقيق هذه الفكرة الصالحة الرشيدة ، ونحن نستمع في ذلك بقوة الله وعنايته .

وتأكيداً لسروري لهذه الزيارة أحب أن أقول : إن لي كتاباً صغيراً يعالج بعض هذه الشؤون من وجهة نظر الإسلام ، هو الآن تحت الطبع ، وسيتم طبعه قريباً ، وسأعمل على أن أهدى إلى حضرات الأعضاء في مركزهم العام بجنيف نسخاً منه ، ورجائي أن يتقبلوه رمز محبة ومودة ومناصرة لهم على عملهم الجميل .

الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ

- ٤ -

ومن المخلوق المكذوب ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى : « وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله » الآية (١) . فقد روى عن قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بيت زيد بن حارثة فرأى زينب بنت جحش في زينتها ، وفي رواية أن الريح كشفت عن ستر زينتها ، فرآها في حسنها ... فرجع وهو يقول : سبحان الله العظيم ، سبحان مقلب القلوب . فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله ، فذهب إليه زيد وقال : بلغني أنك أتيت منزلي ، فها دخلت يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتك فأفارقها ، فقال له رسول الله : أمسك عليك زوجك واتق الله ، فزلت الآية .

وقد ذكر هذا السبب الجلال المحلى وفسر الآية على ذلك ، وذكر مثله الوخشري والنسفي وابن جرير والعلبي وغيرهم ، إلا أن ابن جرير ذكر بجانب هذا الباطل رواية أخرى تتفق هي والواقع والحق ، وذكر مثل هذه الروايات - التي ليس لها شاهد من نقل صحيح ولا عقل - غفلة شديدة ، وإن كان من أبرز السند تبعته أخف . وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم متهم بالكذب والتحديق بالفرائب ورواية الموضوعات ، ولم يذكر هذا إلا المفسرون والأخباريون المولعون بنقل كل ما وقع تحت أيديهم من غث أو سمين ، ولم يوجد شيء من هذا الباطل في كتب الحديث ودواوينه المعتمدة ، والذي جاء في الصحيح يخالف هذا : روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن هذه الآية « وتحنق في نفسك ما الله مبديه » نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة . واقتصر على هذا القدر ، ولم يذكر شيئاً من هذا الخلط . وقال الحافظ بن حجر في الفتح (٢) بعد ما ذكر رواية قتادة : « ووردت

(١) سورة الاحزاب الآية ٣٧ (٢) فتح الباري ج ٨ ص ٤٢٥ .

آثار أخرى أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير الطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها. وما أورده هو المعتمد، وهي شهادة لها قيمتها من الحافظ ابن حجر، وهو من المتشددين في الحكم بالوضع أو بعدم الثبوت. والذي أورده هو ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق السدي في هذه القصة فساقها سياقاً واضحاً حسناً ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه بعد، أنها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر زيدا بطلاقها، وكان بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله، وكان يخشى أن يعيب عليه الناس ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدا، وهذا هو السبب الصحيح المعتمد وما ينبغي أن تفسر به الآية.

وروى ابن أبي حاتم أيضاً والطبري عن علي بن الحسين بن علي قال: أعلم الله نبيه أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يزوجه، فلما أتاه زيد يشكوها وقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك. قال الله: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه.

وزواج النبي ﷺ بزینب، إنما كان لحكمة عالية وتشريع حكيم. ذلك أن العرب كان من عاداتها المتبني، وكانت تلحق الابن المتبني بالعصب في الميراث، وحرمة زوجته على من تبناه، كما كان كبيراً عندهم أن تزوج بنات الأشراف من موال، وإن عتقوا وصاروا أحراراً. فلما جاء الإسلام كان من مقاصده أن يزيل الفوارق بين الناس التي تقوم على العصبية وحمية الجاهلية، فالتناس كلهم لآدم وآدم من تراب، وأن يقضى على حرمة زوجة الابن المتبني. وقد شاء الله أن يكون أول عتيق يتزوج بشريفة في الصميم من قريش هو زيد ابن حارثة، وأن يكون أول من يبطل عادة حرمة زوجة الابن المتبني هو رسول الله ﷺ، وقد كان ما أراد الله، فرسول الله ﷺ يخاطب زينب لزيد فتأني ويأني بعض أهلها، فينزل الله: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، فتذعن زينب ويتزوج بها زيد. ولكنه وجد منها تعاضلاً فيرغب في فراقها ويستشير رسول الله ﷺ فينصحه بإمسакها، وكان جبريل عليه السلام أخبر رسول الله ﷺ بأن زينب ستكون

زوجا له ، وسيظل الله بزواجه بها هذه العادة . ولكن النبي ﷺ وجد غضاضة على نفسه أن يأمر زيداً بطلاقها ثم يتزوجها بعد ، فتشيع المقالة بين الناس من أعدائه ، وهو في دعوته إلى دين الله أحوج إلى التأييد والسلامة من إرجاف المرجفين . فهذا المقدار من خشية الناس ، حتى أخفى ما أخبره الله به - وهو نكاحها الذي أظهره الله فيما بعد - هو ما عاتبه الله عليه ، وقد صرح الله سبحانه بالسبب الباعث على هذا الزواج فقال : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » فهذا هو التفسير الذي يوافق نص الآية والروايات الصحيحة المعتمدة .

وقد نسج المستشرقون والمبشرون من تلك الروايات المختلفة ثوبا من الكذب والخيال ، وصوروا السيدة زينب وقد رآها النبي الطاهر ، كما يصور الرجل الخيالي إحدى غادات المسرح ، وأطلبوا في ذلك ما شاء لهم خيالهم أن يظنوا ، وظنوا بذلك أنهم نالوا من الإسلام ونبيه . وهم في ذلك واهمون ، فقد طعنوا في غير مطعن ، وبنوا على غير أساس ، فما اعتمدوا عليه من الروايات أوهى من بيت العنكبوت ، وما هي إلا دسيسة دسها أسلافهم من أعداء الدين في غابر الأزمان .

وثمة حجة دامغة تذهب بالقصة المختلفة من أساسها ، فالسيدة زينب هي بنت عمته ، وقد ربيت على عينه ، وله بحكم صلة القرابة معرفة بها وبجملاتها ، ولا سيما والنساء كن يدين من محاسنهن في الجاهلية ما حرم الإسلام منه بعد ، وهو الذي خطبها على زيد مولاه وكرر الطلب حتى استجابت له ، فغير معقول - والحال كما ذكرت - أن لا يكون شاهدا . فلو صح ما يزعمون ، فأى شيء كان يمنع النبي عليه الصلاة والسلام من زواجها ، وإشارة منه كانت كافية لأن يقدمها أهلها له وما ملكك من رغبة ورضى ، ومن بعد ذلك لحياة رسول الله من صباه إلى كهولته ترد هذه القرية .

ما عرفت الدنيا أظهر ذبلا منه ولا أعف ، ولا لمست يده قط امرأة لا تحل له . ولو كان رسول الله صاحب هوى أو صبوة لاشبع رغبته وهي في ميعة الشباب أيام أن كان الغيد الكواعب من بنات الاشراف تشرتب أعناقهن إلى أن يكن حليلات له ، ولكنه قضى شبابه مع سيدة تنامز الأربعين عاما ورضيها زوجا له حتى توفاهما الله ، ومهما قيل في جمال السيدة خديجة فهناك غيرها من الأبنكار الثابات كن يفقها في الجمال ، وللأبنكار ما لمن من جاذبية وروعة ، ومن جادل في ذلك فقد خالف سنة الله في الفطرة .

ولم يكن زواج رسول الله بزواجه إلا لحكم ومقاصد سامية : فزواجه بالسيدتين عائشة وحفصة تأكيد للعلاقة بينه وبين وزيريه ، وزواجه بالسيدتين سودة وزينب بنت خزيمة تكريم لها وللعقيدة في شخص زوجيهما ، وزواجه بالسيدة أم سلمة جبر لكسرها وتمويض لها عن فقد عائنها ، وقد كان من خيار المسلمين ، وزواجه بالسيدة زينب بنت جحش لإبطال هذه العادة الجاهلية كما صدع القرآن . ويطول بي القول لو استقصيت الحكم في زواجه ﷺ ، فذلك مقام آخر .

والعجيب من هؤلاء الطاعنين إذا وقعوا على ما يشقى غليلهم من باطل الروايات ، تبادوا في قلب الحقائق ، وأنكروا عقولهم ، وتجاهلوا الظروف والملاسات ، والبيئة وأحكامها ، وسنن الله الفطرية في الكائنات ، بينما يطيشون في الحكم على روايات في غاية الصحة بأنها موضوعة ولا حامل لهم في الحالين إلا الهوى والتعصب والحقد الدفين للإسلام ونبيه .

* * *

ومن الموضوع ما يذكره غالب المفسرين في سبب نزول قوله تعالى في سورة الإنسان « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتياً وأسيراً » ، فقد روى عن ابن عباس أن الحسن والحسين مرضا فعادهما جدتهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقالوا لعل كرم الله وجهه : لو نذرت على ولدك ، فنذر على والسيدة فاطمة وجارية لها إن شفيا أن يصوموا ثلاثة أيام شكراً لله ، فألبس الله الغلامين ثوب العافية ، فاستقرض سيدنا على ثلاثة أصع لجاء بها ، فقامت السيدة فاطمة إلى صاع فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص على عددهم ، فوقف بالباب سائل فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا مسكين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة . فأثروه وبأنوا لم يذوقوا شيئاً . وفي اليوم الثاني جاء يتيم فأعطوه الأقراص الخمسة أيضاً . وفي اليوم الثالث جاء أسير ففعل مثل الأولين فأثروه . وقد اشتمل الخبر على شعر ركيك (١) .

فهبط جبريل على النبي ﷺ وقال : خذها يا محمد ، هناك الله في أهل بيتك . وأقرأه « هل أتى على الإنسان » السورة . ويكاد لم يسلم تفسير من ذكر هذا الخبر - وقد ذكره الحافظ السيوطي في الدر المنثور مع أنه وافق على وضحه في الآلى . وقد نبه على أن هذا

(١) انظر تفسير القرطبي جزء ١٩ من ١٢٩ وما بعدها لتري هذا الشعر القبيح يكاد ينطق بالاختلاق .

السبب مختلق الحكيمة الترمذى وابن الجوزى والحافظ ابن حجر فى التخرىج وقال : « آثار الوضع لائحة عليه لفظاً ومعنى . فبناء سيدنا على بالسيدة فاطمة كان بالمدينة فى السنة الثانية ، مع أن السورة مكية كما روى عن ابن عباس والجمهور ، فليس من المعقول أن يكون هذا هو السبب .

ومن العجيب أن الإمام الألويسى قد حاول التكلف لإثبات هذا السبب بأن السورة مختلف فى مكيتها ومدنيتها وبأن ابن الجوزى متساهل فى الحكم بالوضع ، وقد سمعت آنفاً أن ابن الجوزى لم يفرد بذلك بل قد وافقه على الحكم بالوضع أئمة كبار ، وأن ابن عباس الذى روى عنه هذا السبب المكذوب بمن يقول بأن السورة مكية ، فكيف يعقل هذا الخلط من حجر القرآن ١١٩ الحق أن هذه الرواية أثر من آثار التعصب الطائفى لسيدنا على وآل بيته ، ونحن لا ننكر فضل على وآله ، ولكن فى الأحاديث الصحيحة الثابتة غيبة عن هذا المختلق المصنوع .

• • •

ومن ذلك ما يذكره بعض المفسرين فى سبب نزول قوله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » السورة . قال السيوطى فى الدر المنثور : أخرج الترمذى وضعفه ، وابن جرير والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل ، عن يوسف بن مازن الرؤاسى قال : قام رجل إلى الحسن ابن على بعد ما بايع معاوية فقال : سددت وجوه المؤمنين . فقال له : لا تؤنبني رحمك الله فإن النبى ﷺ رأى ابن أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت : « إنا أعطيناك الكوثر » ونزلات : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد . وقد قال فى هذا السبب ابن كثير : « إنه منكر جداً ، وحكم بطلانه أيضاً ابن جرير فى تفسيره حيث قال بعد ما ذكر هذا الحديث فى جملة أقوال ذكرها « وأشبه الأقوال بظاهر التنزيل من قال : عمل فى ليلة القدر خير من عمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . وأما الأقوال الأخر فعمان باطلة لا دلالة عليها من خبر ولا عقل ، ولا هى موجودة فى التنزيل » (١) .

(١) تفسير الطبرى جزء ٣٠ ص ١٦٧ .

وهذا الحديث المزعوم معناه غير صحيح ، فإن السيد معاوية رضى الله عنه استقل بالملك سنة أربعين ، واستمر ملكهم إلى سنة ١٣٢ لم يخرج عن ملكهم إلا الحرمان والأهواز مدة ابن الزبير وهى تسع سنين . وخروج بعض الجهات عن ملكهم فى هذه الفترة لا يكون مبرراً لإقصاها فدتهم إذن اثنان وتسعون عاماً وهى أكثر من الألف . ولو سلنا إنقاص مدة ابن الزبير فالباقي لا يوافق الألف وإن كانت تقرب منها ، فعلى أى حال حلتاه فعناء غير صحيح ، مع أن لوائح الوضع ظاهرة عليه ، والترمذى قال فيه « حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم وهو ثقة وشيخه مجهول » وهل البلاء يأتى غالباً إلا من المجاهيل ؟

ومما يؤمن هذه الرواية ويدل على اختلاقها أنها سيقت لدم دولة بنى أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم ، لا يدل على ذم دولتهم ، وأيضاً فإن ليلة القدر شريفة ، والسورة الكريمة نزلت لبيان شرفها ، فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية وهى مذمومة بمقتضى هذا الحديث المزعوم ، فالحديث لا يعطى ما أراده الواضع من ذم أيامهم ، كما يعارض ما دلت عليه السورة من شرف هذه الليلة مما لا ينبغي أن يختلف فيه اثنان ، وقديماً قيل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من المعنى

ثم إن السورة ، مكية والخبر إنما صنع بالمدينة اتفاقاً ، فكيف يعقل أن يكون هذا سبب النزول ؟ الحق أن هذا اختلاق ، والتكلف لإثبات مثل هذا ليس من الدين فى شيء ولا يتفق وقواعد البحث العلمى النزيه .

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

البيانات

قال ابن حطاط :

يأسف المرء على ما فاته	من لبيانات إذا لم يقضها
وتراه ضاحكاً مستبشراً	بالتى أمضى كأن لم يمضها
إنها عندي كأحلام الكرى	لقرب بعضها من بعضها

مَحَبَّةُ الْآدَابِ وَمَا هُوَ السَّبَبُ ؟

لا شك أن الآداب في محنة ، ولا شك أن الآداب كذلك في محنة . ونعني بالآداب ذلك الإنتاج الفني الرصين الذي يعبر عن خواج النفوس ، ولوعات القلوب ، وغرائب الحوادث ، ومبتدعات الفن والحضارة ، في ثوب أنيق ، وأسلوب رشيق ، وتشبيه دقيق ، واستعارة رائعة ، وخيال مقبول ، ولا نعني به ذلك الإنتاج المبتذل الرخيص المهلهل الفسج ، الذي رصفت عباراته في غير انسجام ، كما يرصف العطار الساذج بضاعته في غير ترتيب ولا نظام ، فيمنع الخل بجانب العسل ، والسهم بجانب الخردل ، والسكر بجانب الخنظل ، وما إلى ذلك مما يدل على انعدام ملكة الذوق وفضيلة الانسجام .

ونعني بالآداب أولئك الذين يدركون ما في ذلك الآداب من جمال ، ويتذوقون ما فيه من فوق وإبداع ، ويطالعونك به في كتب فنية ، أو رسائل إنشائية ، أو دواوين شعرية . أما الآداب أو كتب الآداب التي تطالعك بها المطابع في كل شهر ، ويحملها إليك باعة الصحف فليست من موضوع حديثنا ، وليس من موضوعه كذلك مؤلفوها الذين يظنون أنهم ينتظمون بذلك الإنتاج السوقي في سلك الآداب .

وتتمثل محنة الآداب في ندرة ما يظهر فيه من كتب . ونستطيع أن ندس ذلك في يسر خصوصاً في الربع الثاني من هذا القرن . وإنه ليعيبك أن تعد من هذه الكتب ما يبلغ أصابع اليد ؛ وكـم من الكتب في متور الآداب تستطيع أن تذكره بعد كتب المنفلوطي ؟ وكـم من دواوين الشعر تستطيع أن تذكره بعد ديواني شوقي وحافظ ؟

وتتمثل محنة الآداب في انصراف القراء عن قراءة الآداب ، وعدم تشجيعهم الآداب بالإسهام في اقتناء كتبهم ، والتنويه بمجهوداتهم .

وقد كثر الحديث عن محنة الآداب والآداب ، ومحاولة تعرف الأسباب في تلك المحنة ، وذهب المتحدثون في ذلك مذاهب مختلفة ، فحاول بعضهم أن يلقي مسئوليتها على القراء ، وحاول بعضهم أن يلقيها على الآداب ، وقد يكون من أسباب ذلك اشتغال القراء عن

الأدب ، لشئونهم الخاصة وشئونهم العامة التي تتصل بمعاشهم ، مما لا يدع فرصة للإقبال على الأدب والتوفر على قراءته . والأدب عند أكثرهم ترف ثقافي يلوذون به عند فراغ البال ، واستقرار الحال ، وصفاء الخاطر ، وهبات أن يتوافر ذلك وقد ثقلت على الناس أعباء الحياة ، وهموم العيش .

وقد يكون من أسباب ارتفاع أسعار الكتب ارتفاعا يصعب احتماله على جمهرة القارئین .

ولكن السبب الحقيقي فيما نظن وراء ذلك ، وهو مزاحمة المتأدين للأدباء ، ومحاولتهم أن يخطوا إلتاحهم الغث الرخيص بالثمين الغالي من إنتاج هؤلاء ، معتمدين في ذلك على الدعاية بوسائل لا تليق بالأدب ولا الأدباء ، وتظاهروا على أهدافهم فوضى الالتساب الأدبية ، فهذا الأختل ، وذاك حسان ، ومالك متفي الزمان ، إلى نحو ذلك من اغتصاب الموقى ألقابهم وأسلاهم ، دون وازع من حياء ، أو ذاجر من ضمير .

لقد طغى المتأدون على الأدباء ، وزاحت كتبهم ودواوينهم كتب ودواوين هؤلاء ، وقد يظهر في عالم التأليف مؤلف لبعض المتأدين لم تعرف منزله الأدبية ، وتقبل على شرائه وقراءته مخدوعاً بالإعلان عن الكتاب وعن ألقاب صاحبه ، فإذا قرأته وقعت منه على ساقط من القول ، ومردول من الكلام ، وراعك منه تهاقت الأسلوب ، واضطراب الخيال ، وخروج بالشعر والنثر عن جادة الأدب وعمّا تذوقته منه في كتب الأدب الرفيع ، ويكون من نتيجة ذلك أن تكره الأدب وتبغض الأدباء ، وتأخذ البرى بجمرة المذهب ، وتتصرف نفسك عن كل ما يظهر من كتب ، ويسوء ظنك بالأدب والأدباء ، وتركد همتك عن الاستزادة من الثقافة الأدبية الجديدة مهما كان مصدرها .

ولست أقول ذلك جزافاً أو تحنيا على المتأدين ، ولعل أعبأ عما يشعر به كثير من القراء ويحسون بغضاخته ، ويأسفون على ما وصلت إليه حالة الأدب والأدباء الآن .

وما هي ذى المؤلفات الأدبية وهي كثيرة وكثيرة ، فكم منها ما يستحق أن ينظم في كتب الأدب ؟ وكم منها ما هو جدير بالخلود كما خلدت كتب الأدب الراقى ؟ . وهل لنا أن نستقى عشرة من أدبائنا المعروفين في الكتب التي ظهرت مثلاً في عشر السنين الأخيرة

أزى كم منها ما يظفر بإجماع هؤلاء على تقديره ؟ وما لنا نستغنى وقد أتى بجمع اللغة في مسابقة قدمت فيها مئات الكتب فلم يظفر بتقدير المجمع منها إلا كتابان فيما نظن .

إنه بين أيدينا دواوين حديثة لشعراء تردد الصحف والمجافل أسماءهم ، وبزهي أصحابها بألقابهم ، ويدعون بالمجددين ، لأنهم كثيراً ما أنكروا على المتقدمين من الشعراء متأهجين في الشعر ، وشكوا غموض معانيهم ، وبعد تشبهاتهم ، وتعميد أساليبهم ، وجذب خيالهم ، وإغراقهم في المقابلة والجناس والطباق ، وما إلى ذلك من أنواع البديع ، ونعوا عليهم قطفهم في معانيهم وأغراضهم ، وانعدام الروح الشعرية في شعرهم ، حتى فقد تأثيره في نفوس السامعين ، وليس له من سمات الشعر إلا النظم حسب .

لو شئنا لعرضنا على القارئ مقتطفات من أي ديوان شاء ، وفي أي غرض من الأغراض ، لينظر كم ترك هؤلاء المجددون بما أنكروه على الشعراء المتقدمين ؟ وما هو الجديد من الأخيلة والتشبيهات ، وما هو المحاكى به ، وحاشاى أن قول : المصروق أو المستعار ١١ إنما لو قلنا لكل تشبيه أو تخيل : عد إلى مكانك من شعر السابقين ، لاصحت صفحات من تلك الدواوين بضاء لا تسر الناظرين .

ولولا أن تضيق صفحات مجلة الأزهر بما يضيق به صدرى ، لانطلق قلبي بعرض الشواهد على ما أقول ، وإياها لكثيرة وكثيرة ؟

أبو الوفا المرافعى

المروءة

رفع رجل إلى أمير المؤمنين في ذنب اقترفه ، فأراد معاقبته ، فأخبر أن له مروءة فقال : « استوهبه من صاحبه » .

اتفاق النخاط في الشعر عرض وموازنة

من آيات عظمة الشاعر ، وعلامات قدرته الفنية ، إعجاب الشعراء به ، وتقديرهم لمعانيه . وقبلهم لأساليبه ، واستعارتهم أفكاره ، وإلهامهم بأخيلته ، وكلما كان الشاعر أكثر تأثيراً في نفوس الشعراء وإلهامهم ، كان ذلك أدل على حظه من القوة ، ونصيبه من التوفيق والبراعة . فإن الأرض لا تفرح ، والروض لا يزهر ، إلا حين تستمد الحياة من الغيث المنسجم ، والسحاب الهامى .

وكذلك كان الشاعر العباسي الحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس . فتح للشعراء مغاليق القول ، وفق لم عن جيد المعاني وبارع الأفكار ، حتى قيل فيه : كأن المعاني حبست عليه فأخذ منها حاجته وفرق الباقي على الناس ^(١) .

وقال أبو حاتم : كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس فاستخرجها ^(٢) . ولقد أقبل الشعراء بعده على آثاره ، فأخذوا منها ، وانتفعوا بها ، واستلهموها كثيراً من معانيهم وأفكارهم ، حتى كان أبو تمام يستعمل معانيه في شعره وفي خطابه وكان يسميه الأستاذ والحاذق .

وفي وفيات الأعيان ^(٣) قال علي الرازي : رأيت أبا تمام العلاءي عند ابن أبي دؤاد ، ومعه رجل ينشد عنه قصيدة منها :

لقد أنست مساوياً كل دهر محاسن أحمد بن أبي دؤاد
وما سافرت في الآفاق إلا ومن جدواك راحلتى وزادى
فقال له ابن أبي دؤاد : هذا المعنى تفردت به أو أخذته ؟ فقال : هو لى ، وقد ألممت فيه بقول أبي نواس :

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة لغيرك إنساناً فأنت الذى نعتى
فعنى أبي نواس هو الذى ألهمه وأوحى إليه بمعناه .

وهكذا كان كثير من الشعراء يأخذون من أبي نواس ويقلدون أشعارهم درر معانيه .
وسنعرض هنا بعضاً مما أخذوه ، ليكون آيين شاهد على تأثير الشعراء به ، وتبعمهم لمعانيه .
قال الحسن بن هانئ :

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحـة لفيرك إنساناً فأنت الذي نعتي
أخذ المتنبي هذا المعنى فقال :
وظنوني مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مرادى

ولكن بيت المتنبي يحمل في طابعه وسمته التنكير للمدحويه القديما والتمرد عليهم . فهو
يستجملهم ويخطيء ظنهم حين فهموا أنه مدحهم . ولكن أبا نواس كان أكرم من ذلك ،
إذ يقول للمدحـة : أنت المقصود ، والمعنى بالمدح ، وهؤلاء صنائعك ومواليك ، فإذا
مدحناهم فإنما نمدحك ، لأنك أنت أحسنت اختيارهم ، ووقفت في اصطفتهم لأمور الدولة
وتصريف شئونها .

وقال الحسن :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
أخذه البحري فقال :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت من المجد حتى عد ألف بواحد
وأخذه أبو هلال العسكري فقال :

فمن رآك رأى الدنيا وما جمعت والناس كلهم في شخص إنسان
وأخذه المتنبي فقال :

لما وزنت بك الدنيا قلت بها وبالورى قل عندى كثرة العدد
وقال أيضاً :

هدية ما رأيت مهيها إلا رأيت العباد في رجل

وما يزال بيت أبي نواس متفردا بعمومه وشموله ، وإطلاق معناه ، وحسن
إصابته للغرض .

وقال أبو نواس في مدح الرشيد :

ملك تصور في القلوب مثاله فكأنما لم يغل منه مكان
أخذه المتنبي فقال :

صدق الخببر عنك دونك وصفه من بالعراق يراك في طرسوسا
وقد قصر المتنبي لانه اقتصر على من بالعراق ، وعم أبو نواس القلوب والاماكن
وبين الاسلوبين بون بعيد في الصحة والجزالة .

وقال الحسن :

فكل شيء رآه ظنه قدسا وكل شخص رآه ظنه الساق
أخذه المتنبي فقال :

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا
فهو قد بالغ في معناه حتى أحال وأفسد المعنى .
وقال أبو نواس :

وكلت بالدهر عينا غير نائمة بجود كفك تأسو كل ما جرحا
وكان التقاد في عصره يعدونه أمدح بيت للمحدثين ^(١) أخذه المتنبي وزاد فيه
حسن التشبيه فقال :

تبع آثار الرزايا بمجوده تتبع آثار الاسنة بالقتل
وقال الحسن :

إذا ما أمت دون الهامة من الفتى دعا همه من صدره برحيل
أخذه المتنبي فقله إلى معنى آخر ، فقال :

وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل
ولقد كان المتنبي معجبا بابي نواس ، مفتونا بمعانيه ، كثير الإلحاح بها ، حتى يروى أنه

(١) م ١٧٠ المصحح للنبي من جنية المتنبي .

تمارى مع على بن خالويه فى أيهما أشعر : أبو نواس ، أم أشجع السلى ؟ فقال ابن خالويه
أشجع إذ قال فى مدح الرشيد :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا قلبه رعته وإذا غضا سلت عليه سيفك الإسلام
فقال المتنبى : لأبى نواس ما هو أحسن فى بنى برمك وهو قوله :
لم يظلم الدهر إذ توالى فيهم مصيابه دراكا
كانوا يجهلون من يعادى منه فعاداهم إذاكا (١)

على أن قول أشجع مأخوذ من قول بعضهم لعبد الملك وقد قال له : إني أجبرك من
الحجاج . فقال له : يا أمير المؤمنين هبك أجرتى منه فى الیقظة ، فمن يجهزنى منه فى النوم ؟
وقال أبو نواس :

لا تسدين إلى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا
أنت امرؤ جلتنى نعماً أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
أخذه أبو تمام فقال :

كم من يد لك لولا ما أخفها به من الشكر لم تحمل ولم تطلق
بأفه ادفع عني ثقل فادحها فأنتى خائف منها على عنق

والمعنيان مختلفان لأن أبا نواس ذكر أن نعم الممدوح قد غلبت الفكر ، فاستغفاه
من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة ، وأبو تمام قال : لولا ما أخفها به
من الشكر لم أطلق حملها . ثم أحسن والطف فى قوله : فأنتى خائف منها على عنق . ومعنى
أبى نواس أجود وأحسن سبكاً وأقوى عبارة .

وقال أبو نواس :

ترى ضوءه من ظاهر الكأس ظاهراً عليك ولو غطيته بغطاء

أخذه أبو تمام فقال :

فعميت من شمس إذا حجب بدت من نورها فكأنها لم تحجب
والأصل من قول قيس بن الخطيم :

وقضى الله حين صورها لا خالق ألا يكنها سدف
وقال أبو نواس :

تبكى البدور اضحكه والسيف يضحك إن عبس^(١)
أخذه أبو تمام وقصر عنه حين قال :

كل يوم له وكل أوان خلق ضاحك ومال كئيب
وقال أبو نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وجنح الليل مكتحل بقار
أخذه أبو تمام فقال :

إليك متكنا جنح ليل كأنه قد اكتحلت منه البلاد يائمد
قال أبو هلال العسكري^(٢) :

« وقول أبي تمام أجود ، لأن الاكتحال بالإئمد لا بالقار ،

على أن العسكري قد غفل أو تغافل عن الفرق بين المعنيين ، فهما في نظري مختلفان في المنزع متباينان في الهدف . إذ عند أبي نواس جنح الليل مكتحل بالقار ، وأول ما يیده الإنسان هنا ويخطر بباله هو تشبيه المكتحل به بالقار لا جعل القار نفسه مكتحلا به . وعند أبي تمام جنح الليل قد أفاض على البلاد ظلما ، وألبسها سوادا ، فكأنها قد أخذت منه إئمدا اكتحلت به . فالمنزعان مختلفان إذ الأول يان لمبلغ سواد الليل ، والثاني لما أصاب البلاد من سواده .

(١) البدور هنا جمع بدرة .

(٢) ١٠ - ٣٢٣ ديوان للساني .

فأساس المفاضلة والتمايز على ما رآه العسكري منقوض ، ويبقى ليث أبي نواس روعته
وشدة تأثيره ، وما يحمله من غرابة ودهشة إذ يقول : « ابن لي كيف صرت إلى حريمي » .

وقال أبو نواس :

حتى الذي في الرحم لم يك صورة لفؤاده من خوفه خفقان
فقال أبو تمام :

لو أصغنا من بعده لسمعنا لقلوب الأيام منك وجيا
ومع ما في المعنيين من إحالة وبعد ، فإن المعنى الأول أقرب إلى الفهم والإسافة .
وقال أبو نواس :

طوى الموت ما بيني وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناسر
أخذه أبو تمام فقال :

أمن بعد طى الحادثات محمداً يكون لأثواب العلى أبداً نشر
وقال أبو نواس :

ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها القلب مشتاقا
أخذه ابن الرومي فقال :

أعاقبها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدان
هذا والمعاني التي اختلسها الشعراء من هذا الشاعر كثيرة ، والشعراء الذين تملذوا له
واتفَعوا به عديدون . وما نحاول هنا الاستقصاء أو التصادي في الموازنة والترجيح ،
فذلك أمر يطول الكلام عنه ويتسع الحديث فيه . ولانما نبهنا على الكثير بالقليل
وفي اللوحة ما يغني عن الإسهاب والتطويل ؟

عبد الحميد محمود المسالوت

المدرس في كلية اللغة العربية

من أعماق الماضي

وقفت على أبواب الماضي أرقب مواكبه الشائعة في جلالها ، وصوره الساحرة في جمالها وأعنو في خشوع للتاريخ الذي عشت من تألق أضوائه عيون الوجود ، وقرأته الدنيا فطالما في آياته قيس من آيات الخلود . ثم انتزعت خيالي الذي فتن بجمال الغابر ، ودرت بعيني لمحة بين جوانب الحاضر ، فما أحسست غير الحسرة تسرى في رجفتها ، والحنية تدرى في عصفتها ، فطويت نفسي على نفسي ، ودفنت بين كفى رأسي ، لأعيش مع الماضي بروحي ، ونزحت إلى أغواره السحيقة ، فإذا النفوس وكأنها يحارب خشع بين يديها الزمن ، وهبأت لها الدنيا شرور أسلحتها ، وألوان فتنتها لتهدمها ، أو تعظمها ، فتخطت في يد الدنيا أسلحتها ، وعجزت عن الإغراء فتفتها ، وبقيت هذه النفوس سامية سمو السماء ، لأنها من صنع السماء .

هي نفوس سميت على زمنها وإن كانت تعيش فيه ، فكأنما اختارها الله للدنيا على فترات ليرى فيها الوجود بريقا من حياة سيد الوجود ، حياة الاعتزاز باقائه وحده ، والخضوع لله وحده ، حياة العلو عن الأرض ، والسمو عن المادة التي لا تعيش إلا في باطن الأرض ، العلو في غير كبرياء ، والسمو في غير خيلاء .

ذلك جانب مضمي من جوانب الرسول عليه السلام ، وهي كثيرة بهرت الزمن ، وهشت في تاريخ الوجود أشعة من تلك الحياة ، تتلمس روحا فيها صفاء أرواح النبيين أو بعض صفاتها ، حتى إذا قيض الله لتلك الأشعة تلك الروح ، لمعت فيها فاستضاءت وأضاءت بعض من في زمنها .

وليست نفس الأوزاعي الذي حاصر المنصور العباسي سوى نفس من تلك النفوس التي قيضها الله لزمنها ، فنظرت إلى المنصور نظرة ليست هي النظرة إلى الخليفة المتوج الذي دان له ذلك الراسع ومن فيه إلا نفس الأوزاعي ، ومن على شاكلة الأوزاعي .

ولكنها نظرة النفس السامية التي تصيح في المنصور :

« مهلا فإن منلك لا ينبغي أن ينام ، إنما جعلت الانبياء رعاة لعلمهم بالرعية : يجهرون الكسير ، ويسمنون الهزيلة ، ويردون الضالة ، فكيف من يسفك دماء المسلمين ، ويأخذ أموالهم !

أعنيك بالله أن تقول : إن قرابتك من رسول الله ﷺ تدعوك إلى الجنة ، إن رسول الله كانت في يده جريدة يستاك بها فضرب قرن أعرابي ، فزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يبعثك جبارا مؤيسا مقتظا تكسر قرون أمتك ، ألقى الجريدة من يدك . فدعا الأعرابي إلى القصاص من نفسه . فكيف بمن يسفك دماء المسلمين ؟

واعلم أن ثوبا من ثياب أهل النار لو علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه ، فكيف بمن تقمصه ! ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبال الدنيا لذابت كما يذوب الرصاص حتى تنتهي إلى الأرض السابعة ، فكيف بمن تقلدها .

أي نفس تلك التي ضمنها جوائح الاوزاعي حين أرسل تلك الكلمات النارية على الخليفة المنصور فأذابت نفسه وصهرت روحه ، إنها النفس التي لا يربها سلطان ، ولا يخفيها صولجان ، ولا يربها وعيد ، ولا يفزعها حديد .

وما أعظم أختها نفس سفيان الثوري الذي عاصر الرشيد ، حين كتب إليه هرون الرشيد يدعوه لزيارته ، ويذكر له وفود العلماء وغيرهم لهنثته بالخلافة ، وعودتهم إلى منازلهم بالجواز السنية .

وكان قد بعث الرشيد بذلك الكتاب مع رسوله إلى سفيان الثوري في مسجد الكوفة ، فلما بلغ الكتاب قال سفيان : اقرأوه علي . فأكاد ينتهي من سماعه حتى ثارت نفسه المؤمنة العزيزة وقال : اكتبوا على ظهره . (وكان عما أملاه عليهم) .

« يا هرون قمدي على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترادون بابك ، ثم أقعدت أجنالك الظلة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون ، يشربون الخمر ويضربون من يشربها ، ويسرقون ويقطعون يد السارق . أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها الناس ، فكيف بك يا هرون إذا نادى المتأذى : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ، أين الظلة وأعوان الظلمة ؟ فقدمت بين يدي الله تعالى ، ويداك مغلولتان إلى عنقك .

فاتق الله يا هرون في رعبتك ، واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته ، وأحسن الخلافة عليهم ، واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل إليك ، وهو صائر إلى غيرك ، وكذا الدنيا تنقل بأهلها واحدا بعد واحد ، فتم من تزود زادنا نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإن أحسبك يا هرون من خسر دنياه وآخرته ، فإياك إياك أن تكتب لي بعد هذا فلا أجيبك عنه . والسلام .

ووصل كتاب الثورى إلى الرشيد فقرأه ودعه يتحدر من عينه ، فقال بعض الحاضرين : اجترأ يا أمير المؤمنين ، فلو أقتله بالحديد وضيق عليه السجن . قال هرون : اتركوني يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتوه ، والشقي من أهلكتموه . إن سفيان أمة وحده حقا إن سفيان أمة كانت تعيش في أمة ، أمه في قوتها وعتادها واجهت بالحق خليفة أمة ، أمة عاشت من دنياها الطاهرة ، وعزتها القاهرة ، في برج مشيد ، تضام دون جلاله جلال الرشيد . إن سفيان سمى نفسه فلم تستذل لبريق الذهب ، أو تستعبد لرقيق العيش ، فالنفس المعترضة بقناعها ، المدرعة بتقواها ، تعيش في محراب فضائلها تصونها قناعتها ، وتحرسها تقواها ، فليس يحمي الشيطان في أخلاقها ناحية رثة يخرق نسجها ، وينفذ منها إلى حياتها القوية فيبتكها .

ثم ينزع الخيال من ماضى الشرق إلى ماضى الغرب إلى ماضى الاندلس ، فيلغى نفوسا في قوة من عزتها ، لا تخفى بأس الملوك ، ولا ترهب سلطان العروش .

فالمنذر بن سعيد البلوطى حين ينقد إسرار الناصر في العمارة والبناء ، يكشف عن نفس عزت برهها ، وتسلمت بإيمانها ، فلم تخنع أمام صاحب العرش الذى زلزل قلوب المتوجين في أوروبا .

لقد وقف بين يدي الناصر ليخطب الجمعة ، ولم يكن من أولئك الذين يخطبون ما يملئ ، بل من المؤمنين الذين لا يتكلمون إلا بما يؤمنون .

لقد فكر المنذر في عشرات الأعوام التى أنفق فيها الناصر ثلث ريع الدولة في بناء قصر الزهراء للزهراء ، فكيف به يكتم تلك الثورة العاصفة ، إذا قلتكن الخطبة ثورة في لغتها لطيب النقد لا كلمات النصيح ، ثورة تدمر النفس التى حماها الحديد والنار بسلاح غير الحديد والنار .

لأنه سلاح القوى القهار ، يتفجر من قلب المنذر وعيداً وتهديداً « أقبون بكل ريع آية
تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله وأطيعون
واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، إني أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم » .

وانطلق المنذر يرسل من وحي الاعتزاز بالله قذائف انهارت أمامها نفس الناصر فبكى
من خشية الله ، وارتعش قلبه خوفاً من عذاب الله .

أيها العلماء : إن في بطون الكتب سيرة كثير من أولئك الذين سموا بنفوسهم . فلم
يمرغوها بين يدي صاحب جاء ولا سلطان ، وقد آن لنا أن نحكي سيرتهم بأعمالنا ، فنصل
ما انقطع من أمجادنا وأسباب سعادتنا .

أيها العلماء : ألا هل من رجعة إلى الله ، واستمسك بحبل الله ، لتصلوا نفوسكم بالسما ،
قبل أن تحمل علينا غصبة السماء ، فلا تجدى ضراعتنا وقد غلقت دوتنا أبوابها ، وحق بنا عذابها .
أيها العلماء : ارحموا أنفسكم ، واقتلعوها من أرواح الماددة ثم طهروها ، وتساءوا بها
عن دنيا الرق ، لتكتبوا لتاريخ الأزهر صفحات جديدة ، ولتخلقوا على الزمن نفوسا
يعنو لها جبين الزمن ، إن الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم .

محمد خليفة

المدرس بالأزهر

(المجلة) بعد إعداد هذا المقال للطبع جاءتنا مقالة أخرى من الأستاذ عبد القادر شيدة الحمد
المدرس بعنوان « من صفحات هذه الأمة المثالية : مثل للخلفاء والعلماء » ، وهي مبينة
على رسالة الخليفة هارون الرشيد إلى سفيان الثوري وجواب سفيان عليها .

وبما لا شك فيه أن سفيان الثوري رحمه الله لم يدرك ولاية هارون الرشيد ، لأنه توفي
قبل ولاية هارون بنحو عشر سنين وكان هارون عند وفاة الإمام سفيان الثوري صبياً
في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره ، فمن غير المعقول أن تكون هذه المراسلة بين
الخليفة والثوري ، وأعلها بينه وبين سفيان بن عيينة فهو الذي عاصر خلافة الرشيد . وعلى
كل حال فإن هذه النصوص ينبغي أن تؤخذ عن روايات الثقات ، وعن كتب أهل التحقيق .

الدعوة إلى الإسلام في الخارج والتوجيه الروحي في المدارس الثانوية

حديث في زيارة قائد القوات المسلحة للأستاذ الأكبر

زار سيادة القائد العام للقوات المسلحة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في مكتبه الساعة العاشرة من صباح الأربعاء ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ (١٧ فبراير سنة ١٩٥٤) وتحدث معه في بعض الشئون .

وقد تناول الحديث موضوع ترجمة القرآن فسأل : هل هناك ترجمة مصرية للقرآن الكريم إلى لغة من اللغات الأخرى غير العربية ؟ فقال فضيلته : ليس هناك ترجمة مصرية للقرآن كله ، إنما كان ينشر في مجلة الأزهر من حين لآخر ترجمة لمبادئ وأحكام من الدين الإسلامي مشتملة على ترجمة المعنى لآيات من القرآن الحكيم .

على أن الترجمة الحرفية للقرآن الكريم لا توصل إلى المطلوب ، ولا توصل إلى الغرض المقصود منه . وضرب أمثلة ببعض الترجمات الفرنسية التي قام بها بعض المستشرقين وبين فيها أن الترجمة خرجت بالموضوع عن المعنى المطلوب . وكذلك ضرب سيادة اللواء مثلاً آخر فذكر أن توماس كارليل أحس بمثل هذا عند قراءته لترجمة القرآن .

وقال الأستاذ الأكبر : إنه خير للمسلمين وللإسلام وللشعوب التي يعرض عليها الإسلام أن تكتب لهم كتب بلغاتهم تبين فيها محاسن الإسلام وأحكامه ، مستشهداً عليها من كتاب الله بما يعززها .

وعرض الإسلام على هذا النحو له أثره في نفوس من ينقل إليهم ، ويؤدي الغرض المنشود بأجلى بيان .

ثم قال : إن القرآن جاء لغايات كثيرة ، فهو لم ينزل ليكون كتاب قانون فقط ، بل فيه ذلك ، وفيه العظة والعبرة ، والآداب والأخلاق ، وغيرها . ولذلك حين يقرأ الإنسان القرآن يرى آية متعلقة بالأحكام ، تتبعها أخرى متعلقة بالأخلاق ، وثالثة لتنظيم العلاقات بين الناس ، لحكمة يعلمها منزل القرآن .

فحين يترجم على هذا النحو ثم يعرض على رجل يريد من القرآن أن يكون كتاب قانون أو كتابا يعالج ناحية خاصة من نواحي المعارف والعلوم المختلفة ، فإن ذلك لا يرضى وغبته ، وقد يدخل بذلك نوع من التردد إلى نفسه . وهذا من الأمور التي تؤكد أنه من الخير ألا يترجم القرآن ترجمة حرفية .

وقال سيادة اللواء : إني سمعت أن إندونيسيا تطبع القرآن وترسله إلى اليابان ، ونحن أولى بذلك منهم . لانتا لا نأمن أن يكون في هذا المصحف أخطاء .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إنا نعمل جاهدين في المحافظة على القرآن الكريم من كل وجه ، وخاصة كتابته برسمه المأثور ، لكيلا تمتد يد التغيير والتبديل إلى كتابته ، وبذلك لا نخضعه للقواعد الإملائية الجديدة التي يعرض عليها التغيير والتبديل ، ولا يجوز إدخال أى تغيير على رسمه ، ولذلك جاءت بعض شركات الاستيراد تطلب توريد مصحف طبع في ألمانيا ، فلم نصرح بدخوله في الأراضي المصرية ، أولا - لخوف وقوع الأخطاء فيه ، وثانياً - لأنه مطبوع في حجم صغير لوضعه كحجاب أو في قطعة من الحلى للزينة ، والقرآن لم ينزل لهذا ، ولا يصح أن يوضع هذا الموضع . ونحن لا نتوان في إرسال المصاحف إلى أى جهة تطلبها ، وقد طلبت بعثة من الضباط كانت مسافرة إلى إندونيسيا عشرين نسخة من القرآن لتوزعها فسلت إليها .

الاعداد الروحي بجانب الاعداد العسكري

ثم عرض الحديث للجيش والمصانع الحربية ، وأن مصر آخذة في الاستعداد الكامل فقال الأستاذ الأكبر : ذلك قول الله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وليس الأساس في الإعداد المادى أن يراد به الاعتناء ، بل المحافظة على الأمة الإسلامية والدفاع عن كيانها . والمسألة تحتاج إلى إعداد روحى مع هذا الإعداد المادى .

فقال سيادة اللواء : إن هذا من الأمور الهامة التي تأخذ منا تفكيراً متواصلاً وجموداً عنيفة .

فقال له فضيلة الأستاذ الأكبر : لقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه حين رجع من إحدى غزواته « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، يعنى جهاد النفس .

التوجيه الروحي في المدارس الثانوية

فقال سيادة اللواء : وما دام الحديث انجر إلى الإعداد الروحي فإنني أعتقد أن الدين له أثره القوي . والذي يؤسفني أن المرحلة التي قضيناها في المدارس الثانوية ، لم يكن فيها هذا التوجيه الروحي المشجع بالدين ، وكانت دروسنا في الدين بعض آيات نحفظ ، ولا يستفيد منها التلميذ شيئاً . مع أن هذا التوجيه هو الأساس في التكوين الصحيح .

فقال الأستاذ الأكبر : إن هذه الناحية في الماضي لم تكن قوية ، ولكنها في هذا العهد أخذت في طريق النمو والازدياد ، وليس المراد من التعليم الديني إلقاء المعلومات من غير روح بل لا بد للمعلم من (توجيه) سديد لتلاميذه ، ونحن في أشد الحاجة إلى تربية استقلالية تدفع إلى النشاط والعمل الصالح وأداء الواجب ، لتخرج للأمة رجالاً عاملين . وعلى المدرس والواعظ حين إلقاء درسه أن يقف عند الأمور الهامة ، وقفات يحل فيها العبرة والعظة والتوجيه الصحيح .

وعنا استأذن سيادته في الانصراف متعنياً لفضيلته كل التوفيق ، وقال : نحن معك في كل وقت ، ونحن نشعر بالتبعة الملقاة على عاتقكم ، ونسأل الله تعالى أن يسدد خطاكم ، ونرجو أن يدرك الأزهيرون ذلك . فشكر له الأستاذ الأكبر تمنياته وزيارته .

كلمتان لأبي بكر وعلي

كان من دعاء خليفة رسول الله أبي بكر الصديق إذا مدحه الناس أن يقول :
 اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم . اللهم اجعلني خيراً مما يحبسون ،
 واغفر لي واجعلني خيراً مما يملكون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ،
 وكان أمير المؤمنين علي يقول لمن يتملقه مغالباً في مدحه :
 أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك ،

لغويات

قد لا يتيسر حضوري غدا

هذا الأسلوب على اشتهاره وكثرته كتب الكاتبون في إنكاره وتهجيئه . ومرد هذا إلى أن (قد) لا تدخل في العريضة على المنق وإنما تدخل على المثبت ، فليس يصح أن يقال : قد لا أعلم هذا الأمر ، وإنما قول : قد أجهله ، أو ربما لا أعلمه .

والحجة في هذا الإنكار قول ابن هشام في المغني في مبحث قد : « وأما الحرفية فمختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس » فتراه ذكر اختصاصها بالفعل المثبت . وقد تبع السيوطي في الجمع ٧٢/٢ ابن هشام إذ يقول : « قد حرف يختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس . فلا يدخل على الجامد ، كعمى وليس ، ولا الإنشائي ، كنعم وبش ، ولا المنقي ، ولا المقترن بما ذكر » .

والتقييد بالإثبات في المضارع إذا كان بعد قد لم أره لغير ابن هشام ومن استفاه . وإنما يذكر فيه التجرد من الناصب والجازم وحرف التنفيس . ويقول ابن مالك في التسهيل : « وتكون حرفاً ، فتدخل على فعل ماض متوقع لا يشبه الحرف لتقريبه من الحال ، وعلى مضارع مجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس لتقليل معناه ، وعليهما للنحقيق » . ويقول الدماميني في شرحه : « فهي ثلاثة شروط . وإن شئت فشرطان : الرفع والتجرد من حرف التنفيس » . ويقول الرضي في شرح الكافية ٣٨٨/٢ : « وتدخل أيضاً على المضارع المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس » .

ويذكر في أحكام « قد » حكم قد يكون مبعث ما اشترط ابن هشام من الإثبات . وهو ألا يفصل بينها وبين فعلها بغير القسم . ويقول ابن مالك في التسهيل : « ولا يفصل بين أحدهما بغير قسم » ، ويقول أبو حيان في شرحه في تعليل هذا الحكم : « وذلك أن الحرف

المختص بما دخل عليه إذا لم يكن عاملاً فإنه ينزل مما دخل عليه منزلة الجزئية ، فكما لا يفصل بين جزء الشيء وجزئه الآخر فكذلك هذا ؛ ألا ترى أنهم لا يفصلون بين أل والاسم بشيء فكذلك هذا .

وترى أنه يسوغ الفصل بالقسم ، وهذا أمر لا مرية فيه ، وإذا فليست (قد) مطردة القياس على (أل) . وذلك أن أل لا يفصل بينها وبين مدخولها بالقسم ، وبذلك تراخى الاتصال بين قد والفعل عن مكاة الاتصال بين جزء الشيء وجزئه الآخر ، وهم يعملون استثناء القسم بأنه يوثق به لتوكيد الخبر فساغ الفصل لذلك ، وقد يقال : إن أداة النفي شديدة الامتزاج بالخبر ، فالفصل بها لا ينظم الاتصال ولا يحل عقده المؤرب .

ونرى في أبي حيان وابن عيش في التثنية للفاصل ذكر الاسم وإعمال أداة النفي ، فيقول أبو حيان : « فإذا قلت : قد ضربت زيداً ، أو قد أضرب زيداً فلا يجوز قد زيداً ضربت ، ولا قد زيداً أضرب ، ويقول ابن عيش في شرح المفصل ١٤٨/٨ : « اعلم أن (قد) من الحروف المختصة بالأفعال ، ولا يحسن إيلاء الاسم إياه . »

وإذا عرضت للفصل بالقسم أذكر هنا أنه استشهد عليه بقول الشاعر :

أخالد قد والله أو طئت عشوة وما العاشق المسكين فينا بسارق
أقر بما لم يأنه المسرور إنه وأى القطع خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه لألفيت في أمر الهوى غير ناطق

ولهذا الشعر قصة طريفة . وذلك أن فتى أخذ في دار قوم ورفع إلى السلطان بتهمة السرقة ، وأقر الفتى ، فأمر خالد بن عبد الله القسري أحد ولاة بني أمية بقطع يده حداً . ولم يكن الفتى من همه سرق المال ، وإنما غشى الدار طوى له فيها . وآثر أن تناله العقوبة ؛ سراً لمن يحبها ، وحفاظاً على عرض أهلها . ولكن أنما الفتى لم يذهب مذهبه ؛ فكتب بهذا الشعر إلى خاله . فكان أن تبين الأمر ورفع العقوبة عن الفتى ، وحمل أهل الفتاة على أن زوجوها من الفتى . وقوله : « أو طئت عشوة ، أى خدعت ، ولم يصدقك الفتى الخبر . » و « وراه » ببناء الفعل للفعل . وهذا ما رخصه البغدادى في شرحه لشواهد المغنى ٩٦٣/١ وقد رسم في الكتاب : « أو طأت عشوة ، وفي الأساس : « أو طأه عشوة : حمله على أمر غير رشيد . » وقد يكون المراد : أو طأت يا خالد أعوانك إذ أمرتهم بقطع يد الفتى عشوة ، وحملتهم على خطئة قاتلة ، فالمفعول محذوف والنعل مبنى للفاعل .

وأعود إلى دخول قد على النفي فأقول : إن الظاهر أن لا بأس به . وترى سيويه في الكتاب ٣٠٧/٢ يقول : « وأما قد لجواب لقوله : لمّا يفعل ، فنقول : قد فعل . وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر . وتكون قد بمنزلة ربما ؛ قال الهذلي :

قد أترك القرن مصفراً أنامله كأن أثوابه مجت بفرصاد

كأنه قال : « ربما ، . وقوله : « مصفراً أنامله ، كناية عن موته ، والفرصاد : التوت . يريد أن أثوابه لطخت بالدم حين قتله . وترى سيويه يقرر أنها تستعمل بمنزلة ربما ، ولم نر من اشترط في (ربما) دخولها على المثبت ، وحظر دخولها على المنفي .

وقد ورد دخول قد على المنفي في قول قيس الحناني الجهمي :

وكننت مسوداً فينا حميداً وقد لا تعدم الحناء ذاماً

وقد ورد هذا البيت بهذه النسبة في المؤلف والمختلف للامدني ٨٩ ، وفي طراز المجالس ١٤٣ .

وجاء في اللسان (ذي م) منسوباً إلى أنس بن نواس المحاربي . وفي معجم البلدان في ترجمة (ردام) نسبته إلى قيس بن الحناني الجهمي . وأياماً كان الأسر فهو شعر قديم يحتج به .

وورد في كلام ابن جني إذ يقول في الخصائص ٢٠/١ : « كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره . »

لفظ أنفاسه الأخيرة ، أو آخر أنفاسه ، لفظ نفسه

تكثر العبارتان الأولىان في الكناية عن الموت ، ولم أقف على هذا في العربية . وإنما فيها : لفظ نفسه ، يسكون الفاء أي روحه ، وفي اللسان : « لفظ نفسه ، يلفظها لفظاً كأنه رمى بها . وكذلك لفظ عصبه إذا مات . وعصبه : ريقه الذي عصب بفيه أي غرى به فيبس . » وفي التاج : لفظ نفسه ، يلفظها لفظاً كأنه رمى بها ، وهو كناية عن الموت .

وكذلك قام نفسه . وكذلك لفظ عصبه إذا مات . وفي المخصص ١٢٦/٦ : « لفظ نفسه يلفظها لفظا يعنى : مات » ويقول ابن الرومي في مدح صاعد بن مخلد :

حصرت عميد الزنج حتى تحاذلك قواء وأودى زاده المتزود
فظل - ولم تقتله - يلفظ نفسه وظل - ولم نأسره - وهو مقيد
وكانت نواحيه كثافا فلم نزل تحيفه سحنا كأنك مبرد

وهو في مختارات البارودي ٣٦٧/١ .

وقد ظهر أن العبارتين اللتين فيهما الانفاس عن اللغات الغريبة ، كما أخبرني بذلك أخى الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار .

* * *

أحلف بهذا اليمين . حلف يميننا صادقا

يكثر على الألسن تذكر اليمين في معنى القسم . وفي صحيفة الأهرام المؤرخة بيوم ٣ - ١١ - ٥٣ في مرافعة الادعاء في قضية الفاوئش أمام محكمة الثورة : « وأهم ما يميز به رجل القضاء هو اليمين الذى أقسمه أن يكون حفيظا على هذا اليمين » .

واليمين للقسم منقول عن يمين الإنسان ، وهى ضد يساره . وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل واحد يمين صاحبه ، ولأن الحالف يشير يمينه إلى الشيء المحلوف عليه . واليمين لليد مؤنثة البتة .

والتذكر لليمين منبثق عن الذهاب به إلى القسم . على أن هذا لا يسوغ إخراجة عن أصله التأنيث ، فإن التأويل في هذا لا يسوغ إلا للعرب ، ولا يصح لنا القياس عليه . ولقد عيب على أبي نواس قوله :

وابن عم لا يكاشفنا قد لبسنا على غميره
كن الشنان فيه لنا ككون النار في حجره

إذ أعاد الضمير في « حجره » على « النار » ، وهى مؤنثة . وقد سأله أبو على الضمير عن هذا فقال : « رددت التذكير إلى النور . ومثل هذا في أشعارهم كثير إن فنشته » ، يريد أنه أول النار بالنور والضياء ، فأعاد الضمير عليها مذكرا . وقال فى الموشح ٢٧٩ بعد أن ساق قصة أبي على مع أبي نواس : « قال ابن أبي طاهر : وسمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا يقول : قال السكساقى وسئل عن هذا البيت : إنما أراد . فى حجرها فلفظ » ،

وقد عرض ابن جنى فى الخصائص ١٠/٢ لتذكير المؤنث لتأويله بالمذكر ، وقال فى ختام بحثه : « وتذكير المؤنث واسع جداً ؛ لأنه رد فرع إلى أصل ، يريد أن الأصل التذكير ، فإذا أول المؤنث بمذكر كان ذلك رجوعاً إلى الأصل ، وهذا بخلاف رد المذكر إلى المؤنث كما فى قول الشاعر :

أتهجر بيتاً بالحجاز تلفعت به الخوف والاعداء أم أنت زائر

فقرأ أنت فعل الخوف لتأويله بالخفاقة ، وكما فى قول بعضهم : جاءته كتابى أى رسالتى وقد بان لك أن الصواب تأنيث اليمين وعدم النظر إلى تأويلها بالقسم ، وواقع الموقف للصواب ؟

محمد على النجار

شتم العرب

دخل عمار بن حمزة على أمير المؤمنين المنصور وقعد فى مجلسه - وكان ذا عزة وثروة ونفس أبية - فقام رجل وقال :

— مظلوم يا أمير المؤمنين !

قال المنصور : ومن ظلمك ؟

قال : عمار بن حمزة غصبنى ضيعتى

فقال المنصور : يا عمار ، قم فاقعد مع خصمك

فقال عمار : يا أمير المؤمنين ما هو لى بخصم . إن كانت الضيعة له فلست أنا زاعه فيها ، وإن كانت لى فقد وهبتها له ، ولا أنزل عن مقام شرقى به أمير المؤمنين لأجل ضيعة .



التَّائِبُ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ

- ٢ -

شناعة جريمة القتل في الإسلام :

إذا استثنينا القتال المشروع للجهاد في سبيل الله بشروطه وقواعده ، نجد أن القرآن الكريم يعتبر القتل جريمة كبرى ، ويتوعد فاعله بأشد ألوان العقاب والعذاب فيقول :
 «... من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » . المائدة - ٣٢ .
 ويقول عن ابنى آدم : « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » .
 المائدة - ٣٠ .

ويقول في صفات عباد الرحمن : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، الفرقان - ٦٨ و ٦٩ .
 ويقول : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيماً » (١) . النساء - ٩٣ .

وكما شدد القرآن المجيد في التنكير على جريمة القتل ، وبالعقوبة التحذير منها ، جاء الحديث النبوي الشريف مشدداً ومخذراً ومنذراً ، فقال الرسول صلوات الله عليه : « لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » . وقال : « إن هذا الإنسان بغيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » . وقال : « إن من ورطات الأمور التي لا يخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله » . وقال : « لو وال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » . وجاء الفقهاء من بعد ذلك يؤكدون هذه الشدة ، فنجد ابن حزم مثلاً يقول (٢) :

(١) من للبسور مراجعة تفسير هذه الآيات في بعض التفاسير المطولة كالطبري والقرطبي والالوسي .

(٢) في المحلى ج ١٠ ص ٣٤٢ .

« لا ذنب عند الله عز وجل بعد الشرك أعظم من شيئين : أحدهما نعهد ترك الصلاة الفرض حتى يخرج وقتها ، والثاني قتل مؤمن أو مؤمنة عمداً بغير حق » .

وقد جرى كلام بين الفقهاء عن توبة القاتل المتعمد ، وذهب بعضهم إلى أنه لا توبة له ، وقد استدلوا لذلك بقوله تبارك وتعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » ، لأنها آخر الآيات التي نزلت في عقاب القتل . واستدلوا كذلك بقول ابن عباس : « قاتل العمد لا توبة له » ، وبما روى في القاتل عن سفيان : « كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا : لا توبة له » (١) .

النار في الجاهلية :

لا شك أن النار الباغي المنحلل من قيود العدل والإنصاف علامة من علامات الفوضى ، وسممة من سمات المجتمعات المنحلة ، وهو يترعرع حيث لا نظام ولا دولة ولا حكومة ولا سلطان ، لأن المرجع فيه حيثئذ يكون إلى الغلبة والعنجية وهوى النفس ، ولأن القائد فيه سيكون الشيطان القوى المضل المبين ، والهوى الجالح الاعشى الاثيم .

ولقد كان النار في الجاهلية شائماً ذاتماً ، حيث كان المجتمع منفرداً بالعقد ، وحيث كان النظام القبلي يقوم مقام الدولة ، وكل قبيلة تفاخر بنسبها وحسبها ، وتعتبر نفسها أفضل من غيرها ، وحيث القانون هو قول شاعرهم :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في الثأبات على ما قال برهانا
وكانوا يظنون أو يدعون أن الإسراف في القتل وأخذ النار يؤدي إلى قلة القتل ،
ولذلك كانوا يقولون : « القتل أنى للقتل » ، ويقولون : « أكثروا القتل ليقل القتل » ،
ويقولون : « قتل البعض لإحياء للجميع » .

ولكنهم في الواقع لم يلتزموا روح هذه الأقوال ، بل أسرفوا في النار والاعتداء ، حتى قامت بينهم الحروب الطاحنة المدمرة لأقل الدواعي وأتفه الأسباب ، وكتب التاريخ تحميداً بأنباء هذه المجازر البشرية المخزية .

وكانوا في الجاهلية يزعمون أن القتل إذا قتل — مهما كان سبب قتله — يخرج من رأسه طائر يدور حول قبره ، ويظل يصيح قائلاً : اسقوني ، اسقوني ... ولا يكف

عن هذا الصباح حتى يأخذ قومه بناره كما يرضى ويرضون ، ولهذا يقول ذو الإصبع
العدواني مهدداً عدوا له .

يا عمرو ، إلا تدع شتمى ومنقصى أضربك حتى تقول الهامة : اسقوني
وكانوا من حرصهم على النار ، وإسرافهم فيه ، وخوفهم من العار إذا تركوه أو توانوا
عنه ، يحرمون على أنفسهم النساء والطيب والخر حتى ينالوا نارهم ، ولا يغيرون ثيابهم ،
ولا يفسلون رموسهم ، ولا يأكلون لحماً ، حتى يشفوا أنفسهم بهذا النار ؛ ولذلك يقول
الشاعر المهملل :

خذ العهد الأكيد على عمرى بتركى كل ما حوت الديار
وهجرى الغائيات ، وشرب كأس ولبى جبة لا تستعار
ولست بخالع درعى وسينى إلى أن يطلع الليل النهار
وإلا أن تنيد سراة بكر فلا يبقى لها أبداً آثار (١)

وكانوا في الجاهلية يثأرون مسرفين من الأباعد والأقارب ، فهذا مثلاً قيس بن زهير
يقتل قرييين له ثأراً لأخيه مالك ، ثم يقول :

شفيت النفس من حمل بن بدر وسينى من حذيفة قد شفاني
فإن أك قد بردت بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني (٢)

وكان النساء يحرضن على النار ، ويرعن في دفع الرجال إليه ، فهذه عجوز تسمى خويلة
من بني رثام ، يقتل من أسرتها ثلاثون رجلاً ، فتقطع خناصرهم ، وتصنع منها قلادة تضعها
في عنقها ، وتهنئ محرضة أحد رجالها على النار ، فتقول :

جاءتك وافدة الشكالى تغتلى بسوادها فوق الفضاء الناضب
هذى خناصر أسرتى مسرورة في الجيد منى مثل سيمط الكاعب (٣)

وكان النساء يعين الرجال على قبول الدية والسكوت عن غسل الدم بالدماء ، فهذه
امراة من ضبة تحذر أهلها من أخذ النياق دية ، وتحرضهم على النار ، فتقول :

(١) كتاب شعراء النصرانية ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) قال هذا قيس بن زهير بن جذيمة العبسي في قتله حل بن بدر يوم جمر الهامة طلباً لنار

أخيه مالك الذي قتل في بدء هذه الحرب . (٣) الأمالى ج ١ ص ١٢٧ .

ألا لا تأخذوا لنا ، ولكن أذيقوا قومكم حد السلاح
فإن لم تأدوا عمراً يزيد فلا دوت لبون بنى رباح ١

ومن هذه الشواهد - ولها نظائر كثيرة - نستطيع أن ندرك شيوع النار في الجاهلية ، وأنه كان يحتمل إلى القوة والغلبة ، ويستجيب للأهواء والنزعات ، ولا يعرف اعتدالا أو ارعواء ؛ فكان القتل يقتل مثلاً ، فلا ترضى قبيلته بقتل قاتله وحده ، بل تقتل به عشرة أو عشرين أو مائة أو أكثر من ذلك ، أو تقتل في مقابل الفرد العادى منها رئيس القبيلة القتالة ؛ وقد يترك القاتل حياً في بعض الأحيان ، لسبب من الأسباب ؛ ومن هنا تقطعت روابط المودات ، واتهكت الأعراض والحرمات ، وشاع البغى والتقاتل ، وخيمت على الحياة ظلال كثيفة تقطر منها دماء الطغيان والعدوان ، فلا أمن ولا أطمئنان ، ولا حب ولا إغاء ، بل عداوات وثورات ، وحروب وغارات ، فكيف تستقر الحياة أو يسعد الأحياء ١٢ ...

النار في الإسلام :

وجاء الإسلام دين السلام ... جاء ليهدم هياكل البغى القديمة ، وأوضاع الحياة السقيمة وليبنى بعد ذلك مجتمعاً صالحاً سعيداً ، تقوده العدالة ويسوده الإنصاف ، فدعا إلى الإغاء والوحدة ، وذكر الناس بأصلهم الواحد ، وربهم الواحد ، ونهايتهم الواحدة ؛ وذكرهم بالأخوة الإنسانية : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تسمون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً » (١) ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (٢) .

وذكرهم بعد هذا بأخوة الإسلام والإيمان : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » (٣) ، « إنما المؤمنون إخوة » (٤) .

[١] سورة النساء ، الآية الأولى . [٢] سورة الحجرات - آية ١٣

[٣] سورة آل عمران ، آية ١٠٣ . [٤] سورة الحجرات ، آية ١٠

وقضى الإسلام على خرافة الهامة ، وعسدها من أباطيل الجاهلية ، فقال الرسول :
« لا هامة ، . وحذر من الاعتداء على النفس أو حقوق الغير ، وأوعد على ذلك أشد الوعيد
وأقام للناس حكومة نظامية تتولى معاقبة المعتدى ، وشرع قانون (القصاص) العادل ،
لا النار الجاح ، ولا القتل الباغي ؛ فجعل العقاب على قدر الجريمة ، وجعل كل امرئ
مأخوذا بذنبه وحده ، . . . ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ،
وأن سميه سوف يرى (١) » .

وكان الإسلام في أمر القصاص وسطا ، فبينما كانت الموسوية توجب قتل القاتل ،
ولا ترضى الدية ، وكان بعض الشرائع يوجب أخذ الدية لا القتل ، جاء الإسلام بمبدأ
القصاص للتأديب ، مع مبدأ التحبيب في العفو أو أخذ الدية ، ليكون الأول - وهو
القصاص - رادعاً عند البغي والظلم ، ويكون الثاني - وهو العفو الكامل أو العفو عن
القصاص وأخذ الدية - ملطفاً عند وجود المبرر أو الشبهة أو الخطأ .

وهناك مجرمون يرون أن الرضا بالدية والسكوت عن طلب النار عار لا يمحى إلا بالقتل
المضاعف ، فيقتلون بالواحد أكثر من واحد ، وهناك جملة يقولون : إن القصاص عفو
وقسوة ، ويقترحون ترك عقوبة الإعدام إلى العقوبات المختلفة الأخرى ...

« وأما النافذ البصيرة ، العارف بمصالح الأمم ، الذي يزن الأمور العامة بميزان المصلحة
العامة ، لا بميزان الوجدان الشخصي الخاص بنفسه أو ببلده ، فإنه يرى أن القصاص -
كما في شرعة الإسلام - بالعدل والمساواة هو الأصل الذي يربي الأمم والشعوب والقبائل
كلها ، وأن تركه بالمرء يفرى الاشقياء بالجريمة على سفك الدماء ، وأن الخوف من الحبس
والاشغال الشاقة إذا أمكن أن يكون مانعاً من الإقدام على الانتقام بالقتل في البلاد التي
غلب على أهلها التراحم أو الترف أو الانغماس في النعيم ، كبعض بلاد أوربا ، فإنه لا يكون
كذلك في كل البلاد وكل الشعوب ، بل إن من الناس في هذه البلاد وغيرها من يحبب إليه
الجرائم أو يسهلها عليه كون عقوبتها السجن الذي يراه خيراً من بيته ، (٢) » .

ونستطيع بعد هذا أن نعرف أن القصاص في الإسلام ليس ردعاً وتأديباً لحسب ،
ولكنه باب للأمان والاستقرار ، وهذا هو السر في تعبير القرآن عنه بأنه سبب الحياة حين
قال : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » . محمد الشريف

من علماء الأزهر الشريف

إلى حضرات القراء

السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد : —

فيمر مجلة الأزهر إذ توجه إلى حضراتكم أطيب تحياتها أن تستقبل معكم فترة طويلة مباركة من حياتها العلوية في عهد ميمون الطلعة إن شاء الله باختيار الاستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن ناج شيخاً للجامع الأزهر .

وإن المجلة لتصارحكم بما تشعر أنه يخالج حضراتكم من رغبة في مضاعفة نشاطها والاخذ في التحسين والدأب على محاولة الكمال .

وهي إذ تحرص على مسابقة هذه الرغبات المشكورة لكم ، لتأمل في توفيق الله تعالى أن يتيح لها من توجيه الشيخ الأكبر ومن موازرتكم لها أسباب الظفر بما تصبو وتصبون إليه ، حتى تكون عند رغباتكم ، وتظفر بمزيد ارتياحكم إليها ورضاكم عنها ، وعند ذلك تطمئن كثيراً إلى أنها أدت واجبها نحو الأزهر في نشر ثقافته الإسلامية ، وفي توثيق الصلة العلوية بينه وبين قرائها الأفاضل في مختلف الأقطار الشرقية .

هذا وتود المجلة إلى حضرات الكتاب ، وهم حماد المجلة في نهضتها ، أن يتكرموا بمراجعة ما يأتي :

١ — إرسال المقالات إلى المجلة في النصف الأول من كل شهر عربي ، ليكون لدى القارئ على الطبع وقت مقسع لإظهار العدد في غرة الشهر التالي ، وهو الموعد المحدد ، فضلاً عما في تخلف المقالات أحياناً من فوات لفرصة النشر .

٢ — عدم الإطالة في الكتابة حتى يتسع العدد لاكثر ما يرد إليها .

وحتى لا نعرض القارئ للسآمة من التطويل ، مع بيان عنوان الكاتب بالكامل .

٣ — ترحب المجلة بما يرد إليها من توجيهات القراء نحو الإصلاح وبلوغ المجلة مبلغها المنشود .

ونسأل الله أن يكون عوناً لنا ، وهو ولي التوفيق .

(المجلة)

المؤلف قلبه بجم

أنا قادم من جنوب السودان ...

فقد أتيت لي الفرصة لزيارة السودان ، فشاهدت كثيراً من بلدانه من الشمال إلى الجنوب وخاصة الملاكال وجوبا وتوريت وكاتري بالقرب من حدود أوغندا . وقد حرصت - خلال زيارتي - أن أشاهد بعيني وألمس بنفسى كثيراً مما كنت أسمع عنه من آثار الاستعمار في جنوب الوادي .

وكان من أهم هذه الأمور أن المستعمر قد وضع خطته لفصل جنوب السودان عن شماله بوسائل متعددة : منها عزل الجنوب عن الشمال ، واعتباره منطقة مغلقة يحظر دخولها إلا بتصريح ، وبث الدعاية المغرضة لغرس روح الكراهية في نفوس أهل الجنوب ضد أهل الشمال ، وفتح الباب على مصراعيه لإرساليات التبشير التي تستغل لخدمة الأغراض الاستعمارية لا للدعوة الدينية الحالصة .

كل هذه الأمور سمعت عنها ، ثم لمستها في مجال الواقع ...

ولقد زرت بنفسى أحد المراكز التبشيرية ، ويشرف عليه جماعة من الأمريكيين ، فشاهدت فيها الآتي : —

١ — غرف الدراسة .

٢ — مبنى المستشفى والمنازل الصغيرة لعزل المرضى .

٣ — المساكن التي يقيم فيها الطلبة .

وهذه المراكز تكون شبكة مفسقة وموزعة جغرافياً في أنحاء الجنوب بحيث لا يزيد الفاصل بين المركز والآخر عن ستة عشر ميلاً ، أى أن لكل مركز ما يشبه منطقة نفوذ في هذا المدى ، ولعله من المهم أن نبين هنا ما تقوم به هذه المراكز ومدى ما لديها من إمكانيات ووسائل تعينها على عملها .

١ — يقدم الغذاء والمسكن لكل طالب .

٢ — تقوم المراكز بتعليم الدين المسيحي وبعض العلوم الأخرى باللغة الإنجليزية ،
ويوجد قاموس لكل لغة من اللغات العديدة الموجودة في الجنوب .

٣ — تقوم المراكز بتعليم بعض الصناعات العامة كالنجارة وغيرها وبعض الحرف
كالنسل والسكى والطبخ .

٤ — تصرف الكتب مجاناً .

٥ — يوجد لكل مركز عيادة طبية تقدم العلاج مجاناً لكل من يلجأ إليها من الأهالي ،
هذا فضلاً عن الطلبة ، وملحق بها عدة غرف يقيم فيها من تستدعي حالته الإقامة
تحت الإشراف الطبي .

٦ — لكل مركز مساحة من الأرض حوله يقوم بزراعتها واستغلال منتجاتها .

٧ — لدى كل مركز وسائل الاتصال المختلفة من سيارات إلى زوارق إلى الطائرات
في كثير من الجهات .

٨ — تعقد المؤتمرات الدورية بين القائمين بشئون المراكز لتفسيق أعمالهم ومراجعتها
 وإعداد الخطط المستقبلية .

ومن الميسور على المرء أن يخلص من المقارنة بين نشاط مراكز التبشير تلك وبين نشاط
الأزهر إلى أن الأمر يدعو إلى الاهتمام الشديد ، وإلى توجيه العناية الفاتقة لهذا الجزء
من وادى النيل .

وقد سمدت لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر اتجاهه الذى صرح به أخيراً
إلى إلغاء البعثات الإسلامية فى البلاد المتحضرة مثل إنجلترا وأمريكا لعدم جدواها والالتفات
نحو الجهات المتأخرة .

ولا يفوتنى أن أذكر عن تلك الجمعية المتواضعة التى تألفت فى جنوب السودان
وانخذت لها اسماً (جمعية المؤلفة قلوبهم بملكال) التى تقوم بمجهود متواضع فى سبيل
الإسلام .

تكونت هذه الجمعية فى أول سبتمبر ١٩٥٥ وكان من أغراضها : —

- ١ — إيواء وكسوة وإطعام الذين يدخلون في الإسلام حديثاً وليس لهم مأوى أو أقارب من المسلمين ريثما يجدون عملاً لهم .
- ٢ — العمل لإيجاد عمل لمن يدخلون الإسلام .
- ٣ — القيام بتجهيز ودفن موتى من يعتنقون الإسلام حديثاً إذا لم يتركوا مالا .
- ٤ — حل أى مشكلة مالية لهؤلاء الحديث العهد بالإسلام إذا اقتضت الجمعية بضرورة ذلك .

أموال الجمعية :

تتكون الجمعية من :

- ١ — التبرعات والإعانات والهبات .
- ٢ — الاشتراك الشهري الاختياري على ألا يقل عن قرشين ولا يزيد عن عشرة .
- ٣ — جمع جلود الأضاحي ويبيعها لحساب الجمعية .
- ٤ — الزكاة ، لأن المؤلفة قلوبهم مصرف شرعى من مصارف الزكاة .

تنظيم الجمعية :

يدير الجمعية ويقوم بكل شئونها مجلس مكون من رئيس ونائب رئيس وسكرتير ونائب سكرتير وأمين صندوق ومراقبين للحسابات وعشرة أعضاء وقد كان رئيس هذه الجمعية الشيخ على عبد الرحمن وزير العدل في الوزارة السودانية الآن ، ثم تنازل عنها لبعثة الأزهر ، وقد تسلم رئاستها فضيلة الأستاذ للشيخ عبد العزيز أحمد عيسى في ١/٥/١٩٥٣ ويلاحظ أن الاشتراكات تارة تصل إلى ٣٠ جنيا مهربا وأخرى تنخفض إلى ٩ جنيات و١٠

قطعة أرض للجمعية

ولما كان الأولاد الذين ينضمون إلى هذه الجمعية في حاجة إلى وعاء وعطف ، لأن أغلبهم يأتي من جهات بعيدة ، فقد فكر أعضاء الجمعية في شراء قطعة أرض يمكن إذا بنيت أن تستغل للدراسة نهارا وللنوم ليلا .

وفعلا اشترت الجمعية قطعة أرض مساحتها ٣٩٦ مترا في أول يناير سنة ١٩٥٤ بثمان قدره ٣٢٥ جنيه مع أن القطع المجاورة تم إزاد عليها بخمسين جنيها إلى سبعين ، وقد علمت أنه إذا بنيت هذه القطعة تم تسجيلها ، وإذا لم يتم البناء في عام من توقيع العقد نزع ملكيتها . والجدير بالذكر مع الأسف أن الجمعية مدينة للكن لأمين الصندوق وهو أحد التجار بمبلغ ثلاثين جنيها تقريبا سوى ما يستجد ، فإذا عرفنا أن هذه الجمعية كانت سببا في إسلام الكثيرين وإيوائهم وذلك في حدود إمكانياتها ، فقد أسلم حوالي ٤٠ شخصا خلال عام ١٩٥٣ وأن الفرد الواحد يتكاف حوالى ٣ جنيهات مصرية ليأكل أكلا رديئا ولكنه أفضل من العدم ثم إذا عرفنا أن الجمعية مدينة في الوقت الحاضر أدركنا خطورة الأمر وأنه يجب تقوية مركز الجمعية المالى على الفور .

ولست بحاجة إلى دعوة القراء إلى شد أزر هذه الجمعية وإعانتها بالمال لتؤدي رسالتها وأومن أن في مجرد عرض حالها وإيضاح موقفها المالى الكفاية .

ولى اقتراح بسيط ، وهو أن تجمع من أساتذة الأزهر ومن يرغب من طلابه اشتراكات شهرية تراوح بين القرشين والعشرة تعد في كشوف ثم ترسل للجمعية بانتظام كل شهر .

بهذه الطريقة نضمن للجمعية موردا مستمرا منتظما . نسأل الله لها التوفيق في مهمتها السامية .

محمد جمال الدين محفوظ

الاتباع والابتداع

من خطبة لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على منبر مسجد بنى أمية في دمشق :

« أيها الناس ، ليس بعد نبيكم نبي ، وليس بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة » .

« ألا إنى لست بقاض ، وإنما أنا منفذ . ولست بمبتدع ، ولكن متبع . ولست بخيركم ، وإنما أنا رجل منكم ، إلا أنى أثقلكم حملا . ألا لاسلامة لأمريء في خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

فِكْرَةٌ وَمَنْهَجٌ

أحب دائما ألا أفصل الشعر - والفن بعامة - عن الحياة الاجتماعية ، وقد أصبحت الآراء تجمع على أن العلم إذا كان يفسر الحياة تفسيراً تجريبياً ، والفلسفة تفسرها التفسير العقلي ، فإن الفن يفسرها التفسير الوجداني ، ومن الحق أن أقول إن الشعراء العرب نحووا هذا النحو ، إلا أن الذين درسوه ونقدوه بعدوا به عن الحياة ، وسلبوه طبيعته ، وأخضعوه للنطق ، فإذا هو عند أغلبهم شيء جامد باهت لا ملاح له . حتى هؤلاء الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري وعقدنا عليهم الأمل وأعجبنا بتقديم .. حتى هؤلاء اختلفوا فيما اختلف فيه السلف وظل الشعر في أذهانهم لا حقيقة وراءه إلا أن يكون مدحا أو هجاء أو رثاء ، ولا غناء فيه إلا ما يثيره من مقارنة وموازنة واستقصاء ، وملاحظة وجوه التشابه ووجوه الاختلاف . فليس عجباً بعد أن يدفع الشاعر إلى أن يرضى بقصيدته غرور الخلفاء من جانب ، وحاجة العلماء من جانب آخر .

نسوا روح الفن ووقفوا في جانب المتأني وأعرضوا عن المتفنن نفسه ، فإذا كان علينا أن ننظر النظرة العادلة فلن يتم لنا ذلك إلا إذا بحثنا عن شخصية الشاعر وسألنا عما فعله ليسهم في تعبير الإنسانية عن نفسها . وقد تصدى للدفاع من ينقل لنا أن أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والناطقة إذا رهب ، والاعشى إذا شرب ، فيظن أنه يتعرض لذات الشاعر .. فما دام امرؤ القيس أكثر وصفا للطرد وأكثر إجابة في التحدث عن الخيل فهو يعبر عن هواه ويحقق نفسه ، وما دام أرق شعر الناطقة ما قاله في ساعات خوفه فالشاعر يتحدثنا عن نفسه وهسكنا . ونسى هذا كما نسي غيره أن الشعراء بعامة وصفوا الخيل وخافوا وطربوا وسافروا ووصفوا فأين الفروق الدقيقة في طريقة تناول .. في النظرة الخاصة التي تجعل من كل شاعر شخصية متفردة متميزة ، بل لقد اجترأ ابن سلام - صاحب الذوق العربي الاصيل - لجمل المجيد من الشعراء من في شعره مديح رائع ،

وهجاء مقذع ، ونثر معجب ، ونسب مستطرف . في حين يقرر الأصمعي أن الشاعر لا يصير ، في قريض الشعر خلا حتى يروى أشعار العرب . . والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم .

لقد غاب عن هؤلاء أن الإنسان كل تعمل في تكوينه عناصر نفسية نتيجة لصراعه مع مجتمعه ، وذلك أثر للإطار الثقافي والعقيدى والاجتماعى الذى يعيش فيه ، وأثر لما فى أسرته من دوافع وموانع وحواجز وحوافز ، وأثر لما هو عليه من ظواهر فسيولوجية تحدد الزاوية التى ينظر منها إلى الناس والأشياء من حوله ، ثم هو أثر لما فى المجتمع كله من صراع بخلاف مشكلات سياسية واقتصادية .

غاب عن هؤلاء ذلك كله كما غاب عنهم أن الشعر تعبير وأنه - كتعبير - لا يدرس من ألفاظه فقط ولا من معانيه الجزئية فحسب . بل غاب عنهم أن الشعر عمل ذاتى ولا يمكن دراسته أو نقده إلا بما فيه من صفات إنسانية مشتركة أو فروق ذاتية متباينة ، وأنه - كفن قولى - جلاء لواقع العالم كله على نفس الشاعر ، والأمور النفسية على أى حال لا يبحث عنها فى الخطوط الشكلية أو فى جزئيات المعنى .

ونحن نخطئ - إذا صدقنا كل ما قيل عن شاعر مثل بشار أو شاعر مثل أبى نواس ، ذلك أن أغلب الحديث الذى يساق عن أيهما قد ينطبق على الآخر ، وقد ينطبق على كل من تغزل وتماجن وهجأ ومدح . وهذه الفروق السطحية المتواضعة التى يقررونها ليست كل شيء . وينبغى ألا تكون كل شيء .

والحق أن هناك روح الشاعر ، ولو كان الأمر أمر هجاء أو مدح لما رأينا من كل شاعر - تقريبا - هذه المعاناة التى يصادقها حين يشرع فى عمل قصيدة . وقد ذكر ابن قتيبة أن للشعر دواعى تحث البطيء منها الطمع والشوق ، ومنها الغضب والشراب والطرب ، وكان الفرزدق يقول : أنا أشعر الناس وربما أتت على ساعة ، ونزع حرس أسهل على من قول بيت :

وكان ذو الرمة كلما شرع فى شيء خلا إلى نفسه يذكر أحبابه ، وكثير الشاعر يطوف فى الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسهل عليه أرصن الشعر ويسرع إلى أحسنه . أما جرير فقد اعتاد أن ينشئ شعره ليلا ، وقد يشرب النبيذ ، وربما علا السطح وحده فاضطجع

وغطى رأسه . والفردوق كان إذا صعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف منفرداً في شعاب الجبال ويطوف الأودية . وقيل لأبي نواس : كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر ؟ فأجاب : أشرب حتى إذا كنت أطيب ما أكون نفساً بين الصاحي والمكران صنعت وقد داخلى الفشاط وهزنتى الأريحية .

ومثل هذه الأخبار كثير ، وهي تدل على أن الشعر العربي لم يكن كله وليد التكلف ، وإنما كان يصدر عن شيء في نفس الشاعر . ولا أريد أن أزعج أن الشعراء كانوا ينتظرون الإلهام ، ولكنى أقرر أنهم لم يكونوا يطلقون أشعارهم قبل أن تنبأ أنفسهم لها . وهذا هل أى حال لا ينفي تكلف الشاعر في كثير من شعره بصفة عامة . وفي وسعنا أن نضع أيدينا هل جانب الصدق في كل قصيدة إذا عمدنا إلى تحليلها وتعرف الظروف التي قيلت فيها ومدى توافق نفس الشاعر مع ما ومن تقال فيه القصيدة .

لنقل إذاً إننا لو فعلنا ما فعله النقاد حين بعدوا - في أعينهم - عن نفس الشاعر إلى الملتقى أخطأنا الحقيقة وجانبنا روح العمل الأدبي . إذ يجب أن نؤمن بأن الشعر ينظر إليه من جانب الملتقى حين نريد أن نربطه بالملتقى ، لأن الشعر فن قبل كل شيء ، والفن عمل ذاتي ينبع من الوجدان . ومن هنا زعمت قبل أن أنه تفسير وجداني للحياة .

وآية انصراف الشعراء إلى أنفسهم والتعبير عنها ما نجد عند بشار وسلم الحاسر وأبي نواس والحليخ والمعاوى . . فقد لاحظ هؤلاء أن الحياة تغيرت . والجاهل الذي كان يقول الشعر تعبيراً عن نفسه لا يمكن للواحد منهم أن يتقمص روحه فيصف ما لم يشعر به ، وقد يمكن له أن يحافظ على النمط العام للقصيدة إلا أن هذا لا يمنعه من أن يطلق نفسه في هذه الدائرة . وهو على أى حال إذا كان . وهوياً استطاع بخياله أن يهيئ لنفسه الجو الشعري الذي يريد ، والامر بعد ليس أمر موضوع بطرقه الشاعر ، وإنما هو أمر الشاعر نفسه . . أمر عبقريته أو موهبته أو خياله المبدع !

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفرس ظاهرة وصف الاطلال عند أبي نواس مثلاً به عند جرير أو ذى الرمة أو الفردوق . ولن يعيننا البحث عن أن نجد ذات الشاعر في هذا الوصف والامر مهما يكن يتوقف على تجربة الشاعر الوجدانية ومدى نجاحه في التجريد ، حتى إذا لم يفعل تأخر عن غيره . ولقد روى أن ذا الرمة التقى بالفردوق في المربد فسأله عما يرى

في شعره له ألقاه عليه فقال : أرى خيراً ! قال ذو الرمة : فقال لا أعد في الفحول ؟ قال : يمنعك عن ذلك صفة الصحارى وأبمار الإبل .

وكأنه أراد أن يقول له : إنك في تفصيلك لما تصور من الصحارى تتبع الجاهليين . ومعنى ذلك أنه لم يعجبه منه أن يتقيد بالتفاصيل التي أثرت عن الأولين . وقد يشفع لذي الرمة أنه كان راعى إبل على ما يقول ابن سلام ، فطالت ألفته باليد ، وعرف مخابها وأسرارها وأحاط بحيوانها وأعشابها ، إلا أنه مع ذلك ورغم ملاحظة الفرزدق فقد أحس نقاد عصره باختلاف شعره عن شعر الأقدمين فقال أبو عمر بن العلاء : إنما شعره نقط عروس يضمحل عن قليل وأبمار ظباء لما شتم في أول شهما ، ثم تعود إلى أرواح البعر !

أجل ظل مع ذلك ورغم ملاحظة الفرزدق يعرض للطلل فلنحظ في تفاصيل عرضه روح العصر وشخصيته هو ونفسه وروحه .. فلقد روى الرواة أنه كان صالحاً فساكن من أجل ذلك يذكر بجانب الآرى والسفع أعضاء المسجد المهدم فيقول :

عفت غير آرى وأعضاء مسجد وسفع مناخات رواحل مرجل

بل يتعمق هذا الجانب فينتهز فرصة وقوفه مع صاحبه على الطلل فيدعو لها أن يفوزا بالنعيم الخالد :

يا صاحبي انظرا آواكا درج عال وظل من الفردوس محدود

فأين هذا من وقوف الجاهليين على دمنهم ؟

ولنستقرى ما قاله جرير في الاطلاع فلن يطول بنا الأمر ، وسنتهى إلى أن الشعر ليس من الضروري أن يصدر كله عن تجربة مباشرة ، وأنه كان متصلاً في أول الأمر بالحياة البادية ثم صار نوعاً من الحنين ورد فعل للحياة السريعة المنهوبة المختلس فيها النعيم . نعود إلى جرير في تفاصيله الدقيقة فنراه يبعد بها عن التفاصيل القديمة ، وهو على قرط تغنيه بالوقوف عليها لم يذكر السفع والتؤى والآرام والبحر ، ولعله ذكر الثمام ومنصب الخيام مرة واحدة في قصيدته الرائعة :

ألا حى رهبي ثم حى المطالبيا فقد كان مأنوساً فأصبح خالياً

وكان في كثير من الأحيان يذكر الطلل في بيت واحد فيقول :

أتعرف أم أنكرت أطلال دمنة بأثبيت فالجونيون بال حديدتها

وينتقل في البيت التالي إلى التشييب فيقول :

ليالى هند حاجة لا تريحنا ييخل ولا جود فينفع جودها
وكان مغرما بتشبيه الطلل بوحى الكاف والميم أو بالكاف واللام . وتشبيه الآثار
بأحرف الكتابة قديم إلا أنه لم يكن يمثل هذه الصورة التي صورها جرير . ويمكن
أن يقال إن هناك فروقا بين رسوم الجاهليين ورسوم الإسلاميين ، وإن البصريين - مثلا -
الذين وصفوا الطلل وصفوه تخيلا في أغلب الأحيان أو معاناة في بعضها ، ولكنهم لم يطيروا
الوقوف عند الأتاني والتؤى فبعدوا عن واحد مثل زهير في معلقته .

ويتلون الطلل على مر الأيام بروح الشاعر المتحضر ويطبع بشخصيته حتى تنقطع صوته
بالقديم ، فيقول بشار ويعجب قوله النقاد :

أبي طلل بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب متبا
وبالفرع آثار بقين وبالوى ملاعب لا يعرفن إلا توهما

ويقول راوبته سلم :

أمن ربح تسائله وقد أقوت منازل
بقلي من هوى الاطلا ل حب ما يرايله
رويدكم عن المشفو ف إن الحب قاتله

فكأنك تسمع منه تشييباً بواحدة ، وأين هذا مما قاله امرؤ القيس ؟ لا شك أن هناك
خلافاً كبيراً ، وحقق ذلك طواعية هذا الفن للطيور وتلوته بلون العصر . ولعل هذا ما عمل
على فشل دعوة أبي نواس إلى ترك الطلل والبكاء عليه ، فلم تجد أذنا صاغية ، ولم يختم
عليها أحد فانت ، بينما شغل الناس بمذهب أبي تمام . وكذا نتقدم فنقرر - بعد هذا
الاستطراد - أن الشعراء رغم خضوعهم لتقاليد الشعر الجاهلي يفصحون عن أنفسهم ،
فليس لنا في هذه الحال أن نعتبر إقلاص شاعر عن وصف الاطلا - في العصر العباسي -
وفي مدينة كالبصرة أو بغداد بأنه تجديد أو تعبيرة هو في حرصه على هذا الوصف بأنه شاعر
قديم . فالامر كله موكل إلى درجة تقيد بالتفاصيل التي عى بها الجاهليون ، وهذا عندى
فيصل في الحكم على شاعر ، ولو فطن إليه نقاد العرب وتعمقه لاتنوها من جدلهم ولوقفونا
على أسباب أخرى غير تلك التي ذكروها في معرض الخصومة حول مذهب أبي تمام وغيره .

إننا نؤمن بكل هذا ، ونؤمن بأن الشاعر العربي لم يدرس - حتى الآن - الدراسة التي نكشف لنا عن نفسه وعن طبيعة عمله وعن صلته بالحياة وعن أثره هو في هذه الحياة . وينبغي لنا إذا حاولنا هذه الدراسة أن نطرح الكثير مما قيل في تفسير تلك الخصومة الفنية التي دارت في القرون الأولى الإسلامية ؛ فكثير منها يرجع إلى تعصب فكري أو تعصب عنصري ، وكتب النقد التي بين أيدينا تحفل - إلى جانب المصائب القيم - من الزيف والافتراء والغرور بالكثير ، وحسبنا أن ننظر في كتاب الصولي ، أخبار أبي تمام ، لنقف من قرب على صحة هذه الدعوى .

ثم ماذا بعد ذلك ؟

ثم نؤمن أيضا بأن الصورة التي نقلتها الأبحاث القديمة لا ترسم لنا ناسا يحسون وينفعلون ويعبرون ، وإنما تقيم أمامنا هياكل تتحرك بمقدار ، وتتعثر في قيود ، وتتفلسف في سجن . بل أخشى أن أقول إنها لا تصور إلا آلات صنعت لتتحرك حسب نوااميس قدرت لها فسرا خرمت نعمة الحياة . والشعراء في الأصل قوم لهم تميز وإن كانوا يشتركون مع أبناء المجتمع في انفعالهم به ، حتى يبدو في ظاهر الأمر أنه لا اختلاف في النوع بين فرد وفرد . ولكننا إذا قلنا إن التوافق في السلوك لا يعنى مطلقا توافقا في الفطرة ، أدركنا نوعية الشاعر بإطاره الذي كونه لنفسه بفطرته . وقد لوحظ على أى حال أن الشعراء يكشفون دائما بسلوكهم عن تفردهم بميزات قد تكون شاذة في كثير من الأحيان ، فيجب ألا ندهش بعد ذلك حين يتكلم « دى لاكروا » عن طبيعة الفن في كتابه « سيكلوجية الفن » ، ويعرض للشاعر فيقرره قدرات فطرية خاصة تميزه عن غيره ص ١٥٣ .

ويعيننى هنا أن أشير إلى الأصول الفسيولوجية كموجه لطاقة الشاعر . وهى إلى حد كبير تحدد وجهة نظره إلى المجتمع وإلى من يضطرب معهم ويسهى بينهم ، ومن ثم لها دورها الكبير في شعره ؛ فنحن لا ننكر شدة العلاقة بين البواطن النفسية والظواهر الفسيولوجية . وعن هذه السبيل نستطيع أن نتعمق موقف بشار من مجتمعه وشذوذ أبى نواس ونرجسية عمر بن أبى ربيعة وتقول كثير وتباهى امرئ القيس وتسأى عنتره وهكذا .

بل يجب في هذه الحال أن نعرض لطبقة الشاعر وجذبه وأسلوب حياته ودرجة

ثقافته ... فشكل هذه تلقى الضوء على حقيقة ما يقول ، وتحدد الأفكار الرئيسية في أثناء معالجته للفن وتضع الأساس النفسى لنموه كشاعر تمايز عن غيره بنوع من التعلق فعبّر عنه وصوره ، ومن ثم يمكن لنا أن نقرر موقف الفرزدق وجريير .
وهكذا نلح من قريب أننا حاولنا معرفة ذات الشاعر فنحنى إلى هذه الصورة العامة وهى أنه والمجتمع وحدة متماصة .

محمد كمال زكى

ماجستير فى الآداب

مدرس بمدرسة محمد على الثانوية

حكم

- الهوى مفتاح السيئات .
- الوفاء ضالة ناشدها كثير ، وواجدها قليل .
- يبصر القلب ما يعنى عنه البصر .
- ينصب لكل غادر لواء يعرف به .
- الغنى اليأس مما فى أيدى الناس .
- الفرصة سريعة الفوت ، بطيئة العود .
- لا خير فى فقه إلا برع .

الكتب والمناهج الأزهرية

أصبحت كتب الأزهر ومناهجه في المدة الأخيرة هدفا لحملة منظمة ، تمتاز بالعرف والقسوة ، والتهويل والمبالغة ، واشترك فيها أفراد من الأزهر وغير الأزهر . وكثيراً ما تجد حديث الطلاب يدور حول مشكلة الكتب ، يلصقون بها التهم ، حتى يخيل إليك أنها غول تغتال العقول ، وألغاز وطلاسم تفتك بالآلأاب .

وتجدهم في كل مؤتمراتهم يحملون على رأس طلباتهم تعديل المناهج ، وتغيير تلك الكتب القديمة .

ولقد شهدت حفلة سمر أقامها طلاب إحدى كليات الأزهر منذ شهر ونصف فلم يفسوا حتى في أوقات مرحهم ولهوم الكتب الأزهرية فأوسعوها نكاثنا لاذعة ، وحملات طاغية .

ويعلم الله أن هذه الكتب بريئة من كثير من هذه الاتهامات ، وأن الذين ينتقدونها من الأسانذة لا ينتقدونها عن عقيدة ؛ وإنما يتظاهرون بذلك رغبة في شهرة ، أو استجلاباً لحجة ، وما مثلهم إلا مثل الخطيئة الذي لم يجد في يوم من الأيام ما يذمه ويهجو ، فذم نفسه وهجاها ، فقال :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً بسوء فما أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

• • •

ليس العيب في الحقيقة في هذه الكتب ، وإنما العيب فينا نحن ، ومن الشجاعة أن نعرف بذلك ؛ فإن الله تعالى يقول : « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » .

إن هذه الكتب التي نعيها قضى العناء فيها زهرة أعمارهم وقد بذلوا كل جهودهم في تحقيق

مسائلها ، وواصلوا ليلهم بنهارهم في البحث والتحصيل ، وكانوا أمناء في النقل ، حريصين على تدوين الحقائق ، ولم يشغلوا عنها بزخارف الحياة وزينتها .

ومن بين أصحاب تلك الكتب عمرو بن بحر الجاحظ الذي كان يستأجر المكتبات ويبيت في داخلها ؛ منقبا باحثاً فيما تحتويه من نفائس ويدونها للأجيال من بعده .

ومنهم إمام المحدثين البخارى كان يسافر الأيام والشهور لتحقيق حديث من رواه ، وإن غيرهما من هو على شاكلتهما كثير وكثير كما هو مسطور في تاريخ حياة هؤلاء الجهابذة الاعلام ، الذين قعدوا القواعد ، وفتنوا القوانين العامة ، وطبقوها على الجزئيات والفروع ، ولم يكتفوا بذلك بل افترضوا وتخيلوا مسائل لم تقع ويستحيل وقوعها ، كل ذلك لتركيز القواعد واتساع مجال التطبيق . إن هذه الكتب الصفراء كنوز زاخرة وسراج لا يطفأ نوره ، ولا يخبو ضياؤه ، إنها هي التي صهرت في بوتقتها الافئدة من الرجال ، وزودتهم بما دفعهم إلى الصدارة والقيادة ، وإيقاظ الشعوب من سباتها العميق ونشر الوعي الإسلامى والوطنى ، أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وسعد زغلول والمنفلوطى والمراغى .

وإن الأثر لواضح لمن شبوا على دراسة هذه الكتب في النواحي العلمية .

ولولا أنى لأريد التجريح ولا التعريض بأحد ، لنقلت هنا نماذج لبعض مشاهير الكتاب قبل طبعها ليعرف من لا يعرف ومن على عينيه غشاوة تلك الأخطاء الفاضحة في أبسط قواعد اللغة والنحو .

إن فقهاء القوانين ، وعلماء الدساتير والمعاهدات ، وقضاة المحاكم العليا ومستشاريها لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالدقة في التعبير ، والحفاظ على النصوص ، ووزن الالفاظ بميزان ذهبي دقيق ، ولم يتفاضلوا فيما بينهم إلا بالقدرة على تأويل النصوص ، ومعرفة العلم منها والخاص ، والمطلق والمقيد ، والعلة والمعلول ، والإحاطة بأنواع الدلالات ، إلى غير ذلك من قواعد المنطق وأصول الفقه . على ما هو معروف في نخط الدراسة الأزهرية .

فما بال بعض الناقين على تلك الكتب يحاولون التخلّص منها جميعاً ؟ ثم من لهذه الكتب إذا تخليتم أتم عنها ؟

ومن لكتاب الله الكريم وسنة نبيه إذا لم تفهموا وجوه الإعراب ، ومذاهب النحاة ،
وأساليب البلغاء ، وقواعد الأصوليين ، وأقوال المشككين ؟

هل تتركون كل هذه الكتب للمستشرقين والأجانب ، ثم تكونون بعد ذلك عالة
عليهم في استردادها وفهمها .

إنكم ساعثون تفقدون كل ما تمتازون به ، وتسيرون بأزهركم الخالد بخطوات واسعة
إلى الفناء ، وتستعملون تطبيق حديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه قبل الأوان :
« إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من قلوب العباد ، ولكن يقبضه بقبض العلماء » .

صبراً صبراً أيها الطلاب الأزهريون ؛ إنها فتنة عجيبة وبذور استعمارية بذرها المستعمرون
وأذناهم بالدعاية والإيجاع ؛ ليصرفوك عن دينكم ، ويقضوا على حيوييتكم وحمايتكم لشريعتكم
الفراء ، وليجعلوا الأزهر مدرسة ابتدائية أو ثانوية ، ثم يستغنوا عنها بالمدارس الابتدائية
الأخرى والثانوية .

إن الأزهر صخرة الاستعمار ، وغصة المستعمرين والملحدين ، وستحطم قرونها ،
وستشتد غصنتهم حتى تقضى عليهم ما دمتم أنتم متنبئين لما يراد بكم ، محافظين على ما جعلكم
الله عليه أمناً ، يحيطين أزهركم بعقولكم وأجسامكم .

إن الأزهر ليس لمصر فقط ، وإنما هو أمل المسلمين جميعاً ، وكعبة العلم والإسلام
ولم تباع الدول الإسلامية مصر بالزعامة لكثرة عددها ، أو لانتشار التعليم فيها ، أو لوجود
بيت الله الحرام على أرضها ، وإنما بايعتها بذلك لميزة اختصها الله بها ، تلك الميزة هي الأزهر .

والأزهر ليس هو ذلك البناء الشاخ ، وإنما الأزهر بعلمائه وطلابه ، معقد آمال
المسلمين ، وسراجهم الوهاج ، يبعثون إليه بفلذات أكبادهم ، ويلحون في إيفاد علمائه إليهم .

وما هم علماءه الذين غدتهم تلك الكتب الصفراء ، ورشقوا من معينها الصافي يعملون
جاهدين في تبليغ رسالة الأزهر ونشر دعوته . ومع ذلك ينهمم البعض بأنهم مقصرون
في أداء رسالتهم ، مشغولون عنها بأنفسهم ، فلم يشاهد لهم الناس موقفاً ناجحاً في القضاء
على منكر .

ولكن متى كانت المنكرات تحارب بالعلم فقط إن لم يساعده القانون ، ويظاهاه السلطان ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وقد جاهد الاستعمار في إبعاد أبناء الأزهر عن الحياة العملية ، وحاول دائماً أن يقضى على دعوتهم . فحينما نادى الشيخ المراغى بتجنب القاهرة ويلات الحرب ، حفظاً لآثارها ومساجدها في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل . كان لذلك أثر من الضغط لمسه الناس جميعاً .

إن مؤلفي الكتب الأزهرية لم يؤلفوها لتقرر على سنوات معينة ، وتفرض على عقول غضة لا تستطيع هضمها ، وقد جانب التوفيق الذين قرروها ، وغفلوا عن تطور الزمن ولم يراعوا الاحتمال المفروض لطلاب اليوم ، فمن الواجب أن تتلافى هذا الخطأ ، ونعترف بالواقع فنختار للطلاب من هذه الكتب - وما أكثرها - ما يوافق مستواهم وإدراكهم ، وأن تندرج بهم من الأدنى إلى الأعلى ، وأن تؤلف اللجان من أكابر العلماء لتضيف إليها ما استحدثت من معاملات وأحكام فتختلف باختلاف العرف والوسط الاجتماعي ، وأن نجعلها شديدة الارتباط بحياتنا الواقعية ، متينة الصلة بالاصطلاحات المعاصرة .

بهذا وحده نحافظ على تراثنا الإسلامى ، وعلى ما امتاز به الأزهر من تعمق في البحث ، وحب للمناقشة والجدل للإقناع والاعتناع .

واقه الهادى إلى سواء السبيل ؟

ابراهيم أحمد الوقفى

مدرس بمعهد القاهرة الدينى

وصية عمر إلى أحد ولاته

كتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى عامله على البصرة :

« أما بعد - فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشق الرعاة من شقيت به رعيته . وإياك أن تزيع قزيع عمالك ، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتمت فيها تبتغى بذلك السمن ، وإنما حثفها في سمنها . والسلام . »

علماء الأزهر

واتصالهم بالمجتمع والحياة

قابل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفدا من أساتذة الجامعة الأمريكية وموظفي السفارة الأمريكية ، وسكرتيرة من السفارة اليوغسلافية .

وقد دار بينهم وبين الأستاذ الأكبر حديث طويل تناول موضوعات شتى تمس نواحي مختلفة في الأزهر والإسلام . وقد طلب حضراتهم بيانات عن الأزهر ونظامه ، فشرح لهم فضيلته مراحل الدراسة في الجامعة الأزهرية ، والشهادات التي تمنح في نهاية كل مرحلة ، وقال : إن هذا النظام لا يختلف في وضعه عن نظام الجامعات في الخارج .

الأزهر والنظريات الحديثة :

وتطرق الحديث إلى علماء الأزهر وكيف يواجهون النظريات الحديثة وهم لم يدرسوا غير العلوم الدينية . فقال فضيلته : إن الأزهر يدرس العلوم الحديثة بجانب العلوم الدينية لمواجهة المجتمع خاصة وأن الدين الإسلامي يدعو لذلك ، لأنه يهدف إلى تنظيم علاقة الإنسان بخالقه ، وعلاقته بإخوانه في المجتمع ، وبذلك لا تقتصر مهمة العالم في الأزهر على العبادة والصلاة ، بل لابد من الاشتراك في الحياة العامة وأمورها . وإلا كان مقصراً .

الأزهر كعبة الثقافة :

وسأل أحدهم : كيف يسمى الأزهر كعبة الإسلام وهناك كعبة أخرى بمكة ، وما الفرق بينهما ؟

فأجاب فضيلته : إن الأزهر هو الكعبة للثقافة التي يشع منها نور العلم ، أما كعبة مكة فهي التي يجتمع فيها المسلمون في المؤتمر العام في كل عام في موسم الحج يتدارسون شئونهم ومصالحهم .

لا فرق بين مسلم ومسلم :

وسألوا عن علاقة الأزهر بالمسلمين في خارج مصر . فقال : إن الأزهر لا يفرق

بين مسلم ومسلم ، فهم جميعاً أبناء دين واحد ، وهو يهتم بشئونهم ومصالحهم فى أى مكان ولا فرق بين مصرى وغير مصرى .

الأزهر بعيد عن الحزبية :

وستل فضيلته عن موقف رجال الأزهر واشتراكهم فى المسائل السياسية . فقال فضيلته : إن رجال الأزهر من الشعب . فهم يهتمون به ، وإن اتصلهم بالسياسة يأخذ صبغة قومية . وهم بعيدون عن المسائل الحزبية ، لأنهم يعتبرون أنفسهم فوق الأحزاب لا يناصرون أحداً إلا الحق وحده .

ميزة الأزهر :

وسألوا عن المقارنة بين الحياة الجامعية فى الأزهر والحياة الجامعية فى الجامعات الأخرى ، فقال فضيلته : إن الطريقة واحدة ، وهى إلقاء الدروس بالمحاضرات .

وزيد الأزهر على ذلك طريقة أخرى هى دراسة النصوص دراسة دقيقة ، وفهمها وبحثها ليتمكن الطالب من تمييز الحقائق وتوضيحها . وهذا اللون بدأت بعض الجامعات فى الأخذ به ، ولكن الأزهر يمتاز عنها بالسبق فى هذه الناحية .

من حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

- ما عاقبت من عصى الله فبك ، بمثل أن تطيع الله فيه .
- إياكم وذكر الناس فإنه داء ، وعليكم بذكر الله فإنه شفاء .
- إني أحب أن يكون الرجل فى أهله كالصبي ، فإذا احتجج إليه كان رجلاً .
- من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به .
- لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين فى غير ضعف ، القوى فى غير غف .

الحسن البصرى

٢١ - ١١٠ هـ

الإمام التابعى الذى يقول فيه الخليفة عمر بن عبد العزيز - وقد قيل له : من وليت قضاء البصرة ؟ فقال : سيد التابعين الحسن البصرى ، على أن التقدر الذى أستطيع أن أقدم به إلى القارىء الكريم أنه كان لا يزال فى دقاته . وأنه أعيا على معاصريه فى بلاغته . وأنه أخلص لله إخلاصاً جعل الحكمة تنضح من قلبه على لسانه . والبيان الخارق يتفجر فى بيانه . والحق يسطع فى ثأيا منطقته وبرهانه . فيزيل الرين عن قلوب طالما ألح عليها المرض فكاد يفنك بها ، ويشرق فى نفوس طالما عثا فيها ظلام الغفلة والغرور فحجبها فهل لى أن أتعجل فأزف إلى سمعك بعض عرائسها المصونة ، أو أجدلو بصرك بطلعة محاسنها النادرة عسى أن تصادف منك قلباً خالياً فتمسكن . ولعلها تلهب شوقك إلى التعرف إلى قائلها الإمام الحسن البصرى ، والتزود من صفاته ومحاسن أخباره ، بل لعلها هى نفسها تضع بين يديك تصويراً له . فإن من الكلام ما يحمل صفات قائله ، ويكون عنواناً له . بل ربما كان تاريخاً بطلاً الأسفار ، ويزرى بكل التواريخ والأخبار . وإليك قلاماً من كثر ، من تلك النفائس الدر^(١) .

رأى الحسن رجلاً يكيد بنفسه^(٢) . فقال : « إن أمراً هذا آخره ، جدير أن يزهد فى أوله وإن أمراً هذا أوله ، جدير أن يخاف من آخره »^(٣) .

وقريب منه فى الأسلوب قوله للحجاج وقد عاتبه فى انتقاصه إياه : « إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير من أمنك حتى تلقى الخوف » ، وله رضى الله عنه : « من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء » .

ومن كلامه : « اقدعو هذه النفوس فإنها طلعة ، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور ، واعصوها فإنكم إن أطعتموها نزعت بكم إلى شر غاية » .

(١) المراجع دوة . (٢) يكيد بنفسه يجود بها كناية عن الاحتضار .

(٣) الأمر الأول الدنيا وآخرها الموت ، والأمر الثانى الآخرة وأولها الموت ، والأسلوب فى بدع

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « كأنك بالدنيا لم تكن ، وبالأخرة لم تول . والسلام »
ومن مواعظه رضي الله عنه : « إنما الدنيا حلم ، والأخرة يقظة ، والموت متوسط بينهما ،
ونحن في أضغاث أحلام . من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر . ومن نظر في الدواقب
نجأ ، ومن أطاع هواه ضل . ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم . ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر
فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل . فإذا زلت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت
فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك . واعلم أن خير الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » .

« من كان قوياً فليعتمد على قوته في طاعة الله ، ومن كان ضعيفاً فليكيف عن معاصي
الله - يالها موعظة لو صادفت من الصلوب حياة . أسمع حسيماً ولا أرى أنيساً . ما لهم
تفاقدوا عقولهم . فراش نار وذباب طمع » .

« ابن آدم إنما أنت عدد ، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضك » .

وقال له رجل : مات فلان فجأة ، فقال : « لو لم يمِت فجأة لمرض فجأة ثم مات » .

ومن حكمه : « أدركنا قوما كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليهم » .

« ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها . إذا رأيت في ولدك ما تكره فاعلم أنه شيء .
تراد به فأحسن . شر الناس للبيت أهله ، ويكون عليه ولا يهون عليهم قضاء ديونه ، إذا أراد
الله بعبد خيراً في الدنيا لم يشغله بأهل ولا ولده » .

ولأنك أيها القارىء الكريم لو أخذت تتبع ما لهذا الإمام العظيم من آداب وحكم
ومعارف إذا نظرت بالسكز الثمين ، وتجلت لك البلاغة سافرة مشرقة ، ولأيت صفة
الإيجاز كيف تكون في أربابها ، ويكون على النفوس أثرها ، وهي آثار كما قلت لك تعرفك
أن الرجل من رباني هذه الأمة ، وفقهائها العاملين ، ونصحائها المجاهدين ، وحجزة الناس
عن الشر يأخذونهم بحجزم إلى الجنة - وإليك شيئاً من تفصيل أحوال هذا الإمام ، وتقلبه
في شئون السكال :

ولهذا الإمام في السنة الحادية والعشرين لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وبقى إلى سنة ١١٠ هـ. فكانت سنو حياته تسعين سنة تقريبا، وفي ظروف مختلفة، تباين أوضاعها، وتختلف مناهج الحياة الاجتماعية فيها، إلا أنه قضى زهرة حياته في جمع العلم من أطرافه، وأدرك (كما حدث عن نفسه) نحو ثلثائة من أصحاب (المدرسة الثالثة الأولى) والعهد الذي لم تشهد الدنيا مثله: علما ربانيا، وأدبا سماويا، وخلقا عظيما. اتصل بهم في المدينة المنورة التي هي العش الأول لهم، وأخذ عنهم العلم في حرص وإقبال، دل عليه ما انتهى إليه من كمال. وقد قضى شطرا من حياته - كما دلت أخباره - بالعراق موطن المدينيات القديمة، ومستقر الملل والنحل من قبل ومن بعد. وهو بعد فارسي الأصل حصيف العقل، مشرق النفس، فاستطاع أن يرى الحق من بين فرث ودم لبنا خالصا سائقا للشاربين.

وكان مما امتاز به (كما امتاز ابن سيرين صاحبه) أنه كان من الموالي. ومن موالي الصحابة أيضا. فأبوه (يسار) مولى زيد بن ثابت الصحابي الجليل، وأمه (خيرة) مولاة أم سلمة أم المؤمنين. وفي أخباره أنه ولد في بيتها المبارك، وأن أمه كانت تغيب أحيانا في بعض الشأن لأمنا الكريمة أم المؤمنين فتعله بشيها الطاهر، وكان أحيانا يدوله فيشرب. فن أنت يا أبا سعيد؟ ومن ذا الذي ظفر بهذا الفضل المجيد مثلك. إنا لنظن كما ظن الناس من قبلك أن ييانك وحكمتك وغزارة مادتك إن هن إلا مدينيات لتلك الرضعات النبويات. فله إذا درك، لا لايك ولا لامك. ذلك لعمر أبي الحجاج هو الشرف. لا ما عيرك به إذ يقول لأهل الشام: أيشتمنى عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكروا!

تستطيع إذا أيها القارئ الكريم أن تحدث عن العوامل والمؤثرات التي كان لها خطرهما في تكوين هذه الشخصية وزيادة على ما منحه الله من جمال وكمال جسمي فتقول:

١ - ولادته في هذا البيت النبوي الكريم، ونشأته الأولى فيه، يسمع ما يتلى من آيات الله والحكمة، فينبت عليها لحمه ودمه، ويرى صوراً من الآداب، ومظاهر الطاعات والإحسان، فتمتزج بها نفسه، مع أصالته وقوة استعدادده وسلامة فطرته.

٢ - كونه من الموالي الفرس، الذين أخذوا العلم على أربابه وحرصوا أن يسبقوا إليه ويكونوا أولى به. لأنهم تفرغوا لخدمة العلماء الربانيين، ليس لهم رأس مال سواه. ولا حسب لهم بين العرب بدونه، لهذا كانوا في التاريخ أهل العلم الذين نبأ بهم النبي ﷺ

في قوله ، لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس ، ثم تلا الآية الكريمة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) .

ولهذا كانوا مراجع للسلمين والعرب في علوم الدين واللغة . ولولاهم لذهب الكثير من معارف الإسلام القيمة ، وكان ابن سيرين فيهم بحيث علت سبعا وامتنازا .

٣ — إن الحظ تكامل له فأدرك من صفوة الرعيل الأول في مدرسة الإسلام ما هو كفييل أن يربي أhabارا وربانيين ويكون أجيالا من الفاضلين .

ولقد كونوا أئمة رجال القرن الأول والثاني . ومن أعظمهم انتفاعا وإفادة ، هذا الإمام الذي لقي ثلثمائة منهم ، فيهم سبعون من البصريين ، وبأهلها سعادة .

٤ — اتصل في العراق بأولئك السريان الذين أنشأوا بها المدارس الثقافية فسمع منهم مختلف الآراء والمذاهب ، الصحيح منها والفاقد ، وكان يعرضها على علم الصحابة ، ومعارف الكتاب والسنة ، فيقبل ما لا يدفعه الإسلام الصحيح ، ويدعم به معارفه ، ويذكر به أدبه ، ويلقح به معارفه . فأما ما يدفعه دينه (وهو أول ما صادف قلبه فتمكن واستحصد) فإنه يدفعه دفع الصديق الوامق عن صديقه . ويتخذ لحربه من الأسلحة ما هو جدير أن يرد به ، والحق قوى ، والباطل زهوق .

٥ — كان لما شهد الحسن من التناقض في المشارب بين عهدين عهد الخلفاء الراشدين وهو ما تعلم ، وعهد من بعدهم وهو أيضا ما تعلم ، أثر بالغ في نفرتة من الثاني وقد امتلا بالآول واندمج فيه وتغافى في حبه ، فهو برم بما يغيره . أو يفسد قداسته ، فكان جديرا أن ينفر من الأحداث والمظالم وما يتصل بذلك أو يدعو إليه ، وهو إنبار الدنيا والاطمئنان بها ، والغرور بزبرجها ، ومن صور هذا التأثير في نفسه الكريمة قوله : لو أن رجلا منكم أدرك من أدركت ... لأصبح مهوما وأمسى مغموما ، وعلم أن المجد منكم كاللاه ، والمجهت كالنارك ، ولو كنت راضيا عن نفسي لو عظمتكم .

كان لهذا كله ولغيره معه أثره في نفس الحسن ، فجاء كما وصفه ابن خلكان ، وكما وصفه غير ابن خلكان ، من سادات التابعين وكبرائهم ، جمع من كل فن : من علم وزهد وورع وعبادة^(١) ووصفه أبو نعيم في الحلية : حليف الخوف والحزن ، أليف الهم والشجن ، عديم النوم والوسن ، الفقيه الزاهد .

محمود التوروي

لورضى الناس !

يكاد يكون من المستحيلات أن تجد إنساناً راضياً عن مكانه في الحياة . ذلك بأنك لا تلقى إنساناً في المنزل أو في النادي أو في الطريق ، أو حتى في أماكن اللهو واللعب إلا وجدته ساخطاً ثائراً يلعن الدنيا ، ومن فيها ، وما فيها ، ولا يحدّثك إلا بكياً حزيناً ثم يقص عليك من فعل الزمن به ، ومن حوادث الأيام التي انتابته ، ما يستنزف من عينيك الدمع ، ويستنزّل من قلبك الشفقة ، ثم لا ينسى - إن تمادى بينكما الحديث - أن يذكر لك ما يتمتع به الآخرون من نعيم ، وما يعيشون فيه من خفض وسعادة ، ويكاد يقسم لك أنه - وحده - المصاب المبلى ، ولكن ما درى أن الأمر كما قال الشاعر :

لنكل شجون في الحياة كثيرة	ولكن يوارى هن سواء شجونه
وكل امرئ يبكي لبلاء غابطاً	ففي مثله ياكى الفؤاد حزينه
ولم يدرك إنسان بآلام غيره	فهم مثل ما يبدو الجوى يكتمونه
وكل ينادى نفسه في خلائه	بأن جميع الناس تسعد دونه

والسر في هذه الشكوى التي لا تنقطع ، وتلك المغموم التي تملأ نفوس الناس ، أن كل إنسان ينظر إلى ما ينقصه من متع الحياة ، ولا ينظر إلى ما عنده ، ولا يرضى فيما عنده ، مهما جل ، مغنياً عما يفقده ، وتراه كلما وصل إلى غاية نطلع إلى ما فوقها ، وهان عليه ما أدركه ، وقد عبر عن هذا المعنى رجل جليل القدر ، عظيم الشأن ، هو سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الزاهد فقال : « إن لي نفساً تواقة : تواقت إلى الإمارة فلما نلتها تواقّت إلى الخلافة ، فلما نلتها تواقّت إلى الجنة . »

والناس : يتطلع أحدهم إلى المال ، فإذا نال منه قسماً طلب المزيد ، فإذا كثر ماله طلب الأكثر ، ولا يزال يطلب ويستزيد ، وهذا معنى قوله عليه السلام : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا ابتغى ثالثاً » ، ويتطلع إلى الذرية ويسأل الله أن يهب له من لدنه ولياً يرثه ، ويرث آباءه ، فإذا رزق البنات طلب البنين ، فإذا رزق البنين اهتم بمكانهم وحظهم من

الحياة . وقل مثل ذلك فى الصحة والجاء والعلم ، فلا يزال فى هم من حظوظ الحياة ، ثم ينظر إلى الصفحة من جهتها الأخرى ، فإذا فيها حوادث الدهر ونكباته من نقص فى الأموال والأولاد ، وضعف فى الصحة ، وإبتلاء فى النفس ، فلا يزال — كذلك — يشكو ويتن .

وقد أصبح من الأمور البديهية أن أعدى أعداء الإنسان هو الهم ، وأن اضطراب الأعصاب ، وكثيراً من الأمراض إنما يرجع إلى ما يعترى الإنسان من هم وغم وحزن ، ولذلك اتجه العلماء وجهة جديدة ، فأخذوا يؤلفون الكتب ، وينشرون المقالات والأبحاث التى تبين للإنسان كيف يتمكن من التغلب على الهموم ، وتيسر له كيف يجعل حياته سعيدة طيبة ، فدعوا - أول ما دعوا - إلى الرجوع إلى الدين (فإنه لا توجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر لا ترجع فى أساسها إلى فقدان الإيمان ، وخروجهم على تعاليم الدين ، ويصح القول بأن كل واحد من هؤلاء المرضى ، وقع فريسة للمرض لأنه حرم سكينة النفس التى يجلبها الدين - أى دين كان -) كما يقول كارل يونج أعظم الأطباء النفسانيين فى هذا الجيل .

كما تمرض أولئك الباحثون لصائح كثيرة يستعان بها على مواجهة الحياة ، لو اتبعها أصحاب الأمراض الحزينة ، والمواظف الثائرة ، لاستراحوا وهدأت عواطفهم .

ونحن نجد فى ديفنا الإسلامى أنجح علاج لهذه الأمراض ، ذلك هو الرضا ، الرضا بما حصل عليه الإنسان من خيرات ، وما حققه من آمال ، والرضا بما يصيبه من أحداث ، فإن الرضا أكبر داعية إلى هدوء النفس وطمأنينتها ، وإلى التغلب على آلامها وهمومها ولن يرضى الإنسان - حق الرضا - حتى يظر إلى الحياة نظراً سليماً ، وحتى يمسلاً نفسه الإيمان الخالص ، فإذا نظر إلى الحياة نظراً سليماً رأى أنه أعطى من الخيرات ما يكفل له عيشة هنية راضية ، وإذا ملا نفسه الإيمان الخالص رأى أن كل الأحداث التى تمر به أمور عادية فى الحياة ، ليس هو المختص بها من دون الناس . والفرق بين رجلين أحدهما صاحب مزاج ضاحك مستبشر ، والآخر صاحب مزاج باك حزين هو ما تعب عنه هذه الكلمة : يقول المتفائل : إن كأسى ملأى إلى نصفها ، أما المتشائم فيقول : إن كأسى فارغة إلى نصفها فخطبهما من الحياة لم يختلف ، ولكن اختلف نظرهما إليها . على أن الإنسان لو نظر إلى من

هو دونه - في شئون الدنيا - كما أمر بذلك ديننا الخفيف - لمالات نفسه السكينة . وهذا أيضا ما نجده في تعاليم المحدثين ، يقول أحدهم :

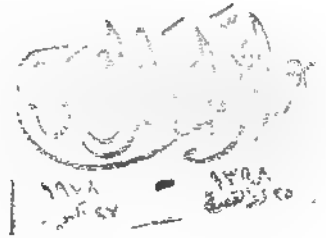
كاد القلق ييئدني هباء لأن قديمي افتقدنا حذاء
حتى رأيت منذ يومين شخصا بلا قدمين

ولو فكر الإنسان فيما عنده لرأى نفسه مقصرا في شكر ما أنعم الله به عليه ، ولقد شكى بعض الناس فقره إلى بعض أرباب البصائر ، وأظهر شدة اغتمامه فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا . قال أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا . قال : أيسرك أنك قطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ قال : لا . فقال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا . فقال : أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا ؟

لو فكر الناس تفكيراً سليماً ، ولو آمنوا إيماناً خالصاً ، لرضوا بنصيبهم من الحياة ، ولورضى الناس بمحوظتهم من الدنيا ، لماشوا في سعادة ونعيم ، ولا ستقنى العالم عن نصف الأطباء ، ولكن :

كل من لا يت يشكو شجوه ليت شمرى هذه الدنيا لمن ؟

على محمد حسن العمري



الدين والوطن

من لا خير فيه لدينه ، لا خير فيه لوطنه . لأنه إن كان ينتفضه عهد الوطنية غادرا فاجراً ، فهو ينتفضه عهد الله وميثاقه أغدر وأجر . وإن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان فن لم يحرص عليها فأحر به أن لا يحرص على وطن السقوف والجدران (المنفلوطي)

تعليقات

١ - حول الفن القصصى فى القرآن

جاء فى صحيفة الأهرام بتاريخ ٦ - ٢ - ١٩٥٤ تحت عنوان - الفن القصصى للقرآن - كلام لمدرس بكلية آداب القاهرة ، وتأييد له بمحدث لعميد الكلية بالنيابة . ينتهيان إلى أن رسالة ، الفن القصصى فى القرآن الكريم ، ليس فيها كفر ولا نحوه ، وأن هذه الضجة التى أثارت حولها منذ سنين سبع لا معنى لها ، وأن إبعاد صاحبها عن الجامعة لا مبرر له ، وأن الحياة خارج الجامعة تحتل من حرية البحث ما لا تحتمله الحياة داخل الجامعة .

وقد يكون لهذا الكلام هدف خاص مثل إعادة صاحب هذه الرسالة إلى الجامعة بعد ما أقصى عنها بقرار جامعى ، حكومى ، برلمانى ، وقد يكون ذلك استجابة لبعض هذه المحاولات التى تجرى الآن فى كلية الآداب ، على أساس التكنل المعروف ... وهو شئ لا يهمنا .

وقد كان من المفروض الاكتفاء بهذا الرد الموجز القيم الذى نشرته مجلة الأزهر فى عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ هـ للأستاذ الكبير السيد محمد أحمد القمراوى ، ولكن للسؤاله جوانب أخرى ينبغى أن تسجل فى هذه المجلة الكريمة ، ليسكون الناس على بينة من أمرها ولئلا يخذعوا بشائعات المفرضين .

وأول ذلك أن مشروع هذه الرسالة حين تقدم إلى كلية الآداب سنة ١٩٤٧ رفضت لجنة الفحص تقديمه للنقاش وأسقطته لأسباب علمية ، دينية ، خلقية ، ويكفى أن أشهد بغاية الإيجاز إلى أن هذه الرسالة تقيس القصص القرآنى بمقاييس ليست وثيقة ولا مقررّة فإن خالف القرآن تلك المقاييس كان عند أصحابها كذباً وافترافاً على التاريخ ، أو كان نوعاً من ذلك الفن الأدبى الذى لا يلتزم الواقع التاريخى ، ولا الصدق العقلى ، وإنما يخضع

في تأليفه لهذه الحرية الفنية التي يخضع لها كل فنان موهوب ، وتطبيقا لهذه القاعدة ، صار القرآن - في رأى هذه الرسالة - يقول على اليهود وينطقهم بما لم ينطقوا به ، ويقول أموراً لن تحدث . ويقرر أمراً خرافياً أو أسطورياً ثم يعود فيقرر نقيضه . ويغير الواقع ويدل وي زيد وينقص بحكم هذه الحرية الفنية . وهكذا كانت قصة موسى في سورة الكهف ليس لها أصل تاريخي ولا أسطوري ، والإجابة عن الأسئلة التي كان يوجهها المشركون للنبي ﷺ ليست تاريخية ولا واقعية . وقصة إبليس مع آدم من الخلق الفني الذي لم يتشبع فيه القرآن بالواقع . ومصادر القصص القرآني ، هي التوراة والإنجيل والأقاصيص الشعبية ، وما امتزج بها من عناصر فارسية وإسرائيلية ، وإن ما تمسك به المستشرقون على أنه من أخطاء محمد الناتجة عن جهله بالتاريخ ليس بذى بال . ذلك لأن المسألة تعلل بأكثر من سبب . فقد يكون ذلك من عمل الفنان الذي لا يعنيه الواقع التاريخي ، ولا الحرص على الصدق العقلي ، وإنما ينتج عمله ، ويبرز صوره ، ويوحى بما يشاء ، بقدرته على الابتكار والاختراع ، والتغيير والتبديل .

ثم تدعى كذبا ، وجهلا ، وخيانة على أمثال الزمخشري ، والفخر الرازي ، ومحمد عبده أنهم قالوا بما يؤيد هذا الهراء الجاهل الضال .

وأخطر من ذلك أن ينشر أصحاب هذه الرسالة في بعض الصحف أن كلا من فضيلتي الشيخ عبد المجيد سليم ، والشيخ محمود شلتوت قد أفتى لصالح هذه الرسالة ، ولكن فضيلتي الأستاذين يكذبانهم علنا في الصحف ... ثم ماذا ؟

ثم يطلب السيد عبد الرزاق السنهوري وزير المعارف حينذاك إلى فضيلة الشيخ محمود شلتوت لخص هذه الرسالة وكتابة تقرير عنها ، فإذا بهذا التقرير يدمغها ، بالكفر ، وبالجهل ، والفساد ، لأنها قامت على أسس فاسدة ، وأنها غارقة في تكذيب القرآن الكريم ، وأن كانها افترى على العلماء ، وأنه جاهل لا يفهم النصوص ، وختم تقريره برجاء الرئيس الأعلى للجامعة أن يطهرها من هذه الدراسة التي تنافي الحرية العلمية ، وتنتهي إلى الفوضى ، وتهدم الأصول الإسلامية في هذا البلد الإسلامي الكريم .

ولم يسكت الأزهر ، فقد قال رأيه في هذه المسألة التي تعد من صميم اختصاصه .
فقد أفتى أكثر من مائة عالم أزهري في طائفة كثيرة من نصوص هذه الرسالة بأنها مكفرة
بمخرجها صاحبها من الدين الإسلامي ... الخ .

* * *

ثم ماذا ؟ ثم تقدم النائب المحترم السيد الأستاذ عبد العزيز الصوفاني يستجوب الحكومة
عن موقفها من هذه الرسالة ، فرجعت الحكومة إلى الجامعة وعادت منها برفض الرسالة ،
وإبعاد كاتبها عن الجامعة ، وتحمل الطالب وحده مسئوليتها وذلك بحلقة ٢٤ / ٣ / ١٩٤٨
وهنا سكنت المشرف ، وقضى نهائياً على هذا المشروع الجاهل ، الضال . الفاسد .

* * *

وهنا نسأل : هل هذه الصورة المطبوعة التي قال عنها عميد الآداب بالنيابة ما قال . هل
هي مطابقة لذلك الأصل الذي قدم إلى لجنة الفحص بكلية الآداب سنة ١٩٤٧ . ويعرف
العميد بالنيابة من أمره ما يعرف ١٤

الواقع أن هذه الصورة المطبوعة ليست مطابقة لذلك الأصل أولاً . ثم هي صورة
لا تزال جاهلة ، ضالة ، فاسدة ثانياً : كما أعلنت ذلك في بحث مطبوع منشور من قبل .

أما أولاً : فأين في هذه الصورة المنشورة ما قيل في الأصل عن مصادر القرآن ؟
وأين ما قيل عن قصة موسى في سورة الكهف ؟ وأين ما قيل ما يفيد : إما أن محمداً فنان
هذا القرآن وصاحبه وإما أنه من عمل الذي لا يعنيه الواقع التاريخي ولا الصدق العقلي
ولأنما يغير ويبدل ويريد ويخترع لأنه فنان موهوب ؟ وكيف حرفت عبارة تدل على
أن القرآن لم ينشأ بالواقع في قصة إبليس وآدم ، وكيف اضطرب الأمر أمام الأسطورة
والأساطير بعد ما قال الأقدمون إن الأساطير كذب وبهتان لم ينزل به وحى . إلى غير
ذلك مما يثبت التزوير والتضليل ١٤

وأما ثانياً ، فلا يزال القرآن — في هذه الصورة المنشورة — يقول على اليهود ،
ويتقول ما إن يحدث ، ويحكى غير الواقع ، وحين يقول القرآن الكريم « لقد كان في قصصهم
عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى » . . . تتوقف هذه الصورة المنشورة أمام هذا النص
الحاسم الذي يقطع بأن قصص الرسل غير كاذب ولا مفترى ، وتقول : ولا يصح لمعارض
أن يعترض على أن في الأقاصيص القرآنية مخالفات للحق والواقع أو مخالفات للتاريخ إلى غير
ذلك مما هو آخذ بأفانها .

وأحب أن أشير هنا إلى أن ما ورد في هذه الصورة المطبوعة عن قول الله تعالى عن اليهود: «وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله» يقول كاتب الرسالة بالحرف الواحد: «فليس من شك أن اليهود يتكبرون رسالة عيسى ومن أجل ذلك قتلوه، فهم لم يقولوا هذا القول وإنما أنطقهم به القرآن».

وبدهى أن عبارة — رسول الله — إما أنها من قول اليهود سخريّة، وإما من قول الله بيانا للواقع وإكبارا لعيسى عليه السلام، وهذا ما أراده صاحب الكشف وإن لم يفهمه أصحاب الرسالة، ومن الخير لهم أن يرجعوا إلى الكشف في هذه الآية ليعرفوا أن الزعشري يقول في بيان ذلك: قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون: «إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون»، ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به، وتعظيما لأرادوا بمثله كقوله: «ليقولن خلقهن العزيز العليم»، الذي جعل لكم الأرض مهادا.

وواضح أن صاحب الكشف يريد أن الله تعالى يضع الذكر الحسن على أنه من قوله هو تعالى، لا على أنه من قول اليهود، يفعل ذلك أثناء حكايته قصتهم ومجادلتهم. وإذا أرادوا زيادة الإيضاح فليرجعوا إلى ما قاله الزعشري نفسه في تفسير هذه الآية: «ليقولن خلقهن العزيز العليم»، من سورة الزخرف، لعلمهم يعلمون من هذه المقايضة ما يريد صاحب الكشف بقوله في تفسير آية النساء.

كذلك تقولوا - وهم في سبيل الدفاع عن هذه الرسالة - على الأستاذ محمد عبده. فقالوا: إنه يجري على طريقة الخلف إزاء القول في القصص القرآني، فيكذبهم الشيخ محمد عبده نفسه بقوله: وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض. وذلك بصدد القول في قصة الخليفة. وتقولوا على الشيخ محمد عبده أنه قال: إن القرآن لا يلتزم حدود التاريخ وذلك في تفسير قوله تعالى: «ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت...»، ولكن الشيخ محمد عبده لم يقل ذلك ولم يعلنه مدويا في الرواق العباسي كما ادعوا عليه، فليرجعوا إلى تفسير المنار لعلمهم يعلمون من قاله، بل لعلمهم يفهمون ما قيل هناك.

وقد كفانا الأستاذ الشيخ محمود شلتوت - في تقريره عن هذه الرسالة - مثونة الرد على ما ادعته هذه الرسالة وأصحابها على الشيخ محمد عبده من أنه قال: إن القصص القرآني من

المتشابه بهذا المعنى الذى يجرى فيه التأويل والتفويض ، والتقرير بين أيدينا لمن يريد أن يراه ولعل مجلة الأزهر تنسج لفشره كاملا .

وأما موقفهم من الفخر الرازى ، فقد بينه المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى بما فيه الكفاية فى مجلة الرسالة عدد ٧٤٩ - نوفمبر سنة ١٩٤٧ . وذلك بمناسبة تفسيره قوله تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق ، وموعظة وذكرى للمؤمنين » ، وانتهى من مقاله هناك إلى أن أثبت على أنصار الرسالة الجبل ، والكذب والخيانة (ص ١٣٣٦ من مجلة الرسالة عدد ٧٤٩) ولولا ضيق المجال هنا لأوردت ما نشر هناك أو فصلت القول فيه .

أحمد السائب

٢ - فى ركاب أبى بكر وعمر

ما كاد ينشر الجزء الماضى من مجلة الأزهر ، وتناوله الأبدى حتى حمل إلينا البريد قصيدة ثائية رائعة من نظم الأستاذ صابر على رمضان الجوشنى ، يستغرب فيها كيف يوجد فى الأرض مسلم ينتسب إلى العلم ، ثم يشك فى إيمان صاحبه رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر . ومن قوله فيها :

سلاوا الشيخ ما شأن إيمانه	وما الراشدون وما البيعة
أولئك لو تجهل الراشدون	ن وهم - أيها العالم - الصفوة
وأصحاب هذا النبي الكر	يم .. وهم بعده للورى رحمة
لقد قتل المسلمين الخلا	ف ، فكل له منهم غاية
فهذا الإمام ، وهذا الزم	يم ومن خلفهم فى الورى لجة
تعالى الذى أبدع الكائنا	ت « وفى كل شيء له آية »

والقصيدة طويلة ، وفيها تعريض ودفاع شديد ، فاكتفينا من ذلك بهذه الإشارة ، على طريقتنا فى الدفع بالتى هى أحسن .
(المجلة)

٣ - موقف رجال الدين من السينما

نشرت أخبار اليوم في عددها الصادر في ٢٠/٢/٥٤ حديثاً للكاتب الكبير الأستاذ محمد التابعي عن الأفلام التمثيلية التي تعرض في دور السينما « للدعاية الدينية ، ولغير دين الإسلام » .

وقد هال الأستاذ التابعي - كعصرى مسلم - أن تذاع خمسة أفلام للدعاية غير الإسلامية في بلد كعصر ، وفي عام واحد ، ثم لا يذاع بجانبها فلم واحد عن الإسلام وهو دين الدولة . كما هاله أن تمر هذه الأفلام حتى تظهر على الشاشة أمام جمهرة المسلمين وغير المسلمين ، وفيها ما فيها مما يمس كرامة الأنبياء ، دون أن يبدي رجال الأزهر والدين - على حد تعبيره - اعتراضاً على ذلك ، في حين أن مشيخة الأزهر قد سبق لها أن تعرضت لشركات مصرية يوم قيامها بعرض مثل هذه الأفلام ، بحجة « أن للأنبياء والرسل والخلفاء الراشدين وكبار الصحابة كرامة قد تعرض صيانتها على التمثيل ، وأن لهم شخصيات فذة فريدة قد تستحيل على مقدرة التمثيل وكفاءة الإخراج ، وأنه مما لا يتفق مع هذه الكرامة وهذه القداسة أن يقوم بتمثيل دور نبي أو رسول أو صحابي كبير يمثل قد تكون له عيوبه ونقائصه في الحياة الخاصة ، وقد تكون معروفة عند الجمهور » .

فكيف يسمح - وهذه حجة رجال الدين - لشخص هذه هي عيوبه ونقائصه بتمثيل دور نبي ورسول كريم ؟ كيف يسمح رجال الدين بهذا الاعتداء على كرامة هؤلاء الأنبياء والرسل وهي الأمانة في أعناقهم ، بصفتهم الحفاظ الأمانة على كرامة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

ولكن رجال الدين والأزهر لا يذكرون هذه الأمانة التي في أعناقهم إلا في الأفلام المصرية ومع الممثلين المصريين ... إلى آخر ما كتب الأستاذ التابعي .

والأستاذ مشكور على غيرته البادية فيما كتب ، وعلى استناده رجال الدين والأزهر إلى القيام بواجبهم نحو من يتعرض للأنبياء والرسل من غير تفريق بين الممثلين المصريين وغير المصريين .

غير أنه أبدى في نهاية مقاله - وفي كثير من عباراته قبل النهاية - أنه يود لرجال الدين أن لا يمنعوا أحداً ، بل يدعوم إلى إباحة عامة لكل من يرى تمثيل نبي أو رسول . ويعتبر منع ذلك ، من التقاليد البالية ، وخرافة من الخرافات التي لا يجد هو سنداً لها من كتاب الله أو في سنة أو حديث (كذا) .

ومع التناقض الواضح في موقف الأستاذ - من غيرته أولاً على الأنبياء ، وتأثره لعدم نشاط رجال الدين ، ومن دعوته أخيراً إلى إباحة هذا التمثيل عامة ، واعتباره أن منع ذلك خرافة بالية - نطمئنه على أن موقف رجال الدين من هذه الأفلام الأجنبية اليوم هو موقفهم من الأفلام المصرية بالأمس ، وأنهم لم يفرقوا بين مصرى وغير مصرى في ذلك . بل سبق أن أفتت لجنة الفتوى بالأزهر بمنع شركة أجنبية من عرض فلم يمثل يوسف عليه السلام ، ونشرت هذه الفتوى في الصحف .

وأخيراً كتبت مشيخة الأزهر إلى الجهات المختصة بما تراه في فلم « الرداء » ، بالذات ، وفي نحوه من الأفلام التي أشار الكاتب إليها ، وتلقت المشيخة رد تلك الجهات بالموافقة على وجهة نظر الأزهر ، مؤكدة أنها معنية بتنفيذ ما جاء في خطاب المشيخة من ملاحظات .

أليس هذا دليلاً على أن رجال الأزهر لا يميزون في إنكار المنكر بين ما يصدر منه عن شركات مصرية وما يصدر منه عن شركات أجنبية ؟

وهل يملك الأزهر أكثر من ذلك ؟ أو هل بيده وسيلة أخرى يقف بها تلك الأفلام غير لفت أنظار المسؤولين إليها .

ليطمئن الأستاذ التابعي إلى أن الأزهر سبق إلى عمل ما يملكه إزاء هذا الموضوع ، فإن لم يكن علمه أنه يستريح الآن ، وإن كان يعلم وإنما يتذرع بهذه الغيرة إلى الغمز الجارح ، واعتباره أن المنع لهذه الأفلام خرافة بالية لا سند لها عنده من كتاب ولا سنة ولا حديث - كما يقول - فالسند عند غيره من أهل الذكر . وليس حتماً أن يكون السند عند كل فرد من الأفراد . وإن كان علم الأستاذ بالسند أو عدم علمه به مما يقبح له أن يكون صاحب الرأي في هذا الشأن ، فليفضل هو بالمبادرة إلى الإفتاء في هذا دون أن يعتب على الأزهر ويغمز بما لا يليق .

وقبل أن نختم هذه الكلمة نود أن تديد الدولة نظرها إلى السينا بوجه عام ، فترسم
لمصر سياسة حكيمة صالحة فيما يوافق مصلحة الأمة ، ويحفظ عليها أخلاقها ودينها ، ويوفر
لها أسباب السعادة البينة والاجتماعية ، فإن ذلك من أهم الأسس في السياسة التوجيهية
الرشيده التي يجدر بالدولة أن تأخذ بها في نهضتها الحاضرة .
(المجلة)

٤ - رد على رد - حول خرافة الميتافيزيقا

كان فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء ، قد نشر في جزى صفر
وربيع الأول من هذه السنة مقالين في نقد كتاب (خرافة الميتافيزيقا) للدكتور زكى نجيب
محمود ، وخص بالعناية بحثاً من بحوثها وهو الخاص بقانون التناقض . ثم نشرنا في جزء
جمادى الأولى مقالا للأستاذ الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة ، أشار فيه إلى كتب شيخ الإسلام
ابن تيمية في نقض ما فى المنطق من نواحي الضعف ، إلى غير ذلك مما لا يزال القراء
على ذكر منه .

وقد جاءتنا فى هذا الشهر مقالة مطولة من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة يرد بها
على مقالة الأستاذ الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، ويقول له فيها :

« إني قرأت كتاب ابن تيمية في نقد المنطق مطولة ومختصرة . . . ولم أر فى الكتاب
ولا فى مختصره ما يعيب به قانون التناقض ، ولا ما يمس من قريب أو بعيد . وكنت أحب
من الشيخ الناقد أن يدخل فى موضوع المناقشة ويهدم ما ذهب إليه ، ويؤيد المؤلف
فى هذا الموضوع المحدد ، ولكنه لم يفعل ، وذهب إلى عمومات يتكلم فيها لاثق حقاً
ولا تبطل باطلاً . »

ولما كانت وجهة كل من الكاتبين قد تبينت مما سبق نشره لهما من قبل ، فقد اكتفينا
من مقال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة بهذا التقدير ، لئلا تشغل القراء عن مهمة المجلة
الأولى من البحوث الإسلامية ، والمعانى العامة التى يشترك فى الإفادة منها العدد الأكبر
من القراء .
(المجلة)

٥ - تفسير بيت من شعر جاهلي

نشرت المجلة بالصفحة ٦٨٥ بالجزء الاخير ، كلة للأستاذ محمد بدوي المختون خطأ فيها
الأستاذ عز الدين إسماعيل في تفسير هذا البيت . وهو :

فإن أنتم لم تنأروا واتدبتم ففشوا بأذان النعام المصلم
إذ فسر بقوله . أى أنكم إن لم تنأروا وقبلتم الدية ، فتمشون كما يمشى النعام المقطوع
الأذن ، لا تسمعون ما يقال فيكم من العار .

وقال : إن الصواب أن ، مشوا من المش ؛ معنى المسح . ومنه المشوش أى المنديل
الذى يمسح به .

والواقع أنهما روايتان ، وكلاهما صواب حسبما قرره شارحا ديوان الحماسة العلامة
التبريزي والإمام المرزوقي وشارح الأملالي :

قال التبريزي ج أول ص ١١٨ من طبعة بولاق ما يأتي :

وقوله : فشوا بأذان أى امشوا . وضعف الفعل للتكثير (ومن روى فشوا فعناه امسحوا .
ويقال لمنديل الغمر المشوش) والمعنى إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاء ، بأذان
مجدة كأذان النعام .

ووصف النعام بالمصلم تصغيراً لها وإن كانت خلقة . يقول : كأنكم مما تعيرون
ليست لكم أذان تسمعون بها فامشوا بغير أذان أى صمماً عما يتكلم به الناس في عيكم .

وقال الإمام المرزوقي جزء أول ص ٢١٨ .

وقوله (فشوا) أى امشوا . وضعف الفعل للتكثير . (ومن روى فشوا بضم الميم
فعناه امسحوا . ويقال لمنديل الغمر المشوش) .

والمعنى إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاء بأذان مجدة كأذان النعام . ووصف
النعام بالمصلم تصويراً لها ، وإن كانت خلقة جميعها كذلك .

وجاء في سمط اللآلي في شرح الأملالي ص ٨٤٨ بعد أن ذكر البيت :

تريد : إن قبلتم الدية فكفونا صماً وامشوا بأذان النعام . فإن الناس لا بد لهم من الحديث بما فعلتم . والنعام لا يسمع . يقال : صلخ كصلخ النعامة .
وقال علقمة :

فوه كشق العصا ما إن تيننه أسك ما يسمع الأصوات مصلوم
وما ههنا بمعنى الذى . أى أسك الشيء الذى يسمع الأصوات .
وقال قوم : إنما أراد امشوا أذلاء ، كما يشى من صلت أذناه .
ويقوى هذا المعنى قول أخت ابن مية التى قتل زوجها فى جوار الزرقان :
أجيران ابن مية خبرونا أعين لابن مية أم ضمار
مى تردوا عكاظ توافقونا بأذانت مسامعها قصار
وبروى : فمشوا بضم الميم أى امشوا بأذانكم المصلة .

جزيرة الروضة محمد فتواد عبد الباقى

تزوير يديتين على أبى فراس

حكى بديع الزمان الهمذانى قال : قال صاحب بن عباد يوماً لجلسائه - وأنا فيهم -
وقد جرى ذكر أبى فراس الحمدانى :

- لا يقدر أحد أن يزور على أبى فراس شعراً .

فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذى يقول :

رويدك لا تصل يدها بياحك ولا تفر السباع إلى رباعك

ولا تفر العدو على إني يمين إن قطعت فن ذراعك

فقال صاحب : صدقت .

فقلت : أيد الله مولانا قد فعلت .

والبيتان ارتجلهما بديع الزمان فى ذلك المجلس ، بأسلوب أبى فراس الشعرى ، حتى خيل
إلى صاحب أنهما من شعر أبى فراس حقا .

مقتطفات

١ - الأزهر والحياة

تفاوتت قيم الجامعات العلمية ، بقدر تفاوتها في قيم الأمانة التي تحملها ، ومن هنا ترتفع درجة الأزهر في مقاييس المعظمة إذا ما قيس بسواه من الجامعات .

فالأزهر هو صوت السماء إلى الأرض ، وهو الرسالة الإصلاحية الكبرى التي بعث الله بها المصلحين الأولين من الأنبياء والمرسلين .

وبقدر ما كان حساب الرسل عسيراً ، مما لا يؤاخذ به سوام ، يحاسب الأزهر من داخله أو خارجه ، فيؤخذ عليه ما لا يؤخذ على سواه ، والثوب الناصع يحسم النقطة السوداء ، وإذا لم تضق صدور الأنبياء بحساب أو عتاب فلن تضيق نحن الأزهريين بتقد أو توجيه أو إصلاح إذا صدر ذلك عن وعي إسلامي يقظ ، ونحن أرحب الناس صدرأ بكل ما يعيد للدين حرمة ، وللعلم دولته ، وللأزهر صولته ، ونرتقب في شغف ذلك اليوم الذي نلس فيه وجوه الإصلاح التي يتوخاها أستاذنا الأكبر إلى أن يكون الأزهر شمس الأرض يازاء الشمس في السماء ، وكعبة للعلم في مصر يازاء الكعبة للصلاة والحج في مكة ، وإن منطلق الحياة يقتضى الأزهر أن يكون بأبنائه نموذجاً حياً للنبوة يمشي بين الناس في الأرض ، ينشر رسالتها في كل عصر ومصر .

ألا وإن في الأزهر عناصر كثيرة من الخير ولكنها أشتات وأوزاع ، وما بقى إلا أن تتجمع وتتكامل وتناسي كل شيء إلا أن تصهر في بوتقة الصلاح والإصلاح ، وتعتكف في محراب العمل والإنتاج .. إنهم إن فعلوا كان الخير للدين ، وكان النصر للدين ، وكانوا أزهرين مثاليين .. والله ولي التوفيق .

محمد الأحمدي أبو النور

كلية أصول الدين

٢ - المساواة في الاسلام

المساواة أن يشعر كل فرد أنه مساو لآخره في الحقوق والواجبات ، ولقد هز محمد عليه السلام ، للعالم بالنداء بها هزاً حتى زلزل على أصحاب العروش عروشهم ، وأذل المتطاولين بجاههم وسلطانهم ، لأن الناس جميعاً في ذلك الوقت كانوا على خلاف الفطرة .

أراد الإسلام أن يثبت المساواة ، وأن يزيل الفوارق بين الناس ، فأبان لهم أن التمييز إنما يكون إذا اختلف الأصل الذي منه خلقوا ، ولكن الأمر بالعكس فالأصل واحد .
« يأياها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وإذا كان لا بد أن يتفاخر الناس فيما بينهم ، فهناك سبيل الخير والتقوى والعمل الصالح ،
« يأيم الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وبلغ من حرص الرسول في تحقيق هذا المبدأ ، أن طبقه على نفسه يوم بدر حينما وكز رجلاً خرج من الصف فقال الرجل : « آلمتني يا رسول الله ، فتقدم إليه الرسول وناولته الجريدة ، التي وكزه بها وقال له : « اقتص مني » .

وأمر المؤمنين عمر بن الخطاب يوم أن وقعت بالمسلمين مجاعة في عهده فامتنع أن يذوق الشهي من الطعام حتى اسود لونه وضعفت صحته .

لقد ظن من لا معرفة له برسالة الإسلام ، أن الدعوة إلى المساواة من فضائل الغرب ، فأين تقرير الإسلام لمبدأ المساواة من تمييز الغرب بين بني الإنسانية في ألوانهم وأوطانهم وأجناسهم ! هذا مع سبق الإسلام إلى هذه الفضيلة وجده في تحقيقها .

واليوم ، وقد تظهرت مصر من عوامل الفساد نهيب بقيادة الثورة أن يحققوا هذا المبدأ الإسلامى بين جميع طبقات الأمة مهما كلفهم ذلك من جهد ، فبتحقيقه تطهر الصدور من الإلح ، وتعيش الأمة عيشة الأسرة الواحدة في إخاء وتعاون وتتم بعيش رغد .

عبد الرحمن شمس الدين

طالب بمعهد القاهرة الثانوى

الكتب

السجل الثقافي في سنة ١٩٥١

إدارة التسجيل الثقافي — ٥٣٣ ص — المطبعة الأميرية

نوهنا في العام الماضي (ص ٥٠٩) بهذا الكتاب السنوى الحافل الذى تصدره إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف العمومية وتورخ فيه حركة الطباعة والنشر والصحافة والمحاضرات والهيئات والمؤتمرات والتعاون الثقافى والمهرجانات والمسابقات والمنافس والحفائر والمعارض والمسرح والسينما .

وقد أهدى إلينا الآن المجلد الرابع من هذا السجل وفيه التنويه بما نشر فى مصر سنة ١٩٥١ من الكتب المؤلفة والمترجمة مرتبة على العلوم وملحقا بها كتب السلاسل وكتب الطفولة ، وختم الباب بإجمال ومقارنة من سنة ١٩٤٨ لغاية سنة ١٩٥١ .
ويلى باب الكتب الرسائل الجامعية ، وهى رسائل الدكتوراه والماجستير فى كليات جامعة فؤاد وجامعة الإسكندرية .

وبالباب الثالث عن دور الكتب العامة ومكتبات الجامعات والمعاهد العليا ومكتبات الهيئات الحكومية والهيئات الحرة .

وبالباب الرابع لدور النشر فى مصر . والخامس للصحف والمجلات . والسادس للمحاضرات والسابع للإذاعة . والثامن للهيئات . والتاسع للمؤتمرات . والعاشر للتعاون الثقافى . والحادى عشر للمهرجانات والمسابقات . والثانى عشر للمتاحف . والثالث عشر للحفائر . والرابع عشر للمعارض . والخامس عشر للمسرح والسينما .

وقد امتاز هذا الجزء من السجل الثقافى بزيادة فهرس جديد لأسماء الكتب الموصوفة فيه مرتب ترتيبا هجائياً .

أيام الكويت

للأستاذ أحمد الشرباصي - ٥٤٤ ص - مطابع دار الكتاب العربي

قضى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي العام الدراسي الماضي في ربوع الكويت مبعوثاً للأزهر الشريف هناك . فكان من ثمرات هذه الرحلة العلمية هذا الكتاب الحافل عن ذلك البلد الطيب ، وقد جمع فيه بين رواية التاريخ ووصف المشاهدة ولحمة الذكرى .

ويقول المؤلف في وصف الكويت إنها الآن في مفترق الطرق : كانت بالأمس تجاهد في سبيل الحياة صابرة بما تتيها لها من وسائل أو أسباب ، ثم تفجر فيها ينبوع الثروة النفط ، فتفتحت أمامها أبواب النهضة ، وأسرف في ترزين الدعاوى لهذه النهضة من أسرف ، وحدا ركها بحسن الظن وصدق التوجيه وتوقع الخير وتجنب الشر من حدا ، والله المستول أن يجعل مستقبلها أكثر مما عليه حاضرها من خير وتعمير .

والكتاب بما اشتمل عليه من مئات الصفحات سجل حافل بكل شيء عن الكويت في ماضيها ، وحاضرها ، مصوراً مفصلاً .

وقد يستطرد لفوائد ومعارف تزيد الكتاب قيمة . وفضيلة المؤلف معروف بنشاطه وبلاغته وفضله .

خواطر في الأدب

ودراسة نصوصه ونقدها

جمعية التمدن الإسلامي بدمشق - ٨٠ ص - مطبعة الترقى بدمشق

كتيب لطيف للأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس تحرير مجلة التمدن الإسلامي بدمشق ، تكلم فيه عن الأدب وإصلاح المجتمع ، وعن جمال الأسلوب ، ودراسة النصوص الأدبية ، وعن البحري في وصف إروان كسرى ، وابن الرومي في رثائه مدينة البصرة عند نشوب ثورة الزنج ، ثم الموازنة بين رثاء ابن الرومي للبصرة وقصيدة شوقي القافية في نكبة دمشق ، وختم الكتاب بفصل في النقد الأدبي ، وآخر في الذوق والنقد الأدبي ، ومثل هذه الفصول بما يحتاج إليه شباب المتأدبين عند دراستهم الأدب في المدارس .

ذكريات مستشار سابق

للأستاذ السيد محمد شريف — ١٢٨ ص — المطبعة السلفية

لو أن كل من اجتاز طريق الحياة من أهل العلم والفضل ، دون لمن بعده أهم ما لاحظته في مراحل العمر . لكان للخلف ثروة أدبية من تراث آبائهم تربو على موارث المسادة . والمستشار السابق الأستاذ محمد شريف ، أحد الذين قاموا بذلك فنشر هذا الكتيب اللطيف عن ذكرياته منذ كان طالباً في الحقوق إلى أن أكل معظم الشوط في سبيل الحياة . وأكثر ذكرياته تدور حول بحوث عليية ، وذكريات إسلامية ، ومناقشات اجتماعية وأدبية ودينية ، ومقتبسات من مصادر شرقية وغربية وقد بلغت بضعة وعشرين فصلاً . وكان قد حاضر ببعض الجمعيات الإسلامية ، ونشر بعضها في صحف أدبية . ثم رأى أن يجمعها في هذه الرسالة ، فأحسن بذلك ، أحسن الله إليه .

أبو علي بن سينا

نبذة من حياته السياسية

دار منشورات البصرى — ٨٠ ص — مطبعة أسعد يخذاد

ألف هذه الرسالة باللغة الفارسية رحيم زاده صفوى أستاذ الأدب الفارسي في جامعة طهران ، ونقلها إلى العربية السيد علي البصري بالبصرة ، وانظر فيها وكتب حواشياً ورد ما فيها من الأوهام ، الأستاذ العبقري الفاضل السيد محمود الملاح ، وهذه الرسالة قد لا تفيد القارىء علماً محضاً عن حياة ابن سينا بقدر ما تفيده علماً بالعقلية المتغلبة على المشتغلين بالعلم والمنسويين إليه إذا لم يكن اشتغالهم بالعلم لأجل العلم ، حتى لو بلغوا فيه مرتبة التدريس في جامعة كما هي حال مؤلف هذه الرسالة الذي اتخذ من حياة ابن سينا ذريعة لبث آراء غير ناضجة ، ودعاوى لا يقيم الأدلة عليها ، مع ادعاء نصوص غير معزوة إلى مصادر محترمة . ولذلك اضطر الأستاذ الملاح إلى التعليق على أكثر ما ورد فيها مما يحتاج إلى تصحيح . وقد أحسنت دار منشورات البصرى بالاستعانة بهذا الفاضل الغيور على العلم ، لجاءت تعليقاته خيراً من الأصل وأنفع .

الأدب والعلم في شتات

المصطلحات الفقيرية والمصطلحات القانونية
اعتذرت الحكومة العربية السعودية
إلى الجامعة العربية عن الاشتراك في أعمال
اللجنة القانونية المنوط بها بحث مشروع
توحيد المصطلحات القانونية ، لأنها تعمل
بمصطلحات الفقه الإسلامي ، ولا تأخذ
بالتشريع الوضعي .

كرسى الآداب العربية في كبري
خطب الأستاذ آربري (أستاذ الآداب
العربية في جامعة كبريدج) عن الاستشراق
ولا سيما في إنجلترا ، فكان مما قاله : إن كرسى
الآداب العربية الذي يتشرف بالجلوس عليه
أنشئ أول ما أنشئ سنة ١٦٣٢ (أى قبل
أكثر من ثلاثمائة سنة) وإن كرسى الآداب
العربية في أكسفورد أنشئ بعد ذلك بأربع
سنوات .

مدينة الأزهر بالعباسية

اجتمع فضيلة الأستاذ الأكبر بالمهندس
مندوب شركة المساكن الشعبية وبالأستاذ
المشرف على مشروع مدينة الأزهر الجامعية

بالعباسية وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على أن
تقام هذه المدينة على مساحة قدرها خمسة
وعشرون فدانا على أن تستوعب ستة آلاف
طالب من طلبة الأزهر والبعوث الإسلامية

اشتراك رجال الأزهر

في الرقابة على الأفلام

اهتمت مشيخة الأزهر بما تعرضه بعض
دور السينما في مصر من الأفلام التي تتعرض
للنواحي الدينية ، أو التي تمس الأخلاق
والآداب العامة ، فكتبت إلى الجهات المسئولة
في هذا الشهر طالبة إليها أن تبحث الأفلام
قبل عرضها بحثا دقيقاً ، بحيث يمنع منها
ما يفتمل على دعاية دينية تتنافى مع تعاليم
الإسلام أو مبادئ الأخلاق ، وملاحظة عدم
عرض ما سبق عرضه منها في مصر .

وقد تلقت المشيخة من تلك الجهات ما يفيد
أنها معنية أشد العناية بهذه الناحية حريصة
على ألا يمس الإسلام من قريب أو بعيد .

هذا ، وقد تم الاتفاق بين الأزهر والجهات
المختصة على اشتراك اثنين من رجال الأزهر
في أعمال الرقابة على السينما لأداء هذه المهمة

المنتشرة في أنحاء العالم، وفيها بعثات من دول راقية، وتدرس فيها جميع اللغات الحية.

ورد عليه النائب وصفي ماهر فوصف الأزهر بأنه يمثل الجهل الأسود، وطالب ألا يسمح لأحد من الأتراك بالالتحاق به، وعلى الراغبين من الترك في الدراسات الإسلامية أن يتلقوها في الجامعات الأوروبية.

فرد عليه النائب علي نظري قائلا : « إن شبابنا يذهبون إلى مصر ليتلقوا دروس التربية المفقودة في تركيا، وما كاد يعلن ذلك حتى عم المهرج والمرج قاعة البرلمان، وأجبروه على النزول من منصة الخطابة، وأعلن رئيس المجلس أن هذا الكلام إهانة موجهة إلى تركيا ونمض بعده النائب السيد عبد الله أيديمين فقال : إن الانقلاب التركي الحديث كان انقلابا واقعيا، فكان علينا أن نقوم إلى جانبه بانقلاب ديني فتؤسس جامعة بكامعة الأزهر تخرج شبابا يرعون شئون الدين. ولكنتنا عملنا عكس ذلك فألفينا تدريس الدين وقضينا على رجاله، ولم يستفد من عملنا هذا إلا الأساقفة ودعاة المسيحية. وما هو أحد نوابنا يقترح تعليم أبنائنا الإسلام في أوروبا.

ولما قال ذلك رد عليه الرئيس وأئذره بمنعه عن الكلام. واحتكم النائب إلى المجلس فأبيح له الكلام ولكن الرئيس رفع الجلسة. ولما أعيد انعقادها انصرفت الأكثريّة ولم يكتمل النصاب القانوني.

الأزهر في البرلمان التركي

تقدم نائب تركي باقتراح إلى البرلمان بأن يعنى الطلبة الأتراك في الأزهر من الخدمة العسكرية في مدة دراستهم أسوة بزملائهم الطلاب في جامعات أخرى.

وأحيل الاقتراح إلى لجنة العرائض فأقرته. ولما تلى قرار اللجنة في البرلمان نهض وزير المعارف فقال : إنسان عرض على هذا القرار، وكانت حجته والمعلومات التي أدلى بها هي أن في الأزهر ٨٤ طالبا تركيا منهم ٢٩ يجهلون القراءة والكتابة (واعلم يريد أنهم يجهلونهما بالحروف اللاتينية، ومع ذلك فإن هذا الأمر مستبعد) وقال إن ٢٨ منهم حازون على شهادة التعليم الابتدائي فقط (ومعنى هذا أنهم في القسم الثانوي من الأزهر). وقال إن نظام الدراسة في الأزهر للمصريين يختلف عنه بالنسبة لغير المصريين. وإنه ليس في الأزهر نظام للامتحانات، ولجنة الامتحانات هي التي تقرر نوع الامتحانات ومادته ووقته. ونظام الانتساب لغير المصريين غير مقيد بشروط من سن أو شهادات مؤهلة.

وعقب عليه مقرر اللجنة السيد أحمد كوركان فقال إنه اطلع بنفسه على حالة الجامعة الأزهرية عند زيارته لمصر، فالأزهر لا يقل شأنًا عن الجامعات العالمية الأخرى، وقد اتضح لي من دراستي لأوضاع هذه الجامعة أن مكانتها العلمية أرقى بكثير من عدد كبير من الجامعات

أبناء تركيا من الرعاية .

« إن هذه المسألة ما كانت لنتحتاج إلى رد على جماعة ذات أغراض ، لأن رسالة الأزهر معروفة للجميع ، وأين هي الجامعات التي تؤدي رسالة الأزهر؟ هل يقصدون الجامعات الأوربية كالسوربون وغيرها وهي مهد الأديان غير الإسلامية أم ماذا؟ وهل تستطيع مثل تلك الحملة أن تؤثر على الشعب التركي المتدين ليتحول بأبنائه (الذين يريد لهم ثقافة إسلامية صحيحة) إلى معاهد غير المعاهد الإسلامية ليتزود فيها بثقافة إسلامية كما يريد هذا النائب الذي يريد تحويل الشباب التركي إلى جامعات أوروبا ليتعلموا الدين الإسلامي؟ »

« لقد زرت تركيا أنا وأولادي في سنة ١٩٤٣ ووجدنا الدين منتشرأ في تركيا ، ووجدت في وقت الصلاة يقف الموظف في جوار الصانع والعامل والجندى في صفوف متراصة . ووجدت في بعض الجوامع من الخلف دواوين محجوزة تصلي فيها النساء ، ولذلك تركت حرمي في هذا المكان مع المصليات المحترسات ، وذهبت أنا إلى صفوف الرجال الأولى . »

« وأخيراً إذا أراد إنسان أن يعرف نظم الأزهر وبرامجه ومناهج دراساته وامتحاناته فلا يميز أن يحصل على مطبوع من المطبوعات الأزهرية ليعرف منها قيمة تلك الادعاءات والمفتريات على الأزهر ونظامه ،

الأستاذ الأكبر

يضع الحقائق في موضعها

لما وصلت إلى مصر أخبار المناقشة التي دارت في برلمان تركيا عن الأزهر والطلبة الأتراك المشمولين برعايته ، قابل مندوب (المصري) حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وعرض ذلك عليه ، فقال فضيلته :

« المعروف في كل العالم أن الأزهر جامعة إسلامية منظمة تدرس العلوم على اختلافها في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي والتخصصات . وهو يفتح أبوابه لجميع الراغبين في ثقافته . وفي الأزهر نظام تعليمي يقضى بتحديد سن من ينتسبون إليه ، ولا يمكن لطالب أن يلتحق من سنة إلى سنة إلا بعد أن يجتاز بنجاح امتحانا تحريرياً وشفوياً في العلوم المقررة ، ولا يستطيع أن ينال الشهادات التي تمنح له إلا إذا نجح في امتحان تلك الشهادة . »

« إن أبناء تركيا عندنا يلقون من الأزهر كل معونة ومساعدة ليستطيعوا مواصلة دروسهم حتى يكونوا رجالاً بمعنى الكلمة ، ومنهم مدرسون الآن في الأزهر بجميع فروعهم ، ولهم رواق خاص بهم ، ورسالة الأزهر معروفة في جميع العالم الإسلامي وغيره ويؤمن بها الجميع . ولا يليق أن يوصم الأزهر بهذه الوصمة الشائنة . ويدحض تلك المزاعم ما هو موجود فعلاً في الأزهر وما يلاقيه

مكتبة جامعة القاهرة

كان عدد مجلدات جامعة القاهرة في سنة ١٩١١ لا يزيد على ١٠٠٠٠٠ مجلد ، فبلغ الآن ٥٠٠٠٠٠ مجلد . وهي بالعربية وبلغات أخرى شرقية وغربية تزيد على عشرين لغة . وما ضم إليها من المكتبات الخاصة بمجموعات إبراهيم حلمي ، وطبيب العيون ما يرهوف ، والمستشرق الألماني زيولد ، ومجموعة نكر . وتعتبر مكتبة المستشرق زيولد أكل مجموعة في الدراسات الإسلامية والشرقية ، وقد اشترت عام ١٩٢٩ .

وللمكتبة العامة فروع في كليات : الحقوق والعلوم ، والتجارة ، والهندسة ، والطب ، والطب البيطري ، ودار العلوم ، ومعهد الآثار ومعهد الأرصاد ، ومعهد علوم البحار ، ومعهد السودان . ويبلغ ما في هذه المكتبات ٢٠٠ ألف مجلد .

وقد زيد في اعتماد مكتبة الجامعة بميزانية هذا العام أحد عشر ألف جنيه دفعة واحدة .

استفتاء الطلاب الشرقيين

من شرط السن

وافق مجلس الوزراء المصري على مشروع قانون بشأن إعفاء الطلاب الشرقيين من

شرط السن المقررة للقبول بالمعاهد المصرية وهذا القانون ينص على أنه يجوز لوزير المعارف أن يستثنى طلاب البلاد الشرقية من شرط السن المقررة للقبول بكافة المعاهد المصرية ، وللوزير أن يصدر القرارات اللازمة لتنفيذه .

امتحانات الأزهرية

يبدأ الامتحان التحريري للنقل في الدور الأول بالكليات الأزهرية يوم السبت ١١ شوال (١٢ يونيه) ، وللشهادات العالية والعالمية مع الإجازة يوم السبت ٢٥ شوال (٢٦ يونيه) ، على أن يبدأ الامتحان الشفوي في النقل يوم ٥ شوال (٦ يونيه) ، والامتحان الشفوي في الشهادات بعد التحرير مباشرة . ويبدأ امتحان النقل في الدور الأول للأقسام الابتدائية بالمعاهد الدينية وقسم البحوث الإسلامية يوم الاثنين ٦ شوال (٧ يونيه) ، وفي الأقسام الثانوية منها يوم ١١ شوال (١٢ يونيه) .

أما الشهادات الابتدائية والثانوية فيبدأ امتحان الدور الأول فيهما يوم السبت ٢٥ شوال (٢٦ يونيه) . وامتحان النقل في الدور الثاني للأقسام الابتدائية والثانوية يوم ٢٩ ذي الحجة (٢٨ أغسطس) ، وامتحان الابتدائية والثانوية يوم ١٣ المحرم (١١ سبتمبر) .

أبناء العلم الأئمة

العربية لغة المسلمين

قال الدكتور اشتياق حسين القرشي وزير المعارف الباكستانية وهو يفتح مركزاً في العاصمة (كراتشي) لتعليم الصبية والفتيان اللغة العربية إنه يقترح أن تكون العربية هي اللغة المشتركة لجميع البلاد الإسلامية على اختلاف لغاتها، فإن المسلمين أمة واحدة هي « ملة الإسلام » واختلافهم في لغاتهم لا يقف عقبة دون تحقيق هذه الوحدة .

وقد أنشئت عشرة مراكز لتعليم العربية إلى الآن في كراتشي وحدها .

الرعاة للحطام

في خطبة الجمعة

تلقى مكتب وزير الأوقاف كتاباً من رئاسة مجلس الوزراء جاء فيه :

« لاحظ السيد الرئيس أثناء الصلاة في المساجد أن الخطيب عند ما يدعو قائلاً : اللهم وفق أولى الأمر منا ، يردد المبلغ عبارة « آمين اللهم وفقهم آمين » . ولما كانت هذه العبارة الأخيرة لا تمت إلى السنة بشيء وما هي إلا بدعة دينية فزجوا بالتكريم باتخاذ اللازم نحو إلغاء هذه البدع » .

ولما تلقى وزير الأوقاف هذا الكتاب لاحظ مع المسؤولين بالوزارة أن الدعاء للحاكين نفسه أمر مبتدع ، وقد اتخذ الناس سيلاً إلى الملق غير المشروع . وعلى ذلك عقد المسؤولون في قسم المساجد اجتماعاً قرروا فيه هذه الصيغة :

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر . ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

التخايل في مصر

قال السيد الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب وهو يتفرج على تمثال الحرية المصنوع من الخشب :

« إنه تقرر عدم إنفاق أى مبلغ في صنع أى تمثال ينصب في الميادين .

بعثة يمنية

وصلت إلى القاهرة من صنعاء بعثة يمنية مؤلفة من ٣٣ طالباً لتلقى العلم في المدارس الثانوية على نفقة الحكومة المصرية .

الجمهورية السورية

كان العقيد أديب الشيشكلي آخر رؤساء الجمهورية السورية قد اعتقل ساسة سوريا وزعماء أحزابها في الشمال والجنوب، وأعلن الأحكام العرفية في كثير من بلاد الجمهورية ثم فوجيء بانتفاض رجال الجيش وقواته في الشمال على الأوضاع التي اعتبروها في غير مصلحة الأمة، وكان أعيان البلاد وجماهير الشعب مؤيدين للحركة التي كانت محكمة وقوية فاضطر أديب الشيشكلي إلى التخلي عن سلطاته كلها والتجأ إلى السفارة العربية السعودية، فوضعت الحكومة السعودية تحت تصرفه طائرة نقلته إلى بيروت في طريقه إلى المملكة السعودية ليكون فيها لاجئاً سياسياً.

ولما كان الدستور القائم الذي جدد في عهد الشيشكلي يقضى بأن يقوم رئيس مجلس النواب بمهمة رئاسة الدولة إلى أن تختار البلاد رئيساً آخر، فقد عارض الشعب في العمل بذلك لأن مجلس النواب لم يتألف بإرادة الأمة، ولأن الدستور القائم أريد به غير مصلحة الأمة، وقد وقعت بعض الاصطدامات في دمشق بسبب ذلك. فبادرت القوات العسكرية في الشمال بإرسال كتائب من حصص وغيرها إلى دمشق، وقبض على بعض الضباط من المتفعين في عهد الشيشكلي، وبذلك استتب الأمن. ونكتب هذا عند وصول السيد هاشم

الأتاسي رئيس الجمهورية الأسبق إلى دمشق، والمنتظر أن يتولى رئاسة الجمهورية السورية مؤقتاً إلى أن تجدد الانتخابات لتأليف مجلس نيابي جديد ثم ينتخب رئيس الجمهورية الأصيل.

هزيمة مصر للسودان

بمناسبة الاحتفال بافتتاح البرلمان السوداني رأت الحكومة المصرية أن تهرن هذه الذكرى السعيدة بعربون جبهة لتقوية السودان بأن تهدي إلى مواطنيها في الجنوب خمس طائرات جديدة للتدريب على فن الطيران، وأن تقدم الأسلحة اللازمة لآلاف جندي سوداني.

في اليمن

عادت من اليمن بعثة الجامعة العربية برئاسة أمين الجامعة، وقد صرح أمين الجامعة لجريدة الجمهورية بأن الموقف في اليمن يتلخص في حوادث الحدود، ومسألة الاتحاد الذي تسعى إليه بريطانيا. وقال: وقد تناول حديثنا مع حاكم عدن هاتين النقطتين.

إن حكومة عدن أعدت مشروعاً للاتحاد، وعرضته على السلاطين فوعدوا بدراسة الموقف وقد أرسل إليهم المشروع ولم يردوا عليه بعد وتدل المعلومات التي وصلت إلينا على أن أكثر السلاطين لا يوافقون عليه.

ثم وصف أمين الجامعة أهل اليمن، فقال: إنهم أولو بأس شديد، والأمن ناشر رواقه في بلادهم.

تحسين ميزان مصر التجاري

قال نائب رئيس الوزراء للشئون المالية المصرية : إن اختلال الميزان التجارى فى سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ و ١٩٥٢ أدى الى استنزاف أرصدتنا من العملة الاجنبية . وقد بلغ العجز فى ذلك الميزان فى تلك السنوات ٣٨ مليون جنيه و ٣٩ مليون و ٧١ مليوناً على التوالى ، نتيجة لتدخل الحكومة فى سوق القطن وشراؤها كميات منه بأسعار مصطنعة تعلق على مستوى الاسعار العالمية ، وبقي تيار الاستيراد ومدفوعات العملة الاجنبية مستمراً نتيجة لاستمرار الناس فى الإتفاق مما حصلوا عليه من أثمان عالية لاقتانهم فأصبح من الضرورى أن نعمل لتلافي أسباب الحلل بزيادة الصادرات وتقليل الواردات . فبلغت سياستنا ما استهدفت من زيادة تصريف القطن فى نهاية عام ١٩٥٣ نحو ٢٣ مليون جنيه . على حين أنه فى الربع الأخير من سنة ١٩٥٢ فقد رصيدنا من الاسترليني واضطرتنا لأن نفترى ٤ ملايين من الجنيهات دفعتنا ثمنها دولارات لتواجه بها المدفوعات الجارية . وهكذا بلغنا ما كنا نشده من إعادة التوازن إلى ميزان مدفوعاتنا

الإصلاح الزراعى ونتائجه

يتبين من إحصاء سنة ١٩٤٧ أن عدد

الذين كانوا يملكون أكثر من ألفى فدان ٦٠ شخصاً ، والذين يملكون من ١٥٠٠ فدان إلى ٢٠٠٠ يملكون ٦٨ شخصاً ، والذين يملكون من ١٠٠٠ فدان إلى ١٥٠٠ يملكون ١٢٢ شخصاً ، والذين يملكون من ٨٠٠ فدان إلى ١٠٠٠ يملكون ١١٢ ، والذين يملكون من ٦٠٠ فدان إلى ٨٠٠ يملكون ١٧٧ شخصاً والذين يملكون من ٤٠٠ فدان إلى ٦٠٠ يملكون ٤٦٢ ، والذين يملكون من ٢٠٠ فدان إلى ٤٠٠ يبلغ عددهم ١١٠٢ . وهذه القلة القليلة التى يبلغ مجموع عددها ١٨٥٣ شخصاً هى التى كانت مسئولة على الأراضى الزراعية فى الوطن المصرى ، بينما الذين يملك الواحد منهم من نصف فدان إلى خمسة بلغ عددهم ١٠٢٨٠

فلما قبض الله لمصر العمل بقانون الإصلاح الزراعى فى هذا المهد تفتحت الأبواب أمام المحرومين لأن يملكوا بجهودهم وفى سعة من الوقت المقدار المجرى من الأرض الزراعية لأن يعيشوا به المعيشة اللاتقة بالمواطن الكريم ، وسيكون من أول نتائج ذلك أن يزداد عدد الطبقة الوسطى من سكان مصر ، والطبقة الوسطى هى التى يتألف منها أهل السلامة والخير فى كل زمان ومكان .

مسلمو نيجيريا

يقول الحاج محمد أمين القديس أحد زعماء نيجيريا ومؤسس حزب المؤتمر الإسلامى فيها: إن تعداد سكان نيجيريا ٣٧ مليوناً، المسلمون منهم خمسة وعشرون مليوناً، فهم الاغلبية فى تلك البلاد.

سبب الحرب العالمية الثانية

كان فون ريبنتروب (وزير خارجية هتلر السابق) يكتب شذرات من مذكراته وهو فى السجن أثناء محاكمات نورمبرج سنة ١٩٤٥ وقد قامت زوجته بجمع هذه الشذرات ونشرها فى كتاب ظهر فى مدينة (بون) أخيراً ، وما جاء فيه عن سبب نشوب الحرب العالمية الثانية أن الرئيس روزفلت والدولة البريطانية كانا يرغبان فى المحافظة على توازن القوى فى أوروبا ، وأن الحرب بدأت لأن إنجلترا كانت مصممة عليها حتى لا تسترد ألمانيا مركزها كقوة دولية .

ناقلات البترول السعودية

كان موقف إيران من نقل بترولها بعد تأميمه موقف عجز وفشل ، لأن إيران لم يكن لها من ناقلات البترول ما تستعين به على تصديره إلى الخارج ، فكان من ذلك عبء وعظلة للمملكة العربية السعودية ، ولذلك عقدت اتفاقاً مع صاحب إحدى الشركات

الملاحية الكبرى فى الأرجنتين على إنشاء أسطول للنقل البحرى مؤلف من ثلاثين سفينة ترفرف عليها الاعلام السعودية لنقل ما تفتحه آبار الظهران من البترول السعودى إلى أنحاء العالم . وقد تم عقد هذا الاتفاق بعد استشارات قانونية تأكدت منها الحكومة السعودية بأن هذا الاتفاق لا يعارض حق الامتياز الممنوح للأمريكيين . وهذا وقد ترتب على إنشاء هذا الاسطول الذى أطلق عليه اسم (شركة ناقلات البترول السعودية) أن شرعت الحكومة السعودية فى تأسيس معهد بحرى فى جدة لتخريج الضباط والمهندسين العرب للعمل فى هذه السفن ليصبح الاسطول فى المستقبل القريب عربياً صمياً . وبذلك خرجت البلاد العربية من العزلة الاقتصادية إلى ميدان جديد من ميادين الحركة والعمل العالمى .

عضو البرلمان الصينى

يطلب أجازة من الأزهر

أذنت مشيخة الأزهر ، للسيد حبيب الله وونجى ، عضو برلمان الصين الوطنية بفرموزا والطالب بالأزهر ، بإجازة مدتها ثلاثة أشهر ليتسنى له حضور جلسات البرلمان التى تبدأ فى يوم ١٩ الجارى . وما يذكر ، أن العضو المذكور أحد ١٧ نائباً مسلماً فى هذا البرلمان ، يمثلون ٩٠ مليون مسلم فى هذه البلاد .

فهرس

الجزء السابع — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
٧٦٩	تاريخنا	الأستاذ محب الدين الخطيب ورئيس التحرير
٧٧٦	فحات القرآن : طائوت وجالوت — ٢ . . .	» عبد الطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٧٨٢	السنة : اشقموا تؤجروا	» طه محمد السكاكيت المفتش بالأزهر
٧٨٨	الفتاوى	حديث للأستاذ الأكبر
٧٩٦	موقف الاسلام من التنفريات التي يمر بها العالم	الأستاذ محمد محمد أبو شعبة
٨٠٠	الدخيل وكعب التفسير — ٤	» أبو الوفا الراغب
٨٠٦	محنة الادب	» عبد الحميد محمود المسلوت
٨٠٩	اتفاقي الخواطر في الشعر	» محمد خليفة
٨١٥	من أصماق اللسان	حديث للأستاذ الأكبر
٨١٩	الدعوة إلى الاسلام في الخارج	الأستاذ محمد علي النجار
٨٢٢	لنويات	» أحمد القرطبي
٨٢٧	الثار في فطر الاسلام — ٢	» المحلة
٨٣٢	إلى حضرات القراء	» محمد جمال الدين محفوظ
٨٣٣	للؤلؤة قلوبهم	الأستاذ أحمد كمال زكي
٨٣٧	فكرة ومنهج	» ابراهيم أحمد الوقفى
٨٤٤	الكتب والنامج الأزهرية	حديث للأستاذ الأكبر
٨٤٨	علماء الأزهر واتصالهم بالمجتمع	الأستاذ محمود النواوى المفتش بالأزهر
٨٥٠	الحسن البصرى	» علي البارى
٨٥٤	لورضى الناس	» أحمد الشايب
٨٥٧	حول الدين القصصى في القرآن	المجلة
٨٦١	في ركاب أبي بكر وعمر	»
٨٦٢	موقف رجال الدين من السينما	»
٨٦٤	رد على رد (حول خرافة الليتافيزيقا)	الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي
٨٦٥	تفسير بيت من شعر جاهلى	محمد الاحمدى أبو النور
٨٦٧	الأزهر والحياة { مقتطفات	عبد الرحمن شمس الدين
٨٦٨	للأواة في الاسلام { مقتطفات	قله التحرير
٨٦٩	الكتب	»
٨٧٢	الادب والعلوم في شهر	»
٨٧٦	أنباء العالم الاسلامى	

عاهل الجزيرة العربية

يؤدى صلاة الجمعة بالجامع الأزهر

عاهل الجزيرة العربية

يؤدى فريضة الجمعة بالآزهر

فى يوم الجمعة ٢١ رجب سنة ١٣٧٣ (٢٦ / ٣ / ١٩٥٤) أذى حضرة صاحب الجلالة (سعود بن عبد العزيز) ملك المملكة العربية السعودية يصحبه السيد الرئيس اللواء أركان الحرب (محمد نجيب) رئيس الجمهورية فريضة الجمعة بالجامع الأزهر .

وعند وصول جلالة إلى المسجد استقبله حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وحضرات أصحاب الفضيلة أعضاء جماعة كبار العلماء وأعضاء مجلس الأزهر الأعلى وشيوخ الكليات والمعاهد .

بينما امتلا المسجد بعشرات الآلاف من العلماء والطلاب ومختلف الطبقات الذين استقبلوا جلالة بالتكبير والتهليل .

وقد ألقى خطبة الجمعة فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء وشيخ مذهب الحنابلة .

وبعد انتهاء الصلاة تفضل جلالة الملك فصافح فضيلة الأستاذ الخطيب مهتاً ، وأبدى إعجابه وسروره بالمعاني التى تضمنتها الخطبة ثم قال جلالة : (أكرّم الله من أمثالكم ونفعنا بعلومكم) .

وهنا تقدم فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وصافح جلالة الملك وقال : (فضيلة الخطيب هو الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء وشيخ مذهب الحنابلة) فكرر جلالة الملك سروره وإعجابه ، ثم تفضل جلالة وخلع على فضيلة الشيخ السبكى الخلع الملكية وألبسها لفضيلته بنفسه ، فشكر الأستاذ لجلالته هذا التكريم .

ثم قدم فضيلة الأستاذ الأكبر إلى جلالة الملك (المصحف الشريف) هدية من الأزهر وذكرى لهذه الزيارة الكريمة قائلاً : (هذه هدية الأزهر ، وهى خير هدية يقدمها مسلم لمسلم) فقال له جلالة : أنا شاكر لكم هذه الهدية ، وأسأل الله تعالى أن يجمعنا على ما فى كتاب الله ، وأن يوفقنا جميعاً لحسن العمل بما فيه .

وفىما يلى النص الكامل لخطبتي الجمعة :



الاسلام

دين الاتحاد وحسن المعاملة

الحمد لله الذى أنزل القرآن هدى للعالمين ، فيه موعظة للتقين ، وتنبيه للغافلين ، وذكرى
تفجع المؤمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، أوجب علينا فى محكم آياته أن نكون فيما بيننا متحدين ،
كما فرض علينا أن نكون له عابدين مخلصين ، فقال عز شأنه : — « وإن هذه أمتكم أمة
واحدة ، وأنا ربكم فاتقون ، . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أمرنا أن نعبد الله وأقربنا
مخلصين ، وإخوانا متحابين ، فقال : « توادوا تحابوا ، .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ، وعلى جميع النبيين ، واجعلنا من الناهجين منهج
سنته ، حتى نكون من المفلحين .

عباد الله :

كانت الحياة الاجتماعية قبل الإسلام فى عثرات متتابعة ، تسودها نوازح الشر ، ويتغلغل
فيها القلق ، ويتدافع الناس فيها وراء غايات ومقهورات .

وحظهم فى دنياهم أن يتقلب قوى ، ويظلم ضعيف ، وكانت رسالات الأنبياء تشرق
على الناس من حين إلى حين ، فيستجيب لها أناس من هدى الله ، ويعرض عنها آخرون ،
وما يزال المعرضون فى لجاج من الخصومات ، وإيقاظ للفتن ، حتى تدور عليهم دائرة بغيهم ،
ويأخذهم الله بعذاب بئس بما كانوا يفسقون .

« فكلما أخذنا بذنبه ، فنهى من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم
من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون . »

ولما أذن الله سبحانه أن يرفه عن الإنسانية شقوتها ، ويستيق للأرض عمارتها ، وللدنيا
بهجتها ، بثق نور الهداية الخالدة ، من شعاف الجبل فى مكة ، واختار من العروبة الماجة ،

خاتم رسله : محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، في الاولين وفي الآخرين .
(الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

تلقى دعوة القرآن ، فهب في قومه يحمل لواء السلام ، ويدعو إلى الوئام ، ويبلغ عن
الله آياته ، ويردد نصحه وعظاته ، حتى تبيأ له بعد صبر وجهاد ، ومصابرة وجلاد ، أن يبين
لقومه المحجة ، ويقنعهم بالحجة ، ويجمع من الاشتات أمة متناسكة ، وينظم في العرب باكورة
دولة متناسقة .

وانصلت أمجاد المروبة في ماضيها ، بعظمة الإسلام في حاضرها ، وأصبحت أمة محمد
كما وصفها الله في كتابه خير أمة أخرجت للناس .

وقام فيها الإخاء في الدين ، مقام الإخاء في النسب ، وتلاشت عصبية العشيرة ،
وانعقدت أواصر العقيدة ، وغدوا صفا واحدا ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وقد حذرهم الله بعد ذلك أن يعودوا إلى الفرقة ، بمسد أن ذاقوا مرارتها ، فقال
تبارك شأنه :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، .

وأمرهم بالحفاظ على نعمة الاتحاد ، وقد عرفوا حلاوتها ، فقال عز سلطانه :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ، .

في ضوء هذه الآيات ونحوها من كتاب الله ، وبفضل ما يؤازرها من سنة رسول الله ،
صار المسلمون في دينهم وديارهم على نهج قويم ، حتى خفقت راية القرآن على البقاع النائية ،
وتركزت عدالة الإسلام في أمم باغية ، فنهض الحق في محرابه ، واستقر الأمر في نصابه ،
وتفياً الشرق في ظل المروبة المسلمة ، أمناً وأماناً ، وساد على كبريات الدول حضارة ،
وعلى ، وسلطاناً .

ولم يعد الناس فيما بينهم يتنازرون بالالقباب ، أو يتفاخرون بالانساب والاحساب ،
بل يتسابقون في التقوى ، ويسارعون في الخيرات ، وهذه مناقبهم ، ويتحاربون في الله
ويتعاونون على البر ، وهذه مباحثهم .

ويعيشون على أن الإسلام رحم بين أهله ، وإن تضاءت بهم الديار ، أو شط بينهم المزار .
« صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة ، ونحن له عابدون » .

هذه وشيعة الإخاء بين المسلمين : لا يعتدون بها على مخالفتهم في دين ، ولا يطغون على
مساكنهم في وطن ، فدينهم يعلمهم أن الحياة بين الناس سواء ، وأن الجهود فيها مشتركة ،
والمنافع متبادلة .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتسقطوا
إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .
عباد الله :

إن مصر اليوم في أعقاب ثورة مباركة ، جاشت فيها نخوة العروبة ، وعزة الإسلام ،
وناصر الله أبطالها كفاء ما أخلصوا لوطنهم ، وصدقوا في عهدهم ، واستجابوا لدينهم ،
وأبناؤها في رعاية الله بالغون أهدافها ، ما ظلوا على ولاء للوطن ، وصلة بالله ، يؤثرون
ولا يستأثرون ، ويصلحون ولا يفسدون ، ويتقون ولا يعصون ،
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » .

وإن خصوم مصر ليعملون على أن يستبيحوا حماها ، ويستديموا ظلها ، وهم حانقون
على نهضتها ، وحاقدون على أبطالها وجيشها .

فليس بما يرضى الله ، ولا من الوفاء للوطن ، ولا من الخير للأفراد ، أن نخذل القائمين
بالأمر ، ونشغلهم ونشغل الأمة معهم بتلك الصيحات العابثة ، يرددها بعضنا في جنبات
الوادي ، باسم حرية الرأي ، أو باسم الإصلاح وربما كانت أمتيات شخصية يروجون لها ،
أو تسكنات مكذوبة يفسدون الوطنية بها . ونحن بحاجة قصوى إلى جمع القوى وتوفير
الجهود ، وإيقاظ العزائم ، وإخلاص النوايا ، حتى تتوافر للنهضة أسبابها ، وترجى لها ثمراتها ،
ويؤدي كل منا إلى مصر حقها ، وحتى لا نكون عابثين بتاريخها ، ولا مضيعين لاماتها ، وبذلك
نبرى ذمتنا إلى الله ، وإلى الأجيال من بعدنا وتدوم العزة للوطن ، ويعود الخير على الجميع .

عباد الله :

بهذا كله أمرنا ربنا ، وإلى العمل به دعانا كتابنا . فعلينا أن نتق الله في ديننا وأوطاننا ،
وأن نحرص على وحدتنا ، ونجمع صفوفنا في وجه عدونا ، وأن نتابع على دين الله حكمانا

وولاية أمورنا ، وأن نؤازرهم في تناصح ومودة ، وصفاء ومحبة ، وأن نتواصى دائماً بالحق ، وتواصى بالصبر ، حتى نظل وحدتنا سياجا لقوميتنا ، وإذا تولينا الله في سياستنا وأمرنا ولم نتخذ وليا من أعداء ديننا ، فإن الله يتولانا كما وعدنا ، ويهدينا الرشاد كما أحببنا ، « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » ، « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظله ولا يخذله » .

وقال : « توادوا تحابوا » .

وقال ربكم : « ادعوني أستجب لكم » .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يحب لعباده أن يعملوا لدينهم ودينام ، ليظفروا بنعم الله ، وينالوا رضوانه .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، وقدوة العاملين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله :

كرم الله المسلمين فذكر لهم في كتابه تاريخاً يعترفون به ، وأقام على هذا التاريخ معالم ثابتة .

وكان من سنته في تربيتنا أن جعل استذكارنا لهذا التاريخ عبادة منا ، وجعل شهودنا لمعامله ركناً من أركان ديننا ، ومصداق ذلك في قوله تعالى :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات : مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وقل على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

ففي مشاهد الحج وقاء كريم لذكريات إبراهيم وإسماعيل . وفي هذه الذكريات استنهاض
لأنفسنا إلى المسكارم ، وحث لها على متابعة السابقين ، فيما خلدوا من المآثر ، وتلشيط
لهزائمتنا على وصل حياتنا بتاريخهم ، وربط سيرتنا بسيرهم . وفي التاريخ الصحيح وحى
صادق في توجيه الأبناء ، وعلى معالم التاريخ نقيم لأنفسنا أكرم بناء .

فهناك حيث يجتمع الحبيب وقوفا بعرفات ، وطائفتين حول البيت ، وساعين بين الصفا
والمروة ، وغادين وراحمين إلى منى ، يقترب المتباعدون ، ويتعارف المتناكرون ، وتتعاطف
النفوس ، وتتوثق الأخوة ، ويتجدد العهد مع الله ، على الوفاء بما شرع لنا ، والإخلاص
فيما عهد إلينا .

وفي هذا اللقاء يتبصر المسلمون في وجوه النفع لهم ، ثم نعود مستأنسين بما شهدنا ،
وفرحين بما ظفرنا ، وهذا نمط من العمل فيه توجيه إلى معاودة النفع ، واستئناف الأمل ،
والله يحب من عباده أن يعملوا في نشاط ، وأن يؤملوا في اعتدال ، وأن يتضافروا على
ما تعمم به دنياهم ، وتساعد به أخراهم . « فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » .

اللهم اجمع بين قلوب المسلمين على المحبة ، واحفظ على أوطانهم وشعوبهم الأمن
والأمان ، وادرا عنهم بحولك وقوتك عوادي السوء .

اللهم ارح حكامنا وولاة أمورنا بحسن رعايتك ، وجميل توفيقك ، ووثق بين كل رعية
وراعيا بأصدق الولاء خالصا لوجهك ، وبالوفاء والنصح طاعة لأمرك ، واجعل الأمة
الإسلامية في كنفائك آمنة من العثار ، ظافرة بالمنى .

وباعد بيننا وبين نزغات الشيطان ، واهد إلى الصواب دعاة الفتنة ، وخذ بنا جميعا
في دينك الحق ، وهدى كتابك المبين ، وكن دائما خير عون لنا ، فيما يصلح شؤنا يارب العالمين .

اللهم اغفر لأمواتنا ، وأقل عثراتنا ، واستجب دعواتنا ، يا مجيب الطالبين .

« إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، وعلى سائر النبيين ، والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ
—
الْإِشْرَافُ الْيَسِينِيُّ
—
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ لاطين في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ لاطين في الخارج
٥ عن الجوز

مَجْلَدُ الدِّينِ الْخَطِيبِ
مَجْلَدُ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تَصَدَّقْ مِنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ بِمِائَةِ رُشْدٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

مُصَرِّحُ الْمَجْلَدِ
عَبْدُ الْوَهَّابِ السَّيِّدِي
عَاضِدُ تَرْجَمَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ
—
لِلْعُنُوتِ
إِدَارَةُ الْجَمَاعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ
تَلْبِيزُونَ ٤٦٢١٤

الجزء الثامن - القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٣ - ٤ أبريل ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقالات

في إصلاح الكيان المصري

ينتظر أن تواجه مصر في أيامها المقبلة كفاحاً أدياً يدهه المراقبون لأحداث التاريخ خطوة ثالثة في إصلاح كيانها الاجتماعي .

أما الخطوة الأولى فقد خطاها عمرو بن العاص بإعلانه النظام الإسلامي في مصر ، فالقى به « نظام الطبقات » الذي استمر العمل به آلافاً من السنين تحت سلطان الفراعنة وأعرانهم ، والبطالة وأجنادهم .

وأما الخطوة الثانية فقد خطاها قادة الثورة من رجال الجيش في السنتين الأخيرتين بتحديد ملكية الأراضي الزراعية ، وتوزيع المستولى عليه من أراضي الإقطاعيين على الفلاحين الذين كانوا يخدمون الأرض ولا يملكونها .

والخطوة الثالثة التي جئت أنمحدث عنها اليوم هي تركيز الأخلاق وتعميد السجيا ومعالجة أمراض القلوب وضعف النفوس الذي كان نتيجة طبيعية للإسراف في التفاوت بين الغنى والحرمان ، فترتب عليه ما هو مشاهد من الانحراف الاجتماعي .

إن « نظام الطبقات » في مصر قبل إسلامها قد شطر سكان الوادي شطرين متباينين : أغنياء أقوياء ، وفقراء مغلوبين على أمرهم . وبذلك كان ابن النيل أحد رجلين : ظالم ، أو مظلوم ، وقلبا كان بينهما وسط . كان في مصر غنى فاحش ولصاحبه السلطان على الألوف من الفدادين ، كما أن له السيادة على عشرات الألوف من الذين يعملون فيها . وكان إذا انتقلت السيادة على الأرض - بالوراثة أو البيع - من سيد إلى سيد ، تنتقل إلى السيد الجديد ملكية ما في الأرض من زرع وشجر ومواش ومبان وعمال . إنه الفقر ، و « كاد الفقر أن يكون كفرا » . وإنه الغنى ، و « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

لقد فتحت الثورة الأخيرة الباب أمام الفقر ليخرج من محبسه الذي كان مدفونا فيه قرونا وأحقابا . ولكنه سيخرج منه بما كسب من ضعف في الأخلاق والتواء في الاتجاه وانحراف عن سبيل الله ، فأصبح ذلك كله - على طول الاحقاب - من ألوان أخلاقه ومنميزات مجايه . وإن لم يقبض له المجتمع أطباء حكماء يعالجون هذه الطوارئ عليه بحكم الزمن ، ويساعدونه على الخلاص منها ، فإن الخروج وحده من محبس الفقر لا يشفيه منها ولا يرحمحه عنها . ومصيبة الفقير بما أورثه الفقر من ضعف في الأخلاق وانحراف عن سبيل الله أفدح من مصيبتة بالعاقبة والحerman . ويخطيء من يظن أن توفير الكفاف من العيش لمن كان محروما منه يشفيه بما كان الحرمان قد أورثه من انحراف عن بعض الفضائل الإنسانية .

وصحيح أن بعض الذين انحرفوا عن سبيل العفة والأمانة بدافع من الحاجة فصاروا خونة ولصوصا ما كانوا لينزلقوا في هذه الهوة لو لم تدفعهم الحاجة إليها ، ولكنهم - بعد أن ينزلقوا إليها ويألفوا ظروفها وملايساتها - قلما يرجعون عن طريقهم مهما اغتوا بعد ذلك ومهما كان مصدر هذا الغنى . ورجوع الفرد عما اضطر إليه بدافع طارئ قد يكون سهلا إذا زال ذلك الدافع ، وليس كذلك ما تحدث عنه من موارد عشرات القرون ، وما تخلف عنها من ألوان طارئة على الأخلاق والسجيا ، فهذه تحتاج من المجتمع إلى تفكير وتدبير ، وتحتاج من أطباء النفوس إلى استعداد واسع النطاق لكفاح أدنى طويل الامد .

الطبقة الوسطى في كل أمة هي التي يكثر فيها الخير ، وهي التي ينشأ أبناؤها وفيهم القابلية والاستعداد لأن يكونوا من أهل العافية والاستقامة ، إن لم يعترض طريقهم ما يحولهم عنه . وكلما كثرت نسبة الطبقة الوسطى في أمة كانت تلك الأمة أقرب إلى الخير ، وأكثر

استعداداً للنهوض إلى الفضائل . والبلاد التي ساد فيها ، نظام الطبقات ، أحقاباً طويلاً - كالهند ومصر - تحتاج أكثر من غيرها إلى حكمة الحكماء في تربية الطبقة الوسطى والإكثار من أهلها . وأول وسائل ذلك إلغاء نظام الطبقات نفسه ، وقد فعل ذلك - للمرة الأولى في تاريخ مصر - أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمي رضي الله عنه يوم أعلن نظام الإسلام في وادي النيل . ثم كانت الخطوة الثانية له في عصرنا هذه الثورة التي حددت الملكية وفتحت الباب أمام المحرومين ليلكوا من الأرض ما كان يستحيل عليهم تملكه مما يكون لهم به الكفاف من العيش ، والحلال من الرزق . وإذا استقام هؤلاء على الطريق الواضحة فإنهم يوشك أن يكونوا من أهل الطبقة الوسطى فزاد نسبتها في هذا البلد الطيب ، وتتجدد فيها القابلية لتكون من أهل الخير ، فتسير هي وتسير مصر معها في الطريق إلى مرضاة الله عز وجل .

كما حددنا الملكية الزراعية ، ورسمنا لتحقيق هذا التحديد خططا وأنظمة دقيقة تفرغ لتنفيذها مئات من الموظفين ، وسيتفرغ السهر على المضى في ذلك ألوف من رجال التعاون والمهندسين والزراعيين ، فإن عشرات الألوف ممن ارتفعوا — بسبب هذا التحديد — من حضيض الحرمان إلى مستوى الكسب الرضئ والعيش الحلال سيكونون على مفترق الطرق : فإما أن يستمروا فيما كانوا عليه في سيرتهم ومعاملاتهم نتيجة لما كانوا عليه في مستواهم المعيشي والفهم الموروث ، وإما أن يفتش فيهم روح الاغتباط والرضا فيصحبوا من أهل الاستعداد للخير . وفي كلنا الحالين هم إلى من يعالج نفوسهم ويزيل أثر الماضي في أخلاقهم وقلوبهم أحوج منهم إلى من يسد خطاهم في معاشهم ووسائل الإفادة من ارتفاع مستواهم الاجتماعي .

الروح العالية قوة تلو على قوة السلاح في الجيوش والحروب ، وهي ثروة تلو على ثروة المال في البيئة الاجتماعية وحالة السلم . ونحن بعد الخطوة المباركة في نظام تحديد الملكية ، وما سيكون من آثاره في معاش السواد الأعظم من أهل الريف ، وما سيكون من نتائجه في ازدياد نسبة الطبقة الوسطى بمصر ، نحتاج إلى جيش من أهل الكفاح الأدبي يأخذون بأيدي السواد الأعظم من الأمة إلى طريق الله في السيرة والأخلاق والتعامل وحسن التصرف . وكما جدّ علينا عمل جديد في الإشراف على تحقيق تحديد الملكية

ورسم الخطط وتنظيم الأنظمة لذلك والاستعداد للمضي فيه بالأساليب التعاونية ، كذلك ينبغي لأهل الكفاح الأدبي ورجال الإصلاح الخلقى من أزهريين وإسلاميين أن يعملوا أنهم أمام واجب إسلامي جديد نحو دراسة أمراضنا الخلقية وتحليلها وانتهاز فرصة زوال الفاقة للبادرة إلى معالجة ما كان لها من آثار مزرمة وعلل مستعصية ، وأن يعمل كل من ناحيته لاستئصال ما يستطيع استئصاله من آفاتنا . وإذا كانت هذه المهمة عسيرة فيما مضى لاستمرار الباعث عليها من الفقر والحرمان ، فإن ما جد في هاتين السنتين من الشروع في إزالة بواعث الفاقة سيسير العمل في سبيل الله على الهداية إلى الله ، إلى أن ينهضوا - إن شاء الله - بأخلاق السواد الأعظم من هذه الأمة إلى المستوى اللائق بالأمة المسلمة .

الطريق مفتوح للعمل أمام الطالب الأزهرى إذا عاد إلى بلده في الريف إبان فترة الصيف بعد انتهاء الامتحان السنوى ، والطريق مفتوح للعمل أمام الراعظ الأزهرى في منطقة وعظه وفي كل مكان حل به . فالرجوع بهذه الأمة إلى الله من أهم واجبات المسلم الذى أنعم الله عليه بنعمة العلم طالباً أم عالماً . لقد قال معلم الناس الخير ﷺ موجهاً الخطاب إلى سيدنا على كرم الله وجهه : يا على ، لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم .

وأول شروط الهداية أن يتحلل بها من يتصدى لها ، فالهداية عبادة ، والوضوء المشروط لها قبل القيام بها هو العمل بها ، ومن تصدى لهداية الناس قبل أن يهتدى بما يدعو الناس إليه يكون كالداخل في صلاته بلا وضوء فهو لا صلاة له .

أيها الأزهريون ، أيها المسلمون المتعلمون ، نحن الآن أمام فرصة جديدة في إصلاح الكيان المصرى ، ومن ثم فنحن أمام فريضة إسلامية جديدة للعمل في ميدان هذا الإصلاح . وهذا العمل عبادة ، وشروط القيام بها أن ندعو إلى سبيل الله بسيرتنا وعملنا ، قبل أن ندعو إليه بالسنتنا ومحاضراتنا .

نحن في مجتمعنا بحاجة إلى روح عالية ، فانهضوا بأرواح السواد الأعظم إلى المستوى الذى يغتبط به هادينا الأعظم إلى الحق يوم القيامة ، فإنه بحث لنتم مكارم الاخلاق ، ولنعمل جميعاً على تحقيق ما بحث له نبينا صلوات الله وسلامه عليه ؟

محمد الميرى الخطيب

فَتْحَاتُ الْقُرْآنِ

- ١٤ -

أولياء الله ... وأولياء الشيطان

١ - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .
٢ - والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور إلى الظلمات .

تمهيد :

الولاء ، والموالاتة ، والولاية - من قبيل واحد .

وإذا كان الاصطلاح يجعل لكل منها مقاما يذكر فيه ، وسيأتي يقتضيه ؛ فإنها تمت في اللغة إلى أصل واحد ، وترتبط في معانيها بوشيجة ، وتوجه إلى غرض عام تلتقي عنده وتذكر فيه .

وذلك الفرض العام - هو الصلة في قبول ، والمتابعة عن رضا .

وسواء أكانت الصلة بين الجانبين فيما يرتضيه الدين والعقل ، وتقوم عليه منافع الدنيا ، وترجى به سلامة العاقبة ، أم كانت في غير هذه النواحي : بما يعد مفسدة للدين ، وخرقا في الرأي ، ومضيمة للدنيا والآخرة .

فحيث تكون الصلة وثيقة فهي ولاء ، أو موالاتة ، أو ما شئت من فروع هذه المادة .

والقرآن الكريم فيما توجنا به مقال اليوم يعتبر ما بين الله والمؤمنين ولاء : كما ترى في الآية الأولى .

ويعتبر ما بين الكافرين والشيطان ولاء : كما ترى في الآية الثانية ... فالله ولي المؤمنين ، والطاغوت ولي الكافرين ... ولكن : هل تصدق تلك المقابلة ؟ ويستوى ذلك التعبير ؟

- أما بعد - فنهج القرآن يميز لنا بين الوعين في ذكره الحكيم ، فهو يحدثنا عن أحدهما في أسلوب الرضا عنه ، والدهوة إليه ، والوعد الجليل لأمله ، حتى ليسبق إلى الذهن أن الولاء لا يكون إلا رعاية في رفق ، وتامحاً في إخلاص ، ومؤازرة في وفاء ... وهكذا : من كل ما يعد جنوحاً إلى المسألة ، وتماهداً على النفع ، وتناصرأ في دفع المكروه .

ومن هذا التوجيه نفهم في الولاء معنى يؤديه لفظه ، ويصدق به الوضع ، ويرتضيه الوجدان ، وحسبك أن الله سبحانه - سمي نفسه ولياً للؤمنين . والموالات نسبة إضافية : لا تكون إلا من جانبين : فالؤمنون - إذن - أولياؤه .

وما فاتهم أن يشيد بهم القرآن في هذا الوصف (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون) .

ومنهج القرآن كذلك يحدثنا عن النوع الثاني في لهجة التكبر له ، والسخط عليه ، والوعيد لأمله ، حتى ليستقر في الذهن أن ذلك ليس ولاء : إلا من قبيل السخرية .

وكيف يكون ولاء ما هو سبيل إلى الشر ، ومهلكة للأنفس ، ومضيعة لخير الدنيا ، ومجلة لسوء العاقبة ؟ ؟

ومن هذا التوجيه ندرك أن الخبث والمتابعة فيه عما يستعصى معناه على لفظ الولاء ، ولا يصدق به الوضع ، ولا يرتضيه الوجدان .

ولسكنها مشاكلة في الإطلاق ، قصدت للسخرية باتباع الشيطان فيما جنحوا إليه من الفساد ، حتى كان الفساد أثيراً عندهم ، وكان استهواء الطاغوت لهم ، ومتابعتهم له كالولاء في الخير بين الأصفياء ، فسمى ولاء على حد قوله : « فبشرم بمذاب أليم ، وحسبك أنه ولاء بين الكافرين والشياطين ، وهو ما تحدث به القرآن عنهم في مثل قوله : « ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً » - تدفعهم دفعا إلى التردد والعصيان .

وحسبك أنهم يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، فيبدو لك من هذا الاتجاه أن المقابلة بين الآيتين هي مقابلة بين الضدين ، وأن التعبير في كل منهما بلفظ ولي ، ولفظ أولياء لا يستوي في معناه .

وسنزيد الأمر إيضاحاً بعد الوفاء بحديث الولاء ، وقد أسلفنا لك أن ما بين الله وعباده المخلصين ولاء ، بل هو الولاء الحق . . .

وهو من جانب العباد ولاء الأدنى للأعلى . . . ومن جانب الله ولاء الأعلى للأدنى . .
فما معناه أولاً ، وثانياً ؟؟

١ — ولاء العبد لربه يتمثل في إنسانية مهذبة : تعرف مكانتها من خالقها ، فهي في ضوء من الإيمان الصادق ، والآداب الروحية ، تبصر ما تهدف إليه من خير ، وهي دائماً في رقابة واعية ، وفي نجوة من دوافع الهوى ، ونزعات النفس ، وهي دائماً بين رغبة فيما يصلح لها الحياة الأولى والآخرة ، وبين رهبة مما يغضب الله ، ويفسد عليها لأحدى الحياتين . والقائمون على هذه الإنسانية المهذبة موالون لله ، وسالكون إليه سبله المشروعة ، فهم إذن أوليائه ، وهنا تتمتع الموالاة من جانب المولى لعباده هؤلاء ، والله - سبحانه - يقرر أنه ولي الذين آمنوا .

٢ — فما معنى ولائه سبحانه ؟ جواب ذلك في قوله تعالى : « يخرجهم من الظلمات إلى النور » .

وفي طي هذه الجملة ما يطول بنا استيعابه من المعاني الكريمة ، فما من شك أن الله صاحب الولاية المطلقة على سائر خلقه ، بما يعمر به هذا الكون ، وما وراء الكون ، ولكن تخصيص ولايته بالمؤمنين ينبئ عن تكفله بهم ، فلا يسكلهم إلى أنفسهم ، بل يتعهدهم بالإرشاد إلى السداد ، ويلهمهم الطمأنينة بذكر الله ، والرضا بما قدر لهم ، والصبر على ما نزل بهم ، فهم دائماً في رعايته وفي مدد من معوته ، ولديك قوله : « إن الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة : ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، أفرأيت ذلك العهد الصادق من جانبه لعباده المؤمنين ؟

وعلى هذا يتنزل الولاء في الآية التي معنا ، وفي نحوها من الآيات ، مثل « إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » ، وهو الولي الحميد . . ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، « أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ، « نعم المولى ونعم النصير » .

ففي هذه المقامات ، وما هو من قبيلها يتأكد لك أن ولاية الله : إن تكن هيمنة عامة ، فهي للمؤمنين هيمنة وحماية من المفاتن ، وحياطة من المكاره .

وذلك معنى إخراجهم من الظلمات إلى النور ، فلا تبطّرهم نعمة ، ولا تنظّمهم محنة ، لأن أملهم معقود بما هو أركى من الدنيا ، وهم مع جدم في الحياة ليدركوا منها نصيبهم - على استعداد للرحيل منها مزودين بخير الزاد .

وليس من يكون على هذه الصلة بربه من تغمره ظلة الكفر ، أو تغشاه ضلالة الفسق أو ترين على قلبه غفلة الفسيان ، بل هم في نور يكتشفهم ، فلم يتعثروا في ظلمة من الظلمات .
وللنفس هنا راحة في ألفاظ ثلاثة : يخرجهم .. من الظلمات .. إلى النور .

فالإخراج هو الانتزاع .. والظلمات جمع مستغرق .. والنور بالتعريف محمول على المعنى الأكمل ، ومفاد ذلك أن الله ينزعهم انتزاعاً من جميع أسباب الضلالة إلى أكل معنى من معاني النور ، فأين منهم نزغات شيطان أو غواية قرين ؟؟

هؤلاء هم العباد المخلصون ، الذين آمنوا حقاً بربهم ، واستجابوا صدقاً لأنبيائهم ، وعملوا لدينام في حدود ما شرع الله في دينهم ، فسكانوا على بينة من ربهم .

وإذا كانت الولاية مدارج ، واسكل امرئ مقامه المعلوم ، فالأمر كما اهتدينا مقيس بمقياس التدين ، والحكم فيه لله وحده .

وليس مقيساً بالتصنع ، ولا غاضعاً للدعابات ، ولا منوطاً بدعوى الكرامات ، وخوارق العادات .

ومن الكذب على الله ورسوله أن نغتصب الثقة من الناس من طريق الشعوذة ، ونزعم لهم أننا من المقربين ، ونتمخّذ من قداسة الدين شباكاً للتغريب بالناس . فما هو من شأن الدين عند الممارقين من حوزته مثل ألا عيب الجملة بأحكامه ، والاتجار على حسابه .

وما كان أصحاب محمد ولا التابعون منهم يستدبحون لأنفسهم مثل هذه الأكاذيب ، ولا يتصايحون بأنهم أولياء الله ، ولا يتخذون المظاهر الخادعة مجلبة لتودد الناس إليهم ، فإن صلة العبد بربه أسمى من أن تكون أحبولة للذنافع المادية .

وقد عرفنا من نفحات القرآن التي أبديناها في حديثنا هذا كيف يكون العبد ولياً لربه .. ومعنى ولاية الله لعبده .

ولسائل أن يقول بعد ذلك : يبدو من سابق حديثك أن الموالاة بين العبد وربّه إنما تكون أولاً من جانبه ، فإذا تحقق منه ما هو مطلوب إليه تم له عند ربك جانب الولاء ، وما لم يكن من العبد إقبال لا تكون من الله رعاية بالمعنى الذى عرضت له ؟ .

والجواب نعم - فصاحب الحاجة هو الذى يمد يده إلى الجواد ليعطيه ، والله غنى عن عباده وهم الفقراء إليه ، وكان من كرمه أن دعانا ووعدنا ، وهياً لنا السبيل معبدة لتجّه إليه : فن أقبل فله العطاء ، ومن أعرض فدوته الحجب ، وانظر إلى قوله تعالى « الله ولى الذين آمنوا ، فولايته رهينة بإيمانهم ، وبقدر ما يكون من إيمان تكون ولاية الرحمن .

ولنا الأمل فى فضله أن يهديننا السبيل إليه ، ويكشف لنا عما خفى علينا ، حتى نكون عند دعوته وفى ظل رعايته ، ولنا عودة إن شاء الله ؟

عبد اللطيف البكى

عضو جماعة كبار العلماء

الايان والحياة

إن هذه الحياة الحافلة بصنوف الشقاء وأنواع الآلام ، والى لا يفيق المرء فيها من غمرة إلا إلى غمرة ، ولا يثل من عثرة إلا إلى عثرة ، لا يعين عليها إلا عقيدة راسخة يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته وتداركت عثراته ، ويستروح من أعطافها رائحة الجنة كلما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب .

مصطفى لطفى المنفلوطى

الأسئلة

الجوار في الإسلام

إحسان الجوار - الجوار في الجاهلية - تهذيب الإسلام للجوار -
الجوار في الحرب - مثل رائحة من جوار الأرقاء والنساء -
متى تعرف المسئلة مكانها في الإسلام ؟ الكلمة الأخيرة للإسلام .

عن أم هانئ رضي الله عنها قالت : ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح ، فوجده يغتسل وفاطمة ابنته تستره ، فسلمت عليه فقال : من هذه ؟ فقلت : أنا أم هانئ بنت أبي طالب ؛ فقال : مرحباً بأم هانئ . فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفاً في ثوب واحد ، فقلت : يا رسول الله ، زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلاً قد أجرته : فلان ابن هبيرة ، فقال رسول الله ﷺ : قد أجرنا من أجرته يا أم هانئ . وذلك ضحى . رواه الشيخان ، واللفظ البخاري ^(١) .

* * *

للجوار معانٍ متقاربة في لسان العرب :

منها - وهو أسبقها إلى الذهن ، وأشهرها في العرف - مجاورة الناس بعضهم لبعض ، في سكن أو عمل . والجوار بهذا المعنى على درجات ومراتب ، بعضها ألحق من بعض ؛ وأدناها جوار الزوجة ، وقد بينا في الجزء التاسع من المجلد السابع عشر من هذه المجلة كيف عني الإسلام بالجوار والمرأة عناية لم يعرف - ولن يعرف - لها مثيل في تاريخ الأخلاق والاجتماع .

(١) في باب أمان النساء وجوارهن ، من كتاب الجهاد ، ورواه في مواضع أخرى لمناسبات لا نخل ، منها كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة .

ومنها - وهو موضوع حديثنا هذا - إجارة المستجير بتأمين مخافته ، وإغاثة لهفته ، حتى يبلغ مأمنه مطمئنا وادعا .

وإحسان الجوار - على كل معنى من معانيه - في الذروة من معالي الهمم ومكارم الأخلاق . وكان العرب في الجاهلية يذبون عن الجوار ، ويمنعون من حالقهم أو استنجار بهم ، مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ، وكانوا يقولون في معرض الفخر والثناء : فلان منيع الجار حامى الذمار ؛ بيد أنهم كانوا يسرفون في حماية الجار إسرافا جائرا ، يجاوز حدود العدل والإحسان ، ويطوح بهذه المنتقة الكريمة في متاهة العسف والمدوان !

كانوا يذبلون المهج والأرواح ، ويشنون الحروب والغارات ، انتصارا لمن حالف أو استنجا ، محقا كان أو مبطلا ، ظالما كان أو عادلا !

لا يسألون أخاه حين يندبهم للثأب على ما قال برهانا

فلما جاء الإسلام بالهدى والنور ، والشفاء لما في الصدور ، هذب أخلاقهم ، وأكل آدابهم ، ونقى منها الحبث والرجم كما ينقى الكبر خبث الحديد ، وأقر - فيما أقر من مكارم الأخلاق - حسن الجوار ، وحماية الذمار ، في غير من ولا أذى ، ولا بغى ولا عدوان . بل فرض على الناس فيما فرض ، أن ينصر كل منهم أخاه ظالما أو مظلوما . . . فلما عرثهم الدهشة من دعوتهم إلى نصر الظالم ، بين لهم بيانا عجبا لم يكن لينخطر لهم على بال : بين لهم أن ليس نصر الظالم ما ألفوه في الجاهلية الأولى ، وإنما هو كفه عن الظلم ، والاخذ على يديه حتى يرعوى ، فذلك نصر له أى نصر ، على داعى الشهوة والهوى ، والاعتساف والطغيان !

ولقد بلغ من عناية الإسلام بالجوار وحب له ، أن أجاز لكل مسلم أن يجرى في الحرب ويؤتمن ، رجلا كان أو امرأة ، عبدا كان أو حرا ، وجعل ذمامهم وأمانهم كشيء واحد ، فلو صدر أمان من أحدهم - كاتنا من كان - لعدو ، فليس للإمام ولا للقائد ولا لغيرهما

من أولى الأمر أن يتقضه ، وذلك قوله صلوات الله عليه فيما رواه الشيخان : « ذمة المسلمين واحدة يسمي بها أديانهم ، فمن أخفّر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ،
 وحدث في عهد عمر رضي الله عنه أن عبداً آمن أهل بلد بالعراق ، فكتب إلى عمر قائد الجيش أو عبيدة بن الجراح يستشيريه في هذا التأمين ، فكتب إليه أمير المؤمنين :
 إن الله عظم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتى تفروا ، فوقوا لهم وانصرفوا عنهم .

وهذه فاختة شقيقة على بن أبي طالب رضي الله عنهما ، راوية هذا الحديث ، يجرى
 النبي ﷺ من أجارت ، ويؤمن من أمنت .

كانت فاختة من ذوات الرأي الجزل ، والأدب الجلم في عقائل قريش . . . فلما أسلمت
 عام الفتح فرق الإسلام بينها وبين زوجها هيرة بن أبي وهب الخزومي ، الذي هرب عند
 فتح مكة إلى نجران مشركاً ، فلم يزل بها حتى مات . وكانت قد انكشفت منه عن أربعة بنين ،
 أصغرم هانيء الذي اشتهرت كنيته به .

وكان النبي ﷺ قد أهدر دم خمسة عشر رجلاً وامراً ، أمعنوا في الكيد للإسلام ،
 والإفساد في الأرض ، لكن تداركتهم — إلا قليلاً منهم — مع فظاعة جرمهم ، نعمة
 الجوار في الإسلام ، وشفاععة الصاحب الكرام ، عند من أرسله الله رحمة للعالمين .

فر من هؤلاء — وعدتهم أحد عشر — جمعة بن هيرة . ورجل آخر من أحماء
 أم هانيء ، لم يذكر في حديث البخاري ، وكلاهما من بني مخزوم ، فرا إليها ، واختبأ في بيتها
 فتوعدهما على ، وأقسم ليقتلتهما ، إنفاذا لإيماد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجزاء لما اجترعا
 من الحنث العظيم !!

لكن أخته أجارتهما ومنعتهما منه ، ثم ذهبت تشكوه إلى الرؤوف الرحيم صلوات الله
 وسلامه عليه .

صادفته يفتسل ، والزهراء رضوان الله عليها تستره ، فسلمت من وراء حجاب ، فسأل
 عنها ، وحياها بأحسن من تحيها ، حتى إذا اغتسل قام فصلّى ثمانى ركعات : صلاة الضحى
 كاملة ، أو صلاة الشكر لله جلّت آلاؤه على ما أنعم عليه من نعمة الفتح ، أو الصلاتين معا ،
 في ثوب واحد مشتملا عليه .

لا جرم أن عليا ابن أمها وأبيها، ولكنها نسبتها إلى الأم غصب، كما قال هرون يستعطف أخاه موسى عليهما السلام : يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، تأكيداً لحُرمة القرابة، وتوسلاً بوشيجة الرحم التي آوتهما، والبطن الذي ضمهما في قرار مكين..

تقول: إن أولى قرابتي، برمي عهدي وذمتي، هو أخي، ولكنه تواعد بنسكت جوارى وقطع رحمي! ونعم الحكم أنت.. فاستجاب لها صلوات الله وسلامه عليه، وطمأنها بأنه قد أجار هو نفسه من أجارت، وأمن هو نفسه من أمنت، فلتقر عينا ولتطب نفسا.

ومثل آخر: زينب الكبرى بنته صلى الله عليه وسلم، يفرق الإسلام بينها وبين زوجها وابن خالتها: أبي العاص بن الربيع، ويحتال عليه كفار قريش أن يطلقها، فيمتنع ويقول: والله لا أفارق صاحبتى ولا أحب أن لى بها امرأة من قريش، فتهاجر هي ويبقى هو كافرا بمكة، حتى يقع أسيرا في قافلة يسوقها على بكرة أبيها زيد بن حارثة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة من الهجرة. وهناك يستجير أبو العاص بزيب التي طوقته بصنيعها إذ افتدته وهو أسير يسدر — بقلادتها التي حلتها بها ليلة عرسها أمها أم المؤمنين خديجة، فتعده خيرا، ثم تنادى بعد صلاة الفجر: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم، قال: فوالذي نفسى بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أذنهم، وقد أجرنا من أجارت.

ثم يعود أبو العاص إلى مكة فيؤدى الحقوق إلى أهلها — وكان من المعدودين في رجال مكة تجارة وأمانة ومالا — ويؤوب إلى المدينة مسلما محسنا، فيرد عليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وزوجه، ويثنى عليه ثناء كريما.

من لنا بأن تفقه نساؤنا مكان المرأة في الإسلام، وكيف حاطها برعايته، ومنحها من الكرامة والتجلة ما تحسدها عليه المرأة الغربية، ولو فطننت الغربية لمزايا الإسلام وآدابه لسمعت إليه سعى أختها الشرقية للمظاهر والمدنية أو أشد سعيًا ١٢

لم يكن الإسلام الذي هذب الجوار وجمله ، ودعا إليه صفيًا زاكياً - ليقبل منه ما ينقض عهداً ، أو يفسد ودأ ، أو يوقظ فتنة ، أو يحرك ضغينة ، أو يهيج سلاماً وأمناً . وكيف ، وهو دين الوفاء والإخاء ، والوئام والسلام ، والصلح والإصلاح ، والرشد والفلاح ؟ ورد اللاجئين والمستجيرين في صلح الحديبية ، وقد جاءوا مسلمين خائفين ، وفاءً بالعقد ، وحفاظاً على الشرط - بعض الشواهد الصادقة على ما نقول . ولولا غشاة السامة لكان لنا في تفصيل هذا الإجمال ، مجال أى مجال .

نعم ، كان للمرأة إذا هاجرت من دار الكفر إلى دار الإسلام ، حباقة ورسوله ، لا بغضاً لزوج ولا طلباً لآخر ، ولا التماساً لدنيا - كان للمرأة إذا شأن آخر غير شأن الرجل رفقا بها ، ورحمة بضعفها ، وخوفاً عليها أن تفتن في دينها أو عرضها . فن لنا - مرة أخرى - بأن تفقه نساؤنا مكان المرأة في الإسلام ، وكيف يصونها من الشرور والآثام ؟

وأخيراً - وليس آخرًا كما يقول الباحثون - لو نظر أعداء الإسلام نظرة تقدير وإنصاف إلى الجوار في الإسلام ، لما ترددوا أن يستجيروا به ، ويلتجئوا إليه ، ومثالك يرون رأى العين أعز مانع للجار ، وحام للدمار .

ط محمد الساكت

كعب بن لؤى كما وصفته أمه

قال لؤى بن غالب (جد النبي صلى الله عليه وسلم) لامرأته : - أى بفيك أحب إليك ؟ قالت : الذى اجتمعت فيه ثمان خلال : لا يخامر عقله جهل ، ولا يخالط حبله سفه ، ولا يلوى لسانه عى ، ولا يفسد يقينه ظن ، ولا يغيره عقوق ، ولا يقبض يده بخل ، ولا يكدر صنعه من ، ولا يرد إقدامه جبن . قال : ومن هو ؟ قالت : ولديك كعب .

الدَّخِيلُ وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ

— ٥ —

الموضوعات فيما يتعلق بتوضيح مبهم أو تفصيل يحل أو ترجيح رأى ونحو ذلك :
فن ذلك ما ذكره بعض المفسرين كالسيوطى فى الدر فى تفسير قوله تعالى « فلتلقى آدم من ربه كلمات الآيه » فقد فسرت الكلمات تفسيراً شيعياً ، ورووا فى ذلك عن ابن عباس أنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتأب عليه ، فقال : « سأل بحق محمد وفاطمة والحسن والحسين » .

وقد حكم بوضع هذه الرواية ابن الجوزى ووافقه السيوطى فى اللآلىء ، مع أنه لم ينبه على وضعه فى كتابه الدر ، والصحيح فى تفسير الكلمات هو قوله تعالى « قال ربنا ظنننا أنفسنا الآيه » والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

* * *

ومنها ما ذكره بعض المفسرين - كالطبرى والسيوطى فى الدر المنثور - بأسانيد موقوفة ومرفوعة والغسنى من غير سند عند تفسير قوله تعالى « وما أنزل على الملئكين بياىل هاروت وماروت » وعحصل ما ذكره أن الملائكة تعجبت من كثرة عصيان بنى آدم ، وقالوا لله سبحانه : لو كنا مكانهم ما عصيناك ، فقال لهم : اختاروا ملكين منكم ، فاختروهما ، فهبطا إلى الأرض فى صورة بشرين ، وألقى الله عليهما الشبى ، وحكما بين الناس فافتننا بامرأة تسمى الزهرة ، فراوداها عن نفسها ، فأبت إلا أن يعبدا صنما أو يشربا خمرأ أو يقتلا نفساً فأبيا ، وأخيراً وقعا فى المعصية . أما الزهرة فسخها الله وصيرها النجم المعروف ، وأماهما فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاخترأ الأول . ولتايد هذه القرية وضعوا على المعصوم صلوات الله وسلامه عليه أنه كان إذا رأى الزهرة لعنها وقال : إنها فتنت الملكين . والقصة مكذوبة مختلفة ، ولا سبأ المرفوع منها ، وقد حكم بوضعها الإمام أبو الفرج ابن الجوزى ، ونص الشهاب العراقى على أن من اعتقد فى هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما ، فهو كافر بالله العظيم . وقال القاضى عياض فى الشفاء : « وما ذكره

أهل الأخبار، وقوله المفسرون، في قصة هاروت وهاروت لم يرد فيه شيء، لاسقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما زيف المرفوع من هذه القصة الحافظ عماد الدين ابن كثير، وبين أن منشأ ذلك روايات إسرائيلية، أخذت عن كعب الأحبار وغيره من علماء أهل الكتاب، وألصقها الزنادقة بالبي صلى الله عليه وسلم زورا وبهتانا. قال ابن كثير «وأقرب ما يكون في ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي صلى الله عليه وسلم» (١).

والثقات من المحدثين لم يرفعوها إلى النبي ﷺ، وإنما وقفوها على كعب وأضرابه. والملائكة معصومون عن مثل هذه الكبرائر التي لا تصدر إلا من عرييد لا خلاق له، ثم كيف ترفع الفاجرة إلى السماء، وتصير كوكبا مضيئا؟ وما النجم المعروف بهذا الاسم إلا في مكانه من يوم أن خلق الله السموات والأرض، وما ذكره من هذا الخلط لا يوافق سياق الآية، ولا ما نزلت له، وليس السبب في نزول الملائكة ما ذكر، وإنما السبب أن السحرة كثروا في ذلك الزمان، واخترعوا أبوابا من السحر، وزعموا أن سليمان ما نال ملكه إلا بهذا السحر، حتى كادوا أن يفسدوا عقول الناس، ويضلوا عن الحق، فبعث الله هذين الملائكة كي يعلموا الناس السحر، فلا يشبهه عليهم بالمعجزة، وبذلك يسجل عليهم التمييز بين حق الأنبياء وباطل هؤلاء، وقد احتاط الملوك وبالقيا في التحذير من العمل بالسحر «وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفروا». وبذلك تبين الحق، وظهر أن هذه الحرافة لا تمت إلى الإسلام بصلة.

ومن قبيل هذا ما ذكره الثعلبي والزمخشري والفسفي في قوله تعالى في سورة يوسف «إذ قال يوسف لآبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين» فقد روى أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف، ما أسماؤها؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي: إن أخبرتك بأسمائها تسلم؟ قال: نعم. فقال له: جريان والطارق والذبال الخ فقال اليهودي: إنها لاسماؤها. وقد نبه على وضعه الحافظ بن الجوزي، وأعله بالحكم بن ظهير الذي تفرد به.

وقد ضعفه الأئمة ، وتركه الأكثرون ، وقال فيه الجوزجاني : « ساقط ، وهو صاحب حديث نجوم يوسف » .

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين كالزحشرى والنسفي عند ذكر الاختلاف في كون الذبيح إسماعيل أو إسحق عليهما السلام ، وهو كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام . من يعقوب لإسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ، ويستدلون به على أن الذبيح إسحق ، وقد قال فيه الدارقطني : « موضوع - وإسحق - أحد رواته - كان يضع الحديث على ابن وهب ، وكل ما ورد أن الذبيح لإسحق من المرفوع إلى النبي ﷺ فهو إما موضوع وإما ضعيف » .

والظاهر أن الروايات في ذلك مما دسه اليهود كي ينسبوا هذا الفضل لجدهم إسحق . ولست الآن بصدد التمهيص والتحقيق فلذلك مقام آخر ، وبحسبي أن أذكر دليلاً على ما استظهرت ما ذكره ابن إسحق أن عمر بن عبد العزيز أرسل إلى رجل كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وكان من علمائهم ، فسأله أي ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ، والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب .

ومن الغث الذي لا ينبغي أن يفسر به كتاب الله ما ذكره البعض كالعلمي والزحشرى والنسفي في تفسير قوله تعالى : « ألم تركيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد » . فقد زعموا أن إرم مدينة ، ورووا في ذلك أنه كان لعاد ابنان : شداد وشديد ، فلما قهرهما ثم خلص الملك لشداد ، فسمع بذكر الجنة ، فقال : أبني مثلها . فبنى إرم ذات العماد في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة ، وقد ذهب الخيال في بنائها كل مذهب . ولما تم بناؤها سار إليها في العدد والعدة ، فلما كان منها مسيرة يوم وليلة أرسل الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا ، ولكي يحكروا هذه القصة المزيفة رووا أن عبد الله بن قلابة خرج في طلب لإبل له فوقع عليها مصادفة ، فحمل ما قدر عليه ، وبلغ خبره معاوية رضي الله عنه فاستحضره ، وقص عليه ما رأى ، فأرسل معاوية إلى كعب الأبحار فسأله فصدق مقالة ابن قلابة . وهي قصة لا يشك المتأمل فيها في أنها موضوعة ، وآثار الوضع والصنعة بادية عليها . ومثل ذلك ما روى أن

إرم دمشق أو الاسكندرية ، فكل ذلك من خرافات بنى إسرائيل ، ومن وضع زنادقتهم الذين أرادوا أن يحجبوا جمال القرآن وسموه بمثل هذه الروايات التي لا يشهد لها عقل ولا قلم ، وقد تعرض لتزييف ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره ، والعلامة ابن خلدون فيلسوف العرب الاجتماعي في مقدمته .

والحق ما ذهب إليه محققو المفسرين من أن إرم عطف بيان من عاد ، وأنهم سموها إرم إرم نسبة إلى جدم ، لأن عاداً هو ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح كما قال النسابون . ووصف القبيلة بذات العباد إما لأنهم كانوا أهل عمد وخيام في حلهم وترحالهم ، أو لما كانوا عليه من طول القامة وقوة البنية ، أو لسكونهم ذوى شرف ورفعة ، ومعنى « التي لم يخلق مثلها في البلاد » أى فى قوة البنية والعمامة وشدة البأس . وتفسير الآيات على هذا الوجه هو الذى يتفق وما سبقت له الآيات وهو تخويف المعاندين الموجودين فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أهلك من كان قبلهم ، وكانوا أشد منهم بأساً ، وأعظم قوة وسلطاناً ، وأكثر مالاً ، ومن العجيب أن من ذكرتهم من المفسرين ذكروا هذا الحق ، ولكن خلطوه بالباطل الزائف ، ولو اقتصروا على الحق لكان أولى وأحسن . ثم كيف يتفق قول من قال إنها دمشق أو الإسكندرية ، وما هو الثابت يقينا من أنهم كانوا يسكنون الأحفاف ؟

ما يتعلق بقصص الانبياء والامم السابقة :

ومن الموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير ما جاء فيها مما يتعلق بقصص الانبياء وأحوال الامم الماضية مما لا يعقل صدور عن الرسول أو عن الصحابة والتابعين لمنافاته لعصمة الانبياء ، أو لسنة الله فى الكون ، وجلها لا يعتمد على نقل صحيح ، وإنما هى أمور مدسوسة على الإسلام ، ليظهره أعداؤه بمظهر المخالف للعقول وسنة الله فى الكائنات .

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى « قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين ، وإنما لن ندخلها حتى يخرجوا منها » فقد ذكر الجلال السيوطى فى الدر المنثور من الروايات فى صفة هؤلاء القوم ، وعظم أجسادهم ، مالا يتفق وسنة الله فى خلقه ، مثل

ما روى من أن سبعين استظلوا في قحف رجل من العالقي ، وما روى عن زيد بن أسلم أنه رثيت ضبع وأولادها رابضة في فجاج عين رجل منهم ، وما روى عن ابن عباس من أن النقباء لما أرسلوا إلى هؤلاء الجبارين دخلوا حائطا لبعضهم ، فجاء صاحب الحائط ليبنى ثماره ، فوجدهم فصار يضعهم في كفه مع الفاكه ، وهو خلاف سنة الفطرة ولم يعرف التباين بين الناس إلى هذا الحد ، ولما تبرأ إلى الله أن يكون ما روى عن الصحابة والتابعين مما تلقوه عن النبي المعصوم ، وأغلب الظن أنه مدسوس عليهم أو تلقوه عن أهل الكتاب استغرايا له ، لحمل عنهم وألصق بتفسير كتاب الله عن غير بيته .

وثالثه الآثافي في هذا ما ذكر من شأن عوج بن عوق الذي ولع بذكره بعض الأخباريين والمفسرين ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع ، وأنه كان يمسك الحسوت فيشويه في عين الشمس إلى غير ذلك ، فكله أحاديث خرافة كانت مشهورة في الجاهلية ، ألصقت بالحديث بقصد الإفساد ^(١) . وقال الحافظ ابن كثير : « قصة عوج بن عوق وما يحكونه عنه هذيان لا أصل له ، وهو من غتلفات أهل الكتاب ، ويرحم الله العلامة ابن قيم الجوزية ، فقد قال بعد ذكر حديث عوج هذا : « وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله ، وإنما العجب من يدخل هذا في كتب العلم من التفسير وغيره ، فكل ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسول وأتباعهم » . وقد ذهب بعض الناس إلى تصحيح وجود شخص بهذا الاسم بعد طوفان نوح عليه السلام ، ولو سلمنا لهذا القائل ما يريد فنحن لا ننكر وجوده ، ولكن الذي ننكره وجود شخص على هذه الأوصاف الغريبة ، وكم من أشخاص حيك حولهم أبواب من الزور حتى صاروا بسبب ذلك من اختراع الخيال ؟

محمد محمد أبو سريته

الاستاذ بكلية أصول الدين

لمن يكون تنفيذ الحدود؟

لمن يكون اختصاص التنفيذ ؟

يجب أن نلاحظ أولاً أن الأمة المنظمة لا بد لها من راع يرعاها ، ويقوم على شئونها ، ويفصل في أمورها ؛ ويعينه على ذلك أهل الحل والعقد ، وأرباب المشورة والرأى ، وأصحاب القدرة على المساعدة والمعونة ؛ وأن هذه الأمة تتكون من أفراد تعدد مصالحهم ، وتختلف مشاربهم ومطالبهم ، وتكثر خصوماتهم على أمور الحياة ، وقد تضارب آراؤهم في هذه الأمور تبعاً لمؤثرات متعددة ؛ ولا يمكن للإنسان أن يكون خصماً وحكماً في الوقت الواحد . . .

ولذلك رأى الإسلام أن يكون للمسلمين إمام يعاونه من يعاونه ، وهذا الإمام بأعوانه يرضى مصالح العباد ، ويقوم على شئونهم ، ويفصل في خصوماتهم ، وينفذ الحدود بينهم ، متقيداً في ذلك بالكتاب والسنة ، ولذلك قال القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً ، » (١) .

ولو أن الإسلام ترك كل فرد يأخذ ما يراه حقاً له - وخاصة في الدماء - لكانت هناك العاطمة الكبرى ، ولعادت جاهلية الأمم بفجورها وشرورها ، وطفيانها وبتانها ؛ لأن الطرف في الخصومة لا يستبين الرشد في خطواته وتصرفاته لو جعل نفسه حاكماً ؛ ولذلك اشترط الإسلام أن يفصل في الخصومات من لا هوى له فيها ، واشترط للقاضي صفات وأخلاقاً تجعله بمنأى من الريب والشكوك ، وبمعزل عن التهم والظنون ؛ فكيف يمكن بعد كل ذلك الاحتياط أن يكون الفرد الخصم حكماً بينه وبين خصمه ؟

ومن هنا روى أن ابن عمر قال : « الزكاة والحدود والنبي . والجمعة إلى السلطان » ، (١) ؛
وأن ابن محيرز قال : « الحد والنبي . والزكاة والجمعة إلى السلطان » .

وجاء في مجمع البيان للطبرسي : « ... وأما من يتولى القصاص فهو إمام المسلمين ومن
يجرى مجراه ، فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولي ، لأنه حق الآدي ، ويجب
على القاتل تسليم النفس . » (٢) .

وجاء في حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : « حيث ثبت القتل عمدا وعدوانا وجب
على الحاكم الشرعي أن يمكن ولي المقتول من القاتل ، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولي
من القتل أو العفو أو الدية ، ولا يجوز للولي التسلط على القاتل من غير إذن الحاكم لأن
فيه فساداً وتخريباً » . (٣) .

وفي كتاب (المغني) لابن قدامة : « قال القاضي : ولا يجوز استيفاء القصاص
إلا بمحضرة السلطان ، وحكاه من أبي بكر ، وهو مذهب الشافعي ، لأنه أمر يفتر إلى
الاجتهاد ، ويحرم الخيف فيه ، فلا يؤمن الخيف مع قصد التقضي ، فإن استوفاه من غير
حضرة السلطان وقع الموقع ، ويمزق لأفنياته بفعل ما منع فعله » . (٤) .

ثم أشار الإمام ابن قدامة إلى من خالف في ذلك ، وأورد لهم اعتراضاً يوصي بجواز
الاستيفاء من الفرد بغير حضرة السلطان ، وعمدته أن رجلاً جاء يقود رجلاً إلى النبي ﷺ
وقال له : إن هذا قتل أخى ، واعترف القاتل بذلك ؛ فقال له النبي : اذهب فاقتله .

والظاهر من هذا الحديث أنه لا يصلح للاستشهاد على ما ذهبوا إليه ، لأن السلطان هنا -
وهو النبي عليه الصلاة والسلام - قد علم بالجريمة بعد أن رفعت إليه ، واعترف الجاني ،
وحكم الرسول بالقصاص ، ووكّل ولي الدم في القيام بهذا القصاص ، فليس هنا إذن دليل
على قيام ولي الدم من نفسه بالقصاص دون علم الحاكم أو إذنه .

وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر أن القانون الوضعي اليوم ، يعاقب ولي الدم إذا
أقدم على قتل القاتل قبل الحكم عليه ، ويعتبره القانون قاتلاً ، وإن تكن هناك فسحة

(١) انظر المحلى لابن حزم ج ١١ ص ١٦٥ ، ولى للوضوح خلاف بين الفقهاء .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ج ١ ص ٢٦٥ .

(٣) حاشية الصاوي على الجلالين ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٤) للمغني لابن قدامة ج ٩ ص ٣٩٣ .

للقاضي كي يخفف الحكم، وهذا لا يخالف روح الشريعة الإسلامية عند كثير من الفقهاء ، وخصوصاً إذا رأى الإمام تركيز الاختصاص في القصاص بيد الدولة ، وقد يؤيد هذا ما رواه ابن حزم في المحلى وهو :

« إن في كتاب لعمر بن الخطاب : « والسلطان ولي من حارب الدين ، وإن قتل أباه أو أخاه ، فليس إلى طالب الدم من أمر من حارب الدين وسمى في الأرض فساداً شيء » . وقال ابن جريج : وقال لي سليمان بن موسى مثل هذا سواء سواء حرقة حرقة ، وبه - أى بالسند المذكور قبل ذلك - إلى عبد الرزاق هن معمر عن الزهري قال : عقوبة المحارب إلى السلطان ، لا تجوز عقوبة ولي الدم ، ذلك إلى الإمام ، قال : وهو قول أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأبي سليمان وأصحابهم ^(١) . »

أمور يجب اعتبارها :

ثم إن هناك أموراً يجب اعتبارها وملاحظتها في هذا المقام ، ومنها نستبين كيف يكون القصاص ، ولئن يكون ، وكيف يخطئ خطأ فاحشاً من يعميه حب النار عن وجه الحق فيتمجمل بالقصاص دون بصيرة أو تبصر .

من هذه الامور أن ولي الدم يكون غالباً أكثر من واحد ، لأن أصحاب الحق في ذلك هم عصابة المقتول الذين يعتزون بحياته ، ويدلون بدونه ، ويحرمون من بره ومعوته ؛ أو بتعبير آخر : هم ورثة القتل ؛ وهم شركاء في حق القصاص ، فكيف يجوز أحدهم لنفسه الانفراد بهذا الحق ، فيقدم على أخذ ثأره بيده ، فيجرم في حق الله وحق العباد ١٩ ...

ومن هذه الامور مسألة العفو من بعض المستحقين للثأر عن القاتل ، فقد ذكر الشعراني في كتابه (الميزان) أنه قد اتفق الفقهاء على أنه إذا عفا رجل من أولياء الدم سقط القصاص ، وانتقل الأمر إلى الدية ، واتفقوا على أنه إذا كان المستحقون صغاراً أو غائبين كان القصاص مؤخراً ، خلافاً لابن حنيفة ، فإنه قال : إذا كان للصغار أب استوفى القصاص ولم يؤخر ^(٢) .

(١) المحلى لابن حزم ج ١١ ص ٣١٢ .

(٢) كتاب الميزان ج ٢ ص ١٢٠ بختصار .

وقال الإمام ابن حزم في المحلى : « العفو جائز لكل أحد عن يرث ، وللزوجة والزوج وغيرهما ، فإن عفا أحد من ذكرنا فقد حرم القصاص ، ووجبت الدية لمن لم يعف ^(١) » .

فكيف يجوز مع هذا لفرد من أولياء الدم أن يستجيب للشيطان فيقتل القاتل أو أكثر منه ، وقد يكون غيره مريداً للعفو ، أو مريداً للدية ، وقد يكون من هؤلاء الأولياء غائب وصغير ، ولو حضر أو بلغ لعفا أو لطلب الدية ولم يطلب القصاص ١٩

أفد قال الإمام ابن قدامة في المغنى هذه العبارة الصريحة : « إذا كان للقتول أولياء يستحقون القصاص فمن شرط وجوبه اجتماعهم على طلبه ، ولو عفا واحد منهم سقط كله ، وإن كان بعضهم غائباً أو غير مكلف لم يكن لشركائه القصاص حتى يقدم الغائب ويختار القصاص أو يوكل ، ويبلغ الصبي ، ويفيق المجنون ، ويختاراه ^(٢) » .

فهل تبصر ذلك المقدم على النار بلا روية أو تفكير ١٩

ومن هذه الأمور مسألة الآلة التي ينفذ بها القصاص ، فقال أبو حنيفة - كما نقل الشمراني - إنه لا يستوفى القصاص إلا بالسيف ، سواء قتل به أم بغيره ، وقال الشافعي ومالك : إنه يقتل بمثل ما قتل به ^(٣) .

وكذلك تعرض ابن قدامة في المغنى لوصف تنفيذ القصاص ، فذكر أنه يستحب عند الفقهاء إحضار الشهود حين القصاص ، وعلى الحاكم أن يتفقد آلة القتل التي سيستعملها ولي الدم ، حتى لا يكون بها عيب أو آفة ^(٤) .

فهل يتصور من الأرعن النائر الذي يريد الانتقام دون تبصر أو احتكام إلى المعدلة ، أن يعطى هذه الناحية حقها ، أو يعدل في الحكم عليها ، أو أن الغضب المجنون سيدعوه إلى أخذ نأره كيفما اتفق ، وبأقصى ما يهين له شيطانه وهواه ؟

(١) المحلى ج ١٠ ص ٤٧٧ ، ومن الانصاف لبحث الطمى أن نقول إن ابن حزم قال عقيب ذلك : « وقال آخرون : العفو للرجال خاصة دون النساء . وقالت طائفة : من أراد القصاص فذلك له ، ولا يلتفت إلى من أراد الدية أو العفو ، ما لم يتفقوا على ذلك » . ولكن ابن حزم ماد فرج الرأي الأول ، وهو سقوط القصاص بففو واحد منهم أيا كان .

(٢) المغنى لابن قدامة ج ٩ ص ٣٣٤ .

(٣) لليزان ج ٢ ص ١٢٠ باختصار .

(٤) المغنى ج ٩ ص ٣٩٣ .

وهلا كان من الواجب حيقنذ أن يرجع صاحب الدم إلى الإمام الشرعى ليحدد آلة القتل التى استعملت ، وليعين وسيلة القصاص التى تستخدم ؟

ولعله من المناسب هنا - وقد أشير إلى قيام صاحب الدم بالقصاص - أن نذكر أن القانون الوضعى لم ينص على تفويض الفرد طالب الثأر فى تنفيذ القصاص بنفسه ، بل لعل روحه وسوابقه تمنع ذلك ؛ ولكن الشريعة الإسلامية تجيز لصاحب الدم أن يقوم بنفسه بتنفيذ القصاص بعد ثبوته ، وبعد إذن الحاكم به ، مع إشراف الحاكم على ذلك التنفيذ ؛ وتقول الشريعة : إن ولى الدم يجوز له أن يوكل من يقوم له بالقصاص ؛ وإن كان ولى الدم أكثر من واحد وكلوا أحدهم أو غيرهم ، وإن تنازعوا فيما بينهم أجريت القرعة عليهم ، ومن وقعت عليه القرعة قام بالتنفيذ .

وقد لا يصعب التوفيق بين الشريعة الغراء والقانون الوضعى فى هذه الناحية إذا تذكرنا أن الإمام الشرعى يجوز له فى الإسلام أن ينخصص الجائز لمصلحة عامة أو ضرورة بينة ، فإذا اقتضت المصلحة العامة الظاهرة أن يجعل تنفيذ القصاص فى يد خاصة قادرة محسنة جاز للإمام أن يحمل الناس على ذلك .

ومن هذه الأمور عملية القتل ، فقد قال الرسول صلوات الله عليه : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وقال : « أعف الناس قتلة أهل الإيمان ، ونحن لا نضمن أن يقوم الفرد الموتور بعملية القتل فى عدوه ومحسنها ، دون أن يسرف أو يتعسف أو يزيد ؛ ولعلنا نتذكر هنا ما تردى فيه الكثيرون أخيراً من مهاوى الإجرام الشنيع ، إذ تراهم يذبحون الناس ذبح الشياه ، ويقطعونهم إربا إربا ، وقد يسلخون الوجوه ، ويشوهون الملاح ، ويمثلون بالجنة أظفح تمثيل ؛ وذلك لأنهم يريدون إطفاء نار الثأر الآثيم ، وربما أخذوا بالظنة والشبهة ، أو أخذوا البرى بذنوب المجرم ، أو تصدوا حدود القسطاس فأخذوا مع المجرم غيره بمن لا ناقة لهم فى الجريمة ولا جمل .

ومن هذه الأمور الحالة التى يجب فيها القصاص شرعا وتمييزها من الحالات التى لا يجب فيها ، فقد أجمع العلماء على أن القصاص لا يجب إلا فى حالة القتل العمد ، دون القتل شبه العمد ، أو القتل الخطأ ؛ ويشترط كذلك للقصاص أن يكون الجانى المقنص منه

مكلفاً ، فلا يقتص من الصبي والمجنون وكل من زال عقله ، لقول الرسول صلوات لله عليه : «رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق ، وأن يكون المجنى عليه مكافئاً للجاني عند طائفة من الفقهاء (كالحر بالحر ، والعبد بالعبد) ؛ وأن يكون المقتول معصوم الدم ، فلا قصاص في قتل الكافر والحربي ، وأن لا يكون القاتل أباً للمقتول ، فلا يقتل الوالد بولده وإن سفل ، والآب والام في ذلك سواء ؛ إلى غير ذلك من الشروط ، كأن يكون القاتل مختاراً ، وأن تقوم عليه البينة بالشهود أو الاعتراف ... الخ

فهل ينتظر من الفرد ولي الدم - وقد يكون أمياً أو جاهلاً أو ظلوماً غاشماً - أن يلاحظ هذه الشروط ، وأن يراها حق رعايتها ، إذا ما تركنا له الجبل على الغارب ، فذهب يرضى شهوة الانتقام بإسالة الدماء ١٤ .

أحمد الشرباصي
من علماء الأزهر الشريف

حكم

« قال نصر بن سيار : « كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر ، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر . وكل شيء إذا كثر يرخس . إلا الأدب فإنه إذا كثر غلا ، .

« قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : قال لي أبي « يا بني ، لا تردن على أحق خطأ ، فإنه يستفيد منك علماً ، ويتخذك عدواً .

« قال محمد بن عبد الملك الزيات : « احذروا الصديق الجاهل أكثر من حفرم العدو العاقل ، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء ، كن أساء وهو يظن أنه محسن . .

المُؤْمِنُونَ حَقًّا

كما وصفهم القرآن الكريم

— ٢ —

في الحديث السابق قلنا عن بعض صفات المؤمنين الصادقين ، وكان حديثنا عن الصفات التي لا تتمدى القلوب إلى غيرها ، ذلك أن الفضائل الإنسانية منها ما يكون معاملة بين العبد وربّه ، ومنها ما يكون معاملة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، ومنها صفات نفسية تصدر عن القلوب ، وتتصل بها اتصالاً وثيقاً ، وهي بعد مظهر قوى من مظاهر الإيمان بالله ، والحب له . غوف القلوب من ذكر الله ، وزيادة الإيمان إذا تليت آيات الله ، والتوكل على الله حق التوكل ، كل ذلك مظهر من مظاهر سلامة القلوب وصفائها ، وخلص نياتها . والصلاة - مثلاً - معاملة بين العبد وربّه ، والتواضع والعفة ، والإعراض عن الغر ، والصبح عن المسىء ، معاملة بين الإنسان وأخيه الإنسان . وبشكل ذلك وصف الله عباده المؤمنين .

وأجمع الآيات في القرآن لأوصاف المؤمنين ، الآيات من أول سورة (المؤمنون) والآيات في آخر سورة (الفرقان) . وقد حدث سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل ، فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا . وأكرمنا ولا تهنا . وأعطينا ولا تحرمنا . وآثرنا ولا تؤثر علينا . وارض عنا وأرضنا . ثم قال : لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ . « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن الغر معروضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . »

ابتدأت هذه الآيات بالخشوع في الصلاة ، وانتهت بالمحافظة عليها . وإقامة الصلاة ، والخشوع فيها ، والمحافظة عليها من الأوصاف التي جعلها القرآن ملازمة للإيمان ، ففي سورة الأنفال : « الذين يقيمون الصلاة » ، وفي سورة الفرقان : « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » ، وفي سورة الفتح في وصف أصحاب النبي : « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً » ، سيامهم في وجوههم من أثر السجود ، ... وهكذا في كثير من الآيات .

وقد يكون من فضول القول أن نتحدث عن موضع الصلاة من الإسلام ، فما أظن أن أحداً يجهل ذلك ، بعد ما استفاض الحديث عن ضرورة المحافظة عليها ، وعن الحكم فيمن تركها ، هل يسجن حتى يصلبها ، أو يقتل ، وإنما نذكر هنا شيئاً مما يتصل بفقه الآيات ، فنحن نجد القرآن وصفهم أولاً بالخشوع ، وثانياً بالمحافظة على صلواتهم . والخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها ، فالمحافظة معناها أن تؤديها في أوقاتها ، والأفضل في أول الوقت . أما الخشوع فالمراد به اشتغال القلب بالله ، وعدم التفكير في شيء من أمور الدنيا ، والقيام في الصلاة غاضاً بصره ، ساكناً جوارحه ، فلا يلتفت يمينا ولا شمالاً ، بل قال سعيد ابن جبير : الخشوع هو ألا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ، وفي الحديث : لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا التفت انصرف عنه ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلاً يعيب بلبحيته في الصلاة ، فقال : لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه . هذا - ومن أعون الأشياء على الخشوع في الصلاة أن يتدبر المصل في ما يجري على لسانه من القراءة والذكر .

ومما تضمنته هذه الآيات - آيات (المؤمنون) من صفات المتقين أنهم يعرضون عن اللغو ، واللغو كل باطل وهو ، وما لا يحمل من القول والفعل ، فن صفات المؤمنين أنهم إذا سمعوا القبيح لم يشغلوا أنفسهم به ، ولم يخوضوا فيه ، بل قالوا خيراً أو صمتوا ، أو انصرفوا غاضبين منكرين . والذي يتعلق بكل كلمة يسمعون ، ويشترك في كل حديث يدور أمامه ، إنما هو اللئيم ، أما الكريم فإنه يتجاوز إذا كان الكلام يمسّه . ويكف لسانه إذا كان كلاماً لا خير فيه . وهذا معنى قوله تعالى : « وإذا مروا باللغو مروا كراماً » وقوله : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » . وقد سمع بعض الصالحين رجلاً يعيبه فقال له : يا هذا ، إن كان في ما تقول فغفر الله لي ، وإن لم يكن في ما تقول فغفر الله لك .

وهذا شيء لا يستطيعه كل النفوس : حتى قال وهب بن منبه : منذ خمسين سنة ما رأيت أحدا غفر لي زلة ، ومرد ذلك إلى نقص معيب في الترية الدينية ، وضعف واضح في الترية الخلقية ، فالنفوس لن تحمل ما يوجه إليها من العوراء حتى تراض ، وتطول رياضتها ، وحتى تدرك مدى ما في هذا التحمل من خير لها وللجموع ، من خير الدنيا ، وخير في الأخرى .

ونستطيع أن نؤكد أن كثيرا من الحوادث البالغة الخطورة ، التي نراها كل يوم ، والتي نقرأ ونسمع عنها ، ليست ترجع إلى أسباب قوية ، وإنما ترجع في القلوب إلى الحق ، وعدم التحمل ، وقديما قال حاتم طيء :

وعوراء جاءت من أخ فرددتها بسالة العينين طالبة عذرا
ولو أتني إذ قالها قلت مثلها ولم أعف عنها أورثت بيتنا شرا

وحاتم هذا ، هو الذي وضع الأساس الصالح ، في هذا الشأن ، وجعل من خلقه الصنع عن الزلات . لأن الناس إما كريم وإما لئيم ، وكلاهما من حقه أن تغفر زلته ، تغفر زلة الكريم ، ليدخر ، وتغفر زلة اللئيم تعففا ، وتعاليا عن مشائمه .

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكريما
وقل من الناس من يتنبه لهذه للمعاني السلمية ، لأن الحق غالب على نفوسهم ، ولو فكر كل إنسان قبل أن يرد الكلمة التي يعتمد أنها نالت من كرامته ، وحطت من قدره ، لوجد أن الأمر أهون من أن يبادل صاحبه سبابا بسب .

وكلمة حاسد في غير جرم سمحت فقلت مرى فانفذيني
فعاوبها على ولم تسؤني ولم يعرق لها أبدا جيني
ولما كان تحمل الأذى من أقوى الدلائل على تمكن الإيمان في النفوس ، وطول الرياضة لها ، وجدنا أن الذين يقولون سلاما حين يخاطبهم الجاهلون ، جد قليلين .

وثالث الصفات التي تعرضت لها هذه الآيات ، فعل الزكاة ، وقد قرنت الزكاة بالصلاة في كثير من نصوص الشرع ، ذلك أنها صنوها ، وهي ركن من أركان الإسلام ، ولذلك كان أدائها بما يوجب للؤمنين الكرامة عند الله ، ويجعلهم من المقربين إليه ، والمراد بالزكاة هنا الزكاة الواجبة غير أن هناك نفقة التطوع ، وهي من دأب المؤمنين ، وعندهم تصدر ،

فالرجل المسلم يعطى عن سخاء، ويذلل بحبا للإحسان، وقد وصف الله الأبرار في سورة (الإنسان) بأنهم « يعرفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ، ويطعمون الطعام - على حبه - مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، وذكر في سورة البقرة ، أن البر الحقيقي بر « من آمن بآله واليوم الآخر ، والملائكة والكتب والنبيين ، وآتى المال على حبه ، ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين وابن السبيل ، والساثلين ، وفى الرقاب » .

أما ما جاء فى وصف عباد الرحمن ، فى سورة الفرقان من قوله تعالى « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ، فالمراد بالنفقة هنا النفقة على النفس وعلى العيال ، وليس المراد النفقة فى سبيل الله ، فليس فى هذه سرف ، وقديماً قيل : لا سرف فى الخير ، ولا خير فى السرف . والمراد بهذه الصفة ، أن عباد الرحمن ليسوا مبذرين فى إنفاقهم ، فلا يصرفون فوق الحاجة ، ولا بخلاء على أنفسهم وأهلهم ، يقصرون فى حقوقهم ، بل يتبعون أواسط الأمور ، وخير الأمور أوساطها . وقد حث القرآن على هذا الاعتدال فى آيات أخر فقال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً . والاعتدال حميد فى كل شيء ، حتى فى العبادة ، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : ما أحسن القصد فى الغنى ، وما أحسن القصد فى الفقر ، وما أحسن القصد فى العبادة .

وليس للأمور حدود ضيقة فاصلة ، وإنما المسألة مسألة حب الدنيا ، أو زهد فيها ، والممول عليه القلب . فليس الزهد البعد عن الدنيا ، وإنما هو فراغ القلب منها ، فإظهار التقشف والبعد عن الطيبات ، لا يمتد إلى الزهد بكثير ولا قليل ، وإنما الشأن كل الشأن فى القلب ، ففى كان القلب متعلقاً بالدنيا ، حريصاً على جمعها ، فلا ينفعه بعد ذلك شيء ومتى كان القلب خالصاً لله ، يجعل الدنيا معطية للآخرة ، فلا يضره بعد ذلك شيء . ولقد قيل لبعض كبار الزهاد ، وكان يبدو للناس فى مظهر حسن ، قيل له : إن أصحابك لم يكونوا على ذلك ، فقال : أعيش عيش الأغنياء ، وأموت موت الفقراء ؟

على السامى



ركود ثقافى

مالدى تنفضه رعشة الوجل ، فتنفض معه مشاعرى ، وتقور من الملح أحاسيسى .
فأندلس بين متاهة الحياة سيلا ، وما أشد فزعى حين لا أجد غير الاشواك التى تمزق آمال
الطامحين ؟

وما لروحى ترقب من وراء منظارها إلى العالم الملى بالاشباح الجوفاء ، والصور التى
رسمت عليها الحياة ظللا باهتة من الثقافة ، فتعود كسيرة ترعدها حتى الفزع ؟

لا شئ بروع النفس غير شبح الإفلاس الثقافى الذى تبدو نواجذه الخيفة . وكيف
لا وقد جثم كابوسه على الشرق والغرب الإسلاميين منذ قرون ، ففضى على فقه المدينة من
المدينة ، وثقافة دمشق من دمشق ، وأدب بغداد من بغداد ، ونحو البصرة والكوفة منها
وعلم القيروان من القيروان ، فخبث أضواء تلك المآثر التى عاشت حينما تهدى الحيارى بين
مهامه الجهل ، ولم يبق فى العالم الإسلامى سوى منارة الأزهر التى عاشت قرونا تشع نورا
يأتلق حينما ، ويخفت حينما ، كالسراج إذا سكنت حوله الرياح تآلتى ، وإذا هاجت تبددت
أضوائه بين أنفاس العواصف ، ثم يعود ساطعا كأن لم تغفل ذبائله الأهواء الموحج .

ومنذ قرن بدأت عجلة الحياة العلمية فى الشرق تتحرك فتنفض عن كاهلها ذلك الجمود
الذى شلها حينما من الدهر ، ودب ديب الحياة فى الشرق كله ؛ وتفجرت الحيوية فى مصر ؛ لأن
فيها المعين الباقي للثقافة الإسلامية العربية ، ذلك المعين الذى لم يزل صافيا على ضفاف نيلها
يبعث فى شعبها الحياة .

ورأى الشرق فى مصر المنهل الذى يبل صدى لهوائه .

ورأى فيها الأزهر الذى صان تراث أجداده من عبث التناثر ، وجهل الترك ، فنتطلع
الشرق كله إلى مصر ، إلى الأزهر فاتخذة الكعبة الثانية يحج إليه رواد العلم والثقافة من كل
فج عميق .

ولكن نكسة أملت بمصر منذ خمسة عشر عاما فثنتها عن تلك الثقافة التى اعتزت بهازمنا
وانحرفت بأبنائها عن ذلك المورد فسكادت تقضى على أعز وشيجة تربطها بالعالم الإسلامى .

وإن الحكومات التى تعاقبت على مصر فى تلك الحقبة وقد لمست تصدع الثقافة الإسلامية العربية ، ورأت تحت أنقاضها مئات الآلاف من شبابنا ، لم تفكر فى درء ذلك الخطر ، كأنما ليست له خطورة تخشى مغيبته ، لأن صنائع الاستعمار هم الذين وكل إليهم الإشراف على الثقافة فى هذه الحقبة ، ، وأولئك شر على المجتمع الإسلامى من الجهل ، وإنهم قد جنحوا بالصباب عن الثقافة الإسلامية ، وحشدوا له مناهج من قشور الثقافات الغربية ، وقطرات من ثقافة العرب لم تلبث أن تتبخر على الشفاه . وقد تخرجت فى ظل هذه المناهج أفواج وأفواج من الجامعات ، وكل يحمل الكثير بل لا يدرى القليل من ثقافتنا . ومناطق ذلك إلى أن رجال التعليم فى مصر ينكرون ويتكبرون لثقافة الإسلام ، فينظرون إلى القرآن على أنه كتاب دين ، وأمر هذا الدين ليس فى حسابهم ، ثم هم لا ينظرون إليه كذلك من ناحية اللغة على أنه كتاب محكم الآيات ، يقوم الالسة ، ويهذب البيان ، ويحوى الكنوز الثمينة من الأساليب التى عجز عنها ويعجز أرباب البيان . ولو أن رجال التعليم أوتوا نصيبا من الثقافة جعلتهم يتذوقون أساليب القرآن لمكفوا عليه ، ورأوا فيه الغذاء العقلى الذى يغنى طلاب البيان عن النظر فيما ترجوا عن الغرب من بيان .

ومن العجب أن تاريخنا الإسلامى تكاد تتلاشى مناهج دراسته إلى جانب مناهج تاريخ أوروبا ودول أوربا ، وما أحوج أبناءنا إلى الوقوف بهم على تاريخ الإسلام ، ومعرفة مواطن القوة فى الدول الإسلامية ، وفى تاريخنا ألوان من البطولات ما أجددنا بالناية بها ، والوقوف عندها طويلا ، نستشف من صورها ألوان الشجاعة والإقدام ، لنجعلها أمام عيون أبنائنا مثلا عليا .

فذلك الزاد خير مما يتزودونه اليوم بما خلفه لهم الاستعمار من زاد موبوء لم نزل تهالك عليه ، ونحفرهم إليه دون أن تقدم لهم ألوانا شبيهة من ثقافة الإسلام .

فليس من الغريب بعد هذا أن نقول : إن مصر قد أصيبت بركود ثقافى ، فالطالب مل الحياة العلمية ، وشغلته أهواء نفسه ، ومظاهر الحياة الناعمة الرقيقة حوله ، ودور اللهو وألوان التسلية الرخيصة عن الإقبال على الكتب ، أو السماع إلى محاضر ، أو التنقيب بين المكتبات عن الكنوز العلمية الثمينة .

والمدرس لا يجد بين يديه الطالب الشغوف بالعلم ، فقنع بالمادة العلمية القليلة يقدمها وهو يعلم أن الطالب مشغول عنه وعن علمه .

حق لنا أن نألم وقد لمسنا عزوف شبابنا عن الثقافة وبغضهم للاطلاع ، وفرارهم من كل مجتمع وناد ، تعرض فيه مشاكلنا للبحث والدرس .

وحق لنا أن نأسى وقد أقفرت الأندية من روادها ، وكما كانت تضيق منذ عشرين سنة بالآلاف من هواة الثقافة ومحبي العلم والأدب .

وحق لنا بعد هذا وذاك أن نهيى بالمسؤولين ، وأن نصيح فيهم صيحة الحراس على هذه الثقافة وقد دهماها الركود ، وأصابها الجلود .

إن الركود الثقافى يهدد كيان الأمة ، فإذا أعددتهم له ؟

إن الاستعمار الثقافى أسر أبناءنا ونأى بهم عن التربية الإسلامية السليمة ، فإلى متى نظل خائعين له ؟

إن الثقافة الإسلامية العربية تستطيع أن تخلق الجيل الذى يؤمن بنفسه وبمكانة أمته فى هذه الحياة ، فكيف تبعدون شبابنا عنها ؟

وأخيراً إن مصر التى تحارب الاستعمار العسكرى والاقتصادى ، خلقت بها أن تنخلص من استعمار المقول ، ومن سياسة تلاميذ المستعمرين ؟

محمد خليفة

المدرس بالأزهر

أبكتاتوس الحكيم الرومانى

كان أبكتاتوس الحكيم الرومانى عبداً لصاحب الشرطة فى روما على عهد الإمبراطور نيرون فى أواخر القرن الأول للسج . ولما أمر الإمبراطور فرمطيانوس بإخراج الفلاسفة من مملكته هاجر أبكتاتوس إلى بلاد اليونان ومات فيها . وكان أساس حكته أن يميز الإنسان بين ما هو فى مقدوره فيحتاج له ، وبين ما هو فوق مقدوره فيصبر عليه وبرضى به . ومن أقواله : لا يكن حذرك إلا فيما هو فى قدرتك ، وكن مطمئن البال فيما سواه .

سه نوادر الميظوظات

تحرير المقال

في آداب ، وأحكام ، وقوانين ، يحتاج إليها مؤدبو الأطفال

عرف فن التربية طائفة من علماء المسلمين بحثوا في مسائله وتسكلموا في نظرياته ، وتفرقت بحوثهم ودراساتهم في مؤلفات تداولها الناس أزمانا طويلة ، وشهدوا لأصحابها بطول الباع والتفوق والإبداع ، وقدروا لهم سبقهم باختراع كثير من قواعده .

وما زال جهاذة علماء التربية في الغرب يعجبون بها ، ويعترفون بصحتها . فقد عرف علم التربية المربي الماسر ، والمرشد الحكيم ، الإمام الغزالي . يقرر قواعد التربية التي ينبغي أن ينهجها المربي لا في تربية الصبيان لحسب ، بل في تربية الكبار من المريدين والاتباع ، وفي كتابه المعروف (إحياء علوم الدين) خلاصة لأرائه وتجاربه . وعرف إمام التربية والاجتماع على وجه الدهر العلامة ابن خلدون بمبادئه التي قررهما في مقدمة تاريخه الخالدة المعروفة بمقدمة ابن خلدون . وعرف الفيلسوف الكبير ابن سينا في رسائله المتفرقة . وعرف غيرهم من علماء الإسلام قبل أن يعرف كثيرا من علمائهم في الغرب .

وعلماء التربية من المسلمين فريقان : فريق بنى آرائه في التربية على دراسة نفسية وتجريبية تتصل اتصالا وثيقا بعلم النفس ، كالغزالي وابن خلدون وابن سينا . وفريق بنى آرائه فيها على قواعد الدين ، بمعنى أنه يقررهما مستندة إلى أحكام الدين ، فيجوز ما تجوز ، ويمنع ما لا تقره . غير أنه ينبغي أن نلاحظ أن أكثر العلماء من الفريقين لم يفردوا مسائل التربية بمؤلفات خاصة كما فعل علماء الغرب ، بل أدخلوها تارة في علم الأخلاق والتصوف كما فعل الغزالي ، وتارة في علم الاجتماع كما فعل ابن خلدون . وعذرهم في ذلك واضح ووجيه ، فبإدعى علم التربية وسيلة من وسائل تكوين الخلق الفاضل ، والسلوك المذهب الراقى ، كما أنها سبب من أسباب تكوين المجتمع المثالي النبل ، كما ينبغي أن نلاحظ أن هؤلاء

العلماء حين يتكلمون في مبادئ التربية والتعليم أو آداب العلم والتعلم ، إنما يعملون مهمهم ووركدهم أن يقرروا أولاً آداب تعليم القرآن وتعليم السنة ، وما ينبغي أن يتحلى به معلم ومتعلم كل منهما ، وما هي الطريقة المثلى في دراستهما وبلوغ الهدف منهما ، ووجهة نظرهما في ذلك أن القرآن كلام الله ، وهو دستور العالم الخالد الذي بدراسة ما جمع من أصول صحيحة ثابتة في مختلف العلوم يصل الناس إلى سعادتي الدنيا والآخرة . وكل علم من نبعه استفاض ، ومن نوره اقتبس واستمد ، فهو جدير بالرعاية واستنباط الوسائل التي تعين على سماعه وحفظه وتفهمه وتدبره وتطبيقه بجلاله وقده .

ومن علماء الإسلام الذين تسكلموا في علم التربية ، وقرروا بعض مبادئه ، العلامة ابن حجر الهيتمي في رسالة له سماها « تحرير المقال في آداب وأحكام وقوانين يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » ، وهي رسالة موجزة بنى فيها قواعد التربية على أحكام الدين فأقر من قواعد التربية ما أقرته أحكام الشريعة ، ورفض ما رفضته . فهو إذ يقرر ضرب من شرد من الصبيان من الكتاب ، أو ضرب من نطق منهم بالفحش من القول ، ينظر إلى أحكام الدين : فما تأذن به يترخص فيه ، ويتحرج عما تنع منه .

فالرسالة في بعض مبادئ التربية في نطاق الشريعة . وسبب تأليفها فيما ذكر أنه سئل في موضوعها من معلم كتاب ، كان قاضياً ثقلت عليه أمانة القضاء ، فاعتزله وفر بدينه وأمانته إلى الله ، مع ضيق الحال وعدم وجدانه لما يكنى به الأهل والعيال ، فيسر الله له مكتبا بالصفات الآتية في السؤال .

وفي الإجابة عن هذا السؤال تلتخص رسالة ابن حجر في تربية الأطفال . وهذا بعض ما في السؤال : مكتب موقوف على عدة أيتام قرر ناظره فقها لقراءتهم وتأديبهم ، فهل يلزمه أن يرسل خلف من غاب منهم أولاً ؟ فإن قلتم : نعم . فهل يلزمه ذلك من ماله أو يستأجر من يحضر غائبهم من مال الوقف أولاً ؟ وهل يرسل بعضهم خلف بعض لإحضار من تغيب وهرب منهم أولاً . . . وهل له ضرب من شرد منهم ، أو أخذ شيئاً للغير أو ضربه أو سبه ، وعلم الفقيه بذلك منه أو ظنه يقول مقبول ، كما له ضربه على تعليمه وتأديبه ، وهل يفترق الحال في ذلك بين المميز وغيره ، والمراحم للبلوغ وغيره ممن لم يراهق . . . وهل

له إلزام حاذقهم بإقراء أو تعليم بليدعم ، لأن في ذلك مصلحة للحاذق بترسيخه ما حفظ عنده فيأمن ثنثته أولاً ؟ وقد ختم السؤال بقوله : وقد أشكل الأمر في هذه الأحوال فتنصلوا ببسط بيانها بذكر منقول المذهب وقواعده فيها ، ليحصل لكم بذلك الثواب .

وقد بنى ابن حجر رسالته على سبعة مقاصد : الأول في الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن ، الثاني في بعض الأحاديث الواردة في فضل معلم القرآن وتعليمه ؛ الثالث في الأحاديث الدالة على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية به ونحوهما . الرابع في الأحاديث الدالة على امتناع أخذ الأجرة على تعليم القرآن . الخامس في بيان اختلاف العلماء في الأخذ بالأحاديث السابقة . السادس في تجويز المعلم من نظر المرد الذين يعلمهم الحاجة للتعليم . السابع في الأسئلة والأجوبة التي هي السبب في هذا التأليف .

ومخطوطة هذه الرسالة في ٦٤ صفحة ، وعدد سطور كل منها ٢١ سطرا ، وهي بخط معتاد واضح كتبت سنة ١٠٧٦ هـ ، أي بعد وفاة المؤلف بقرن تقريباً ، فقد توفي ابن حجر الهيثمي سنة ٩٧٤ هـ ، وابن حجر علم من أعلام المسلمين يمتاز بالذهن الحصب ، والثقافة الواسعة ، والإنتاج الوفير . ومن أشهر كتبه : الزواج من أقراف الكبراء ، والإعلام بقواطع الإسلام ، ونحفة المحتاج لشرح المنهاج ، والفتاوى الكبرى الهيثمية ، والفتاوى الحديثة ، وكف الرعاع عن محرمات اللهو والسباع . رحمه الله وأجزل له من ثوابه ورضوانه .

أبو الوفا المراقى

أمس التربية في الاسلام

أوصى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ابنه فقال :

« يا بني . أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة ، وكلية الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الصديق والعدو ، والعمل في النشاط والكسل ، والرضا عن الله في الشدة والرخاء . »

الفتح المبين في الإسلام

شاهد بأنه من صنع الله ، لا من انعكاس البيئة

- ٣ -

الروح التقدمية ... في الأوضاع الدستورية والدولية :

في عصر الحكم المطلق ، يقرر الإسلام القواعد الدستورية .

وفي عصر الفئوس الإمبراطورية ، يقرر الإسلام خير المبادئ الدولية .

فالحكم في الإسلام إنما يكون طبقاً لشرع الله ، فهو موضوعي لا ذاتي شخصي .

والحاكم في الإسلام ، يختاره الشعب بالبيعة ، ويحاسبه الشعب بأحكام الله ، ويعزله

الشعب إذا اقتضت ذلك تلك الأحكام وأمنت الفتنة .

خطب أبو بكر - أول حاكم مثالي في الإسلام بعد رسول الله ﷺ - فقال كلمته المشهورة : إني قد وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن ، وعلينا فعلنا . فاعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقي ، وأعجز العجز الفجور . وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندي القوى حتى آخذ منه الحق . أيها الناس ، إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فلماذا أحسنتم فأعينوني ، وإن أنا زغت فقوموني ، وقد أورد السيوطي في تاريخه هذه الخطبة ، وروى في ختامها عن مالك رضي الله عنه أنه قال : « لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط » .

واقعد قال ابن القيم تعليقاً على الآية الكريمة : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، : « فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل لإعلاماً بأن طاعة الرسول يجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ... ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً بل حذف الفعل ، وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول

إذنا بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول ، فن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع ولا طاعة ، ^(١) .

وتأمل قوله تعالى « وأولى الأمر منكم » ، لتعرف كيف أشارت الآية في وضوح إلى المصدر الذي يستمد منه ولي الأمر ولايته ، فليس هناك دم ملكي ولا تفويض إلهي ، إنما الأمة هي التي تختار ولي أمرها طبقاً لشرعية ربها .

يقول ابن حزم : « الإمام إنما جعل ليقم للناس الصلاة ، ويأخذ صدقاتهم ، ويقم حدودهم ، ويمضي أحكامهم ، ويجاهد عدوهم ، وهذه كلها عقود ، ولا يخاطب بها من لم يبلغ أو من لا يعقل ، ^(٢) .

ولذلك يقول صاحب كتاب « النظريات السياسية الإسلامية » : —

« أجمع مجتهدو الفرق الإسلامية كلها ما عدا الشيعة - على أن طريق ثبوت الإمامة هو الاختيار والاتفاق لا النص والتعيين . وصاغ علماء الفقه ذلك الصيغة القانونية فقالوا : إن الإمامة عقد . والعقد في عرفهم له مدلوله الخاص : فهناك ماهية مشتركة ، ثم لكل عقد موضوعه وأركانه ، وأحكامه وشروطه . »

وقد بحث الأستاذ الدكتور السنهوري ^(٣) طبيعة عقد الإمامة بصفة خاصة كما عرضه علماء الشريعة الإسلامية فقال عنه : « إنه عقد حقيقي - أي أنه عقد مستوف للشرائط من وجهة النظر القانونية . ووصفه بأنه مبنى على الرضا ، وأن الغاية منه أن يكون هو المصدر الذي يستمد منه الإمام سلطته ، وهو تعاقد بين الأخير وبين الأمة . ثم أشار في مواضع أخرى إلى أن مفكرى الإسلام قد أدركوا جوهر نظرية روسو ، وهي التي تقول : إن الحاكم أو رئيس الدولة يتولى سلطانه من الأمة نائباً عنها نتيجة لتعاقد حر بينهما ، وأنهم عرفوا نظرية السيادة كما عبر عنها روسو فيما بعد ، وإن كانت نظريتهم احتوت على عنصر زائد خاص بها ... ثم يعقب المؤلف على ما نقله عن السنهوري ، وذلك أيضاً مع فارق ، فإن العقد الذي تكلم عنه روسو كان مجرد اقتراض ، لأنه بناء على حالة تخيلها في عصور ماضية

(١) إعلام اللومين - ١ ص ٣٩ . (٢) المحلى - ١ ص ٤٦ . (٣) في كتابه بالفرنسية [الخلافة] .

صحيحة ، ولا يوجد عليها برهان تاريخي ، بينما نظرية العقد الإسلامية تستند إلى ماض تاريخي ثابت ، هو تجربة الأمة في خلال العصر الذهبي للإسلام ، وهو عصر الخلفاء الراشدين ،^(١) .
والإسلام روائعه في تقرير قواعد سياسته مع غيره من الدول .

فهو يجعل السلم قاعدة ، ادخلوا في السلم كافة ، ، وهو يقتلع جذور العصية الإقليمية والدولية والمذهبية ويقتلع جذور الطبقية ، ويخفف حدة الصراع الاقتصادي ، وهو بذلك يقتلع جذور الحروب ذاتها .

لأنه يفتح البحار أمام الناس كافة على اختلافهم فيما بينهم ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، ، ويبيع خيرات الأرض كلها للناس كلهم ، يأبى الناس كلوا بما في الأرض حلالا طيبا ، ، ويجعل المعرفة قدرا مشتركا بين العالمين ، الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، رواء الترمذى من حديث أبي هريرة ، ورواه غيره بألفاظ أخرى بعضها موقوف على عليّ وابن عمر .

والإسلام يحدد أغراض القتال حتى لا تصبح الحرب حجة هوجاء ، وفورة طاغية ، فالقتال المشروع مقصور على رد العدوان السياسي والعسكري ، إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ، وعلى دفع الطغيان الفكري ، وقاتلوم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، . والإسلام هنا لا يطلب إلا أن يخلى بين دعوته وبين الناس ، فإذا كفلت الضمانات الحرية الدعوة فهو لا يعنيه بعد ذلك أسلم الناس أم لم يسلموا ، وإنما يعلن الإسلام الجهاد يوم تقف سلطة متحكمة لتحجيز الدعوة بالقوة لا لترد عليها بالحجة ، وتستخدم سطوة السلطان التي خلعتها عليها الشعوب لتبذل في صالحها ، تستخدمها في حرمان الجماهير من حق التفكير الحر والاعتقاد الحر ، فالإسلام هنا يحارب التحكم في الحريات ، ولا يسعى ليفرض نوعاً من الاعتقاد ، وهو لا يهدف إلا إلى إزاحة هذه العقبات الغاشمة من الطريق ، فإن أزيلت فللشعب حين يسترد حريته أن يختار ما يريد .

وأخيراً فإن الإسلام يشرح الحرب لوقف المظالم الدولية ، فإن المسلمين وقد اعتنقوا من أصول دينهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يقفون موقف المتفرج على منازعات

(١) ضياء الدين الريس : ص ١٤٤ - ١٤٥ .

العالم الدائمة وهم الشهداء على الناس ، وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .

فإذا ما أعلنت الحرب في حدود هذه الأغراض الشرعية ، كانت السياسة الحربية الإسلامية هي أروع دستور إنساني للمحاربين ، قبل أن يحدد القانون الدولي أصوله في شريعة الحرب ، لا تغدروا ولا تثلوا ولا تقتلوا طفلاً أو امرأة أو شيخاً ، ولا تبغوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تعمقوا بعمراً إلا للأكل . وستمرون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم من أجله .

ولو كان المسلمون يقاتلون لمجرد الحق على مخالفتهم في الدين ، ومن أجل إكراههم على تغيير عقائدهم بقوة السلاح ، لما سلم من أيديهم وسيوفهم صغير ولا كبير ، ولا مدبر ولا جريح ، ولوجدوا الفرصة السانحة لشفاء صدورهم ، مما تستعفه من ثيران العصية في رهبان الصوامع ، وهم يمثلون الرمز للدين المخالف ، ويمثلون المعجز عن الدفاع والمقاومة ! ولكنه الإسلام .

وهل تجد أروع من هذا الإنذار النهائي القرآني ، دلالة على إنسانية السياسة الحربية الإسلامية ؟؟ إنه يحدد مهلة للإنذار كافية ، ويستثنى منه عهوداً سابقة ، ويقرر قواعد سامية يقول الله تعالى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » .

إعلان واضح ، وفي مكان جامع ، ولمدة كافية « فإذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » .

والسبب في إلغاء هذه العهود السابقة مذكور مقرر « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله » ؟ ولكن الأمانة القرآنية تأبى إلا أن تشهد للأوفياء « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين » .

وليس عدم احترام المشركين للعبود قاعدة قررها النظر والاستنتاج ، بل قد شهدت بها الوقائع والاحداث ، ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة ، أنخشوهم ؟ فافقه أحق أن نخشوه إن كنتم مؤمنين .

وما دام إلغاء هذه العبود من طرف المسلمين مسيئاً بنقض المشركين ، فقد استثنت النصوص غير الناكثين الغادرين ، إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينفقهموكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأنتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين .

وهنا يقرر الإسلام قاعدة ذهبية لتأمين اللاجئين السياسيين : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون .

والإسلام يقرر قاعدة تأمين السفراء والمندوبين (الدبلوماسيين) . فإنه حين قدم إلى رسول الله ﷺ وجلان بكتاب مسيلة الذي يدعى فيه النبوة ، سألهما الرسول عنه فصدقا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما ، (١) .

وقرر الإسلام كذلك قاعدة إحسان معاملة الأسرى ، يأبى النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم . « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً .

والإسلام حين ينتصر فإنما ينتصر بانتصاره العدل الإلهي الذي لا يميز بين غالب ومغلوب ، وتنتصر الفكرة العالمية الإنسانية التي لا تفرق بين أشبار الأرض ، وسلالات النسب ، وأوضاع الطبقات ، إلى غير ذلك من ألوان الفوارق ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور .

أليس عمر بن الخطاب هو الذي آثر فلاحى العراق بأرضهم على جنده العرب المسلمين إذ منع اعتبارها غنيمة لهم ؟ وحاسب عمرو بن العاص وأليه في مصر على ما اشتبه أنه ليس بظلم من ليسوا على دينه وليسوا من جنسه ؟

فهل تنمر البيئة العربية هذه القواعد الذهبية، وهي التي غرقت في بحار الدماء، وطمرت في ركام الأشلاء، أثناء يوم الفجار، ويوم البسوس، ويوم داحس والغبراء؟

وبعد: فإن هذه الروح التقدمية في الفكرة الإسلامية من وحي الحكمة الإلهية، والعدالة الربانية. وإن العالم كله كان يفتقد هذه الأفكار التقدمية، فعصر الإقطاع الذي تخطاه الشرق بفضل الإسلام، قد رسف فيه الغرب حتى احتك بالشرق في الحروب الصليبية، فعرف فيه الحرية الاقتصادية، فانتقلت الجيوش إلى بلادها تبشر بما رأته وتطالب بمثله.

والحرية الفكرية التي رعاها الإسلام في الشرق، هي التي افتقدها الغرب حتى تعلبها على أيدي المسلمين في الأندلس، فكانت الشرارة التي أوقدت النهضة الأوروبية، وأشعلت الحملة ضد الجود والتزمت. والسباحة الدنيئة التي قررها الإسلام، كان يقابلها في الغرب الحروب الصليبية ضد المسلمين، والمذابح المذهبية بين المسيحيين.

والحكم الدستوري الذي تقرر في الإسلام كأصل ثابت مفروغ منه، قد ظل يمر في أوروبا بأطوار عدة، والقوم هناك في كل طور بين إقدام وإحجام، لا يعطون حق الانتخاب إلا لمن يشور فيقلقهم، أو يحتاجون إليه.

والسياسة الحرية الإسلامية لم تصل إليها من جهة الواقع الحروب العصرية التي لا نذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم. ولم تصل إليها من جهة القانون الموائيق الدولية التي تعطي حق (الفيتو) للأقوى، والتي تجعل الأمن العالمي لا يهدد إلا إذا هددت الدول الكبرى — دون الصغرى ١١

والمرأة، وما أدراك ما المرأة... ما زالت إلى الآن لا تعرف ما تريد، ولا يعرف الناس ما يريدون لها، إنها تنعثر بين شهوة البروز والظهور، وبين غرائز الانوثة وهواتف الأمم ١١١

والناس يتعثرون بين شهوة (الرجل) في إرضاء المرأة والاستمتاع بقربها على أوسع نطاق، وبين حرص (الزوج) على أن تكون المرأة الواحدة لرجل واحد، وبين ما يقرره العقل وبلائم طبائع الأشياء. وفي وسط هذه الأهواء خلقت مشكلة... جوفيت فيها

الطبيعة ، حتى لكأن المرأة تفضل أن تتخلع عن أنوثتها وأمومتها ، تثبتا لقدمها في ميدان طلب المساواة بالرجال !!!

والإسلام يقرر للراة حقوقها الثقافية والاجتماعية والاسرية والمالية ، مع صيانة مركز الزوج في الاسرة ، وسد الذرائع إلى الفساد في المجتمع ، وحسم الامر باشتراط الذكورة لولى الامر في الدولة .

وما أصدق ما قاله رسول الله عن كتاب الله ، وهما المرجعان في دين الله :
 « لا تنفذ عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم » ، رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه مرفوعا ؟

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

النساء وتراث الانسانية العقلية

قال ابن أبي أصيبعة في طبقات الاطباء (٢ : ١٨١) في ترجمة الامير محمود الدولة أبي الوفاء المبشر بن فاتك الامير الطيب بعد أن وصف خزائن كتبه : « وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضا من أرباب الدولة ، فلما توفي رحمه الله نهضت هي وجوارها إلى خزانة كتبه - وفي قلبها من الكتب أنه كان يشتغل بها عنها - فجعلت تدبه ، وفي أثناء ذلك ترمى الكتب (المخطوطة) في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجوارها . ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها . فهذا سبب أن كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال » .

لَا تَوَاضَعُ لِدِينِ سَيِّدِكُمْ

مِنْ بُلَاحِشِ أَشْعَرِ الْأَسْدَاءِ الْكَبِيرَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْحُرِّمَةِ

بِتَعْلِيلِ الْأَسْتَاذِ الْبَاهِيَّةِ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُنَافِقُونَ

لما ذهب ابن قتلة يقول : إني قتلت محمدا ، جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد ما كان من أمره ما كان فقال : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قتلة وأبر . وكان أبو سفيان يرجف بقتله بين المشركين :-

يقول (أبو سفيان) أودى (محمد)	قتيلا ، وبأبى الشيخ إلا تماديا
قلبا أراد الحق أقبل سائلا	فأبدى له (الفاروق) ما كان خافيا
وقال له : لا يعمل صوتك ، إنه	ليسمعه من جاء بالحق هاديا
كذلك ظن القوم إذ طاح (مصعب)	فراحوا سكارى ، يكثرون الدعاويا
وريعت قلوب المؤمنين فأجفلوا	يخافون من بعد (النبي) الدواهيا (١)

(١) قال قوم من المؤمنين : إن كان محمد قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم ، وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء . وقال ثابت بن الدحداح رضى الله عنه : يا مشرك الأنصار إن كان محمد قد قتل قال الله حي لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم . وفي هؤلاء نزل قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) . وقد هال الأمر بعض المؤمنين فظنوا حيارى ، ولكن الله ثبت قلوبهم ، وحفظ عليهم إيمانهم ، فلم يزولوا ولم يحسبوا من القتال .

وزلزل قوم آخرون ، فأدبروا
يقولون : ما ننفي وهذا نبينا
فما أقبلوا حتى انبرت (أم أيمن^(١))
تدافعهم غضبي ، وتحشو ترابها
تقول : ارجعوا ، ما بالمدينة منزل
أمن ربكم يا قوم تبغون مهرباً ؟
ألا فانصروا الدين القويم وجاهدوا
فن خاف منكم أن يعود إلى الوغى
سراعاً : يحرون الظبي والموالبا^(٢)
تردى قتيلاً ، ليته كانت باقيا
وقد جاوز الغيظ الحشا والراقيا
تعفر منهم أوجهاً ونواصيا
يبارك منكم بعد ذلك ثاوبيا
فيا ويحكم إذ تتقون الأعاديا
جهاداً يرينا مصرع الشرك داميا
فذا مغزى ، وليعطى السيف ماضياً

لك الخير ، لو تدرين ما قال (معتب^(٣))
جزى الله ما قدمت يا (أم أيمن)
تطوفين بالجرحي ، نواسين شاكياً
سعى بك من إيمانك الحق دائب
لأرسلت شؤبياً من الدمع هاميا
من الخير ، تقضين الحقوق الغواليا
يمج دماً منهم ، وتسقين صاديا^(٤)
يفوت المدى الأقصى إذا جد ساعيا

(١) هؤلاء هم المنافقون الذين رجع بهم عبد الله بن أبي ابن سلول إلى المدينة ، وكانوا ثمانية رجل ، وكان جيش المسلمين كله في هذه النزوة ألف رجل ، وقد بقي من المنافقين قوم آخرون في أحد لم يتبعوا ابن أبي - قالت طائفة منهم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ما هنا فزلت : (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم - الآية) وقال بعضهم - لو كان فيما ما قتل فارجعوا إلى دينكم الأول ، وفي ذلك أنزل الله : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفلم مات أو قتل اقلبتم على أعقابكم - الآية) وقال جماعة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوك فيقتلوك .

(٢) لما رجع من رجع إلى المدينة لقيتهم أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم وجعلت تحشو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك للمنزل فاعزل به ، ولم سيفك - أي أعطني .

(٣) قيل إن معتباً هذا هو الذي قال : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ما هنا .

(٤) كانت أم أيمن من جهة نساء المؤمنين اللاتي كن يستن الجرحى في هذه النزوة وعدتهن أربع عشرة امرأة منهن عائشة وقاطمة بنت الرسول الكريم ، وأم سليم ، وأم عمارة المازنية . ولا يدفع هذا أنها كانت بالمدينة عند رجوع الذين أقبلوا إليها من مواطن القتال .

عجبت لمن يرميك : ماذا بداله ؟
 ألم ير (هنداً) يرحم السيف ضعفها ؟
 تورع عنها مؤمن ليس دينه
 جزاء بها (سعد) إساءة ظالم
 وإذا أنزل الله التماس فأمسكت
 كذلك إيمان النفوس إذا رست
 ينام الفتى ، والموت يلبس جنبه
 يحانبه حتى إذا جاء يومه
 فاسطعت فأجعل من يقينك جنة
 أطاشت يداه ، أم رمى عنك غايباً ؟^(١)
 فيصدف عنها وافر البر واقياً ؟^(٢)
 كدين (حباب) لأنه كان غايباً
 فأعسى (رسول الله) جذلان راضياً
 جوائج لولا الله ظلت نوازياً^(٣)
 قواعده ، أمست ثقلاً رواحياً
 ويرجع عنه وامن الظفر واهياً
 فأبعد شيء ، أن يرى منه ناجياً
 كفى يقين المرء للمرء واقياً

* * *

هوت من عيون الهاجعين سناتها
 وهب (أمير الغيل^(١)) يدفع دونه
 يزلزل أبطال الكريمة مقدماً
 توالج جراحات (الكتوم)^(٢) فأسارت^(٣)
 ولاحت عيون الحرب حمراً روانياً
 ويولع بالفتك الليوث الضواري
 ويصرعهم في حومة البأس رامياً
 بهم أثراً من ساطع الدم بادياً

(١) رماها حباب بن العرقه وهي تسقى الجرحى بسهم فأصابها فوقت وانكشفت ، فأغرق في الضحك ، وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصل له ، وقال : أرم به ، فوقع السهم في نحر حباب فوقع مستلقياً حتى بدت عورته فقال النبي صلى الله عليه وسلم : استفاد لها سعد ، اللهم استجب لسعد إذا دعاك . فكان مجاب الدعوة .

(٢) هند زوج أبي سفيان ، إشارة إلى ما كان من أمر أبي دجانة مما جهن أراد ضربها بالسيف وهو يظنها رجلاً فوثقت فرقها وعف عنها .

(٣) أنزل الله التماس على المؤمنين تنبيها لهم (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق - الآية) فهو خاص بالمؤمنين دون المنافقين . من الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : لقد رأيته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف ، وأرسل علينا النوم فأمنا أحد إلا وذقته في صدره . والنوازي النوازع أو التي تنب .

(٤) الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

(٥) قوس النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) أسارت بمعنى أبت .

نضن بنجواها ، وتمكن صوتهما
 قظلم شظاياها قطاير حوله
 هو القائد الميمون ، ما خاض غمرة
 أبا (طلحة) (١) انظر كيف يرى وجاره
 ويا (سعد) (٢) لا ترفق بقوسك وارمها
 ودونك فاضرب يا (سهيل) (٣) نحورهم
 وعينك فاحمل يا (قتادة) عانداً
 ألا ليتني أدركت (أم عماره) (٤)

(١) الالهوب الاجتهاد فيما هو الشأن ، وهو من الفرس المدعو حتى يشرب الفيل ، أو يخرج من حافره النار ، وقيل إنه جمع الهب وهو الفيل الساطع .

(٢) تقدم ذكره رضى الله عنه ، وهو من الذين تبنوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يقاتلون عنه ، ويثبونه بأنفسهم .

(٣) سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : أجلسني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه فجلست أرى وأقول : اللهم سهمك قارم به عدوك ، ورسول الله يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته ، حتى إذا فرغت من كنفاتي نثر ما في كنفاتي - قيل إن سعداً رمى في ذلك اليوم ألف سهم ، ورسول الله يقول عند كل سهم : ارم فداك أبي وأمي ، وكان الرسول الكريم يقتخر به ويقول : سعد خالي ، فظنني امرؤ خاله - كان من بني زهرة قوم أمه آمنة بنت وهب .

(٤) سهيل بن حنيف رضى الله عنه ، بايع النبي على اللوث في أحد وثبت معه حتى انكشف الناس عنه ، وهو من المشهورين بالرماية .

(٥) قتادة بن النعمان الأوسي رضى الله عنه قال : كنت أتني السهام بوجهي دون وجهه صلى الله عليه وسلم ، فكان آخرها سهم نمدت منه حذقي فأخذتها بيدي وسميت بها إليه ، فلما رآها في كفي دمعت عيناه وقال : اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك ، وردما إلى موضعها وقال : اللهم اجعلها أحسن هيئته وأحدها ، فكانت لا ترمداً إذا ومدت الأخرى .

(٦) أم عماره الساوية رضى الله عنها واسمها (نسبية) زوج زيد بن طهم رضى الله عنه قالت : خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس وممي سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى ، فأنهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والريح للمسلمين ، فلما انتهزوا انحزرت إليه فمقت أبأشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن التوس حتى جرحته . جرحته رضى الله عنها اثني عشر جرحاً بين طمعة برمخ ، أو ضربة بسيف ، ورؤى على عاتقها جرح أجوف له غور ، فقبل لها من أصابع بهذا ؟ قالت : ابن قنفة لما ولي الناس عن رسول الله أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجيا ، فاهترضت له أنا ومصعب بن عمير ، ففربني هذه القرية ، وضربته ضربتين ، ولكن عدواً كان عليه درعان ، قال الرسول الكريم فيها : ما التفت يمينا ولا شمالاً يوم أحد إلا رأيتها تتأتل دوني .

وأشهد من حول (النبي) بلاءها وأنشدها في الله هذى القوافيا
وأجمل من وجهي وقاء لوجهها إذا ما رماها مشرك من أماميا
ويا ليت أنى قد حملت جراحها وكنت لها في المأزق الضنك فاديا
تفيض على الجرحى حنانا ، وتمطلي من الحرب ما لا يصطلي الليث عاديا

كذلك كانت المسلون ، وهذه بجايا اللواتي كن فيهم دراريا
إذا الحادثات سوء عب عابها كفنن البلايا ، أو كشفن الدياجيا
مناقب ، للدينا العريضة هزة إذا ذكرت ، فليشد من كان شاديا
لها من معاني الخلد كل بديمة فياليت قوى يفهمون المعانيا
ويا أسنى إن لم يحمده من شيوخهم حفيظاً يلقاها ، ولم تلف واعيا
إذا ما رأيت الهدم للقوم ديدنا فوا رحما فيهم لمن كان بانيا

عبد الله بن جحش رضى الله عنه

هو من أعظم أبطال غزوة أحد ، استشهد فيها على يد أبي الحكم بن الأخنس بن شريق
الذى قتل كافراً بعد انتهائها ، وكان عبد الله من جملة الشهداء الذين مثل بهم المشركون
ونسأؤم ، ومن حديثه أنه دعا على نفسه قبل الغزوة فقال : اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً
بأسه فيقتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك
وأذنك ؟ فأقول فيك وفي رسولك ، فنقول : صدقت ، وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب :

أبشر فذلك ما سألت قضاء رب هداك ، فكنت عند هداه
آثرته ، ورضيت بين عباده من صالح الأعمال ما يرضاه
قتلوك فيه تردم عن دينه صرعى ، وتمنع أن يباح حماه
وبغوا عليك ، فعذبوا الجسد الذى ما للكرامة والنعم سواء
هى دعوة لك ما بسطت بها يداً حتى تقبل واستجاب الله
ولقد رأيت حى الجهاد ، فصف لنا ذاك الحمى القدسى : كيف تراه ؟
ماذا جزاك الله من رضوانه وحباك في الفردوس من نعماه ؟

ماذا أهد لكل بر متق غوت النفوس فما أطاع هواه ؟
أرأيت (عبد الله) كيف بلغته شرفا مدى الجوزاء دون مداه ؟
دمك المطهر لو أتيح لهلك أعبا الآساء شفاؤه لشفاه
صوت يهيب بكل شعب غافل طوبى لمن رزق الهدى فوعاه
معنى التفوق في الحياة ، فن أبى إلا الصدود ، فما درى معناه
الامر ومن الجد ، ليس بنافع قول الضعيف : لعله وعساه
تشقى النفوس ، ولا كشقرة خامر لا دينه استبقى ، ولا دنياه
والمرء يرغب في الحياة وطولها حتى يكون الموت جل مناه

• • •

أوتيت نصراً يا (محمد) ساطعاً يبقى على ظلم العصور مداه
لك من دم الشهداء بأس لم يقم في الأرض دينك عالياً لولاه
ما تنقضى لإمام حق قوة إلا تزيد على الزمان قواه

دعوة الاسلام

التقى الأستاذ ادوار مونتبه لما كان مديراً للجامعة جنيف محاضرة عن الإسلام قال فيها:
« الإسلام حضارة قائمة بنفسها ، رغم انحطاط المسلمين في فترة من الزمن . إلا أنهم الآن
يتنهون مرة أخرى ، وينشرون المدنية والرقى في أنحاء العالم . ومسلو إفريقيا أكبر دليل
على ما أقول . وقد قابل أحد المنصفين بين تأثير الدين الإسلامى في إفريقيا وبين تأثير
النصرانية فقال - وهو صادق - : إن تأثير الإسلام في السكان مفيد أكثر من تأثير
المسيحية . فالمسيحية ضعفها ظاهر في إفريقيا بينما قوة الإسلام وعظم تأثيره في الحالة الاجتماعية
والدينية والخلفية والاقتصادية ظاهر جلى . وآخر ملاحظاتي أن للإسلام قوة اندماج
وملاءمة للأوساط الإفريقية والأوساط المدنية العالية ، وليست هذه المزية لأى دين
ونظام اجتماعى غيره . »

لغويات

الانانية

فشا بين الناس استعمال الانانية في الآخرة ، وحب المرء نفسه ، وتهالكه في تقديم هواه ومنفعته على منفعة غيره ، وقد يراد بالانانية ما ينبعث عن النفس الامارة بالسوء من النزغات ، ونزاعها إلى ما يلائمها ، وإن خالف داعي الهدى والعقل والدين ، وترى في مجلة الأزهر مقالا عنوانه : « شاعر منته أنانيته من الإسلام » .

والانانية كلمة مولدة جاءت من النسب إلى (أنا) ضمير المتكلم ، وهذا كما قيل (الهوية) ، وهي كلمة مولدة أيضا جاءت من النسب إلى (هو) ضمير الغائب ، والهوية ما يميز شخص الفرد عما يشاركه في نوعه . فهوية زيد خصائصه وأوصافه من اللون والمقدار كالطول والعرض وغير ذلك مما يميزون عنه في علم الحكمة بالمشخصات الخارجية ، والهوية تقابل المسامية ، وهي الخصائص التي بها يشارك الفرد قرنه في نوعه ، ورسيله في حقيقته ، فهاية زيد الإنسانية أي الأمور التي بها يكون لإنسانا ، وهذا مبسوط في فن المنطق .

وإذ علمت أن (الانانية) صيغة نسب ، فلك أن تسأل : هل جاء النسب فيها على وجهه ، وعلى السنن المألوف في نظائرها ؟ والجواب عن هذا يساق الحديث ، ويقضي الجواب قديم نبذ من الكلام على المنسوب إليه : (أنا) .

إن (أنا) ينطق بها أكثر العرب في حالة الوصل دون ألف ، فأما في الوقف فإنهم يختمونها بالألف ، وقد يفتقون عليها بهاء السكت فيقولون : أنه ، ومنه قول حاتم الطائي في مثل له : « هكذا فزدي أنه » . وبنو تميم يثبتون الألف فيها وصلا ووقفا ، وقرأ نافع وأبو جعفر قوله تعالى في سورة الكهف : « قال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » ، وكذا قوله تعالى في هذه السورة : « إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا » ، بالمد وإثبات الألف في الوصل ، وهذا يوافق لغة بني تميم .

وقد كان من أثر الاختلاف في نطق (أنا) أن اختلف النحويون في أمرها وفي طبيعتها . فيذهب البصريون إلى أنها ثنائية مؤلفة من الهمزة والنون فحسب ، والألف إنما

تجئلب لبيان الحركة في الوقف ، كهاء السكت سواء ، وليست من سنخ الكلمة ، فأما ثبوتها وصلا في لغة تميم فقد نشأ هذا من إشباع الفتحة ، والقصد إلى الإبانة عنها ، ويذهب الكوفيون إلى أن الكلمة ثلاثية ، وسقوط الألف في الوصل عند أكثر العرب إنما هو للاستخفاف ، كما تحذف ياء المنقوص لهذا الغرض .

ويختلف النظر في النسب إلى (أنا) باختلاف المذهبين السالفين .

فإذا نسب إليها على أنها ثنائية كان ذلك كالنسب إلى نحو هل وكم ، والمعروف أن يقال في النسب إلى كم : الكمي والكمية . ويجوز بعضهم أن يقال الكمية بتخفيف الميم ، وبالقياص على هذا يقال في النسب إلى (أنا) الآنية أو الآنية ، بتخفيف النون وتشديدها .

فأما على القول بأن الكلمة ثلاثية فعلى لغة أكثر العرب - وهي حذفها وصلا - تكون مثل يد وغد مما حذفت لامه اعتباطاً لغير علة ، وترى الثالث المحذوف لا يرد في التثنية ولا جمعى التصحيح .

ومثل هذا في قياس النحو يجوز فيه الرد وعدمه ، فنقول على هذا : أنى وأنوى ، كما يقال في النسب إلى غد : غدى وغدوى .

وعلى ذلك فالوجه أن يقال : الآنوية أو الآنية أو الآنية ، فهذه الصيغ الثلاث هي الجارية على المنهاج النحوى ، فأما الآنانية فهي مجافية لهذا المنهاج ، ولم ترد هذه الصيغة فيما شذ من صيغ النسب فتقبل .

وهذا الخطأ قديم . وأذكر أن ابن كمال باشا نبه عليه في رسالة له في أغلاط الناس في اللسان ، وليست تحت يدى الآن .

وقد يبدو لبعض الباحثين أن هذه الفسبة صحيحة ، على منهاج الكلمات التي ورد الفسب فيها بالآلف والنون ، ومن ذلك رقبانى لعظيم الرقة ، ولحيانى لعظيم الحية ، وجمانى أطويل الجملة - وهي مجتمع شعر الرأس - وروحانى في النسب إلى الروح ، وفي كتاب سيويه ٧٠ / ٢ : « وزعم أبو الخطاب أنه سمع من العرب من يقول في الإضافة إلى الملائكة والجن جميعاً : روحانى ، وللجميع : رأيت روحانيين . وزعم أبو الخطاب أن العرب تقول له لكل شئ فيه الروح من الناس والدواب والجن ، ويرد على هذا المخاطر أن هذه الزيادة

سبيلها السماع ، وإنما يقبل ما ورد منها عن العرب . وقد أسلفت أن (الانانية) لم تؤثر عن العرب .

أنجب . أغدق . أثمر . ابتكر

يستعمل الناس هذه الأفعال على غير وجهها في العربية . وسأتناولها على ترتيب ذكرها .

١ — فالفعل الأول : « أنجب » يحىء في استعماله متعديا ، يقولون : أنجبت مصر رجالا أوفياء . وأنجب في العربية فعل لازم ، يقال : أنجب الرجل أى أتى بولد نجيب ، ويتعدى إلى الولد بالباء ، يقال : أنجب بولد صالح ، ويقول الأعشى في مدح سلامة ذى فائش :
أنجب أيام والداه به إذ نجلاه ، فعم ما نجلا

وفي البيت تقديم وتأخير أى أنجب والداه به أيام إذ بجلاه . ونجلاه أى ولداه ، ومنه النجل للولد ، وهو من التسمية بالمصدر .

والانحراف في استعمال هذا الفعل قديم . وتروى ابن هانيء الأندلسي يقول من قصيدة في مدح المعز العبيدي عرض فيها لجوهر الصقلي القائد فدحه بقوله :

لقد أنجبت منه الكتاب مدرها سريع الخطا للصالحات ميسرا

فتراه عدى الفعل فنصب به « مدرها » وهو المدافع عن القوم . وقد تنبه على هذا شارح ديوان ابن هانيء الدكتور زاهد على ، ثم قال : « وعندى أن قوله هذا محرف عن : « قد انتجبت منه الكتاب مدرها » أى استخلصته لأنفسها ، واصطفته اختيارا له على غيره ، والذي يحمله على هذا تنزيه ابن هانيء عن الخطأ في اللغة ، وابن هانيء جاء في عصر متأخر قد يتسرب إلى الشعراء والادباء فيه الأخطاء الشائعة فيه ، ولو كان شارح الديوان اعتمد في القول بالتحريف على سند آخر كوقوفه على أصل صحيح للديوان لكان وجهه مقبولا ، ورأيه مستساغا . على أن خيرا من هذا في التنزيه للشاعر أن يحمل كلامه على التضمين ، أى أعطت الكتاب منه مدرها ، أو نحو ذلك . والتضمين جائز . إذا روعى فيه غرض ينتجيه البليغ .

٢ — والفعل « أغدق » يستعمل أيضا متعديا . يقولون : أغدق الله الخير على مصر ، وأغدق الله عليه شأيب الرحمة والرضوان . وأغدق في العربية فعل لازم . وفي القاموس :

« أغدق المطر واغدودق : كثر قطره ، ، وفي اللسان : « غدقت الأرض غدقا ، وأغدقت : أخصبت ، وفي الأساس . « ومكان غدق ومغدق : كثير الماء مخصب . »

٣ — والفعل « أثمر » يستعمل أيضا متعديا وهو لازم في العربية . يقولون : حسن الخلق يثمر المحبة بين الناس . وإنما يقال في العربية : أثمر الشجر أى ظهر ثمره . وقد جاء في الكتاب العزيز بهذا المعنى قوله تعالى في الآية ٩٩ من سورة الانعام : « انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه » وقوله تعالى في الآية ١٤١ من هذه السورة « كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده . »

والانحراف في هذا الفعل أيضا قديم . ففي شعر عبد الله بن المعتز :

ومليح الدل ذى غنيج لابس للحسن جلبابا
أثمرت أغصان راحته لجنان الحسن عشايا

قال الشهاب الخفاجي في الرحانة ٤٣٠ عقب إنشاده البيتين : « قلت : عدى (أثمرت) وقد أنكره صاحب الدمية . » وأورد الشهاب في شفاء الغليل لابن المعتز أيضا :

وغرس من الأحباب غيب في الثرى فأسفته أجفاني بسبح وقاطر
وأثمرمئا لا يبید وحسرة لقلبي يحنيها بأيدي الخراطير

ومن أئمة اللغة والنحو محمد بن أحمد بن أشرس من تلاميذ أبي بكر الخوارزمي . وقد أورد له ياقوت عن الدمية في معجم الأدباء (طبعة الحلبي) ١٧ / ٢١٠ البيتين الآتين :

كأنما الأغصان لما علا فروعها قطر الندى ثرا
ولاحت الشمس عليها ضحا زبرجد قد أثمر الدرا

فقده الحاكم أبو سعد بن دوسق فقال : « قوله : أثمر الدرا لا يستقيم في النحو ؛ لأنه لا يقال : أثمرت النخلة الثمر ، وإنما يقال : أثمرت ثمرا ، بغير الألف واللام . » وكان الوجه في تفرقة الحاكم بين الاستعمالين أنه إذا قيل : أثمرت النخلة الثمر كان الثمر في معناه الاسمي أى الثمرة لا محالة ، فكان الفعل عليه متعديا للفعول به . فأما إذا قيل : أثمرت النخلة ثمراً جاز أن يراد بثمر لثمار فيكون « ثمراً » مفعولا مطلقاً لا مفعولا به ، وهذا كالغطاء يكون في معناه الاسمي فيقع مفعولا به ، كما في قولك اعرف عطاء الله واشكركه ، ويكون مفعولا مطلقاً إذا أريد به الحدث ؛ كقولك . أعطيتك عطاء .

ويذكر الشهاب في شفاء القليل أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وقعا في تمعية (أثمر) وأن شراح المفتاح تفهوا على هذا الخطأ، وذكر أن بعض الشراح أبدى فيه فكرة التضمين للفعل المتعدي كأفاد مثلا، وأن بعضهم له رأى آخر، وهو أن يكون الفعل (أثمر) متعديا بنفسه، غير أنه فيما ورد لنا عن العرب جاء في مواقع يعلم فيها للمفعول الخذف، كما في الآيتين السابقتين، وكما إذا قلت: أثمرت النخلة، فالعلم عند السامع يحيط بأن المفعول جليح. فأما إذا لم يعلم المفعول فلا شيء في ذكره على الأصل.

وهذا تخريج حسن. وأحب هنا لذكر محمد بن أحمد بن أشرس أن أذكر أنه وقع في شفاء القليل: محمد بن شرف، وفي تاج العروس في (ثمر) نقلا عن الشفاء محمد بن أشرف. والصواب ما أورده عن معجم الأدباء.

٤ — والفعل (ابتكر) يأتي متعديا في استعمال الناس في معنى ابتداء الشيء واختراعه وابتدعه. يقولون: ابتكر الأستاذ المربي طريقة في التربية تسرع الوصول إلى الغرض من التربية. وقد أنكر هذا الاستعمال بعض الباحثين اعتماداً على أن الوارد في المعاجم غير هذا. فيقال: ابتكر الخطبة أي سمع أولها، وابتكر أي بكر، وقد وجدت في المعاجم: ابتكر الشيء أي أخذ أوله، وابتكر الجارية أي افترضها، وابتكر الفاكهة أي أكلها كورتها. ويمكن بالاتساع استعمال الابتكار في الابتداع للشيء من الابتكار للشيء بمعنى أخذ أوله، أو ابتكار الجارية بمعنى افترضها، ففي هذين المعنيين سبق إلى الشيء والبدء به، وهذا يناسب المعنى الشائع أي مناسبة.

ويقول الحريري في خطبة مقاماته: «إلى ما وشغتها به من الآيات، ومحاسن الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العربية، واللطائف الأدبية، والأحاجي النحوية، والفناوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والخطب المحبرة»، ويقول الشريف في الشرح: «المبتكرة: التي لم يسبق إليها». فهذا يؤنس بالمعنى الشائع ؟

محمد علي النجار

الحسن البصرى

كنت لم أستوعب ما أردت من الحديث عن هذا الإمام فيما كتبت بالعدد السابق من مجلة الأزهر الغراء ، ولكننى ألمت به إلمامة يسيرة تصور شيئاً من أدبه ، والعوامل التى حفت به ، فجعلته — كما تحدث الناس عنه — الفقيه الزاهد الحكيم الخ .

وقد رأيت أن أجدد عهدك بصفات الحسن من عبارات الناس حوله ، ثم أذكر لك ما يتسع المجال له من أحكاى عليه .

فما وصفه به أبو حيان التوحيدى — نقلاً عن قرة الجرانى الحكيم — « كان الحسن ابن أبى الحسن من درارى النجوم علماً وتقوى ، وزهداً وورعاً ، وعفة ورقة وتألها »^(١) ، وفقهاً ومعرفة ، وفصاحة ونصاحة . مواعظه تصل إلى القلوب ، وألفاظه تلتبس بالعقول ، وما أعرف له ثانياً ، ولا قريباً مدانياً ، كان منظره وفق مخبره ، وعلايته فى وزن سريره ، عاش تسعين سنة لم يقرف »^(٢) بمقالة شمعاء ، ولم يزن بريية ولا إخشاء »^(٣) . سليم الدين نقي الأديمة يجمع مجلسه ضروباً من الناس وأصناف اللباس ، لما يوسعهم من بيانه ، ويفيض عليهم بافتنانه : هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقي منه التأويل »^(٤) ، وهذا يسمع منه الحلال والحرام ، وهذا يقبعه فى كلامه ، وهذا يجرد له المقالة ، وهذا يحكى له الفتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع المواعظة ، وهو فى جميع هذا كالبحر العجاج تدفقاً ، وكالسراج الوهاج تألقاً ، ولا نفس موافقه ومشاهدة فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء ، بالكلام الفصل ، واللفظ الجزل ، والصدر الرحب ... يجلس تحت كرسية قتادة صاحب التفسير ، وعمرو وواصل صاحبى الكلام ، وابن أبى إسحاق صاحب النحو ، وفرقد السبخى صاحب الرقائق ، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم ، فن ذا مثله ومن ذا يجرى مجراه .

وروى أبو نعيم فى الحلية بسنده إلى خالد بن صفوان قال : « لما لقيت مسيلة

[١] التآله : التسلك والتعبد . [٢] قرف فلانا : حابه أو انهمه . (٣) زنه بالنهى وأزنه : انهمه .

[٤] فى القاموس : لقن كفرج فهو ألتن ولقن حفظ بالمعجة .

ابن عبد الملك بالحيرة قال : يا خالدا أخبرنى عن حسن أهل البصرة . قلت : أصلح الله الأمير ، أخبرك عنه بعلم ، أنا جاره إلى جنبه ، وجليسه فى مجلسه ، وأعلم من قبلى به : أشبه الناس سريرة بعلانية ، وأشبه قولاً بفعل : إن قعد على أمر قام به ، وإن قام على أمر قعد عليه ، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به ، وإن نهى عن شئ كان أترك الناس له . رأيتك مستغنياً عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين إليه .

قال : حسبك يا خالدا ، كيف ضل قوم هذا فيم ؟

وأما أنا فسأنى لك بما يتسع له المجال من صفاته كما تدل عليه آثاره وأخباره :

١ — الزهد فى الدنيا :

ولإذا كنت قد أطلعتك على أن ابن سيرين كان أروع أهل زمانه ، فإننى أستطيع أن أقول لك : إن الحسن كان أزهد أهل زمانه من علماء التابعين . والزهد عند القوم منزلة فوق الورع . فإن الورع أن تكف عن محارم الله ، وأن تحتاط وتتحرى فى طلب الدنيا ، حتى تنقى الشبهات خشية الوقوع فى المحرمات ، كما حدثتك عن ابن سيرين وأوردت صوراً من ورعه ، وهو لا ينافى التوسع فى طلب الحلال ، وأما الزهد فإنه ترك الدنيا ، وعدم الطلب إلا لما أوجبه الشرع الكريم من حفظ الحياة بمقدار الضرورة .

وقد كان هذا العالم الربانى مقبلاً على الله سبحانه إقبالا لا يدع مجالاً للدنيا وسلطانها ، فإنها صارفة عن الحق ، وهى كما وصفها هو نفسه : دار صارعة ، خادعة ، خائلة . قد ترينت بخدعها ، وغرت بغرورها ، وقتلت أهلها بأملها ، وتشوفت لخطاياها ، فأصبحت كالعروس المجلوة : العيون إليها ناظرة . والنفوس لها عاشقة .

ووصفها فى رسالة طويلة كتب بها إلى عمر بن عبد العزيز صفات كثيرة بعيدة العمق تدل على توغل فى دراستها ، وتعمق فى بحث غوائلها ، أتى فيه من المعانى بما لا يعرف لغيره فى هذا الباب ، مما جعله حامل لواء الزهد : وأكبر داعية إليه فى عهده ، ومما قال : « فهما عاشقان : فعاشق قد ظفر بها واغتر وطفى ، ونسى بها المبدأ والمعاد ، فشغل بها لبه ، وذهل فيها عقله حتى زلت عنها قدمه ... وآخر مات قبل أن يظفر بها فذهب بكره لم يدرك منها ما طلب ، ولم يرح نفسه من العناء والنصب ... واقه لو كانت الدنيا من أراد منها شيئاً وجده إلى جنبه من غير طلب ولا نصب ، غير أنه إذا أخذ منها شيئاً لزمته حقوق الله فيه ،

لكان ينبغي للماقل ألا يأخذ منها إلا قدر قوته وما يكفي حذر السؤال وكرهية لشدة الحساب ، وإنما الدنيا إذا فكرت فيها ثلاثة أيام : يوم مضى لا ترجوه ، ويوم أنت فيه ينبغي أن تقتمه ، ويوم يأتي لا تدري أنت من أهله أم لا . . . فأما أمس فحكيم مؤدب ، وأما اليوم فصديق مودع ، غير أن أمس وإن كان قد لجمك بنفسه فقد أبقى في يدك حكمته . وهو خطاب طويل جدا ضمنه من نفائس الحكمة ، وبدائع التصوير ، ولطائف الفلسفة ، مادل على أنه ممتاز في هاته النواحي وأنه نسيج وحده فيها .

كان الحسن دائم الخوف متواصل الأحزان . كثير البكاء والنحيب . كأنه ثكلى فقدت ذوبها القائم على أمرها كله . من رآه قال : قد صب على هذا حزن الخلائق قال عبد الواحد ابن زيد : كان واقه إذا أقبل فكأنه رجع من دفن حبيبه ، وإذا أدبر كأن النار فوق رأسه . وكان يصف للناس مصيبتهم عند نفسه فيقول : ما الذي يؤمنني أن يكون الله عز وجل قد نظر إلى نظرة مقتنى بها ، ولعل زهد الحسن من الوضوح والشهرة بحيث يغنى عن ترداد القول .

على أن الذي ينبغي أن يفقه إليه أن هذا الرجل في زهده ونسكه وبكائه وخوفه كان ظريفاً لطيفاً غير فظ ولا غليظ ولا قاس منفر ، وكذلك الربانيون من هذه الأمة يظهرون سماحة الإسلام بما يسع النفوس ، ويترخصون بما لا يقنط الناس من رحمة الله ، فإذا خلا أحدهم إلى نفسه صهرها في بوتقة الرياضة ، وزج بها في محيط الصراعة ، لا كأهل الرياء الذين ينسبون إلى طريق الله اليوم ويظهرون للناس شيئاً من الدين ، ويخفون عنهم ما لو علموه لتقربوا إلى الله بيقضهم .

كان الحسن يخاطب الناس ويخاطبهم على قدر عقولهم ، وله مع الفرزدق الشاعر محادثات لطيفة ، جعلت الفرزدق يسكثر التردد على حلقة ، ويسير خلفه في كثير من المناسبات ، حتى كانت توبته على يده فيما سجله شعره الذي يقول فيه :

ألم ترني عاهدت ربي وإني لبين رتاج قائما ومقام
على حلقة لا أشتم الدهر مسلما ولا خارجا من في زور كلام

وكان الحسن يخاطب أرباب النحل والاديان على اختلافهم ، ويؤدى لهم حقوقهم كالمسلمين وفي أخباره أنه عزي نصرانياً في أخيه بعبارات كلها دقة في رقة ، وأدب إسلامي شريف .

وحضر الحسن وليمة فتمى على من رفع يده عند تقديم الحلوى وقال له : « كل يا كع ، فلنعمه الله عليك في الماء البارد أعظم من نعمته في الحلواء » ، وقال لتلميذه الناسك فرقد في مثل هذه المناسبة : « لباب البر بلماب النحل بخالص السمن يعميه مسلم » .

وكان الحسن يسمع الغناء ولا ينهى عنه ، بل يدعو إليه ويقول : إنه يمين على البر وصلة الرحم . والحق أن في السنة وعمل السلف ومقتضى النظر ما يؤيد هذا المذهب الكريم .

فالحسن إذا عالم ربانى اجتماعى ، جمع إلى الزهد الخارق والفلسك العجيب الذى كان يكيه ويكي كل عصى معه ، ترخصا في الطيبات يستعين بها على الحق ، وتساعدا في الناس يقتادهم به إلى البر ، عند الحاجة وبالقدر المطلوب .

وكان في صديقه العالم الربانى الإمام ابن سيرين ذلك الترخص ، ولكنه رضى الله عنه كان أقرب إلى الترخص وأكثر اتجاها إلى الدعاية . ولهذا يقول الناس : إنه وقعت بينهما جفوة آخر حياتهما حتى مات الحسن ولم يصل عليه ابن سيرين ، وقد صلى عليه الناس جميعا حتى تمطلت فريضة العصر يومها . وما أظن أن ابن سيرين يخاصم هذا الإمام ميتا إن صح أنه هجره حيا . ولكن الناس يقبلون ما يقال أحيانا دون بحث ولا تحقيق .

٢ - البيان الخارق :

وإنك لتقرأ لكثير من عرفوا بالبلاغة واللسن فتجده خاليا من الأثر الواضح في نفس القارئ ، والنفوذ إلى باطنه ، وتحقيق الغاية من إيقاظ وعيه . فأما هذا الحسن فقد جمع إلى صفاء الديباجة ، وعراقة الأسلوب ، وخصوبة العبارة ، والتماس نواحي التجميل والتحسين ، كأنها عفو الخاطر ، جمع إلى ذلك كله شدة التأثير ، وقوة النفوذ ، ولا أدل على ذلك من مواقفه أمام الحكام . وإضافته لعظمتهم أمام سحر بيانه . وتحذيره لأعصابهم ، وإرخائه لقوامهم تحت سلطان بلاغته .

روى أبو نعيم في الحلية وغيره قالوا : لما ولي عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما بيوت وكانا فيه شهرا ثم إن الخصى غدا عليهما ذات يوم فقال : إن الأمير داخل عليكما . فجاء عمر يتوكأ على عصاه ، فسلم ثم جلس معظما لهما فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتبنا أعرف أن في إتخاذها الملوك ، فإن أطعته عصيت الله ، وإن عصيته أطعت الله ، فهل تريان لى في متابعتي فرجا ؟ فتكلم الشعبي فانحط

في جبل ابن هبيرة . فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ قال : أقول يا عمر ابن هبيرة ، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصى الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك ، إلى ضيق قبرك . يا عمر بن هبيرة ، إن تقى الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل . يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك فظرة مقت ، فيخلق بها باب المغفرة دونك . يا عمر بن هبيرة : لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله عن الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة . يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاما خوفك الله تعالى فقال (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) . يا عمر ابن هبيرة : إن تك مع الله تعالى في طاعته . كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك . وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه ، قال : فبكى عمر وقام بعبوته ... في حديث قد يطول لإبراده .

فهل ترى دلالة على مبلغ قوة البيان مع هذه الجرأة الحارقة ، ومظهر النفس الربانية ، التي تحدث عمر ويزيد وكل من في الأرض من ذلك القول .

وأما الطاغية الحجاج ، فإنه بنى دارا بواسط وأعجب بها ، فأمر بإحضار الحسن ليراها فنغص عليه عيشه ، وأهاج غضبه ، ثم أقنعه بوجوب النزول على قوله ببيانه العجيب الذى يقدره الحجاج قدره ، قالوا : إن الحسن دخل تلك الدار فقال :

والحمد لله . إن الملوك ليرون لأنفسهم عزا . وإنما لرى لحم في كل يوم هبرا ، يعمد أحدهم إلى قصر فيشيد ، وإلى فرش فينجد ، وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ، ثم يحف به ذباب طمع ، وفراش نار ، وأصحاب سوء ، فيقول : انظروا ماذا صنعت . لقد رأينا أيها المغرور فسكان ماذا يا أفسق الفاسقين ؟ أما أهل السماء فقد لعنوك ، وأما أهل الأرض فقد مقتوك . بنيت دار الفناء ، وخربت دار البقاء ، وغررت في دار الغرور ، لنذل في دار الجور . ثم خرج وهو يقول : إن الله سبحانه قد أخذ على العلماء عهده ليدينه للناس ولا يكتُمونه .

ثم دخل على الحجاج وهو يحرق أنيابه غضبا على الحسن ، ولكنه كناه وخاطبه بقوله : يا أبا سعيد ، أما كان لإمرتى عليك حق حين قلت ما قلت ؟ فقال : . يرحمك الله أيها الأمير ، إن من خوفك حتى تبلغ الأمن ، خير من أمنك حتى تبلغ الخوف . وما أردت الذى

سبق إلى وهمك ، والامران بيدك : المفو والعقوبة . فافعل الأولى بك ، وعلى الله فتوكل وهو حسبتا ونعم الوكيل ، فاستجيا الحجاج منه واعتذر إليه ، وسلم هذا الإمام بفضل أدبه وقوة روحه من هذا الطاغية الذى لم ينبج من بغيه أئمة من الصحابة والتابعين رحمهم الله .

قال صاحب العقد وغيره عن أبى زيد : لم يكن بالبصرة أفصح لسانا ، ولا أظهر جمالا من الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وزرعة ابن أبى حزة . وقد سمعته عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها يتكلم فقالت : من هذا الذى يتكلم بكلام الصديقين ؟

وكان الإمام محمد بن على بن الحسين وهو الثابت فى تربة البيان ، إذا ذكر له الحسن يقول : « ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء » .

على أن ما بقى من نواحي الحسن من فقهه فى دين الله ، ومعرفته بالعقائد ، وما وضع فيها من أسسه ودرايته بالقصص الصادق الصحيح ، ونواحيه الفياضة الفضفاضة ، ومذاهبه فى الحكم والسياسة ، ودراساته ، ومن تخرجوا فى مدرسته ، فإن الخوض فى تفصيل ذلك مما لا يتسع له هذا المقام الآن ، وإنما نشوق القارىء الكريم ، ونحاول أن نرجع به فى هذا الخضم العظيم ، ليخرج بالآلى من بطون التواريخ ، وليعمر حياته بالخير الذى لا أمد له ولا غاية . وبالله سبحانه التوفيق والهداية ؟

محمود النواوى

المال

لا أجمل المال لى رباً يصرفنى لا بل أكون له رباً أصرفه
مال من المال إلا ما تقدمنى فذاك لى ، ولنغرى ما أخلفه

أبو على البصير

حيوية الأدب

الأدب طاقة روحية تشع ألوانا من الإشعاعات على مر الزمن ، فلا يجبو لمعانها حتى يتجدد مع الإنسانية المتجددة الدائمة التجدد . وهي طاقة هائلة القوة ، هائلة التأثير ، إذا هي قيست بطاقة الذرة التي كشفت في عصرنا الحاضر . ويمكن أن يقول الأديب أو الشاعر كلماته حتى يكون لها من الفعل بالنفوس ومن تحريك الأرواح ما يفوق أثره أثر كل ذرة ؛ ذلك أن فعلها لا يقتصر على جماعة في وقت من الأوقات . ولكنه من الممكن أن يمتد إلى كل إنسان في كل زمان وكل مكان . يوم يطلق الشاعر قصيدته يكون العالم قد كسب قوة هائلة جديدة ، ولكنها قوة خالدة باقية . إن في بيان الشاعر لسحراً ، ولكنه السحر الذي ينقي النفوس . ويطهر الأرواح ، وهو سحر تعرفه النفوس ، وتلقاه الأرواح ؛ لأنه صادر عن الروح الشفافة ، عن الروح الملهمة التي أودعها الله جني الشاعر . إن خفة القلب لتدفع إلى الوجود وجوداً ، وإن لمحة الروح لتنفذ فتخرق قيوداً وسدوداً ، وفي الوجود الأكبر ، في العالم الروحي ، تلتقي كل طاقة كونية ، تلتقي الطاقة تشعها الذرة ، وتلتقي الطاقة يشعها الأدب .

لم يكن الأدب في يوم من الأيام صوراً جامدة ، وقوالب مفرغة باردة ، بل هو صورة حية متجددة الحيوية ، متجددة الحرارة . فليست القصيدة حشداً من ألفاظ كل قيمتها أن لها دلالة ، فإن هذا الحشد الجامد من الألفاظ التي ليس لها إلا دلالة نجد في مكان آخر غير الأدب وغير الشعر ، نجده في المعاجم اللغوية . أما القصيدة فكائن حي مثلي ومثلك ، وله كيانه وشخصيته ، بل هو أقوى مني ومنك ، لأنه يستطيع أن يثبت وجوده على مر الزمن وأن يفرض نفسه فرضاً سواء رضى الناس أم أبوا . إن هذا الكائن يتمتع بشخصية متكاملة متمثلة بالوجود ، متمثلة بالقوة ، ولكنها شخصية أميز ما فيها أنها مرنة وليست صلبة جامدة . إن النباتات والحيوان والإنسان جميعاً يتكيفون بحسب البيئة الزمانية والمكانية التي يوجدون فيها رغم أن أعمارهم نفسياً محدودة ، وهذه القدرة على التكيف مرجعها إلى المرونة التي يتمتع بها كيانهم وتمتع بها شخصياتهم . وهم كلما اختلفت عليهم الأزمنة والأماكن واحوا يتكيفون مع الزمن الجديد والمكان الجديد ، ولولا هذه القدرة على التكيف ،

لولا هذه المرونة التي تتمتع بها شخصياتهم — على تفاوت بينها في أنصبتها من هذه المرونة — لوجدناها تنقرض وتزول . فالشخص لا يعيش إلا بما في شخصيته من مرونة يواجه بها صروف الحياة فيتكيف معها ، ويتغلب بذلك عليها ، ويستمر بذلك في وجوده الحى النابض ، وتزداد بذلك شخصيته قوة على قوة .

العمل الادبي شخصية من هذا النوع ولكنها شخصية جبارة ، لأنها شخصية قلبت عليها ظروف وظروف ، ومرت عليها مئات الأعوام وربما آلافها ، وتغلت في البلاد فشرقت وغربت ، وهى في كل زمان وكل مكان كانت قوية حية تتفاعل مع الناس ، تثير فيهم شعور الرضا تارة وشعور الكراهية تارة أخرى ، ولكنها تخرج من كل حنة موفورة القوة ، موفورة النشاط . وتتخلف الأزمان ، وتلاشى البلدان ، وينقرض الناس ، ولكنها تظل باقية تستقبل عهداً بعد عهد ، وتتفاعل مع أناس بعد أناس .

إن العمل الادبي حصيلة آلاف وربما ملايين من التفاعلات التي تمت بينه وبين الناس الذين صادفهم في حياته الطويلة . ولما كانت طاقته الروحية هائلة ، وإشعاعاته كثيرة الألوان متنوعة ، كانت إثارته للنفوس مختلفة ، فهو يشع هذا اللون في نفس ، ويشع لونا آخر في أخرى . ونستقبل النفوس الإشعاعات المختلفة ، فتتفاعل مع ما تستقبله منها كما تتفاعل مع الناس الاحياء سواء بسواء . إننا تتفاعل مع أصدقائنا وأقاربنا وتلاميذنا ألوانا مختلفة من التفاعل ، تتفاعل معهم بما هم كائنات حية تؤثر وتتأثر . وكذلك تتفاعل مع الادب ، السنن تتخذ في كثير من الاحوال من الشعراء الذين مرت عليهم مئات السنين أصدقاء لنا ؟ السنن نطيل محبة قصيدة من القصائد ونعز بهذه الصعبة ؟ إننا تتفاعل بذلك معها كما تتفاعل مع أصدقائنا ، تتفاعل معها فتؤثر فينا وتؤثر فيها ، ولكتنا نمتص جميعا وتبقى هى محتفظة بحصيلة تلك التفاعلات ، متمتعة بما أفادت من — تأثيرات الآلاف الذين صاحبوها في وقت من الاوقات وتفاعلوا معها ، ألا تكون القصيدة بعد ذلك شخصية جبارة ، وطاقته هائلة ؟ ولكنها شخصية مرنة ، وطاقته متلونة .

إنها شخصية مرنة ، لا تحف منك موقف عناد ، ولا تصر على شيء ، وهى بذلك تمتاز على الحقائق المنطقية الصارمة ، إنك تقرأ هذه العبارة الحساية $(٢ + ٢ = ٤)$ فلا تستطيع أن تفهم منها إلا فهما واحدا ، ول تخرج منها إلا بحقيقة واحدة ، وهى حقيقة خالدة باقية كذلك ولكنها حقيقة جامدة لا مرونة فيها بل فيها لإصرار ، ونحن ندعن دائماً في هذه الحالة

للإصرار والعناد . ويوم نريد من (٢ + ٢) أن تساوى خمسة نخذلنا تلك العبارة ، لأنها قصر على أنها تساوى أربعة فقط ، ولا يمكن التزحزح عن هذا الإصرار . وعندئذ نمضي طائعين أو مكرهين إلى التسليم بهذه الحقيقة التي نضطر جميعا إلى الاتفاق عليها . إنها حقيقة صارمة جامدة لا حياة فيها ، ومن ثم لا تتفاعل معها ، لا تتأثر بها شخصياتنا ولا تترك شخصياتنا فيها أثرا . وما أحسب أن هناك من عقد في يوم من الأيام صحة بين هذه الحقيقة . (٢ + ٢ = ٤) .

أما القصيدة فشخصية مرنة ، تتودد إليك بما فيها من حيوية ، وتصحبك بقدر ما فيها وفيك من استعداد للتفاعل ، وأنت كلما أطلت صحبتها تكشففت لك جوانب جديدة من شخصيتها ، غير تلك التي تكشففت للوهلة الأولى ، بل وربما تبين لك بعد حين أنك أسأت أول الامر فهمها وأسأت تقديرها ، ألسنا نحكم في كثير من الاحوال على الاشخاص الذين نصادفهم في الحياة للمرة الأولى بأنهم خفاف الدم أو ثقلاء ، حتى إذا مضينا في صحبتهم تبين لنا أننا كننا مخطئين في حكمنا الاول السريع ، لانه تكشففت لنا فيهم — بعد الخبرة وطول العشرة — جوانب خفية من شخصياتهم تدفعنا إلى تعديل حكمنا الاول ؟ ذلك أن الشخصية ليست حقيقة ذات جانب واحد جامد بل هي عدة جوانب (بمكس ٢ + ٢ = ٤ فهي ذات جانب واحد) وكذلك القصيدة بما هي كائن حي له شخصيته ، لا يتكشف لنا منها للوهلة الأولى كل جوانبها أو أصدق هذه الجوانب فيها . ولكنا نستطيع أن نقنع من لفائنا لها بهذا الوجه وحده ، أما الآخرون فيعاملونها معاملة أخرى ؛ كل منهم يتفاعل مع جانب بذاته منها ، وعند ما يكشف هذا جانباً ويكشف ذاك جانباً آخر يخيّل إلى كليهما أن صاحبه قد أساء الفهم . وليس هناك سوء فهم على الإطلاق في هذه الحالة لأن واحدا منهما يتفاعل مع جانب بذاته من القصيدة ، والآخر يتفاعل مع جانب آخر . وشخصية الادب المتعددة الجوانب ، المرنة هي التي سمحت بهذا الاختلاف ، فتفاعلت مع كليهما بحسب ما لديه من استعداد للتفاعل وتبادل الفهم والتفاهم .

إن الطاقة الماشعة التي في الادب تصدر كما قلنا ألواناً من الإشعاعات . وبعض هذه الإشعاعات ظاهر وبعضها خفي . والكثيرون هم الذين يتلقون تلك الإشعاعات الظاهرة ، أما الخفية منها فلا يتلقاها إلا القلة . وعندئذ فقط يبدأ التفاوت بين الناس في قدرتهم على تلقي هذه الإشعاعات يفرق بين فهم وفهم ، وبين تذوق وتذوق . فالادب يتفاعل معنا

بحسب قدرتنا الأدبية ، بحسب قدرتنا على الفهم والتذوق . فمن أراد صورة جامدة من الألفاظ فإنه واجد هذه الصورة ، ومن أراد شخصية حية نابضة فإنه واجد هذه الشخصية . هذه إشعاع وتلك إشعاع . ولكن فرق بين الاثنين ، هو فرق ما بين من يتذوق الأدب روحاً ، ومن يفهمه صورة جامدة .

وبعد : فهذا حديث أسوقه إلى المولعين بفهم الأدب على أنه صورة جامدة بعامة ، وإلى الأستاذ المختون ، الذى تطوع فى عدد جمادى الآخرة من هذه المجلة بنقد فهمى لبيت من الشعر الجاهلى بخاصة . فتذوق الشعر لا يصدر عن معاجم اللغة . وإذا كنا نستعين فى بعض الأحيان بهذه المعاجم لمعرفة دلالة لفظ غريب عنا فينبغى أن يكون معروفاً أن المعجم لا يعطينا الدلالة الفنية للفظ ، وإنما ندرك هذه الدلالة بحسنا الخاص ، وذوقنا الذى تربى على تماطى الأدب والتفاعل معه . ولو كان المعجم هو كل شيء لسكان الخطب يسيراً ، ولسكان كل إنسان ذواقة نقادة . إن الألفاظ فى المعجم جامدة والأدب شخصية حية ، ومحال أن تقتل الحى حتى نستطيع فهمه . معاذ الأدب !

ومع أننى لم أكن فى مجال دراسة نقدية لذلك البيت بل كانت الدراسة أقرب أن تكون تاريخية فقد علم الأستاذ المختون أننى اخترت أحد معنيين يعيش بهما البيت بين الناس ، ولم أقترح شيئاً من عندى . وعندئذ يكون الحكم على فهمى بأنه لم يصب التوفيق ينطوى على مغالطة . وكان يستطيع - إن أراد مواجهتى حقاً - أن يتهمنى بفساد الذوق لائقى اخترت أحد التفسيرين دون الآخر .

وعندئذ أقول له : إننى اخترت هذا التفسير يا صديقى لأنه هو التفسير الذى يجعل فى البيت صورة حية ، صورة الشخص الذليل الذى صلت أذنه (اذكر يا صديقى أن عبارة صلم الأذن هى ملصها التى نستخدمها فى لغتنا العامية ، وأنت تعرف ولا شك على أى شيء يدل تلمص الأذن) وهذه أخرى أن تكون حالة من كان يقبل الدية ولا يأخذ بالثأر . أما التفسير الآخر الذى اخترته أنت فلا يفيد شيئاً من صورة الصلم بخاصة وأنها ارتبطت بالنعام ارتباطاً وثيقاً ، وأحسبك أدركت الآن السر فى اختيارى هذا التفسير بالذات ، فقد كنت مثلك أعلم بوجود تفسير آخر ؛ فقد اخترته لأنه يبك فى البيت الحياة ويجعل الصورة فيه حية نابضة تستطيع أن تتفاعل معنا ، لا مجرد مجموعة من الألفاظ ذات دلالة جامدة .

عز الدين إسماعيل

خالد بن الوليد

خالد بن الوليد ، كتاب للشيخ صادق عرجون ، ظهر في الصيف الماضي ، عن دار إحياء الكتب العربية .

والاستاذ صادق عرجون شيخ علماء الاسكندرية - التعريف لا للتشريف - رجل نغم من أية نواحيه نظرت إليه ؛ فهو كريم الخلق ، متين الدين ، غزير العلم ، بايخ القلم ، وجماع رأي فيه ، أنه خير مثال وأصدق للسلم الغض .

قرأت له - منذ سنوات - كتابه : عثمان بن عفان ، وأعجبت به في جملته ؛ فكتبت عنه مقالاً رئيسياً في مجلة الازهر ، كنت فيه شديداً بالغ الشدة ، محاسباً دقيق الحساب ؛ ولكني داورت ، فوضعت الدواء في برشامة ؛ وكشف مرارته قوم ، ولم يساورني شك في أن إخلاصه الذي لمست ؛ سينتهي إلى إخلاص في أن أسهم بنصيب ، في جلاء بعض الأصداء عن هذه الاداة المستكملة ، وفي إسعاد هذه المواهب القوية في القراءة والاكتنال ؛ والمنافسة بيني وبينه - بطبيعة ظروفنا - مفقودة ، والتحاسد بيننا معدوم .

وقد أيد حسن رأي فيه تأييداً حاسماً ، أنه عاد فأهدى إلى نسخة من كتابه هذا : خالد بن الوليد ، لأول عهده بالظهور ؛ وعلى الرغم من طغيان الرغبة في أن ألتمه التهاما ؛ تباطأت في قراءته ليطول استمتاعى بالحياة في تاريخ لم يظفر الوجود بأنعم من ظلاله ، جلت لوحته ريشة صناع ، وقلب مؤمن ، وعقل مستدير ، قلما انتهت إلى غايته ، صمت أن أكتب ما رأيته ؛ فسبقتني الدكتورة ابنة الشاطئ ؛ فكتبت عنه في الأهرام ، وأملت ببعض ما عرض لي ؛ ورجع عندي أن من الخير أن أوجل كلتي ، حتى لا تذهب بجانب كتابة الدكتورة صيحة في واد .

كان أبرز ما أخذته على عرجون في كتابه : عثمان بن عفان ؛ أن قلبه دائماً يسبق عقله وعاطفته تغلف على منطقته ؛ وأن سيطرة هذا الاتجاه عليه ، جعلته يمزج العصمة من الخطأ ؛

بالعصمة من الوزر المؤثم ، فيحاول أن يثبت العصمة من الخطأ لعثمان ، على حين أنه حسب عثمان أن يعصم من الإثم ، وفي الاجتهاد بذلك ضمان .

ولا ريب ، أن (عرجون) في كتابه : خالد بن الوليد ، ليس (عرجون) في كتابه : عثمان ابن عفان ، أو بعبارة أفضل ، أن عرجون في كتابه الأول ، كان ينزع عن شباب كله ثورة ، وكله عواطف ؛ فأما في كتابه الثاني ، فإنه ينزع عن اكتحال قريب جدا من الاكتحال ، يسيطر عليه - في أكثر أحواله - سلطان ، قوى السطوة ، من الروية والالتزان . ومن التواضع السخيف الظالم ، أن أحرم نفسى حظها المحدود ، من فضل هذا الاتجاه .. ! مع الاعتراف بالفضل الأكبر لأطوار الحياة .

كتاب : خالد بن الوليد للأستاذ صادق عرجون ، غرة في جبين الأزهر ، تزيته ، وتشرفه ، وتقوم أسطح حجة ، على أنه ما يزال بين جوانحه أفذاذ يحسنون خفارة مجده ، وينضحون عن كرامته ، ويكشفون عن خصائص جلال الإسلام الذى يستظل الأزهر بلوائه ، ويخاصم العالم فيه .

وقوة هذا الكتاب ، ليست مستمدة من موضوعه فحسب ، ولكنه قوى في تبويه ، قوى في أسلوبه ، قوى في تحرير مواضع النزاع ، قوى في سبر ما ورد من الأدلة ، وتزييف ما لا يثبت منها على البحث ؛ قوى في إحاطته بموضوعه ، وتمثله تمثلا مكن له في أن يبرزه في صورة متماسكة ، مترابطة ، ينظمها مزاج من التنوق والانسجام .

لا أريد أن آخذ على الناس مذاهب حرياتهم ، فأطلب إليهم أن يصدقوني ، أو أن يعملوا برأى ضربة لازب ؛ ولكنى أطلب إليهم أن يقرءوا كتاب خالد بن الوليد ، وأنا الضمين بأنهم سيرون فيه أجمل مما رأيت ، وسيمتدحونه بأبلغ مما مدحت .

أجل : أنا الضمين ، أنا الضمين . فهاؤم اقرءوا هذا الكتاب !

ولقد كنت أخذت على المؤلف ، ما أخذته عليه الدكتور بفت الشاطي ، من شدته في الرد على الدكتور هيكل ، ولكنى اقتنعت برده المهدب عليها ، وتوجيهه لتلك الشدة ، بأنها دفاع عن جلال الفاروق ، ومن ذا الذى لا يفضب ويشور ، فيقول ما يريد وما لا يريد حية لمركز الفاروق .

فأما الذى أجمعه لهذا الكتاب الكريم ، كسوداء العروس ؛ فهو :

- ١ — عدم ضبط الأعلام ، وبعض ما يحتاج إلى الضبط من الكلمات ؛ مع أن الكتاب يرغب فى قرأته المثقف والعامى .
- ٢ — الاهتمام البالغ بتهرئة خالد فى قصة مالك ، مع أن الأمر فيها لا يعدو الاجتهاد ، وأن اجتهاد خالد خالف اجتهاد عمر ، وكلاهما مأجور : المخطئ منهما والمصيب . ومما قرره الشريعة ، ما قرره الشاعر :

وذات حليل أنكحتها رماحنا حلالا لمن يبنى بها لم تطلق

- ٣ — إنكار الأستاذ أن النصر فى غزوة مؤتة كان بالنجاة ، وأن الهزيمة والفرار يسمى فتحا ؛ ص ٦٧ و٦٩ ، مع أن صلح الحديبية سمي فتحا ، على موقف الصحابة منه .
- فأما فى الأسلوب ، فإني أرجو أن يراعى فى الطبعة الجديدة تصحيح ما يأتى :

- ١ — ص ٦٤ س ٢ : رسمت ، أسوأ ، هكذا : أسوء بهزمة مفردة ولعلها تطبيع .
- ٢ — ص ٩٢ س ١٥ : قال الأستاذ : « فلو سلطنا بما فى الرواية ، لكان خالد ابن الوليد . . من أكثر الناس استهتارا بتلك القواعد » .
- والاستهتار إنما يكون بالخر والنساء ، ومعناه : الولوج . واستعماله فى غير ذلك عامى .
- ٣ — ص ١٢٣ س ١٠ : قال : « وتجمع الغناء إلى بعضه جسرا يمنع تيار الإسلام » .
- وصوابه : وتجمع الغناء بعضه إلى بعض .
- ص ٢٢٢ س ١٨ : قال : « لأن انعدام الثقة بين الجنود سهم نافذ » .
- وكلمة انعدام ليست فى اللغة العربية .

ص ٣٣٣ س ١٥ : قال : « وروى ابن عساكر أن هشام البخترى قال ، الخ » .

هكذا كتب هشام بيم واحدة ولعلها تطبيع .

* * *

أما يبد ، فن شاء أن يرى الدين والعلم يتعاقبان ، والعاطفة والعقل يتعاطفان ،
فليشهد الأستاذ صادق عرجون ، من خصاص كتابه : خالد بن الوليد ٩

عبد الجواد رمضان

الشَّعْبُ الْمِصْرِيُّ طَرْدُ الْإِنْجِلِيزِ

عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م)

غادرت الحملة الفرنسية مصر عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) وفي جسم كل جندي من جنودها أثر من آثار مقاومة الشعب المسلحة ، وفي خيال كل فرد من أفرادها ، أشباح مرعبة تغسل وسط الحقول وتختفي وراء الجسور ، وهي تحديق في الفرنسيين بنظرات تنقد حماسا ووطنية . لقد غادر الفرنسيون مصر غير نادمين على الجلاء عنها ، بل كانوا فرحين لخلاصهم من أشبال وادى النيل والدلتا الذين جعلوا حياتهم جميعا لا يطاق .

ولم تنكد تمنى مدة ستة أهوام على جلاء الفرنسيين عن مصر حتى فكرت إنجلترا في احتلالها عام ١٨٠٧ ؛ وكانت إنجلترا تهدف من وراء هذا الاحتلال إلى عدة أغراض : منها إضعاف تركيا والقضاء على المطامع الاستعمارية الفرنسية وضمان سلامة امبراطوريتها في الهند بالسيطرة على أهم مركز حربي في الشرق الأدنى ، وقد شجع الانجليز على المضي في سبيل تحقيق غايتهم اتفاق الممالك بزعامة محمد الآلاني مع إنجلترا على احتلال البلاد ليستردوا سلطانهم المفقود بعد أن انفض من حولهم الشعب المصري .

الهجوم الانجليزي :

في ٤ المحرم ١٢٢٢ هـ (١٤ مارس عام ١٨٠٧ م) رست إحدى السفن الحربية الانجليزية في مياه الاسكندرية دون أن يعلم أحد سبب مجيئها ، وقام بزيارتها القنصل العام لانجلترا في مصر وهو المساجور ميست ، وقد لوحظ أن القنصل عقب هذه الزيارة قد نشط في إنفاذ عدة رسائل إلى جهات متفرقة في القطر ، ولم تثر هذه الرسائل أى اهتمام خاص للاعتقاد بأنها موجهة إلى الرعايا الانجليز في البلاد ، مع أنها كانت في الحقيقة موجهة إلى أمراء الممالك تنبهم بهجوم الانجليز ، وتطلب منهم المساعدة في هذا الهجوم .

وكان من حسن حظ مصر أن الآلاني زعيم الممالك قد توفي قبل هذا الحادث بأسابيع قليلة ، وكان هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يجمع كلمة الممالك الخونة ليحاربوا في صف الانجليز .

وقد عثر فيما بعد على بعض هذه الرسائل التي تثبت خيانة المماليك إباننا قاطعا ، وكان بما جاء فيها : - « إننا جئنا إلى بلادكم باستدعاء الأتني لمساعدته . وساعدتكم فوجدنا أن الأتني قدماء وهو شخص واحد منكم وأقم جمع ؛ فلا يكون عندكم تأخير في الحضور فإنكم لا تجدون فرصة بعد هذه ، وتقدمون بعد ذلك إن تملكأتم . »

وفي ٧ المحرم ١٢٢٢هـ (١٧ مارس ١٨٠٧م) أقبلت عمارة بحرية انجليزية مكونة من خمس وعشرين سفينة بقيادة الأميرال (لويس) ورس في مياه الاسكندرية ، ونزلت منها حملة مؤلفة من فرقتين : إحداها بقيادة الجنرال ستيوارت ، والأخرى بقيادة الجنرال ويكوب وكانت القيادة العامة للحملة معقودة للجنرال فريزر .

استطاعت الحملة أن تحتل الاسكندرية ليلة ١١ المحرم (٢١ مارس) بخيانة من محافظ المدينة (أمين أغا) وهو أحد ضباط العثمانيين الذي سلم نفسه ومعه حامية الثغر دون مقاومة .

بدأ الانجليز بعد ذلك في تنفيذ خطة الاحتلال ، وهي تركز في الاستيلاء على الثغور المصرية بمساعدة الأسطول ، بينما يقوم المماليك بالاستيلاء على المواقع الهامة في داخل البلاد . وتنفيذا لهذه الخطة عزم الجنرال فريزر على الاستيلاء على رشيد وأرسل الجنرال ويكوب لتنفيذ هذه المهمة ، وفي ٢١ المحرم (٣١ مارس) كان الانجليز على أبواب رشيد . بطولة أهالي رشيد :

لم يكد أهالي رشيد يشعرون باقتراب الجيش الانجليزي حتى عقد أعيانهم اجتماعا برئاسة أكبر شخصية في المدينة ، وهو السيد حسن كريت تقيب الأشراف ، وقد قرر مجلس الدفاع الوطني للمدينة بعد مناقشات مثيرة تعبئة الأهالي للدفاع عن رشيد ، وقد شجع هذا القرار حامية المدينة المؤلفة من سبعائة جندي للاشتراك في المقاومة بقيادة المحافظ (علي بك السلاونكي) .

وفي خلال هذه الفترة المصيبة وصلت إلى رشيد رسالة من الوالي (محمد علي باشا) يبدى فيها استعداده لإرسال التجندات لمواجهة الهجوم الانجليزي ، وتدل هذه الرسالة على أن محمد علي لم يكن يرغب رغبة جدية في دخول معركة التحرير ، وأنه يفضل ترك الشعب ليدافع عن نفسه ، ليدخر قوته لضرب المماليك ، لذلك اكتفى بعرض مساعدته كتابياً عن

الاشتراك الفعلى فى الحرب ، وقد أجاب أهالى رشيد بالإجماع على هذه الرسالة بأنهم لا يحتاجون إلى أية نجدة ، بل إن إرسال التجهيزات لا يأتى منه إلا الضرر ، لأن الجنود الدلاة لا هم لهم سوى النهب والسلب والقتل بالشعب نفسه ، وأن حوادثهم عام ١٢٢٥ (١٨٠٥) لا تزال ماثلة فى الأذهان ؛ فقد مثلوا بأهالى القاهرة تمثيلا . هذا إلى أن جرى الحوادث قد برهن على أن هؤلاء الأخطا لا يهمهم الدفاع عن البلاد فى شيء ، إذ سلبت حامىة الاسكندرية للانجليز دون مقاومة ، وكذلك فعلت حامىة دمنهور .

كل هذه الظروف والملايسات جعلت الشعب وحده يتحمل مسئولية الدفاع عن البلاد ، فقام بطل الأبطال ذلك الجندى المجهول - الشعب - وتقدم إلى الميدان لينخوض المعركة ضد الانجليز ، وقرر الزعيم الوطنى السيد حسن كريت بالاتفاق مع على بك السلانكى إبعاد السفن إلى الشاطئ الشرقى لليل ، حتى لا يفكر أحد فى الفرار ، ومعنى ذلك أن الأهالى قد صمموا على الدفاع عن مدينتهم حتى الموت .

وصل الانجليز إلى خارج المدينة دون أن يجدوا أثرا للمقاومة ، فظنوا أن حاميتها قد أخلتها اقتداء بما حدث فى الاسكندرية ودمنهور ، فدخلوا المدينة وانتشروا فى شوارعها وأزقتها ، وما كادوا يستقرون داخلها حتى دارت معركة الحياة أو الموت ، وانطلق الرصاص من جميع الجهات على الانجليز ، فكانت مفاجأة ملأت قلوبهم ذعرا ، وجعلتهم يتلسسون الفرار بأية طريقة ، وقد ضاقت الدنيا فى وجوههم من شدة الضرب ، حتى خيل إليهم أن الطلقات النارية تصدر من كل حجر فى المدينة ، وكانوا أثناء فرارهم يتعثرون فى جثث القتلى والجرحى منهم ، فبزداد اضطرابهم ، ويمعنون فى الفرار ، وعادت قلوب الحملة إلى الاسكندرية عن طريق أبى قير بعد أن خسرت قائدها الجنرال ويكوب نفسه .

لقد كان هذا النصر درة فى جبين رشيد ، فقد سطر كل فرد من أفرادها قصة من قصص البطولة ، وأثبتت رشيد بفوزها أن الحرية لا تستعصى على شعب باسل يأبى الذل والاستعباد .

وما كادت تذيع أنباء ذلك النصر ، حتى اهتزت البلاد حمية ، واستعد كل مصرى لمواجهة الانجليز ليفعل بهم مثلبا فعل أبطال رشيد ، وبادر السيد حسن كريت وعلى بك السلانكى بعد انتهاء المعركة بإرسال مائة وسبعين من أسرى الانجليز إلى القاهرة التى كانت

قد اقلبت إلى كتلة من الخاس ، بزعامه السيد عمر مكرم الذى تولى تعبئة المقاومة الوطنية فى العاصمة استعدادا لمواجهة الانجليز ، وكان مظهر الشعب رائعا وهو يبنى الاستحكامات العسكرية للدفاع عن القاهرة ، وينفق على الاستعدادات الحربية من تبرعات الوطنيين ، كل ذلك ومحمد على باشا كان متغيا فى الصعيد .

العودة إلى الهجوم على رشيد :

شاهد المماليك هزيمة حلفائهم الانجليز ، فقمعدوا عن مناصرتهم ، وبذا أفلح الشعب فى عزل المماليك عن الانجليز ، كما أن هذه الهزيمة هالت الجنرال فريزر ، فزم على أن ينتقم لانجلترا من أهالى رشيد ، وجرد لهذا الغرض حملة أخرى بقيادة الجنرال سقيوارت ليحرق أثر هذه الهزيمة .

قرر الجنرال سقيوارت أن يقوم بتطويق رشيد لينزع وصول الإمدادات إليها فاستولى على الحاد الواقعة فى جنوبها ، وفى اليوم السابع من إبريل نصب مدافعه فى جنوب المدينة وفى غربها ، وشرع فى ضربها بالمدافع ، فأخذت القذائف تهال على المدينة مدة اثنى عشر يوما وكان فى اعتقاده أن الأهالى سيكفون عن المقاومة تحت ضغط نيران المدفعية ، ولكن راعه تصميم الأهالى على المقاومة دون أن تبدو عليهم علامة من علامات الفتور أو الضعف وفى ذلك يقول فى رسالة له إلى الجنرال فريزر :

« إن (١) ما أباأتمون به من قرب حضور المماليك جعلنى أتركت فى الهجوم على رشيد ، لقد ألحقنا بالمدينة أضرارا كبيرة ، وقد بلغ ما أطلقناه عليها من المدافع البعيدة المرمى وحدها ثلاثمائة قنبلة ، على أنه قد تبين لنا أن الأعداء لا يكثرثون بالمصائب التى تنزل بهم . »
وختم رسالته بقوله : « إن نجاحنا معلق على نجدة المماليك ، ولكن المماليك لم يحضروا وإن يحضروا بعد ما رأوا من شدة بأس الشعب . »

استمر أهالى رشيد بزعامه السيد حسن كريت يدافعون عن مدينتهم دفاع المستميت وأرسل السيد حسن كريت إلى السيد عمر مكرم زعيم المقاومة المسلحة فى القاهرة يطلب لإرسال التجندات على وجه السرعة ، ولما أبطأت التجندات عاد وأرسل إليه رسالة أخرى يستحث فيها على إجابة طلبه وبما جاء فيها قللا عن المؤرخ الجبرق :

(١) الحركة القومية لمؤرخ الكبير الأستاذ الرافى ج ٣ ص ٥٨ .

« إن الانكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ويضربون البلد بالمدافع والقناير (القنابل) وقد تدمر الكثير من الدور والابنية ومات كثير من الناس وقد أرسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الإغاثة والتجدة فلم تستجفونا بإرسال شيء ، وما عرفنا لاي شيء هذا الحال وما هذا الإهمال ؟! فانه الله في الإسعاف فقد ضاق الخناق وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المراقبة والسهر على المتاريس . »

وتدل صيغة هذه الاستغاثة على مبلغ ما لقيه المجاهدون من الشدة في الدفاع عن مدينتهم ، كما يدل استنجد الأهالى بزعم المقاومة الشعبية السيد عمر مكرم على أن الذى يدير دفة المعركة هو الشعب .

تدفق الشعب لنجدة رشيد :

لم يقصر السيد عمر مكرم كما كان يظن السيد حسن كريت ، بل إنه عند ما وصلته الرسالة الأولى من رشيد تلاها على الجماهير ، وطلب منهم سرعة العمل لنجدة المدينة فاستجاب له الأهالى فى حماس رائع حتى باعوا حاجياتهم الضرورية ليشتروا بسننها أسلحة ، وكانوا يجمعون التبرعات من بعضهم للإنفاق على فقراء هذه الحملة الشعبية ، وتطوع للقتال أبناء الاقطار الشقيقة ومن أشهرهم أحمد التجارى وشقيقه سلامة النجارى ، وكانا من تجار مكة وقد جمعا حملة مؤلفة من مائة من البدو والمغاربة وتعدوا بتسليحها والإنفاق عليها ، كما قاما بتقديم المعونة لغيرهما من المتطهرين واشتركا بنفسيهما فى معركة التحرير . وهب أهالى البحيرة والبلاد المجاورة لرشيد لقتال الانجليز ، فكانت هذه التعبئة الشعبية مظهراً جليلاً من مظاهر التضامن القومى الرائع الذى أدى إلى اندحار الانجليز فى معركة الحماة .

يقول مؤرخ مصر الجبرتي وصفا لحوادث معركة الحماة فى ٢٩ إبريل وكان معاصراً لها .

« ولما وصل المتطوعون إلى متاريس الانكليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم وصدقوا فى الحملة عليهم وألقوا أنفسهم فى التيران ولم يبالوا برميهم وهجموا عليهم واختلطوا بهم وأدهشهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم فألقوا سلاحهم وطلبوا الأمان . » وبذا انتصر الشعب للمرة الثانية ، وكانت خسائر الانجليز فادحة هذه المرة ، إذ بلغت حوالى التسعمائة ما بين قتلى وأسرى ، هذا عدا الجرحى .

جلاء الانجليز :

سقطت هيبة الانجليز بعد معركة الحناد ، وضاع أملهم في احتلال البلاد بعد الهزائم الساحقة التي لحقتهم ، وحاول الجنرال فريزر أن يجمع حوله المماليك وأن يستغفرهم للقتال مرة أخرى ؛ إلا أن حماس الأهالي ووطنيتهم قد قطعاً كل أمل على المماليك في مساعدة الانجليز فلم ير الجنرال فريزر بدأ من المفاوضة في الجلاء عن الاسكندرية ، وسافر محمد علي باشا إلى دمنهور ليقطف ثمرة هذا الانتصار الشعبي ، وهناك أبرم الطرفان معاهدة ١٠ رجب سنة ١٢٢٢ (١٤ سبتمبر عام ١٨٠٧) التي تقضى بجلاء الانجليز في مدى عشرة أيام من توقيع المعاهدة مع تسليمهم أسرارهم وجراحهم وفي يوم ١٦ رجب (١٩ سبتمبر) تم جلاء الانجليز عن الاسكندرية .

ولا يسعنا هنا إلا أن نقول : إن مصر التي قهرت الانجليز عام ١٨٠٧ ، هي مصر الآن مع فروق واسعة في التعداد والاستعداد والإمكانات ؛ فبينما نجد أن تعدادها في المرة الأولى حوالى ثلاثة ملايين نجده الآن حوالى اثنين وعشرين مليوناً لا تقصم شجاعة أبطال رشيد ، وقد خاض الشعب المعركة عام ١٢٢٢ (١٨٠٧) دون استعداد وانتصر فيها ، ولكنه الآن على تمام الالهة لمواجهة الانجليز ، وقد واجه الانجليز الشعب بمفرده عام ١٨٠٧ ، ولكنهم الآن يواجهونه مع الحكومة والجيش متضامين ؛ فإذا كان النصر حليفنا في المعركة الأولى ، فهو محقق في معركة اليوم بإذن الله تعالى ٩

أحمد عز الدين عبد الله خلف الله

المدرس بمعهد دسوق

(المجلة) إن المصدر الأول لهذه الأحداث هو تاريخ الجبرتي ، وإن الأشهر والسنين المذكورة فيه هي اللائقة بالأزهر وأهله وسائر المسلمين . وقلم تحرير المجلة هو الذي يقوم في كل المقالات الواردة من حضرة الكاتب بتحويلها عن التاريخ الاجنبي إلى التاريخ الهجرى . فاعل الكاتب يكفينا هذه المؤونة مشكوراً فيما يقوم بكتابتها بعد .

أسرار الشريعة

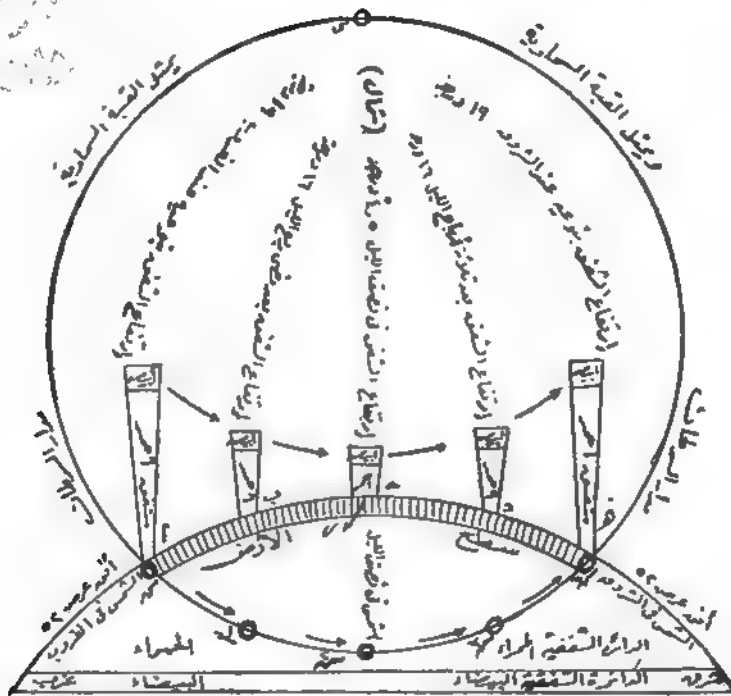
واعتماد الحساب الفلكي لأوقات الصلوات الخمس

كان موضوع مقالنا السابق في جزء وربع الآخر ، اعتماد الحساب التحقيقي لتحديد أوقات الصلوات الخمس عند جميع المحققين من الفقهاء ، ودأ على من عمد إلى قياس الظل لوقتي صلاة الظهر والعصر ، غير معتمد لحساب النتائج السنوية ، بعد اطلاعه على كلمة ابن دقيق العيد ، لا تجوز الصلاة على الحساب ...

وقد امتد كلامنا معه في هذه المناظرة إلى حكم البلاد التي يدوم فيها الشفق ظاهراً طول الليل فوق الأفق ، فتتصل حصّة المغرب بحصّة الصبح ، وتسقط علامة حصّة العشاء من بينهما .

ولما كان شرح هذه الظاهرة في حاجة إلى بيان أكثر ورسوم مختلفة الطرق ، أرجو أن تنسح صفحات المجلة لعرض الوجهين الآتين ، حتى تنطبع لهذه الظاهرة عند القارئ صورة قريبة من الحقيقة ، يمكنه أن يركز عليها تفكيره عند الاعتبار بخلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، جزاكم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين ...

الوجه الأول : في ٢١ يونيو من كل سنة حينما ينطبق مدار الشمس اليومي على مدار السرطان ، وإذا وقف إنسان يرقب السماء في إحدى البلاد الآتية (موسكو - ليننجراد - برلين - لندن - أكسفورد - دوفر - بروكسل - دنكرك - كاليه - هافر - أمستردام - كوبنهاج - وجميع بلاد البلجيك وهولاندا والدانماركا) إلى غير ذلك من كل بلد يبعد عن خط الاستواء بأكثر من (٤٩) درجة إلى (٩٦) درجة ، وكان هذا الراصد في فضاء متسع وليس حوله ما يمنع بصره من الامتداد كالموضع (س) في الرسم رقم (١) الذي يمثل العرض (٥٢) المتوسط للبلاد المتقدمة ، يترأى له :



الرسم رقم (١)

• أولاً ، أن الأرض مبسوطة تحت قدميه وممتدة إلى أن تلاقى السماء ، القبة الزرقاء ، من كل جهة ، بحيث يكون تلاقيهما دائرة محددة لنظرة ومساوية الأبعاد بالجهة إليه تسمى (الافق الظاهري) عند علماء الفلك العام ، ويسميه الفلكيون الشرعيون (الافق الشرعي) إذ تتعلق به أحكام تحديد الاوقات الشرعية للصلاة والصوم والحج وغير ذلك . .

• ثانياً ، إذا استقبل هذا الراصد محل غروب الشمس بعد اختفائها في الافق يرى أن الضوء المنتشر فوقه غرباً لا يزيد ارتفاعه عن (١٩) درجة رأسية ، وهو المسمى بالصفق بنوعيه ، الاحمر والابيض . . .

ثالثاً — يرى أن هذا الشفق يتناقص ارتفاعه تدريجياً بمضى الوقت كلما زاد انخفاض الشمس عن الافق ، كما يراه منتقلاً من محل غروب الشمس نقطة (١) في الرسم إلى جهة الشمال (٢)

لسيره حيثنذ يازاه الشمس إلى أن تصل غاية انخفاضها (ش^١) في منتصف ليل هذه
الامكنة فيبلغ الشفق أيضاً نقطة (ح) وهي الشمال نسا كما يبلغ أقصر أطواله بحيث لا يقل
ارتفاعه حيثنذ عن (٤٥ درجة) رأسية ...

إذ أن غاية انخفاض الشمس تحت الأفق في نصف ليل هذا اليوم وفي ذلك البلد لا يزيد
عن (١٤٥) درجة ، وهو باقي طرح (٥٢) عرض البلد من متم الميل المساوي
(٩٠ - ٢٣٥ = ٦٦٥) الذي هو أول حدود المنطقة المنجمدة الشمالية ، إذ أن
(٦٦٥ - ٥٢ = ١٤٥) فيبقى فوق الأفق (١٩ - ١٤٥ = ٤٥) درجة ،
والمفروض في الشفق أنه لا يتم غيابه إلا بعد انخفاض الشمس بقدر (١٩) درجة رأسية ،
وهو مقدار ارتفاع الشفق فوق الأفق وقت غروب الشمس مباشرة كما هو موضح في الرسم
رقم (١) ...

ثم بعد منتصف الليل تأخذ الشمس في التحرك من نقطة (ش^١) مرتفعة بالثاني
ومتجهة نحو الأفق الشرقي فيسير الشفق يازائها أيضاً حول الأفق من نقطة (ح) نحو الشرق
(هـ) آخذاً في الاستطالة بالثاني إلى أن تبلغ الشمس مكان شروقها (ش^١) ، وحينئذ
يكون الشفق قد بلغ فوق الأفق أكثر أطواله (١٩) درجة رأسية كما كان وقت غروب
الشمس .

ومن ذلك يعلم أن علامة وقت العشاء قد انعدمت هذا اليوم في تلك البلاد ، إذ أن شفق
حصة المغرب قد اتصل بشفق حصة الصبح مباشرة وهو الفجر ، دون اختفاء في الأفق الذي
هو علامة حصة العشاء .

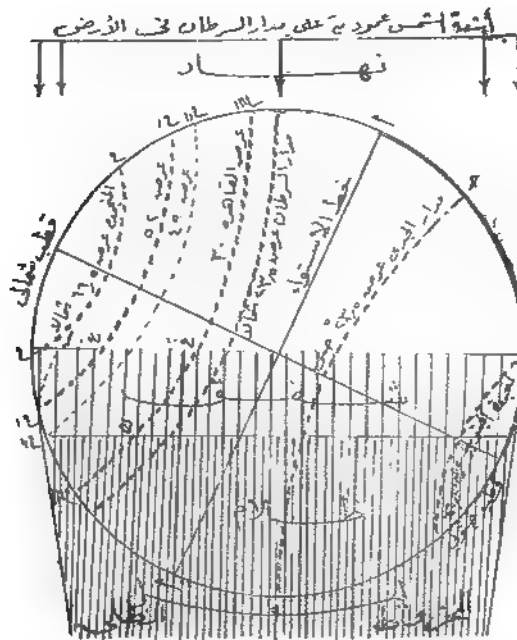
مع العلم بأن علامات الأوقات غير العشاء لاتعتمد أصلاً في هذه البلاد ، أعني المنحصرة
عروضها بين (٤٩) و (٦٦٥) في أي يوم طول السنة ...

وأما البلاد التي يبلغ عرضها (٦٦٥) درجة فأكثر ، وهي بلاد المنطقة المنجمدة ،
كجزيرتي (إيسلندا وجرينلندا) وشمال سيبيريا ، ففي أوائل الصيف تنعدم فيها علامات
الأوقات الثلاثة (المغرب والعشاء والصبح) ، إذ يدوم النهار فيها مقدار جملة أيام معتدلة
دون ليل حيث لا غروب ولا شروق .

وفي أوائل الشتاء تنعدم فيها علامتا الظهر والعصر ، إذ يدوم الليل فيها جملة أيام كما سبق شرحه في مقال ربيع الآخر .

الوجه الثاني : قد عرضنا البيان الوصفي على القراء في الوجه الأول حسب ظواهر الحركة اليومية لنفس الشمس وسائر الكواكب السماوية ، وسنعرضه في الوجه الثاني على طريقة الحركة الحقيقية للأرض حول نفسها يوميا وحول الشمس سنوياً . وها هو البيان :

إذا تصورنا أن الكرة الأرضية في الرسم رقم (٢) تدور حول نفسها أمام الشمس مرة في كل (٢٤ ساعة) ويسمى دورانها هذا بالحركة اليومية كما تدور حول الشمس مرة في كل سنة ، ويسمى دورانها هذا : بالحركة السنوية ، وأنها بسبب حركتها اليومية يستدير وجهها المقابل للشمس وهو النهار ، وتتحذف مخروطا ظلها بقطب وجهها المضاد وهو الليل ، ثم يتعاقب الليل والنهار لتقلبها أمام أشعة الشمس في هذه الحركة . . .



الرسم رقم (٢)

وأنها بسبب هذه الحركة والحركة السنوية ، ترسم أشعة الشمس العمودية خط استوائها الجغرافي يومى (٢١ مارس وسبتمبر) في تساوى الليل والنهار فى جميع بقاع الأرض ، ثم تميل أشعة الشمس العمودية عن خط الاستواء يوما بعد يوم إلى أن يبلغ الميل أعظمه فى يومى (٢١ ديسمبر ويونيه) فترسم فى اليوم الأول مدار الجدى جنوبا ، وفى الثانى مدار السرطان شمالا ...

إذا تصورنا كل هذا وتأملنا فى الرسم رقم (٢) الذى وقعت فيه أشعة الشمس عمودية على مدار السرطان فى ٢١ يونيه نرى ، أولا ، أن البلاد التى عرضها (٤٩) فأكثر إلى (٦٦.٥) قد دخلت عند الغروب فى المخروط الظلى الذى تحدقه الأرض فى الجهة المضادة لمقابلة الشمس ، إلا أنها لا تدخل فى عتمة المخروط الظلى (الظلام الحالك) بل تبقى متحركة فى منطقة الشفق إلى منتصف الليل ثم تنجس بعده نحو ضياء الشمس بالثانى إلى أن تخرج من منطقة الشفق فتشرق الشمس عليها ...

ومعنى هذا أن الشفق لم يغب ولم يغرب عن هذا البلد بعد غروب الشمس ، بل انفصل شفق المغرب بشفق الصبح ، وبقي ظاهرا على الأفق طول الليل حتى أشرقت الشمس وطلع النهار ، ولم توجد علامة وقت العشاء فى هذه الليلة ...

وقد ظهر فى الرسم عند نقطة (غ) فى عرض (٥٢) كيف تدخل البلد بحركة الأرض اليومية فى منطقة الشفق ، ثم تأخذ عائدة بعد غاية انخفاضها (م) فى المنطقة الشفقية (نصف الليل) فترتفع نحو النهار إلى أن تصل نقطة (ش) وهو معنى شروق الشمس عليها وطلوع النهار دون دخول البلد فى منطقة الظلام الحالك ...

وهذا الرسم كما تراه وإن لم يمكن أن يتبين فيه ظاهرة حركة الشفق حول أفق هذه البلاد من محل غروب الشمس إلى الشمال فى نصف الليل ثم إلى محل الشروق كما فى رسم الوجه الأول ، إلا أنه من جهة أخرى يتبين فيه كيف تدخل جميع بلاد الكرة الأرضية فى منطقة الشفق يوم (٢١ يونيه) من كل سنة ، وكيف أن البلاد التى عرضها أكثر من (٤٩) درجة وأقل من (٦٦.٥) شمالا لا تغادر هذه المنطقة طول الليل من الغروب إلى الشروق فلا تغيب عنها ولا تدخل منطقة غسق الليل والظلام الحالك ، وهو معنى عدم غروب الشفق وانعدام حصة العشاء ...

كما يتبين في هذا الرسم أيضاً أن البلاد التي عرضها أقل من (٤٩) درجة شمالاً كالقاهرة في عرض (٣٠) كيف تغيب عن ضياء الشمس أعنى عن النهار فتدخل منطقة الشفق عند نقطة (غ) متحركة إلى أن تصل نقطة (ك) في غاية منطقة الشفق ، إذ تغيب عندها عن الشفق وتدخل في منطقة غسق الليل وظلامه الحالك ، وهو معنى غروب الشفق في القاهرة وانتهاء حصة المغرب وابتداء حصة صلاة العشاء .

ثم تسير أى القاهرة في منطقة الغسق والظلام الحالك إلى أن تصل غاية انخفاضها فيه وقت نصف الليل عند (م) في الرسم ثم تواصل حركتها حائدة نحو المنطقة الشفقية فتدخلها بالثاني ، وذلك هو الفجر الصادق ، فتبدأ حصة صلاة الصبح فيها كما يبدأ النهار الشرعى إلى أن تصل ضياء الشمس المباشر ، وهو معنى شروق الشمس وانتهاء حصة صلاة الصبح وابتداء النهار بالعرف العام .

كما يتبين في هذا الرسم أيضاً كيف أن جميع البلاد الواقعة جنوب خط الاستواء في هذا اليوم (٢١ يونيه) تدخل منطقة الشفق بعد غروب الشمس عنها ، وكيف تغيب عن الشفق وتدخل غسق الليل إلى نصف الليل ، ثم رجوعها إلى منطقة الشفق وهو الفجر إلى خروجها منه وهو النهار . وذلك معنى غروب الشفق وشروقه وهما علامتا ابتداء وانتهاء حصة العشاء فلا انعدام لها في هذه البلاد .

ولا يفوتنا أن ننبه القراء إلى أن هذا الرسم قد تبين فيه أيضاً أن جميع بلاد المنطقة المنجمدة الجنوبية وإن لم تنعدم فيها علامة حصة العشاء في هذا اليوم وكذا علامتا حصتي المغرب والصبح إلا أنه قد انعدم فيها علامتا حصتي صلاتي الظهر والعصر ، إذ أن هذه البلاد في هذا اليوم لا تغادر في حركتها منطقتي الشفق والغسق (الظلام الحالك) إلى غيرهما .

فتبدأ يومها بدخول منطقة الشفق وهو علامة حصة المغرب ثم تخرج منها إلى منطقة الغسق والظلام الحالك وهو علامة حصة العشاء ثم تعود إلى منطقة الشفق وهو الفجر وعلامة حصة الصبح ، وبذا ينتهى اليوم الذى هو مقدار ال (٢٤) ساعة دون أن يوجد لهذا اليوم نهار ، فلا زوال ولا بلوغ لظل الشيء مثله أو مثليه ، وهو معنى انعدام علامتى حصتى صلاة الظهر والعصر ..

كما لا يفوتنا التنبيه إلى أن هذا الرسم قد تبين فيه أيضاً كيف أن جميع البلاد الواقعة

في المنطقة المنجمدة الشمالية أعنى التي عرضها (٦٦.٥) فأكثر شمالاً في هذا اليوم - لا تبارح منطقة ضياء الشمس وهو النهار ، فلا تدخل منطقة الشفق ولا غسق الليل ، فلا غروب ولا شروق للشمس ولا للشفق ، وعليه فتعدم علامات المغرب والعشاء والصبح معاً ، ولا يوجد فيها إلا علامتا الظهر والعصر ، وهما الزوال وبلوغ ظل الشيء مثله أو مثليه ، مع ملاحظة أنهما يحصلان مرتين في هذا اليوم فيكون ظل الزوال الأول شمال الشاخص والثاني جنوبه ، فزوال الظهر يتميز بأنه الواقع جنوب مدار الشمس في السماء ، وظله يقع شمال الشاخص ، وعلامة العصر هي التي تلي هذا الزوال . وأما الزوال الذي يحصل شمال المدار ويقع ظله جنوب الشاخص فيمثل نصف الليل في اليوم المعتدل ، وما يلي هذا الزوال من بلوغ ظل الشيء مثله أو مثليه غير ظل الزوال فيمثل مضي معظم الليل أعنى ثلاثة أرباعه تقريباً لليوم المعتدل وهكذا . .

ولذا قلنا إنه يمكن بسهولة أن يقسم أهل هذه البلاد هذا النهار إلى حصص أوقات الصلوات الخمس ، بواسطة دورة الشمس في السماء ، ومساعدة الساعات المضبوطة على المزاول ، أو قياس الظل حسب حصص الأيام المعتدلة أى التي يستوى فيها الليل والنهار كما قال محققو الفقهاء ، دون أى حرج في الدين خلافاً لما توهمه البعض ، ما دامت عوامل التقدير الذي أمرنا به موجودة معلومة ، ومن لا يعلمها يسأل من يعلمها (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فأحكام الشريعة الإسلامية كما تراها نيرة بيضاء ، وقواعدها سهلة سمجة صالحة للعمل بها في كل زمان ومكان حتى في أطراف المعمورة من الاقطار القطبية وغيرها كقول الرسول ﷺ : (بعثت بالحنيفية السمحة) وقوله : « قد تركنكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » ومن يمش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بما عرفتم من سنتي » والله الموفق .

محمد أبو العواصم

مدرس الفلك بالأزهر

ومن علمائه

غزوة أُحُد

معنى عام على هزيمة قريش في غزوة بدر الكبرى ، وكان هذا العام أشبه بالهدنة المؤقتة التي لا يلبث بعدها الفريقان أن يلتقيا .

وكانت دموع قريش لما تحف على قتلها الاشراف في بدر . وبلغت روح الانتقام والتأر أعلا درجاتها ، وهكذا حانت الساعة الفاصلة بين عهد الهدنة وعهد القتال .

وكانت غير قريش موقوفة بدار الندوة ، لا يفيد أربابها منها شيئا .

وفي ليلة من الليالي عقدت قريش مؤتمرا حضره كثير من أشرافها ، منهم عبدالله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، وكل من كان له تجارة في تلك العير ، وكان أبو سفيان بن حرب كبير الحاضرين ، فاتفقوا على أن يبيعوا العير ، وأن يؤخذ ربحها فيجهز به جيش قوى لقتال محمد ، فبلغ هذا الربح خمسين ألف دينار .

واستغفرت قريش القبائل لتشتبك معهم في القتال ، فانضمت قبيلتنا كنانة وبنو تميم ، وكذلك اتفقت قريش على أن يأخذوا نساءهم معهم حتى يدفع عنهم على القتال ، ويدكرهم بالبكاء والويل بما كان في بدر ، فيزيد والتأثر طلبا ، وعلى القتال إقداما . فخرج من نساء قريش في هذه الغزوة خمس عشرة امرأة مع أزواجهن ، وعلى رأسهن هند زوج أبي سفيان وكانت أشدهن شوقا للدماء والتأر .

خروج قريش :

وفي اليوم الخامس من شوال في السنة الثالثة من الهجرة ، خرجت قريش من مكة وكان عددهم ٣٠٠٠ رجل ، ٢٠٠ فارس ، ٧٠٠ جندي مدرع ، ٣٠٠٠ بعير .

وخرج معهم أبو عامر الراهب ، ومعه سيمون فارسا من الأوس .

وكذلك تجهزت قريش بالكثير من العدة والسلاح ، وأخذوا معهم القيان والدفوف والمعازف والخنور ، ولما اكتمل لهم ذلك خرجوا ، وكان قائدهم أبو سفيان ، فسار بهم

حتى نزلوا بيطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة ، وكان وصولهم يوم الأربعاء ١٢ شوال ، وبينهم وبين المدينة خمسة أميال .

العباس يبلغ النبي ﷺ :

نهياً للعباس - وكان بين المجتمعين في المؤتمر - أن يقف على كل ما اتفقوا عليه ، فلما أرفض الاجتماع ، أسرع فأرسل رجلاً من بني غنار برسالة محتومة للرسول ﷺ واشترط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ، حتى يصلها قبل قريش بوقت كاف ، ففعل ذلك ، ووجد النبي ﷺ بقاء على باب المسجد بهم بالخروج ، فدفع إليه الكتاب ، فقرأ عليه أبي بن كعب ، فاستكنمه الرسول ﷺ ما فيه وعاد إلى المدينة .

بعث أنسا ومؤنساً ابني فضالة يتعرفان أخبار قريش ، فوجداها قد قاربت المدينة ، وأطلقت خيلها وإبلها ترمي ما يحيط بها من زرع يثرب ، ثم بعث الحباب بن المنذر لجأه بالذي أخبر به العباس .

ثم ذهب سلمة بن سلامة فوجد طليعة خيل قريش على وشك الدخول إلى المدينة ، فأرجس المسلمون بما بينت قريش ، ولكنهم فعلوا ما استطاعوا من وسائل الحذر والحيلة حتى يطلع الصبح .

فأخذ كبار المسلمين من أهل المدينة أسلحتهم ، وباتوا في المسجد حراساً للنبي ﷺ وبات سائر المسلمين يحرسون المدينة طول الليل .

ولما كان الصبح جمع النبي ﷺ أهل الرأي من المسلمين ومن النظاميين بالإسلام ، الذين سمعوا القرآن بالمناقضين يتشاورون في الأمر ، فانقسموا فريقين :
الرأي الأول - البقاء في المدينة :

كان النبي ﷺ يرى البقاء في المدينة للدفاع عنها ، فقال : : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها .

فكان مع النبي ﷺ في رأيه عبدالله بن أبي بن سلول ، فقال : : لقد كنا يا رسول الله نقاتل فيها ونجعل الفساء والأطفال في هذه الصياصي ، ونجعل معهم الحجارة ، ونشبك المدينة بالبنيان ، فتكون كالحصن من كل ناحية . فإذا أقبل العدو رمته الفسوة والأطفال

بالحجارة ، وقتلناه بأسياقتنا في السلك . إن مدينتنا يارسول الله عذراء ما فضت علينا قط ، وما دخل علينا عدو فيها إلا أصبناه ، وما خرجنا إلى عدو قط منها إلا أصاب منا . فدعهم يارسول الله وأطعن في هذا الأمر ، فإنني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم .

الرأي الثاني - الخروج لقتال قريش عند أحد :

ولكن المصلين الذين فاتهم بدر ، وبعض أبطال بدر الذين ذاقوا حلاوة النصر ، تحمسوا ورأوا ضرورة الخروج خشية أن ترميم قريش بالجبن .

قال قائل منهم : « يارسول الله ، إننا كنا نتمنى هذا اليوم ، فخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جنبنا عنهم ، وقال آخر : « إن لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها فيقولون حصرنا عمدا في صياصي يثرب وأطامها ، فنكون هذه بجرة لقريش . وهام هؤلاء قد وطنوا سعفنا فإذا لم نذب عن حوضنا لم يزرع ، وإن قريشا قد مكثت حولنا تجمع الجوع ، وتستجلب العرب من بواديها ومن تبعها من أحابيشها ، ثم جاءونا قد قادوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، حتى نزلوا بساحتنا ، أفيجلسوننا في بيوتنا وصياصينا ، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا ١٢٩ لئن فعلنا لآزددوا جرأة ، ولشنوا الغارات علينا ، وأصابوا من أطرافنا ، ووضعوا العيون والأرصاد على مدينتنا ، ثم لقطعوا الطريق علينا » .

وقال حمزة عم النبي صلوات الله عليه ، وسعد بن عباد ، والنعمان بن مالك ، وطائفة من الانصار : « يارسول الله إننا نخشى أن يظن عدونا أننا كرهنا الخروج جنبنا عن لغاتهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا . وزاد حمزة « والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما ، حتى أجالدهم بسبني خارج المدينة » .

وقال النعمان : « يارسول الله ، لا تحرمنا الجنة فوالذي نفسي بيده لادخلنها » . وتعاقب القائلون بالخروج ولكل كلمة ، وأجمعوا على أنهم إذا ظفروا بعدوم فذلك ما كانوا يرغبون إذ سيلقون ما وعدم رجهم ورسوله ؛ وإذا هم انهزموا فهم شهداء ، مصيرهم إلى جنة عرضها السموات والأرض ، وبذلك رجحت أمام النبي ﷺ كفة الداعين إلى الخروج . وإذا نحن قارنا بين الرأيين اللذين انقسم اليهما المسلمون من وجهة النظر العسكرية :

(١) الرأي الأول : البقاء في المدينة .

(٢) والرأي الآخر : الخروج لقتال قريش عند أحد .

وجدنا أن الرأي الأول - وهو الرأي الذي كان رسول الله ﷺ يراه كان أحسن الرأيين ، وأفضل الحلين .

فلقد أثبتت الحروب الحديثة صدق النظرية القائلة بأن القتال في المدن من أشق أنواع القتال ، وأن مهمة المهاجم للندن أشق من مهمة المدافع عنها ، ولذلك يلجأ قادة الحروب إلى تجنب القتال في المدن طالما استطاعوا ذلك .

ولعلنا نذكر دفاع الروس المجيد في مدينتهم العظيمة ستالينجراد خلال الحرب العالمية الثانية ضد زحف جيوش هتلر .

فلقد أخذت جيوش الروس تتقهقر أمام تقدم الألمان ، وفقدت روسيا نتيجة لهذا التقهقر مساحات هائلة من أراضيها ، حتى إذا بلغت ستالينجراد التي كان الروس يعرفونها تماما ، ويعرفون كيف يدافعون عنها ، وقف زحف الألمان عندها نهائياً .

فقد كان الروس يدافعون عن هذه المدينة الهائلة دفاعاً لم يسبق له مثيل ، وجرت معارك بل مجازر في شوارعها وفي بيوتها ، بل وفي كل غرفة من غرفها ، حتى وجد الألمان أن الاستيلاء عليها أمر مستحيل ، فارتدوا عنها ، وبذلك أصبحت مدينة ستالينجراد نقطة تحول في تاريخ الحرب العالمية الثانية .

كانت إذن فرصة نجاح المسلمين في الدفاع عن المدينة أدنى لهم من الخروج لمقابلة قريش عند أحد .

هذا بالضبط ما عناه عبد الله بن أبي بن سلول حين قال مؤيداً رأي البقاء في المدينة ، لقد كتبنا يا رسول الله تقاتل فيها ... إلخ .

ولقد كان رأي عبد الله هذا مستمداً من تاريخ المدينة وتجارب أهلها ، فراه يقول : فإن ورنث هذا من أكابر قومي وأمل الرأي منهم .

• يتبع •

محمد جمال الدين محفوظ

المؤلفة قلوبهم في جنوب السودان تبرع من الحجاز بخمسين جنيها

نشرنا في الجزء الماضي من مجلة الأزهر الحقائق التي حملها إلينا من جنوب السودان حضرة السيد محمد جمال الدين محفوظ عن نشاط (جمعية المؤلفة قلوبهم - في ملكال) في الدعوة إلى دين الله ، وقيامها بإيواء وكسوة وإطعام الذين يدخلون في الإسلام حديثا ، وأنها اشترت قطعة أرض لذلك وهي مضطرة إلى مباشرة بنائها قبل نهاية هذا العام .

وما كاد الجزء الماضي من مجلة الأزهر يصل إلى الحجاز حتى أخذت الأريحية الإسلامية حضرتي الوجيهين الكريمين الحاج يوسف زينل على رضا ، والعالم السافي الجليل الشيخ محمد نصيف ، فتبرعا لهذا العمل الإسلامي المشكور بخمسين جنيها مصريا بعناهما تحويلا من جدة على البنك العربي في القاهرة باسم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، فتقبل ذلك فضيلته بقبول حسن ، وأرسل إلى كل منهما رسالة شكر خاصة ، طالبا من الله عز وجل أن يجعلهما قدوة لخاصة المسلمين وعامةهم ، في التعاون على البر والتقوى .

إن الاستعمار يتعاون مع جماعات التبشير في جنوب السودان على استئالة القبائل في تلك الانحاء لأغراض سياسية لانتخفي على أحد ، وقد أقاموا لذلك مرا كز لانتخفي جعلوا منها شبكة منسقة موزعة جغرافياً في أنحاء الجنوب ، وقد تمكن المسلمون من تكوين (جمعية المؤلفة قلوبهم - في ملكال) أداء لبعض الواجب ، وقد شاهد السيد محمد جمال الدين محفوظ الحالة بنفسه ووصفها لإخوانه المسلمين فيما نشرناه له في الجزء الماضي ، وكانت جمعية المؤلفة قلوبهم برئاسة الشيخ على عبد الرحمن الذي أصبح الآن وزير العدل في الوزارة السودانية فانتقلت هذه الأمانة من يده إلى بعثة الأزهر هناك ، وتولى رئاسة الجمعية من العام الماضي فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز أحمد عيسى .

ونحن نهيئ بإخواننا المسلمين أن يساهموا في هذا الخير بما يستطيعونه لإقامة هذا البناء للدعوة الإسلامية في هذه المنطقة البكر التي إذا غفلنا عنها أحاط بها ذئاب الاستعمار وأعوانهم ، وحبذا لو حقق أساندة الأزهر وطلابه اقتراح السيد محمد جمال الدين محفوظ بالاشتراك الشهرية بين قرشين إلى عشرة قروش في الشهر مع دعوة أهل الخير من سائر المسلمين إلى المساهمة في هذا الخير حتى تتمكن (جمعية المؤلفة قلوبهم) من توسيع نطاق عملها . والله يتولى جزاء المحسنين

(التحرير)



تعليقات

١ - السينما وما تقدمه للشرق الاسلامي

السينما أداة كالسلاح ، تكون أداة خير إذا استعملت للخير ، كما يستعمل السلاح في ميادين الجهاد ، وتكون أداة شر إذا استعملت للشر ، كما يستعمل السلاح للسلو وقطع الطريق وارتكاب الجرائم .

وقد بلغ من سوء حظ هذا الشرق الإسلامي أن السينما قام بها - في الأكثر - أناس أرادوا بها التجارة والكسب ، فاستغلوا شهوة الجماهير وعامة الناس فيما يرتاحون إليه من مشاهد الغرام واللهو والمتعة ، ومناظر التقييل والإغراء وفهوات الجسد ، إلى أن أصبح ذلك كله مألوفا للناس بعد أن كان مستهجنًا قبل نحو عشرين سنة فقط ، وأسرفوا في عرض أفلام الجرائم والسرقات والسطو ، حتى أصبحت السينما مدرسة لذلك تخرج فيها كل من يطارد المبوليس من أصحاب السوابق ومرتكبي مختلف الجرائم ، بما تقرأ أخباره يوميا في الصحف .

وبعد أن صار هذا وذاك من الأمور العادية في عالم السينما ، شرعوا الآن في فتح باب جديد وهو اللعب بالآديان ، والتفكير في إظهار الانبياء على الشاشة البيضاء ، والتعبد لذلك باستفتاءات وتعليقات في الصحف والمجلات . والذين يفتونهم يجيبون بقولهم : « لن نمعز كتابنا عن القيام بهذه المهمة الجليلة » ، أو بقولهم : « أتيسوا الفرصة للكتاب » ، أو بقولهم : « ارمزوا لصورة النبي من بعيد » ، أو بقولهم : « ظهور الانبياء على الشاشة البيضاء مسألة شائكة » ، وآخرون يتحرصون بأن شركة سينمائية جديدة ستقدم سيناريو فيلم يمثل حياة الحسين . ومن العجيب أن الذي قيل إنه كتب قصة حياة الحسين للسينما هو الذي نشر كتاباً عن سيدنا علي في أربعة أجزاء شغنها بالمطاعن في أصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما الصحابي الذي كان سبب إسلام مصر - عمرو بن العاص - وله من الله نصيب في ثواب إيمان كل مؤمن في مصر من أربعة عشر قرناً إلى الآن . كل ذلك لأنهم وجدوا لهذه البضاعة رواجاً في بعض

الجهات التي ارتضى أهلها أن يكون في قلوبهم غل للذين آمنوا في الصدر الأول ، وقام الإسلام على أكتافهم .

إن جريمة السينما فيما تستعد الآن للإقدام عليه من أمور الدين وأنياته ورجاله الأولين ، مستكون أفدح مما تم على يدها حتى الآن من تهوين أمر العفة والفضائل والأعراض ، وأفدح مما لفته للجهلة والرعا من دروس الإجماع والبنى والسطو . وإذا كان ما تم على يدها فيما مضى قد تم في عهد الاستعمار والفحش ، فمن الواجب أن يوضع حد أمامها لمنعها من الانتقال في عهد الاستقامة والتطهير إلى العبث بالدين ، والتعرض لما لا يفهمونه من سيرة حملة الأديان ومؤسسيها ودعاتها الأولين .

لا يوجد في رجال السينما ولا فيمن يؤلف لهم من يدرك أهداف الأديان أو يؤمن برسالة أصحابها ، ثم يرتضى أن يزج بنفسه وبالناس في هذه المأزق الشائكة ، ومن الخير لهم وللأمة أن يتعدوا عن هذا الميدان ، وكفاهم ما قدموه إلى الآن لأوطانهم مما رأينا ثمراته في المجتمع ، وهي الثرات التي زخرت الصحف اليومية بحوادثها ، مما لم يكن لمصر هدى بمثله من قبل . و قد الأمر من قبل ومن بعد .

(المجلة)

٢ - الإسلام والأزهر

في مجلة سلاح الإشارة

صدر العدد الأخير من مجلة سلاح الإشارة مفتتحاً بقول الله عز وجل : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » . وقد لفت نظرنا فيه مقال عن الإسلام من حيث هو دين القوة ، وبما جاء فيه : « كان محمد ابن عبد الله وأصحابه الأحرار دهاة حرب ، يحكمون الخطه ، ويرسمون الاستراتيجية ، ويهيئون للنصر القريب ... وأين أنت من غزوة بدر ، ومعركة أحد ، وموقعة الخندق ، و صلح الحديبية ، وفتح مكة ؟ أين أنت من هذه المفاخر والابحار ؟ ثم هذا دينك يعلم المسلمين (صلاة الحرب) ويشرع لهم كيفيتها في قوله تعالى : « وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ، فإذا مجدوا فليكونوا من ورائكم . ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذركم وأسلحتهم » .. وهذا القرآن مزود بالبوارج

مشحون بالمدافع ، ملي بالطائرات ، زاخر بالقنابل وأساليب القتال .. فاقه تعالى يقول :
 « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .
 وبما جاء في هذا المقال : « والأزهر ... صاحب الزمن أكثر من ألف سنة ، وكان دائماً
 مصنع البطولات ، ومعمل الرجولات ، وكُم طارد الأعداء ، وألب الدنيا على المستعمر ،
 وقهر الغزاة المغيرين .. وكان علمائه أئمة في السلم ، وأئمة في الحرب . ولم يقف في وجه
 الفرنسيين ، ولم يلطم الانجليز ، ولم يلبب الشعور ، ولم يهيب الإحساس للثورة إلا عمالقة
 الأزهر ورجاله . ولن ينسى التاريخ أبداً الشرقاوى ، والمهسدى ، والسيد عمر مكرم ،
 وإخوانهم العلماء ... الخ

هذه نبذة موجزة من المقال . ومجلة الأزهر تشيد بهذه الروح الفتية التي تمتلئ في كاتب
 المقال ، بل تمتلئ في نشاط سلاح الإشارة ، ويسرها أن تقتن الفتوة العسكرية بالغيرة
 الدينية ، وأن يتعرف جيشنا المصرى بحجده الإسلامى ، ويعتز بتاريخه الموروث ، وأن يستمد
 قوته ونشاطه من تعاليم الإسلام ، فإن الإسلام نشأ لتجديد شباب الإنسانية ، وتوجيه
 الحياة الفردية والاجتماعية وجهة إصلاحية ، وتركيز الحضارة على أسس قويمه ، تكفل صيانتها
 من التصدع ، وتحفظ روعتها من شوائب المروق ، وأعاصير الزيغ .

وقد عاش الإسلام في قوته ودحا من الزمن ، ومع ما وقف في سبيل حضارته من
 معوقات ، فإن روحه لا تزال وستظل في أروع قوة ، ولا نرى الإسهاب في حديث يعتبر
 ترديداً لما هو راسخ في الأذهان ، وتشهد به معالم التاريخ . وجميل من الضابط الكاتب
 في مجلة سلاح الإشارة أن يوقظ الوعي العسكرى إلى هذه الملاح التاريخية الواقعية ، وجميل
 منه كذلك أن يذكر من مناقب الإسلام تشريعه لصلاة الحرب ، فإن ذلك تشريع يؤكد
 لأهل الدنيا جميعاً أنه دين الكفاح للإباطيل ، والدود عن الحى ، والسعى بالإنسانية إلى أوج
 كمالها في مضمار الحياة .

ولقد صدق الضابط الكاتب في تسميتها صلاة الحرب ، فذلك أوفق لحقيقتها من تسميتها
 عند مؤلفى الفقه (صلاة الخوف) ؛ فلو كان خوفاً لما شرعت له صلاة ، ولما كان أولى
 من الصلاة ولقاء العدو بالسلاح أن نستكين إلى المناور والكهوف ، لا أن نقف أمام العدو
 ونحن بين يدي الله في ركوع وسجود ، وكر على العدو ، وهجوم ومقاومة وغلب .
 وأخيراً نتعشم أن تكون للجيش في نهضته الجديدة عودة إلى دينه الحق ؛ ليكون من ذلك
 اليوم ما كان من مفاخره في صدر الإسلام .
 (المجلة)

٣ - الازهر فكرة اسلامية

كثّر حديث الناس في هذه الأيام عن الازهر والازهرين ، وتناولوه في كثير من المناسبات بألسن حداد ، وكلمات شداد ، تصوره أمام الناس بصورة المتخلف عن القافلة ، والمنقطع في الطريق .

ولكنني أحب لهم ألا يظلموا الازهر ، أو يحكموا عليه حكماً جائراً لا يستهدف الخير . وهؤلاء كان جديراً بهم أن يمتصدوا في تقدم ، حتى لا يقال فيهم :

غيري جنى وأنا المعذب فيكم فكأنني سبابة المتسدم

فأما أن يؤخذ البريء بالمذنب ، والمقيم بالظاعن ، والولي بالمولى ، فذلك سياسة من جاور ولم يعدل .

ولست أعرف العلة التي انبعثت من أجلها هؤلاء يصبحون ويحارون بالشكوى من الازهر ، كأنه اعترض طريقهم ، فصدّهم عن السبيل فهم لا يمتدون . أو كأنهم ضاقوا به ، وأحسوا أنه يرصدهم ، ويكشف أمرهم حين تطوع لهم نفوسهم أن يقتحموا صرح الفضيلة ، ويصلوا إلى ما يريدون .

وقد نسي هؤلاء أن العواصف التي تآمر على الازهر اصططحت عليه منذ القدم ، فهي لا تفتأ تناوئه الفينة بعد الفينة ، ولكنها تنحصر عنه دائماً كلية وكأنها لا شيء ، وما أسرع أن يمضي لها الازهر هامته الفارعة حتى تمر به ، ثم يرفع تلك الهامة شامخاً في كبر وسخرية .

لست أقول ذلك تعصباً للازهر ، فقد أكون أقل الازهرين تعصباً له ، ولكنني أقوله لأنه الحقيقة السافرة التي لا معدى لآي مخلوق عن أن يقولها ويعترف بها . إن الذي يظن أن الازهر مدرسة يخرج فيها الموظفون وطلاب الحاجات مخطيء كل الخطأ ، لأن الازهر لو كان كذلك لكانت حجته في بقاءه حجة واهية ، بل معدومة ؛ لأن مصر بحمد الله ، فيها

العدد الوفير من المدارس المدنية والدينية، وتستطيع أن تسد الحاجة للوظائف والموظفين .
وكأنى بكثير من الناس يتساملون في عجب بالغ : وما ذا يكون الأزهر إن لم يكن مدرسة ؟
إن الأزهر فكرة إسلامية يرنو إليه المسلمون من جميع أقطار الأرض ، وتشرّب إليه
نفوسهم ، وتظلمأ إليه أرواحهم ، يعرف ذلك ويلسه من أمكنته ظروفه أن يتصل بأى بلد
شرقي ، وقد لمست بنفسى هذا الحب وتلك اللفة في الحجاز والكويت والعراق ، وقد كنت
أحد مبعوثى الأزهر في الحجاز والكويت ، وكان معنا كثير من رجال وزارة المعارف
المصرية ، ومع ذلك فقد كان تطلع الناس إلى مبعوثى الأزهر ، وإلى السؤال عن الأزهر
أشد وأقوى من تطلعهم إلى غيرهم ، مما يؤكد أن المعنى المسائل في أذهان الناس هناك ،
الراسخ عندهم عن الأزهر أنه كما قلت فكرة وليس مدرسة ، وتربية خاصة وليس معبداً ،
وأحب أن أكون صريحاً أكثر فأقرر أن سياسة التعليم في مصر التى كان للمستعمر أثره
الواضح فيها قد حاولت جاهدة أن تجعل من الأزهر - وقد كان معنى كبيراً ملء القلوب
والأسماع - مدرسة صغيرة ذات برامج ومناهج يتخرج فيها الموظفون دون أن ينعموا
بالتربية الإسلامية الاستقلالية التى كان يعدم لها الأزهر في القديم ، وقد بلغ المستعمر من
ذلك مبلغاً عظيماً أو كاد .

فهل لى أن أدعو الأزهريين من كل قلبى أن يفهموا ما يحيط بهم ، وأن يتعمقوا
الاشياء ، ويتدبروا الأمور ، ويتكاشفوا حتى لا يتدافنوا ، وحتى تعود إليهم الثقة بأنفسهم
وأزهرهم ، قبل أن يكرهنا الزمن على شيء قد لانحبه ولا نرضاه . ألا قد بلغت ، اللهم فاشهد .

رياض هلال

المدرس في كلية اللغة العربية

مكتبة الطبعة

مقنطات

- ١ -

العبادات وتهذيب النفس

إن رسالة الإسلام الأولى ، هي تكوين الفرد الصالح الذى تتألف منه ومن أمثاله الأمة الصالحة الراشدة المستنيرة التى تعمل فى سبيل المثل العليا ، والمبادئ السامية .

والعبادات التى فرضها الله على عباده ، تهدف فى مجموعها إلى غاية واحدة . هي تهذيب النفس البشرية ، والسمو بها عن المستوى المادى البحت إلى مستوى أرق من ذلك وأسمى ؛ فنطبع الإنسان بطابع الخير ، ونغرس فيه مكارم الأخلاق ، وكریم الخصال . فالصلاة التى نصلها فى اليوم خمس مرات ، إنما هي صلة بالرب ، ومناجاة للخالق ؛ والنفس فى هذه اللحظة القدسية تستشعر العظمة الإلهية ، فتتطهر من صنوف الرذائل ، وشتى الشوائب ، ولقد ضرب لها رسول الله ﷺ المثل بقوله : « أرايتم لو أن نهرا يباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمساً ، ما تقول يبقى من درته ؟ » قالوا : لا يبقى من درته شيئاً . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بها الخطايا ، ولذلك يقول تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ويقول الرسول ﷺ : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » ، وفى رواية « لم يزد من الله إلا بعداً » .

والصوم وقاية من المفاسد ، وحفظ من الغر والفرث والحباثت كما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم « الصيام جنة فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجمل فإذا سابه أحد أو قاتله ، فليذل : (إني صائم ، وقال : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

والزكاة تركزى المسال وتنمية ، وتطهر النفس وتبرئها من أسقامها وأدوائها كالبلخل

والشح والطمع والاثرة وغيرها من العمل المودية بكل مروءة ، الفانكحة بكل خاق وكرامة فيقول تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها » .
والحج توبة ، وتجديد للنفس المسلة ، وتعويدها على الطاعة ، وتذكير بالساعة ،
وسبيل إلى التقوى (الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ؛ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) .

فإذا لم تؤد العبادات في المسلم هذه الثمرة ، ولم تصل معه إلى هذه النتيجة - وهي تهذيب النفس ، وظهور أثر هذا التهذيب على أخلاق المسلم وسلوكه - فما هي إذا إلا طقوس لا معنى لها تؤدى ، وأعمال جوفاء تباشر ، وفي هذا ورد عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له : يا رسول الله ، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال : هي في النار . قال : يا رسول الله ، فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها ، وأنها تصدق بالاثوار من الأقط - قطع الجبن - ولا تؤذى جيرانها . قال : هي في الجنة .

السيد رزق عبد الوهاب
بمجمع القاهرة

- ٢ -

لا إصلاح إلا بالاسلام

الجماعات البشرية تهدف دائماً إلى عالم أفضل ، وتسعى جاهدة لرفع مستواها في كافة ميادين الحياة ، وهي بذلك لا تفتأ دائبة على المضي إلى غايتها التي تحمل بها . وبغض النظر عن سلوك بعض الجماعات في نيل أوطارها وتحقيق أمانها ، فسييلها الهدف إلى عالم أفضل ، وإن كان بالنسبة لها دون اعتبار لسواها .

ونحن المسلمين عامة لا يسرنا هذا الوضع المبهين الذي وصلنا إليه ، لأن إسلامنا عزيز ، فلا بد أن نكون أعزاء ، ولأنه قوى ، فلا بد أن نكون أقوياء ، ولأنه يمتت العبودية للبشر فلا يليق بنا أن نكون أتباعاً لاية دولة استعمارية ، فذلك سلب لعقيدتنا قبل أن يكون سلباً لقوتنا ومكانتنا كجماعة تؤلف بينها وحدة المزرع والغاية واللسان ، وإذن فلا مناص لنا من أن نعص بالواجب على إسلامنا ، إن أردنا أن نرفع هاماتنا في شمع وإباء .

ومن المؤلم أننا اليوم نحاول ترقيع أنفسنا فنتنظر إلى الأمم نظرة الضعيف للقوى ، والمعدم للثرى ، فنمد أيدينا استجداء منهم ، ورغبة في السير على منوالهم ، وحبا جارفا في لبس لبوسهم وأنظمتهم . والإسلام وإن كان لا يحرم تبادل المنافع مع الأمم ، فإنه يحرم انسلاخنا من نظمهم ، لنجلس على مائدة الغير ، نجتمع الفئات وإن خلتنا أشهى المأكولات .

وجل من يعتقدون هذا الاعتقاد قد أسندت إليهم أزمة الأمور في العالم الإسلامى ، فهم حقا يريدون الخير ، ولكنهم يجهلون طريقه الصحيح ، وإذا نادى فيهم من يدعوهم إلى الأخذ من الإسلام اعتبروه جامد الفكر ، بطيء الإدراك ، وعقبة في سبيل الإصلاح .

إن بلادنا نجوس فيها شتى الأمراض ، وتسرى في دماغها الجراثيم . فالناحية الخلقية - وهى عماد الأمم - لا ترى فينا اليوم حياة نابضة ، وليس هناك ما يكفل لنا إقبالها من عثرتها سوى الإسلام ؛ لأن الاخلاق قد تضاعف على انحلالها قوى كثيرة كالصحافة والحياة والإذاعة ونظم التربية في مدارسنا . فإذا ما استرشدنا تعاليم الإسلام في هذه القوى كفلت لها أداء رسالتها على أحسن وجه وأشرف غاية ، فتساعد على إنشاء الجيل الذى يقدر الفضيلة ويؤمن على سلامة القافلة .

إن كل مشكلاتنا ناجمة عن تفریطنا في ديننا ، فنحن تناسينا الحقائق العليا التى عليها يشيد المجتمع السليم ، ولم نحاول تحكميم الإسلام في أمور السياسة والاقتصاد وشئون المجتمع المتباينة ؛ لجهلنا أولا ، وفرض رغبات المستعمر ثانيا ، وإهمال العلماء رسالتهم ثالثا . ومن جهة أخرى غالينا في القشور حتى خرجت على حدودها ، وصارت حجة علينا بأن الإسلام لا ينهض بالبشرية في مدارج الحضارة .

والآن وقد انجاب ظلام الطغيان ، نحاول تلمس السبل إلى المجد والعزة ، وليس أمامنا إلا طريق واحد ، وهو طريق الإسلام ، فياساسة المسلمين ، إن الإسلام يهدى لى لى هو أقوم ، فلا تضيعوا الزمن في النظر إلى هنا وهناك ، ولا تكونوا :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها يحول

محمد الدسوقي

معيد المنصورة الثانوى

الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى ما على :

رجل مصرى مسيحى يدين بمذهب الروم الكاثوليك — توفى عن زوجتين ، أولاهما تدين بمذهبه ، وعقد زواجه بها أمام الجبهة المالية المختصة ، والثانية مسيحية أشهد على زواجه منها أمام المحكمة الشرعية وأنجب منها ولدين وبنتين وأقر ببنتهم أمام المحكمة الشرعية . فما حكم الشرع فى توريث هؤلاء الأولاد . وإذا كان للورث إخوة فهل يرثون مع وجود أولاده المذكورين .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد — فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد (أن إقرار هذا المتوفى بأولاده لإقرار صحيح شرعا يعامل به فيرثه أولاده بعد وفاته كسائر الأولاد — وزواجه بالزوجة الثانية مع بقاء الأولى فى عصمته زواج صحيح شرعا .

وبذلك تنقسم تركته بعد وفاته بين ورثته : للزوجتين منها الثمن فرضا بالسوية بينهما لوجود الفرع الوارث ، والباقي لأولاده للذكر مثل حظ الانثيين تعصيا ، والله أعلم .

— ٢ —

رجل مسلم وامرأة يهودية ، يريدان أن يتنكحا من بعضهما ، ويبقى كل على دينة . فما رأى الشرع فى هذا ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه يحل للمسلم أن يتزوج بالكتانية كاليهودية ، لقوله تعالى :
 « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم
 والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، الآية ، والله أعلم .

— ٣ —

ما قولكم فيمن عنده زرع بالصحراء الغريبة وأراد تركته وقد صرف عليه مصاريف
 لحصده ودراسه ، فهل تحسب المصاريف من الزكاة أو لا تحسب ، نرجو الافادة .
 الصديق رضا

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
 يرى بعض الفقهاء أنه لا تجب الزكاة إلا في الباقي بعد المصاريف المذكورة إذا بلغ ذلك
 الباقي نصابا ، واللجنة اختارت هذا الرأي وأفتت به من قبل رفقا بالزراع . والله أعلم .

— ٤ —

تزوجت من مدرسة وقد وعدني والدها ووكيلها أنها ستترك العمل بعد ولادتها
 ثم أنجبت منها ، وأنا الآن مصمم على أن تستقيل وهي مصممة على عدم الاستقالة . فهل
 يعتبر عملها هذا نشوزا ؟ وهل تستحق مؤجل الصداق وفققة العدة في حالة الطلاق ؟ وهل
 يحق لي ضم ذريتي منها .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
 بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال . وتفيد بأن عدم مطاوعة الزوجة لزوجها فيما يأمرها به من ترك الاستمرار في التدريس يعتبر شرعا نشوزا منها لا تستحق معه النفقة الواجبة بحكم الزوجية . ولكن ذلك لا يؤثر في وجوب مؤخر الصداق ونفقة العدة إذا طلقها الزوج . أما مؤخر الصداق فلأنها بالدخول بها قد استحصت جميع المهر العاجل منه والآجل ، وأما نفقة العدة فلأنها محبوسة في أثنائها عن الزواج فكانت لها النفقة ، فإذا طلقها للنشوز أو غيره وجب عليه أن يوفى لها بمؤخر الصداق ونفقة العدة . أما ذريتها فلها حق حضانتهم بعد الطلاق إلى أن يبلغوا السن التي ينتهى فيها حق الحضانة شرعا . وهذا إذا لم يكن هناك مانع يمنعها من هذا الحق شرعا ككونها غير متفرغة للقيام بشئونهم ، وحينئذ يسقط حقها في الحضانة ، وينتقل الحق لمن يليها في ذلك شرعا ، وعلى اللجنة فهذا أمر تقدره المحكمة الشرعية المختصة . والله أعلم ؟

— ٥ —

حلفت عدة أيمان بالطلاق من أول امرأة ولا أعرف عددها بالضبط ، وعلفت هذه الأيمان على أمور حصلت بالفعل . والآن أريد الزواج ، فأرجو الإفادة على المذاهب الأربعة مع بيان ما تختاره لى اللجنة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن الذى جرت عليه فى الفتوى فى هذا الموضوع هو ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين على ما جاء فى نيل الأوطار للشوكانى وهو مذهب الإمام الشافعى والإمام أحمد رحمهما الله من أن تعليق الطلاق قبل قيام الزوجية بالفعل غير صحيح ولا أثر له . وعلى هذا فللحالف أن يتزوج ولا يقع عليه طلاق . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

الكتاب

المواريث في الشريعة الاسلامية

لفضيلة رئيس لجنة الفتوى — ١٧٤ صفحة — مطابع دار الكتاب العربي

أهدى إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر وعضو جماعة كبار العلماء نسخة من كتابه (المواريث في الشريعة الإسلامية) في طبعته الثانية، وهو كتاب قيم يمتاز بأسلوبه الحديث والأمثلة المهمة، بحيث يستغنى به القارئ عن المدرس في هذا العلم الإسلامي الدقيق، ويمكنه من الإلمام بأحكام المواريث على المذاهب الأربعة. وقد تناول الكتاب الشرح الوافي لقانون المواريث رقم ٧٧ سنة ١٩٤٣ المعمول به الآن في الديار المصرية. وكان الكتاب قد طبع قبل الآن فأقبل الناس على اقتنائه؛ لوضوحه ودقته واستيفائه أحكام هذا العلم، ثم أعيد طبعه الآن طبعة امتازت بالتنقيح والإيضاح الكثير والزيادات المهمة. والكتاب مفتوح بتمهيد تاريخي عن المواريث في جمهور العرب قبل إسلامهم، وبيان أسس النظام الإسلامي في التوريث، وامتيازه على ما عرفه البشر في موضوعه. يلي ذلك تعريف التركة والحقوق المتعلقة بها وشروط استحقاق الارث وموانع الارث وأسباب الميراث وترتيب المستحقين للتركة وأحكام المواريث بالتفصيل مع ضرب الأمثال عليها. وختم الكتاب بنص قانون المواريث المعمول به الآن في مصر. وهكذا جاء الكتاب كافياً وافياً في بابهِ يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره.

فتاوى وبحوث شرعية

لفضيلة رئيس لجنة الفتوى — جزآن في ٢١١ و ٢٧٥ صفحة — مطابع دار الكتاب العربي
وهذا كتاب آخر لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف وهو في مجموعتين اشتملتا على بعض فتاويه الشرعية، وبحوثه الاسلامية التي نشرت تباعاً بمنبر الشرق،

فاختصت المجموعة الأولى بما نشر من شهر يونيو سنة ١٩٥٠ إلى مارس سنة ١٩٥١ ،
والثانية بما نشر من إبريل سنة ١٩٥١ إلى يونيو سنة ١٩٥٢ مع زيادات مفيدة . وهذه
الفتاوى غير الفتاوى المسجلة بدار الإفتاء . قال فضيلته : « وقد حرصنا في هذه الفتاوى على
تناول بعض المشكلات الاجتماعية والأمور التي تشغل بال الناس وبكثير وقوعها ، وعلى
تبسيط العبارة والأسلوب ، وتدعيم الأحكام بالأدلة والأسانيد ، غير متقيدين بمذهب
الحنفية في الإفتاء .. »

والفتاوى في المجموعتين مرتبة على أبواب الفقه : الطهارة ، الصلاة ، الصوم ، الحج .. الخ
ثم الفتاوى في الشئون والموضوعات المتفرقة .

وفضيلته واسع النظر دقيق التفكير في تحرى الأحكام الصائبة وتوخى سنة الاسلام
في المصالح المالية والشخصية فيما يفتى الناس به من أمور دينهم . وعساه يواصل إصدار هذه
المجموعات السنوية بما يفيد الناس .

معجزة القرآن

في وصف الكائنات

للأستاذ السيد حنفى أحمد - الجزء الاول ٤٠٠ صفحة مطبعة لجنة البيان العربى .
الأستاذ المؤلف كان عديد مفشى العلوم ، وموضوع كتابه تصوير القرآن للكائنات
تصويراً يكشف عن دقائق معانيه ، ويبين ما فيه من آيات الإعجاز الدالة على صدق وحيه
وسمو رسالته ، ويقول المؤلف إن المتأملين من أهل العلم والخبرة بالكائنات يرون في حديث
القرآن عن الكائنات معاني دقيقة فوق معانيه الظاهرة تتطوى على أصول وجوامع من العلم
الواسع الدقيق عن الكائنات الذى لم يكن معروفاً للناس إلا بعد انتشار العلم الحديث
بينهم في القرنين الأخيرين .

وطريقة المؤلف في كتابه أنه بدأ أولاً بحصر وجمع الآيات القرآنية عن الكائنات
ثم رتبها حسب موضوعاتها فوقعت في خمسة أبواب أصلية وهى : الخلق العام للسموات
والأرض وتدير الأمر فيهما ، والخلق الخاص بالأرض وإعدادها للحياة ، وخلق النبات
والحيوان ، وخلق الإنسان ، وسنة الله في إيجاد الخلق ، وحوادث فناء العالم بقيام الساعة .

وصدر هذه الأبواب بفصلين أولهما عن رسالة القرآن والآيات الكونية ، والثاني عن وسائل البحوث الفلكية وبعض نتائجها المهمة . واستعان من التفاسير بالمشهور المتداول كتفسير أبي السعود والرازي والجلالين وبمفردات الراغب الأصفهاني . وعقد في آخر كل فصل مقابلة بين الفضايا القرآنية وما أثبتته أحدث البحوث العلمية من حقائق ونظريات ثم ما ندل عليه هذه المقابلة من وجوه الإعجاز في الآيات القرآنية عن الكون .

والجزء الأول من الكتاب الذي صدر الآن يشمل المقدمة والباين الأول والثاني ، وبصدور الجزء الثاني مشتملا على الأبواب الثلاثة الأخرى يتم هذا المجهود النافع إن شاء الله .

أسمى الرسائل

للسيد عبد الحميد الخطيب — ١٣١٩ — دار الكتاب العربي بمصر

هو كتاب كبير حافل ألفه فضيلة السيد عبد الحميد الخطيب الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بيا كستان ، وجملة قسمين : الأول في سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، والثاني في بيان رسالته . وقد أشرف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي فضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق . وزينه المؤلف بأكثر ما حواه كتابه ثاقبة الخطيب . والكتاب مطبوع طبعاً أنيقاً ، وكان من ضروريات التأليف تخرج ما فيه من أحاديث وبيان مواضعها من كتب السنة ، مع أن كل آية وردت في الكتاب قد نبه المؤلف إلى السورة التي هي منها وإلى رقم الآية ، والآيات في الغالب محفوظة لأهل العلم ، وأما الأحاديث والنصوص والنفول فهي التي تحتاج إلى بيان مصادرها وتعيين مواضعها في تلك المصادر ، ولعل المؤلف يستدرك ذلك في الطبعة الثانية ، وقد أهدى الكتاب إلى جلالة الملك سعود ، وصدره بكلمات كثيرة لطائفة من المشاهير في الثناء على الكتاب ومؤلفه ، ووعد المؤلف في مقدمة الكتاب أنه سيعمل على ترجمته باللغة الأوردية واللغة الانجليزية .

من أجل فلسطين

للأستاذ الشرباصى — ٩٦ ص — المطبعة السلفية

أهدى إلينا فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعية الشبان المسلمين هذا الكتاب من تأليفه ، منظوماً على تفصيل ما وقع فى مؤتمر بيت المقدس الإسلامى العالمى الذى انعقد فى ٢٧ ربيع الأول من هذه السنة ، وانتهى فى اليوم الثالث من ربيع الآخر ، وقد أهاب فيه رجال المؤتمر بالعالم الإسلامى أن ينتقل من فترة القول إلى فترة العمل لإنقاذ المسجد الأقصى من الخطر وحماية فلسطين من اعتداءات اليهود ، وإعداد العدة للجولة القادمة فى سبيل إصلاح أخطاء الماضى فيما يتعلق بفلسطين ، قلب العالم الإسلامى .

والأستاذ الشرباصى كان شاهد عيان فى هذا المؤتمر ومن مثلى الشبان المسلمين فيه ، وقد وفى موضوعه حقّه ، وزين الكتاب بالصور ، وأثبت فيه كثيراً من الحقائق التى يجب على المسلمين أن يطلوا النظر فيها ، ويعملوا فيها بما يرضى الله عز وجل ، فشكراً للؤلف ، وجزاه الله خيراً .

قصص النبيين للأطفال

للسيد أبى الحسن الندوى

الجزء الثالث ١٢٨ ص — ندوة العلماء بلكنو

السيد أبو الحسن الندوى من خيرة الدعاة والمفكرين الإسلاميين بالهند ، وقد انتشرت له كتب ورسائل فى العالم العربى كان لها جميل الأثر عند الناس ، وأهدى لنا الآن من مؤلفاته الجزء الثالث من قصص النبيين للأطفال ، وهو خاص بقصة موسى عليه السلام ، وموافقه من بنى إسرائيل . وقد سبق انتشار كتب كثيرة فى قصص النبيين ، ولكن هذا الكتاب أوفى وأحكم وأنفع ما ألف فى هذا الموضوع للأطفال .

وبما يشكر عليه إخواننا مسلمو الهند وبأكتان تأليفهم مثل هذه الكتب الإسلامية

للمدارس بلغة القرآن تمهدا لجمع المسلمين حول لغة الإسلام وهو سبيل تفاهمهم وتعاونهم .

والكتاب جميل الطبع جلي الحروف فصيح اللغة مشكول بالشكل الكامل ، وتنصح البلاد الإسلامية بأن تستعمله في مدارسها لأبنائها .

مجلة معهد القاهرة

صدر من هذه المجلة عددها الأول في شهر رجب ، وهي أولى ثمرات « جماعة النشاط الثقافي » في معهد القاهرة ، بتشجيع شيخ المعهد فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبدالعزيز وإشراف وكيل المعهد فضيلتي الشيخ حسن العدل ، والشيخ محمد مرسى عامر وفضيلة الأستاذ محمد محمد خليفة رئيس تحريرها ، وسائر أساتذة المعهد ومدرسيه . وعدد المجلة حافل بمظاهر الحيوية والنشاط من أذكياء الطلبة ونجبائهم مما يبشر إن شاء الله بحيوية أعظم ونشاط أوسع ، ولنا عودة إلى الحديث مع طلاب المعاهد الأزهرية في تنظيم نشاطهم الثقافي ، ولعين وجهتهم الأدبية والعلمية ، تحقيقاً للأمل العظيم فيهم للمستقبل .

وثبة الأحرار

وهذه مجلة أخرى تمثل نشاط الأزهر الثقافي بمعهد دمياط الديني ، وهو نشاط سديد الأهداف رشيد الاتجاه في إبراز حيوية النظم الإسلامية والدفاع عنها ومناقشة شائئها من دعاة الاستعمار العقلي في العالم الإسلامي .

وقد افتتح عدد هذه المجلة بمقدمة كتبها شيخ معهد دمياط فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن جلال وأشرف على أبنائنا الطلبة في إصداره فضيلة الأستاذ الشيخ محمد زين العابدين علي ، وإن روحه تتجلى في كل صفحة ومع كل طالب ، ونحن نهنته ونهتئ أبنائه الطلبة بوقاتهم لإسلامهم ومعرفة قدر رسالته وتوطينهم النفوس على أن يكونوا من دعاة وجنودها . ونطلب منهم المزيد .

الأزهر في العلم

تعديل قانون تنظيم الأزهر

وافق مجلس الوزراء على قانون بتعديل قانون إعادة تنظيم الجامع الأزهر . وما جاء فيه .

يستبدل بالمواد ١٠ بند ثانياً و ١٦ بند ٢ و ٤١ فقرة ثالثة و ٩٢ من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ النصوص الآتية :

عضوية جماعة كبار العلماء

مادة ١٠ (ثانياً) - أن يكون أستاذاً ذا كرسي من الفئة (١) في إحدى كليات الجامع الأزهر ، وفي حكم هذا القانون يعتبر الأعضاء السابقون من جماعة كبار العلماء أساتذة ذوى كرسي من الفئة (١) .

مادة ١٦ (٢) - تكوين اللجنة المنصوص عليها في المادة ٨٥ من بين أعضاء الجماعة لكل كلية للنظر فيما يقدم إليها من رسائل الحاصلين على المؤهل العالي من الأزهر الراغبين في نيل شهادة العالمية من درجة أستاذ .

شروط تعيين الأستاذ المساعد

مادة ٤١ (فقرة ٣) - يشترط فيمن يعين أستاذاً مساعداً أن يكون قد شغل وظيفة

مدرس لمدة خمس سنين على الأقل في إحدى كليات الجامع الأزهر أو معهد معادل لها .

العالمية من درجة أستاذ

مادة ٩٢ - يجوز للحاصلين على مؤهل عال من الأزهر أن يتقدموا لامتحان شهادة العالمية من درجة أستاذ طبقاً للشروط الموضوعية لنيل هذه الشهادة .

إعادة علماء للتدريس بالكليات

قرر مجلس الوزراء إضافة مادة برقم ١٢٤ إلى المرسوم بقانون ٢٦ لسنة ١٩٣٦ هذا نصها مادة ١٢٤ - يجوز للمجلس الأعلى للأزهر خلال ستة أشهر من العمل بهذا القانون أن يعيد إلى هيئة التدريس من كان ضمن هذه الهيئة ثم نقل إلى وظيفة أخرى بالأزهر أو المعاهد الدينية ولو لم تتوافر فيه الشروط اللازمة للتعيين في هيئة التدريس .

مناهج قسم إجازة التدريس

قررت لجنة تعديل مناهج الدراسة بقسم إجازة التدريس بالأزهر تكوين خمس لجان فرعية من رجال الأزهر ووزارة المعارف لوضع المناهج الجديدة التي اقترح تدريسها

شيخا لمعهد الاسكندرية ، والشيخ محمد معالي عثمان عبد الهادي شيخا لمعهد أسبوط ، والشيخ ياسين سويل طه شيخا لمعهد الزقازيق وعلى تعيين الشيخ سيد محمد الباز شيخا لمعهد شبين الكوم ، والشيخ عبد العزيز محمد سمك شيخا لمعهد جرجا ، والشيخ عبد الرحمن الغايش شيخا لمعهد منوف .

نعمه أمة عربية

عاد من بغداد الدكتور سليمان حزين وكيل وزارة المعارف المساعد ، بعد أن تولى إدارة (حلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة) منتدبا من هيئة الأمم .

وقد اجتمع به الصحفيون في وزارة المعارف المصرية فتحدث إليهم عن رحلته وآثارها في نفسه وتفكيره . فقال :

« إن كثيرا من الشئون الاجتماعية متشابهة في الدول والبلاد العربية . فمن « أمة عربية » لحياتها ومقوماتها أسس أولى في تاريخها الطويل . ثم إن لنا تراثا اجتماعيا مشتركا .

« لقد تشابهت أقدارنا وتوحدت مصائرنا خلال التاريخ الحديث ، وهذا التشابه يقتضي أن نتعاون على دراسة علمنا الاجتماعية ورسم الخطة لمعالجتها ، ولقد كانت (حلقة الدراسات الاجتماعية) مجالا طيبا لإبراز هذا التعاون بين الباحثين من مختلف الدول العربية . »

طلبة الإجازة ، وهي : مناهج علم النفس ، وأصول النظرية ، وطرق التدريس ، والتربية العملية ، والصحة المدرسية ، ومواد اللغة العربية بكليني الشريعة وأصول الدين .

ووافقت اللجنة على جعل مدة الدراسة بقسم إجازة التدريس سنة واحدة ابتداء من العام القادم .

وقررت جعل مادة الخط إجبارية بالقسم المذكور .

تنظيم لجنة الفتوى

قررت لجنة الفتوى بالأزهر تنظيم أعمال الإفتاء بها على نحو جديد بوضع سجلات ودفاتر قيد لما يصدر عن اللجنة من فتاوى ، أسوة بما هو متبع في دار الإفتاء .

معهد جرجا

افتتح فضيلة السكرتير العام للأزهر المعهد الديني الجديد بمدينة جرجا ، وهو معهد نموذجي ، ساهم المواطنون من أبناء جرجا في بنائه بتبرعاتهم السخية وجهودهم الموفقة .

شيوخ المعاهد

وافق مجلس الوزراء على نقل حضرات أصحاب الفضيلة الشيخ محمد البسيوني وزغلول شيخا لمعهد ططا ، والشيخ محمد صادق عرجون

جامعة أسيوط

وافق مجلس مديرية أسيوط على اقتراح بأن يساهم المجلس بنصيب من قيمة تكاليف إنشاء جامعة أسيوط ، واتخاذ الاجراءات لاستصدار مرسوم بقرض ضربيتين محليتين لهذا الغرض لمدة عامين ، الاولى بنسبة ١٩٥٥ في المائة من الضريبة الاصلية على الاطيان ، والاخرى على المباني بما يوازي عوائد المباني المفروضة بدائرة المديرية .

الاذاعة المدرسية

حصلت وزارة المعارف على ١٢٥ جهاز إذاعة ، وقد درست الوزارة مع خبير هيئة اليونسكو تجربة لنشر الاذاعة المدرسية بديء بتنفيذها في منطقة بنها قربها من القاهرة ولأنها تتمثل فيها أنواع البيئة المصرية من ريف ومدن ، وتحتوى هذه المنطقة على ٥٥ مدرسة أعطى لكل منها جهاز راديو وكشوف وبرامج إذاعية للعمل بها ، وبعد أن تم التجربة سينظر فيما إذا كانت صالحة للتعميم كما هي ، أو أنها في حاجة إلى تعديل .

دار للوثائق التاريخية

المصرية

لوحظ أن وثائق مصر القومية مبعثرة في عدة أمكنة : فالوثائق الاصلية للقوانين

هذا بعض ما قاله وكيل وزارة معارفنا المساعد ، ويخشى كثير من الناس أن ينساه مما قريب ، إن لم يفتح زملاءه في وزارة المعارف بأن ما صرح به هو الحقيقة ، وأن من الخير أن تبنى مناهج التدقيق في مدارس وزارة المعارف على أساس أتم (أمة عربية) وأن لحياتها ومقوماتها أساساً أولى في تاريخنا مدة أربعة عشر قرناً ، ثم إن لتاريخنا اجتماعياً مشتركاً بين الناطقين بالضاد ، وهو مستمد بلا شك من ثقافة الإسلام ، ووحى تاريخه ، وشعب إيمانه . فهل للدكتور حزين أن يحقق القول بالعمل ؟

الديباجة في مدارس سوريا

كان عهد الشيشكلي في سوريا قد ألقى بمرسوم أن تكون مادة الدين من مواد الامتحانات العامة ، فقرر مجلس المعارف السورية إعادة إضافة هذه المادة إلى الامتحانات .

مؤتمر الدراسات الاسلامية

في بشاور

أرسل فضيلة الأستاذ الاكبر كتاباً إلى سفير مصر في باكستان يطلب إليه القيام بدراسة الأزهر في مؤتمر الدراسات العربية الإسلامية الذي عقد في جامعة بشاور من بلاد باكستان يوم ٢٧ رجب وما بعده ، وذلك تلبية للدعوة المرسلة إلى مشيخة الأزهر للاشتراك في هذا المؤتمر .

من ١٤ قاعة يصل بينها رواق طويل ، وتشتمل على ٢٤٩ ر ٤١٩ كتاباً في ٩٨٩ ر ٦٦٠ مجلداً بلغات وعلوم شتى ، وفيها لوحات فنية ومخطوطات ومجموعة أطالس وخرائط ووثائق تاريخية ، وقسمت لجنة الجسد قيمة محتوياتها بمبلغ ٦٨٩ ر ٤٦٠ جنياً . ويقال إن الملك السابق جمع هذه المكتبة من التراكات والمزادات ومن المساجد الأثرية ودور الكتب المختلفة ، وفي قسم المصاحف ٢٥٨ مصحفاً في ٣٦٣ مجلداً قدر ثمنها بمبلغ أحد عشر ألف جنيه ، وهي مكتوبة بمخطوط كبار الخطاطين ، ويرجع تاريخ بعضها إلى العصور الإسلامية البعيدة ، وهي مزينة بالنقوش الفنية والتذهيب ، ومنها مصحف صغير مكتوب على جلد دجاج ومغلف برق غزال ، ومصحف آخر مكتوب على شريط طوله عشرة أمتار وعرضه ثمانية سنتيمترات ، ومن المصاحف مصحف بخط راهب مسيحي كتبه في أوروبا في القرون الوسطى ، وفي هذه المكتبة المصحف الذي أهده القائمون على الأزهر إلى الملك الخلع لمناسبة زواجه وغلافه مذهب بالذهب الخالص وقدر ثمن الغلاف وحده بمبلغ ٢٥٠ جنياً ، وبعض هذه المصاحف مما كان مع أمراء آل عثمان لما هاجروا إلى مصر بعد إلغاء الخلافة ، وبعضها مما كان مودعاً في المساجد الأثرية .

والمراسم لم ترسل قط لدار المحفوظات في القلعة ، وإنما تبقى في مجلس الوزراء ، والمعاهدات والوثائق الخاصة بالمفاوضات التي أجرتها مصر بعضها في وزارة الخارجية وبعضها في رئاسة مجلس الوزراء ، ووثائق تاريخ مصر منذ عهد محمد علي بعضها في حيازة القسم التاريخي بقصر عابدين وبعضها في مكان على حدة ، ولم يكن الاطلاع عليه ميسوراً في عهد الملكية إلا بإجراءات غاية في الصعوبة . وقد اتجه الرأي الآن إلى جمع كل هذه الوثائق في مكان واحد على أن ترتب ترتيباً علمياً ، وأن ييسر البحث فيها ، وأن تفسر الحقائق التي تحتويها على الشعب ، وإن قسم التشريع بمجلس الدولة يعد المصاغة القانونية لمشروع قانون أعدته وزارة الإرشاد القومي خاصاً بإنشاء دار الوثائق التاريخية التي تحقق هذا الغرض ، وستكون دار الوثائق تابعة لوزارة الإرشاد القومي . ويبيع القانون أخذ صور شمسية أو خطية من الوثائق طبقاً لقواعد يحددها المجلس الأعلى لدار الوثائق .

مكتبة قصر القبة

أنشئت هذه المكتبة في السنة الأولى من سني الحرب العالمية الثانية على أنقاض مكتبة صغيرة كانت تعرف باسم «مكتبة أمير الصعيد» وهي الآن تشغل جناحاً في قصر القبة مكوناً

إنباء العجالة الإسلامية

زيارة الملك سعود

وبعض نتائجها المباركة

قام حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ابن عبد العزيز آل سعود بزيارة كريمة لمصر في النصف الثاني من شهر رجب الماضي ، فكان موضع الحفاوة والإجلال في أرض السكناة حكومة وشعبا ، وكان ذلك دليلا جديدا على ما لشخصيته الإسلامية من محبة وتقدير في قلوب المسلمين في خارج المملكة السعودية ، فضلا عن البلاد المتمتعة بأحكام الشريعة الخفيفة في ظل حكمه ، وقد حققت زيارته أغراضا سامية ترمي إليها الحكومتان السعودية والمصرية : فقد تبودلت في خلال هذه الزيارة الكريمة بين جلالة الملك وسيادة الرئيس محمد نجيب ورجال الحكومتين أحاديث تجلت فيها روح التضامن والإخاء بين القطرين الشقيقين .

وكان الجميع متفقين على مضاعفة الجهود لتدعيم الجامعة العربية حتى تحقق الأغراض

السامية التي أنشئت من أجلها ، وإن الأمة العربية في مختلف شعوبها وهيئاتها وحكوماتها يجب أن توداد صلات التقارب والتفاهم والتعاون بينها لتكون وحدة سياسية اقتصادية وثقافية على ضوء التجارب والمحن التي مرت بها الأمة العربية في السنين الأخيرة .

ومما جاء في بيان وزارة الخارجية الذي أذاعته عن هذه الزيارة السعيدة أن وجهة نظر الحكومتين الشقيقتين كانت ولا تزال على اتفاق تام في معالجة مصالح العرب في جميع أقطارهم ، وأن رباط التعاون الوثيق القائم بين البلدين يقضي بالسعي المشترك للوحدة الشاملة في الشؤون السياسية والمالية والعسكرية والتجارية والثقافية وغيرها تحقيقا للتضامن بينها .

وقد دلت تجارب الماضي القريب على أن البلاد العربية لا تستطيع الدفاع عن نفسها والحفاظة على كرامتها وحقوقها ودفع العدوان عنها من غير أن توحد قيادتها العسكرية وأن تتخذ الأسباب العملية لتسليح قواتها وتدريبها

وكان الاتفاق ناعما على السياسة الخارجية للحكومتين السعودية والمصرية وعلى ضرورة إتمام المصالح المشتركة الاقتصادية والثقافية بينهما لخير القطرين ولأمن المجموعة العربية كلها .

الانجليز في قاعدة القتال

نشرت الاحرام تقريراً أمريكياً أعده الجنرال فيستننج القائد العام للقوات البريطانية في الشرق عن مشكلة قناة السويس . وأبرز ما جاء في التقرير اعتراف القائد بأن حكومة الثورة في مصر أقوى حكومة مصرية واجهت بريطانيا كما اعترف بسوء الحالة بين القوات البريطانية في القناة وقوة المقاومة المصرية المنظمة حتى أن جنود الإمبراطورية غدوا يرفضون الذهاب إلى جحيم ما يلتقون في القناة .

وهو يرى أن الحرب إذا كانت قريبة احتمال الوقوع في ثلاثة أعوام أو خمسة وجب استمرار احتلال القناة ، أما إذا كان خطر الحرب بعيداً فلا مناص من تنظيم وضع القناة بالتعاون مع مصر . واعترف القائد بأن الإخفاق في الاتفاق مع مصر والدول العربية سيؤدي في النهاية إلى غير صالح بريطانيا ، لا من الناحية الاقتصادية فحسب ، بل من الناحية العسكرية أيضاً .

وتمية مصانعها لتكون في خدمة الدفاع المشترك للبلاد العربية ، وأن تنظر البلاد العربية في تاريخها ونشأة ثقافتها وأغراضها من النعمان ومناجحه فتجمل من إدارته قيادة كذلك مشتركة لنشئة أبناء الأمة نشأة متجانسة نعين على كمال وحدتها ، وقد آن الأوان لأن تتطور أغراض العرب من الجامعة العربية إلى العمل لجعل الصلات بين العرب حكومات وشعوبا صلات الأعضاء لجسم واحد يعمل من الجامعة العربية قوة تستطيع الحسم في كل اختلاف أو نزاع يقع بين الدول العربية أو تتضارب فيه المصالح .

وهذا لا يمنع أيا من الحكومات العربية من تمتعها باستقلالها في حدود هذا التعاون الذي يهدف إلى المصلحة العربية العامة وذلك في سائر الشؤون المنظمة لاقتصادياتها وثقافتها وعمرانها وصناعاتها وزراعتها وتجارتها وأن تكون قبة الدفاع عن الساحة العربية واقمة على الجميع .

وقد تناول الحديث شئون الدول العربية بحيث تكون بلادهم ساحة حيوية واحدة تتعاون فيها دول العرب وشعوبها جميعاً وبينها الشعوب العربية التي ما برحت تجاهد في سبيل استقلالها .

نصف مليون نسمة من السكان . والظاهر أن ارتفاع مياه الهر توقف عند هذا الحد ، بيد أن بغداد تواجه خطراً آخر من جراء تسرب المياه من السدود . ويقدرون الخسارة المادية التي لحقت القطر الشقيق من هذه الكارثة بنحو ١٥ مليون جنيه . وقد باتت بغداد معزولة من جراء غرق الطرق المؤدية إليها .

ماذا ينقصنا ؟ مقارنة ١

يقول غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) :

إن طبقات العرب الوسطى الماضية مساوية لطبقات الوسطى المتقدمة الحاضرة ، إن لم تكن أرق منها في الغالب . والشرقيون المساوون لنا ماهرة - وهم الذين لم يحط الاختصاص ذكاهم - يفوقوننا بقناعتهم ، وقلة احتياجاتهم وطباقتهم الموروثة وهم لا يفتقرون إلا إلى طبقة عالية وبعض عظماء الرجال ليسكونوا هم والأمم الأوربية المتقدمة على قدم المساواة ومن حسن الحظ (أى من حسن حظ الاستعمار الغربي) أن كانوا عاطلين من مثل أولئك ، وإلا استطاعوا - بالإضافة إلى طبقاتهم الوسطى - أن يقوموا مقامنا ، وأن يقبضوا على زمام الحضارة .

في منطقة البريمي

أعلنت الحكومة العربية السعودية أسفها لاستمرار السلطات البريطانية في منطقة البريمي على القيام بأعمال تدل على الحالة النفسية التي تستحوذ عليهم فقد حدث في يوم ١٨ رجب (٢٣ مارس) أن أطلق جنودهم الرصاص على مركز قصر السديري وقتلوا رجلين أحدهما من بني كعب والثاني من الشواص ، وقد كان هذان الرجلان يسيران في طريق البريمي أعزلين من السلاح ولا ذنب لهما إلا أنهما مواطنان عريان يـيران في بلادهما .

السودان وأهد

تبلغ مساحة السودان نحو مليون ميل مربع وعدد سكانه نحو عشرة ملايين ، وهو أوسع الأقطار مساحة في شمال إفريقيا ، ومع أن النيل يخرقه فإن أكثر أراضيه تزرع بالمطر . وسكان الشمال من أصل عربي وفي الجنوب قبائل زنجية .

فيضانه دمج

ازداد فيضان دجلة وطنى على العراق فغمر تسعين في المائة من الأراضي والمزارع في حوض دجلة الأوسط وتقدر بأكثر من مليوني فدان ، وأدى ذلك إلى تشريد

قبة الصخرة

السويس إلا في الضرورات الحسرية
أو الاقتصادية التي تستدعي مرور السفن
بالقناة التي يفكرون فيها .

وقد فتحت (النيمس) صدرها يوم
٢٠ مارس لمحرمها البحرى للنحدث عن
هذه القناة .

السلطة الأمريكية للعرب

اعتذرت أمريكا لليهود (في جلسة سرية
عقدتها نائب وزير الخارجية الأمريكية
ومساعد الوزير مع فريق من رجال
الكونجرس اليهود) بأن ما تعزم الحكومة
الأمريكية إرساله من الأسلحة إلى البلاد
العربية ليس في الواقع إلا شغلات ، رمزية ،
لا قيمة لها من الناحية العسكرية العملية .
وأكد نائب وزير الخارجية ومساعد الوزير
لهؤلاء الشيوخ والنواب أن أمريكا ستأخذ
ضمانات من البلاد العربية بالألا تستخدم هذه
الأسلحة ضد إسرائيل بأى حال .

الوعدة العربية

للقضاء على عدو العرب

استقبلت مدينة الرياض وفدا صحفيا
من العراق لتهنئة الملك سعود بارتقاء العرش ،
خطب فيهم الملك معربا عن تأييده التام للعمل

في نأ من القدس أن اللجنة العامة التي تدعو
المسلمين إلى تدارك قبة الصخرة في المسجد
الأقصى لإصلاحها وتقوية الاسوار قررت
تدب لجان فرعية لزيارة الاوطان الإسلامية
واستفاض همة ملوك المسلمين وحكوماتهم
يلجع الاموال اللازمة لهذا الإصلاح
الضرورى ، وكلما تأخر البدء بذلك كان
الخطر أعظم والرزء فيه أقبح . وكان المؤتمر
الإسلامى الذى عقد في القدس قبل ثلاثة
أشهر قد أوسع هذا الموضوع بحثا وأطاره
من اهتمامه ما هو جدير به .

قناة العقبة

وضع اللورد هور بليشع - من أعيان
اليهود البريطانيين - مشروعا لإنشاء قناة
للأنايب بين العقبة وحيفا ، وهو يقدر
تفقاته بحوالى مائتى مليون جنيه للقناة ،
يضاف إليه مبلغ آخر من عشرة إلى عشرين
مليونا لخط الأنابيب . ويلوح الدعاة لهذا
المشروع اليهودى بأنه يفتح الأردن مصبا
في البحر الأبيض . وستكون هذه القناة
أطول كثيرا من قناة السويس . ويقول
أولئك الدعاة : يحتمل أن تظل حركة الملاحة
بين البحرين الأحمر والأبيض تمر بقناة

الاندونيسى وبين بعض حكامه المتقنين بثقافة الاستعمار الغربى ، فكانت فى مدينة جاكرتا أعظم مظاهرة عرفها تاريخ هذه العاصمة احتجاجا على « الإهانات الموجهة ضد الإسلام » ، وقد بلغ عدد المتظاهرين ثلاثمائة ألف ، وفيهم عدد كبير من النساء مما يدل على أن رأى العام الإسلامى كان ثائرا أشد الثورة على أصحاب النزعة الإلحادية وقد حطم المتظاهرون المكاتب الحكومية وقتل ضابط فى الجيش الاندونيسى برتبة كابتن .

على توحيد كلمة العرب فى جميع أوطانهم وأن وحدتهم وإيمانهم أقوى سلاح يردون به مكاييد أعدائهم .

وألقي السيد طه فياض العائى صاحب جريد السجل خطابا بين يديه باسم الصحفيين العراقيين منوها بالوحدة ووسائلها . ثم دعاهم جلالة لتناول العشاء على مأثدته مع كبار رجال المملكة العربية السعودية ، ثم قاموا برحلة لزيارة حصول الثرول بالظهران والاعمال الإنشائية بالمملكة .

وفد العراق الصحفى

هزيمة الجيوش الهنرى الى الجيوش المصرية عادت البعثة العسكرية المصرية التى زارت الهند للاطلاع على المنشآت العسكرية هناك وعند إزماعها العودة قدم إليها الجيش الهندى هديتين منه إلى الجيش المصرى : إحداها عمود من الفضة على قاعدة من الالبونوس وفى أعلاه شعار الجيش الهندى وهو أربعة سباع متلاصقة وتحت مخالبها بعض الحيوانات الهندية وعلى ثلاثة من أوجه القاعدة شعارات أسلحة الجيش الهندى ، وعلى الوجه الرابع كلمة الإهداء :

زار وفد العراق الصحفى القاهرة عند عودته من المملكة العربية السعودية قاصداً العراق ، وقد زار إدارة مجلة الأزهر بصحبته الملحق الصحفى فى السفارة العراقية ، وفى طليعة هؤلاء الضيوف حضرة الأستاذ السيد محمد طه فياض العائى صاحب جريدة السجل اليومية ورئيس تحريرها وقد دار الحديث حول أحوال العالم الإسلامى ، وتعاون قادة الرأى على إعداد الأمة لمستقبل أفضل وكيان أقوى إن شاء الله .

الرأى العام الإسلامى

فى أندونيسيا

« إلى الجيش المصرى رمزاً لصداقة الجيشين »

اتسمت الفجوة بين الشعب الإسلامى

المواثيق لفرنسا بمراسمها

في صلاة الجمعة (يوم سلخ جمادى الآخرة - الموافق ٥ مارس) حدث انفجار رهيب في المسجد الذي كان يصلي فيه محمد بن عرفة السلطان المراتي للفرنسيين وإلى جانبه الجلادى فسقط السلطان جريحاً وسادت الفوضى ، وتبين أن ثلاثة من سكرتيرى السلطان أصيبوا مثله بجراح . أما الجلادى فنجى للمرة الثانية من القتل (وكانت المرة الأولى في ١٩ فبراير الماضى) . وهكذا تصطبدم الحياة بالجهاد المتواصل في المغرب الأقصى .

جزيرة القريم

شبه جزيرة القريم مقاطعة عظيمة من المقاطعات الإسلامية في جنوب روسيا وهي من أجل بقاع الدنيا . وكانت دولة إسلامية يحكمها أمراء من ذرية منكلى كرادنحت سيادة الدولة العثمانية ، وكان رجال الدولة العثمانية وقعون الفرقة والتحاسد بين أمرائها ، ولكل فريق من أمرائها حماة وأنصار من رجال الدولة في الآستانة إلى أن اضطرت آخر أمرائهم وهو شاهين كراى للالتجاء إلى روسيا ، فضطت روسيا على الدولة العثمانية وانزعجت منها الاعتراف برفع يدها عن القريم وعقدت معاهدة قايئارجه الصغرى سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) ، وبعد عشر سنين بسطت روسيا سلطانها المطلق على هذه الجزيرة . وفي الحرب العالمية الثانية كان هذا

والهدية الأخرى إطار من المعصنة على خشب فاخر فيه صورة مدخل القيادة العامة بالهند وقد حفرت عليه الوصايا الآتية :

« سعادة بلادك وشرفها أولاً ودائماً ،
« وسعادة رجالك وشرفهم وراحتهم ثانياً ،
« ثم راحتك وسلامتك أخيراً ودائماً ،

محاكمة استراتيجة

قال كليمنت اتلى زعيم المعارضة في مجلس العموم البريطانى أثناء مناقشة ميزانية الدفاع : إن وجود القاعدة البريطانية في منطقة قناة السويس حماقة استراتيجة في الوقت الحاضر وقال : إن مما يدعو إلى الأسف أننا لم تمكن من الوصول إلى اتفاق مع مصر لتتخلص من الموقف الذى يقتضينا حجز عدد كبير من قواتنا في القاعدة يتراوح بين ٧٠ و ٨٠ ألفاً ، وإن القيمة التى يحتمل أن تكون لهذه القاعدة آخذة في التضاؤل .

هزيمة فرنسا في الشرق

تتجه الحرب الفرنسية في الهند الصينية إلى نهاياتها بالرغم من مساعدات أمريكا لفرنسا وقد أعلن السناتور وايل رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكى أن هزيمة العالم الحر في الهند الصينية لا تقل في أهميتها عن أى هزيمة أخرى وقعت في القرن العشرين .

وخصصت له حكومة باكستان من ميزانيتها ثلاثين مليون روية (عشرة ملايين دولار) وستساهم أمريكا فى هذا المشروع بثلاثة ملايين ونصف مليون دولار وفق برنامج المعونة الفنية .

مركز إيريه الاقتصادى

أرادت حكومة إيران أن تستعين بخبرة الدكتور شاخت (الخبير المالى الألمانى) وأن تحصل منه على تقرير لتستفيد منه فى إصلاح خططها الاقتصادية وقد مكث الدكتور شاخت ثلاثة أسابيع فى إيران أجرى خلالها مباحثات مع خبراء المال الإيرانيين ورجال حكومة طهران ، ثم صرح قبل سفره بأنه لم يسط المعلومات الكافية التى تمكنه من وضع تقريره الاقتصادى عن مركز إيران ، ثم غادر العاصمة الإيرانية دون أن يقدم تقريراً أو يوقع أى اتفاق مع الحكومة الإيرانية .

الامانة الاسطورية

نشرت صحف باريس خبراً على أنه : مثل رائع للأمانة الإسلامية ، جاء فيه أن عمر الحداد وهو شاب مسلم من شمال إفريقيا ذهب إلى أحد مراكز البوليس وسله كيساً يحوى ٣٧ ألف فرنك عشر عليها . وقد تبين أن عمر الحداد ترك عمله من أربعة أشهر ، وليس له مورد يعيش منه ، وقد بدا عليه الهزال من سوء التغذية .

الوطن الإسلامى ميدان قتال رهيب بين الروس والألمان . ثم عادت روسيا فبسطت سلطانها بعد الحرب على مسلى القريم بأساليبها المألوفة . ولما كانت قلوب مسلى القريم معارضة للحكم القائم فى روسيا - ولو بأضعف الإيمان - فقد رأت موسكو فى هذا الشهر أن ترميم بمعارض آخر لها وهى جمهورية أوكرانيا التى كانت مصدر صداع لروسيا فى السنوات الأخيرة ، فأعلنت ضم القريم إلى أوكرانيا لتشفل كلا منهما بالآخر ، ولو عطل الأوكرانيون بعد هذا الحادث السياسى المهم فى تاريخهم مع الروس لأحسنوا علاقاهم بمسلى القريم وتعاونوا معهم على حياة الاستقرار وبذلك الخير لكل الخير لهم وللقرميين ، وسيراقبهم الناس بعد الآن ليروا كيف ينصرفون فى إقامة نظامهم الجديد مع شركائهم فى الحياة الجديدة .

هزازه فى باكستانه

تنشىء باكستان عما قريب خزاناً على نهر اندوس يوفر مياه الرى لسبعاً وأربعين ألف فدان من الأراضى الجديدة ، ويزيد من كميات المياه التى تروى بها الآن ٦٧٥٠٠٠ فدان لا تجد من مياه الرى ما يكفها ، وسيبنى الخزان بالحرسانة المسلحة ويكون طوله خمسة آلاف قدم وينشأ على بعد ١٢٥ ميلاً شمالى لملقى نهرى اندرس والبنجاب . والمتظر أن يتم إنشاؤه قبل آخر يونيو سنة ١٩٥٦ .

صفحة	الموضوع	بسم
المقالات		

٨٨١	في إصلاح الكيان المصري	الأستاذ محمد الدين الخطيب وميسر التحرير
٨٨٥	نفعات القرآن : أولياء الله وأولياء الشيطان	« عبد الطيف السبي مضافة كبار العلماء
٨٩٠	السنة : الجوار في الاسلام	« طه محمد الساتك المنش بالأزهر .
٨٩٥	الدخيل وكعب التفسير — ٥ —	الأستاذ محمد محمد أبو شعبة
٩٠٠	لن يكون تنفيذ الحسد	« أحمد الشراصي
٩٠٦	المؤمنون حقا — ٢ —	« علي الماري
٩١٠	وكود ثقافي	« محمد خليفة
٩١٣	من نوادر المخطوطات : تحرير المقال	« أبو الوفا المرامى
٩١٦	الروح التقدمية في الاسلام — ٣ —	« محمد فتحي محمد عثمان
٩٢٣	ديوان مجد الاسلام	الشاعر الاسلامي للمرحوم أحمد محرم
٩٢٩	لقويات	الأستاذ محمد علي النجار
٩٣٤	الحسن البصري — ٢ —	الأستاذ محمود النواوي المنش بالأزهر .
٩٤٠	حيوية الأدب	« عز الدين إسماعيل
٩٤٤	خالف بن الوليد — قد —	« عبد الجواد رمضان
٩٤٧	الشعب المصري يطرد الانجليز	« أحمد عز الدين خلف الله
٩٥٣	أسرار الشريعة واعتماد الحساب الفلسفي	« محمد أبو الملا البنا
٩٦٠	غزوة أحد	« محمد جمال الدين محفوظ
٩٦٤	للؤلؤة للبرهم في جنوب السودان	التحرير

التعليقات

٩٦٥	السبنا وما تقدمه لشرق الاسلام	« المجلة »
٩٦٦	الاسلام والأزهر في مجلة سلاح الاشارة	»
٩٦٨	الأزهر فكرة إسلامية	الأستاذ رياض هلال

ركن الطلبة (مقتطفات)

٩٧٠	البيادات وتهذيب النفس	السيد رزق عبد الوهاب
٩٧١	لا إصلاح إلا بالاسلام	محمد الهسوقي

• • •

٩٧٣	الفتاوى	لجنة الفتوى
٩٧٦	الكتب	قلم التحرير
٩٨١	الأدب والعلوم في شهر	» »
٩٨٥	أبناء العالم الاسلامي	» »

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

٥٠	في مصر والشواهد
٢٠	للطبعة في مصر والشواهد
٦٠	في الخارج
٤٠	للطبعة في الخارج
٥	نصف الجنيه

مجلة الأهرام

مجلة شهرية جامعية

تصدر من شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

للعنوايت

إدارة المجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٤١٤

الجزء التاسع - القاهرة في غرة رمضان ١٣٧٣ - ٤ مايو ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقالات

مع الرعيل الأول

أُرقني التفكير - ذات ليلة من هذا الشهر - في مصير مصر الإسلامية ، ومتى يكون
بعضها ، وما هي السعادة التي أذخرها الله لها في مستقبلها القريب ، وهل يستطيع مثل أن يزيح
عن هذا المستقبل يحجب الغيب ، فيرى أحفادنا متعاونين على البر والتقوى ، في مجتمع إسلامي
ينعم بالفلاح والنجاح ، وبالرضا والاستقرار . ولما استبدت في الأرق في تلك الليلة ،
صعدت إلى سطح منزلي في الروضة ، وأطلت منه على أرض القسطنطينية ، فرجعت بهذا كرتي
إلى شهر رمضان من سنة ١٩ يوم كان أصحاب رسول الله ﷺ - من طبقة الزبير بن العوام
والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة وشرحبيل بن حسنة ومسلمة
ابن مخلد وقيس بن سعد وقائدهم العظيم أبي عبد الله عمرو بن العاص - محاصرين حصن
بابلون ، وهم تحت سماء وادي النيل لا يكاد يبلغ عددهم بضعة عشر ألفاً ...

كان ذلك في شهر رمضان ، وقد ضيق المسلمون الحصار على أقوى حامية للروم في مصر ، فانتهاز هؤلاء الفرصة في يوم الجمعة ٢٢ من رمضان - وعمرو بن العاص يؤم الأبطال المجاهدين وهم معه يجود بين يدي الله عز وجل في الركعة الثانية من صلاة الجمعة - فهاجمهم أربعة آلاف مقاتل من حامية الحصن ، يريدون أن يقتالواهم وهم في مكانهم هذا من الله ، وما كاد الروم يقتربون منهم حتى كان فاتح مصر وبطل أجنادين رضى الله عنه قد أتم صلاته ، فابتدر المهاجمين بسيفه وسيوف رجاله ، وبذلك انتقلوا من عبادة إلى عبادة . إنهم أولياء الله ، والولاية هي النصر ، وقد كتب الله عز وجل على نفسه أن ينصر الذين ينصرونه ، فما غربت شمس ذلك اليوم حتى فنى الغادرون عن آخرهم ولم ينج منهم أحد ...

وانتقلت بذاكرتي من مواقف القتال والفتح إلى سنوات الاستقرار والسلم ، فاستعرضت جهود هؤلاء الأولياء الأكابر وقد تحول بعضهم إلى أساندة معلمين ، وبعضهم إلى ولاية رحاء مصلحين ، وبعضهم إلى قضاء يقظين مقسطين ، وبعضهم كان يشرف على شق ترعة الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، وبعضهم قد استأنف جهاده تحت رايات حمرو الظافرة متجهين إلى برقة ليفتحوا آفاقاً أخرى للوطن الإسلامى المرغى ...

إن الذين تشرفوا بصحبة رسول الله ﷺ من هؤلاء الأبرار الأخيار الذين أدخلوا مصر في الإسلام يمدون بالمشات ، وفيهم رجال ممن شهدوا بدرأ مع رسول الله ﷺ ، وفيهم من بايعوه صلوات الله عليه تحت الشجرة ، وقد عني علماؤنا بتسجيل أسمائهم وتراجهم في كتب مستقلة ، وأول من ألف في ذلك محمد بن الربيع الجيزي الذي كان والده من أصحاب الإمام محمد بن إدريس الشافعى المطلبى رحمه الله ، وآخر من ألف فيه الحافظ جلال الدين السيوطى ، وله في ذلك رسالة اسمها (دَرُّ السَّحَابَةِ ، فيمن دخل مصر من الصحابة) ، والذين عرف السيوطى أسمائهم من الصحابة المصريين يناهزون الثلاثمائة .

ودخول هذا العدد العظيم من أصحاب رسول الله ﷺ إلى مصر مما يغبطها عليه كثير من الاقطار الإسلامية ، وآخر من أعلن حزنه لحرمان الهند وباكستان من مثل هذه النعمة ، الكاتب المجاهد السيد مسعود الندوى الذى انتقل إلى رحمة الله ورضوانه في شهر رجب الماضى ، فقال في كتابه (نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند

وباكستان — ص ١٥) : « وإن نفس لا تنفى أن بلادنا قد حرمت أقدام الفاتحين من العرب من تشرفوا بصحبة النبي ﷺ أو استفادوا من أصحابه الكرام رضى الله عنهم ، وأسلاف السيد مسعود الندوى كانوا يتبركون بذكرى القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى الذى كان سبب إسلامهم ، وأفاضلهم الآن يتنافسون فى استقصاء المصادر والمراجع عن محمد القاسم وتفاصيل فتحه لبلاد السند ويعدون ذلك من أفضل بحوثهم العلمية (١) . ولو أن الذين حلوا الإسلام إليهم كانوا من الصحابة أو التابعين لكانت عنايتهم بذلك واغنياطهم به أضعاف ذلك .

قلت إن الصحابة الذين اشتركوا فى فتح مصر ، واختاروا الإقامة فيها تحولوا إلى أساتذة معلمين ، لأن أمير المؤمنين عمر كان يرسل رجاله إلى الأمصار والأقطار ليقوموا بمهمة التعليم بما علوا ، وتأديب الشعوب بما تأدبوا به . وقد رأينا طبقة التابعين فى مصر يزدحجون على أبواب العلماء من طبقة آبائهم ، ليحفظوا عنهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهداف السنة المطهرة ، وأحكام الخيفية السمحة ، فهذا أبو تميم عبد الله بن مالك الجيشانى الرعنى (المتوفى سنة ٧٧) لا يكتفى بما تلقاه عن الصحابة الذين نزولوا مصر ، بل يسافر إلى الحجاز ليأخذ عن على وأبي ذر وإخوانهما من الصحابة . ومثله عبد الله بن زُرير الغافقى (المتوفى سنة ٨٩) ، وعبد الرحمن بن حجييرة الخولانى (المتوفى سنة ٨٣) وهو من تولى قضاء مصر فى الصدر الأول) . وهذا أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى (المتوفى سنة ٩٥) أخذ عن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر وعبد الله بن مالك الجيشانى وعبد الله بن زُرير الغافقى . وهذا عبد الله بن مُنين التجيبى يأخذ عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وهذا الضحاك ابن شرحبيل الغافقى يأخذ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ويسافر إلى أبي هريرة فى المدينة ليتلقى عنه . وهذا أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسه المهرى (المتوفى سنة ١٠٠) يستوفى علم الصحابة الذين فى مصر ، ويسافر إلى زيد بن ثابت وأبي ذر فى المدينة لسمع منهما . وهذا موسى بن وردان العامرى أحد شيوخ الليث بن سعد لا يكاد يفهم من تلقى علم من لقيهم من أعلام مصر حتى يسافر إلى أبي هريرة وأبي سعيد الخدرى ليكون من تلاميذهما .

(١) وقد اطلع وزير مالية باكستان على مقال لى عن محمد بن القاسم ، فكتب إلى يسألنى عن مصادر أخرى لحياة الرجل الذى كان سبب إسلام الهند لأنه مهتم بدراسة ذلك وتدوينه وتعميقه .

وهذا علي بن رباح اللخمي (المتوفى سنة ١١٧) يضيف إلى ما أخذ من علم عقبة ابن عامر ومسلبة بن مخلد علم زيد بن ثابت وأبي قتادة . ويفعل مثله سليم بن جبير السدوسي المتوفى سنة ١٢٣ فيسافر من مصر إلى المدينة ليأخذ عن أبي هريرة . وهذا أبو قبيل حي ابن هانيء المعافري المتوفى سنة ١١٨ يأخذ عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر . ثم يكون من تلاميذه الليث بن سعد ويزيد بن أبي حبيب المتوفى سنة ١٢٨ . ويزيد ابن أبي حبيب هذا هو الذي انتهت إليه الإمامة في مصر بعد ذلك ، وكان قد أخذ عن عبد الله ابن الحارث بن جزء الزبيدي (وهو آخر من مات في مصر من الصحابة الذين شهدوا فتح حصن بابلين) كما أخذ عن أبي الخير مرثد البزني وعبد الرحمن بن شماس وعطاء بن يسار وحي بن هانيء . وهذا بكر بن عمرو المعافري (إمام جامع عمرو المتوفى بعد سنة ١٤٠) يأخذ عن مشرح بن عاهان من تلاميذ عقبة بن عامر وعن بكير بن الأشج المتوفى سنة ١٢٧ وكلهم مصريون . وهذا حميد بن هانيء الخولاني (المتوفى سنة ١٤٢) يأخذ عن علي بن رباح اللخمي وعمرو بن مالك الهمداني وكلهم مصريون . وهذا حيوة بن شريح التجيبي الإمام الزاهد العابد المتوفى سنة ١٥٨ يأخذ عن يزيد بن حبيب المصري وأبي يونس مولى أبي هريرة وحميد بن هانيء الخولاني المصري . وهذا موسى بن علي اللخمي أمير مصر يعتمد أحاديثه البخاري ومسلم وسائر أصحاب الكتب الستة ، وهذا عالم مصر وفقهها وإمامها ورئيسها الليث بن سعد الفهمي (٩٤ - ١٧٥) ما ترك عالما من علماء مصر إلا أخذ عنه أفضل ما عنده ، ثم قصد علماء الآفاق فأخذ عن قتادة ونافع وسعيد المقبري والزهرى وصفوان ابن سلم وتلك الطائفة ، ومن تلاميذه ابن المبارك وابن طيبة وابن وهب وابن عجلان ومئات من حملة الفقه والسنة ، قال عنه ابن بكير : هو أفقه من مالك ، وكان دخله السنوي ثمانين ألف دينار ذهباً يتفقها كلها في سبيل الخير فلا يأتي عليها الحول وعنده منها شيء ولذلك ما وجبت عليه زكاة قط . وهذا بكر بن مضر المصري (١٠٠ - ١٧٤) يأخذ عن يزيد بن أبي حبيب وحي ابن هانيء وجعفر بن ويعة حفيد شر حبيب بن حسنة وكلهم مصريون . ومن تلاميذه الإمام عبد الرحمن بن القاسم (١٣٢ - ١٩١) تلميذ إمام دار الهجرة مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩) وناشر علمه في الدنيا ، وعنه تلقى المدونة أسد بن القرات (١٤٢ - ٢١٣) ورحل بها إلى القيروان سنة ١٨١ . ثم حلها إلى مصر سنة ١٨٨ عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب

مخنون (١٦٠ - ٢٤٠) وعرضها على عبد الرحمن بن القاسم فأصلح بعض مسائلها واعتمدها فخرج بها مخنون إلى القيروان سنة ١٩٩ وعنها انقشر علم مالك في الحافقين .

وأسد بن الفرات الذي تلمذ لعالم مصر عبد الرحمن بن القاسم تولى قضاء القيروان في سنة ٢٠٤ وتولى بعد ذلك قيادة جيوش زيادة الله بن الاغلب وأساطيله وفتح بها جزيرة حقلية سنة ٢١٢ وتوفى من جراحات شديدة أصابته وهو يحاصر سرقوسة برأ وبجراً . وهو مع كل هذا مثل أعلى في الصلاح والتقوى ، والاستقامة على الحق ، والتواضع في تصرفاته ، وإيتار الآجلة على العاجلة في كل شيء ، منذ كان طالب علم ، إلى أن كان حامل أثمن رسالات التشريع من مصر إلى شمال إفريقيا ، إلى أن جلس على كرسي القضاء في دولة بني الاغلب ، وقد أمله ذلك كله ليكون قائداً مجاهداً فاتحاً وشهيداً . هذه هي تربية الرعيل الاول في القرون الثلاثة الاولى التي قال عنها حامل آخر رسالات الله ﷺ : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . وأظنني قد أشرفت مع قرأني من سطح منزلي في الروضة على نماذج صالحة من أهل هذه القرون الثلاثة في القسطاط منذ دخل رعيهم الاول أرض مصر بقيادة الرجل الكامل أبي عبد الله عمرو بن العاص وإخوانه وتلاميذه ، حتى رأينا تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم بلبحة خاطفة لا يحتمل المقام التوسع في بسط تفاصيلها وأبعاد رجالها . وعلى نجباء الشباب الأزهرى أن يجعلوا ذلك من دراساتهم ، ولو تفرغوا لذلك لاستطاعوا أن يؤلفوا في سيرة أسلافهم مئات المجلدات النفيسة .

ومن طبقة عبد الرحمن بن القاسم شيخ أسد بن الفرات إمام آخر من أئمة مصر هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي (١٢٥ - ١٩٩) أخذ عن يونس بن يزيد الاموى وحبوة بن شريح وأسامة الليثي وصحب مالك بن أنس عشرين سنة وأخذ عن سفيان الثوري والليث بن سعد وابن جريج وسفيان بن عيينة وابن دينار وحرمة التميمي وزاد عدد شيوخه على أربعمائة ومن تلاميذه مخنون وابن عبد الحكم وأصبغ وسعيد بن أبي مريم وابن مهدي وآلاف من فقهاء الإسلام . قال ابن حبان يصف ابن وهب المصري : إنه حفظ على أهل مصر والحجاز حديثهم ، وقال أحمد بن صالح : حدث ابن وهب بمائة ألف حديث .

ومن هذه الطبقة أبو عمر أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري (١٤٠ - ٢٠٤) الذي انتهت إليه رئاسة العلم في مصر بعد موت ابن القاسم ، وهو قد أخذ عن الليث ومالك

والفضيل بن عياض وتلك الطبقة ، وأخذ عنه بنو عبد الحكم وسخون ويونس بن عبد الأعلى والحارث بن مسكين وطبقتهم .

وفي هذه الحقبة (سنة ١٩٩) وفد على مصر الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلبى رحمه الله بعد أن استفاد من علمه قبل ذلك أمثال الإمام أحمد بن حنبل وطبقته ، فتجدد بقدمه نشاط العلم في القسطنطينية وجامع عمرو والتف حوله الربيع بن سليمان والبويطي والمزني والربيع الجيزي والحسن بن محمد الزعفراني ، فتدفق في العالم الإسلامي من علم هذا الرجل العظيم ما رأينا آثاره في طبقات الشافعية للسبكي وغيرها من الكتب التي تؤرخ لتطور المعارف الإسلامية وتداوله أماناتها .

إن تطور هذه المعارف وتبنيها بدراسة حياة رجالها من خير ما تنجيه إليه هم شباب الأزهر ، ومتى شرعوا في ذلك فسيجدون منه لذة ومنعة لا أعرف في لذات الدنيا ومتعبها ما يحده أو يقرب منه . ويوم يرجعون بدراساتهم إلى بناييمها الأولى ويحاولون أن تكون لها في أنفسهم آثارها الخلقية كآثار التي تركها الهدى المحمدي في نفوس الصحابة رضي الله عنهم فكانوا علماء وفاتحين ، وحكاما وقضاة ومصلحين ، وكآثار التي تركها علم شيوخ أسد بن الفرات في نفس أسد بن الفرات فكان عالماً وقاضياً وقائد أساطيل وفاتح بمالك . يوم يجد الشباب الأزهرى اللذة والمنعة في علم السلف ، وتكون لذلك العلم المبارك مثل هذه الآثار السامية في نفوسهم ، فيومئذ تكون مصر وطناً إسلامياً حقاً وتكون وطن السعادة والسيادة إن شاء الله ؟

حجّ الدين الخطيب

ذكريات التاريخ

الذكريات من التاريخ قد درست وطارف المجد موهود وتالده
يا آسى الجرح بادر محمد سائله إذا تريثت لم تنجح ضمائده

فليل مردوم

نفحات القرآن

- ١٥ -

٢ - أولياء الله . . .

وأولياء الشيطان

- ١ - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .
ب - والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات.

حدثناك عن الولاء بين الله وعباده المؤمنين ، وانتهينا بك إلى أن ما بين الله وعباده هؤلاء ، وأن ما بين الناس من مودات بريئة ، وروابط تقتضيها منافعهم ، ولا تأباهما شريعة الله : ذلك هو الجدير حقاً بأن يسمى ولاء صحيحاً يحمله اللفظ ، ويرتضيه الوجدان ، وهو ولاء تتجلى به الإنسانية الملهمة التي ينشد بها الإسلام ، ويعمل على تمتينها بتعاليمه .
وأنت ذاكر ما وعدناك به من تمام الكلام على معنى الولاء بالنسبة لغير المؤمنين ، وإذا كان هؤلاء مجافين لدعوة الله ، ومستجيبين لدعوة الطاغوت ، فإن القرآن يقذف بهم بعيداً كما رضوا ، ويلقي بهم في أحضان متبوعهم فيقول : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) .

وما الطاغوت هذا ؟ أم الشيطان وحده ؟ أم الشيطان وأعوانه من دعاة الضلال وقرناء السوء ؟ كل أولئك طاغوت ، لطغيانهم عن الجادة المثلى . وقتنتهم لمن يستهونون ويلبسون فيه الهوادة لشهواته ، فيزينون له ، حتى يركن إليهم ، فهو منهم ، وهم به أولى .

ثم تتصل الآية من أتباع الطاغوت ، وتغفل رعايتهم ، ولا ترقى لأشأنهم ، وتقول : (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) وماذا يكون وراء متابعتهم للشيطان وأعوانه ؟ إنهم ليحيدون بهم عن الهدى ، ومواطن الرشده ، ويسيروهم إلى آخر الشوط في ظلمات المآثم

والكبرياء ، والجهالة ... لذلك تصارحهم الآية بالمآل الذي يستقبلهم ، وتقطع عليهم سبيل الرجاء الذي قد يتخيلونه ، فتقول : (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا قول فصل في قضية أولياء الطاغوت ، وأنت ترى أن جزاءهم اقترن بالحديث عنهم ، ولم يقترن جزاء المؤمنين بالحديث عنهم كذلك فيما سبق ، ولكن الجزاء الرهيب يؤتى به للإقناع بأن الله سبحانه لم يترك لهم معذرة من جهالة أوليائهم ، فهو يقتلع من نفوسهم جفوتها بالتخويف اللاذع والتبكيت الجارح ، ثم يدعهم واختيارهم (فن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أما جزاء المؤمنين فستمد من فضله الواسع ، والتتبعص عليه يشعر بتحيده ، والله تعالى يعدم بفضل غير محدود ، فهو يدع باب الأمل مفتوحا في وجوههم إلى غير نهاية ، ويشعرنا بأن جزاءهم لا يحيط به الأسلوب الكلامي ، وحينما يذكر جزاءهم في آية أخرى يذكره بصيغ فضفاضة ، لاتقف بالذهن عند حد من الأمل ... فثلا يقول : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فهو يبنى عنهم الخوف والحزن إطلاقا وفي صيغة التأكيد .

فيثبت بذلك الأمان والسرور على وجه الإطلاق والتأكيد ، ولعل بصائرهم تستشف بمابهج الأمل مما ينفخ به الحديث القدسي (فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) فذلك وصف للجنة ، ومن أولى بها من أولياء الله الذين اكتفهم رضوانه ٤٤

قلنا لك : إن لفظ الولاء لا يتسع لما بين الطاغوت وأوليائه إلا من قبيل المجانسة في التعبير اللفظي ، أو من باب السخرية بهم ، وقلنا لك : إن منهج القرآن في حديثه عن تلك المتابعة هو الذي بوجهنا تلك الوجهة ، ولك أن تنظر معنا إلى قوله تعالى : ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم ، فكيف يبنى هنا أن للكافرين مولى ، بعد ما قرأنا في أول موضوعنا : والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، أليس هذا - الآن - رفضا لاعتبار الطاغوت وليا كما تكون الولاية الحققة ٤٤ فعلاقتهم به إذا : لا تسمى ولاية ، وإنما ربطوا أنفسهم بها ، فحسبت عليهم ولاية من باب السخرية بهم ، وإلزامهم بما التزموا . وانظر إلى قوله تعالى : إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا

من أصحاب السعير ، فهل يكون ولياً في نظر القرآن وقد سماه لنا عدواً ؟ وهل يكون ولياً من يستدرج أتباعه إلى سعير جهنم ؟ .

وانظر كثيراً غير ذلك ... ثم انظر أخيراً إلى قول الشيطان نفسه : « فيعزتك لاغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين » فهو يقرر على نفسه ملعونا ، وبشهادة الله - سبحانه - أن صلته بالناس صلة إغواء وتضليل ، ولم يسمها ولاء ، ولا موالاة ، ولا نحو ذلك .

وبجمل القول : أن الولاية على أوسع معانيها لا تكون إلا فيما يكفل نفعا ، أو يكشف ضرراً ، وهى هذا التفسير الحاصر جارية بين الله وعباده الخيرين ، وجارية بين الآخذين بهدى الله في دينهم ودنياهم . وأن متابعة الشيطان ، ومودة أهل المآثم ، واتخاذ قرناء السوء ، تسمى غواية لا ولاية ... وفرق بين المنهجين .

وكل ذلك ما بين مسطور في آيات الكتاب ، أو مطوى في مثابه .

ونفحات القرآن تكشف للآلآباب عن كثير من معانيه ، فإن يكن حقاً ما وصلت إليه فله الحمد والمثنة . وإن يكن ظناً فهو ذو مغفرة مرجوة .

هذا - وقد عقب القرآن بعد الآيتين اللتين تحدثتا عنهما بذكر أمثلة ثلاثة يبين فيها فرق ما بين قرناء الشيطان ، وأولياء الرحمن :

المثل الاول : الذى حاج إبراهيم في ربه .

• الثانى : الذى مر على قرية وهى غاوية على عروشها .

• الثالث : إبراهيم إذ قال رب أرنى كيف تحيي الموتى .

(١) على عهد إبراهيم - عليه السلام - كان النمرود بن كنعان - طاغية الفرس - صاحب جدل وخصومة مع الخليل ، وهو على ما يروى العلماء صاحب النار التى كانت برداً وسلاماً عليه ، وقد أبطرته النعمة المسبغة عليه ، وأتى بالفتى مبلغها من الكمال حتى كانت ملكاً ضحياً تسم عرشه ، وتقلد صولجانه .

فلما أريد له تكميل نعمته ، وصياقتها بالإيمان ، تولاه شيطانه ، وقتلته نعمته ، وغلبت عليه جهالته ، فأنكر على إبراهيم أن يدعو إلى ربه ، وقال له : من ربك ؟ فقال إبراهيم : « ربى الذى يحبى ويميت » ، وكان إبراهيم تخير فى جوابه هذا أمراً مشهوداً لا تتعلق به قدرة إنسان : وهو أمر الإحياء والإماتة .

ولمكن نمرود يزعم لنفسه مثل ذلك : أليس يأمر بقتل من يرى قتله ، فيكون أماته بقدرته ، ويعفو عن استحق القتل فيكون أحياء بعفوه ؟ هذا ما نخيله ، وهياً له أن يقول : (أنا أحبى وأميت) وتفكير كهذا ، لا يطمع المرء فى تقويم عوجه .

ولكن إبراهيم يؤيده ربه ، فيصرفه عن هذا الجواب إلى جواب لا ترقى إليه مزاعم الطاغية ، ويقول : (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب) .

وهنا ينحسم الجدل ، ويتعثر ذهن الطاغية عن محاولة أخرى ، وكان محتملاً أن يحاور ويقول لإبراهيم : اطلب أنت من ربك الذى تدعو إليه أن يأتينا بالشمس من المغرب . . ولو أنه قال ذلك لكان للوقوف شأن آخر لا يدريه إلا الله العليم .

ولكن أولياء الشيطان فى هزيمة ، وكيدهم فى ضلال ، وقد شرد الله خاطر نمرود عن مواصلة الجدل ، وعراه الخزى (فبهت الذى كفر) وكيف لا يبهت وقد حصر عن الغلب وهو يدعى الربوبية ، وما ادعاها طاغية قبله من كفرها وعارضوا رسلم ٩٩ ومع هذا الخزى لم يهتز قلبه لحشية من الله ، ولاردعته الهزيمة ، ولا أفاد من إخفاقه عبرة ، وما كان يرجى منه شيء من ذلك وهو مطبوع على اللجاج ، مفتون بدينه ، ظالم لنفسه بالجحود الجاحد (والله لا يهدى القوم الظالمين) .

فهذا واحد من أولياء الشيطان ، أو هو واحد من يتولاهم الطاغوت ، وقد أخرجه من نور الهداية ، وسد عليه أبواب الرشاد فافتقرى ، وخاب ، وضل عن الصواب ، ودخل فى ظلمات ، فلم يفكر ، ولم ينطق ، وأحاطت به خطيئته ، فلم يكن على شيء مما ادعاه لنفسه ، ونكس رأسه بعد شموخ ، وحقت عليه لعنة الله مع طاغوته . وإبراهيم واحد من يتولاهم الله ، ثبته ربه على الحق ، وألهمه السداد ، ولقنه الحجة على خصمه ، فكان من شأنه ما رأيت .

فأين من يتولاه الشيطان عن يتولاه الرحمن ؟ ؟

ذلك مثل من ثلاثة ذكرت في هذه القصة ، وهو صورة من صور التبعية للشيطان أو قرناء السوء ، وفيه داعية العجب من إنسان يدعى إلى التوحيد ، فلا يكفيه أن ينأى عن الدعوة ، بل يتمرد عليها ، حتى يطغى فوق طغيانه ، فيدعى أنه رب للناس وهو بالخير أشبه .

والله — سبحانه — يثير العجب من شأنه في نفس رسوله محمد ﷺ وفي نفس من يقرأ ذلك النبأ فيبدأ الكلام بقوله : (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه . . . ٩٤)

وهذه صيغة فيها تعجب وتقرير ، وكأن مقصودها أن يصدق بهذا من لم يكن يعلمه ، وأن يتعجب من حصوله ، وبالتصديق والتعجب تثار العبرة ، وتتخذ العظة ، وتجنب الفتنة بغواية الشيطان وما إليه من دواعي الغرور ، ولئن تكن قصة مظلمة بالنسبة لمن كان مشارها ، وهو نمرود ، ففيها جانب تشع منه بوارق النفع لأولياء الله .

والله سبحانه يعظ أناساً بأناس ، وهذه سنته ، وتباركت حكمته ، والسعيد من وعظ بغيره ، ولنا عود إلى المثالين الباقيين إذا أفن الله ۞

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

شاب يملك غضبه

غضب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يوماً فاشتد غضبه — وكان فيه حدة — وعبد الملك ابنه حاضر . فلما سكن غضبه ، قال له ابنه :

— يا أمير المؤمنين ، في قدر نعمة الله عندك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده أن يبلغ بك الغضب ما أرى ؟

قال عمر : كيف قلت ؟

فأعاد عليه عبد الملك كلامه ، فقال له أبوه :

— أما تغضب أنت يا عبد الملك :

قال : ما يغنى عني جوفى إن لم أرد الغضب فيه حتى لا يظهر منه شيء . . .

البيان

الجوار في الاسلام

- ٢ -

عزة المجير في الإسلام - تقدير الإسلام للإنسانية - سبيل الإسلام
في معاملة أعدائه - عنايته البالغة بأهل الذمة - الجزية على الذميين والزكاة
على المسلمين - خليفة المسلمين يوصى بأهل الذمة وهو يودع الدنيا !

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « من قتل معاهدا لم يرح
رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما » .

وعن عمر رضى الله عنه قال : « وأوصيه - يعنى الخليفة بعده - بذمة الله وذمة رسوله
ﷺ : أن يوفى لهم ؛ وأن يقاتل من ورائهم ؛ ولا يكفروا إلا طاقهم » .
رواهما البخارى (*)

* * *

لم نكن مبالغين حين قلنا في ختام الحديث الماضى : « لو نظر أعداء الإسلام نظرة
تقدير وإنصاف إلى الجوار في الإسلام ، لما ترددوا أن يستجبروا به ، ويلتجئوا إليه ،
وهناك يرون رأى العين أعز مانع للجار ، وحام للذمار ، بل لا نكون مبالغين إذا قلنا :
إنهم لو أنصفوا الإسلام ، أو أنصفوا أنفسهم لما ترددوا ساعة أن يهتدوا بهديه ، ويستقيموا

[*] الأول في باب إنم من قتل معاهدا بشير جرم ، من كتاب الجزية ، والثانى في باب « يقاتل
عن أهل القمة ، ولا يسترقون » من كتاب الجهاد . وراح يرح ، وراح يرح ، وأراح يرح : إذا وجد
رائحة الفىء ، والثلاثة قد روى بها الحديث ، كما في النهاية لابن الأثير .

على طريقته ، وأن يقولوا كما قال الحواريون من قبل : ربنا آمننا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكثبنا مع الشاهدين .

ذلك بأن الإسلام لم يعد الجوار فيه مجرد نافلة فاضلة ، أو فضيلة مكملية ، وإنما عد الجوار فيه عقدا محتوما يوجب احترامه ، وعهداً مشئولاً يحتم الوفاء به . هذا إلى ما يضيفه الإسلام على المجير - وإن قل شأنه - من معاني الإعزاز والتكريم لاتباعه ، بما لا يوجد له نظير في قانون دولي على وجه المعمورة ...

وأى عزة وعظمة ومنعة يشعر بها الجندى العادى من جنود الإسلام ، وهو يوقن أنه ذو حق في أن يجير من استجار به ، ويحمى من التجأ إليه ؛ ويرى أن قانون الإسلام الحربى تكفل له بهذا الحق أحسن كفالة ، وضمنه له أحسن ضمان ؟

لا جرم أنه حيثئذ يستعمل هذا الحق في خير وجوهه وأدائها إلى للصلحة العامة ؛ ليكون دائماً موضع ثقة الإسلام والمسلمين به . وكفى بهذا تقديراً للإنسانية في منهاج الإسلام ، الذى جاء ناشراً للسلام ، ومتعاضداً لمكارم الأخلاق (١) .

* * *

إن غير المسلمين في منهاج الإسلام أصناف ثلاثة : محاربون ، ومعاهدون ، وذميون . وكل من هؤلاء ذاق - أو عرف - من حلاوة الجوار في الإسلام ، ما كان كفيلاً بأن يجذبه إليه ، لولا حوائل الكبر والبغى والحسد ، وغوائل العناد والعصية والجمود .

فأما المحاربون فسيبله معهم أن يدقع كيدهم ، ويرد عدوانهم ، ويقاتلهم كما قاتلوا أهله ، حماية لدعوتهم ، ودفاعاً عن حوزتهم ، ولذلك يشتد نكير الإسلام على من يقاتل من لا يبد له في القتال ولا رأى من النساء والصبيان ، والعجزة والرهبان ، فإن هؤلاء ومن إليهم في حماية الإسلام ورعايته ، يتقيهم ويحميهم ما استطاع إلى الحماية سيلاً .

(١) بسط هذا للمعنى السيد عبد الدين الخطيب في محله « الفتح » وهو يوازن بين كبرياء الجندى البريطانى للسلطنة ، وحرمة السلم للمجاهد الحق في مقال عنوانه : جوار المروبة وذمة الاسلام . انظر العدد ٨٣٠ مفتتح العام السابغ عشر .

وكذلك يحجج الإسلام وسل العدو والمحارب ، فلا يعرض لهم بسوء ولا أذى ، ولو جاءوا منذرين بالحرب ، مستهزئين بالإسلام ، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء ابن النوّاحه وابن أثال ، رسولاً مسيلة إلى النبي ﷺ ، فقال لهما : أتشهدان أني رسول الله ؟ قالا : نشهد أن مسيلة رسول الله ، فقال ﷺ : آمنت بالله ورسوله ، لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما . قال عبد الله : فضت السنة على أن الرسل لا تقتل . وروى أحمد وأبو داود عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : « بعثتني قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقع في قلبي الإسلام ، فقلت يا رسول الله : لا أرجع إليهم ، قال : إني لا أخيس العهد ، ولا أحبس البرد ، ولكن أرجع إليهم ، فإن كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع ، فرجع أبو رافع ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم .

* * *

وفي إجارة الإسلام لرسل المحاربين وحمايتهم ، دعوة إلى هدايته ، ونشر لرسالة ، في سياسة رشيدة ، وخطة حميدة ، وقد تردد بين النبي ﷺ وقريش جماعة من الرسل واحداً بعد واحد ، فأروا من مكارم أخلاقه ومعاملته لأصحابه ما لم يروه عند كسرى ولا قيصر ، فأخبروا قومهم بذلك . وكان لهذا وأمثاله أعظم الآثار في نشر الدعوة ودخول الناس في دين الله أفواجا .

* * *

وأما المعاهدون فهم الذين أبرمت بينهم وبين المسلمين معاهدة وميثاق على السلم ، ومنهم المستأمنون الذين دخلوا في جوار الإسلام بتأمين واحد من أهله ، على ما بينا في الحديث السابق .

وسبيل الإسلام مع هؤلاء أن يوفى لهم بعهدهم كاملاً غير منقوص ، وأن يستقيم لهم ما استقاموا للمسلمين .

ومن هؤلاء المستأمنين من يستجير بنا لسمع كلام الله ويتعلم شرائع دينه ، حق علينا أن تؤمنه ليسكون على بينة من الأمر ، ثم نحميه حتى يبلغ منزله الذي يأمن فيه ويسكن إليه ،

انتقارا بأمر السلام المؤمن عز سلطانه ، وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ..

* * *

ومن عجيب أمر الإسلام في الوفاء بالمعاهدات التي أضحت حبراً على ورق في الدول الكبرى - أنه لا يبيح لنا أن ننصر إخواننا المسلمين الذين حرّموا التمتع بسلطاننا ، على المعاهدين من الكفار ، وقد كان الرجل يفر بدينه مسلماً لا ثداً بالمسلمين في عهد الحديبية ، فيرده النبي ﷺ إلى قومه الكافرين ويقول له : إن بيننا وبين القوم عهداً ، وإن الله جاعل لك فرجاً ومخرجاً ، وكانوا عاهدوا النبي ﷺ فيما عاهدوه ، أن يرد إليهم من جاء منهم إليه مسلماً ، على حين لا يردون إليه من جاء من المسلمين كافرين ...

وقد حمى الله المؤمنين أن يرتد أحد منهم عن دينه ، كما صدق رسوله لجعل لهم فرجاً ومخرجاً ، بتحلل المشركين أنفسهم واستغاثتهم من هذا الشرط ، لأنه كان عليهم وحدهم بلاء وشراً ...

* * *

وأما الذمبون فهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وهم في حقيقة الأمر معاهدون من طراز آخر ، لهم ذمة الله وذمة رسوله ، وعهد الله وعهد رسوله ، في جوار الإسلام ورعايته ، لهم مالنا وعليهم ما علينا ، نحميهم وندافع عنهم ، وتقاتل من يعتدى على دينهم أو أنفسهم وأموالهم ، ولا نكلفهم من الجزية التي أمر الله بها أن تؤخذ منهم ما لا طاقة لهم به ، فمن ضيع حقاً من حقوقهم هذه أو أعان على ضياعه ، فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله ، وانتكح حرمة الإسلام والمسلمين ! ومن قتل واحداً منهم كان جديراً بسخط الله ورسوله ، خليفاً بأن يتوعده الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بما يتوعد به التارك لدينه ، فلا يدخل الجنة ولا يشم ريحها ، وإن ربحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً .

ومن المقرر في قواعد الشريعة أن مرتكب المعصية المجمع على تحريمها مرتد عن دينه إن استعملها ، وإلا فهو آثم متخلف عن ركب الطائعين ، إلى وضوان الله تعالى . إلا من قاب وآمن وعمل صالحاً .

وليست الجزية التي فرضها الله تعالى على أهل ذمته إلا جزاء يسيرا ، لا يكاد يكافيه ما يلتزمه المسلمون من إعانتهم والدفاع عنهم والسهر على مصالحهم ، وهي أيسر من الزكاة التي فرضها الله على الموسرين من المسلمين ، وأمر فيه صلوات الله وسلامه عليه أن يأخذها منهم ، لأن فريضة الزكاة عامة على كل موسر وإن كان طفلا أو امرأة ؛ وأما الجزية فلا تؤخذ - كما قال المسوردي في الأحكام السلطانية - إلا من الرجال الأحرار العقلاء ، مع أن حماية المسلمين شاملة لأهل الذمة جميعاً .

• • •

ومعاذ الله والإسلام أن تكون الجزية كالضرائب التي يفرضها الفاتحون والمستعمرون على من يتغلبون عليهم . بل تلك مغارم فادحة يتقلون بها كواهلهم ، ويمصون بها خيرات بلادهم ! وما نفلن أهل الكتاب يجهلون هذا ، وكثير منهم يعرفون الكتاب كما يعرفون أبناءهم ، وإن كنته تهانون المسلمين وانتهاكهم لحرمات الله ورسوله ، ثم تفرق الكشايين عليهم واعتدائهم ، جزاء وفاقا ! ومصدق هذا ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : كيف أنتم إذا لم تجتنبوا دينارا ولا درهما ؟ قيل له وكيف ترى ذلك كائنا يا أبا هريرة قال : إني والذي نفس أبي هريرة بيده ، عن قول الصادق المصدوق . قالوا : عم ذلك ؟ قال : تقتلك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ ، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة ، فيمنعون ما في أيديهم .

وما رواه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ! فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ! فقال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت !!

• • •

وبعد ، فهل بلغ أهل الذمة عامة أن دولة الإسلام وأئمة المسلمين ، عنوا بحوارهم والإحسان إليهم ، عناية لم تعرفها - ولن تعرفها - دولة أخرى على وجه البسيطة ولو كانت تدين بدينهم ؟ وهل بلغهم أن اليهود - وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا - كانوا يعيشون

في جوار الرسول ﷺ والمسلمين ، في رغد من العيش آمنين مطمئنين ، حتى تقضوا هبدم ، ونكثوا أيمانهم ، وخانوا الله ورسوله في كل مرة ، ثم أخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ؟ وهل بلغهم أن خليفة المسلمين عمر رضى الله عنه الذى أجل اليهود من جزيرة العرب إلى الشام تنفيذاً لوصية النبي ﷺ ، أوصى وشدد في الوصية بإحسان الجوار لأهل الذمة والرفق بهم ، تنفيذاً لوصية النبي ﷺ كذلك ؟ ويبلغ من عنايته بهذه الوصية أن تكون منه في سكرات موته ، وهو يودع هذه الدار ويقبل على الله والدار الآخرة !! وأن تكون في سلك وصيته الجامعة للخليفة بعده ، بالمهاجرين الأولين ، وبالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان ! في حديث رواه البخارى في آخر كتاب الجنائز ، وبسطه في مناقب عثمان رضى الله عنه !!^(١) .

* * *

وأخيراً ، هل بلغ أقباط مصر أن الرسول الأكرم ﷺ خصهم من بين أهل الكتاب بوصية كريمة بالغة ، لأن لهم ذمة وصحرا ؟... ذلك ما نرجو أن نفضله بعض التفصيل في الحديث القادم إن شاء الله ، ومن الله سبحانه العون والتوفيق ؟

طه محمد الساكت

وصية وتوجيه

قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمره :

« يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها . وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك . » أخرجه الحنفية

(١) واقتصر في كتاب الجهاد على بعض الذى سقناه هنا لتناسبة الباب ، ولا مانع من اختصار الحديث بقدر المناسبة .

١ - زواج المسلم بالكتائية

٢ - وإسلام زوج الكتائية وغيرها

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتي مصر السابق ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر جولات عليية مشهودة . وقد تفضل فبحث إلى مجلة الأزهر يبحث فقهي تمتع في زواج المسلم بالكتائية ، وفي إسلام زوج الكتائية وغيرها والآثار المترتبة عليه شرعاً .

وهاتان المسألتان قد يتخيل البعض أنهما من الفقه للطروق الشائع ، وأن البحث فيهما لن يأتي بجديد . ولكنهم إذا عرفوا أن الفقه الإسلامي على كثرة ما بذل فيه من جهود ما زال كالكنز الحافل بالآلاء التي تحتاج في إبرازها إلى يد صناع ، وأن العباقرة من رجال الفقه هم الذين يستطيعون أن يبرزوا للناس تلك الآلاء الفوالى .

إذا عرفوا ذلك فإنهم سيرون في بحث فضيلة الأستاذ وما جمع فيه من آراء الفقهاء ، وما ذكر من أدلة لأصحاب تلك الآراء ، وما أبدى من توجيهات سديدة ، سيرون في كل ذلك ما يشقى غلة المتعطشين للبحوث الشيقة وخاصة ما له أثر بارز في الحياة الاجتماعية . وقد رأت المجلة أن تلفت حضرات قرائها عن ينهم التزود العلى إلى هذا البحث . (المجلة)

... ..

المسألة الأولى :

الكتائي في إطلاق كثير من آيات القرآن : هو من كان من أهل النوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى كما ذكره أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن ، وابن قدامة الحنبلى في كتابه - المغنى .

والمشرك من ليس من أهلها من عبدة الأوثان وغيرها كمشركى العرب وأشباهم ، ويشهد بذلك قوله تعالى : ، أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ، . وقوله تعالى : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ،

وقوله تعالى : إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، الآية وقوله تعالى : ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، وقوله تعالى : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، الآية . وغير ذلك من الآيات التى فصل بها القرآن بين المشركين وأهل الكتاب بالمعطف الذى يقتضى المغايرة لغة عند الإطلاق .

وقد وصف أهل الكتاب الذين حرفوا وبدلوا بالشرك فى قوله تعالى : وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، وقوله تعالى : اتخذوا أجيالهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون .

فقد وصفوا بالشرك لأنهم أشركوا مع الله تعالى آلهة أخرى من عباده .

ومن هنا ذهب عبد الله بن عمر إلى أنهم مشركون ، ففياً أخرجه البخارى عن نافع عن ابن عمر ونقله أبو محمد بن حزم الظاهرى بالمحلى ، والعلامة الألوسى فى تفسيره ، أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح الرجل المسلم النصرانية أو اليهودية : قال حرم الله تعالى المشركات على المسلمين ، ولا أعرف شيئاً من الإشراف أعظم من أن تقول المرأة : ربها عيسى ، أو عبد من عبادة الله تعالى .

وقد اتفق جمهور الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وفقهاء مذاهبهم والظاهرية وجمهور الزيدية والإمامية على إباحة تزوج المسلم الكتانية .

قال أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن ص ٣٣٢ ج ١ : « روى عن جماعة من الصحابة والتابعين ، ومنهم الحسن البصرى وإبراهيم النخعى والشعبي ، إباحة نكاح الكتانيات ، وقد تزوج عثمان بناثلة بنت القرافصة الكلبيه وهى نصرانية على نسائه ، وتزوج حذيفة يهودية ، وتزوج طلحة يهودية من أهل الشام ، ولا نعلم عن أحد من الصحابة والتابعين تحريم نكاحهن ، وروى عن عبد الله بن عمر أنه كره نكاح النساء الكتانيات ، وروى عنه أيضاً أن قوله تعالى : ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن ، عام فى المشركات والكتانيات . والظاهر أن مراده منهن اللاتى يشركن مع الله آلهة أخرى من عباده .

وقال الجصاص تعليقا على الرواية الاولى : إنها لا تدل على تحريم نكاحهن ، فإن ما ذكر

من الكراهة يدل على أنه ليس على وجه التحريم ، كما يكره تزوج نساء أهل الحرب من الكتايات لا على جهة التحريم ، وقال تعليقا على الرواية الثانية عنه : إن الآية المذكورة خاصة بالمشركات دون الكتايات ، كما يدل عليه عطف الكتانيين على المشركين في كثير من الآيات ، وهو يدل على التغاير بينهما .

وقال في الجزء الثاني من أحكام القرآن ص ٣٣٤ عند تفسير قوله تعالى « في سورة المائدة » : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحضات من المؤنات والمحضات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتهم من أجورهم » : إن المراد من المحضات العفاف ، كما روى عن عمر والحسن والشعبي وإبراهيم والسدي . وروى عن مجاهد أنهم الحرائر ثم قال : إن نكاح الحرائر من الذميات لا خلاف فيه بين السلف وقهاء الأمصار إلا شيئا روى عن ابن عمر أنه كرهه ، وكان يجيب من يسأله عن حكمه بتلاوة آية التحريم في البقرة وهي : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » وتلاوة آية التحليل في المائدة وهي : « والمحضات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » دون أن يذكر الحكم ، ودل ذلك على أنه كان متوقفا فيه لم يقطع فيه بدليل ثم قال : « وافق جماعة من الصحابة على إباحة نكاح الكتايات سوى ابن عمر ، ومنهم سعيد بن جبير وعمر وحذيفة وطلحة ، ورويت إباحته عن عامة التابعين ، وإذا سلم أن إطلاق آية التحريم يشمل الكتايات فقد خص هذا العموم بآية المائدة ، وإن كان الظاهر أن لفظ المشركات في الآية خاص بالوثنيات وآية المائدة لم تنسخ » .

ويخلص من هذا أن جمهور الصحابة والتابعين يرون حل زواج الكتايات بناء على أن آية البقرة خاصة بالمشركات أي الوثنيات ، وآية المائدة خاصة بالكتايات ، أو أن آية المائدة ناسخة أو مخصصة لآية البقرة على فرض عمومها ، وأن ابن عمر إما متوقف في الحكم فلا يكون له رأى في المسألة مقطوع به ، وإما أن رأيه الكراهة فقط دون التحريم ، وإما أن رأيه التحريم بناء على أنهم مشركات اعتقادا فيمكن مثلهم في الحكم الثابت بقوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » .

وقال ابن قدامة في المفتي ص ٥٠٠ جزء ٧ « ليس بين أهل العلم اختلاف في حل

حرائر نساء أهل الكتاب ، ومن روى عنه ذلك عمر وعثمان وطلحة وحذيفة بن اليمان وسليمان وجابر وغيرهم ، قال ابن المنذر : « ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك » .

وروى الخلال أن حذيفة وطلحة والجارود بن المعل وأذينة السدي تزوجوا نساء من أهل الكتاب ، وبه قال سائر أهل العلم ، وحرمة الإمامية تمسكاً بقوله تعالى : « ولا تتكحروا المشركات حتى يؤمن » ، وقوله تعالى « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » . ولنا قوله تعالى في سورة المائدة « اليوم أحل لكم الطيبات الخ » ، وإجماع الصحابة على ذلك .

أما قوله تعالى « ولا تتكحروا المشركات » ، فروى عن ابن عباس أنها نسخت بآية المائدة وكذلك ينبغي أن تكون آية « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، مفسوخة بها أيضاً لأنهما متقدمتان ، وآية المائدة متأخرة عنهما نزولاً ، وهي آخر ما نزل من القرآن .

وقال آخرون : إن هذا ليس نسخاً لأن لفظ المشركين لا يتناول بإطلاقه أهل الكتاب كما قال جمع من أهل العلم ، ومنهم ابن جبير وقتادة ، على أنه إذا كانت آية التحريم عامة في كل من ليست مسلمة سواء أكانت مشركة أم كتانية ، فإن آية المائدة خاصة في حل أهل الكتاب ، والخاص يجب تقديمه على العام ، نعم إن تزوج المسلم بالكتانية مكروه وغير حرام كما هو رأى عمر وعبد الله بن عمر في إحدى الروايات عندهما ملخصاً .

وفي القرطبي ص ٦٧ - ٣٠ « عن ابن عباس أن الله تعالى حرم نكاح المشركات في سورة البقرة ثم نسخ من هذه الجملة نساء أهل الكتاب فأحلن في سورة المائدة وبه قال مالك وسفيان بن سعيد الثوري والأوزاعي » .

« وهذا بناء على أن لفظ المشركات يشمل الكتانيات ، ولذلك عدت آية المائدة ناسخة » ، وقال قتادة وسعيد بن جبير : إن لفظ المشركات عام في كل كافرة ، والمراد الخصوص وقد بينته آية المائدة ، ولم يتناول العموم قط الكتانيات وهو أحد قول الشافعي .

وقال إسحاق : ذهب قوم إلى أن آية البقرة هي الناسخة ، وآية المائدة هي المنسوخة ، وحجتهم في ذلك رواية ابن عمر .

قال النحاس : وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة ، فقد قال بالحل جماعة من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ، وأيضاً يمتنع أن تكون آية البقرة

هي النسخة لأن البقرة من أول منازل بالمدينة ، والمائدة من آخر ما نزل بها ، وإنما الآخر يفسخ الأول .

وأما حديث ابن عمر فلا حجة فيه لأنه كان متوقفا ولم يبلغه النسخ ولم يذكر عنه ذكر النسخ وإنما تقول عليه ولا يؤخذ النسخ والمنسوخ بالتأويل ، ثم ذكر رواية أخرى عن ابن عباس ، وهي أن آية البقرة عامة فتكون ناسخة لآية المائدة ، وهو ناظر في ذلك إلى قول ابن عمر ، وعقب على ذلك بقوله : « ولا يصح عن أحد من الأوائل القول بالتحريم » ١٠١ .

ويلخص من ذلك أن الإجماع منعقد على حل تزوجهن ولم يخالف فيه من الفرق سوى الإمامية تمسكا بالآيتين المذكورتين ، وهما منسوختان بآية المائدة ، إذا شملتا الكتابيات أو خاصتان بالمشركات دون الكتابيات .

وسأق الكلام عليهما وأن حديث ابن عمر لا حجة فيه بل لم يصح عند أحد من الأوائل القول بالتحريم .

وهذا الذي ذكره الجصاص وابن قدامة والقرطبي ، هو المذكور في كافة كتب المذاهب الأربعة .

رأى الظاهرية :

قال ابن حزم في المحلى ص ٤٤٥ : « وهو لسان الظاهرية بجواز زواج المسلم الكتابية وهي اليهودية والنصرانية .

وروى عن ابن عمر تحريم نكاح نساء أهل الكتاب جملة ، واستدل لذلك بما رواه نافع عن ابن عمر وقد سئل عن نكاح اليهودية والنصرانية ، فقال : « إن الله تعالى حرم المشركات على المؤمنين ، ولا أعلم من الإشراف أكثر من أن تقول المرأة : ربها عيسى أو عبد من عباد الله عز وجل .

وأباح أبو حنيفة ومالك والشافعي نكاح اليهودية والنصرانية ، واستدل على التحليل بأن هناك آيتين في القرآن : آية التحريم وآية المائدة في التحليل . والواجب الطاعة لكلهما وأن لا نترك إحداهما للأخرى ، ولا سبيل إلى الطاعة لهما إلا بأن يستثنى الأقل من الأكثر فوجب استثناء إباحة المحصنات من أهل الكتاب بالزواج من جملة تحريم المشركات ، ويبقى سائر ذلك على التحريم بالآية الأخرى . اه ملخصا .

حسن محمد خاتون

للبعث بقية

رمضان هجرة الى الله

صوم رمضان عبادة غربية بين العبادات ، فهي على ما بها من صبر وألم ، وحبس وحرمان ، محبة إلى نفوس المؤمنين ، يفرحون بقدمها ، ويحتفلون للقائها ، إلا أنها فرحة مقرونة بحذر ، واحتفال مقرون بجلال ووقار ، خشية ألا يحالفهم التوفيق فيما يليق بها .

يفرح برمضان الكبير والصغير ويوقره ويهابه النبي والفاجر وكم من فاجر تاب بين يدي رمضان وعزم فيه على العودة إلى الله والإنابة إليه ، فكان مبعث خيره وسعادته ، وكم من نقي انتهز فرصته لمضاعفة الثواب فيه ، فأكثر من أعمال البر فسمت نفسه ، وانبسطت بالعطاء يده ، فقال من خيره البائس والمحروم ، والتقريب والبعيد ، وفي رمضان يكف المسلم أذاه عن غيره توقيراً لحرمة ، وإجلالاً لمقامه ، ويقبل على تلاوة القرآن ما واثت الفرصة وأمكن الفراغ ، فهو بين صيام النهار وقيام الليل ، والثواب وراء ذلك على قدر النية والإخلاص ، وكل عبادة قدر الله فيها الثواب إلا صوم رمضان ؛ فقد وكل قدر الثواب فيها إلى نفسه ، وهو الوهاب الكريم الذي لا تنفذ خزائنه ولا تفيض بحار فضله .

ورمضان ميزان للإيمان وامتحان للمزائم ، أما المؤمن قوى الإيمان صادق العزم فيقبل على الامتحان في ثقة واطمئنان ، ويجوزه بنجاح ، ويفوز فيه بثواب الله ورضوانه . قال العلامة ابن رجب : « وكثير من المؤمنين لو ضرب على أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعل ، لعله بكراهة الله لفطره في هذا الشهر ، وهذا من علامات الإيمان أن يكره ما يلائمه من شهواته ، إذا علم أن الله يكرهه ، فتصير لذته فيما يرضى مولاه ، وإن كان مخالفا لهواه ، ويكون أنه فيما يكرهه مولاه وإن كان موافقا لهواه ، أما ضعيف الإيمان ذو العزيمة الرخوة والإرادة الخائرة ، فإنه يقبل على رمضان حائرا يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، يتنازع إيمانه وشيطانه ، وتصطرح في نفسه شهوته وإرادته ، فهو في كل يوم من رمضان في معركة وجهاد . ولا تنصار الصائم في كل يوم بتمام صيامه فرحة لا يقدرها إلا الصائم ، ولا تنصاه بصيام الشهر كله فرحة كاملة ، وفي الحديث : للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ، ولأن الصوم جهاد وامتحان ومصارعة بين الهوى والإرادة ، يتنافس الصبيان

في صيامه ، ويتواصون على أدائه ، وما أشد فرحة الصبي بصوم يوم من أيامه ، فهو شهادة بانتصاره ، ودلالة على عزمه وإرادته .

وللشفقة في صيام رمضان جعل الثواب عليه كثيراً ، وأجر العمل فيه مضاعفاً . فمن سلمان الفارسي رضى الله عنه : من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وعن أنس رضى الله عنه : سئل النبي ﷺ : أى الصدقة أفضل ؟ قال : صدقة في رمضان . وعن النبي ﷺ في الصحيحين : عمرة في رمضان تعدل بحجة — أو قال حجة — معي .

والصوم عبادة تهذيبية تكفكف من حيوانية الإنسان ، وترقق من نفسه الشهوانية ، وتجذبه شيئاً فشيئاً إلى الروحية الخالصة ، وتقربه رويداً رويداً إلى الملائكة الأعلى ، ملائكة المقربين ، فيأنس بهم ، ويلوذ بكنفهم ، وكل يوم ينقضى منه بإخلاص فهو مرحلة إليهم ، حتى إذا كاد ينقضى رمضان نهياً لمخالطتهم وموانستهم . لذلك كان من تمام حكمة الشارع أن يشرع الاعتكاف في العشر الاواخر من رمضان بالمساجد ، لينقطع بكليته عن الخلق ، ويجمع أمره كله للخالق . يسعد بمناجاته ، ويتلذذ بقربه ، ويضع بين يديه حاله ، ويتفرغ إليه في ذلة وإخبات أن يتجاوز عما أسلف ويغفر له ما قدم . فالاعتكاف حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه ، فما بقي له هم سوى الله وما يرضيه عنه .

فمضى الاعتكاف وحقيقته قطع العلائق عن الخلق ، للاتصال بخدمة الخالق ، وكلها قويمه المعرفة بالله والمحبة له والانس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله بالسكينة .

والصوم عبادة يقبل عليها المؤمن بنفس راضية مطمئنة ، واثقة بما فيها من الخير ، وما وعد الله عليها من الثواب ، ويحاول ضعيف الإيمان أن يتعرف فيها وجه المصلحة وسر التشريع ، وقد تكلم علماء الدين والنفس والطب في ذلك كثيراً ، ويعجني في تلخيص سر التشريع قول ابن رجب الحنبلي : وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد : منها كسر النفس : فإن الشيع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة . ومنها تخلي القلب للفكر والذكر ، فإن تناول هذه الشهوات يدنس للقلب ويعمي ، ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر ويستدعي الغفلة . وخلو الباطن من الطعام والشراب ، ينور

القلب ، ويوجب رفته ، ويزيل قسوته ، ويخليه للذكر والفكر ، ومنها أن الغنى يعرف قدر نعمة الله بإقداره له على ما منحه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والوقاع ، فإنه بامتاعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع ذلك على الإطلاق ، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك .

ومع كثرة ما يذكره العلماء والأطباء في سر الصوم ووضوح حكمة تشريعه ، نرى كثيراً من المسلمين يضيّقون به ويفرطون فيه بشئ الأعذار ، تبريراً لتفريطهم ، واعتذاراً عن خيبتهم ويقولون : لأنه عذاب ، وإن صوم رمضان فوق الطاقة ، كبرت كلفة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ، فامتنع الله عباده بما يخرج عن طاقتهم ، وهو وحده العالم بمصالح عباده ومقدوراتهم ، وقد جعل لغير المطلق رخصة الفطر حتى يطيق ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .

وما رمضان في الحقيقة إلا (رجم) خاص في شهر من السنة يدور في فصولها فيقع أحيانا في الشتاء لا يكاد يحس الصائم فيه بشيء من القسوة ، ويقع في القيظ فيحس الصائم بشيء من عناء يخفف بتكرار أيامه فيكون (رجميا) محتملا كما يحتمل غيره ، وكما من أنواع الرياضات القاسية يحتملها هؤلاء المفرطون لغاية جسمية أو مادية ، وبدافع من الدوافع التافهة السخيفة ، كجسارة أهل التدين الزائف في تنجيف القوام ، أو الفوز بجائزة ، أو الحصول على شهرة ، ليقال فلان بطل في الجري أو القفز أو السباحة أو غير ذلك ، وإنهم ليتعرضون لأخطار قد تودى بأرواحهم ، ومع ذلك يقبلون عليها بطيب نفس وفي ثقة واطمئنان ، وإذا قيل لهم صوموا رمضان ثقاقوا وتحاذقوا ، وإذا قيل لهم (آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) .

وقد قيل من زمن قريب : إن بعض السيدات أضربن عن الطعام وهددن بمواصلة الصيام حتى يمتن أو تجاب مطالبهن السياسية ، وإذا قيل لهن ولأمثالهن : صمن رمضان ، قلن : لأنه عذاب ، وإنه مذهبة للبهاء والجمال ، ولقد صدق الله إذ يقول (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) . هذا وإن من واجب المسلمين أن ينتهزوا فرصة رغبة الأبطال في الصيام ، وتهاقنهم عليه فيفكروا في نفوسهم حبه ، ويشجعوهم على صيامه ، والعادة عون على العبادة ، فإذا

شبوا على حبه شابوا عليه وهان عليهم أدائوه ، وكثير من الناس يحرصون على صوم رمضان لأنهم اعتادوا صيامه ، ويحملون في غيره من عبادات دونه في الكلفة والمشقة ، وما ذاك إلا لسلطان العادة .

والصوم آداب لا يتم ثواب الصائم إلا بها ، وقد لخصها جابر رضي الله عنه بقوله : « إذا صمت ، فليصم صمك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليسكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » .
وما أحسن ما قيل :

إذا لم يكن في السمع منى تصاون وفي بصرى غض وفي منطقي صمت
فخطى إذا من صومى الجوع والظما فإن قلت إني صمت يومى فما صمت

أبو الوفا المرافى

عزيمة من عزائم الصديق الأكبر

لما أشار بعض الصحابة على الصديق الأكبر بترك الجهاد ، ارتقى أعواد منبر رسول الله ﷺ وخطبهم فقال :

أيها الناس ، إن كثر أعدائكم ، وقل عددكم ، ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟
واقه ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون . قوله الحق ، ووعد الصديق
« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » ، « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، واقه مع الصابرين » .

أيها الناس ، لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده ، حتى أبلغ نفسي عذراً
أو أقتل مقتلاً . واقه أيها الناس ، لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ
لجاهدتهم عليه ، واستغنت بالله خير معين .

مسكين

هذا شاعر أموى شريف من سادات قومه بنى دارم ، عمر إلى أواخر الدور الثاني من العصر الأموى ، وهو شاعر لا تكثر الرواية عنه ، على أنه من الفحول قل أن تجد في شعره سفاسفاً أو مردولاً ، وكيف يكون ذلك وهو من الثابتين في بحبوحة العروبة في بطون بنى تميم ، وقد ألهم بنو أمية جذوة الشعر وفتحوا اللها باللها ، وأندوا أصوات الشعراء ، بما يبدلون من جزيل العطاء .

ولم يكن أول أمره مسكيناً كما شهر ، وإنما هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شرح ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن هذس بن دارم .
ولكنه قال :

أنا مسكين لمن أنكرني ولمن يعرفني جدد فطقي^(١)
لا أبيع الناس عرضي إني لو أبيع الناس عرضي لنفقي
فسمى مسكيناً ، وكأنه مل هذا اللقب من بعد فصار يسلى نفسه ويقول :

سميت مسكيناً وكانت لجاجة وإني لمسكين إلى الله راغب
ويثبت خلاف ما تتطلبه المسكنة من الخول فيقول : إنه وإن سمي مسكيناً معروف في الناس ذائع ، وإن الأسماء علامات ترتفع بأصحابها فيقول :

إن أدع مسكيناً فلست بمنكر وهل تنكرن الشمس ذر شعاعها^(٢)
لعمرك ما الأسماء إلا علامة ومن خير المنار ارتفاعها

وكان مسكين من قضت عليهم مناحي السياسة ، ودواعي الاقتصاد ، وحب الحياة أن يكون من المتهيبين لبني أمية ، يدافعون عن دولتها ولا سيما في عهد معاوية . وقد كان خلفاء هذه الدولة وعلى رأسهم هذا الخليفة قد اشتروا ألسنة الشعراء فأحدثوا معنى من التكسب

(١) نطق كثير النطق .

(٢) في القاموس أن ذر بمعنى طلع .

بالشعر، والتكذب به، عملاً على تحقيق الأهداف السياسية كما هي سنة هذا الوجود في الملوك والأمراء والسادة والرؤساء.

كانت السنة الشعراء هي العامل الأول إذ ذاك في توطيد الملك، فهي أسرع انتشاراً وأعمق أثراً وأطول رواية وأكثر تعميراً من الجرائد السيارة.

وقد وقف مسكين هذا نفسه موقفاً أغر في التاريخ لولاه ما استقر الملك لآل أبي سفيان ولا نزل من معاوية الزعيم الخطير إلى ابنه بعده.

لقد كانت هذا الانتقال يتكره عليه القوم حتى من أصحاب الخليفة معاوية وندمائه وجلسائه وكبار رجال الدولة^(١) وإن شيئاً ينكره هؤلاء يقل الأمل فيه، لذلك احتال يزيد حتى عمل مسكين قصيدة، وأنشدها أمام الخاصة من وجوه بني أمية في مجلس معاوية يحتاج فيها بالمقدمات الشعرية، وبورطهم بقضاء الشعر الذي لا مرد له، وهكذا الشعر في هؤلاء الناس.

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة ويقضى بما يقضى به وهو ظالم

احتج مسكين بمقدماته الشعرية التي تقول: إن الخلافة لله يبوئها حيث يريد، ثم يقتل من هذا إلى أن المنبر إذا خلاه ربه فإن الأمير يزيد، ويقرر ذلك بأنه على الطائر الميمون والجد صاعد ولكل أناس جندود. ويهين الخليفة قبل أن يكون خليفة، ثم يدعو له بتخليد بيت الملك فوقه تشيد له أطناب وعمد. وتوقد في كنفه النيران القرى، وعلى قدور كالجوابي تحنأ أضاف ركود... وسكت الناس فاطمأن معاوية ومضى.

قال أبو الفرج الاصفهاني^(٢): كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الهذلي ويصله ويقوم بمحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيأ ذلك وخاف أن لا يملكه عليه الناس، لحسن البقية فيهم، وكثرة من ترشح للخلافة، وبلغه في ذلك ذرو كلام^(٣) كرهه من سعيد

(١) المجلة — وسبب ذلك أن الذين كانوا يرشحون أنفسهم من شباب قريش للخلافة بعد معاوية كثيرون جداً، ومنهم سعيد بن عثمان بن عفان، ومنهم دون سعيد، وكان حتى لبني أمية هوى في هذا أو ذاك، ولولم يحسم معاوية هذا الأمر بمن يرى أن العصية في جانبه أقوى لاستقرت الفتنة بعده. ومثل ابن خلدون أبصر بهذه المواقف ممن لا بصيرة له في سياسة الأمم ومعالجتها.

(٢) الألفاظ ١٨ ٧١ هـ. (٣) طرف منه.

ابن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد مسكينا أن يقول أيانا وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلا بوجه بني أمية ... ودخل مسكين والخليفة جالس وابنه يزيد عن يمينه وبني أمية حواله وأشرف الناس في مجلسه فثل بين يديه وأنشأ يقول :

إن أدع مسكينا فإني ابن معشر من الناس أحى عنهم وأذود
إليك أمير المؤمنين رحلتها تثير القفلا ليلا ومن هجود
وماجرة ظلت كأن ظباء ما إذا ما اتقتها بالقرون بهجود

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلا فإنما يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المتبر القريب خلاه ربه فإن أمير المؤمنين يريد
على الطائر الميمون والجد صاعد لكل أناس طائر وجدود
فلا زلت أعلى الناس كعبا ولا تزل وفود تسامها إليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليا تشيد أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجواب وتحنها أثاف كأمثال الرمال ركود^(١)

وعند ذلك قال معاوية (تنظر فيما تقول يا مسكين ، ونستخير الله) ولم يشكلم أحد من بني أمية إلا بالإقرار والمواقفة ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته . وإن جديراً بن وهب ملكاً سائماً في الخلق غير منقص ، أن يحكم فيما يريد وأن لا يغفل له شيء في المملكة .

هذا موقف من الشعر السياسي لمسكين وضعه حيث ترى .

على أن معاوية كان قبل هذا الموقف لا يحفل به ، ولا يقدره قدره ، إلا أن يكون يزيد هو الذي يشفع له ، وكأنما كان في يزيد إحساس باطن أو اعتقاد كامن بأن مسكينا يترشح لهذا الموقف .

(١) الاتاني جمع أتمية وهي الحجر توضع عليه القدر والرمل كواكب .. قاموس .

ونحدثوا جميعاً أن مسكيناً قدم على معاوية يطلب عطاء مما كان يهب معاوية للؤلؤة
قلوبهم عنده ، فأبى عليه ، وكان أول أمره لا يفرض إلا لليمن ، فخرج مسكين وهو يقول :
حنأ لمعاوية يطوى معنى التهديد للخليفة مع التسلية لنفسه :

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينقض البازي بغير جناح
وما طالب الحاجات إلا مفرر وهل نال شيئاً طالب بكناح

على أن معاوية لم يعطف عليه إلا بعد حين .

ويظهر أن ذلك المعنى السياسى — مع ما كان من تهاوش بين الشعراء وتنافس
على الخطوة فى ميدان المجادة — كان له أثره فى الباب الذى يسمى التهاجى بين الشعراء . فقد
بثه فى الشعر فى ذلك العهد مع تقص الوازع الدينى وإحياء ما أمات الإسلام من الجاهلية
الأولى ، وكثرت المخاصمات بين الشعراء : كجرير والفرزدق ، والأخطل والبغيت ، ومسكين
شاعرنا الذى منى بالتهاجى بينه وبين الفرزدق . وقد علم القارىء الكريم أن الفرزدق شاعر
أموى كريم النفس ، لا يبالى أن لا يصيب مرضاة هؤلاء الخلفاء اعتزازاً بمجد قومه ،
واعتماداً بعزة ربه ، غفر الله له ، لهذا كان يتعصب لآل البيت العلوى ، ويفخم شأنهم
فى أخرج المواقف ، وأمام الخلفاء الأمويين أنفسهم ، على أنه كان من علو النفس بحيث
يقول فى مجلس سليمان الخليفة وقد تنافس الشعراء فى مدح الأمير ، يقول الفرزدق
مفتخراً بأبيه :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
إذا أبصروا ناراً يقولون ليها وقد خصرت أيديهم نار غالب

وكان مسكين غير ذلك ودون ذلك ، فوقع بينهما ما كان بين شعراء ذلك العصر وكان
بينهما شعر يجمع بين الهجاء والفخر شأن ذلك النوع من الشعر ، وكانت نهاية ذلك يوم مات
زياد بن أبيه وكان محسناً جداً إلى مسكين ومسيئاً جداً إلى الفرزدق إلى حد أنه ما زال
هارباً يتنقل بين مكة والمدينة حتى مات زياد فقرت بلبله ، وكان سبب ذلك أن الفرزدق

هجا بني فقيم فأرث فيهم ، فاستعدوا عليه زياداً وهو على العراق ، فلما مات زياد رثاه
مسكين بشعر يقول فيه :

رأيت زيادة الإسلام ولت جهاراً حين ودعنا زياد
فعارضه الفرزدق فقال :

أمسكين أبكى الله عينك إنما جرى في ضلال دمعها فتحدرا
بكيت على عليج بميسان كافر ككسرى على عداته أو كقيصر
أقول له لما أتاني نعيه به لا بظي بالصرمة أهفرا
فقال مسكين يحيه :

ألا أيها المرء الذي لست قاعداً ولا قائماً في القوم إلا أنبري ليا
بجنتي بعم مثل عمي أو أب كمثل أبي أو خال صدق تكاليا
كعمرو بن عمرو أو زرارة في الندى أو البسر من كل فرعت الروايا
فأمسك عنه الفرزدق :

ولعل أبيات مسكين هذه لا تقل في إحكام نسجها ، وقوة أسلوبها ، عن أبيات الفرزدق
إلا أنها لا تقاومها في معنى الهجاء ، ولعلها أقرب إلى الاستعطاف ، ولهذا أحجم عنه
الفرزدق لإبقاء على القرابة ، فكلاهما دارى مجتمعان في دارم الجد السادس لكل منهما ،
وقد مشت الشيوخ بينهما فأحسنوا إلى كل منهما لأنه حفظ للعرض ، وعدم تمكين لمثل جرير
في الفرزدق ، ولا مثل عبد الرحمن بن أبي بكر في مسكين ، وهذا إجمال لا يتسع المجال
اليوم لأكثر منه .

على أن لمسكين أشعاراً في أغراض أخرى كالحكم والفخر والشباب والشيب متفرقة
في الأغاني ، ومعجم الأدباء ، وأخبار الشعراء ، وحاسة البحري ، فليطأها القارئ الكريم
من مظانها إذا شاء . ولكنني لا أختم المجال حتى أعرض عليك آياتاً له في النسيئة .
قال أبو عبيدة : إنما أشعر ما قيل فيها :

ألا أيها الغائر المستشير ط فيما تغار إذا لم تفر

فما خير عرس إذا خفتها وما خير عرس إذا لم تور
تغار على الناس أن ينظروا وهل يفتن الصالحات النظر
وإني سأخلى لها بيتها فتحفظ لى نفسها أو تذر
إذا الله لم يعطى حبها فلن يعطى الحب سوط عمر

وبعض أبيات له فى الحكم أحب أن يعرفها القارئ الكريم :

ولست إذا ما سرنى الدهر ضاحكا ولا غاشعا ما عشت من حادث الدهر
ولا جاعلا عرضى لمالى وقاية ولكن ألقى عرضى فيحرزه وفرى
أعف لدى عسرى وأبدى تجملا ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر
وإني لأستحي إذا كنت معسرا صديق وإخوانى بأن يعلوا فقري
وأقطع لإخوانى وما حال عهدهم حياء وإعراضا وما بى من كبر
ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ومن يحى لا يهدم بلاء من الدهر

وكتب الله لى ولك السلامة من المسكروه .

محمود النواوى

(حكم)

- أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك .
- إذا قام جنة الشر فاقعد .
- التجربة علم ، والأدب عون .
- الجامل صغير وإن كان شيخا .
- من أعجب برأيه ضل .
- إذا لم تشغل النفس بما يصلحها ، شغلتك بما يفسدك .

الازهر والصحافة

استجاب الأستاذ محمد زكي عبد الفادر لرغبة الطلاب بكلية اللغة العربية ، فآلى فهم محاضرة بهذا العنوان . وقد حفزنى هذا الموقف أن أعود إلى صدر هذه النهضة لا كشف القناع عن فضل الازهر على الصحافة ، وهى من أقوى دعائم الادب ، وأروع مظاهر الوطنية إذ ذاك .

والحق أن المتابع لهذه الحقبة من التاريخ يجد أن الصحافة منذ قيام النهضة فى العصر الحديث استمدت من الازهرين العون ، بل وجدت بهم وحدهم الحياة ، فكانوا أعوانها الأوفياء ، وأعضادها النافعين ، وأقلامها البليغة ، وأفكارها الناضجة . أمدها ببحوث العلم ، وروائع الفكر ، وطرائف الأدب ، واتخذوا منها منبرا اعتلاه الأدباء والشعراء وقادة المفكرين ، وصفوة الموجهين ، وما كان هؤلاء إلا من أفذاذ الازهرين وأعلامهم .

نعم لقيت الصحافة من الازهرين منذ استهل العصر الحديث أبلغ عون ، فهم الذين شقوا طريقها ، وآزروها فى رسالتها اجتماعياً وسياسياً وعلياً وأدياً .

الوقائع المصرية وموقف الازهر منها :

كانت الوقائع أول نشأتها نشرة تضم طرقات من الاخبار المحلية ، وتوزع على فريق من الموظفين ، وتحرر بالركية والعربية ، وقد كان أول من ساعد على صوغ الاخبار صياغة عربية صحيحة الازهرى ، السيد شهاب الدين محمد بن إسماعيل الحشاش ، الذى عين بعد ذلك مصححاً أول لمطبوعات بولاق ، سنة (١٢٥٢ هـ ١٨٣٩ م) وبقى فى خدمة الوقائع والمطبعة إلى (سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٩ م) حيث انقطع عن العمل الرسمى ، ومضى يؤلف شعراً وأهازيج ومواليثاً ثقى (١) .

(١) الآداب العربية فى القرن التاسع عشر تأليف لويس شيخو - ١ ص ٨٤ .

وعن كان له ضلع في تحرير الوقائع العربية في ذلك الوقت أحد علماء الأزهر وأدباء الشيخ عبد الرحمن الصفي^(١).

تولى الخشاب والصفى وجمهرة من أدباء الأزهر النهوض بتحرير الوقائع العربية ، وبذلوا في العناية بها جهدا كان من أثره أن ارتقى أسلوبها ، واتسع أفقها ، فلم تقتصر على نشر الأخبار الرسمية ، بل كانت تصور أحيانا حياة الشعب ، ونواحي الخير والشر فيه ، وتعرض لبعض الحوادث بأسلوب يرتفع عن أسلوب الأخبار بلغة عربية فصيحة ، إلا أن فيه شيئا من السجع ، وبدت فيها إذ ذاك محاولة لإنشاء المقالة أو أدب المقالة .

وفي أوائل ذي القعدة سنة ١٢٥٧ هـ (ديسمبر ١٨٤١ م) انجمت رغبة ولى الأمر إلى إصلاح الوقائع وتبسيط أفقها ، فعمدت إلى الأزهرى النابه ، رفاة رافع ، بترجمة بعض المواد المحدثة التى تلائم قراء الوقائع ، وإدخال بعض القطع الأدبية ، وتهذيب الجريدة وترتيبها بصفة عامة ، . ويشير السيد صالح مجدى بك ، أحد تلاميذ رفاة إلى أن نظارة الوقائع أحييت إلى رفاة في سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) وبقي مشرفا عليها حتى سنة ١٢٦٧ هـ (سنة ١٨٥٠)^(٢) .

ولما آل إلى رفاة الإشراف على الوقائع ، ومكن له من رعايتها ، جعل اللغة العربية في مكان الصدارة بدلا من التركية في صفحات الصحيفة الأربع ، واحتفل بها ، وبذل لها الجهد الكريم ، واستعان بطائفة من المحررين الماهرين من أمثال أحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين .

وحملت الوقائع في المقالة الرئيسية في العدد (٦٢٣) جديدا لم يعمد في الوقائع ، كانت هذه المقالة بعنوان « تمهيد » وقد تحدثت عن السياسة والسياسيين ، وعن نظم الحكم الشورى والفردى ، وعن الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، ثم برت الوقائع بعد ما ، خصصت في صفحاتها سطورا لنشر ماله علاقة بالأدب^(٣) .

(١) الوقائع المصرية بتاريخ [٤ رجب ١٢٨٧ هـ ٢٥ من نوفمبر ١٨٦٥] من مقال للاستاذ أحمد خيرى بك .

(٢) حلية الزمن في مناقب خادم الوطن .

(٣) تاريخ الوقائع المصرية للاستاذ ابراهيم عبده ١٠٦ .

وجاء في العدد التالي قصيدة من شعر الشيخ محمد شهاب الدين قالها بمناسبة تولية الشيخ محمد الحبيشى منصب « مفتى السادة المالكية » ، وهو أول شعر ينشر في الوقائع .
وحينما ظهرت الوقائع في صورتين إحداهما بالعربية والأخرى بالتركية كان يتولى تحرير العربية الشيخ إبراهيم بن عبد الغفار الدسوقي أحد علماء الأزهر وأدبائه .

وفي عهد الخديوى إسماعيل انتعشت الوقائع ، وتنبأ لها نوع جديد من الحياة بعد أن خلل شأها في عهد عباس ، فزخرت بالأنباء والبرقيات وأنباء الاقطار الشقيقة ، وحملت كثيراً من الشؤون التجارية والاجتماعية والأدبية ، وخصص الخديوى لتحرير القسم العربى بها أحد علماء الأزهر المشهورين بالادب ، وهو الشيخ أحمد عبد الرحيم ، فاضطلع بهذا العمل ، وندب لمعاونته فيه شقيقه الشيخ محمد عبد الرحيم الذى كان مدرساً في الأزهر .

وقد مضى الشيخ أحمد عبد الرحيم في تحرير الوقائع وفي الإشراف عليها أربعة عشر عاماً ، وفى خلال إشرافه عليها عين لمساعدته في التحرير أحد شعراء الأزهر وأدبائه الشيخ مصطفى سلامة النجارى ، والشيخ محمد عبده الذى عين محرراً ثالثاً « ١ » .

وإذ ذاك أضيف إلى الاخبار لون من الادب يمزج بها ، وعينت بالاخبار الخارجية التى تمس حياة الشعوب السياسية والاجتماعية فأصبحت تقدم لها وتعلق عليها ، وفسحت صدرها للأدباء من غير محروبيها وهم صفوة من الأزهريين أيضاً ، فنشرت لهم شعراً كالشعر الذى نشرته للشيخ على الليثى ، ثم نشرت لهم نثراً كالذى أرسله إليها المبعوثون إلى باريس كالشيخ على نائل وغيره من عشاق التحرير ، هذا عدا ما كانت تزخر به من آداب يحرقها المحررون الموظفون بها .

وهنا نلاحظ أن الوقائع جاد أسلوبها ، وهذبت لغتها ، واتسع أفقها ، وأشرق الادب على صفحاتها ، بفضل رعاية علماء الأزهر وأدبائه الذين مكثوا لها من هذه الحياة الأدبية الجديدة .

ولما عين الإمام محمد عبده محرراً ثالثاً بالوقائع وضع تقريراً اضافياً لإصلاحها ورفعها إلى رياض باشا ، ناظر النظائر إذ ذاك ، فارتاح لهذا التقرير وأمر بتعيين لجنة من مدير

المطبوعات ، ووكيل وزارة الداخلية ، وصاحب التقرير ، لوضع (لائحة) لقلم المطبوعات وتحرير الصحيفة الرسمية ، فوضعت اللائحة وأمضاها الوزير ، ثم كافأ الإمام على تقريره بتعيينه رئيساً لقسم تحرير الجريدة الرسمية ومشرفاً على المطبوعات .

الوقائع في عهد الإمام :

صدرت الوقائع برياسة الإمام في ١٤ من ذى القعدة سنة ١٢٩٨ هـ (٩ من أكتوبر سنة ١٨٨٠ م) وأصبحت صحيفة يومية تصدر كل يوم عدا يوم الجمعة وأصبح لها مطبعة خاصة بها ، وقد كان للإمام أبلغ الأثر في خلق هذه الصحيفة وجعلها كأحسن ما تكون الصحف لغة ورسالة ، بل لقد اتخذ منها أداة لنهوض الأدب ، وخدمة اللغة العربية ، مما أضاف إليه أبلغ المآثر .

إنشاء قسم أدبي بالوقائع :

فقد كان له بوصفه رئيساً لتحريرها أن يكتب فيها ما يمن له أو يرد إليه من الفصول الأدبية . ورغبة منه في النهوض بالآداب وتخليصها من الجلود وتهذيب الكتابة ، وتقشيع ما غشها من الضعف والتكلف أنشأ في الوقائع قسماً يضم ما تجود به قريحته وقريحته أعوانه في كل ما له صلة بالإصلاح وبث روح النهوض بأقلام بارعة ، ولغة مهيبة ، وأسلوب فصيح ، فاختر طائفة من المحررين الذين تستميل أقلامهم الناس ، وأودع الوقائع أحكاماً غريبة ، يعجب بها الناظر فيها خصوصاً إذا كان من أبناء الشعب المتمدين ، أو من المقلدين المتمدينين ^(١) .

لقد ضم إليه لهذه المهمة الجليلة طائفة من المصلحين الأغيار الذين عرفوا بالثورة على الجلود ، والفرار من قيود الكتابة وجمعها وزخرفها . فضم إليه د سعاد ، و د الشيخ عبد الكريم سلمان ، و د الشيخ سيد وفا ، و د إبراهيم الهلباوى ، و د قاسم أمين ، و د إبراهيم اللقاني ، وغيرهم .

وقد كانت الكتابة في الوقائع قبل أن يرعاها الإمام وأصحابه من النابيين الأزهرين ركيكة ضعيفة الفسج ، يبدو عليها العجز عن الإبانة ، ويحاول كتابها أن يفصحوا ويبينوا عن غرضهم فيقعد بهم العجز .

(١) الاسلام والتجديد في مصر ص ٤٤ وما بعدها .

ولم يكن الإمام في المقالات التي دمجها في الوقائع في عهدها الجديد يتكلف السجع أو يجري وراء الحشو ، بل درج في بيانه على أسلوب هادئ سهل واضح المراد ، وكانت مقالاته فضلا عن هذا صورة لحياة الأمة ، فيها تحليل لا غلو فيه ولا مبالغة ^(١) .

وقد نهج زملاؤه هذا النهج في الكتابة ، وكانت له رقابة نافذة على الصحيفة ، يرقب كل ما يرد إليها ، فلا يسمح بأن يتسلل إليها من محرريها أو من غيرهم ما يتنافى مع ما ينشده من الكتابة المطبوعة الواضحة ، وإذا ذاك لبست الوقائع حلة جديدة من حسن التعبير ، وسداد الآراء ، وامتد أسلوبها الممتع إلى كتابة دراوين الحكومة جميعها ، وإلى الصحف والمجلات العربية ^(٢) .

وانقرض السجع الذي كان هوى الكتاب ، وتقلص ظل الزخرف الذي طالما نهالكوا عليه ، ونحى عن اللغة ما كان يشوبها من العامى والدخيل ، ومن يطلع عليها حينئذ يجد جهداً واضحاً في البحث عن لفظ عربي يؤدي ما يؤديه العامى ، وكثيراً ما كانوا يعبرون بالعربي ثم يضعون العامى والدخيل بجانبه ، إشارة إلى أن العربي يعني غناءهما ، فائدة ودلالة .

وقد تحدث الأستاذ « العقاد » عن أثر الإمام في هذه النهضة ، وفي تقديم الكتابة وإصلاحها بأن سعداً والإمام عملاً على تحرير العبارات وتقويم الأساليب ، وإدخال القصد والمعاني في الالفاظ ، فأفاد في هذا الباب أحسن ما يفيد كاتبان في هذا الزمان ، وبدأ عهداً في الكتابة العربية لم يسبقهما إليه سابق في هذه الديار ^(٣) .

وكان من أثر هؤلاء أن تحررت أيضاً من اللغة التركية ، وأصبحت في تهذيب ونظام بديعين ، ومن رواج الأدب فيها ما جارت فيه صحيفة « روضة المدارس » ، من نشر الكتب الأدبية تباعاً ، حتى يستطيع من يعنى بجمعها أن يتوفر له كتاب كامل لا غناء فيه ، وذلك كرسالة السيد صالح مجدى (بك) « حلية الزمن . في مناقب خادم الوطن ، ورفاعة رافع » . وكانت الملاحظات التي تحملها الوقائع ، والنقد الذي يديه المحررون قاسياً لاذعاً ، ولم يدخر الإمام وسعاً في الحث على النهوض بالأمة في مختلف شئونها ، فدعا إلى إصلاح

(١) تاديع الوقائع المصرية لابراهيم عبيد من ١٨٥

(٢) من كلمة لمرحوم الأستاذ عبد الوهاب النجار في الأهرام الصادر في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٠

(٣) من مقال للأستاذ العقاد في البلاغ الأسبوعي الصادر في سبتمبر سنة ١٩٢٧

التعليم ، ونقد نظمته ، وصور ما فيه من قصور وعجز ، وحمل على نظارة المعارف حملة شعواء أقضت مضجعها حتى ساء ذلك ناظر المعارف واعتداه على حقه ، ولكنه مضى شجاعا غير مبال حتى أقرت الحكومة وجهة نظره ، وشكلت المجلس الأعلى للتعليم في ١١ جمادى الأولى ١٢٩٩ هـ (٣١ من مارس ١٨٨١ م) وحد من سلطان الوزير وأصبح منفذا لحسب ، بل إن الحكومة كانت أكثر سخاء مما قدرت الوقائع ومحورها فاختارت الشيخ (محمد عبده) من بين أعضاء هذا المجلس ^(١) .

ثم اختير عضوا في لجنة فرعية ألّفها المجلس ، للنظر في إصلاح طرق التعليم والتربية في جميع المدارس ، وكان الكاتب للعربي لها ^(٢) .

وقد بلغ نفوذ الوقائع في عهد الإمام حدا بعيد المدى ، فقد كان من هذا النفوذ أن لرئيس تحرير الصحيفة الرسمية باعتباره مديراً لإدارة المطبوعات حتى نقد أى عمل من الأعمال عندما يرى له وجها ، حتى أعمال وزارة الداخلية نفسها ، وإذا رأت إدارتها في الصحف التي تفسر في مصر أو في غيرها ذكر الخلل في عمل من الأعمال أو سوءا في تصرف ما كتبت إلى نظارة الداخلية أو الإدارة التي يختص بها ، تسألها الحقيقة ، فإن تبين كذب الصحيفة كلف صاحبها إثبات ما ذكر وإلا أنذر مرة أو مرتين ثم عطلت الصحيفة في الثالثة جزاء له .

وكان من أثر نفوذها أن بذل الموظفون جهدا فيما يكتبونه حذرا من الرقابة الممتدة إليهم ، ولأن النقد كان يصدر عن رئيس التحرير وهو ترجمان الحكومة المعبر عن آرائها . وقد تطوع الإمام رغم جهده وعنائه بإلقاء دروس في المدارس الليلية ، ليتعلموا كيفية التحرير ، فكان تفضلا رسم أبلغ الطرق في التحرير ، وجرى السكاتبون عليها سراعاً .

ولعلك تعجب إذ تعلم أنه أنذر مدير جريدة بتعطيل جريدته إذا لم يختار لها محررا صحيح العبارة في مدة حينها .

[١] تاريخ الامام ج ١ ص ١٧٩ .

[٢] الاسلام والتجديد ص ٤٦ .

نهاية الوقائع :

حيل بعد ذلك بين الإمام والوقائع فقد سجن عقب دخول الإنجليز مصر فانقطع عهده بهذه الصحيفة بعد أن قضى زهاء ثمانية عشر شهرا يجاهد لمزة اللغة والأدب والمجتمع والحياة عامة - حتى حل محله في رئاسة تحريرها الشيخ عبد الكريم سلبان ، فبقى على شئونها مدة من الزمان حتى اختير عضوا بالمحكمة الشرعية العليا .

هذا حديث سقناه لنبين فيه فضل طائفة من الأزهريين على الصحافة في عصر النهضة ، لم نطل فيه الوقوف ، ولو أطننا لأبنا عن جهود كريهة ، وإنما أوحى بهذا المقال الذي نزمع اتباعه حتى يتم البحث ، ما استهلنا به كلمتنا هذه من محاضرة الاستاذ محمد زكي عبد القادر ، وكم للأزهر من كنوز في التاريخ لم يقيض لها من ينقب عنها ؟

محمد كامل الفقي

المدرس بكلية اللغة العربية



أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه

وهو بين الدنيا والآخرة

قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : دخلت على أمير المؤمنين عمر حين طعن فقلت : أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين ، أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف في خلافتك اثنتان ، وقتلت شهيداً .

فقال عمر : أعد على .

فأعدت عليه . فقال رضى الله عنه :

« والله الذي لا إله غيره ، لو أن ما في الأرض من صفراء وبياض لي لافتدبت به

من مول المطلق ، .

اتفاق الخواطر في الشعر عرض وموازنة

كثيراً ما تشابه الأفكار عند الشعراء ، وتقرب المعاني ، وتحد المنازع ، حتى لرى شاعراً امتدى إلى معنى قاله آخر ، أو إلى عكسه ، أو إلى معنى مولد منه . ويقول الناقدون : إن الثاني أخذ من الأول ، أو سطا عليه وسلب معناه الذي توصل إليه .

على أن هذا التشابه أو الاتحاد أمر طبيعي ، ما دامت منابع الثقافة واحدة ، وأصول المعرفة وعوامل التأثير كذلك واحدة ... فصدر شعر الشاعر ما ورث من ديوان العرب ، واطلع عليه من معانيهم وأخيلتهم ، واختزن لديه من ألوان معارفهم ، وتزاحم عنده من صور لا تنتهي لشعراء كثيرين . فربما انقدحت في نفسه صورة ، أو تكون لديه معنى ظنه وليد فكره ، أو ريب يئانه ، ويكون غيره قد سبقه به وجل في قبله أو قصر .

على أنه من العسير جداً أن يقطع الإنسان بأن شاعراً استحضّر في ذهنه معنى شاعر آخر قبل أن يقول معناه ، أو استجمع لديه صورة أخرى فسطا على محاسنها ، واقتنص بدائنها . وسواء تهيأ لها اتفاق فيه مع غيره وقصده قصداً أو جاءه عفواً من غير عمد ولا ارتصاد ، فهو أمر لا يعرف له ضبط أو ميزان . وقد يما حمل مثل هذا على مجرد المصادفة فقيل : إنه من توافق الخواطر ، ووقوع الحافر على الحافر .

ويقول الآمدي في كتابه (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) (١) في صدد الكلام على أبي تمام : ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل - يقصد أبا تمام - يحملون السرقات من كبير عيوبه . لأنه باب ما يعرف أحد من الشعراء خلا منه إلا القليل . بل الذي وجدتهم ينعون عليه كثرة غلطه وإحالة وأغاليطه في المعاني والألفاظ .

ولقد طالما سمعنا معجبين بيت أمير الشعراء أحمد شوقي ينشد ويردد فيجمل في الأذن مسمعه ، ويطيب في القلب موقعه ، وهذا البيت هو :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
ولكن هذا المعنى الرائع الجميل قد تناوله شاعر قديم فقال .

وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجىء بمثلها يوما ويوما تجىء بحمأة وقليل ماء

وهذا المعنى الذي نماوره الشاعران قد جاء في بلاغة ساحرة ، وقوة مبتكرة قادرة ، وبيان لا يضارعه بيان ، في قول الرسول الأكرم ، صلوات الله وسلامه عليه : « ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوما قد غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بأقوالنا تعالى ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

ولقد وقع للشاعر العباسي الحسن بن هانئ كثير من التشابه في الصور ، والاتحاد في منازع الأفكار ، أو الأخذ عن الشعراء حتى ساء ظن بعض الناس به ، ورموه بأنه ليس شاعراً ؛ لأنه في زعمهم لا يحسن المدح ولا الهجاء ، ولأن شعره الجيد في الخمر والطرْد مأخوذ من غيره . بل هو يأخذ المعنى فلا يحسن الأخذ ، ولا يستطيع أن يبني عليه .. قال ابن منظور^(١) : « وما قيل عن أبي نواس : إن الشعر إنما هو بين المدح والهجاء ، وأبرنواس لا يحسنهما ، وأجود شعره في الخمر والطرْد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له ، وإنما سرقه . وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يبني عليه حتى يجيء به قبيحاً مثل قوله « وداوني بالتي كانت هي الداء » أخذه من قول الأعشى « وأخرى تداويت منها بها » والذي أخذه منه أحسن مما قال . ومنها أيضاً قوله .

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والمزول
أخذه من قول النابغة (فإن مطية الجهل الشباب) . وقوله :

لما تبدى الصبح من حجابهِ كطلعة الأشمط من جلبابه

فإنه أخذه من قول أبي النجم ، كطامة الاشطط من كسانه ، ، ولكن رزق أبو نواس في شعره أن سار ، وحله الناس ، وقدمه أهل عصره .

ونحن لا نقف عند هذه الأقوال إلا لتعرض ألوانا من تحاسد الناس وكفران بعضهم ببعض ، وجحودهم لما ظهر من المحاسن ، واستعلن أمام الناس جميعا من الميزات الأدبية (وقد بما كان في الناس الحسد) ومن ذا الذي يقول : إن قول الأعشى ، وأخرى تداويت منها بها ، أحسن من قول أبي نواس ، ودأوني بالنى كانت هي الداء . . . إن كان أبو نواس أخذ من سابقه فما أساء الأخذ ولا قصر في الاقتداء ، إن لم يكن فاقه بحسن الاختصار وسلامة شعره مما ينفر منه الطبع ، ويستكرهه السمع ، والنص الصريح على أن الخمر هي الداء بل قصر الداء عليها .

قال ابن قتيبة ^(١) ، وكان الناس يستجيدون قول الأعشى هذا إلى أن قال أبو نواس بيت ، فزاد فيه معنى اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه . فللأعشى فضل سبق عليه ، ولأبي نواس فضل الزيادة عليه .

وقال الرشيد فيه : إن أوله أكثم بن صيفي في أصالة الرأي ، ونبل العظة ، وآخره بقراط في معرفته بالداء والدواء ^(٢) .

وسنمرض هنا بعض المعاني التي جاءت في شعر أبي نواس وكانت قبل ذلك في أشعار السابقين . قال ابن أخت تأبط شرأ :

ظاعن بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل

أخذه الحسن بن هاني فقال في مدح الخصيب .

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

وهو أجود لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأخف على السمع من ذاك .

وقيل لأعرابية مات ولدها : ما أحسن عزاءك فقالت : إن فقدى إياه أمتى كل فقد

سواء ، وإن مصيبتى به هونت على للمصائب بعده ثم أنشأت تقول :

[١] ص ١٣ الشعر والشعراء .

[٢] ص ٢٢١ - ٦٠ المقادير طيبة الريان .

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظري فبكى عليك الناظر
ليت المنازل والديار ر حفائر ومقابر
أليس بمائل هذا المعنى قول أبي نواس في رثاء الأمين .

طوى الموت ما بيني وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناظر
وكنت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذر
لئن عمرت دور بمن لا أحبه لقد عمرت بمن أحب المقابر
فهو بهذه الآيات الباكية يصور التياحه ، وحزنه على فقد صاحبه ، وامتلاء الدور
والقصور بمن لا يود من أعدائه .
وقال الشماخ :

إذا بلغتني وحملت رحلي عراة قاترتني بدم الوتين
وقال ذو الرمة في مدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري :
إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته فقام بفأس بين وصليكَ جازر
وجاء بعدهما أبو نواس فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله :
وإذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

حتى قال بعض العلماء حين وقف على بيت أبي نواس : هذا والله المعنى الذي كانت العرب
تحموم حوله فتخطئه ولا تصيبه ، فقال الشماخ (إذا بلغتني وحملت رحلي) وقال ذو الرمة
(إذا ابن أبي موسى ...) وما أبانه إلا أبو نواس بهذا البيت وهو في نهاية الحسن .

والأصل في هذا المعنى قول الانصارية المأسورة بمكة ، وكانت قد نجت على ناقه ،
إلى رسول الله ﷺ ، فلما وصلت إليه قالت : يا رسول الله إني نذرت إن نجوت عليها
أن أنحرها ، فقال الرسول ﷺ : لبئس ما جزيتها .

وتفسير هذا المعنى الذي تناوله الشعراء . اني لست أحتاج إلى أن أرحل إلى غيرك
فقد كفيته وأغنيته . إلا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا عليها أيضاً بالذبح .

وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها ، وأراحها من السكد في الأسفار ، فهو أتم في المقصود ،
لكونه أحسن إليها في قبالة إحسانها إليه ، حيث أوصلته إلى المدوح ^(١) .

على أن أبو نواس كان يقول : ما زلت أستعجن قول الشباخ ، إذا بلغنى الخ ، وموافقة
ذى الرمة لإياه في قوله ، إذا ابن أبي موسى ، حتى سمعت قول الفرزدق :

علام تلفتين وأنت تحنى وخير الناس كلهم أمانى
متى تردى الرصافة تستريحى من الاتساع والدبر الدوامى
فتبته في قولى ، وإذا الملقى الخ .

ولكن أبو نواس وإن كان تبع الفرزدق قد بذه وتفوق عليه . فثاقفة الفرزدق تستريح
من تعب ، وتستجم من إعياء ونصب ، وتستجمع القوة بعد جهد وكلال . وقد تنابع السهر
بعد الراحة ، وقد تحمل أتساعها بعد أن تتخفف منها فترة . أما ناقة أبي نواس أو مطاياها
فقد أصبحت لها حرمة ولها ذمام . تأكل وتعلف ولا تسام ولا تسكف . ذلك لأنها بلغت
به محمداً وقربته من خير من وطئ الحصا .

قربتنا من خير من وطئ الحصا فلها علينا حرمة وذمام .
وإن كان قوله (من خير من وطئ الحصا) مبالغة غير محودة ولا مقبولة ، ولكنه
عمل الصنعة والتسكف ، وجهد المحتفل المقلد في المذهب والطريقة . فهو لم يسلك إلى بمدوحه
وعراً ولا سهلاً ، ولا ركب ناقة ولا جملاً .

والاصل في قول الفرزدق وقول أبي نواس قول الأعشى في مدح الرسول الأكرم
صلوات الله عليه :

فألبت لا أرى لها من كلاله ولا من حفا حتى تلاقى محمداً
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراعى وتلقى من فواضله ندى

عبد الحميد محمود المسامحة
المدرس في كلية اللغة العربية

الصوم عبادة وتهذيب

روى الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :
« ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء
الحطينة كما يطفىء الماء النار ، .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يوجه أمته توجيه الحكيم إلى تمسكها بأهداب
الطاعة ، واستجابتها لما يحييها ، في نطاق من العبودية الراشدة الخالصة ، إنما يسوق الحديث
مجلوا ببيان سر التشريع ، منضرا بسمو الغاية وشرف الهدف ، محكما في مبناء ومعناه . وقول
الرسول صلى الله عليه وسلم في إيجازه البالغ العذب : الصوم جنة ، إنما يخلق بنا في فضل هذه
العبادة البدنية ، وآفاقها البعيدة الواسعة ، وأثرها القوي في التربية والتهذيب .

فالصوم تصفية وتوقية ، يصفى النفس من شوائب الرجز ، ويوفى حق الروح
في وجوب تغلبها على جود المادة ، وحق الروح في جمال لإشراقها في ظلة هذا الوجود
المدلم بالعثرات والمنكرات .

والصوم تعاطف وتراحم ، لأنه يتزعج من القلب القوى الجاحد قسوته وجوده ، ولأنه
يفرى بألوان من البر والمرحة ، تتحول بها النفوس النافرة الحاقدة إلى تبادل في الحب ،
وتجاوب في المشاعر ، واتتلاف في الأرواح . والمتعابون في الله لهم جلال المظهر ، وجمال
المخبر ، وطهارة الملائكة ، وهم على منابر من نور يوم القيامة .

والصوم تربية وجهاد ، يحمل من الصائم جلدا صبوراً لا تزعه شدة ، ولا يثنيه حرمان .
والصوم تنظيم وتدعيم ، يحد من رغبات النفس الملحة الجائعة ، ويخضعها لنظام لا تلبث
أن تعتاده ، فيدعم فيها قوة الضبط والكبح ، حتى لا تدفع وتزلق فتهلك أو تهلك ، قال الشاعر :

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فن علا زلقا عن غرة زلجا

فالصيام جنة ووقاية ، والصيام حاجب وحاجز ، والصيام سمو وهلو ، والصيام جهاد
وجلاد . . أفلا يكون بهذه المزايا الكريمة العظيمة من أعظم أبواب الخير ؟؟

من أجل هذا ينسأى القرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

فالغاية من الصوم واضحة بيّنة في قوله (لعلكم تتقون) يعنى لعلكم تتقون نزعة الهوى ونزعة الشيطان ، ولعلكم تتقون شح النفس وقسوة القلوب ، ولعلكم تتقون المتع الغالبة المعصية : تغريكم ، وتضع فيكم معالم الرجولة ، وتبعد عنكم مشارق العزة ، وتقذف بكم من حائق مجدكم وبالغ شأنكم ، ولعلكم تتقون قبل كل ذلك ، وبعد كل ذلك ، عذاب الله القاهر ، الذى يسلطه على الباغين الجاحدين المخالفين . .

ثم لعل من حكمة الصوم وسر تشريعه ، أن يفقه الصائم أنه يتنقى ثواب الله ورضوانه ، فهو من أجل ذلك يحرم على نفسه طعامه وشرابه الذى يملكه حلالا في غير سرقة ولا تبجن ولا اغتصاب ، فلأن يحرم على نفسه ما خبث من إثم ورجس ، وما قبح من غش وتدليس ، وما استكره الدين من زور وظلم وعدوان ، أحق وأجدر وأولى ...

ولعل من حكمة الصوم وسر تشريعه أن يشعر الصائم حين يعصه الجوع ساعات من نهار ، أن بجواره بائساً قد يمر عليه اليوم واليومان ولا يجد هو ولا أولاده ما يخفف عنهم ألم الجوع ، أو يكفكف منهم ما يذرفون من دموع ، فيلين ويسخو ويبدل بما أفاء الله عليه ، وهو لن يخسر بعد شيئا ، فافقه الممالك لحزائن الدنيا ، وفي قبضته ملك السموات والأرض . قد وعده أن يخلف عليه ما يبذله ، وهذا صريح قوله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وروى البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان يزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا . .

وروى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله : ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر ، .

ولعل رسول الله ﷺ حين جمع بين الصوم والصدقة في هذا الحديث الذى نشرحه بقوله : الصوم جنة ، والصدقة تطهى الخطيئة كما يطهى الماء النار ، إنما جمع بين العبادة التى تخفف من حدة البخل وبين أثر من آثارها في بذل الصدقة ، وسخاوة اليد ، وإن كلا

من المؤثر والأثر من أبواب الخير التي تغرى بالوصول إليها ، ودخولها دخول العبد الظافر الذي استجاب لربه في العبادة . واستجاب لرسوله في حسن التوجيه وجمال الترغيب .

« يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم ، وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » .

وبعد : فيا أيها الصائمون لا تدخلوا أبواب الخير وأنتم مذنسون بظلم ، أو مقلون يائس . فإنكم لا تجدون من عبادتكم إلا صورة لا روح لها وإلا عملا لا خير فيه .

وقفنا الله في هذه الحياة لصالح العبادة ، وأسباب السعادة ، وبلوغ العزة والسيادة ، وجعلنا من « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

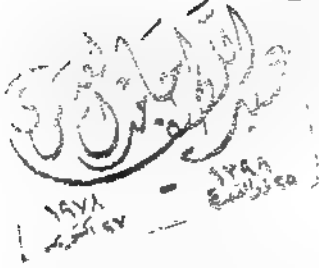
محمد عبد التواب

المفتش العام للوعظ بالأزهر

يد التخاذل

مأذعنى مجدى الكلام ولو حكى	ضحك الريع إذا السحاب بكى له
أبعد للإسلام مجداً قطعت	أبدي التخاذل والوقى أوصاله
وعريض ملك كان يرهف بأسه	ويزيد في حين الخصوم جلاله
يتلو مثانيه ويمضى حكمه	في الخافقين حلاله وحرامه
ويبك دعوته النقى بعفاتها	وضع الضلال عن الحجى أفعاله
فإذا به حر الجناح علق	في السكون يفتح للورى أفعاله
	محمد النجوى

لمن يكون تنفيذ الحدود ؟



- ٢ -

تحبيب الإسلام في العفو :

من الأمور المهمة التي تجب ملاحظتها في موضوع القصاص تحبيب الإسلام في العفو تحبباً يثير أرق المواطن في أفسى القلوب . فالقرآن الكريم حين قال في صدر الآية : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ، سارع فقال في الآية نفسها مذكراً بالعفو محبباً فيه : « فن 'عني له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

ولننظر كيف عبر القرآن عن ولى الدم الطالب للقصاص بأنه أخ القتلى ؛ فهو أخوه في الإنسانية وفي الإسلام ، وقد يكون أخاً في الوطنية والجوار وغيرهما . فيحسن أن يكون بينهما تراحم الأخوة وعفو الأقرباء . .

وحينما قال القرآن الكريم : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، سارع في الآية نفسها فذكر بالعفو وحبب فيه ، ووعد عليه الأجر ، واعتبره تصدقاً ، والله يجزى المتصدقين ، فقال تبارك وتعالى : « فن تصدق به فهو كفارة له » .

وروى أبو داود عن أنس بن مالك قال : ما رأيت رسول الله ﷺ رفع إليه شيء فيه قصاص إلا أمر بالعفو فيه ... ولم يكن ذلك الأمر أمر فرض وإيجاب ، ولكنه تعليم لمكارم الأخلاق .

وقد أجمع الأئمة على أن العفو في القصاص أفضل من القصاص ...

أفلا يحتاج الفرد الموقر صاحب العلم إلى من يذكره بهذا العفو ويحببه فيه ، لعل نفسه تنفتح له فيصفح وينال بذلك الثواب ؟ ومن أين يأتي ذلك التذكير إذا استباح الموقر لنفسه أن يتعجل فيأخذ ثأره بيده دون الرجوع إلى الإمام الحاكم ؟ ...

ومن هذه الأمور أيضاً مسألة التحذير من الرجوع في العفو ، والتهديد لمن ينقض ذلك ؛ فقد يحدث أن يقبل صاحب الدم الدية ويعفو ، فإذا رجع فاعتدى على القاتل فقتله صار قاتلاً ، وصار مهدداً بعذاب الله في الآخرة ، لأن القرآن يقول في آية القصاص بعد ذكر العفو : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » .

ولذلك جاء في تفسير المنار أنه إذا عفا صاحب القصاص عن القاتل أو قبل الدية ، ثم عاد فقتل القاتل تحتم قتله ، ولا يجوز العفو عنه ، ولو عفا عنه ولى المقتول ، وذلك قول عكرمة والسدى وجماعة من المفسرين ، وقال عمر بن عبد العزيز : أمره إلى الإمام بفعل فيه ما يراه ، وجمهور الفقهاء على أن حكمه حكم القاتل ابتداءً ، وعليه مالك والشافعي (١) ، ويؤيد ذلك الحديث : « لا أعافى رجلاً قتل بعد أخذ الدية » (٢) . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من أصيب بقتل أو خيّل - أى فساد عضو - فإنه يختار إحدى ثلاث : إما أن يقتص ، وإما أن يعفو ، وإما أن يأخذ الدية ، فإن أراد الرابعة تخفروا على يديه ، ومن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » (٣) .

ومن هذه الأمور نصرة المورتور العاجز المطالب بالدم ، إذ كيف يأخذ بالقصاص إذا لم يكن للدولة إشراف على إثبات الحدود وإقامتها ؟ ... ألا يقضى مثل هذا أمره مغنيلاً عنفاً ثاراً على المجتمع يتلسس الوسائل ليعيث في الأرض فساداً وإجراماً ؟ .

ومن هنا - فيما يلوح - جاءت الآية الناصة على السلطان المشروع الذي أقامه الله لعباده كي يفزعوا إليه في خصوماتهم ومنازعاتهم وحدودهم ، وهي قول الله تبارك وتعالى : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً » .

ويمكن تفسير الآية على الوجه التالي : إن الذي يقتل مظلوماً بلا سبب ، قتلاً عمداً ، لم نصيب دمه ، بل حفظنا لمصيبة وورثته حق القصاص ، وجعلنا لهم في شرعنا وعند الإمام وجماعة المسلمين سلطاناً ، أى سلطة ونصرة وقوة تعينه على التمكن من القاتل لتنفيذ القصاص فيه ؛ وما دمتنا قد مكناه من ذلك الحق فواجب عليه أن يقف عند حد المساواة ، وهو الاقتصاص

[١] تفسير المنار ج ٢ - ١٣٠ باختصار .

[٢] تفسير ابن كثير ج ١ - ٣٩٥ طبعة للنار .

[٣] رواه أبو داود والبغاري والترمذي .

بالمثل ، ولا يسرف أو يخرج إلى غير ذلك ؛ وحسبه أنه كان منصوراً بقشريتنا ، ومنصوراً
بإمام دولته ، ومنصوراً بالجماعة المؤمنة نفسها .

وقد يجمع هذا التفسير اليسير الواضح بين « حق » الفرد في المطالبة بالدم ، وبين
« اختصاص » الدولة بالإشراف على الحكم والتنفيذ ، ولا يكون هناك بينهما - أى الفرد
والدولة - تعارض أو تجاذب ، لأن هناك فرقاً بين « الحق » و « الاختصاص » هنا ،
حق الدم يثبت للوارث ، وهو يطالب به أو يعفو عنه ، والاختصاص يتعلق بالإثبات والحكم
والتمكين من التنفيذ ، وتكليف من ينفذ هذا القصاص ^(١) .

* * *

ولا يأبى الإسلام في روحه وقواعده العامة التي تجعل درء المفساد مقدماً على جلب
المنافع ، وتجعل المصالح المشتركة مقدمة على المصالح الفردية ؛ لا يأبى الإسلام أن يتركز
هذا الاختصاص في يد الدولة ، وخاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه السكان ، وتعددت
أمور الحياة ، وتضاربت المصالح ، وكثرت المنازعات ، وتعددت الأهواء والنزعات ،
واتخذت المجتمعات أشكالاً وأوضاعاً غير التي كانت من قبل ؛ ولا شك أن للعرف والعادة
مكامة من الاعتبار الفقهي في الإسلام ...

بل قال القرطبي في تفسيره ما نصه : « لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيم
إلا أولو الأمر ، فرض عليهم الموضع بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك ، لأن الله سبحانه
خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ، ثم لا يتبأ للمؤمنين جميعاً أن يجتمعوا على المصاص ،
فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود » ^(٢) .

* * *

وخلاصة رأى الشريعة الإسلامية أن حق القصاص يثبت لولى الدم (وهو الوارث

(١) في تفسير للنار ج ٢ ص ١٢٨ - ١٢٩ : « وليس للحكومة أن تمتنع من المفو إذا رضوا به ،
ولا أن تستقل بالمفو إذا طلبوا القصاص ، فتحفظ قلوبهم ، وتخرج أعضائهم ، وتحملهم على محاولة
الانتقام بأيديهم إذا غدروا ، فزيد البلاء ويكثر الاعتداء ، أو يعيش الناس في تباغض وهداء ،
وفوضى تسباج فيها الدماء » .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤٦ طبعة سنة ١٩٣٥ .

والقريب) إن شاء طالب بالقصاص ، وإن شاء أخذ الدية وعفا عن القود ، وإن شاء عفا هفواً مطلقاً ؛ ولهذا الولي أن يقوم بتنفيذ القصاص بنفسه بعد تمكين الإمام الحاكم وإذنه ، وله أن يوكل عنه من يقوم بتنفيذه .

ويجب أولاً أن يعرف القاتل ويضبط ، وأن تقوم البيعة عليه بالاعتراف أو الشهود حسبما رسم قضاء الإسلام في ذلك الباب ، وأن لا يكون هناك مانع من القصاص ؛ ولولي الدم أن يكل تنفيذ القصاص إلى السلطان .

ويجب شرعاً أن يؤخذ القاتل وحده ، ولا يؤخذ معه غيره من ذوي قرابته كبيراً كان أو صغيراً ، وإذا قُتل امرأة وجب أن تتحمل تبعاتها دون غيرها ، وإذا كان القاتل واحداً فالقصاص في واحد لا أكثر ، وإن عاقبتم فمأقبوا بمثل ما عوقبتم به ، وإذا لم يكن هناك ثبوت جريمة فالاعتصام بالظن إثم كبير ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام أن يخطئه في العفو خير من أن يخطئه في العقوبة » (١) .

نكسة إلى الجاهلية :

بعد أن جلنا هذه الجولة التي عرفنا فيها موقف الإسلام من النار ، يسوؤنا أن نقرر أن فريقاً من الناس في هذا الزمان قد أبوا على أنفسهم هذا النور الساطع ، وذلك الهدى المبين الذي جاء به الإسلام الخفيف في أمر القصاص ، فترام وقد استعادوا لأنفسهم مبادئ الجاهلية وأساليب الظلمات ؛ فهم لا يرتضون القصاص وهو تشريع رب العالمين ، بل يفضلون عليه النار الجاح وهو وسوسة الشيطان المضل المبين .

فإذا قتل لهم قاتل أبوا أن يحتكموا إلى القضاء ، وأبوا أن يتقبلوا فيه العزاء ، وأبوا أن يسموا كلمة الإصلاح أو الاعتذار ، وأبوا أن يستمعوا من داعي العفو أي نداء ؛ ولا يزالون يطوون صدورهم على الغل والحقد حتى يتأروا لأنفسهم ، وليتهم يتأرون على بينة وبينين ، بل يأخذون بالإشاعة والشبهة ، ولا يتلبثون في ذلك ولا يترثون ، بل يسرفون فيقتلون

(١) رواه الترمذي والحاكم والبيهقي ، وسنه الحاكم والبيهقي صحيح [التاج] .

بالواحد آحاداً ، ويحرمون أحياناً فيتركون القتال الحقيقي لأنه غير ملائم في نظرهم ويقتلون بريئاً سواء .

بل ترى بعضهم يهجز أحياناً عن أخذ ثأره من المجرم الحقيقي ، فيميل على طفل أو صبي أو امرأة ، فيرتكب جريمة القتل الشنعاء مع هؤلاء الأبرياء . فهل تكون تلك رجولة أو شهامة ؟

وقد يحرمون على أنفسهم - كأهل الجاهلية تماماً - أشياء من الطعام أو الثياب أو الزيتة ، حتى يأخذوا بالثأر ؛ وقد تمر الاعوام تلو الاعوام ، والفرصة لا تواتيهم ، فيقضون حياتهم في ظلمات وأضغان وقلاقل نفسية ، ثم يبلغون مأربهم الاليم ، فتتكرر المآسي والتكبات ، ونصب عليهم من ربهم اللعنات ، ويختمون حياتهم أسوأ خاتمة ، فلا هم ظهروا بمظهر الكرام فصفحوا ، ولا هم تمتعوا بحياة هادئة ، ولا هم انقوا غضب ربهم ، بل خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وكم خربت بيوت ، وضاعت رجال ، وترملت نساء ، وتيتمت أطفال ، وتبددت ثروات ، وتمزقت صلات ، بسبب هذا النار الخبيث اللعين .

وقد تجري محاكمة ، أو تعقد جلسة لإصلاح ، فينظاھر صاحب النار بالرضا والقبول ، ويعطى الكلمة بالموافقة على الصلح والصفح ، أو يقبل أخذ الدية ، ولكنه ينقض كلمته بعد حين ، فيستحق بذلك العذاب الاليم .

« ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ؟ ... » إن كان هؤلاء المصريون على عدوانهم ينتسبون إلى الإسلام فقد برىء منهم الإسلام وهم على تلك الحال ، وإن كانوا - كما تدل أعمالهم - غير مسلمين ، فقد وجب أن يؤخذوا بما يقتضيه أمن الجماعة من الردع والعقاب .

أفأنا هؤلاء أن يعرفوا الإسلام وصفته : « صفة الله ومن أحسن من الله صفة ونحن له عابدون » . أم يريدون أن يظلوا في ظلمات الجاهلية سادرين : « أخكم الجاهلية يغيثون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » ، ؟

أحمد الشرباصي

من علماء الأزهر الشريف

شهر الذكريات الخالدة

إن من الأيام والشهور أياماً وشهوراً لا تقاس بمقياس الزمن ، وإنما تقدر بمعيار الخلود ، لمالها من آثار صالحة باقية في حياة الفرد أو الأمة أو الدنيا بأسرها ، وشهر رمضان حافل بالذكريات الخالدات ، لا أقول في تاريخ الأمة العربية والدعوة الإسلامية فحسب ، بل في تاريخ البشرية جمعاء ، ولو أن هذا الشهر استأثر بذكرى واحدة من هذه الذكريات لكان حقيقاً بالتكريم والتعجب ، فما بالك وفيه أكثر من ذكرى ، وفي كل ذكرى عبر وعظات .

وأولى هذه الذكريات وأحفلها بالمعاني السامية ، وأحقها بالخلود « إنزال القرآن الكريم » ، ففي يوم خالد من أيام رمضان عام نبي الله ﷺ ، وفي غار حراء ، حيث كان النبي يتحنث فيه لما حجب إليه الخلاء ، نزل أمين الوحي جبريل عليه السلام ، على خاتم الأنبياء والمرسلين بصدر سورة اقرأ : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » . وبذا بدأ التاريخ يتجه وجهة لم يكن له بها عهد من قبل ، وفتح الله في كتاب الكون صحائف مضيئة مشرقة ، وتتابعت آيات التنزيل وسوره كما تتتابع شآبيب القيث على الأرض القاحلة المجربة ، فأصاب منها أرضاً نقية خصبة فاهتزت وربت ، وجادت بزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .

وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه تنزل عليه الآية والآيتان والحسن والعشر وربما السورة من المفصل على حسب الحوادث والوقائع وكفاء حاجات الخلق وأحوال المجتمع الإسلامي ، ولم تمض اثنان وعشرون سنة ونصف تقريباً^(١) من نزول « اقرأ » حتى أتم الله إنزال القرآن وختم الوحي ، وكان آخر آية نزلت على ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) نزلت اقرأ في السابع عشر من رمضان على ما قيل ، ونزلت « واتقوا يوماً ترجعون فيه الآية » قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بضع ليال ، وقيل بواحد وعشرين يوماً

« واثقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ، وفيما بين البدء والختام جاء بهداية الخالق لإصلاح الخلق ، وتشريع السبيل لأهل الأرض ، هذا التشريع العام الخالد الذي أودع الله فيه كل حكمة ، وناط بالتمسك به كل سعادة ، فاهتدت به القلوب بعد ضلال ، وأبصرت به العيون بعد عمى ، واستنارت به العقول بعد جهل ، وصدق الله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » ، المسائدة : الآية ١٥ ، ١٦ .

ونحن حين نذكر إنزال القرآن ، فإنما نذكر الثورة على العقائد الزائفة ، والوثنية الزائفة والخرافات والآوهام الباطلة ، والتقليد الأعمى الذي لا تبصر فيه ولا تثبت ، وبعد صراع وجهاد ، نرى التوحيد يسود وينتشر ، والعقول تعقل وتحرر ، والحق يثبت ويتقرر ، والأصنام تهوى وتطوح ، وترفع كلمة الحق مدوية على ألسنة الخلق « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

ونذكر الثورة على الأخلاق الفاسدة والآهواء ، والمظالم وسفك الدماء ، وانتهاك الأعراض واغتصاب الأموال ، فإذا الفضيلة تمحو الرذيلة ، والعدل يحل محل الظلم ، والأمان يسود الأرض ، ويسير السائر من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذهب على غنمه .

ونذكر الثورة على أوضاع المجتمع الجائرة ، والعنصرية الآثمة ، واستغلال الملوك للشعوب ، والرؤساء للرموسين ، والأحرار للبهاليك ، والأقوياء للضعفاء ، وتسير الثورة في طريقها مستبصرة متعقبة ، لا تتي ولا تقتر ، فإذا المجتمع الإسلامي تسوده المساواة ، فالناس جميعاً أمام الله والشرع سواء ، فلا تفاضل بالأجناس والألوان ، ولا بالأموال والأحساب ، وإنما التفاضل بالتقوى ، وهي كلمة فيها جماع كل حق وخير وفضيلة ، ويرفع الإسلام بالتقوى أناساً كانوا مضيعين ، فأصبحوا سادة وقادة ، وصدق الله « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وصدق رسوله « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

إن هذا الكتاب الخالد صير من الموات حياة ، ومن قساة الأكباد رحماً ، ومن رعاة الإبل والشاة حكماء علماء ، وكون أمة منالية في عقيدتها ، وفي خلقها ، وفي معاملاتها . وكون دولة صارت مضرب الأمثال في الحق ، والعدل ، والتراحم ، وأظلت العالم بلواء الأمن

والسلام أحقاباً من الزمان، فهل لنا أن نعض بالنواجذ عليه، وأن لا نحتكم في شأن من شؤوننا إلا إليه؟ لتعيد دولة الإسلام الأولى، ونصير بحق كما قال الله: «خير أمة أخرجت للناس»، ١١١

السييل إلى ذلك أن نقرأ القرآن كما كانوا يقرأونه: قراءة إمعان وتدبر، نستنبع العلم والعمل، فبذلك فتحوا الفتوح، وسادوا الدنيا، وجعلوا سلطان الله مرهوباً في الأرض. لقد كان من شأن سلفنا الصالح أنهم كانوا إذا لاقوا الأعداء يسمع لهم دوى كدوى النحل بقراءة آيات الذكر، فيفعل في النفوس فعل السحر، ويصير منهم ليوناً كواسر تتضاءل أمامهم شم الجبال الراسيات، فما بالك بالقلوب الخاويات؟ ولا مر ما كان رسول الله ﷺ إذا بعث بعثاً استقرأهم، فن كان أكثرهم قراءة كان أحق بالإمارة والقيادة. وفي يوم حنين أمر العباس فنأدى في الناس «يا أصحاب الشجرة»، «يا أصحاب سورة البقرة»، فجعلوا يقبلون من كل وجه. وفي يوم البسامة جعل المهاجرون والانصار يتنادون: «يا أصحاب سورة البقرة، حتى فتح الله عليهم، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب».

وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة في اليوم السابع عشر منه، كانت غزوة بدر الكبرى أول وقائع الإسلام الفاصلة، ولبدري تاريخ الإسلام من بعيد الآثار ما لها، فلا عجب إذا كان الرسول ﷺ مشفقاً غاية الإشفاق على الإسلام من هذه الموقعة حتى لقد بلغ من إشفاقه أن أكثر من رفع يديه إلى السماء، وهو يجأر إلى الله بالدعاء:

«اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض، ولا يكف الرسول عن إلهاب حماسة المسلمين ووعدهم الجنة على الثبات، وكان مما قال: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة»، فتمتلئ النفوس حماسة، وتزداد إيماناً إلى إيمانها، ويعمد الله أنصاره بمدد من السماء، وتتحلى المعركة عن انتصار حزب الله على حزب الشيطان، وتصير كليلة الذين كفروا السفلى، وكليلة الله هي العليا، وصارت بدر مثلاً في الأولين، وعبرة في الآخرين، أن النصر بيد الله يؤتیه من يشاء من عباده المتقين، وصدق المولى العظيم «قد كان لكم آية في قسيتين التقتا: فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعلبة لاولى الأبصار».

إن الإنسان ليمجّب كيف انتصرت الفئة القليلة في عددها وعدتها على الفئة الكثيرة المغترّة بخيلها وسلاحها وعنادها ، ولا يزال يقلب الأمر على جميع وجوهه حتى يخلص إلى سر الأسرار وهو الإيمان ، الإيمان بالله إيماناً لا تشويه أية شائبة ، والإيمان بأن هناك حياة أخرى خيراً من هذه الحياة الدنيا ، يوفى فيها المحسنون والمجاهدون أجرهم بغير حساب ، والإيمان بالدعوة الإسلامية وصلاحتها لإصلاح الناس ، والإيمان بأنهم خير الأمم ، وأنهم أحق بهذه الدعوة وأهلها ، هذا الإيمان المتشعب المتغلغل في أعماق القلوب هو سبب الأسباب في هذه الموقعة الفاصلة وغيرها من مواقع الإسلام الحاسمة .

لقد كان من آثار هذا الإيمان القوى ، هذه المواقف المشرفة ، والكلمات العذاب المؤمنة . التي صدرت عن الصحابة الأماثل قبيل الغزوة ، فقد روى الثقات أن النبي ﷺ لما علم بخروج قريش لتمنع غيرهما وأخبر صحابته أن الله وعدم إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما التنفير ^(١) وفرت العير ولم يبق إلا التنفير ، أراد أن يتعرف رأى أصحابه في الخروج للقتال فقال : أشيروا علي أيها الناس . فقام السيد المقداد بن الأسود رضي الله عنه فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون » ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، والله لو سرت بنا إلى برك الغماد ^(٢) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فدعا له النبي بخير . ثم قال عليه الصلاة والسلام : أشيروا علي - وكان يريد الانصار ، لأنهم بايعوه بيعة العقبة على أن يمنعوه عما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ما دام بين أظهرهم ولم يعاهدوه على الخروج ، فقام السيد الأوسى سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : لكأنك تريدنا يا رسول الله . فقال : أجل . فقال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهدنا ، فامض لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضه معك ، وما نكره أن تكون تلقى بنا العدو غدا ، إنا نصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله ، فأشرق وجهه صلى الله عليه وسلم ، وبشرهم بالنصر ، وهكذا فليكن الإيمان .

(١) العير : الأبل تحمل للبرية . والتنفير : القوم الذين نفروا من مكة لمنع العير وهم الذين حاربوا المسلمين .

(٢) موضع على خمس ليال من مكة إلى جبة اليمن .

ويسمى الإيمان بالمسلمين في بدر ، ويسمى الحب الممتزج بالإيمان ، فيشير السيد سعد بن معاذ على النبي ﷺ أن يتنوا له عريشاً وراء الجيش وتكون عنده ركائبه ، فإن نصرهم الله فذلك ما أحبوا ، وإن كانت الأخرى ركب ركائبه ولحق بمن بقى من المسلمين بالمدينة ، وهم قوم ليسوا بأقل من خرجوا لإيماننا ولا طواعية لرسول الله ، ولولا ظنهم أن رسول الله خرج للمير لما تخلفوا عن الجهاد ، وقد أتى النبي ﷺ على سعد ونزل عند هذا الرأي وضرب في باب الاستماع إلى المشورة الصائبة مثلاً يحثذى إلى يوم الدين ، وما أشار به سعد رضى الله عنه هو غاية ما وصل إليه الفن الحربى الحديث ، فانظر بعين البصيرة كيف بلغ أبناء الصحراء في الفن الحربى شأواً بعيداً يشهد لهم بأصالة الرأي، وذكاء القلب ، وسلامة الفطرة ، ولا عجب فالؤمن ينظر بنور الله .

وإن المسلم متأليغض الطرف حياء من نفسه حين يستعيد هذه الذكريات المجيدة التى مكنت للمسلمين الأولين فى الأرض ، وبدلهم من بعد خوقهم أمناً . ومن بعد ضعفهم قوة وعزة ، ولو أن فى الخمسمائة مليون مسلم الذين يسكنون المعمورة اليوم ، مليوناً واحداً على غرار أهل بدر ، لصنعوا تاريخ العالم كما يريدون ، ولظهر الإسلام على الدين كله ، ولو كره الكافرون . فهل يثوب المسلوبون إلى الرشد ؟ وهل يتخذون من أهل بدر وقائدهم قدوة حسنة ؟ وهل تتحقق الآمال ؟

وفى رمضان من السنة الثامنة ، وفى اليوم العشرين منه ، دخل الرسول ﷺ وأصحابه مكة متصربين مظفرين ، وكان من فرط شكر النبي ﷺ لربه وشدة تواضعه أن طأطأ رأسه حتى لتكاد تمس جبهته الرجل ، وضرب الرسول وأصحابه مثلاً علياً فى العفو والتساع ، لا تكاد تعرف إلا فى تاريخ الإسلام . وافتتح مكة دخل الناس أفواجا فى دين الله ، حتى أضحت الجزيرة على قلب رجل واحد ، وحقق الله لحبيبه محمد وعده ، وأتم عليه نعمته .

ولم يكند يعضى قرن من الزمان ، حتى بسط الإسلام لواءه على أنحاء العالم المعروف حينئذ ، ونعم بدين العدل والرحمة والمساواة ، وأضحى الناس فى أمن وسلام .

ولا يتسع المقال اليوم لإشباع القول فى ثالثة الذكريات ، فإلى فرصة أخرى إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

التأويل والتفسير

منذ سنوات مضت نشرنا بعض مقالات في التأويل العقلي ، كانت في جوهرها نماذج لتأويلات بعض الفلاسفة أو — على وجه التخصص — لفيلسوف إسلامي ، هو أبو علي ابن سينا ، لبعض الأصول التي تتعلق بالعقيدة .

ولما كان التأويل العقلي قد احتل مكاناً مرموقاً في الفلسفة الإسلامية ، واتخذة فلاسفة الإسلام سلاحاً للتوفيق بين الدين والفلسفة ، فقد رأينا أن نتكلم في مقالنا هذا عن التأويل من ناحيته اللغوية والعامة .

يقول صاحب اللسان^(١) : « وأما التأويل فهو تفصيل من أول يؤول تأويلاً ، وثلاثية آل يؤول أي رجوع وعاد ، وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد ، ١٠١ . يظهر من هذا النص أن التفسير والتأويل هو محاولة معرفة ما يراد من ظاهر العبارة ، وبسط ما أشكل فهمه أمام النظرة العابرة .

ولا يرد عند التهانوي^(٢) ذكر « للتأويل ، كإداة مستقلة ، بل يذكره في ثانياً « التفسير ، ويروى أن الراغب قال : « التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجل ، وكثيراً ما يستعمل في الكتب الإلهية ، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها . . وروى أيضاً أن أحد العلماء قال : « التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً ، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة ، إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة . . وروى كذلك أن الماتريدي قال : « التفسير : القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، أو الشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع

(١) لسان العرب ص ٣٤ ، ١٣٠ ، طبعة أولى ، بولاق سنة ١٣٠٢ هـ

[٢] كشف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد طي التهانوي ، صححه وأوضحه وزاد فيه الفقيه مولوي محمد وحيد مدرس المدرسة السلكية ، وأمانته فيه مولوي عبد الحق ومولوي غلام قادر ورتب ذيله الويس اسبرنكو التيموني ٢٠٠ ص ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧

به فصحيح ، وإلا فتفسير بالرأى ، وهو المنهى عنه ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله .

وفي كليات أبي البقاء ^(١) أيضاً لا يرد ذكر لمادة « التأويل » مستقلة عن « التفسير » بل يذكرها في ثنائياها ؛ وهو يقول : « التفسير والتأويل واحد ، وهو كشف المراد عن المشكل ، والتأويل في اللغة من « الأول » ، وهو الانصراف ، والتضعيف للتعدية ، أو من « الأيل » ، وهو الصرف ، والتضعيف للتكثير ، وقيل التأويل بيان أحد احتمالات اللفظ ، والتفسير بيان مراد المتكلم ، ولذلك قيل : « التأويل ما يتعلق بالدراية ، والتفسير ما يتعلق بالرواية » .

يفهم من هذه النصوص أن التأويل معناه في الأصل التفسير والشرح ، ولكن الكلمة تطورت مع الزمن ، وفرق بعض العلماء بينها وبين التفسير ؛ فانصرف التأويل إلى المعاني والمراد الإجمالي ، وانصرف التفسير إلى شرح المفردات والألفاظ شرحاً لغوياً يؤدي إلى المعنى الظاهر من النص .

ولقد وردت في القرآن الكريم بعض آيات ^(٢) تشير إلى الوحي الذي ينزل على الرسول ﷺ . ومن ثم اقتصر لفظ التأويل ردحا من الزمن على هذا المعنى الخاص ، وظلت هكذا إلى أن أصبحت اصطلاحاً يطلق على تفسير مادة القرآن ، أي أن يكون التأويل جزءاً إضافياً هاماً للتفسير أو الشرح اللفظي الظاهري .

وهذا يعد مقدمة لما اصطلح عليه الفقهاء والمتكلمون والفلاسفة على أن التأويل هو تفسير النص بمعنى غير الذي يفهم من ظاهره ، وهذه الطريقة أو هذا المنهج نال تأييد أهل السنة ما دام المعنى الناتج منه لا يختلف مع ظاهر النص ، والعكس صحيح .

(١) الكليات لأبي البقاء الحسين الكفوي الحنفى ، طبعة بولاق سنة ١٢٨٠ هـ ص ١٠٥

(٢) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله : [الآية التاسعة والثلاثون من سورة يونس] . فيجبون ما تشابه منه اجتفاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله : [الآية السابعة من سورة آل عمران] .

ولقد وجد أصحاب المذاهب الفكرية في الإسلام - من متكلمين وفلاسفة ومتصوفة -
بغيتهم في التأويل ، فاستشهدوا بآيات القرآن الكريم في تأييد مذاهبهم ، بل ذهبوا إلى الحد
الذي بنوا فيه هذه المذاهب على نصوص القرآن .

ويطول بنا المقام إذا نحن حاولنا أن نحكم حكماً قيمياً على التأويل ميين ماله وما عليه ،
ولكن لا مانع من أن نذكر - في هذه المقدمة - أن المسلمين اضطروا إلى اصطناع منهج
التأويل بعد أن ووجهوا بأقوام لا يكفهم في الإقناع أن يقال لهم : « قال الله تعالى ، كذا ،
وقال الرسول ﷺ ، كيت . » بل كانوا يريدون مناقشة المسائل من ناحية عقلية بحتة ،
فأنبرى لهم مفكرو الإسلام ، وساروا معهم إلى نهاية الشوط . ولما كان لا بد لهم من التماس
التأييد من دينهم في النهاية فقد أعملوا عقولهم عند النظر في آيات الله وفي أحاديث الرسول ،
فوجدوا فيها منبعاً غصباً في تأييد مذاهبهم عند ما تساحوا بمنهج التأويل .

وليس من شك في أن بعض من سار على هذا النهج قد خرج عن الطريق السوى
الذي رسمه الدين ، وسنبين ذلك كله بإذن الله في مكانه من البحث .

سعيد زاهد

أدب الشعر

قال معاوية رضى الله عنه لعبد الرحمن بن الحكم :

« إنك قد لهجت بالشعر ، فأياك والتشبيب بالنساء فتعراً شريفة ، والهجاء فتبهجن كريماً
أو تثير لثماً ، وإياك والمدح فهو كسب الاندال . ولكن اغتر بما أثر قومك ، وقل من
الأمثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك . وإن لم تجد من المدح بدأ فكن كالملك المرادى
حين مدح لجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال :

أحلت رحلى في بنى نعل إن الكريم للكريم عمل

محنة الأدب وما هو السبب ؟

اطلعت على مقال قيم ، للأستاذ الجليل (أبو الوفا المراغي) في مجلة «الأزهر» ، الفراء تحت عنوان «محنة الأدب» ، وما هو السبب ؟ ، والحق أن مقال الأستاذ كان له أجل الأثر في نفسي ، فقد بعث فيها الرضا والاطمئنان ، وحثاني على الكتابة حملا ، لا قرر في شيء كثير من الإعجاب أن الأستاذ من أولئك القلائل الذين يعنون بالأدب ، والذين لهم إلمام تام بأسراره ومناججه . . ولكن رغم إعجابي هذا فإن الأمانة العلمية والأدبية تقتضيان إبداء الرأي في هذا الموضوع على ضوء ما رسمه لنا الأستاذ في هذا البحث الأدبي الرائع . فهذه أمانة في أعناقنا ، ورسالة يجب أن تؤديها إلى أبنائنا الشباب ، وليس من رائدنا أن نشيع اليأس والذعر والقنوط في نفوس أولئك الشباب ، ولا أن نأخذهم بما أخذهم به بعض أدباء الشيوخ الذين لا هم لهم إلا أن يكونوا هم رواد هذا الأدب وشيوخه وأعلامه ، فهذه هي الطامة الكبرى ، بل هذه محنة الأدب ، بهذا أصرح الأستاذ ولا أحب أن أكون من المتشائمين ، فقد اعتدت أن أستقبل الحياة بما فيها من زواجر وضجيج وعواصف وبراكين بالرضا والاطمئنان . وإن الذي يقرأ مقال أدبنا الكبير ويعين النظر ، ليعتقد معنا أن دولة الأدب قضت نحبا وشيع سفرها ذلك الزمن المازل ، وأنه لم يبق لدينا من هذه الآثار إلا تلك الأطلال الصارخة بالأكية ، والتي مزق أستاذنا ببراعته وبراعته أكفانها .

لا تظلموا الموتى ، وإن طال المدى إلى أخاف عليكم أن تلتقوا
ولا أدري لماذا استقبل الأدباء دولة الأدب بهذا العنف ، فأطلق حكمه ذاك على هذا الوليد ، أو ذلك الشيخ ، فقسم ظهر الأدب إن جاز هذا التعبير ، وجعله غير قادر على للمضي في طريقه الذي رسمه له شيوخ الأدب وأعلامه .

ومع هذا ، فالأدب يأسىدى ليس في محنة ، ولكنها محنة الزمن الذي صهر الأدباء والشعراء في بوقته ، وأسدل عليهم حجبا كثيفا من الأحداث ، فلم يستطيعوا قهر الطبيعة بين عصف الحياة وزجرجة الخطوب .

فهل صحيح بعد هذا ما يقوله الأستاذ ، وتمثل عنة الأدب في ندرة ما يظهر فيه من كتب ، ونستطيع أن ندس ذلك في سر خصوصاً في الربع الثاني من هذا القرن ، وإنه ليعيبك أن تعد من هذه الكتب ما يبلغ أصابع اليد ، وكم من الكتب في منشور الأدب تستطيع أن تذكره بعد كتب المنفلوطي ، وكم من دواوين الشعر تستطيع أن تذكره بعد ديوان شوقي وحافظ ؟ . ونحب أن نقول لأستاذنا العالم الأديب : إذا كان ذلك كذلك ، فقيم إذا هذه الضجة العنيفة التي يقوم بها كل حين شبوخ الأدب وشبابه ؟ أليس في ذلك دليل على أن هناك أدباً ، وأدباً رائماً ، وأن هذا الركب يسير بين أعاصير النقاد ، وعواصف الرجعية العاتية ، فلم تطفح عليه تلك السواقي الهائجة التي تهب من صحراء الابد .

فإلى أين يذهب ما تخرجه المطابع من كتب في الأدب وفلسفته ؟ هل تبتلعه أفواه الزمن ؟ ، أم تحمله الريح إلى وادي النسيان ؟ . . وإلى أين تذهب تلك الدواوين ؟ أليكون مصيرها العدم والفناء فلا تقدر لها الحياة ؟ أم أنها خالدة خلود الزمن ؟ وإذا جاز لنا أن نسأل الأديب عن شيء يحتلج في النفس ، فإننا نقول له : لماذا اخترت المنفلوطي ، وشوقي ، وحافظ ، دون غيرهم من الكتاب والشعراء ؟ ونحن مع إعجلنا لأدب المنفلوطي نعتقد أنه الشعلة الأولى التي أزاحت لنا هذا الركام عن وجه الأدب ، وفضضت عنه غبار الزمن ، أقول مع إعجلنا لأدب المنفلوطي فإنني مكره على أن أقرر في شيء من الثقة والاطمئنان أنه لا يصور لنا إلا تلك النواحي القائمة في هذه الحياة التي يحياها الناس ، فهو قد ملأ الدنيا من حولنا بؤساً وشقاء وقتاماً ، وعلى كل حال فقد مات هذا الأدب الباكي أو كاد ، ونسجت عليه الأيام طبقات من النسيان ، ومع هذا ورغم هذا . . فنحن نؤمن بأن المنفلوطي رحمه الله كان أديب عصره ، وأن له أدباً ما زال يفشر ويدرس ، وأن صاحبه قد شغل به الدنيا حيناً من الدهر ، وفي أغلب الظن أنه سيشتغل به الدقيا حيناً آخر .

وما دمنا بصدد الكلام عن الشعر والشعراء فإن في مصر والعالم العربي شعراء ، شعرهم ليس شعر شوقي وحافظ . وليس معنى هذا أن شوقياً وحافظاً غير شاعرين ، فهما في الطليعة ومن شعرائنا الأفاضل في عصرنا الحديث ، ولكن ما أتيج لهما من أسباب الشهرة والمجد لم يتح لأولئك الشعراء المغفورين . وفي الحق أن (شوقي) خلده شعره الإسلامي ، الناصع ، (وحافظ) خلده شعره الوطني ، الملتهم الزائع ، وإن كان شعرهما لا يمتاز عن شعر غيرهما

من أولئك الشعراء الذين نعنهم ، والذين يدركون ما في ذلك الأدب من جال ، ويتذوقون ما فيه من فوق وإبداع .

وليس من الحق أن يقال : وما هي ذى المؤلفات الأدبية ، وهي كثيرة وكثيرة فكما منها ما يستحق أن ينظم في كتب الأدب ؟ ، الخ . . . وما لنا نترك أستاذنا في هذه الحيرة الحائرة ؟ وفي استطاعتنا أن ندله في يسر على كتب ودواوين ظهرت في : عشر السنين الأخيرة ، لكتاب وشعراء لم تظفر الدنيا بأمثالهم ، بل لم يظفر بأمثالهم الأدب ، وفيهم الشيخ والشاب ، وما لنا ندله على هذه الكتب ولا ندله على أصحابها فإن في ذكرهم ذكراً لكتبهم وآثارهم التي هي أبقى على الخلود من الخلود ، ومع هذا فالأديب يعلم من أمرهم ومن أمر الأدب ما نعلم ، ومن منا لا يعرف في دولة النثر : الرافعي ، رحمه الله وهو أمة وحده ؟ وفي دولة النظم : أحمد محرم ، صاحب ديوان بحمد الإسلام ؟ ومن منا كذلك لا يعرف الزيات وأحمد أمين ، وهيكل والسيد قطب ، والسباعي وأحمد الشايب وعلى الطنطاوي ، وعرجون والكيلاني ؟ ومن منا لا يعرف السعيد رمضان ، والدكتور عزام ، وغيرهم وغيرهم ممن ملأوا الدنيا حكمة وعلماً وأدباً وفلسفة ، وسارت بآثارهم الركبان كما يقولون ، فهم ملء السمع والبصر ، وهم من قادة الفكر والرأى . . أقبعد هذا يقال إن الأدب في محنة ؟ وإن السبب الحقيقي فيما نظن وراء ذلك ، وهو مزاحمة المتأدبين للأدباء ومحاولتهم أن يخلطوا إنتاجهم الغث الرخيص بالثمين الفصالي من إنتاج هؤلاء . . وهل يعني فيما يقول أولئك الشيوخ ؟ أم أولئك الشباب ؟ وما لنا ننظر الجواب ولا نبادر بذكر طائفة من الشعراء المعاصرين سواء منهم الشيوخ أو الشباب حتى لا يرمينا الأستاذ بالتشيع والقصور ؟ وحتى يعلم الناس أن في مصر والعالم العربي أدباء شعراء : في عشر السنين الأخيرة ، ظفروا أو ظفرت آثارهم ودواوينهم بالتقدير والإعجاب والخلود . . فن هؤلاء الشعراء الموهوبين الذين لهم : إنتاج فني حصين ، محمود إسماعيل ، وعبد الغنى ، وأبو الوفا ، والأسمر ، وعهاد ، وكامل النجمي ، وشكري ، والسيد قطب ، وعبد القادر رشيد الناصري ، وبشارة الخوري ، وإيليا أبو ماضي ، وأ نور المطار ، والجندي ، وغنيم ، والجرنوسي ، وغيرهم وغيرهم ممن يذكروهم أستاذنا الفاضل من شعرائنا الأحياء ، ولهم آثار ودواوين : في عشر السنين الأخيرة . وإن كان ينقص بعض هؤلاء الشعراء العباقرة التوجيه الإسلامي ليستطيعوا بمجهوداتهم الفنية أن يقودوا الرأي العام الإسلامي ، وأن يساهموا أو يشاركوا في ههنا الأصيل ، وأن

يتغنوا بأبجاء الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومقاربها . . ونظرة واحدة إلى المعركة الأدبية التي تدور رحاها اليوم بين أدباء الشيوخ وأدباء الشباب تعطينا صورة صادقة على أن الأدب ليس في محنة ، ونستعير من ساداتنا الفقهاء هذا التعبير « فاقد الشيء لا يعطيه » ، وفاقد الأدب لا يناقش ولا يعطى الناس من أثماره شيئاً ، ولا يقيم الممارك حول الأدب ورسائله ، وإن هذا الوعي الأدبي الوثاب لهُ البرهان على أن الأدب لم يمت ولم يتعثر في مشيته ، وأنه ليس في محنة ، شاء الزمن أو لم يشأ ، وما هو أدبنا الحديث يتبوأ مكانه بين آداب الأمم الراقية ، والشعوب الناهضة في الأرض ، وهذه هي بدائعهم وروائعهم قد ملأت الدنيا فتنة وسحرًا وجمالاً .

الحقيقة أن ما نسميه « محنة » هو في دولة الأدب إنشاء وتحديد وتصوير وإبداع ، وهؤلاء هم أدباؤنا وشعراؤنا ، وتلك هي رسالتهم تملئ على الدنيا سطور المجد وأهازيج الخلود ، وهؤلاء هم قراؤنا الأفاضل يلتمسون بشغف كل ما يقدم إليهم من ثمار هذا الأدب البانع ، فهو غذاؤهم الروحي الذي يملأ دنياهم بهجة وأملًا ، فهل بعد هذا « تتمثل محنة الأدب في انصراف القراء عن قراءة الأدب » ؟ لعل الاستاذ يريد الناس جميعاً قراء لذلك الأدب الرفيع الذي يعنيه في مقاله القيم ، يقرءونه ويتذوقون ما فيه من لذة ومتاع ، وفطنة وسحر وجمال ... هنا . وهنا فقط يجب أن نؤمن بالتدرج ، فالفقه لم يخلق الناس ليصبحوا بين عشية وضحاها أدباء وشعراء وكتاباً ... فلنفسح الطريق إذاً لأدباء الشباب ولنبارك نهضتهم ، ولنذكر أشياخ الأدب وأعلامه ، ونأخذ عنهم الحكمة والأدب ، ونفسر به قدماً إلى الأمام ولنوفق بين القديم والحديث ، ولنقل مع القائلين : إن الأدب ليس في محنة ، بل هو حي وسيبقى حياً ما دام الدهر ، وما دام كتاب الله محفوظاً في الصدور . ترتله الألسن ، وتنفس بدائعه وروائعه وأحكامه وقوانينه في الحياة علماء أمماء ، وشعراء حكياء ... وبعد فهذه لفنة أرجو أن تتبعها لفنات ، ولا أشك بعد هذا أن كل ما يرويه الناس عن الأدب ليس إلا رغبة متطيرة فوق بحر الحياة الأدبية والإنسانية ... أما أحماق الأدب وآفاقه فأبعد وأوسع من أن يتناولها قلم أو يستوعبها بيان ، فالأدب مهما جل لا معنى له إلا على قدر ما يكشف معنى الإنسانية والحياة .

صابر على رمضان الجبوتى

معنى الانسان في مختلف الآيات

أصل معنى « الإنسان » ، هذا الجنس البشرى الذى يعمر الأرض ، وفي تعريف المناطقة « الحيوان الناطق » . وقد أطلقت كلمة « الإنسان » ، فى القرآن الكريم على هذا المعنى الاصلى وعلى معان أخر بينها وبين المعنى الاصلى مناسبة ، وإن كان إطلاقها على غير المعنى الاصلى فى بعض الآيات ليس نصاً وإنما يحتمله بعض التفسير .

وسأذكر هنا أنواعاً من معنى الإنسان فى القرآن وصلت إليها بعد استقراء هذه الكلمة فى جميع الآيات ، واستعنت على ذلك بقراءة كتب التفسير المختلفة وبعض الكتب التى كتبت فى معانى القرآن .

١ — قال تعالى « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » ، يجوز أن يراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس البشرى كله ، ويكون الحين الذى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً هو مدة الحمل ، ولكن هذا المعنى لا ينطبق على آدم أبى البشر عليه السلام . لأنه لم تكن له مدة حمل . ويجوز أن يراد بالإنسان آدم عليه السلام ، والحين الذى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً هو المدة التى كان فيها صورة من الطين قبل أن ينفخ الله فيه الروح ، ويكون إطلاق لفظ الإنسان عليه مجازاً علاقته السكينة إذ أطلق الكل وأريد به الجزء ، ولما كان آدم أباً البشر وأصله جميعاً فكأنه الجنس كله . و « هل » فى الآية معناها قد .

ومثل هذه الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنين « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » ، ومثلها أيضاً قوله تعالى فى سورة الرحمن « خلق الإنسان من صلصال كالفخار » ، ولكن إطلاق الإنسان فى هاتين الآيتين على آدم حقيقة ، وعلى آدم وبنيه مجاز ، علاقته الجزئية ، لأن آدم جزء من الجنس ، وصح إطلاق اسم الجنس كله عليه لأنه أصله فكأنه جميعه ، والذي يدعونا إلى اعتبار المجاز أن بنى آدم لم يخلقوا من صلصال وإنما خلقوا من نطفة ، وآدم وحده هو الذى خلق من الصلصال ومن سلالة الطين .

٢ — قال تعالى في سورة ق : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

المراد بالإنسان في هذه الآية الجنس كله ، أو آدم عليه السلام . ولكن لإرادة الجنس أرجح .

٣ — قال تعالى في سورة الدھر : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » المراد بالإنسان في هذه الآية أولاد آدم ، لأنهم المخلوقون من النطفة .

٤ — قال تعالى في سورة التين : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » المراد بالإنسان في هذه الآية الجنس كله ، وقيل الوليد بن المغيرة ، وقيل كل كافر ، ومعنى أسفل سافلين أرذل العمر على الأول ، وعلى الآخرين النار .

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الزمر : « فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ، بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون » المراد بالإنسان الجنس كله ، وقيل الوليد بن المغيرة أو هشام بن المغيرة أو كل كافر .

٥ — قال تعالى في سورة العاديات : « إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد » المراد بالإنسان في هذه الآية الجنس كله فإن من طبيعة الإنسان جحد نعمة الله عليه وعدم توفيتها حقها من الشكر ، وهو شهيد على نفسه بذلك ، وقيل المراد بالإنسان الكافر لأنه يجحد نعمة الله عليه فيكفر به ولا يعبده ويعبد غيره ، ويصرف إليه الشكر ، والله أولى بعبادته وشكره ، وقيل قرط بن عبد الله .

٦ — قال تعالى في سورة العلق : « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، المراد بالإنسان الجنس كله ، أو أبو جهل بن هشام ، فإن من طبيعة الإنسان الطغيان والاستكبار عند ما يستغنى بالمال والجاه عن غيره ، وكذلك أبو جهل لما وجد نفسه غنياً جاء طغى واستكبر وأراد أن يكون السيد الذي لا ينازعه أحد في رئاسة قريش ، وحارب رسول الله ﷺ حرباً مريرة ، ولكن الله خذله وقتله وهو قاهر العاقبة ، مذل المستكبرين وروى أنها نزلت في أبي جهل حين نهى النبي ﷺ عن الصلاة ، فأمره الله بالصلاة في المسجد وأن يقرأ باسم ربه الذي خلق .

٧ — قال تعالى في سورة الإسراء : « ويدعو الإنسان بالشئ دعاه به بالخير وكان الإنسان عجولاً ، المراد بالإنسان الجنس كله لأن من عادة الإنسان أن يدعو لنفسه بالخير إذا كان راضياً ، فإذا ضجر دعا على نفسه بالشئ ، لأنه عجول لا يصبر على الشئ ، ويستعجل دائماً الخير ، ورب شر أنفع من خير ، ولكن الإنسان من طبعه إيثار العاجلة على الآجلة ، وقد أحسن الشاعر وصف النفس الإنسانية بقوله :

إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل
وقيل المراد بالآية التنضر بن الحارث .

٨ — قال تعالى في سورة الحشر : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين » المراد بالإنسان الجنس كله ، فإن الشيطان يغوى الناس جميعاً بالكفر ، فن كفر منهم قال له : إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين . أو المراد بعض الجنس ، وهم الذين استجابوا لإغواء الشيطان فكفروا بربهم وقيل : المراد شخص واحد من الجنس هو برصيصا العابد الذي كانت في أيام الفترة ، وله قصة تناقلها بعض المفسرين .

٩ — قال تعالى في سورة المعارج : « إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً ، إلا المصلين ، الآيات .

المراد بالإنسان هنا الجنس كله ، لأن من طبيعته الملح والجزع والصبر وعدم الصبر إذا مسه الشر ، ومن طبعه الحرص والشح ومنع أصحاب الحقوق حقوقهم ، ولكن الله هذب هذه الطبيعة بما أرسل به رسوله ﷺ من الحث على الصبر وبيان جزائه العظيم والحث على الاستهانة بالدنيا في سبيل الله ، وإعطاء كل ذي حق حقه سواء كان ديناً أو أجر عمل أو زكاة مال أو غير ذلك ، ولذا استثنى الله المتأدبين بأدب القرآن من هذا الحكم فقال تعالى : « إلا المصلين ، الآيات ، وقيل المراد الاخنس بن شريق .

١٠ — قال تعالى في سورة الانفطار : « يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ما شاء ركبك . قيل المراد بالإنسان في الآية الجنس كله ، فإن من طبيعته الطمع في رحمة الله والاغترار بما آتاه من نعمه ، وما أفاض عليه من كرمه ، فينفق صحته وماله في محبة ربه ، وكان الأجدر به أن ينظر إلى نفسه ، ويتأمل

في صورته وما وهبه الله من قوة في الجسم وحسن في الصورة ، فيشكر على ذلك بالتقوى ويتقرب بالطاعات ، وقيل المراد بعض الجنس وهم الكفار الذين اغتروا بفضل الله وكرمه عليهم فنسوه وعبدوا غيره وحاربوا رسله ، وكان الواجب عليهم عبادته وطاعته ومساعدة رسله على نشر دعوتهم وتبليغ رسالتهم ، وقيل المراد أسيد بن خلف أو الوليد بن المغيرة أو أبي بن خلف .

١١ — قال تعالى في سورة البلد : « لقد خلقنا الإنسان في كبد ، الكبد : المكابدة . قيل المراد بالإنسان في هذه الآية الجنس كله ، فقد خلقه الله وجعله ملازماً للشدّة والبأس والتعب ، وسلط عليه نفسه ، وأمره بمقاومتها ، وأرسل عليه المصائب في الدنيا يبتليه بها ، ثم بعد ذلك يقاسى أهوال الآخرة من الحساب والعقاب على ما اقترّف من السيئات ، ولخوفه وهمه يوم القيامة أشد مما لاقى في حياته كلها . وقيل المراد بالإنسان كلدة بن أسيد .

١٢ — قال تعالى في سورة الفرقان : « ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً ، قيل المراد بالإنسان الجنس كله ، فإن الشيطان يغوى الإنسان ثم يخذله بعد أن يطيعه ويتبرأ منه . وقيل المراد بالإنسان الكافر لأنه أحب الإنسان إلى الشيطان ومع ذلك فهو يخذله ويتبرأ منه يوم القيامة ، ويقول كما حدث الله على لسانه « فلا تلوّمونى ولوّموا أنفسكم » . وقيل المراد عقبة بن أبى معيط ، وكان قد أسلم فردّه عن الإسلام أبى بن خلف ، وعلى ذلك فهو المراد بفلان في قوله تعالى « لم اتخذ فلاناً خليلاً » ، وعلى التفسيرين الأولين يكون المراد بفلان كل شخص يتخذ الكافر أو العاصى خليلاً يخضع له في مقارفة الكفر والمعصية .

١٣ — قال تعالى في سورة القيامة : « أيعسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه » . قيل المراد بالإنسان الجنس كله لأن الإنسان يعظم عنده بحسب تفكيره الضيق جمع عظامه بعد بلاها ، وعودته حياً كما كان ، وقيل المراد عدى بن ربيعة الذى أنكر البعث وقال : أبعد أن أموت وأصير تراباً يعيدنى الله ويحاسبنى ؟ هذا حديث خرافة . وقيل المراد كل كافر ينكر البعث ، ولا يؤمن بقدره الله على إعادة الخلق .

١٤ - قال تعالى في سورة يس : أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الآيات .

قبل المراد بالإنسان في هذه الآيات العاصم بن وائل أو أبي بن خلف الجمعي على الخلاف في ذلك ، روى أنه أنكر البعث واستعظمه على الله ، وزعم أن الإنسان بعد أن تبلى عظامه لا يحيى . وأخذ عظام رمية فقتله أمام الرسول ﷺ وقال له : أترى يحيي الله هذا بعد ما بلى ورم ؟ فقال له ﷺ : نعم ويدخلك النار .

وقد رد الله تعالى عليه في الآيات أبلغ رد فقال تعالى : ونسي خلقه ، وقال : قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

ويحوز أن يراد بالإنسان الكفار الذين ينكرون البعث ويقولون : كيف يحيي الله الناس بعد موتهم .

وينبغي أن يلحظ أن لفظ الإنسان إذا استعمل في الجنس كله فهو حقيقة ، وإذا استعمل في بعض الجنس فهو مجاز وتختلف علاقات المجاز باختلاف الاستعمال كما سبق بيانه في بعض الآيات .

طه الزبيدي

أستاذية في النحو والصرف

حدائق الحيوان في الحضارة الإسلامية

العرب المسلمون أول من استحدث حدائق الحيوانات ، وكانوا يسمونها « حير الوحش » . وقد أنشأ الخليفة المأمون واحدة من هذا النوع في عاصمة الخلافة ببغداد وجعلها متصلة بالميدان وقصر الثريا الذي بناه المعتضد على نهر عيسى ببغداد ، ثم جاء الخليفة المقتدر بالله فزاد في ذلك .

لغويات

انظر في : أولا كتب النحو ، وثانيا كتب البلاغة .
شاع هذا الأسلوب في كتابة المصريين ، حتى من يقسم بالثقافة اللغوية . وفي إحدى
المجلات اللغوية الجلى ما يأتى .

« قد يستعمل هذا الاصطلاح في مواطن السخرية للدلالة على :

أولا — الاهتلاس أو اختلاط الأفكار

ثانياً — النظريات الفلسفية أو العلمية التى يظن أن فيها هلجاً أو غموضاً يحار فيه العقل ،
والاهتلاس : ذهاب العقل ، والهلج : أن يخبر المرء بما لا يؤمن به .

والباحث اللغوى يرى فى المثال المصدر به البحث مجالا للقول من ناحيتين .

الاولى مكان « كتب النحو » من الإعراب . وظاهر الامر أنها مجرورة بالحرف
« فى » . وهنا نتجه المؤاخذه : ذلك أن فيه الفصل بين الجار ومجروره ، وهذا من قبيح
الفصل . ويقول ابن جنى فى الخصائص (١) : « والفصل بين الجار ومجروره لا يجوز .
وهو أقبح منه بين المضاف والمضاف إليه . وربما فرد الحرف ، فجاء منفوراً عنه ؛ قال :

لو كنت فى خلفاء أو رأس شاق وليس إل منها النزل سبيل

فصل بين حرف الجر ومجروره بالظرف الذى هو (منها) ، ومما جاء فيه الفصل
بالظرف لضرورة الشعر قوله :

إن عمرا لا خير فى اليوم عمرو إن عمراً مكثراً الأحزان

وفى المثال احتمال أن يكون مجرور الحرف محذوفاً ، وتقدير الكلام : انظر فيما أهنيه
أو أذكره ، مثلاً ، ويكون « كتب النحو » بدلاً من هذا المحذوف . وهذا وإن أنجأنا
من المحذور السابق لا ينجى المصير إليه ، لأن فيه تعليق الحرف أى حذف معموله ، وهذا
ممنوع عندهم .

والناحية الثانية مكان ، كتب البلاغة ، من الإعراب أيضا . وظاهر الحال أنه مجرور بالمعطف على ، كتب النحو ، وهذا يرد عليه الفصل بين المعطف النائب عن الجار ، والمعطوف المجرور ، وهذا أيضا لا يجوز في النحو . ويقول أبو حيان في البحر ^(١) : « لا يجوز الفصل بالظرف أو المجرور بين حرف المعطف ومعطوفه المجرور . لا يجوز : مررت بزيد اليوم وأمس عمرو . فإن جاء في شعر ، . وجاء قوله تعالى في الآية ٧١ من سورة هود : « وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » ، فقرأ معظم القراء : يعقوب ، بالرفع ، وقرأ ابن عامر وحزمة وحفص بفتح باء « يعقوب » . وقد رأى بعضهم أن « يعقوب » في موضع جر بالمعطف على « إسحق » . ورد هذا الوجه بأن فيه الفصل السابق . ويخرجه من لا يرضى هذا على أنه في موضع النصب بفعل يفهمه معنى الكلام ، وهو « وهبنا » مثلا . وذلك أن « بشرنا » في معنى وهبنا ، ومثل هذا من المعطف على المعنى كثير في كلامهم . ويقول ابن جني ^(٢) : « والأحسن عندي في يعقوب من قوله - عز اسمه - : (ومن وراء إسحق يعقوب) فيمن فتح أن يكون في موضع نصب بفعل مضمّر دل عليه قوله : (فبشرناها بإسحق) أي وآتيناهما يعقوب . فإذا فعلت ذلك لم يكن فيه فصل بين الجار والمجرور » .

وأعود إلى المثال الذي أوردته عن الجملة : ففيه : « ثانيا ، وهو معطوف على « أولا ، مع حذف المعطف . وهذا لا ينقاس » ^(٣) ؛ وإن ورد منه قليل . سمع بعضهم يقول : أكلت سمكا ، لحما ، تمرا . ويقول الشاعر :

كيف أصبحت كيف أمسيت عما يزرع الود في فؤاد الكريم

ولأنما يريد : كيف أصبحت وكيف أمسيت ، أي إلقاء التحية في الصباح وفي المساء .

ويجرنا ما نحن فيه إلى مثال آخر يدنو منه . وهو :

أرجو صدور الأمر أولا : بإعادة فلان إلى عمله ، وثانيا : بإعطائه أجره .

وورد في صحيفة يومية ما يأتي : « ومن ثم يلتزم المدعى الأمر أولا بوقف القرار

الصادر من الحاكم العسكري العام ... والقضاء بعد ذلك في موضوع القرار بإلغائه » .

وليس في هذا المثال شيء سوى تقديم الظرف على المجرور الذي هو في موضع المفعول به ، وهو أمر جاز في النحو ، وإن كان المستحسن تقديم المفعول به وما هو في معناه على الظرف . ويقول الصبان في آخر باب المفعول معه : « قال الفارسي : إذا اجتمعت المفاعيل قدم المفعول المطلق ، ثم المفعول به الذي تعدى إليه العامل بنفسه ، ثم الذي تعدى إليه بواسطة الحرف ، ثم المفعول فيه الزماني ثم المكاني ثم المفعول له ؛ كضربت ضرباً زيدا بسوط نهاراً هنا تأدياً وطلوع الشمس ا ه باختصار . والظاهر أن هذا الترتيب أولى لا واجب . »

* * *

النظارة : المرأة

تعرفت النظارة في عصرنا في الأداة الزجاجية التي توضع بإزاء العينين ، ويستعان بها في حسن البصر . ويطلق بعض الكتاب عليها المنظار ، يصوغ لها اسماً على حد ما يعرف في اسم الآلة ؛ إذ كان الاسم الشائع (النظارة) لا يوافق ما صاغت عليه العرب لهذا المعنى . وصيغة الفعالة في وضعها الأصلي مؤنث الفاعل لمن يكثر منه الفعل . وقد أتى في اللغة هذا الوزن في بضع كلمات للكان . ومن ذلك الملاحاة لمنبت الملح ، والبقالة لمنبت البقل ، والزراعة للأرض التي تزدرع ، والزلافة لمكان الزلق . ولا ريب أن استعمال الفعالة في المكان من باب التوسع ، وإسناد ما للفاعل إلى المكان ؛ كما يقال : جرى النهر وإنما الجارى ماؤه . وهذا يفتح باب التوسع في هذه الصيغة لاستعمالها في الآلة ؛ فليس بعيد في النظر اللغوي إطلاق الفعالة على أداة الفعل . وبهذا النظر يصح النظارة والكسارة ، وما شابههما . وقد فكرت حيناً في أمر هذه الأداة التي نأخذها عن الغربيين . فهل عرفها أسلافنا ، وبماذا كانوا يسمونها إذا كانوا عرفوها ؟

ولا ريب أن الأقدمين كانوا يعرفون بعض الأدوات والآلات التي تقرب المبصرات في الرؤية . وعرف هذا فيما يرصد به النجوم . وهم يسمون الآلة التي تقرب لهم مرآة النجوم المرأة ، على اسم المرأة التي تنعكس فيها صور المريخات . ويقابلها التلسكوب ، ويعبر عنه بعض المصريين بالمرقب . ولتنخيص هذه المرأة بالكواكب سموها مرآة المنجم . ويقول أبو العلاء المعري في إحدى لؤومياته :

ومرأة المنجم وهي صغرى أنه كل عامرة وقفر
وتراه في قوله « صغرى ، وقع فيما عيب على أبي نواس في قوله :
كان « صغرى وكبرى من فقاقمها حصباء در على أرض من الذهب

فأما مرآة العينين فيبدو أنه يتصل بها النص الآتي في مفردات ابن البيطار في الكلام
على السبج إذ يقول : « السبج : حجر يؤتى به من الهند . وهو أسود شديد السواد ، براق
شديد البريق ، رخوينسكمر سريعاً ... نافع في الأكحال إذا وقع للعيون ، يمسك البصر
ويقويه . إذا اتخذ مرآة نفع من ضعف البصر الحادث عن علة الكبر وعن علة حادثة ،
وأزال الخيالات وبدو نزول الماء . »

وأصرح من هذا ما جاء في كتاب الإبريز ص ٢٥ في حديث المؤلف عن شيخه
عبد العزيز الدباغ : « كانت للشيخ مرآة ينظر بها في الكتب فتلفت له . فحسنته بمرآة أخرى
من عند حبيبه وصديقه الحاج محمد الكواش ، فوجدها لا تليق . فقال : انظروا المرآة الأولى
فإنها صافية ، لعلمكم تجدونها . . ثم رفع الكتاب الذي قد ثناه والمرآة التي ليست بجيدة
في أنفه . فسقطت من أنفه . فوضع الكتاب فوجد المرآة الثالثة مطروحة فوق ظهره .
فقال لولده عمر : قل لأهلك : « الحمد لله ! قد رداقه على مرآتي . » ومؤلف الإبريز
هو الشيخ أحمد بن مبارك السجلاسي . وقد ابتدأ وضع الكتاب لتدوين كرامات شيخه
في رجب سنة ١١٢٩ هـ : كما ذكره هو في ص ٣ من الكتاب .

الغير

المعروف أن غيراً لا يدخل عليه أل ، وبعد التحويين من الخطأ أن يقال : الغير .
ويعلمون هذا بأنه يلزم الإضافة لفظاً أو قديراً ، فصار كسكل وبعض من الأسماء التي
لا تدخل عليها الألف واللام . ويرى الباحث أن التحويين يحملون غيراً من الأوصاف ،
بدليل الوصف بها في قوله تعالى : « نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ، » وهنا يجد متنفذاً
للاعتراض عليهم في غير ؛ فإن الوصف قد يضاف وفيه أل كالضارب الرجل والحسن
الوجه . ولهم أن يجيئوا بأن غيراً ليس من الأوصاف الجارية على الفعل ، فليس على وزن
المشتقات ، وإنما فيه معنى الوصف ، وقد يتجرد من هذا المعنى إذا جاء للاستثناء .

والمؤلفون يعطونها حكم الوصف السابق فيقرنون أل بها إذا أضيفت إلى ما فيه أل .
وفي شرح السعد للتلخيص في المقدمة : « وإنما قسم كلامنا من الفصاحة والبلاغة أولاً لتعذر
جمع المعاني المختلفة الغير المشتركة في أمر يعمها في تعريف واحد ، ويقول الماوى في شرحه
للسمرقندية : « أى الاستعارة التصريحية الغير التخيلية ، فقال الأمير في كتابته عليه :
« (قوله الغير التخيلية) جمع بين أل والإضافة لأن غيرا في معنى مغاير ، وهو وصف ، -

وجاء في كلام إمامنا الشافعى رضى الله عنه إدخال أل على غير دون إضافة ، فلم ير لها
لزوم الإضافة . وذلك إذ يقول في الأم ج ٧ ص ٢٧٤ : « والغير الذى جهل لا دلالة عليه
ببعض الذى علم ، . والشافعى يحتاج به أئمة اللغة ، ويعرفون له فصاحته وقوة نفسه وصدق
حسه العربى . وللإضافة في هذا مجال آخر .

محمد على النجار

العلم والعمل به

قال يحيى بن خالد لشريك :

علينا مما عليك الله يا أبا عبد الله .

فقال له شريك : إذا عملتم بما تعلون ؛ علناكم ما تجهلون .

أى انه لا فائدة للعلم بلا عمل ، بل هو حجة على أهله . وإن العمل بالعلم القليل ينميه
ويجعله كثيراً ، فلا عبرة بكثرة العلم إذن وإنما العبرة بأن تعمل بما تعلم . وبوشك
أن يكون هذا معنى الحديث الشريف : « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ، -

يارب!

هتاف المظلوم ، ونداء السجين ، وأنة المريض ، ودعاء الحائر ، ونفثة المكروب ،
وصيحة الفريق ، وصرخة المكبوت : يارب !

* * *

تغفو عيون الظالمين ، وتسكن مهودهم ، وتسبح بين جنات أحلامهم أرواحهم ، مختالة
بين أفواف جاهها ، مياسة في بريق سلطانها . ووراء كل هذا عين يؤرقها الظلم ، ويحرق
أهدابها حر الدمع ، وروح يطحنها العدوان ، فتتطاير ذراتها من بين رحاء غباراً يشق أجواز
الفضاء ، ويخترق حجب السماء ، وتبيله الانداء فينقلب عارضا واكفا تصطك ثورته .

فإذا الرعد الذي يجلجل فيصم دويه سمع الوجود ، ويمز صداد طغيان العتاة ، ويزلزل
هديره عروش الظالمين ، وتتجاوبه الأرض وما فوق الأرض والسماء وما بين السماء ،
إنه هتاف المظلوم : يارب !

* * *

ويسدل الليل ستاره فينام الوجود وكأن دنيا الناس تحولت إلى سجين رهيب ؛
وبعد ساعات تطلق هذه الدنيا الهاجعة من سجنها إلى حياة قد يكون في بعضها معاني الحياة ،
إلا ذلك الذي تسميه اللغة سجننا ، وخلق بها أن تسميه قبرا ، لأن ظلمته ووحشته وقسوته
تلف أشباه الموتى عن ضاقت عقول البشر عن تهذيبهم وتربيتهم وإصلاحهم ، فأسلتهم إلى
ما يشبه القبر ، فهم يسامون من دنياهم أكثر مما تسام البهائم من التعذيب والحسف ،
وكلمهم جراح تكاد تفتق فتستشف فيها نداء الدمع ، ونداء الألم ، ونداء الندم ، ونداء التوبة ،
ثم تختلط هذه الأصوات جميعا فتنبعث من القيود والأغلال وتخترق ظلمة السجن ، وأسوار
السجن ، أو ظلمة القبر كما قلنا وأحناء القبر ، متمثلة في نداء واحد يحمل معاني ألمها وندمها
ودمعها وإنابتها : يارب !

* * *

وينقلب المريض على أشواك علته ، وحوله عيون تحمل نظراتها معاني البكاء والحسرة ،
وكل عين ترى فيه المعنى الذي تبكيه ، وهو يدور بعين تلع فيها عبرة ، وتتمتع وراءها نظرة

فيها معنى المرض ومعنى الشكوى ومعنى التوجع من دائه الذى أعيا جسمه وطيبه معا ،
وكأنما يقرأ فى عيون من حوله كلمة اليأس وما وراها فيتلوى ، وتفتح شفتاه عن أنه
مريضة تحمل إلى رب السماء رجاء الرحمة ورجاء العافية فتجاوبها الأنفاس الحزينة ، وتلتقى
مع أنه ضارعة إلى الله تقول : يارب !

• • •

ويتخبط السارى فى مهامه الحيرة وتضطرع أفكاره مع أفكاره ، فلا يكاد يرى
فيما حربه رأيا حتى تضيق به نفسه ، فيفرع إلى جانب آخر من جوانب فكره يتلصق فيه
راحته ونجما ، فلا يرى غير الأوهام المترافقة الساخرة فيعرك كفه وفكره حتى يدمى
كفه وفكره ، فإذا ما استغلقت أمام أفكاره السبل شخص يصره إلى السماء ، وإذا دمه
وأعصابه ومشاعره بل إذا هو كله دعوة مستجيبة تسأل الخلاص مما هو فيه والنجاه
مما يعانيه : تصعد إلى السماء تدق أبوابها ، ويحس كأنما دنياه كلها تدعو : يارب !

• • •

وتزاحم الكرب على النفس المؤمنة فتجىء كل كربة ما تطيق من قوة وهول ، وما تدخر
من بأس وسلاح ، وتتلاقى كلها على تلك النفس ترمى وتفتن فى الرى ، وتغذف وتمن
فى القذف ، لتحطم صبرها أو تخدش قدرها ، وتظل الشدائد تناوى ما وسعتها المناوأة ،
وتجالد ما شاء لها الجلال ، والنفس المؤمنة صابرة على القضاء ، مستبسة أمام البلاء ،
لا تشكو بل لا تتأجى النفس بالشكوى ، وإنما كل ما تبديه إذا ماتوا ثبت عليها التوازل ،
وزحفت النوائب ، وتجنى الزمان ، نفثة يئشق عنها الصدر تحمل معاني الفوئ والعون
لا من الأرض ولا من خلق من الأرض . لا . إنها منطلقة إلى السماء تنادى : يارب !

ويشوى الجوع نفس البائس المحروم فتجف أمعاؤه أو تكاد ، ويدب الجفاف فى جسده
فتذهب حيويته ويترامى كأنما هو ظل من ظلال الفقر ، أو رفات تحمل سطرأ من تاريخ
عاد فيه معنى البلى ، وإن كانت صورته تحمل فى نفسها معاني الحرمان ، وتحمل من زمنها
معاني الظلم والقسوة والشع ، ويزيد فى ألم النفس المحرومة منظر صغارها الجياع وقد خطت
الحياة السوداء على وجوههم تجاعيد تكن فيها الفاقة والعوز .

وما أشد آلامهم حينما يرون دموع أيهم تخضل بها لحيته المرتمشة ، فتتجمع معاني
البؤس والحرمان ، وبجز الأبوة المحطمة عن الإنقاذ ، ثم يستجمعون جميعاً بقايا أنفاسهم ،

وينزعون من دمهم البقية الباقية من الحرارة ، وهي كل ما يملكون ، ليرسلوا زفراتهم إلى السماء تشكو شح الإنسان على الإنسان ، وحياتهم كلها ليلاً ونهاراً رمضان ، وكأنما زفراتهم تقول : من لنا إلاك يارب !

وتحوم حول الفريق أهوال الموت ، وتمتد برائته في تلك الأمواج العاتية ، فيدور بعينه يرقب من وراء الآفاق المطبقة أملاً ، فلا يرى إلا زرقة السماء ، وزرقة المساء ، وزرقة الموت ، ويذكر الحياة ومن له في الحياة ، فيرسل صيحة اليأس قوية تفزع حيتان البحر ، وتشل أمواجه ، وتخرس هديره ، فيردد البحر وما في جوف البحر تلك الصيحة : يارب !

ويكتم المستعمرون أو عملاء المستعمرين أنفاس المستضعفين أو المفككين ، ويضيقون على أعناقهم الأغلال حتى تكاد تحفظ عيونهم . وفي هذه الكبتة الخائفة تزوغ الأبصار ، وتحار البصائر ، ويؤمن المكبوت بعجز أبناء الطين عن نصرته ، فيتلس مدد السماء ، ويسبح بتفكيره في قدرة ربه وجبروته وسلطانه ، ثم يصرخ صرخة تكاد تدك صروح الباغين ، وتحطم تيجان الجبابرة ، وتقوض عروش الظلمة ، إنها صرخة المكبوت : يارب !

يارب ! إن الشرق كله يحتاجه رياح الظلم وليس له في محنته إلاك يارب ... وهو يحين بين أسوار الانانية الطاغية والاثرة العاتية ينادى : يارب ... وهو صريع التفرق والاختلاف يلوذ برحمتك ، ويفزع إلى كنفك يارب ... وهو يتخبط في حيرة تضل في متاهاتها الظنون ، يبسط أكف الضراعة يارب ... وهو غريق في لجج من زرق الهموم يصيح : يارب ... وهو مكبوت كتمت أنفاسه قذائف المستعمرين وعملاء المستعمرين حتى لا يصرخ يارب ... يارب ! إن الشرق الإسلامي أرضه وجباله ووديانته وسماؤه وكل ما فيه يسألك أن تخلق فيه عالماً إسلامياً جديداً يحدد به شباب عالمه الإسلامي الأول ، فتعلاء الرحمة والإخاء والإيثار ونكران الذات والتفاني في الواجب ومعرفة كل إنسان قدر نفسه ، فهل أنت بحبيب دعائه يارب ؟

محمد خليفة

المدرس في الأزهر

الحملة الانجليزية على مصر

عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م)

قرأت في عدد شعبان الماضي من مجلة الأزهر مقالا بعنوان ، الشعب المصرى يطرد الإنجليز ، للأستاذ أحمد عز الدين خلف الله ، قال فيه : إن إنجلترا فكرت في احتلال مصر سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وكانت تهدف إلى عدة أغراض : منها إضعاف تركيا ، والقضاء على المطامع الاستعمارية الفرنسية ، وضمان سلام إمبراطوريتها في الهند بالسيطرة على أهم مركز حربي في الشرق الأدنى .

ولكن لهذه الحملة قصة أخرى ، ولم يكن الغرض منها احتلال مصر ، ولنبداً القصة من بدايتها .

كان الموقف الدولى فى أوروبا يتلخص فى قيام نضال بين إنجلترا وبين نابليون بونابرت ، وكونت إنجلترا حلفاء يضم معها النمسا والروسيا والسويد طام ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) لمحاربة نابليون ، الذى تمكن من هزيمة النمسا وإجبارها على الخروج من هذا الحلف . ولم تكن تركيا فى هذا التحالف ، وإن كانت فى التحالف السابق عليه ، وحين رأت تركيا انتصار نابليون انحازت إلى جانبه بإكرام سفيره ، وإرسال مندوب عنها ، سفيراً فوق العادة ، إلى باريس ، وبالإجمال بدأت تجامل فرنسا بحاملة أحفظت عليها إنجلترا .

وكان الصدر الأعظم هو صاحب هذه السياسة ، على غير إرادة السلطان الذى كان يضمم الود للإنجليز ، فأرسل سفير إنجلترا فى الأستانة إلى حكومته بطلب إرسال أسطول إلى القسطنطينية يساعد السلطان على مقاومة وزرائه . وفى نفس الوقت كانت روسيا قد أعلنت الحرب على تركيا ، فأرسلت إنجلترا أسطولاً ، وتعمليات إلى سفيرها : منها طلب طرد سفير فرنسا من تركيا ، وتجديد التحالف مع إنجلترا ، وتفيذ التزاماتها فيما يختص بحاكي الدواب ورواقيا ، وحرية المرور فى المضائق .

فإن رفضت تركيا هذه الطلبات تقطع العلاقات السياسية ، وتبدأ الأعمال العدوانية ،
و حين بدتها ، يرسل قائد الأسطول البريطانى إلى قائد أسطول البحر الأبيض يارسال حملة
لاحتلال الاسكندرية .

وقد قدم السفير البريطانى طلباته إلى تركيا وتشدد معها فى قبولها ، فصمم الصدر الأعظم
على منع اتصال السفير بالأسطول الانجليزى ، فقرر السفير والجاليسة الانجليزية إلى خارج
الدردنيل . وقبل أن يتمكن من مقابلة قائد الأسطول ، كان هذا قد أرسل إلى قائد أسطول
البحر الأبيض فى غزة ذى الحجة عام ١٢٢١ (٩ فبراير سنة ١٨٠٧) يارسال قوة لاحتلال
الاسكندرية حتى لا تقع فى أيدي الفرنسيين .

ولم تكن مدينة الاسكندرية جزءا من ولاية مصر ، وإنما كانت مستقلة عنها وتتبع
تركيا مباشرة .

وجاءت الحملة الانجليزية من صقلية وقوامها ستة آلاف جندى بحسب ، وهو عدد
- بالبداة - لا يكفي لاحتلال المدينة وحدها ، بله مصر كلها . ووصلت الحملة إلى الاسكندرية
فى ٤ المحرم ١٢٢٢ (١٤ مارس سنة ١٨٠٧) واحتلتها نتيجة خيانة محافظها أمين أغا ، .

ولما علم زعماء الشعب [مشايخ الأزهر] فى القاهرة بمجيء الحملة دعوا الشعب إلى
التطوع لصد الانجليز .

ولن أذكر التفاصيل ، فإن الأستاذ أحمد عز الدين قد أفاض فى ذكرها .

كان القنصل الانجليزى فى مصر هو ميسيت Misset وكان من رأيه أن تستولى الحملة على
مصر كلها ، ولكن تعاليم فريزر كانت الاستيلاء على الاسكندرية بحسب . وحرص ميسيت
فريزر على فتح رشيد بحجة ضرورتها لتفوين الجيش بالاسكندرية ، فأرسل هذا حملته الأولى
على رشيد .

ولما شعر ميسيت بفسله لجأ إلى الحيلة ، فجمع وفداً من الاجانب المقيمين بالاسكندرية
وقابلوا فريزر وشكروا من قرب حدوث المجاعة إن لم تفتح رشيد ، فأرسل فريزر - للضرورة
الحربية ونتيجة مساعى ميسيت - حملته الثانية إلى رشيد التى هزمت فى الحاد .

ولما علت إنجلترا بالهرميتين اللتين حملتا بحملتها في رشيد والحامد، وحاجة فريزر إلى مدد من الجند لفتح رشيد، كان عليها أن ترسل هذا المدد من جزيرة صقلية، ولكن عدد الجنود بها كان قليلا، وكان على الإنجليز أن يختاروا بين إخلاء صقلية وبين إخلاء الاسكندرية.

وقررت إنجلترا سحب حملتها من الاسكندرية، إذ لم يكن غرضها أصلا احتلال مصر، كما أن قيام الحملة ذاتها كان نتيجة أوامر بفيت على سوء تفاهم كما رأينا. وقد عزز رأي إنجلترا في سحب حملتها من الاسكندرية عقد معاهدة تلسيت Tilsit بين نابليون وروسيا ضد تركيا، فتخلت تركيا عن فرنسا، وأصبح لزاما عليها مخالفة إنجلترا، فبدأت المفاوضات بين تركيا وإنجلترا، وقبل أن تنتهى هذه المفاوضات كانت الاسكندرية قد أخليت من الإنجليز.

والذى استفاد من هذه الحملة هو محمد علي، فإن الاسكندرية كانت تحت حكم العثمانيين مباشرة، ولكن فريزر حين أراد إخلاء الاسكندرية لم يجد أمامه غير محمد علي لمفاوضته، وبعد جلاء الإنجليز احتل محمد علي الاسكندرية وجابه تركيا بالأمر الواقع، وأصبحت منذ رجب سنة ١٢٢٢ (سبتمبر سنة ١٨٠٧) تحت إدارته.

هذه هي ظروف حملة إنجلترا على مصر سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م)، ونرى منها أن إنجلترا لم تهدف بها إلى احتلال مصر، فإن هذه الفكرة لم تكن قد طرأت عندها بعد، كما أن انشغال إنجلترا بحروب نابليون في أوروبا في ذلك الوقت لم يكن يتيح الفرصة لإنجلترا لتقوم بمثل هذه المقامرة غير المحمودة العواقب، والتي لم ينجح فيها نابليون رغم عبقريته العسكرية. كما أن سياسة إنجلترا إذ ذاك كانت قائمة على الإبقاء على الإمبراطورية العثمانية حتى لا تتمكن روسيا من الوصول إلى البحر المتوسط من ناحية، ولكي تتفادى وقوع الخلاف بين الدول الكبرى على تقسيم «التركة» من ناحية أخرى. ومن هنا لم يكن معقولا أن تبدأ إنجلترا بمناقضة سياستها، وبمثل هذه الحملة القليلة العدد والعدة.

ومحمد علي نهاز للفرص، يعرف كيف يستخدمها لصالحه، وقد رأى أيضا كيف ضم الاسكندرية إلى حكمه، كما نعرف قمة ولايته على مصر على أكتاف الشعب، ولكنه تنكر لهذا الشعب نفسه بعد ذلك.

وقصة تنكره للشعب وزعماء الشعب جديدة بأن تروى.

كان محمد علي في أول حكمه يرجع إلى العلماء يشاورهم في الأمر وبخاصة فرض الإتاوات والضرائب ، وكان الشعب يلتجئ إلى العلماء لتخفيض الإتاوات ، فيقبل محمد علي وساطتهم ، فكأن العلماء - وهم زعماء الشعب إذ ذاك - كانوا في الواقع ملجأ الشاكين وملاذ المظلومين وكانوا يراقبون أعمال محمد علي ، إذ يوقنون أنهم هم المسئولون عن توليته ، ومن ثم فهم المسئولون عن أعماله .

ومن هنا رأى محمد علي ضرورة التخلص من رقابتهم ، ولم يستطع ذلك طالما بقوا صفا واحداً ، ولكنه حين آنس فيهم الفرقة والانقسام انقض عليهم فأطاح برعيمهم وأخرس الباقين . أعفى محمد علي المشايخ والعلماء من الإتاوات في مبدأ الأمر استجابة لهم ، ثم أبطل هذا الإعفاء في شعبان سنة ١٢٢٢ (أكتوبر سنة ١٨٠٧) وبعد جلاء الانجليز عن الإسكندرية ثم ساءت الحالة الاقتصادية في البلاد لكثرة الضرائب وانخفاض النيل في سنة ١٢٢٣ (١٨٠٨) فارتفعت الأسعار واشتد الغلاء . والتجأ الشعب إلى زعمائه لينقذوه من هذا البلاء . وخطب العلماء (محمد علي) ، فلم يستمع إليهم ، ثم فرض محمد علي « الميري » [الضرائب الأميرية على الأتبان] على « الرزق » [الأراضي للملوك أو الموقوفة وقفاً أهلياً أو خيرياً] وعلى « الأوسية » [الأراضي التي يستثمرها الملتزم لحسابه الخاص] ، وكانت هذه الأراضي معفاة من قبل من الضرائب .

كما قرر محمد علي لحص حبيج أطبان الرزق والاستيلاء على الرزق التي لا حبيج لها ، وقرر أيضاً أن يدفع الملتزمون نصف الفائض للحكومة ، وكانت هذه القرارات جميعاً مدعاة لاستياء الملك ونظار الأوقاف والمستحقين والملتزمين فالتجأوا إلى المشايخ ، وانفق العلماء على رفع احتجاج إلى محمد علي عن تلك المحدثات الجديدة وغيرها مما أحدثته الحكومة كضريبة الثقة على المنسوجات والمصوغات ، على أن يمتنعوا عن مقابلة محمد علي حتى يلغى تلك المستحدثات . واستطاع محمد علي أن يستميل بعض العلماء إلى جانبه ، ففرق بذلك صفوف زعماء الشعب بعد أن حاول استئالة السيد عمر مكرم بالمال فلم يستطع ، وأخيراً لما انصدع الاتحاد وانقسم العلماء عزل محمد علي السيد عمر مكرم من رقابة الإشراف ونفاه إلى دمياط في رجب سنة ١٢٢٤ (أغسطس سنة ١٨٠٩) ، ثم لم يعبأ محمد علي برأي العلماء بعد ذلك إطلاقاً ، وهكذا تخلص من رقابتهم ومن نفوذهم وانفرد بالحكم دونهم ، ولم يبق أمامه من عقبات إلا المهابيك ، وقد تخلص منهم كما هو معروف ؟

عمر طلعت زهره

أستاذ في الآداب

بَعْدُ

- ٢ -

وجئت كفة الداعين للخروج للقاء قريش خارج المدينة .

وكان اليوم يوم جمعة ، فصلى عليه الصلاة والسلام بالمسلمين ، ثم وعظهم وحثهم على الجِدِّ والاجتهاد ، وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا ، وأمرهم بالتهوُّلِ لعدوهم . ثم صلى العصر وقصد إلى بيته ومعه أبو بكر وعمر ، فعماء وألبساء درعه وتقلد سيفه .

وكان الناس في هذه الفترة خارج البيت في جدل وتقاش ، وقد ندم الذين دعوا إلى الخروج وقالوا : « استكر هنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك » .

فلما خرج عليهم النبي قالوا : « يا رسول الله استكر هناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك » .

فقال : « ما يبغي لبي إذا لبس لأمته »^(١) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما أمركم به فاتبعوه ، والنصر لكم ما صبرتم » .

وهكذا برهن الرسول الكريم على أن احترام المشورة أمر واجب ، وأنه ما دام الرأي قد استقر على شيء فقد لزم السير عليه ووجب اتباعه .

خروج المسلمين :

اجتمع مع الرسول من المسلمين ١٠٠٠ رجل ، بينهم ١٠٠ من لابسى الدروع . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه .

وقسم (عليه الصلاة والسلام) جيشه إلى ثلاثة ألوية :

- لواء الأوس : بيد أسيد بن حضير .
- الخزرج : د الحباب بن المنذر .
- المهاجرين : د علي بن أبي طالب .

[١] لامة ولامة : الدرع أو السلاح .

وهكذا يبدو لنا أنه عليه الصلاة والسلام راعى - بما أوتي من حكمة وبمد نظر - مسألة التجانس والانسجام ، فلم يشأ أن يخلط القبائل التي تحارب معه بعضها ببعض ، بل فصل بينها وجعل لكل قيادتها المنفصلة ، وتجمعهم جميعا كلمة واحدة هي كلمته صلوات الله وسلامه عليه . وفي هذا العصر نرى شبه ذلك ، فإن كثيرا من الاجناس المتباينة تحارب جميعا في سبيل غرض واحد ، وقد روعى أن يجمع كل متجانس على حدة ، ويخضع الجميع للقيادة العامة ، ضمانا لحسن التفاهم وتيسير المعاملة .

ففي أواخر الحرب العالمية الثانية مثلا كانت القيادة العامة لقوات الحلفاء مركزة في يد قائد أعلى هو الجرال أيرنهاور ، وكانت جيوش الحلفاء مختلفة الاجناس : فكان فيها الأمريكى والانجليزى والفرنسى والسكندى والنيوزيلندى . الخ . وكان كل جيش من هذه الجيوش يحفظا بطابعه المتجانس ، ولكنها جميعا كانت تخضع لأوامر القائد الأعلى وتنفذ خططه .

انخزال المنافقين :

تقدم رسول الله ﷺ بالمسلمين متجها إلى أحد ، حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة من الناس وقال : « أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علام تقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس » .

وكان عبد الله هذا ممن رأوا البقاء في المدينة ، ولذلك خرج مع المسلمين مرغما ، ولكنه ضعف أمام تأثير حلفائه عليه بترك المسلمين وشأنهم . وهكذا بقى النبي ﷺ ومعه المؤمنون حقا وعدتهم سبعمائة ، ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشي من أهل مكة ، كلهم موتور من يوم بدر ، وكلهم على ثأره حريص ، وعلى الدماء ملهوف .

ورغم هذا النقص العددي الذى أصاب المسلمين فإنهم تابعوا - يهرم وتقدموا مع الصبح حتى بلغوا أحدا فاجتازوا مسالكهم ثم عسكروا فكان ظهرهم إليه .

وقال الرسول للمسلمين : « لا يقاتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال » .

وكانت قریش قد أطلقت خيلها وإبلها ترعى في زروع بنى قيلة (وم الأوس والخزرج) فعاظ ذلك رجلا من الأنصار فقال : « أترعى زروع بنى قيلة ولما نضارب ١١ ،



جدة الأزهر

ولا يفوتنا هذا الأمر الذي صدر من قائد جيش المسلمين وهو : لا يقاتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال . قبل أن نبين ما فيه من حكمة عسكرية باللغة الالامية .

فإن المسلمين قد جاءوا من المدينة وحطوا رحالهم بجانب أحد ، فهل يندفعون فوراً للقتال مع قوم سبقهم إلى هذا المكان ، وأعدوا عدتهم للقائم ؟ لا ، إن عبقرية الرسول قضت بأن يجرى - قبل القتال - استطلاع لأحوال العدو من حيث قوته ، وكيف رتبها للقتال ، ومن حيث خطته التي وضعها ، وما قد تحمل من عوالم المفاجأة والخذاع ، وأن يجرى استطلاع لأرض المعركة يشمل دراسة دقيقة لطبيعتها وما فيها من جبال وسهول ، حتى يمكن معرفة الأرض المناسبة للقتال ، ومعرفة مواطن الخطر في هيئاتها .

وهذا هو ما تقتضيه به تعاليم الحرب الحديثة من أنه يجب أن يجرى استطلاع قبل الدخول في المعركة .

ولندرس الآن ماذا قصد الرسول من هذا الاستطلاع ، وماذا كانت النتيجة :

١ - نظر محمد ﷺ إلى قريش فوجد أنها قد اصطفت وجعلت على ميمنة خيلهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية . وعندئذ بدأ الرسول بتنظيم جيشه لمقابلة عدوه ، فقال للزبير بن العوام : : استقبل خالد بن الوليد وكن بإزاءه . وكذلك أمر جماعة آخرين أن يكونوا بإزاء خيل أخرى للمشركين .

٢ - نظر النبي ﷺ إلى أرض المعركة وإلى جبل أحد فوجد في الجبل ممراً جعل المسلمين ظهراً له غشى أن يتسلل المشركون منه .

لجمع خمسين من الرماة وأقامهم على الممر وقال لهم : : احموا لنا ظهورنا ، فإننا نخاف أن يمحيطونا من ورائنا . والزموا مكانكم لا تبرحوا منه .

وإن رأيتمونا نهزمهم حتى تدخل عسكريهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا تقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقسم على النبل . وعين عبد الله بن جبير بن النعمان قائداً لهم .

تلك كانت نتيجة الاستطلاع الذي قام به الرسول قبل الدخول في المعركة وهو ما كان يعنيه حين قال : : لا يقاتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال .

ولندرس الآن ما في التعليمات التي أصدرها الرسول بعد الاستطلاع من فنون عسكرية :

أولاً : أهمية دراسة شخصية قادة العدو :

من الأهمية بمكان في الحرب الحديثة أن يدرس القائد شخصية القائد أو القادة الذين يواجهونه . وهذه الدراسة تشمل الخصال التي يتحلون بها ، وطريقتهم في القتال وفي وضع الخطط ، والنظريات العسكرية التي يؤمنون بها ، والمعدات التي يتبعونها في مختلف أدوار المعركة .

هذه الدراسة لازمة جداً للقائد الذي يريد أن يتغلب على خصمه ، لأنها سترشده إلى الطريقة المثلى للتغلب عليه .

ورسولنا الكريم نظر فوجد خالد بن الوليد على ميمنة الخيل ، وهو يعرف خالدًا جيداً ويعرف أنه فارس ومقاتل من طراز فريد ، فأراد أن يكون قبالة من المسلمين من يستطيع أن يقف أمامه وقفة الند للند ، فاختار الزبير وقال له : « استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه » .

ثانياً : حاية ظهر الجيش :

إن الظاهر أضعف نقطة في كل جيش دائماً ، وتقضى مسئولية القائد عن سلامة جيشه أن يحصى ظهره ، فالتبي الكريم فطن إلى ذلك فلم يترك ذلك الممر الخطير في جبل أحد الذي يؤدي لظهر المسلمين دون أن يتخذ له سبيل الحيلة ودرء الخطر .

ولقد كانت تعليماته للخمسين رجلاً من الرماة المهرة الذين جعلهم على هذا الممر آية من آيات العبقرية العسكرية التي تدل على الدراية الدقيقة للتكتيك الحربي .

١ — تعيين « الرماة المهرة » عند الممر :

لقد كان الأمر حقا يحتاج لمهرة الرماة حتى يمكن إصابة كل من يفكر في عبور المضيق ، وإذا لم تكن نسبة الإصابة ٩٠ ٪ / فسيسهل للعدو العبور غير مكترث بالإصابات المضطربة . ولذلك فإن المهارة في الرمي هي الصفة التي يجب أن يكون لها المقام الأول عند اختيار من يكلفون بمثل هذا الواجب .

ولا يفطن لهذا الأمر إلا الخبير المحرب في الفن العسكري .

ولذلك كان تعيين النبي ﷺ لمهرة الرماة لهذا الواجب عملاً غاية في البراعة العسكرية .

٢ — التشديد على هؤلاء الرماة بالبقاء في مكانهم :

إن في قوله ﷺ « والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ... الخ » . وثأ كيده عليهم بعدم مغادرته بالمرّة سواء هزم المسلمون أو انتصروا ، حكمة عسكرية بالغة هي ضمان الخذر الكافي ، وأخذ الحيلة كاملة ضد المفاجأة . فهذا المضيق يؤدي إلى ظهر المسلمين ، وهو لهذا بالغ الخطر عليهم ، فإذا لاحظ العدو أنه مفتوح ليس عليه من يذب عنه فهو لا بد واجد في ذلك من الفرصة الطيبة ما يمكنه من التسلل فيه ومفاجأة المسلمين وطمعهم في أضعف مكان في كل جيش ، الظاهر .

وقد تكون خطة قریش أن ترسل جيشاً يتظاهر بالهزيمة أمام المسلمين ، حتى إذا أغرى هذا المنظر الرماة القائمين على المعمر وتركوا أما كنهم اخترقت خيلهم المعمر ، وهناك تكون الطامة الكبرى . وهذا هو الذي دعا الرسول إلى التشديد في تعليماته على رجاله ألا يغادروا أما كنهم بأي حال من الأحوال .

٣ — الدراية التامة بطبيعة الخيل وفنون قتالها :

فإن قول رسولنا صلوات الله عليه : « وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل » . يدل على إحاطته بطرق القتال بشتى نواحيها ، وهو هنا يذكر لرجاله أن السهام هي الوسيلة الفعالة لقتال الخيل حيث إنها لا تقدم عليها . وإن القائد الخبير حقاً هو الذي يعرف لكل سلاح من أسلحة عدوه الوسيلة الناجحة للوقوف أمامه أو القضاء عليه ، وفي هذا ضمان للنصر وتوفير للوقت والجهد اللذين يضيعان في تجربة الكثير من وسائل المقاومة أو التدمير غير المجدية .

هذا وإذا نظرنا إلى تعليمات الرسول ﷺ بوجه عام وجدناها مثلاً كاملاً لمراعاة مبدأ الأمن والسلامة الذي يتخذه القائد لوقاية جيشه وهذا المبدأ هو : « كل قائد مسئول عن وقاية قواته » .

وفي التاريخ أمثلة كثيرة لجيوش دارت عليها الدائرة لعدم مراعاة هذا المبدأ الهام .

محمد بهمال الدين محفوظ

صاغ أركان الحرب

تعليقاً

- ١ -

الدعاة إلى الدين

من المؤلف لنا وللتاس أن نرى بعض حملات طائشة ، توجه إلى الدين عن لا يراعون حرمة ، ولا يتأثرون بأدابه . ولقد أصبحت هذه الحملات غير مجدية لأربابها ، لما هو معروف من الأسباب الباطلة التي تدفع إليها ، بل أصبحت تنال من سمعتهم ، وتكشف عن خباياهم أكثر مما تنال من قداسة الدين في قلوب المطمئنين ، أو تحشد من جلاله في نفوس العارفين المخلصين .

ولكن الذي لم نكن نتوقعه هو أن يظهر بيننا فريق ممن عرفوا بالدعوة إلى الله ، ونصبوا أنفسهم للدود عن شريعة الله ، ثم زاهم يسلكون سبلا قد تشكك الناس في دينهم ، وتال من تقمهم في أولى العلم الراشدين الذين قبضهم الله للحفاظ على معالم الشريعة .

كنا من قبل نعبط أولئك الدعاة على ما يتكفون من جهد في سبيل غايتهم التي يتجهون إليها ، غير أنه تبين لنا من مواقفهم أن في الأمر ما يقف بنا عن الإنصات إليهم ، إذ وجدنا بعضهم تشغله نفسه ، ويشغله حب الشهرة عن توخي الصواب فيما يهتف به من أسلوب دعوته .

عرضت لنا مناسبة جمعتنا مع آخرين ببعض أولئك الدعاة ، وسمعنا في هذا الاجتماع وسمع غيرنا شيئاً يتعلق بدعوة أولئك الدعاة وسيلهم التي ينتهجونها في دعوتهم . وقد كنا نود أن يقصر هذا الاجتماع على الغاية الأدبية التي اقتضته ، وألا يثار فيه ما يعتبر انتهازا للفرصة ، لمفاجأة السامعين بما لم يكن متوقعا .

ولو كان ما سمعناه صواباً في ذاته لشكرنا هذه الفرصة ، وحمدناها لمن تفضلوا بدعوتنا إليها ، فأما وقد سمعنا ما لا يعتبر علماً ولا سياسة ولا شيئاً آخر أكثر من أنه شطط

في الغرور ، وإسراف في حل الناس على التحلل من متابعة الأئمة السالفين ، والتجروء على أولى العلم ، فذلك ما يثير الأسف لدينا ولدى كل محافظ على حياته الديني .

إذ ليس مما يعهده الناس ، ولا ينبغي أن يقال ، أن يجهر زعيم دعوة بقوله : (يجب أن نأخذ شريعة الله من ألفاظ القرآن وألفاظ الحديث دون الرجوع إلى واحد من علماء التفسير ولا من شراح الحديث كأمثال ابن حجر أو خلافة) .

وليس مما يعهده الناس ، ولا ينبغي أن يقال ، أن يجهر زعيم دعوة فيقول : (إذا صعب عليكم فهم آية أو حديث فلا ترجعوا إلى الكتب ، و ليرفع أحدكم نظره إلى السماء وليقل : يا معلم إبراهيم علني ، فإن الله سيعلمه ثم يقول عن نفسه :) أنا أعلم كذلك ، والله يعلمني كل شيء ، فإن شئتم أن تسألوني عن الجيولوجيا فأسألوني أجبكم) .

وطبعاً لم يسأله أحد عن الجيولوجيا ولا غيرها ، لأن الجميع قد عراهم التحلل من كلام كهذا يلقي عليهم ، ولأن الجميع آمنوا إيماناً صادقاً بأن صاحبنا مسرف جداً فيما ينتخيله في نفسه فيما يدفع إليه عوام الناس من تعرف الدين وأحكامه من القرآن والسنة ، أو هو مأخوذ في كلامه بشيء من رهبة الموقف ، فاندفع إلى قوله غير شاعر بما يتحدث به .
ولأفهل في الناس من يصدق أن جميعنا بما فينا من متعلم وغير متعلم ، وسوقة وغير سوقة ، وبما فينا من نساء مطالبات بمعرفة الدين وأحكامه ، هل في الناس من يصدق كلاماً كهذا ، ويزعم أن معرفة الدين ميسورة للجميع من ألفاظ القرآن والسنة ، أو من رفع البصر إلى السماء ، والتدأى بما معلم إبراهيم علني ١١٤

ذلك خاطر مفاجيء تغلب على قائله ، فجرى على لسانه ما هو أشبه بالهذيان ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الناس من فجر الإسلام إلى يومنا هذا إلى معلم ولا إلى كتاب ولا إلى دور للتعليم ، وكان يكفيهم أن يقولوا يا معلم إبراهيم . . الخ .

وإذا ألغينا عقولنا وتابعنا زعيم الدعوة فيما هتف به ، فلنذهب جهود العلماء من صدر الإسلام إلى يومنا هذا ، وليذهب كذلك ما أثر عن الصحابة من تبادلهم المسألة الواحدة ليتعرفوا حكمها ، وما يراد فيها من نصوص القرآن أو السنة ، ليذهب كل ذلك هباءً وليذهب قبل هذا قول الله تعالى : فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، ولنحتفظ بشيء فقط هو ما نأخذه عن زعيم هذه الدعوة ، وأن نعمل مثل ما يعمل فنقول : يا معلم إبراهيم ،

وحيثنذ نصبح مثله أهل الذكر في كل شيء حتى في الجيولوجيا ، إلا إذا كان صاحبنا أثيراً على الله بهذه الخصوصية دون عباد الله أجمعين .

ولنا أن نسأله أخيراً : إذا تخلينا عن سلف العلماء ، فمن أين نعرف سنة الرسول ، إذ أن الثقة فيهم وفيما توارثوه من فهم ونقل لم تصبح ذات بال عندنا ، ولا وسيلة للعلم . اللهم ارزقنا الأدب ، وعلينا ما جهلنا ، وارزقنا الحياة في الدين ، وجنبنا الشطط في الرأي .

(المجملّة)

— ٢ —

أبو هريرة رضى الله عنه

أراد محرر في مجلة روز اليوسف أن يضرب المثل للذين يرون الصلاة ورام فلان أقوم ، والأكل على مائدة فلان آدم ، والبعد عن الحرب أسلم ، فالتبس المثل لذلك من التاريخ ، وأخطأ التوفيق في تسمية شخصية ما كان ينبغي لمسلم على وجه الأرض أن يكون عليه بها نايًا ومخجلًا إلى الحد الذي رأيناه في الفقرة التي عنوانها « أبو هريرة » .

لقد كان موقف أبي هريرة رضى الله عنه من الفتنة الكبرى على أمير المؤمنين ذى النورين كوقوف الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وسائر الصحابة . وفي تاريخ أبي جعفر الطبرى (١ : ٣٠١٥ طبعة أوروبا) أن البغاة لما أحرقوا باب دار الخلافة وعثمان في الصلاة وأرادوا الهجوم ، أقبل أبو هريرة وقال للدفاعيين عنه : « أنا أسوتكم . هذا يوم طاب الضرب » . ولكن أمير المؤمنين عثمان أمرهم - بما له عليهم من الولاية - بالكف عن الدفاع عنه ليقى المسلمين بنفسه غوائل الفتنة وعواقبها ، ولولا ذلك لسارع أبو هريرة والحسن والحسين وجميع المهاجرين والأنصار لاقتدائه بدمائهم . وما منعهم من ذلك إلا أنه عزم عليهم ألا يفعلوا ، وكانت طاعته واجبة عليهم ، لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم . أما موقف أبي هريرة من حرب الجمل وأحرب صفين فإن تاريخ الطبرى - وهو أحفل كتبنا القديمة باستيفاء تاريخ صدر الإسلام - لا توجد فيه كلمة واحدة تدل على وجود أبي هريرة في هاتين الحربين .

إن العناية الإلهية هي التي أعدت هذا الصباح الجليل رضى الله عنه للملازمة مجلس رسول الله ﷺ في فترات الدهر التي كان فيها أكثر المهاجرين يكدحون بالتجارة في أسواق المدينة لرزق أولادهم ، وأكثر الانصار في زراعتهم وبساتينهم ، موطنين نفوسهم على الاستعداد للتضحية بدمائهم وأولادهم وأموالهم كلما هتف بهم داعي الدفاع عن دعوة الحق ، إذا فوجئت ببغى الباطل عليها ، فكان أبو هريرة أكثرهم ملازمة لحاتم رسل الله ، وقد رزقه الله أقوى حافظة عرفت في الناس ، لحفظ للإنسانية من تشريعات آخر رسالات الله ما لا تستطيع الإنسانية أن تكافئه عليه من فضل وإحسان .

ولو أن أبا هريرة كان من أصحاب موسى أو المسيح ، وحفظ لآمنى موسى والمسيح ما حفظه لآمة محمد من نصوص شريعتها ، لآلف علماء أوربا وأمريكا ألوف المجلدات في تخليد فضل هذه الشخصية العظيمة . أما صحافتنا والمتخرجون في مدارسنا فمقرتهم بمفاخر سلفهم بلغت بهم إلى درجة التندر بالعطاء بما نخجل منه أمام المستشرقين فضلا عن أعلام المسلمين ، وإلى الله المشتكى من مناهج تطوح بحملة الأقلام منا إلى هذا المتحدر .
(المجلة)

— ٣ —

مجلة طائفة من بغداد

حمل إلينا البريد من بغداد مجلة طائفة أئمة الطباعة ، يحررها المشكك في إيمان صاحبي رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر ، وقد اختص الأزهر ومجلته بأكثر صفحات عددها الأول ، فلم يدع ناحية من نواحي الحديث عن الأزهر إلا تحدث عنها بخلاف الواقع ، كزعمه في صفحة ٧٤ أن الأزهر أخذ ينصرف عن فقه أئمة السنة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلى فقه الشيعة ، معبرا عن ذلك بقوله : « ظهرت باكورة الإصلاح المنشود في الأزهر بعدم التقيد بفكرة تقليد آراء الرجال البالية ، ونجد اليوم فقه أهل البيت (كذا) المستمد من الوحي الإلهي (كذا) » يبحث عنه في الأزهر الشريف .

وقد بلغه أن نقرأ من الطلبة اتخذوا من التمثيل الأدبي وسيلة من وسائل الثقافة ، فنلوا رواية « خالد بن الوليد » ورواية « وطنية عراقية » ، فوصف ذلك في صفحة ٦٨ من تلك المجلة بقوله : « لقد أخذ الأزهر في إحياء الفنون الجميلة ، وباحبذا لو كان ذلك قاصراً على

غير ما يشعر بالفضاضة في الأزهر . وما يدورنا فقد تهادى هذه الحالة الزرية بالأزهر
الوضاء فيفتح أبواب التمثيل للأوانس والغانيات فيلجئ هذا الوطيس من اختلاط الرجال
بالنساء وتمثيل الأدوار المثيرة للعواطف .

إن هاتين الصورتين عن الأزهر توحيان إلى قراء تلك المجلة المساكين عكس الحقيقة
والواقع ، وهذا لا يضير الأزهر بقدر ما يضير قراء تلك المجلة بحملهم على الاعتقاد الخاطي*
في الأمور التي تعرضها مجلتهم عليهم . وإذا كان مراد منشئ* تلك المجلة الطائفية من التعرض
للأزهر ومجلته وقلم تحريرها بهذه الطرق الملتوية أن يحملها على مساجلتها ومناقشتها فيما
ينعرف به عن الحق ليكون له ومجلته ظهور بين الناس بما تتحدث به مجلة الأزهر عنهما ،
فليعلم أن مجلة الأزهر رسالة أسمى من ذلك وأنبى ، وهي تربأ بنفسها وبقرائتها عن الانزلاق
في هذا الخطأ ، وهذا آخر ما يصدر عن هذه المجلة في هذا الموضوع ، ما لم نجد باطلا في الدين
وكيداً للإسلام فنكتفي بدفعه وتفيه قرائنا إليه بالتي هي أحسن كدأبنا في مثل ذلك من
قبل ومن بعد واقه يتولى الصالحين .

(المجلة)

سبق للمجلة أن رغبت إلى حضرات أساتذة الرسم بالمعاهد الدينية ، في إدخال
بعض تعديلات تكميلية على الشكل الذي يتوج به غلاف المجلة ، وقد تكرم
أكثرهم فبعثوا إلينا بما راق لهم من رسومات متعددة .

والمجلة لا يسعها إلا أن تشكر لحضراتهم تفضلهم بتلبية رغبتها ، وتقدر لهم
ما بذلوا من عناية في إبراز فكرتهم ، على النحو الذي ارتآه كل منهم .

وهي إذ تعرف لهم ذلك الفضل ترى من عرفان الجليل أن تخصص بالشكر
الاستاذ صلاح فؤاد المدرس بمعهد الزقازيق فقد وفق لتحقيق الرغبة على أقرب
الوجوه المتمشية مع رغبة المجلة .

لذلك وقع الاختيار على الرسم المقدم من حضرته ، وهو الذي ظهرت به المجلة
في عددها الحالي - عدد رمضان - وفي ذلك ما يسرنا ويسر إخوانه لأجله ،
ونرجو للجميع حسن الجزاء

(المجلة)

رَبِّهِ الطَّبَّة

مَقْطَعَات

- ١ -

حاجة العالم إلى الاسلام

كانت البعثة المحمدية نقطة تحول في التاريخ الإنساني ، فغيرت المناهج ، وبدلت النظم ، ومضت بالناس إلى طريق مستقيم .

كانت رسالة إنسانية ربانية عالمية ترفض العنصرية ، وتقضى على العصبية ، وتجعل التفاضل بين الناس بالتقوى .

إن حامل أكل رسالات الله ، جاء يدعو الإنسانية كلها إلى الرشد ، ويريد صلاح المجتمع البشرى أجمع ، فكان فيمن استجاب له مع العرب الحبشى والرومى والفارسى ، ولولا أن عناصر خبيثة عادت الإسلام في القديم والحديث ، لأنها رأت فيه قضاء على مطامعها ومنافعها التي لا تعيش إلا في ظلال من الباطل والبغى ، لتبينت أن سنن الإسلام هي دستور الإنسانية ومصباحها الذي يؤدي بها إلى أهداف السعادة .

واليوم وقد استبدت بالناس مشاكل الحياة المعقدة ، وتخطوا في مصطرع الأغراض ، وفقدوا الأسس التي تقوم عليها الحياة الصحيحة ، فإن لزماً على قادة التوجيه الإسلامى الذين ثبتوا على العهد والوعد أن يبدأوا بأوطانهم الإسلامية ، وأن يعملوا جاهدين على إرساء قواعد الإسلام فيها ، وأن يعالجوها بالإسلام من جميع نواحيها ، فيحرروها من غاصبها ، ويحلوا مشاكلها الاقتصادية المعقدة ، ويحققوا العدالة الاجتماعية الإسلامية ، ويشرحوا للمسلمين حقيقة الإسلام ، إلى أن يرى العالم أجمع كيف يعالج الإسلام المشاكل ويحل المعقد .

مصطفى عبد الواحد إبراهيم

معهد القاهرة الدينى

- ٢ -

الخيالة في مصر

للخيالة — كما يجب أن تكون — رسالة سامية وأثر كريم ، فهي تؤثر في النفوس ، وتهز القلوب بأسلوبها الواقعي ، وإخراجها الفني الجذاب ، حين تعالج المعضلات الاجتماعية وتحل مشاكل الأسر ، وهي إذ تقوم بذلك فإنما تقوم بأعظم خدمات تقدمها للمجتمع .

هذه رسالة السينما كما يجب أن تكون ، ولكنها اليوم وخصوصاً في مصر ليست في شيء من هذا كله . إن الخيالة في مصر لا تقوم بتأدية رسالتها التي خلقت لها ووجدت من أجلها ، فهي بدلا من أن تأخذ بأيدي الجماهير للنهوض بهم إلى السعادة والفضيلة ، تراها تتملق مؤلاء الجماهير وتسائر أهواءهم ، بل أستطيع أن أقول في جرأة وصراحة : إن الخيالة في مصر تهدف إلى تقويض أركان بناء الأمة ، وتحويلها عن محاسن الإسلام وفضائله بل هي معول يهدم الأخلاق ، وداه يفتك بالمجتمع .

لأنني أنهم ، أنهم السينما بأنها تفسد الخلق والضمير ، وتشيع الفساد في المجتمع والدولة أنهم الخياله في وضعها الحالي بأنها تدفع الناشئين والناشئات إلى الانحدار في مهاري الرذيلة وتحمل هذا الشباب الناهض الوثاب على الانحراف عن طريق الله . أنهم السينما بأنها تدفعنا إلى الانزلاق تحت ستار المدنية المزيفة . وكل كان يتم لهذا الوطن من خير بسبب السينما لو أنها ترفعت عن الإسفاف مع أهواء الجهال من النساء والرجال ، وعادت إلى رسالتها النبيلة كما كان يجب أن تكون .

يا ولاية الامر ، إذا أردتم للسينما البقاء والوطن السعادة والخير ، فطهروا هذه الاداة من الموبقات والآثام ، طهروها من الأدوار المأجنة ، طهروها من الرقص الخليع ، وأدوار التمثيل المساجن الذي يشيع الفساد والاعطاط في المجتمع .

وأخيراً يا ولاية الامر ، طهروا السينما من الاختلاط الفاحش بالسافر ، ومن كل شيء يهدف إلى تقويض كياننا الإسلامي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

محمد عبد اللطيف الزقناوي

محمد الزقازيق الثانوي

حسرة

كنت ماراً بإحدى دور السينما وقت خروج المتفرجين، فوجدت أشكالا وألوانا من الناس، فتصورت هذا المنظر في ذهني كأنه يوم البعث .

اتناقتي حسرة أليمة، وحز في نفسي أن أشاهد هذا العدد الضخم وهو خارج من سينما واحدة، فما بالك بالخارجين من سائر دور السينما . وقارنت بين هذا العدد الضخم، وعدد الذين يلجأون إلى بيوت الله ليشكروا الله على نعمه وفضله، فوجدت الفرق شاسعا والحال خطيرا جداً : إذ عدد الذين يلجأون إلى بيوت الله لا يتجاوز واحداً من مائة من عدد المترددين على دور السينما .

هذه ظاهرة خطيرة إن دلت على شيء فإنما تدل على جمود الناس ونكرانهم لفضل ربهم، والحال لم يتغير سواء بالأمس الفاسد وبالحاضر الجديد .

لقد مات أو أوشك أن يموت الوازع الديني، وأن تفنى القيم الأخلاقية في النفوس البشرية إذ ابتعدوا عن مواكب الفضيلة، وإذا استمرت الحال على هذا فعلى الإنسانية السلام فاسأل نفسك لماذا استخلف الله البشر في الأرض ؟؟ فإنك حينما واجد الجواب في قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . وعبادة الله طاعته فيما أَرَادَهُ للإنسانية من استقامة وتخلق بالفضائل ونوحى مرضاة الله في الخير .

إن صلاح المجتمع بصلاح الفرد . فإذا فسد الفرد فسد المجتمع وانهار، وكل مجتمع غير مؤسس على أساس سليم قوى مجتمع منهار آيل إلى الاندثار . إذن يجب أن تكون ثورتنا على هذا الفساد المفقش في كل مكان بحشد الجهود وحث الناس على الفضيلة وتجنب الرذيلة .

لنعمل الاذاعة على حشد جهودها على بعث الشعب بشأاً جديداً، وأن نشعرنا بأن هناك ثورة على الفساد حيثما كان، وعلى الدولة أن تمنح المجلات الاباحية التي تصدر تحت ستار الفن الفاسد المفسد، فإن كان هذا فإلا يكون الفن بغير هذه المناظر المؤذية، فنحن في غنى عنه وعن أهله، والله يرى منهم . فإننا الآن نحاكم الفساد الصادر من الكبراء في الماضي، فالواجب علينا أن نحشد الجهود للقضاء على هذا الفساد المفقش بين الطبقات إلى أن نرى شعباً مؤمناً بربه يلجأ إليه ويخشاه .

محمد محيي الدين المسيري

بليسانس الحقوق - جامعة الاسكندرية

الفتاوى

- ١ -

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلي :

ما حكم صاحب المطعم الذي يفتح محله في نهار رمضان ويقدم الأكل طيلة اليوم لجميع من يردون على محله ؟ هل هذا حرام أم حلال ؟ وإذا كان حراماً فلماذا ؟ وإذا كان حلالاً فلماذا وما الدليل . مع العلم بأن فتح المطعم بدون نداء ، لا بالإشارة ولا بالأقوال إلا لحالة الضرورة ، للتميش لصاحب المطعم والنهال .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن فتح المطاعم أو المشارب (المقاهي) في نهار رمضان لتقديم الطعام أو الشراب لمن يريده ممن فرض عليهم الصوم إغانة على المعصية ورضا بها ، وكلاهما معصية يحرم فعلها . وما يتذرع به أرباب المطاعم المادية من أن هذا نوع من التجارة والبيع وأن الله أحل البيع وحرم الربا ، إنما هو من تزيين الشيطان واتباع الهوى وتحريف الكلم عن مواضعه ، لأن الله تعالى وإن كان أحل البيع قد حرمه في كثير من المواطن كهذا المواطن . والله أعلم ؟

- ٢ -

ما حكم الاستحمام في البحر أو الحمامات الخاصة في شهر رمضان .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه لا نزاع بين العلماء في أن اغتسال الصائم ولو للتبرد لا يفطر
وإن وجد أثر البرودة في جوفه . إنما النزاع بينهم في كراهة ذلك للصائم إذا كان الغرض
منه التبرد ، فذهب أبو حنيفة إلى كراهته لما فيه من إظهار الضجر من العبادة .

وذهب أبو يوسف من أصحاب أبي حنيفة إلى عدم كراهة ذلك وهو الأظهر ، وبه يفتى
في مذهب الحنفية ، وهو أيضا قول الأئمة الثلاثة : مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وذلك
لما رواه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : حدثني من رأى النبي ﷺ
في يوم صائف يصب على رأسه الماء من شدة الحر والعطش وهو صائم . قال النووي
في المجموع : وهو حديث صحيح رواه مالك في الموطأ وأحمد بن حنبل في مسنده وأبو داود
والنسائي في سننه والحاكم في المستدرک والبيهقي وغيرهم بأسانيد صحيحة ، وإسناد مالك
وأبي داود والنسائي على شرط البخاري ومسلم . اهـ .

ولأن في الاغتسال عند شدة الحر والعطش عونا على العبادة ودفع الضجر الطبيعي .
وهذا هو الذي تختاره اللجنة للفتوى لقوة دليلة ومثانة حجته .

بقي ما إذا دخل الماء في جوفه غلبة بلا تعمد ؛ أيكون ذلك مفطرا له أم لا . فذهب
بعض العلماء ومنهم الإمامان أبو حنيفة ومالك إلى أن ذلك مفطر . وذهبت طائفة من علماء
السلف والخلف إلى أنه غير مفطر وهو المشهور في مذهب الإمام أحمد بن حنبل . وهذا هو
الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته (في حقيقة الصيام وما يفطر الصائم)
واختاره أيضا تلميذه ابن القيم في أعلام الموقعين ، وقد ساقا من الأدلة على ما اختارا ما يؤيده .
وهو ما تختاره اللجنة للفتوى غير أنها ترى أنه ينبغي للفتقل أن يعمل ما في وسمه للاحتراز
عن سبق الماء إلى جوفه خروجا من الخلاف واطمئنانا على صومه . والله أعلم ؟

خلعت ضرمي في نهار رمضان وقد أعطاني الدكتور حقنة تحت الضرس ، وبعد خلعه
وضع بعض الأدوية مثل صبغة اليود . ورغم الحذر الشديد لمنع هذه الأدوية وكذا الدم

المتسبب من خلع الضرس من تسربها إلى الجوف فقد شمرت بأن بعضها وصل إلى الجوف بواسطة الريق . فهل الحقة مفطرة ؟ . وهل وصول الدواء والدم إلى الجوف على الوجه المذكور مفطر . علماً بأن وصول الدواء إلى الجوف مشكوك فيه . أما الدم فمقطوع بوصوله إلى الجوف ؟ وهل يجب القضاء .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة :

أولاً : بأن الحقة تحت الضرس لا تفسد الصائم لعدم وصول شيء منها إلى الجوف من المنافذ المعتادة .

وثانياً : أنه إذا كان الدم قد وصل إلى جوف الصائم على الوجه المشروح في السؤال بأن سبقه إلى الجوف ولم يستطع رده فإنه لا يفطر أيضاً ؛ وذلك كما إذا وصل الماء إلى الجوف بدون قصد في الوضوء أو الاغتسال . وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد ، وسبق للجنة اختياره في حالة أخرى .

وثالثاً : بأن الصائم لا يعد مفطراً إذا شك في وصول الدواء إلى الجوف لعدم تحقق الوصول ، وعلى فرض تحقق وصوله فهو نظير الدم الواصل إلى الجوف قهراً فيعطى حكمه السابق . والله أعلم ؟

- ٤ -

إني رجل مزارع أقوم بالعمل بزراعتي من طلوع الشمس إلى غروبها من سقي بالثادوف ، وتسميد بالأسمدة البلدية وإحضارها من الجبل من مسافة عشرة كيلو مترات

وأواجه الشمس طول النهار ، مع ملاحظة القبط الشديد بمديرية أسوان . فهل يبيح لي الشرع الشريف مع هذا العمل الشاق الإفطار أم لا .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد بأن نصوص الفقهاء تنص على إباحة الفطر لضرورة حفظ مال أو نفس ، كما إذا خاف الزارع تلف الزرع إذا لم يتعاهده بالسقي والتسميد بالنهار . أما إذا كان لا يخشى تلفاً له بتأخير العمل إلى الليل وكان يمكنه العمل بالليل ، أو بتأخير العمل إلى ما بعد شهر رمضان لم يبيح له الفطر لعدم وجود ما يبيح الفطر حينئذ . وكذلك يباح الفطر للمحترف إذا كان مضطراً إلى العمل في حرفته بالنهار لتحصيل قوته وقوت عياله ، وكان يخشى على نفسه الهلاك أو حصول مرض بالصوم أو حصول ضعف له يضعفه عن العمل المحصل لقوته وقوت عياله ، وإذا أفطر في حالة من هذه الحالات التي يباح له فيها الفطر كان حكمه حكم المريض والمسافر في وجوب القضاء في أيام آخره والله أعلم .

— ٥ —

وجاء إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسين محمد مخلوف ما يلي :

رجل قام ببناء برج للحمام ، واتخذ فيه عدداً قليلاً من الحمام ، فجمع هذا الحمام من الحمام الغريب عدداً كبيراً لا تعلم له صاحباً ولا مكاناً - وكان الرجل يعلم يقيناً في حال إنشاء البرج أن حمامه سيجمع معه حماماً غريباً - فهل في اتخاذ البرج مع هذا العلم حرمة ؟ ومع ذلك لو ظهر صاحب الحمام الطارىء على حمام البرج يسلم إليه ؟ مع ملاحظة أن الحمام الطارىء غير حمام بلادنا المعروف فيها .

نرجو الجواب ، ولفضيلتكم من الله الثواب .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد - فتفيد بأن المنصوص عليه في مذهب الحنفية أن الإنسان إذا نصب شركه فوقه فيها صيد أو نصب فسطا على الصيد فوقه فيه صيد ، ملك ما وقع فيهما فكذلك إذا اتخذ برجاً للحمام البرى يأوى إليه ، فكل ما دخل فيه منه وما أفرخه فيه ملك له ، له أكله وبيعه وهبته - إلا أنه ينبغي أن يعلم ولا يتركه بغير علف حتى لا يتضرر به الناس في أقواتهم ، وإلا كره اتخاذ . فإذا اختلط به حمام أهل لغيره وأوى إلى البرج لا ينبغي أن يحبس فيه ، لأنه ربما يطير فيعود إلى محله الأصلي ، وإن حبسه يطلب صاحبه ليرده إليه ، لأنه كاللقة - فإذا لم يحبس وفخ عنده فالفرخ ملك له ، إن كانت الأنثى ملكه ، والغريب هو الذكر ، وملك لغيره إن كان الأمر بالعكس ، فإن عرفه رده إليه مع الأم ، وإن لم يعرفه فإن كان فقيراً جاز له أكله ، وإن كان غنياً تصدق به ثم اشتراه إن شاء .

وكذلك الحكم لو كان كل من الذكر والأنثى غريباً ، لأن ولد الحيوان يتبع أمه فالبيض والفراخ لصاحب الأم (راجع التتوير وحاشيته أول كتاب الصيد وآخر كتاب اللقطة والفنـاوى الهندية وحاشية أبى السعود على ملا مسكين في كتاب اللقطة) .

ومن هذا يعلم أن اتخاذ أبراج الحمام جائز شرعاً ، وأن الحمام البرى الذى يأوى إليه وأفراخه حلال لصاحب البرج ، وأن الحمام الأهلى الذى يختلط بحمام البرج ويدخل معه فيه لا يملكه صاحب البرج ، ويلزمه رده لأصحابه إذا عرفهم ، وحكمه حكم اللقطة . وأما غراخه فتنبج الأم في الحكم على ما أسلفنا - والله تعالى أعلم ؟

مصنف محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية السابق

الكتب

سنن ابن ماجه

بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي

جزءان في ١٥٦٧ صفحة كبيرة — مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

كتاب السنن لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني الربعي (٢٠٩ — ٢٧٣) ديوان عظيم من دواوين السنة المحمدية ، وقد سبق طبعه غير مرة : من ذلك مطبوعنا دهلي^(١) عاصمة الهند قبل أكثر من مائة سنة (في سنة ١٢٦٣) وقبل خمسين سنة (١٣٢٣) ومطبوعنا مصر سنة ١٣١٣ و ١٣٤٩ . وأما هذه الطبعة الجديدة التي تحملنا على أن نقول عنها : الآن طبعت سنن ابن ماجه ، فهي مضبوطة بالشكل الكامل ، وإن ضبط أسماء الرواة ومتون الأحاديث بالشكل الكامل يحتاج إلى عناية ومراجعة وثبت ، ولا يعرف قيمة ذلك إلا من يعاينه . ثم هي تمتاز بترقيم الأحاديث — كما فعل في موطأ الامام مالك — وفقاً للإحالات التي ألزمها مؤلف كتاب مفتاح كنوز السنة والقائمون الآن في هولندا على إصدار المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي بمساعدة بعض الهيئات العلمية والثقافية ومنها اليونسكو . فترقيم أحاديث سنن ابن ماجه على وفق هذين المعجمين سيسر الانتفاع بهما في الرجوع إلى كنوز هذه السنن وذخائرهما .

ومما امتازت به هذه الطبعة المفهرس الأبجدي الذي ألحقه بها الأستاذ فؤاد عبد الباقي لأوائل جميع الأحاديث القولية وسماه (مفتاح السنن) ، وكان قد فعل مثل ذلك في الموطأ .

(١) هذا هو الاسم الصحيح لمدينة الهند وهكذا يكتبه علماء الهند ، والنسبة اليه (دهلوي) والدهليويون من اعلام الاسلام وعلمائه كثيرون وقرن الحدوث طليعتهم الشيخ عبد الحق الدهلوي [٩٥٨ — ١٠٥٢] والامام شاه ولي الله الدهلوي [١١١٤ — ١١٧٦] وأولاده وتلاميذه الجامعون المنقطعون لدعوة الاسلام . أما الذين يكتبون [دهلي] برسم [دهلي] فهم مقلدون للانجليز وهو خطأ كما لو أراد مفهرو الانجليز أن يكتبوا اسم [الاسكندرية] برسم [الاسكندريا] وقد أودعنا أن تنبه إلى ذلك ليرجع عن هذا الخطأ من لا يجب الخطأ .

وأهم من كل ذلك تنبيهه على درجة الأحاديث من الصحة أو الضعف . فإن عدد أحاديث سنن ابن ماجه على ما أحصاه محققها بالترقيم ٤٣٤١ حديثاً ، منها ٣٠٠٢ أخرجه أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم ، وباقي الأحاديث وهي ١٣٣٩ هي الزوائد على ما جاء في الكتب الخمسة ، وهذه الزوائد منها ٤٢٨ رجالها ثقات صحيحة الاسناد ، و ١٩٩ حديثاً حسنة الاسناد ، و ١١٣ أحاديث ضعيفة الاسناد و ٩٩ حديثاً فقط واهية الاسناد أو منكرة أو موضوعة ، قال محقق الكتاب : « وإن كتاباً يجمع بين دفتيه ٣٠٠٢ حديثاً يروها أصحاب الكتب الخمسة في كتبهم ، ثم يحكي ابن ماجه يروها كلها من طرق غير طريقهم ، وكل الطرق يقرئ بعضها بعضاً ، مما يعطى للأحاديث قوة فوق قوتها . ثم يضيف إلى عددها ٤٢٨ حديثاً صحيحة الاسناد ورجالها ثقات ، و ١٩٩ حديثاً حسنة الاسناد — هو كتاب له قيمته لم يقتصر على هذه المزية فقط . زد على ذلك تفسيره غريب الحديث بما يغني عن مراجعة مثل النهاية لابن الأثير والفاائق للزخشرى . بل أهم من ذلك عندنا ثبته من ألفاظ متون الأحاديث فلم يثبت كلمة واحدة منها إلا بعد المراجعة عنها في مظانها من الكتب الموثوق بها ولو أن كتب المراجع الإسلامية كلها تطبع بهذه العناية لكان ذلك سيلاً لنهضة علمية إسلامية عمودة الأثر إن شاء الله .

أمين الأمة أبو عبيدة

للأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي — ١٢٩ صفحة — مطبعة الاعتصام بالقاهرة
أبو عبيدة طاهر بن عبد الله بن الجراح الفهرى — أحد بني فهر بن مالك بن النضر — علم من أعلام الإنسانية ، وطود من أطواد الحق ، وقدوة لشباب المسلمين ورجالهم في أخلاقه وبيجاياه وجميع تصرفاته . وقد بلغ من وقائه للحق أن نجح النجاح الأكمل يوم تعارض الحق مع أخص خصوصيات الإنسان وهو بنوته لآبيه وأبوة آبيه له ، فدخل الامتحان في معركة بدر ، ووجد نفسه مع الحق في جانب وأباه في جانب يمارضه ، فجعل يحذر لقاء آبيه في المعركة وينأى عنه بعيداً ما استطاع ، وفاء منه لحق الأبوة ، ولكن لما لم يجد من لقاء آبيه بداً كان الحق عنده فوق كل اعتبار في الوجود ، وكانت منية آبيه بسيف أبي عبيدة ، لإخلاصه منه لله عز وجل ، وهذه أعلى مراتب الإيمان في تاريخ الإنسانية ، وفيه نزل قول الله سبحانه في سورة المجادلة « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب

في قلوبهم الإيمان وأبدى بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك خُزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ، ، ومثل هذا التجاح المتواصل في الامتحان الذي تعرض له أبو عبيدة في حياة رسول الله ﷺ شهد له الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى بأنه « أمين هذه الامة » .

إن هذه الشخصية التي تفخر بها العروبة ، ويعتز بها الإسلام ، وتعد في الذروة العليا من أعلام الإنسانية ، قد وفاما فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي بعض ما لها من حق بكتابة هذه الرسالة الوجيزة الجامعة ، مستعرضاً مراحل حياة ولي الله ورسوله أبي عبيدة عامر ابن الجراح إلى أن لقي الله في ميادين جهاده وفتوحه المجيدة في آفاق الشام ، وبذلك يتيسر لكل أخ مسلم ولكل فتي مسلم ولكل مؤمن لا تشوب لإيمانه في قلبه شائبة من الغل الإلحادي الذميمة للثومنين الأولين — أن يجدد معارفه عن أمين الامة المحمدية ليتخذ من سيرته السنية قدوة له وأسوة في الحياة . وما أشد حاجتنا إلى أن نحب هذا الرعيل الأول من المسلمين ، لنكون إن شاء الله في قافلتهم يوم الدين .

الاشعري أبو الحسن

للككتور حموده غرابة — ٢٠٤ صفحات — مطبعة الرسالة بالقاهرة

أبو الحسن الاشعري (٢٦٠ — ٣٣٤) في طليعة عظماء المسلمين وعلماهم الذين آن لنا أن ندرس حياتهم ونستعرض أعمالهم كما لو كنا معاصرين لهم وملزمين لصحبتهم ، بل إن حياة أبي الحسن الاشعري حقل خصيب للدراسة التطور الفكري في أعلام المسلمين ، لانه نشأ على الاعتزال وتلبذ فيه على الجبائي (٢٣٥ — ٣٠٧) حتى كاد ينسجم ذروة الإمامة فيه ، ثم أبغض الله بصيرته وهو في منتصف عمره وبداية فضجه (سنة ٣٠٤) فرقى كرسياً في المسجد الجامع بالبصرة ومادى بأعلى صوته « من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسى : أنا علي بن إسماعيل الاشعري ، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الابصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعالها . وأنا الآن نائب عن ذلك مقلع ، متصد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائهم ومعايهم ، . ومضى في هذا الطور الثاني نشيطاً يؤلف وينظر ويلقي الدروس وهو في حالة وسطى بين ما عليه المعتزلة من التصرف والتأويل وما عليه رجال الحديث وأتباع سلف الامة من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين في إثبات صفات الله عز وجل كما وصف الله بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ مع التقيد بأن الله ليس كمثل شيء . وفي هذه

الحقبة كتب أبو الحسن الأشعري أكثر مؤلفاته الحافلة والصغيرة التي قيل إنها ناهزت ثلاثمائة كتاب ورسالة ومقالة ، ولا يبعد أن يكون بعضها بما ألفه وهو في الاعتزال ، غير أن أكثرها من محصول نشاطه بعد تطوره الأول ، وفي كلا الطورين كان أميناً صادقاً في كل ما يعزوه إلى غيره من خصومه وأوليائه ، وفي هذا الطور الوسط تقل عنه الناس ما سموه بمذهب الأشعرية ، ثم إن العلماء يكادون يكونون متفقين على نسبة كتاب (الإبانة) له وأنه إن لم يكن آخر ما استقر عليه اعتقاده فهو بلا شك من آخر ما ألفه وجنح إليه . وكتاب الإبانة يدور على مذهب السلف محضاً . ولو شاء إنسان أن ينسب كل شيء فيه إلى الإمام أحمد وأضرابه من يلتزم مذهب السلف كل الالتزام لما كان مغفلًا . وعلى هذا فلاشعري في اعتقاده ثلاثة أطوار : طور الاعتزال إلى ما بعد الثلاثين من عمره ، وطور ما نسميه الآن بالأشعرية ولعله استمر عليه عشرين سنة أو نحو ربع قرن وألف فيه أكثر الكتب التي عرفت عنه وتناقل الناس عنها آراءه واحتجاجاته . ثم الطور الثالث الذي أراد أن يلقى الله عليه وهو ما كان يعتقد الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان من إصرار صفات الله كما وردت واعتقاد صحتها بلا تأويل ولا تعطيل مع التقيد بأن الله ليس كمثل شيء . وكتاب الإبانة من أوله إلى آخره حافل بهذه العقيدة مناضل عن صحتها وأنها هي التي تليق بالمسلم ولا يليق به غيرها ، وأنه يجب أن يلقى الله عليها ليكون مسلماً على مذهب أهل السابقة من المسلمين الأولين .

إن حياة الأشعري يجب أن تدرس بحسب هذا التطور لتنتهي دراستها بما انتهت به حياة هذا الإمام وما استقر عليه ، وبذلك يتبين لنا أن الأشعري شيء والأشعرية شيء آخر . وكما أن الأشعري لا يجوز أن يعتبر معتزلياً بحجة أنه آمن بالاعتزال واحتج له ودافع عنه نصف عمره ، كذلك ما نعرفه الآن عن الأشعرية ليس من الإنصاف أن يتأق على أنه هو الذي أراد الأشعري في آخر حياته أن يلقى الله عليه ، لأن ما أراد أن يلقى الله عليه هو ما في الإبانة ، والذي في الإبانة هو الذي كان عليه الأئمة الأولون وآخرهم الإمام أحمد ومن اهتدى بهديه .

وكتاب الدكتور حموده غرابه المدرس بكلية أصول الدين كتاب نفيس متعوب عليه ، وقد اطلع مؤلفه عند تأليفه على كثير من المراجع الإسلامية والأوربية . لكنه التزم طريقة المستشرقين في البحث والافتراض والنقاش ، وغالفهم في كثير مما جنحوا إليه ،

وذبح عن الأشعرى في كثير من المواقف ونرى أنه لو التفت إلى الطور الأخير من أطوار الأشعرى بقدر ما تستحقه هذه الدراسة النفيسة من عناية لا تنهى إلى ما انتهت إليه من أن الأشعرى كما أراد لنفسه في أنضج سنوات حياته هو الذى يستطيع كل قارى أن يعرفه من كتابه (الإبانة) وهى نهاية مشرفة للأشعرى يتمناها لنفسه كل مسلم يرى أن الإسلام هو ما كان عليه الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان .

الفيلسوف المسلم «رينيه جينو»

تأليف الدكتور عبد الحليم محمود - ١٢٠ ص - مطبعة لجنة البيان العربى

عرفنا المسيو رينيه جينو قبل بضع وعشرين سنة عند صدور مجلة المعرفة المصرية ، فقد زارنا صاحبها ليلفتنا عتبه على فضيلة الأستاذ السيد محمد الحضر حسين فيما أورده فى إحدى مقالاته من المآخذ على الصوفية ، فقلنا لصاحب مجلة المعرفة إن فضيلة السيد محمد الحضر معتدل ويقين كل ما يتصل بالشرع بمقاييس الشرع ، وقد أكون أنا أشد منه فيما جئت تشكوه . وفى تلك الجلسة سمعت من صاحب مجلة المعرفة اسم رينيه جينو وأنه أسلم وتسمى باسم عبد الواحد يحيى وأنه سام مالياً فى إصدار مجلة المعرفة ، وأن مسيو جينو يرجو أن تكون مجلة (المعرفة) العربية امتداداً لمجلة له فرنسية كان أصدرها فى باريس سنة ١٩٠٩ باسم مجلة المعرفة أيضاً . وتوسعنا فى الكلام على المسيو جينو فعلمت أنه صوفى عميق فى صوفيته دقيق فى فهمها وشديد التعلق بها .

إن موجة المادية التى طغت على الغرب واستعبدهت لآمالها ودفعت به إلى عواقبها ، قد أخرجت الكثيرين من أذكياء أبنائه فجعلوا ينشدون لأرواحهم مخرجاً من ذلك الكابوس وطفانيته ، ومن هؤلاء صاحبنا جينو ، فإنه بعد حصوله على البكالوريا سنة ١٩٠٤ فى بلده (بلوا) سافر إلى باريس لينتلقى التعليم الجامعى ، وكان فى باريس رجلاً اسمه شميرينو قد أصدر فى تلك السنة مجلة سماها (الطريق) تزرع منزع الصوفية وتسكلم عن الإسلام والديانة البرهمية والديانة البوذية ، ورأى صاحبها أن ينتسب إلى الإسلام فسمى باسم عبد الحق وسام معه مسيو جينو فى تحريرها . ثم توقفت عن الصدور سنة ١٩٠٧ فأنشأ جينو فى سنة ١٩٠٩ مجلة فرنسية باسم (المعرفة) سام معه صاحب عبد الحق فى تحريرها واستمرت إلى سنة ١٩١٢ .

ولما عازمت إيطاليا على اختطاف ليبيا و برقة بدأت تنشئ العلاقات بينها وبين بعض المسلمين فشيدت في القاهرة جامعاً سمته جامع أمبرتو وأنشأت إلى جانبه مجلة عربية إيطالية تسمى (النادى) محررها رجل كان اسمه إيفان غوستاف ثم أعلن إسلامه فسمى (عبدالمهادى) وكان على اتصال بالشيخ عبد الرحمن عlish والشيخ طنطاوى جوهرى .

وقد ساهم الشيخ عlish في الكتابة بالمجلة الإيطالية العربية وأعلن فيها ثناءه على المسيو (إيفان غوستاف) وأسسوا في إيطاليا ومصر جمعية لدراسة تعاليم ابن عربى ونشرها سموها (الجمعية الأكبرية) وأخذوا يستميلون الناس إليها ويقدمون المساعدة المادية والتشجيع الأدبى لمن هم في حاجة إلى ذلك عن يتنسب إليها .

ولما عرفت مقاصد إيطاليا في ليبيا قامت القيامة في مصر على جامع أمبرتو ومجلة النادى ومحررها عبد المهادى ، فأوقفوا إصدار المجلة ، وبإشارة من الشيخ عlish قام إيفان غوستاف بمحاولة إقامة صلة روحية بين الشرق والغرب . وسافر في سبيل ذلك إلى أوروبا سنة ١٩١٠ والتقى في فرنسا بصاحبنا مسيو جينو عند ما كان يصدر مجلة المعرفة فساهم فيها إيفان غوستاف وعقد بين المسيو جينو والشيخ عlish روابط المراسلة وكانت نتيجة ذلك إعلان المسيو جينو دخوله في الإسلام سنة ١٩١٢ وتسمى (عبد الواحد يحيى) ثم أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وسافر إيفان غوستاف إلى إسبانيا فمات فيها سنة ١٩١٧ وقام المسيو جينو (عبد الواحد يحيى) مقامه في حل راية الجمعية الأكبرية وعينه الحكومة الفرنسية سنة ١٩١٧ أستاذاً للفلسفة في الجزائر ثم عين سنة ١٩١٨ مدرساً في بلدته . وفى سنة ١٩٢١ ألف عن البرهميه كتاب (المدخل لدراسة العقائد الهندية) . ومن سنة ١٩٢٥ إلى ١٩٢٩ كان يساهم في تحرير مجلة (قناع إيزيس) وفى سنة ١٩٣٠ حضر إلى مصر مندوباً عن إحدى دور النشر الباريسية للاتصال بالثقافة الصوفية ، وفى مصر عاش في حى الأزهر وساهم مادياً في إصدار مجلة المعرفة ، ومن ذلك الحين بدأنا نعرف القليل ثم الكثير من المعلومات عن تطوره الفكرى إلى أن سكن في شارع نوال بالقي محتجياً عن الناس في (فيلا قاطمة) التى قد يعرف عنها بعض الذين في أوروبا أكثر مما يعرف عنها أهل القاهرة .

والآن تفضل حضرة الدكتور عبد الحليم محمود الأستاذ بكلية أصول الدين فأهدانا كتيبه اللطيف عن هذا الصوفى الفرنسى المولود في فرنسا في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٦ (صفر

سنة ١٣٠٤) والمتوفى في مصر في ٧ يناير سنة ١٩٥١ (٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٠) وفيه تفاصيل مفيدة عن تطور المترجم له في أفكاره ونشاطه وأطواره ، لجاء ذلك متما للعلوم التي شاهدها المعاصرون لنشأة مسيو ريفيه جينو المراقبون للحركات الإسلامية وللعاملين في حقولها جبهة أو من وراء ستار .

الوجيز في مصطلح الحديث

لفضيلة الشيخ محمد أبي الفتوح المرصني - ٦٤ ص - دار الكتاب العربي

كتاب يدل اسمه عليه ، موضوع لطلاب القسم الثانوي بالأزهر والمعاهد الدينية ، حسن التقسيم والتبويب ، مذيّل بأسئلة للتذكير والتوجيه ، ومعلق عليه بهوامش لزيادة الإيضاح والتنمیل . وفهنية المؤلف من مدرسی هذه المادة في معهد الزقازيق وقد استرشد بخبرته وبالمنهج الرسمي في تجويد هذا الكتاب وتيسير الاستفادة منه لطلاب علوم السنة المشرفة . ولا يستغنى عنه الراغبون في معرفة ذلك من الطلاب وغيرهم .

الأنوار المحمدية في الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ علي رفاعي - ١٩٢ ص - دار الكتاب العربي

مؤلف الكتاب من مفتشى الوعظ العام بالأزهر ، وقد أراد بكتابه مساهمة نهضة الأمة والتمشي مع أغراضها بحيث تحوى كل خطبة فيه بحثاً جديداً في السامعين وتوجيهاً رشيداً للزمّنين يحفزهم للعمل المثمر النافع ، فتقل في خطبه المنبرية بين ميلاد الحرية والمجتمع السعيد والمولد النبوي والشجاعة النبوية وشعار النهضة : الاتحاد والنظام والعمل ، والتعاون ومحاربة الفساد إلى غير ذلك من عشرات المعاني التي تدور حولها نهضة الأمة وأمانها في الوقت الحاضر فلملت إليه أنظار الخطباء والوعاظ .

كيف تكون خطيباً

لفضيلة الشيخ علي رفاعي - ٢٣٧ ص - دار الكتاب العربي

وهذا كتاب آخر لفضيلته يطبع الآن للمرة الثالثة بزيادة وتقيح ، ألفه لما رأى كثيراً

من خطباء المدن والقرى يخطبون للجمعة من كتب ألفت لغير هذا الزمن حتى مل الناس تلك الخطب التي تزدحم في الدنيا فأراد أن ييسر لهم مهمتهم بخطب قصيرة متنوعة تعالج أمراض المجتمع وعيوبه . مع ضبط الآيات والأحاديث ، لجاء كتاباً جديراً بما لقيه من الإقبال عليه والإفادة منه .

مع المفسرين والكتاب

للاستاذ أحمد محمد جمال - ٢٠٠ ص - دار الكتاب العربي

هذه هي الحلقة الثالثة من حلقات (على مائدة القرآن) التي سبق لنا وصف الحلقتين الأولىين منها . وهو نقد ودراسات لأراء ومذاهب ، تناولت من المحدثين الأساتذة الباقوري والعقاد وسيد قطب ومحمد أحمد خلف الله وحامد محسن ومحمد السمان ومحمد صبيح وعبد العزيز قهقي والدكتور فروخ والصعيدى والمزنى وغوستاف لوبون وغولد صهير . ومن القدامى الطبرى والنيسابورى والرازى والرخشرى وغيرهم . وكل هذه النقود والدراسات حول آراء هؤلاء المحدثين والقدامى تتعلق بالقرآن وشرعيته وعقيدته والمذاهب في تفسيره مما لا يتسع بسطه هنا فاكثفينا بالإشارة إلى عناوين بحوثه . والمؤلف يتكلم على بصورة من أمره فكتابته جدير بالدراسة والمقارنة والتأمل .

صوت الازهر

صحيفة تمثل شباب الازهر في توثبه وتطلعه إلى الآفاق الواسعة في التطور والتجديد محررة بأقلام ذوى النشاط من طلابه . وفي العدد الذى اطلعنا عليه منها خطاب مفتوح من شباب الازهر إلى شيخ الازهر وحديث مع الأستاذ فكري أباطة عن حاجة الازهر إلى الإصلاح والطريق الذى ينبغي أن يرمم لذلك ، وحديث مع الأستاذ عبد السلام الشبراوى عن البعث الإسلامية في الازهر وأنها بلغت أربعة آلاف وخمسمائة طالب وبيانات عن أحوالها . إلى غير ذلك من الأحاديث والمقالات والحواطر والأخبار التي تدور كلها حول الازهر ورسائله وما يشهده من خير وإصلاح . والصحيفة عنوان لنشاط محررها الأديب موسى صالح شرف وإنجازاته وأمانيه .

الأزهر في شهر

إدارة مجلة الأزهر وعضوية لجنة الإفتاء
وسائر ميادين نشاطه المشكور .

معهده ومعهده

كان أحد أجواد مديرية البحيرة قد تبرع
بقطعة أرض مساحتها ثلاثة أفدنة ليقيم عليها
معهده ديني إسلامي في مدينة دمهور عاصمة المديرية
وجمع أهالي المديرية تبرعات للبناء بلغت
١٨ ألف جنيه ، وترى لجنة المنشآت الدينية في
الأزهر أن يسام الأزهر من ميزانيته الجديدة
بمبلغ ١١ ألف جنيه لتأثيث المعهد وتزويده
بالأساتذة والموظفين والخدم وسائر
الإمكانات الدراسية لحوالي ألف طالب يتسع
لهم هذا المعهد الأزهرى الجديد في عاصمة
مديرية البحيرة . وسيشتمل المعهد على قسم
ابتدائي وآخر ثانوي ، وسيكون الالتحاق به
مقصوراً على أبناء مدينة دمهور ومراكز
أبي حمص وإيتاي البارود وشبراخيت
والمحمودية وكوم حمادة والدلتجات .

الأزهر في أوغندة

عهد فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مراقبة
البحوث والثقافة في اختيار اثنين من العلماء
الذين يجيدون اللغات الأجنبية لإيفادهما في
وقت قريب إلى أوغندة لنشر الثقافة الإسلامية
فيها ، استجابة لرغبتهم التي أبدوها للمهندس
السيد أحمد الشرباصي وزير الأشغال خلال
رحلته الأولى التي قام بها هناك .

إشراف الأزهر

على جمعيات المحافظة على القرآن
يُنظر أن يعتمد الأزهر في مشروع ميزانيته
الجديدة مبلغاً كبيراً من المال يمكنه من
الإشراف الكامل على جمعيات المحافظة على
القرآن الحسك في جميع أنحاء الجمهورية المصرية .
والأزهر الآن في صدد وضع تشريع يكفل
له ضم هذه الجمعيات وتنظيمها لتغذى المعاهد
الأزهرية بطلبتها ، وقد سبق لنا أن تحدثنا عن
ذلك في ص ١٣٣ من جزء صفر لهذه السنة .

وكيل الأزهر

وشيخا كلية أصول الدين وكلية اللغة
ومدير التفتيش
وافق مجلس الوزراء على تعيين فضيلة
الأستاذ الشيخ الحسيني سلطان شيخ كلية
أصول الدين وعضو جماعة كبار العلماء
وكيلاً للجامع الأزهر .
وعلى تعيين فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد
الشافعي الظواهري عضو جماعة كبار العلماء
شيخاً لكلية أصول الدين .

وتعيين فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محي الدين
عبد الحميد مدير تفتيش العلوم الشرعية
والعربية شيخاً لكلية اللغة العربية .
وقد نيطت إدارة تفتيش العلوم الشرعية
والعربية بفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف
السبكي عضو جماعة كبار العلماء علاوة على

العمل الإسلامي في شهر

الهيئة الإسلامية العالمية التي أنشئت في ديسمبر سنة ١٩٤٩ حضره مندوبون عن مصر والجامعة العربية واندونيسيا والافغان وليران والعراق وسوريا ولبنان، واشترك فيه مندوبون عن المنطقة المحررة من مقاطعة كشمير ويمثلون فلسطين وتونس .

وافتح المؤتمر السيد غلام محمد الحاكم العام الباكستاني ونادى في خطاب الافتتاح بوجود تضامن دول الشرق الأدنى في تنفيذ مشروعات تتصل بالمصالح المشتركة بين تلك الدول كمشروعات الأبحاث الزراعية والرى وتبادل المعلومات الفنية والمعونة الفنية في بعض الأحيان .

وخطب السيد محمود أبو السعود فاقترح على مندوبي الدول المشتركة في المؤتمر المساهمة في المشروعات الاقتصادية للجامعة العربية . وأعلن وزير خارجية باكستان أن شركة فورد أعارت الهيئة الإسلامية العالمية خبيراً اقتصادياً أشرف على إنشاء المعهد الإسلامي للدراسات الاقتصادية في كراتشي .

وأعلن في المؤتمر تبرع أغاخان بمليون روبية للمعهد الإسلامي للدراسات الاقتصادية

الرابطة السعودية في البحار

أذاع الأمير فيصل نبأ اتفاق شركة عربية سعودية مع أحد كبار أصحاب السفن اليونانية المشتغلين بأعمال البناء على تأسيس شركة بحرية جديدة يقدر رأس مالها بنحو ٢٥٢ مليون دولار بجانبه الاعظم سعودي والشريك اليوناني نصيب صغير فيه إلا أنه سيتناول أجراً على خدماته بقدر ما يقدمه من عمل والغرض من الشركة بناء أسطول تجارى تحت علم المملكة العربية السعودية تبلغ حولته نصف مليون طن .

وقد غادر الشريك اليوناني - واسمه أرسطوطاليس أوناسيس - مدينة الرياض بطريق الجو قاصداً باريس ومبورغ ليشرف في هذا الأسبوع على تحويل أكبر ناقلات الزيت في العالم - عما يصنع في مبورغ - إلى الشركة العربية السعودية .

وبذلك ستصبح المملكة العربية السعودية أكبر دولة بحرية في المنطقة الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط والصين .

مؤتمر الهيئة الإسلامية العالمية في كراتشي

عقد في كراتشي في يوم ٢٢ شعبان مؤتمر

البرهانيون معلومة مترددة

ولا دين لهم في قوانين الدولة المصرية

تلقت وزارة الداخلية كتاباً من وزارة الصحة بأن بعض معتققي البهائية إذا بلغوا عن مواليدهم أو موتاهم لقيد أسمائهم في سجلات المواليد أو الوفيات يصرون على كتابة بهائي، في خانة ديانة المولود أو المتوفى ويطلبون تحرير شهادات الميلاد والوفاة متضمنة هذه الصفة . وتقول وزارة الصحة : ولما كانت البهائية غير معترف بها من الدولة فالوزارة تخشى أن يتخذ هؤلاء من هذه الشهادة الرسمية دليلاً على الاعتراف بتعلتهم . وأضافت أنها استطلعت رأى إدارة الشعبة الاجتماعية والثقافية بمجلس الدولة فتلقت منها كتاباً بتاريخ ١٨ مارس الماضي بأن موضوع الدين البهائي سبق أن عرض على محكمة القضاء الإداري بمناسبة زواج أحد أفراد هذه الطائفة وعدم صرف العلاوة الاجتماعية له فرفع دعوى يطالب فيها بمنحه العلاوة من تاريخ عقد الزواج فرفضت المحكمة الدعوى وذكرت في حكمها أن هذا الدين ليس له وجود قانوني وأن من يعتنقه بعد أن كان مسلماً يعتبر مرتدّاً عن دين الإسلام والمترد عن الدين زواجه باطل ، ولذا قررت الشعبة أنه لا يجوز إدراج أى بيان في الخانة المخصصة للديانة إذا أصر المبلغ على ذكر ما سماه بالدين البهائي

وطلبت من وزارة الصحة إصدار التعليمات إلى المحافظات والمديرية للتفنيه على المختصين بمراجعة ذلك عند التبليغ عن الميلاد أو الوفاة أو عند طلب مستخرجات رسمية بأن يعمل خط أفقي في خانة الديانة دون ذكر اسم أى دين . وبالفعل أذاعت وزارة الداخلية كتاباً على المديرين والمحافظين والهيئات الإدارية المختلفة بضرورة العمل بهذه التعليمات عند قيد المواليد أو الوفيات في السجلات الرسمية هذا وقد سبق في غرة شعبان سنة ١٣٦٥ (٣٠ يونيو ١٩٤٦) صدور حكم قضائي من محكمة المحلة الكبرى الشرعية (رقم ٨٤٨ متتابعة) في القضية رقم ١٢٢٩٠ سنة ٤٥ - ١٩٤٦ المرفوعة من نبوية محمود أبو موسى ضد عبد الرحمن محمد نوفل بطلب تطبيقها منه لارتداده عن دين الإسلام وانزلاقه في ضلالة البهائية . وقد حكمت المحكمة برده وتطبيق المدعية منه وبنت حكمها على أن البهائيين يقولون بأن دورة سيدنا محمد ﷺ قد انتهت بظهور الباب ، وأهمهم بمحدود الصوم والصلاة والحج والخمر ويقولون إن المراد فيها غير مسماها المعروف في الإسلام ، وبما أنه ثبت أن المدعى عليه بهائي ويتكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة لذلك اعتبر مرتدّاً والمترد لا دين له ونكاحه باطل لهذا حكمت المحكمة بالتفريق بينه وبين زوجته نبوية محمود أبو موسى .

حلفاء الزنك في المساجد

منعت وزارة الأوقاف أن تقام في جميع مساجد الجمهورية المصرية حلقات الأذكار المخالفة لتعاليم الإسلام والمنشورة لأسماء الله الحسنى، ولا يباح في المساجد إلا الأذكار التي يتوافر فيها جلال المقصد وروعة الأداء وإحكام صلوات العباد بآله على أساس روحى سليم .

تعريب قوانين السودان

كانت روح الفطرسية الاستعمارية تحمل الانجليز على أن يجعلوا قوانين السودان وأشريعاته طلاس بإصدارها بالانجليزية لامة لا تعرف هذه اللغة . ويقول السيد على عبد الرحمن وزير العدل في تصريح أعلنه في مجلس النواب السودانى إن الحكومة السودانية الوطنية تنوى ترجمة جميع القوانين والتشريعات السودانية باللغة العربية لغة البلاد عملاً بالمادة ١٨ من قانون الحكم الذاتى التى تنص على أن تكون اللغة العربية هى اللغة المستعملة في البرلمان ، وقال : إن في ذلك اعترافاً بأن العربية هى اللغة الرسمية للبلاد .

ديوان المحاسبة في الجزائر

عزمت المملكة العربية السعودية على

إنشاء ديوان المحاسبة في مكة ، وهى خطوة حميدة في تنظيم أداة الحكم في عاصمة الإسلام . وقد اختير لتحقيق هذه الامنية خبير مصرى هو المراقب العام السابق لديوان المحاسبة المصرى ، وسافر بالفعل قاصداً مكة المكرمة لأداء المهمة التى تدب لها .

بريد الحكومة

وبريد الشعب في مصر

تبين من إحصاء سنة ١٩٥٢ أن مصلحة البريد المصرى نقلت في خلال تلك السنة ٨٥٠٠٠٠٠ رسالة ، منها ٣ ملايين رسالة هى مجموع البريد الشعبى ، والباقي وهو الأكثر ومقداره خمسة ملايين و ٥٠٠٠٠٠٠ رسالة هى من البريد الحكومى .

ولذلك كتبت مصلحة البريد إلى مصلحة الجمارك والمصالح الحكومية الأخرى طالبة مراعاة الاقتصاد في إرسال البريد الحكومى بعد ما تبين من تضخمه الهائل إلى هذا الحد الذى دل عليه الإحصاء .

النقد المتداول في مصر

انخفض النقد المتداول في أيدي الناس بمصر من ٤٦٠ مليون جنيه في آخر سنة ١٩٥١ إلى ٤٢٤ مليوناً في نهاية عام ١٩٥٢ ثم إلى ٤١٧ مليوناً في ديسمبر عام ١٩٥٣ .

فهرس

الجزء التاسع — المجلد الخامس والعشرون

صفحة	الموضوع	بسم
	المقالات	

٩٩٣	مع الرحيل الأول	الأستاذ محب الدين الخطيب ورئيس التحرير
٩٩٩	نفحات القرآن : أولياء الله وأولياء الشيطان	» عبد العظيم السبكى عضو جماعة كبار العلماء
١٠٠٤	الثقة : الجوارى إلى الإسلام - ٢ -	» طه محمد الساكت المفتش بالأزهر
١٠١٠	زواج المسلم بالكتانية - ١ -	» حسنة محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء
١٠١٥	رمضان مبعرة إلى الله	» أبو الوفا للراغبى
١٠١٩	مسكين	» محمود النواوى المفتش بالأزهر
١٠٢٥	الأزهر والصحافة	» محمد كامل النقي
١٠٣٢	اتفاق الخواطر في النمر	» عبد الحميد محمود للسلوت
١٠٣٧	الصوم عبادة وتهذيب	» محمد عبد التواب
١٠٤٠	لمن يكون تنفيذ الحدود - ٢ -	» أحمد الغرباوى
١٠٤٥	شهر الذكريات الحارة	» محمد محمد أبو شبة
١٠٥٠	التأويل والتفسير	» سعيد زايد
١٠٥٣	عنة الأدب : وما هو السبب	» صابر على رمضان الجوشنى
١٠٥٧	معنى الإنسان في مختلف الآيات	» طه الزينى
١٠٦٢	لغويات	» محمد على النجار
١٠٦٧	يارب	» محمد خليفة
١٠٧٠	الحملة الانجليزية على مصر	» عمر طلعت زهران
١٠٧٤	غزوة أحد - ٢ -	» محمد جلال الدين محفوظ

التعليقات

١٠٧٩	الدعاة إلى الدين	» المجلة
١٠٨١	أبو هريرة رضي الله عنه	» المجلة
١٠٨٢	مجة طائفة من بغداد	» المجلة

ركن الطلبة (مقتطفات)

١٠٨٤	حاجة العالم إلى الإسلام	مصطفى عبد الواحد إبراهيم
١٠٨٥	الحياة في مصر	محمد عبد العظيم الرضاوى
١٠٨٦	حيرة	محمد محي الدين السبرى

١٠٨٧	الفتاوى	قلم التحرير
١٠٩٢	الكتب	»
١١٠٠	الأدب والعلوم في شهر	»
١١٠١	العالم الإسلامى في شهر	»

بسم الله الرحمن الرحيم
 محب الدين الخطيب
 —
 الاشتراك السنوي
 —
 في مصر والسودان ٥٠
 في مصر والسودان ٣٠
 في الخارج ٦٠
 للطباعة في الخارج ٤٠
 خصم الجند ٥

مجلة الأزهر
 —
 مجلة شهرية جامعية
 تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مصر المجلد
 عبد اللطيف السبكي
 عضو جماعة كبار العلماء
 —
 للعنونات
 إدارة لجامع الأزهر بالقاهرة
 تليفون ٤٦٤١٤

الجزء العاشر - القاهرة في غرة شوال ١٣٧٣ - ٢ يونيو ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقالات

هذا هو الأساس

نعم ، هذا هو الأساس لتجديد شباب الأزهر ، وتشيد ببيان المجتمع المصري ، وبعث الحيوية والقوة في العالم الإسلامي . وإن شيئاً يترقب عليه كل هذا الخير لاشك أن أمره عظيم . وإن جيلاً يستجيب الله لدعائه ، فيتيح له الفرصة بأن يكون هذا الخير في عهده ، وأن يكون تحقيقه على يده ، جدير بأن يقوم بحق الشكر لله عز وجل على ما أناحه له ، وأن يكون صادق العزم في الاضطلاع بنصيبه منه .

قلت في كلمة عنوانها (قوى ضائعة ^(١)) بعد استعراض ما أصيبت به مصر في أخلاقها ، وترديد الشكوى من عناية مدارسنا بالتعليم دون التربية :

(١) في جزء صفر من (مجلة الأزهر) لهذا العام - ص ١٣٣

« وقد يكون من الشجاعة الأدبية الاعتراف هنا بأن الأزهر نفسه يشاطر في حمل مسؤولية الأخلاق في البلد ، ولكن الوضع الذي قام الأزهر على أساسه - بتلقيه طلابه وهم في السادسة عشرة من أعمارهم إن لم نقل في السابعة عشرة - قد جعل مهمة الأزهر شاقة ، وجعله في حالة لا تتمكن معها من تكوين طلبته كما تتمكن وزارة المعارف من تكوين طلبتها . فالأزهر ينلق أبنائه بعد أن احتضنهم غيره من السادسة إلى السادسة عشرة ، فيأثرونه غير مستكملين كثيراً مما يطلبه من الملتحقين به . ولو مكثته ظروفه من أن يحك جلده بظفره ، ويقوم هو بإعداد أبنائه من سن السادسة فإربهم من نعومة أظفارهم على الأخلاق الإسلامية ، ويتولى بنفسه تحفيظهم كتاب الله كما يشترطه القانون فيمن يلتحق بالأزهر ، لاستطاع الأزهر أن يقدم للأمة والوطن دعاة الفضائل والأخلاق والنهضة والإصلاح ، العاملين بعلمهم ، الذين يقودون الأمة إلى أهدافها الصالحة ، ويكونون قدوة لها في كل ما يدعونها إليه ... إن وضع الأمور في مواضعها وردها إلى طرقها الحكيمة هو في أن تيسر الدولة للأزهر إعداد العدد الكافي من الذين سيلتحقون به ، وتجهزهم بما يلائم طريقهم العلمي الذي سيختارونه في حياتهم ، وكيف يكون ذلك إلا بأن يتولى الأزهر إعدادهم ، ليكون هو المسؤول عنهم وعن حسن توجيههم من ناحية التربية والأخلاق ، ومن ناحية استيفائهم ما يشترطه القانون من حفظ كتاب الله . وبذلك يكون الأزهر قد ساهم في مكافحة الأمية في هذا الشرط التابع له من أبناء الأمة ، وسيعلمهم كل ما تعلقه وزارة المعارف لا مثالم في مدارسها ، مضافاً إليه حفظ القرآن كاملاً ، والعناية بالتربية التي لا بد منها لمن سيقود الأمة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وصراط الله المستقيم » .

والآن وقد لاحظت تباشير الخير بأن الله عز وجل سيستجيب لهذه الدعوة ، وبوشك أن يواجه الأزهر عامه الدراسي الجديد بالمراحل الأولى من إنشاء مائتي مدرسة تحضيرية تقوم كالمصاييح المتلاثلة من حول معاهده في العاصمتين والمدريات ، فترجو الله أن يحقق الآمال في بداية العام الآتي ، فترى طليعة هذه المدارس متدفقة بينابيع الجنة تروى منها المعاهد الأزهرية بماء الحياة عذبا رالالا لا تشوبه إن شاء الله شائبة مما كنا نشكوه فيامضى ، ما دنا عازمين على القيام لتلك المدارس بما يحفظها ويصونها ، وبما نؤدى به حق الأمانة لهذه الأمة في السهر على فلذات أكبادها ، حتى يكونوا - بالعناية والرعاية والتنظيف - أمل الإسلام في مستقبله المرتجي ، ومفخرة مصر في نهضتها المرتقبة ...

ماتنا مدرسة تحضيرية يتولى الأزهر لإنشاء ما لجيش من أبناء الدعوة الإسلامية تضعه
الامة بين أيدينا أمانة لله في سن الطفولة الطاهرة لتصنع منه الدعاة إلى الله ، وإلى مادعانا
الله إليه من فضائل وبجايها ومكارم ، وإلى ما يجب أن يشيع في عياله من صدق ومحبة وإيثار
وتعامل بالمعروف وتعاون على الحق والخير . . .

إن هذا الحادث عظيم في تاريخ مصر ، ولو نجحنا فيه - بما نتوخاه من العناية بالتربية
كالعناية بالتعليم وأكثر - لقدمنا لمصر والعالم الإسلامي بعد عشرين سنة العنصر المفقود
الآن من القادة الذين يبحث عنهم الناس في ديار المسلمين ليأخذوا بأيديهم إلى طريق القوة
والمنعة والاستقامة والتقوى فلا يحدونهم ، ولو وجدوهم لعرفت الامة بهم طريقها إلى
النهضة الصادقة والحياة السعيدة .

العالم الإسلامي اليوم على مفترق الطرق ، وقد رصد إبليس على رأس كل طريق
شياطين من تلاميذه وصنائه يتخطفون الناس ويستوونهم بشقى المغريات ليصرفهم عن
طريق محمد بن عبد الله صلاة الله وسلامه عليه . وقد يكون بعض أبنائنا وأقرب الناس
إلينا ممن يستوونهم صنائع إبليس ، ويعدونهم عن الإسلام وأهدافه الإنسانية العليا . وقد
كنا نعتذر قبل اليوم بأن التيار شديد ، والمغريات خلابة ، والمؤثرات على أبنائنا أشد منا
اتصالا بهم . وما قد استدار الزمان ، وسنحت الفرصة لآلوف من أطفال الامة بوشك
أن يملأوا - عما قريب - فصول مائة مدرسة في أنحاء الجمهورية المصرية ، فتمتد إلينا أيديهم
الصغيرة اللطيفة طالبة منا أن نقدم من تيار المغريات الصوارف ، بما نوقظه في قلوبهم
من عزائم الإسلام ، وما نسلحهم به من الأخلاق المحمدية وبجايها خير أمة أخرجت للناس .
فلنستعد من الآن للأخذ بهذه الأيدي إلى الطريق الذي دلنا عليه معلم الناس الخير صلوات
الله وسلامه ورضوانه عليه . وإن رأس ذلك وعموده أن يكون مبدأنا الأول وهدفنا
الآخر تربيته على العمل بكل ما نعلمه لهم ، فإذا علمناهم فضيلة الصدق وجماله ربيته على
التجمل به ، وأنزاهم العمل به في المنشط والمكروه واليسر والعسر . وإذا عرفناهم أن الإسلام
دين الحق حبيبنا إليهم الحق ومرضاهم على أن يكونوا من أوليائه العاملين به المؤيدين لأهله
في جميع الأحوال . هذا هو الطريق المحمدي في تعليم العلم الذي ينفع ، والاستفادة بالله من
كل علم يقتنى على أنه من العملة التي يطل التعامل بها .

ماتنا مدرسة يغشاها فلذات أكباد الأمة وهم في السادسة من طفولتهم ، إنهم كالعجينة في أيدينا نستطيع إن شئنا أن نجعل منهم أمثال عبد الله بن عمر بن الخطاب في التزامه سنن الإسلام كلها من المهد إلى اللحد ، ونستطيع بالتفريط والإهمال أن ندعهم يسرون وراء تلاميذ إبليس القائمين على مفترق الطرق ليصرفوا أهلها عن الطريق المحمدى . وكأ أن تلاميذ هذه المدارس الأزهرية سيدخلون الامتحان في كل عام ليرى الناس أثر تلقينهم مبادئ العلوم ومبلغهم من النجاح فيها ، فإن القائمين عليهم سيكونون في مثل هذا الامتحان لترى الأمة مبلغ نجاحهم في إعداد الجيل المثالي ، في الأخلاق والتربية الإسلامية ، للنهوض بمصر في طورها الذي تستقبله ، ولقيادة العالم الإسلامى في الطريق الذى بعث الله به خاتم رسله .

كما أن كثيراً من رجال وزارة المعارف قد بلغ بهم سوء الراى في مدارس الوزارة — فيما مضى — إلى أن بعثوا بأبنائهم إلى المدارس الاجنبية الموجودة في مصر ليتخرجوا فيها فإن كثيراً من علماء الأزهر أيضاً بلغ بهم العلم بمواطن الضعف فيما كان عليه الأزهر من قبل إلى أن بعثوا بأبنائهم إلى معاهد غير أزهرية ليتخرجوا فيها ، كل ذلك كان فيما مضى ، وما أعظم وأكثر مواطن الضعف في حياة مرافقتنا فيما مضى . أما الآن وقد أوشك أن يتم — إن شاء الله — هذا الحادث العظيم في تاريخ الأزهر ، وبذلك سيحك جلد نظيره ، ويقوم بنفسه على تربية الضيوف الجدد من أزهرى المستقبل وهم لا يزالون في السادسة من أعمارهم ، فلم يبق لنا أى عذر في التماس جميع أسباب السكاء عند تكوين الأزهرى الجديد ، ليسكون من تلاميذ الدعوة المحمدية الأولى الذين يرتضون لبان آدابها ومعارفها وأخلاقها خالصة إن شاء الله من كل الشوائب . وعلى كل عالم من علماء الأزهر أن يأخذ بيد طفله في أول العام الدراسى الجديد فيلحقه بأقرب المدارس التحضيرية الأزهرية إلى منطقته ، ثم يكون بعد ذلك مراقباً لاثر توجيهها في خطوات طفله ، ومتعاوناً مع القائمين عليها في ملاحظة نواحي القوة والضعف في ذلك ، إلى أن نطمئن جميعاً بأن هذه المدارس التى أتاح الله لنا الإشراف عليها ويسر لنا القيام على توجيهها ستكون المدارس المثالية في العالم الإسلامى في عنايتها بالتربية الإسلامية كمنائها بالثقافة الإسلامية ، وأنها عرفت طريقها إلى تخريج الدعاة الذين نهتدى الدنيا بوميض أخلاقهم وأضواء تصرفاتهم قبل أن تهتدى بتعليمهم وتصحى إلى إرشادهم ، ويومئذ يقبل على المدارس التحضيرية الأزهرية الحريصون على تربية أبنائهم تربية إسلامية من أعيان البلاد وقادة الأمة فيلحقون بها أبناءهم ، ويضربون

بها المثل للدرسة الناجحة في الشرق ، ويكثر هؤلاء العنصر المذهب من النشء الإسلامى فيكون ذلك عوناً على تعميم التربية الإسلامية الكاملة في بيوتنا وازدياد عدد المتعلمين بها في مجتمعاتنا .

وعندما نلتهى من تأسيس مائتى مدرسة تحضيرية ذات خمسة فصول ، وتمتلىء فصولها بالآفواج المتلاحقة من الأزهرين الجدد ، وعندما نبذل أقصى ما نستطيعه من العناية في رسم مناهج التربية والتعليم لهذا الجيش العظيم من الدعاة إلى الله في المستقبل ، فإننا نكون قد وضعنا الأساس القوى السليم في بنيان الكيان الإسلامى الصالح في مصر والعالم الإسلامى ، ونكون قد أحبطنا أعمال الشيطان وصنائه المرابطين على مفترق الطرق لبصرفوا هذه الأمة عن الإسلام وآدابه وسفنه وأحكامه . وعلى قدر ما نبذل من جهود صادقة في تكوين النشء الأزهرى الجديد تكويناً إسلامياً قوياً وسليماً ، يكون انتصارنا على الشيطان وصنائه انتصاراً حاسماً له ما بعده بإذن الله ، والله يتولى الصادقين .

حسب الربيع الخطيب

الأخلاق

مثل المتعلم غير المتأدب كمثل شجرة عارية لا تورق ولا تثمر ، قد انتصبت للناس في ملتقى الطرق تعترض الرماح وتصد سبيل الغادى ، فلا الناس بظلمها يستظلون ، ولا هم من شرها ناجون .

ومن لا خير فيه لدينه لا خير فيه لوطنه ، لأنه إن كان ينقضه عهد الوطنية غادراً فاجراً ، فهو ينقضه عهد الله وميثاقه أغدر وأجبر ، وإن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان ، فمن لم يحرص عليها فأحر به ألا يحرص على وطن السقوف والجدران .

مصطفى لطفى المنفلوطى



نفحات القرآن

— ١٦ —

٣ - أولياء الله ... وأولياء الشيطان

١ - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .
ب - والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور إلى الظلمات

١ - ذلك الذى رويناه لك كان شأن الفروذ بن كنعان فى جده مع إبراهيم عليه السلام .
وفيه ما يزيد المستزيد إيمانا بأن من يتولاه الطاغوت يخذله الله ... ومن يخذله الله لا يمكن أن ينصره أعوان ، ولا يعجبه أن يكون ذا سلطان .
والذى رويناه لك : مثل من أمثلة يحفل بها القرآن فى صدد أولياء الطاغوت ، وإن كان واحدا من أمثلة ثلاثة لحسب جىء بها فى موضوعنا هذا ، وهو مثل فى الجانب السلبى : ولاية الشيطان .

والمثلان الآخران فى الناحية الإيجابية : ولاية الله للؤمنين .

٢ - وأحد هذين المثلين عن قرية دارسة ، تخربت مغانيها ، وتناثرت مبانيها ، وتكرت معالمها ، حتى لم يعد يطوف الأمل بناظرها أن تعود أو يعود أهلها إلى عالم الحياة .
وقد مر بها راء من الناس فنكرها ، وهاله ما بدا له من قبح منظرها ، وغالفتها لما يعده بها ... وكأنه وقد أذهله ما يرى من أمرها حاول أن يطابق بين ما يسمعه ويؤمن به ، وبين ما يراه ويأسى لمراه .. فهو يسمع غير مرتاب أن بعد الفناء رجعة ، ويعلم غير متردد أن العظام النخرة ستعود فى جدتها إلى الحياة حينما تتعلق بها قدرة الله ... وأن الناس يجمعون لميقات يوم معلوم .

ولكنه يرى بعينه ما يثير الخواطر في نفسه ، ويستشعر أن عود هذه القرية إلى الوجود أمر تتعاضده النفس ، ويشوقها أن تقف من حصوله على بينة ... أو تهتدى منه إلى بيان .
فما وسعه إذ رآها خاوية على عروشها إلا أن يقول : (أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟)
٣ — والآية لم تعرض لذكر الرائي ، ولا لتعيين البلد المرقى . . . ذلك : لأن مغزى القصة لا يلائم بتعيين الشخص ذاته ، ولا بتسمية القرية باسمها ، وإنما هو كشف عن خبيء تجهله الإنسانية ، وإرشاد عملي إلى أن ما يستعصى على عقول البشر أهون من الهون في مقدور الله .
ولكن أسلافنا - أحسن الله إليهم - حاولوا تعيين الرجل والقرية : وهل كان الرجل مؤمناً أو غير مؤمن ؟

وفي سبيل ذلك : تشعبت آراءهم ، وتعددت أقوالهم ، إذ لا نص عندهم ، وإنما هو اجتihad منهم ، وقد استظهر بعضهم أن الرجل غير مؤمن ، لأن ذكر نبيه عقب السلام على نمرود ، واستنباده لإحياء القرية بعد موتها بما يشهد على الرجل عندهم بعدم الإيمان .
ولكن أهل التحقيق لم ينظروا في هذا المقام إلى السباق - بالباء - وما فيه عن نمرود بل نظروا إلى اللحاق ، وما فيه عن إبراهيم عليه السلام ، فالرجل مؤمن ، وقد أردف الحديث عنه بحديث إبراهيم فكلاهما يأخذه العجب ، وتبره مظاهر القدرة ، ويستولى عليه حب الاستطلاع ، فيدفعه إلى الاستفهام في لهجة الاستعظام ، لا في لهجة الإنكار ، ليشبع رغبة عليية ملحة ، ويرضى قلباً مؤمناً يستزيد . وكما أن إبراهيم قال يوماً : « رب أرني كيف تحيي الموتى » ثم قال : « ... ولكن ليطمئن قلبي » كذلك الرجل يقول ما معناه : يا عجباً لقدرة الله !! كيف تعمر هذه الخرابات . . . وتعيد الحياة إلى هذا الموات ؟ وهذا مصداق قوله المحكي عنه : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » .

وذلك توجيه أصح . وأرجح ما قيل في تسميته : أنه عزيز بن شرخيا ، من خيار بني إسرائيل ، وأن القرية هي بيت المقدس ، وكان يختصر قد هاجمها ، وخرّبها ، حتى قال فيها عزيز ما قال يوم رآها على غير ما يعدها .

٤ — ثم ماذا فعل الله بعبده هذا ، وبالقرية ؟؟

أما عزيز فقد أماته الله إثر موقفه هذا ، وأمات حماراً كان معه ، واستبق طعماً كان معداً لأكله ، وبعد فترة - قدروها بسبعين سنة - توفى فيها بختنصر ، وهياً الله للقرية من ملوك

الفرس من عمرها ، ورد إليها من بقى من بنى إسرائيل المشردين عنها ، ثم أحيا الله عزيرا فرأى القرية في زخرف من مباحج الحياة ، ووجدتها حافلة بالسكان ، وهو لم يكن يشعر بطول موته ، فأخذته العجب أن تعود إلى القرية زينتها في أمد قصير ظنه يوما أو بعض يوم . وقد أراد الله سبحانه أن يكشف له عما لا يدريه من شأن نفسه ، ومن شأن الحياة بعد الموت في القرية وفي سواها ، فسأله عز شأنه بوسيلة لا تدرى : أكانت صوتا مسموعا له ، أم كانت ملكا خاطبه : (كم لبثت ؟) قال عزير : (لبثت يوما أو بعض يوم) (قال : بل لبثت مائة عام) .

ومائة عام إذا مضت في مثل السرعة التي تخيلها عزير يوما أو بعض يوم تصور له قرب ما يستطيله من زمن الدنيا إلى يوم البعث ، وتقرب إلى نفسه ما كان يستعظمه من حياة القرية بعد أن نشب فيها الخراب وإن طال عليها الزمن .

وفي هذا توجيه لعزير ولغيره إلى مبلغ قدرة الله على ما قد يتخيله المرء في حكم الممتنع . وكذلك يقيم الله لعزير دليلا آخر بقوله : . فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ، إذ في مضى مائة سنة على طعام وشراب دون أن يحدث بهما أثر من التغيير بإيقاظ من الغفلة ، ومدعاة للتنبيه إلى أنه لا يقضى لأمريء أن يستعظم شيئا على الله بما تتعلق به قدرته .

ثم يقيم له دليلا ثالثا فيما رأى بعينه من شأن حمارة ، فقد جمعت عظامه الدخنة ، وركبت إلى بعضها ، وكسيت لحما ، وأعيدت إليها الحياة ، فصار كما كان يعمده قبل مائة عام .

فهذا عبد هاله من شئون الله في الكون أن تكون عمارة بعد خراب ، وحياة بعد موت طويل ، وعلق بنفسه الأمل أن يستزيد علما في ذلك ، والله تعالى يتعمده بالتوجيه ، فيقيم له الدليل من نفسه ، ومن ألصق الأشياء به ، ليكون أجدى في اقتناعه ، وأكمل في إيمانه .

ولو أنه كان جاحدا مكابرا لتركه الله للطاغوت يتولاه ، ولكنه عبد مطيع ، يتولاه مولاه فيخرجه من عجيبة وحيرته إلى تبصيره وهدايته ، (فلما تبين له — ما كان يصبو إليه — قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير) وبذلك تحققت الأمانة ، وتمت العبرة له من نفسه ، وللناس في قصته .

ومذا قول الله تعالى : ولنجعلك آية للناس ، يعنى فعلما بك ما فعلنا لنكشف عن بصيرتك الشبهة ، ولنزيدك رسوخا في العلم ، ولنكون قصتك آية يلتبس الناس منها العبرة ، ولنصير مثلا من الأمثال فنضربها للناس لعلمهم يتفكرون .

٥ — ويذهب بعض العلماء في تفسير الموت الذي وقع بالعزير إلى أنه كوت النائم ، ليس فيه زهوق روح ، وإنما هو غيبوبة يفقد فيها السمع ، وتتعطل الأحاسيس ، ثم يعود إلى يقظته وحياته الأولى حينما يأذن الله ، كما يأذن باليقظة للنائم ، ولقد حلهم على هذا الرأي أن الدنيا ليست دار بعث ، وإنما يكون البعث في الحياة الآخرة .

وليس يبعد أن يكون هذا الموت حقاً ، وأن يكون هذا البعث نوعاً خاصاً بحالات دنيوية اقتضتها حكمة الله تعالى ، وكيفما كان : فإن العبرة قائمة ، والعظة شاخصة ، سواء : أكان موتاً حقاً ، أم موتاً صورياً يستغرق عشرات السنين .

٦ — قالوا : إن عزيراً بعد هذه المرحلة من قصته ركب حماره ، وذهب إلى محله التي كان يقيم بها في جانب من القرية ليتعرف بمن بقى فيها من أهله وذويه ، فصادف بعض من كانوا من أهلها قديماً ، فلما تظاهر لهم بأنه عزير ، أخذوا يستنبئونهم أموراً يهدونها في العزير ، ويسألونه علماً كان معروفاً به ، ويطلبون إليه تلاوة التوراة عليهم كما توارثوا عنه أنه كان يحفظها جيداً ، فلما أوفى بهم على الغاية من ذلك صدقوه ، بل فتن به بعضهم ، ومن هنا نشأت فرية بنى إسرائيل فقالوا : (عزيراً بن الله) .

وكذلك شأنهم : كلما أنعم الله عليهم نعمة كفرُوا بسببها ، وكلما هدام من ضلالة ضاعفوا طغيانهم بعدها .

ولك أن تقول بعد هذه الإمامة : إن القصة كلها بدئت بذكر ولاية الله للثومنين ، ولكن التمثيل بالأمثلة الثلاثة جاء على غير هذا الترتيب : إذ المثل الأول منها في شأن التروذ ، وهو تمثيل لأولياء الشيطان ، والمثل الثاني والثالث بعد : في جانب أولياء الله عزير وإبراهيم وولاية الله هي المذكورة أولاً ١١١ فلم يكن التعقيب بالأمثلة على نسق الترتيب في مطلع القصة أروع نسقاً ، وأخف تناولاً ٢٢ وأنسب لقول البلغاء إنه على سبيل النشر المرتب ٢٢

وجوابنا . أن القرآن مصدر البلاغة ، وأن في سياقه إشعاع الحسن ، والإبداع . وقد بدأ الله بذكر أولياء الله لأنهم أحق بالتكريم والتقديم ، وأولى بالتبشير والتنويه . أما في التمثيل فقد سبق إلى ذكر أولياء الشيطان في حكاية التروذ : مسارعة إلى انتقاصهم ، والخط من شأنهم ، والتشفيع عليهم بما يسجل من حوادثهم وجنايتهم على أنفسهم وتنفيراً من متابعتهم .. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

ح - المثل الثالث : مما جاء تعقياً على الآية - مؤال إبراهيم - عليه السلام - ربه تعالى (رب أرني كيف تحيي الموتى) .

إبراهيم يعلم من طريق الوحي ما لا يدع في جوائب نفسه ذبذبة من الريية في أمر البعث ، فأبأه يقول لربه : أرني كيف تحيي الموتى ؟؟

وجواب ذلك - أن النفوس الصافية تطمح دائماً إلى العلم بأكثر مما لديها ، فأبراهيم إذا سأل : فإتسأ يسأل عن كيفية الإحياء وهو موقن بمحصله ، ليتعرف بالمشاهدة صورة إيجاده ، وبذلك تتجاوز معرفته درجة علم اليقين ، إلى درجة عين اليقين ، وهذه أتم وأكده ، وأوفر شأننا من تلك ...

وإذ كان السؤال في ظاهره لا يصدر إلا عن شك ، فقد اشتمل على أمرين يصرفانه عن ذلك .
الاول - قول إبراهيم : - رب أرني - يعني : يا مربي العباد ... أرني ببصري

من دلائل قدرتك ما يوضح لي معرفتي من طريق وحيك ، وهذا أدب لا يكون إلا من مؤمن .
الثاني - أن الله أتاح لإبراهيم أن يدفع عن نفسه شبهة الريية في موقفه ، فقال له تعالى :

(أولم تؤمن ؟) يعني : ألم تعلم بأنني أحيي الموتى ، ولم تؤمن بذلك ؟؟ ليكون جوابه إقراراً بما سئل عنه ، وهو : نعم : أما مؤمن ، وعلى علم بذلك ، ولكن : لازداد إيماناً على إيماني وعلماً على علمي ، فأكون أكثر اطمئناناً إلى معرفتي من طريق وحيك إلى .

وقد تقبل الله من إبراهيم دعوته ، ليخفف من شغفه ، ويثبت مقامه لدى من يعرفون مقامه ، أو يترددون في شأنه ، وليكشف الله عن رعايته لأولياته ، فهو يصرفهم بما يبعد بهم عن شائبة الخيرة ... (قال : فخذ أربعة من الطير ، فصرن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادعهن يأتينك سعيًا) .

وهنا أربعة أوامر ، يلقيها الله على نبيه إبراهيم ... الاول - أن يتناول أربعة من الطير كيفما كان نوعها ... الثاني - قوله : - فصرن إليك - ومعنى صرن إليك : قطعها أجزاء فإن الفعل صاره يصوره أو صاره يصيره معناه ذلك .

وقيل : معناه : ضم الطير إليك ، وعودها أن تألفك ، وتألفك بك ، فهاتان لغتان في الفعل ، وهو مشترك بين المعنيين - التقطيع ... والتأليف للطير بتأنيسها إليه ...

ولا نسرف في البحث اللغوي لئلا نعكر على القاري .

وحسبنا أن نقول : اختار بعض المفسرين معنى التقطيع ، وتفرق الأجزاء على الجبال القريبة من إبراهيم ، كما قيل له (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) وذلك هو الأمر الثالث .

والرابع — أن يدعو الطير ، وسيرها تسرع إليه في حياة جديدة بعد أن كانت أجزاء متفرقة مبعثرة ، وبذلك يتمثل لإبراهيم عياناً ما يصنع الله في بعث الأموات يوم القيامة ، وبذلك تمت لإبراهيم أمنيته كما شغفت بها نفسه .

وقد اختار بعض المفسرين في قوله تعالى — فصر من إليك — المعنى الثاني : ضم الطير إليك ، وعودها أن تألفك وتألف بك ... ثم فرقها على الجبال وحدات : لا أجزاء ، ثم ادعها إليك تحدر إليك في سرعة — وإن كان الطير نفورا بطبعه — ويرى هذا البعض من المفسرين أن ليس في الآية ما يدل على تقطيعها أجزاء ، وإن شهدت بذلك آثار مرجوحة ، فهي لا تقضى بالعدول عن ظاهر الالفاظ إلى تكلف القول بالتقطيع ، وخلط الأجزاء ، وبعثرتها على رموس الجبال . ويقول ذلك البعض :

بل الأوامر الأربعة التي في الآية لا يراد منها التنفيذ . بل قصدت للتوجيه إلى أن هذا لو نفذ فعلا : فسوف لا يمنع من إحيائها ، وتليتها لنداء إبراهيم ، وهو لم يفعل ، بل اقنع ، وكأنه فعل ، وخلاصة النقاش بين الفريقين : أن البعث الذي يشكره المكابرون ، والذي تنوق نفس إبراهيم إلى رؤية ما يتمثل به : أمر سهل عند الله ، كما يسهل رجوع الطير إلى إبراهيم إذا فرقها ودعاها : سواء أكان تفريقها بعد تقطيعها : أم كان توزيعاً لها دون تقطيع .

ومهما يكن من توجيه لكلا الرأيين فالمقصد متحد : وهو حصول اليقين التام لإبراهيم بأن شأن البعث وإن تعاضته نفوس لا يعد بدعا ، ولا منكوراً بالنسبة لقدرة الله . ولا ينبغي لعاقل أن يستبعد على من بدأ الخلق أن يعيده : فضلا عن جحود ذلك ، بل الإعادة أيسر شأنا من البدء .

(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم) .

وفي هذا القصص الذي مر بنا : في قضية الفروذين كنعان مع إبراهيم ... وفي موقف العزيز من القرية البائدة . وفي سؤال إبراهيم أن يرى كيف يحيي الله الموتى . في ذلك عبرة لمن شاء الله أن يهديه إلى الإيمان ، ويعفيه من نزعة الجدل ، ويطمئنه إلى الحق . ومن يهد الله فما له من مضل . وإلى اللقاء في العام الجديد للمجلة ... إن كانت في العمر بقية .

والسلام على قرائنا الكرام . هبة اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

القبلة

الجوار في الاسلام

- ٣ -

قبط مصر - صلّتم بالإسلام - شرفهم بهذه الصلة - من آيات النبوة -
هدية جبار مصر - هدية حاكم مصر - بشرى القبط بفتح مصر - الوصاة
بالقبط - القبط بين الروم والفرس - القبط في جوار الإسلام -
قبط يعجبون بالإسلام فيدخلون فيه - وشهد شاهد من أهلها .

عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم ستفتحون مصر ، وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحما ، أوقال : ذمة وصرأ ، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها فى موضع لبنة فأخرج منها ، قال : فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان فى موضع لبنة ، نخرجت منها ، .

(رواء مسلم فى باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر ، من كتاب الفضائل) .

• • •

القيراط : جزء من الدينار والدرهم والأرض وغيرها . قال بعض الحساب : القيراط فى لغة اليونان : حبة خرنوب . . والحساب يقسمون الأشياء أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدده ثمن وربع ونصف وثلاث صحيجات . والقيراط يذكر قديماً فى بلاد العرب وغيرها ، وفى البخارى : كنت أرهاها [القنم] على قراريط لأهل مكة ، إلا أنه فى مصر أكثر ذكراً وتسمية ، فلماذا خصها بتسميته صلوات الله عليه .

ويقال إن أهل مصر كانوا يستعملون القيراط في السب وإسحاق المكروه ، فيقولون أعطيت فلاناً قيراط ، يعنون : سيته وأسمته ما يكره ! ومرد هذا إلى التاريخ ، فإن صحت روايته فتناصب الجمع بين الوصية بهم وتسمية القيراط ، أن في القوم بذاة ؛ فإذا فتعتم بلادهم - وأنتم يا ذن الله فاتحوها - فأحسنوا إليهم ، واستوصوا بهم خيراً ، ولا يجرمنكم سوء مقالهم على الإساءة إليهم .

والذمة : العهد والأمان والحرمة - وتقدم القول في حرمة أهل الذمة في الحديث السابق .
والرحم : القرابة . والصهر : القرابة ، وحرمة المصاهرة ، وقد صاهرهم وفيهم ، وأصهر بهم وإليهم : صار فيهم صهراً .

وقبط مصر يمتنون إلى المسلمين وفي المسلمين صلوات الله عليه وسلامه بسيدتين عظيمين ، ولهم بذلك شرف أى شرف :

بآجر - أو هاجر - أم أبي العرب إسماعيل عليه السلام وهي التي أهداها جبار مصر إلى سارة لما عصمها الله منه ، فوهبتها للخليل صلوات الله عليه ، في حديث طويل ...

ثم بمارية القبطية ، أم إبراهيم ولد خاتم النبيين عليهم صلوات الله وسلامه ، أهداها إليه نائب ملك الروم وحاكم مصر في هدايا أخرى عظيمة ... وذلك لما بعث إليه ﷺ رسوله حاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه يدعو إلى الإسلام ، كما كان يدعو ملوك الدنيا وعظماؤها في هدنة الحديبية .. فقال الحاكم خيراً وقارب الأمر ولم يسلم ، وكان يعلم من نعمته في الكتب القديمة أنه يقبل الهدية ، ولا يقبل الصدقة ، فتودد إليه بإهدائه وإكرام رسوله حاطب ، وقد عرض حاطب الإسلام على مارية فأسلت في طريقها ، وأكرمها النبي ﷺ إكراماً عظيماً ، وأكرمها الخليفتان بعده ، ورعى حرمتها حق رعايتها ، إلى أن جاورت ربها في خلافة أمير المؤمنين عمر ستة عشر سنة ، فحضر الناس ليشهدوا جنازتها ، ثم صلى عليها ودفنها بالقيع ...

* * *

والله كورون في هذا الحديث جميعاً من أصحاب رسول الله ﷺ .

فأما أبو ذر الغفارى (واسمه جندب) فهو من السابقين الأولين ، رابع الإسلام أو خامسه ، أول من نادى بأعلى صوته بالشهادتين بجوار الكعبة .. فأكبت عليه قرش

يضرّبونه حتى كادوا يقتلونه ١، أصدق الناس لهجة بشهادة الرسول ﷺ، وكان من المبرزين في الزهد، ذامبا إلى أن ما زاد على الحاجة من مال فهو كنز، وحاول أن يحمل الناس على زهده هذا فشكاه معاوية إلى عثمان - وكان بالشام حينئذ - فاستقدمه عثمان ثم أشار إليه بأن يسكن الرّبذة قرب المدينة، فلم يزل بها حتى جاور به سنة اثنتين وثلاثين. وصلى عليه عبدالله بن مسعود، وكان مقبلا من المدينة إلى الكوفة فلما دعى إلى الصلاة عليه، بكى طويلا وقال: أخى وخليلى، عاش وحده، ومات وحده، ويبعث وحده، طويلى له.

وأما شرحبيل بن حسنة فهو من مهاجرة الحبشة، وحسنة أمه، ولها صحبة وهجرة مع أبيها إلى أرض الحبشة كذلك..

وأما عبد الرحمن وريمة فهما أخوان شقيقان، ابنا شرحبيل بن حسنة، وكلاهما شهد فتح مصر مع أبى ذر رضى الله عنهم، كما يشهد بذلك هذا الحديث الصحيح، وكما نقل السيوطى جازما في حسن المحاضرة.. وأما شرحبيل فقبيل إنه شهد فتح مصر مع ولديه، وقيل إنه كان أحد أمراء أجناد الشام، ومات بها سنة ثمان عشرة، أى قبل فتح مصر بنحو عامين..

واختصاص النبي ﷺ أبا ذر رضى الله عنه بأمره أن يخرج من مصر حينما يرى رجلين يتنازعان في موضع لبنه منها - واللبنة مثل كلة: ما يعمل من الطين ويبنى به - دليل واضح على عرافته صلوات الله عليه وسلامه، في أصول التربية الإلهية، والسياسة النفسية، والعلم الملهم بطبائع البشر، وسياسة الأفراد والأمم، ونأدية رسالات الله على خير وجهها وأكملها...

ذلك بأنه يعلم أن أبا ذر رضى الله عنه، ذلك العريق في الزهد، الحاد الدعوة، الحار الإيمان واللهجة، لن يطيق أن يرى الناس يبنون ما لا يسكنون، ويجمعون ما لا يأكلون، وهو ساكت لا إذا فلا بد أن يثور، ولا بد أن يفرق مال الله في عباد الله - وقد فعلها غير مرة - ولن يطيق الناس ثورته الصادقة تلك.. أرايت الذى يصرخ بالشهادتين في آذان المشركين لا يبالهم، والمسلون حينئذ يضع أنفُس، فما كان من المشركين إلا أن قاموا

فضربه حتى أضجموه ، وأتى العباس فأكب عليه ، فقال : ويلكم ! أستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم ، فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد لمثلها فضربه وثاروا إليه فأكب العباس عليه فأنقذه . فقال له رسول الله ﷺ : هل أنت مبلغ عنى قومك عسى الله أن يفهم بك ويأجرك فيهم ، فعاد فأسلم أخوه أيس وأمهما وأنوا قومهم فأسلم نصفهم . ثم أسلم باقهم حينما قدم النبي ﷺ المدينة . في حديث طويل معجب !! ألا إن خيراً لآبى ذر رضى الله عنه ، ومن كان مثله في صدق لهجته ، وعميق إيمانه وزهده - ولن يكونه - أن يعتزل الناس ، فيعيش وحده ، ويموت وحده . وبهذا أمره الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، ليرى ويستريح ، ويحمى نفسه إلى أمره الله يأمساكها ، أن تشتعل بحمارة الإيمان فتحترق !

ثم تأدب معاوية وذو النورين صهر النبي ﷺ بأدبه ، وحضنا معه ما يحمل به ، الحياه الأول من الناس ، وحي الناس من شعله إيمانه المتقد ، وأعاشه الآخر وحده رحمة به وإشفاقا عليه !!

بعد هذا التمهيد الطويل الذى اضطررنا إليه ، ولم نجد بدا منه — يرى الناظر فى هذا الحديث بيسر وسهولة ، آيات من آى النبوة ، فى بشارة عظيمة ، ووصاة نبوية كريمة ، أشرا إليها فى ختام الحديث السابق :

فأما آيات النبوة فلها تتجلى فى إنبائه ﷺ أمته بفتح مصر ، وإنبائه أبا ذر رضى الله عنه ، بأنه سيرى رجلين يختصمان فى شبر من أرضها ، وأمره حينئذ أن يخرج منها خشية أن تمتد ثورته ، فتكون فتنة . وقد تحق ذلك كله ورآه أبو ذر وغيره رأى العين . وذلك لا بتصور البتة إلا بوحى من العلم الخبير عز وجل . وما أشبه بما أنزل على النبي ﷺ فى أمر الروم ، من أنهم سيغلبون فى بضع سنين ، بعد أن غلبوا فى أدنى الأرض ، ولا يفرق بين الوحيين إلا أن ذاك وحى غير متلو وهذا وحى وقرآن يتلى .

وقد صدق الله نبيه ، وأرى أمته ما أنبأهم به فى عهد أمير المؤمنين عمر ، على يد الصحابي الهمام ، والقائد المقدام عمرو ، عليهما رضوان الله عز وجل .

وأما البشارة العظيمة فإنها تنجلي في هذا الإنباء بالغيب إذ يعد النبي ﷺ صحابته وأمته بهذا الفتح ... ونخطئ خطأ عظيماً ، في حق النبي صلى الله عليه وسلم إذا قصرنا البشارة على المسلمين وحدهم ، بل نخطئ خطأ عظيماً في حق التاريخ نفسه ، فإنها وإيم الحق بشارة عامة للمسلمين والقبط ، من سعد منهم بالإسلام ومن لم يسعد به .

فأما الذين سعدوا بالإسلام وآمنوا وكانوا يتقون ، فلمهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم .

وأما الذين لم يسعدوا بالإسلام فلمهم البشرى في الدنيا فقط ، إذ أنجاهم الله على أيدي الهداة المعادين ، الذين وعدمهم الله ليستخلفهم في الأرض ، من أولئك الطغاة الجائرين ، الذين فرقهم أحزاباً وشيعاً ، وساموهم سوء المذاب ، من أكاسرة العجم ، وقياصرة الروم ، ونوابهم في مصر .

كانت مصر قبل الفتح الإسلامي في طريق الهلاك والدمار ، لا ينجها منه شيء ، فأعلاها مهرجان لمسابقات اللصوص ، وقطاع الطريق ، والغزاة من بلاد النوبة والبدو ، وأسفلها ميدان للشغب وملتقى للفتن والثورات من كل فج . ولاهم لحكامها إلا جمع المال لخزائن الملوك ومن إليهم ...

وكانت إذا انتقلت من حكم الفرس إلى حكم الروم فكأنما رفع عنها التعذيب بالسياط ليحل بها تعذيب آخر من لسع المقارب ، على حد تعبير « بتلر » الإنجليزي ، صاحب « فتح العرب لمصر » .

هذا إلى إكراه في دينهم ومذاهبهم ، وتحويلهم - مرغوين - إلى نحل يكرهونها أشد الكره ، ومذاهب يبعضونها أشد البغض ، في ظلل من التشكيل والتعذيب والعسف .

فلما جاء نصر الله والفتح ، أقدم الله من هذا البلاء العظيم والجور ، ومنعمهم الإسلام الذي لا إكراه فيه ، بظله وجواره ، في نظام كريم من الأمن يكفل حرية الحياة والملك والعقيدة والثروة ، مما لا يمكن أن يحلوا به في غير الإسلام وجواره ..

واقعد أسلم كثير من أولئك المعجبين بالإسلام وفضائله ممثلة في المسلمين الصادقين ،
 إسلاماً حقاً لاتفاق فيه ، ولا تقية معه ، وإلا فماذا كان يمنهم أن يظلموا على مسيحتهم ،
 وليس هناك من يكرمهم على تركها ولو كان إمام المسلمين نفسه ؟ وليس لهم مقام في ترك
 المسيحية إلى الإسلام بعد أن علم الكافة — فيما قدمنا في الأحاديث السابقة — أن عبء
 الجزية المقدرة على الذميين ، أيسر من عبء الزكاة المفروضة على المسلمين ، بل من ذا الذي
 يجبرهم على الإسلام ، ونبي الإسلام يوصي بأهل الذمة عامة وبالقبط منهم خاصة — خيراً
 وحسناً ؛ لأن لهم فوق الذمة والعهد رحماً أمر الله بها أن توصل ، وصهرها أمر الله به أن
 يحمل ويكرم ١٩ وهو صلوات الله وسلامه عليه أوصل الناس للرحم وإن قطعت ، وأحفظ
 الناس للبصاهرة وإن بعدت ، ولا يرضى عن أمته إلا أن يكون لهم فيه أسوة حسنة ١٩ .

ألا إن الفتوحات الإسلامية وإن حادت في القليل النادر عن طريقها المستقيم ، خيرٌ
 مقاماً وأحسن وداً وعهداً ، من الفتوحات الأخرى ، وإن ترامت في القليل النادر أنها أوسع
 حرية ، وأعظم مدنية ، وما هي إلا السم الناقع ، والداء العضال ...

بهذا شهد المنصفون من المؤرخين والباحثين من غير المسلمين ، وعالمهم عولنا فيما كتبنا
 من موازنة بين الفريقين ، والله يقول الحق ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم •

طه محمد الساكت

• من أهم مراجعتنا في هذا الحديث بمد الصحيحين وشروحهما :

- ١ — حسن المحاضرة للسيوطي .
- ٢ — الرسالة الخفية للدكتور عبد الرحمن هزام .
- ٣ — فتح المصرب لمصر للدكتور بنظر ترجمة الاستاذ محمد فريد أبو حديد .

فريضة الزكاة

حديث لفضية الاستاذ الاكبر

السنة الثانية من الهجرة النبوية كانت حافلة بجسام الحوادث ، وعظام الامور التي تعد بحق مفاخر للإسلام والمسلمين : أمور في التشريع العام ، وإنشاء مهام الاحكام ، وأمر ترجع إلى تكوين الدولة ، وسلامة الأمة ، وحياتها وحفظها من بني المعتدين عليها .

ففي هذه السنة الثانية من الهجرة كان كفاح ونضال بين طوائف الشرك والدعاة إلى الحق ، بين أهل الكفر وأهل الإيمان ، بين أحزاب الشيطان وحزب الرحمن .

وفي هذه السنة الثانية من الهجرة كانت فريضة الصيام ، صيام رمضان الذي هو الركن الرابع من أركان الإسلام .

وفي هذه السنة أيضاً فرضت الزكاة على الاغنياء القادرين ، حفاً للفقراء المعوزين .

وشريعة الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة ، فليست هي — كما يظن بعض الناس — صدقة تفضل يتمدح بها الاغنياء ويتعالون بها على الفقراء والمساكين ، وليست تبرعاً ومنحة يمن بها القادرون على المحتاجين ، وإنما هي حق لازم ، وفرض حتم على القادرين عليها ، لا يقوم الإسلام بدونها ، كما لا يقوم بدون الصلاة التي هي فرق بين المؤمنين والكافرين .

وقد راعى الإسلام في الزكاة مصلحة أصحاب الاموال ومصلحة الفقراء البائسين ، فلم يفرضها على الاغنياء كل يوم أو كل جمعة أو كل شهر ، حتى يرهقهم بحملها ، أو يشق عليهم في التكليف بها .

ولم يقصر وجوبها على مرة واحدة في العمر كما هو الحال في فريضة الحج ، فنهمل بذلك — إلى حد كبير — مصلحة الفقراء وتسوء حالهم ، بضعف ما يموذ عليهم من زكاة ضئيلة هزيلة ، بل توسط في الامر بين الجانبين ، وقصد تحقيق المصلحتين ، وجعل الزكاة فريضة مرة واحدة

في كل عام ؛ فإنه في كل عام تجدد لأصحاب الاموال منافعها ، وتظهر أرباحها ، ويكون تاج الماشية ، ونضج الزروع والثمار .

ثم لم يفرض الإسلام في الزكاة قدراً كبيراً يحقق بأصحاب الاموال ، ولم يجعله قدراً ضعيفاً تافهاً ، لا يقوم بأرد الفقراء ، ولا يسد خلة المحتاجين ، وإنما وقف بأصحاب الاموال والفقراء في حدود الاعتدال ، ففرض القدر الصالح الذي ينفع الفقراء ويرفع من شأنهم ، ولا يؤذى الأغنياء أو يشق عليهم أو يلغى جانب كدهم وكدهم وما يبذلون من جهود في استثمار أموالهم .

راعى الإسلام جانب العدالة في القدر الذي أوجبه من الزكاة ، فجعله عشر المال أو نصف العشر أو ربعه - يختلف الأمر في ذلك ويتنوع حسب اختلاف المال وتنوعه ، وعلى حسب طريقة استثماره وسهولة ذلك وصعوبته ، فأوجب العشر كاملاً في الزروع والثمار التي لا يتحمل صاحبها في سبيل ربحها وسقيها نفقات ولا يتكبد مشقات ، وأوجب فيها نصف العشر إذا كان لا بد له في سقيها من العمل والإنفاق ، وأوجب ربع العشر لحسب في أموال التجارة التي لا يحصل صاحبها منها على الربح والفائدة إلا إذا عمل فيها وكد ، وكافح وجالد ، وصابر وسافر ، وإلا إذا بذل - على الجملة - من الجهد فوق ما يبذل عادة في استنبات الزرع واستثمار الشجر .

وأوجب كذلك ربع العشر على مالك نصاب معين من الذهب أو الفضة ، ولو عظمها عن التداول ، وأهل العمل فيهما للاسترباح والانتفاع بما يكون منهما من ثمرات .

ويجوز مجرأهما في هذا الحكم ما هو متداول من ورق النقد .

راعى الإسلام المصلحة والعدالة الكاملة فيما أوجبه من هذه المقادير ، كما راعى المصلحة وكال العدالة فيما فرضه من الزكاة على أصحاب الماشية ، بما يسهل الرجوع - لمعرفة تفصيلاته - إلى السنة النبوية الصحيحة التي بينت آيات القرآن حق البيان .

هذا ، ولا نظن أحداً - ممن يدينون بالإسلام أو تكون لهم معرفة صحيحة بمبادئه القيمة - يجهل حكمة الزكاة ، أو يحاول الحفّض من شأنها والخط من قيمتها أو الزاوية بأهلها والمتفعين بها ، فإن نظام الزكاة في الإسلام هو خير نظام تعاوني ، وأعدل منهج اشتراكي ، وأكمل تشريع في باب الضمان الاجتماعي .

ونحن إذا عرضنا هنا للكشف عن بعض أسرار الزكاة وحكمة شرعها فإنما ذلك للتذكير بهذا التشريع العظيم ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم : « وذكروا أن الذكرى ترفع المؤمنين » .

فالزكاة تطهير وتزكية للنفوس من رذيلة البخل ، ونخلص لها من موبقات الشح ، وتعويد على السباحة والسخاء وبذل العون في أوقات الشدة والحاجة ، وتمرين للإنسان على حب المجتمع والعمل له ، والسعى في تحقيق الخير لأفراد وجماعته .

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » .

والزكاة تطهير وتزكية ونماء للبال ، فإنها إذا كانت - في الظاهر وأول الأمر - موجبة نقصان المال بصرف جزء منه للفقراء المحتاجين ، فإن الله قد كتب لأصحابها البركة والحفظ وسلامة المال من الآفات والنوازل ، وضمن له زيادته ونماؤه ومضاعفة الخير فيه ، على تقيض ما كتبه على المرابين الذين يغنون زيادة أموالهم من طريق الجشع والحرص المذموم واستغلال حاجة المحتاجين ، ومدانة الناس بما يتقاضونه منهم كاملا مع الزيادة عليه ، فإن ذلك كسب خبيث ، قلت فيه الزيادة أو كثرت ، وآية ذلك كله من القرآن الكريم قول الله تعالى : « وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله » ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » .

إن المزكى يكسب بركانه خيرا كثيرا ، وينال بها ربها عظيما ، يكسب بها رضاء الله وثوابه بما أسدى إلى المجتمع من معونة ، ويكسب بها هداية الله وتوفيقه إياه ، فتفتح أمامه وجوه الرخ الطيب ، وتيسر له سبيل الرزق الحلال . ثم يموذ عليه المجتمع - نظير ما أسدى إليه من معونة - بمعونة مثلها أو أعظم منها ، لا يلقاه أحد بمقصد ، ولا يناله أذى من أحد ، بل يحبونه لأن يكبر ماله ، ويظم بربه ويزداد خيره ، ويعينونه بكل ما يملكون من جهود وآراء صالحة ، على حفظ ماله وتمحيته واستثماره ، فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسره اليسرى ، « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » .

هذا الحكم مقرر في مختلف الأديان ، مكتوب في القرآن ، وهو الذى عليه الناس

في هذه الحياة : أفرادهم وجماعاتهم ، حتى ليرعاه الأشرار الفجار الذين يعيشون على النهب والسلب ، وعلى السرقات وأنواع الاحتيالات ، وعلى السطو والعدوان على الناس في أنفسهم وأموالهم ، فكثيراً ما حمت الزكاة وأعمال البر أصحابها ، ودفعت عنهم أيدي عصابات كانت تمصدم بالشر والأذى : تنكشف هذه العصابات ، وتلتوى عن سوء قصدتها عند ما تعلم أو يعلم بعض أفرادها أن من قصدوه بالسوء هو رجل بر وخير يدفع الناس بماله ، ويمنحهم من بره وخيره ، وإذا لا يكون من الرجولة ولا من حسن المروءة أن يقتلوه أو يؤذوه أو يرزموه في أهل أو مال .

هذا هو حكم الناس وتقديرهم - خيارهم وأشرارهم - لمن يكرم غيره ببره وعونه فما الذي ينتقيه الإنسان في هذه الحياة وراء أن يكون هادئ النفس ، ناعم البال ، مرموقاً - أيما كان - بعين التوقير وحسن التقدير ، واجداً دائماً من يحفظه وبكرمه ويصدق عنه ، ثم يعينه ويوفر أسباب الراحة له ويعمل على إيصال كل خير إليه ؟

وما الذي يرجوه من الحياة الآخرة غير أن يلقى ربه راضياً عنه ، - حقاً به ، - مسبقاً عليه من فضله ومثوبته مع الأبرار الأخيار ، من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

نسأل الله الهداية والتوفيق للعمل على ما يصلح به ديننا ودنيانا وما تكون به عزة أوطاننا . إنه سبحانه ولي التوفيق لا يضيع أجر العاملين المحسنين .
عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

في ظلال الغنى

لست أدري ولا المروءة تدري	ما غناء الغنى إذا عاد ذلاً
يجمع المال غيرنا فيبارى	ساربات الربع جوداً وبذلاً
غير أنا نثرى لنشقى ، ونمسى	في ظلال الغنى على الناس كلا
أى فضل - قل لي - لثر بخيل	ما على الناس منه أثقل ظلاً

محمد النجمي

زواج المسلم بالكتانية

- ٢ -

رأى الزيدية :

وقال صاحب الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير من فتهاه الزيدية ص ٣٤٤ - ٤ :
 روى على جواز تزوج المسلم باليهودية والنصرانية ، وروى أيضا عن عمر بن الخطاب
 وعن جابر بن عبد الله والزهرى . وأن نهى عمر لحذيفة حين تزوج اليهودية إنما كان على
 طريق التنزيه والكرامة بدليل أن حذيفة كتب إليه أحرام هي ؟ قال : لا . فلم يطلقها حين
 أمره عمر بمفارقتها . وأما الصحيح من مذهب الإمام زيد بن علي وأخيه الباقر والصادق هو
 ما يدل عليه الحديث من جواز نكاح المسلم الكتانية من اليهود والنصارى ، وإليه ذهب
 الحنفية والشافعية ، واختاره الإمام يحيى ، واحتج له السيد الحافظ ، وأجمع عليه الصدر الأول ،
 والدليل على ذلك آية المائدة وهي آخر ما نزل من القرآن كما اتفق على ذلك العلماء .

وذهب بعض الزيدية إلى القول بتحريم الكتانيات والمشركات لقوله تعالى :
 « ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن ، وقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » وحمل
 آية المائدة على حل المحصنات من أهل الكتاب بعد الإسلام لأنهم كانوا يتألفون من نكاحهن
 وأجاب الإمام المهدي بأن آية المائدة نص في التحليل وهو يدل على تحريم سابق ،
 ولو كان المراد بها منع الآفة من نكاح الكتانية بعد الإسلام لكفى قوله تعالى
 « والمحصنات من المؤمنات » لعمومه في كل من آمن ، ولم يبق لعطف الكتانيات فائدة .
 وما ذهب إليه ابن عمر مما يفيد أن آية البقرة ناسخة لآية المائدة فرواية ضعيفة ، يبعدها
 أن المتأخر لا يفسخ بالمتقدم ، على أن بعضهم حمل هذه الرواية عنه على أنه أراد بالكتانيات
 الحريات اهـ

وهذا يظهر أن الصحيح من رأى الزيدية جواز نكاح الكتانيات ، كما هو رأى غيرهم
 من أئمة المذاهب الأربعة والظاهرية . وقد حكوا إجماع أهل الصدر الأول عليه .

تفسير الألوسى للآيات الثلاث .

١ — قال العلامة الألوسى فى تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة : « ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن » : « إن الآية محمولة عند أكثر أهل العلم على من عدا الكتانيات ، وروى عن قتادة أنهن مشركات العرب اللاتى ليس لهن كتاب ، وعن عمار قال : سألت إبراهيم عن تزوج اليهودية والنصرانية فقال : لا بأس به ، قلت : أليس الله تعالى يقول : « ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن » ؟ فقال : إنما تلك المجوسيات وأهل الأوثان .

وروى عن ابن عمر حرمة نكاح الكتانيات لأنهن يقلن مقالة المشركين ، وإلى هذا ذهب الإمامية وبعض الزيدية وجعلوا هذه الآية ناسخة لآية المائدة نسخ العام للخاص . ولكن الذى عليه عمل أهل العلم أن آية المائدة هى الناسخة لهذه الآية ، كما أخرجه أبو داود عن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى « ولا تتكحوا المشركات » : نسخ من ذلك نكاح نساء أهل الكتاب ، أحلن للمسلمين وحرمت للمسلمات على رجالهن . ومثله عن الحسن ومجاهد وهو مذهب الحنفية .

وذهب الشافعية إلى أن آية المائدة مخصصة لا ناسخة . ومبنى الخلاف أن قصر العام على بعض أفراده بكلام مستقل تخصيص عند الشافعية ، ونسخ عند الحنفية ، والنتيجة واحدة فى الحكم .

٢ — وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة المائدة : اليوم أحل لكم الطيبات الخ ، : روى عن ابن عباس أن المراد من المحصنات من الذين أوتوا الكتاب الذميات غير الحرييات . وذهب الإمامية إلى حرمة نكاح الكتانيات على الدوام تمسكا بآية البقرة السابقة ، وآية الممتحنة وهى قوله تعالى « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » وتأولوا آية المائدة بحملها على الكتانيات بعد إسلامهن . ولا يخفى أن هذا خلاف الظاهر .

ودعوى نسخ هذه الآية بآية البقرة والممتحنة احتجاجا بما رواه الجارود عن أبي جعفر لا تصح من طريق السنة .

٣ — وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة الممتحنة : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن . فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لاهن حل لهن ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تتكحوهن

إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وأسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم .

كان صلح الحديبية بين النبي ﷺ وأهل مكة المشركين يقضى بأن من أتى النبي من قريش رده إليهم وإن كان مسلماً ومن جاء قريشاً من عند النبي لا يردونه عليه ، فلم يأت النبي أحد من الرجال إلا رده في مدة العهد وإن كان مسلماً ومنهم أبو جندل بن سبيل ، ثم جاء المؤمنات مهاجرات إلى النبي ومنهن أم كلثوم بنت عقبة بن معيط ، وكانت أول المهاجرات ، فخرج أخوها حتى قدما على النبي ، فكلما في ردها إلى قريش ، فلم يردها ، ونزلت الآية مقررة لفعله عليه السلام وهو عدم الرد ، أو ناسخة لما جاء في الصلح من عموم الشرط بالنسبة للرجال والنساء ، فقصر على الرجال وحدهم دون المؤمنات المهاجرات ، كما رجحه الجصاص في تفسير سورة الممتحنة .

ودلت الآية على النهي عن إرجاعهن إلى الكفار بمكة بعد أن علم إيمانهن ، وأن هجرتهن إنما كانت رغبة في الإيمان والإسلام ، وأنهن بهذه الهجرة محرمات على أزواجهن المشركين بمكة ، لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وحلال للمسلمين أن يتزوجوهن إذا أعطين مهرهن . ثم قال تعالى خطاباً للؤمنين : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » فنهاهم عن أن يكون بينهم وبين زوجاتهم المشركات الباقيات في دار الحرب وهي مكة علاقة من علق الزوجية أصلاً حتى لا تمتنع إحداهن نكاح خامسة أو نكاح أختها في العدة . وهذا بناء على أن الكوافر من النساء جمع كافرة .

وقال ابن عباس في تفسيرها : من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها عنه .

وقال إبراهيم النخعي ومجاهد وسعيد بن جبير : إن الآية نزلت في المرأة المسلمة تلحق بالمشركين فلا يمسك زوجها بعصمتها قد يرى منها ما .

وعلى كل هذه الروايات لا يكون في الآية دليل على حرمة نكاح الكفائيات ، بل هي خاصة بالمشركات الباقيات في دار الحرب ، أو بالمسلة التي كفرت بلحقها بالمشركين بدار الحرب .

وقال الجصاص في تفسير آية الممتحنة ص ٤٣٨ جزء ٣ : إن في هذه الآية ضرباً من

الدلالة على أنواع الفرقة باختلاف الدارين بين الزوجين ، وذلك بأن يكون أحد الزوجين من أهل دار الحرب والآخر من أهل دار الإسلام ، فإن المهاجرة إلى دار الإسلام قد صارت من أهل دار الإسلام وزوجها باق على كفره من أهل دار الحرب ، فقد اختلفت بهما الداران ، وحكم الله بوقوع الفرقة بينهما ، ونهانا بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، أن نمنع من تزويجها لأجل زوجها الحربى . وهذا بناء على أن المراد من الكوافر الرجال لأنه في ذكر المهاجرات .

ومع أن هذا المراد غير ظاهر فليس في الآية شبه دلالة على حرمة تزوج المسلم بالكتانية ، والاستدلال بها على ذلك بعيد كل البعد عن سياقها ومعناها .

مذهب الإمامية :

جاء في كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام بعد أن ذكر الاتفاق على عدم جواز نكاح غير الكتانية : أن القائلين بعدم جواز نكاح الكتانية من اليهود والنصارى مطلقاً استدلوا أولاً بآية البقرة التي علق فيها النهى على الغاية التي هي الإيمان . فكان الإيمان شرطاً في النكاح وكذلك تعقيب النهى بقوله « أولئك يدعون إلى النار » يقتضى كونه علة للنعى مطلقاً ، وهذا المعنى مطرد في جميع أقسام الكفر ، ولا اختصاص له بالشرك . وبأن اليهود والنصارى من المشركين لقول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله .

واستدلوا ثانياً بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، والمراد بها نهى المؤمنين عن القيام على نكاح الكافرات لانقطاع العصمة بينهم .

وروى عن أبي جعفر في تفسيرها : من كانت عنده امرأة كافرة على غير ملة الإسلام وهو على ملة الإسلام ، فليمرض عليها الإسلام ، فإن قبلت فهي امرأته ، وإلا فهو برىء منها .

وأن آية المسائدة مفسوخة بإحدى الآيتين . والتحقيق جواز نكاح الكتانيات مطلقاً بدليل آية المسائدة ، وهي كما اشتهر بحكمة لم تفسخ بناسخ . وقال رسول الله : إن سورة المسائدة آخر القرآن نزولاً ، فأحلوا حلالها ، وحرموا حرامها .

وعن على كان القرآن يفسخ بعضه بعضا وإنما يؤخذ من رسول الله بآخره ، وكان من آخر ما نزل سورة المائدة التي نسخت ما قبلها ولم يفسخها شيء .

وقد نهى المسلمون أولا عن نكاح أهل الكتاب من اليهود والنصارى ثم نسخ بآية المائدة . والخلاصة أن آية المائدة هي النسخة ، وذلك هو الموافق للنصوص المستفيضة والمتوافرة الدالة على جواز نكاح الكنانيات منطوقا ومفهوما كصحيح ابن وهب وغيره . ومن ذلك يظهر أن مختار المصنف وغيره في التفصيل في غاية الضعف ، وكذلك سائر الأقوال ما عدا ما تقرر أنه التحقيق .

هذا رأى الإمامية في جواز نكاح الكنانيات .

ومن كل ما سبق يعلم أن رأى فقهاء الإسلام الذى عليه المعول عند سائر الفرق جواز نكاح الكنانيات ، وأن رأى ابن عمرو ومن تبعه في هذه المسألة لم يعول عليه ، ولم يؤيده الدليل ، وأن التحقيق عند الإمامية مخالف له وموافق للجمهور ؟

مصنف محمد خالوف

(يتبع)

حب الاعرابى للبادية

قيل لاعرابى :

كيف تصنع فى البادية إذا اشتد القيظ ، وانتعل كل شئ ظله ؟

فقال : — ومثل الديش إلا ذاك ؟ يمشى أحدا ميلا فيرفض عرقا ، ثم ينصب حصاه ، ويلقى عليها كساءه ، ويجلس في فيه يكتال الريح فكأنه فى إيران كسرى ...

فقيه أديب

نعم هو فقيه من أعلام الفقهاء ، وأديب بين الأدباء ، وقل أن يجتمع الفقه والأدب لعالم من العلماء ، لأن الصناعات تزاحم وتدافع كما قال العلامة ابن خلدون ، فمن حصل على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فنل أن يجيد ملكة علم آخر على نسبته ، بل يكون مقصراً إن طلبه إلا في الأقل النادر من الأحوال .

رفعه عليه من الطبقة الدنيا إلى طبقات القادة والسادة ، وسما به فقه إلى أعلى المراتب ، وبلغ به أعلى المنازل ، وأجلسه مجالس الخلفاء ، وجعل منه مستشاراً دقيقاً لأعظم دولة في عصره ، وقاضياً لقضيتها جميعاً ، وأنزله ورعه وشجاعته في الحق والحق منزلة الناصح لخليفة المسلمين ، بل منزلة الواعظ الزاجر الذي يذكره بحقوق الرعية ، وينذره عاقبة التفريط فيها والغفلة عنها .

شهر بالفقه فأخذ مكانه في جماعة الفقهاء ، وخلت من ذكره تراجم الأدباء ، وكان خليقاً أن يكون في طليعهم ، ولعل ذلك لأن علم الفقه أشرف العلوم ، والشهرة به كانت أجل وأثر إلى نفوس العلماء والعامة من الشهرة بغيره لهذا العهد ، لذلك عفا الزمن على آثاره الأدبية ، ولم يبق إلا تنقيس سيرة من أدبه ، وبعض من كتبه يكفي للدلالة على مكانه من الأدب . وإذا أردت أن تعرف بعد ذلك من هو ؟ فاعلم أنه أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة

نشأ أبو يوسف من أسرة ذات نسب عريق ، لجده الأعلى سعد بن حبة الانصارى أحد صحابة رسول الله ، وعن أبي في بعض المواقع النبوية - إلا أنها كانت فقيرة لا تجد ما تقيم به أودها ، فكانت أبعد الناس عن العلم والإقبال عليه ، لولا كلمة سبقت من ربك بالحظ لأحد أبنائها فكان ذلك الحظ يفسره على المجد قسراً ، ويدفعه إلى الخير دفعا .

حدث أبو يوسف عن نفسه فقال : « توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمي ، فأسلتني إلى قصار أخدمه ، فكانت أفر منه وأختلف إلى حلقة أبي حنيفة ، فكانت أمي تجيء إلى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي إلى القصار ، وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصى على التعلم ، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي

قالت لأبي حنيفة : « ما لهذا الصبي فساد غيرك ! هذا صبي يقيم لا شيء له ، وإنما أطعمه من مغزلى وآمل أن يكسب دنانقاً يمود به على نفسه ، فقال لها أبو حنيفة : يا رعاها هو ذا سيتعلم أكل الفلودج بدهن الفستق ! فأنصرفت عنه وقالت له : أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ، ثم لزمته فنفعتني الله تعالى بالعلم ، ورفعتني حتى تقلدت القضاء وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته ، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون الرشيد فالودجة ، فقال لى : يا يعقوب ، كل منها فليس فى كل يوم يعمل لنا مثلاً . فقلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه فالودجة بدهن الفستق . فضحكت . فقال لى : مم تضحك ؟ فقلت : خيراً ؛ أبى الله أمير المؤمنين . قال : لتخبرنى . وألح على . فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها ، فتهجّب من ذلك وقال : لعمرى إن العلم لينفع ديناً ودنيا وترحم على أبى حنيفة وقال : كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه .

ذلك حديث أبى يوسف عن نفسه وإنه ليلخص تاريخه ويحلو حياته ، ويكفيها عن التطويل فى الترجمة له لتصرف إلى الحديث عن فقهه وأدبه .

أما فقهه فيمكن أن يقال فيه إنه أحد المبرزين من أصحاب أبى حنيفة ، وأفقّه أهل عصره ، وأرل من وضع الكتب على مذهبه ، وأملى المسائل ونشرها فى أقطار الأرض ، وولى القضاء لثلاثة من الخلفاء هم : المهدي والهادي والرشيد ، وأول من دعى قاضى القضاء ومع أنه كان حافظاً للحديث ، إلا أنه كان ذا ملكة فقهية عجيبة لا تقف عند النصوص ، بل تستلهمها الرأى الرشيد والحكم السديد ، وكان اعتماده على الرأى واعتداده به يفزع منه بعض العلماء . قال محمد بن جرير الطبرى : « وتحمى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأى وتفريعه الفروع والأحكام مع صحبة السلطان وتقلده القضاء » .

وقد استمكن له ملكة الفقه العلمى كما استمكن فيه ملكة الفقه القضائى . قال له الرشيد يوماً : بلغنى أنك تقول : إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم ؛ متصنعة . قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : وكيف ذلك . قال : لأن من صح ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه ، ومن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم تقبله ، وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين أظهروا السر وأبطنوا غيره . فقبم الرشيد وقال : صدقت . وفقه أبى يوسف وأقواله وآراؤه وما اختلف فيه مع إمامه أبى حنيفة متفرقة فى كتب فقه أبى حنيفة ، وقد اختلف معه فى مسائل كثيرة ، وله كتاب خاص هو من أجل الكتب

في موضوعه ، وهو كتاب (الخراج) الذي يعتبره العلماء دستوراً إسلامياً جامعاً في مسائل الاموال الإسلامية وما عليها من خراج وعشر وجزية وغير ذلك .

هذا أبو يوسف الفقيه . أما أبو يوسف الأديب فحسبنا للدلالة على أدبه أن نعرض بعضاً من نتفه الأدبية التي توزعتها كتب التراجم ، ونقتبس بعض فقرات من كتابه إلى هارون الرشيد وهو مقدمة كتاب (الخراج) ، فما أثر عنه أنه قال : حجة من لا يخشى العار عار يوم القيامة . وقال : رؤوس النعم ثلاثة : أولها : نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها ، والثانية : نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها ، والثالثة : نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها . وقال : العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرر .

ومما جاء في مقدمة كتاب الخراج الذي بحث به إلى الرشيد قوله : « يا أمير المؤمنين إن الله — وله الحمد — قد قللك أمراً عظيماً ، ثوابه أعظم الثواب ، وعقابه أشد العقاب ، قللك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيك تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله وانتمك عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم ، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعانته عليه ، فلا تضيقن ما قللك الله من أمر هذه الأمة والرعية ، فإن القوة في العمل بإذن الله . . . »

أقم الحق فيما رلاك الله وقللك ولو ساعة من نهار ، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته ، ولا تفرغ فتزيع رعيته وإياك والأمر بالهوى والاختد بالغضب وكن من خشية الله على حذر ، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد ، ولا تخف في الله لومة لائم واعمل لأجل مفضوض ، وسبيل مملوك ، وطريق مأحوذ ، وعمل محفوظ ومنهل مورود . . . فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل الممتدين ، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنزلهم وجور الراعي هلاك للرعية ؛ واستماتته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة . . . وإذا صح عندك من الدامل والوالى تعد بظلم أو عسف وخيانة لك في رعيته واحتجاز شيء من الشيء أو خبث طعمته أو سوء سيره لحرام عليك أن تشركه في شيء من أمرك ، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمثل ما تعرض له ، وإن أسأل الله يا أمير المؤمنين الذي

من عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يكلك في شيء من أمرك إلى نفسك ، وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبائه ،

ذلك أبو يوسف الأديب ، وقد بلغ بفقظه وأدبه أقصى ما يطمع فيه فقيه وأديب من رياسة وجاه وغنى ، وقد أدى حق الرياسة وحق الجاه وحق المال فلم يجر في قضاء ، ولم ييخل بمال . قال محمد بن سماعة : سمعت أبا يوسف في العام الذي مات فيه يقول : اللهم إنك تعلم أني لم أجري في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدًا ، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وكل ما أشكل على جملة أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندي والله من يعرف أمرك ، ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه . وقد أوصى عند موته بمائة ألف لاهل مكة ، ومائة ألف لاهل المدينة ، ومائة ألف لاهل الكوفة ، ومائة ألف لاهل بغداد .

وقد أنجب أبو يوسف ابنا كان له من أبيه حظ كبير ، فكان فقيها عالما ، وولى القضاء في حياته ، فلما توفي أبو يوسف قال الخربجي الشاعر :

يا ناعي الفقه إلى أهله إن مات يعقوب ولا تدوى
لم يمت الفقه ولكنه حول من صدر إلى صدر
ألفاه يعقوب إلى يوسف فزال من صلب إلى ظهر
فهو مقيم فإذا ماتوى وحل حل الفقه في قبر

وأبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبة الانصارى . ولد ببغداد سنة ١١٣ هـ وتوفي بها سنة ١٨٢ هـ . قال معروف الكوفي الصوفي المشهور : رأيت البارحة كأنى دخلت الجنة فرأيت قصرا قد فرشت بجالسه ، وأرخت ستوره ، وقام ولدائه . فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا : ليعقوب بن إبراهيم الانصارى أبى يوسف ، فقلت : يا سبحان الله !! ثم استحق هذا من الله تعالى ؟ فقالوا : بتعليمه الناس وصبره على أذاهم ؟

أبو الرضا المرافعى

لغويات

أحرى بك أن تصلح نفسك من أن تبحث عن عيوب غيرك

يرد في عبارات المصريين هذا الأسلوب . وفي كتاب ديواني من دار الكتب المصرية في شأن نشر الكتب فيها وطبعها : « وخير للدار ألا تنشر شيئاً من أن تنشر كتاباً لا تقف على النسخ الموجودة منه في المكاتب المختلفة في العالم الشرقي والغربي » .

والأسلوب يستوقف النحوي ويجاني صناعة الإعراب . ذلك أن المتبادر في أمره أن اسم التفضيل خبر مقدم ، والمصدر المؤثر مبتدأ مؤخر ، والجار (من) مع مجروره متعلق باسم التفضيل . وموطن الريبة أن فيه الفصل بين العامل - وهو اسم التفضيل - ومعموله - وهو الجار والمجرور - بغير معمول العامل ، وهو المبتدأ ، وذلك تحظه صناعة الإعراب ؛ إذ تنكر الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي أي غير معمول للعامل .

ولكن الأسلوب - مع هذا - ورد في فصيح الكلام ، فوجب اعتناؤه وقبوله . وللعرب أن تقول ، وعلى النحويين أن يهربوا ، وأن يخرجوا على قواعدهم ما تيسر لهم التخريج . فقد روى أبو زيد الأنصاري المتوفى سنة ٥٢١هـ ، في نوادره ص ٢١ لزهير ابن مسعود الضبي :

نغير نحن عند الناس منكم إذا الداعي المئوب قال يالا المئوب : المستصرخ والمستغيث . وقوله : قال يال أي يالبي فلان ، خذف المستغاث . وقوله : عند الناس يروى بدله : عند البأس . والقاري يرى البيت كالمثال الذي هو موضوع البحث سواء .

وقد أحسن النحاة إشكال البيت فنوا بتخريجه . ويقول البغدادي في الخزانة في شواهد المفعول المطلق بعد إيراده : « قد تكلم الناس على إعرابه قديماً وحديثاً ؛ لا سيما أبو علي الفارسي ، فإنه تكلم عليه في أكثر كتبه . قال في التذكرة القصرية : سألت عن هذا البيت ابن الخطاط والمعمري فلم يجيبا إلا بعد مدة » .

والبيت - ومثله ما كان على شاكلته - تبدو فيه الوجوه الآتية :

الاول أن يكون «خير» خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن خير ، و «نحن» المفلوظ بها تأكيد للضمير المستتر في «خير» . وهذا خلاف المتبادر .

والثاني أن يكون «خير» مبتدأ ، و «نحن» فاعلا له سد مسد الخبر ، وقد وقع الوصف مبتدأ مكثفيا برفوعه عن الخبر مع عدم اعتياده على تقى أو استفهام ، وهذا يجزه الاخفش والكوفيون . ولكن بغض من هذا الوجه أن فيه رفع اسم التفضيل للظاهر في غير مسألة الكحل - يراد بالظاهر غير الضمير المستتر - وهذا إنما يكون في النادر من الكلام . وقد ذكر سيويه في الكتاب ١ / ٢٢٩ وما بعدها مسألة من مسائل التفضيل وهي : مررت برجل خير منك أبوه ، فذكر أن الوجه رفع «خير» على أنه خبر مقدم و «أبوه» مبتدأ مؤخر . ثم ذكر أن يونس زعم أن ناسا من العرب يحرون «خير» على أنه نعت سبى ، وعلى هذا يكون «أبوه» مرفوعا بالتفضيل في غير مسألة الكحل . ولكن سيويه يرى الجر غير الوجه ، وكأنه لا يستثبته وإن رواه يونس ، وانظر التعبير عن روايته بالزعم . ويجعل النحويون رفع التفضيل للظاهر في غير النقي من نادر الكلام .

والوجه الثالث أن يكون «خير» خبرا مقدما ، والمصدر المؤول مبتدأ مؤخرا ؛ كما هو المتبادر . وهذا الوجه - كما سبق لك - فيه الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبى والاعذر في هذا أن المبتدأ وإن لم يكن معمولا للخبر هو منه بسبب قريب ، فكأنه ليس بالاجنبى . ويقرب هذا أن بعض النحويين يرون أن المبتدأ والخبر مترافعان ، وقد ركب الزحشرى متن هذا المذهب ، ولم يبال الفصل بين الخبر ومعموله بالمبتدأ . وذلك في قوله تعالى في سورة مريم : «قال أراغب أنت عن آلهتى» ، لحمل الوصف خبرا مقدما و «أنت» مبتدأ مؤخرا ؛ رقة فصل بين «راغب» ومعموله : «عن آلهتى» . وللخروج من هذا يجعل بعض النحويين حتما الوصف مبتدأ ، و «أنت» فاعلا له سد مسد الخبر . وقد تبع البيضاوى الزحشرى في الإعراب ، فقال الشهاب الحماحى في كتابته عليه : «خالف أبا البقاء وإن مالك ممن جعل «أنت» فاعل الصفة لأعما- ما على حرف الاستفهام لئلا يلزم الفصل بين (أراغب) ومعموله وهو «عن آلهتى» بأجنبى وهو المبتدأ لأنه غير معمول له ، أو يحتاج إلى تقدير عامل آخر له ، وهو خلاف الاصل ؛ لأنه قيل عليه : إن المبتدأ ليس أجنبيا من كل وجه ؛

لأسماء والمفصول ظرف متوسع فيه ، والمقدم في نية التأخير ، والبالغ يلتفت لفت المعنى بعد أن كان لما يرتكبه وجه مساع ، وهذا الأسلوب قريب من ترجيح الاستحسان على القياس لقوة أثره ، والوجه الأخير أقرب الثلاثة وأجودها بالقبول .

عاطر النساء

يقع هذا التعبير كثيراً ، وكثيراً ما يقع في الرسائل الإخوانية : أهدي إليك عاطر التحية . وفي مجلة مجمع اللغة العربية ٢٩٤/٧ : « فطالما سمعت عاطر التناء على فضلك وعلمك ، ويراد بذلك طيب التحية وطيب التناء . وعاطر في هذا وصف من العطر ، وهو ما يتطلب به كالمسك وغيره ، وتزى فيه تمثيلاً للمعقول بالمحسوس ، كأن التحية ضمنت بالطيب فصارت طيبة الفشر . ومن استعماله في المحسوس قول الرصافي في غلام حائك :

قالوا وقد أكثروا في حبه عدلى لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
علقت به حبي الثغر عاطره حلو اللحن سحر الأجفان والمقل
جذلان يلعب بالمحواك أنمله على السدى لعب الأيام بالأجل

وقد وقع إنكار لاستعمال عاطر في معنى طيب الريح ، وأوجبوا أن يقال في ذلك العطر ، فأما العاطر فهو محب العطر ، وقد كان حجة هؤلاء ما في القاموس فقد اقتصر على هذا المعنى للعاطر . والافتصار على بعض المعاجم كثيراً ما يكون سبباً لتخطئة أساليب صحيحة ، ولو رجع هؤلاء إلى اللسان لما تبادوا في إنكارهم ، فقيه : « ورجل عاطر وعطر ومعطير ومعطار ، وامرأة عطرة ومعطير ومعطرة : يتعهدان أنفسهما بالطيب ويسكنثران منه ، ثم قال : « ابن الأعرابي رجل عاطر وجمعه عطر وهو المحب للطيب ، و « عاطر ، يبدو أنه صيغة نسب وليس وصفاً من الفعل عطر ، إذ الوصف منه عطر كفرح من فرح ويقل في فعل أن يأتي الوصف منه على فاعل كسالم من سلم ، فعاطر : منسوب إلى العطر ، وذلك بأن يكون محباً له ، أو متطياً به .

وإذا كان عاطر معناه المنسوب إلى العطر فهل يقال : تحية عاطرة ؟ المشهور في هذا أن يجرّد وصف المأثوث من التناء كما يقال امرأة مرضع وحائض على تحريجهما على النسب وذلك لأن الوصف حينئذ ليس جارياً على الفعل فلم يؤث . وقد أورد الزعزري في الأساس (وري) قول الأختل :

والمطمعين إذا هبت شامية تزجي الجهام سديف المربع الوارى

وفسر المربع بالنافة الى لقحت أول الربيع ، وأجاز في « الوارى » - وهو السمين - ثلاثة أوجه ، الأول أن يكون وصفا للسديف ، وهو قطع السنام ، فيكون منصوبا ، وتكون الفتحة مقدرة للورى ، والثاني أن يكون كذلك وصفا للسنام ، وهو في موضع جر على الجوار للربيع ، والثالث أن يكون وصفا للربيع على النسب أى ذات الورى وهو السمين . ولم يقل : الوارية نظرا لكونه صيغة نسب . وعلى ذلك يقال : تحية عاطر لا عاطرة . وقد ظهر لى أن الواجب أن يقال : تحية عاطرة على حد قوله تعالى : « فهو في عيشة راضية ، ففى بعض الوجوه أن « راضية » معناها ذات رضا ، على النسب ، ومع ذلك جاء فيها التأنيث . ومن ذلك قول الشاعر :

لقد حيل الأيتام طعنة نائره أناشر لا زالت يمينك آشره
فآشرة أى ذات أشر وهو الشق ، وذلك أن يقع الشق عليها ، ولا يرد أن يقع الشق منها ، فإنه يدعو عليه ، ولا يدعو له ، فترى أنها صيغة نسب ، وقد قرنت بالناء . وإنما يجرى من الناء إذا غلب الوصف فى المؤنث كرضع وحاض . وانظر الخصائص (طبعة الدار) ١ / ١٥٢

« الورى »

الورى : الخلق . ويبدو من شعرذى الرمة الآتى اختصاصه بالإناس . ويكثر فى وصف الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيقال : خير الورى وأفضل الورى . ويقول ابن مالك فى ديباجة لامية الأفعال :

الحمد لله لا أبنى به بدلا حمدا يبلغ من رضوانه الأمل
ثم الصلاة على خير الورى وعلى ساداتنا آله وصحبه الفضلا
وعهدنا بالورى واردا فى الإثبات كالنقى على السواء . ولكنى وقفت فى اللسان على أنه لا يكون (لا فى أسلوب النقي والحمد . وهاك عبارته فى ترجمة (ورى) : « الورى : الخلق . تقول العرب : ما أدرى أى لورى هو ، أى أى الخلق هو قال ذو الرمة :
وكأن ذمرنا من مهة ورايح بلاد الورى ليست له يلا

قال ابن برى : قال ابن جنى : لا يستعمل الورى إلا فى التنى . وإنما سوغ لذى الرمة استعماله واجبا لانه فى المعنى منقى ؛ كآيه قال : ليست بلاد الورى له يبلاد ، والمهاة البقرة الوحشية ، والرايح : الثور الوحشى ، سمي بذلك لمكان قرنيه فكأنهما ربحان له .

ولم أقف على مكان هذا الحكم فيما وقفت عليه من كتب ابن جنى ، وقد بحثت عن مصدره فى ذلك فبدا لى أنه قد يكون كلام ابن السكيت فى إصلاح المنطق ، وإذا كان كذلك ساغ لنا بعد التأمل أن نعدل عنه ، ولا نرى رأيه . وذلك أن ابن السكيت عقد بابا لما لا يتكلم به إلا مع الجسد ، ثم عقد بابا ^(١) ذكر فيه العبارات التى تقال فى معنى : ما أدرى أى الخلق هو فقال : يقال : ما أدرى أى الناس هو ، وما أدرى أى الورى هو ، وما أدرى أى الطمش هو إلى آخر الباب . وكان بعض اللغويين يفهمون من هذا اختصاص هذه الكلمات بالنفى ، حتى إن الأزهرى قال فى الطمش : « وقد يستعمل غير منى الاول ، قال رؤبة :

وما نجا من حشرها المحشوش وحش ولا طمش من الطموش

وكأنه يريد التعقيب على كلام ابن السكيت ، وابن السكيت لا يريد الاختصاص بالنفى ، فقد ذكر فى عبارات الباب ما أدرى أى الأنام هو ، ولا يخطر بذهن أحد أن الأنام مختص بالنفى ، وفى التنزيل العزيز : « والأرض وضعها للأنام » . وكذلك ذكر ابن السكيت فى عبارات الباب ما أدرى أى غابط الليل هو ، ولا يجرى بخلد أحد أن غابط الليل لا يكون فى الإثبات . فنحن فى سعة إذا أن نخالف ابن جنى ومن لف لقه ، وأن نعتمد صحة ما جرى فى استعماله فى الواجب . وما جاء من ذلك فى الشعر القديم قول شاعر بنى حنيفة فى مسيلة الكذاب :

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

ويرد الشطر الثانى كثيرا فى الكتب فى الكلام على اختصاص الرحمن بالله سبحانه ، وقد ذكره الزمخشري فى مفتاح الكشاف .

محمد على النجار

المثالية الواقعية

في الفكرة الدينية

مثالية ... وواقعية :

من المصطلحات التي شاع تداولها في هذا العصر ، كلمة « المثالية » ، وكلمة « الواقعية » ، فإذا دعوت إلى صورة من صور الخلق النبل ، قيل لك : هذه مثالية ... وإذا دعوت إلى الأديان وإلى فضائل الأديان ، قيل لك : كن واقعياً ... فما هي المثالية ؟ وما هي الواقعية ؟

أسئلة يجيب أن تقرر إجاباتها في وضوح ، حتى لا يبقه شابنا بين زيف الألفاظ وشقشقتها . حقيقة المثالية :

ونحن نرد على السؤال بالسؤال ، فإن الحرب اليوم تقول : إن أحسن طرائق الدفاع هي الهجوم .

لذلك تسأل : ما منع المثالية أن تكون واقعية ؟؟ ولم لا يكون المثل الأعلى واقعياً ، ولم لا يكون الواقع القائم مثالياً ؟؟

ومن الذي حتم أن تكون المثالية والواقعية كلتین متقابلتين متضادتين ؟؟ وهل تندك الأرض وتطبق السماء إذا جعلنا المقابل للواقع ، هو الخيال - فنقول : خيالية وواقعية ، بدلا من أن تقول مثالية وواقعية ؟؟

وهل يجوز أن تطلى على العقول مؤامرات الشياطين من الإنس والجن التي تريد أن تزيج الخير والفضيلة من الوجود ، فهي لا تفتأ تحاول أن تقنع أصحاب العقول بأن لا مكان للخير والفضيلة في العالم .. من ناحية الواقع !!

مثالية الدين :

وإذا صح أن هناك مثالية تقابل الواقعية ، فبهات أن تكون هذه المثالية مثالية الدين . ذلك أن صانع الدين هو صانع الإنسان وصانع الدنيا ، فمن المستحيل أن يتضارب دين الله مع الناس ومع دنيا الناس ، فأقم وجهك للدين حنيفاً ... فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، !!

وكل من يدين الله ، يقر له بالكمال والقدرة والعلم والوحدانية . ومن التناقض المعيب بعد هذا الإيمان ، أن ينكص المرء فيعود ليقول : إن مثالية الدين لا تصلح لواقع العصر ، لأن مؤدى هذا طعن فيما ينبغي لصاحب الدين من كمال تغلوه أفعاله من أى نقص ، وقدرة يبرأ بها صنعه من المعجز ، وعلم يكفل الإحاطة الشاملة بواقع عصرنا ، وواقع ما قبل عصرنا وما بعد عصرنا ؟؟

لم يبق إلا أن يكون الإله الذى صاغ الدين ، غير الإله الذى خلق الدنيا وخلق الناس ، ومن وصلت عقيدته إلى مثل هذه الزلزلة وهذا التخطئ والتخليط فعليه أن يرجع أدراجه ، ليستروح نسائم الإيمان من أول الطريق !

واقعية الدين ... فى وسائطه :

إن مثالية الدين واقعية فى كل شيء ...

هى واقعية حين تختار الحكمة الإلهية « وسطاً حياً » عن طريقه يمر الوحي من السماء إلى الأرض ... إن هذا الوسط « إنسان » له كل خواص البشرية ، وإن هذا الوسط يستوعب الوحي فلا يخزم منه حرفاً ، ويبلغه فلا يتقول فى ذلك الأقاويل ، ويكون صورة مجسمة لهديه وأحكامه ، تسمى بين الناس فى الأرض كتاباً منشوراً من الأخلاق والأقوال والأعمال ، يقرأه من لا يعرف القراءة ، ويأخذ عنه من لا ينطق بلفظه ولسانه ...

« قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى أنما إله واحد . »

هذه النبوة ... هى أصدق مثال لواقعية الدين .

إن الله لا يخاطب كل إنسان عن طريق مباشر ، لأن هذا أمر ليس فى طاقة كل إنسان . فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقاً .

وإن الله لا يرسل ملكاً ، لأن الملك لا يتوافق بطبيعته الملائكية مع الطبيعة البشرية . وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون .

« ولو جعلناه ملكاً — لجعلناه رجلاً ، وللبسنا عليهم ما يلبسون ، ١١١ »

« وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبئث الله بشراً رسولا ، ٢٢ »

« قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا . »

لكن الله يرسل بشراً ، يختاره ويختيه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصنمه على عينه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه ، ثم يبعثه في الناس فيكون وسطاً بشرياً للوحى الإلهى ، هو من الناس وإليهم ، وهو يعيش بين ظهرانيهم ، به يأنسون ، وإليه يطمثون ، وعنه يتلقون ...

« وقالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فنفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالهلال والملائكة قبلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأ .

قل سبحانه ربى ، هل كنت إلا بشراً رسولا ، ٩٩٩٩

« وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سيلاً »

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة - أنصبرون ، وكان ربك بصيراً . وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم ، وعتوا عتوا كبيراً .

وقد يقال هنا : إن الناس أنفسهم كانوا يطلبون من مقام النبوة طبيعة غير بشرية ، أفلا تكون إجابتهم لطلبهم مراعاة لواقع حالهم ، وإبطالا لحججهم ؟؟
والجواب هنا ... لا

إن الواقعية هنا هي ما اقتضته الحكمة الإلهية في الطبيعة البشرية ، أما هذه المطالب الشاذة فهي ليست طبيعية بالنسبة لعموم البشر ، ولعموم الزمن .

لربما بهرت هذه التناويل أعين البعض ، ولكنها ليست المستوى المعتدل الوسيط الذى يلتقى عليه الناس كلهم ، ولربما استرخت جيلاً يحس ويشاهد ، ولكن ما ذنب باقى الأجيال ؟؟

بل إن هؤلاء الشاذين سوف يكونون كذلك بالنسبة لآى وضع . ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ، فقضيتهم

ليست قضية الحجة والدليل بأى حال ، قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون . فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً . وهذه النبوة قد يصاحبها كتاب ...

وهذا الكتاب وسيط واقعى ، يسجل فيه التخطيط الرئيسى لأصول الدين ومعاله . ولقد كان هذا الكتاب فى الأديان واقعياً ، إذ كان متطوراً ، لكل أجل كتاب ، يحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .

وكان الاعتماد الرئيسى على الكتاب الحكيم آخر رسالات الله وأكملها ، حين فضحت البشرية وأصبحت مستعدة للتلقى عن الكتاب ، وللتجريد العقل فى الفهم عن الكتاب ، لجاء الإسلام خاتم الأديان ومعه الكتاب الخالد والمعجزة الخالدة ، إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

يقول أحد المعاصرين : « إن حكمة الله اقتضت ألا تكون الخوارق دعامة لنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وبرهاناً على صحة رسالته وصدق دعوته التى جاءت بأسلوب جديد ، هو أسلوب لفت النظر إلى الكون وما فيه من آيات باهرة ، والبرهنة بها على وجود الله وقدرته الشاملة ، ووحدته واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة والانجاء ، وبطلان الشرك والوثنية وسائر العقائد والتقاليد المتناقضة مع هذا الأصل الثقى البسيط ، ثم أسلوب غاطية العقل والقلب فى الحث على الفضائل والتفكير من الرذائل ، وإثبات قدرة الله على الحياة الأخرى وفكرة الحق والعدل فيها ، وعلى اعتبار أن الدعوة التى تقوم على تقرير وجود الله واستحقاقه وحده للعبودية واتصافه بجميع صفات الكمال ، وعلى التزام الفضائل واجتناب الفواحش هى فى غنى عن معجزات خارقة للعادة لا تتصل بها بالذات . »

« وفى هذا ما فيه من وضوح مزية الرسالة المحمدية ، وترشيحها للخلود والتعميم ، وآيات الأنبياء السابقين الخارقة حادثات وقعت وانقضت ، ولكن أسلوب الدعوة القرآنية هذا الذى اختلف كل الاختلاف عن أسلوب الكتب المنزلة على بعض أولئك الأنبياء ، هو أسلوب خالد حتى قوى فى كل زمان ومكان ببرايمته ودلائله وحيويته ونفوذه وفصاحته ومقبوليته ومنطقه وسموه ، ولذلك كان وظل معجزة النبوة الخالدة الكبرى من هذه النواحي (١) . »

(١) سيرة الرسول محمد هزة دروزة - طبعة التجارية - ١٠ ص ٢٢٦ . وهذا لا ينفى طبعا وقوع معجزات حسية متهمة فى منزلة تالية لمنزلة القرآن كمعجزة . راجع للصدر نفسه ص ٢٢٦ - ٢٣٢ .

هذا الكتاب نفسه (١) - وهو وسيط واقعي - تناول الحقائق الأساسية في دين الله بأسلوب هو معجز لأنه من عند الله ، وهو معجز لأنه ملائم للبشر في كل زمان ومكان .

فهو مزيج متجانس من اللفظ والمعنى ، من العلم والفن ، من التشريع والتربية ...

لا يتناول التقريرات والنصوص والأحكام الشرعية والنواميس الكونية والاجتماعية تناولاً جافاً يضيق به غير المتخصصين ... ولا يرضى سذاجة العامة بنوع من المعزوفات اللفظية التي تستغرق منهم جانب الوله العاطفي ، وتدع الواحد منهم يترافق في نشوته بغير معالم محددة وأصول واضحة ... بغير ثقافة أساسية وشريعة بينة ...

وهو لا يجمع بين الجانبين كما يجتمع الزيت والماء ، يطفو أحدهما على الآخر ولا يختلطان ، فيضحي كتاب الله عضين ، منه جانب للعامة وآخر للخاصة ، ومنه قسم للعاش وآخر للعاد ، ومنه باب للشرعية وآخر للحقيقة ، بل إنه محبوك الاطراف ، متصل الحلقات أعلاه شمر ، وأسفله مغدق . ومن شاء البيان للثال ، فليراجع آية الدين في آخر البقرة ، ويرى كيف تعاقبت نصوص التشريع مع روحانية التزينة ...

ثم من شاء البيان للثال ، فليستمع إلى خطيب يخطب ، والمستمعون بين فاهم وغير فاهم ومتجاوب وغير متجاوب ، حتى إذا قرع الاسماع بآية من كتاب الله إذا بالجمع ينتفض انتفاضة الوعي ... على اختلاف الدرجات ١١١ ، وإنه لكتاب عزيز .

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر .

إن الفكرة الدينية واقعية من حيث الشكل الذي اتخذته للوصول إلى الناس ...

النبوة ، والكتاب ، ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وهي واقعية كذلك من حيث الموضوع ، أي من حيث أصولها وقواعدها وتفصيل هذا يحتاج إلى غير هذا المقال .

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

(١) تقصد هنا القرآن ، لأنه هو الكتاب الرباني المنطوق بصحته سنداً ومقتناً ، جمة وتفصيلاً .

من نقحات إقبال

شاعر الاسلام الاكبر

لقد جرى العرف الباكستاني الحديث على وصف الشاعر إقبال بوصفين هما : « شاعر الإسلام ، وملهم الباكستان ، ؛ والوصفان صادقان كل الصدق في صاحبهما ، وهو بهما جدير كل الجدارة ؛ فقد عاش إقبال للإسلام ، بدرسه ويتقنى به ، ويدعو إليه في شعر قوى عميق ، وفلسفة دقيقة مثيرة ، وإيمان ثابت وطيد .

وكان إقبال ملهم الباكستان ، لأنه أول من نادى بفكرتها ، وصرح بالدعوة إليها ، في وقت كان التفكير في ذلك الأمر يعد ضرباً من ضروب الخيال البعيدة ، وفي وقت كانت جميع العوامل الظاهرة تدعو إلى الابتعاد عن ذلك التفكير ؛ ولكن الشعراء الانتقياء الأصحاء هم الناس ، وهم الذين يرون ما لا يراه سواهم ؛ ولقد كان إقبال يرى بعين الخيال وطناً مؤمناً ، ينهض في شبه القارة ، فيكون أملاً للإسلام والمسلمين .

على أنه من حق إقبال ، أو من واجب القارئ بتخليده وتمجيده ، ألا يجعلوه ملهم الباكستان لحسب ؛ فإنه ملهم للبسلم أينما كان ، لأنه عاش يردد قوى الهتاف وعذب النغم حول معالم الإسلام ، وسنة محمد ، وأجداد المسلمين .

وإذا كان اختلاف لغة إقبال عن لغات كثير من المسلمين سبباً في الحيلولة بينهم وبين منافع إقبال الفياضة ، فمن الواجب على المشتغلين بشأن إقبال أن يتعجلوا نقل الآثار الإقبالية كلها إلى لغات العالم الإسلامي الذائعة ، وفي طليعتها اللغة العربية ، لغة القرآن المجيد ، ولغة محمد عليه الصلاة والسلام .

ويوم يتم نقل آثار إقبال إلى لغات المسلمين سيكون ملهماً لمؤلاء المسلمين جميعاً ، لا للباكستان الشقيقة وحدها ؛ وأظن أن هذا مما تسره الباكستانيون وتفرح له ؛ وإن هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون . .

وقد يزيد هذا المعنى الإسلامي تأكيداً أن إقبالاً - عليه الرحمة - طعم أول ما طعم من مائدة المسلم الأساسية المشتركة بين عباد الله المؤمنين جميعاً ، وهي مائدة القرآن الكريم ؛ فقد حدث إقبال عن نفسه بأن الفضل فيما أنشأه من شعر ونثر يعود إلى القرآن ...

كان إقبال قد تعود أن يقرأ القرآن بعد صلاة الصبح ، وكلما رآه والده يقرأ سأله : ماذا تصنع يا إقبال ؟ فيجيب : أقرأ القرآن ... ومرت ثلاث سنوات والقراءة تتكرر من الولد ، والسؤال يتكرر من الوالد ، والجواب هو نفس الجواب .

وذات صباح قال إقبال لآبيه : ولكن لماذا تدألى عن شيء أنت بجوابه عليم ؟ فأجاب والد إقبال : « إنما أردت أن أقول لك : اقرأ القرآن كأنه نزل عليك ، .

يقول إقبال : « ومنذ ذلك اليوم بدأت أفهم القرآن وأقبل عليه ، فكان من أنواره ما اقتبست ، ومن بحره ما نظمت . »

ولعل هذه المائدة القرآنية الربانية العجيبة ، الحافلة بالطعوم والآكال ، المثيرة للعقل والوجدان والخيال ، المذهبة بقلب المؤمن في كل مجال سماوى وأفق علوى ، هي التي أوجدت في نفس إقبال تلك المهمة البعيدة التي لا تقف عند حد ، ولا تقنع في باب الكمالات بغاية . وقد ترجم إقبال عن تساميه الموصول ترجمة قوية أجراها على لسان الشاعر في حوار له مع الجور العين ؛ فيقول :

ماذا أقول وفطرقى	لا ترتضى دعة النازل
قلبي على فلق ، كما	تهفو الصبا حول الخائل
فاذا نظرت إلى جميل	رائع ، حلو الشمائل
خفق الفؤاد إلى الذى	يعلوه حسناً فى المحافل
فن الشرار ، إلى النجوم	إلى الشمس ، رقى آمل
إنى ليهلكنى القرار ، فما	أعوج على المراحل
وإذا ثمرت من الريح	الكأس تسمى فى المفاصل
أشدو بشعر آخر	وريمى الآنى أغازل
طلبي النهاية فى الذى	لا ينتهى فيه المسائل
لا صابر نظرى ، ولا	قلبي عن الآمال غافل !

ولو أن إقبالا اقتصر في ثقافته على البيئة الشرقية لظن الغافلون بأرائه الظنون ؛ ولقالوا عنه : إنه صورة لمجتمع الشرق الرجعي المحافظ ، ونموذج لمواطنيه الهاثمين خلف عتيق الخيالات والتصورات ؛ ولكن شاعر الإسلام تنقل وارتحل ، ودرس في الغرب كما درس في الشرق ، ونال ثقافات ودرجات من إنجلترا وألمانيا وسويسرا ، ثم عاد إلى شبه القارة ، وهو أكثر إيمانا بربه ، وأوثق يقينا بدينه ، وأشد صلابة في روحه الإسلامي ، وأبعد همة في التبشير بتعاليم محمد عليه الصلاة والسلام ، ويدلنا على هذا الإيمان عند إقبال أن أحد زملائه في جامعة كمبردج سأله :

لماذا بعث الله الأنبياء ومؤسسي الأديان من آسيا ، ولم يبعث أحدا منهم من أوروبا ؟
فأجابه إقبال ساخرا :

لأن العالم مقسم بين الله والشیطان ، ولما كانت آسيا نصيب الله كانت أوروبا من نصيب الشيطان !... فقال قائل : قد عرفنا رسل الله ، فأين رسل الشيطان ؟ فأجابه إقبال :
رسل الشيطان هم زعماء سياسة الخداع والمكر في أوروبا !...
ولعل إقبالا قد زاد رأيه في الغرب أيضا حين يقول :

أهدت الشام إلى الغرب نيبا هو عف ، وموايس ، وصور
ومن الغرب إلى الشام هدايا من قار ، ونساء ، وخمور !

* * *

ليس غريبا بعد هذا على إقبال ، كما أنه ليس غريبا علينا أن يعلق شاعر الإسلام أكبر أملة على المسلم في إصلاح العالم وإشاعة الحق ومجاهدة الباطل ؛ ولذلك نراه في شعره يكرر الحديث عن ذلك المسلم ، واصفا إياه بصفات البطولة والمجد ، ولم أر شاعرا يتصور للمسلم صورة مثالية عالية ، كذلك الصورة التي يرسمها إقبال للمسلم في مواضع كثيرة من شعره .
إنه يصور المسلم حينما كأنه ماء في رفته ، وحديد في شدته ، يهزأ بالصعاب ، ويعلو على التراب ، ويسرى مع الأفلاك ، ويمجى مع الأملاك .

يتسم المسلم في سله عن رقة الماء ولين الحرير
وتبصر الفولاذ في عزمه إذا دعا الحرب ونادى النفير
يمشى على الأشواك والثا ————— روالسيف، ويمضى ساخرًا بالعذاب
فهو ترابي ، ولكنه حر ، طليق من قيود التراب
المسلم الصادق في عزمه ————— ينزع الأقار تاج الفلك
لا يجعل المصفور صيداً له لكنه يرقى لصيد الملك

وما هو ذا يتحدث عن المؤمنين ، فيراه في تصرفاته الحكيمة وكنائنه القويمة دليلاً
على الخالق ، وبرهانا على الوهية البديع الخبير ؛ ففيه طهارة وقوة ورحمة ، وفيه سمو واستعلاء ،
وفيه عدالة ووفاء ، وإذا ما جاءت أوقات السكينة والرحمة ، تفجر قلب المؤمن بالحنان
والسلام ، فكأنه الندى يداعب الأكام ، وإذا ما أقبلت ساعات البأس ولحظات الصدام ،
كان الطوفان الجارف أو السيف الصمصام .

إن للمؤمن العجيب الشان كل حين جديد شان وآن
هو في قوله السيد وفي الفعل على الله واضح البرهان
فيه قدسية ، إلى جبروت ومن القهر فيه ، والنفران
إن تؤلف هذى العناصر كان المسلم المستعلى على الحدثان
هو ترب سما يجاور جبريل ويأبى الحلول في الاوطان
لست تدري بسره ، فقرأ قارئاً وهو صورة القرآن
فيه عزم ، على القضاء دليل وهو في العالمين كالميزان
هو برد الندى بقلب شقيق ويقلب البحار كالطوفان
ليله والنهار لحن حياة في انسجام كسورة الرحمن !

ويتحدث إقبال عن المؤمنين ، فيراه يصفهم بالتوكل الصادق العازم المقدم : « ومن
يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً . » وهم لا يعرفون
الخوف ولا يعرفهم ، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . » ولو مر الضيف
الفقير من هؤلاء المؤمنين على أطنى الطغاة وأجبر البشر لما خاف أو فزع ، بل لقال كلمة
الحق لا يخشى فيها لومة لائم ، وما كان ذلك إلا لأنهم يتقون بالله ، ويرجون به ، ويسألونه
ولا يسألون أحدا سواه .

وترى المؤمن من المؤمنين في مواطن الهول ومواقف الفزع ، فإذا هو كالجليل رزينة
وثباتا ، ولا عجب فإنه من كلة قنعوا ورضوا فصاروا أغنياء ، وهو لذلك يدعو المسلمين
إلى ترك الحزن ، ويحرضهم على فقر الاستغناء ، لأن أعراض الحياة وملذاتها ليست غرض
الآحرار ، ولكنها قيود العبيد . . . يقول إقبال من قصيد طويل :

المؤمنون على عنا	ية ربهم يتوكلون
لا خوف يفزعهم ، ولا	هم في الحوادث يحزنون
لو مر أضعفهم على	فرعون يحمز الرءوسا
لأراك في الإفصاح ها	رونا ، وفي الإيمان موسى
إني رأيت الخوف في الـ	دنيا عدواً للعمل
هو مطلق نور الرجاء	، وسالب كنز الآمل
...
المؤمن الوئاب تعـ	صمة من الهول السكينة
والخائف الهباب يفرق	وهو في ظل السفينة ا

وهكذا لا نكون مغالين حين نقرر أن إقبالا قد عاش وهمه أن يرسم الصورة الكاملة
للشخصية المسلمة المؤمنة ؛ ولعله قد نجح في ذلك نجاحا بعيدا ، ولعل من أسباب نجاحه أنه كان
في نفسه مسلما مؤمنا ، وأنه كان يقول ويعمل ؛ وأقرب مثال على صدق إقبال أنه كان
يتحدث عن شجاعة المؤمن وترحيبه بالموت ، فيقول :

لا أرى مؤمنا يخالجه الخوف إذا أقبل القضاء عليه
يتلقى الردى بصبر جميل وابتسام الرضى على شفته

ولما حانت ساعة الامتحان لإقبال ، وهى ساعة الموت ، ظهر لنا صدقه فيما قال ، فقد
استقبل الموت وكأنه عروس تزف إليه على هوى وتشوق ، وجعل يقول عن إيمان و يقين :
إننى لا أهرب الموت ولا أخشى الردى ، إننى مسلم أستقبل المنية راضيا مسرورا . . .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

أزمة الثقافة في مصر^(٥)

تحتاج مصر الآن أزمة ثقافية .

هذه حقيقة يلسها كل من ينظر نظرة متفحصة لمستوى المتعلمين الفكري . وليس طبعيا أن نتخذ غير المتعلمين مقياساً للمستوى الثقافي في الأمة ، فليس المثقفون هنا هم أولئك الذين يجيدون القراءة والكتابة أو من يمكن أن نسميهم غير الامينين ، ولكن هم أولئك الذين نالوا مقادير صالحة من شتى صنوف المعرفة .

ما هي الثقافة ؟

هي — بكل إيجاز — مشاركة الكائن الحي في كل جوانب الحياة من حوله .
مشاركة في الحياة العلمية ، العملية منها والنظرية ، مشاركة يفيد فيها الإنسان أوانا من الخبرات .

ومشاركة في الحياة السياسية يتصل فيها الكائن اتصالا قويا بالتيارات السياسية العالمية ، وبالمذاهب السياسية المضطربة التي تسود العالم .

ومشاركة في المعتقدات ، يحدد فيها الكائن موقفه الروحي حيث يراول نشاطه الوجداني مزاوله تسكفل له حياة متوازنة في صميم تكوينه ، متوازنة مع نشاط الآخرين ومعتقداتهم .
ومشاركة في الحياة الأخلاقية يتصل فيها الكائن بالقيم العامة لملوك الفرد والجماعة ، ويحدد من خلالها علاقته بالآخرين .

ومشاركة في الحياة الفنية يصيب فيها الكائن مدركة واسعة بالتيارات الفنية والأدبية لا في أمة بعينها بل في العالم أجمع .

(٥) هذا المقال موجه لـ الأستاذ محمد خليفة بمناسبة مقالته من الركون الثقافي .

لها مشاركة في كل شيء . وليس يهمننا موقف الشخص من تلك الجوانب المتعددة للحياة أى نزعة يمثل ، ولكن الذى تتطلبه فيه — كما يكون شخصا مثقفا — هو أن يكون له دائما موقف ما من هذه الجوانب .

ما هي مصادر الثقافة ؟

الثقافة بما هي خبرة بجوانب الحياة تأتي عادة من مصدرين : الخبرة العملية ، والمعرفة التحصيلية . والخبرة العملية تحصل نتيجة احتكاك أو اصطدام وتفاعل بين الكائن وبين جوانب الحياة المختلفة ، وهي معركة كل إنسان ، ولكن أحسن النتائج التي يمكن أن تسفر عنها هذه المعركة هي تلك التي تحصل في حالة ازدواج الخبرة ، أى اشتراك المعرفة التحصيلية مع المعرفة الأخرى الناتجة عن الخبرة العملية .

أما المعرفة التحصيلية فهي المعرفة التي يحنى فيها الإنسان ثمار تجارب الآخرين . ولا ينكر أحد ما لتجارب الآخرين من فضل على كل منا في تحديد مكانه الثقافي من المجتمع . ولعلنى لا أغلو إذا قلت إن أغلب معرفتنا معرفة تحصيلية ، والقليل من هذه المعرفة ما هو نتيجة لخبرتنا الشخصية .

فالحياة التي نحياها بين الناس في العالم مصدر من مصادر ثقافتنا .

والحياة التي نحياها من خلال تجارب الآخرين مصدر آخر من مصادر ثقافتنا .

ويمتزج هذان المصدران في نفس كل إنسان ، ويتفاعلان بحيث يخيّل إلى كل منا أن ثقافته كلها ملكه ومن عرق جيته . ومهما يكن أمر هذا الخيال فالذى لا شك فيه أن توافر الخبرات الناتجة عن هذين المصدرين يكفل للإنسان ثقافة ممتازة .

ونقول الآن . إن في مصر أزمة ثقافية .

ولا بد أن يكون لهذه الأزمة سبب .

ونستطيع بدأنا أن نرد هذه الأزمة إلى سببين ظاهرين :

السبب الأول هو عدم التكامل بين خبرة الأفراد العملية في الحياة ومعرفةهم التحصيلية ، فالأفراد عندنا - وهم أساس المجتمع - ينقسمون نوعين : نوعا تكوّن كل ثقافته تجارب عملية

ونوعاً كل ثقافته معرفة تحصيلية . وكلا النوعين مستقلاً لا يمكن أن يكون مصدراً كافياً للثقافة اللازمة لكل إنسان . فينبغي أن يتكامل هذان النوعان فتسكون للفرد الواحد مشاركته العملية في الحياة ، ومعرفة التحصيلية .

والسبب الثانى هو - فيما يبدو - عدم التوازن بين الفرد والمجتمع ، بين حياتنا الخاصة والحياة العامة . وينقسم الناس هنا فريقين : فريقاً يعيش أغلب ما يعيش حياته هو ولا تعنيه كثيراً حياة الآخرين ، وفريقاً يعيش طفلياً يعتمد على كتف هذا ، ويستند إلى ذراع ذاك ، فهو يأخذ أكثر مما يذل . وكلا الفريقين لا يعين على قيام ثقافة إنسانية عامة ، ولا يدمن التوازن بين واقع الأفراد وواقع المجتمع حتى تنجى ثمار هذه الثقافة .

وظنى أن هذين السببين الظاهرين لا يكفيان لتفسير ظاهرة الأزمة الثقافية ما لم نذكر السبب الأصيل - فى رأى - لهذه الأزمة . وأستطيع أن أدل على هذا السبب عندما أطلق هذا الحكم فى كثير من الاطمئنان فأقول :

إن أزمة الثقافة فى مصر أزمة أخلاقية قبل أن تكون أزمة ثقافية .

والسؤال المتوقع هنا لا محالة هو : وما علاقة الثقافة بالأخلاق ؟

إذا أخذنا الأخلاق على أنها معرفة بالواجب ، وشعور بالمسئولية ، وسلوك يوازى هذه المعرفة وهذا الشعور ، كانت الأخلاق ألزم ما يلزم لكل نهضة ثقافية . والمنحة الأخلاقية التى نجتازها الآن جاءت نتيجة لتجاهل الواجب ، وفقدانا للشعور بالمسئولية ، وكان السلوك المصاحب لذلك بطبيعة الحال لا يقيم وزناً لواجب ، ولا يصدر عن أى شعور بالمسئولية .

على هذا الأساس نستطيع أن نفهم السببين السابقين ؛ فعدم تكامل المعرفة والخبرة جاء نتيجة لفقدان الثقة ، ثقة الأفراد فيما يقدمه لهم الآخرون . وفقدانهم تقديرهم فى هؤلاء الآخرين راجع إليهم لأنهم هم أنفسهم لا يخلصون فيما يقدمون للآخرين من خبرات أو معارف . وبوم يفقد الناس بعضهم ثقته فى البعض الآخر يحدث الصدع الأخلاقى الذى يعنى كل فرد من المسئولية تجاه الآخرين . وقبلنا يقوم الإنسان بواجبه على أحسن وجه إذا هو أعنى من كل مسئولية . ومن هنا استطاع كل دجال أن يعد نفسه مثقفاً ، وأن يقدم ثقافة القشرية إلى الآخرين ، فيخدعهم بها عن نفسه ، ويخدعهم بها عن الحقيقة .

كم عدد الذين يكتبون ، ولكن ما أضيع الصدق والإخلاص فيما يكتبون !

كم عدد المقالات التي تقرأها كل يوم . ولكن ما أضيع الحقيقة بين هذه القشور !

وعلى هذا الأساس الأخلاقي نفسه نستطيع أن نفهم السبب الثاني الذي تقدم . فعدم التوازن بين الفرد والمجتمع مرجعه إلى أن الفرد إما مهم بنفسه وحدها ، يريد أن يوفر لها كل ما تشتهي وإن اصطدمت هذه الشهوة بحقوق الآخرين ، وإما غافل عن حقوقه بما هو إنسان له كياه ووجوده الذي ينبغي أن يكون كريما . وفي كلتا الحالتين يحدث الصدع الأخلاقي ؛ يحدث في الأولى نتيجة لفقدانه المسئولية إزاء الآخرين ، ويحدث في الثانية نتيجة لفقدانه إياها إزاء نفسه .

وهو في الحال الأولى : يحبس خبرته ومعرفته لنفسه وحدها ولا يتقدم بها إلى الآخرين الذين يشاركونه الحياة .

وهو في الثانية : يعيش على موائد الآخرين يهضم من خبرة هذا ، ويلوك من معرفة ذاك ، دون أن يبذل هو من جانبه الجهد الذي يحصل به لنفسه مثل هذه الخبرة وهذه المعرفة أو حتى ذلك الجهد الذي يهضم ويتمثل به ما اختطفه من موائد الآخرين .

وأمام هذا الصدع الأخلاقي لم يسكب بد من أن ينحط مستوى الثقافة في مصر الآن . ولن يكفل لنا نهضة ثقافية محترمة إلا أن يرأب هذا الصدع فيحدث التسكامل والتوازن بين الفرد والمجتمع .

عز الدين اسماعيل

عناية العرب بلغه شعرهم

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كموب قاته حتى يقيم ثقافته منادها
عدي بن الرقاع

غزوة أحد

- ٣ -

صيحة القتال :

كان أبو عامر الراهب الأوسى أول من أنشب الحرب بين المسلمين والمشركين ، وقد كان في المدينة ، فلما هاجر الرسول إليها حسده وكفر به وذمب إلى مكة يحرض قريشا على قتاله .

وفي غزوة أحد هذه اشترك مع قريش ومعه خمسة عشر رجلا من الأوس وكثير من عبيد أهل مكة ، وقد زعم لقريش أنه إذا نادى أهله من الأوس المسلمين الذين يحاربون في صفوف المسلمين استجابوا له وانضموا معه ضد المسلمين ، ولكن خاب ظنه : فإنه لما خرج من صفوف قريش ونادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر ١١ ...

أجابه الأوس المسلمون :

لا أنعم الله بك عينا يا فاسق ١١ ، فلما سمع ردم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدى شر . ثم ترمى الجيشان بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه يمحرون أذيال الحية والهزيمة وعلى أثر ذلك صاح حمزة عم النبي صيحة القتال « أمت أمت » .

وهكذا اشتبك الفريقان في القتال . وكانت نساء قريش يمشين خلال الصفوف يضربن بالدفوف والطبول وعلى رأسهن هند زوج أبي سفيان وينشدن الأناشيد المحرصة على القتال فكان يفلن :

ويهاً (١) بنى عبد الدار ويها حماة الأدبار
ضربا بكل بتر

اشتداد القتال :

اشتد القتال وأخذ المشركون يتساقطون صرعى : الواحد تلو الآخر ، وكانوا يهتزون

(١) ويها : كلمة إغراء وتحريض كما تقول هوئك يا فلان .

بلواتهم ، ويعتبرون حمله شرفاً والذود عنه غاية الجهاد ، وكان يحمل هذا اللواء طلحة بن عبد الدار فخرج بين الصفيين فقل :

يا أصحاب محمد زعمتم أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار أو أعجله بسيفي إلى الجنة . كذبتم واللات والعزى ، لو أنزلون ذلك حقاً لخرج إلى بعضكم ، فخرج إليه على بن أبي طالب ذلك البطل المارس فلقبه بسيفه فقتله ، وبذلك سقط حامل اللواء الأول ، ومنذ تلك اللحظة بدأت معركة مريرة حول هذا اللواء كانت تليقها الموت المحقق لكل من حدثته نفسه بحمله ، فقد قتابع عشرة من المشركين على حمله قتلوا جميعاً ، وكان منهم أولاد طلحة الأربعة وأخواه .

وهكذا سقط لواء المشركين على الأرض فلم يزل طريقاً لا يستطيع أحد أن يقدم على حمله لما راوه من حظ جميع حامليه من موت محقق ، حتى تقدمت عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعت لقريش فاستداروا حوله بأجسادهم عاراً وخزياً .

وهكذا عجل الله المشركين إلى النار بسيوف المسلمين .

وهذا - لاشك - من أهم العوامل التي أضعفت من روح قريش المعنوية ، وجعلت روح اليأس تدب في قلوب رجالها حتى ولى أكثرهم الأدبار فراراً بأرواحهم ،

نصر .. ولكن ١٩

بعد سقوط أصحاب اللواء جميعاً اشتدت الحال بالمشركين حتى اضطروا إلى الجلاء عن المعركة والانسحاب تاركين وراءهم ما يفوق الوصف من الغنائم ، فأكب المسلمون على هذه الغنائم يصيدون منها ما قصل إليه أيديهم . حرك ذلك المشهد مشاعر الرماة الذين أمروا ألا ييارحوا المرء بأي حال ، وناقت نفوسهم إلى مشاركة زملائهم في الغنائم ، فقال قائل منهم : « لم تقيمون هنا في غير شيء وقد هزم الله عدوكم ، وهؤلاء إخوانكم يفتهبون عسكرهم ، فادخلوا فاغنموا مع الماءين » .

فقال آخر : « ألم يقل لكم رسول الله لا تهرحوا مكانكم وإن رأيتمونا تقتل فلا تصرونا » .

فقال الأول : « لم يرد رسول الله أن يبق بعد أن أذل الله المشركين » .

ولم يستقروا على شيء ، فنصحه كبيرهم عبد الله بن جبير باتباع أوامر الرسول ، فلم يطمعه إلا نفر دون العشرة ، وانطلق الباقيون إلى مسرح الغنائم .

عاقبة مخالفة أوامر الرسول :

وهنا انتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة السانحة وكان يقود فرسان مكة ، فاخترق الممر وأقصى عبداً لله بن جبير وأصحابه القلائل ، كل ذلك والمسلمون عنه في غفلة وفي نشوة ، وصاح خالد حتى شعر القرشيون المنسحبون بالتطور المفاجيء الذي حدث ، فعدت إليهم روحهم وشجاعتهم وأصبحت رغبتهم في الثأر مزدوجة فانهالوا على المسلمين ضرباً وقتيلاً . أفاق المسلمون من غفلتهم ليقاتلوا من جديد ولكن بعد قوات الأوان ، بعد أن تبدل الأمر وأصبح الحال غير الحال .

لقد كانوا منذ قليل يقاتلون جنباً إلى جنب متضامنين متحدين ، وهم الآن يقاتلون متفرقين مبترئين ، وكانوا يقاتلون لله وفي سبيل الله ، وهم الساعة يقاتلون لأنفسهم وفي سبيل الظفر بالهجرة من مخاب الموت في أسوأ أوضاعه . وكانوا يقاتلون وقلوبهم مفعمة إيماناً و يقينا وثقة ، وهم الآن يقاتلون وقلوبهم مملوءة رعباً وندماً .

زاد الاضطراب واختلط الحابل بالنابل ، فأصبح المسلم يقتل أخاه المسلم ولا يكاد يعرفه من فرط الذعر وتحت تأثير المباحه .

وصاح صائح بالناس : إن محمداً قد قتل ! ، فازداد الأمر سوءاً ، وعمت الفوضى ، وعظمت المصيبة ، وصار الرعب مع الدهشة والندم ومع الاضطراب من أهم عوامل القتل النفسي في نفوس المسلمين .

ويقول الحافظ ابن حجر : إنهم صاروا ثلاث فرق .

١ - فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فارجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى :

« إن الذين تولوا منكم يوم النقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا .
ولقد عفا الله عنهم » .

٢ — وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي قد قتل ، فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه ، أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة .
٣ — وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ .

أما الطائفة الأولى فقد ذهبت إلى المدينة فلقبتهم أم أيمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فأغزل به أو لم سيفك (أى أعطى سيفك) .
أما الطائفة الثانية فقد تراجعت إلى النبي ﷺ والتفت حوله حينما عرفوا أنه حي ، ولأنه ﷺ كان يقول : إلى يا فلان إلى يا فلان ، أنا رسول الله .

أما الطائفة الثالثة فكان عددهم أربعة عشر رجلاً : سبعة من المهاجرين ، وسبعة من الأنصار .
وفي رواية أخرى أنه ثبت معه يومئذ ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهى دون وجهك ونفسى دون نفسك ، وعليك السلام غير مودع .

وتختلف الروايات فيمن ثبت معه عليه الصلاة والسلام ، ولا عجب فإن اختلافها لاخلاف الأحوال والحظات .
محمد جمال الدين محفوظ

المؤلفة قلوبهم في جنوب السودان

نوهنا في جزء شعبان من هذه السنة بالبرع الكريم الذى وصل إلى فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر بأربعين جنبها من السرى الوجه الحاج يوسف زيثل على رضا وبشرة جنهات من العالم الجليل الشيخ محمد نصيف وفى هذا الشهر أرسل حضرة الشيخ محمد نصيف إلى فضيلة الأستاذ الاكبر حوالة أخرى على البنك العربى بالقاهرة بقيمة خمسين جنبها تبرع بها حضرة السيد إبراهيم شاكر من أعيان جدة وتجارها . ثم وردت حوالة أخرى على البنك العربى أيضاً بقيمة عشرين جنبها من حضرة الشيخ محمد الطويل من أعيان جدة ، وقبل ذلك وصل إذن بريد من فاعل خير فى السودان بقيمة خمسمائة مليم . وبذلك صار مجموع ما تلقته مشيخة الازهر من التبرعات المشكورة مائة وعشرين جنبها وخمسمائة مليم . والمشيخة تدعو الله عز وجل أن يتولى جزامهم وبضاعفه لهم من رحمته وكرمه أضعافاً مضاعفة .

ابن أبي ذئب

عرف التاريخ الحفيظ لأفراد من هذه الأمة الكريمة صوراً من الكرامات الدينية ، فيها مجادة لهم لم يكونوا يسعون إليها ولا يعملون عليها ، وكانت تلك الكرامات تتمثل في تعظيم أوامر الله وحده وعدم المبالاة بشيء سواه ، تحقيقاً لمعاني : لا إله إلا الله والله أكبر . وما بكم من نعمة فر الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ، وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم .

إن الحق سبحانه أخذ ميثاقهم بما عهد إليهم ألا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم مهما صادفهم من شدة ، فإن ذلك من الجهاد في الله ، وخير الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر .

إن الحق سبحانه يريهم أن كل الحاق ذليل إلا من أئزه الله ، وكلهم ضعيف إلا من قواه الله ، وكلهم فقير إلا من أغناه الله ، وأن الله يحكم ما يريد .

وكانت هذه المعاني تتمثل في أصحاب محمد ﷺ كما عليهم أستاذهم الأول بمواقفه العجيبة التي كانوا يشاهدونها رأى الدين ، فهو فرد واحد كون أمة فاضلة من جهروت الباطل وطغيان الضلال ، لم يبال أن يجمع الناس على خلافه أو يتألبوا على دعوته . فقد أمره الله بالجهاد لإعلاء هذه الكلمة التي يأتي الله إلا أن تكون هي العليا والله عزيز حكيم .

خالط ذلك المعنى قلوب الأصحاب الكرام ، وكان يشجع على ذلك عدل الأئمة وتشجيعهم للناس ، فلما فسد الدين وأورثت الدنيا وأخذ ظل الحق في الناس يتناقص ما يشارها : ظهر الانكماش في الحرص عليها ، فكان ملق ونفاق . وعادت مظاهر الجهل الأول في مبالاة الظالم لأنه يملك من أمر الدنيا ، ولكن الله الذي شاء بحكمته ألا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم قد حفظ أفراداً من هؤلاء يمثلون الدين ويؤيدون حجة الله بين الظالمين ، وقد لمت أسماء أفراد من هؤلاء ، ونوهنا ببعضهم على

صفحات هذه المجلة الغراء من أمثال سعيد بن المسيب والحسن البصري وابن سيرين وابن السكيت والصابر المحقّب أحمد بن حنبل وآخرين منهم رضى الله عنهم وجعل لنا في سيرتهم الطاهرة عبرة نافعة وأسوة صالحة .

وقد كان ممن لمعت أسماؤهم في التاريخ وبين العلماء إمام جليل من هؤلاء ، كان من أهل الفقه والحديث ، وكان من أهل التقشف والزهادة ، يرفض الدنيا إذا أقبلت ، ليسكون حراً يقول الحق ويهدي السبيل ، يواجه بكلمة الحق كل جبار يصرع الإبطال ، ويهزم الجحافل ولكنه يعجز أن ينال منه أدنى مثال ، لأنه لا ينافسه على دنياه ولا يطلب منه دينارا ولا درهما ، فلا يسلطه الله عليه ، ولكنه يزججه من سلطانه الروحي ، ويخير قواه أمام ذلك الضعف البدني ، فتبارك الله رب العالمين .

ذلك هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب الذي نشأ في أواخر القرن الأول وبقى إلى ما بعد منتصف القرن الثاني ، واتصل بكبار التابعين من هذه الأمة يلقى عنهم ما أخذوا عن أصحاب محمد ﷺ من هدى ودين وإيمان وحق وثبات على المبدأ الشريف ، وهو مخضب القلب طيب النضر والنفس ، لا يسمع شيئا من كتاب الله وسنة رسوله محمد وسيرته الطاهرة وهدى الأئمة الصالحين إلا زاده إيمانا بالله وتمسكا بالحق وتعصبا للدين ، يفتش تنفيذ أحكامه ، ويلتمس عند الملوك القيام بشرائعه . فأى مقمت لم عنده إذا تشكروا عن جادة الهدى ، وكانوا هم الهادمين للعالم الدين الخفيف .

لأنه ليذهز الفرصة يلقى فيها أحدم أو المجال ليدكرهم ويبصرهم لعلمهم يتدون . ولد في المحرم سنة ٨١ هـ وتوفي بالكوفة منصرفا من بغداد إلى المدينة سنة ١٥٩ هـ وتلقى العلم والدين عن عكرمة مولى ابن عباس ، ونافع مولى ابن عمر ، وشعبة مولى ابن عباس أيضا ، والأئمة أبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهرى وغيرهم ممن حلوا هذه المعارف إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فحكاوا مشاعل الفرقان لها .

وقد صحب الإمام مالكا المتوفى سنة ١٧٩ هـ إمام دار الهجرة ، واشتركا في الأخذ عن نافع والزهرى وغيرهما ، وكان يزاحمه في الفقه والحديث ، حتى قال ابن وهب : سمعت مناديا ينادى بالمدينة : ألا لا يبقى الناس إلا مالك بن أنس وابن أبي ذئب . ولعل الجو لم يخل لمالك إلا بعد وفاة ابن أبي ذئب لأنه كان يقدم عليه عند كثير من أهل العلم لورعه ومواقفه المشرفة التي أظهرته على مالك في عهده كما سترى . وكان الإمام مالك يعظمه ويرفع من شأنه

وينوه به حتى عند الخليفة المنصور . وقد ساءه المنصور في يوم وقد عليه : من بقى بالمدينة من المشيخة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي ذئب ، وابن أبي سلمة ، وابن أبي سيرة .

أما الذي كان لا يراحم فيه ابن أبي ذئب فهو جهاده بكلمة الحق وتطبيق العلم الإسلامي على ما كان يرى في عهده ، يوم ماج بعض الناس في بعض وسفكت الدماء في سبيل وضع الملك ابن العباس ، ثم في سبيل استقرار الملك فيهم والضرب على أيدي مناوئهم بكل سبيل ووسيلة . رأى ابن أبي ذئب كل ذلك وسمع به عن دعاة بني العباس ، وعن خلفاء بني العباس فأنكره وقاومه ، وبلغ كلمة الله في شأنه ، وسلك مسلك ابن المسيب في سيرته الطاهرة وعدم حمله بأبهة الملك ، ولا مظاهر السلطان ، لا يبالى حين يقتل مسلماً على أى جنب كان في الله مصرعه ، فكان يرسل كلمة الحق ويسلم معها نفسه للسياق يفعل بها ما يريد تحت صمم الأرض وبصرها ، وتحت تصرف السماء وتقديرها .

وقد حدث الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي نعيم قال : حججت سنة حج المنصور وأنا ابن إحدى وعشرين سنة ومعه ابن أبي ذئب ومالك بن أنس ، فدعا ابن أبي ذئب فأقعده معه على دار الندوة فقال له : ما تقول في الحسن بن زيد بن الحسن بن فاطمة ؟ قال : إنه ليتحرى العدل . قال : فما تقول في (مرتين أو ثلاثاً) قال : ورب هذه البنية إنك لجائر فأخذ الربيع بلحيته فقال له أبو جعفر : كف يا ابن اللعنة . وأمر له بثلاثمائة دينار . وهنا نحب أن نعلق على هذا الموقف الدقيق البارح الذي وقفه المنصور فتساءل : كيف ساغ للمنصور أن يترك هذه السبة تمر في موسم الحج من غير أن يتخذ منها ردعاً للعدو ؟ وكيف استطاع المنصور أن يدافع عن ذلك الذي أصابه في كبده وهو يوازن بينه وبين خصمه فيقول : إنه يتحرى العدل ، ويقول : ورب هذه البنية إنك لجائر ؟ وأخيراً كيف استطاع المنصور وهو الشجاع الشديد أن يجود لهذا الإمام بثلاثمائة دينار ، والدينار الواحد من مثله هبة سفية ومنحة جلييلة .

الحق أن هذا موقف حازم من داهية سياسية ، استغله لإسجل للناس على رهوس الأشهاد أنه يلين للحق وينقاد له في أهله أئمة الدين ، فهو يسترشد بهم ، ويتخذ منهم مرآة لصورة حكمه . فإذا شاع مثله في الموسم ازداد المتعصب له تمسكاً ، وقامت الحججة على خصمه مع بطش السيف المخوف على الآخرين . ولو أنه أساء إلى هذا الإمام المحبوب العظيم لاستهدف ولاكان من الخاسرين إلى حد بعيد . ولا تنس أيها القارئ الكريم أنه كان في الحرم الذي يأمن فيه كل مروع خائف فهل يستطيع المنصور أن يخفى بعهد الله في مأمنه .

لم يكن موقف ابن أبي ذئب مع الخليفة هو الوحيد من نوعه ، فقد جرى أنه استشهد في شهادة على والي المدينة كان الإمام مالك وغيره يلوذون فيها بالثقية ، ولكن ابن أبي ذئب كتب فيها رسالة خاصة جهره أمام الوالي وتدد فيها بظلمه ، فلما حضر الخليفة للحج من المدينة ليرى الامر بنفسه واستدعى ابن أبي ذئب ، فكرر ابن أبي ذئب التنديد وأغلظ القول ، فغضب الوالي وقال (وهو يعلم مذهبه في الخليفة) : سله عن نفسك يا أمير المؤمنين . فقال له أبو جعفر : أسألك عن نفسي . قال : لا تسألني . قال : أنشدك بالله كيف ترائي ؟ قال : اللهم لا أعلمك إلا ظالما جائراً . فقام إليه وفي يده عمود وجلس قربه . قال الحسن بن زيد (راوى القصة) فجئمت إلى ثوبي مخافة أن يصيبني من دمه وجعل الخليفة يقول له : يا مجوسى . أقول هذا الخليفة الله في أرضه وجعل يردد ما . وهو يقول نشدتني بالله ! ولعل هذه كانت المرة الأولى لاستفتاء الخليفة عن نفسه ذلك الإمام - ولهذا عز علي الموقف . ثم ألفه منه .

وهناك مواقف أخرى كان يرشد فيها الخلافة إرشاداً عملياً فيقول افعل كذا ودع كذا ويرفع إليه حاجات الناس ولك أن تراجعها في مظانها فإن المجال لا يتسع لها .

أما المهدي فلم يكن حظه من ابن أبي ذئب خيراً من حظ أبيه ، فقد دخل مسجد المدينة والناس جميعاً يقومون له إلا ابن أبي ذئب ، وجاء حاجب الخليفة يقول له : ويحك . هذا أمير المؤمنين قم . أتدرى ما كان جواب الإمام ؟ ما كان جوابه إلا سخرية من أمير المؤمنين إذ يقول ضاحكاً : يا هذا إنما يقوم الناس لرب العالمين . ثم يقشعر بدن الأمير وترعد فرائسه ويقول لحاجبه : ويحك دع الشيخ ، فقد قامت كل شعرة في بدني .

ومعنى ذلك أن إسرنا على غير هؤلاء الذين ارتفع مستواهم ، فكانوا فوقنا ، تخيفنا النظرة من أحدهم ، وترعبنا السخطة اليسيرة منهم .

من لى بأمثال هؤلاء الصادقين المخلصين ليعز الله بهم دينه ، ويرفع بهم منار الحق في أرضه . لو أراد الله أن يرفع شأن الحق لا كرم بأمثال هؤلاء الأرض .

اللهم اجعل لنا فيهم صادق الدبرة وصالح الأسوة .

وأما فقه الإمام غسبك أن هذا الامير (المهدي) استقدمه إلى العراق يعلم بها حتى حانت منيته وهو في سفره من العراق إلى المدينة . وكان ذلك بالكوفة سنة ١٥٩ هـ . رحمه الله

رحمة واسعة

محمود النواوي

مسكواة

في بهو فسيح من أبهاء قصر الخلافة رسمت على سقفه وجدرانه آيات من الفصحى العربية ، وضعت إحدى الأرائك في الصدر تحت لوحة رائعة مكتوب عليها العدل أساس الملك ، وفرشت الأرض بأبسطه جميلة ؛ ووقف الحجاب والحراس وقد فرغوا ساعتهم من صلاة الظهر ينأملون شئاً خطيراً . وهل هناك أخطر وأروع من رد المظالم إلى أهلها ، ومن إنصاف الضعيف وإحقاق الحق ؟ وهل هناك أيضاً أخطر وأروع من أن يكون الخليفة هو الذي يتولى هذا الأمر بنفسه ؟

كان الخليفة المأمون يصلي الظهر في المسجد المجاور للقصر ، وبعد أن فرغ من صلاة الفرض توجه إلى القبلة مرة ثانية وصلى ركعتين ثم رفع يديه إلى السماء ، وتتم بدعاء إلى الله كي يهديه الصراط السوي ، ويلهمه السداد والتوفيق فيما هو مقبل عليه . وبعد أن فرغ من دعائه خرج من المسجد تحفه المهابة والجلال ، ودخل قصر الخلافة وتوجه إلى الأريكة وجلس عليها بعد أن خلع نعليه .

وبعد أن سمي باسم الله وقرأ بعض آيات الذكر الحكيم التفت إلى وزيره قائلاً : « ما عندك اليوم ، يا أخى ؟ » وكانت هذه الجملة بمثابة الاستعداد لافتتاح الجلسة . فسرعان ما أشار الوزير إلى أحد الحجاب الذي أسرع بدوره إلى باب ففتحه ، فدخلت جموع الشاكين والمظلمين ، وجلسوا صفوفاً متراصة على البسط الممدودة .

وكان منظرهم رائعاً رفرف عليه الجلال والمهابة ، واشترأت الاعتناق لرى أمير المؤمنين جالساً في مكان القاضي وقد أطرق برأسه إلى الأرض فكست لحيته صدره ، وتحركت شفاته بكلام الله عز وجل ، ولعبت أمانله بمسبحة توحى بالنقوى والورع ، وهمس كل في أذن جاره يسأله عن شكايته ، وبمنية برفع الظلم ، ويذكر له ما حدث لـكل من عرض شكواه في هذا المكان ، وكيف خرج مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، بمجور الخاطر .

ورفع الخليفة رأسه ، فارتفعت خفقات القلوب ، وتحركت بعض الأشجان ، وصحت الآمال في جنبات المظلومين ، ورفرف على المسكان سكون رهيب ، وانجبت الأنظار جميعها إلى وجه الخليفة ، وأرمفت الاسماع لتنبى ماذا يقول ، وأشار أمير المؤمنين إلى وزيره إشارة ذات مغزى ، فناول هذا كتاب الله : فأخذ الخليفة بيده النبي ووضع أمامه ، ثم وضع يده عليه ، وأقسم قسمه العظيم ، وهو أن يقضى في الناس بالحق ، فأطرقت الرؤوس مهابة وجلالا . ثم رفع يديه إلى السماء ، ودعا الله بصوت مرتفع أن يلهمه سداد الرأي وفصل الخطاب ، فتجاوبت جنبات القاعة تردد : آمين آمين آمين . . .

وكان هذا الدعاء إبداناً بفتح الجلسة ، فأشار الوزير إلى الجالس في أول الصف من جهة اليمين ، فوقف وسمى باسم الله ثم بدأ يعرض ظلامته ، وبعد أن انتهى من عرضها ، أشار إليه الخليفة إشارة إذنه بالجلوس ، الجلس . وبعد برهة قصيرة نطق أمير المؤمنين بالحكم ، فهدأت ثائرة المظلوم ، وسكنت نفسه ، واطمأن إلى العدل ، ونظر إلى الحياة نظرة مأوئاً الثقة والمحبة ، وانصرف إلى حاله راضياً مبتهجاً . ثم أشار الوزير إلى النائب فالكث فالتابع إلى أن انتهت الجلسة ، وهم الخليفة بالقيام .

وبينا هو كذلك إذ دخلت امرأة رثة الثياب ، لا يشك الناظر إليها أنها آتية من سفر بعيد ، ووقفت بين يديه وقالت : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » . ولم يستغرب الخليفة ولم تصبه الدهشة فند تعود هذه المواقف من قبل ، ونظر إلى يحيى بن أكرم ، فقال لها يحيى : « وعليك السلام يا أمة الله . تكلمي بحاجتك » فقالت :

يا خير منتصف يهدي له الرشد	ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك - عميد القوم - أرملة	عدى عليها فلم يترك لها سبد
وابتر منى ضياعي بعد منعها	ظلمنا وفرق مني الأهل والولد

فأطرق الخليفة لحظة سبحت روحه فيها في ملكوت الله وهو يسمع المأذون يدعو الناس لصلاة العصر ، قائلاً : « حي على الصلاة ، حي على الفلاح » ، ثم رفع رأسه ونظر إلى المرأة قائلاً :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد عني وأفرح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد
فالمجلس السبت - إن يقض الجلوس لنا تصفك منه - وإلا المجلس الأحد

قال هذا ، وم بالخروج إلى المسجد المجاور ليصلي العصر ، وانصرفت المرأة راجعة من حيث أتت .

وفي اليوم التالي ، نودي عليها في أول المتظلمين ، فوقفت قائلة : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » ، فرد عليها الخليفة قائلاً : « عليك السلام ورحمة الله وبركاته » ، ثم سألها : « أين الخصم ؟ » ، فقالت : « الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين » ، وأومأت إلى العباس ابنه .

فعدت الألسنة من الدهشة ، وحلق كل جالس في جاره ، وظهرت الغرابة على الوجوه ، ولكن الخليفة لم يعجب ولم يندهش ، ولم تأخذه روعة الموقف ، بل أشار في هدوء إلى أحمد بن أبي خالد ، وقال له : « خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم » .

وانطلقت المرأة تروي قصتها ، وتشرح ظلامتها ، وارتفع صوتها على صوت العباس . فقال لها أحمد بن أبي خالد : « يا أمة الله ، إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير فاخفضي من صوتك » ، فرد المأمون في قوة : « دعها يا أحمد » ، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه . فاستأنفت المرأة روايتها حتى أتمتها .

ورأى الخليفة أن الحق بجانبها ففضى برد ضيعتها إليها ، واقتص من ابنه العباس ، وأمر بأن يكتب إلى العامل الذي ييلدها أن يسقط عنها الخراج ، ويحسن معاوتها ، وفوق ذلك كله أمر لها بنفقة ؟

سمير زايير

محرر بمجمع اللغة العربية

تدقيق لغوى

في باب اللغويات من الجزء الخامس من المجلد ٢٥ من المجلة الزاهرة مقال لفضيلة الأستاذ
الجليل الشيخ محمد على النجار تحت عنوان (كفى كلاماً) ما تلخيصه :

« يكثر هذا الأسلوب في الحديث والخطاب .. وقد جرى بحث في هذا التركيب ..
وموضع البحث فاعل (كفى) ما هو ؟ .. »

بعده : « ويبدو أن التأليف صحيح وأن فاعل كفى محذوف مقدر ... أى كفى ما أتم
عليه ... و(كلاماً) تمييز .. »

بعده : « وقد قرىء في أواخر سورة البقرة (وإن كان ذا عسرة) ... أى إن كان
للدين ، ص ٥٦٤ . »

أقول : إن (كفى) لها خاصية لا تشاركها فيها سائر الأفعال وهي جرفاعلها أو مفعولها
بالباء الزائدة ويعضها تمييز ، وغرض التسكلم التنويه ، والمضى مشروط ، فهمى في بابها فعل
جامد وإن لم أذكر فيها نصاً .

فن الضرب الأول قوله تعالى [وكفى باقه شهيداً] وقوله [وكفى به إثمًا مبيناً] .

فإن لم يكن الغرض التنويه قيل : (كففاك درهم) كما تقول : (يكفيك درهم) فنخرج
حينئذ من مجرد ما .

ومن الضرب الثاني قول المتنبي :

كفى بجسمى نحولاً أنى رجل لولا مخاطبى إياك لم ترنى !
وقوله :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً ! وحسب المتأيا أن يكن أمانياً !

وفي الحديث : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » .

والباء كثيرة . ومن القليل : (كفى الشيب والإسلام للبرء ناهياً) .

وفضيلة الأستاذ لم يأت بشيء من شواهد الباب مع كثرتها واعتلاقيها بالذهن كالآيتين السابقتين ، بل طرق باب كانت وساق عليه قريباً من صفحة ١ مع أن لسان خصائص لا تقبل المشاركة . كما أنه أبعد الجعة فراجع اللسان واستشهد بقطعة من الرجز .

والحال أن موضوع البحث (كفى) في تركيب خاص ١ فهمي في مناط الثريا من قول الراجز :

(يكفيك من سوداء واعتجانتها) ... ١ ص ٥٦٥ .

على أني أستبعد أن يكون اللسان أغفل واجب اللسان في باب (ك ف ي) .

إن التركيب الذي جعل منه الأستاذ موضوع بحث ، من التراكييب السخيفة المستحدثة التي جرت بها أفلام لا عهد لأصحابها بالنحصيل أو عهدهم به ضئيل ، فهم لا يضبطون أوزمة أفلامهم في جرياتها ولهذا تفقد هذا التركيب الأوج في كلام النشامير كما تفقده في كلام المتقدمين أيما كان حالهم ، بل قد تفقده قبل خمس سنين ١

وما قد نجده في سبك بعض الفضلاء وإنما جاءهم من طريق العدوى ١ ورب عدوى نشأت عن خطأ مطبعي يسقط حرف مثلاً كاستعمال (البرود) بمعنى (البرودة) سقطت التاء فأحدثت لغة ١ و (مشغوف) مكان (مشغوف) سقط الميم فأحدث لغة ١ و (تعمق البحث) مكان (تعمق في البحث) سقط حرف الجر فأحدث تعدياً أشبه بالاعتداء ١ وقريب من هذا (شاركة العمل) .

إن العلماء إذا جشموا أنفسهم توجيه أغلاط الجبهة أضعافاً وقتهم ، ونهكوا قوتهم وأفسدوا لفهم ١ والحزم أن يصارحوا الغالط بغلطه ١

ونكر على الموضوع فنقول : إن تركيب (كفى كلاماً) لا يتجه من جهة المعنى مع قطع

النظر عن اتجاهه من جهة الإعراب ، وذلك لحلوه من إقادة التوبة ، فعنى القائل (كفى كلاماً)
على تقدير صحته لا يعدو معنى (كفى الكلام) !

أين هذا من قول القائل (كفى بالشيب واعظاً) و (كفى بالكتاب سميراً) و (كفى
بالمال شاغلاً) لا (كفى شغلاً بالمال) كما افتتح صاحب المقال بحثه !

وبعد ! فإني أتوقع من المؤكول إليهم أمر الأزهري الشريف أن يلفتوا إلى جهة
الاختصاص في العربية وغيـرها ... فإني لا أعرف في العالم العربي أو الإسلامي
ذا اختصاص يرجع إليه في الملمات كصاحب الخصائص وصاحب المفتى ... والأزهري
الشريف هو المسؤول الأول وعليه المعول !

لقد كان في أسلافنا من يفهم سيويوه ! فهل في العالم الإسلامي اليوم من يفهم سيويوه ؟
أما (المجمع الرسمية) القائمة بالوميض ... فما أفرغها من ذى اختصاص ، ولات
حين مناص !
بغداد — محمود الملاح

تعقيب على « تدقيق لغوى »

بمحل القضية أنى وجدت أسلوباً يؤدي غرضاً صحيحاً وقع في كلام الناس ، فعنيت ببعثه
من جهة العربية ، هذا الأسلوب هو : كفى كلاماً ، وكفى خداعاً ، وما جرى هذا المجرى
بما يظلم فيه الاكتفاء في أمر كثر الغرى به ، ويلتمس الانصراف إلى ما هو أمثل منه
وأهدى سبيلاً .

ولما كان الأسلوب ينقصه في النطق فاعل « كفى » انجبت إلى هذه الناحية ، فوجدت
من التحويين من يجيز حذف الفاعل ، ويستشهد بشواهد أوردتها ، وقد حذف المرفوع فيها
مع كان ، وهذه الشواهد يرى جمهرة التحويين أن المرفوع فيها مضمرة ، وكلا الأمرين قريب ،
فسلكت هذا المذهب وخرجت الأسلوب عليه ، ووجدت في رجز اللسان الذى أوردته
ما يقوم بما ذهبت إليه ، إذ حذف فاعل « يكفى » فأوردته وصححت الأسلوب .

وليس يزدري بالأسلوب أنه لم يرد في كلام العرب إذ كان جارياً على منهاج كلامهم ،
ويقرر ابن جني الذي يعتز به الكاتب أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .
والاقتصار في الأساليب على ما ورد في كلام العرب تضيق في اللغة ، وأخذ بالظاهرة فيها ،
وهو ما يرفضه علماء العربية .

ويأخذ على الكاتب أن تركت القول في خاصية فاعل كفى وما أورده هو من علم غزير ،
وعذرى أنى لم أعقد بحثي في كفى ومدلولها وفاعلها ، وإنما كان همى أسلوباً خاصاً ليس فيه
الفاعل ظاهراً ، وقد استشهدت عليه بشواهد فيها كان ، ويذكر الكاتب أن كان لها
خصائص ، وكان عليه للرد على أن يذكر أن حذف المرفوع من خصائصها ويثبت ذلك ،
ويعيب على إبعاد النجعة إلى اللسان حيث استشهدت برجز فيه حذف فاعل يكفى مع البون
الشاسع بين كفى ويكفى . ولكن أين البون في فعلتيهما ؟ إهما فعلان ، وقد حذف فاعل
أحدهما ، فلي أن أتهبل هذا وأجيز حذف فاعل الآخر ، وما تكون النحو إلا بالقياس وحمل
النظير على النظير .

وأتمجوز همز الكاتب ولمزه ، وشكواه إلى الأزهر فقدان ذوى الاختصاص ومن يفهم
سيبويه ، رغبة عن جداله ، وإبقاء على أدبه الذى تأدب به ، ولكنى أناقشه في مسألة
لا يصح إقرارها خشية اللبس على القراء ، فقد ذكر أن جر الفاعل بالياء الزائدة خاصة لكفى
لا تشاركها فيه سائر الأفعال . والياء الزائدة تدخل على فاعل موازن ، فعل ، في التعجب .
وقد حكى الكسائى : مررت بأبيات جاد بهن أبياتاً . أى جدن أبياتاً . ويقول الشاعر :

حب بالزور الذى لا يرى منه إلا صفحة أو لملم

وتدخل في التعجب على فاعل أفعل نحو أكرم بمحمد ، وهذا على رأى البصريين .

فأما طريقته في معالجة ما حدث ويحدث من الأخطاء اللغوية فتحتاج إلى تمحيص
وفضل ظر ، فهو يرى مثلاً أن الشغوف أصلها المشغوف فسقط الميم في الطبع ، والبرود
أصلها البرودة فسقطت التاء في الطبع ، فسرت اللفظنان وصارتا لغتين ، وأترك للقراء
تقدير هذا .

واقفه المسئول أن يهدينا سواء السبيل ؟

محمد على النجار

سورة الأنفال

نزلت سورة الأنفال كغيرها من سور القرآن منجمة بحسب الحاجة ، ثم أخذت وضعها من سابقها ولاحقتها بطريق التوقيف في المصحف والتلاوة ، ولهذا فصلت مع سورة التوبة بين السبع الطوال — بين السور الست المرتبة : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، وبين سورة يونس بن متى . والأنفال مع التوبة جزءان متلاحقان ، وصنوان متجاوران ، وسورتان متصلتان متشابكتان ، نفذت الأولى إلى الثانية فجأة من غير نذير أو بشير ، ومن غير تعريف أو إعلام ، لتشابك أهدافهما ، فلم يذكر بينهما ما اعتاد القرآن أن يذكره بين سورته ، أو يذكره في افتتاح سورته ، فبسم الله الرحمن الرحيم التي ثبتت في أوائل سور القرآن في المصحف الإمام المجرد مما ليس من القرآن ، لم تذكر في افتتاح سورة التوبة والتوبة وحدها هي التي انفردت من بين سور القرآن : قصيرها وطويلها ، مكبها ومدنيها ، بإسقاط البسملة ، وفي ذلك ما يؤنس به إلى قرآنية البسملة . وأما آية في كل سورة من سور القرآن سوى سورة التوبة ، إذ الإثبات والإسقاط والترك والتلاوة ليس شهوة عند المثنئين والمسقطين والتاركين والتالين ، وإنما التوقيف والنقل هما الدعامة والمنارة والحجة والدليل .

ولمست الأنفال ممتدة إلى آخر سورة التوبة ، فالناس في التلاوة ، والمصاحف في التسجيل والكتابة قد شهدا بانفصالها واقتراحهما ، كما يدل تواتر النقل في التسمية للسورتين ، وترشد إليه العلامات الرسمية والشكلية بين السورتين في المصاحف الموجودة .

وضعت سورة الأنفال في المصحف ، وتليت سورة الأنفال من الحفاظ بعد سورة الأعراف . وسورة الأعراف مكية كسورتي الأنعام ويونس ، أما بقية السبع الطوال فهي مدنية . وسورنا الأنفال والتوبة مدينتان ، والأغراض المكية والأغراض المدنية وإن اتحدتا من جهة الغاية فقد افرقتا تماما من جهة الوسيلة التي سلكتها الدعوة الدينية في مكة والمدينة ، ذلك أن مكة قد أنكرت الحق ، وظهرت الباطل ، وجحدت الدعوة ، واستنجدت العمى على الهدى ، وظننت الرسالة القدسية كسبا ينحاز إلى المال ، أو ينصرف

إلى شرف مزعوم، ورياسة موهومة، وعظمة ضالة، فعز على أنفثها وكريائها أن ينزل القرآن على رجل من القرينين غير عظيم في زعمهم. وللعظمة مقاييس يضعها الحق والمبطل، والمسيح والمحسن، فهي لفظ أصابت معناها عن طريق التعارف والتواضع، ولو أصابت معناها عن طريق العقل، لشفت لهم عن عظمة محمد ﷺ التي لا تدايها عظمة، ولا بانث أن محمداً لا يوازن في نسبه وحسبه، وشرفه ومجده. وخلقه وخلقه، وصدقه وأمانته.

فالزراع المكي كان نزاعاً في أصل الدعوة وحامل الدعوة، وكان هذا النزاع محتاجاً إلى ما يهدى طبعه، ويخفف ثقله، بالحجج الدامغة، والدبر المؤثرة، والعظات الآخذة بهجامع النفوس، لهذا نجد السور المكية تنحو نحو تقرير العقيدة، والإيمان بأصول الدين. وتستعين لذلك بالترغيب في الاتباع، والتهديد والوعيد على الامتناع، إما بذكر ما أعد للمعتقلين من جنات ونعيم، وذرور ومقام كريم، أو أعد للمخالفين من سموم وحميم. ونار وجحيم وإما بضرب الأمثال، وسرد الأخبار، وسوق القصص الحاملة بين ثنائها ما يذل الشمس ويفتح أسرار العبوس، ويقود النافر، ويستوى الشارد، ويرقق الغليظ.

أما المدينة فقد استجابت لله، وآمنت برسول الله، وبايعة على السمع والطاعة، والمؤازرة والنصرة، لهذا نجد السور المدنية آخذة طريقتها إلى تقرير الأحكام، ووضع نظام الدولة، وتشريع القوانين التي تكفل سلامة الأمة من بواحبها المختلفة: من ناحية سياستها وسيادتها، واجتماعها وعقيدتها، وآدابها وأخلاقها، وعلاقتها مع مخالفيها في دينها أو لغتها أو أرضها. كما وضعت إزاء نظم عمرائها حدوداً تقوم على حراسته ناجزة في الدنيا عند ما تسفر الجريمة، ومؤجلة في الآخرة عند ما يشملها الخفاء، ويصادفها الشد وتكون بمنأى عن الحاكمين، فعند ذلك يقضى فيها من لا تخفى عليه خافية، ويعلم السر وأخفى.

هكذا كان هدف القرآن مكيه ومدنيه، وقد عرفنا أن سابقة الانفال مكية، وأن لاحقة التوبة مكية، وأنهما من الطوال السبع، وأن الانفال والتوبة قد وقعتا فاصلتين بين سورتين مكييتين طويلتين، والقرآن كتاب محكم الآيات، محكم الوضع والترتيب، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تتناسق ألفاظه، وتتعاشق كلماته، وترتبط آياته، وتتصل سوره، حتى يبدأ وينتهي. وهو وحدة في بيانه، ووحدة في دعوته، ووحدة في إنجازها، ووحدة في مرماء ومغزاه، وحدة تفتى به إلى الواحد الاحد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له

كفراً أحده . إذاً فللأنفال مع الاعراف نسب جامع ، وصلة وثيقة ، لا ينمعهما ما بين مكة والمدينة من مسافة وجفوة ، كما أن لها مع أختها التوبة مثل ذلك ، وللتوبة مع يونس ارتباط ومناسبة أوجدها الله للقرآن ، كما أوجدها بين العرب والعجم بالإسلام .

فاتصال المكي بالمدني ، والمدني بالمكي في كتاب الله ، إيماء للوحدة الإسلامية ، وتحقيق لارتباط أفرادها وجماعاتها ارتباطاً يقضي على الفروق المزعومة ، ويجهز على الحدود المرسومة ، ويجعل من المسلمين حقيقة متداخلة ، وجماعة متواصلة ، تعصم بحبل الله ، وترتبط برباط الحق ، حتى تكون مثلاً وقدوة تحتذى وترتجي .

وسورة الاعراف قد بدأت بذكر الكتاب ، والكتاب بحبل الله المتين ، من قال به صدق ، ومن تمسك به رشد ، دعا إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ثم نلت بالامر والتذكير ، وتعرضت لخلق الإنسان الاول ، وما كان من عداء الشيطان له حين قال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » كما ختمت بالتحذير من الشيطان ، والامر باستماع القرآن وبين بدئها وختامها عرضت لحل الطيبات ، وتحريم الخبائث ، ودعت إلى النظر والتفكير في ملكوت الله ، وحددت آجال الأمم كما حددت في غيرها آجال الافراد ، وأجاب الله فيها السائلين عن الساعة ، والساعة غيب لم يبع في عالم المادة والمشاهدة ، بردها إلى مالك النفع والضرع عالم الغيب والشهادة ، وتخلل ذلك كله محاورات بين أهل الجنة والنار ، وبين أهل النار بعضهم مع بعض ، وقصص مستفيضة عن الرسل وأقوامهم ، تكشف عن مقدار ما أصاب الدعوة إلى الله ، والداعين إليها ، من تكرر وخذلان ، وجحود واضطهاد ، ورغم ما كان من بيان ، ووجد من برهان ، ثم كانت العاقبة أن أيد الله رسله ، وأهلك أعداءه ونصر دعوته . وهذه الألوان التي اشتملت عليها سورة الاعراف ألوان مكية ، لأنها تنجيه إلى العقائد ، وتتخذ الإيمان بها أساليب مختلفة من الترغيب والترهيب ، والعظات والعبر .

أما سورة الانفال فجاءت تمثل أغراضها المدنية ، تنظم ناحية القوة في الدولة ، التي تتمثل في جيشها المدافع عن حوزتها ، والذاب عن فكرها ودعوتها ، بعد أن طلب القرآن من المسلمين في غير آية من سورته أن يقاتلوا في سبيل الله ، وأن ينتصفوا لأنفسهم ، وأن يردوا العدوان بمثله .

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، وقاتلوا

المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، ، ، وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ،
فناحية القوة في الإسلام تنبج لرد الباغين ، وتذكير الجاحدين وتأمين الدعوة ، وإقرار
العدالة ، وتثبيت النظام ، ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ، .

فمن المظلم المبين أن ينسب للإسلام أنه أقام صرحه وحقق وجوده تحت ظلال السيوف
وفوق أسنة الرماح ، وما اهتزت السيوف ، ولا صوبت الرماح إلا دفعاً للعدوان ، ورداً
للطغيان ، وكشفاً للحجب ، وإزالة للاستار عن دعوة الحق حتى تبين ، وبعد ذلك فلا إكراه
في الدين قد تبين الرشد من الغي ، وهل نظام الذم والمعاهدات عند المسلمين إلا احترام
للحرية الشخصية ، وتهدير للإنسانية ، وفسحة للعقل ، ولفته إلى النظر والتأمل ؟ .

وقد سئل عن الغنائم في الأنفال ، وأحكام الغنائم من العمليات ، كما سئل عن الساعة
في الأعراف ، والساعة من الاعتقادات ، وأمر الرسول أن يقول : الأنفال لله . كما أمر أن
يقول : الساعة لله . والمؤمن يرجل قلبه إذا ذكر الله ، والكتاب المنزل هو ذكر الله ، وقصة
محمد مع قومه وقد تناولها الأنفال بالبيان والتفصيل كقصة الرسل مع أتباعهم وأشياعهم
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . والاستجابة لله لإحياء القلوب ، كما أن نفخ الروح
إحياء للأبدان ، ودأب قوم محمد معه مثل دأب فرعون والذين من قبلهم مع رسلهم ،
والطاعة والإخلاص والتوكل والبذل من أنواع الأخذ بالعرف والإعراض عن الجاهلين ،
كل أولئك صلوات وثيقة بين الأنفال والأعراف .

أما ناحية القوة أو الناحية الدفاعية ، وما يتصل بها من الجنوح للسلم عند المسالمة ،
ووضع مقاييس القوة في الجيش الإسلامي ، وأنها مع الإيمان عدد وعدة ، وأن دعوة
الحق لا تقتصر إلى الأعداد والعدد حتى تمكن ، فإن أمكنت كان من الإيمان بذل الطاقة ،
وإلا نحى الله عن المنصرين ، والتعرض للأسرى ، والتويه عن شأن القوة المدافعة من
المهاجرين والأوصار ، كل ذلك له مع إقرار معاهدات الجوار والإقامة ، وفرض الجزية ،
والكشف عن ألوان النفاق ، وبيان أضراره المحسوسة على القوة الدفاعية ، والعلق بالأعداء
الواهي ، وانتحال أسباب الفرار من صفوف الحق ، والتذرع لذلك بالخلف الكاذب ،
والعمود المنقوضة ، ثم يبين علاقة المؤمنين بالمنافقين ، وأنها علاقة مقطوعة في الحياة وفي
الموت ، إلى غير ذلك من أعراض وأهداف نحت إليها سورة التوبة ، كل أولئك صلوات
وروابط بين الأنفال والتوبة .

أما سورة يونس فقد نحت نحو الأعراف في اتجاهها إلى الناحية الاعتقادية ، مع تقديم المواظ ، وسوق القصص والعبر التي تزيد في اطمئنان المؤمن ، وتبين للشرك والمنافق مغبة أمرهما ، ونتيجة فعلهما ، وأن محمد بن عبد الله ﷺ قين بالاتباع وجدير بالاستماع ، فقد جاءهم من أنفسهم ، وعز عليه عنادهم ، حرصا على نجاتهم .

ونعود إلى الأنفال وقد رسمت لنا حدود القوة ، وأبانت عن الجندية الحقة ، وأنها تحتاج إلى إيمان وإذعان بما اعتقده حقاً ودنيا ، وتقوى الله والخوف منه مقرران لهذه العقيدة ، مدعمان لهذا الدين ، واتحاد الجند تقوية لدعائم الجيش ، ونزاعه مفض إلى الفشل مذهب للريح . وإصلاح ذات البين من خلال المؤمن ، والطاعة المطلقة لصاحب الدين ، وناشر الدعوة ، والقائم على المبدأ ، واجب حتى على الجنود ، إذا كانوا عن يسمعون ، وشر الدواب عند الله الصم البكم ، وشر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون .

فالجندية إيمان ومراقبة وطاعة ، والإيمان مظهر قلبي يعمر بالوجل والخشية ، ويزداد بالعبادة والذكرى ، ويشرق بالتوكل والتفويض ، ويظهر علني يتمثل الخضوع فيه في ركوع وسجود ، والامتنال في بذل وإنفاق . ومتى كان الإيمان كذلك كان إيماناً حقيقياً ، ومتى كان حقاً كانت المراقبة والطاعة من أصول الإيمان . فالجندية الإسلامية تعتمد على الإيمان الحق وما يقرره الإيمان الحق في اللقاء ، والزحف والعدد والعدد والاستقبال والاستدبار ، والإقامة والتحصن ، والاعتدال والانحراف ، إلى غير ذلك من معان تحتاج في بيانها والكشف عنها إلى إخصائين حرييين يحددون نظامه ، ويبينون قوانينه ، والوفاء والطاعة هي دعامة النصر ، وركن الفلاح .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخَوْفُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْاَدْمَارَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

محمد محمود

المدرس في كلية اللغة العربية

رحلة الى الله

كلما أهل هلال شوال من كل عام أذن مؤذن الله أن هلموا أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إلى رحلة في سبيل الله ، حيث توجد الكعبة البيت الحرام ، وزمزم والمقام ، ومشاهد الحج المقدسة ، ومغاثي الحرمين الحبيبين إلى النفوس المؤمنة ، رحلة فيها تطهير القلوب من أدرانها ، وتزكية النفوس من خبيثها ، وتجرد الأرواح مما علق بها من الحجب المادية الكثيفة ، وظلمات الشهوات ، والمداخى ، فتعود إلى سالف عهد ما صافية قوية محبة للخير والحق والسلام .

هلموا إلى البيت العتيق الذي بناه الخليل إبراهيم وولده الذبيح إسماعيل قائلين : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناصكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ،^(١) فكانت الأمة المسلمة هي الأمة المحمدية ، وكان رسولها هو النبي العربي الهاشمي الذي علمهم القرآن ، وجاء بالحكمة وفصل الخطاب ، وزكاهم من عبادة الأوثان ورجس الشيطان .

فما أن فرغا من البناء حتى أمر الله خليله إبراهيم أن يعلم الناس بالحج فقال : وما يبلغ صوتي يا ربني ؟ فقال الله سبحانه : أذن وعلى البلاغ . فقام الخليل على جبل أبي قيس^(٢) فنادى بأعلى صوته : يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ، فبلغ صوته إلى أهل الأرض ، وصدق الله حيث يقول : وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ،^(٣) ومن يوم أن أذن إبراهيم عليه السلام والناس تهفؤ قلوبهم إلى هذا البيت ويأتون إليه من كل سهل وحزن ، يطوون البيد والفيافي راكبين وراجلين ،

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ - ١٢٩ . (٢) جبل - مكة مشرف على الحرم .

(٣) سورة الحج الآية ٢٧ - ٢٩ .

قاصدين الحج أو معتمرين ، ليشهدوا منافع لهم دنيوية ودنيوية ، يحدوهم الحب الأكيد
ليت الله وظله الظليل في الأرض .

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وهذه آلاف السنين قد خلت ودروب الصحراء ومسالكها تسيل بالآلوف الوافدة
من كل قطر ومن كل جنس ، لون ، لا فرق بين أبيض وأسود ولا أحمر وأصفر ، ولا بين
عربي وعجمي ولا نبي وغير نبي ولا ملك ومملوك ولا غني وصعلوك ، كلهم متجردون
من زخارف الدنيا ، اللهم إلا من إزار ورداء بواريان السواة ، وكلهم يرفعون الصوت
بالتلبية محيين داعي الله ، ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك . إن الحمد والتعنية لك
والملك لا شريك لك . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ
مر بوادي الأزرق فقال : أي واد هذا ؟ فقالوا : وادي الأزرق . فقال : كأني أنظر
إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثانية وله جوار إلى الله بالتلبية . ثم أتى على ثنية هرثي
فقال : أي ثنية هذه ؟ فقالوا : ثنية هرثي . قال : كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه
السلام على ناقه حمراء جعدة ، عليه جبة من صوف ، خطام ناقته خلبة - أي ليف - وهو يلبي .
وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس : لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان
حين حج قال : يا أبا بكر أي واد هذا ؟ قال : وادي عسفان . قال : لقد مر به هود وصالح
على بكرات حمر خطمها الليف ، أزهرم العباء ، وأردتهم النمار ، يلبون يحجون البيت
العتيق . وهكذا نرى أن الحج شعيرة من شعائر الأنبياء والمرسلين ، وهو فريضة باقية
محكمة إلى يوم الدين . من ذا الذي لا تنوق نفسه إلى زيارة هاتيك البلاد المفضلة التي فيها
قامت دعائم الإسلام ، ومنها انتشر نوره حتى عم أطراف الأرض ، والتي هي حافلة بشقى
الذكريات الخوالد التي توحى إلى النفوس المؤمنة أن الحق مهما أودى وحورب فلا بد
أن ينتصر ، وأن جهاد النفس والأعداء من صفات الانقياء ، وأن الصبر عند نزول البلاء ،
والإذعان لأمر الله ولو كان فيه إزهاق الأرواح من سنن الأنبياء ، وأن المسلمين جميعاً
وفي بقاع الدنيا لإلهم واحد ، وقلبتهم واحدة ، وأمتهم أمة واحدة في آلامها وآمالها ووجعها ،
وأن أمر المسلمين اليوم لا يقوم إلا بما قام به أولهم : اتحاد في قوة ، وعزم في حزم ،
وعدل في حكمة ، وعلم في عمل .

إني حين أرجع بذاكرتي إلى سنوات قضيتها في الحجاز أديت فيها الفسكين ، وتنقلت فيها بين الحرمين — مكة والمدينة — تتوارد على نفسي ذكريات ، وصور ومشاهدات ، تحمل في ثناياها عبراً وعظات . ولا أدري أي هذه المشاهد أذكر ؟ أذكر بيت الله وما أضفاه الله عليه من جلال ومهابة يملآن النفس رهبة والقلب خشوعاً ، حتى ليستشعر المسلم وهو واقف تجاه البيت عظمة ذي الجلال والكبرياء ، وتمتزج الرهبة بالفرح والسرور فلا يملك عييه من أن تفيض بالدمع مدراراً ، ولسانه من أن يجار بالدعاء مراوراً . فتحف به الرحمت ، وتستجاب الدعوات ، وتغسل الذنوب والخطيئات .

أم أذكر زمزم الممين الثرة المباركة التي أجراها الله بهزيمة جبريل ^(١) وجعلها سقياً لإسماعيل ، وكانت ولا تزال شرباً هنيئاً ، وغذاءً غنياً ، وعافية للمتضرعين بما أودعه الله فيها من سردين ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال فيها : « إنها طعام طعم وشفاء سقم » ^(٢) .

أم أذكر عرفات وهواها العليل ، وماءها النقي ، وساحتها الفسيحة ، وجبلها المعروف بجبل الرحمة ، والصخرات عند السفح التي وقف عندها رسول الله ﷺ راكباً على ناقته مستقبلاً القبلة مكرراً من الدعاء ، وعرفات موطن من مواطن الرحمة الإلهية يتجلى الله فيها على أهل الموقف فيكفر عنهم السيئات ، ويرفع لهم الدرجات ، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء ، وفي مسند عبد الرزاق : أن الله ينزل إلى السماء الدنيا عشية عرفة فيباهي بهم الملائكة فيقول : هؤلاء عبادي ، جاءوني شعثاً غبراً يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني » .

وما روى الشيطان أصفر ولا أحمر من يوم عرفة لما يرى من كثرة غفران الله لمن شاء من حجاج بيته العتيق .

أم أذكر الدار التي فيها تكونت بذرة الإسلام الأولى ، وكانت المتنفس الذي يتنفس فيه المسلمون يوم أن أخذ أهل الشرك بخناقهم وضيقوا عليهم المسالك ، وهي دار الأرقم

(١) الهزيمة ضربة العقاب . (٢) رواه الطيالسي وأصله في صحيح مسلم من رواية أبي ذر رضي الله عنه .

ابن أبي الأرقم ؛ والغار الذي منه أشرق النور فعم الكون وهو دغار حراء ، ؛ أو الغار الذي أوى إليه النبي وصاحبه الصديق الأكبر لما خرجا مهاجرين ، وما كان من عناية الله بنبيه ووقايته له في أشد المواقف وأخرجها ، حتى أعمى أبصار المشركين ورد كيدهم في نحورهم وهو دغار ثور .

وإذا ما يعمت وجهي شطر دار الهجرة تذكرت الدار التي عز فيها الإسلام بعد غربة ، وقوى بعد ضعف ، وصارت له دولة ووصولة ، وتركزت فيها الخلافة الرشيدة في أزهى عصور الإنسانية قاطبة ، الدار التي طابت وطاب أهلها ، وآوت الإسلام في غربته ، وسيأرز إليها الإيمان في آخر الزمان ، والتي دفن في ثراها النبي وصحابته البهاليل الاجداد الذين قلنا أن تجود الدنيا بأمثالهم ديناً وخلقاً وعلماً وحكماً وعدلاً ورحمة .

وتذكرت مسجدها النبوي أول مسجد أسس على التقوى ، وثالث المساجد المشرقة في الأرض ، وأحد المساجد التي نشد إليها الرجال من أقاصي البلاد ، وتعبد الصلاة فيه ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ، المسجد الذي كان في حقب من الزمان رمز الخلافة وهنارة الهدى والعرفان .

وتذكرت البقعة المباركة الطيبة وهي الروضة الشريفة التي ورد فيها قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، رواء مسلم ، والروضة تقع بين المنبر الذي طامسا شع منه الهدى والعلم والحكمة من النبي ﷺ في حياته ، والبيت الذي صار فيها بعد موته لجثمان النبي الطاهر بعد وفاته ، وجثمان شيعي الإسلام الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، وفي الروضة يغضى كل إنسان الطرف حياء ، وبفض من صوته تأدباً ، ويمجد فيها ما شاء من راحة القلب وسكن النفس وهدوء الروح .

ولا نفس — يا أخى المسلم — وقد حلت بالبلد الطيب والبقعة المباركة أن تديم التعمد وقراءة القرآن والدعاء ، وأن تكثر من الصلاة والسلام على نبيك المصطفى كفاء ما قدم للمسلمين من هداية ونصح وإرشاد ، وللدنيا كلها من خير وأمن وسلام ، وبحسبك فضلاً أنك كلما سللت على نبيك رد عليك السلام ، وإنه لشرف عظيم وأمنية عزيزة تضاهل دونها الأمانى ، كما أوصيك وقد حظيت بجوار الرسول الكريم أن تكون محمدياً في عقيدتك وفي خلقك وفي قولك وعملك وفي سمك وهديك .

إني لا أعجب من بعض من يتسم بالإسلام يذهب في كل عام إلى بلاد تروج فيها المفاسد والمفانن، وينفق فيها الآلاف من الدراهم والدنانير، ثم يعود خاوي الوفاض مكدود النفس مثقلا بالأوزار، بينما يصدف عن الرحلة إلى أحب البلاد إلى الله مع ما فيها من استجمام الفكر وصحة الجسم وقضاء الفرض وإرضاء الرب وغفران الذنب والفوز بنعيم الجنة، وصدق الموحى إليه من ربه « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، ، ، العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له من ثواب إلا الجنة .

فاغتنم أيها المسلم أداء الفريضة وأنت مستطيع سليم معافى، فإنك لا تدري ماذا ستكون في غدك ، فقد يمرض الصحيح ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة ، ألا إنه لا عذر لمعتذر بعد اليوم ، فالسبل ميسرة ، والمواصلات أمتحت سهلة مريحة ، ومرافق العيش والحياة الطيبة هناك متوافرة من مسكن وملبس وطعام وشراب ، ولا تعجب أن يوجد من الأرزاق وما يكفي سكان البلاد والحجيج على كثرتهم ، فما ذلك إلا استجابة لدعوة الخليل عليه السلام « ربني إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلمهم يشكرون » .

وأما الأمن فضر رب بحرانه في تلك البلاد ، فلا خوف على نفس أو عرض أو مال ، وكل ذلك بفضل تطبيق الشريعة الإسلامية الغراء ولا سيما في الحدود والجنايات ، وأشهد الله لقد كنا نسافر اليومين والأكثر في المفاوز الشاسعة وبين الجبال الشاهقة فما هاجنا هائج من حيوان أو إنسان .

« وبعد ، فهذه خواطر سنحت وذكريات أملت ، فأهاجت الأشواق ، وأثارت كوامن النفس ، ولعلك — أيها المسلم المثوق — وجدت أنك في حاجة إلى أن تجد نفسك ، وتقضى حاجات فؤادك بالرحلة إلى هذى البقاع المقدسة ، وإنك إن أخلصت النية وشددت العزم وفتحت القلب لواجد — إن شاء ربك — لذة لا تعد لها لذة ، وسعادة أي سعادة ، وعند الأوبة سنحمد الرحلة ، وعند الصباح يحمد القوم السرى »

محمد محمد أبو شربة

الاستاذ بكلية أصول الدين

اتفاق النخاط في الشعر عرض وموازنة

تناولت في المقال الماضي بعض المظاهر التي يتجلى فيها أخذ شاعر من آخر ، وتتضح البراعة في الاقتباس ، أو تستبين المشابهة في الهدف . ولعله يبدو من المساق أو الدرس والنظر كيف يبد الشاعر زميله في دقة المعنى وعمق الفكرة ، أو حسن الصياغة وجمال السبك ، أو السبق إلى تحديد المعنى واقتناصه ، حتى ليسترعى في ذلك النظر ، ويثير الدهشة ويبعث العجب .

واليوم نوالى ما التزمناه من عرض صور مختلفة . قال جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقال أبو نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
وعند الموازنة بين الصورتين نجد أن معنى أبي نواس أعم وأشمل من معنى جرير ، وقد كرهه في شعره بقوله :

متى نخطى إليه الرجل سالمة تستجمعى الخلق في تمثال إنسان

لجرير جعل الناس كلهم في تميم ، وأبو نواس جعل العالم كله في واحد . وهذا أبلغ من غير شك ، ولقد كان أبو تمام معجبا أشد الإعجاب ببیت أبي نواس . ويحكى أنه دخل على ابن أبي دواد فقال له : أحسبك عاتبا يا أبا تمام . فقال إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا . فقال من أين هذه يا أبا تمام ؟ فقال من قول الحاذق أبي نواس (ليس على الله بمستنكر)^(١) .

وقال بشار :

يروعه السرار بكل شيء مخافة أن يكون به السرار
فقال أبو نواس :

تركنتي الوشاة نصب المسر ين وأحدثة بكل مكان
ما أرى خالين في السر إلا قلت ما يحلوان إلا لسان
وقال جرير :

ما زلت تحسب كل شيء بعدم خيلا تكرر عليهم ورجالا
وقال عروة بن عتبة الكلبي :

إذ تحسب الشجراء خلف ظهورنا خيلا وأن أماننا الصحراء
فقال أبو نواس في غير هذا الباب :

فكل شيء رآه ظنه قدما وكل شخص رآه ظنه الساق

وأصل هذا المعنى من قول الله تبارك وتعالى : (يحسبون كل صيحة عليهم) ... على
أن يبقى جرير وأبو نواس مستويان في تمثيل شدة الشعور وقوة الإحساس بالشيء حتى
ليتملك العقل والفكر ، ويختم في كل شيء بطرف بالبال أو يبدو للخاطر . ويأتي دونهما
بيت عروة الذي يتوهم الشجراء تحسب خيلا
وقال الأفوه الأودي :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستار
وقال النابغة :

إذا ما غزوا بالجيش خلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب
وقال حميد بن ثور الحلالي :

إذا ما غدا يوما رأيت غيامة من الطير ينظرون الذي هو صانع
وقال مسلم بن الوليد :

قد عود الطير عادات وثقن بها فمن يقبئه في كل مرئجل

فقال أبو نواس :

تأبى الطير غدوة ثقة بالشبع من جزره
وهذه الصورة لأبي نواس لا تقل جمالا وإمتاعا عن صور أنداده وإخوانه،
ولقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

وقد ظلت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقايل
وأخذه أبو الطيب فقال :

سحاب من العقبان يزحف تحنها سحاب إذا استسقت سقنها صوارمه

قال الجرجاني في الوساطة ^(١) : « زعم كثير من النقاد أن أبا تمام زاد عليهم بقوله :
إلا أنها لم تقايل ، فهو المتقدم . وأحسن من هذه الزيادة عندى قوله : في الدماء نواهل ،
وإقامتها مع الرايات ، وبذلك يتم حسن قوله إلا أنها لم تقايل . على أن الألفوه قد فضل
الجماعة بأمر منها سبق وهى الفضيلة العظمى ، والآخر قوله : رأى عين ، نخب عن قربها
لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر ، وإنما يكون قربها توقفاً للفريسة . وهذا يؤيد المعنى ثم قال
: ثقة أن سنهار ، فجعلها واقفة بالميرة . ولم يجمع هذه الأوصاف غيره ، وأما أبو نواس فإنه
قل اللفظ ولم يزد حتى يفضل . »

وعندى أن بيت الألفوه وإن استكمل الأوصاف التى لم يصل إليها غيره ينقصه حسن
المعرض ، وروعة الصورة . فإن الصورة الشعرية التى تثير الحسن ، وتحرك المشاعر فيه ليست
كالصورة التى فى بيت أبي نواس . والشعر لا يقاس بحدود ، ولا بما يحمل من أوصاف
ونعوت ، وإنما يعرف ويقدم بما يهيج من عاطفة ، ويبعث من طرب ونشوة .

وقال أبو جويرية العبدي :

وما زال يعطينى ومالى حاسد من الناس حتى صرت أرحم وأحسد

فقال أبو نواس :

ذريني أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيه الخصيب أمير

فقد جعل أبو نواس زوجته محسدة ، فإذا رحل إلى الخصيب فقد كثر الحاسدون وازداد الحاقدون . وأراد أبو نواس أن يستل رفد المدرح ويستثير أريجته . وأما العبدى لجعله نفسه فقيراً معدماً لا يحسده الناس ، لأنه لا يملك شيئاً حتى جعله الممدوح رافه الغنى ميسور الحال محسداً من الرجال ، وقد أخذ المعنى أبو الطيب فقال :

أزل حسد الحساد عنى بكتبهم فأت الذى صيرتهم لى حسداً
وقال كثير :

منى ما أقل فى آخر الدهر مدحة فها هى إلا لابن ليلى المكرم
فأخذه أبو نواس وقال :

وإن جرت الأماظ يوماً بمدحة لفيرك إنساناً فأت الذى نعى
وأخذه المتنبي فقال :

وظونى مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مرادى
وقال كثير .

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى لى بكل سيل
فقال أبو نواس :

ملك تصور فى القلوب مثاله فكأنما لم يخل منه مكان
وإن كان بيت كثير فى النسيب وبيت أبى نواس فى المدح .

وقال العباس بن الأحنف فى ذم الشرك فى الهوى :

يا فوز لم أهرم لملاة منى ولا لمقام واش حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم لا تصبرون عل طمام واحد

فقال أبو نواس فى صورة بديعة ومعنى رائع :

أتيت فؤادها أشكو إليه قلم أخلص إليه من الزحام

فيا من ليس يكفيها محب ولا ألبا محب كل عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام .
وقال الداعي :

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا ما اشترى الخزاة بالمجد يهيس
وقال الأبيرد :

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء أعوزها القطر
فقال أبو نواس :

فتى يشتري حسن الثناء بماله ويعلم أن الدوائر تدور
وهذا النحو من العرض أو الموازنة بحر لا يدرك له غور ولا يعرف له ساحل .
وعندى أنه لا يعيب الشاعر أنه أخذ أو اتفقت بعض معانيه مع بعض معاني السابقين .
ولما يعيبه قصور البيان وكلال الذهن وضعف التعبير ؟

عبد الحميد محمود المداوي
المدرس في كلية اللغة العربية

الانوار الكشافة عند العرب

قالت مجلة رعميس في الجزء الثاني من سنتها الرابعة :

ألقى الأستاذ (دي لا فورت) محاضرة في ندوة المهندسين برشلونة من أعمال أسبانيا
عر (احتراعات القدماء) أثبت فيها أن أكثر مخترعات القرن الحاضر هي من استنباطات
القدماء واستدل على ذلك بأن الانوار الكشافة التي نسمع بها الآن ونظن أنها من
مستحدثات هذا العصر كانت معروفة منذ القرن السابع ، وكان العرب يستعملونها
في حروبهم بالاندلس وشمال أفريقيا .

المجاهدون الأولون

في فتوح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الاسكر إلى المدينة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأقام بها مدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام فسألها : أى الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فأغواه في جيش من هذه الجيوش التى نذبا عمر لحل رسالة الإسلام إلى أقطار الأرض . وكان أبوه قد كبر وضعف ، وخرج معه أخ آخر ، فانبعث أمية يقول :

يا أم هيثم ماذا قلت أبلاني	ريب المنون وهذان الجديدان ^(١)
إما ترى حبرى قدرك جانبه ^(٢)	فقد يسرك صلبا غير كذان ^(٣)
إما ترى لا أمضى إلى سفر	إلا معى واحد منكم أو اثنان
يا ابني أمية ، إلا تشهدا كبرى	فإن نأبكما والشكل مثلان
إذ يحمل الفرس الأحوى ^(٤) ثلاثنا	وإذ فراقكما والموت سيان
أصبحت هزه الراعى الفتان أعجبه	ماذا يريك منى راعى الضان ؟
انعق بضأنك في نجم ^(٥) تحفره	من الأباطع واحبها بمحمدان ^(٦)
إن ترع ضأما فإن قد رعيتهم	بيض الوجوه بنى عمى وإخوانى

ولما طالت غيبة كلاب عنه قال :

لمن شيخان قد نشدا كلابا	كتاب الله إن رقبه الكتابا
تنفض مهده شققا عليه	ونحنه أباعرنا الصعابا
إذا هتفت حمامة بطن واد	على يعضاتها دعوا كلابا

(١) الجديدان : الليل والنهار . (٢) عبر بالحجر عن صحته . ومعنى رك : ضعف . (٣) الكذبان : الرخو . (٤) الأحوى : الأسود . (٥) النجم : ما لا ساق له من الثبات . ومعنى تحفره تنقلعه . (٦) جمدان : جبل بقرى مكة وواد .

تركت أباك مرعشة يدها وأملك ما تسخ لها شرابا
أناديه وولاني قفاه فلا وأبي كلاب ما أصابا
فإن مهاجرين^(١) تكنفاه^(٢) ليترك شيخه خطئا وخابا
وإن أباك حين تركت شيخ يطارد أينقا شسبا طرابا^(٣)
إذا بلغ الرسم^(٤) فكان شدا^(٥) يحضر غفلاط الذقن الترابا

فلغت آيانة عمر فلم يرد له كلابا ، فاهتز أمية واختلط جزعا عليه ، وتغنت الركبان
بعشر آية فبلغه ، فأنشأ يقول :

لعمرك ما تركت أبا كلاب كبير السن مكتنبا مصابا
وأما لا يزال لها حنين تسادى بعد رقدتها كلابا
لكسب المال أو طلب المعالي ولكنى رجوت به الثوابا

ثم أتى أمية عمر رضى الله عنه يوما وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وحوله
المهاجرون والانصار ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

أعادل قد عدلت بغير علم ولا تدرين عاذل ما ألاق
فإما كنت عاذلنى فردى كلابا إذ توجه للعراق
ولم أفض اللبانة من كلاب غداة غد وأذن بالفراق
فلا والله ما باليت وجدى ولا شغفى عليه ولا اشتياق
سأستعدى على الفاروق ربا له حج الحجيج على اتساق
وأدعو الله مجتهدا عليه يطن الاخشيين^(٦) إلى دقاق^(٧)

فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص ، أن رحل كلابا ، وفرحه
إلى المدينة .

(١) يريد بالمهاجرين طلحة والزبير . (٢) تكنفاه : أحاطا به (٣) النسب : التحفة البائسة .
(٤) الرسم : نوع من حبر الابل أقل من الشد . (٥) [هـ] والشد سير الابل السريع .
(٦) الاخشيان : جيلا مكة ، أبو قيس والاحمر ، وجيلامى
(٧) دقاق : موضع أو واد

فلما قدم دخل إليه فقال له عمر : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أبره وأفنيه أمره ، وكنت أعتمد - إذا أردت أن أحلب لبنا - أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأسقيه .

فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه ، فأدخله يتهدى ، وقد ضعف بصره وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال نعم : أشهى أن أرى كلاباً فأشبهه شمة ، وأضمه ضمة ، قبل أن أموت . فبكى عمر رضى الله عنه ، ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى .

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لآبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبيع إلى بلبها ، ففعل ، فإوله عمر الإمام وقال : دونك هذا يا أبا كلاب ، فلما أخذه وأدناه إلى فقه ، قال : نعم والله يا أمير المؤمنين إنى لأشتم رائحة كلاب من هذا الإمام . فبكى عمر وقال : هذا كلاب عندك حاضراً ، قد جشاك به فوثب إليه وضمه إليه وقبله وجعل عمر يبكي هو ومن حضره وقال لسكالب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا .

له الزينى

أستاذية في النحو والصرف

التفسير الواضح

للأستاذ محمد محمد حمزى - الأجزاء ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

مطابع دار الكتاب العربى

نومنا غير مرة بهذا التفسير اللطيف عند صدور أجزاءه السابقة . وقد أهدى إلينا الآن خمسة أجزاء منه من أول نصفه الثانى ، وبذلك تم ثلثا التفسير ، لأن مؤلفه ألزم أن يفسر كل جزء من القرآن بجزء من تفسيره ، وإذا كانت كتب التفسير المطولة مما يحتاج إليه العلماء وأهل التخصص . فإن هذا التفسير الواضح قد سد حاجة جمهور المسلمين والطلبة وعامة المثقفين فيسر لهم فهم كتاب الله عز وجل ببيان مدلول مفردات الألفاظ ، والمعاني المجملة لكل آية ، على قدر حاجتهم وبما يغنيهم عن غيره . مجرداً عن الحشو والإسرائيليات . فزجوا الله أن ييسر للمؤلف إتمامه .

تعليلات

- ١ -

خطاب مفتوح

إلى السيد رئيس تحرير الجمهورية .

تحية وسلاما - وبعد ... فقد قرأنا في الجمهورية - عدد الخميس ٣ رمضان - كلمة تحت عنوان « كفاح الشعب » ومذبة بكلمة - العليمة .

وكان موضوع الكلمة قدماً مريراً لأحاديث الصيام التي نشرت بالصحف في اليومين الأولين من رمضان ، ووجه النقد : أنها في بيان ما يمنع من صحة الصوم وما لا يمنع ، وفي التنبيه على أن الحقنة الشرجية ومحوها عما يفطر أولاً يفطر ... وقد تألم الكاتب لأن هذه الأحاديث من قبيل ما كان يذاع أيام الملكية في مصر ، ويوم كان فيها باشوات ، وزعم أن الأحكام التي تتعلق بالصوم ، مما يعرفه صيان المسلمين من طريق آباتهم وأمهاتهم - كذا - ثم دعا في كلمته إلى العدول عن هذا ، وإلى التحدث مع الشعب بغير هذه اللغة ، والفصيحة ، وفي غير هذه الموضوعات ، ولم تخل كلمته الناصحة من غمز جارح في العلماء .

ونحن ننعير من الكاتب غيرته ، ونحاذيه في جرأته فنقول :

إن تذكير الناس بأحكام الدين أمر يجب تكراره ، ويجب الاستيعاب فيه : حتى يتذكر من يعرف ، ويعرف من لا يعرف ما يصح به عبادته التي هي صلته بربه ، والتي هي السبيل إلى معرفة حق وطنه ومواطنيه عليه ، فإن ذلك دعامة أولى في تكوين الشعور الصادق بالواجب على اختلاف أنواعه ، وإذا تهدم بناء الشخصية من الناحية الدينية أو نقص تكوينه في إنسان فصرقته - ياسيدي - ألا خير فيه لوطن ، ولا لمواطني ، وإن جاهر بالغيرة على الشعب ، وجاهر بصدق وطنيته . وكيف يكون خير منه لوطنه ، وهو لا يحفل بالخير لنفسه ، ويميش على نقص في دينه ١٩ .



وليس يمنع من تكرار الدعوة الدينية أن تناول الكلام على الحقنة الشرجية يوما هو دونها ، فإن المسلمين - والحمد لله - يثيرون في إلحاح مشكور هذه الاسئلة في مجالسهم أو في دروس العلم بالمساجد لوسمح الكاتب وزارها يوما ، ويثيرونها في رسائلهم إلى العلماء وإلى جهات الفتوى لو كان للكاتب اتصال بها .

وما أحسب كل الآباء والامهات على علم بذلك حتى يلقنوه صبيانهم مثل ما تلقاه صاحب الطليعة عن أبويه الكريمين ، وإنما يلقى صبياننا في هذا الجيل أشياء أخرى لعل كاتبنا يعيها أكثر منا لاتصاله الوثيق بالشعب كما يقول ، وإن لم يعجبه هو أن يتحدث بها ويسام في إصلاحها ، ولا يعجبه كذلك أن يتعرض العلماء لها لأنها في اعتباره توافه لا تستحق أن يتناولها الإصلاح الديني .

وكذلك لا يمنع من بيان أحكام الدين أن تكون سنة سابقة في عهد الملكية ، وفي عهد الباشوات ... بل العهد الذي نحن فيه أولى وأجدر بالتوسع في إرشاد الناس إلى كل نفع في دينهم وفي خلقهم وفي دنياهم ، لأنه عهد الإصلاح المنشود ، ولا حرج على العلماء ولا غيرهم أن يضاعفوا ذلك النشاط في شهر رمضان ، فإنه الشهر الذي آثره الله رب الشعب والشعوب كلها باتخاذهم موسما للعبادة ، وإن كانت العبادة حقا على الناس في كل وقت سواء ، فإن لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص .

ثم : أليست هيئة التحرير تدعو الناس إلى سماع الدروس الدينية في مركزها الرئيسي وتضاعف نشاطها في دعوة الناس إلى إطعام الفقراء . وتسمع القرآن بملا الأسماع أينما اتجهنا . . وتتجاوب تلاوته في الريف والمدن بل تتجاوب بين قطر وقطر !

فهل ننكر ذلك كله ونمنعه ترصية لكاتبنا الاجتماعي ، ولأن شيئا من هذا كان يحدث أيام الملكية وعلى عهد الباشوات ١١٩

الحق - ياسيدى - أن الكاتب يهدف في كتابته إلى النيل من العلماء لحاجة في نفسه ، ولكن خاتمة قلبه فزل به في أمورها كان ينبغي له أن يتحذر إليها لو كان مسلحا حقا كما يزعم لنا . ولكن ... ياسيدى : سبق لنا أن رجونا إلى المشرفين على صحف التحرير وإلى السيد المراقب العام للصحافة والفرش بخصوص خطاب من غير مسلم نشرته بمجلة التحرير ، ورجونا أن تداركوا هذه الأعلام الجائعة فلا تفسحوا لها صحافتكم ، إبقاء على الأوضاع الصحيحة أن تنال منها النزعات الطائفة .

ثم تكرم الرقيب العام فأجابت إجابة كريمة شاكرًا هذا التعاون في حسن التوجيه رعاية للمصالح العام ، ومحافظة على عقول البسطاء أن تتأثر بهذه الثروة السكرية .

واليوم نرجو إليكم ألا تمسكوا لهذه الأقلام أن تشق ثغرات بين الصفوف بتجريحها للبيئات السكرية رغبة في التشفي وانسيانًا وراء النزعات المتطرفة .

فإن كنتم - يا سيدي - جادين في احترام الرأي ، فالرأي عندنا لا كثيرين جدًا ألا تنسج لهذا صحف التحرير التي يتلقاها القراء على أنها صحف الهيئة الحاكمة ، ولسان هيئة التحرير المظنون بها خير كثير .

وما ينبغي أن تكون حرية الرأي خاصة بأصحاب الفكر المنحرفة والمتجرين بالكلام الأجوف ، وكلما جاشت نفوسهم بسخائم مرذولة وجدوا في صحافتكم متسعاً لا يصادف مثله أصحاب الدعوة الحققة والأقلام المهذبة .

وإن كانت كلمة الكاتب طليعة لشر مبيت وتجيديداً لنعمة الفتنة بعد نومها ، فما لنا من حيلة بعد هذا في صرف الماكرين عن مكرهم ومن يهداه الله فهو المهتدى .
والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير مجلة الأزهر

— ٢ —

خارج الباب

العلم علان : علم الشيطان ، وشعاره السلاطة والبغي والكلام بلغة الجاهلين . وعلم الحق ، وشعاره الأدب والتعفف عن زلل القول والترفع عن سباب السوق ، ومدينة العلم الشيطان يغلب عليها الأسلوب اللائق بها ، كما يغلب على مدينة علم الحق الأسلوب اللائق بها .

وقد اطلعنا على الجزء الثاني من المجلة الطائفية التي يكتبها المشكك في إيمان أبي بكر وعمر فرأيناها انحطت عن الجزء الأول في لغتها وأدبها ، وحتى مقالها الافتتاحي فتمتص فيه أصحاب رسول الله بأنهم عقب انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، بدلوا

وغيروا ، وقدموا ، وأخروا ، وتألوا على الدين ، وكانوا بما قام في طريق الإصلاح والعمل بالكتاب والسنة من الناكثين والقاسطين والمارقين .

وبعد ان افتتحت المجلة جزءها الثاني بسبب الجيل المثالي الذي لا تعرف الإنسانية جيلاً أكمل منه ولا أنقى لله ولا أصدق اتباعاً لرسول الله وعملاً برسائله ، فزعمت المجلة أن هؤلاء ، ناكثون قاسطون مارقون . . التفتت إلى الناحية التي تعمل على إحياء علم الصحابة وفي طليعتهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهي ناحية الأزهر ، فصبت مثل هذه اللعنات على مقال السنة الذي يحرره فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت واختصت الصفحة ٢٥٩ من إحدى مقالاته بسبابها وفسوقها . ثم تجملت بلغة السوق على فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد أبي شبة في مقالاته عن الدخيل وكتب التفسير واختصت إحدى تلك المقالات ببذاتها بما تمجده آداب العلم ، وينافي أخلاق أهله . وصدق الله العظيم في وصف المؤمنين : (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) . (المجلة)

— ٣ —

الاشعري ومراحل تطوره الفكري

كان لما كتبناه في باب وصف الكتب من الجزء الماضي عن كتاب : (الاشعري أبو الحسن) لحضرة الفاضل المحقق الدكتور حمودة غرابية صدى استحسان عند كثير من القراء ، غير أن الصديق الجليل مؤلف الكتاب يرى في تطور الاشعري أنه بعد خروجه من طوره الأول طور الاعتزال حله رد الفعل على أن يكون في الطور الذي يمثله كتاب (الإبانة) ، ثم اعتدل فكان في الطور الذي يمثله كتبه الأخرى ولا سيما كتاب (اللمع) وقد زارنا حضرته وبشرنا بأنه آخذ في تحقيق كتاب (اللمع) وسيعيد نشره محققاً بما يليق بهذا الكتاب النفيس ، ثم قدم حضرته للمجلة مقالا في بيان وجهة نظره التي ذكرناها عن تطور الاشعري ، ولما كانت مواد هذا الجزء قد تمت عند اطلاعنا على مقال الدكتور حمودة فنشره إن شاء الله في الجزء الأول من السنة الجديدة ، ونعلق عليه بوجهة نظرنا في أن (اللمع) من كتب الاشعري في طوره الثاني وأن (الإبانة) هي التي انتهى الاشعري إلى الاعتقاد بما فيها في آخر حياته وأراد أن يلقى الله عليها ، وموعدا بعرض وجهتي النظر في ذلك الجزء الآتي إن شاء الله . (المجلة)

— ١ —

حقائق

كنت أقرأ في تفسير سورة محمد عليه الصلاة والسلام حتى وصلت إلى قول الله تعالى :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا اللَّهَ فَيَنصُرْكُم وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » .

قال الشيخ المفسر : معنى نصر الله — نصر دين الله ورسوله — .

ثم أخذت أفكر في هذا المعنى وأنظر إلى المسلمين اليوم هل حققوا هذا المعنى الكريم حتى يظفروا بنصر الله ؟ أم أنهم طرخوا الدين وراءهم ظهرياً — ثم أرجعت بعصري إلى الوراء ألقبه في صفحات التاريخ : هل حقق المسلمون في القرون الأولى هذا المعنى حتى فازوا بتأييد الله ؟ فوجدتهم في صدرهم الأول قد حققوه ، فلا نجد فيهم إلا الطهر والعفاف والصدق والأمانة ، القوى فيهم ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف قوى حتى يؤخذ الحق له .

بهذا وغيره سادوا العالم وملكوا الدنيا ، وأصبحوا آمنين في ديارهم ، مطمئنين في أوطانهم تخضع لسلطانهم أكثر ممالك الأرض ، حتى إن الخليفة العباسي يتحدى السحاب بقوله :
(أمطر في أي الجهات شئت ، فسيأتينا خراجك) . هؤلاء هم الزعماء حقاً والأبطال الأجداد الذين حققوا نصر الله فنصرهم الله .

أما نحن اليوم فقد تنكبنا عن جادة الطريق وسرنا في الخضيض والهوان حتى امتلك بلادنا من كان بالأمس القريب لا يستطيع أن يدافع عن نفسه .

تجد المسلمين اليوم يحاربون في أوطانهم ويستولون في ديارهم ، تداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، ذلك لأننا حاربنا دين الله نخذلنا الله .

تجد في البلاد الإسلامية الصحافة التي من مهمتها تقويم الأخلاق ونشر الفضائل وبث روح الجهاد والتضحية ، لا يتورع بعض أهلها عن للتاجرة بأعراض الأمة ويفسدون أخلاق شبابها بنشر الصور العارية والقصص الفرامية التي توقع في الشر والفساد .

فعلينا إذا أردنا نصر الله أن ننصر دينه ونتحلى بأداب سلفنا الأول ونجدد مجتمعتنا بما يقوى فيه أسباب الرجولة والقوة (ولينصرن الله من ينصره) . السيد محمد السيد

بمحمد سوهاج الديني

- ٢ -

المسلمون بين أمسهم ويومهم

إذا نظر الإنسان فيما صار إليه المسلمون في هذا العصر من تفرقة وشحناء واستهتار بشخصيتهم ورسالتهم الكريمة التي خلقوا لها والتي بوائهم مقام الاستاذية على العالم حيناً من الدهر، فسكانت لها الوصاية الجامعة على البشرية الفاصرة، وكان المسلم هو الشهيد على الإنسانية جمعاء — يقف مسائلنا: لماذا بعدما عن رسالتنا تلك، وهل اغتصبت منا، أم نحن الذين تنكرنا لها .

الحق أننا نحن الذين تنكرنا لها، فتكرت لنا، جزاء وفاقا (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . ولما غيرنا تعاليمنا الأصيلة بما دخل عليها، ذهب ربحنا وطراً علينا الضمف، فاقض علينا الأعداء الموتورون من الإسلام وتحينوا لنا الفرص، بل حاولوا إغرامنا بكل الوسائل لكي يمدوا الطريق الذي ينفذون منه إلى قلوبنا فيزلزلوا ما فيها من بقية الإيمان وأرسلوا لنا باسم العلم والثقافة جحافلهم، فقوضوا تعاليمنا الإسلامية، التي هي عصمة أمرنا، والتي هي دعامة شخصيتنا إلى أن صبغونا بتلك الصبغة وقبلناها راضين . فأصبحنا لا نفرق بين الفث والسمين، وبذلك صرنا جاحدين لتعاليمنا . محسبها رجعية لا صلاح فيها — وتنكرنا للإخاء الإسلامي رغم أننا نرى أن أعداءنا على وفاق في جبهة عدائهم لنا، وأنهم على تنافر جنسياتهم، انحدوا في محاربتنا في جميع المواقف وآخرها موقفهم منا في فلسطين وأمرها ليس بعيد، فولدت في أحضانهم هذه المولودة لإسرائيل فتكتل أهلها وتجمعوا على تنافر لغاتهم وكونوا — في معقل إسلامي عظيم — دولة لا تفنأ ترمينا بسهامها المسمومة .

هذا ما كانت من حنالة البشرية، وأهل الإلحاد . . عندما عملوا بالإخاء والحب والاتحاد . وما كان منا نحن أهل الإسلام أهل التوحيد الذين تنادى بهم دعوتهم : بالإخاء والاتحاد . بل جعلت ذلك من الدعائم التي يقوم عليها المجتمع الانساني .

فيا أبا الإسلام هل عرفت ما نحن عليه، وما عليه أهل الإلحاد . . وكيف انعكس الحال وصار الوضع مقلوباً . . إن سبب ذلك تنكرنا لمبادئنا . . وتعاليمنا التي بنيناها لها تبدل حالتنا . . وهو الجزاء الذي أئذرننا به القرآن الكريم فقال : — « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وصدق الله العظيم .

محمد أحمد إبراهيم بدوي

الفتاوى

- ١ -

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلي :
كريمة أحد أقاربي وهي مسلمة خطبها شاب مذهب من عائلة محترمة ، ولما تخبرنا أمره
وجدناه على مذهب (البهائيين) فهل يجوز زواج المسلمة بالبهائي ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فقد اطلمت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن البهائية فرقة ليست من فرق
المسلمين ، فإن مذهبهم يتنافى أصول الدين الإسلامي وهنائه التي لا يكون المرء مسلماً إلا
بالإيمان بها جميعها ، بل هو مذهب يخالف سائر الملل السماوية ، فلا يجوز للمسلمة أن تزوج
بواحد من هذه الفرقة ، وزواج المسلمة به باطل .

بل إن من اعتنق مذهب هذه الفرقة من بعد ما كان مسلماً صار مرتداً عن دين الإسلام
فلا يجوز زواجه مطلقاً ولو بهائية مثله . والله أعلم .

- ٢ -

تقدمت لخطبة فتاة فاعترضت والدتها بحجة أفق رضعت من ثديها ، فاستفسرت منها
عن الحقيقة ، فعلمت أنها كانت أعطيت ثديها فأخذت منه جرعة واحدة ثم لفظته ونمت ، فهل
يجوز لي الزواج من هذه الفتاة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال حل للسائل ان يتزوج بهذه الفتاة على مذهب الإمام الشافعى ومذهب الإمام أحمد فى الرواية المشهورة عنه ، وهو ما تبنى به اللجنة لقوة دليله . وان كان الامامان أبو حنيفة ومالك يقولان : إن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم متى وجد فى مدته . و الله اعلم ؟

— ٣ —

شخص طلق زوجته ثلاثا بقسيمة رسميه ، ثم توفى بعد الطلاق بثلاثة أيام ، وكان مريضاً بالسرطان ملازماً للفراش قبل ذلك بشهرين ، فهل هذا الطلاق يعتبر واحد أو ثلاثاً . وهل تراث الزوجة وأبنائها منه حيث مات وهي فى العدة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن للعول عليه فى هذه الحادثة هو ما قيد بالقسيمة وهو طلاق باتن قد صدر منه وهو فى مرض الموت إذا كان الأمر كما ذكر بالسؤال . فإذا كان قد صدر منه بغير رضا الزوجة كان هذا الطلاق غير مانع من إرثها منه لأن المطلق فى هذه الحالة فار من إرث الزوجة له فيعامل بنقيض قصده ، فترث منه إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال من أنه مات وهي فى العدة ، وأما ابنه منها فهو وارث من أبيه مطلقاً سواء أورثت طبقاً لما قلنا أم لم ترث ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله اعلم ؟

— ٤ —

عندى مقبرة تضم رفات والدى وجدى وعمى وغيرهم من أكثر من عشر سنوات ، وقد اشتريت الآن حوشاً وبنييت به مقابر ، فهل يجوز لى نقل رفات أبى إلى المقبرة الجديدة مع العلم بأن الحوش الجديد بعيد عن المقبرة التى بها رفات والدى ، وإذا تركتها من غير زيارة هدمها التربة وباعها لآخرين ولا يمكننى أن أواصل زيارتى فى الجهتين بل سأقتصر على زيارة المقبرة الجديدة ، والمسكان الجديد أنظف وأليق من المسكان القديم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ونفיד بأه يجوز في مذهب المالكية
والحنابلة نقل الميت من مكانه الذي دفن فيه إلى مكان آخر لمصلحة كدفنه بين أقاربه وسهولة
زيارة أهله له بشرط ألا يصحب النقل ما ينافي احترامه كأنفجاره أو تكسر عظامه أو غير
ذلك مما فيه انتهاك حرمة ، وبناء على ذلك يجوز في الحادثة المستول عنها نقل الأموات
المذكورين إلى المقبرة الجديدة ، والله أعلم ؟

— ٥ —

١ — هل الإفراز المبلى يبطل الوضوء إذا حدث بعد إتمام الوضوء .

٢ — هل طلاء الأظافر يمنع الوضوء ويبطل الصلاة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فتفيد اللجنة : —

أولاً — بأن هذا الإفراز المستول عنه ناقض للوضوء .

ثانياً — بأن طلاء الأظافر بالمادة المعروفة مانع من تمام الوضوء لأنها ليست مجرد
لون بل هي مادة ذات جرم يمنع وصول الماء إلى الأظافر فلا تصح الصلاة بهذا الوضوء ،
لكن إذا توضأت المرأة قبل وضع هذا الطلاء ثم وضعت وصلت فصلانها صحيحة ولا يمنع
وجوده بعد تمام الوضوء من صحتها ، وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

الكتب

محاضرات عن سوريا - من الاحتلال حتى الجلاء

للدكتور نجيب الارمنازى - نشرته جامعة الدول العربية - ٢٢٥ صفحة كبيرة

الدكتور نجيب الارمنازى السفير فوق العادة والمندوب المفوض للجمهورية السورية في مصر من رجال العلم والبحث والتحقيق، كما هو من رجال السياسة والتمثيل الدبلوماسى العربى. وقد ألف قبل أكثر من ربع قرن كتابه النفيس (الشرع الدولى فى الإسلام) باللغة الفرنسية، وقال به الدكتوراه من جامعة باريس بدرجة جيد جدا، ثم نقله إلى العربية وكتب له الأستاذ فارس الخورى مقدمة قارن فيها بين الشرائع وأشاد بمكانة الشرع الإسلامى منها. وكما أراد سفير سوريا فى مصر أن يعرف الغرب بالشرق الإسلامى فى كتابه (الشرع الدولى فى الإسلام) أراد أن يعرف الشرق الإسلامى بالأسس التى يقوم عليها نظام الغرب الدولى فأصدر قبل بضع سنوات كتابه (السياسة الدولية وأشهر رجالها) فى جزئين اختص أولهما بالأعمال والأخلاق والتقاليد وعلاقة ذلك بالسياسة الدولية فى الغرب، وترجم فى الثانى لأقطاب المناهج السياسية من مكيفلى وورشليو إلى كافور وبسمرك حتى ولسن وروزفلت. وقد أهدى الدكتور نجيب الارمنازى إلى صديقه القديم رئيس تحرير هذه المجلة كتابه النفيس الجديد (محاضرات عن سوريا - من الاحتلال حتى الجلاء) وهى محاضرات علمية ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية الذى افتتحته جامعة الدول العربية فى العام الماضى وهذه المحاضرات امتازت بالوقوف التام على تفاصيل الأحداث التى ألمت بها، والاستشهاد عليها بالوثائق والمستندات العربية والإفرنجية، ثم بحسن العرض والأمانة فيه مما يعد أساساً جيداً لتاريخ سوريا السياسى فى الثلاثين سنة الأخيرة عندما يحاول المؤرخون تدوينه. ولا غرو فإن صاحب المحاضرات العلمية العالية من بيت جهاد قومى نبيل، وأخوه السيد على الارمنازى من شهداء الحركة القومية العربية خلال الحرب العالمية الأولى، وكان الدكتور المحاضر سكرتير المجلس النيابى السورى فى عهد ملكية فيصل الأول سنة ١٩٢٠ ثم كان شاهد عيان بصيرا بجميع الأحداث التى توالى بعد ذلك، فجاءت محاضراته هذه التى

ألقاها على طلبة معهد الدراسات التاريخية في القاهرة من أمن وأروع ما يجله هذا المعهد من دراساته وبحوثه النفيسة . وقد أحضرت جامعة الدول العربية بنشرها في هذا الكتاب ليعم الانتفاع بها جميع المشتغلين بشئون القومية العربية وتكوين كياناتها في العصر الحديث .

لغويات

لفضيلة الأستاذ محمد علي النجار - ١٦٠ صفحة كبيرة - مطابع دار الكتاب العرب

فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار هو الحجة الثقة في تحقيق متون اللغة ، وتخرج القواعد وتطبيقها في فنون العربية ، عرف ذلك له قراء هذه المجلة من سنين طويلة بفصوله الشائقة وتحقيقاته الدقيقة التي ينشرها بعنوان (لغويات) . وقد أراد أن يشرك سائر قراء العربية في هذه الفوائد العظيمة ، فأصدر الجزء الأول منها في ١٦٠ صفحة محتويًا على ٩٦ تحقيقاً كلها غرر ودرر . وقد قال في مقدمتها : « الكتب المؤلفة في اللحن ضربان : ما تلحن فيه العامة ، وما تلحن فيه الخاصة . وظاهر أن البدء بالتأليف كان بالضرب الأول حين كان لحن الخاصة نادراً لا يستوجب التأليف ، وقد ألف فيه الكسائي والقراء والجوابي وغيرهم . ولما فشا اللحن في الخاصة ولغة الكتابة ظهرت التأليف في لحن الخاصة ، ولأبي هلال العسكري كتاب في هذا الضرب ، ولما صارت لغة العامة لحنًا كلها أفرد التأليف في لحن الخاصة ، وأشهر كتاب في هذا « درة الغواص في أوام الخواص » للحريري وقد تناوله العلماء من بعد بالشرح والنقد والتأييد » .

ثم قال ، وسبيل في هذه البحوث أن أدرس ما فيه ريبة من الأساليب أو المفردات في ضوء العربية ، وقد أخرج منها بنى الريّة عنها . وقد أخرج بإلصاقها به وتثبيتها فيه ، على حسب ما يلفتني اجتهادي » .

ووعده فضيلته بأن يتبع هذا السفر ما يجد من بحوث إن شاء الله .

فلنلت أنظار المتأدبين ومحبي جمال العربية إلى هذا المرجع القوي في باب ليتنعموا به ويوسعوا به معارفهم عن لغة القرآن ، فإنه من خير ما يوصلهم إلى هذه الغاية إن شاء الله .

خواطر الحياة

ديوان فضيلة الأستاذ السيد الخضر حسين - ٢٠٧ صفحات كبيرة - المطبعة السلفية .

يقول فضيلة الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر السابق في المقدمة التي كتبها لهذه المجموعة من شعره : « ربما خطرت لي صور من المعاني ، في أوقات أبتغى فيها راحة ، فألبسها ثوبا من الكلام الموزون . ولم يلم بخاطري في يوم أن أجمع ما نظمت وأخرجه للناس ، حتى اقترح على طائفة من إخوان الفضلاء أن أجمعه من أوراق متفرقة ، وأصدره إلى عالم الأدب في صفحات متتالية ، فما وسمي إلا أن تقبلت اقتراحهم وقلت : هو كلام موزون ، إن لم يجد فيه الأديب ما يروقه من لفظ أنيق ، أو معنى رشيق ، فقد يرى فيه المؤرخ شيئا يهيمه أن يتعرفها من مصادر متعددة ، » .

والحق أن ديوان « خواطر الحياة » قد فاز بالحسين : ما يروق الأديب من لفظ أنيق أو معنى رشيق ، وما يهيم المؤرخ أن يتعرفه من خواطر عن مشاهد الحياة في عشرات السنين ومختلف الأقطار .

وقد قدم له مقدمة النشر رئيس تحرير هذه المجلة . وقام بتفسير ألباطة اللغوية والتعليق عليه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار ، لجاء في جمال ديباجته وشرف أغراضه وأنيق طبعه طريقة من طرف المكتبة العربية لهذا العهد .

مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي

للدكتور شكري فيصل — ٢٤٣ صفحة كبيرة — نشرته مكتبة الخانجي بمصر

وصفنا في العام الماضي كتابا للدكتور شكري فيصل عنوانه (المجموعات الإسلامية في القرن الأول) . وأما الآن كتاب جديد له عن (مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي) وهو مقسم إلى ثمانية أقسام تكلم في أولها على (النظرية المدرسية) وشأنها وتاريخها وموقف الأدباء المعاصرين منها . وفي القسم الثاني تحدث عن حاجة الأدب العربي إلى نظرية أخرى جديدة تمكنه من المعرفة الحسنة العميقة بعد أن انتهت النظرية

المدرسية إلى الجود ، وإلى ما يسوق إليه الجود من هزال وضعف . فتحدث عن طبيعة الأدب العربي ، وعن واقع الأدب العربي ، ثم شرع يقاسم عن الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها الدراسة الأدبية ، فاستعرض في القسم الثالث من الكتاب نظرية الفنون الأدبية ، وفي القسم الرابع نظرية الجنس ، وفي القسم الخامس نظرية الثقافات ، وفي القسم السادس نظرية المذاهب الفنية ، وفي القسم السابع النظرية الإقليمية ، وختم الكتاب في قسمه الثامن بتحرى مسج جديد ينظم الأدب العربي من أطرافه كلها بما لهذا الأدب من امتداد زمني وسعة مكانية وواقع لغوي خاص وحياة متميزة .

غربة الإسلام - لابن رجب

بتحقيق الأستاذ الشرباصي - ١٤٨ صفحة - مطابع دار الكتاب العربي

هذا العنوان . غربة الإسلام ، هو الذي اختاره فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي لكتاب . كشف الكربة بوصف حال أهل الغربة ، الحافظ ابن رجب (٧٣٦ - ٧٩٥) صاحب المؤلفات النفيسة في علوم السنة والشريعة . وكتابه هذا في شرح الحديث الصحيح بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء . . وقد علق عليه فضيلة الأستاذ الشيخ الشرباصي تعليقات نفيسة مطولة ألفت بهذا الموضوع في معانيه التي استلهمها من أحداث عصرنا مضافة إلى معانيه التي استوفها المؤلف مستلهم من مقاصد الشريعة ، لجاء الكتاب كالإلا وإفيا بكل ما ينبغي لتبليغ المسلمين أن يفهموه في عصرنا من هذا الحديث النبوي الحكيم .

وما زاد الكتاب فائدة أن الأستاذ الشرباصي ترجم فيه لكل من ورد اسمه في خلال شرح ابن رجب ، فأغنى ذلك عن مراجعة غيره .

الأزهر العجلوني في شهر رجب

الشهادات الأزهرية

لأجله وأن يسمى (معهد البحوث الإسلامية) وأن يلحق به الطلبة من أبناء السودان في الأزهر إذا توفرت فيهم الشروط وسيكون القسم العام بالأزهر تابعاً لهذا المعهد .

وتقدم طلبات الانتساب من الطلاب الوافدين من السودان عن طريق وكالة الوزارة لشئون السودان ، كما تقدم طلبات غير السودانيين عن طريق القنصل السياسي أو القنصل المصري . والمقبولون الآن في مصر من السودانيين وغيرهم تطبق عليهم شروط انتساب المصريين ماعدا اللاجئين فيكون لهم حكم الوافدين .

وقد اشترط لقبول الانتساب أن يكون الطالب مسلماً حسن السير والسلوك بشهادة اثنين معروفين للشيخ وأن ينجح في الكشف الطبي ويأخذ أوراق رسمية تثبت السن والجهة التي وفد منها وتعين محل إقامة أهله ، وألا تقل سن الطالب عن سن ١٢ سنة للسنة الأولى من القسم الابتدائي وألا تزيد على ٢٤ سنة مع مراعاة التسدرج في هذه السن بالنسبة للسنوات الأخرى وأن يؤخذ رأي شيخ الرواق قبل إتمام الانتساب الخ

وافق مجلس الوزراء على قانون بتعديل بعض أحكام المرسوم بقانون رقم ٢١ لسنة ١٩٣٦ ، ومن مقتضى هذا التعديل أن تمنح مشيخة الجامع الأزهر - بناء على طلب الكلية الأزهرية المختصة - شهادات العالمية ، وشهادة العالمية مع الإجازة ، وشهادات العالمية من درجة أستاذ . وسيوقع على هذه الشهادات رئيس مجلس الوزراء وشيخ الجامع الأزهر ، وتعتبر من الشهادات العليا من حيث الحقوق التي تخولها لحاملها .

معهد البحوث الإسلامية في الأزهر

هذه البحوث الإسلامية إلى الأزهر أمانة العالم الإسلامي في مصر ، وهي أملة في إقامة شريعة الإسلام في تلك الأوطان إذا أتم طلابها دراستهم واقتبلوا إلى أهلهم ليقبوا شعوبهم بما أفادوه مدة إقامتهم في الأزهر . لذلك رأى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يعاد النظر في تنظيم القسم المخصص لهم بما يكفل لهم الاستقرار العلمي فيما جاءوا

انباء العالم الاسلامي

الميثاق التركي الباكستاني

يصطدم بالزرعة اللا إسلامية

يقول مراسل صحيفة (نيويورك تيمس) في اسطنبول: إنه بفضل الضغط الأمريكي عقد الأتراك وعملوا الباكستاني الميثاق المعلوم توطئة لإنشاء نظام الدفاع عن الشرق الأوسط بقصد تجميع القوى كلها لصد أى هجوم سوفيتي محتمل. ويقول الأتراك إن غلام محمد أكد لهم باسم باكستان أن حكومته رغبة حقاً في التعاون على أساس الحقائق الجغرافية والسياسية، لا على أساس العلاقة الدينية وحدها.

والآن فإن الميثاق التركي الباكستاني يتعرض لخطر داهم من جراء اتجاه الباكستان إلى فكرة الوحدة الإسلامية، ومعروف أن الأتراك يعارضون تلك الوحدة وأبدوا الكثير من القلق عندما علموا أن الباكستان شجعت ملك الأردن على فكرة دعوة مؤتمر إسلامي في القدس لبحث النزاع بين العرب وإسرائيل، غير أن الأتراك لا يرغبون في التضحية بتجاربتهم مع إسرائيل ويخشون أن يصبحوا طرفاً في النزاع.

والحكومة الأمريكية تعتقد أن زيارة محمد علي وظهر الله خان لتركيا الشهر القادم ستساعد على إيجاد سياسات تقوم على حسن التفاهم ويأمل الأتراك أن ينبذ الباكستانيون فكرة المؤتمر الإسلامي وأن لا يقحموا في أى نزاع.

اتفاقية عسكرية

بين أمريكا وباكستان

تم في أواسط رمضان توقيع الاتفاقية العسكرية بين أمريكا وباكستان على أن تزود الولايات المتحدة الجيش الباكستاني بالمعدات الحربية الحديثة وأن تساهم في تدريب القوات العسكرية الباكستانية. في مقابل أن تتعهد باكستان - بالتعاون مع الولايات المتحدة - باتخاذ التدابير لمنع الاتجار مع الدول التي تهدد استقرار السلام العالمي، وأن تزود الولايات المتحدة ببعض (المواد الخام) والمواد (نصف المصنوعة) وفقاً لشروط خاصة. وتتعهد باكستان ألا تستخدم العتاد الذي ستحصل عليه في القيام بأى عمل عدواني ضد أية دولة أخرى، بل تستخدمه في حفظ (أمنها الداخلي) فقط والدفاع عن نفسها، أو المساهمة في (التدابير الجماعية) التي تقوم بها الأمم المتحدة في سبيل إقرار الأمن. وتسمح باكستان للولايات المتحدة بإرسال بعثة من الخبراء والمستشارين ومنهم التسهيلات الكاملة والسلطة اللازمة (للمراقبة) كيفية استخدام المساعدات التي ستحصل عليها بمقتضى هذه الاتفاقية.

ومعلوم أن باكستان وقعت أخيراً ميثاق صداقة مع تركيا يرمي إلى تفتيق الدولتين جهودهما في النواحي السياسية والاقتصادية والدفاعية والتفافية أيضاً.

لاصروح المسجد الأقصى

يقوم وفد أردني بجمع التبرعات لإصلاح قبة الصخرة والمسجد الأقصى . وقد وصل هذا الوفد إلى الرياض في أواسط رمضان فتبرع له الملك سعود بمائة ألف جنيه لهذا الغرض . وقد أرسل الوفد برقية من الرياض إلى الملك حسين بعمان يبلغه ذلك .

سعود آباد

قررت حكومة باكستان إنشاء مدينة للاجئين المسلمين من اضطهاد الهنالك ، وأن تسميها (سعود آباد) على اسم الملك سعود تذكراً لتبرعه لمشروع إنشاء هذه المدينة بمائة ألف جنيه وتبرع وزارة ماليته بخمسين ألف جنيه وسيجعل هذا المبلغ نواة لتحقيق هذا المشروع العمراني .

هؤلاء مثلنا الأعلى

لفضيلة الدكتور الشيخ عبد الحميد بنحيث - ١١٥ ص - شركة النيل للتوزيع فضيلة الأستاذ المؤلف من أسانذة كلية أصول الدين ، المتخصصين في التاريخ الاسلامي وقد أراد أن يضع بين أيدي جماهير الأمة صفحات من البطولة الإسلامية ، فكان شعاره في ذلك (محمد رسول الله والذين معه) فبدأ كتابه بأبطال الإسلام في تحرير فارس وادعائها في الأسرة الإسلامية ، ثم تكلم عن أبطال الإسلام في تحرير الشام ومصر ، ثم استعرض حياة الرسول الأعظم ﷺ وكيف كون الأمة الفاضلة ليكون ذلك قدوة لنا في استئناف الدعوة لتكوين مثل تلك الأمة الفاضلة ، وأشار بتجنيد الأزهر بين العلماء لتربية أبناء الاسلام تربية عملية متبعة .

اضطرت المطبعة إلى الاسراع في طبع الملزمة الخامسة . لحدثت أخطاء مطبعية في بعض النسخ لا تحفى على فطنة القارئ . وأهمها .

س	ص	الخطأ	صوابه
١٢	١١٧٨	ربي	ربنا

فهرس

المجلد الخامس والعشرين

(لسنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م)

(١)

اتفاق الخواطر في الشعر : مرض وموازاة ٨٠٩ ،

١١٧٩ ، ١٠٣٢

إحسان النمر : كنوز بلاد سدوم ٤٩٨ ، ميناء

المقبة ٧٠٣

أحمد بن حجر المصقلاني (يقيم من مصر العتيقة) ٧٨٥

أحمد بن حنبل : عقيدة ، ملهبة ، محتة ٨٢٧ ، ٧٢٣

أحمد الشايب : حول الفن القصصي في القرآن ٨٥٧

أحمد الصريامي : القصة في القرآن الكريم ٧٢٥ ،

الرابط في الاسلام ٧٠٧ ، البدن في نظر الاسلام

٥٥٣ ، الثأر في نظر الاسلام ٧٠٧ ، ٨٢٧

النيل في ضوء القرآن (كتيب) ٧٥٧ ، أيام

الكويت (كتاب) ٨٧٠ ، لمن يكون تنفيذ الحدود

٩٠٠ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤٠ ، من أجل فلسطين (كتيب)

٩٧٩ ، أمين الأمة أبو عبيدة (كتيب) ١٠٩٣ ، من

تفحات أقبال ١١٤٥ ، غربة الاسلام ١١٩٩

أحمد طه السنوسي : عقد التأمين في التشريع

الاسلامي ٢٢٢ ، ٣٠٣ ، الرق وآثاره في التشريع

الاسلامي والمصري ٤٤٦ ، اختلاف الفقهاء

في التشريع الاسلامي والفاصول للمصري ٥٨٠ ،

٦٩٦ .

أحمد عز الدين خلف الله : الأزهر ومشارك

للتحرير الاولى ٤٩ ، الأزهر والتضحية الوطنية

٣١١ ، الشعب المصري يطرد الانجليز ٩٤٧

(وانظر ١٠٧٠)

أحمد فؤاد الأماني : في أصول النشر ٤٧٧

أحمد كمال زكي : فسكرة ومنهج ٨٣٧

آثار سبأ ومأرب ٧٦١

آثار السلف : لجنة أزميرية لمراجعتها ٧٥٩

ابراهيم أحمد الوفي : للكتب وللناهج الأزميرية ٨٤٤

ابراهيم علي أبو الخشب : سالم بن مقل ٢١٣

ابراهيم علي بدوي : اقدأ كبريا محمد (قصيدة) ٣٥٥

ابكتاتوس الحكيم اليوناني ٩١٢

ابن أبي ذئب ١١٥٨

ابن سيرين ٦٦٠

أبو أيوب الأنصاري ٣٨

أبو دهميل الجهمي ٥٦٦

أبو علي بن سينا (كتيب) ٨٧١

أبو هريرة ١٠٨١

أبو هريرة والطاعنون فيه ٥٥١

أبو الوفا الرازي : شفاء الغليل في سالك التحليل

لفوازي ٣٠ ، ليس في الاسلام موسيقى دينية

ولارقص ديني ٢٥٣ ، العالم في ظلال المذاهب

البشرية ٤٣٠ ، إنباء النمر بأبناء العمر

لابن حجر ٥٧٧ ، قلنا وقالوا ٧٢٥ ، عنة

الأدب وما هو السبب ٨٠٦ ، تحرير للقال (كتاب

في تربية الأطفال لابن حجر الميمني) ٩١٣ ،

رمضان هجرة إلى الله ١٠١٥ ، قية أدب ١١٣١

الاتحاد الاسلامي ٥٠٦٥٠٥

اتحاد علمي عربي ٢٥١

اتصال الثقافة ٦٧٤

- أحمد محرم : ديوان مجد الاسلام ٤٦ ، ١٤٤٩ ،
٢٧٢ ، ١٢ ، ١٩٢٣ ، وصيته إلى
صديق له ٦١١
أحمد محمد شاكر : أبوهرة والطاعون فيه ٥٥٩
أحمد مظهر العظمة : خواطر في الأدب (كتيب)
١١٥ ، سبل الاسلام (كتيب) ٧٥٥
أحمد نصيب الحميد : استفتاء لفوى ٤٦٥ ،
جوابه ٧١٦
اختلاف الدارين في التصريح الاسلامي والقانون
للصلى ٥٨٠ ، ٦٩٦
أخلاق أسراء الصحابة ٧٢٤
الأخلاق عند بنى ٧٨
أدب الأخوة (كتيب) ١١٣
أدب الشعر (كلمة لمأوى) ١٠٥٢
الأدب : محنته ٨٠٦ ، ١٠٥٣
الاذاعة للدرسية ٩٨٣
الأردن في أيام الحروب الصليبية ٥٩
أزمة الثقافة في مصر ١١٥٠ [وانظر ٩١٠]
الأزهر ومشارك التحرير الأولى ٤٩
» لجنة لتنظيمه ١١٨
» حاجته إلى إمداد أبنائه بينه ١١٠٥ ، ١٣٣
» والتضحية الوطنية من الجهة الفرنسية إلى
ثورة مرابي ٣١١
الأزهر والدراسات العليا فيه ٣٧٩
» : التقدم لمعاداته من الخارج ٣٧٩
» إمداء مكتبة إليه ٣٨٠
» الطلبة للتعقون به ٣٨٠
» استيلاءه على مبنى لمعهد سمود ٥١١
» : نفقات البحوث الإسلامية في ميزانيته ٦٣٢
» في مؤتمر نيردي ٦٣٣
» : لجنة مراجعة آثاره ٧٥٩
» : لجنة الفتوى ٧٥٩
» : ترقية خريجه للتعليم الثانوى ٧٥٩
» : هنيئه بالسودان ٧٦٠
- الأزهر : اشتراك رجاله في الرقابة على الأفلام ٨٧٢
» في البرلمان التركى ٨٧٣
» : امتحاناته ٨٧٥
» : تعديل قانون تنظيمه ٩٨١
» : والصحافة ١٠٢٥
» : إشرافه على جمعيات المحافظة على القرآن ١١٠٠
» في أوغنده ١١٠٠
استثناء الطلاب الشرقيين من شرط السن ٨٧٥
الاستثمار : إقلاص نظامه ١٢٥
الاستثمار المقتل ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٦٣٤
استفتاء لفوى ٤٦٥ ، جوابه ٧١٦
استقلال التعليم الأزهرى ٢٥٣
أسرار الشريعة واعتماد الحساب القلدى لأوقات
الصلاة ٤٩٣ ، ٩٥٣
أسس الحكم في الاسلام (كتيب) ٥٠٠
الاسطول للصلى في مياه باكستان والهند ٢٦٢
الاسلام والأزهر في مجلة سلاح الاشارة ٩٦٦
الاسلام والاستثمار ٦٣٧
الاسلام في ملايو وسيام ٧٦٤
الاسلام دين الاتحاد وحسن المعاملة (خطبة
الجنة بالأزهر) قبل ص ٨٨١
أ-لمحة أمريكا لعرب (رمزية) ٩٨٨
أسمى الرسائل (كتاب) ٩٧٨
أسوان بين أمسها وغدما ٥٠٨
إشاعات السوء وموقف الاسلام منها ١٤٦
الأشمرى أبو الحسن (كتيب) ١٩٤ ، ١٩٩٠
اشفعوا تؤجروا ٧٨٢
أصاب الشيخ وأخطأت أنا ٢١٢
أصل النهائية وخفيئها ٩٩
أصل النيل ١١٦
الاصلاح بين الأكابر ٦٥٥
الاصلاح الزراعى وتناجه ٨٧٨

- الاضطرابات العقلية في أمراض الشخصية عند
ريبو ٥٨٩
- الأطباء وإخلاصهم بملهم الطبا ٥٠٢
- إعداد القوة وأخذ الأمانة للأعداء ١٨٩
- أفيون العالم الحر ٥٠٢
- أفيال شاهر الاسلام ١١٤٥
- أقسام الواجب ١٧٥
- أفة أكبر يا محمد (قصيدة) ٣٥٥
- أمالى الشهاب الحفاجي ٢٩٢
- أمالى القال ١٩٣
- الأمانة الاسلامية ٩٩١
- أسماء أسرة محمد علي لا يعرفون العربية ٥٠٢
- الأمراض التوطنة في مصر وخسائر الانتاج ٧٦٥
- أمركة النسيم ٦٣٣
- الأمريكيون في البلاد الاسلامية ١٢٦
- أمير الامة أبو عبيدة (كتيب) ١٠٩٣
- أمية بن أبي الصلت ٧٤٨
- إنشاء الشعر بأبناء العمر لابن حجر ٥٧٧
- انتكاس الانسانية والحضارة بانتصار شارل
مارتل على عبد الرحمن النافقي ٤٥٤
- الانجليز في قاعدة القنال ٩٨٦
- الانجليز في كينيا ٦٣٩
- الانجليز في المحميات اليمنية ٧٦٣
- اندونيسيا : حياهما ٥١١
- اندونيسيا : الحزب الاسلامي فيها ٧٦٣
- انتفاذ السودان ٥٠٨
- الانوار المحمدية في الخطب التبعية (كتاب) ١٠٩٨
- أولياء الله وأولياء الشيطان ٨٨٥ ، ٩٩٩ ، ١١١٠
- أيام الكويث (كتاب) ٨٧٠
- إيران بين الشاه ومصدق ٦٣٢
- إيران ودولة إسرائيل ١٢٢
- إيران والاخلاق فيها ٥١١
- إيساغوجي لفرغوريوس الصوري (ترجمته للعربية)
٤٧٧ ، ٤٧٠
- إيمان ٤
- الإيمان والحياة : كلمة المنفلوطي ٨٨٩
- (ب)
- باكستان جمهورية إسلامية ٣٨٩
- باكستان وفلسطين ٧٦٣
- باكستان : اتفاقها العسكري مع أمريكا ١٧٠١
- باكستان : ميثاقها مع تركيا اللادينية ١٢٠١
- بترول ساحل الخليج العربي ١٢٦
- بترول تحت مياه الخليج العربي ٢٨٢
- البترول السعدي ٦٣٩
- بدل من الهجرة ١٤
- البدن في نظر الاسلام ٥٥٣
- بريد الحكومة وبريد الشعب في مصر ١١٠٣
- بنة بمنية لمدارس مصر ٨٧٦
- بقرة بني إسرائيل ١٣٦
- بنتام : مذهبه في الاخلاق ٧٨
- البهاية : أصلها وحقيقتها ٩٩
- للبهايتون مرتدون عن الاسلام ١١٠٢ ، ١١٩٣
- بيان أزمري من أحداث مراکش ٤٤
- (ت - ث)
- تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ٧٥٢
- تاريخ الكتابة ٨٦
- تاريخنا ٧٦٩
- تأويل الخوارق في القرآن ٩١
- التأويل والتفسير ١٠٥٠
- تبصير المسلمين بالاسلام ٣٨١
- تجريد التوحيد للفيد (كتاب) المقرزي ٣٧٥
- تحديد النسل وشطط الداعين اليه ١٣٤
- تحديد النسل هدم لكيان الامة وجريمة في حقها ٢١٧
- التحرد من مقاصد الشاخي ٢٥٤
- تحرير المقال (كتاب في تربية الاطفال لابن حجر
الميتشي) ٩١٣
- تحرير الكتب العربية في تركيا ٣٨٣
- تحسن ميزان مصر التجاري ٨٧٨

تلاميذ للدارس الابتدائية في مصر ٣٨٠
التأثيل في مصر ٨٧٦

التوجيه الروحي في المدارس الثانوية ٨٢١
التأثر في نظر الاسلام ٨٢٧ ، ٧٠٧

(ج)

جامعة عراقى في الزقازيق ٢٥١
جامعة القاهرة : احصائيات عنها ٥٠١
جامعة أسيوط ٩٨٣
الجامعات للصرة : الخوف عليها من الجامع ١١٧
عدد للتحقق بها ٢٥١
جديد قسك ٢٥٧ ، ٤٦٦
جديدوا أنقسم كما جددتم ثيابكم ٣٦
جزيرة القريم ٩٩٠
جامعة كبار العلماء : ميانها عن أحداث مراکش ٤٤
جال الاسلوب القرآنى ٥٤٥
جال الدين الاقناني ٣٣٣
الجمهورية السورية ٨٧٧
جوادعلى : تاريخ العرب قبل الاسلام (كتاب) ٧٥٣
الجوارى في الاسلام ٨٩٠ ، ١٠٠٤ ، ١١١٦
الجيل الثانى (أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٦٤١
جينو (صوى فرنسى) ١٠٩٦

(ح)

الحج للبرور ٣٤
الحج رحلة إلى الله ١١٧٤
ابن حجر السفلاى ٣٨٥
حديث الحيوان في الحضارة الاسلامية ١٠٦١
حدود الحرم للسكى ٦٣٧
حرب الاستعمار على العرب ٣٨١
الحرس العربى في الأردن ٦٣٩ ، ٧٦٢
الحساب الفلكى واعتماده لتحديد أوقات الصلاة
٩٥٣ ، ٤٩٣

مخرج نصوص اوسططالية في كتاب الحيوان
الجاحظ ٢٤٦

مدينى لنوى ١١٦٥ ، ١١٦٧
ترجمان الشافعى ٢٧٤
الترجة العريسة لكتاب إياغوى لفرغوريوس
المورى ٤٧٠ ، ٤٧٧

تروير ييتين على أبى فراس ٨٦٦
تشجير مصر ٧٦٤
تشجيع قلم الطيران ٧٦٠
التشكيك في إيمان أبى بكر وعمر ٧٢٩
قصوب لنوى ٢٢٣
قماون العرب ٣٨٢
قريب قوانين السودان ١١٠٣

قملينات : القيرة على الأزهر ٧٢٨ ، للتشكيك في
إيمان أبى بكر وعمر ونسبة الاطاد إلى مجلة
الأزهر ٧٣٢ ، حول الفن القصصى في القرآن
٧٥٢ ، ٨٥٧ ، في وكتاب أبى بكر وعمر ٨٦١ ،
موقف رجال الدين من السينما ٨٦٢ ، رد على
رد حول خرافة الليتافيرقا ٨٦٤ ، السينما وما
تقدمه لفرق الاسلامى ٩٩٥ ، الاسلام والأزهر
في مجلة سلاح الاشارة ٩٩٦ ، الأزهر فكمرة
إسلامية ٩٩٨ ، الدعاة إلى الدين ١٠٧٩ ،
أبوهريرة ١٠٨١ مجلة طائفية من بغداد ١٠٨٢ ،
١١٨٩ ، خطاب مفتوح إلى رئيس تحرير
الجمهورية ١١٨٧ ، خارج الباب ١١٨٩ ،
الاشعرى ومراحل تطووه الفسكى ١١٩٠

للتعليم في مصر وحاجته إلى التربية ١٣١
تفسير بيت من شعر جاهلى ٦٨٥ ، ٨٦٤
للتفسير الواضع (كتاب) ٣٧٦ ، ١١٨٦
للتقدم لشهادات الأزهر من الخارج ٣٧٩
للتقدير المبنى والتقدير التندى في الشريعة الاسلامية ٦٣
تقرير قسم الانسكلتوما والبلهارسيا ١١٤
التقليد في الزندقة ٧١٥
تكتيكات الاستطلاع في سرية عبد الله بن جعش ٩٣
للتكرار في الكلام ٧٣٥

- الحسن البصري ٨٥٠ ، ٩٣٤
 حسنين محمد مخلوف (رئيس لجنة الفتوى) : للوارث
 في الفريضة الاسلامية (كتاب) ٩٧٦ ،
 فتاوى وبحوث شرعية (كتاب) ٩٧٦ ،
 زواج المسلم بالكتانية وإسلام زوج الكتانية
 ١٠١٠ ، ١١٢٦ ، جواز اتخاذ أبراج الحمام
 وامتلاك ما يأوى إليها من الحمام البرى ١٠٩١
 الحصار الاقتصادي لفريش في سرية زيد بن حارثة
 ٦٨٨
 حقوق الزوجية ونظام الأسرة في الاسلام ٣٨٣
 حلقات الاذكار في المساجد ١١٠٣
 حفاة استراتيجية ٩٩٠
 حمد الجاسر : مجلته (الجامعة) ١١٥
 الحملة الانجليزية على مصر سنة ١٧٢٢ هـ ١٠٧٠
 جودة غرابة : الأشعري أبو الحسن (كتيب)
 ١١٩٠ ، ١٠٩٤
 حنى أحمد : معجزة القرآن في وصف الكائنات
 (كتاب) ٩٧٧
 حواريون (شعر) ٦٨٦
 حول حقوق المرأة الساسية (كتيب) ٧٥٦
 حول الفن القصصى في القرآن ٧٥٢ ، ٨٥٢
 الحياة النبوى ٢٦٧
 الحياة النيابية في مصر ٥١١
 جوبة الأدب ٩٤٠
- (خ)
 خالد بن الوليد (كتاب) ٣٧٦ ، ٩٤٤
 خرافة الليثانيقا ٢١٩ ، ٣٥٠ ، ٦٠٨ ، ٨٦٤
 خواتن الكتب العراقية ٥٠١
 خزان في باكستان ٩٩١
 خرافة الادب لبغدادى : نهجه فيها ٥٤
 خصومة الأكابر ٤٠٥ ، ٥٢٨
 خط الحجاز الحديدي ٦٣٧
- خطر الانحلال ٥٠٣
 الخطر على روحانية الصبراء ٥٠٧
 الخوارق في القرآن وتأويلها ٩١
 خواطر في الادب (كتيب) ١١٥
 خواطر في الحياة (ديوان قصير) ١١٩٨
 (د - ذ)
 دائرة المعارف الاسلامية ١١١
 دار فوائى التاريخية للصربية ٩٨٣
 الدخيل وكعب التفسير ٤٤٨ ، ٥٥٧ ، ٦٦٩
 ٨٠٠ ، ٨٩٥
 دراسات اسلامية (كتاب) ٣٧٣
 الدراسات العليا في الأزهر ٣٧٩
 الهداء ٢٦٣
 الهداء للحكام في خطبة الجمعة ٨٧٦
 الهداة إلى الدين ١٠٧٩
 دعوة الاسلام (كلمة لمدير جامعة جنيف) ٩٢٨
 الدعوة إلى الاسلام في الخارج ٨١٨
 دمشق : مدينة جامعية فيها ١١٩
 دولة الاسلام بين الدين والسياسة ١٦٢ ، ٢٨١
 دولة الشعر (قصيدة) ٥٨٥
 دى لوجيه : شرح منازل السائرين لفركاوى ١٠٩
 الديمقراطية في الاسلام (كتاب المقاد) ١٧٨
 الدين في مدارس سوريا ٩٨٣
 ديوان مجد الاسلام لأحمد محرم : ٤٦ ، ١٤٩ ،
 ٢٧٢ ، ٤١٢ ، ٦٠٠ ، ٩٢٣
 ديوان المعاصرة في الحجاز ١١٠٣
 ذكريات مستشار سابق (كتيب) ٨٧١
- (ر - ز)
 رأى الاسلام في شروط التوظيف ٣١٦
 رأى العام الاسلامي في أندونيسيا ٩٨٩
 الراية السعودية في البحار ١١٠١
 الرباط في الاسلام ٤٣٧



سبب الحرب العالمية الثانية ١٩١٤
سبل الاسلام (كتيب) ١١٧٤
سبشر : وصيته لليابانيين بالحنو من اوروبا
وأمرىكا ١٢١
السجل الثنائى (كتاب) ٣٧٣
سحر هاروت وماروت ٣٧٧
سقاء برىطانى ٢١٦
سمد محمد حسن : الفتنة الكبرى لطف حسن (نقد)
٢٣٧ ، الهدية فى الاسلام (كتاب) ١٩٨
سمود آباد ١٢٠٢
سميد زايد : الاخلاق عند بنام ٧٨ ، الديمقراطية
فى الاسلام (كتاب) ١٧٨ ، الاضطرابات
العقلية فى أمراض الشخصية عند ريبو ٥٨٩
التأويل والتفسير ١٠٥٠ ، مساواة [قصة]
١١٦٢
السيد الفرباصى : التقدير المبنى والتقدير النقدى ٤٦٣
أدب الاخوة (كتيب) ١١٣
سنن ابن ماجه ١٠٩٤
السنة : بدل الهجرة ١٤ ، شعب الامعان ١٤١
الحياة النبوى ٢٦٧ ، خصومة الاكابر
٤٥٠ ، ٥٢٨ ، الاصلاح بين الاكابر ٦٥٥
اشفقوا تؤجروا ٧٨٢ ، الجوارى الاسلام
٨٩٠ ، ١٠٠٤ ، ١١١٦
السودان من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٩٥٣
(كتاب) ١١٢
السودان وأمله ٩٨٧
سورة الانفال ١١٦٩
سيد على الطوبجى : كفتان فى كتابين ٦٠٧
سيد قطب : فى ظلال القرآن (كتاب) ١١٩١
دراسات إسلامية (كتاب) ٣٧٣
سيد كمال الشورى : أصل البهائية وحقيقتها ٩٩
السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى كما ينبغي أن
نظهما فى مساهمتنا ١٠٧

الرجال ١٨١
رحلة إلى افه ١١٧٤
رحلة للنشئ البغدادي (كتاب) ٣٧٣
رد الطمة لفرنسا ١٢١
رسالة العلم ٣٧٧
رسول افه صلى الله عليه وسلم يربى أصحابه ٢١٦
الرقى فى الاسلام ١٩٨
الرقى وآثاره فى التشريع الاسلامى وللصلى ٤٤٦
وكن الطلبة : الازهر والحياة لمحمد الاحمدى أبى
النور ٨٦٧ ، المساواة فى الاسلام لمحمد الرحمن
شمس الدين ٨٦٨ ، العبادات وتهذيب النفس
لمسيد رزق عبد الوهاب ٩٧٠ ، لا إصلاح
إلا بالاسلام لمحمد السوقي ٩٧١ ، حاجة العلم
إلى الاسلام لمصطفى عبد الواحد ابراهيم
١٠٨٤ ، الحياة فى مصر لمحمد عبد الطيف
الزقناوى ١٠٨٥ ، حسرة لمحمد عفى الدين
السيرى ١٠٨٦ ، حقائق لمسيد محمد السيد
١١٩١ ، السامون بين أمهم ويومهم لمحمد
أحمد ابراهيم بدوى ١١٩٢
وكود ثنائى ٩١٠ [وانظر ١١٥٠]
رمضان هجرة الى افه ١٠١٥
الروح التقدمية فى الاسلام شاهد بأنه من صنع افه
٥٣٣ ، ٦٧٥ ، ٩١٦
رياض هلال : الازهر فكرة اسلامية ٩٦٨
الزكاة : صندوق لها ١٢٥ ، فريضة ١١٢٢
زواج المسلم بالسكنانية وإسلام زوج السكنانية ١٠١٠
١١٢٦
زيارة الملك سمود لمصر ٩٨٥
(س)
سالم بن معقل ٢١٣
سبأ ومأرب (آثارهما) ٧٦١
سبب تأخر المسلمين ٣٣٨

(ش)

- شاب يملك غضبه ١٠٠٣
شاعر منته أنانيته من الاسلام ٧٤٨
شيلي ملاط : قصيدته في معركة تور ٤٦٧
شخصية الاسلام وللطين ٣٦٦
شرح منازل السائرين لفركاوي ١٠٩
الشريعة الاسلامية أساس القوانين ٢٥٤
شعب الايمان ١٤١
الشعب المصري يطرد الانجليز عام ١٩٢٢ ٩٤٧
شفاء الغليل في مسالك التليل لقرالى ٣٠
شكرى فيصل : مناهج الدراسة الادبية ١١٩٨
شلال الامم المتحدة ٣٨٣
شمم العرب ٨٢٦
الشهادات الأزهرية ١٢٠٠
شهر التكريات الخالدة (رمضان) ١٠٤٥

(ص)

- صابر على رمضان الجوشنى : جدد نفسك (شعر)
٤٦٦ ، دولة الشعر ٥٨٥ ، حواريون
٦٨٦ ، موت الامم ، رحلة الكون ، أسرار
الخلود ٦٨٧ ، في ركاب أبى بكر وعمر ٨٦١ ،
محنة الادب ١٠٥٣
صادق ابراهيم مرجون : نظام الحكم فى الاسلام
(كتيب ١١٤) ، خالد بن الوليد (كتاب ٣٧٦)
صانع القواد ٧٣٩
الصحاء القرية : إحيائها ١٢٤
الصلاة فى المدارس ٦٣٣
صور لطلاب العلم ٣٨٥
الصور للناقبة للاداب ٧٦٠
صور ومشاهدات من الحجاز لمحيى الدين رضا ٢٥٠
الصوم عبادة وتهذيب ١٠٣٧

(ط)

- طائرات لتسليم بمصر ٧٦٠
طلوت وجالوت ٦٥١ ، ٧٧٦
طه الحجرى : تخرىج نصوص اوسطاطالية فى كتاب
الحيون لجاجظ ٢٤٦
طه الربى : نظرة فى شاهد ٣٤٣ ، ٤٨٥ ، ٥٩٣
شاعر منته أنانيته من الاسلام ٧٤٨ ، معنى
الانسان فى مختلف الآيات ١٠٥٧ ، المجاهدون
الأولون ١١٨٤
طه محمد الساكت : بدل الهجرة ١٤ ، شعب
الايمان ١٤١ ، الحياة النبوى ٢٦٧ ، خصومة
الاكابر ٤٠٥ ، ٥٢٨ ، الاصلاح فى الاكابر
٦٥٥ ، اشفقوا توجروا ٧٨٢ ، الجوار
فى الاسلام ٨٩٠ ، ١٠٠٤ ، ١١١٦
طاهر الجزائرى وكوله صهر ١٧٣
طروء اللحن على القنة ٢٩٨
طفيان الاستعمار وخطر الشيوعية ٤٦٣
طلاب الوظائف ٣٩٧

(ع - غ)

- العالم فى ظلال المذاهب البشيرة ٤٣٠
عامل الجزيرة العربية يؤدى فريضة الجمعة بالأزهر .
قيل من ٨٨١
عباس الزراوى : المكا كائية فى التاريخ (كتاب)
٢٤٩ ، رحلة للنشئ البغدادي (كتاب)
٣٧٣ ، الموسيقى العربية فى عهد المغول والتركان
٧٥٨
عبد الباقي العمري (كتيب) ٧٥٦
عبد الجواد رمضان : خالد بن الوليد (كتاب ٩٤٤)
عبد الحليم محمود : الفيلسوف ريله جينو [كتيب]
١٠٩٦
عبد الحليم النجار : نشأة اللماجم القنوية ٢٤
عبد الحميد مجتبت : مؤلا - مثنا الأعلى ١٢٠٢

عبد الحيد محمود السلوت : مشاكل العالم الاسلامي
والمؤتمرات ٥٩٦ ، كيف ينهض المسلمون ٧٤٤
اتفاق الحواطر في الشعر ٨٠٩ ، ١٠٣٢ ،
١١٧٩
عبد الرحمن تاج (الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الازهر) : ترجمة حياته . قبل من ٥١٣ ،
حديث الى مراسل النيويورك تايمس ٦٩١ ،
حديث من أزمة الزواج ٦٩٢ ، زيارة رئيس
الجمهورية له . قبل من ٧٦٩ ، موقف الاسلام
من التغيرات التي يمر بها العالم ٧٩٦ ، الدعوة
الى الاسلام في الخارج ٨١٩ ، التوجيه الروحي
في المدارس الثانوية ٨٢١ ، علماء الازهر
واقصا لهم بالمجتمع والحياة ٨٤٨ ، ود تحامل
النواب الاتراك على الازهر ٨٧٤ ، فريضة
الزكاة ١١٢٢
عبدالمعز الدهلوي : مختصر التحفة الاثني عشرية ٢٧٠
عبد الغني إسماعيل . طرود الحن على اللغة ٢٩٨
عبد القادر البغدادي : منهج في خزانة الأدب ٥٤
عبد الله المراغي : أقسام الواجب ١٧٥ ، مقنة
الواجب ٣٣٠
عبد الطيف خليف : نظام الاجتماع في الاسلام ١٠٤
عبد الطيف السبكي (مدير المجلة : مسجد المدينة
١٩ بقرة بنى إسرائيل ١٣٦ ، الدعاء ٢٦٣ ،
سحر هاروت وماروت ٣٩٨ ، لبنان الحكيم
٥٢١ ، طالوت وجالوت ٦٥١ ، ٧٧٦ ،
خطبة في زيارة رئيس الجمهورية للأستاذ
الأكبر . قبل من ٧٦٩ ، خطبة الجمعة بالازهر
في زيارة عامل الجزيرة العربية قبل من ٨٨١ ،
أولياء الله وأولياء الشيطان ٨٨٥ ، ٩٩٩ ،
١١١٠ ، الدعاء الى الدين ١٠٧٩
عبد الواحد يحيى (ريفيه جينو) ١٠٩٦
عبد الوهاب حمودة : نشأة كتب الامالي وأمالى
النالي ١٩٣ ، أمالى الشهاب الحفاجي ٢٩٢

عبدية محمد والأستاذ العقاد ٦٠٦
الليديون : جنايتهم على القضاة ٣٨٥ ، أصلهم ،
وعقيدتهم ، وطريقتهم في التنبؤ الروحي ،
وبكل تاريخهم إلى زوال دولتهم بيد صلاح
الدين الأيوبي ٦١٢
العرب : تكتلهم العسكري ١٢٣ ، سبقهم إلى
اكتشاف أمريكا ٦٣٤
العربية : في البنك الاهلي ١١٩ ، في مؤتمر هيئة
الاغذية والزراعة ١١٩ ، لغة دولية للسياحة
٧٦١ ، لغة دولية للمسلمين ٨٧٦
عن الدين اسمايل : مہج البغدادي في خزانة
الادب ٥٤ ، من مشكلات أدبنا القديم
٢٠٢ ، للغرب في حلي الغرب (كتاب)
٣٤٦ ، جمال الأسلوب القرآني ٥٤٥ ،
التكرار في الكلام ٧٣٥ ، حيوية الادب
٩٤٠ ، أزمة الثقافة في مصر ١١٥٠
العزة في القرآن الكريم ٢٢٥
عزبة من عزائم الصديق الأكبر ١٨
عضو أزهري بالبرلمان الصيني ٨٧٩
المقية : ميثاقا وموقفا السياسي والحربي ٧٠٣ ،
فتاة العتبة ٩٨٨
عقد التأمين في التصريح الاسلامي ٢٣٢ ، ٣٠٣
علم والعمل ٥٠٦٦
علمه الازهر واقصا لهم بالمجتمع والحياة ٨٤٨
علماء جامع القرويين والاستثمار ٦٣٦
على المباري : قصوب لنوى ٢٢٣ ، للدائح النبوية
٣٦١ مؤمنون حقا كما وصفهم القرآن ٦٨١ ،
٩٠٦ ، لو رضى الناس ٨٥٤
عمر بن الخطاب وهو بين الدنيا والآخرة ١٠٣١
عمر طلت زهران : الحملة الانجليزية على مصر ١٠٧٠
عمران بلاد العرب ٧٦٢
عيد الجهاد الاسلامي (١٢ صفر سنة ٨٢) ٣٠٨
غربة الاسلام لابن رجب ١١٩٩

للبيت من مدفنه لمصلحة ١١٩٥ ، الافراز
للبيلى نلفس للوضوء ، طلاء الاطافر مانع
تمام الوضوء ١١٩٥

فتاوى وبحوث شرعية [كتاب] ٩٧٦

الفننة الكبرى لطف حسين [نقد] ٢٣٧

فرق الزمالة بالمداوس المصرية ١٢٤

الفركاوى [عمود بن حسن] : شرحه منازل السائرين

لهروى ١٠٩

فرنسا والبعوث الانهرية ٦٣٥

فريضة الزكاة ١١٢٢

القساط [مصر التينة] فى زمن ابن حجر ٣٨٥

فقيه اديب [الامام أبو يوسف] ١١٣١

فلسطين والمملكة السعودية ٦٣٦

فن الحصار فى غزوة بنى قينقاع ٥٧٣

فى إصلاح الكيان للمصرى ٨٨١

فى أصول الفتن [الترجمة العربية لكتاب إيساغوجى]

٤٧٧

فى ركاب أبى بكر وعمر [شعر] ٨٦١

فى الشعر العربى . فكرة ومنهج ٨٣٧

فى ظلال النقى [شعر] لحمد النجمى ١١١٣٥

فى ظلال القرآن [كتاب] ١٩

فى منطق البربرى ٩٨٧

فى المين ٨٧٧

فيضان دجلة ٩٨٧

الفيلسوف للسلم رينيه جينو [كتيب] ١٠٩٦

(ق)

القافية فى الشعر الأوربى ٢٩

قبط مصر وصلتهم بالاسلام ١١١٦

قبة الصخرة ٩٨٨

القدس : مدرسة عربية فيها ١١٩

قصص النبيين للأطفال (كتاب) ٩٧٩

قضاء للمرأة ٧٦١

غزوة أحد ٩٦٠ ، ١٠٧٤ ، ١١٥٤

غزوة بدر الكبرى : ميدان الاستراتيجية والنكتيك

والفن الحربى ١٨٢ ، ٢٨٧

الغيرة على الأثر ٧٢٨

(ف)

فائحة السنة الخامسة والعشرين لمجلة ١

الفتاوى : حكم إجارة البساتين ٧١٢ ، استغلال

الاطيان للرهينة ٧١٣ ، مكبرات الصوت فى

المساجد ٧١٤ ، حجر للسيد البدوى وقدم

الرسول صلى الله عليه وسلم ٧١٤ ، التماون

مع الاعداء ٧٨٨ ، شهادة الزور للوصول

إلى الحق ٧٩٦ ، حل للمصحف الشريف ٧٩١

هل على السجين زكاة ٧٩٢ ، الصلاة بخطبة جمعة

تقسم من المذابح ٧٩٣ ، تعدد الجملة فى بلد

واحد ٧٩٣ ، حكم التبنى ٧٩٤ ، توديت

مسبحى له أخوة وأولاد من إحدى زوجتيه

توفى عنها ٩٧٣ ، زواج السلم باليهودية ١٧٣

الزكاة على محصول الزراعة فى الباقي بسدد

للصروف عليها ٩٧٤ ، الزوجة للوظيفة مكلفة

بطاعة زوجها فى ترك الوظيفة إذا طلب منها

ذلك ٩٧٥ ، تعليق الطلاق قبل قيام الزوجية

بالفعل غير صحيح ٩٧٥ ، حكم صاحب الطعام

إذا فتح مطعمه للمفطرين فى نهار رمضان

١٠٨٧ ، [الاستحمام فى البحر أو الحمامات

الخاصة فى رمضان ١٠٨٨ . خلق الفرس

والخفنة تحت الفرس وصيغة اليهود والدم من

الفرس فى رمضان ١٠٨٩ ، إباحة الفطر

لفرورة حفظ للبال والنفس ١٠٩٠ ، جواز

اتخاذ أبراج الحمام واستلاك ما يؤى إليه من

الحمام البرى ١٠٩١ ، الهائى مرتد وتزويجه

باطل ١١٩٣ ، الرضاع وما يحرم به ١١٩٤ ،

إرث المطلقة فى مرض الموت ١١٩٤ ، قتل

- قلنا وقالوا ٧٢٠
قناة المقبة ٩٨٨
قوى ضائعة ١٢٩
قوة العرب أجمعين ٥٠٤

(ك)

- الكسائية في التاريخ (كتاب) ٢٤٩
الكتب والمناهج الأزهرية ٨٤٤
كسوة الكعبة في العهد الجديد ٧٦٢
كشمير والأزهر ١٢١
كعب بن لؤي كما وصفته أمه ٨٩٤
كفتان من كتابين ٦٠٥
كفتان لابي بكر وعلى ٨٢١
كلودفارت يصف انتكاس الحضارة بخروج العرب من أوروبا ٤٥٤
كمال الايمان ٣٣٩
كنوز بلاد سدوم وخطرها على الشرق ٤٩٨
الكهرباء في المدينة المنورة ٥٠٥
كولمبوس والشيخ طاهر الجزائري ١٧٣
كومنولث اسلامي ٢٥٥
كيف تمكون خطيبا [كتاب] ١٠٩٨
كيف نفهم التاريخ الاسلامي ١٦٢ ، ٢٨١
كيف ينهض المسلمون ٧٤٤

(ل)

- لا تعرف الانسانية حضارة قاومت الرق كالاسلام ١٩٨
لاجئو فلسطين ٧٦٣
اللبانات [آيات لابن حطان] ٨٠٥
لصوص الاعراض ٦٣٥
اللة الأسبانية في مدرسة الالسن ٦٣٥
اللة العربية للة أجنبية في الجزائر ٣٨٧
لنويات : ١٦٩ ، ٣١٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٠ ، ٥٦٢ ، ٧١٦ ، ٨٢٢ ، ٩٢٩ ، ١٠٦٢ ، ١١٣٥ ، ١١٦٧
لقمان الحكيم ٥٢٩ (كتاب) ١١٩٧
لمن يكون تنفيذ الحدود ١٠٤٠ ، ١٠٤٠
لورضى الناس ٨٥٤
ليبيا . مصادتها مع الانجليز ٦٩ ، الانجليز والفرنسيون فيها ١٢٦
ليس في الاسلام موسيقى دينية ولا رقص ديني ٣٥٣
ماء الوجه ١٤٥
ماذا ينقصنا ؟ (مقارنة) ٩٨٧
مأرب وسبأ (آثارهما) ٧٦١
متحف لمل الحيوان ٦٣٤
المذلة الواضحة في الفسكرة الدينية ١١٤٠
المجاهدون (كتاب) لمحمد فهمي الطماوى ٢٥٠
المجاهدون الاولون ١١٨٤
مجلة الأزهر : مصادرتها في تونس ، ٣٨٣
مجلة معهد القاهرة ٩٨٠
محاضرات من سوريا - من الاحتلال حتى الجلاء ، ١١٩٦
محاضرات في تفسير سورة الانتقال ٣٧٥
محب الدين الخطيب : قائمة السنة الخامسة والعشرين للمجلة ١ ، إيمان ، ٤ ، قوى ضائعة ١٢٩ ، السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي كما ينبغي أن نعلمها في معاهدنا ١٥٧ ، جدد نفسك ٤٥٧ ، ملاحظة في الفرق بين ولاء للوالاة وعقد للتأهين ٣٠٧ ، مختصر التحفة الاثني عشرية ٣٧٠ ، يقيم من مصر المتبعة : حياة الحافظ ابن حجر ٣٨٥ ، انتكاس الانسانية والحضارة بانتصار شارل مارتل على عبد الرحمن الغافقي ٤٥٤ ، وسائل وظايف ٥١٣ ، من هم المبيدون ولماذا أحرقوا مدينة الدسقاط وتحقق أصلهم ولمذهبهم وسيرتهم ٦١٢ ، الجيل الثالث (الصحابة) ٦٤١ ، التشكيك

الامة وجريمة في حقها ٢١٧ ، رأى الاسلام
في شروط التوظيف ٣١٦ ، نداء إلى الطلاب
٣٤٢ ، مولد رسول مولد رسالة ٤١٠ ،
ليس للمرأة شرطا أن تمارس السياسة ٤٤٤ ،
طليان الاستعمار وخطر الشيوعية ٤٦٣ ،
للماهدات في الدول الاسلامية ٤٦٧ ، خواطر
الحياة (ديوان شعر) ١١٩٨

محمد خليفة : صائم القواد ٧٣٩ ، من أعماق الماضي
٨٩٥ ، ركود ثقافي ٩١٠ ، يارب ١٠٦٧
محمد صبري عابدين : الاردن في الحروب الصليبية ٥٩ ،
للدارس الأجنبية ٣٥٧
محمد عبد النواب : كمال الايمان ٣٣٩ ، الصوم
عبادة وتهذيب ١٠٣٩

محمد عبد الرزاق حمزة : تأويل الخوارق للثابتة
في القرآن ٩١ ، خرافة للبتافيزيقا ٦٠٨
محمد عبيدة السمان : أسس الحكم في الاسلام
كتيب ٥٠٠

محمد عبد النعم خفاجة : من مفاخر ديننا الخالد ٢٠٨
محمد عبد الهادي أبو ريدة : الترجمة العربية لكتاب
إيساغوجي ٤٧٠ (وانظر ٤٧٧)

محمد عرفة : خرافة للبتافيزيقا ٢١٩ ، ٣٥٠
محمد علي يشق جدي سليمان حافظ ٥١١

محمد علي النصار : نظرات في كتاب الاموال ونظرية
المقد في الفقه الاسلامي ٧٢ ، للعالم ١٦٩ ،
لقويات ٣١٩ ، ٤٨٠ ، ٥٦٢ ، ٧١٦ ،
٨٢٢ ، ٩٢٩ ، ١٠٦٢ ، ١١٣٥ ، ١١٩٧

محمد غلاب : جمال الدين الاخفي ٣٣٣
محمد فتحي محمد عثمان : دولة الاسلام بين الدين
والسياسة ١٦٢ ، ٢٨١ ، الروح التقديمية
في الاسلام ٥٢٣ ، ٦٧٥ ، ٩١٦ ، للغاية
الوانية في الفكرة الدينية ١١٤٠

محمد فريد وجدي (وقافته) ٧٥١

في إيمان أبي بكر وعمر ٧٢٩ ، تاريخنا ٧٦٩
في إصلاح الكيان المصري ٨٨١ ، السينما
وما تقدمه للشرق الاسلامي ٩٦٥ ، مع الرحيل
الاول ٩٩٣ ، أبو هريرة ١٠٨١ ، مجلة طائفة
١٠٨٢ ، ١١٨٩ ، هذا هو الاساس ١١٠٥ ،
باب التعريف بالكتب ، باب الآداب والعلوم ،
وباب العالم الاسلامي ، وترتيب فهرس هذا العام

محكمة عدل مصرية ٧٦٦

محكمة للمياه العربية في إسبانيا ٥٠٣

محمد أبو الملا البنا : الحجاب الفلكي واعتماده لتحديد
أوقات الصلوات الخمس ٤٩٣ ، ٩٥٢

محمد أحمد القمراوي : مشروع تقييد تعدد الزوجات
٧٢٠ ، حول الفن القصصي في القرآن ٧٥٢

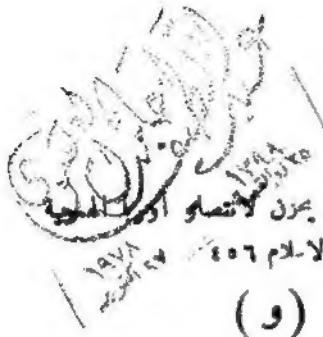
محمد بدوي الختول : تفسير بيت من شعر جاهلي
٦٨٥ (وانظر ٨٦٥)

محمد جمال الدين محفوظ (صاغ أركان حرب) :
تكتيكات الاستطلاع في سرية عبد الله بن
جيش ٩٣ ، غزوة بدر الكبرى ميدان
الاستراتيجية والتكتيك والفن الحربي
١٨٢ ، ٢٨٧ ، نظرية الدفاع المبعوم بمد
اقتصار للسدين في بدر ٤٢٦ ، فن الحصار
في غزوة قينقاع ٥٧٣ ، الحصار الاقتصادي
لغريش في سرية زيد بن حارثة ٦٨٨ ،
المؤلفة قلوبهم في جنوب السودان ٨٣٣
(وانظر ٩٦٤ و ١١٥٧) غزوة أحد ٩٦٥ ،
١٠٧٤ ، ١١٥٤

محمد الحضرة حفي [شيخ الأزهر السابق] : الحج
للبرور ٣٤ ، جددوا أنفسكم في السب كما حدثتم
ثيابكم ٣٦ ، موقف الاسلام من حوادث
سراكن ومساعدة ليبيا ٦٨ ، إشاطات السوء
وموقف الاسلام منها ١٤٦ ، لا تعرف
الانسانية حضارة قاومت الرق كالاسلام
١٩٨٠ الدعوة لتعديد النسل هدم لكيان

- محمد فهمي الطماوى : المجامدون (كتاب) ٢٥٠
 محمد فؤاد عبد الباقي : تفسير بيت من شعر جاهلي
 ٨٦٥ ، سنة أبي ماجة ١٠٩٢
 محمد كامل الفقي : نحو مجد الازهر ٧٣٢ ، الازهر
 والصحافة ١٤٠٥
 محمد محمد أبو شهبه : أبو أيوب الانصارى ٣٨ ،
 اعداد القوة وأخذ الامية للاعداد ١٨٩ ،
 موهبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية ٢٧٥
 الدخيل وكتب التفسير ٤٨٨ ، ٥٥٧ ، ٦٦٩ ،
 ٨٠٠ ، ٨٩٥ ، شهر التكريات الخالدة
 (رمضان) ١٠٤٥ ، رحلة إلى الله ١١٧٤
 محمد في الاسلام (كتيب بالانجليزية) لمبد السميع
 للمصرى ٢٥٧
 محمد النجمي : يد التخاذل (شعر) ١٠٣٩ ، في
 ظلال الفتي (شعر) ١١٢٥
 محمد يوسف موسى . في ظلال القرآن (كتاب)
 ١٩ ، مهبة الفقيه ١٥٤
 محمود جميلة . سورة الانفال ١١٦٩
 محمود شكري الالوسي : مختصر التحفة الانثى
 عشرية ٣٧٠
 محمود فياض : عيد الجهاد الاسلامي [١٢ صفر
 سنة ٢] ٣٠٨
 محمود الملاح : عبد الباقي المصري ٧٥٦ ، أبو علي
 ابن سينا ٨٧١ ، تدقيق لنوى ١١٦٥
 محمود النواوى : أحمد بن حنبل ٨٢ ، ٣٢٣ ،
 أبو دهب الجعي ٥٦٦ ، ابن سيرين ٦٦٠ ،
 الحسن البصري ٨٥٠ ، ٩٣٤ ، مسكن
 الدارمى ١٠١٩ ، ابن أبي ذئب ١١٥٨
 محنة الادب وما هو اللجب ٨٠٦ ، ١٠٥٣
 محي الدين رضا : تاريخ السكتات ٨٦ ، صور
 ومشاهدات في الحجاز [كتاب] ٢٥٠
 مختصر التحفة الانثى عشرية ٣٧٠
 مخطوطات أثرية في القدس ٥٠٢
 لخدائع النبوة ٣٦١
 للدارس الأجنبية ٣٥٧
 مدينة الازهر بالعباسية ٨٧٢
 للمرأة ٤٧٥
 للمرأة ليس لها شرطا أن تمارس السياسة ٤٤٤
 مركز إيدان الاقتصادى ٩٩١
 للرومة ٨٠٨ ، ٣٤٥
 للمساجد : رسالتها ٢٥٤
 مساعدات هذه الدول ٥٠٥
 مساواة (قصة) ١١٦٢
 المسجد الأقصى : إصلاحه ١٢٠٢
 مسجد للدينة ٩
 مسعود الهندوى : نظرة إيجابية في تاريخ الدعوة
 الاسلامية في الهند وبأكتان ٢٤٨
 مسكن الدارمى ١٠١٩
 مسعود نيجريا ٨٧٦
 مشاكل العالم الاسلامي حل تحلها للؤتمرات ٥٩٦
 مشروع تقييد تعدد الزوجات ٧٢٠
 مشيخة الازهر : تبيين فضيلة الاساذ الاكبر
 الشيخ عبد الرحمن تاج . قبل من ٥١٣
 مصر : تقديمها العسكري ١٢٣
 مصطفى زيد . محاضرات في تفسير سورة الانفال
 [كتاب] ٣٧٥
 مصطفى السباعي : نظام السلم والحرب في الاسلام
 [كتيب] ٥٠٠
 للمصطلحات الفقهية والمصطلحات القانونية ٨٧٢
 للفتنوه به على غير أهله [كتاب مكتوب على
 الفزالي] ٦٠٥
 مع الرعيل الاول ٩٩٣
 مع المفسرين والكتاب [كتاب] ١٠٩٩
 للماجم ١٦٩
 للماهدات في الدول الاسلامية ٤٦٧
 معجزة القرآن في وصف الكائنات [كتاب] ٩٧٦
 سجع ألفاظ القرآن الكريم ٧٥٤
 معركة تور Tours بين عبد الرحمن النافق وشارله
 مارتل ٤٥٦

- معنى الانسان في مختلف الآيات ١٠٥٧
معهد البحوث الاسلامية في الازهر ١٢٠٠
معهد جرجا الدينى ٩٨٢
معهد الدراسات العربية ٧٦٦
معهد دمنهور الدينى ١١٠٠
معهد دينى باللايو ٣٨٠
للمغرب فى حلى للمغرب لابن سعيد ٣٤٦
مقدمة الواجب ٣٣٠
مكتبات للمدارس المصرية ٧٦١ ١١٧
مكتبة جامعة القاهرة ٤٧٥
مكتبة قصر القبة ٩٨٤
مكتبة المهياوى تهدي إلى الازهر ٣٨٠
ملق الطبية للتلمذة ٥٠٣
الملكمة السعودية أول مجلس وزراء فيها ٢٥٥
الملكمة السعودية والاردن ٧٦٢
من أجل فلسطين [كتيب] ٩٧٩
من أعماق للأضي ٨١٥
من مشكلات أدبنا القديم ٢٠٢
من مفاخر ديننا الخالد ٢٠٨
من نقعات إقبال ١١٤٥
من مالمبيديون ولماذا أحرقوا مدينة القسطنطين ٦١٢
منازل السائرين لشيخ الاسلام المروى : شرحه
لفركاوى ١٠٩
مناهج الدراسة الأدبية فى الادب العربى ١١٩٨
منكم تملينا [كلمة قاض أمريكى] ٧٧٥
منهج البغدادي فى خزنة الادب ٥٤
للهدية فى الاسلام (كتاب) ٢٧٢
للهدى فى غريب القرآن لاجد عبد الرزاق شامخ ٢٥٠
مهمة النقية ١٥٤
للواريخ فى العريضة الاسلامية (كتاب) ٩٧٦
للواريخ لفرنسا فى مرا كش ٩٩٠
للوتمر الاسلامى فى القدس ١٠٠٦ ٩٣٨ ٩٧٩
لوتمر إسلامى فى نيروى ١٢٧
- مؤتمر الدراسات الاسلامية فى بشاور ٩٨٣
المؤتمر العلمى العربى الاول ١١٦
مؤتمر الهيئة الاسلامية العالمية فى مرا كش ١١٠١
مؤسس الاستثمار العقلى فى مصر ٥٢٠
للموسيقى العراقية فى عهد للقول والتركان ٧٥٨
موقف الاسلام من التغيرات التى يمر بها العالم ٧٩٦
موقف الاسلام من حوادث مرا كش ومعاهدة ليبيا ٦٨
موقف رجال الدين من السينما ٨٦٢
موقف مصر من الاستثمار ٤
موقف مصر الاقتصادية ٥٠٩
مولد رسول مولد رسالة ٤١٠
للولفة قلوبهم فى جنوب السودان ٨٣٣ ٩٦٤ ٩٦٤
١١٥٧
للوؤمنون حقا كما وصفهم القرآن ٦٨١ ٩٠٦
موبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية ٢٧٥
ميثاق الفهم الجاهى العربى ١٢٠
للبزان التجارى فى مصر ٧٦٦
ميناء القبة ٢٠٣
- (ن)
ناقلات البترول السعودية فى بحار الشرق ٨٧١
نجيب الاوتناوى : محاضرات عن سوريا (كتاب)
١١٩٦
نحن أمة عربية [كلمة لوكيل وزارة للبارف
للمصرية] ٩٨٢
نحو مجد الازهر ٧٣٢
النساء وثورات الانسانية العقلى ٩٢٢
نسبة الاحاد إلى مجلة الازهر (١) ٧٢٩
نشأة كتب الامال وخصائصها ١٩٣ ٩٩٢
نشأة للماجم القوية وأطوارها ٢٤
نظام الاجتماع والاسلام ١٠٤
نظام الحكم فى الاسلام [كتيب] ١١٤ ، كلمة
فيه لميد كلية حقوق ١١٧



هنرى دى شامبون يحزن لاكتشاف

على حضارة الاسلام ٤٥٦

(و)

واجب العلماء والمثقفين ٦٣٣

الواحات . الزراعة فيها ٥٠٩

وادى النطرون : مياه جوفية فيه ٧٦٥

وثائق مصر التاريخية ٢٥٢

وثبة الاحرار [مجلة ازهرية] ٩٨٠

الوجيزى مصطلح الحديث [كتاب درامى] ١٠٩٨

الوحدة العربية لاضاء على عدد العرب ٩٨٨

وسائل وغايات ٥١٣

وصية احمد محرم إلى صديق له [شعر] ٦١١

وصية عمر إلى أحد ولاته ٨٤٧

وصية نبوية وتوجيه ١٠٠٩

وفد العراق الصحي ٩٨٩

الوقت : [احدى النوى الضائعة فى مصر والعالم

الاسلامى] ١٣٠

ولاة الاسلام معلون ٨١ ، ٩٩٥

وهي سليمان الالبانى : شخصية الاسلام والمسلمين ٣٦٦

(ى)

يارب ١٠٦٧

يقم من مصر المثيقة ٣٨٥

يد التنازل (شعر) لحمد النجمى ١٠٣٩

البجامة (مجلة مجدية) ١١٥

اليمين يستعين بالغرب ١٢٤

اليهود فى بلاد العرب ٦٣٨

اليوسكو ودى الصحراء الغربية ٢٥٥

نظام السلم والحرب فى الاسلام [كتيب] ٥٠٠

نظرات فى الشريعة الاسلامية بين التقدير المبنى

والتقدير النقدى ٦٣

نظرات فى كتاب الاموال ونظرية المقدر فى الفقه

الاسلامى ٧٢

نظرة إجمالية فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند

وباكستان ٢٤٨

نظرة فى شاهد : « قد شككت أمه من كثرة

واحد ٣٤٣ ، « الى ملك ما أمه من

محارب « ٤٨٥ ، « سريتنا ونجم قد أضاه

قد بدا « ٥٩٣

نظرية الدفاع الهجومى بعد انتصار المسلمين فى

بدر ٤٢٦

نفعات القرآن : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١

مجلة الأزهر

تصدر عن مشيخة الأزهر
في أول كل شهر عربي
ستة عشرة أعداد

متعهدو المجلة في الخارج

الشركة السعودية للصحافة والتوزيع
٩ شارع إبراهيم باشا بالقاهرة
دار الكتب العربية الشرقية في تونس
أصاحبها محمد خوجة

شركة فرج الله للصحافة والتوزيع
شارع إبراهيم باشا بالقاهرة
سالم عوض - سعيد باسواد
عميل المجلة مقدشو صوماليا

زكي . ج . بطليموس
عميل المجلة الخرطوم - ودان